يناير ١٩٨١

الهلال

مجلة الفكر العربي

تذكرة تفوق
(للشباب وطلاب الثانوية العامة)
(اللغة الانجليزية ونصوص الأدب ... وعلم النفس)

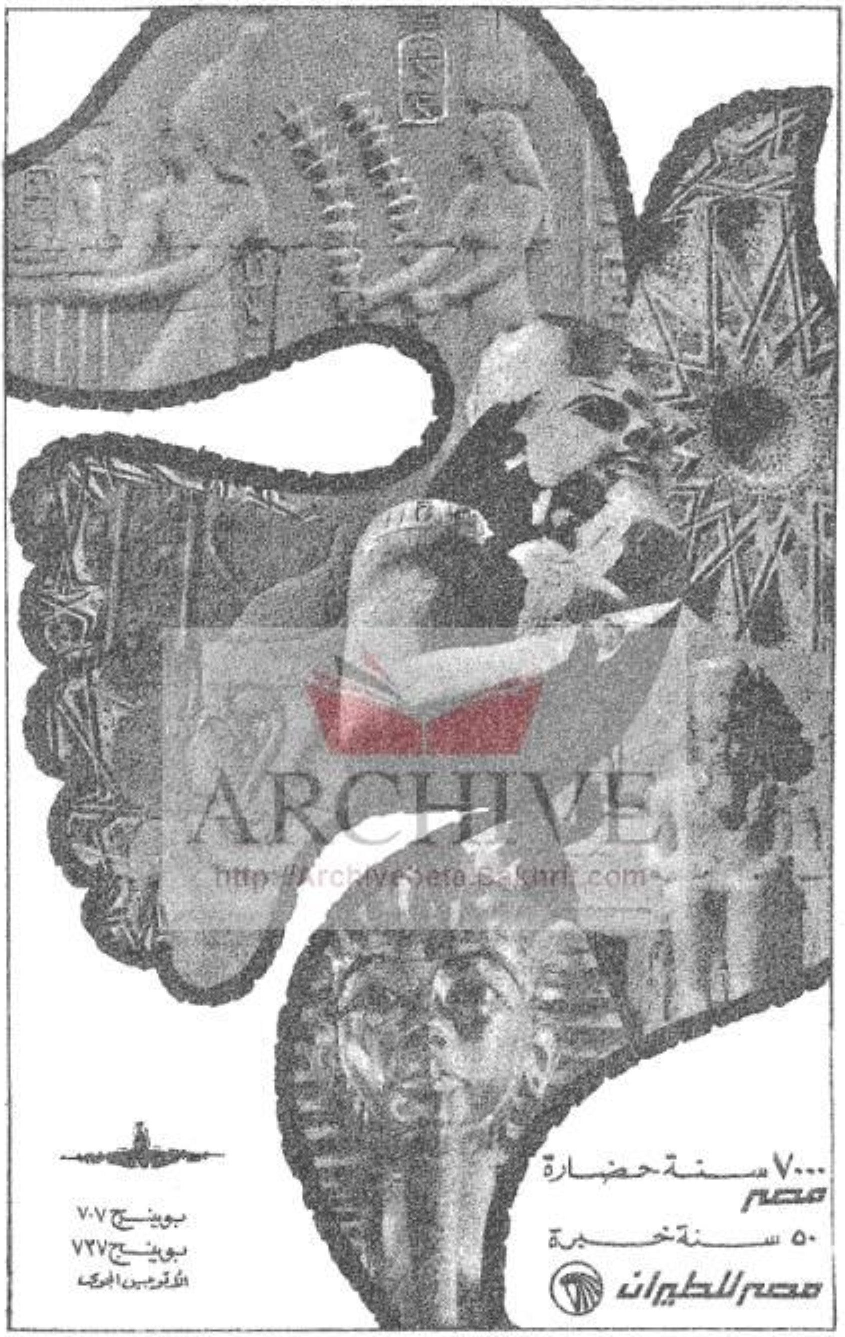
التراث ومسئولياته .. مشكلة

حقائق مذهلة عن زحل

الرسول والتحولات الفكرية

الأك
بقايا شعب يرحل
(استطلاع بالألوان)




٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧

كلمة الهلال :

دعاء

فى صلاة الجمعة الماضية طلب منا الامام على العادة ان نسأل الله سبحانه ما نريد ..

واندفع القوم من حولى يسألون الله كل شىء : الصحة والمال والتوفيق والبركة فى الأولاد ، وما الى ذلك .

اما انا فلم يكن لى الا دعاء واحد : اللهم اذهب عن العرب بلاء الفرقة والشقاق ..

اللهم ضع فى قلوبهم بذرة الحب والمودة والاخاء ..

لقد وهبتنا يا رب من وجوه الخير ما تعجز السنتنا عن الوفاء بحقه ، ووهبتنا الحب ولكننا نسيناه ، والفت بين قلوبنا ببركة الاسلام وبركة رسوله الكريم ، ولكننا نسينا درس الحب وعدنا الى شقاق الجاهلية فكان من امرنا ما تراه ..

رب ان العرب اليوم ، فى حالة من التفرقة لم نعرفها فى تاريخنا كله وانت تعلم فوق ما نعلم ، فارفع اللهم غضبك عنا ، ونجنا من هذا الشر الذى نحن فيه ..

فى كل عام كنا نسألك ان تنجى امتك من شر الصهيونية وان تعيد الينا قدسنا الكريم وترد مسجدك فيه الينا بعد الغربة والحياة فى ظلال الاسر البغيض ..

وهذا العام نتوجه اليك يا رب بنفس الدعاء ، ونسألك ان تنجينا من شر حرب العجم والعرب ، فهو بلاء ليس بعده بلاء . اللهم ببركة نبيك ان تجد لنا المخرج من هذا الشر المستطير الذى يهدد وطن العرب بشر الاخطار ..

اللهم واكتب للمجاهدين من عبادك فى افغانستان النصر على اعدائك واعداء الاسلام ..

ان عبادك الافغانيين يقاتلون عدوا جبارا ، وليس لهم الا انت يا الهى ، وانت باذن الله ناصرهم على عدوهم ومعز دينك يا رب العالمين .

واجعل يا رب نهاية هذا العام نهاية آلامنا ، وارض عنا واذهب البغضاء من نفوسنا واملأ قلوبنا بنور الاسلام ونور القرآن .

المحرر

كُتب وكتاب

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● يمرح بين السطور ...
متوهجا ، ذكيا ، وجارحا ! ●

انت وانا ، وكلنا نعيش العمر مرة !..

ذلك عهد الحياة الدنيا ، وقدر الناس .. لكن – ليس كل الناس !. الشاعر وحده الفنان الكاتب المبدع ، يعيش حياته عمرا ، ويعيش في ادبه عمرا اخر اوفى وابقى ! ..

واديب مصر المتفرد الراحل الاستاذ الدكاترة زكي مبارك يعيش الان بعد العمرين عمرا جديدا في ابنته ، المديعة الشاعرة التي نذرت قدراتها تتجدد ما نشر قبل من كتبه ، ومالم ينشر بعد من تراث ادبه !

ولا اعرف ترتيب هذا الكتاب الجديد من مؤلفات زكي مبارك ، والذي وقفت على نشره وقدمت له كريمة زكي مبارك .. فلقد كان هو عزيز العطاء ، وجاءت هي غالية الوفاء !.

و « الحديث ذو شجون » ، هذا الكتاب الجديد «من منشورات الهيئة المصرية للكتاب – خمسمائة صفحة تطع كبير » هو اجمل المختار من ادب الدكاترة زكي مبارك ، ومعاركه الموصولة مع شوامخ العصر ، ايام مصر في فجر الادب وضحاه .. ايام «الرسالة » و « الثقافة » و « الهلال» – وايام هو عملاق مظلوم بين العمالقة ! ..

في ظل هذا العنوان « الحديث ذو شجون » – كان زكي مبارك يكتب في شتى فنون اللغة والشعر والنقد والتاريخ والغزل .. ويتفرد في كل مايكتب بشباب الاسلوب ، وفروسية المعرفة ، ورصيد خطير من الثقة بالنفس ، يذكي من حوله نوازع الغيرة ولدد الخصام ! ..

ان الكتب العظيمة لا يليق بها ، والصفحات قصار – ان تلخص او تعرض وتقدم خطفا واجتزاء .. ولكن .. تبقى لنا الشهادة ، صدقا ! ان « الحديث ذو شجون » عالم رحيب من افانين الادب .. من مساجلات الفكر والشعر والحب وانس الروح .. ومن صحائف يمرح بين سطورها قلم متوهج ذكي جارح ، ينهل من روح ملهم وثقافة ضاربة العمق شرقا وغربا ! ..

● .. وتمردت الاحلام عند حافة الغيب الاغيب ●

حتى الان لم يبدأ العد التنازلي لاعتزال القمر ! ..

لايبدو انه سوف يبدأ ! ..

واذن فسوف يطول انتظار الذين زعموا ان وصول الانسان الى القمر ، قد اطاح بسحر القمر .. وانه لابد يعتزل عرشه على قلوب اهل الفن والشعر والغزل ! ..

لقد مرت سنوات متواليات منذ الوصول الى القمر .. لا سحره ضاع .. ولا العرش ذهب ! .

لم يحدث للقمر ما توقعوا .. وغير الذى توقعوا ـ وقع ! .. فلقد بدأ القمر ينتقم !..

الرواد الذين ركبوا الفضاء حتى هبطوا ومشوا على سطح القمر .. تطاردهم الان لعنة القمر ! ..

والكتاب الجديد الذى تستقبله الاسواق والمكتبات فى الولايات المتحدة هذه الايام ، هو : « العودة الى الارض » .. صنفه رائد الفضاء واول من هبط على القمر ، ادوين الدرين .. وكان قد جهز اصوله وقدمها للنشر قبل ان يدركه انتقام القمر ! ..

لعل اهم ماقى «العودة الى الارض» الاهداء .. والعرض الجذاب لما أذيع ونشر من الرحلة الفريدة الى القمر ، والعودة الى الارض .. فى الاهداء يقول الدرين : « .. الى من رحلوا على متن سفن الفضاء جيمنى وابوللو .. والى من رحلوا ابعد .. »

والفصول التالية فى الكتاب من الاحداث والاحاديث والاضواء ، والمؤتمرات ، وعقود النشر الثمينة فى الصحف والمحاضرات ، والدكتوراه الفخرية .. و « .. كان الناس فى المهرجانات يلمسوننا بالايدى ، كأنهم لا يصدقون اننا بشر .. واننا نحن السوبرمان الجديد ، ومعجزة عصر اللا معجزات ! .. »

المفاجأة الفريدة فى مهرجانات الاعلام والاعلان مع رواد القمر ، ان جمهور الشباب فى أحد المؤتمرات لقيهم بالهتاف المضاد وقذفهم بالطماطم ! .. ومع الدهشة لم يتساءلوا عن السبب ربما لانهم يعرفون أن فى العالم مشردون يحلمون بالمأوى ، وجياع يتطلعون الى لقمة خبز .. بينما تنفق ملايين الملايين على رحلات باذخة لغزو القمر ! ..

ولكن ذلك لم يكن هو انتقام القمر!

الانتقام هو ما احس به الدرين بعد كتابة اخر السطور فى كتابه ..

ان شيئا غريبا ، غامضا ، يحدث فى داخله .. وهو شىء لا يعرفه ولكن يحس به جيدا !.. ان جزءا منه فى داخله يتعرض للتدمير ! ..

وكلما مر يوم اقترب الدرين خطوة الى .. الجنون !

بالامس القريب اكتملت الخطوات !
واليوم ، رواد القمر من بعده يضعون أيديهم على قلوبهم ! ..
.. قد تكون هى ، او لا تكون ، لعنة القمر !
ولا عزاء للغرباء !
كلنا .. كلنا فى الواقع والحلم نعيش عصر الجنون ! ..
ومن لم يدركه جنون قمر السماء .. فان له على الارض لابد ، حلما عصيا وقمرا .. يجننه !!

● على نمر الحوار فى كهف الحكيم يلتقيان ! ●

.. فى محاورات كل **موسم حول ازمة الكتاب تنافسه الاذاعات والصحف ومغريات العصر ـ افتش عن صوت يعلو بهذه الحقيقة العالية : .. ان اهم اسلحة الكتاب فى المواجهة والمنافسات ، هو الكتاب ذاته ! ..**
وحتى عندما يأخذ الكتاب ثوب الطبعة الشعبية ، او يخرج متواضع المظهر والقطع والصفحات ، فانه بالمضمون والمحتوى فكرا .. مبدعا وممتعا ـ ينتصر !..

بهذه الحقيقة ذاتها ، انتصر قبل الان الف الف كتاب ، وينتصر الان كتاب فتحى العشرى ـ الجديد : كهف الحكيم ..
ومنذ البداية ، فان الكتابة عن الحكيم ـ « توفيق » ، تستمد من كتابات الحكيم جماهيرية وجاذبية لا تقاوم ! ..

هنالك ، لذلك واحد واربعون سببا ! ..

لعل السبب الحادي عشر هوالذى اغرى فتحي العشرى بالكتابة عن اول واجمل روائع الحكيم : اهل الكهف ..

ومثلما احتفلت منذ سنوات الجماعة الاوروبية لادب ت . س . اليوت ، بالعيد الخمسيني لرائعته قصيدة العصر ..

وكما صنف جول لوميتر كتـابا بديعا عن بيرنيس ـ مسرحية جان راسين ..

فلقد شاء فتحي العشرى ان يحيي « اهل الكهف » بهذه الدراسة الجديدة المتفردة في يوبيلها

وفي مهرجان عيد « اهل الكهف » وتحت الاضواء ، لم يتحرج فتحي العشري أن يتوقف عند العنوان ، برفع أصبعه معترضا على العنوان !

« اهل الكهف » عنوان لا يشير في الحقيقة الى المدلول الذى اراده الحكيم ..

و .. « عندي ان « عودة اهل الكهف » عنوان ملائم ومناسب اكثر ! »

ومنذ اللحظة الاولى اصاب العشرى هدفا ..

وكانما هو يريد أن يلفت الحضور الى انه لم يدخل المهرجان من باب جماعة المتلفعين بشهرة الحكيم ! ..

وكانت الحق لفتة صدق ..

فعلى امتداد الرحلة مع فن الحكيم في اهل كهفه ، كان فتحي العشرى موفور الجدارة ، محيطا بتراث الفكر المسرحي وتياراته .. وكان على تعادلية الفن العظيم : ـ موجزاً ومبينا ! ..

وليس كمثل « اهل الكهف » مسرحية لم تنل من شبابها الايام والليالي ! ..

لاتزال رائعة الحكيم بعد سنيها الخمسين ، نضرة تدهش العقول ، ونشوة للشاربين من خمر الحوار ! .

هي قطاف الحكيم الاول .. وهى اجمل الاجمل ! ..

و « الرقعة الحمراء » في نسيجها العبقري مواقف اللقاء بين عاشق عمره ثلاثمائة عام ، وصبية في ربيعها العشرين ! .. بين مشيلينيا ، اول ثلاثة اهل الكهف ـ وبريسكا الاميرة الجميلة ابنة الملك .. والحوار البديع بينهما يتدفق حلما يذيب فوارق السنين ، وفكرا ، واطياف معاول تكسر حواجز الزمن ! ..

ولقد طوف العشرى في كتابه الدقيق « من منشورات سلسلة كتابك ، من دار المعارف » بكل عوالم « اهل الكهف » وما قبلها وما حولها من تراث ادب المسرح في العالم ، ومن مذاهب الفكر والنقد المسرحي المقارن .. وكان على امتداد الرحلة الشائقة مع « اهل الكهف » فارسا ، ناقدا صعب المراس ، عظيم الحب في وقت معا ! ..

من قبل ، كنت اظن ان المحب لا يصلح ناقدا ! ..

والآن عرفت عرفان اليقين ان بعض الظن .... ؟

ومن قبل ايضا لم أر .. قرأيت في « كهف الحكيم » الحب والنقد كيف يلتقيان في العيد الذهبي ، على شرف مسرحية كالنيل العظيم من يشرب منه لابد يعود اليه ! ..

●●

كتب وكتاب : كتاب ممتاز فى تاريخنا القومى
سرقة واحة مصرية بقلم الاستاذ محسن محمد

د. حسين مؤنس

هذا كتاب جميل ، اعجبنى فيه انه يتناول موضوعا رئيسيا من موضوعات تاريخنا الحديث ، وهو موضوع حدود مصر ، ويتناوله باسلوب ادبى علمى سليم ، فاما الاسلوب فهو اسلوب محسن محمد الذى يتميز بالجمال والسلاسة والوضوح واما الاسلوب العلمى فسليم السلامة كلها ، فمحسن محمد هنا يعتمد على الوثائق : جمعها وبوبها واستخرج منها هذا التاريخ الشائق لمأساة ضياع واحة جغبوب من مصر،وهى خسارة قومية فادحة وعدوان

على ارض وطننا ؛ ونحن ـ المصريين اقصد ـ ينبغى أن نحتفظ بكل شبر من أرض مصر ، لان الحظ السيىء أراد لنا ان نخرج من ارض افريقية بنصيب لا يذكر الى جانب ما خرجت به زائير وتنزانيا وكينيا وزمبابوى وبلاد أخرى ليس لها ما يعدل جزءا من الماضى العريق فى بناء القارة الافريقية .

ومحسن محمد وهو صحفى وكاتب من الطراز الاول عرف بجهده واخلاصه كيف يوسع لنفسه مكانا بين المؤرخين ، فان كتاباته التاريخية كثيرة وممتازة من حيث منهجها وطريقة بنائها . فهنا مثلا فى قصة مأساة جغبوب نجده يبدأ القصة بمدخل ممتع جدا عن الحرب العالمية الاولى ومؤتمرات الصلح وما وقع فيها من مآس ومظالم

وتتبع بعد ذلك دور العرب فى الحرب العالمية الاولى،ووصف كيف استخدمت بريطانيا الشريف حسين واولاده فى احداث الشدخ الخطير فى جبهة الاسلام الذى جعلت منه الرجل الجلف واولاده يعلن الحرب على الاتراك العثمانيين وهم فى غمار المعركة مع الانجليز . وفى اليوم

الذى انقلب العرب على الاتراك اثناء الحرب بدا ما يعرف بمأساة الشرق الاوسط ، لان الجدار اذا انصدع مرة لم يلبث بقيته ان تهاوت . والصدع الذى أحدثه الملك عبد الله واخوه فيصل كان صدعا عميقا وخطر ، لان بلاد الشام ضاعت فى ذلك الحين : ظهر ما يسمى

ثم يتتبع محسن محمد مأساة جغبوب مرحله مرحله حتى ضياعها، وكلامه هنا عميق وشامل يتميز بعاطفة مصرية متدفقة تعطى السياق كله درامية تنقص الكثير ممن تكتب فى التاريخ ، وقد كان يقال فى الماضى أن المؤرخ ينبغى أن يتجرد من العاطفة ، ثم تبين ان ذلك مستحيل ، فمن المستحيل ان يكتب محسن محمد متجردا من عاطفته المصرية ، ومن العسير أن تقرأ كتابا فى التاريخ جديرا بهذا الاسم الا اذا كان صادرا عن حب وعاطفة وتبلغ الدراما ذروتها فى توقيع الاتفاق الظالم بتسليم ايطاليا واحة الجغبوب على يد أحمد زيور رئيس وزراء مصر الذى كان فى حقيقة الامر خادما للملك فؤاد والانجليز ، وهو بدون شك أسوأ رئيس وزراء عرفته مصر منذ عرفت الوزارات الحديثة .

واجمل ما فى الكتاب ، من ناحية التكنولوجية التاريخية هو اعتماد محسن محمد على الوثائق ، وايراد الكثير منها مترجمة الى العربية أحيانا ومؤيدة بالنص الانجليزى فى احيان أخرى ، وهو هنا يعرف كيف يستخدم وثائقه الاستخدام الصحيح ، ويعرف كيف يستخرج من كل وثيقة أهم معانيها التاريخية . والرجل هنا استاذ فى التاريخ جدير بكل تقدير .

هذا كتاب ممتاز كتبه مؤرخ وصحفى واديب ممتاز، وانا شخصيا تسلمته فى الصباح ولم انم حتى اتممت قراءته ، وافدت منه الكثير وارجو كل مصرى ان يقرا هذا الكتاب القيم

في هلالك

هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

صفـــر ١٤٠١
يـنـايـر ١٩٨١

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة التاسعة والثمانون ـ اول يناير سنة ١٩٨١ ـ ٢٥ من صفر سنة ١٤٠١ .

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
سكرتير التحرير الفني : موسى جميل

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، فيختار الفني ما يستطيع نشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

صورة الغلاف

على غلاف هذا العدد صبية اخترناها رمزا للصفاء ، والبشر والمستقبل الزاهر الذي نرجوه لبلادنا ولكل مواطن فيها لأننا منذ العدد الماضي نخاطب الشباب ونقدم له خدمة رئيسية ، فأحببت أيضا أن يكون غلافنا شابا وجميلا داعيا للاستبشار .

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم - قيمة الاشتراك السنوي ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا سالفا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات أو ٤ ج . ا تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
التليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .

التراث ومسئولياته مشكلة!

بقلم : رئيس التحرير

هو ميراثنا العظيم الذى خلفه لنا اجدادنا .. انه نحن انفسنا لانه يضم ثمرات جهود اجيالنا التى مضت وبعد عمر طويل او قصير ستموت نحن ايضا ويصير تراثنا وديعة بين ايدى اجيال هذه الامة العربية المباركة والحديث اليوم عن التراث كثير ..

ما اكثر ما تتوارد على الخواطر اسئلة مثل « ما هو التراث « وكيف نحيى التراث» و «هل هذا التراث يساوى عناء احيائه و « ماحاجتنا الى تلك الكتب الصفراء وما فيها » واننا نريد اليوم ان نتقدم الى الامام فماحاجتنا الى النظر الى الوراء

وفى الحكومة اكثر من ادارة مخصصة للتراث واحياء التراث وهناك ناس انشودتهم الوحيدة التى تتردد يوما بعد يوما : انقذوا التراث

ونظرا لهذا الاهتمام البالغ بامر التراث فلابد لنا من وقفة عند موضوعه لنعرف امره وقيمته وما ينبغى علينا حياله

عندما يتحدث الناس عن التراث لا يخطر ببالهم غير المخطوطات، وإحياء التراث عندهم هو تحقيق المخطوطات ونشرها، ولكن التراث معناه أوسع من ذلك بكثير، فهو تراثنا الحضاري كله، هو ثمرة تجارب الأجيال الماضية كلها، هو نحن جميعا في النهاية.

فى المفهوم العام يقتصر التراث على المخطوطات القديمة احصاؤها ودراستها وتحقيقها ونشرها ...

ولكن موضوع التراث لا يقتصر على ذلك الميدان العلمى المحدود انه يعنى كل ما خلفته لنا الاجيال الماضية من اعمال ومنشآت وثمرات تجارب فى العمل والحياة .

انه ماضينا كله انه حضارتنا السالفة كلها وثمرات جهود السابقين بنا التى وصلت الينا .

اى أن التراث فى الحقيقة هو حضارتنا كلها هو أساس صورتنا الانسانية ونظامنا الاجتماعى ومستوانا الحضارى واحساسنا بأنفسنا وشكلنا فى اعين الناس ..

ونحن اليوم وما نعمل جزء من ذلك التراث اى سنكون تراثا غدا لمن يأتى بعدنا .

واذن فالقول بان تراثنا هو المخطوطات التى خلفها لنا اهل الفكر والعلم من الاجيال الماضية لا يعنى الا جانبا واحدا من جوانب التراث وهذا التحديد يحصر مسألة التراث فى اطار ضيق هو اطار المخطوطات وهنا تصبح المشكلة صغيرة نسبيا ويكون ايضا هو الفهرسة والتحقيق والنشر ..

وسندرس مسألة التراث هنا على المستويين : المستوى الواسع العام شيء على اعتبار أن التراث هو كل حصيلة الماضى من تجارب الامم

والمستوى المحدود وهو جانب المخطوطات والوثائق المكتوبة من تراثنا العربى والمصرى .

اذا أعتبرنا تراثنا هو ماضى مصر كلها اتسع امامنا معنى التراث كلها مضافا اليه ماضى الامة العربية ومسئوليتنا حياله الى حدود تجعل معنى التراث شاملا لماضينا كله ، وتصبح المشكلة هكذا : ما هو موقفنا من ماضينا الحضارى كله وكيف نستطيع الافادة منه كأساس لكل جهودنا لبناء الحاضر والمستقبل ؟

واعبر عن المشكلة تعبيرا اخير

فاقول : ان التراث هو موروثنا الحضارى كله بما فى ذلك تقاليدنا الاجتماعية وعاداتنا الشعبية والقواعد الاخلاقية التى تحكم تصرفاتنا ونضع ميزان القيم الذى يقدر على اساسه احكامنا على الاشياء والتصرفات والناس اى ان دراستنا لموضوع التراث على هذا المعنى ستكون دراسة اساسية بالنسبة لحاضرنا ومستقبلنا فان مشاكل الحاضر كثيرة ومشاكل المستقبل اكثر وهذه وتلك مرتبطة اشد الارتباط بمشاكل الماضى بل ربما كانت بتعبير ادق نتيجة او استمرارا لمشاكل الماضى

ومادام المطلوب منا اليوم هو ان نحل مشاكل الحاضر والمستقبل فلابد لنا والحالة هذه ان نقرر ان كنا نعالج مشاكلنا على اساس التراث او نهمل التراث ونحاول ان نحل مشاكلنا على اساس مطالب الحاضر .

خذ مثلا موضوع المراة فان تقاليدنا الاجتماعية الموروثة بشانها تقول ان غاية ما يطلب منا حيالها هو الوصاية عليها وحمايتها فى حدود الادب والحشمة ثم تزويجها لمن نرى بعد اخذ رايها مادامت قد تزوجت فقد انتهت مشكلتها بالنسبة لنا لانها حتى لو طلقت او مات زوجها فان اسرتها مسئولة عن اعاشتها واعاشة اولادها اذا كان لها اولاد ولا حق لها عندنا فيما وراء ذلك وقد كانت اعاشة المطلقة فى الماضى ممكنة لان كل المطلوب كان ايواءها فى دار احد اخوانها واطعامها وامتهانها فى خدمة البيت

اما اليوم فهل يعتبر معقولا •

وحتى مسالة موافقتها على الزواج قبل ان يعقد العقد نجد ان راى البنت محكوم بمفهومات لم تعد تصلح فى ايامنا مثل قولنا للفتاة التى لا يعجبها المتقدم للزواج منها الزواج شىء والحب شىء اخر والحب ياتى بعد الزواج فوافقى الان وستريبن اننا على حق ، ستحبين هذا الرجل مع الزمن — وفى احيان كثيرة جدا تعطى البنت موافقتها قسرا او بالتهديد استنادا الى السلطان الذى لايزال الرجل يمارسه على المراة فى نظامنا الاجتماعى الموروث .

هنا وفى هذه الحالة المحددة الواضحة هل نجرى على التقاليد — اى التراث — أم نتصرف على اساس الحريات والحقوق التى كسبتها المراة .

اننا فى العادة نتخلص من المشكلة بالرغم باننا نتمشى مع الزمن بالكلام فقط فى حين اننا نفرض التقاليد الموروثة فى الواقع .. فمعظم الناس عندنا يزعمون انهم يعطون المراة حريتها وحقوقها فاذا حيلت الى التطبيق فلا حقوق ولا حريات وفى ابسط خلاف تهوى كف الرجل على وجه المراة ..

وفى بعض الاحيان تحل مثل هذه المشكلة حلا غير مقبول فلا نمس

تفكيرنا في التراث ينبغي أن يكون شاملا لكل ما خلفته لنا الأجيال الماضية في كل ميدان . ونحن أنفسنا وكل ما نعمل سيصبح تراثا بعد قليل ، سيرثنا الجيل الذي يأتي بعدنا كما ورثنا نحن من قبلنا ، ولهذا فإن دراسة التراث هي في الحقيقة دراسة لأثمن ما فينا : ماله قيمة وقدر بعدنا .

حق الرجل فى الزواج والطلاق ونتولى نحن تبعات خطأ هـــذا الرجل فى استعمال حق الطلاق فندع الرجـــل يطلق كما يشاء ولا تلزمه حيال مطلقته واولادها الا بما تلزمها به التقاليـــد ونتحمل نحن الباقى فندخل المطلقـة واولادها تحت مظلة التامينات الاجتماعية اى اننا نعفى الرجل من تبعـات خطئه ونتحملها نحن وهذا ظلم للجميع وتحميل للدولة مالا تطيق . وفى هذه الحـالة نجد موضوع التراث ياخذ ابعادا جديدة ويوقفنا امام مشاكل جديدة مثـــل : هل التراث عائق على التقدم ؟ وهـــل نتخلى عن جوانب من التراث لـــكى نستطيع تحقيق امالنا فى النهوض .

هنا كذلك نجد موقفنا مضـــطربا لاننا لم ننته الى راى فى موضـــوع التراث ومن اسف اننا نلجا الى حلول تنطوى على الحيل والرغبة فى الهروب من المشاكل فنقول بالفهم اننا مع التقـدم مع حرية المراة مثلا اما فى الحقيقـــة فنحن نسير مع التقاليد اى مع التراث فنوهم انفسنا باننا حللنا المشـــكلة ونحن فى الواقع لم نحلها قط وهـــذا

.. يتجلى فى حالات مستقبل الاولاد فنحن بصفة عامة نفرض على ابنائنـا المستقبل الذى نريد . وكم من شاب مسكين حشرناه رغم انفه فى كليـــة جامعية رغم انفه لنرضى طموحـاتنـا الشخصية .

ومن الواضح أن كل تفكيرنا فى المراة وتصرفنا معها لا يزال متاخرا جـــدا عما نظن اننا وصلنا اليـــه ومنذ البداية ينبغى ان نقول ان كل تراثنـا اى تقاليدنا المتعلق بالمراة والنظـــر اليها يختلف اختلافا بعيدا عما ينص عليه الاسلام لاننا مع الاسف الشديد نعتقد أن التقاليد اى التراث تتفـــق مع الاسلام .

واقرأ لكى نفهم ذلك قول الله تعالى فى اول سورة الطلاق :

يا ايها النبى اذا طلقتم النســـاء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم .

لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخـرجن الا أن ياتين بفاحشة مبينة .

تلك حدود الله : ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه . لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله .

ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب

ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا .

وفى سورة البقرة تقرا « اية ٢٣١ - ٢٣٢ » : واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اوسرحوهن معروف .

ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا

ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
ولا تتخذوا ايات الله هزوا

واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم .. فاذا جمعنا هذه الايات بعضها الى بعض خرجنا بالحقائق الاتية :

- ان كل ما يتعلق بالزواج والطلاق يقوم اولا واخرا على التقى ومراقبة الله والرحمة وكرم الاخلاق والانسانية فالزواج والطلاق وشئون الاسرة لاتدخل فى نطاق المصالح والمنافع ولا مكان فيها

الشر والانانية والاذى وفى كل مايتعلق بذلك الرباط الرفيع لا يعامل الانسان الا الله سبحانه وتعالى بما نصح به من الرحمة والمودة والرفق وما وعد به المتقين من خير - حتى فى حالة الطلاق لا تخرج المراة من بيتها الا اذا اتت بفاحشة مبينة اى ظاهرة للناس جميعا وبعد ان تبلغ المراة المطلقة اجلها فاما ان يمسكها الرجل بمعروف او يفارقها بمعروف والامساك يراد به هنا ما يقبله الضمير ويقره ويقبله وما يتفق عليه الطرفان او ما يتعارفان اى يتفقان عليه .

فلا تخرج المراة من بيت مطلقها الا اذا وافقت هى على ذلك .

فاين من هذا كله ما نسميه نحن بالتقاليد المتبعة اى التراث فيما يتصل .

اين هذا كله مما يفعله عامة الناس عندنا من اخراج المراة من بيتها بالقوة بعد الطلاق مع اننا رايتنا ان نص القران لا يسمح باخراج المراة من بيتها واين هذا من مفاجاة الرجل زوجته بوثيقة الطلاق دون علم سابق منها اين هذا من اصرار المحاكم على ان تستدعى المطلقة الى قسم البوليس لتتسلم ورقة الطلاق .

اليس هذا كله مخالفا لروح الاسلام ونظرته الى الزواج ورفقة بالمراة المطلقة اى التى تحطمت حياتها الزوجية فهى جديرة بالرفق والمواساة لا بالاستدعاء

إن تراثنا عالمي ، وها هي الدنيا كلها تدرس مصر القديمة وحضارتها باهتمام يفوق اهتمامنا نحن ، لأن أهل العالم المتقدم يعتبرون حضارة مصر القديمة وحضارة مصر الاسلامية تراثا عاما للانسانية كلها ، وبعضهم يرى أن تراثهم أولا وتراثنا ثانيا ، وهذه أعظم شهادة بعتد بها بين الأمم .

الى قسم البوليس واذلالها علنا بتسليمها وثيقة الزواج او وثيقة نهاية سعادتها الزوجية .

وهذا الذى ذكرته محسوب علينا فى التراث فهل نحتفظ به على مجافاته لطبيعة الاسلام وروحه ؟ ان الذين وضعوا هذه التشريعات على اساس ما قرأوا وفهموا من القران لا يزيدون على أن يكونوا مفسرين والتفسير يكون فى الغالب فى حدود العصر الذى وضع فيه التفسير وروح العصر فى القرنين الهجريين الاول والثانى كانت روح استبداد الرجال بكل شىء والقول بان الرجل احكم واعقل والذكى من المرأة فى كل حال .

فهل هذا التفسير تراث صالح نحتفظ به أم ينبغى علينا ان نتخلى عن هذا الجزء من التراث ونعود الى التفسير بروح عصرنا ومطالبه؟

وهذا مثال واحد من جوانب كثيرة من التراث ينبغى ان نتخلى منه لانها لا تنفعنا ولا تناسب عصرنا ثم انها تخالف طبيعة الاسلام ..

وكل مثل ذلك فى كثير جداً مما نسميه تراثا اجتماعيا او اخلاقيا فهو مخالف لطبيعة الاسلام والعصر معا ، ومن ثم فهو ضرر علينا ولابد لنا من التخلى عنه واستبداله بعناصر اخرى من التنظيم الاجتماعى توافق عصرنا وتنفعنا وتعيننا على التقدم وما دامت عادلة السالبة فهى من تلقاء نفسها تتفق مع روح الاسلام .

مثال اخر من التراث الضار الذى ينبغى ان نتخلى عنه ..

هذا المثال هو ذلك الحشد الهائل من الامثال والحكم التى لا زالت تحكم تفكيرنا وتصرفنا :

- اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب

- ان كان عند الكلب حاجة قل له ياسيدى

- اصبر على جار السوء ياربنا ياخده يا يرحل

- ان جالك الطوفان حط ابنك تحت رجليك

ـ انا واخويا على ابن عمى وانا وابن عمى على الغريب .

ومن ذلك ايضا القائل مثل «معلهش ـ وكله زى بعضه ـ وماتدقش ـ وخليها على الله » .. وما الى ذلك فهذه كلها عبارات ومفهومات سيئة تضر بتفكيرنا ابلغ الضرر لاننا اذا كنا نريد بناء مجتمع جديد فلابد ان يقوم البناء على عناصر سليمة تعين على الحياة اما التزام قواعد اخلاقية وضعتها اجيال تعيسة لتسهل لنفسها قبول الذل والخضوع والخنوع فامر ضار بنا كل الضرر

التراث اذن ليس خيراً كله ولاشرا كله فيه الكثير من الصالح ولكن فيه من الطالح شيء كثير ربما اكثر .. والتراث الاجتماعي يتفق كله مع مبادىء الدين انما هو ثمرة تفسيرات خاطئة .

والتراث اخر الامر ليس مقدسا لو اننا نتصرف حسب اهوائنا نقلبه عندما نريد ونرفضه عندما نريد واعادة النظر فيه ضرورة .

ومثل هذا يقال عن التراث بمعناه الجادى الضيق اىكل ماخلفه الماضون من كتابات فان فيما خلفه لنا الماضون من كتب مخطوطة لا قيمة لها فهى ليست جديرة بالنشر وبعضها ضار فلابد من الحذر منه .

وليس معنى ذلك ان نفرط فيبعض المخطوطات فان واجبنا هو الحفاظ عليها كلها مع تذكر ما قلناه فهناك مخطوطات كلها تخاريف وسجع وكلام لا يفيد واذا كنا نحسب ان كل مخطوط جدير بالنشر فانى اذكر القارىء بان المخطوطات جميعا هى كتب لم تطبع او تنشر وليس فرضا علينا ان نحقق ونطبع وننشره كل ماخطر ببال السالفين واودعوه فى مخطوطات .

انما نحن ننشر من هذا التراث ما ينفعنا فحسب وما ينفعنا هو الذى يتفق مع طبعنا وينفعنا فى تربية نفوسنا ونتفعل به اذا قرأناه واصبح جزءا من ثقافتنا العامة التى تعيننا على السير فى الحياة وعلى التقدم بوجه خاص .

فقد رأيتهم مثلا قد نشروا كتابا يسمى « المنازل والديار لاسامة ابن منقذ والكتاب فى نحو ۷۰۰ صفحة كلها جمع لما قال الناس فى الديار والاطلال والبكاء عليها وقد انفقت فى قراءته اسبوعا اسفت عليه بعد ذلك اشد الاسف وليس معنى ذلك انى استقل جهد المحقق او اقول بعدم جدواه ولكنى اقول انه كان يستطيع انفاق ذلك الجهد فى كتاب نستطيع الافادةمنهاليوم ،فهذا كتاب كنانستطيع تركه مستريحا على الرف فى خزائن

وتراثنا من المخطوط ضخم بلا حدود ، ففي مكتبات استانبول وحدها نحو مليون مخطوط عربي لم تدرس أو تحقق ، ولكن ليس كل هذا التراث جديرا بالنشر . لا بد من المحافظة عليها ، هذا حق ، ولكن عند التحقيق والنشر ينبغي أن نبدأ بما ينفعنا بما يمكن أن ننفعل به ونستلهم منه قوة لحاضرنا وغدنا .

المخطوطات وليذهب لقراءته من يريد اما ان ننفق الالوف لنطبع منه الوف النسخ فمضيعة للوقت والمال .

وفي خزائن المخطوطات الوف بعد الوف من دور التراث الفكرى العربى تنتظر من ينشرها ولكننا نظرا لقلة المال الذى يستطيع تخصيصه للنشر المخطوطات ينبغى ان نضع اولويات والاولوية تكون دائما لما يمكن ان يعرفنا حقا بناحية من نواحى ماضينا وكل ماضينا مهم لنا لانه جزء من كياننا والمخطوطات التى تكشف عن نواح مشرقة او غير مشرقة من ماضينا كثيرة ولكننا نبدأ منها بما نستطيع الافادة منه فى حاضرنا وغدنا فانا اتمنى مثلا ان يحقق تاريخ الجبرتى وينشر محققا سليم النص .

لان تاريخ الجبرتى يرينا صورتنا التى كنا عليها فى نهاية عصور الركود وبداية عصور الحركة ودراسة الجبرتى تزيدنا معرفة بالطريق السليم الذى نستطيع به مواصلة السير فى طريق النهوض .

ولكن هل استطيع ان اختم هذا المقال باننا اليوم على كثرة حديثنا عن التراث نرى تضاؤلا فى اعداد المحققين القادرين على القيام بالتحقيق الصحيح لا ندرى لماذا تتضاءل تلك العناصر السليمة الطيبة التى تستطيع فعلا ان تحقق ما نريد تحقيقه من كتب رحمة الله على ذلك الجيل المبارك الذى كان يعمل فى قسم النشر بدار الكتب المصرية من ثلاثين سنة كانوا علماء اجلاء يتصلون بالاخلاص والصدق ونكران الذات ورحمة الله على الشيخ عبد الرسول واصحابه الذين كانوا يعملون فى صمت فى غرفتهم المتواضعة فى دار الكتب بباب الخلق نعم الف رحمة عليك ياشيخ عبدالرسول لم تقف لتبك التراث وتتاجر فيه بل اقدمت واحييت ما استطعت ان تحييه من التراث فى صمت .

● د . حسين مؤنس ●

الرسول والشباب والتحولات الفكرية

● د. احمد شلبى ●

● فى مقال سابق تحدثنا عن الصراع بين جيلين، فى صدر الاسلام، جيل الشيوخ الذين كانت نفوسهم قد تمسكت بالوثنية وتقاليد الجاهلية، وجيل الشباب الذين احبوا الاسلام واقبلوا عليه .. نواصل فى هذا المقال دراساتنا عن الصراع بين هذين الجيلين :

وفى المقارنة بين جيلين ننتقل هذه المرة الى صراع بين شباب دخل الاسلام وبين امه التى تمسكت بعقيدة الوثنية .. ذلك الشباب هو مصعب بين عمير . فقد كان مصعب من بيت جاه وغنى، وكان يوصف فى مكة بانه من اعطر اهل مكة، وكان زينة المجالس والندوات .. ولكن طبيعة مصعب لم تكن خاضعة لهذا الترف، وانما كانت خاضعة للفكر، ولم يكن النعيم يسيطر عليه، وانما كان عقله هو الذى يقوده، فلما سمع عن الدعوة الجديدة تدارسها، وتفهمها، فهزت وجدانه واثرت فيه، فلم يقاومها، ولا اهتم بما قد يناله اذا اعتنقها، فدق باب الارقم بن ابى الارقم واعلن اسلامه ..

واذا كان مصعب قد وجد راحة الفكر فى الدين الجديد، فلقد واجه المتاعب المريرة من امه، وكانت امه « خناس بنت مالك » . شخصية قوية لها فى نفوس القوم هيبة وجلال ولذلك اضطر مصعب أن يخفى اسلامه، منها، ومن عشيرته، ولكن اسلام شخص مثل مصعب فى جاهه ومكانته لم يكن من الممكن ان يظل سرا، فسرعان ما انكشف الأمر، وواجه مصعب صراعا قاسيا من عشيرته وعلى رأس العشيرة امه خناس، وقد حاول هؤلاء بكل الوسائل ان يردوه عن اتجاهه، ولكنهم فشلوا بطبيعة الحال فانتقلوا الى التحدى . فحبسته امه فى حجرة من حجرات البيت، واحكمت حرمانه من كل شيء ..

ولكنه استطاع بحيلة من الحيل ان يفر من هذا السجن، وأن يهاجر الى الحبشة، مؤثرا البعد عن الوطن والمال ليعيش فى راحة النفس ..

وعندما عاد من الحبشة الى مكة ، مرقع الثياب يعاني الفاقة والحاجة بعد أن كان مترفا يرفل في لباب النعيم ، ولكن الابطال لا يعنيهم المظهر ، ولا تجذبهم زينة الحياة عن الخلود والخير المقيم ..

وقد ذكرنا من قبل أن مصعبا كان مبعوث الرسول الى المدينة ولما عاد الى مكة من المدينة هددته امه بحبسه مرة أخرى ، ولكنه قال لها : لئن حدث هذا لاحرصن على قتل كل من يتعرض لى ، فيئست منه أمه وتركته ..

ولم يكن مصعب وحده هو الذى لاقى العناء من أمه بسبب دخوله الاسلام ، بل أن هناك شابا عظيما آخر واجه نفس المشكلة ، ذلك هو سعد بن أبى وقاص ، فقد دخل الاسلام وهو فى السابعة عشر من العمر ، وكان من السابقين الاولين ويروى عنه قوله(أتى على يوم وانا ثلث المسلمين ، اذ لم يكن هناك أكثر من رجال ثلاثة دخلوا الاسلام انذاك ..

وسعد بن أبى وقاص من اقارب والدة الرسول ، وكان الرسول يعده خاله ،ويفخر به قائلا : هذا خالى فليرنى امرؤ خاله . وكان سعد بن ابي وقاص فى مطلع الاسلام من الشباب صافى النفس طيب السريرة ، ليس لعبادة الاصنام جذور فى نفسه ولذلك اسرع بقبول دعوة أبى بكر ليدخل الاسلام قبل ان يدخل الرسول دار الارقم ، ولما عرفت أمه « حمنة » انه دخل الاسلام غضبت أشد الغضب واعلنت الصوم احتجاجا على سلوك ابنها واقسمت أن تتمسك بالصوم حتى تموت أو يرتد ابنها عن الاسلام ..

ولم يعبأ سعد بصوم امه ولا يقيمها فقد كانت الاية الكريمة ترسم له خطته قال تعالى : « وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما « ١ » فايست امه هى التى تتلم حياته فى هذا المضمار، وليس لمخلوق طاعة فى معصية الخالق ، ومن هنا طال صوم امه ، وتدهورت بالتالى صحتها ، فاخذه بعض اهله والام فى الرمق الاخير لعله يرى حالتها فيستجيب لرغبتها، وذهب سعد وراى امه ولكنه بكل الايمان والثبات قال لها والله يا ام لو كانت لك مائة روح فخرجت واحدة بعد الاخرى ما تركت دينى ، فكلى او لا تاكلى ..

وادركت الام الا جدوى من التهديد وان ابنها يعرف ما يجب عليه ، وان الدين ليس بالامر الذى يساوم الانسان فيه ، فعادت عن صومها ..

بقى ان نثبت عن الشباب سعد ابن ابى وقاص بعض ما ينبغى ان يعرف عنه ، فسعد أول من رمى بسهم فى سبيل الله . وكان يفخر بذلك ويقول : والله لانى اول رجل من العرب رمى بسهمه فى سبيل الله،

وكان الرسول معجبا به وباخلاصه حتى انه دعا له اطيب دعاء فقال : اللهم سدد رميته واجب دعوته ... فكان سعد على مر التاريخ مسدد الرمية ومجاب الدعوة وكان مبشرا بالجنة ، فقد كان الرسول مرة يجلس مع أصحابه . ثم فكر هنيهة وسرح ببصره وبصيرته ثم قال لاصحابه :يطلع عليكم الان رجل من اهل الجنة ... فاخذ أصحاب الرسول يتطلعون هنا وهناك ليعرفوا من هذا الذى ترتبط به هذه البشارة ، فطلع عليهم سعد ابن ابى وقاص ..

وترتبط بسعد تلك القصة الشهيرة التى تفيد ان الغنى الحلال خير من الفقر والحاجة ، فيروى أن سعد كان مع الرسول فى حجة الوداع فمرض وذهب الرسول يعوده ، ولم يكن عند سعد من الابناء انذاك الا بنت واحدة، فقال سعد للرسول :

يارسول الله انى امرؤ ذو مال ولا يرثنى الا ابنة واحدة ، افاتصدق بثلثى مالى ؟

(١) سورة العنكبوت ـ الاية الثامنة .

فقال الرسول : لا .. فعاد سعد يسال : فبنصفه ؟ فقال الرسول : لا. فقال سعد ـ فبثلثيه ؟ قال الرسول نعم الثلث والثلث كثير .. انك ان تذرورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس ، وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا اجرت بها حتى اللقمة تضعها فى فم امراتك وسعد اخر من مات من المهاجرين ، وكانت وفاته ٥٤ هـ ، وكان يحتفظ بثوب قاتل به فى بدر فكفن فيه .. رحمه الله رحمة واسعة .

***

وفى مجال المقارنة بين جيل الشيوخ وجيل الشباب نصل الى اثنين من اكبر المشاهير فى مكة هما :: الوليد بن المغيرة ، وابنة خالد بن الوليد وقد سمع الوليد المغيرة ايات من القرآن الكريم من سورة السجدة، وهذه الايات تصور أروع تصوير حالة الشيوخ التى حاولنا ابرازها ، يقول الله تعالى : « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ، وفى اذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب »(٢) نعم كانت قلوبهم فى اكنة ، وكانت اذانهم لا تسمع ، وقد اقاموا حجابا كثيفا بينهم وبين دعوة الحق ، وعندما سمع الوليد بن المغيرة هذه الايات وما تلاها من ايات فى هذه السورة، أدرك بقدرته البلاغية مكانة هذا التنزيل ، وراح يصف لقومه ما سمعه ابلغ وصف ، قال : سمعت من محمد كلام الجن ، ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه .. **وهزت هذه الكلمات قريشا ، وخافت أن ينجذب الوليد الى الاسلام ، فارسلت الى الوليد ابن اخيه ابا جهل يحمسه** ضد محمد وضد الدين الذى جاء به فاستجاب الوليد لابن اخيه ، وراح يصف محمدا بانه ليس الا ساحرا يفرق بين المرء واهله .

وجاءت ايات القرآن الكريم بابلغ عبارة عرفتها البلاغة العربية تصف الوليد وتهدده وتزجره ، انها قوله تعالى :

« ذرنى ومن خلقت وحيدا ،وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد . كلا انه كان لا ياتينا عنيدا ، سأرهقه صعودا ، انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم ادبر واستكبر ، فقال ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر ، ساصليه سقر ،وما ادراك ما سقر »(٣)

وفى احضان هذا الاب نشأ خالد بن الوليد ، وكان حول خالد شيوخ هل مكة الذين يحيطون بالوليد، ومن بينهم ابو جهل ابن عم خالد واكبر أعداء الاسلام ، ولم يجد خالد فى هذه البيئة الفرصة ليتعرف على الاسلام ، ولهذا بقى عدة سنوات فى صفوف الكفار ،وحارب ضد المسلمين ، وحقق على المسلمين **انتصارا هائلا فى غزوة احد ، مما يدل على قدرة عسكرية هائلة .**

ومرت السنون وخالد بتيه بقوته ولا يجد السبل للتفكير ، لانه يعيش فى مكة مع اعداء الاسلام ، بعد ان هاجر الرعيل المسلم الى المدينة ، ومن هنا طالت فترة ابتعاد خالد عن دين الحق ، فدعوة الاسلام لم تلق نفسه، ثم جاء صلح الحديبية وهدات السيوف والحراب التى كانت شغل خالد الشاغل واتيح العقل الصافى ان يفكر ، وللنفس السمحة أن تقدر وهداه تفكيره الى

(٢) سورة فصلت ـ الاية الخامسة .
(٣) سورة المدثر ـ الايات ١١ ـ ٢٧

شيء يعبر عنه قوله : « والله لقد استقام المنسم ، وان الرجل لرسول» فحتى متى أبعد عنه ، ومتى ساذهب اليه فاسلم » .

وكان خالد يتمنى أن يجد رفيقا فى هذه الرحلة الخطيرة التى تصور تحـولا هائلا فى تاريخ مكة وتاريخ المدينة ، ووجد خالد رفيقه ، وكان عثمان بن طلحة ، ولعثمان نفس الوضع الذى تتدارسه ، انه كذلك كان فى عنفوان الشباب وكان فى نفسه صفاء، أما أبوه فهو طلحة بن ابى طلحة وهو من طبقة الوليد بن المغيرة ومن اخطر اعداء الاسلام ، انه ذلك الأب الذى وقف بمنجهية وكبرياء فى مطلع غزوة أحد يتحدى المسلمين ويطالب المبارزة»

وعندما بارزه على وقضى عليه خرج اخوه عثمان بحماسة الواله يطلب المبارزة أيضا فخرج له حمزة فصرعه، وتقدم الاخ الثالث اسعد والاخ الرابع مسافع ، فسقطا ايضا فى ميدان المبارزة ، وهذا يدل على عمق فى الباطل لهذا الجيل من هذه الاسرة ولكن عثمان بن طلحة كان يدور فى نفسه ما يدور فى نفس خالد ، فلما التقى به خالد وذكر له ما يخطر بباله اسرع بالاستجابة ، وسارا معا شوطا فالتقيا بعمرو بن العاص وهو شاب من سراة قريش وعقلائهم ودهاتهم ، قال له حديثا بعض رفاقه : عجبت لذكائك يا ابن العاص ، كيف تعرض ومن اقبلت عليهم الدنيا والاخرة ، وكان ينتظر الظروف التى تساعده ليعلن ما يضمر تجاه الاسلام ، فلما التقى بخالد وعثمان بن طلحة سالهما: الى اين المسير ؟ فاخبراه بغرضهما ، فقال : لقد دب فى نفسى ما دب فى نفوسكما ، فرحبا به رفيقا ثالثا فى هذه الرحلة ،

وذهب الثلاثة الى الرسول بالمدينة واعلنوا اسلامهم وبايعوا رسول الله، وفى خجل من الماضى قال خالد للرسول استغفر لى كل ما اوضعت فيه من صد عن سبيل الله ، فرد الرسول ردا فيه شفاء للثلاثة جميعا قال : ان الاسلام يجب ما قبله ، وكان الرسول يقول عن عمرو بن العاص : اسلم الناس وامن عمرو بن العاص ،وحمل هؤلاء الثلاثة اعباء طويلة فى خدمة الاسلام كانما ارادوا ان يكفروا عن مواقف وقفوها من قبل مناضلين ضد الاسلام والمسلمين .

***

وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان الشباب أيضا فى مطلع من عاونوه ومن هؤلاء معاذ بن جبل الذى دخل الاسلام وهو فى مطلع الشباب ومات فى خلافة عمر وسنه ثلاثة وثلاثون عاما .

ووجد فى المدينة كذلك جيل الشيوخ الذين عارضوا الرسول وجيل أبنائهم الشبان الذين دخلوا الاسلام واخلصوا له ودافعوا عنه ، ومن جيل الشيوخ الذين لم يخلصوا للاسلام عبدالله بن ابى زعيم المنافقين الذى امتد كيده للاسلام طيلة حياته، أما ابنه عبد الله فكان مسلما صدوق الاسلام حتى انه عندما احس بغضب الرسول على ابيه ، وخشى ان يامر الرسول من يقوم بقتله ، تقدم يعرض استعداده لقتل أبيه ان امره الرسول بذلك ،

وبعد ، لقد كان الشباب عدة الاسلام حملوا فكره ، وحملوا السيف للدفاع عنه ، نشروه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ودافعوا عنه عندما وقفت قوى الشر تهدده ،وكان رسول الاسلام يحتفى بالشباب ، ويقبل عليهم ، ويحسن معاشرتهم ، تقديرا لهذا الدور الكبير الذى قاموا به ، والذى عبر عنه الرسول أروع تعبير عندما قال : نصرت بالشباب.

قصاصات ملونة

● محمد شوقى امين ●

● تحفة المصاحف ●

الكتب العربية المخطوطة المتناثرة فى مكتبات الشرق والغرب تحوى غرائب من النفائس والتحف ، ولعل فى مقدمتها المصاحف ، فمنها نماذج رفيعة من التفنن فى الخط والتذهيب . ويبدو أن ما ابقاه الزمن من هذا التراث لايضاهى ماضاع من امثاله على توالى العصور .

يقص علينا تاريخ « نظام الملك » فى القرن الخامس . كما روى « السبكى » فى « الطبقات » ــ أن أحد الكتاب المجودين اهدى اليه ــ الى « نظام الملك » ــ مصحفا بخطه .. والعجيب ما يصف به « السبكى » ذلك المصحف الذى هو فى الحق طراز فريد ، او « نسيج وحده » كما يقال .

كان هذا المصحف مكتوبا بالخط الواضح ، وهو مع ذلك ملون بالحمرة والخضرة والزرقة ، محلى بالذهب .. ولم يكن التلوين او التذهيب لمجرد التجميل ، بل كان لاخراج المصحف متكامل الاغراض :

الحمرة مكتوب بها اختلاف القراءات والخضرة مكتوب بها تفسير غريب القران . والزرقة مكتوب بها اعراب الايات .

واما الذهب فقد كتبت به علامات على الايات التى تصلح للانتزاعات فى العهود والمكاتبات ، ومواطن الوعد والوعيد ، وما يصلح للتعازى والتهانى

فهو بهذا تحفة المصاحف فى التاريخ

● قلم حبر .. قديم ●

« قلم الحبر » الشائع بهذا التعبير فى عصرنا الحديث ، **حاول اللغويون فى مطلع هذا ان يضعوا له اسما ، واذكر ان « حفنى ناصف » عالج ان يشيع له اسم « القلم المداد » ، على وزن خزان ، اذ هو يختزن المداد ، او هو يمد الكاتب به ..**

على ان الحضارة العربية تسجل ان هذا النوع من الاقلام ليس من مبتكرات العصر الحديث ، بل هو معروف منذ الف سنة ، الا بعض عشرات من السنين .

صاحب الابتكار رجل من أهل الادب والعلم والصناعة اسمه « صاعد بن الحسن » وشهرته : زعيم الدولة ، قدم « دمشق » فى القرن الخامس الهجرى ، او الحادى عشر الميلادى ، وقرب من السلطان ، ولابس الديوان وكان ــ كما يقول « ابن عساكر » ــ يغرب فى أشياء يخترعها ، اذ اصطنع أداة تشيل الحجارة الثقال ، وعمل فلكا فيه نجوم وما يشبهها . وفيما

كان من عمله : « قلم حديد ، يملؤه مدادا ، يخدم قريبا من شهر ، لايجف .. ولاشك انهذه الكلمات القلائل كافية فى وصف «قلم الحبر» أو «قلم الحبر الجاف » فى أيامنا هذه .

وفى حديث بينى وبين المرحـــــوم الدكتور « محمد كامل حسين » استاذ الادب بجامعة القاهرة ، اخبرنى بسانه اذاع نبأ هذا الاختراع القديم فى مجلة « الثقافة » ، وربما كان يعنى هـــذا المصــدر للاختراع ، ان لم يكن وقــع عليه فى مصدر اخر .

● اهداء ظريف ! » ●

« الصاحب ابن عباد » وزير « بنى بويه » فى القرن الرابع الهجرى كان يجمع حوله الادباء والشـعراء ، حتى شبهه مادحوه بالخليفة «هرون الرشيد» وكان من حديثه انه مولع بنسيج الخز خاصة ، ويروى عن احد قصاده « ابى القاسم الزعفرانى » انه نظر يوما الى جميع ما فى دار « الصاحب » مــن الخدم والحاشية ، فاذا هم جميعــا عليهم الخزوز الملونة الفاخرة . فاعتزل ناحية ، وجعل يكتب شيئا ، فســأل « الصاحب » عنــه ، فقيل لعله فى مجلس كذا يكتب . فقال : على به .. فاستمهل «الزعفرانى» ريثما يتمم مكتوبة ، فاعجله « الصاحب » وامــر بان يؤخذ ما فى يده من الدرج ، فقام « الزعفرانى » اليه ، وقال :

اسمعه ممن قاله تزدد به

عجبا فحسن الورد فى اغصانه .
فقال له « الصاحب » : هات ماعندك
فانشده ابياتا ، ختمها بقـوله :
كســـوت المقيمين والزائرين
كسى لم نخل مثلهـــا ممكنـــا
وحاشية الدار يمشون فى
ضروب من الخـــز .. الا انـــا !

فقال له « الصاحب » : « قرات فى الخبار « معن بن زائدة » أن رجلا قــال له : احملنى . فامر له بفرس ، وبغلة وحمار ، وناقة ، وجارية ، ثم قــال له : لو علمت ان الله خلــق مركوبا غير ما وهبت لك لحملتـــــك عليه . » واستطرد « الصاحب » قائلا : «وانت

يا « ابا القاسم » تطلب منا ثوب اخر ، وقد امرنا لك من الخز بجبة ، وقميص وسراويل ، وعمامة ، ومنديل ، ومطرف ورداء ، وجورب . ولو علمنا لباســـا اخر يتخذ من الخز لاعطيناكه ! » .

وامــر « الصاحب » بادخــــال « الزعفرانى » الى خزانة الثيـاب ، واحضار تلك الخلع اليه ، ليلبس منها فى الوقت ما يلبس ، ويســلم الى خادمه ما فضل عن لبسه .

● بنت البحث ●

من الكلم الطيب قولهم : « الحقيقة بنت البحث » . وما اكثر البحــث ، وقلما يتمخض البحث من حقيقة !

ما علة ذلك اظــرف ما قــرات فى التعليل ، ما كتبه الشيخ « عبدالقادر المغربى » تعبيرا عن ضيقه بما كشفت عنه « مناظرة لغوية بينه وبين احــد العلماء من معاصريه .

«الحقيقة التى سموها : بنت البحث لا تولد الا على يد المناظرات ، ولكــن المناظرات فى بلادنا ما هى الا قوابل لم تتقن فن التوليد ، ولم تحـــرز الشهادة فيه بعد ، ومن ثم نـــرى هذه البنت المسكينة لا تكاد تقع بــن ايدى القوابل حتى تموت ، وكثيرا ما خلفت بعدها الاحقاد والشرور ! »

ذلك قول الشيخ « المغربى » قبل عشرات من السنين ، ترى هــل اتقن الباحثون فن توليد الحقيقة بنــت البحث !!

حقائق يذهل لها الفلكيون عن :

كوكب زحل ..

ثاني كواكب المجموعة الشمسية حجما وأبعد الكواكب الكبيرة مدارا كما صورته عدسات المركبة الفضائية "فويجر ١" منذ بدأ الأمريكيون عصر المركبات الفضائية لاستكشاف المجموعة الشمسية دخل الفلك كله في عصر جديد .

زحل ثاني كوكب المجموعة الشمسية حجما وأبعد الكواكب الكبيرة مدارا كما صورته عدسات المركبة الفضائية « فويجر ـ ١ »

منذ بدأ الامريكيون عصر المركبات الفضائية لاستكشاف المجموعة الشمسية دخل الفلك كله في عصر جديد .

من خمسة قرون ونيف اكتشف كوبرنيق أول اكتشاف غير كل معلومات القدماء عن الفلك والكون ، فقد قال ان الارض ليست مركز المجموعة الشمسية والشمس وما فيها تدور حولها ، بل ان الشمس هي المركز وكل المجموعة بما فيها تدور حولها ، بل ان الشمس هي المركز وكل المجموعة بما فيها تدور حول الشمس .

ثم جاء جاليليو واخترع المنظار المكبر ونظر فاذا هيئة جديدة للكون كله . على يد كوبرنيق ثم جاليليو بدأ علم الفلك الحديث ، وتلاشت معلومات القدماء عن الفلك والكون ومعظمها تصورات وأوهام .

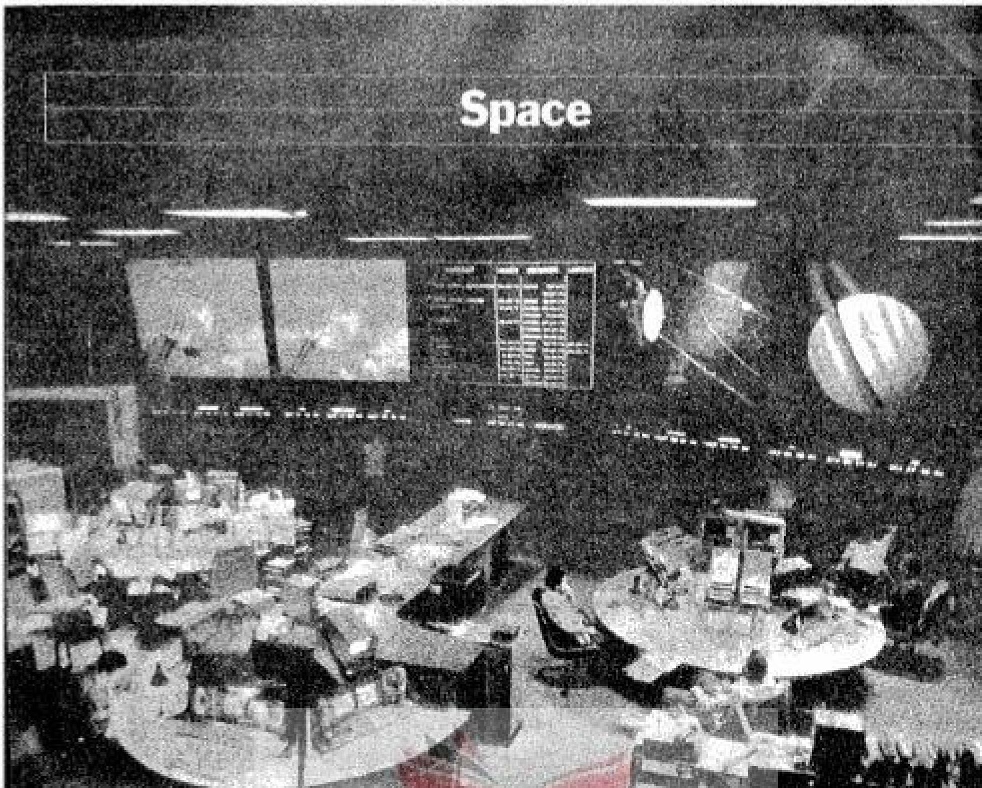
واستمر العلماء يولون الكشوف مستعملين التلسكوبات البعيدة المدى حتى اصبحت فكرتنا عن الكون قريبة جدا من الواقع .

وفي الستينات . ومن يوم بدات الولايات وروسيا في ارسال الاقمار الصناعية الى الفضاء ووضع المعامل ومراكز الابحاث في الفضاء ، دخلنا في دور جديد جدا من الفلك ، وبدأ الكون كله يأخذ صورة توصف بانها علمية .

والفكرة في الاقمار الصناعية والمركبات والمعامل الكونية تتلخص في اطلاق اجهزة بالصواريخ تخرجها عن مجال الجاذبية الارضية ، فتستطيع البقاء حيث توضع من الفضاء او تسير في فلكها الذى يحدد لها حتى تستهلك وتتلاشى في الفراغ .

وقد تنوعت الآن اصناف هذه المركبات التى ترسل للفضاء ، وأصبحت تعد طبقا للمطالب العلمية التى يريدونها .

وهذه الاجهزة الفضائية تبقى في مدارها في الفضاء أيا كان شكلها ، فلا جاذبية هناك ولا أهواء ولا رياح وهي لهذا غريبة الاشكال ذات آلات تصوير عادى وتلفزيوني وسينمائي وأدوات ارسال



قاعة المراقبة فى مركز ابحاث الفضاء الامريكى فى پاسادينا ولاية كاليفورنيا اثناء عملية المركبة فويجر - ١ • وترى شاشات التليفزيون الكبيرة وعلى واحدة منها صورة الكوكب زحل ثم لوحات بيانات اخرى • وصورة زحل تبدو على الشاشة فى غاية الوضوح

كوكب زحل

صورة مكبرة لجزء من سطح زحل وترى فيها الحلقات التى تحيط بوسط الكوكب وكذلك يظهر قمران من اقمار الكوكب

واستقبال ، وكلها تعمل بالكومبيوتر أما بصفة مستمرة كما تعمل ساعات الكوارتز أو تصدر لها أوامر فتنفذ برامج كما تعمل الآلات الحاسبة .

وآخر واعجب هذه الاجهزة هو الجهاز المسمى فويجر ١ الذى صنعوه فى الولايات المتحدة وارسلوه ليوافيهم بمعلومات عن كوكب زحل . وتركيب هذا الجهاز عجيب . فهو عبارة عن بدن معدنى مستدير الشكل فى حجم سيارة متوسطة الحجم . فى هذا البدن توجد أجهزة الكومبيوتر التى تتلقى الاوامر من الارض وتنقلها الى الاجهزة الكثيرة المركبة على هذا البدن (انظر الرسم) فهناك أجهزة تصوير من كل صنف مثبتة على برج معدنى صغير ، واجهزة لالتقاط الاشعة الكونية واجهزة لتلقى الاشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء وهناك ١٦ جهازا لدفع المركبة وزيادة سرعتها او ابطائها واجهزة قياس كهربية ومغناطيسية وعشرات الاجهزة الاخرى .

وقد اطلقت هذه المركبة من مركز الاقمار الصناعية فى باسادنيا من ثلاث سنوات ، اطلقت فى داخل كبسولة فضائية ، وعندما وصل الجهاز الى فلكه المطلوب انفتحت الكبسولة وسقطت فى الفضاء وخرجت من البدن الاجهزة والهوائيات ، وانطلق الجهاز فى الفضاء ٩٨٫٠٠٠ كيلو متر فى الساعة .

ومن ستة أسابيع وصل «فويجر ١» الى أقرب مسافة حددت له من كوكب زحل أى على بعد ١٢٤٫٢٤٠ كيلو متر من الحلقات التى تحيط بوسط هذا الكوكب ، وهى ظاهرة فلكية حيرت العقول من مئات السنين .

وهنا بدأت كل أجهزة المركبة « فويجر ١ » تعمل بدقة واحكام وحماس ، لا تصدق كأن هذه الاجهزة كائنات حية تحس بواجبها وتقوم بادائه كما ينبغى .

وقامت مركبة « فويجر ـ ١ » بارسال آلاف الصور التليفزيونية والسينمائية والافلام العادية وأرسلت كذلك من البيانات الفلكية والطبيعية ما حير عقول العلماء ، وقال الكثيرون منهم أن التوفيق الذى حققته مركبة فويجر ـ ١ يعتبر أعظم نجاح علمى فنى حققه البشر منذ الهبوط على القمر لاول مرة فى الستينات .

ونسأل : لماذا اختاروا كوكب زحل هذه المرة ؟



كوكب زحل

والجواب ان زحل من ناحية الحجم يعتبر ثاني كوكب في المجموعة الشمسية بعد المريخ ، اما من ناحية وضعه في المجموعة الشمسية فهو آخر كواكب المجموعة الشمسية الكبير فلكا ، فلا يليه بعد ذلك الا اورانوس ونبتون وبعدهما عن الارض شاسع جدا .

وزحل ـ هو ساترن بالانجليزية ـ كرة ضخمة من الغازات أهمها الهيدروجين والهيليوم . وحجم هذه الكرة يعادل حجم الارض ٨١٥ مرة . والى ما قبل رحلة فويجر ـ ١ لم يكن زحل ليبدو بأقوى المنظارات الفلكية الا كرة صغيرة صفراء يدور حول وسطها حزام لايدرى أحد كنهه .

ومنذ بدأت مركبة « فويجر ـ ١ » ترسل معلوماتها ادرك العلماء المراقبين شبه ذهول ، فان المعلومات المصورة والمكتوبة قدمت لهم أغرب اشياء كانت تخطر على البال .

فان زحل ، تلك الكرة الغازية فيها اجزاء متجمدة الغازات تجمدت نتيجة لانخفاض الحرارة الناتج عن البعد الشاسع بين الشمس ،وقد كان المظنون ان الاحزمة التي تحيط بوسط زحل عددها ستة او سبعة فتبين أنها الف وربما الفان ، وكل مجموعة منها تكون حزمة من الحلقات ، وبين هذه الحلقات فراغات تبين ان هناك حلقات اخرى في هذه الفراغات .

ويغلب على الظن أن هذه الحلقات تتكون من قطع صغيرة من الاحجار والمعادن كل منها في حجم سيارة صغيرة والغالب انها مجموعات من الشهب اجتذبتها جاذبية زحل واجبرتها على الدوران حولها ، فاخذت هذه الالوان بحسب تكوينها .

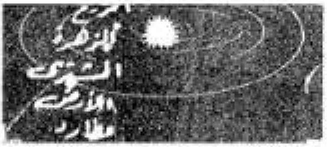
وقد تبين أن اقمار زحل تزيد على ١٥ قمرا وهذه الاقمار ليست كلها مستديرة فان بعضها مهشم نتيجة لاصطدام الشهب به ، بعضها يبدو وكأنها قطع من اسنان مهشمة ، وهناك قمران يبدو انهما كانا في الماضي قمرا واحدا ثم تهشم الى قمرين .. هذه الاقمار كلها قطع من الحجارة لا نعرف طبيعتها تحيط بها سحب من النيتروجين المتجمد ، بعض الاقمار تمر خلال الحلقات ، ويزداد سطحها تهشما .

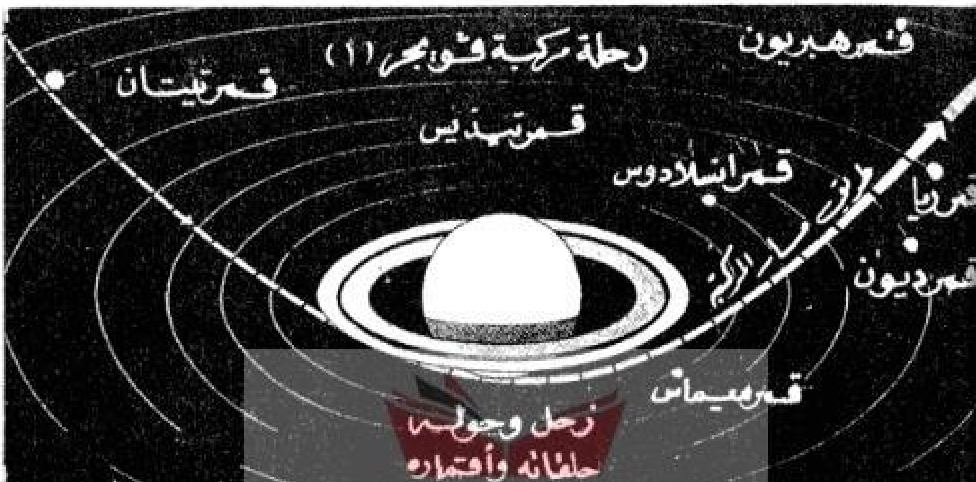
أكبر هذه الاقمار تليقان وقد كان معروفا لنا من قبل لانه اكبر قمر في المجموعة الشمسية . الآن لدينا صور من سطحه تبين منها انه مهشم السطح بتأثير ارتطامات الشهب . اكتشفنا الآن اقمارا أخرى وتكوينها كلها عتيق يرجع الى أوائل عصور تكوين المجموعة الشمسية قبل أربعة بلايين ونصف من السنين .

***

هذه كلها كشوف ومعلومات جديدة حصلنا عليها نتيجة لرحلة مركبة فويجر ـ ١ . لقد تكلفت هذه الرحلة ١٥ مليونا من الدولارات ، وعسى من يقول : وما الفائدة من وراء كل هذه الكشوف ، ولماذا هذا الانفاق عليها . والجواب : نعم انها تساوى لانها علم ، والعلم أساس كل حضارة وتقدم وكسب وليس من الضرورى ان تنفق كل المال في الطعام والكساء والملبس . هذا مهم ولكنه ليس أسمى شيء في الوجود .

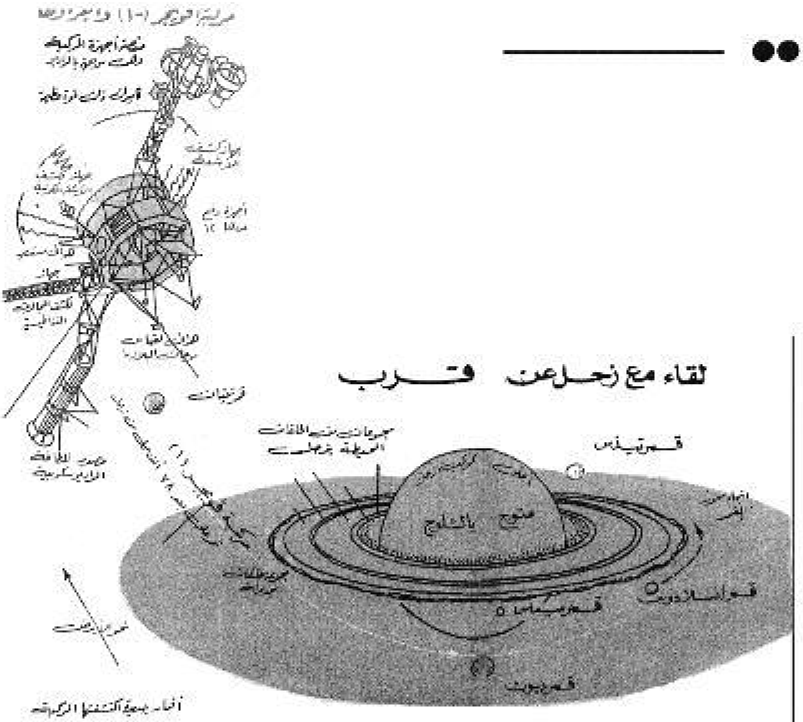
● حسين مؤنس ●





رسمان توضيحيان يكشفان طبيعة رحلة فويجر - ١ الصورة الصغرى ترى فيها المجموعة الشمسية حتى كوكب المشترى ، وهو أكبر كواكب المجموعة الشمسية ، وهو كوكب من الغازات • ومن الصورة يخرج مدار زحل وهو ثانى كواكب المجموعة الشمسية حجما ورابعه الكواكب الكبيرة عن الارض وحوله حلقاته الغريبة وتحيط به اقماره الخمسة عشر • وترى فلك زحل يمتد من الصورة الاول الى الثانية •

لقاء مع زحل عن قرب



ملامح من تاريخنا الغريب

الشعـراء وتعـليم الفتـاة

• د. احمد الحوفى •

شارك كثير من شعراء العصر الحديث فى الدعوة الى تعليم المرأة ، يدرجن .. فدال شوقى على هذا الحق الكريم والحديث الشريف ، واعمـال الصحابة ، وبانه تحقيق لما تقتضيـه سنة الحياة ..

وضرب امثلة عامة ، منها معرفة بعض زوجات النبى عليه الصلاة والسـلام لعلوم الشريعة وللقراءة والكتابة ، وممارسة بعضهن للسياسة والتجارة ، وشهرة بعض حفيداته بالفقه والعلوم الشرعية كالسيدة سكينة بنت الحسين ، ومنهـا ان كثيرا من العالمات والاديبات نبغن فى بغداد وقرطبة ودمشق .

قال شوقى :

خذ بالكتـاب والحديث — وسـيرة السلف الثقـاة
وارجع الى سنن الخليقة — واتبـع نظـم الحياة
هـذا رسول الله لـم — ينقص حقوق الامهـات
العـلم كان شريعـة — لنسـائه المتفقهـات
رضـن التجارة والسيا — سة والشئون الاخريات
ولقد علمت بنـاتـه — لجج العـلوم الزاخرات
كانت سكينـة تملأ الد — نيـا وتهـزا بالرواة
روت الحديث وفسرت — آى الكتـاب البينـات
وحضـارة الاسلام تنط — ق عن مكان المسلمـات
بغـداد دار العالمـا — ت ومنـزل المتـادبات
ودمشـق تحت اميـة — ام الجوارى النابغـات
ورياض اندلس نميـ — ن الهاتفات الشاعرات(١)

وهو فى ابيات اخرى يحذر من جهل الامهات ، لانهن ينشئن ابناءهن تنشئة جهل وضعف وخمول ، ويبين ان اليتيم الحقيقى ليس هو الذى حرم ابويه ، وفقد رعايتهما واستعاض عنهما بتصريف الدهر ومقاساة التجارب ، بل هو الذى لم تشرف على تربيته أم تتعهده وأب يرعاه :

واذا النساءنشان فى اميـة — وضـع الرجال جهالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى ابواه من — هم الحياة وخلفـاه ذليـلا
فاصاب بالدنيا الحكيمة منهما — وبحسن تربية الزمان بديـلا
ان اليتيم هـو الذى تلقى له — اما تخلت او ابا مشغولا (٢)

(١) الشوقيات ١-١٠٢ .
(٢) الشوقيات ١-٢٢٧ .



احمد شوقى



جميل صدقى الزهاوى



مى زيادة

ويبدو أن شوقى كان يطمح الى أن تتعلم الفتيات فى الجامعة ، سواء فى خلاط للفتيان أم فى عزلة ، لانه قال سنة ١٩٢٠ فى رثاء الاميرة فاطمة اسماعيل التى ساهمت فى انشاء الجامعة المصرية :

يا جزع العلم على … سكينــة الموقــرة
امسى بربــع موحش … منهـا ودار مقفـرة
من ذا يؤسى هـذه الـ … جـامعة المستعبـرة
لو عشـت شدت مثلهـا … للمـرأة المحررة (٣)

فلما كثرت المتعلمات ، وساهمن فى الحياة العامة بالقدر الذى يليق بهن ، طرب شوقى ، واشاد بحفلة من حفلاتهن التى تعودن أن يقمنها فى كل عام مرة للبر والانفاق على الاسر البائسة التى تستحيى من الاستجداء ، واستشرف فى هذا العمل وفى أشباهه نهضة تبشر بخير كثير لان النساء الجاهلات جامدات متحجرات ، لا فرق بينهن وبين اجسام الموتى المحنطة ، واشاد بجهاد المتعلمات فى ميدان السياسة ، فقال سنة ١٩٢٤ :

مصـر تجدد مجدها … بنسـائها المتجددات
النافرات من الجمـو … د كانـه شبح الممات
هل بينهـن جوامدا … فرق وبين الموميـات ؟
لما حضن لنا القضيـة … كن خير الحاضنـات
غذينها فى مهـدها … بلبانهـن الطاهـرات
ينفثن فى الفتيان من … روح الشجاعة والثبات
يهوين تقبيل المهنـ … ـد او معانقة القنـاة
ويرين حتى فى الكرى … قبل الرجال محرمات(٤)

واهاب حافظ ابراهيم بتعليم النساء ، لان جهلهن هـو السبب فى تخلف الشرق وحض على تعليم الامهات ، لانهن المدارس الاولى التى تتعهد الاطفال بالتربية ، فهن رياض اذا تعهدتها الامة بالرعاية والعناية أورقت وأثمرت ، وهن الاساتذة الكبار لجهابذة العلماء والمخترعين الذين خلد الدهر ثمرات عقولهم .

قال فى سنة ١٩١٠ :

من لى بتربية النساء فانهـا … فى الشرق علة ذلك الاخفـاق
الام مدرسة اذا اعددتهـا … اعددت شعبا طيب الاعراق
الام روض ان تعهده الحيـا … بالرى اورق ايمـا ايراق
الام استاذ الاسـاتذة الاولى … شغلت مآثرهم مدى الآفاق(٥)

(٣) الشوقيات ٢-٩٧ .
(٤) الشوقيات ١-١٠٤ المهند : السيف القاطع . القناة : الرمح ، الكرى : النوم
(٥) ديوان حافظ ابراهيم ١-٢٧٠ الحيا : المطر .

ولقد دعا جميل صدقى الزهاوى الى مثل مادعا اليه شوقى وحافظ فقال

انمــا المراة والمــر ء ســواء فى الجدارة
علموا المــراة فالمر اة عنوان الحضارة (٦)

فاذا ماانتقلنا الى المراة نفسها وجدنا ملك حفنى ناصف تدعو الى السفور الشرعى ولكن فى حذر ، وتدعو الى تعليم الفتاة ، وتحذر من الاندفاع وراء دعاوى قد تجر الى مفاسد :

ايسوؤكم منــا قيــام نذيرة تحمى حماكم من بــلاء محدق ؟
ايسركم ان تستهــر بناتكم رهن الاسار ورهن جهل مطبق
هل تطلبون من الفتاة سفورها حسن ولكن اين بينكم التقى ؟
تخشى الفتاة حبائلا منصوبة غشيتموها فى الكــلام برونق
لا تتقى الفتيات كشفوجوهها لكن فساد الطبع منكم تتقى
لا تطفروا بل اصلحوا فتيانكم وبناتكم وتسابقوا للاليــق
ارضيتم عن كل شىء عنــدنا وخشيتم القناع اذا بقى (٧)

ووجدنا نبوية موسى تدعو الى تعليم البنات ، ليكن اقدر على مساعدة الرجال وعلى النهوض بالوطن ، ولان جهلهن من اسباب ضعف الرجال وخيبة جهودهم :

ولخير ما تعلو به اوطانــا علم تواليــه الفتاة فيثمـر
ان النســاء عماد كل فضيــلة فاذا هوت فالفضل قاع مقفر
ان النساء يد الرجال وعونهــم فاذاهوت خاب الرجال ودمروا

وقالت فى قصيدة ثانية :

والبنت اصل رقى الشعب ان جهلت
مال البناء الذى نرجوه وانهــدما
فعلموها تســد مصر بهــا وكفى
ان تغرس المجد فى الابناء والشمــا
تاثيرها فى نفوس القـوم ينكــره
من انكر الشمس فى الافلاك وانهما(٩)

٥ ـ الفتاة والعمل فى وظيفة .

كثيرا ماتنتقل بعض القضايا الاجتماعية من ضيق متازم الى سعة منبسطة ، ومن حظر مترمت الى اباحة مطلقة .

ولقد حدث هذا فى قضية تعليم الفتاة ، وفى قضية السفور والحجاب ، اذ كانت الدعوة الى تعليمها فى اول الامر غريبة مرفوضة ، ثم لم تلبث ان صارت طبيعية مرغوبة ، فتعلمت الفتاة مثل الفتى ، ونافسته فى المدارس والمعاهد والجامعات والالقاب العلمية والانتاج الادبى والعلمى ، كما نافسته فى ميادين الوظائف والاعمال .

(٦) الزهاوى وديوانه المفقود ١٦٢ .
(٧) آثار باحثة البادية ٢٠٧ جمعها مجد الدين حفنى ناصف .
(٨) مجلة الفتاة ١٦ فبراير ١٩٢٩ العدد ٦٦ .
(٩) مجلة الفتاة العدد ١٧٥ يونية ١٩٤١ .

وكانت الدعوة الى السفور الشرعي بغيضة في بدايتها ، ثم صارت مألوفة ، بل تجاوز السفور مايوجبه الشرع من قيود وحدود .

لكن اشتغال الفتاة بعمل خارج بيتها كان ومازال موضوع بحث ونقاش وخلاف ، وان كان الدعاة الى العمل اكثر عددا واقوى صوتا واعظم اثرا ، فاكتظت دواوين الحكومة والمرافق العامة والمحلات الخاصة بمئات الالوف من الفتيات العاملات ، متزوجات وغير متزوجات .

ولقد يكون من الانصاف ان اذكر هنا بعض الاراء التى رفضت عمل الفتاة فى خارج بيتها .

١ – ففى سنة ١٩٢١ م كتبت الانسة مى زيادة تقول : « اما الشىء الكثير الذى تقدر عليه المراة ، واصبح القيام به محتما عليها بعد ان اتجهت نحوها الانظار فهو العودة الى المنزل مملكتها ، والاهتمام بتربية نفسها وتربية ذويها ، لتصير اهلا للاسمين الجميلين اللذين حملتهما الى اليوم ، دون ان تدرك مايخولان من حق ، وما يقتضيان من واجب ازوجة وام » (١٠)

٢ – وعارضت عمل المراة فى خارج دارها السيدة لبيبة احمد ، وقالت ان اما الفتاة التى تشغلها الوظيفة عن كل شىء ، وتلهيها عن اسمى الغايات ، فانها الفتاة هى التى تربى اطفالها على مكارم الاخلاق ، وتبث فيهم روح الاقتصاد ، تترك بيتها هملا ومن غير رعاية . (١١)

٣ – كذلك عارضت السيدة فاطمة رضوان ، ونادت بالا تعمل المراة الا مضطرة :

« يعتبر العلم للفتاة وتثقيفها ثقافة كاملة ضروريا كضرورة الهواء النقى والماء المصفى .

واما عملها فى الميدان العام فنامل الا يكون الا للضرورة الملحة والحاجة الملجئة تقوم به الفتاة كعلاج عند الضرورة الطارئة (١٢)

٤ – ولقد كانت باحثة البادية السيدة ملك حفنى ناصف اسبق الداعيات الى حظر العمل على الفتاة خارج بيتها الا مضطرة فى قولها :

مجد الفتاة مقامها	فى البيت لا فى المعمل
والمرء يعمل فى الحقـ	ـول وعرسه فى المنزل
كم خدمة يقضى نظا	م البيت ان لم تعمل
من للوليد بعينه	فى لبسه والمأكل ؟
لكن اذا دعت الضرو	رة للخروج فعجيها (١٣)
سيرى كسير السحب لا	تانى ولا تتعجلى (١٤)

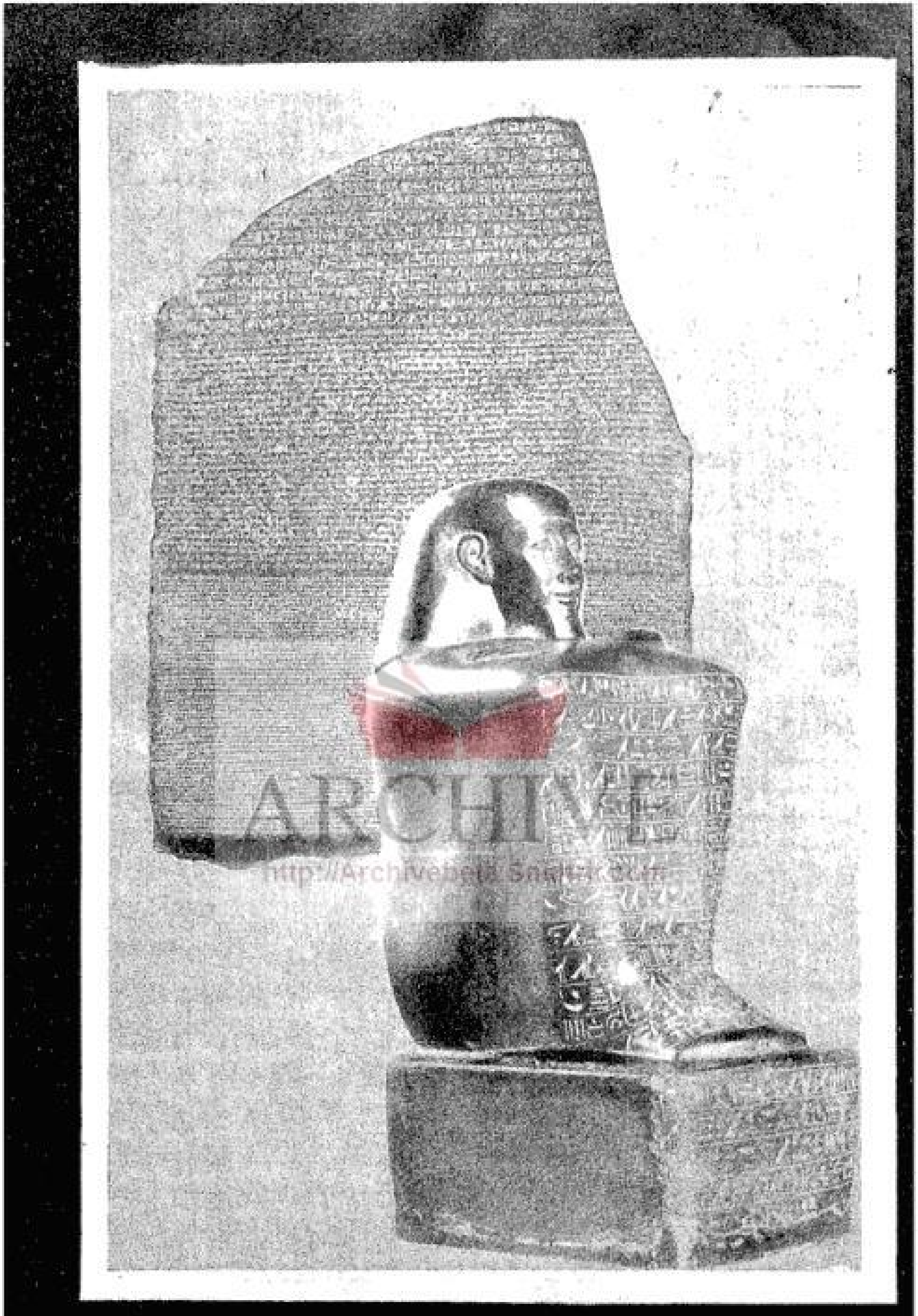
اما الذين اباحوا للفتاة ان تعمل فى خارج دارها فهم كثير جدا ، ويكفى ان نذكر منهم جمال الدين الافغانى المتوفى سنة ١٨٩٧ م ، فقد راى انه لامانع من عمل الفتاة خارج دارها اذا فقدت عائلها واضطرتها ظروفها الى العمل ، ولكن بنية صالحة وذيل طاهر . (١٥)

(١٠) مجلة النهضة النسائية يولية ١٩٢٠ .
(١١) مجلة النهضة النسائية اكتوبر ١٩٢٠ .
(١٢) مجلة الاسبوع ٩ مايو ١٩٢٤ .
(١٣) عيطى : رحيى .
(١٤) اثار باحثة البادية ٢٩٩ .
(١٥) زعماء الاصلاح ١١٥ احمد امين .

اللغة المصرية القديمة معجزة الحضارة

• د. سيد كريم •

● أكبر معجزات الحضارة الفرعونية وأعظم انجازاتها .. أول لغة مكتوبة ومنطوقة عرفتها البشرية .. الهيروغليفية متكاملة بخطوطها وفنون رسمها وتشكيلها .. تكاملت أبجديتها التى اشتملت على جميع الحروف المرسومة والمنطوقة ، الساكنة والمتحركة . بإشاراتها المعنوية والصوتية والمقطعية . بالاضافة الى الحروف الحلقية كالعين والغين والحاء والخاء والقاف والضاد والظاء بجانب الحروف الرفيعة مثل : Th,V,P وهى مقومات واصول لتجمع فى ابجدية اى لغة اخرى من لغات العالم القديم او الحديث .. انها لغة جمعت بين الحرف والعدد ، وبين الكلمة والرقم فكانت لها ابعادها وقواعدها التى بلغت حد الاعجاز .. وصفها قدماء المصريون بانها مفتاح اسرار المعرفة لجميع علوم الحياة، وسيلة اتصال السماء بالارض او بالخالق والمخلوق .



● ولدت مع مولد الزمان .. قبل مولد الحضارة نفسها فيها شقت الحضارة طريقها ، ومنها استمدت عناصر تكوينها ، وبواسطتها سجلت تاريخها وخلدته عبر الوف السنين .

خرجت من « اون » القديمة « برج المرصد » عين شمس حيث كان كهنة «اتوم رع » يتلقون تعاليم السماء من مرصدهم وما تكشفه لهم من اسرار المعرفة المقدسة .. وفى مقدمتها كانت الكتابة او كلمة الالة التى اطلقوا عليها اسم« مفتاح الوجود» . فارتبط نزولها بنزول العقيدة . ولذلك فقد نزلت متكاملة كالعقيدة نفسها ، لذا فقد وصفها المصريون القدماء بانها من مصدر الهى وان المعبود تحوت « رسول الاله الواحد رب الارباب » لنقل المعرفة المقدسة الى البشر — نزل بها الى كهنة معبد الالة مع التعاليم الاولى للعقيدة السماوية لينقل اليهم رسالة السماء ويفتح لهم ابواب علوم المعرفة حتى يتمكن البشر من قراءة رسالات السماء وكتابتها وتسجيلها وحفظها والحفاظ عليها وتوريثها .

ولذا فقد اطلق على الكتابة اسم « نتر — خرو » اى النقش المقدس وهو ما ترجمه مؤخرا الاغريق الى « هيرو — غليفوس » ومنه عرفها العالم باسم الكتابة « الهيروغليفية »

● لقد ورد وصف نزول الكتابة فى اقدم نصوص متون العقيدة بمدينة « اون » بالنص التالى « فى البداية كانت الكلمة . والكلمة مصدرها الاله ، فالاله هو الكلمة قالها لكل شىء ، كانت الكلمة هى التى تنطق بها اسماء كل شىء ، وانزل الحرف لتصوير الكلمة ، ونفخ بانفاسه فيها لتنطق بها ، وحملها تحوت لتلقينها البشر ليتفاهموا مع بعضهم ويتعارفوا على ما حولهم ليؤمنوا بالاله بعد رؤية معجزاته وقراءة تعاليمه والنطق باسماء كالنالة . »

كما وصفوا المعبود تحوت فى احدى برديات منف بانه انزل الحرف والكلمة وانزل الورق والقلم وعلمهم صناعتهما من سيقان البردى وعيدان البوص الذى ينمو على شواطىء النيل ، وعلمهم صناعة الحبر والالوان ، وعلمهم كيفية استعمالها فى كتابة النقش المقدس

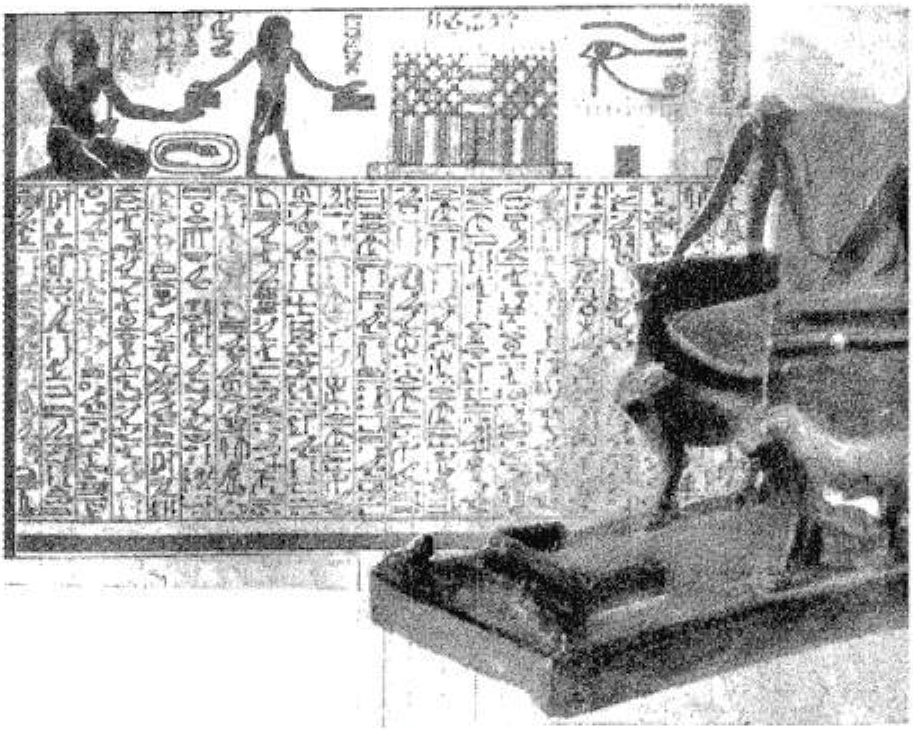
وكانوا يرسمون «تحوت» على صورة انسان له رأس الطائر آيبس حاملا لوحة بيده اليسرى وقلما بيده اليمنى ، وكانوا يحترمونه قائلين « تعال الينا ياتحوت يا كاتب الاله الاعظم . ما اجمل صنعتك التي تولد القوة والسعادة — ومن تبعك حفته العناية ونال رضى الاله العظيم » .

كان من يتعلم الكتابة ويحظى بلقب كاتب من المعبد او بيت الحياة يحمل تميمة تحوت التى ترمز الى الحق والمعرفة لتحميه من الشر والحسد وتعلو بمكانته بين الناس

كما وصف « انى » فى كتاب الموتى المقدس الكتابة بقوله : « تعلم القراءة والكتابة فالعلم اول خطوة يخطوها للايمان بالاله والتقرب اليه ، فتنعم بقراءة تعاليمه المقدسة التى تفتح لك ابواب الجنة وتكشف لك اسرار الوجود ونعم المعرفة المقدسة فتوجه خطواتك الى طريق الخير والسعادة فى الدنيا وطريق الخلود فى العالم الاخر . »

● هناك عشرات من البرديات واقوال الحكماء التى تشيد جميعها بالمعرفة المقدسة للكتابة والقراءة والتى تتركز جميعها حول العلاقة بين الكتابة والايمان والعقيدة .

● اما تاريخ نشاة اللغة وكتابتها الهيروغليفية فقد اختلف المؤرخون على تحديد نشاتها فذكر البعض انها بدات فى عهد ما قبل الاسرات — حوالى عام ٤٥٠٠ ق . م وهو الوقت الذى خرجت فيه من المعابد الى الشعب ، حيث كانت قبل ذلك الوقت وقفا



الخط الهيروغليفى فى كتاب العقيدة وصورة كرسى العرش رمز الاسم الواحد واول حروف الابجدية

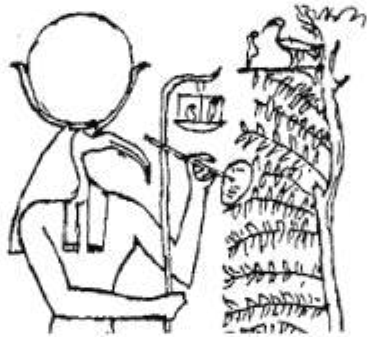
على الكهنة ككتابة مقدسة يحرم اطلاع احد على اسرارها .

وقد تغير ذلك الاعتقاد مع ظهور بعض الآثار التى تدل عليها وما ورد بخصوص نشأتها فى متون العقيدة ، فرجعت الى اخر الابحاث الى عام ٧٠٠٠ ق . م وهو التاريخ الذى حدده «مانيتون الكاهن والمؤرخ المصرى» لعصر ملوك الشمس والكهنة انصاف الالهة الذين كانت مدينة « اون » عاصمتهم المقدسة فى مرحلة التوحيد الاولى لنزول العقيدة .

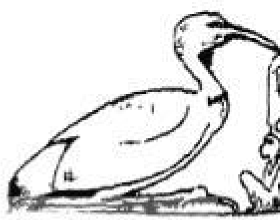
● وقد استمرت اللغة المصرية القديمة معمولا بها حتى اواخر القرن الرابع الميلادى حيث حرم الامبراطور تيودس العبادة على المصريين واغلق المعابد وطرد الكهنة ومنع المصريين التخاطب بلغتهم واستعمال مختلف خطوط الكتابة الفرعونية فاستمر المصريون يتكلمون بها بيد أنهم ابطلوا اشاراتها الهيروغليفية واستعملوا لكتابتها الاحرف اليونانية مع الاحتفاظ ببعض الحروف الديموطيقية التى لا وجود لمقابل لها فى اليونانية .

وسميت لغتهم باللغة القبطية .

● حكم اليونان والرومان مصر سبعة قرون .. فكان ذلك داعيا لزوال اللغة المصرية القديمة واندثار المدنية نفسها واصبح العالم لا يعرف عن اللغة المصرية الا اسمها الافريقى وهو الهيروغليفية وهو الاسم او الاصطلاح الذى اصبح يطلق على كل ما هو غامض أو غير قابل للتفسير .



المعبود تحوت حمل رسالة الكتابة الى البشر



تميمة تحوت رسول المعرفة وباعث الهة الحق والصدق تحفظ الكاتب من الشر والحسد
تميمة تحوت رمز العلم والحق

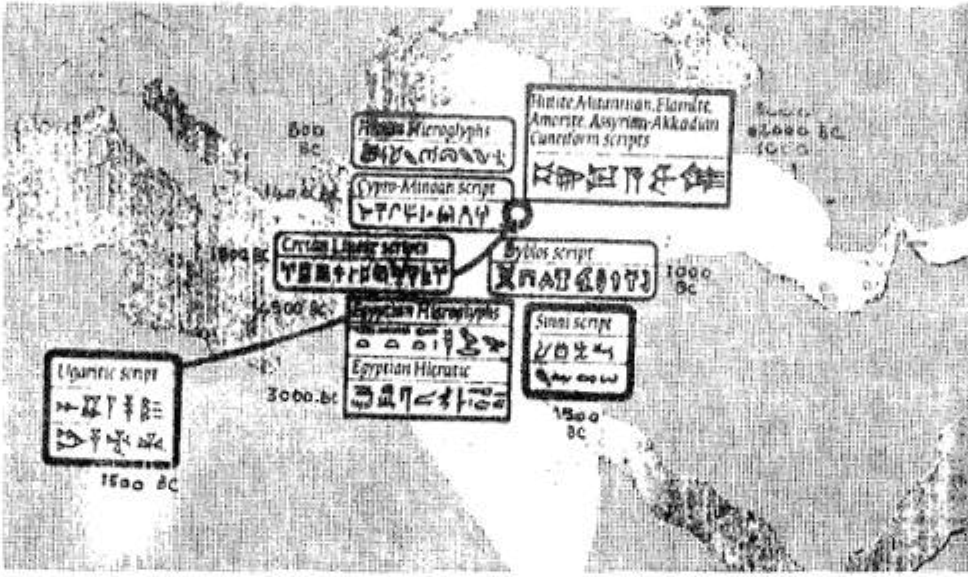


يسجل رسالة الكتابة والقراءة على شجرة المعرفة المقدسة

كما ذكر احد مؤرخي الرومان ان احد الاباطرة الذين زاروا مصر بعد حكم ثيودس نقل اليه احد علمائه سرا خطيرا وهو وجود الذهب في مصر بكميات تفوق ما يوجد في الامبراطورية الرومانية باكملها ، بينما لا تمتلك مصر اية مناجم للذهب وليست لها القدرة على استرداده من الخارج كما هو الحال في الماضي ، وانه اكتشف ان علماء الكهنة المصريين قد توصلوا بعلومهم السحرية الى استخراج الذهب من المعادن الرخيصة ، لما كان من الامبراطور الا آن امر رجاله بجمع جميع كتب العلوم والمعارف والكهنوت المصرية من مكتبة جامعة الاسكندرية ومعابدها واحراقها حتى لا يؤثر ذلك الذهب الذى ينتجه الفراعنة بالسحر على ثروة روما من الذهب ..

كان ذلك الحادث من العوامل التى ساعدت على سرعة اندثار الحضارة الفرعونية وزوال لغتها باختفاء مراجع علومها ومعارفها التى كانت تحتفظ بها بلغتها الهيروغليفية الاصلية .

● لقد حاول كثير من كتاب ومؤرخي اليونان والرومان فك رموز اللغة المصرية القديمة وقد اعترفوا جميعا في تراجمهم سواء هيردوت ابو التاريخ ، وديودورس الصقلى ويوسيفوس وسترابو وبلليني ممن قضوا زمنا طويلا في مصر لكتابة تاريخها . اعترفوا بجهلهم اللغة المصرية بمختلف لهجاتها ونقوشها



وكتاباتها وانهم كانوا يلجاون دائما للتراجمة المصريين والكتبة العموميين في ترجمة ما جمعوه من معلومات او وثائق .

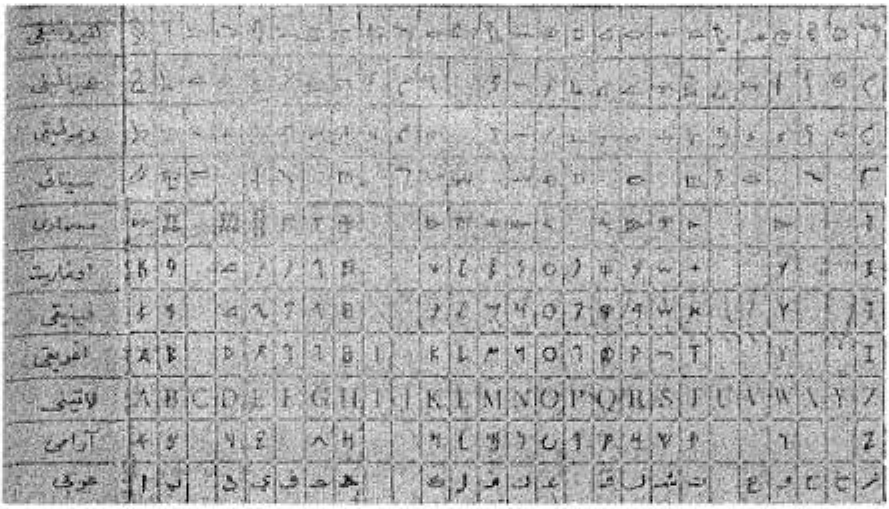
● قام مجموعة من العلماء والفلاسفة والمؤرخين عبر التاريخ بمحاولات لحل رموز اللغة المصرية القديمة منهم ديموقريط ٥٠٤ ق . م وقد حاول وضع قاموس هيروغليفي بعد ان لخص لغة مروى الهيروغليفية ومقارنتهما بالنصوص المنقوشة على بعض المسلات التى ترجموا له معناها باللغة اليونانية القديمة . كما وصل الينا جزء من قاموس مماثل جمعه «كريمون» « امين دار كتب السيرابيوم

كما وضع حورس المصرى اول كتاب في اللغة المصرية القديمة فسر فيه ١٨٩ كلمة هيروغليفية ونقله كل من كتاب اليونان والرومان

وقد حاول اخيرا « اكليمندوس السكندرى » فك رموز اللغة المصرية القديمة في اوائل العصر الميلادى فكان اول من اكتشف ان للمصريين ثلاث لغات « لهجات » وهى الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية ، ولكل منها نقوشها وخطوطها ، ذكر في كتابه «ستروميات» ان لكل واحدة خصائص تميزها عن الاخرى ولكنه لم يتمكن من معرفة قواعدها ولا اصطلاحاتها ولا كيف تقرأ .

● عندما دخل العرب مصر حاول روادهم ومؤرخوهم فك رموز نقوشها فانتهت ابحاثهم الى تسميتها « لغة العصافير » لانهم وجدوها محتوية على كثير من صور الطيور والعصافير كما وصفها احدهم في عهد المامون بانها « لغة رموز» وطلاسم منبعة المطلب عسيرة المرام » وتوهم المولعون بعلم الكيميا منهم بأن النقوش الهيروغليفية لا تعبر عن لغة او كتابة كما يتوهم الكثيرون بل هى رموز كهنوتية تحمل سر صناعة الذهب والفضة من النحاس والرصاص وهو مايطلق عليه اسم اسرار كيميا المعادن بالاضافة الى التراكيب السرية للعقاقير التى برع فيها كهان الفراعنة »

ووصفها اخر في كتابه من اسرار فراعنة مصر « عندما فشل في حل طلاسمها ورموزها بانه سمع من اهل المعرفة انها لغة اهل الجن ، ولا يحمل مفتاح سرها والتخاطب بها الا اتباعهم في الارض من كهان الاديرة وخلوات



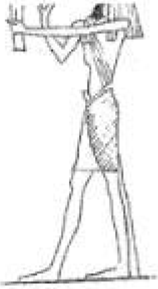
الصحراء النائية وكانوا يستعملونها فى السحر والتنجيم

● كما وصفها كتاب العهد القديم عند العبرانيين بان كل حرف منها مرتبط بالسماء ويحمل سرا من اسرار الوجود. ويمكن فك رموزها وطلاسمها بمفتاح الحياة الذى قيل انه قد أوحاه الملك زوربال الى ابينا ابراهيم ابو الخلق ونقلها عنه نوح وسلمها لابنه حام الذى استعملها فى السحر قام بها ايات كثيرة ، ثم تركها لابنه مصرايم الذى أورثها للمصريين فتعلموا بها فك رموز بقية الحروف التى نزلت من السماء ليكون « الخط الهيروغليفى »

● لقد توقفت محاولات فك رموز اللغة المصرية القديمة حتى بداية القرن السابع عشر عندما قام العالم الالمانى الاب كرشر بدراسة اللغة القبطية ، فكان اول من اكتشف بانها نفس اللغة المصرية القديمة المكتوبة باحرف يونانية ، وهى نظرية صحيحة ولكن ابحاثه فى محاولة حل رموز الكتابة الهيروغليفية جانبها الصواب عندما ركز دراسته على متابعة المؤرخ « هربولون » فى زعمه ان اللغة المصرية معان وليست أصواتا فلم يحاول اكتشاف أبجديتها ، ولكن اكتشافه بان اللغة القبطية هى اللغة المصرية القديمة مكتوبة بالخط اليونانى هى التى مهدت فى الواقع لعلماء العصر الحديث الوصول الى حل رموز اللغة المصرية وخطوطها بعد اكتشاف « حجر رشيد » الذى كان المفتاح فى كشف لغز اللغة الفرعونية وتفسير خطوطها الهيروغليفية والديموطيقية .

فى القرن الثامن عشر قام كل من العالمان «جنسى وزويجا» بمحاولة جديدة عندما فكرا فى فك رموز الخط الهيروغليفى بمقابلتها باللغة الصينية وكتابتها حيث تشترك اللغتان فى التعبير بالحروف المتممة اى غير الصوتية المستعملة فى اخر الكلمات لتحديد معناها . وقد انتهت دراساتهما المضنية الى طريق مسدود وتوصلا فى النهاية الى الاستنتاج بان رموز الكتابة الهيروغليفية لها دلالات وانها حروف فى ابجدية يجب الوصول الى معرفتها ، ولن يتحقق ذلك الحلم الا بعد التوصل الى احدى برديات التراجم المعاصرة التى تحتفظ بها مكتبة الاسكندرية وجامعتها المشهورة فى اواخر عصر البطالسة او بداية العصر الرومانى والتى كانت تكتب باللغتين المصرية واليونانية .

● وهكذا اسدل الستار على لغز





الخط الهيروغليفي بداية الفنون الجميلة لمرة التماثل الكامل للفنان المصري بين الألوان والخطوط والأشكال ، علاقة الشكل بالنطق والتعبير فكان مثلا رائعا لفن النطق الموضوعي .

اللغة المصرية القديمة ومحاولات حل رموز نقشها الهيروغليفي المقدس ليرتفع مرة أخرى عندما كشفت أرض مصر عن مفتاح ذلك اللغز مع نهاية القرن الثامن عشر ممثلا في حجر سحري من البازلت الأسود وجده أحد قواد نابليون عند مصب نهر النيل بالقرب من قلعة رشيد .

ويخرج ((حجر رشيد)) ليطوف حول متاحف العالم ومعاهده العلمية ويلتقي بكبار الباحثين والعلماء من مختلف الجنسيات ليكشف عن لغة الفراعنة وخطوطها ونقوشها التي حيرتهم لأكثر من ألفي عام .. ويفتح صفحات تاريخها ليعيد قراءته ويصحح وقائعه .

● حجر رشيد

● سمي بهذا الاسم لأنه اكتشف بالقرب من مصب النيل « فرع رشيد » وكان من آثار حائط قديم أزيل لإقامة حصن أمر نابليون بنائه عام ١٧٩٩ . وهو المعروف باسم حصن القديس جوليانوس .

● للبحث بقية في العدد القادم ●

الثقافة

في عصر المجتمعات المخططة

●● محمد كمال جعفر ●

● إننا نتذكر جيدا ان هذا القرن الميلادى (العشرين) والهجرى الرابع عشر قد استهلا بفجر من الامل والتوقع لسيادة السلام العالمى ولكن ما كادا ينتصفان حتى تبنت امم كثيرة فلسفة القوة ، ومزقت المعاهدات وتخلت عن المواثيق والعهود ، وغرقت فى امواج من الغزو العدوانى المتواصل • بينما وقفت امم اخرى – ممن كان يميل الى السلام بالطبيعة – حيرى او مضطربة او غير مكترثة لما يصير اليه العالم من هلاك ودمار ، ومن ثم لم يكلفوا انفسهم عناء مقاومة المحتلين او المعتدين ، ويقهروا قوتهم الغاشمة •

ولكن هل يدعو كل ذلك الى اليأس من امكان احلال السلام العالمى والتعاون الدولى محل الخصام والصراع الساخن والبارد على السواء !

اننا نرى – ومعنا كل الحق فى هذا الرأى – أن اليأس هو الشؤم العقيم الذى لا ثمرة له ولا نفع ، وهو الى جانب ذلك عنصر غريب على التراث والعقل والوجدان الدينى الاصيل ، وقد قال جل شأنه بحق « إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »

ومن ثم كان علينا أن نلاحظ أن الامل فى عالم يسوده السلام – هذا الامل الذى غذاه الانبياء والمرسلون عبر القرون ، ما تزال شعلته مضيئة فى صدور الذين اوتوه ، حتى فى صدور أولئك الذين غلبتهم عوامل الحياة الاوروبية المعقدة •

ولا شك أن مجرد بقاء مثل هذا الامل فى تلك الصدور ، وعدم انطفائه يعتبر عاملا مشجعا لاولئك الذين يصنعون السلام ويسعون اليه

غير أننا لا نقيم حساباتنا على مجرد هذا الامل وانبثاق أشعته من الصدور ، وانما نضيف الى ذلك حقائق واقعية ملموسة لها خطرها ودلالاتها فى هذا السبيل •

صحيح أنه قد منى السلام العالمى فى طريق انتشاره بنوبات من الفشل الذريع وربما كانت الفترة الحالية أحرج ساعاته من حيث عدم سريانه بين الاخوة الاشقاء والمتجاورين – كما يحدث الآن فى ايران والعراق ، أو بين بعض الدول العربية –

إن مأزق العالم الآن يتمثل في أن المكاسب السياسية والحضارية التي ظفرت بها البشرية عبر القرون مهددة الآن بالخطر الوبيل عن طريق توظيف التكنولوجيا لتثبيت سيطرة العامة وبطش الإنسان بأخيه الإنسان .

ولكن بالرغم من كل ذلك فاننا نرى الطفل يسقط كثيرا كلمــــا أراد المشي في أول مراحله ، ومع ذلك فانه سيتعلم المشي قدما دون أن يسقط .

اننا نتعلم من خلال المعـــاناة والخطأ ـ هذا الخطأ نفسه الذى قد يعلمنـــا نفس الدرس الذى يقودنا الى النجاح .

لقد تعلمنا الجديد عن السلوك السياسي للانسان ، لقد رأينا مثلا كيف تسوء السـياسة حتى من الامم التي تفوقن عقلا وحضارة ، وكيف يستغلها هؤلاء الذين لا ضمير لهم ممن يولعون باشعال الحروب واشاعة الدمار والخراب .

***

لقد رأينا كذلك أمما ودولا تتخيـل في اعجاب وتفاخر أنها بمنأى عن الخطر ،ومن ثم فلا حاجة بها الى بذل العون في سبيل أمم صغيرة أخرى معرضة للخطر ـ وهذا وهم كاذب فقد رأينا باعيننا أن الدمـــار يقفز من جانب الى آخر في ســويعات أو دقائق .

ان هذه الحقائق يجب ألا تفزعنا وتهبط من عزيمتنا . اذ هى على العكس أمور تنفع في تحذيرنا وتنبيهنا واتخاذها نذرا تفرض علينا أن ندعو الى الســلام وأن نؤيد كل خطوة تدني اليه

ان علم النفس وعلم الاجتماع قد تعرضا مسبقا على مثل هذه الظواهر العدوانية ، وان كان تعرضهما على نطاق أضـيق من مستوى السياسة العالمية . لقد أوضح علم النفس مثلا مدى سيطرة العامل العاطفي أو الشعوري على التجربة الانسانية كما كشف عن الاخطار التي تنجم عن الاختلال العاطفي في الفرد وفي المجتمع .

وقد صور الدين الانسان بحكم طبيعته غير المهذبة خطاء مختالا فخورا شهواليا طماعا ، عقويا ، متمردا على شريعة الله جل جلاله . كما صوره عبر التاريخ ميالا الى الحماقة والانخداع والغـرور . ولما كانت حياته السياسية لا تقل عن أوجه نشاطه الأخرى فانها ظلت ميدانا رحبا للاتعقـل والظلم والعدوان .

ولكن بالرغم مما يقدمه الدين وعلـم النفس عن الجانب المظلم من الانســان فانهما لم يدعواه الى اليأس ، بل اقترحـا علاجا لاختلاله ودواء يحـقق اتـزانه وانضباطه ، وهذا ما يحملنا على الامـل في امكان الوصول الى العدل السـياسي الجوهري ، والى الثقة في ايجاد عالـم من النظام والامن والسلام .

لقد سبق أن أشرنا الى أن هذا الامـل لا يبنى على المنى والاحلام ، ولا يستنبط من الكتاب الحالمين (الاتوبيسان) ، ولا

الثقافة في عصر المجتمعات المخططة

يستند الى المقترحات العديدة التي جاءت بها قرائح المؤلفين الذين كرسوا جهودهم على تقديم مشروعات السلام ·

ان هذا الامل يستند الى الحقائق والمشاهدات والواقعية التي تشجع عملية السلام والانتظام والامن· ويتضح ذلك من هذه التاملات فى حقيقة وضع المتحضرين والمثقفين ·

من الغريب أنك قد تجد المتحضرين والمثقفين تحتل العاطفة لديهم مكانا أرحب مما يحتله العقل ، ومع ذلك فانهم لقدرتهم على التكيف مع الظروف المحيطة التى تجمعت أسبابها عبر القرون واستحدث من التراث ، فان رغباتهم أو ان شئت قلت أنماط سلوكهم قد تشكلت فى قوالب من السلوك المحترم على حين انه قد تكون لديهم رغبات أو مشاعر مكبوته لم يسمحوا باظهارها حفاظا على وضعهم ومركزهم من المجتمع ·

اننا نريد أن نقول باختصار اننا جميعا قد نكون من حيث الامكان والاستعداد عرضة للجريمة بالطبيعة ، غير انه لحسن الحظ لم يسمح معظمنا بان تتطور أخطاؤه أو تستعجل انحرافاته حتى تصبح جريمة ومعنى ذلك أننا ضبطنا أنفسنا وقاومنا رغباتنا العدوانية او الشرهة · وما دام قد أمكن لجماعة أن تحقق ذلك فما المانع العقلي أو الفعلي من أن يتم ذلك على مستوى الدول أو الامم أو مستوى العالم ؟

***

ان علينا فى مجالنا الثقافى أن يتضح اتجاهنا المتميز نحو التماسك والاتحاد والالفة والترابط واطفاء نار العداوة مما يتيح لنا الظفر بالتقارب والتعاون بين الافراد فى الداخل وبين الامم فى الخارج· وعلينا أن ندرك أننا نعيش عصر المجتمعات المخططة ومن واجب المتصدرين للتثقيف أن يدركوا تماما مدى أهمية العوامل الاخلاقية والروحية فى هذا التخطيط

ان هناك للاسف من لايزال ينظر الى التخطيط الاجتماعى نظرته الى الميكنة الفيزيقية التى انشاها ، ومن ثم يقصر نظرته على الثورة التكنولوجية ··ومع ان هذه الثورة وحدها ـ دون عون من الروح والخلق ـ اضحت ثورة التلاشى والدمار انها تغير وتثير وتقفز بالمسارات التاريخية الى ابعد الحدود

انها تقدم الوسائل الجديدة والادوات المبتكرة وتفتح سبلا جديدة للثراء ، وفى الوقت نفسه تهيىء فرصا لمصائر الفناء والدمار لم تكن فى الحسبان ·

ان هذه الثورة التكنولوجية تحقق الى جانب ذلك سرعة انتشار الانباء والمعلومات والافكار وتقدم وسائل لا حصر لها للفتك والتدمير · انها باختصار تكاد تذهب عنا الاحساس بسعة العالم أو اتساع كوكبنا الارضى ·

ان هذه الحقيقة يجب أن تبعد الى الابد مشاعر العزلة الثقافية أو السياسية ، فان التقوقع والانعزال كان له ماض ولكنه بالتاكيد ليس له مستقبل ·ومن هنا ندرك انه ليست هناك جدران عالية تحمى اية أمة من الامم وتجعلها بعيدة عن مشكلات العالم ·

ان هذه المشكلات تعبر الحدود من خلال الاذاعة المسموعة والمرئية ومن خلال الطائرات والاقمار الصناعية ومن هنا فان كل أمة ستمارس حياتها السياسية تحت ضوء الملاحظة والمراقبة والنقد من الآخرين · ومعنى ذلك أن كل فكرة أو أيديولوجية أو مشروع ذى أهمية لبعض الناس أو الامم سيختبره الرأى العام العالمى حتى قبل أن يتبنى من الوجهة القومية فى الامة ذاتها ·

ان الامم الآن تعيش فى أبنية شفافة معرضة لكثير من الفضول ، ومستعدة لتلقى العديد من التعليقات والنصائح من الخارج ، لانه لا يمكن لاية أمة ان تحيا بمعزل أو أن تخفى ما يجرى فى ساحتها بعد هذه الثورة التكنولوجية الهائلة ·

ومعنى ذلك بصريح العبارة ان التغيير الذى أحدثه العلم قد تحقق بسرعة مذهلة فى ميادين التصنيع والتغذية والاسكان والصحة · ان العلم ـ اذا أراد الانسان ـ

يستطيع أن يحول الصحراء الى روضة غناء ، كما يستطيع ان يحيل المدن العامرة الى أرض جرداء . وهذا يتوقف بالطبع على الهدف او الغاية التي يتوخاها العقل والضمير الانساني .

ان العلم قد أمد الحكام والمهنيين على شئون الناس بالخبراء وسلحهم بالوسائل التي تمنح القدرة في ميدان الحياة أو ميدان الموت بالنسبة للاخرين . حقا انه لمن المحزن ان ينحرف العلم الذي يستطيع أن يمنح الانسان خيراته وبركاته عن هذا المسار ليسوق اليه الدمار والخراب .

ان مأزق العالم الآن يتمثل في أن المكاسب السياسية والحضارية التي ظفرت بها البشرية عبر القرون مهددة الان بالخطر الوبيل عن طريق توظيف التكنولوجيا لتثبت الطغيان والسيطرة العامة وبطش الانسان بأخيه الانسان .

نحن نواجه الان اما اتحادا عن طريق الغزو والقهر وسلب الحرية وضياع ثمار الحضارة ، واما اتحادا عن طريق التآخي والاتفاق بصورة تنمي قيمنا الثقافية والدينية وموارد تحررنا وكرامتنا التي نعزها فوق اعزازنا للحياة ذاتها .

اننا نخطو بخطا ثابتة نحو السلام اذا تمكنا من تسخير هذه القوة التكنولوجية في منح الناس سعادة دنيوية تأتي من الكفاية الاقتصادية وتحسين أحوال المعيشة ، ولكننا يجب أن نتذكر أن هذا مجرد بداية لعمل أكثر دأبا وكدحا ومعاناة نصل منها الى الكفاية العقلية والروحية

فلنبذل كل جهودنا في سبيل صوغ النظام الذي يكفل فيه استخدام هذه القوة لصالح الانسان ونفعه ولا يخفى علينا أن انتفاع الانسان من القوة الميكانيكية او التكنولوجيا يعتبر مشكلة عالمية ، ومن ثم يجب معالجتها من خلال المنظمات العالمية وليس من خلال دولة واحدة او مجموعة من الدول المحتكرة .

انه بغير سيطرة شعوب العالم على القوة التي يمنحها العلم لكي تسخر في صالح هذه الشعوب ، فانه لا يمكن ان يحرز السلام التقدم العالمي المنشود ، الذي يكفل تقدم الانسان من جميع الوجوه بما فيها الوجه الروحي والخلقي .

لقد أدرك المعاصرون ان التكنولوجيا تعتبر الوسيلة الخطيرة اما لتحريرنا ومنحنا حياة أفضل ، واما لدمارنا وتلاشي آمالنا الى الابد .

والعامل الفيصل في هذا المضمار سيكون الاعتماد الواعي على الديمقراطية الحقة التي لا تعتمد على البحث العلمي وحده ، أو على التقدم التكنولوجي والتنظيم الاجتماعي وحسب ، بل تعتمد أول ما تعتمد على التخلق النابع من أعماق الافراد من حيث كونه تعبيرا عن الولاء والاخلاص للقيم من افراد احرار في حياة مستقرة فعالة مترابطة . ومن هنا يبدو في وضوح ان الدين لا يمكن ان يؤدي وظيفته الاجتماعية الحقة من حيث التربية والثقافة الا في ظل ديمقراطية سليمة تكفل له تمام الحرية ، ومن الناحية الاخرى فان الفهم الصحيح للدين شرط ضروري واساسي لوجود الديمقراطية ذاتها .

ان الديمقراطية اذا لم تستطع أن تنمي في المواطن الالتزام الجاد بالقيم التي هي في أصلها دينية أو خلقية، فانها لا تستطيع كذلك أن تواجه أو تصارع النظم الدكتاتورية التي تقدم دائما ولاءها للدم والتراب مما يعصف بآمال الانسان .

ان علينا في النهاية ان ندرك ضرورة اعداد تركيبتنا الثقافية بعناية وبصر وذكاء بحيث تشمل خلاصة معطيات ديننا مبثوثة في خلايا نظمنا التربوية ، كما تشمل حصيلة الانجازات البشرية في كل مكان دون تعصب او انغلاق . وبهذا نفتح الافق رحبا لمزيد من الاخاء ومزيد من التآلف بعد التعارف ومزيدا من رقع السلام على اهل السلام . ●●

الاسكندرية بين ثلاثة من أدباء القرن العشرين

● ماهر شفيق فريد ●

● حوى احد الاعداد الاخيرة من « مجلة اللغات الحديثة » ، وهي فصلية بريطانية عديدا من المقالات عن موضوعات مختلفة : رسالتان عن الكاتب المسرحي الاليزابيثي جورج تشابمان ، مقالة عن التصميم الخلقي لمسرحية « القلب المحطم » للكاتب المسرحي الاليزابيثي جون فورد ، مقالة عن حل العقدة في مسرحية كوردني « السيه » ، مقارنة بين فولتير ومالبرانش دراسة للدلالة الادبية للاحلام في روايات جوليان جرين ، ضياع حمار سانكو بانزا واسترداده في رواية سرفنتيس « دون كيشوت » ، شعر الفطنة عند الشاعر الاسباني جونجورا ، ودراسة عن رواية توماس مان « الجبل السحرى » .

وفي باب عرض الكتب الجديدة نجد مقالة للدكتور محمود المنزلاوى ، الاستاذ بقسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سابقا ، والاستاذ بجامعة برتش كولومبيا حاليا . وموضوع المقالة هو مدينة الاسكندرية كما تتجلى في كتابات ثلاثة من ادباء القرن العشرين هم الروائي الانجليزى ، ا . م . فورستر الذى ألف كتابين عن عروس البحر المتوسط ، والروائي الانجليزى لورنس دريل صاحب رباعية الاسكندرية ، والشاعر اليوناني قنسطنطين كافافي .

ومناسبة المقالة هي صدور كتاب عنوانه « الاسكندرية ما تزال : فورستر ودريل ، وكافافي » من تأليف جين لاجوديس بنشين عن مطبعة جامعة برنستون الامريكية .

يقول الدكتور المنزلاوى : لم تكن الاسكندرية ، في نظر هؤلاء الكتاب الثلاثة ، مجرد موضوع . ان رؤياهم للمدينة واحدة من خيوطهم الرئيسية . والايمان بروح المكان ـ خاصة هذا المكان ـ جزء أساسي من نظرتهم الى العالم . ولدى ثلاثتهم ، نجد ادراكا عميقا لمدينة الاسكندرية وكأنها شخص ومكان في آن واحد ، بؤرة حياة داخلية . كما انها مسرح نشاط خارجي . أضف الى ذلك أن شعر كافافي ، ونظرته الى المدينة ، قد أثرا في الروائيين الانجليزيين اللذين يصغرانه . ومن ثم كان الجمع بين هؤلاء الكتاب الثلاثة عملا نقديا خلاقا .

على ان كتاب الدكتورة بنشين متفاوت المستوى : فهي تراوح بين ادراكات وتحليلات رهيفة وعدم اصابة للهدف ، انها لا تجيب عن هذا السؤال الجوهرى الى أى مدى كانت الاسكندرية عند كل من هؤلاء الكتاب رؤية ذاتية ؟ وهي تقدم تاريخا وجيزا للمدينة ، تعوزه الدقة أحيانا ، وتؤكد واقعيتها في شعر كافافي وتشير الى أن فورستر ودريل وجداها مدينة منفرة في البداية،قبل أن تجتذبهما فيما بعد . وعلى الرغم من سلامة ادراكها لتخطيط مدينة الاسكندرية ، فانها لا تشير الى أخطاء دريل في وصفها : انها أخطاء بسيطة ، ولكنها تبرهن على ان اسكندرية دريل اسقاط ذاتي .

واقيم مافي كتاب الدكتورة بنشين هو الملامح المشتركة بين هؤلاء الكتاب : النوسطالجيا أو الحنين الى الماضي ، والادب باعتباره ذكرى وذاكرة ، وحضور الماضي المستمر ، فضلا عن المؤثرات المتبادلة بين الكتاب الثلاثة .

ان الجمال الغلاب لشعر كافافي انما ينبع من حدته المتحكم فيها . وترجع هذه الحدة الى أن عقل كافافي الشعرى سابق للحداثة ، يتجنب الاشادة بالانتصارات ، ويركز على التفاصيل الصغيرة ولحظات الفشل ، ويحتفل بالفقدان والفراق والنهايات ، ويركز على حواف الكوارث التاريخية لا على مركز

العاصفة : كما ترجع حدته ــ فى المحل الاول ــ الى قدرته على تحويل خبراته المعذبة المريضة القبيحة الى فن دافىء جميل وصحى · ذلك ان كافافى الذى فقد ايمانه الدينى قد تحول الى الايمان بالماضى الهيلينى ، وكاد يحيله الى عقيدة دينية · ان مغامراته الغرامية ، وحياته الداخلية ، وشعره ، أجزاء من منظور اغريقى ، وكذلك الشأن من الاعمال الفنية والوجوه التى يصفها ·

وربما كان خير نقد أدبى فى كتاب الدكتورة بنشين هو تلك الاجزاء التى تدرس فيها عناقيد قصائده التاريخية ، والملحق الذى تقارن فيه بين الترجمات الانجليزية لعمله ·

***

وفى القسم الخاص بفورستر ، تناقش الدكتورة بنشين أعمالا ربما كانت هى أول ناقد يناقشها ، رغم ان كتابها قد تلاه الجزء الثانى من كتاب ب · ن · فيربانك « حياة ا · م · فورستر » (١٩٧٨) انها تناقش مساهمات فورستر فى كتيب عن مصر أصدرته الجمعية الفابية البريطانية فى ١٩٢٠ ، ورسائله الى الصحافة البريطانية ، ومقالاته الاثنى عشر فى صحيفة « اجبشيان ميل » ما بين ١٩١٧ و ١٩١٩ ، وهى مقالات لم يعد طبعها فى كتابيه « فاروس وفاريلوف » و « حصاد أبينجر » ان هذه الكتابات تثبت أن فورستر ، على العكس من دريل ، كان فاهما لمشكلات مصر ، متعاطفا مع شعبها ·

درس فورستر الافلاطونية المحدثة لفلاسفة الاسكندرية ، ومهد ذلك لدراسته الديانة الهندوكية فى رواية « طريق الى الهند » او « رحلة الى الهند » · وقد كان شكل كتابه المسمى « فاروس وفاريلون » ومحتواه متأثرين بكافافى ، كما ان كتابه المسمى « دليل الى الاسكندرية » ، وهو رؤية تخيلية لتاريخ المدينة وطوبوغرافيتها يحمل كثيرا من روح كافافى ·

ولا تذكر الدكتورة بنشين ، كما لا يذكر ب · ن · فيربانك ، ان كتاب فورستر « دليل الى الاسكندرية » يحمل اهداءين : فالطبعة الثانية (وقد صدرت فى الاسكندرية عام ١٩٣٨) مهداة « الى ق · ك » اى قنسطنطين كافافى الذى توفى فى ١٩٣٣ · والطبعة الاولى (وهى صادرة فى الاسكندرية عام عام ١٩٢٢ مهداة « الى ج · هـ · ل » او ج · هـ · للمؤلف الذى عرف فورستر بأماكن الاسكندرية ذات الاهمية التاريخية ويمثل هذا التغير فى اهداء الكتاب نقله من دين فورستر العملى للمؤلف الى دينه الادبى والوجدانى لكافافى ·

وتعلق الدكتورة بنشين على الطابع « غير الكافافى » لمزاج دريل ، وتكاد تقر بعيوب هذا الروائى المتقاره الى التعاطف الاجتماعى فى تصويره لمجتمع أجنبى ، ميله الى الاثارة والتضخيم ، نظرته الى الآخرين وما تتسم به من تعطف وتنازل ، الزواله الجنسية الفاقعة · ومع ذلك فهى لا تقدم تقييما كليا لهذه المآخذ ولا لغيرها كاهتزاز الاطار الذهنى لعالم دريل ، وما يعتور قدرته على الملاحظة من عيوب ·

ان بنشين تكتب بعض صفحات طيبة عن المدينة باعتبارها صورة مصغرة للعالم الحديث عند دريل ، ومسرحا لنموه كفنان · بيد ان لا منطقية دريل المتسمة بالادعاء تنتقل عدواها الى الكاتبة فى بعض الاحيان : فهى تريدنا ان نصدق ان دريل يملك معرفة المؤرخ بالمدينة ، واهتماما بها على انها « مدينة الله » ، اذا استعرنا تعبيرا للقديس أوغسطين ·

***

ويشترك الكتاب الثلاثة فى نظرتهم الى الاسكندرية على انها مكان يعين اللامنتمى على تحرير ذاته من ضيق افق المؤسسة الاجتماعية وتزمتها ، وانهم يستخدمون رؤية تاريخية خيالية من اجل بلوغ هذا الهدف ، على ان ما يميز كافافى على صاحبيه هو انه « عاش » فى المدينة طوال حياته ، بينما هما لايعدوان ان يكونا قد « اقاما » بها فترة من حياتهما ، ومن ثم كانت نظرتهما اليها على انها مكان ساحر غريب · ان كافافى سكندرى اصيل ، ورؤية دريل الذاتية تعمر المدينة بأشخاص من خلق خياله القوى ، وفورستر يشغل مكانا وسطا بين كافافى ودريل من حيث ان تعاطفه وفهمه قد اديا به الى رسم صورة للاسكندرية تجمع بين الموضوعية والاخلاص ·

رحلة حياة وفن وأدب

مع يوسف جوهر

الكويتي

● حوار اجراه : عادل عبد الصمد ●

لا شك عندي في ان الكاتب الكبير يوسف جوهر واحد من الذين لهم بصمات جوهرية في عالم القصة والفن والادب في عصرنا الحديث ...

فاذا كان جيل تيمور ومحمود طاهر لاشين ويحيى حقي يعد الجيل الاول الذي هو جيل الرواد فان نجيب محفوظ ويوسف السباعي ويوسف جوهر وعبد الحميد جودة السحار ومحمود البدوي ومحمدعبدالحليم عبد الله هو جيل من اصلوا الفن القصصي ، وعمقوا جذوره في ادبنا ..

وقد عرف يوسف جوهر بوداعته في حياته كما عرف بوداعته في قصصه ، فعندما تلقاه تلقى فيه الرجل الذي يسالم نفسه ويسالم الآخرين ولذلك فهو كاتب يعيش مع ابطاله ونماذجه واسرته واصدقائه بنفس السلام الذي يعيشه مع نفسه ، وما اكثر وأحب الذي يقال عن يوسف جوهر كاتبا اديبا وفنانا مبدعا ..

وليت الصفحات تتسع لابراز بعض جوانب أدبه وابداعاته .. ولكن أوجز ما يقال ان كتاباته تصدر عن موهبة حقيقية وثقافة خصبة ، ومعاناة جادة تحقق له بها هذا الحصاد الوفير الذي تلقفه القراء بشغف واعجاب ..

وحول مسيرته في طريق النجاح في الصحافة وفي السينما وفي المحاماة ـ يقول يوسف جوهر :

هو مشوار حياة رجل بسيط وانسان عادي .. لم أكن طفلا خارق الذكاء او متميزا عن اقرانه في فصول الدراسة الابتدائية بمدرسة الاقباط في طنطا .. ولكن معلم اللغة العربية اذاع اني « شاطر » في الانشاء ، وأوقفني مرة فوق مقعد لاتلو على اقراني « الموضوع » الذي حاز اعجابه .. لعل شيئا من المجاملة كان وراءهذا الاعجاب، فقدكان صديقا وزميلا لابي ، ولكني أعتقد ان التشجيع « اكسير » يملؤنا حماسا ونشوة ..

.. بعدها كبرت الحكاية في مخي وارسلت « مقالا » لجريدة مصر وانا في الصف الرابع الابتدائي .. لدهشتي نشر المقال ، لا أذكر موضوعه، وان كنت اذكر انه كان كله سجعا !

كان ذلك نحو عام ١٩٢٥ وكنت في الثالثة عشرة ، وكنت وحيد والدي ، فنشأت على ضفاف نهر الحب ، حب عميق لم أدرك مدى عمقه الا بعد أن أصبحت أبا ، ولكن كان هم والدي ان يغرسا في الفضائل ، وأن يحببالي المثل العليا ، ومن هنا كان اغراء ابي لي بالقراءة حيث كان قارئا نشطا يختار لي كتبا جيدة ومجلات جيدة ..

وتدق في ذهني الآن عناوين في مجلتي المقتطف ، والهلال ، فقد اشعل أبي في حبي للقراءة .. قادني الى مكتبة البلدية في طنطا ، هناك وعلى مدى أعوام

دراستي الثانوية توثقت صداقتي بالكتب ..

● جيل له فضل كبير ●

جيلنا مدين لاقطاب فى الترجمة ، اتاحوا لنا التعرف الى آداب الغرب ، وتداولنا على أيديهم شكسبير ، وتشارلز ديكنز ، وموباسان .. اذكر منهم محمد السباعي والمنفلوطي والزيات ..

لا اذكر ان كان الكبابي على القراءة هو الذى جعل منى غلاما منطويا ، أم ان الطفل المنطوى اختبأ فى غابة كبيرة ..

خلال دراستي الثانوية حلمت ان اكون كاتبا .. كنت اجرب ما اكتبه فى صديقين ، فصلنا واحد ومنازلنا متقاربة اطربني تشجيعهما • وترقبهما بشغف ما تجود به القريحة .. شوقى فرج ، وفؤاد توما .. صارا من رجال التعليم ، وبلغا سن المعاش ، تصلنى منهما أحيانا رسائل حتى اليوم ، تقول : انهما يتابعان ما أكتب ..

ثم كان شقيق صديقى وليم ــ يملك سينما فى طنطا ، والجيب كان خاويا • كان ثمن التذكرة « ثلاثة تعريفة » أعفانى منها الصديق الكريم ، وأصبحت زبونا مقيما فى السينما .. راودتنى احلام جديدة ، ان أكتب قصة كهذه القصص المعروضة على الشاشة ..

سخر منى صاحبى .. السينما كانت صامتة • والحوار كان يكتب على شاشة صغيرة مجاورة للشاشة الكبيرة ، والموسيقى كانت اسطوانات تصاحب العرض ! ..

ثم يستطرد يوسف جوهر فنان السرد والحوار ، حكاية مشوار حياته:

فى القسم الادبى بالمدرسة الثانوية احببت المسرح ، كان يعلمنا الانجليزية ، استاذ انجليزى قرأنا على يديه روايات كاملة من شكسبير اذكر منها « العاصفة » و « تاجر البندقية » ، لم تكن « موضة » الروايات المختصرة والمبسطة قد ظهرت•

التعليم زمان كان جديا .. ولا أحسب ان طالب الثانوية العامة الآن يحسن اللغة الاجنبية كما كنا نحسنها • وهم يعتقدون بهذا أهم مفاتيح الثقافة •

التدريس حقيقة فن .. ومدرسنا مستر جونز كان استاذا محبوبا وكان يغرينا بتمثيل شكسبير بلغته في الفصل



يوسف جوهر

.. لم اكن موفقا مع اساتذة اللغة العربية ثم لم تنعقد بينى وبين قواعد اللغة العربية اواصر الالفة •

وكنت بليدا وما ازال فى الاعراب ، وكان استاذنا يبدى دهشته من بلادتي في النحو وشطارتي فى الانشاء ! .. واشفقت ان اقول له ان استاذ الانشاء المكتبة والقراءة .. ومع خيبتي فى قواعد اللغة فانني لا اكاد الحن اذا قرات واواسى نفسى بان العرب القدامى لم يكونوا يتعلمون اللغة فى مدارس ونطقوها سليمة مثل سيبويه •

● مسرح زمان كان المعلم ●

وعندما اتساءل عن دور مسرحنا وماذا اصابه ..

يغوص يوسف جوهر داخل نفسه وذكرياته ــ يقول : المسرح كم هو فى العقول الغضة • لو كان عندنا مسرح حقيقى لكان المدخل للثقافة الرفيعة والقيم العظيمة •

عندما كانت تأتى فرقة رمسيس الى طنطا كنا نعتبر ذلك عيدا .. اذكر ان يوسف وهبى جاء الى طنطا ومثل رواية اسمها « الجحيم » الذى نضحك منه الآن كان يبكينا .. وكنت اغلق على نفسى حجرتى فى البيت واعيد دور تمثيل البطل من الذاكرة واخرج الى الناس بعد ذلك وقد بح صوتى ! •

وكون استاذ الجغرافيا عزيز الريس فريقا للتمثيل .. بادرت الى الالتحاق به ، بدأت بروفات تمثيل مسرحية لويس الحادى عشر .. اظن ان جورج

أبيض طيب الله ثراه ـ كان يمثل الدور
جاء أوان توزيع الادوار واجراء « البروفات » ، واعطاني الاستاذ عزيز دور جندي يحمل بندقية ويقول جملة او جملتين ثم ينصرف .. صعبت علي نفسي .. خلعت بذلة الجندي وانصرفت بهدوء ! ..
في اليوم التالي نظر الي عزيز في حصة الجغرافيا وهو يبتسم .
بعد الحصة وخروج الاولاد من الفصل استبقاني ،كان جادا خفيف الظل صارحني انني لو اصررت علي التمثيل في مستقبل ايامي فلن احظى باكثر من مثل دور الجندي الذي يحمل بندقية ! .
وحاول أن يقنعني ان المقالات التي اكتبها في مجلة المدرسة تنبيء عن كاتب وانا دوري في المستقبل سيكون وضع الكلام في افواه الذين يقفون علي خشبة المسرح ! ..
ما احوجنا الي المعلم الذي يلمس باناملي الحنان والفهم نفوس تلاميذه الغضة المضطربة الحائرة وكيف تتبين الطريق .

● نبوءة تحققت ●

● من خلال هذه الرحلة من تتذكر من الاساتذة الذين لهم صدى كبير على وجدانك وشعورك حتى الآن ؟
يقول يوسف جوهر في مدونة المعتاد:
صورة عزيز الريس .. ما تزال مرسومة في خيالي .. كنا نحبه ونكره الجغرافيا .. احببناها من أجله ، ما أزال أذكره وهو يحدثنا عن منخفض القطارة منذ قرابة نصف قرن .. كان المشروع حيا في فكر الواعين من ابناء مصر ..
كلما تذكرت هذا هالني ان المشروع نام كل هذه السنين في كهف قصير النظر .. ماذا كان يمكن أن يحقق من خير لمصر لو انه بدأ في موعدة ذاك .. حقا ان من امراضنا المتوطنة اننا نسير في امورنا الحيوية سير السلحفاة ..
نفكر اليوم في اصلاح نظم التعليم ، والمشكلة قائمة منذ سنين بعيدة ..

كان واضحا منذ التزمنا بتعيين خريجي الكليات النظرية اننا سنكدسهم في مكاتب بلا عمل ، وسنضعهم في مواقع لا تصلح لهم ولا يصلحون لها .
بعد عشرين سنة من حديثي مع استاذي لقيني مصادفة في قطار حلوان .. ذكرته بالماضي ، قال لي ضاحكا « صحت نبوءتي واصبحت كاتبا » !
اعترضت مداعبا : « لست كاتبا مسرحيا » .. قاطعني : « لا تغالط ، انك تضع الكلام في أفواه الممثلين الذين يظهرون على الشاشة وتصل الينا أصواتهم من الراديو ! »

● هل كتب يوسف جوهر للمسرح

ـ كنت قد كتبت للمسرح رواية واحدة بالاشتراك مع سليمان نجيب ، الرواية الثانية كانت ايضا بالاشتراك مع زميلي يوسف حلمي المحامي عن قصة لي اسميناها « امراة من السماء » قبلتها الفرقة القومية .
كان زكي طليمات هو المشرف على الفرقة والمخرج للرواية لا اذكر اقترح ان نحول المسرحية من الفصحى الى العامية ، رفضنا واصررنا على الرفض . ايهما اقرب الى الذوق : ان نقول للخادمة « اعطني يا فتاة علبة السعوط » ام ان نقول « اديني يا خضرة حق النشوق »
وكان يوسف حلمي رحمه الله شابا نابها : دخل معهد التمثيل أول انشائه ثم تركه الى كلية الحقوق وصار فيما بعد محاميا نابها . وكاتبا مرموقا ، من أوائل من كتبوا العمود اليومي القصير في الصحافة .
وكنا نقرأ له «همسة» في روزاليوسف اليومية اذا لم تخني الذاكرة ، وكان من رواد القصة القصيرة ، وكان يشهد لي اني اكتبها أحسن منه ، وهذا خلق قلما نلتقي به هذه الايام !
وانشأ مجلة الكاتب ، وكنت من كتابها ، ولكنها لم تصمد طويلا تعرضت للكساد .. وكان يوسف من أصحاب المواقف المتشددة والرأي الجريء .

«... لم أستطع أن أعطي المحاماة كل قلبي ... ورأيت على كتابة القصة، ومن بابها دخلت السينما، وكانت فنا جديدا باهرا، وخيل الي أن التعبير بالصورة ليس أقل شأنا ولا شرفا من التعبير بالقلم...»

ولكن المحاماة لم تبتسم له بعد ان أهملها في سبيل الرأى ومات بعد أن هاجمه السرطان في ظروف قاسية .

● الافتتان بالقصة القصيرة ●

عفوا عن هذا الاستطراد ، ولنعد الى الطالب الذى يوشك أن ينهى دراسته الثانوية ويعشق الادب ، واحسبنى فى تلك المرحلة قد التقيت بمحمود تيمور على صفحات « الهلال » ، وكان يوقع قصصه بما يفيد انه يكتبها من لوزان . وبدأت افتتن بالقصة القصيرة ، واتعقبها عند محمود تيمور والمازنى وغيرهما ممن كانوا يكتبون فى السياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعى .

● التشجيع عصا سحرية ●

فى مستهل دراستى للحقوق ارسلت قصة بالبريد الى جريدة السياسة ، وفوجئت بها منشورة فى نفس الاسبوع! وفوجئت باستاذنا محمد عطية الابراشى وكان يلقى علينا دروسا فى الادب فى اعدادى الحقوق ، يدخل الفصل وفى يده الجريدة ويجلسنى مكانه لاقرأ قصتى ، ثم يتعهدنى ويرشدنى الى امهات الكتب فى الادب العربى .

واعود واكرر ان التشجيع له فعل السحر .. وخاصة ما وجدته وانا طالب مغمور فى الحقوق - نشر لى احمد الزيات فى الرسالة واحمد امين فى الثقافه قصصا ارسلها بالبريد . وكتب احمد الصاوى مقدمة لقصة ارسلتها الى « مجلتى » انه يتوقع لى مستقبلا باهرا .

وتخرجت فى كلية الحقوق فى الاربعينات .. وبدأت امارس المحاماة فى طنطا .

وارسلت الى مصطفى امين وكان يرأس تحرير آخر ساعة القديمة - قصة نشرها لى مذيلة بتوقيعى «المحامى بطنطا» وفوجئت برسالة منه يدعونى الى لقائه ويقول انه كان يبحث عن عنوانى حتى دللته عليه ، وطلب الى مصطفى امين أن اخص آخر ساعة بقصصى . وبشرنى انه سيدفع لى جنيها عن كل قصة .. واكد لى انه لولا ثقته بأن قصصى ستجلب القراء لما تعاقد معى ..

وقبلت ، ولم يخطر ببالى انه سيأتى يوم يدفع لى اخبار اليوم مائة جنيه فى القصة لى .. وأشهد لمصطفى امين انه ملأنى حماسا بأن حرارة استقباله لقصصى وحفاوة على امين بها شحنتنى بالقدرة على الاستمرار .

ولما ترك مصطفى امين آخر ساعة الى مجلة « الاثنين » تركتها معه ، ولما كتب لى اميل زيدان صاحب دار الهلال انه سيدفع عن القصة ثلاثة جنيهات الا ربعا: يكملها الى ثلاثة فى القصص الممتازة ، دخل مصطفى امين معى فى مفاوضات لكى تصل الى خمسة ، وهو الاجر الذى يتقاضاه كبار الادباء فى ذلك الزمان !.

واخلص من هذا انه لم يكن فى وسع الكاتب ان يعيش من قلمه ، ومن هنا عرجت بين الادب والمحاماة ...

● واقاطع الاستاذ يوسف جوهر وأتساءل : الى اى حد استفدت من مشاكل الناس التى تعرضت لها من

خلال ممارستك للمحاماه .

يقول يوسف جوهر بعد أن استرجع شريط ذكرياته :

اعتقد ان المحاماه افادتني ... المحامي الذي يتعامل مع نماذج شتى من البشر ، لم اسكن في الريف ولكن الريف جاء الى مكتبي . وصادقت الفلاحين . وقرأت في وجوههم الام شعب كادح يمتصه الاقطاعيون والامراءالذين يملكون الارض وما عليها : لا تستطيع أن تدرك قدر ثورة ١٩٥٢ الا اذا كنت قد خالطت مجتمع السادة والعبيد ، وفجعت بتمكن روح العبودية والاستغلال وتتئد .

وفي مكتب المحامي تلتقي باهل المدينة .. بقصص الحقد والحب والانتقام والفضيحة ، والقتل بأجر والقتل لصراع على جنيهات قليلة ..

وتجد نفسك وجها لوجه أمام القاتل الحقيقي الفقر والجهل وانعدام الامل .. أحزاب ما قبل الثورة وهي تجند الشعب في معارك حزبية لا ناقة له فيها ولا جمل .. معارك النفوذ والمصلحة الخاصة .. امراض متوطنة من الحق ان نقول انها تأصلت وامتدت بعد الثورة ، وفتكت بالثورة حينا وفتكت بها الثورة حينا .. ميراث ثقيل .. معركة ضارية، والمعارك الصعبة تحتاج الى نفس طويل .

من عالم الاربعينات استوحيت قصتي الطويلة « عودة القافلة » وأنا محام صغير .. أعلن مجمع اللغة العربية عن مسابقة للرواية الطويلة ولم يكن قد بقي بيني وبين موعد اقفال باب المسابقة وقت طويل .. ولكن صديقي انور احمد وكيل النيابة وعبد الرحمن سعيد المحامي في طنطا ، ملآني حماسا .. وكتبت الرواية أو قل « سلقتها » وشرعنا نحن الثلاثة في تبييضها من المسودات .. فلم يكن نقدر على أجر الآلة الكاتبة ـ ثلاث نسخ خط يد . وارسلنا الى المجمع في قطار الفجر .

ودخلت الرواية المسابقة .. المحكمون كانوا من فحول الادباء تيمور والعقاد وطه حسين وحسين هيكل وآخرون من أعضاء المجمع اللغوي .. المسابقة كانت جادة والحكم على كاتب قد يرفعه أو يخفضه ..

ظهرت النتيجة ، والناجحون في الإمتحان كانوا عادل كامل ، ونجيب محفوظ ، وباكثير والسحار وكاتب هذه السطور .. ورأيت اللجنة أن احدنا لا يستحق الجائزة كاملة ، وكانت مائتي جنيه قسموها بيننا ، وخصوا قصة عادل كامل « ملك من شعاع » بعشرين جنيها زيادة لتميزها عن القصص الاخرى ..

هكذا كان سحر الادب ، ولعلك تفهم الآن معنى القول « أدركت فلانا حرفة الادب » كان عادل كامل كاتبا واعدا ومبشرا بمستقبل عظيم ،ولكنه لم يستطع الصمود كما صمد نجيب محفوظ ،وتفرغ للمحاماة .

ولكنني لم استطع أن اعطي المحاماة ودابت على كتابة القصة . وبعدها دخلت السينما .. وكانت فنا جديدا باهرا . اصل الى ان التعبير بالصورة ليس اقل شأنا ولا شرفا من التعبير بالقلم .. فبالصورة تستطيع أن تخاطب الجمهور الذي لا يقرا ولا يكتب ، والأمية متفشية والسينما تستطيع ان تكون للشعب كتابه المفتوح .

وتسألني هل نجحت القصة السينمائية في مصر واين القصة السينمائية الاصيلة واين المسرحية العميقة ؟

وهذا السؤال يثير شجوني .. ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية دخل السينما الكثيرون من رعاع المولين الذين اصابوا الثراء من التعامل مع جيوش الحلفاء وكان الجهل هو رصيدهم الوحيد وحالفهم في الركب الموزعون والمنتجون الدخلاء . من الوافدين من البلاد الشقيقة ولم يكن هم هؤلاء جميعا الا الربح . ولم يفطنوا أن للسينما رسالة ..

وفي هذا الجو المهين والمتبط حاول استديو مصر أن ينهض برسالته ، وقدم كثيرا وليس دائما فنا رفيعا .. وأذكر ان حسن سعيد وكان مديرا لاستديو

مصر ارسل الى فى ذلك المخرج ابراهيم عمارة رحمه الله يدعونى للكتابة للسينما

● الادب والسينما وجهان لعملة واحدة ●

وقد أخذت الامور ماخذالجد واحسبنى حاولت أن أعقد الوفاق بين الادب والسينما وان أقنع المنتجين بان القصة المصرية هى سبيلهم الى الانتاج القيم ..

والى حوار قصصى كتبت السيناريو والحوار لقصتى توفيق الحكيم الرباط المقدس والايدى الناعمة ، وقصتى طه حسين دعاء الكروان والحب الضائع وبين القصرين لنجيب محفوظ .

وفى المسرح كما فى السينما يظل المبدأ الاقتصادى المشهور « ان البضاعة الرديئة تطرد البضاعة الجيدة » ...

حتى اليوم نجد أن لمسرح روض الفرج امتدادا فى مسارح القطاع الخاص ، ويشفق هذا المسرح من التعرض للخسارة اذا هو استعان بمسرحيات مصرية حقيقية ..

وما أيسر أن يمصر المتصدون للكتابة فى هذا المضمار المسرحيات الرخيصة ويضعوا عليها اسماءهم وان يستدرجوا الجماهير التى تريد ان تضحك بسبب أو بغير سبب .

نفس ماساة السينما .. ما أيسر أن تنقل فيلما اجنبيا وتوفر أجر المؤلف . لسان حالهم يقول : « لسنا فى حاجة الى نص » . اننا فى حاجة الى ممثل يضحك منه الناس ان ينطق بحرف .. ويبكون اذا دعاهم للبكاء ، فى فواجع غير معقولة ولا هى نابعة من مشاكلنا .

وقد حاول القطاع العام فى وقت ما ان يتصدى لهذه المشكلة وان يحتوى السينما والمسرح ولكن بعض العقول التى حاول أن يستعين بها للاصلاح كانت من القطاع الخاص وكانت سبب فساد هذا القطاع .. وكان هم الاقطاب الذين جاءوا لانقاذ السينما ان يشتروا قصص بعض الصحفيين ، واصحاب الاقلام التى لم تتصد من قبل للدراما واصحاب النفوذ الذين لم يفكروا فى الكتابة اطلاقا » .

وكيف يعيش كاتب يبذل من عمره فى كتابة رواية عاما أو عامين ثم يكون أجره عنها ـ اذا نجح فى نشرها مائة أو مائتى جنيه اذا كان مشهورا وخمسين نسخة اذا كان فى أول الطريق ..

وكيف يؤلف كاتب قصة للسينما وأجره هزيل ضئيل مضحك اذا قورن بأجر المطرب أو المضحك أو المرأة العارية فى أفلامنا المصرية .

وهذا يقودنا الى سؤالك عن رأيى فى نهب المترجمات الاجنبية ونقلها الى شاشة التليفزيون .. هذه مأساة من مآسى الكتاب الحقيقيين .. فكأن التليفزيون يقول لهم انه لا ضرورة لهم . وان كتاب الكلمة بالكيلو يستطيعون أن يغطوا احتياجات التليفزيون .. ويجب علينا أن نعيش مشاكل مجتمع الكتاب الروس ومهازل الكتاب الفرنسيين فى العصر الماضى ، لانه ليس عندنا مشاكل تشغلنا !

ومن رأيى ان هذا سيؤخر ظهور الكاتب المصرى .. لانه اذا كان كاتبا حقيقيا ، يستطيع ان يجرى بالسرعة التى يجرى بها دوستوفيسكى .. ولا أن ينتج فى وقت قصير ما انتجه الكتاب العمالقة فى عمر طويل .. والذى صار نهبا سهلا للمرتزقة من ادعياء التاليف .

وفى البلاد التى تعرف قدر نفسها وقدر الفكر والفن والادب .. يتصدى أهل الفن « لهاملت » مثلا لكى تعرض على المسرح والشاشة كما هى .. ويتبارى الروس والامريكان فى تقديم العمل المطابق لرؤية شكسبير . ومن غير ان يصرفهم ذلك عن ان يكون الانتاج فى اغلبه قوميا ومعاصرا لمشاكلهم الخاصة .. ان يكون هذا الانتاج نابعا منهم هو الاصل .. والتصدى لعمل من الخارج هو الاستثناء .. اما فى مصر فان العكس هو الصحيح .

هذه خواطر استسمحك فى القول انها نمت لى نمو الخاطر وقد اثارت شجونى .. وتستطيع ان تعتبرها ذكريات على هامش الرحلة .. رحلة حياتى . ●●

هؤلاء المثقفون الألمان التسعة تبيع كتبهم ٣٢ مليون نسخة كل عام

عندما قرأت هذا الخبر شعرت بالحسرة تملأ نفسي .

فنحن - اقصد الكتاب والمؤلفين - هنا نعمل ونشقى ولا نصل الى جزء من مائة مما يصل اليه المؤلفون في الغرب .

وصدقني عندما اقول ان لدينا مؤلفين يكتبون كتابات طيبة جدا وذات مستوى عال . ولكن تأليف الكتــاب عندنا محنة ، فبعد ان تفرغ منه تبدأ بالنسبة لك مأساة نشره .

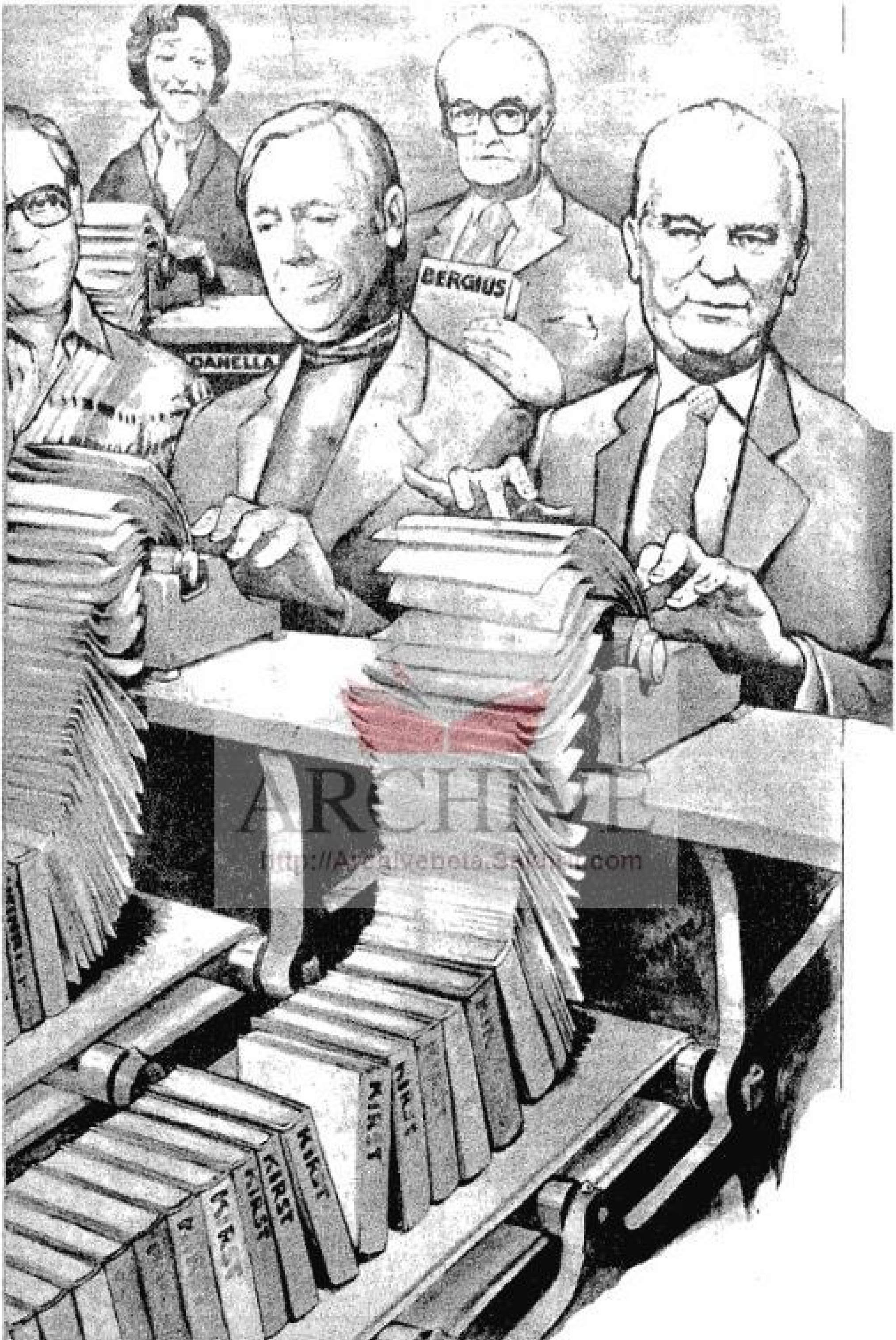
واقصى ما تطمح اليه آمالك ان تعطيه لناشر في مقابل مبلغ لا يعدل جزءا ضئيلا من ثمن الكتب التي اشتريتها لتؤلف الكتاب .

واذا كنت سعيدا اخذت منك الكتاب مؤسسة تعطيك نسـبة مئوية في الربح ، والى ان يطبع الكتاب ويمر عام لتحصل على شيء من الربح تكون الروح قد صعدت الى بارئها .

هناك يكسبون الملايين وهنا نجني الحسرات .

هؤلاء المؤلفون الذين تراهم هنا هم من اليسار الى اليمين نواك وباريتي وكونســاليك وزيمل وهاينريخ وكيرســت وبورك وفيشر وبيرجيوس .

اسماؤهم في المانيا والنمسا وسويسرا كالطبـل . والكثير جدا


BERGIUS
DANELLA
KIRST

ناس وصور وحكايات

من مؤلفاتهم يترجم الى لغات عدة ·

منهم الروائى والمؤرخ ومؤلف الاجتماعيات والمتخصصــــون فى السياسة الدولية والرحلات وادب الاطفال والتدبير المنزل ·

وسر نجاحهم الاول هى الموهبة ، فلاشك ان كلا منهم موهوب فى فنه ولهذا يقرءوه الناس ويتعاقد معه الناشرون ·

ولكن لماذا يقراه الناس ؟

لان هناك دور نشر عظيمة ·

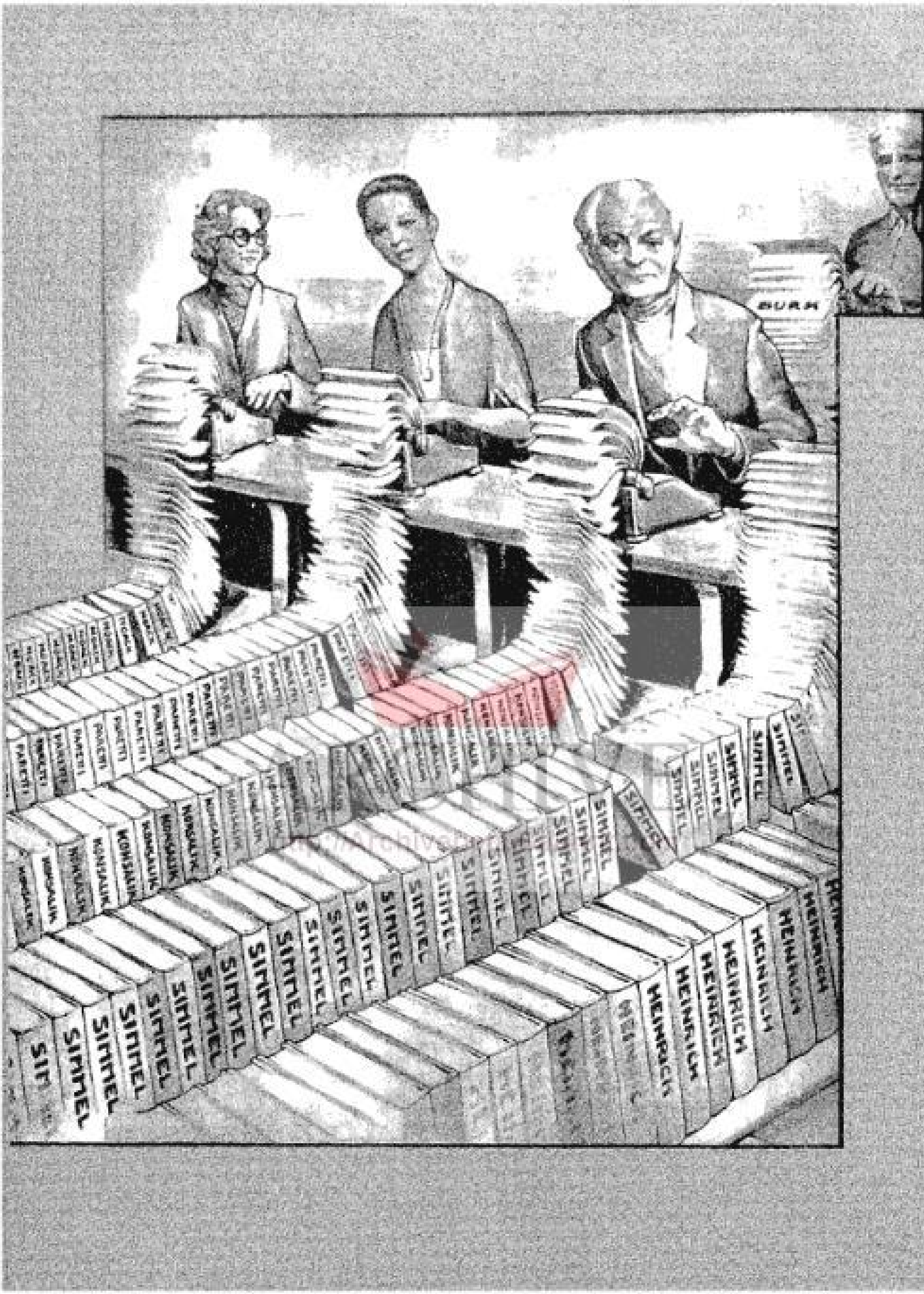
ودور النشر هذه عظيمة لانها تتقن عملية النشر وتعرف كيف توزع كتبها ، واذهب اذا استطعت الى دار نشر تنشر فى المانيــا تتعجب من الكفاءة والقدرة على التوزيع ·

ولو زرت من شــهرين دار نشر اجيلار فى مدريد فرايت من الاستعدادات ما هو كفيل ببيع اضخم الكتب ·

لان النشر صناعة ضخمة ولها أصحابها ·

ولو لدينا شركات نشر متخصصة لباعت كتبنا بمئات الالوف لان القارىء موجود وشركات النشر هى التى تنبهه وتلح عليه بالاعلانات والتسويق حتى يقتنع ويشترى وما دام هناك ناشر قوى فهنــاك كتاب جيد وهناك قراء كثيرون ·

ان نشر الكتب اليوم يعتبر من انجح الاعمال التجارية اليــوم ، فمتى يا رب تجد عنــدنا دور نشر تفتح امام المؤلف أبواب النشر وتوفر عليه العناء ·


SIMMEL
HEINRICH
KONSALIK

النساء
تكوّن
والدفاع عن النفس

تسود أوروبا اليوم موجة من الاجرام .

فالشوارع ملأى بشباب ورجال حرفتهم الخطف والضرب وربما القتل للحصول على المال .

وفي معظم العواصم الاوروبية يحذرونك من الخروج بالليل ، ويحذرونك من الذهاب الى الاماكن الخالية ـ كالحدائق والرياض ـ وحدك .

لان العاطلين ومدمني المخدرات يعتدون على الناس لاتفه المغانم ، لان المدمن لا يفكر الا في الحصول على ثمن حقنة المخدر . فقد يقتل رجلا لياخذ منه ١٠ او ٢٠ جنيها .

ومعظم العدوان يقع على الشيوخ والنساء .

لهذا لا يكاد الشيخ هناك يخرج الا لضرورة .

واما النساء فقد اقيمت لهن معاهد للتدرب على الدفاع عن النفس وفي الصورة ترى سيدة تدافع عن نفسها باساليب الكراتيه .



جرنيكا أزمة إنسان العصر

بقلم

• فتحي العشري •

● حدث مروع حقا ، ولكنه واحد من تلك الاحداث المروعة التي اعتادها قرننا العشرين ، منذ مطلعه وحتى الآن ... ومع هذا فقد حظى هذا الحدث المروع باهتمام الفنانين والشعراء والكتاب بطريقة متفردة ... وغدت « جرنيكا » مادة خصبة أكثر من « هيروشيما » و « ناجازاكي و « هانوى » و « بورسعيد » و « السويس » و « بيافرا » و « ديان بيان فو » و (بئر سبع) و (دير ياسين) و « القصبة » و « بيروت » وعواصم ومدن وقرى كثيرة أخرى في انحاء عالمنا المعاصر ..

و « جرنيكا » هي القرية الاسبانية التي القي عليها الالمان في عام ١٩٣٦ قنابلهم فدمرت عن آخرها ، وقتل الفين من مواطنيها المدنيين .

وقد تأثر « بابلو بيكاسو » الفنان العالمي الراحل والاسباني الاصل بهذه الجريمة البشعة ورسم لوحة في نفس العام تصور تلك المأساة اللاانسانية وأطلق عليها اسم القرية المنكوبة « جرنيكا » ..

وفي عام ١٩٤٧ وبعد لقاء مع « بيكاسو » وزيارة لقرية « جرنيكا » انفعل الشاعر الفرنسي الكبير والراحل « بول ايلوار » فكتب قصيدة رمزية بني عليها بعد ذلك سيناريو فيلم تسجيلي قصير يعتمد أساسا على « لوحة بيكاسو » .. أما السيناريو فهو مزيج من ايلوار ونثره ..

وقد قام الفنان الفرنسي الشهير « آلان رينيه » باخراج الفيلم وعهد الى الفنانة الفرنسية اللامعة « ماريا كاساريس » بالقاء الشعر والنثر معا ..

أخرج « رينيه » بطريقة جديدة تعد في الواقع تجربة رائدة في عالم السينما .. فلاول مرة تستخدم اللوحات مع الاشعار مع الكلمات مع الموسيقى مع الصوت في فيلم واحد ابطاله اللوحة والكلمه والنغمة والصوت البشرى ... وقد عرض الفيلم عام ١٩٥٠ على شاشة عادية بالابيض والاسود (٣٢٠ مترا) وفاز في مهرجان شمال فرنسا الثاني عام ١٩٥٢ بجائزة أحسن فيلم عن الفنون التشكيلية ..

●

وواصل « فرناندو ارابال » الكاتب العالمي والاسباني الاصل ايضا طريق التأثر والانفعال باحداث بلاده فكتب مسرحية قصيرة من فصل واحد لا تزيد شخصياتها عن خمس .. احدى هذه الشخصيات زوجة طاعنة في السن



بابلو بيكاسو



الان رينيه



بول ايوار

ومنهكة لا تظهر ابدا على خشبة المسرح ولكن صـــوتها المتهدج يتنـاهى من الكواليس مستانسا بحوار حزين وساخر مع زوجها العجوز المدفون حيا وســط حطام أثاث وجدران شقتهما الفقيرة التى اصابتها قنابل الغدر ..

اما « جرنيكا » وان عانت الحرب فهى تدعو للسلام وليس للاستسلام .. انها تعبير صارخ وحاسم عن الحرب والسلام معا ..

وهى الصــيحة المدوية التى تنــادى بمناصرة الشعوب الآمنة فى سعيها نحو تحقيق مستقبل افضل ، بجهودها الذاتية وصداقاتها مع شعوب العالم الحرة من حولها ، بعيدا عن الامبريالية التى تبنى سعادتها ورخاءها على أشـــلاء الشعوب الآمنة النامية ..

جرنيكا .. القرية

فى عام ١٩٣١ وامام قوة الجمهوريين تنازل الملك « الفونســـو » عن الحكم واعلنت الجمهورية الاســـبانيه الثانية برئاسة « زامورا » الذى اســتمر فى الحكم خمس سنوات امتلات بالاضطرابات بين التقليديين والراديكاليين ..

وانتهزت النــــازية الالمانية الفرصــة وشجعت « فرانشسكو فرانكو » ـ بحجة التدخل لانقاذ البلاد من الحرب الاهلية الدائرة والطامحة على الاستيلاء بقــواته المرابضة فى المغرب على حكم البلاد ..

ويعمـــل « فرانكو » منذ البداية على التخلص من خصـــومه ، فيبدأ بقــرية « جرنيكا » التى تتحول الى كبش فداء ، لانه بتدميرها يفرض سيطرته على البلاد وخاصة بعد أن تســـلم مدريد فى ٢٠ مارس ١٩٣٩ .

و «جرنيكا » هى احــدى قــرى اقليم الباســـك الواقع فى شــمال اسبانيا .. تعرضت القرية فجاة وبغير مقدمات فى يوم ٢٦ ابريل ١٩٣٦ وكـان يــوم السوق الاسبوعى ـ لوابل من القذائف التى اسقطتها الطائرات الالمانية بالاتفاق مع فرانكو ..

قتل الفان من المدنيين خـــلال ثلاث ساعات ونصف الســـاعة نتيجة لهـذا القذف المستمر الذى سوى مبانى القرية بارضها ودك بيوتها الصـــغيرة الواهنة باهلها الطيبين الوادعين .. والهـدف ـ وحشى حقير ـ هو اختبار تاثير القنـابل المتفجرة والمحرقة على السكان المدنيين ..

اما الكسب ـ الدنىء الرخيص ـ فهـو تخويف الاقليم كله وارهاب اسبانيا كلها حتى تسهل مهمـة الجنرال فرانكـو ـ صنيعة النازية ـ فى الاستيلاء تماما على السلطة ..

وكانت هذه الواقعة التاريخية المشينة مقدمة للحرب الاهلية الاســـبانية التى اندلعت فى ١٨ يوليو عام ١٩٣٦ ، كمـا كانت اشارة تمهيدية وحملة تجـــريبية للحرب العالمية الثانية (١٩٤١ ـ ١٩٤٤) .

جرنيكا .. المسرحية

ولد « فرناندو ارابال » عـــام ١٩٣٢ بمدينة مليلة فى مراكش الاســـبانية ،

وأتم دراسة الحقوق بمدريد ، ثم نزح الى فرنسا ، شأن كل كتاب الطليعة واللامعقول ، واستقر بها منذ عام ١٩٥٤ حتى اليوم ..

و « أرابال » يكتب مسرحياته باللغة الفرنسية ويترجمها بنفسه الى لغته الاصلية الاسبانية ، على العكس من « بيكيت » الذى يكتب مسرحياته بلغته الاصلية الانجليزية ، ثم يترجمها بنفسه الى الفرنسية ..

ولكن بينما نقل « بيكيت » الايرلندى « جيمس جويس » الى لغة وطنه الثانى ، نقل « أرابال » بعض أعمال الكاتب الفرنسى « جان جونيه » الى اللغة الاسبانية ..

كتب « ارابال » أولى مسرحياته وهو فى العشرين من عمره ، تحت تأثير احداث الحرب الكورية بعنوان « نزهة فى الريف » الجندى زابو يلتقى وهو عائد من الجبهة وجندى من جنود الاعداء اسمه زيبو ، يتمكن زابو من أسر زيبو ، ويقع الاول فى حيرة ، هل يعود بأسيره الى جبهة القتال مرة اخرى ، أم يطلق سراحه حتى يتمكن من الاستمتاع باجازته فى ريف والديه ؟!

واخيرا يقرر ان يطلق سراح الجندى الذى لاذنب له فى الحرب ، فالحياة اهم من الحرب والريف أروع من ساحة القتال ..

ويطالعنا « ارابال » بموقف مشابه فى مسرحيته الثانية « السفاحان » ..

وبعد هاتين المسرحيتين ، كتب « ارابال » ست مسرحيات « مقبرة السيارات » و « التيه » و « الاوركسترا المسرحى » و « الحفل الكبير » و « المهندس المعمارى » و « امبراطور آشور » و « جرنيكا » ..

ولنتوقف قليلا عند احدى المسرحيات الثلاث الاخيرة

ان مسرحية « المهندس المعمارى وامبراطور آشور » تعد قمة الاعمال التى قدمها ارابال حتى الان ، لا لانها جاءت بعد أن اكتمل نضجه الفنى ، ولكن لانها جاءت لتعبر اكثر من غيرها عن الرؤية الفكرية التى ظلت تراود احلام هذا الكاتب طوال رحلته المسرحية ، رؤية تتمثل فى « السيكودراما » أو « التحليل الدرامى » بمقدار ما تتمثل على حد تعبير ارابال نفسه فى محاولة خلق مسرح يمتزج فيه الشعر بالفكاهة والحب بالخوف بحيث يصبح الكل شيئا واحدا .. هنا ، وهنا فقط يتحول الضحك فى المسرح الى اوبرا تشبه فانتازيا دون كيشوت »

ولكن ماذا فى هذه المسرحية ؟ !

لاشيء فيها سوى شخصيتين: المعمارى والامبراطور .. وعنهما وحدهما تصدر الاحداث ، وهى تبدأ وسط بقعة خالية فى غابة صغيرة ، تمتد حتى تصل الى جزيرة اصغر يعيش فيها هذا المهندس المعمارى ..وفجاة يكتشف المهندس الذى ظل يعيش وحيدا فى الغابة ، عريه، فيغطى جسده بجلد حيوان .. وبينما هو كذلك يسمع ازيز طائرة ، فيهرع مذعورا يبحث عن ماوى يختفى فيه ، ويظل يجرى فى كل اتجاه ولكنه لا يجد فى النهاية غير الرمال الملتهبة يدفن فيها راسه ..

وبعد قليل يهبط الامبراطور ارض الغابة وتحلق الطائرة عائدة الى حيث جاءت .. اما الامبراطور فيحمل فى يده حقيبة كبيرة ، ويحتفظ بهدوئه وبرود اعصابه ..

تلك هى البداية التى تنطلق منها المسرحية ، وهى بداية تشبه الى حد بعيد مغامرات روبنسون كروزو ، كما كتبها « دانيال ريفو » فى روايته الشهيرة ، لتدل على ظاهرة الاحساس بالوحدة واستلهام الطبيعة بعد ان شعر الانسان بلا جدوى المجتمع وانهيار الحضارة ..

ومسرحية « ارابال » تشبه « مغامرات روبنسون كروزو » لان المكان واحد : جزيرة صحراوية ، والشخصيات واحدة: انسان بدائى واخر متحضر .. والاسلوب واحد : تناقض هاتين الشخصيتين فى

طريقة الفهم واسلوب التفكير .. غير ان الشخصيتين هنا وبخلاف «مغامرات روبنسون كروزو» تحاولان خلق مواقف درامية تطلقان فيها العنان لابكارهما وخيالهما وكل ما يختزن ويعتمل في داخلهما .. فالمهندس المعماري يسميه المؤلف «سيد الطبيعة» والامبراطور الذي يسميه « سيد الحضارة » .. والاثنان يعيشان كل الوان الكوميديا الحزينة التي تمتليء بالوقاحة كما تمتليء بالهذيان والتي تسبح في قبو الكوابيس والاحلام

انهما وجها العملة في المسرحية ، ولذلك يغيران مواقعهما ويتبادلان دوريهما بحيث يصبح الامبراطور هو المعماري كما يصبح المعماري هو الامبراطور .. ويقوم احدهما بدور الام ويقوم الاخر بدور الابن .. وهكذا في بقية الادوار التي نشاهدها على امتداد المسرحية .. الزوج والزوجة ، الفيلسوف والاحمق ، الممثل والمتفرج ، السفاح والضحية ، القاضي والمتهم ، السيد والعبد او السيد والقرقور .. اولسيد والقرقور متلازمان يرتبط احدهما بالاخر ارتباطا شديدا بحيث ينصهران معا في وحدة واحدة من الحب والكراهية ، وبحيث تنتهي العلاقة بينهما بأن يلتهم احدهما الاخر ، حتى يتحقق حلمهما في التوحد ، ذلك الحلم القديم الذي تمكن منهما وتسلط عليهما منذ البداية ، بداية لقائهما لاول مرة ..

والان : هل يمكننا ان نجد في هذا النوع من المسرح بداية لشيء جديد ؟!

ان « مسرح ارابال » هو « مسرح الدراما المثيرة » لانه يتناول موضوعات انسانية واجتماعية فاضحة ، ويعمد الى تعرية شخصياته بعد مواجهات حادة وجريئة .. ولذلك اهتم اهتماما بالغا باللغة كوسيلة لنقل افكاره المجردة واللامعقولة احيانا ، تمشيا مع مدرسة العبث او اللامعقول اكثر من اهتمامه بالحدث الدرامي نفسه ..

وهذا ما سنراه في مسرحية «جرنيكا»

في مسرحية « جرنيكا » نرى شخصية واحدة هي « فانشو » الزوج العجوز الذي يعاني سكرات الموت وهو يثرثر حول الحرب الدائرة بعنف .. ولا نسمع غير صوت شخصية اخرى هي « ليرا » الزوجة العجوز ايضا والتي تعاني وسط الانقاض داخل البيت المتهدم بقنابل الغارات الوحشية ..

والاثنان يتحدثان بلغة خربة كالدمار المحيط بهما ، ويتخاطبان بكلمات جوفاء كالحياة التي يعيشان فيها ويعيشانها ، ويتناجيان بهمسات ضالعة كالشباب الذي ولى بأيامه السعيدة ولحظاته الجميلة ، قبل ان تقع الحرب وتقع فيها كل الاحلام والاماني الباقيات لهما المتبقيات في عمرهما ..

انهما يعيشان وسط العبث ، بعد ان فقد المنطق معناه ، وفقد الانسان وعيه ، وفقدت الحياة بهجتها ، وفقد الحب جلاله .. واستحال السلام والامان والامن الى رماد ، كما استحالت الحرية الى عدم ..

ومع هذا ، كل هذا ، تبقى قراءة المسرحية ، كما كتبها ارابال ، فعلا لابد منه ، لما لها من مذاق خاص ، وان كان مرا ، وطعما متميزا وان جاء لاذعا ان مسرحية « جرنيكا » شأن مسرح ارابال كله ، من ذلك الطراز الذي لا يصح لانسان ان يعترض على الشكل الذي صب فيه ، تماماً مثل مسرح شيلدرود ..

فارابال الاسباني الاصل يصور الحب الذي يتعدى نطاق الحب الانساني الطبيعي ، انه الحب المؤسي الى درجة الهزل ، وهو الحب الذي يتغذى بالسادية وينمو بالماسوشية او هو في كلمة واحدة الحب غير السوي

ولعل هذا هو السبب الذي جعل مخرجي المسرح الفرنسي يهتمون بارابال مؤخرا ، بعد أن ظل طويلا في منطقة الظل ، لا يلقى من العناية والاهتمام ما لقيه « بيكيت » و « يونسكو » و « جونيه » و « اوديبرتي » مثلا ، على الرغم من اصالته وطرافته في آن واحد

محمود سامي البارودي

● مصطفى الشهابي ●

كان ذا شخصيتين متناقضتين هما : الشاعر المتواضع المطبوع الصادق الشاعرية في عصر انصرف فيه غيره من الشعراء الى الزخارف والصناعة ، فاستطاع أن يوجه الحياة الادبية وان يغني للامة العربية · شعرا ملك عليها السمع والوجدان ..

والشخصية الثانية هي شخصية الزعيم السياسي والقائد العسكري الذي اعلن الثورة على الطغيان وطلائع الاستعمار ، وقدم لبلاده ما يملك من مال واهل ونور عينين ، ذلكم هو محمود سامي البارودي الذي رد الى الشعر روحه العربية واصالته ..

ولد البارودي في ٢٧ رجب سنة ١٢٥٥هـ الموافق ٧ اكتوبر سنة ١٨٣٩ ، ونشأ في بيت مجد ، فهو ابن حسن بك حسني احد أمراء المدفعية ، ثم صار مديرا لدنقلة وبربر في عهد محمد علي الكبير · وينتهي نسبه الى احدى الاسر المملوكية ، وسمي البارودي نسبة الى ايتاي البارود التي كانت التزاما لاحد اجداده · وكان البارودي يعتز بهذا النسب فيقول

انا من معشر كرام على الدهـ
ـر افادوه عزة وصلاحا ...
عمروا الارض مدة ثم زالوا
مثلما زالت القرون اجتياحا

وتوفي أبوه وهو في السابعة من عمره وتلقى المبادىء الاولى لتعليمه على يد مدرسين كانوا يحضرون اليه في منزله ، ولما بلغ الثانية عشرة التحق باحدى المدارس الحربية « المفروزة » مع امثاله من احفاد المماليك وأبناء الاتراك ، وتخرج منها بعد اربع سنوات في أوائل عهد محمد سعيد باشا والي مصر الذي كان يعتقد ان تعليم الناس يجعل حكمهم عسيرا ، ولذا حل ديوان المدارس (وزارة التربية والتعليم) والغى أغلب المدارس ، وكان كثير التردد ازاء الجيش فتارة يزيد عدده وتارة اخرى يسرح اغلب رجاله ، كما تغلغل نفوذ الاجانب في عهده وتملكوا الاراضي ·

وبدات عملية حفر قناة السويس التي اودت بحياة كثير من الفلاحين كما اثرت على الانتاج الزراعي · كل ذلك دفع بالبارودي الى التفكير في الرحيل عن مصر ، فشد الرحال الى الاستانة ، وتقلد منصبا بوزارة الخارجية التركية لمعرفته باللغة التركية ، التي اجادها ونظم الشعر بها كما درس الفارسية

وآدابها . وعاد الى مصر في أوائل عهد الخديو اسماعيل الذى الحقه بحاشيته عندما زار قائمقام تركيا عقب توليه حكم مصر .

ولما رجع اسماعيل الى مصر الحقه بالجيش المصرى وظل يرتقى فى مناصب الجيش حتى بلغ رتبة قائمقام (عقيد) فأميرالاى (عميد) واشترك فى حرب جزيرة كريت التى كانت تابعة لتركيا وثارت عليها ، وقد فتنته مناظر الجزيرة والمعارك فسجل ذلك فى شعره ..

ثم عين كبيرا لياوران الامير محمد توفيق ولى العهد سنة ١٨٧٣ ، ثم عاد سكرتيرا خاصا لاسماعيل سنة ١٨٧٥ .

وكان البارودى من ضباط الحملة المصرية التى أوفدتها مصر عام ١٨٧٧ بمعاونة الاتراك فى حربهم ضد الروس ، وابلى فى المعارك بلاء حسنا فأنعم عليه برتبة اللواء ، وعاد لمصر وهو فى الاربعين من عمره فعين مديرا (محافظا) للشرقية ثم محافظا للقاهرة ، ثم وزيرا للاوقاف والمعارف فى وزارة شريف باشا الثانية (وكانت الاولى فى أواخر عهد اسماعيل) عقب تولى الخديو توفيق ثم اقتصر على وزارة الاوقاف حتى اسندت اليه نظارة الجهادية (الدفاع) بعد استعفاء عثمان رفقى وزيرها أثر بدء الحركة العرابية واحتجاج الجيش على رفقى باشا الذى كان يضطهد الضباط المصريين . ثم تولى رئاسة الوزارة حتى ١٧ يونيو سنة ١٨٨٢ .

الثورة العرابية :

اتصل البارودى بالسيد جمال الدين الافغانى فى مجالسه الخاصة كما تردد عليه الافغانى بسرايه بباب الخلق (ميدان احمد ماهر) وتأثر بما كان ينادى به الافغانى من اراء ، وخاصة تنديده بما كانت مصر تعانيه من فساد وظلم وحكم مطلق ووجوب وضع حد لكل ذلك .

ولم يقتصر البارودى على الافغانى وتلاميذه كالشيخ محمد عبده وسعد زغلول وغيرهم بل اتصل ببعض كبار الضباط ، وتجاوبت الافكار التى يكتمونها والاحاسيس التى يكونونها ، جذرا من طغيان اسماعيل وزبانيته .

فلما حدثت التظاهرة العسكرية الاولى ، ضد رفقى باشا وعزل ، اصبح البارودى وزيرا للجهادية ، وقد اهتم باصلاح الجيش فزيدت المرتبات وعدل كثيرا من القوانين ، واكتشف الخديو توفيق علاقة البارودى بعرابى وزملائه فناصبه الخديو العداء حتى اضطر الى الاستقالة فنفاه الخديو واشترط عليه الاقامة فى ضيعة له باحدى قرى مركز اجا بمحافظة الدقهلية .

ومنذ استقالته بدأ زعماء العرابيين يتقربون اليه ليقتسموه اليهم . وعين الخديو وزيرا جديدا للجهادية من اصهاره وكان جركسيا رجعيا حرم على الضباط الاجتماع فى المنازل وعدم مغادرة التكنات ونقل فرق الجيش الى مختلف الجهات وعاد للتفرقة بين الضباط المصريين وغيرهم من الجراكسة والاتراك .

وتكشف البارودى ما يتهدد الجيش والبلاد فعاد الى القاهرة وجعل من سرايه مكانا لاجتماع الضباط ليلا يتدارسون الموقف ويعدون لكل شيء عدته لتفادى ما يحيكه الخديو من مؤامرات لعرابى وصحبه ، هذا ـ فضلا عن تغلغل الاجانب وتطلع المصريون الاحرار للجيش الذى قام فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بالزحف فى عدة فرق الى ميدان عابدين ، ووجهت المدافع الى القصر واضطر الخديو لمقابلة عرابى ، وعندما قال توفيق : « ما أنتم الا عبيد احساناتنا » رد عليه عرابى بكلمته التاريخية الخالدة : « لقد خلقنا الله احرارا ، ولم يخلقنا تراثا أو عقارا ، فوالله الذى لا اله الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم ! » .

واضطر الخديو للتسليم بمطالب الثائرين وتشكلت وزارة جديدة كان البارودى فيها وزيرا للجهادية .

وهدأت الاحوال وتنحى العسكريون عن مسرح السياسة وعادوا الى ثكناتهم يرقبون الامور التى ما لبثت أن تعقدت وانتهت الى تدخل الانجليز والفرنسيين.

وانقاذا للموقف عين البارودى رئيسا للوزراء وعرابي وزيرا للجهادية · ولكن الانجليز والفرنسيين تدخلوا مطالبين بابعـاد عرابي عن مصر وانتهى تدخلهم بتقديم انذار بتسليم بعض طوابي الاسكندرية للانجليز وتجـريد باقيها من المدافع او تضرب الاسكندرية ، وكان ذلك يوم ١٠ يونيو سنة ١٨٨٢ وطبيعي الا تجاب هذه المطالب ولذلك ضرب الانجليز الاسكندرية فى صـباح اليـوم التالى ، ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ · وقامت الحرب التى سـاهم فيها البـارودى وانتهت بالهزيمة ودخول الانجليز القاهرة وتسليم عرابي والبارودي وآخـرين لسيوفهم وانفسهم للسلطة الانجليزية ، ثم محاكمة زعماء تلك الثورة والحكم على الزعماء بالاعدام وعلى الآخرين بالسجن واستبدل الاعدام بالنفى المؤبد خارج مصر مع التجريد من الالقاب والاملاك · وكانت سرنديب (سيلان) هى المنفى وفي عاصمتها كولبو اقام عرابي والبارودي وخمسة آخـرون · ثم انتقـل البارودى الى مدينة كاندى وفى تلك المدينة نظم البارودى اكثر شعر المنفى ·

ولم يكف البارودى في منفاه عن نظم الشعر الوطني والسياسي ، وفى بعض قصائده صور كبيرا من مفاسده عصره وحض على الثورة ضد الطغاة ، وفى احدى قصائده تعجب لنفيه وتعذيبه وهو لم يقترف اثما أو جريرة الا خـدمة وطنـه ودينه ، يقول :

ومـن عجـــائب مالاقيت من زمني
اني منيت بخطب امـره عجب ···
لم اقتــرف زلة تقضى علي بمــا
اصبحت فيه ، فماذا الويل والحـرب ؟
فهـل دفــاعي عن ديني وعـن وطني
ذنب أدان بـه ظلمـا واغتـــرب ؟

وعبر عن حنينه الى مصر وتمثلها عن البعد جنة دالية القطوف ، عبقة الشذى فيقول :

فيا مصر مد الله ظلـك وارتــوى
ثراك بسلطان من النيــل دفــق

ومنها

بلاد بهـــا حل الشــباب تمامى
وناط نجــاد المشرفي بعــاتقى
تركت بهــا اهلا كــراما وجـيرة
لهم جيرة تعتــادنى كل شــارق
هجرت لذيذ العيش بعد فراقهــم
وودعت ريعان الشــباب الغرانق
(الغرانق = الجميل الناعم

ثم اصيب البارودى بارتشاح فى القرنيتين افقده نور عينه ، كما أورثه طول النفى السقام والعلل فضعف سمعه ووهن جسمه حتى قال :

كيف لا اندب الشباب ؟ وقد اصـ
ـبحت كهـلا في محنة واغتـراب
اخلق الشــيب جدتى وكســانى
خلعـة منه رثة الجلبـــاب ···

ومنها :

لم تدع صـــولة الحـــوادث منى
غير اشـــلاء لقمة فى ثيـــاب

وازداد يؤسه لما علم بوفاة ابنتيه وزوجته وبعض اصحابه فابتدا الوهن يدب اليه ، وقرر الاطباء عودته الى مصر ، فعاد اليها بعد أن عفا عنه الخديو عباس الثانى فى سبتمبر سنة ١٩٠٠ ورد اليه حقوقه المدنية وأملاكه ، وعاد البارودى الى مصر ، ونظم حينئذ قصيدته المشهورة :

ابابـــل مـــرأى العين أم هـــذه مصر ؟
فانى ارى فيهـــا عيـــونا هى السـحر

وما كاد يستقر بالقاهرة حتى أصبحت داره منتدى الادباء والشعراء ٠ وكان من رواد ندوته اسماعيل صبرى ، وشوقى ، ومطران ، وحفنى ناصف ، وحافظ ابراهيم ، والشيخ محمد عبده ، وأخيرا وليس آخرا مصـــطفى كامل الذى كتب عنه فى جريدة ألواء قائلا :

« عاد محمود سامى باشا الى مصر تقدمه رحمة المصريين ، ويعلم العقـلاء انه أعظم القوم مصابا ، وأكبرهم خسارة ، اصيب فى ثروته الواسعة وفى جاهه الرفيع ، وأهله الكرام واصدقائه العقلاء ٠٠ وهو وان فقد كل ذلـك فله من نسبته الى الادب ، وكونه من آحاد الشعراء فى هذا العصر ما يقـــوم ببعض العوض ، ويصون قدره ٠٠٠ »

وكان اسماعيل صبرى يصطحب معه فى زيارته عبده الحـــامولى المغنى ، ويطلب البارودى من اسماعيل صبرى ان ينظم دورا بمناسبة الاحتـــلال وما جرى من احداث فى مصر فيلبى اسماعيل صبرى طلبه وينظم هذا الدور :

شـــفنا وعشـــنا سنين
ومن عاش يشـوف العجب

وقد قام عبده الحامولى بغنائه وغناه آخرون من بعيده ٠

وخير ما يختتم به الحديث عن البارودى هو قصيدته أو ملحمته التى سماها « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » وهى تتكون من ٤٤٧ بيتا ، ضمنها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مولده الى يوم انتقاله الى جوار ربه ، وقد بناها على ما ورد فى سيرة ابن هشام ، وهو يستهلها بقوله :

يا رائد البـــرق يمـم دارة العلم
واحد الغمام الى حى بذى ســـلم

وفيها ينتسب الى الرسول تأسيا بسلمان الفارسى ، ويجعل من حبه للرسول صلة تغنى عن القرابة والنسب ، فيقول :

يا ســيد الكـــون عفوا ان ألمت فى
بحبكـــم صـــلة تغنى عن الرحـــم
كفى بسلمان لى فخرا اذا انتســـبت
نفسى لكم مثله فى زمـرة الحشـــم ٠

وفى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ لبى البارودى نداء ربه فبكته مصر ، ورثاه الشعراء يوم الاربعين على قبره رثاء لم يسبق له مثيل ٠ وادوا حق الوفاء للرائد الذى رحل ، وأحيوا سنة لم تسبق لشاعر من شعراء العربية الا لشاعر المدرة٠

مواقف وذكريات

بقلم

الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى

● د . عبد العزيز القوصى ●

الاستاذ الدكتور احمد عبدالسلام

قيادة تربوية متميزة فى المجتمع المصرى

اسعدنى ان اقرا كتاب الهلال الذى صدر فى نوفمبر ١٩٨٠ وعنوانه « حقبة من الزمان » ومؤلفه استاذنا الدكتور احمد عبد السلام الكردانى

وقداسعدنى الحظ كذلك انتتلمذت عليه فى العشرينات حين كان يلقى علينا محاضراته فىالرياضة التطبيقية فى مدرجات مدرسة المعلمين العليا، وحين كان يحضر له مئات الطلاب وهم يستمعون لصوته الواضح ، ويتاملون رسومه المعبرة ، ويتابعون المعادلات التى تفسر مسارات هذه المقذوفات والعوامل التى تحدد هذه المسارات .. وكانغاية فىالرفق والعطف والحرص على مصلحة الطلاب ، ولكنه كان فى غاية الحزم والمضاء وضبط النظام وفى غاية الدقة وسرعة الخاطر

ومنذ ذلك الحين استمرت العلاقة بينى وبينه ، ففى عام ١٩٢٨ القيت امامه درسا على تلاميذ السنة الاولى بمدرسة شبرا الثانوية وكان الدرس عن المتسلسلات ، وكان هذا فى امتحان الدبلوم ، وكان الممتحن الثانى هو المرحوم الاستاذ ابراهيم تكلا . واذكر لهما بالخير هذه المناسبة فقد شجعانى ، وقد اعطيانى ما استحققت من درجات قريبة جدا من الدرجات النهائية مما منحنى فى نفسى ثقة بعيدة المدى فى مجال التدريس

ولما عدت من البعثة التعليمية فى عام ١٩٢٤ اصبحت عضوا فى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وقد اضافت هذه العضوية الى نفسى شيئا كثيرا فقد اصبحت قريبا من قادة الفكر حينذاك وهم احمد امين ، وطه حسين ، وعبد العزيز البشرى ، واسماعيل القبانى ، والكردانى وفريد ابو حديد .

ولم تكن اللجنة هيئة للتأليف والترجمة والنشر فحسب ، وانما كانت مدرسة فكرية يجتمع اعضاؤها

فى مساء كل يوم خميس للحوار والتحدث والمناقشة ، وكانت مدرسة فكرية كذلك عن طريق مجلة الثقافة ، فكنا جميعا نكتب ، وكان الدكتور الكرداني يراجع بعض ماتكتب ويوجهنا الى ما نكتب موضوعا وعرضا ، وكان يصحح بعض اخطائنا .

وبذلك تتلمذنا عليه فى لجنة التاليف عن طريق الحوار وامسيات الخميس وصفحات مجلة الثقافة .. كل هذا بالاضافة الى ما كنا نقرؤه مما كان يصدره من كتب مثل كتاب النجوم فى مسالكها وكتاب بتراند رسل فى التربية وغير ذلك كثير . وهذه الصلة التى بدات فى عام ١٩٣٤ بعضوية اللجنة مازالت مستمرة على نفس الصفاء والمتانة والتبادل حتى اليوم وهى فى كل يوم اقوى مما كانت عليه فى اليوم السابق ولم انفرد بالافادة من الدكتور الكرداني ومن قيادته فقد تاثر به مئات من شباب مصر فى كليه الهندسة وكلية العلوم ومدرسة المعلمين العليا وفى وزارة التعليم

ويتميز الدكتور الكرداني بميزات واضحة لعل اهمها حساسيته الشديدة لمشكلات المجتمع الذى يعيش فيه، فهو يشعر باتجاهات التعليم وبعيوبه، ومن فرط حساسيته بهذه المشكلات وبصيرته به تجده يثور عليها وينبه اليها ، فطالما لفت الانظار لضرورة تأجيل تعليم لغة اجنبية حتى يتمكن الناشىء من السيطرة على المقومات الاساسية للغته الوطنية ، فلا يجوز ان نعلم الطفل وهو فى ميعةطفولتهلغة غيرلغة الام الابعد انيتقنالنطق والكتابة والقراءة والفهم بلغته الوطنية ، ويقدر لهذا فى الطفل المتوسط ان يكون قد وصل بمعدلات التعليم الحالية الى سن العاشرة او الحادية عشرة .

وقد رأى الدكتور الكرداني انتكون هناك تجربة فى التعليم الثانوى فى مدينة نصر تجمع بين التعليم العملى والعلمى يجد ان اغلب خريجيها ينخرطون فى سلك التعليم الاكاديمى وان تجربة كهذه لا تهيأ لها الظروف بحيث تنتقل وتنتشر فى عدد من الاماكن الاخرى

وكثيرا مالفت الانظار الى وجوب الوقاية من تسرب الازدواجية الى جسم التعليم فى مصر ووجوب العناية بالجوانب العملية والبدنية والخلقية الى جانب النواحى العلمية بما ينمى القدرة على التفكير والابداع والتجديد ..

والدكتور الكرداني بطبيعته يميل الى التجديد لا للتجديد فى حد ذاته ولكن بما يضمن زيادة التقدم وزيادة الانتاجية وزيادة المردود .

ويتميز الدكتور الكرداني بحبه للخير وكان له فى والدته انموذجا لا يعدله شخص اخر فى حب الخير وفى الميل الى مساعدة من يحتاج الى مساعدة . واغلب ظنى انالدكتور الكرداني قد اكتسب من والديه جل ما تميز به من خلق فقد اكتسب الوفاء بالعهد من والده ، واكتسب حب الخير من والدته ، واكتسب التدين والايمان بالله والتعمق فى المشاعر الدينية من الجو الاسرى الذى عاش فيه .

ولا يمكنني استغراق ما يتميز به من صفات ثم اتابع جذورها ،فكلها صفات قيادية عالية شامخة اكتسبها من جو الاسرة التى نشا فيها فى

السنوات الاولى •

ومن خبرتي بالدكتور الكرداني ومما سرده في كتابه الشيق أراه من القادة البنائين . وهو يميل بطبيعته الى البناء .. ولا يميل الى الهدم الا اذا كان أمام امر لا يفيد بقاؤه ولابد من هدمه لاقامة بناء صالح في مكانه فكان ممن بنوا لجنة التاليف . وكان ممن بنوا معهد التربية ونموا جوانبه المختلفة وبعثوا كثيرا من الحيوية والنشاط فيه وكان ممن بنوا رابطة التربية الحديثة فقد دعا الى انشائها اواخر عام ١٩٣٧ وأوائل عام ١٩٣٨ وكنت أمينا للرابطة وكان الدكتور الكرداني هو المحرك للرابطة فبدات نشاطها بخمس محاضرات القاها بوفيه في اتجاهات التربية الحديثة . وتبع هذا مؤتمر اشترك فيها المربون والمسئولون عن التعليم ووزارة التعليم وكان للوزير « الدكتور السنهوري » ووكلاء الوزراء دور فيه. وكان موضوع المؤتمر « اساليب التربية الحديثة » والى جوار ما القى من بحوث وما جرى من مناقشات اقيم معرض كبير يضم اساليب التربية الحديثة ووسائلها زاره المدرسون واولياء الامور وقد سبق أعداد المؤتمر ارسال استفتاءات معدة اعدادا خاصا لجمع الاراء وللمؤتمر كتاب قيم .

واقيمت بعد ذلك مؤتمرات اخرى تناولت مشكلة الامتحانات والمدرسة الريفية وتدريس العلوم وتدريس المواد الاجتماعية وقامت الرابطة بدرس مشروعات الوزارة وبالرد والتعليق عليها . ولهذا كانت الرابطة تحت قيادة الدكتور الكرداني حركة تربوية ايجابية قوية لها اثر في مصروفي الوطن العربي وحين اقول الوطن العربي فاني أقول هذا لان الدعوة وجهت الى الدول العربية ، وقد اشترك بالفعل من ائمة المربين العرب الدكتور فاضل الجمالي والدكتور عقراوي والدكتور عبدالحميد كاظم والدكتور محمد ناصر وكثيرون اخرون

ومن الامثلة على اتجاهاته البنائية قيامه وابن عمه الدكتور علي الكرداني باصلاح قطعة كبيرة من الاراضي البور في شمال الدلتا . وتحويلها الى اراض زراعية والى حدائق مثمرة جميلة . واقتداء الناس به في هذا الامر العظيم

ومثال اخر في مجال التربية ما قام به من تطوير تربوي عن طريق المدارس النموذجية وعن طريق تجربة المنايل وهي تجربة تربوية اجريت في قرية المنايل باشراف رابطة التربية الحديثة والجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية وقامت التجربة على اساس جعل العمل ركيزة التعلم ، ويقصد بالعمل هنا العمل الجاد المنتج الذي يكون له مردود فمن طريق المدرسة ادخلت صناعة النسيج واصبح في اغلب البيوت انوال يشتغل فيها الجميع صغارا وكبارا ذكورا واناثا ولزم تعلم العد والقراءة والكتابة ولهذه التجربة بعض اثارها حتى اليوم ولها تسجيلها في كتاب المدرسة الريفية الذي طبعته الرابطة ونشرته في كل البلاد العربية .

ومن الغريب ان نرى استاذا من اكبر الاساتذة في العلوم الرياضية متخصصا رائدا في ديناميات الطيران يتسع افقه ليحتوي التربية بممارساتها الحديثة ويتسع ليحتوي ادارة المعاهد والكليات . وقد بدا لي الدكتور الكرداني كما لو كان افقه من المرونة والسعة بحيث يصعب عليك ان تجد له حدودا يقف عندها ..

وهو فى تعامله مع الناس على جانب كبير من السماحة والتقبل فهو لايتعصب لرأيه . واذكر له حادثا معى عندما كان عميدا لكلية التربية « اذ ذاك معهد التربية » كان زميلى بالمعهد الفنان الشامخ فى مجال الفن الاستاذ حامد سعيد وكان حامد سعيد دقيقا مع طلابه فاذا بدأت محاضرته فى التاسعة مثلا فانه يغلق باب حجرة المحاضرات فى التاسعة تماما . يمتنع على المتأخرين الدخول ويعد كل متأخر غائبا ، وكانت هناك نسبة حضور لا بد من تحقيقها والا حرم الطالب من دخول الامتحان.

دعانى الدكتور الكردانى الى مكتبه وسألنى كيف ابدأ محاضرتى وكيف احسب نسبة الحضور لطلابى ، فقلت له انى اترك باب المدرج مفتوحا وللطلاب حرية الخروج وحرية الدخول ماداموا لا يقطعون على كلامى ولا يقطعون على الحاضرين استماعهم . ويحدث عادة أن يحسن الطلاب استخدام هذه الحرية ولا اقدم للكلية الا حالات الغياب الصارخة وهى فى العادة والمحبة لاننى قريب من الطلاب ولأن الطلاب قريبون منى ..

فقال الكردانى ولكنى أريد أن تعمل ما يعمله حامد سعيد .. وشرح لى ما يعمله حامد سعيد . فقلت له فى اجابة حديثه لكل استاذ نمطه الخاص الذى لا يستطيع فى العادة تغييره ، وأرجو الا تطلب من حامد سعيد أن يكون توصيا ولا من التوصى أن يكون « حامد سعيد » ! ..

وبكل سماحة وبشاشة قال لى « عندك حق » .
وشعرت من نبرات صوته برضائه عن رأيه ..

فبالاضافة الى افق لا حدود له نجد سماحة لا حدود لها ، ونجد مرونة لاحدود لها ، ونجد مع هذا كله امنا وثقة وطمأنينة لاحدود لها ..

استاذنا الدكتور الكردانى عانى كثيرا فى حياته العملية فعانى اثناء دراسته فى البعثة عندما درس ديناميكا الطيران، وارادت له الحكومة الا يدرس هذا الموضوع ، واصرت على ارجاعه وقطع دراسته ، ولكن الله هيأ له صديقه « وصديقى عليه رحمة الله » الاستاذ مرياقص ميخائيل ، فقام بدور حاسم جعله يتم دراسته وينال درجة الدكتوراه ويعود مظفرا هو والدكتور ابو زهرة ، ثم عانى فى كلية الهندسة وعانى فى كل العلوم ، وعانى فى وزارة التعليم، ولكنه كان دائما ينتصر لانه كان دائما يقف الى جانب حقه .

والدكتور الكردانى حركة دائمة ونشاط دائم وبناء مستمر وعطاء لا ينقطع ولذلك فاننا نجده حيوية متجددة مستمرة وقد تعلمنا على يديه فى عام ١٩٢٥ ومازلنا نتعلم منه وعنه الشيء الكثير .

نعم لقد قارب السابعة والثمانين ولكنك تراه فتحسبه اصغر من ذلك بكثير وهذا شأن الاذكياء ممن يثقون فى انفسهم ويؤمنون بربهم ويحبون ما حولهم ومن حولهم ، فهم يبدون كبارا وهم صغار السن ويبدون صغارا وهم كبار السن .

مد الله فى عمره ونفعنا ونفع البلاد بعلمه وبفضله .

مصر.. في ضمير شاعر مهجري

« كان الشاعر محمد عبد الغني حسن — في خلال رحلاته الطويلة الى البرازيل وجزر المحيط الاطلسي والولايات المتحدة — يعتزم زيارة الارجنتين ليرى اخوانه ادباء العروبة وشعراءها المقيمين هناك.

وتوقع الشاعر المهجري « زكي قنصل » نزيل « بوينس أيرس » هذه الزيارة التي لم تتم .. فأعد القصيدة التالية التي لم يقدر لها الالقاء ، كما لم يقدر للشاعر المصري الالتقاء .. وهنا يسجل الشاعر المهجري « زكي قنصل » اجمل واصدق مشاعره نحو « مصر » أم الحضارة ، ومنارة الادب والعلم والعرفان »

● زكى قنصل ●

حيّيتك باسم عشيرة الأدباء … شادٍ يعيشُ على سرابِ رجاءِ
هاضتْ جناحيه الرياحُ عنيفةً … ورمتهُ بين البحر والصحراء
لم يجنِ من دنياه إلا خيبةً … أوَ تلك آخرة اليد البيضاء ؟
متغرّب عن عشّه ، متغيّبٌ … عن سِربه ، متعطش للقاء
الحربُ دائرة عليه ، وروحُه … في معزلٍ عن نارِها الحمراء
تجري وراءَ طريدة فكرية … وتحومُ حول خريدة عصماء
عيناهُ في « الزرقاء » تجتليانها … ويداه بين سفاسفِ الغبراء
لولا هوى « غلواء » لانطفأ السنا … في أفقه .. سلمتْ يدا « غلواء »
هي في متاهات الحياة دليلُه … وعزاؤه ، إن يفتقرْ لعزاءِ
ياشاعرَ الأهرام ! قلبي لم يزل … للشعر منشرحاً ، وللشعراء !
ولنفحة من روضة ريفية … والنغمة تتهاداه من ورقاءِ
يسمو الهزارَ ولا يضيقُ بناعبٍ … ويبش للسمراءِ والشقراء
لم تستطعْ غِيَرُ النوى ترويضَه … أو تغريه بوجاهة وثراء
إيوان « كسرى » لا يساوي عنده … بيتاً جميلَ السبكِ « للخنساء »
نبذَ السعادةَ لا يظل جناحها … قصرَ الأمير وخيمة السقّاءِ
يتشجّى لشدو حمامة وتمضّه … زفراتُ باكٍ أو عبوس مساء
يصبو إلى « وادي الملوك » ويشتهي … لو عاشَ في جنّاته الغنّاء
كم طفتُ بالأحلام في جنباته … وسعيتُ بين رماله السمراء
أنا ظامىء للنيل .. هل من رشفة … تطفي ، إلى نهر الخلود ظمائي ؟
أنا في عروقي حامل أنفاسَه … شمّوا دمائي تنتشوا بدمائي
أحببتُ مصر حضارة سيارة … فاضتْ على الآفاق بحرَ ضياءِ

قربت بأعناق الدهور جبينها ... بذروعها في الشمسة الزرقاء
أحببت مصر ثقافة بشامة ... تجتاز أرجاء إلى أرجاء
ملأت سماء المشرقين كواكبا ... فانجاب عنها ألف ألف غشاء
أحببتها مأوى لكل مشرد ... ومحجة للمسلم والعلماء
ترجى فتندى في الشدائد مشرد ... يرجى الكريم لشدة وبلاء
تعطى بلا من ، وتلك فضيلة ... شأن العطاء ؛ وذاك خير سخاء
أحببتها للعبقرية منبتا ... في غير مازهو ولا خيلاء
« شوقي » أميري لست أعرف غيره ... في الشعر جاوز قمة الجوزاء
حكم العصور تزاحمت في شعره ... وتلألأت في نثره الوضاء
لا يتهمني بالرياء مكابر ... نزهت قولي عن قبيح رياء
أو فليقل ما شاء .. أنى شاعر ... وزعت بين الأقرباء ولائى
أنا إن شنئت أخي ، فإني شائم ... نفسي ، ومنتهك ثرى آبائي
الشام مهدى ، والكنانة قبلتي ... ولواء لبنان الجريح نوائى
مهما تنابذنا فإنا أسوة ... عرب الآمال والأهواء
أم اللغات وشيجة ما بيننا ... بيان دان في الديار ونائي
جمعت قلوب العرب في ملكوتها ... وتردد ببلاغة وصفاء
في ظلها يبدون كل خصومة ... ولعزها يردون كل فداء
للشعر فيها ألف روض يانع ... ولطائرات الفكر ألف سماء
الفاتحون مضوا .. وظلت قلعة ... هل كان مجد السيف غير هباء ؟
من لم يشد بالحشية حائط ملكه ... فجنوده وجوده لفناء

●●●

قف يارسول الفن بين قلوبنا ... إنا غسلناها من البغضاء !
وانزل بلا حذر على أجفاننا ... فلقد حرسناها من الأقذاء
لا سوق في أدب الحياة لبدعة ... تختال بين رطانة وهراء
دعت الخروج على الجبال حداثة ... ما أضيع المؤلم بالظلماء
في زعمها . لغرورها وقصورها ... أن الفصاحة مذهب القدماء
مالى أجادلها ، وليس طعامها ... زادى ، ولا صهباؤها صهبائى
ياشاعر الأهرام تهنجك بهجتنا ... لا تلتفت للبدعة النكراء
ليس الأخ العربي ضيفا عندنا ... هو من صميم العترة الغراء
هو واحد منا سواء كان من ... وادى « الكنانة » أو ربى « الفيحاء »
إني بحثت فلم أجد أبقى ولا ... أنقى يدا من دولة الأدباء

الوهراني

الأديب الفنان الساخر
صاحب المنامات والمقامات والرسائل

● محمد المرسي محمد حسن ●

● من الكتاب الذين لم يصيبوا من الشهرة والمجد مثل ما اصاب القاضي الفاضل ، والعماد الاصفهاني ، وابن الصيرفي في القرن السادس الهجري محمد بن محرز الوهراني ، صاحب المقامات والرسائل . وهو اديب مغربي ولد بمدينة وهران قرب تلمسان ، وتنقل في البلاد الاسلامية وجالس العامة ، وعانى معهم متاعب الحياة وتقلب الاحوال ، فجاءت مقاماته ومناماته ورسائله صورا صادقة للواقع القاسي الذي يعيشه .

وبعد ، ان خرج الوهراني من موطنه ، امضى عمره متنقلا بين مصر وبغداد والشام .. ويبدو انه كان مقرئا ، وتولى الخطابة بداريا بدمشق وتوفي سنة ٥٧٥هـ

واجمل ما سطره الوهراني ، منامه الكبير الذي جاء تحفة فنية نفث فيها كل مايعتمل في صدره من مشاعر واحاسيس اتسمت بالكراهية والازراء بكثير من علماء عصره وفضلائه ، في سخرية بارعة وخيال خصب لا يخلو من مجون وخلاعة .

بدأ الوهراني منامه الكبير بثلاثة أبيات من الشعر اردفها بعبارات السرور والبهجة لوصول كتاب مولاه الشيخ الاجل الذي لم يذكر اسمه ، واكتفى بذكر القابه ، ويفهم من سياق المقام ان المقصود صديقه الحافظ العليمي الذي الف المنام من أجله ، ثم يقطع الحديث ليصور أحواله ومعاناته بمدينة قوص من أعمال صعيد مصر - ولم يذكر سبب وجوده بها .

« فرماه الدهر بالحظ المنقوص ، وطرحه في أرباض مدينة قوص ، يتقلى في حر السعير ، ولا يشبع من خبز الشعير ، ادامه البصل والصير ، وفراشه الارض والحصير » !

ويعيد الوهراني النظر في الكتاب الذي أرسله صاحبه يعاتبه على مخاطبته

اياه في رسالته بلا كنية ولالقب ، ذاكرا اسمه مجردا ، فيأخذه العجب من امر مولاه الذي لم تشغله مكابدة المعيشة في الشام وبغداد . فيرسل له كتابا «صفرا من الانباء ، خاليا من غرائب أخبار البلد عاريا من طرائف أحوال الاخوان » يستفتحه بطلب الثأر من مزاح الخادم لمخاطبته باسمه ، فظل متعجبا من مطالبته له بالاوتار الهزلية ، فيمتنع عليه النوم ثم تغلب عينه فيرى فيما يرى النائم أن القيامه قد قامت والمنادي ينادي هلموا الى لقاء رب العالمين » ..

ويبدأ الوهراني في رسم صورة من الفزع والخوف تنتابه ، وهو مرتعد تختلط لديه مشاعر الخوف بالسخرية والمرح فلا ينس وهو في تلك الحال ما تشتاقه نفسه وتحن اليه من الطعام :

« فقلت في نفسي : هذا هو اليوم العبوس القمطرير ، وانا رجل ضعيف النفس ، خوار الطباع ، ولا صبر لي على معاينة هذه الدواهي ، كنت أشتهي على الله الكريم في هذه الساعة — في هذا المكان — رغيفا عقيبيا ، وزبدية طباهجة ناشفة ، وجبن سنارى ، والحافظ العليمي ينادمني بأخبار خوارزم ، وفخر الدين بن هلال يغني لي :

يا اهل نعمان الى وجناتكم
تعزى الشقائق لا الى النعمان !

ثم يرسم الوهراني ببراعة ودقة صورة ساخرة لصديقه العليمي الذي يشاركه رحلة المنام :

« فاقبلت الى تجرى وما كلمتني كلمة دون ان لكمتني لكمة موجعة وشتمتني ولعنتني ، كعادتك عند الكلام ؛ وقلت لي: ما كفاك انك خاطبتني بنون الجمع وكاف المخاطب، حتى ذكرت اسمي بغير كنية ولا لقب .. فقلت لك : يا كافر القلب أما ترتدع ؟ اما ترتدع ؟ أما ترى السموات تنفطر مثل فطاير المزة في الكوانين » ..

وبسخرية لاذعة ينهي الوهراني الحوار معه فالموقف اعظم من أن يحتمل حوارا من أجل كنية ولقب ، « بالله عليك اترك الرقاعة عنك في هذا الموقف ، وهون عليك الامر واتركنا لما نحن فيه »

ولا يستمر الحوار بين الوهراني وصاحبه طويلا فسرعان ما يبصرهما مالك النار فيهجم عليهما ويحاول جذبهما الى النار فتنتابهما حالة من الروع والخوف لا يقدر معها الحافظ العليمي الا أن يخاطبه قائلا : « يامال » لا ترخيما للاسم المنادى ، وانما لانقطاع مادة الكلام من شدة الخوف »

ويحاولان ايهامه بأنهما من أهل العلم والقرآن فمالك متعجل حسابهما قبل المثول أمام الله ، لان العليمي رجل خبيث سيىء الاخلاق والسلوك ، وأما الوهراني فرجل مغربي متعب لاشك فيه :

« فاستشيطت انا عند ذلك غضبا واظهرت القلق العظيم وقلت له : المثلي يقال هذا الحديث ؟ والله لتندمن على هذا الكلام ، فقال لي مالك لعلك تريد ان تهجوني بشعر مثل ما رايت في صحائفك اليوم ، او تعمل في مقامة تذمني فيها مثل ما تفعل مع بني آدم » ..

فرجعنا حينئذ الى الملاطفة والسؤال »

وما ان يفلتا من قبضة مالك النار حتى يطلب الوهراني من صاحبه التوجه الى الاعراف ليتفرجا على الجنة فيرفض : « لان باسنامها أكثر من رجاتنا فيها . وفي المثل : « عين لا ترى ، قلب لا يحزن » !

***

والوهراني فنان مبدع يعتمد في تصويره لمواقف الحشر ورسم الشخصيات على اللقطات السريعة والحوار المركز الذي تتضح من خلاله آراؤه في كثير من الشخصيات والمذاهب ، فلم يكن شيعيا عن مذهب ولا سنيا عن عقيدة ، ولم يسلم أحد من سخريته وتهكمه لا من الشيعة والصوفية ولا من الفلاسفة وكبار القادة والعلماء .

وأجمل ما في المنام الكبير تلك اللقطة

البارعة التي صورها الوهراني بفنية ورسمها باقتدار . يعرض فيها لشخصية المهذب بن النقاش وهو أديب طبيب له مشاركة بالحديث ، ومن الشخصيات التي يسخر منها الوهراني في غير موضع من كتابه، ويبدو أن ثمة علاقات ومعاملات جرت بينهما خرج منها ابن النقاش مدينا للوهراني بعشرة دنانير وكانت هذه الدنانير تمنعه من دخول الجنة بعد أن تشفع فيه عزرائيل ملك الموت . فهو يريد ان يأخذ من حسناته ما يعادل خمسة عشر دينارا :

« فقال لي ابن أبي الصقر : ويلك يا أحمق ، يعطيك بعشرة دنانير .. أمن أوراده بالليل ، أو من تهجده بالقرآن في الاسحار ، أو من صيام الاثنين والخميس .. أو من مواصلة الثلاثة اشهر ، أو يعطيك من حجاته حجة مبرورة ؟ .. ما تستحي تتكلم بهذا الكلام ، في هذا المقام ؟!

فقلت فما أثبتوا له شيئا من غزواته مع نور الدين ؟ فقالوا : ما كان يخرج بنية الغزاه ، والاعمال بالنيات قلت : فما فعلت صدقاته ؟ فقالوا : يتكلم بالهذيان في هذا المقام ، ما أنت غريب عن هذا الرجل ولا أنت جاهل به ! ..

قلت : فصلاته اى شيء فعل الله بها ؟ قد كان يصلي المغرب في بعض الليالي اذا أقامته بغته وهو في وسط الجامع . فقالوا : وجدوا له ثمانين صلاة في ستين سنة منها ثلاثون بغير وضوء ، والخمسون مثبته له ، فخذها بارك الله لك في جميعها ! »

بهذا الحوار المبدع يجعل من النقاش اضحوكة القوم ومحل تفكههم ، فهو لا ينفي عنه التدين باساليب انشائية تقريرية وانما يلجأ الى أسلوب التعجب، فكأنه يستكثر ان يكون لابن النقاش هذه الصفات ، ويتساءل تساؤل العارف .

ويورد في ثنايا الحوار جملا ساخرة على السنة الآخرين تفوح منها رائحة التهكم في عفوية، بعيدا عن التقريرية والمباشرة: « ما تستحي تتكلم بهذا الكلام في هذا المقام » ، « ما انت غريب عن هذا الرجل ، ولا أنت جاهل به » « قد كان يصلي المغرب في بعض الليالي اذا أقامته بغته » ، و « ما كان يخرج بنيه للغزاة والاعمال بالنيات » !

والوهراني لا يدع ابن النقاش عند هذا الحد ، ففي مواضع أخرى من كتابه يسخر من علمه بالفلسفة ، ويرسم لنفسه صورا تهكمية يسوقها على لسان ابن النقاش ، كما يتوهم رأيه فيه .

ويثير الوهراني العجب في نفوس قرائه كيف يغفر لمن هذه حال تدينه ويدخل الجنة ؟!.. ولا يتركنا الوهراني حائرين فهو لن يحالل الرجل من دينه ويتمنى لو يحط من سيئاته عليه ، ولكن ملك الموت يخبره أن « الرجل مغفور له لا تناط به السيئات » فليس أمامه الا أحد طريقين اما العفو والا فليضرب رأسه في الحائط .. فيصبح الوهراني : دعوة مظلوم يا كريم . فيحيط به القوم من أصحابه ، ويبدأ هذا الحوار الفكه الذي يزيل به العجب من النفوس عن سر شفاعة عزرائيل لابن النقاش ودخوله الجنة :

« فقلتم لي : أنت مجنون تدري لمن تخاطب ؟ .. فقلت : لا ، فقلتم : هذا عزرائيل ملك الموت ، وهو يعني بالمهذب عناية عظيمة ، وهو الذي شفع فيه وخلصه من العذاب المقيم .. فقلت لكم من اين هذه المعرفة والمحبة بين المهذب وبين عزرائيل ؟ فقال لي أبو المجد بن أبي الحكم : من جهة الطب ، أما علمت بأن المهذب كان من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا .. ما دخل قط الى عليل الاونجزه في الحال فأراح ملك الموت من التردد اليه وشم الروائح المنتنة ،والنظر

الى شخصه المزعج ، وخلصه من الانتظار الطويل ! ..

ولقد اورد الوهراني هذا الحوار على لسان أبو المجد بن أبي الحكم ، لانه موتور من عزرائيل الذى ما تركه يتمم كتابا له فى « الطب » ولا تركه يتملى بأم أبي الحكم ساعة من الزمان فقد كان يضارب عزرائيل على المريض مضاربة تخرجه من فكه » !

ويعز على الحافظ العليمى أن يغضب عزرائيل من الوهرانى لانه لم يعف عن ابن النقاش فيطلب منه أن يكون صاحب فضل ويتجاوز عن دنانيره ، فتقول الجماعة : هذا هو الصواب .. « انهض على بركة الله » ، فيهرع الى الملك ويتجاوز عن دينه ، فيسر عزرائيل ويخبره بأنه يعيش بعد المهذب عشر سنين ، لكل دينار سنة » !

وهنا يبلغ تشفى الوهرانى من المهذب مداه ، فهو قد عفى عنه تفضلا ووجه عفوه الى عزرائيل وليس الى المهذب ، ولن يموت حتى يراه وقد ودع الدنيا ورحل عنها .. ألم يؤخذ وعدا بذلك من عزرائيل ؟

●●●

وفى مشهد اقبال نجم الدين ، وأسد الدين من بنى أيوب يجسد الوهرانى كراهيته للفاطميين فى الحوار الدائر بين أسد الدين ونجم الدين ، ويبدو انه كان ينافق الايوبيين ويساير العصر فالمعروف ان الدولة الايوبية قامت على انقاض الدولة الفاطمية ، والوهرانى لم يفعل هذا عن عقيدة ، فمن خلال كتابه لا نكاد نتعرف على ماهية عقيدته .فيورد على لسان نجم الدين موجها حديثه لاسد الدين قبل لقاء النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تذكره بمصر فهو موغر الصدر لاجلها . فيقول أسد الدين ما قتلنا أحدا منهم — يعنى الفاطميين ، ولا نقضنا له عهدا،ولا قبضنا على أولادهم حتى بغوا علينا وارادوا اهلاكنا واخراج الديار المصرية من بر الاسلام الى أيد المشركين » . ولا يترك الوهرانى لقاء النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى يجعله يتوج صلاح الدين برضاه : « فمسح على راسه ودعا له بالنصر والتأييد وأوصاه بالضعفاء والمظلومين » .

وهنا يبلغ الوهرانى قمة نفاقه ومحابته للايوبيين وكانه يعنى نفسه عندما ذكر : « الضعفاء والمظلومين » . والعداء مستحكم بين الايوبيين والفاطميين ، فلا يعقل ان يطلب من بنى ايوب الشهادة لدى امير المؤمنين رمز الشيعة فيذهب الى احد المشتغلين بالفلسفة « الشريف النقيب » يطلب شهادته فيما رماهما به أبو القاسم ليردا الحوض فيقول لهما: « انا والله فى هذا الوقت مشغول بنفسى » على ان شهادتى لن تنفعكم عنده لانى رميت فى مجلسه بالفلسفة والعمل باحكام النجوم » .

ويبرز مرة اخرى ابو القاسم الاعور وقد انشرح صدره لما أصابهما وشمت بهما : « لم يدعوهما ليهديهما سبيل الرشاد ويردا الحوض ، وهنا تحدث المفارقة المضحكة فالحافظ العليمى يرى ان :

« اذا كان الغراب دليل قوم
فلا يعدو بهم طرق الخراب »

الموت بالعطش ولا اتباع هذا الملعون » فيقول الوهرانى : « بالله تركتنا من خنقتك فليس هذا وقت صلف ولا انفة اما سمعت قول الشاعر :
لاتعجبن لخير ان السماك به
فالكوكب النحس يسقى الارض احيانا ».

وسرعان ما يوردهما مجلس معاوية ويزيد ، وكان الوهرانى يريد أن يقول من كان مثلنا منحرفا عن حب أهل البيت ماجنا خليعا فلا يطمع الا فى شفاعة معاوية ويزيد وينتهز الفرصة ليسخر

من قاضي قضاة مصر عبد الملك بن درباس ويبدو أن الوهراني موغر الصدر منه ، ففي ايقافه للقاضي بين يدى معاوية ويزيد سخرية وتهكم ، فهو يقول للقاضي ليس لك من مكان في الآخرة الا بين يدى هؤلاء مع ما عرف عنهما من ظلم وطغيان .

وينادى على القاضي فيجيء في جماعة من الاكراد فيصوره الوهراني في صورة المنافق الذى يلعب بالالفاظ في تكرير لفظ « السلام عليك » مع يخلعه على يزيد من صفات هو عنها بعيد : «السلام عليك يا امام العدل ، السلام عليك يا خليفة الله في الارض ، السلام يا ابن عم رسول الله ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته »

ولا يفوت الوهراني أن يسخر من الفقيه عيسى وهو من أعيان جند صلاح الدين ، ومن الفقهاء المشهود لهم الذى يحييه معاوية قائلا : لولا تعصبك لاهل الشر لطرت مع الملائكة .. مثل من يا خال المؤمنين » وهنا يجدها الوهراني فرصة لينفث ما في صدره تجاه القاضي ، فيضحكنا على علمه وفقه : « مثل هذا المكي الاسود الكادوم ، أخذت له دارا في القصر وضيعة مثورة ، وعشرة دنانير في الشهر ، وليس يستحق من هذا كله رغيف شعير ! — فقال : ولم .. ؟ فقال معاوية : له أربعون سنة يقرأ ولا يحفظ مسألة من الفقه ، ولا آية من كتاب الله تعالى . فقال الفقيه عيسى : صدقت ، وأزيدك زيادة ، فقال : وما هي ؟ فقال : الرقاعة والحماقة ، ما له فيها نظير يلبس العمامة الكبيرة المعروفة باشقع طرز ، ويركب بغلته الملقبه بقيسارية الفراء ، ويمشي وبين يديه عشرة من الغلمان لكنهم يتساقطون من الجوع ويقول لهم : قال لي السلطان ، وقلت للسطان ، والسلطان لا يستطيع ان يبصره في المنام » !

ولا يترك الوهراني ابا القاسم الاعور حتى يقتص منه ، فانه ما كان يترضى لبني امية الا للتكسب ، وان اليهود لو جعلوا له جعلا على سب الرسول لفعل ، ولم يصده عن ذلك تقى ولا دين»

فيقول يزيد اذا كان الامر كذلك فيصفع صفعا جيدا ويطرد من هذه الرحاب !

وما ان يرضى يزيد عن الوهراني وصاحبه بشهادة القاضي حتى يذهب أبو القاسم الاعور فيهيج عليهم قبائل العراق ولم يطل بهم الامر حتى يقبل على بن أبي طالب وقد أخذ الطرقات على الشاميين ومحمد بن الحنفية يزأر كالليث الهصور، فلما انتهى الينا صاح بنا صيحة عظيمة هائلة أخرجتني من جميع ما كنت فيه ، فوقعت من على سريري ، والتبهت من نومي » ..

وما أراد الوهراني بهذه النهاية الا ليؤكد وصولية أبي القاسم الاعور الذى يلعب بالمبادىء ولا ثبات له على عقيدة . وفي ختام المنام الذى امتعنا بفكاهات الوهراني نراه يتعجب من أن هذا النفس الطويل والهذيان أثاره التعتب والانتقام.

***

● **شخصية الوهراني :**

لم يترك الوهراني قارئه في حيرة ، فقدم نفسه اليه في العديد من مواضع كتابه ، فتظهر لنا سمات شخصيته في منامه تارة ، وفي مقاماته تارة ، وفي رسائله تارة أخرى .. فلم يكن له عقيدة يدين بها وانما عقيدته تحقيق مآربه بأى وسيلة ، ومن أقصر طريق ..

وبالرغم من احترافه قراءة القرآن والخطابة الا أنه كان ماجنا خليعا لايتورع من وصم نفسه بأحط الصفات ويكفي أن ينظر القارىء في رسالته ردا على التاج الكندى ، أو كتابه الى تقى الدين ، وكان يلقب نفسه بالخادم ، والمملوك ، وقد لخص لنا شخصيته في رسالته الى أمه : « دخلت القيروان بكرة ، واشتهيت اخذ الولاية ضحوة ، وأتزوج بنت السلطان عشية ، فلم تساعدني المقادير .. فلزمت المساجد في أوقات الصلوات ،

أسرق لوالك المصليين وأرهنها عند اليهود الخمارين على النبيذ في المواخير » .

ولم يكن الوهراني يقيم وزنا لصداقة ولم يتورع عن انتهاك حرمات فضلاء القوم ، فمن منحه رفده شنع عليه ، وكفانا رسالته على لسان المساجد ضد سعد الدين بن أبى عصرون مع فضله وعلمه وفقهه . لا يسكت عنه الوهراني حتى يقيله صلاح الدين من أمر الاوقاف نتيجة هذه الرسالة ، وما أظن الاقالة قد حدثت الا تبعا لخيال الوهراني .

● أسلوب الوهراني ..

يتراوح أسلوب الوهراني في الكتابة بين المقامة والرسالة ، والمنام تختلط فيه العامية بالفصحى ، ليجنح الى السجع والجناس أحيانا ، والى السلاسة والعفوية الى حد الركاكة حينا آخر ، وهو فوق كل ذلك يتميز بخيال خصب ، وروح فكهة ساخرة ، ومفارقات مضحكة ..

وهو بارع في التصوير ورسم الشخصيات الأمر الذي يضعه في حلقة متقدمة عن فن المقامات ويقترب به كثيرا من عالم القصة الادبية المعاصرة بكل ما لها من أصول وقواعد ..

وفي كتاباته تتردد آيات القرآن الكريم وأسماء الكتب ودواوين الشعر ، ولكنها كتب محدودة تتكرر دائما في مواضع شتى من الكتاب ، الامر الذي يوحي بضحالته وثقافته .. وهو دائما يرسم لنفسه صورا على السنة الآخرين فتارة يكون ورعا تقيا يقرأ سبع القرآن كل يوم ويداوم على الصلوات ، وتارات أخرى يلعن فيها ويسخر منه لمجونه وخلاعته .. ويجد القارىء في لغته ألفاظا وتعبيرات ربما لايجد لها دلالة في القاموس مثل : طلعت روحه ، قشر الكتاب ، البطالة اتركنا من خفتك ، اطل عليه ، فقس أمام الناس » .

● الوهراني الناقد !

يتمتع الوهراني بحس لغوي وذوق جمالي ، فينعى على التاج الكندي قوله : ما تلفتا » فيقول عنها : « الا ترى الها لا ينطق بها اللسان حتى ينخلع منها الفك » ، وفي نقده لقصيدة التاج الكندي التي مطلعها : « سبقت الى غايات كل فضيلة » ، نلمح براعة في ذوق الحروف التي تتألف منها الكلمات :

قدمت فلم أر إلا لذى قدم حكمها
كذلك عادى في المفى واللقى فقدما

« فانه في غاية الركة والفتور لدخول لفظه « عادى » فيه ثم هذا الاتقان الحسى الذى وقع له في هذا القسم من تكسير حرف الدال .. الا ترى انه لا ينطق به اللسان حتى تصطك له الاسنان ، وفي المعنى يقول الا ترى انه يحسن اذا قال :

قدمت فالفيت العدى والندى حسرها
كذلك عادى في العدى والندى قدما

ونقد الوهراني يكاد ينحصر حول الكندي ، ويبدو انه كان لحاجة في نفس يعقوب ، فهو لا يخلو من فكاهة وان كان يجنح الى التحامل .

● كتابات الوهراني ..

لكتابات الوهراني المجموعة تحت عنوان « منامات الوهراني ومقاماته ورسائله » مذاق خاص بين المتوارث من نتاج كتاب ذلك العصر ، فهي لمط جديد على الانشاء العربي من حيث الصياغة والخيال وبراعة التصوير وتناول الشخصيات بكافة مستوياتها .. ففي مقامته شمس الخلافة . يصور أحد أدعياء العلم الذين لم يخلقوا لارتياد هذا الميدان ويكفيه لبس العمامة ومجادلة العلماء بلا وتعم ، وفي رسالته لعز الدين موسك على لسان بغلته يصور فقره وفاقته »

والوهراني بارع ، فتارة يسوق رسالته على لسان مئذنة ، وتارة يدير حواره مع ابليس حول شخصية القاضي الاثير ابن نبان .. ويبدو ان علماء عصره اعجبتهم فكاهته واسلوبه الساحر وشخصيته الماجنة فلم يحملوا عليه ..



د. نعيم عطيه

من حقك على نفسك ان تعرف ما لك وما عليك في مواجهة وسائل التحقيق الحديثة .. ومن منا في هذه الحياة التي تشابكت سبلها ليس معرضا ان يمثل امام محقق او محكمة ..؟ صحيح ان من حق المتهم الصمت ، ولا يؤخذ ذلك دليلا ضده .. ولكن وسائل التحقيق الحديثة تتغلغل الى اعماقك مهما اطبقت فمك ! ..

● **التعذيب حتى الاعتراف :**

لم يكن حق المتهم في الصمت معترفا به في العصور القديمة ، فكان المتهم الذي لا يجيب على الاسئلة الموجهة اليه يجبر على ذلك ولو بالالتجاء الى اكراهه على ذلك بوسائل التعذيب . وكان على القاضي أن يعتد بالاعتراف أيا كانت الصورة التي صدر عليها .. وقد اخذ التعذيب يثير تمردا في الفكر القانوني اعتبارا من النصف الاخير من القرن الثامن عشر بفضل كتابات مونتسكيو (١٦٨٩ ـ ١٨٥٥) وفولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨ ، وبكاريا (١٧٣٨ ـ ١٧٩٤) على الاخص .

وفي القانون الفرنسي كان صمت المتهم حتى عام ١٨٩٧ يعتبر اعترافا منه بما هو منسوب اليه اقترافه .. ثم عدل عن ذلك بان أصبح للمتهم الحق في عدم الاجابة على الأسئلة الموجهة اليه دون ان يعتبر صمته اعترافا ضمنيا بالادانة . فقد يكون لهذا الصمت اسباب أخرى . ومن ثم اذا رفض المتهم الخروج عن صمته والاجابة على كل أو بعض الاسئلة الموجهة اليه لا يتخذ ذلك قرينة ضده ، لانه انما يستعمل حقا خوله له القانون . فللمتهم ان يتخذ من صمته وسيلة للدفاع عن نفسه ..

● الفرد وسلطان المجتمع :

ويرى البعض أن حق المتهم في الصمت يصطدم بحق المجتمع في الاثبات واظهار الحقيقة بصدد جريمة وقعت عليه . ولا وجه للتعارض في هذا المقام ، لان حق المتهم في الصمت أحد مظاهر حق الفرد في الخصوصية الذي يعتبر من دعائم التنظيم الاجتماعي السليم ، لانه متى قوضت معنويات الفرد ، اهتزت دعائم المجتمع نفسه بانتهاك الصق الحقوق بشخص الانسان ، وهو حقه في الا يتسلل احد الى حياته الخاصة ..

وهذا ما جعل دستورنا يرفع حق الافراد في حياتهم الخاصة الى مرتبة الحقوق الدستورية .. كما أعلى من هذا الحق الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ بالنص على أن لايعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة ، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل .

وفضلا عن ذلك فان للمجتمع وسائله العديدة والمشروعة لاثبات الحقيقة واظهارها ، وتعتمد على قدراته التي لا يستهان بها ، وتفوق كثيرا قدرة المتهم الذي ليس سوى فرد في المجتمع .

وقد كان الحق في الصمت محل تقدير المؤتمرات الدولية ، فاوصت لجنة حقوق الانسان بهيئة الامم المتحدة عام ١٩٦٢ بأن « لا يجبر احد على الشهادة

ضد نفسه ، ويجب قبل سؤال كل شخص مقبوض عليه أو محبوس ان يحاط علما بحقه فى التزام الصمت ».

وقد اقرت تشريعات دول مختلفة حق المتهم فى الصمت ، فنص بعضها على هذا الحق صراحة ، بل اوجبت بعضها تنبيه المتهم قبل استجوابه الى أن من حقه أن يمتنع عن الاجابة دون ان يتخذ ذلك ضده ، على ان اغلب التشريعات وان كانت لا تنص على هذا الحق صراحة الا انها تأخذ به ضمنا . ومن ذلك القانون المصرى .

● جهاز كشف الكذب :

اصبح اسم « جهاز الكشف عن الكذب » يطلق فى نطاق واسع على عدد من الاجهزة ذات المقدرة على قياس التغيرات الجسدية ، مثل معدل النبض وضغط الدم والتنفس وافراز العرق ونبرة الصوت التى تصاحب الاجابات الكلامية لمن يستخدم عليه الجهاز ..

وبافتراض ان هذا الجهاز احسن استعماله ، ولم يكن بالمتهم علل نفسية تخل بعمل الجهاز ، وارتضى المتهم نفسه استخدامه عليه ، فما قيمة الاعتراف المستخلص من ذلك ؟.

ذهب البعض الى تاييد استخدام جهاز كشف الكذب فى مجال التحقيق الجنائى ، واستندوا فى ذلك الى ان المتهم اذا وافق على استخدام الجهاز ، فليس ثمة اكراه بدنى او نفسى وقع عليه من جراء ذلك ، ويستطيع ان يدلى او لا يدلى بما يشاء من اقوال اثناء عمل الجهاز ، ذلك لان هذا الجهاز لا يرتب فقدان الوعى او الارادة .

على ان اغلب مؤيدى استخدام جهاز كشف الكذب فى التحقيق الجنائى يرون ايضا ان النتائج التى يسفر عنها لا تكفى وحدها دليلا للادانة ، وان صلحت اساسا للبراءة . فالجهاز يسجل فحسب علامات تنبىء بكذب المتهم ، ولا يعنى ذلك لزاما ادانته . ومن ثم يمكن اعتبار النتيجة التى اتى بها جهاز كشف الكذب مجرد عنصر من عناصر الاثبات ، ولكنها لا ترقى الى مرتبة الدليل الكامل .

اما الراى الراجح فهو ما ذهب اليه اغلب رجال القانون من معارضة استخدام جهاز كشف الكذب فى مجال التحقيق الجنائى ، وذلك على اساس ان مجرد استعمال هذا الجهاز يعتبر من قبيل الاكراه ، اذ ان فيه اعتداء على « الحق فى الخصوصية » الذى يخول المتهم ان يمتنع عن الافضاء بمكنونات النفس .. وقد لا يكون لدى البرىء خوف من استعمال الجهاز لانه سيفضى الى اثبات براءته . اما المذنب فقد يضطر للموافقة على استخدامه لكى لا يفسر رفضه على انه قرينة على الادانة .

● مصل الحقيقة :

يطلق « مصل الحقيقة » على بعض العقاقير المخدرة ، يتعاطاها الفرد فتفضى به الى حالة من النوم العميق لفترة يمكن ان تتراوح من خمس دقائق الى عشرين دقيقة ، يفقد فيها ذلك الفرد القدرة على التحكم الارادى على اقواله فتتعطل ملكة الانتباه لديه ، وتنتقص من سيطرته على ارادته ، فيضحى اكثر رغبة فى المجاهرة بمكنوناته الداخلية من مشاعر ونوازع وذكريات ، واشد قابلية للاجابة على ما يوحى اليه من طريق الاسئلة التى يتلقاها ، فيسترسل فى الكلام بغير قصد . وبذلك يمكن عن طريق مصل الحقيقة استجلاء ما يعمد الفرد الى كبته أو تحاشى الافضاء به أو التظاهر بنسيانه . او بعبارة اخرى هدم الستار الذى يقيمه الفرد فى حالة وعيه بين خصوصياته التى يريد أن يحتجزها لنفسه وبين العالم الخارجى الذى يحاصره أو يسلط عليه رقابته .

وبافتراض استخدام خبير مدرب فى اعطاء مصل الحقيقة ، فضلا عن توافر الرضاء المسبق للمتهم بتعاطيه ، وان يكون ذلك فى حضور محاميه وعدم وجود نص تشريعى يمنع استخدامه ، فهل يجوز الاعتماد على ما يسفر عنه مصل الحقيقة فى الاثبات الجنائى ؟.

اتجه الرأى الغالب فى الفقه والقضاء الى ان اعتراف المتهم الناجم عن استخدام مصل الحقيقة باطل لصدوره نتيجة اكراه مادى ، اذ يعتمد ذلك اساسا على تعطيل الارادة الواعية للمتهم بحقنه بعقار مخدر « فينزلق وهو على هذه الحال الى الادلاء بأقوال هو عاجز عن السيطرة عليها. ومن ثم يحرم استخدام المخدر اثناء التحقيق حتى ولو طلب المتهم نفسه استعماله. ولا يعتبر رفض طلبه هذا اخلالا بحق الدفاع ، بل ان استخدامه يمكن أن يكون اركان اكثر من جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات كجرائم التعذيب والجرح العمد وافشاء الاسرار .

وحتى فى حالة موافقة المتهم على استخدام مصل الحقيقة ، فان رضاءه هذا لن يكون حرا ، اذ انه يرد على شىء لا يمكن له أن يتكهن به وقت الادلاء بموافقته ، مما يرتب السماح بالاعتداء به اضرارا ومخاطر جسيمة من الناحية الاجتماعية .

ولذلك فان استخدام مصل الحقيقة فى مجال التحقيق الجنائى يتعارض مع المبادىء الاساسية للنظام القانونى الاجرائى ، وان لم يرد نص صريح يحرمه ، كما يتعارض مع الحق فى الخصوصية الذى كفلته الدساتير الحديثة من اجل حماية حرية الحياة الخاصة للافراد على سند وطيد من الكرامة الانسانية .

• التنويم المغناطيسى :

ومن وسائل التسلل الى بواطن الانسان اثناء التحقيقات الجنائية أيضا التنويم المغناطيسى . ويتم بشل بعض مكونات العقل الظاهر عن طريق تنويم اصطناعى مما يقوى عملية الايحاء لدى النائم ، ويسهل قيادته الى الافضاء بما قد يرفض العقل الظاهر فى حالة وعيه الافضاء به . ففى حالة التنويم المغناطيسى تنطمس الذات الشعورية للنائم ، وتظل ذاته اللاشعورية تحت سيطرة ذات واعية اجنبية هى ذات القائم بالتنويم المغناطيسى، بعد ان يلسبق اتصال النائم بالعالم الخارجى ، ويقتصر اتصاله على شخصية ممارس عملية التنويم والايحاء ..

وقد أصبحت الدوائر الطبية تعترف بالتنويم المغناطيسى كعلم يجدر ان يقتصر استخدامه على المؤهلين له. ولكن التنويم المغناطيسى اذ يسمح به كوسيلة للعلاج فى مجال الامراض النفسية وبموافقة المريض ، فانه فى مجال التحقيقات والمحاكمات الجنائية يعتبر اجراء غير مسموح به قانونا ، ويترتب عليه بطلان ما يصدر تحت تأثيره من اعترافات يرفض المتهم الادلاء بها لو كان فى حالته الطبيعية متمتعا بارادته الحرة وسيطرته الكاملة على ملكاته العقلية ، اذ ينطوى ذلك على انتهاك لاغوار النفس البشرية وانتزاع لأسرارها كرها عن صاحبها ؛ بل قد يصل الامر بتأثير التنويم المغناطيسى وقوته الايحائية الى حمل برىء على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها .

ولا يجوز استخدام التنويم المغناطيسى فى التحقيقات الجنائية ، ليس فحسب اذا وافق المحقق معه على تنويمه مغناطيسيا ثم استجوابه ، بل حتى لو طلب ذلك فى كامل وعيه وبتمام ارادته لاظهار براءته ، وذلك لان الشخص المستجوب ، على الرغم من رضائه السابق لا يعرف على اى شىء يوافق ، وبذلك لا يمكن ان يعتبر رضاؤه فى هذه الحالة حرا ..

ويصدق ذلك ايضا فى حالة قبول استخدام مصل الحقيقة ، اذ لن يكون هذا الشخص مدركا لما سيدلى به من اقوال تحت تأثير التنويم المغناطيسى او مصل الحقيقة ، ولن يستطيع ان يحتجز حتى اخص خصوصياته الواجب احترامها كضمانة دستورية معترف بها.

وهكذا يظل الحال فى القانون يجرى على الحكمة الشعبية القائلة : « لسانك حصانك ، ان صنته صانك » ولا جدوى مما ينطق به عن غير وعى واختيار .. ●●

بلدي والشعر

• ابراهيم عيسى •

الليلُ يحتضِنُ الغـروبَ وينثني بخُطى بطيئـــه
والنجمُ مصباحٌ تدلّى كابتســامات مضيئــه
وتلفّتَ السّحرُ المُدِلُّ بنسـمةٍ حيرى جريئـه
همسَتْ إلى الفجـر الطّروب كأنّ همستَها مشيئه
وأتى الصباحُ الطفلُ في عينيْه ضَحكاتٌ بريئـه
سِحْرٌ على آفاقِنـا رَسمَتْه كفُّ الله كـونا
لو عانقَتْه شِـغافُ قلبكَ لاستحال الكونُ فنّـا

***

والطيرُ في آفاقِنـا قيثـارةٌ تلِدُ النّغَـم
تبدو لدى تعليقهـا عِقْـداً تنـاثر وانتظم
لولا جناحاها لما لمسـتْ أمانيهـا القِمـم
بهما علَتْ رَكْبَ الغمام وغرّدتْ فـوق الأكَم
ورأتْ حنينَ الشـمس والدنيا تعانقهـا الظُّلَم
والشعرُ .. مثل الطير .. تحليقاً وتغـريداً وفنّـا
فأقِمْ جناحيه .. ولا تَجحَـدْه قافيةً ووزنا

***

والشّعرُ ... وهو رُؤى السماء وقبلةُ الغيبِ النديّه
وَجنَى المحبةِ والسلامِ يجـوب دنيانا الشقيّه
نورٌ يباركُنـا إذا ما حشرجَتْ سُرُجٌ وَضِيّه
تَبثُّ الألوهةِ في دم الفنّـان .. رحمتَهُ عَتيّـه
فإذا ترنّمَ غـرّدتْ في الغَيْب أطيـافٌ حَفِيّـه
وتناءبتْ كلُّ البراعمِ إذْ شـدا للكون لحنـا
وإذا تمرّدَ ثائراً لم يُبْـقِ سَـجّاناً وسـجنا

***

فترنّموا ... فالشّعرُ همسُ النور في ليـل القوافلْ
ولَكَمْ رأى فَجـراً جنيناً والدجى في الأفـق مائلْ
فاستنصِروا وجهَ الصباح وحطّموا رِقّ السـلاسلْ
فنفوسُـنا الخضراءُ تزرع في روابينـا سَـنابلْ
وأكفُّنـا السّمـراء ترفَعُ فوقَ واديـنا معـاقلْ
وسلوا انتصاراتِ الزمان فكم رَوَتْ للنّـاس عنّـا
وسَلوا الحضارةَ إننـا كنّـا لها قلباً وعينـا

البطل في الأدب الحديث

● بقلم : بول زيويج ●

● ترجمة : د. سليم الاسيوطي ●

● مازلنا نطلق على الشخصيات الرئيسية في القصص والكتب لفظ «الابطال» على الرغم من ان هذه التسمية قد باتت اليوم لونا من « النكته » ، حيث أنه في ايامنا هذه من النادر ان يتصدى اكثر «الابطال» لاعمال تنطوي على المخاطرة او تتصف بمثالية النبل . فهم على النقيض ، ناس عاديون ، مترددون ترددا حدانا على ان نصوغ تعبير « البطل الاسد » لوصفهم والدلالة عليهم ، لان قصصنا الحديث يتناول شخصيات من مثل ستيفن ديدالوس ، في رواية « يولوسيس » او شخصية مارسل ، في رواية « ذكريات الماضي » وهو الذي يريد تاليف كتب ولكنه لا يستطيع .. او شخصيات النساء في رواية بيكيت « الايام السعيدة » .

ونحن نفتتن بشخصية لورد جيم الذي يغدو نهبا لهواجس مزعجة مستمرة لا يستطيع منها خلاصا او مهربا فيرى في نفسه المنقذ لراكبي السفن ، ويرى نفسه وهو يلزم صاريات المراكب عند هبوب اعصار أهوج صاحبه الرعد والمطر ! .. انه يعتبر نفسه المثل الاعلى والقدوة الذي يكرس حياته للواجب ويوقف جهوده على عمل الخير ، لا يرهب الردى كبطل اسطوري .. ولكن عندما تحين اللحظة المرتقبة له ليصنع من نفسه حقا البطل الفذ المرتقب ، فانه يتقاعس ، يحجم ولا يقدم ، فتكذب أحلامه وتخيب اماله فيروح يندب حظه التعس ويجتر احزانه ، مكتئبا ، على فقدان فرصته الضائعة !

ان بطلنا الحديث اليوم يغدو موضوعا ممتعا خليقا بالدراسة والتأمل حينما تكذب احلامه فان قيوده الصادقة تكبله ـ تلك القيود المعروفة « بالحال الانسانية » تبدأ في كتم انفاسه شيئا فشيئا ..

ان اخفاق الاحلام موضوع من اعظم الموضوعات التي تتناولها الرواية . بدءا من بطل ستندال جوليان سوريل الشاب ، في تحفته ، رواية « الاحمر والاسود » ، الى بطل فلوبير الفاتر الهمة المجرد من العاطفة ومدام بوفاري الى شخصية بطل جوزيف هيلر المصاب برهاب الاحتجاز «٢» المتعطش الى الالم في رواية « حدث شيء ما » الذي تنهار حياته امام اعيننا في وصف يتدفق على مئات الصفحات مصورا المواقف العقلية الداخلية المنحرفة في روعة دونها كل روعة .

ان اختفاء الوان من العواطف والمشاعر والاحاسيس من عالم الادب ومن حياتنا اضحى ظاهرة تكاد ان تكون عامة ان لم تكن عامة حقا وفعلا . فلقد اختفى الخشوع الموقور العميق والتقدير الكبير والاكبار العظيم الذي سحر الانسان لاعجابه ببطل عظيم ـ اختفى من حياتنا تماما .. لقد كنا احيانا نخوض من حولنا في ركام الاحباط والياس .

ان ادب القرن العشرين يعكس هذه الصورة ، وربما كان يعلمها لنا ، ويوحي بها وينقلها الينا . ففي روايته « سقوط الرجل الشهير » يحاجج مؤلفها ريتشارد سولت قائلا اننا قد فقدنا شعورنا الثقافي الحضاري تجاه الاعمال العامة واستبدلنا به اعتقادا صوفيا بان النشاط

١ ـ بول زيويج هو رئيس قسم الادب المقارن في كوينز كوليدج بالولايات المتحدة ٢ وهو مؤلف : المغامرة ، ثلاث رحلات ، سيرة ذاتية ، وعديد من دواوين الشعر .

«٢» الخوف المرضي من الاماكن المغلقة او الضيقة .

العقلى والنوازع الداخلية التى تموج بصورة يتعذر معها السيطرة على شيء أو التحكم فيه ، فى منطقة العقل « الحرة » ـ هى النشاط العقلى الوحيد الحقيقى . وهذا يمثل « الديموقراطية المطلقة » لأن كل فرد منا ، حتى اضعفنا ، له عقل ، ومن ثمة فنحن جميعا حقيقيون ، وليس لنا أن نتجشم المصاعب لنقيم عليه البرهان والدليل .

ولكن البطل شخصية عامة ، اذا ما كان شيئا ما اطلاقا ، فهو ليس مخلوقا من العضلات والشجاعة فحسب، ولكن من القيم ايضا . انه مناضل اخلاقى يقوم بالحفاظ علينا والدفاع عنا فى ضعفنا وقلة حيلتنا .

ان المثل الاعلى البطولى قد اعتراه الانحلال بطيئا منذ عصر بريكليز حينما كانت الالياذة هى انجيل الأثينيين . ان افلاطون ، الباحث الاجتماعى الاول ، اخرج هوميروس بعيداً من جمهوريته المثالية لان الابطال من مثل اخيل ويولوسيس لا يمكن مطلقا ان يتعايشوا مع مجتمع من بشر من لحم ودم . فانهم بوصفهم أبطالا عاشوا بحد سيوفهم وجماح عواطفهم . لقد حيروا حدود الانسان بأسلوب قاس فرس لأنهم هم انفسهم كانوا يجمعون بين صفات البشر وصفات الالهة ، او صفات الشياطين والسحرة .. ومع ذلك فان الاثينيين قد احبوا ابطالهم بغض النظر عن اسرافهم فيما ادعوه ومازعموا لانفسهم ، لانه على الرغم من عقلانية الاغريق التى يتباهون بها ، فلقد تشككوا فى ان « اسرار » الحياة يجب ان تغتصب من الالهة المتخفين ، كما اغتصبت خصلة الشعر الذهبية(٣) او التفاحات الذهبية من الحوريات الحارسات بمعاونة تنين حديقة (٤) التى تنمو فيها شجرات تفاح ذهبى ..

بطل واحد فحسب هو الذى تمكن من انجاز هذه المهمة . ان الابطال كانوا الهة مضادة ، لقد كانوا الفلاسفة الحقيقيين لانهم توصلوا الى معانى الاشياء ، وعادوا بقصص رائعة لنشر الرسالة .

وفى النهاية ، فان حكم افلاطون هو الذى انتصر . اذ انه عندما كتب الشاعر الرومانى فيرجيل ملحمته البطولية « الالياذة » صور اينياس وقد تحول من محارب صنديد الى مواطن طيب اشيب .. وبعد مرور الف وثلاثمائة عام ، فى الكوميديا الالهية يهبط دانتى الى الجحيم بطلا سلبيا جديرا بالتامل والنظر ، فهو شاهد على مشاهد فى جحيم دانتى ، اكثر منه بطلا ..

وبحلول القرنين السادس عشر والسابع عشر كان الابطال قد صاروا شخصيات هزلية من مثل شخصية دون كيشوت التى صورها سرفانتس ، رائعته التى تحمل الاسم نفسه ..

وفى عصر الكشوف الجغرافية قام رجال من مثل كولومبس ، وسير والتر رالى وكابتن كوك برحلات من اوديسيوس « اويولوسيس » بطل الاوديسة فى ملحمة هوميروس يبدو جوابا ينشد الفرجة والمتعة فى خارج بلاده ، ومع ذلك فهؤلاء الثلاثة العظام لم يصبحوا قط ابطال قتالة حقيقيين ، كما لم تقدم حروب اوروبا المتصلة الى العالى اساطير بطولية تبقى على الزمن ..

ان اعظم قصة فى ادب الرحلات فى العصور الحديثة هى رواية روبنصون كروزو ، التى تدور أحداثها حول رجل عادى ملمور يمقت المغامرة ويفر منها ، ويمضى حياته يبنى فى جنون جدرانا معقدة تحميه من تهديد قد لا يكون قائما فى غير تفكيره .. ان كروزو غير مغامر الى حد بعيد جعله يمضى ثمان وعشرين عاما على جزيرة منعزلة لم

«٣» الفزر الاساطير الاغريقية : خصلة من الذهب الخالص تنافس عليها الالهة والملوك فى بلاد الاغريق القديمة

«٤» حديقة التفاح الذهبى : حديقة ؛ اسطورية فى الطرف الغربى من العالم تثمر تفاحا ذهبيا .

البطل فى الأدب الحديث

يبذل فى اثنائها ادنى محاولة لاستكشاف أى جزء منها .

وبدلا من الاندفاع الاهوج «اللابطال» هنا وهناك ، أصبحنا نعجب بحياة الدعة والثرثرة ، التى تصورها الكاتبة الروائية جين اوستن فى رواياتها .. ونمتدح المس الذى ينزله الانسان بنفسه فيورثه الاكتئاب والجنون كما فى روايات دستويوفسكى . نحن نريد ادراك القوى الخفية التى تجرف المناضلين المكافحين رجالا ونساء ، دون جدوى وعلى سير طائل او جزاء ،حينما يكشفون عن ذوات انفسهم اكثر مما يعرفون ، كما يحدث فى عالم هنسرى جيمس ، الذى هذبته المعاناة ، او كما فى فن القصص الحديث عند جسون تشيفر ..

ان هذا المنظر المكبر القريب لحياة **الناس الخفية** يثير مشاعرنا ، **هـذا المنظر المكبر** الذى تزودنا به **حساسية الكاتب** التى تتطفل على شئون الناس **الداخلية** فتنايط عنها لثامها وترفع عنها **حجابها فتبدو** سافرة للعيان . **انه يكشف لنا** ، فى وضوح وجلاء مايختمر **فى قلوب الناس** وما يدور بعقولهم .

من ذا الذى قال لخادمه الخـاص ليس يوجد انسان بطلا ؟ أو افضى بهذا القول لزوجه ، أو ابنائه ، او أصدقائه المقربين او لشخص بعينه يعرفه ويطلع على مشاعره الشخصية ..

ان فى الادب الامريكى نرى ان وجهة نظر الخادم الخاص هى التى تنتصر فى النهاية وان الابتكارات ذات الاهمية فى الادب الحديث : تيار الوعى : تعاقب الازمنة المتجزئة ، قصص الاحلام تحملنا الى الجهة المقابلة لنا من حياة العمل والنشاط الى دراما العقل اللفظيـة العشوائية .

ليس معنى هذا ان العالم المعاصر ليس له « ابطاله » الخاصين به لان القول بان فى استطاعة البشر العيش بدون بعض مثل سلوكية عليا موسعة : من لون او اخر ، أمر موضع شـك : فهذه صورة ما ملموسة محسوسـة لشخصية الانسان الرحبة الشاملة . فنحن نريد ان نعرف أن مواطن ضعفنا ما هى الا حالة خاصة فحسب ، حالة خاصة بنا جميعا ، وبانه فى مكان ما يوجد شخص يستطيع ترجمة كلماته وصياغة ارائه ، وتجسيد معتقداته فى افعال : حتى ولو كنا نحن شخصيا نعجز عن ذلك .

ان الابطال بهذا المعنى ، **يشكلون مثلا** عليا انسانية رفيعة . **وحينئـذ** يكون القول بانه كان يتعين **علينـا** ان نحشد ابطالنا قسرا فى **مناطق الثقافة** الشعبية الجدية من **الادب الشعبى ،** حيث افلام المشاهد والاحداث **اليومية** والمسلسلات التليفزيونية .. **لينطـوى على قدر عظيم من الصدق . وهنـا نجد البطل الحق ، من مثل لورد جيم الذى يثب فى حماس مندفعا الى العمل حينما تجىء الظروف الطارئة .. انهم أبطال ذو عضلات مفتولة وسواعـد فولاذية ، واجسام رشيقة ، يفرقـون بين ماهو صواب وما هو خطأ ، كمـا يدركون ايضا حقيقة ذواتهم ، وهذا يضفى عليهم مظهرا معدنيا صقيلا .**

● **للبحث بقيه** ●

عن الوجدان

● د. عزت شندى موسى ●

ان يومـا تلقـاه عشتـه سعيدا
وتذوق من الجمـال مزيدا
واترك الغـد للذى يملك الامـ
ـر ويرضى مستقبلا وجـدودا
لا تفكـر فيمن جفـا وتولى
واسل فى الناس حاقدا او حسودا
انمـا اليوم عابر سوف يمضى
وهو فى العمـر زائر لن يعودا
يقصـر العمر ساعة تلو اخـرى
وهو ينسـاب فى الزمان مديدا
وشبابى يـزول يوما فيـوما
قد تنـاءى وصار عنى بعيـدا
اين شرخ الصبا واين مجالسـ
ـه تقضت ولم تجـدد عهـودا
اين ومض خبـا واين فتـاء
قد وهى ، قد مضى وكان حديدا
اين ماكان من مضاء وعـزم
قد تولى ومال عنى صـدودا
هل يجـود الزمان يوما بعـود
لشباب يا حسرتا . . لن يجودا !
اين ليلى . . واين فتنة ليلى
هى زالت اوراحتها وتهـودا
اين قد لهـا يميس اعتـدالا
قد ذوى قدها وقد مال عـود
ما لهذا الثرى اذا ضم نحـرا
فى مساء يضم فى الصبح جيدا !
انما الموت بالجمـال ولوع
ولكم يشتهى حسانا وغـيدا
رب بيت يعلو بيوتا تلاشت
او رموشـا تهدمت ولحودا . .
سر ان استطعت فى الفضاء رفيقا
لا تطأ فى التراب بيضا وسـو
انمـا الثرى لو علمت مزيج . . .
كان لحمـا من الورى وجلودا
لهف نفسى وكم طوى من جمـال
ودلال وكـم يضـم قدودا

السينما المصرية تشكو أوجاعها عند كامل مرسى

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

● « على عينى بكت عينى » اصدق ما يقال عن حال شيخ المخرجين احمد كامل مرسى : عندما يتحدث عن السينما او يناقش امرا من امورها ..

ولان الاستاذ احمد كامل مرسى فارس من فرسانها الاوائل وكان له السبق فى مضمارها وكاتب تاريخها .

ولان العلاقة بينه وبين الفن بدات منذ ان كان تلميذا فى المدرسة التوفيقية يشارك فى فريق التمثيل وقت ان كان مدربه الفنان عبد الوارث عسر . ولانه كان ناقدا لها على صفحات روز اليوسف : اليومية . ثم مخرجا من الرعيل الاول . ثم ناقدا ومؤرخا مرة ثانية .

فلقد حمل شعلة الثقافة السينمائية واهداها لنا فى موسوعة استحق عليها جائزة الدولة التقديرية .. الا ان الشعلة بدات تخبو امام عينيه بايدى من حملها اليهم . مما جعلنا نردد قول ام كلثوم « على عينى بكت عينى » .

● الصحافة الفنية ●

يقول « ا.ك.م » كما يجب دائما وقد احتوى غليونه بين اصابعه

« كان النقد قديما هواية قبل أن يكون مهنة . هواية يغلب عليها طابع الحب بما يستلزمه من تضحية وتفانى . وكان لابد للناقد أن يقرأ كثيرا ويستخلص خبرة من سينقده فى الكتابة او النقد ثم يستوعب كل ذلك

ويقنن لنفسه قاعدة يختطها فى نقده سواء كان مدحا او قدحا . وفى الحالة الاخيرة لم يكن الناقد حادا او عصبيا او متشنجا . فهو النقد دون اسراف او تطرف فى الهجوم : وليس كما يحدث اليوم .

فالنقد يجب ان تكون غايته الاصلاح بالنسبة لصاحب العمل الفنى : كما يجب ان يكون القنطرة الى المتلقى يوضح امامه الرؤية دون تجنى ..

فالناقد يجب الا يكون هجاما كما يجب الا يكون متعالما متعاليا بمعنى انه اكثر من العمل الفنى وهذا ما احدث فجوة بين ما كان عليه النقد او ما يجب ان يكون عليه ، وبين النقد هذه الايام .

والناقد ايضا يجب أن يكون ملما بالفنون الاخرى : موسيقى : فن تشكيلى ادب : شعر .. بمعنى أن يكون شبه موسوعة حتى تتسنى له أدوات النقد : وهو ما ينقص الكثيرين من النقاد اليوم

وهناك راى قاله « جورج سادول » المخرج العالمى والمؤرخ الفرنسى ــ قال ،

اذا اردت أن تنقد فيلما يجب ان تراه ثلاث مرات . مرة للاطلاع العام : والثانية لتقسيمه الى عناصره الاولية : أما الثالثة فلكى تؤكد النظرة الثانية .. فاين هو الناقد اليوم الذى يرى الفيلم ثلاث مرات لكى يكتب عنه ؟ ! » .

سؤال نترك الاجابة عليه لنقاد

السينما . ونسأل كيف كانت نظرة النقاد لك عندما لم ينجح فيلمك الاول « العودة الى الريف » وقد خرجت ممن بينهم الى مجال الاخراج !!

نجاح الفشل :

يعود الاستاذ كامل مرسى بذاكرته الى الوراء او ما يقول السينمائيون « فلاش باك » ليقول :

« .. جاملتنى الصحافة فى ذلك الحين لكونها اول محاولة لى فى الاخراج ، ولكونى صحفى تربطنى بهم علاقات طيبة ، فلم يقسوا قسوة تؤدى بى الى التوقف ، وكان نقدهم رحيما رؤوفا عطوفا كما هى طبيعة النقد فى تلك الايام . وزادوا على ذلك بقولهم انه من الممكن ان يكون مبشرا فى افلامه التالية اذا اتيحت له ظروف افضل من تلك .

وانا من انصار المبدأ القائل بنجاح الفشل فى البداية يصيب الانسان بالغرور الذى يؤدى به الى الاصابة بما يسمى فشل النجاح . ولقد نجح فيلمى التالى « العامل » نجاحا ماديا منقطع النظير بمقياس ذلك الحين .

هل يعنى هذا ان النقد فى غير موضعه من الممكن ان يرفع من مستوى فيلم هابط ؟!

كان هذا سؤالى وتلك هى اجابته :

« لا اعتقد ذلك وانما الدعاية هى التى تفعل ذلك . وحتى الدعاية ولو كانت مدروسة لا تثمر بدرجة كافية فى انجاح فيلم هابط . ناهيك من أن الذين يقرأون النقد فى هذه الايام هم الطبقة المثقفة وقد اكتفت بما يقدمه عنها التليفزيون واصبح رواد الفيلم فى اغلبهم هم الحرفيون وهؤلاء لا يقرأون النقد ولا غير النقد . »

شعار لا معنى له :

قلت لشيخ المخرجين : هل صحيح فعلا ان الجمهور يريد نوعية ما يقدم له بارضاء غرائزه ومن الارتقاء بسلوكياته ؟!

قال أ . ك . م :



احمد كامل مرسى

« لا طبعا ، فهذه نظرية خطأ وشعار لا معنى له . فعلى سبيل المثال كان فيلمى « النائب العام » خاليا من كل التوابل التى تقدم لارضاء الغرائز ونجح نجاحا كبيرا لم نكن نتوقعه رغم أن موضوع الفيلم كان مناقشة فكرية بين نص القانون وحرفيته وبين مغزاه ومعناه .

والجمهور حقيقة يقبل على طيب الاعمال وليس خبيثها لكن من كثرة ما قدم اليه من اعمال تافهة قد افسد ذوقه .. ولكى نرتقى به مرة ثانية لابد من تدخل الرقابة والسينمائيين ونقاباتهم والنقاد ، بحيث يشكل تكتلهم الرغبة فى بناء الانسان المصرى من جديد . »

سيد اللعبة :

يقولون ان موزع الفيلم اصبح فى هذه الايام سيدا على الجميع . يدور فى فلكه المنتج والمخرج وأيضا الممثل له شروطه وله رغباته التى اخرت بالسينما كثيرا . ما راى رائد السينما فى ذلك ؟!

« هذا صحيح ، وهو من مساوىء السينما حاليا وسبب من اسباب ازمتها ، وهذا يختلف عما كنا عليه ايام زمان فعندما كان يعلن فى البرنامج السنوى عن الافلام التى سيتم العمل فيها يتقدم الموزع سواء من العالم العربى او من مصر لكى يشترى الفيلم فيدفع السلفة المطلوبة ويقتصر الامر عند هذا الحد فلا تدخل بعد ذلك .

لكن بعد سنة ١٩٤٥ ظهرت فئة من اثرياء الحرب لا هم لها الا جمع المال فرأوا فى السينما تجارة رابحة ، وبدأ المخرجون التساهل تدريجيا حتى فقدوا سيطرتهم على

ما يقومون باخراجه . وكـــذلك بدأ كثير من مساعدى المخرجين فى الذهاب الى الاثرياء لكى يقوموا باخراج افلام لحسابهم ويصبحوا مخرجين ، فقدموا تنازلات أخرت كثيرا بالسينما ومستواها الفنى ... فاصبح الموزع يشترط الممثل الفلانى والممثلة الفلانية ، لا يهم بعد ذلك مدى صلاحيتها للدور الموكول اليها اداؤه . وهكذا ضاعت السينما على ايدى بعض ابنائها ... !

العقـــاد ضاحكا :

زامل الاستاذ احمد كامل مرسى استاذنا العقاد فترة اثناء اشتغالهما بالصحافة فى روز اليوسف . فسألته ،

كيف كنت ترى الاستاذ العقاد فى سلوكياته وعلاقاته بالاخرين ؟

يقول الاستاذ كامل وقد عادت به الذاكرة الى تلك الايام .

« عرفت الاستاذ العقاد قبل ذلك ايام ان كنت تلميذا بالمدارس الثانوية عن طريق صديق لى كان يعمل فنانا تشكيليا هو الفنان « شعبان زكى » وكان من مريدى العقاد ومن رواد ندوته الاسبوعية التى يقيمها فى منزله بمصر الجديدة كل يوم جمعة .

والعجيب ان الصدفة تفعل سحرها اذا ما صادفت ارضا صالحة لذلك ، فلقد ضمتنا مجموعة من الزملاء عشنا معا ولانزال مع الاحياء منهم ، هذه المجموعة كان من بينها المخرج احمد بدرخان والمصور احمد خورشيد والفنان الرسام صلاح طاهر ، والموسيقار الشجاعى .

وكان الاستاذ العقاد مرحا فى جلسته كريما فى معاملته رغم ما يبدو عليه من تجهم من النظرة الاولى وهو تجهم لا يفصح عن حقيقة العقاد فقد كان وديعا لين الطبع محبا للنكتة يقولها ويهتز طربا لها فتسرى الضحكة فينا سريان النار فى الهشيم .. ناهيك عن كونه موسوعة حقيقية له فى كل مجال باع طويل ، فاذا ما فتح مجال للنقاش تكلم فيه حتى ولو كان فى علم التطبيب والتشريح ..

« .. ثم التقيت به بعد ذلك فى « روز اليوسف » اليومية فقد كان ـ رحمه الله ـ كاتبها الاول وكان يحضر يوميا ليكتب الافتتاحية، وتعلمت منه صلابة الراى عن يقين والتمسك به والدفاع عنه . كما تعلمت حب الحرية والاقناع والقدرة عليه بالمحاجة السليمة .

كما افادنى كثيرا بأسلوبه الرصين وجزالة لفظه وبلاغة لغته ولمعرفة العقاد معرفة حقيقية لابد من قراءة كتبه ثلاث مرات على الاقل كما يقول « جورج سارول » . ولقد اهدانى معظمها وانى اعود اليها بين الحين والاخر .. »

ازمة الثقـــافة :

● ومن ازمة السينما الى ازمة الثقافة يا قلبى لا تحزن فيبدو أن الازمات تأتى تباعا متشابكة الايدى لتقصم الظهور . فنحن نعيش عصر الكوميديا السوداء ، ويضيف الاستاذ كامل مرسى ـ وهو الذى كان يمنى النفس منذ الصغر ان يكون اديبا يشار اليه بالبنان فترجم بعض القصائد من ديوان الشاعر « شيلى » ووقعها باسمه المختصر أ . ك . م . ـ اننا نعيش عصر ادعياء الثقافة بما يجلبه ذلك من تداعى فى البنيان الثقافى ذاته . ساعد فى ذلك غلو سعر الكتاب وطبعه بحروف دقيقة تنفر العين من متابعتها ، وانتقال القدرة الشرائية للحرفيين .. وقد بدأ كل ذلك مع الاهتمام بالسياسة على حساب البنيان الثقافى ، فلم تستمر المجلات المتخصصة سواء فى الموسيقى او فى المسرح او فى السينما او فى الادب واقتصرت فى النهاية على مجلة او اثنين .. ●●

الحصار

● أحمد مصطفى حافظ ●

على عرش الجمال قد استقرت
بثقل التاج .. في سمت الاميره

وفي ظل الحديقة كم تمشت
بخطوتها المدللة القصيرة

وشدت رجلها ، يمنى ويسرى
لتسترق الخطا ـ شبه الاسيره

.. تمنت ان يشاطرها هواها
حبيب ليس يكتمها ضميره

ولكن الملوك لهم سياج
ودون بروجهم سبل خطيره

فلم تجد امرءا يصبو اليها
ولا صبا يصرح بالسريره ..

.. وحتى النهر امسك عن خرير
وثنى الورد ، اذ اخفى عبيره !

وعادت وهى ناقمة لتصلى
بما في القلب من وجد .. حسيره

***

الا يا ليتها كانت فتاة ..
من النكرات في الأسر الفقيره :

وتلقى من تحب بلا قيود
وترتع في مسرات وفيره ! »

قصة

دعوني أتطلع الى السماء

• هدى جاد •

كانه .. يسمع كلاما وقد يتامل فى معانيه .. احيانا تستوعب اذناه رنين كلمات ابيه ، اما امه فتتخذ نغمة مغايرة ، انها تقرن كلماتها بتنهيدة من حين لاخر ، تماما كالاستراحات الموسيقية بين فقرات الافلام السينمائية

اخوه العزيز يصغره ببضع سنوات، لا تفارق البسمة شفتيه ، يقبع طرف لفافه دخان فى ركن فمه ، تستكن لحظة ثم تتراقص لحظات .. حينما ينفث دخانه بنفس عن خوالجه ، وغالبا ما يفعل ذلك فى حضرته هو – الاخ الاكبر !

وبالوالدين احسانا ، وبشر الصابرين غض من طرفك .. يا اخ العين احيانا تاثم هذه الكلمات الاخيرة تصدر دائما عن امه ! .. النسوة والفتيات يابنى يتبرجن وعندما يقاطعها محتجا بعضهن يا امى – بعضهن .. هل تتساوى اصابعك .. النسيت انك منهن ؟! اعنى مثلهن ؟

لكن كلماته المحتجة بالصوت الخفيض تتلاشى كسحب تتصارع فى دفع بعضها بعضا كى تصفو السماء ! ... ياله من شاب تعس ، لا يقدم على امر الا اذا رفع اصبعه مستشيرا او مستاذنا !..

قال له صاحبه : يا محمود تقد تجاوزت العشرين من عمرك ..أصبحت خارج وصاية ابيك وامك ، اخرج من الدائرة .. تحرك من مركزها واخط خطوة واثنين ، انه يملك عقلا راجحا وقلبا قويا مؤمنا .. الاحظ شرودك وتخبطك ، لم فقدت الثقة بنفسك يا رجل ؟

يتأمل صاحبه ، والاخ الذى يصغره ببضع سنوات ، ويتنهد !..

فى مرة شاهد ابنة الجيران ذات القوام السامق والعينين النجلاوين المناديتين ، والبسمة التى تجاذب ولا تعد .. كان يصارع مشاعره فى كل مرة يلتقيان فيها عند المصعد .. كان يتعمد أن تسبقه فى الصعود – من باب « الايتكيت » – لكنه فى هذه المرة وقد بلغ حنينه مداه ، انهارت مقاومته ولم يعد يحس الا بالحلم الذى راوده مرارا وان المصعد يجمع شملها .. التقت نظراتهما . احس بقلبه يغوص بين جنبيه ، وفجاة لكزه كوع ابيه فى جنبيه .. لا ترفع عينيك فى وجه انثى ، خاصة ان كانت تملك جاذبية !

اما كلمات امه فقد تغلبت على ما عداها .. كلهن يتبرجن ، من ادراك ان كنت تمثل الصيد العشرين او الاربعين ؟ تحت قدميك فخ يتربص بك – حذار !..

وسرعان ما ركز نظراته الى جدار المصعد !

كان فى طريقه الى بيت صاحبه زميله الذى يسرى عنه ، ويبعث الطمانينة الى نفسه ويزوده بدرع الثقة والقوة ، هاهو يسير ويسير ويسير .. ما هذا ؟

قطعة معدنية تصافح قدمه ..النظر الى الارض له منافع عديدة .. لم يسأل صاحبه عن حقيقتها ؟

لاقاه الزميل بالترحاب ، وأردف : هيه .. أمازلت تقاطع المصعد ؟ يالك من ساذج ! .. الكون الحبيبة بكل هذا الجمال وتهرب منها ؟! يجب ان أزودك ببعض النصائح .

ويتأمل وجه محمود الذى يشاهد ملامات حبور وانطلاق تفصحان عن الكثير من الامور رغم صمت صاحبها .

ـ ماذا دهاك يا رجل ؟

مد يده بالقطعة المعدنية وواصل صمته ! ..

ـ هل حلت لك اللعبة ألعبة الصمت

وابتسم محمود .. وخرج صوته لاول مرة : قطعة معدنية التقطها قبل مجيئى اليك بدقائق !

ـ وماذا فى ذلك ؟

ـ لعلها ذات قيمة ..

ـ أو لعلها احدى التفجيرات الحديثة !

وظهرت علامات غضب فجائية على ملامح محمود ، فقال بلهجة سريعة حادة :

التعاسة والشؤم يحيطان بى ، حتى اذا عثرت على شىء ثمين كهذه القطعة المعدنية ؟

احس الصديق بانه ـ دون قصد ـ اضاف جرحا عميقا فى نفس صديقه الذى يعطف عليه ، وسرعان ما تمالك نفسه وحول دفة حديثة الى منحى اخر

ـ الذى يستطيع ان يفصل فى الامر صائغ .. ما رايك ؟

لم يعد محمود يعى شيئا الاان السماء ستباركه ، ان يلجأ بعض من المقربين اليه .. ولا يعنى هذا انه سيخاصمهم على العكس .. ستكون له شخصيته المنفردة .. كيف ؟

بالاعتماد على النفس والتصرف حسبما يمليه عليه عقله .. من يدرى فربما بنصائح المحيطين به وحرصهعلى النظر الى الارض ـ عثر على بداية كنز معنوى تركز فى قطعة معدنية قد تكون نادرة الوجود ! .

التجارب مع النساء ! .. حقيقةانه لم يمارس مغامرات ، لكن احلامه كانت كثيرا ما تعوضه عن ذلك .. اخر حلم كان مع نجمه مشهورة عالمية ، ولا داعى لذكر التفاصيل ، فربما تخدش حياءه وهو الان اشد ما يكون احتياجا لعصير مخه ... لو طعم اهل المدينة بقطرة من عصير مخه لتحول افراد الى عباقرة !

شد رحاله الى الصائغ الذى لمس القطعة المعدنية لحظة وقلبها بين اصابعه لحظة اخرى .. اما فى اللحظة الثالثة فقد دهمته موجة ضحك .. خيل لمحمود فى اثنائها ان الحى باكمله اصابه زلزال مروع !

واخيرا خرج صوت الصائغ : ـ ثلاثة جنيهات لاغير ، اكراما لمجيئك والاديك!

اديك ؟ لا لن يكون مهذبا بعد اليوم، بل هكذا سيتصرف سيتمسك بتلابيب الصائغ وينهال عليه ضربا ! ..

ـ كلكم ضدى ! .. النصائح ، الطاعة ، الحرام ، المعصية .. واخيرا هذا الظلم الفادح !

تجمهر الناس واستدعيت الشرطة ، وتم تحرير محضر .. كل ذلك ومحمود تخشب جسده ، ومضى لسانه عن الكلام .. وجاء فى التحقيق ـ تم تحرير محضر ، لانة عثر على اشياء دون ان يبلغ عنها ..

واودع محمود الحجز حتى اليوم التالى لحين عمل بحث جنائى فى جميع اقسام الشرطة للتاكد من ان احدا لم يقم بالتبليغ عن فقده الميدالية .. ولم يقف الامر عند هذا الحد حكم عليهامام محكمة الامور المستعجلة بشهر سجن مع الاشغال الشاقة وغرامة جنيهها واحدا لانه ـ حسب ما قيل ـ عثرعلى اشياء لم يبلغ عنها !

تكونت دائرة من الوالدة والاخالاصغر وصديق الاسرة رجل الدين. .امامحمود فقد مثل مركز الدائرة ، لمسهم يتكلمون يثرثرون يعقبون ، لم يعترض علىاحد ولم يتفوه بكلمة .

لكن عندما ارادوا ان تستريح السنتهم ، سمح لنفسه بهذه الكلمات

ـ قضيت فترة العقوبة ودفعالجنيه غرامة ، والكلمة الان موجهة لكم جميعا .. امازلتم تصرون على ان اغض من طرفى ولا انظر الا الى الارض لم يحن الوقت كى اتطلع الى السماء ؟

المسرح الفيلمي :

هل يمكن أن تحل السينما مكانة المسرح ؟

● ماري غضبان ●

كان غريبا .. في بداية الامر .. ذلك الرأي الذي اعلنه « مارسيل بانيول » المؤلف المسرحي الفرنسي الشهير – من أن السينما لابد وأن تحتل مكانة المسرح يوما ما .. لأن الفيلم – في رأيه – يملك كل مزايا المسرح ، بعيدا عن عيوبه !

ولقد قامت الثورة ضد هذا الرأي .. ذلك لأن الفيلم لا ينقل للمشاهد المسرحية كاملة ، حتى ولو نقلها – محافظا على النص .. لأن الكاميرا لا تستطيع أن تنقل المشاركة الوجدانية بين المشاهد والممثل .. ولأن هناك وجودا حقيقيا للممثل على المسرح ينفعل معه الجمهور بحركاته وتعبيراته وأدائه للدور – عكس السينما بالاضافة الى أن المسرح ينقل النص بحرفيته ، أما الفيلم فمن الممكن أن تلغي الصورة بعضا من الحوار الذي قد يكون ضروريا للمشاهد .

غير أن الرأي الذي نادى به « مارسيل بانيول » قد أخذ طريقه فعلا نحو الظهور وبدأ ذلك باقتباس بعض المسرحيات الكلاسيكية المكتوبة ، والتي لم يشاهدها الجمهور ممثلة على المسرح .

وقد نقلت عن طريق السينما ، مع الاستعانة بالممثلين المسرحيين الكبار .

وكانت مسرحيات « هاملت » و « أوديب الملك » و « ماكبث » و «الملك لير » هي البداية « لفلمنة » المسرحيات .. وقام بأدائها نجوم مثل « لورانس أوليفييه وغيرهما من المشاهير » .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، لكنه تطور واخذ اشكالا اخرى اكثر تقدما .. وجاء أورسون ويلز كينقل لنا « ماكبث » بطريقة جديدة ، وان كان لم « يبدل » شيئا من النص الاصلي ، ولكنه « بدل » عن طريق الديكورات واداء الممثلين الذي يختلف عن ادائهم في المسرح ، فكان الاداء في السينما حيا ، وناضجا ، وجاذبا للجمهور ..

ولم يقف الامر عند المسرحيات الكلاسيكية فقط ، ولكنهم استعانوا بالمؤلفين الجدد واقتبسوا بعض مسرحياتهم .. ولكنهم بدلوا وغيروا في النص والاحداث الموجودة بالنص الاصلي .. غير أن ذلك كان يتم بموافقة المؤلف نفسه بحجة أن هذا التغيير سوف يجعل المسرحية أكثر وضوحا وفهما للمشاهد وهذا ما حدث بمسرحيات « أوجين أونيل » و « تينسي وليامز » و « وليام انجي » وغيرهم .. وكان ما يميز مثل هذه الافلام أن الحوار كان يلعب دورا اعتمادا كليا ، ولهذا كان يقوم بالتمثيل أساسيا في الفيلم ولا يعتمد على الصورة ممثلون كبار يستطيعون بخبرتهم اقناع المشاهد ومنذ ذلك الوقت والى الآن .. استمرت هذه الظاهرة ولم تتوقف ، بل انها أخذت طريقها فعلا نحو الانتشار ، فلم يعد يمضي عام الا وهناك افلام عدة مقتبسة أصلا من مسرحيات مكتوبة ..

من هذه الافلام ماعرضه المركز الثقافي الامريكي بالقاهرة ، حيث عرض لنا ثمانية أفلام تحت عنوان «المسرح الفيلمي»

من هذه الافلام نذكر « عربة اسمها اللذة »انتاج ١٩٥١ والفيلم مقتبس اصلا عن مسرحية « تينسي وليامز » ، اخراج اليا كازان والفيلم يحكي قصة صراع الطبقات في اسلوب لا يعتمد على الصورة اعتمادا كليا ولكن الحوار والسيناريو يلعبان الدور الاساسي في الفيلم ، من



ويليام هولدن

بيم نوفاك

خلال حياة تعيشها فتاة من الجنـــوب « ارستقراطية المولد والنشاة » مع زوج اختها « الخشن الطباع » الاقل طبقة منها ، والذى تنشــــا بينه وبين اخت زوجته مواقف من الصراع النفسى الذى يولد نتيجة اختلاف النشاة والحياة ..

الفيلم بطولة فيفيـان لى ، ومارلون براندو .

أما فيلم « نزهــة » ١٩٥٥ والمقتبس عن مسرحية بنفس الاسم للكاتب « وليام انجى » والتى حصـــلت على جائـزة « بوليتزر » لقصـــته تدور فى « ولاية كنساس » وصراعاته تدور أيضــا بين رجل قادم الى المدينة يقحم نفسه وسط أهلها .. ويتدخل فى شئونهم ـ خاصة السيدات ـ وتحدث هناك بعض المشاكل التى يعرضها الفيلم فى أسلوب حوارى بسيط وجذاب الفيلم اخراج « جوشــوا لوجن » وبطولة وليام هولدن وكيم نوفاك وروزا لينـدراسل

نموذج آخر من نماذج الصراع النفسى حيث الاحساس بالوحدة والضـــياع ، يقـــدمه لنا فيلم « شركة فى الزفاف » المقتبس عن مسرحية « كارسون ماكولر » الذى يتعرض لحياة طفله فى الثـــانية عشرة من عمرها تحس بالوحدة خاصـــة بعد أن تزوج شقيقها وتعيش مع «الخادمة» وابن عمها ـ ٦ سنوات ـ وتحدث بينهما مشاكل فى الحياة والمعيشة والنشاة .. اخرج الفيلم فريد زينمان وبطولة جولى هاريس .

أما الصراع الابدى والمتمثل فى قضية « البيض والسود » فى الولايات المتحدة الامريكية والتفرقة العنصرية الموجــودة فيعرضـــها فيلم « الامل الابيض » من خلال بطل زنجى للملاكمة يفوز على غريمه الابيض ، ويلتقى بفتـــاة ليســـت من جنسه .. تسبب له بعض المشــــاكل الطبقية التى يعـــانى منها الزنوج فى أمريكا والفيـــلم مقتبس عن مسرحية « هاوردسالكم » .

قصة أخرى من قصص الصراع الطبقى يعرضها فيلم « الملك وأنا » والمقتبس عن رواية « مرجريت لاندن » وقد سبق له أن نقل كمسرحية غنائية فى مســـارح برودواى ، من خلال امرأة تعمل «وصيفة» عند أحد الملوك « ملك الســـيام » الذى ينظر اليها نظرة حقد وكراهيـــة وبغض تنم عن نظرته فى التفرقة بين الطبقـــات وأفلام أخرى عرضها المركز الثقـــافى الامريكى ومعظمها يدور حـــول قصص الصراع النفسى والطبقى مجســـــدة فى أسلوب بارع يشـــد المشاهد ويجذبه كفيلم « الثعالب الصـــغار » المقتبس عن مسرحية « ليليان هيلمان » واخـــراج وليام وايلر وبطولة بيتى ديفز .

« الغريب فى الشمس » المقتبس عن مسرحية « لودين هانسبرى » وبطـــولة سيدنى بواتييه ،والذى يدور حول عائلة زنجية تعيش فى شيكاغو ويحصل أحدهم على شـــيك بمبلـــغ ١٠٠٠ دولار ويدور الصراع حول استحقاق كل منهم لنصيبه

هذه الافـــلام تعتبر نموذجا لهـــذه النوعية من المسرحيات التى أخذت طريقها نحو السينما بنجاح ساحق ، واستحقت ـ فعلا ـ أن تأخذ مكان المسرحيات وان كانت قد نقلت بطريقة كلاسيكية ودون خروج عن النص الاصل ، لكن الصورة قد نقلت للمشاهد فى بعض الاحيـــان اكثر مما نقلته الكلمة ..

هنود الأنكا

بقايا شعب مجيد يعيش منفيًا على حدود الجبال

الانكا شعب مجيد من شعوب امريكا الجنوبية قبل الكشف الكولومبي وغزو اسبانيا لتلك القارة في القرن السادس عشر على يد فرانتيسسكو بيثارو الاسباني الذى اقترف هو وجنوده بشاعات في حق هذا الشعب ، وطردوا بقاياه الى أعالي جبال الانديز الى ارتفاعات تتراوح بين ٢٥٠٠ و ٤٠٠٠ متر هنا يعيش بقايا ذلك الشعب في منطقة الكوتكو فقيرة مستضعفة متأخرة عن الزمان وكأنها تعيش في منفى





وسط جبال الأنديز في البيرو تقوم مدينة ماتشو بيتشو
عاصمة هنود الأنكا وحصنهم

هنود الإنكا

فى أعالى جبال الانديز فى جمهوريات اكوادور وبيرو وبوليفيا يعيش بقايا شعب الانكا الذى اقام فيما بين القرنين الحادى عشر والسادس عشر الميلادى حضارة زاهرة تقارن أحيانا بحضارة المصريين القدماء ، وظلت فى ازدهار حتى قضى عليها الاسبان فى غزوهم العنيف لبلاد امريكا الجنوبية على يد الغازى السفاح فرانتيسكو بيثارو .

وبعد المذابح التى أنزلها الاسبان بهذا الشعب المجيدطوردت بقاياه حتى اضطرت الى الاعتصام بمرتفعات جبال الانديز الشاهقة فى الجمهوريات التى ذكرناها .

وفى جنوب بيرو يتجمع اكبر عدد من بقايا الانكا فى أقليم جبلى شاهق الارتفاع يسمى الكوثكو وقاعدته بلدة صغيرة تسمى ماتشو بيتشو .

فى مرتفعات الكوثكو يعيش شعب الانكا فى عالم وحده بعيدا عن الدنيا والناس . ان افراده يعيشون على ارتفاع يتراوح بين ٢٨٠٠ و ٤٠٠٠ متر فوق سطح البحر . الجو هناك بارد رطب فى الشتاء وبارد جاف فى الصيف والارض مغطاة بأعشاب خضراء او جافة بحسب الفصل . البيئة كلها موحشة ساكنة . فى الطرق الضيقة لا ترى الا سيارة جيب من ساعة لساعة تشق طريقها فى عنف ، ثم يسود السكون . انهم يسمونها هناك بالاسبانية التيبلانو أى المرتفعات العالية . على ارتفاع ٤٠٠٠ متر يقل السكان ويندر أن تلقى فى طريقك أنسانا . هناك رعاة يسرحون بمواشيهم من الالباكا ،وهى حيوان شبيه باللاما أو اللياما مغطى بالصوف . كلاهما من فصيلة الجمل غير انهما لا سنام لهما

واذا خطر ببالك أن تسأل الراعى الهندى الاحمر عن الساعة لم يكترث لك أول الامر ونظر الى الالباكات التى يرعاها . ان هنود الانكا هناك ينتسبون الى قبائل الكتشوا . بعد لحظات ينظر الراعى اليك ويقول : الوقت متأخر



منسج فى العراء في احدى القرى ، انه منسج بدائى جدا ، ولكن نسيج الصوف الذى يخرجه ممتاز ومشهور فى الدنيا كلها لانه مصنوع من صوف الالباكا وهو صوف ناعم كالحرير وخفيف الوزن ، قريب من صوف الجمل .

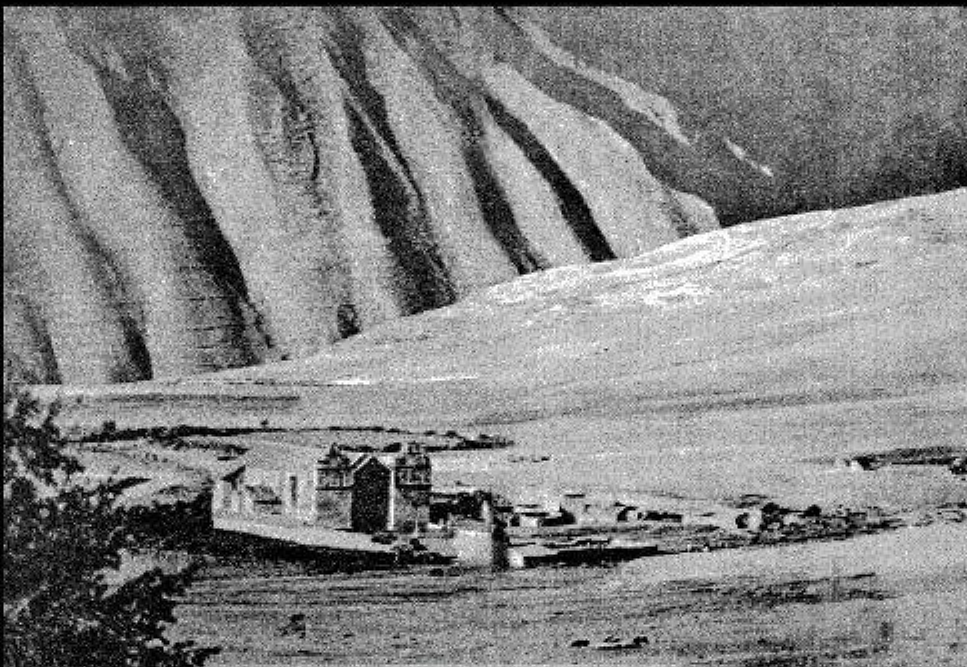


جماعة من قبيلة الأوروس الهندية تقطن بحيرة تيتيكاكا ، أعلا بحيرة في العالم في قوارب من البوص . هذه القوارب التي كان المصريون القدماء يصنعون مثلها هي التي ألهمت العالم النرويجي هايردال فكرة انتساب حضارة الانكا للحضارة المصرية . اعتقد قبائل الانكا أن الآلهة تعيش في قاع مياه البحيرة ، وكانوا يقدمون لها القرابين من الذهب والفضة . كانوا يلقونها في ماء البحيرة . اليوم يكتفون بالقاء قطع من الحلوى للآلهة .



هذه حطام مدينة ماتشو بيتشو عاصمة امبراطورية الانكا، انها قلعة حصينة تقع على ارتفاع ٢٤٠٠ متر قرب قمة جبل، وهي واقعة بين السحب، وجوها بارد، لم يستطع الاسبان الوصول اليها في القرن السادس عشر، ولم تكتشف الا في القرن التاسع عشر.

عندما غزا الاسبان بلاد الانكا خربوا كل ما وجـدوه من المباني بحثاً عن اي شيء يستحونه ، ثم بنوا للناس كنائس كانها الحصون ، ولم يستطع الهنود الحمر القيام بتكاليف صيانة هذه الكنائس . ثم انهم نادراً ما يدعون الى الكنائس ولهذا تهدمت الكنائس واصبحت خراب ، وهذه واحدة منها في بلدة موارى في جبال الكوكو .



هنود الأنكا

جدا ، وهذا هو كل جوابه على سؤالك عن الزمن . انه في شغل عنك وعن الدنيا . انه يمضغ بعض أوراق الكولا . وهي مخدرة .

ان الرجال هناك لايلبسون الا سراويل مهلهلة يضفون عليها البوتشو . البوتشكو الطف وأبسط ثوب في الدنيا انه قطعة صوف خشن ينسجها الناس بأيديهم . طولها متران.وعرضها متر ونصف وفي وسطها شق طوله عشرون سنتيمترا تقريبا ، والهندي الاحمر يدخل رأسه في ذلك الشق ويترك بقية هذا الكليم ينسدل عليه . انه رداء لطيف وواف بالغرض لانه يدفىء الانسان تماما .

وتلقى راعيا آخر فتسأله : كم المسافة من هنا الى ابانكاى . ابنكاى هي آخر مدينة في ذلك الطريق الجبلي الذي يشق اقليم الكوثكو ، لا يكترث لك الراعي كما فعل صاحبه الاول ، وبعد قليل يلتفت اليك ويقول : انها بعيدة جدا ، ثم يمضي لشأنه .

***

ان الناس يعيشون على هذه المرتفعات من الوف السنين ، يعيشون حياة بطيئة بل راكدة . انهم بقايا شعب تحطم . حطمه الاسبان بالحديد والنار والقوا ببقاياه الى هذه المرتفعات الموحشة ، رغم تعاستهم الظاهرة تشعر أن فيهم انسانية ورقة زهدوا في الدنيا واهلها . وقنعوا بالعيش في هذه البقاع الشاهقة كأنهم في منفى .

***

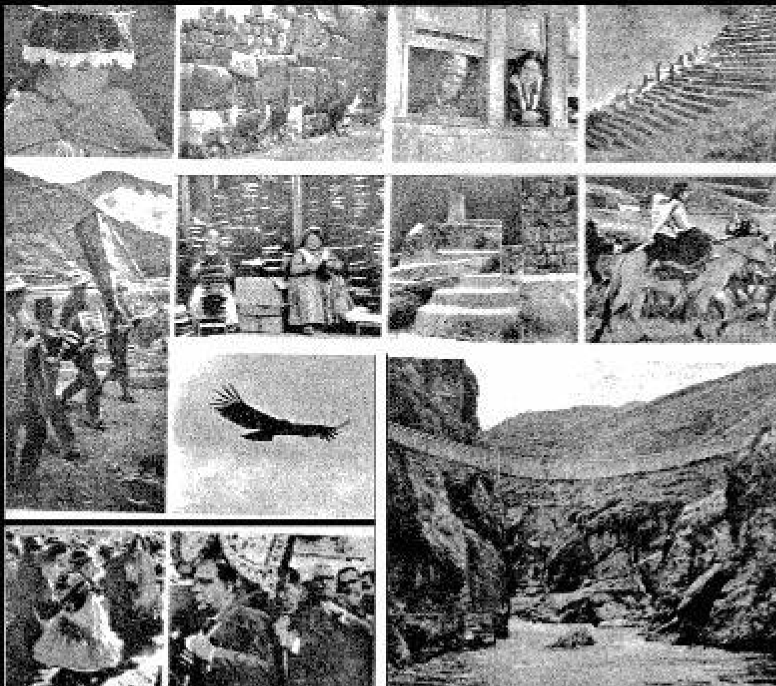
واعداد السكان في هذه المرتفعات قليلة ، فهم متناثرون في نواحيها ، يسكنون قرى فقيرة بيوتها من اللبن ، والبيت كوخ من غرفة واحدة واسعة تستعملها الاسرة كلها . في كل اغراضها من نوم وأكل واعداد طعام ، وهذه الاكواخ تبنى في صفين بينهما حارة ، وتلك هي القرية كلها .

والى جانب الرعي يمارس الناس هناك



يجر هنود قبائل الانكا عـــرباتهم بانفسهم لان الحيوانات التى تقوم بذلك العمل مثل الحمير والبغـــال والجمل لا تعيش فى هذه الاجـــواء المرتفعة . الكثيرون من الهنود يعملـــون فى جر العجلات المحملة بالبضائع او الامتعة لقاء اجر زهيد .

هنود الأنكا



هنود الأنكا

قليــلا من الزراعــة ، وأهم زراعاتهم البطاطس والذرة والكـــولا ، ومن يملك فدانين ثلاثة الى جانب بعض الالبــاكات يعتبر غنيا ، والناس يعيشون فى قراهم حياة بسيطة ولكنها غير سعيدة ، وأسوأ مافى حياتهم مضغهم لاوراق الكولا ، وهى مخدرة والادمان عليها يؤذى الصحة ٠

وكل شيء هنا يجــرى بهــدوء لان الارتفـــاع الشـــاهق يقلل من نســبة الاوكســوجين فى الهواء ويجعل التنفس عسيرا ، والناس هناك رئاتهم واســعة تعينهم على الحصول على ما يحتاجون اليه من اكسوجين ، أما الاغراب فيصابون من قلة الاكســـوجين ، فيسرع تنفســـهم ويشعرون بتعب وهبوط وصداع وغثيان واحيانا باغماء ، ومن هنا لا يســـتطيع العيش فى هذه البلاد ضــعيف القلب أو مريضه ، وحتى الســـــليم لابد له من الاحتراس والتقليل من حركته ما أمكن ، وهذه الاعراض تسمى فى جملتها مرض الاعالى ،والناس هنا يسمونه السيروتشو

***

وقد عانى الجنود الاســـبان الذين أرسلهم فرانثيسكو بيثارو لغزو هــذه الجهات الجبليــــة ٠ ولكنهم لم يحفلوا لمرض الاعالى لانهم كانوا فى نهم شــديد لنهب خيرات تلك البلاد ٠ وقد نهبــوها نهبا ذريعا ، وبيثارو نفســه نهب من الكوثكو ٧٨٧٥ كيلو جراما من الذهب ، أخذها من الملك اتاوالبا ملك الانكا عندما استولى على بلاده سنة ١٥٨٠ ، وبعد أن نهب منه هذا الذهب كله أحرقه هو وكل أهل بيته ورجال دولته بالنار ٠

وكانت عاصمة ذلك الملك بلدة ماتشو بيتشو وكانت قاعدة لدولة عظيمــة ذات حضــــارة زاهرة ، وكانت مملكة الانكا تشمل كل ما يعرف اليوم ببيرو واكوادور وبوليفيا وجزء من كولومبيا ، وقد حكمت ٤٠٠ سنة وكان عدد رعاياها ٢٥ مليونا من الناس ، وقد قضى عليها الاســـبان بصورة بشعة فيما بين عام ١٥٧٠ وعام ١٦٤٠ ميلادية ٠

● د : حسين مؤنس ●



صوامع في شكل اهرامات ينشئها الهنود لخزن الحبوب وللالتجاء اليها عند الضرورة وترى في الصورة عددا من الهنود يحتفلون بمناسبة سعيدة بالغناء والرقص والموسيقى الى جانب صومعتين ، لاحظ القبعات الصوفية التي يلبسها الرجال والنساء هناك •



صبية جميلة من صبايا الانكا . انها تنتسب الى قبيلة صغيرة تسمى الايمره ، وهى تعمل فى غزل صوف اللاما والالباكا عمل الملابس والبونشو منه فى احدى الجمعيات التعاونية . انها سعيدة مستبشرة لان الملابس التى تصنعها تباع بسعر طيب للسواح الكثيرين الذين يزورون بلاد الكوثكو مهد الانكا .

قصة : محاكمة الغربان

● ناجية جبر ●

● المكان .. مساحة متراميـة الاطـراف ، مقام بها حـديقة للفـاكهة ، في جانب منهـا شبه منفصل منزل مكـون من طـابقين بجواره جـرن كبير ، كان يسـتخدم في الآونة القديمة لدرس الغلال قبل ان تحول الارض الى زراعة الفاكهة ..

للمنزل شرفة واحدة كبيرة ملتفة حول وسطه كحزام ، كنوع من المحـافظة على البناء ليمتد به العمر فترة أطول . رغم مرور الاعوام وتفرق شمل الاهل فمن مات قد مات ومن هاجر قد هاجر .. الا انني كنت مواظبا على الذهاب الى البلـدة كي أجمع الايراد وأستمتع بجوها الصـحي الرائع وشمسها الساطعة الدافئة .

كـان لي مكان مفضـل في الشرفة لا أفارقه حين اذهب لقضاء يومين يجمع بين منظر الحديقة المترامية الاطراف من ناحية ومنظر الجرن وما يليه من حقـول من ناحية أخرى .. جلسـت في شرفة المنزل أملي ناظري بهذا الجمال الطبيعي الذي لا يضاهيه جمال فهو من صـنع الخالق ، بينما الآخر من صنع المخلوق .

اسـترخيت تماما في مقعـدي في الشمس وأخذتني نشوة صحوة الجو في أوائل مارس ، وأخذت استمتع بأشعة الشمس . فجأة احسست ان سـحابة كبيرة مظلمة تمر في الفضاء فتظلم المكان .. سمعت أصواتا عالية من صراخ طيور .. رفعت رأسي الى السماء فشـاهدت اغرب شيء .. مجموعة كبيرة من الغربان مجتمعة في حلقات تبدأ بحلقة صغيرة في الوسط مكونة من غرابين في وسـطهما ثالث ، يبدو المنظر كما لو ان غرابين قد احكما وثاق غراب بينهما ومن حـولهم يتجمع باقي الغربان في حلقات تتسـع في تناسق . كما لو كانت هذه مجموعة من الراقصين الايقـاعيين وليسـت من الغربان ! ..

ملأ الغربان الفضـاء من حولي بنعيق مزعج جعلني أستوي جالسا من الدهشة والخوف معا ..

وأخـذت الغربان ترفرف بأجنحتها وتسقط ناحية الجرن ببطء شديد وهي ما زالت مداومة على اصدار هذه الاصوات وكما لو كانت جميع غربان المنطقة قـد التقت في اجتمـاع هام وعاجـل ! ..

أخذت أنظر تجاهها وخوفي يمنعني من الحركة خشية ان تهاجمني فلم أكن أدرى الى الآن ما هو الغرض مما تفعل ، وصل الغربان الثلاثة الى أرض الجرن وتحلقت باقي الغربان حولهم في دوائر مستديرة لا عوج فيها ..

التصقت الغربان ببعضـهـا البعض وتقاربت الحلقات فأصـبحت جسـما متماسكا ..

وترك الغرابان الغـراب الثالث في وسط الحلقة وانضما الى باقي الغربان ، وسكن الجو من حولنا ، ولم اعد أسمع أصواتا ..

كانت الغـربان متماثلة في كل شيء تقريبا ، انتحى أربعة غـربان في جانب من الحلقة وكما لو كانوا يتشاورون ،أو تدور بينهم مداولة يصدر بعدها حكم..

وبعد قليل من بداية هذا « الاجتماع » كان الغراب الذي يتوسط الحلقة يحاول الفرار يمينا أو يسـارا ، فيقوم أقرب غراب منه بنقره ليمنعـه ، فيـذهب الى الناحية الاخرى ، فيتكرر المنظر ..

بعد « مداولة » الغربان انقض اكبرهم حجما على الغراب الذي يتوسط الحلقة ونقره في راسه عدة نقرات وكأنما كان ذلك ايذانا ببدء تنفيذ العقوبة ،فقد تركه للثلاثة الآخرين ليفعلـوا به نفس الشيء .. ثم لباقي مجموعة الغربان تنقـره ثم لا تتركه الا بعد ان قضـت عليه ، ولم يبق بعد الا ريشه وسط الجـرن عبرة تحكي قصة محاكمة الغـربان لغـراب اذنب او اخطأ او خرج على القـانون في مجتمع الغربان ..

آبـــاء
أبنـــاء

● د : نعمات احمد فؤاد ●

● عاطفة البنوة اعمق العواطف الانسانية .. قد يبر الابناء الاباء وقد يتعاطف الاخوة، وقد يتحاب الازواج . ولكن حب الوالد لبنيه فريد في صفائه ونقائه وعمقه ... انه نهاية الكمال ، لانه منزه عن الهوى ، بعيد عن الغرض ، غير منتظر جزاء ...

هذه العاطفة القوية قوة الحق الصافية صفاء الخير ، الخالدة خلود الزمن ـ هي سر كبير من اسرار الحياة تحفز فيها الى العمل ، وتدفع الى الكفاح وتغرى بالفضيلة في صور شتى.

حبس العادل عمر بن الخطاب ، الشاعر الحطيئة لبسطه لسانه في الناس ، ولم يقبل فيه شفاعة ، فما ان استعطفه ببيتيه :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

حتى اهتز الامير الوالد ودمعت عيناه واطلق أسيره للصبية برا بهم ورحمة..

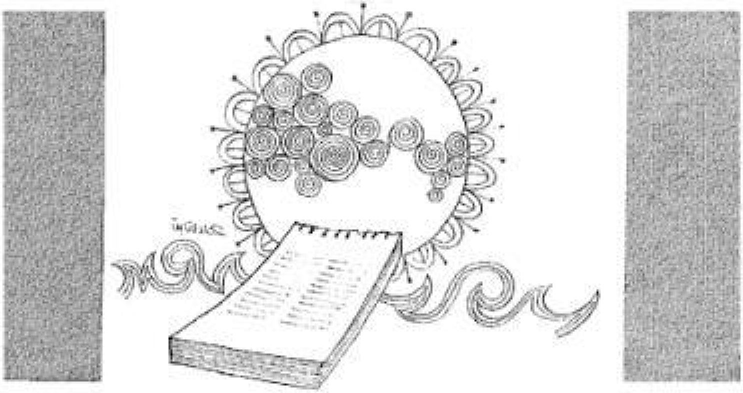
والبنوة تغرى بالفضيلة وخاصة بنوة البنات . فوالد البنات يبغض الشر ، ويعاف المنكر ، ويتحرج من السوء قولا وعملا ، وهو يرعى الله ليرعاه في بناته ...

هذه البنوة التي يوغل اثرها في الحياة الى هذا المدى ، لها في الادب اثر مماثل . وهل الادب الا تصوير للحياة تبدو في صقاله صورتها كاملة بما فيها من محاسن وعيوب ؟.

الهمت البنوة الادب آيات رائعات سجلها الشعر آنا والنثر حينا . فمن وحي البنوة في النثر رسائل ، ومن وحيها في الشعر غناء ومناجاة ... ومن منا لا يطرب قلبه وهو يردد مع شاعرنا احمد رامى ذلك النشيد العذب :

يا بني ، ها احيلي يا بني
نعمة العمر وتذكار الصبا
المنال لعيني قسرة
ارقب اليوم الذى تبسم لى
فاناجيك بالحان الهوى
كلمات هي لا معنى لها
فتراعيني ولا تقسوى على

انت ظل مده الله على
والاماني التي عزت لدى !
حين القاه وليدا في يدى
وترى آى الرضا في مقلتى
سابقات خاطرى في شفتى
غير ان تسمع منى اى شي
فغض اجفانك عنى يا بني !



ومن وحى البنوة فى النثر رسائل منها ما ضمها كتاب « من والد الى ولده » للمرحوم الاستاذ حافظ عوض. ومنها ما تضمنه كتاب الاستاذ احمد امين « الى ولدى » . ومن رسائل الاول قوله : « لقد خبرت العواطف على جميع درجاتها واصنافها ، فلم اجد عاطفة اقوى تملكا بالنفس ، وتمسكا بالحس من الحب الذى شعرت به نحوك منذ وجدت الى اليوم ... » .

هذا هو شعور الآباء فما بالك بالامهات . والامومة كما قال الاستاذ المازنى عن حق اقوى من الابوة ، « لان الشعور الابوى مرجعه الى غريزة حفظ النوع كالحب ، واساسه فى الرجل والمراة واحد . والعاطفة موجودة ومردها عند الرجل والمراة من حيث التكوين وما اعدتهما الطبيعة له ، ومن حيث طبيعة الحياة يجعل هذه العاطفة اقوى فى المراة واوضح منها فى الرجل

« ثم تجىء الصور الذهنية التى تحصل لكل منهما فتزيد هذه العاطفة وتضرمها . وهذه الصور عند المراة حشد حاشد وبحر زاخر لا آخر له ولا نهاية ، فهى لا تسعها الا ان تذكر ماعانت فى شهور الحمل وما جربت فى اطواره واحست من حركات الجنين فى جوفها، ثم ما كابدت من عذاب الوضع ..

« وكم الف صورة تحصل فى ذهنها بعد ذلك مذ كان طفلها وليدا الى ان يشب عن الطوق ويدخل مداخل الرجال والنساء . وكل حركة ومصة من ثديها وابتسامة ونظرة وتعبيسة وعولة وصوت ونهضة وعثرة وخطرة ... كل ذلك منقوش على صفحة قلبها مرتسم على لوح صدرها ، مدخور فى راسها ، وجوها حافل بهذا الطفل ، وحياتها كلها دائرة عليه غير منفصلة عنه ، وماضيها كان تمهيداً له وحاضرها مستغرق فيه ، ومستقبلها آمال منوطة به . واخلق بها ان يعيننا على تصور روعة الامومة وعمقها وسعتها وانطواء كل احساس فيها ، وتسرب كل شعور اليها ومنها. ولما كان نصيب الرجل من هذه الصور التى تحصل فى نفس المراة اقل واضال فلا عجب ان يكون غذاء العاطفة الابوية انفهجدا مما يغذى عاطفة الامومة » ..

وليس ادل على روعة الامومة من هذين البيتين اللذين اثرا عن اعرابية كانت تناجى بهما وليدها . ليسا من رصين الشعر او منضد القصيد ، ولكنهما عندى صورة نابضة للامومة المتفتحة . كانت تلك الاعرابية ترقص وليدها وتقول :

يا حبذا ريح الولـد ريح الخـزامى في البلد
اهكـذا كل ولـد أم لم يلد مثلى أحد !

هذه الفاظ بسيطة ساذجة ولكنها ساذجة الفطرة الخالدة ، وبسالة النفس الانسانية حين تنطلق على سجيتها .. انى اسمع فى تساؤل هذه الاعرابية « اهكذا كل ولد » خفقات قلب الام ـ اسمع لحنا خالدا !..

***

واذا كانت البنوة فى الوجدان بحيث توحى هذه الروائع فانها عند الحرمان اقوى ، وجنون القلب بها أعظم . ومن وحى النبوة عند الثكل هذه الدموع ولعلها اصدق ما فى الادب من آيات لان قائليها نفثوها وقلوبهم تحترق . ومن بحر الدموع هذه الدفقة التى رثى بها ابن الرومى ابنه محمدا :

اريحانة الانف والعينين والحشـا
الا ليت شعرى هل تغيرت عن عهدى
ساسقيك ماء العين ما اسعدت به
وان كانت السقيا من الدمع لا تجدى
اعينى جودا لى فقد جـدت للثرى
بانفس مما تسالان من الرفـد
كانى ما استمتعت منك بضمة
ولا شمة فى ملعب لك او مهـد
الام لما ابدى عليك من الاسى
وانى لاخفى منك اضعاف ما ابدى !

وكتب الاستاذ أحمد حسن الزيات فى ذكرى وليده :

« والهف نفسى عليه يوم تسلل اليه الحمام الراصد فى وعكة وقال الطبيب انها « البرد » ، ثم اعلن بعد ثلاثة ايام « الدفتريا » .. لقد عبث الداء الوبيل بجسمه النضر كما تعبث الريح السموم بالزهرة الفضة . ولكن ذكاءه وجمال ولطفه ما برحت قوية ناصعة تصارع العدم بحيوية الطفولة ، وتحاج القدر فى حكمة الحياة والموت !

« والهف نفسى عليه ساعة اخذته غصة الموت ، وادركته شهقة الروح ، فصاح بملء فمه الجميل « بابا .. بابا » كانما ظن اباه يدفع عنه مالا يدفع عن نفسه ! »

وقالت ام خالد النميرية ترثى ولدها وكان قد توفى فى بعض الغزوات ودفن فى الغربة :

اذا ما اتتنا الريح من نحو ارضه اتتنا برياه فطاب هبوبهـا
اتتنا بمسك خالط المسك عنبر وريح خزامى باكرتها جنوبهـا
احن لذكراه اذا ما ذكـرته وتنهـل عبرات تفيض غروبها
حنين اسير نازح شـد قيده واعوال نفس غاب عنها حبيبهـا

هذه ليست شاعرة ولكنها ام تتلظى ـ وقانا الله تجربتها .

اكثير بعد هذا ان يقول الرسول « الجنة تحت اقدام الامهات » ؟

اكثير بعد هذا ان يوصى التنزيل الحكيم البنين بالاباء فى اكبار يدل عليه قوله : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا . امايبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » ..

ابتسم !

● عبد الهادى النجار ●

قال حظى مبــعد النبــرات
قلت كلا .. صــلاح امرك آت
يا صديقى دع المخاوف كاسـا
حنظليــا يصــب هــول المـات
ماعهــدناك حارســا للمآسى
يا عظيمــا تئن من هفــوات
وامتحناك « عنترا » او « لبيدا »
تقهر الوهم فى رخيم ثبــات
مهــرجان الاباء ينبض كبــرا
انت فيه الشــجاع شيخ الكماة
فتبــرا من طيــف يأســك ، غرد
فلذيذ الحيــاة فى البســمات
كل من يركب الهواجس بحــرا
لم تقبل عيناه شــط نجــاة
ترهق الدنيا كرة لاختبــار
ثم تصــفو شــقراء فى لحظات
فنظام الاشــياء رجع انقلاب
ســنة الله مالك القــدرات
فاقبلوا العيش ســكرا او اجاجا
ما بايدينا شــاحب الســاعات
واعمروا الكــون فتنــة وجلالا
لن يزف الشرود غير الشــتات
خــاننى الحظ حقبــة غير انى
فى رداء الصــلاح تزهو اناتى
ومحــا البــين غبطتى ، وآرانى
شامخ الروح ســامق الخطوات
يا صــديقى هيا نسير هــوانا
فى روابى ملتــاعة الخفقــات
رائــع وابن رائــع كل حس
يقتديه الصــمود سر الحياة

صورة

الليلة الثانية

قصة

• عبد العليم القباني •

لم تهدأ السماء في هذه الليلة بل راحت تلقى بكل مااختزنته من مطر في رشات احيانا وفي رخات كالسيل احيانا اخرى ؟ ..

كان الظلام يسود المدينة عدا لحظات يومض فيها البرق ، ثم يعود الظلام احلك مما كان .. اقفر الشارع فلم اعد اسمع غير ازيز الماء المنهمر من الميازيب على الارض ، والا اصداء بعض النوافذ الخشبية وهي تصطفع بعنف جدران البيوت !

كنت قابعا في مقعدى ملتفعا بغطائي اغالب النوم ، فهذه هي الليلة الثانية التي اقضيها مسهدا على هذا المقعد .. اما زوجتي فقد تركت لها حجرة النوم التي تفوح منها بعض الروائح الغريبة ، رائحة « الشيح » كانت اشدها نفاذا ..

لم يكن معها في الحجرة غير « امي » وغير سيدة اخرى بدينة تقترب من الخمسين ، كانت تقطع صمت الشقة المتواضعة بين الفينة والفينة بدعوات فيها نبرات من ايمان موروث .

كانت « زوجتي » تلد وهذه هي المرة الاولى لها ، وهذه « السيدة » قابلتها ، ولذلك لم يكن مستساغا ان ادخل في الامر او ادخل حتى حجرة النوم .

وانتبهت على صوت القابلة وهي تقول :

قربي قليلا من السكر يابني حتى يسهلها ربنا .

واختلط الامر على فلم استطع ان افهم الصلة بين السكر والتساهيل .. اقسى من هذا ، انه لايوجد سكر في المنزل ، ومعنى ذلك انى سأنزل الى الشارع في هذا الجو القارس والساعة الان الثالثة بعد منتصف الليل لأبحث عن بقال يبيع سكرا ..

لم يكن هناك مجال للتفاهم ، فزوجتى مجهدة ، وهذه القابلة بقية عصر مضى ، فلا يمكن ان تقتنع لحظة بما توارثته عبر اجيال ..

***

صفرت الريح في اذنى وامتلا حذائى بالماء ، بينما استحال معطفى الى لوح

من الجليد ، ولم اجد امامي من يبيعني سكرا .. رايت شرطيا يتقي غضبة الشتاء بمظلة الاوتيبيس « فاتجهت اليه اساله ان يدلني على بقال يبيع سكرا .. ظنني « الشرطي » مجنونا، ولما عرف ان زوجتي تلد الان تخلى عن مكمنه واستقبل معي السيل والريح معا ..

الحق انه كان نبيلا فمع انه انزلق في أول حفرة وسقط بملابسه الرسمية على الارض الموحلة ، الا انه اصر على ان يمضي في الشوط الى نهايته ، وانتهى بي الى بقال في زقاق خلفي ، تعود ان ينام في دكانه ، وايقظه ..

***

لفافة السكر معي الان ، لكن السماء تحولت الى شفق .

بدا مصنع النسيج الكائن على ناصية الشارع يحترق .. اجراس سيارات المطافىء اخذت طريقها الى الاسماع المتدثرة باغطيتها ، اصوات الفزع بدات تنازع اصوات العاصفة ..

تجمدت في وقفتي .. اخي يعمل في هذا المصنع .. تجمد تفكيري على صورته وهو يكافح النيران المشتعلة .. بحركة لا شعورية مددت يدي اليه ، لكنني احسست بلفافة السكر وهي توشك ان تهوى على الارض .

نقلتني هذه الحركة الى زوجتي التي تلد ..

اخذت قدماي تصعدان الدرج في آلية محمومة .

القابلة استقبلتني بوجه ممتقع وهي تقول ان الولادة متعسرة ، وعليك ان تطلب الطبيبة من المستشفى في اقرب وقت ..

انتقلت رجفة يدي القابلة الى جسمي كله ..

***

الدخان يتصاعد في نورات سوداء لاتنضب ، اللهب يضيء في ارتعاش ظلمة الليل .. ظلال البيوت اشباح ترقص في كآبة ..

« كان المطر ينهمر في عنفه على الجماهير التي احتشدت حول مبنى المصنع والجماهير تصرخ في لهفة وتسال في قلق عن الاباء والاخوة الذين تضمهم الجدران .. »

اندفعت في دوامة الجموع ..

اخي خلف هذه الجدران في هذه الليلة القاسية ..

زوجتي بالمنزل في حالة خطيرة وعلى ان استدعى الطبيبة من المستشفى .

جرس الاسعاف يدق ..

افسحوا الطريق للنجدة !

عندما قالت الطبيبة ان عملية الولادة قد تمت والحمد لله ، كنت في حالة لا افهم فيها اى معنى لهذه الكلمات .

كانت الشوارع تجري في سباق ارعن .. وكانت البيوت تتداخل في عناق مجنون ..

كان المطر ينهمر على الجماهير المحتشدة بينما تحول الليل الى شفق . كان المصنع يحترق واخي يعمل في هذا المصنع في هذه الليلة القاسية ، وزوجتي تلد والقابلة تطلب سكرا ! ..

رنين جرس الاسعاف بدا يغوص في اعماق الليل .. انفجرت المغارة وتهاوت ظلال الجبل الاسود اخي يبتسم وهو ينحني على زوجتي الراقدة على سرير ابيض ..

دوت صرخه حادة من سيدة عجوز انتصبت امامي فجاة ، فتبينت فيها ملامح امي ..

والتفتت لاسمع امتداد هذه الصرخة نفسها رتيبة في خفوت من .. من وليدي الصغير الذي يرقد بجوارامه

كاريكاتير جيل جديد جداً !؟



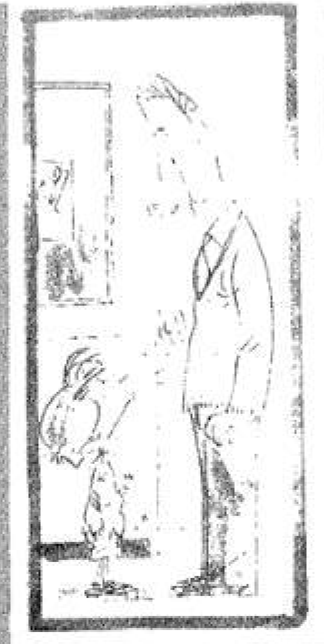
الولد لابيه : بصراحة انا مش عاجبني حكاية مصروف يومي ده ... ماتخليه يبقى مرتب شهري وله زيادات ومكافآت ومعاش ... الخ ... الخ !!



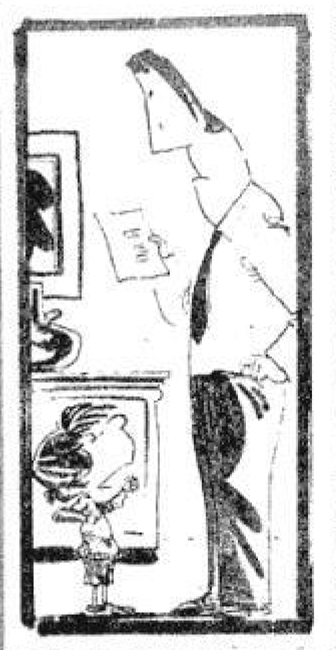
الولد للبنت : مادام باستى بقيتوا زينا والمساواة في كل شيء آخر تمام ... يبقى نقسم مصروفك على مصروفي ... والدك راجل غني ، وانا والدي على قد الحال ... لكن المساواة لابد منها !



الولد للمدرس : مادام سيادتك عاوزنا ننجح ، مابلاش تتعب نفسك وهات اسئلة الامتحان من دلوقت نذاكرها وننجح لك آخر نجاح !



الولد لابيه : هو سيادتك مالكش شغلة الا انا ؟! هي الحكومة بتعطيك مرتب ومكافاة بس علشان تلاحقني طول النهار وتقول عملت ايه ورايح فين وجاي منين ؟!



الولد لابيه : ده ياسيدي جواب من المدرس بيقولك من دلوقت بلاش انت تعمل لي الواجب المدرسي احسن اسقط ياشاطر !



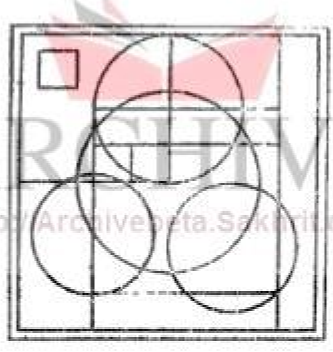
الولد لصاحبه : أيوه هو ده بابا ياسيدي ... علمته الرسم علشان اشغله عني شويه واستريح من طلباته !

روح عن نفسك

اولا : ـ لغز شعرى ، ما الاسم الذى . . ؟

اليكم معشر الشعراء لغـزا
يسير الحل ليس له مثيـل
هو اسم مدينة فى مصر كـانت
وما برحت لها ذكـر جميـل
سداسى الحروف بغير شـك
ونصف حروفه عضـو جليل
وباقى حـروفه يدعى الهـا
ويعبـده من الأحيا قليـل
ولفظ حـروفه بالعكس سـم
شنيع مهلك وهو الدليـل !

ثانيا : ـ كم مربعا وكم دائرة فى الشكل التالى :



ثالثا : ـ اختبر ذكاءك :

١ ـ رأى رجل مع زوجته كوبا فيه ماء ، فقال « اسقينى ! » فامتنعت ، فأقسم أن يطلقها اذا هى شربت هذا الماء أو أراقته أو تركته فى الكوب ، فماذا تعمل الزوجة ؟

٢ ـ كيف تحصل على ماء من السماء ؟

٣ ـ ما هو آخر شىء يفعله الانسان فى حياته ؟

٤ ـ ما الشىء الذى يلقى به بعيدا عند استعماله ويحتفظ به عند عدم استعماله ؟

٥ ـ من كان الزوج الثانى للزوجة الاولى لنابليون ؟

٦ ـ سقط شخص فوق القضبان الحديدية على مسافة متر واحد من القطار الذى كان يسير بسرعة كبيرة ، ولكنه لم يصب بسوء ، فلماذا ؟

٧ ـ أنا أكبر من أخى محمود ، ومحمد أصغر من محمود ، لذلك فاننى اكبر من محمد ، فهل هذا الاستنتاج صحيح ؟

٨ ـ قدم تاجر تحف لاحد السائحين قطع نقود عربية وقد نقش عليهـا « ضرب سنة ٥٥ قبل الهجرة » ولكن السائح رفض شراءها ، فلماذا ؟

٩ ـ اذا كان سلق بيضة يتم فى اربع دقائق ، فكم دقيقة تكفى لسلق عشر بيضات ؟

١٠ ـ رجل ولد فى ٢٩ فبراير سنة ١٨٣٦ وتوفى فى ١٥ يناير سنة ١٨٩٦، فكم مرة احتفل بعيد ميلاده ؟

رابعا : هل أنت قوى الملاحظة ؟

١ ـ يعلق البعض أحيانا حدوة حصان على باب شقته من قبيل التفـاؤل وجلب الحظ ، فهل يكون طرفا الحدوة الى أعلى أم الى اسفل ؟

٢ ـ اى عقربى الساعة تحت الآخر : عقرب الدقائق أم عقرب الساعات ؟

٣ ـ لقد شاهدت « ميكى ماوس » مرارا فكم اصبعا فى كل من يديه ؟

٤ ـ الى اى جهة كان يتجه طرفا الهلال والنجوم فى العلم المصرى السابق ؟

٥ ـ أية ساق يرفعها الحصان فى تمثال ابراهيم باشا بميدان الاوبرا ؟

● الاجابات ●

اولا : اللغز الشعرى : عين شمس

ثانيا : كم مربعا وكم دائرة : عشرة مربعات واربع دوائر

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ـ تضع فى الكوب قطعة قماش تتشرب الماء ثم تجففها فى الشمس .

٢ ـ احذف السين

٣ ـ أن يموت .

٤ ـ مرساة المركب أو الهلب .

٥ ـ نابليون .

٦ ـ سقط خلف القطار بعد مروره .

٧ ـ نعم ، صحيح .

٨ ـ لأن الهجرة لم تكن حدثت ، فكيف يمكن التاريخ بها عندما ضربت تلك النقود .

٩ ـ نفس المدة ، أربع دقائق .

١٠ ـ أربع عشرة مرة بواقع مرة كل أربع سـنوات لأن سنة ١٨٣٦ سنة كبيسة .

رابعا : هل أنت قوى الملاحظة ؟

١ ـ الى اسفل .

٢ ـ عقرب الساعات .

٣ ـ اربعة اصابع .

٤ ـ الى الجهة التى ليست بها السارية (الصارى) .

٥ ـ لا يرفع اية ساق .

إلى الشباب

لكل سؤال جواب

هذا الباب الجديد الذى تفتحه مجلة الهلال للشباب يحاول أن يقدم للاجيال الصاعدة خدمة ثقافية واسعة المجال سواء فيما يتعلق بالقاعدة الثقافية للطلاب الطامحين الى اعداد انفسهم لمستقبل زاهر كما يتجلى فى المادة العلمية القديرة فى الصفحات التالية .

واستكمالا لهذه الخدمة نرجو الشباب ان يبعثوا الينا باسئلتهم سواء فيما يتعلق بالدراسة أو الثقافية او مشاكل الحياة ..

وسنقوم بعرض الاسئلة على اساتذة متخصصين ونشر الاجوبة ونرجو ان تكون الاسئلة واضحة ومختصرة لكى يكون الجواب عليها وافيا بمايريد الشباب ..

اللغة الانجليزية

وطلبة الثانوية العامة

بقلم : جرجس فؤاد الرشيدى
مستشار اللغة الانجليزية
بوزارة التربية والتعليم

اذا كان احد الاهداف الاساسية من تعليم اللغة الانجليزية هو اعداد الطالب كى يعبر عن فكره فى استرسال سليم ـ فان كتابة الموضوعات الانشائية هى قمة اشكال مثل هذا التعبير .. فموضوع الانشاء فى احسن صوره مجموعة من الجمل الصحيحة تربطها وحدة فكرية ونمو منطقى من واحدة الى اخرى . وكل مجموعة من الجمل تتعرض لنقطة واحدة من نقاط الموضوع تكون فقره paragraph كان ذلك سائدا فيما مضى وكانت كمية التدريب التى يحصل عليها الطلاب كافية لتمكنهم من كتابة موضوعات انشائية قد تختلف فى جودتها باختلاف قدرات الطلاب الذهنية من اللغة . وبالاختصار كانت الانشاء مقياسا جيدا لقدرة الطالب الذهنية واللغوية وهو الهدف الاساسى لاى امتحان .

كان ذلك ممكنا حين كان الطلاب يدرسون اللغة الانجليزية من المرحلة الابتدائية أو حتى بعد ذلك حين كانت ظروف الفصول وعدد المدرسين ونوعيتهم تسمح بأن ينال كل فرد من الطلبة القدر الكافى من العناية والتدريب اللغوى .

ولكن الاسباب عديدة أخذ مستوى الطلاب فى الاضمحلال حتى صار احتمال كتابتهم لموضوع انشائى يستحق هذا الاسم فى حكم المنعدم ..

وبالرغم من وضوح هذا القصور من الطلاب ، استمر وجود سؤال الانشاء كالسؤال الاول فى امتحان الثانوية العامة .. وسار الحال من سيىء الى أسوأ ، حتى لجأ الطلاب الى استظهار بعض الموضوعات الانشائية وكتابتها فى الامتحان حتى لو كان السؤال لا يتطلب اجابة ما يكتبوه .

وفطن المسئولون فى الوزارة الى هذا الحال وحاولوا التعديل . فى شكل السؤال لتقريبه الى قدرة الطلاب الحقيقية ، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل . فمنذ سنوات رأى واضعو امتحان الثانوية العامة أنه قد يكون فى مقدور الطلاب أن يكتبوا فقرة واحدة سليمة بدلا من موضوع طويل فى عدة فقرات لا يقدرون على كتابته .

ولكن لم تكن النتيجة مرضية ، اذ ان تركيز فكرة ما أو قصة فى فقرة واحدة يحتاج الى مهارة يفتقر اليها الطلاب . جاءت الفقرات فى لغة ركيكة ملأى بالاخطاء . وفى أحسن الحالات كان الطالب يكتب جملا متراصة لا يربط احداها بالآخر اى تطور منطقى .

ولما ثبت أن المشكلة ليس فى طول أو قصر ما يكتبه الطالب لانه أصلا غير قادر على تكوين جمل سليمة ، نادى بالرجوع الى الموضوعات الانشائية الطويلة . وقد زعم المتفائلون من أنصار الرجوع الى الموضوعات الانشائية الطويلة أن التعبير ذو النفس الطويل هو أقصى ما يهدف اليه تعليم اللغة . وهذا صحيح ولكن ما الفائدة من أن تطلب من الطالب أن يعمل ما لا طاقة له به ؟

ومنذ سنوات قليلة حاول واضعو الامتحان التيسير على الطلاب بامدادهم بالنقاط التى يعالجونها فى انشائهم ، فجاءت رءوس الموضوعات الطويلة التى تتمثل فى منطوقها العناصر التى على الطالب ان يعالجها ، ظنا منهم ان الطالب اذا لم يشغل ذهنه فى التفكير فى عناصر الموضوع ، سيركز اهتمامه فى التعبير بلغة سليمة .

ولكن لم تنجح هذه المحاولة أيضا ، فقد ضرب السواد الاعظم من الطلاب بالعناصر المعطاة عرض الحائط ، وكتبوا اما ما يحفظوه حتى لو كان بعيدا عن المطلوب ،أو جملا متناثرة لا علاقة لاحدها بالاخرى ، وكانت الجمل نفسها بعيدة كل البعد عن الانجليزية السليمة .

ونتيجة لمناقشات طويلة لهذه المشكلة التى استفحل امرها مع المسئولين عن تعليم اللغة الانجليزية ، ومع من يحتك بنا من خبراء بريطانيين او امريكيين ، أيقنا أن ما نطلبه من الطلاب اكثر من طاقتهم ،اذ ان دراسة الانجليزية لست سنوات وبالكم والكيف اللذين تدرس بهما لا تؤهلهم لكتابة موضوعات انشائية طويلةفى موضوعات لم يتعرضوا لها مباشرة فى دراستهم وان المعقول ان يطلب منهم كتابة فقرة واحدة بمساعدة كبيرة guided paragraph

وبما ان كتاب Practice and Progress يعطى الطلاب تدريبا على كتابة هذا الشكل من الانشاء ، رأينا ان ندخله فى امتحان الثانوية العامة الى ان ينتقل

اللغة الانجليزية وطلبة الثانوية العامة

الطلاب ويتمكنون من ان يكتبوا جملا سليمة مرتبطة فى سياق منطقى ،وحينئذ قد ترتفع بهم الى شكل يتطلب منهم اعتمادا اكثر على انفسهم .

ومع ذلك فلم نحصل فى الواقع على النتائج المرجوة فى العام الماضى ، لان المعلمين والطلاب ما زالت ترتبط فى اذهانهم فكرة الانشاء بالشكل التقليدى القديم . وبالفعل طالب كثير من المعلمين اثناء تقدير الدرجات أن نعفى الطلاب من الالتزام باستعمال الكلمات المساعدة المعطاة حتى تتاح لهم فرصة التعبير الحر عن أفكارهم ، وبما ان ادخال هذا الشكل من الكتابة جاء على أنقاض فشل الطلاب فى كتابة الانشاء التقليدية ، لم يقبل رأى هؤلاء المعلمين .

وبسبب عدم اقتناع الكثير من المعلمين والقصور فى تدريب الطلاب على كتابة هذا النوع من الفقرات لم يأبه كثير من الطلبة بالكلمات المساعدة المعطاة لهم فكانت النتيجة أن ما كتبوه لم يقل سوءا عن موضوعات الانشاء التى كانت تكتب فى الاعوام السابقة، ومع ذلك فقد حصلنا على بعض المكاسب من هذا التغيير تشجعنا على المضى فيه . فأولا حصل الطلاب الذين التزموا بالكلمات المساعدة على درجات لا بأس بها . وبعضهم ولأول مرة منذ مدة طويلة كتبوا فقرة شبه صحيحة تماما ..

وثانيا اختفت الموضوعات المحفوظة وبالمقارنة الاحصائية وجدنا أن فى امتحان سنة ١٩٧٩ حصل ٦٠٪ من الطلاب على صفر فى الانشاء ، وحصل حوالى ٩٠٪ على أقل من ٢ من ٦ ولكن فى امتحان سنة ١٩٨٠ نادرا ما حصل طالب على صفر ، وحصل الكثيرون على درجات مرتفعة فى الفقرتين المطلوب كتابتهما .

والهدف من التغيير هو انه بالرغم من التضحية بدور الطالب الخلاق فى كتابة الانشاء الا أنه قد يستطيع أن يكتب فى حدود امكانياته بعض الجمل السليمة أو شبه السليمة وربطها بعضها ببعض بمنطق يجعل منها وحدة متسقة مفهومة . واذا لم تكافىء نتيجة العام الماضى توقعاتنا فاننا نأمل أن نحصل هذا العام على نتيجة أفضل بدراسة Practice and Progress بالطريقة الصحيحة وتدرب الطلاب على هذا النمط الانشائى.

واسئلة الانشاء فى امتحان الثانوية العامة ثلاثة كلها اجبارية .

اثنان منها فقرتان كل فى ثمانية سطور فى موضوعات عامة او قصص قصيرة ، والثالث خطاب شخصى او عائلى يطلب من الطالب كتابته .

وسنقدم هنا مثلين احدهما فى موضوع عام والآخر قصة قصيرة ونتتبع المراحل التى يمكن للطالب فيها كتابة الفقرتين ويجب ان ننوه هنا الى انه ليس هناك ما يضطر واضعى الامتحان بان يأتوا بموضوع عام وقصة فى سؤاليهما فى الانشاء بل هو مجرد احتمال .

Write a paragraph of 8 lines on why tourists come to Egypt in writer.

Use the followin guiding words. : winter - weather - warm / attracted - monuments - ancient/ Pyramids - Gize - wonders/Luxor - tombs tempies/Aswan -beautiful sights - Cataracts/Abu - Sembel - great temple ?- moved.

وتبدأ كتابة الفقرة بمقدمة صغيرة مثل :

Tourists come to Egypt in winter for many reasons.

ثم توضع كل مجموعة من الكلمات تنتهي بشرطة (/) في جملة مفيدة مع محاولة أن يكون هناك تتابع منطقي من جملة الى جملة .

They come to enjoy the winter weather which is quite warm. Most of them are attracted by the monuments left by the ancient Egyptians thousands of years ago. At Giza, they see the pyramids which are among the wonders of the world. At Luxor, they see the tombs of the Kings and queens and the temples of Luxor and El-Karnak. At Aswan they see more monuments besides the beautiful sight of the cataracts. Some may even go as far as Abu-Sembel to see how the great temple was moved from its place to avoid being drowned by the Nile water.

وهذا مثل لقصة قصيرة في ثمانية سطور .

In a paragraph of eight lines write the story of a man who is well rewarded for his honesty. Use the following guiding words :

early morning - walking - deserted street/a bag - thrown - ground/opened - see - what/ten thousand pounds - besides - papers/as - need - decided/ conscience - allow - dishonest/took - bag - police station/owner - called - take / gave - reward - five hundred pounds.

والقصة القصيرة باستخدام الكلمات المساعدة يمكن أن تكون كما يلي :

One early morning, a man was walking in a deserted street. He noticed a small bag thrown on the ground. He picked it up and opened it to see what was in it. There were ten thousand pounds besides some papers belonging to a well - known business man. As the man was in bad need of money. He decided to keep the bag. But his conscience did not allow him to do such a dishonest thing. He therefore, took the bag to the nearest police station. The owner was called to take the bag. He gave the man a reward of five hundred pounds.

والسؤال الثالث هو سؤال الخطاب ، ودائما ما كان يطلب من الطالب أن يكتب خطابا في امتحان الثانوية العامة . الواقع أن التدريب على كتابة الخطابات هام لأن الشخص العادي يجد نفسه مضطرا في كثير من المواقف الى أن يكتب خطابا باللغة الانجليزية .

والخطابات الانجليزية لها شكل خاص يجب أن يتقنه الطالب حتى لا يكون خطابه محاكاة لشكل الخطاب العربي في شكله ومضمونه . فالخطاب الانجليزي يبدأ عادة بعنوان المرسل الذي يكتب في الناحية اليمنى من صفحة الخطاب ويليه من تحته التاريخ .. ويكتفى بذلك في الخطابات الشخصية أو العائلية ، ولكن يكتب وظيفة وعنوان المرسل اليه في الناحية اليسرى في الخطابات ذات الصفة الرسمية أو المرسلة لأغراض تجارية أو أعمال اقتصادية أو مصرفية .

فمثلا اذا أرسل الخادم خطابا لصديق في يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٨٠ وكان يسكن في ١٦ شارع الجسر بشبرا فيبدأ خطابه كما يلي

18 El Gesr Street,
Shoubra,
Cairo.
October 22, 1980

وتضاف Egypt متبوعة بنقطة تحت Cairo متبوعة بشولة اذا كان الخطاب مرسلا الى الخارج .

أما اذا أرسل نفس الشخص خطابا الى مدير شركة مصر للبترول بميدان عرابي

بالقاهرة لطلب وظيفة مثلا فيبدأ الخطاب كما يلى ٠

The Manager,
Misr Petroleum Co.,
Arabi Square,
Cairo.

15 El Gear Street,
Shoubra,
Cairo.
October 22, 1980

وهذه معلومة للطالب اذ أن ما يطلب منه كتابة فى امتحان الثانوية العامة يقتصر على الخطابات الشخصية أو العائلية ٠

ويقدم كتاب Practice and Progress تدريبات كافية على كتابة عنوان المرسل والتاريخ ثم يبدأ الخطاب بالتحية وهذه لها أشكال محددة قد تختلف أحيانا عن مثيلاتها فى الخطابات العربية ٠ فتبدأ التحية دائما بكلمة Dear دون كلمة أخرى ٠ والطلاب الذين يكتبون ٠ My dear . . . مخطئون ، اذ لا توضع My قبل Dear اطلاقا ٠٠

والكلمة التى تتبعها Dear هى اسم المرسل اليه خاصة اذا كان صديقا أو زميلا أو قريبا فى مثل سن المرسل ، أو أقل أو أى شخص لا كلفة بينه وبين المرسل ٠ اذن من الخطأ أن يكتب المرسل Dear Sister Dear Brother Dear Friend بل يكتب الاسم الاول فقط ٠٠ أما اذا كان الخطاب مرسلا للأب أو الأم فنكتب

Dear Father
(Dear Grandfather,)
eDar Mother,
(Dear Grandmother).
(Dear Grandpa,)
(Dear Grandma,)

أما للخال أو العم فنكتب Dear Uncle ، متبوعة باسم الاول ، وكذلك للعمة أو الخالة فنكتب Dear unt . . . متبوعة باسمها الاول ٠

أما اذا كان الخطاب مكتوبا لشخص لا يمكن للمرسل أن يرفع الكلفة فى الكتابة اليه فيكتب Dear Mr . . . . متبوعة باسمه الرسمى وهو اسم العائلة ٠٠ أما اذا كان الخطاب رسميا اكثر من ذلك فيكتب Dear Sir,

وتختلف الجملة الأولى فى صلب الخطاب باختلاف الاغراض التى تكتب من اجلها الخطابات ٠ والطلاب الذين يبداون كل خطاباتهم بالسؤال عن صحة المرسل اليه وعائلته قياسا على ما يكتب فى الخطابات العربية مخطئون ٠ ومن الطريف أن جملة بعينها جاءت فى أول الخطابات التى كتبها ما يقرب من ٨٠٪ من طلاب الثانوية العامة فى العام الماضى وهى

I hope that you and your family are in good health.

وهى جملة لا تأتى فى أول خطاب بالانجليزية الا اذا كان المرسل اليه وعائلته مرضى أو تم شفاؤهم لتوهم وكان الغرض من كتابة الخطاب السؤال عن صحتهم بالدرجة الاولى ٠ ويقدم كتاب Practice and Progress بدايات مختلفة تناسب كافة الأغراض التى من اجلها يكتب مثيلا لها أكثر مناسبة لغرض الرسالة التى يطلب منه كتابتها ٠

أما بقية الخطاب فيكتب باختصار فى جمل قصــيرة مباشرة دون أى زيادة أو تنميق لا ضرورة لها . وقد دأب الطلبة فى الاعوام السابقة على اهمـال صـــلب الخطاب ظنا منهم أنهم يحصـــلون على درجات لكتابة العنوان والتاريخ والتحية وهذا خطأ بين لان الخطاب يقدر على انه وحدة متكاملة ، اذا نقص جزء من أجزائه أصبح غير ذى موضوع .

ودأب بعض الطلبة أيضا على كتـــابة صلب الخطاب مما يحفظوه عن ظهر قلب وكثيرا ما كان ذلك لا علاقة له مطلقا بما يطلب منهم كتابته . ولمســاعدة الطالب ولتشجيعه ان يكتب صلب الخطاب دون أن يحيل عن المطلوب ـ بدأنا منذ العـام المـاضى فى تزويـده ببعض الكلمـــات المساعدة . وبمجرد انتهاء الجمـل التى تعبر عن الغرض من كتابة الرسالة تختتم ب Yours sincerely, الا اذا كانت مكتوبة الى قريب فتختتم ب

Your loving sister

Your loving son, الخ .

وهذا مثـل للخطاب الذى يطلب من الطالب كتابته فى امتحان الثانوية العامة

Last year you went to England in the summer holidays. You worked as a waiter in a restaurant. John Smith worked with you. Write him a letter telling him why you cannot go this summer. Your anme is Nabil and you live at 15 Om Kalsoum Street, El Sembellawein, Dakahlieh. Use the following guiding words in the body of your letter

Last year - enjoyed - this year - General Secondary - Education certificate - busy - apply - university. hope - next year.

مثل هـــذا الخطاب يمكن ان يكـون بالشكل الآتى :

15 Om Kalsoum Street,
El Senbellawein,
Dakahlieh,
Egypt.
May 12, 1980

Dear John,

I am sorry I have not written to you before. I remember very well the days we spent together last year. I enjoyed every minute of them. This year I hope to get the General Secondary Education certificate. I'll be too busy to go to England again. I will have to apply to the university and wait to know which faculty I will be admitted into. I hope I will see you again next year; perhaps, at the same restaurant.

Yours sincerely,
Nabil

ويلاحظ ان الخطاب ليس فيه تحيات لا ضرورة لها ولا سؤال عن صـحة الاهل والاصدقاء ، بل كل جمله تقع فى نطاق الغـــرض الذى كتبت من اجله . وانى واثق أنه اذا وضع الطلاب ذلك نصـب اعينهم لحالفهم التوفيق فى اجابة هـــذا السؤال .

والى حلقة قادمة لنوع آخر من اسئلة امتحان الثانوية العامة .

تذكرة تفوق

لطلبة الثانوية العامة

في الفلسفة والمنطق وعلم النفس

● حليم فريد تادرس ●
موجه أول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الامانة الفنية لتطوير التعليم

● يدرس طلبة الثانوية العامة - شعبة الآداب - « الفلسفة والمنطق وعلم النفس» لاول مرة اذ لم يسبق لهذه المواد الدراسية أن وقعت - من قبل - في خبرتهم • ومن هنا تهيبها كثرة من الطلبة والطالبات في حين انها اشد التصاقا بهم من حبل الوريد :

● فالفلسفة هي الحياة في أعمق أعماقها ، اذ تعبر عن نظرة شاملة للعالم الاكبر (الوجود) والعالم الاصغر (الانسان) •

● والمنطق هو العلم الذى يعين الانسان على التمييز بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي فيتجنب بذلك فساد الحكم وعثرات الاستدلال والاستنتاج •

● وعلم النفس هو العلم الذى يتخذ من « السلوك » موضوعا له ، وليس الصق بالانسان من سلوكه ، والدراسة العلمية للسلوك تعين الفرد على فهم ذاته وفهم الآخرين ••

● في السطور التالية تقدم الفلسفة الى القراء عامة والى طلبة الثانوية العامة على وجه التخصيص ••

فما هي الفلسفة ؟!

والجواب ، هي البحث عن المطلق ••

وهي في أصلها اليوناني تعنى « حب الحكمة » أى السعي لبلوغ الحكمة (أو

● الفلسفة هي الحياة في أعمق أعماقها إذ تعبر عن نظرة شاملة للعالم الأكبر [الوجود] ، والعالم الأصغر [الانسان]

الحقيقة) حقيقة الوجود وحقيقة الانسان وهذا السعي يلح على الانسان اينما كان يقول « بارتيلمي سانت هيلر » « هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟ من أين جاء ؟ من صنعهما ؟ من يديرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه الدنيا ؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟ — هذه الاسئلة لا توجد أمة ، ولا شعب ، ولا مجتمع ، الا وضع لها حلولا جيدة أو رديئة ، مقبولة أو سخيفة ، ثابتة أو منحولة » .

ويقول « شاشاوان » : « مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر علميا وصناعيا واقتصاديا واجتماعيا ، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العملية ، وللجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا ، فان عقلنا في أوقات السكون والهدوء (عظاما كنا أو متواضعين ، أخيارا كنا أو اشرارا) يعود الى التأمل في هذه المسائل الأزلية : لم وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ، والى التفكير في العلل الاولى او الثانية وفي حقوقنا وواجباتنا .. »

من هنا كانت الفلسفة هي الحياة ذاتها .. ولكن في أعمق أعماقها ، هي استفهام وتساؤل نشأ في تربة الدهشة ، وقديما قال ارسطو « انما الدهشة هي الأم التي انجبت الفلسفة » بيد أن الفلسفة عصور .. وكان لكل عصر من عصورها اسئلته وأجوبته ، ومن هنا فقد اصطبغت الفلسفة في كل عصر من عصورها بثقافة العصر والاطار الحضاري الذي عاش بين ظهرانيه شتى الفلاسفة .. وما الفيلسوف في عصره الا « زمبلك » هذا العصر يحرك ما هو مدفون في ثقافة العصر ويستخرجه ويبرزه للناس في نظرة كلية شاملة .

ولذلك نجد الكتاب المدرسي قد عرض مقرر الفلسفة في صورة مسائل اربع سيطرت كل مسألة منها على عصر من العصور الاربعة التي عرفتها البشرية .

● ففي العصر اليوناني القديم كان سؤال العصر هو : ما الوجود ؟! وما علته ؟ وهل ثمة شيء ثابت وراء هذا الوجود المتغير ؟ .. وغني عن البيان انه سؤال يعبر عن طفولة الفكر ، تماما كما يسأل الطفل من حوله عن العالم والله ؟!

● وفي العصور الوسطى (القرن السابع حتى القرن الخامس عشر) كانت المسألة هي : كيف نوفق بين العقل والوحي أي بين الفلسفة والدين ، اذ حملت الفلسفة اليونانية الى العصور الوسطى فكر أرسطو الذي يقول بقدم العالم وبوجود أول (محرك أول) لا علاقة له بالعالم ، وكان لهذا الفيلسوف سطوته على فكر العصور الوسطى ، في حين أن الدين يقول بحدوث العالم وينسب الى محدثه (الله) صفات العقل والقدرة والارادة والمشيئة والعلم ، أضف الى ذلك أن الدين قد جاء بأمور تتجاوز نطاق العقل ، فكان سؤال العصر هو : كيف يقبل العقل ما جاء به الوحي ، فولدت

مسألة التوفيق بين العقـل والدين أو الفلسفة والدين ، من الطبيعي أن يتأثر فلاسفة العصور الوسطى بأرسطو ومن الطبيعي أيضا أن يرفضوا كل ما جاء به أرسطو متعارضا مع الدين .

● وفي العصر الحديث (القرنين ١٧ ، ١٨) تغيرت صيغة السؤال .. اذ تميز العصر الحديث بالكشـوف العلمية .. والعلم في حاجة الى منهج يسير بمقتضاه فكان سؤال لعصر الحديث هو : ما هو المنهج الذي يؤدي الى أدق معرفة ؟ وما هي طبيعة المعرفة وحدودها ووسائلها ؟! تغيرت صيغة السؤال اذن .. فاصبح سؤالا في المنهج .. وهنا أمكن للفلسفة أن تقدم لعلم أصول المنهج .

● وفي عصرنا المعاصر (القرنين ١٩ ، ٢٠) رزئت التناقضات وصراع الانسان في ظل متناقضات عصره وبفعلها ، فاصبح الانسان اذن هو مسـألة عصره الملحة : الانتاج ، الحرية ، العمل ، النظر ، فكانت الماركسية والبراجماتية والوجـودية هي الجواب على السؤال رغم تباين واختلاف الاجابات .

● ذلك عرض شامل الفرد الفلسـفة في الثـانوية العامة ، ولنبدا فيما يلي عرض المسألة الاولى ، أول مسالة فلسفية سيطرت على الفكر الفلسفي في عصوره القديمة وهي مسالة الوجود . ما الوجود وما علته وما هو الشيء الثابت وراء هذا الوجود المتغير ولذلك قدمت هذه المسألة في الكتاب المدرسي تحت عنوان (مسالة التغير والثبات في الوجود) وفي عرضنا للمســألة سنعنى أولا وبالذات بابراز ركائزها الاساسية والمحاور التي تدور حولها أسئلة امتحان الثانوية العامة .

(١) هيراقليطس وبارمنيدس

حاول كلا من هيراقليطس وبارمنيدس ــ وهما من أوائل فلاسفة اليونان ــ تفسير الوجود ، فوصــفه هيراقلطس بالتغير المستمر ، ويأخذ هذا التغير شكل الصراع بين أضداد فكل ما في الوجود يتحول الى ضده ، ثم وصف كل مظاهر التغير بأنها تحدث طبقا لنظام دقيق يحقق الانسجام بين الاضداد بفعل عقل كامن في الوجود .

أمـا « بارمنيـدس » ، فقد وقف من هيراقليطس موقفا معاكســا اذ يرى أن الحواس الخادعة هي التي تظهر لنا أن الوجود في تغير مسـتمر ، في حين أن النظر العقلي للوجود يكشف لنا عن ثباته ووحدته ، فالوجود ثابت لانه مثل كرة ملاء وكل ملاء لا يقبل اضافة ولانقصانا ، والوجود واحد لانه اما أن يكون وجـود أو لا وجود ، واللاوجود ممتنع أصلا لانه عدم ومحال .. فلا يبقى اذن الا الوجود الواحد ..

(٢) السوفسطائيون وسقراط

وقد انصرفا عن دراسة الوجـود الى دراسة الانسان ، والطبيعة الانسـانية ، وقد وقف كلا منهما موقفا معاكسا تماما لموقف الآخر .

فبالنسبة للمعرفة الانسانية يتصـور السوفسـطائيون أن مصــدرها هـو الاحساسات المتغيرة ومن هنا تصبح القيم والحق والخير والجمال معـاني نسبية ، ويصبح العلم الحقيقي هو العلم بالامور الجزئية المتغيرة ..

ولهذا يقول زعيمهم (بروتا غوراس) « الانسان معيار كل شيء في الوجـود » فلا شيء اذن مطلـق ، في حين يرفض سقراط هذا الموقف لان كل ما هو متغير باطل وكل ثابت هو الحق .. وبالتالي يرفض المعـرفة التي تأتي عن طـريق الاحساسات ، ويرى أن العقل هو مصدر المعـرفة ، وأن العلم بالامور الكليـة والتصورات العقلية هو العلم الحق ..

وفي مجال الاخـلاق ، تصـور السوفسطائيون الانسان يطلب ــ بفطرته ــ المنفعة الشخصية واللذات الحسية .. ومن هنا دعوا الناس الى مخالفة القانون الذي يضع قيدا على طبيعة الانسان التي تنشد الخير المادي والمنفعة الشـخصية ، في حين أن سقراط يرى الانسـان خيرا بفطرته ، وأن هـذه الفطرة الخيرة هي

● المنطق هو العلم الذي يعين الانسان على التمييز بين ما هو ذاتي، وما هو موضوعي، فيتجنب بذلك فساد الحكم وعثرات الاستدلال والاستنتاج

التي تدعوه لعمل الخير، وخير الانسان هو الخير المعنوي الذي يحقق سعادة النفس لا الخير المادي كما تصور السوفسطائيون .. وان الانسان يفعل الشر لجهله بالفضيلة، ومن هنا وحد سقراط بين العلم والفضيلة فيقول « الفضيلة علم والرذيلة جهل » .

اتجاهان متعاكسان نحو الطبيعة الانسانية اخذ كلا منهما يروج لاتجاهه ، فاعتمد السوفسطائيون على الحوار اللفظي الذي يخاطب الوجدان والاحساسات مستخدما المغالطات اللفظية في تشكيل الناس في العقل .. اما سقراط فقد اعتمد على الحوار المنطقي الذي يخاطب العقل باحثا في عقول الناس عن المعاني الكلية والتصورات العقلية للفضائل حتى لا تصبح الفضيلة نسبية كما يدعي السوفسطائيون ، اذ كان سقراط يعتقد بأن الانسان يولد مزودا بالعلم بالفضيلة ، وما على الفيلسوف الا أن يساعد الانسان بطريق الحوار المنطقي على توليد المعاني الكلية للفضائل من عقل الانسان ،ولذلك يعرف منهجه باسم منهج التوليد العقلي .

(٣) افلاطون وارسطو

وقد اتجها لدراسة الوجود لمعرفة حقيقته وأصله الثابت ومع ان ارسطو كان تلميذا لافلاطون الا أنه عارضه في النقطة الاساسية في مذهبه وكان ارسطو يقول : « اني أحب افلاطون .. لكن حبي للحق أعظم ! » .

● فقد شطر افلاطون الوجود الى قسمين أو عالمين ، فقال بعالم سماه (عالم المثل) وعالم ثان اطلق عليه اسم (عالم المحسوسات) ، عالم المحسوسات هذا هو عالمنا الذي نعيش فيه ، وقد وصفه بأنه عالم الاشباح الزائفة ، لان كل ما فيه جزئي متغير ، وكل متغير باطل (لاحظ هنا تأثره بأستاذه سقراط) واذا كان عالمنا المحسوس هذا هو عالم الاشباح الزائفة كما يدعي افلاطون .. فاين هو عالم الحقائق !

يقول افلاطون انه عالم المثل المفارق والمستقل عن العالم المحسوس ، وعالم المثل هذا هو عالم الحقائق الازلية الثابتة هو عالم الاصول والنماذج ففي عالم المثل هذا نجد مثالا واحدا لكل من الخير والجمال والعدالة ومثالا واحد لكل نوع من الانواع .. ففيه مثال واحد للانسان، ومثال واحد للحصان ، ومثال واحد للشجرة .. الخ .

وهذه المثل الكلية الثابتة مستقلة عن عالم المحسوسات وان كانت المحسوسات تشاركها وتحاكيها .

ولكن من اين جاءت هذه المحسوسات المتغيرة ؟ يقول أفلاطون أنها مصنوعة صنعها اله صانع (موجود أول) من عناصر أربعة أزلية هي الهواء والنار والماء والتراب محتذيا بالمثل الازلية ايضا

● العلم الحقيقي اذن في نظر افلاطون هو العلم بالكلي الثابت اي بالمثل ..

فكيف يتم علمنا بالمثل ؟ يجيب افلاطون : بطريقتين أولهما ـ التذكر (أى تذكر المثل) .

وكيف نتذكر المثل ؟ يقول ان النفس الانسانية قبل ان تحل في البدن كانت في عالم المثل ، ومن ثم فقد ادركت المثل لكنها ارتكبت خطيئة فهبطت الى البدن ولما كان البدن ماديا وناقصا فقد نسيت المثل .. وما عليها الا ان تتذكرها ، وثانيهما ـ الجدل وهو جدل مع الذات حيث تصعد النفس من تامل المحسوسات المتغيرة الكثيرة الى افتراض أن هناك وحدة تجمع كل نوع منها في مثال .. يكون هو الاصل والنموذج لهذه الكثرة المتغيرة

● تلك هي نظرية افلاطون في الوجود وفي المعرفة ، وقد تصدى أرسطو لهذه النظرية بالنقد والتجريح ،وكان اعتراض ارسطو على قول افلاطون بأن حقائق الاشياء (مثلها) توجد في عالم مفارق .

يقول ارسطو في نقد نظرية المثل الافلاطونية ، انه اذا كانت المثل تعنى حقائق الاشياء او روح الاشياء فروح الاشياء يجب أن تكون حالة فيها لامفارقة لها ، اذ لا يمكن فهم وجود شيء أو تفسير وجود شيء بعيدا مستقل عنه ، ثم انه لا توجد أدنى محاكاة بين محسوسات تتصف بالتغير ومثل تتصف بالثبات فالمتغير لا يشبه ما هو ثابت ! ومن هنا فقد هدم ارسطو اهم ركن في نظرية الوجود الافلاطونية فكيف تصور ارسطو الوجود وعلته ؟!

يقول أرسطو أن كل موجود طبيعي أو صناعي انما يتكون من مادة ومن صورة ، والمادة يسميها (الهيولى) مادة أولى لا تعين لها أى لا توصف ولا لون لها ولا طعم ولا شكل ، وقد وصفها بالتغير المستمر لانها تنزع دائما لان تتحقق في صورة ، أما الصورة فهي المعنى الكلي الثابت الذي يعين المادة ويحددها فيصبح للشيء وجود ، فالانسان مثلا ما هو الا مادة اتخذت لها صورة الانسان ..

وقد أطلق أرسطو على المادة اسم (الوجود بالقوة) لانها وجود ممكن وكل ممكن يكون وجوده بالقوة ، وأطلق على الصورة اسم (الوجود بالفعل) لانها هي التي تحد الهيولى فيكون للشيء وجود ، ذلك لان وجود الشيء يعني تحول ما هو بالقوة الى الشيء بالفعل أي تحول المادة لكي تتخذ لها صورة .

● كان المثال الافلاطوني اذن هو الصورة الارسطية هبط بها أرسطو من عالم المثل وردها الى الاشياء فصارت الاشياء حقائق بعد أن كانت في نظر افلاطون اشباحا تشارك مثلها وتحاكيها .

وفي تفسير ارسطو لحركة العالم ، اثبت للعالم محركا أول اعتبره علة غائية لحركة العالم ، وهو محرك أول لايتحرك لانه صورة خالصة ومن طبيعة الصورة الثبات وعدم الحركة ، ثم وصف هذا المحرك الاول بأنه موضوع عشق اذ يتحرك العالم الى غايته بحركة عشق ونزوع لكماله ، فهو اذن علة غائية لحركة العالم وما العشق والنزوع الا العلة الفاعلة لهذه الحركة .. ثم وصف المحرك الاول من ناحية اخرى بانه مشغول عن العالم بالتفكير في ذاته وتامل كماله ، ومن هنا سلب عن الوجود الاول (المحرك الاول) القدرة والمشيئة والعقل والارادة والعلم .

● وفي مسألة قدم العالم او حدوثه يتفق افلاطون مع ارسطو في القول بقدم العالم اذ يصف افلاطون حركة العالم بأنها دائرية أي لابداية لها ولا نهاية كما يصف العناصر الاربعة والمثل أيضا بالازلية .. ونجد أرسطو أيضا يصف حركة الافلاك والكواكب بأنها دائرية الى جانب أنه سلب عن المحرك الاول القدرة والفعل والعلم والارادة والمشيئة .

●● تلك هي خلاصة موقف فلاسفة اليونان من مسألة الوجود ، وهنا يتعين علينا ان ننبه الى الآتي :

(١) أن السوفسطائيين كانوا يطلبون العلم بالامور الجزئية المتغيرة ومن هنا كانت الحقيقة عندهم متغيرة ، أما سقراط

● علم النفس هو العلم الذي يتخذ من "السلوك" موضوعاً له، وليس أصح بالانسان من سلوكه ... والدراسة العلمية للسلوك تعين الفرد على فهم ذاته وفهم الآخرين

فهي يتشبث العلم بالامور الكلية والتصورات العقلية الثابتة .

(٢) أن افلاطون في نظرية المثل قد تأثر بالسابقين عليه ، فقد اخذ عن هيراقليطس فكرة التغير وطبقها على عالم المثل .. ثم أخذ عن سقراط أن كل ما هو كلي وثابت هو الحق وكل ما هو جزئي متغير باطل ، ولذلك يصف عالم المثل الثابت بأنه عالم الاصول والنماذج والحقائق الازلية الابدية ، ويصف عالم المحسوسات الجزئي المتغير بأنه عالم الاشباح الزائفة .

(٣) أن الخلاف الاساسي بين ارسطو وافلاطون يبدو في تصور افلاطون للمثل الصورية أي حقائق الاشياء ، فافلاطون يتصورها مفارقة للاشياء ومستقلة عنها في عالم مفارق هو عالم المثل ، في حين أن ارسطو يرفض هذا التصور الافلاطوني اذ يتصور ارسطو أن حقيقة الشيء توجد حالة فيه وليست مفارقة لها ويفسر ذلك في نظريته :(المادة والصورة) ويصف المادة بأنها الوجود بالقوة ، والصورة بأنها الوجود بالفعل ، ووجود الشيء يعني تحول ما هو بالقوة الى الشيء بالفعل ..

والى جانب ذلك فقد تصور افلاطون القدرة والعقل والارادة والمشيئة والعلم اذ وصفه بأنه مشغول عن العالم بالتفكير في ذاته ، وان كانت نظرية المحرك الاول الارسطية تعبر عن قمة البناء الميتافيزيقي عند ارسطو لانه فسر بها حركة العالم في مجموعه .

(٤) أنه بدءا من سقراط اخذت النظرة تتجه الى الامور الكلية الثابتة التي تدرك بالعقل على انها العلم الحق ووصف المتغير بالنقص .

ـ والكلي الثابت عند سقراط هو العلم بالتصورات العقلية الكلية للفضائل .

ـ والكلي الثابت عند افلاطون هو المثل الازلية الابدية .

ـ والكلي الثابت عند ارسطو هو « الصورة » التي تعين المادة فيكون للشيء وجود ولذلك نجده يضع « الصورة » في أعلى سلسلة الموجودات بل ويصف المحرك الاول بأنه صورة خالصة ولذلك فقد وصفه بالكمال المطلق .

(٥) يتفق ارسطو مع افلاطون في القول بقدم العالم .

● وهنا يجب أن ننبه الى أن فلسفة العصور الوسطى جاءت متأثرة بارسطو لكنها رفضت كل ما جاءت به الفلسفة اليونانية متعارضاً مع الدين كالقول بقدم العالم والقول باله صانع ـ (افلاطون) والقول بمحرك اول ليست له في العالم قدرة ولاارادة ولا فعل ولا علم ـ (ارسطو) وذلك على النحو الذى سيتضح عند عرض فلسفة العصور الوسطى .

● حليم فريد تادرس ●
موجه اول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الامانة الفنية لتطوير التعليم

النموذج الشعري الذي ندرسه تطبيقا للأدب المهجري

البلاد المحجوبة

للشاعر جبران خليل جبران

اعداد : محمد نجيب ابو العزم

● فكرة النص ●

هى فكرة فلسفية قديمة طالما راودت عقول الفلاسفة وخيال الشعراء ، فكرة العالم الافضل المثالى ، عالم يضم اهل الفكر والعلماء واهل العقل والحق والصلحاء ، وعشاق الفن والجمال والادباء .. بسطها افلاطون فى « جمهوريته » والفارابى فى « مدينته الفاضلة » والشاعر الانجليزى « ملتن » فى الجنة الضائعة .

واطلق عليها جبران اسم « البلاد المحجوبة » ولعل الباعث الى هذه الفكرة هو الشعور بالقلق والحيرة ، والضيق من عالم الواقع الذى يسوده الشر والاثرة ، تطلع هؤلاء الفلاسفة الى عالم افضل يسوده الحب والخير.

وقد نظم جبران قصيدته هذه فى مقاطع .. والمقطع عبارة عن دفقة شعورية ووحدة فكرية ومعنوية يحتاج الشاعر للتعبير عنها الى اكثر من بيت واحد .

المقطع الاول

● بين الامل والملل ●

**هو ذا الفجر فقومى ننصرف
عن ديار مالنا فيها صديق
ما عسى يرجو نبات يختلف
زهرة عن كل ورد وشقيق ؟
وجديد القلب انى يأتلف
مع قلوب كل ما فيها عتيق؟
هو ذا الصبح ينادى فاسمعى
وهلمى نقتفى خطواته
قد كفانا من مساء يدعى
ان نور الصبح من آياته**

لعل الشاعر قد اشتد به الحنين ، ولج به الخيال . وسيطر عليه الامل فى ان يرى هذا العالم المنشود .. فاحس به قريبا منه، فراح يدعو نفسه او الانسانية المعذبة مثله ــ الى النهوض نحو هذا العالم ، والانصراف عن عالم يملؤه شعورا بالغربة ، فلا صديق يؤنسه ، ولا رفقة تجانسه ولا صحبة يأتلف معها .. انه عالم مظلم الجوانب ومع ذلك فان اهله يزعمون انهم منبع النور ومصدر الحضارة .

ولعلنا نحس ان الشاعر قد عبر عن شعوره بالغربة والتناقض مع عالم الواقع باكثر من صورة أو وسيلة تعبيرية ، وذلك فى الكناية بقوله (وبلاد مالنا فيها صديق) وفى التشبيه .. حين يصور نفسه وسط هذا العالم بالنبات الذى يختلف عما يحيط به من الوان النبات . وفى المقابله بين اصحاب القلوب الطيبة والمبادىء الجديدة ، وبين اصحاب العقول الباليه والمبادىء الداعيه الى الشر والدمار ، وفى الاستفهام الذى يدل على النفى والاستبعاد ـ ولعلنا نحس ايضا بالامل الذى يراوده حين يصور عالمه الافضل مره بالفجر ، ومره بالصبح ، الى جانب الشعور بالضيق والنفور والملل والسام من عالمنا هذا حين يقول (قد كفانا من مسار يدعى)

المقطع الثانى

● شقا وعناء ●

قد اقمنا العمر فى واد تسير
بين ضلعيه خيالات الهموم
وشهدنا الياس اسرابا تطير
فوق متنيه كعقبان وبوم
وشربنا السم من ماء الغدير
واكلنا السم من فج الكروم
ولبسنا الصبر ثوبا فالتهب
فغدونا نتردى بالرماد ..
وافترشناه وسادا فانقلب
عندما نمنا هشيما وقتاد

وفى هذا المقطع نجد التبرير والتفسير لتطلع الشاعر الى بلاده وعالمه الافضل فيرسم لنا صورة لشقاء البشرية وما تعانيه من الوان الهموم والياس .

نحن فى هذه الحياة نقضى العمر فى واد يزخر باشباح الهموم ، يخلق فوق رءوسنا طيور الياس كثيفة مخيفة كثيبة ، نتجرع السقام ونتغذى بالسموم التى تبدو لنا فى صورة براقة زائفة وبين طياتها الداء والفناء فاذا لجانا الى الصبر نحتمى به عذبنا الصبر فلسعتنا نيرانه ، واوجعتنا اشواكه والامه .

ولعلك تستشف من الابيات شعورا قويا بالمعاناة والمقاساة وقد انعكس هذا الشعور فى تعبير الشاعر وتصويره .

اما التعبير .. فتطالعنا منه كلمات توحى بهذه المعاناة مثل (الهموم ـ الياس ـ العقبان والبوم ـ السقم والسم ـ الهشيم والقتاد) واما التصوير .. فنراه فى تجسيد الهموم وانها اشباح تتراءى فى وادى الحياة ولياس الذى تمثل طيورا جارحة مخيفة ، والسقم الذى نتجرعه ، والصبر الذى نرتديه ثوبا فيحرقنا ، ونفترشه وسادا فيؤلمنا وفى لغة الشاعر يسر وسهولة يشوبها بعض التساهل اللغوى والاخطاء اللغوية . فكلمة (خيالات) غير دقيقه فالصواب (اخيله) .وكلمة (نتردى) صوابها نرتدى . وتسكين اخر كلمة (قتاد) من اجل القافية والصواب (هشيما وقتادا)

المقطع الثالث :

● حيرة وياس ●

.. يا بلادا حجبت منذ الازل
كيف نرجوك ومن اين السبيل ؟
اى قفز روتها اى جبل ؟
سورها العالى ومن منا الدليل ؟
اسراب انت ؟ ام انت الامل
فى نفوس تتمنى المستحيل ؟
امنام يتهادى فى القلوب
فاذا ما استيقظت ولى المنام ؟
ام غيوم طفن شمس الغروب
قبل ان يغرقن فى بحر الظلام

وفي هذا المقطع نرى جبران حائراً في البحث عن عالمه وبلاده يائساً من وجوده في دنيا الحقيقة والواقع . فيناجي هذه البلاد في حسرة وليس .

ايتها البلاد التي ليس لها وجود منذ بدء هذا الوجود ، ومن العجيب اننا لانالو جهداً في البحث عنك . ان بيننا وبينك قفاراً شاسعة وجبالا شاهقة واسواراً عالية ، ولا دليل يرشدنا اليك . انت وهم لا وجود له ، وأمل لن يتحقق وحلم نسعد به في منامنا ونفتقده في يقظتنا ، انت سحاب يدور ويلمع وقت الغروب ولا يلبث حتى يذوب في بحار الظلام .

.. ولعلنا نلمس حيرة الشاعر في كثرة الاساليب الاستفهاميه وتواليها . ونحس اليأس من عالمه في هذه التشبيهات التي تؤكد استحالة وجوده فهي كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، وهي حلم جميل يفر منا اذا ما تفتحت عيوننا على الواقع الاليم ، وهي كالسحب التي تبدو وقت الغروب في لون العقيق والذهب ، ولكنها سرعان ما تتلاشى في ظلام الليل .

وحينما يتحدث الشاعر في هذا المقطع عما يحول بيننا وبين هذا العالم الافضل فانه يذكر القفر والجبل والسور والعالي ، وفقدان السبيل والدليل . وهي في الحقيقة رموز للموانع الحقيقية التي تحول بين الانسانية وبين هذا المطلب العزيز ونعني بها غرائز الشر الكامنة في الانسان والتي عجز الهداة والمصلحون عن استئصالها من بني البشر .

المقطع الرابع

● ما هي ؟ واين هي ؟ ●

يا بلاد الفكر يا مهد الالى
عبدوا الحق وصلوا للجمال
ما طلبناك بركب او على
متن سفن أو بخيل ورحال
لست في الشرق او الغرب ولا
في جنوب الارض اونحو الشمال
لست في الجو ولا تحت البحار
لست فيالسهل ولاالوعر الحرج
انت في الارواح انوار ونار
انت في صدري فؤاد يختلج

ما زال الشاعر يناجي عالمه الضائع ويصفها بانها بلاد تضم الفلاسفة والمفكرين دعاةالحق والعادلين، وعشاق الجمال من ارباب الفنون والاداب .

ثم يذكر انه لا سبيل الى الوصول اليها ؛ وانها لا وجود لها في عالمه الواقعي وانما هي حلم يخالج النفس وامل يراود القلب وهي شيء رائع مشرق عندما نحلم بها ، ونار تحرق عندما يصدمنا فلا نجدها .

ولعلنا نحس مدى سهولة التعبير في هذا الشعر ، وان كان ذلك لا يمنع من عمق الفكرة وتلك سمة من سمات الادب المهجري .

وفي النص الكثير من خصائص أدب المهجر سواء من حيث المضمون او الشكل

فاما المضمون فاننا نجد في قصيدة البلاد المحجوبه : ــ

ــ النزعة الانسانية : فالشاعر يتمنى للانسانيه خلاصا من عالم الشر ، وحياة مليئه بالحب والخير

ــ المشاركة الوجدانية : ففي النص

تصور لالام البشر وتعبير عن امالهم كما فى المقطع الثانى .

النزعة الروحيه : فالقصيدة نظرة تامليه لاسرار النفس والكون . وهى قبل هذا فكرة فلسفية قديمة عاشت فى عقول الفلاسفة والحكماء

الحيرة والقلق : والتطلع الى عالم افضل .. ويظهر ذلك بوضوح فى المقطع الثالث والاخير .

الرمز : فالعنوان (البلاد المحجوبة) رمز للعالم الامثل والافضل

اما من حيث الشكل . فنجد ذلك متمثلا فى : ـ

ـ وحدة الموضوع . والترابط بين المقاطع

ـ التجربة الشعورية ..

ـ سهولة التعبير والبعد عن الغرابة والتعقيد اللفظى . مع التساهل فى استخدام بعض الكلمات

ـ تقسيم القصيدة الى مقاطع كل مقطع يعبر عن وحدة فكرية ومعنوية

ـ تعدد القوافى ست عشرة قافية موزعة على اربعة مقاطع فى كل مقطع اربع قواف فى نهاية الابيات ونهاية الاشطر الاولى للابيات .

المناقشه

يقول جبران :

قد الفنا العمر فى واد تسير
بين ضلعيه خيالات الهموم



جبران خليل جبران

الخ المقطع الثانى .

ـ عبر بأسلوبك عن الصورة التى رسمها الشاعر لحياة الانسان

ـ ما العاطفة التى تشف عنها الابيات ؟ وما اثرها فى تعبيره وتصويره .

يمتاز الخيال فى الابيات بان فيها تجسيدا لشقاء الانسان وامتدادا لصورة الصبر ـ وكل على ذلك من المقطع

فى المقطع تساهل لغوى من الشاعر . فاين تجده ؟

ـ تجمع الابيات بين سمات الرومنسيه بصفه عامة ، وسمات الادب المهجرى بصفة خاصة ـ وضح ذلك .

من دروس الأدب

أدب المهجر

بقلم : محمد نجيب أبو العزم

موجه اللغة العربية ومقدم البرامج التليفزيونية

● يطلق « ادب المهجر » على النتاج الادبي لمجموعة من الادباء الذين اضطرتهم ظروف الحياة الى الهجرة من بلاد الشام ولبنان بخاصة ـ التماسا للرزق والحرية ـ الى امريكا الشمالية او الجنوبية .

وكان لهؤلاء الادباء علاقة بالادب والشعر بخاصة ، وذلك لان بعضهم كان قد اصدر قبل هجرته دواوين شعرية كانوا فيها شديدى الارتباط بالشعر التقليدى ، ولكن مالبث ان تغير وجه هذا الشعر نتيجة لظروف الحياة التى انتقلوا اليها .

وقد كون هؤلاء المهاجرون جمعيتين أو بيئتين :

أولاهما فى امريكا الشمالية وسموها « الرابطة القلمية »

والاخرى بأمريكا الجنوبية وسموها « العصبة الاندلسية » .

وفى الوقت الذى كانت الرابطة القلمية تعلن فيه الثورة على الشعر التقليدى كانت العصبة الاندلسية أكثر ارتباطا بالشعر القديم .

ومن ابرز شعراء المهجر : جبران خليل جبران ، وايليا ابو ماضى .

● اهم العوامل التى اثرت فى ادب المهجر ●

١ ـ جو الحرية :

لقد شعر هؤلاء المهاجرون بجو من الحرية لم يألفوه من قبل فانطلقوا فى ظل هذه الحرية الى آفاق شعرية جديدة .

٢ ـ امتزاج الثقافات :

لقد كان ادباء المهجر على جانب كبير من الثقافة العربية .. وهناك وفى مهجرهم الجديد واجهوا ثقافات اجنبية متعددة ، فامتزجت هذه الثقافات فى نفوسهم امتزاجا ادى الى ظهور ادب جديد له ملامح من الشرق والغرب .

٣ ـ الحنين الدائم الى الوطن

لقد وجد ادباء المهجر ماكانوا ينشدونه من وراء هجرتهم ، وجدوا الرزق الوفير والحرية المفقودة ، ولـــكنهم كانوا مشدودين الى وطنهم الام فى حنين دافق وأثر ذلك فيهم مما جعلهم يعانون من القلق والحيرة ، والانطواء على النفس، والفرار الى الطبيعة ، والتطلع الى المثل العليا .

وكان لهذه العوامل مجتمعة اثرها فى النتاج الشعري لادباء المهجر . فكان لشعرهم خصائص مميزة من حيـث المضمون والشكل .

● خصائص ادب المهجر ●

اولا : من حيث المضمون

١ ـ النزعة الانسانية

ونعنى بها تلك الظاهرة البارزة فى شعرهم ، ظاهرة الدعوة الى الحـق والخير والجمال .

ومن ملامح هذه النزعة ان نظـرة شعراء المهجر الى الحب قد السمت وسمت حتى شملت الانسان مـع اختلاف لونه وجنسه وعقيدته وفي هذا يقول ايليا ابو ماضي

ان نفسا لم يشرق الحب فيها
هي نفس لم تدر ما معناها
انا بالحب قد وصلت الى نفسي
وبالحب قد عرفت الله ...

ويقول جبران : ـ « يا اخوتى ويا جبرتى ، ويابها المارون ببابي كل صباح احبكم .. أحبكم جميعا كما لو كنتـم واحدا واحب الواحد منكم كما لو كان كلكم »

٢ ـ المشاركة الوجدانية

ذلك ان الشاعر المهجرى كان يغوص فى أعماق نفسه لم يعبر عن احاسيسه ومشاعره فيأتي شعره معبرا عن مشاعر الاخرين وعواطفهم التي كانوا يحسون بها ولا يستطيعون التعبير عنها .

يقول ايليا ابو ماضى

ايها الشاكى الليالى
انما الغبطة فـكرة
ربما استوطنت الـكو
خ وما في الكوخ كسرة!
وخلت منها القصـو
ر العاليات المشمخرة

فمن من الناس لا يشعر بهذا المعنى؟ ولكن من منهم كان يمكنه أن يعبر عنه كما فعل ابو ماضى ؟

٣ ـ النزعة الروحية

ونعنى بها النزعة الفلسفية التي غلبت على كثير من شعرهم ، فى تأملاتهم فى اسرار النفس والكون . ولجوئهم الى الله يفزعون اليه بالشكوى .

ليت شعري وانا فى عالم الغيب الامين
اتراني كنت ادرى انني فيه دفين !
وبأني سوف ابدو . وباني سأكون.!
أم تراني كنت لااعلم شيئا ..لست ادرى

٤ ـ الحيرة والقلق

وذلك بالتطلع الى عالم افضل من عالم الواقع الذى يعيشون فيه ، عالم مثالى بري من الاثره والانانية خال من ظواهر الشر والافساد . وذلك كما فى قصيدة « البلاد المحجوبة » التى سنتخذ منها مثالا للادب المهجرى .

٥ ـ الاتجاه الى الطبيعة

ما أكثر الذين وصفوا الطبيعـة فى شعرهم الا ان شاعر المهجر كان ينظر الى الطبيعة على انها الملجا الذى يلوذ به فراراً من قوة الحياة فالفضاء كتاب

واسع يقرأ فيه صور الحياة واسرارها والمتحررة من الام الحنون الذى يسند الى صدرها الرحيم رأسه المكدود . والنهر هو ذلك الصديق الذى يأنس اليه وتذوب فى مجراه هموم الشاعر

يقول ميخائيل نعيمة .. يخاطب النهر المتجمد .

بالامس كنت اذا اتيتك باكيا سليتني
واليوم صرت اذا اتيتك ضاحكا ابكيتني
بالامس كنت اذا سمعت تنهدى وتوجعى
تبكى..وها ابكى اناوحدى ولا تبكى معى

٦ – الحنين الى الوطن العربى والمشاركة فى احداثه

نهم دائما يتطلعون الى الامة العربية على انها هى الماضى والحاضر والمستقبل وفى هذا يقول شاعرهم

انا وان تكن الشام ديارنا
فقلوبنا للعرب بالاجمال
نهوى العراق وارضه ونحن على
أرض الحجاز من حمى ورمال

٧ – الرمز

ليس الرمز فى الشعر جديدا استحدثه شعراء المهجر ، ولكنه شاع وكثر فى شعرهم . وذلك بأن يومىء الشاعر الى المعنى الذى يريده دون ان يصرح به . وذلك كما فى قصيدة « التينة الحمقاء » و « الحجر الصغير » لايليا ابى ماضى . فالتينة شجرة بخلت بظلها وثمرها على الوجود ، ورفضت ان تمنح الانسان او الحيوان او الطير الظل والثمر .. فكان جزاؤها القطع والاحراق .. ثم يلخص الشاعر المغزى الذى يريده بهذه القصة فى قوله

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به
فانه احمق بالحرص ينتحر !

ثانيا من حيث الشكل

تميز ادب المهجر وشعره بخاصة بسمات واضحة من حيث الشكل والاداء تتمثل فيما يأتى

١ – الوحدة العضوية للقصيدة . وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسى

٢ – القصيدة تعبير عن تجربة شعرية ذاتية .

٣ – اللغة وسيلة لا غاية ، فشاعر المهجر يختار من اللغة ايسرها واكثرها هدوءا ورقة دون ميل الى ضجيج الالفاظ وصخب الكلمات . الا ان شعرهم لم يخل من تساهل لغوى وشيوع بعض الاخطاء اللغوية اليسيرة .

٤ – الاكثار من الشعر القصصى فى القصيدة

٥ – التصرف فى نظام الوزن والقافية . تنوع فى شعرهم الابيات التى تختلف فى الطول وعدد التفعيلات ، كما اشتملت القصيدة الواحدة على عدة قواف ، وقسموا القصيدة الى مقاطع كل مقطع يمثل وحدة معنوية ودفقة شعورية لا يتسع البيت الواحد لاستيفائها وكثيرا ما قام الشطر الواحد مقام البيت التقليدى .

وبعد فهذه هى الملامح والسمات البارزة لادب المهجر ومدرسته التى تعانقت مع النزعة الرومنسية فى الوطن العربى ، فكان كلاهما رافدا سخيا للشعر العربى ارتوى من نبعه الشعراء .. فابدعوا وامتعوا .

ونصل الان الى النموذج الشعرى الذى ندرسه تطبيقا للادب المهجرى .

فهرست موضوعات

الهلال

لسنة ١٩٨٠

حديث الشهر

● بقلم رئيس التحرير : د . حسين مؤنس ●

موضوعات عامة

استطلاعات مصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
على صهوات الجياد قامت فتوح الاسلام	د. حسين مؤنس	يناير	٩٨
متحف اللوفر .. اعظم ديوان للفن فى الدنيا	د. حسين مؤنس	فبراير	٩٨
افغانستان : محطة الى قلب عالمنا الاسلامى	د. حسين مؤنس	مارس	٩٨
سانت كاترين .. دير عمره خمسة عشر قرنا	د. حسين مؤنس	ابريل	٩٨
فى عمق الشعاب المرجانية	د. محمود الجميلى	مايو	٩٨
سلامة اعصابك	د. حسين مؤنس	يونية	٩٨
البراكين نعمة ونقمة	د. حسين مؤنس	يونية	١٠٨
صراع الحياة فى مستنقع	د. حسين مؤنس	يولية	٩٨
الفن الاسلامى .. جمال وتسبيح وابتكار	د. حسين مؤنس	أغسطس	٩٨
ماليزيا الاسلام والديمقراطية والامل	د. حسين مؤنس	سبتمبر	٩٨
من عجائب خلقه		اكتوبر	٩٨
ويسألونك عن الجبال	د. حسين مؤنس	اكتوبر	١٠٦
الباليه : اغلى الفنون واصعبها	د. حسين مؤنس	نوفمبر	٩٨
الجراند كانيون : الاعجوبة الشامخة فى هذا العالم	د. حسين مؤنس	ديسمبر	٩٨
من اسرار طائرات الاستطلاع الاستراتيجى	لواء مهندس سعد شعبان	ديسمبر	٤٢

اسلاميات

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
طريق العقل فى التراث الاسلامى	د. زكى نجيب محمود	يناير	١٢
الاصلاح السياسى هو ركن الزاوية فى امة الاسلام	فتحى رضوان	يناير	٣٠
الوسائل الفعالة لتجنيد شباب الاسلام	محمد عبد الغنى حسن	يناير	٢٦
قطرات من بحر السماحة واليسر	د. احمد الحوفى	يناير	٣٢
ليفتح الاسلام ابوابه لكل علم جديد وكل حضارة جديدة نافعة	د. محمد سعاد جلال	يناير	٣٦
مقام العقل فى مدرسة التجديد الدينى الحديث	د. محمد عمارة	يناير	٤٦
ليس كل جديد بدعة ضالة او مضللة	د. محمد كمال جعفر	يناير	٥٢
العالم الاسلامى هل يسترد قيادته للحضارة الانسانية ؟	د. محمد عبد المنعم خفاجى	يناير	٥٦
مصطفى عبد الرازق .. رائد الفلسفة الاسلامية فى مصر	د. عبد الحميد يونس	يناير	٦٠
الحياة على اساس من المعرفة العقلية فى الكون كله	د. محمد احمد خلف الله	يناير	٦٤
فى محراب الخلود	د. محمد عبد المنعم خفاجى	فبراير	١٤
رسائل اخوان الصفا	د. كامل سعفان	فبراير	٣٤
المولد النبوى فى الشعر الحديث	على غريب بهيج	فبراير	٦٨
الاسلام .. هل له تصور خاص فى العلوم التجريبية ؟	د. محمد عمارة	مارس	٢٠
رسائل اخوان الصفا	د. كامل سعفان	مارس	٢٨
المرأة المسلمة والميراث	د. احمد الحوفى	مارس	٣٤

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
رسائل اخوان الصفا	د· كامل سعفان	ابريل	٣٢
الثقافة والتربية بين الدين والعلمانية	د· محمد كمال جعفر	مايو	٣٦
كلمة « الاريسيين » فى كتاب النبى الى هرقل	د· احمد الحوفى	يونية	١٢
كلمة « الاريسيين » ·· مفتاح للكشف	د· احمد الحوفى	يولية	٢٤
تدوين السيرة العطرة من جديد	د· احمد شلبى	يولية	٣٢
الذين يذكرون الجن ينكرون القرآن	احمد حسن الباقورى	يولية	١١٥
مناقب محمد صلى الله عليه وسلم	الشيخ محمد متولى الشعراوى	اغسطس	٤
المنهج العلمى فى تدوين الحديث النبوى	احمد عبد العزيز ال مبارك	اغسطس	١٨
السنة النبوية فى مواجهة شبهات الإستشراق	انور الجندى	اغسطس	٢٤
كتب السيرة النبوية فى ميزان العلم والتاريخ	د· تقى الدين الندوى	اغسطس	٣٠
محمد ·· الرسول الداعية	محمد كمال الدين	اغسطس	٣٤
القرآن والفكر	د· محمد كمال جعفر	اغسطس	٣٨
الفن الاسلامى ·· جمال وتسبيح وابتكار	د· حسين مؤنس	اغسطس	٩٨
القرآن والفكر	د· محمد كمال جعفر	سبتمبر	٢٠
فضل الحضارة الاسلامية على النهضة الاوربية	ابراهيم الكردى	سبتمبر	١١٥
ذروة الايمان : الصبر	درية عبد الله	سبتمبر	١٤١
اوائل الشهور العربية	سعد شعبان	اكتوبر	٤٢
التراث ضرورة فنية	د· عبد الله الشطاوى	اكتوبر	٧٤
الهجرة النبوية الكريمة ومغزاها الحضارى البعيد	د· حسين مؤنس	ديسمبر	٣
هذا الصراع الخطر فى ديار العرب والمسلمين	د· حسين مؤنس	ديسمبر	١٠
الرسول والشباب	د· احمد الحوفى	ديسمبر	٢٠
أدب			
حينما ينسى تاريخ الادب ·· شاعرا كبيرا	محمد عبد الغنى حسن	فبراير	٢٣
قراءة فى الفكر المسرحى عند توفيق الحكيم	د· محمد احمد العزب	فبراير	٢٨
ازمة الانتماء الشبان – ازمة جدلية الى حد كبير	د· نبيل راغب	فبراير	٧٢
الحزورة الرب من الفزورة الى العربية	محمد قنديل البقلى	فبراير	٨٦
الحقيقة الضائعة فى رواية ·· مسافة بين الوجه والقناع	محمود العزب	فبراير	١١٦
مطالعات ومراجعات حول التاليف والمؤلفين	محمد عبد الغنى حسن	مارس	١٦
انسانية الادب النسائى	شفيق محمود عبد اللطيف	مارس	٨٤
رثاء شوقى للمنفلوطى	د· احمد الحوفى	ابريل	٦٤
العودة بين امرىء القيس وتينسون وناجى	د· محمد عبد المنعم خفاجى	ابريل	٩٠
هجاء مقلق واديب نهم	محمد قنديل البقلى	ابريل	١١٦
عن التراجم الشعرية	د· محمد احمد العزب	مايو	١٨

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
المرأة الشاعرة	د· احمد الحوفي	مايو	٧٨
زهرة التيوليب وخطوطها	ماهر شفيق فريد	مايو	٨٢
هذا الصوت وآخرون	محمد قطب	مايو	٩٠
في عالم الجوائز العالمية ·· الروائية	محمود قاسم	مايو	٩٤
كيف ترجم العقاد لابن الرومي	د· محمد احمد العزب	يونية	١٦
الاميرة التي ليس لها اسم في التاريخ	د· طه وادى	يونية	٧٨
الكلمات ·· جان بول سارتر	ترجمة : د· سليم الاسيوطي	يونية	٨٢
المرأة في ادبهم : محمد زكي عبد القادر ـ ثروت اباظة ـ يوسف جوهر ـ حسين القباني ـ د· سيد حامد النساج	اعداد : موريس عزيز	يونية	٨٥
البحث عن بنفسجة وثقب في جدار الخوف	محمود العزب	يونية	١١٦
صوت شعري معاصر	ماهر شفيق فريد	يونية	١٢٤
المرأة في مسرحيات توفيق الحكيم وقصص نجيب محفوظ	د· زكي نجيب محمود	يولية	١٤
قبل رحيل القطار	يوسف الشاروني	يولية	١٣٦
ماذا اراد شوقي من « ملك الكفار » ؟	د· احمد الحوفي	اغسطس	٤٢
سبع سنوات في الشمس ·· مع فريكة حياة فيلسوف الجوانية	محمد عبد الله الشقاني	اغسطس	٤٤
رواد مدرسة شعراء الديوان	د· محمد عبد المنعم خفاجي	اغسطس	٥٠
على مائدة رمضان : ضيق القول في اللغة والادب	محمد شوقي امين	اغسطس	٧٠
نموذج من الادب الشعبي المصري : ادب السجون	محمد قنديل البقلي	اغسطس	٨٥
من عيون الادب العالمي ·· الابطال	د· سليم الاسيوطي	اغسطس	٩٠
من الادب العلمي ·· المأساة الزيتونية	محمد قطب	اغسطس	١١٨
قضايا حول الشعر العربي	محمد عبد الغني حسن	سبتمبر	١٤
لغة الفن القصصي	تقديم وترجمة : د· طه وادى	سبتمبر	٢٢
نظرات في الادب الافريقي المعاصر	مصطفى عوض الله	سبتمبر	٢٨
قصاصات ملونة	محمد شوقي امين	سبتمبر	٤٢
مع فارس الشعر الحديث ـ صلاح عبد الصبور	حوار : عاطف فرج	سبتمبر	٤٦
اللغة الثالثة ·· جسر بين الفصحى والعامية	اعداد : موريس عزيز	سبتمبر	٨٨
ندوات وذكريات	اماني فريد	سبتمبر	١١٨
هل عايش الاديب ابطاله : فوكنر وسارتر وكافكا	د· عبد الفتاح الديدي	سبتمبر	١٤٢
من روائي اسباني الى ناقد بولندي	ماهر شفيق فريد	اكتوبر	٤٠
امرأة اخرى ·· رواية محمد الحديدي	يوسف الشاروني	اكتوبر	٨٢
الاصول القديمة للقصة العربية الجديدة	د· محمد عبدالمنعم خفاجي	اكتوبر	٨٨
قضية للمناقشة ·· الشعر والنقد	د· صلاح عيد	اكتوبر	٩٥
رائد يمتد اثره في الشعر والادب : احمد زكي ابو شادى	د· مختار الوكيل	اكتوبر	١١٦
قراءات	محمد قنديل البقلي	اكتوبر	١٤٣
من حصاد ندوة الحكيم ونجيب محفوظ	اماني فريد	نوفمبر	٣٢
شعراء اسبان وشاعر يوناني	ماهر شفيق فريد	نوفمبر	٤٨
اقرأ ·· « قراء في استفتاء »	اعداد : موريس عزيز	نوفمبر	٦٠

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
عن الملاحة والجمال فى الادب العربي القديم	د٠ عبد العزيز جادو	نوفمبر	١٢٤
فينيسيا فى خيال الشعراء العرب المعاصرين	د٠ محمد عبدالمنعم خفاجى	ديسمبر	٢٦
امسية شعرية فى البيت الابيض	سليم الاسيوطى	ديسمبر	٦٤
قضايا حول الشعر العربي	محمد عبد الغنى حسن	ديسمبر	٧٢
ندوات وذكريات	امانى فريد	ديسمبر	٩٠
دراسات			
فضل الحضارة الاسلامية على قيام النهضة الاوربية	ابراهيم الكردى	يناير	٧٠
ازمة التاريخ المصرى الحديث	فتحى رضوان	مارس	١٠
الاسس الفنية للقصة عند تيمور	د٠ محمد احمد العزب	مارس	٧٤
فارس الشهباء	د٠ احمد الشرباصى	مارس	٧٨
الحب عطاء ومدينة	محمد قطب	مارس	٨٦
كلمة الاريسيين فى كتاب النبي الى هرقل	د٠ احمد الحوفى	يولية	١٢
الفكر القومي المصرى خلال نصف قرن	محمد زكى عبد القادر	يولية	٢٨
الجن فى لغة العرب	محمد شوقى امين	يولية	٨٤
التفسير العلمى لظاهرة الاتصال بالجن	د٠ عادل صادق	يولية	٨٨
الجن فى الادب الانجليزى	ماهر شفيق فريد	يولية	٩٢
عالم الجن وعالم الارواح	رؤوف عبيد	يولية	٩٦
الزرع والحصاد فى موسيقانا العربية	احمد شفيق ابو عوف	يولية	١٢٢
الاتصال بالجن قديما وحديثا	عبد المنعم الجداوى	اغسطس	٧٦
مناقشة مقالات الهلال ٠٠ حول موضوع الجن	د٠ توفيق الطويل	اغسطس	٨٢
الفنان والراقصة	د٠ نعيم عطية	اغسطس	٩٤
دراكولا بين الرواية والتاريخ	ترجمة : محمد عبد المنعم جلال	اغسطس	١٣٦
النجاح معناه عدم الشعور بالتعب	موريتس اولر	سبتمبر	٨٢
فى علم الجمال	ماهر شفيق فريد	سبتمبر	١٣٤
ذروة الايمان : الصبر	درية عبد الله	سبتمبر	١٤١
المعلقات السبع ٠٠ لم تعلق	د٠ احمد الحوفى	اكتوبر	١٤
٢٠٠٠ سنة قبل كولومبوس ٠٠ استكشف الفراعنة امريكا	د٠ سيد كريم	اكتوبر	٢٢
فتيات فى الطريق الى الخمسين وما بعدها	د٠ حسين مؤنس	اكتوبر	٤٧
اقرا ٠٠ كيف تقرا ٠٠ ماذا تقرا	د٠ زكى نجيب محمود	نوفمبر	٢٨
الواقع الحضارى ضرورة فنية	د٠ عبد الله التطاوى	نوفمبر	٧٨
الشعر والعقل فى القرن العشرين	د٠ عبد الفتاح الديدى	نوفمبر	٨٢
استفتاء : اقرا ٠٠ ماذا تقرا ٠٠ كيف تقرا ؟	اعداد : موريس عزيز	ديسمبر	٨٢

مواقف وشخصيات

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
عبد العزيز الاهوانى	د. محمود على مكى	يولية	١١٦
مناقب محمد صلى الله عليه وسلم	فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى	اغسطس	٤
محمد .. الرسول الداعية	محمد كمال الدين	اغسطس	٣٤
احمد رشدى صالح	د. حسين مؤنس	اغسطس	٥٦
جرينا جاربو .. امرأة نورانية	د. حسين مؤنس	سبتمبر	٣٢
صلاح عبد الصبور .. فارس الشعر الحديث	حوار : عاطف فرج	سبتمبر	٤٦
ابراهيم عبد القادر المازنى		سبتمبر	٦٣
المازنى .. ملامح جيل	د. عبد الحميد يونس	سبتمبر	٦٤
المازنى .. حل بالسخرية عقدته النفسية	د. احمد متولى مسلم	سبتمبر	٧٠
المازنى .. سيرة وتحية	مصطفى الشهابى	سبتمبر	٧٦
المازنى شاعرا	على غريب بهيج	سبتمبر	٧٨
روبرت بروك وكاثلين	د. سليم الاسيوطى	سبتمبر	١٢٢
فوكنر وسارتر وكافكا	د. عبد الفتاح الديدى	سبتمبر	١٤٢
الدكتور احمد امين ومسئوليات الاديب	علاء الدين وحيد	اكتوبر	٦٤
احمد امين .. سيرة وتحية	مصطفى الشهابى	اكتوبر	٧٠
سيد درويش .. موسيقار الشعب	ابراهيم الكردى	اكتوبر	٩٢
احمد ابو شادى : رائد يمتد اثره في الشعر والادب	د. مختار الوكيل	اكتوبر	١١٦
توفيق الحكيم في عيد ميلاده		نوفمبر	١٦
توفيق الحكيم رائد الادب المسرحي	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	نوفمبر	١٨
ابو حيان التوحيدى : عندما احرق الاديب كتبه	صلاح عبد الصبور	نوفمبر	٣٤
باتريك موديانو : واحد من اعلام الادب الاوربى	محمود قاسم	نوفمبر	٧٤
الشاب الظريف	عبد العليم القبانى	نوفمبر	١٢٠
كراسلو ميلوز .. الاديب الحائز على جائزة نوبل ١٩٨٠	ماهر شفيق فريد	ديسمبر	٣٢
عبد الله عنان واجيال الشباب .. حوار معه	حوار : عاطف فرج	ديسمبر	٦٢
احسان عبد القدوس .. حوار معه	حوار : سامية الشاذلى	ديسمبر	٦٨
شوقى حكيم مصر .. فى ذكرى امير الشعراء	على غريب بهيج	ديسمبر	٧٦
تيمور لنك : السلطان الذى هزم التتار بغير معركة	مصطفى الشهابى	ديسمبر	٩٤

تحقيقات

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
رحلة حياة وادب مع الدكتور لويس عوض	حديث : عاطف فرج	فبراير	٣٨
الادب والمستقبل	اعداد : موريس عزيز	فبراير	٤٤
رحلة حياة وادب مع المفكر الفيلسوف .. د. زكى نجيب محمود	حوار اجراء : عادل عبد الصمد	مارس	٣٨
رحلة حياة وصحافة مصرية مع مصطفى امين	حديث : عاطف فرج	مايو	٢٢

قصص

● ناس وصور وحكايات ●

الاعداد : يناير ـ فبراير ـ مارس ـ ابريل ـ مايو ـ يونية ـ يولية ـ اغسطس ـ سبتمبر ـ اكتوبر ـ ديسمبر

الصفحات : ٨٠ ـ ٦٠ ـ ٦٢ ـ ٤٠ ـ ٦٤ ـ ٦٦ ـ ٦٢ ـ ٥٩ ـ ٥٢ ـ ٥٧ ـ ٥٢

● زهرات من رياض العرب ●

الاعداد : يناير ـ فبراير ـ مارس ـ ابريل ـ مايو ـ يونية ـ يولية ـ اغسطس

الصفحات : ١٢٨ ـ ١٤٢ ـ ١٤٦ ـ ١٤٣ ـ ١٤٢ ـ ١٤٠ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦

● كـاريكاتير ●

الاعداد : يناير ـ فبراير ـ مارس ـ ابريل ـ مايو ـ يونية ـ يولية ـ سبتمبر ـ اكتوبر ـ نوفمبر

الصفحات : ١٢٢ ـ ١٢٨ ـ ١٢٨ ـ ١٣٠ ـ ١٣٠ ـ ١٣٠ ـ ١٣٠ ـ ١٣٠ ـ ١٣٠ ـ ١٢٢

● روح عن نفسك ●

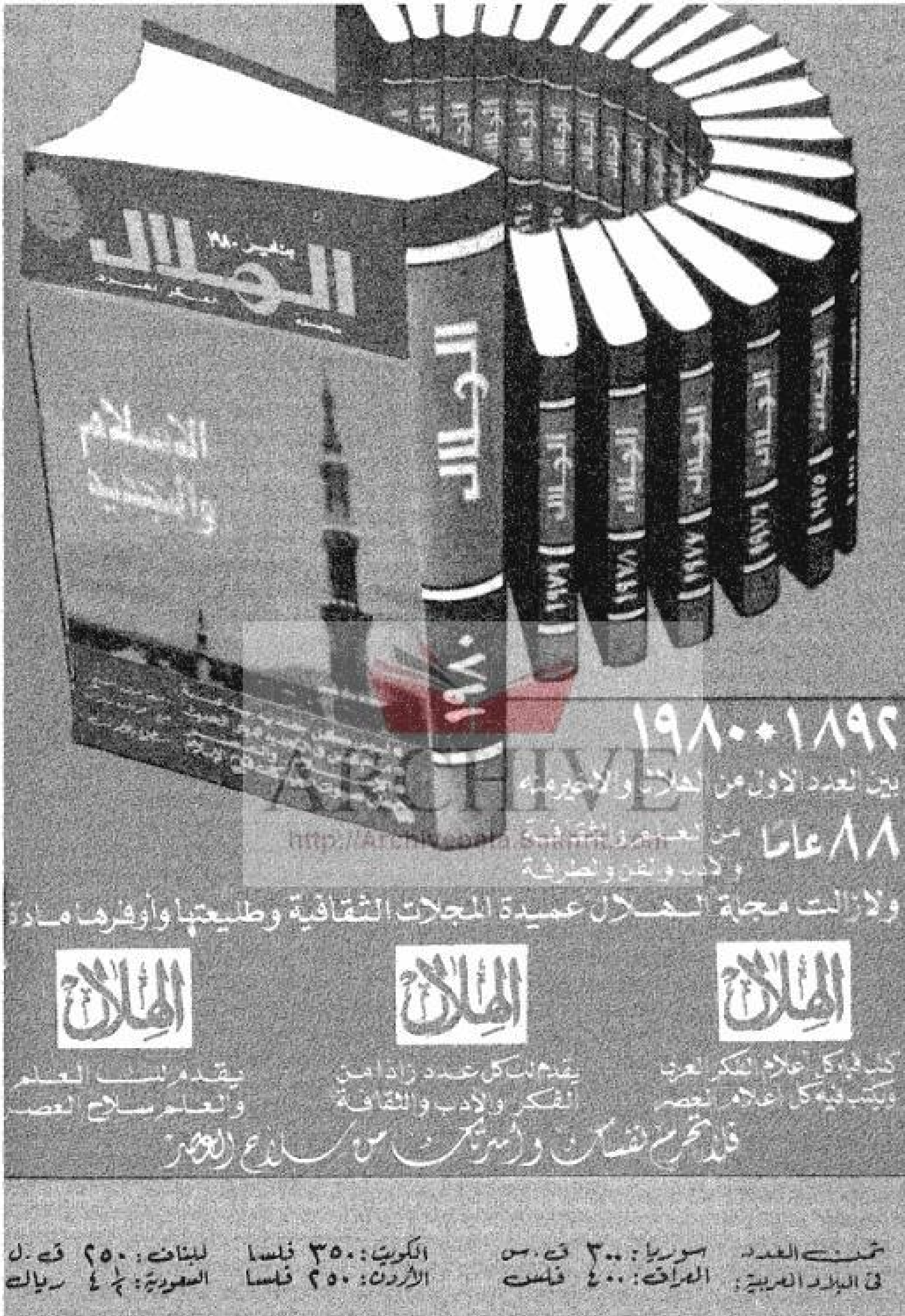
الاعداد : فبراير ـ يونية ـ اكتوبر ـ نوفمبر
الصفحات : ١٤٠ ـ ١٢٨ ـ ١٤٠ ـ ١٣٢

● مسابقة العدد ●

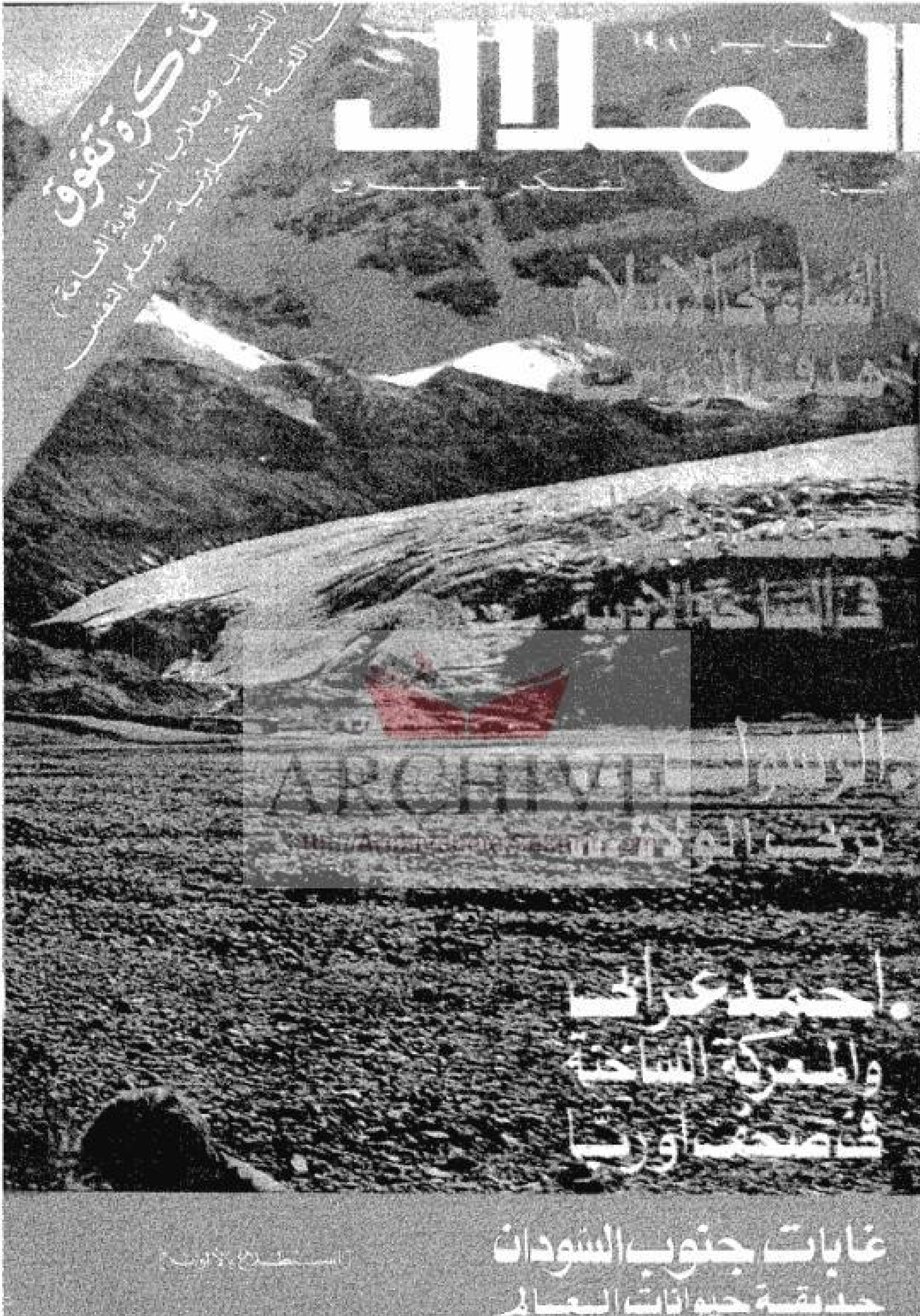
الموضوع	الشهر	الصفحة
مسابقة شهر يناير ١٩٨٠ : اقرا الهلال واكسب جائزة	يناير	١٢٩
نتيجة مسابقة عدد نوفمبر ١٩٧٩	يناير	١٣١
نتيجة مسابقة عدد ديسمبر ١٩٧٩	فبراير	١٤٤
مسابقة شهر فبراير ١٩٨٠ : اقرا الهلال واكسب جائزة	فبراير	١٤٥
نتيجة مسابقة عدد يناير ١٩٨٠	مارس	١٢٤
مسابقة شهر مارس ١٩٨٠ : اقرا الهلال واكسب جائزة	مارس	١٢٥
نتيجة مسابقة عدد فبراير ١٩٨٠	ابريل	١٤٤
مسابقة شهر ابرل ١٩٨٠ : اقرا الهلال واكسب جائزة	ابريل	١٤٥
نتيجة مسابقة عدد مارس ١٩٨٠	مايو	١٤٤
مسابقة شهر مايو ١٩٨٠ : اقرا الهلال واكسب جائزة	مايو	١٤٥
نتيجة مسابقة عدد ابريل ١٩٨٠	يولية	١٣٦

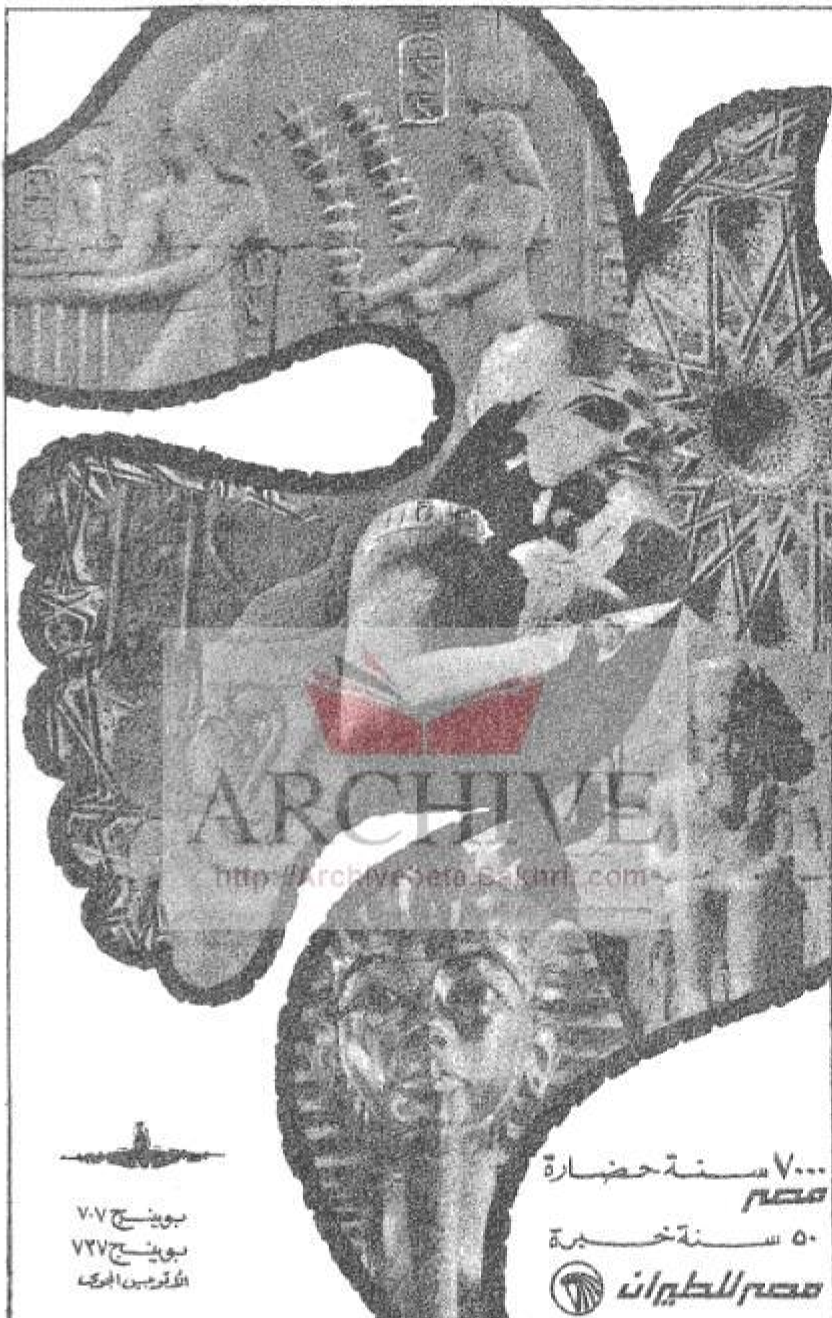
● اعداد : احمد الشنواني ●

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٦٧ لسنة ١٩٨١



١٨٩٢ • ١٩٨٠
بين العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٨ عاما من العلم والثقافة والأدب والفن والطرفة
ولازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة
الهلال
يقدم لك العلم والعلم سلاح العصر
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
ثمن العدد في البلاد العربية: سوريا: ٣٠٠ ق.س العراق: ٤٠٠ فلس
الكويت: ٣٥٠ فلسا الأردن: ٢٥٠ فلسا
لبنان: ٢٥٠ ق.ل السعودية: ٤½ ريال


الهلال
تذكرة تفوق
أحمد عرابي
والمعركة الساخنة
في صحف أوربا
غابات جنوب السودان
حديقة حيوانات العالم


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧

كلمة الهلال

البحث عن طريق للفكر جديد

اشتغلت هذه الايام بالقراءة عن العقاد وله ، وفي اثناء القراءة احسست انني لابد ان اقرا محمد عبده لافهم العقاد فاحسست وانا اقرا ان كل شيء بدأ عند محمد عبده : الفكر الحر والتجديد والاجتهاد والشجاعة الادبية ثم ذلك الاسلوب الهادىء الصادق المخلص في معالجة المسائل التي تتعلق بحاضر الاسلام ومستقبله .

وتبينت كذلك ان كل مخالفة لهذا الاتجاه الرصين لم تؤد ولا يمكن ان تؤدي الى شيء ، فالاتجاهات التي دعا اليها محمد رشيد رضا والشيخ عبد العـزيز جاويش ، ومن اليهم ممن شاركوا في العمل لانهاض امة الاسلام وتجديد الفكر الاسلامي ـ كلها تلاشت دون ان تخلف اثرا ، بل سببت من الضرر اكثر مما نشأ عنها من النفع .

حتى آراء جمال الافغاني تحس وانت تقرأ كتاباته انه تنقصها اشياء لتكون اما بناءة او ذات فائدة ، فهناك عند الافغاني كثير من الافتعال وكثير جدا من السطحية وضعف الاساس العلمي .

لماذا كان لمحمد عبده هذا الاثر كله ؟

لان الرجل كان مخلصا حقا في كل ما قال وفعل ، ولانه كان يقصد الى النافع للامة فينادي به دون اي نظر الى ما يعود عليه هو شخصيا من الخير او الضرر ، ثم اساسه العلمي كان متينا حقا بالاضافة الى خلق متين هادىء رزين .

لهذا خرجت كل الافكار الصالحة التي نفعت الامة من محمد عبده او بمن سار في طريقه ، فقد كان طريقا سليما صادقا ، يشرع من نفس صافية ورغبة صادقة في خدمة امة العرب والاسلام .

ونحن اليوم في حاجة الى مثل هذا الرجل في ميادين الفكر العربي وتجديده في كل ميادينه واتجاهاته ، لان امة العرب اليوم تقف في مفترق طرق ولا تدري الى اين تسير والفكر العربي الجديد يبدو انه استهلك ما لديه ، ولابد له من مدد جديد .

المحرر

كتب وكتاب

نصر الدين عبد اللطيف

الحوار ... عند نجمات الليل والعصر !

مهرجان مناسبة سعيدة ، لحسكن مستحدث رحبها .. اضواء ، موسيقى ، ضحكات ... وحسناء في الصالون سجل لمن يشاء من الضيوف ما يشاء للمناسبة والفرح ...

● .. تفضل ، اكمل ..

– ... آه ، والتنظيم هنا ظالم ! .. الزوجات في غرفة كعزلة الحريم ...

والازواج تجمعات ، اركان صحبه وهمسات ، ويضحكون ! .. علام يضحكون ؟ .. لماذا يضحكون ؟ .. دعهم يضحكون ! .. وآه ..

. . . .

● ... وسجل .

– .. لا أحد هنا يرحمنا من ابن التكنولوجيا المتوحشة : الميكروفون ! على رأى المثل الجديد : اعطنى ميكروفونا ، وخذ جمهورا !

انه هو ، الميكروفون ، غير وجه العصر ! .. وشيد الحياة الدنيا من شعرها ! .. وجعل من المهرجان : – المولد ! ..

أيها الاخوة فى المولد ! ..

. . . .

... بدات خطوات المساء تلوب فى فضاء المغيب !.

وتسلم الليل فى المهرجان مفاتح السهرة !

الآن لا أحد عند الابواب فى استقبال احد ..

الزحام هنا ينشر مظلة التوافق الانتهازى !

وفى الاركان والردهات ، تآلفت خلايا ظرفاء وعشاق ! .

● ... تفضل ، سجل ...

– ... يا ربة المناسبة السعيدة والمهرجان ... فى مهرجانكم بعض نقص القادرين على الكمال ! ...

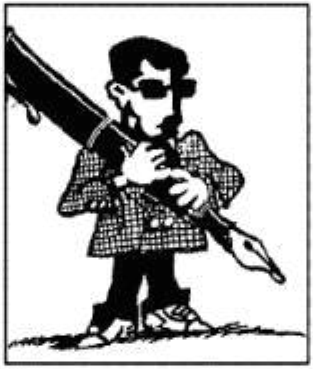
كل هذا الرواء هنا والاضواء ، وحتى الآن لا شعر ولا شعراء ؟!

أعندكم أيضا مثلنا فى زحام العصر – يضيع الشعراء والشعر ؟!

● لا ، لا .. أبدا ، وهنا ، لعلك .. كاتب شاعر ناقد و ...
ـ وأينه ؟
● فى الغرفة الصغيرة هناك وراء ركن الملحق ، يخلو الى شيء عاجل يكتبه !
ـ ومن هو ؟
● بس نجما ! .. وان يكن فكرة البحر .. وكلماته نجمات ! ..
ـ آه ... عندما يتكسر الضوء على حواجز المنحنى الصاعد !
● لعلها مرحلة !
ـ ولكنها أوجع معادلات العصر ! ..
● ... لولا المناسبة هنا الآن ، و ...
ـ أعرف ! .. واعرف أن ورائى من يشاء يسجل ، و .. هذه الصغيرة المتعجلة .. تفضل ، سجل ! ..
ـ لا ، لا أسجل ! .. ولكن ، عندنا هنا رجل فى رأسه نار !
● نار ؟
ـ ونورها حوله يملأ المكان !
● أين ؟
ـ فى الغرفة الصغيرة هناك ، وراء ركن الملحق !
● ألم يسمعه أحد ، ويسرع لنجدته ؟
ـ الغرفة مقفلة .. وهو ساكت لا يطلب نجدة !
● والنار فى رأسه ؟!
ـ نار ، ونور .. وتعالوا انظروه ! ..

• •

... انتهى العد التنازلى للظهور مطربة السهرة !
لا جديد تحت الاضواء فى غناء العصر الصاعد ! ..
قبل الغناء .. يصفقون لها !
فى الغناء ... يتفرجون عليها !
والنهاية .. : هتاف الهــــرج والتوريات الجارحة !
و ... أحد واحدة فى الشرفة ،
يتحاوران ـ عند حافة الحب :
ـ .. وكنت تحدثنى عن القمر ! ..
● ! .. اى قمر ؟!
ـ سرعان ما نسيت .. قمر السماء !
● آه ، الآن .. علاقتى به انتهت !
ـ ولكنك كنت تحبه ؟!
● كان حبا من طرف واحد !
ـ ذلك طبيعى .. ألم تكن تعرف ؟!
● .. لم أكن افكر فيما اعرف ! ..
ـ الى هذا الحد استغرقك حبه ؟!
● كان ساحرا ، بهيا ، وبعيدا ..
ـ آه ، وبعيدا ! ..
● وكنت اعطيه من خيال ما هو اجمل من حقيقته ..
ـ كيف تغير الحال الآن ، و ...



● كان حلم ليل ... ولليالى صحوة ونهار !
ـ الم تكن هناك غيرها اسباب ؟!
● كانت المدينة ... : غابة الناس والعصر !
ـ الصراع والضوضاء والاضواء و ...
ـ الحقيقة النائمة ؟!
ـ الحقيقة النائمة ؟!
● هناك ، على السطح ، كانت تنام ... وايقظها الذين تركوا بصمات اقدامهم على وجه القمر ! ..
ـ والان ... فلقد تغايرت فى حسك الاشياء !
● ذهب عنى سحر قمر السماء ...
ـ راح الخيال والحلم ؟!
● وجئت أنت .. : الحقيقة الجديدة !
ـ انا ؟ ..
● انت ... قمر الله على الارض ! ..
ـ آه ...
● وانت حلم الليل والنهار ! ...

. . . .

... انحسرت عن وجه السهرة موجات المرح !
كل شىء ها هنا الآن ظللته علامات التعجب !
الساهرون يأخذهم الفضول الى ما وراء ركن الملحق جيئة وذهوبا !
وعند فرجة فى ستار الغرفة الصغيرة يتوافدون .. ينظرون ويعجبون!
« رجل فى راسه نار !
« فى راسه نار !
« نار ! ..

. . . .

● النار ، كما تعرف ، جوهر لطيف ، وضىء ، محرق !
ـ والرجل ، كما ترى ، جالس يكتب ، ولا يحترق !
● ولا يحترق !
ـ رغم ان راسه والملامح والقسمات حتى العنق ، شعلة مبهرة ! ...
● شعلة مبهرة .. آه ، اذن هو : رجل فى راسه نور !
« رجل فى راسه نور !
« فى راسه نور !
« نور ... !
● عجبا ! .. الراس كله شعلة نور بحق ، وليس فى الامر حيلة ! .

ـ الآن تذكرته ، ذكرتني ربطة عنه ... لقد رأيته عندما جاء يدخل الحفل ... كانت تصحبه سيدة مليئة !
● فعلاً .... انه ضيفنا الكاتب الشاعر الناقد وال ....
ـ آه ، ذلك الذي قلت انه في الغرفة الصغيرة يخلو الى شيء عاجل يكتبه ؟!
● انه هو ...
ـ وهو ، كما قلت أيضا ، ليس نجما بعد .. !
ـ وأين اذن تلك السيدة الـ ..
● زوجته ؟ .. هنا ، في ركن الاستماع وشغل الابرة !
ـ آه ، يبدو انها الوحيدة هنا التي لم تر معجزة رأس هذا الرجل !
● ولكن .. ها هي أخيرا ! .. اخبروها ، واحضروها ! ...

. . . .

● تقولين يكتب وفي رأسه نور ؟! كيف ؟ ... ومن أين له ؟!
ـ الحقيقة أنه ...
● طول عمر سنوات زواجنا ، يكتب ، يكتب ! ... لم يكن ، امشي كان في رأسه نور ، ولا سوف .. !
ـ ولكن الآن ... انظري معنا ، هنا ، من فرجة ستار النافذة ... ماذا ترين ؟!
● ... آه ، غرفة تبدو مهملة .. ورجل بمنظار سميك جالس يكتب :
ـ غريبة ! .. اننا ، كلنا ، نرى نوره !
● لا داعي للخناق ! ... سأفتح لكم عليه الغرفة ، تنظر ونعيد النظر !

. . . .

● كفاك يا عزيزي ، كفاك كتابة ! .. هيا الآن الى الحفل والأصدقاء !
الآن ، ها هو يلتفت اليها ، يضع القلم ، يقف ..
آههه ! ... شعلة النور في رأسه تشحب ، ترتعش ، ثم .. تنطفيء !
ها هي تضع يدها في ذراعه .. الآن ، لا نار ولا نور !
الآن عاد هو الرجل العادي ... ناحل ، سمح الملامح ، منظاره سميك ... وابتسامته مرة ، ساخرة ، وحزينة ! ..
و ...
واحاطت به ، تشيعه ، ابتسامات فاجعة .. وعيون تتبادل فيه العزاء !

. . . .

... من جديد ، عادت تتدفق في شرايين السهرة ـ الحيوية !
الآن تتفتح الابواب على غابة الخلف ، والفوضاء ، غربة الشعراء !
ولا جديد تحت نجمات الليل والعصر ! .. !
السهرة قائمة ..
والحقيقة نائمة !!

● نصر الدين عبد اللطيف ●
من كتابه الجديد : « مشاهدات ثقافية »
فصول في سواخر الفكر والعصر ..
و .. اضافة جديدة الى أزمة النشر

فى هلال

هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربى

ربيع الأول ١٤٠١هـ
فبراير ١٩٨١م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة التاسعة والثمانون ـ أول فبراير سنة ١٩٨١ ـ ٢٦ من ربيع الأول سنة ١٤٠١

رئيسة مجلس الإدارة : آمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

من الهلال

[illegible]

● صورة الغلاف ●

موضوعات هذا العدد تلهب أساسية ومثيرة لاتجاه القصصية العربي ، ولهذا اخترنا في صورة الغلاف بأن تكون خلفية جمالية من الطبيعة فيها الهواء الأصيل وما يمتاز به الهلال من أناقة الإخراج

الإشراف الفني
أحمد الوردي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم - قيمة الاشتراك السنوي ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا سلفا وتسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات أو ٤ ج . لا تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون ٢٠٦١٠ . مكررة خطوط .

الروس يبيدون شعب أفغانستان

بقلم : رئيس التحرير

امام المقاومة الباسلة للشعب الافغاني الحر ، يحاول الروس ابادته تماما وتحويل أرضه الى ارض روسية يهددون منها العالم الاسلامي كله ..

لامر ما احس ان موضوع بولندا كله مفتعل للتغطية على ما يعمل له الروس اليوم جاهدين من القضاء على شعب افغانستان ،وتملك مناطق الجبال العالية التى هى مفتاح جنوب آسيا ومفتاح بلاد الاسلام ..

لان روسيا او الاتحاد السوفييتى ليس عندها من ايام بطرس الاكبر هدف هو اهم من القضاء على الاسلام ٠

لهذا كان عداؤهم البالغ للدولة العثمانية ومحاولاتهم القضاء عليها ، وعندما وقعت معاهدات الصلح فى نهاية الحروب العالمية الاولى أرادت أن تحتل الاستانة وكان فى تفكير القياصرة أن يعيدوها مدينة مسيحية ويعيدوا اليها اسمها المسيحى : القسطنطينية ٠

وروسيا تحلم من زمن طويل بالاستيلاء على افغانستان ولها فى ذلك محاولات طويلة ٠ ولا يتصور أحد ان ما حدث من التطورات هناك منذ تولى محمد تراقى رياسة جمهورية افغانستان كان مصادفة أو تطورا داخليا مفاجئا فى أحوال افغانستان ، لان الحقيقة انه كان كله مرتبا بحساب دقيق ، وكان من الممكن ان يحدث ايام خروشوف ، ولكن ليونيد بريجنيف تصور ان تمسك الولايات المتحدة بالسلام ونفورها من الحرب مضافا الى ذلك ما وقعت فيه الولايات المتحدة من الخطأ الجسيم

بتخليها عن الشاه واندلاع ثورة الخميني كل هذا جعل بريجنيف يحس ان هذه هي اللحظة المناسبة للانقضاض على افغانستان .

***

وروسيا تعرف صعوبة الاستيلاء على افغانستان ، وهي قطعا قد قدرت ان اتمام هذه العملية لابد أن يستغرق سنوات ، لان شعب افغانستان شعب عصي باسل شديد البأس ، ولهذا فقد رسمت خطتها لتنفيذها على المدى الطويل .

وليس في الدنيا أشد خبثا من رجال السوفييت فهم يسترون أهدافهم دائما خلف ستار ، ولا يمكن لاحد أن يصل الى الهدف الحقيقي الذي يرمون اليه في كل عمل يقومون به .

ولاشك ان الرئيس محمد داوود الذي فتح على افغانستان باب البلاء كله بالانقلاب الذي قاده ضد الملك محمد ظاهر شاه لم يكن يعلم انه بحركته تلك كان ينفذ خطوة رسمت بعناية في الكرملين ، وانه هو نفسه سيكون الضحية الثانية في سبيل تحقيق خطط روسيا ، وان يوم ٢٧ ابريل ١٩٧٣ وهو اليوم الذي اعدم فيه كان مقررا من قبل ، بل ان الشخص الذي سيقوم بالقضاء على محمد داود وهو الكولونيل عبد القادر ـ كان مدونا في أوراق الكرملين ، وكذلك اسماء من سيقومون باعدام نور الدين محمد تراقي ثم عبد الحفيظ أمين ثم بابراك كارمال ، الرئيس الحالي لافغانستان ، اذ لا يوجد أدنى شك في انه هو الآخر سيعدم ويصفى بناء على خطط الشيوعيين ، لان النهاية التي يرسمونها هي تحويل افغانستان الى جزء من الاتحاد السوفييتي ، وتحويله الى مقاطعة تسمى ـ كما هي العادة ـ جمهورية افغانستان السوفييتية الاشتراكية .

وهذا في نظر السوفييت أهم بكثير من مسألة بولندا ، لان بولندا على أي حال بلد شيوعي دخل بالفعل في فلك السوفييت ولا خوف عليه من هذه الناحية وكل المتنازعين على السلطات هناك ، والذين يقودون ما يسمى بحركة تحرير نقابات العمال شيوعيون ، والخلاف بين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين الاتحاد السوفييتي خلاف يضايق السوفييت ، ولكنه لا يخيفهم ، لان كل القائمين بالامر في بولندا لا يريدون ان تخرج بلادهم من نطاق الشيوعية لانهم شيوعيون واذا حدث اي تغير اساسي في الوضع كانوا هم أول الخاسرين .

***

وقد وقعت امريكا في تلك الخدعة السوفييتية وما أكثر ما تنخدع أمريكا ! .. وسارعت تتخذ ما تستطيع من الاهبة في حالة ما اذا اعتدى الروس على بولندا ، والروس قطعا لن يتدخلوا في بولندا تدخلا عسكريا ، لانهم لايدخلون معركة ضخمة في أوروبا وهم متورطون هذا التورط البالغ في افغانستان ، لان الافغانيين شعب لا يستهان به في ميادين القتال ، وجبال افغانستان وحدها تعدل عشرة جيوش ، ومع ذلك كله فقد خدعت

الصفحة الاولى من مقال الصحفي الهولندي برتد دي بروين ، وعنوان مقاله : الغاز الامريكي الذي يستخدمه الجيش الأحمر .

وتحت العنوان : قبل عام دخل الروس ارض افغانستان غزاة واليوم قضى مندوبنا برتد دي بروين خمسة اسابيع مع المجاهدين في سبيل الحرية في جبال الهندكوش . وقد تحقق الصحفي من ان الروس يستخدمون في افغانستان اسلحة محرمة مثل النابالم والغازات السامة .

في الصورة الكبيرة نرى طائرة قاذفة الغازات السامة تحلق فوق القرية بعد ان القت عليها قنابلها وتصاعد دخان رمادي . في هذه القرية لم يبق مخلوق واحد حي . فقد ابيد الناس .

الصورة الصغرى هذه القطعة المتفحمة هي جسد انسان احترق بقنابل النابالم الروسية واجهزت عليه شظايا القنابل .





Tod durch Napalm, eine der schrecklichsten Waffen: Dieser Mann verbrannte innerhalb von Sekunden

Das gelbe Gift der Roten Armee

Vor einem Jahr marschierten die Russen in Afghanistan ein. Jetzt zog unser Reporter Bernd de Bruin fünf Wochen mit den Freiheitskämpfern derch das Kriegsgebiet im Hindukusch. Dabei stellte er fest: Die Sowjets setzen die verbotenen Waffen Napalm und Giftgas ein

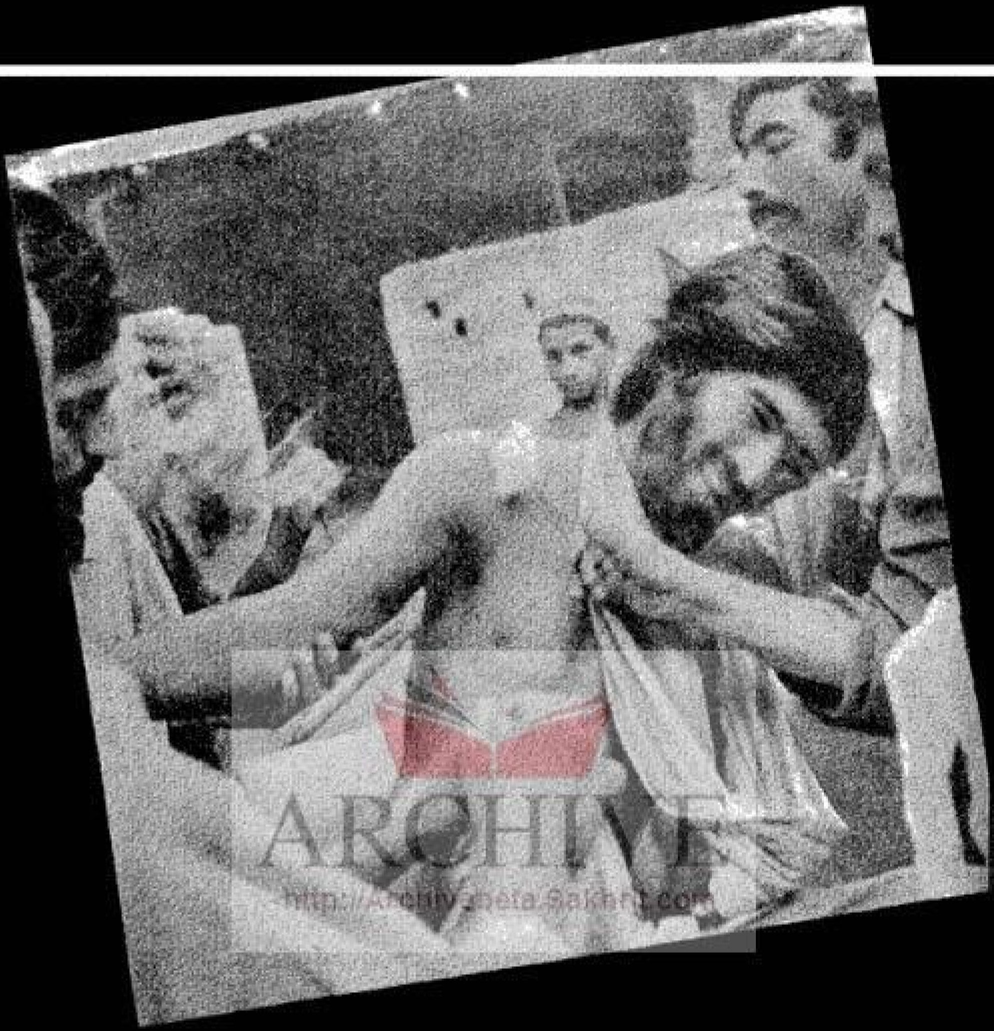
Den Männern in den traditionellen Bauerngewändern Afghanistans mit Turban bot sich ein grauenvolles Bild: zusammengekrümmte Leichen von Frauen, Kindern und Greisen. Hände, Arme und die Gesichter waren verkohlt. Die Leichen lagen vor den Hütten, auf dem Marktplatz und in den engen Gassen des kleinen, abgelegenen Dorfes Charbagh Safar im Südwesten des Hindukusch. „Napalm", nickte der Anführer der afghani-

Fortsetzung auf Seite 44

الولايات المتحدة واسرعت تتشاور مع حليفاتها فى حلف الاطلسى ، وحليفاتها ـ وعلى رأسهن فرنسا ـ يهتمون أشد الاهتمام ببولندا ، لانها بلد كاثوليكى ، ومن ابنائها البابا الحالى يوحنا بولس الثانى ، وقد بذل البابا جهدا ضخما لكى يعيد بولندا الى الكاثوليكية ،وذهب بنفسه الى ذلك البلد فى زيارة توصف بانها تاريخية ، وفى دراستنا للسياسة الاوروبية فى اى عصر لا ينبغى أن نهمل الدور الذى تقوم به الكنيسة الكاثوليكية فى سياسة اوروبا ، وخاصة فى أيامنا هذه ، بعد أن دخل التطور الشامل على نظام العمل وطبيعته فى دولة الفاتيكان وتولى أمورها بابوات من طراز مجدد ذكى واسع الافق من امثال بيوس الحادى عشر وبيوس الثانى عشر ويوحنا الثالث والعشرين ، ثم هذا البابا الحالى الذى يعد دون شك من أذكى وأنشط من عرفنا من البابوات .

وقد اجتهد رجال الفاتيكان فى تضخيم ما يسمى اليوم بالانتفاضة العمالية فى بولندا ، ودخلوها من الجانب الدينى وقالوا للناس ان هذه الحركة العمالية هى فى الحقيقة حركة دينية كاثوليكية تطالب بعودة البلاد الى الدين والغاء الشيوعية الملحدة .وهذا بدوره كانت له اهمية بالنسبة لهذا الاهتمام البالغ الذى نراه اليوم بشأن بولندا ومصيرها .

المهم لدينا ان روسيا تناولت مسألة مطالب عمال بولندا بانشاء نقابات حرة واستخدمتها الى النهاية ، ومن المعروف أن هذا الاتجاه موجود بالفعل فى كل البلاد الاوروبية الخاضعة للنفوذ الروسى: كل عمال رومانيا وبلغاريا والمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا يطالبون بانشاء نقابات حرة لهم وتتوق نفوسهم الى التحرر من سلطان السوفييت ، لانه تبين ان النظام الشيوعى ـ الذى قيل انه انقاذ للعمال ـ من اشد النظم ظلما للعمال ،ولا نزاع فى ان العامل فى البلاد الراسمالية اسعد بكثير من العامل فى البلاد الشيوعية ، فهو يتمتع بكافة الضمانات والتامينات دون ان يحجر على حريته وتساء معاملته ويضيق عليه فى الرزق كما هو الحال فى البلاد الشيوعية واينما ذهبت فى بلاد الغرب وجدت العمال يتمتعون باساسيات الحياة اكثر مما يتمتع بها اهل غيرهم من الطبقات ، لان الغرب تنبه من زمن بعيد الى ان العامل هو عصب الاقتصاد كله ، وهو الانفرا ـ ستركتشار الذى يعتمد عليه الرخاء كله ، ففى فرنسا والمانيا يتمتع العامل فى المصنع بامتيازات وضمانات وحمايات لا يتمتع بها المهندس لان المهندس يمكن تعويضه اذا استقال او توقف عن العمل ، اما العامل الماهر فلا يمكن تعويضه قط . ثم ان كل الاقتصاديين والاجتماعيين فى بلاد الغرب يعملون على ان من يقولون من تسميهم بالمهن الحرة كالطبيب والمهندس والزراعى والمعلم يكسبون ما يكفيهم ، وليس هناك ما يدعو الى القلق عليهم والاجتهاد فى رعايتهم ، اما العامل فالمفروض انه هو وحده الكادح وهو وحده الفقير يحتاج الى المعونة والرعاية ، ومن هنا فان الجانب الاكبر من نفقات التامينات الصحية



هذا المجاهد الافغاني اصابته شظايا القنابل في أكثر من موضع
اخذت هذه الصورة في أحد مراكز العلاج ، والجـراح يحـاول
استخراج الشظايا .

والاجتماعية يذهب الى العمال سواء أكانوا صناعيين أم زراعيين .

***

وهذا المستوى من الضمانات وانواع الحماية الاجتماعية للعمال فى البلاد الراسمالية هو حلم العمال فى البلاد الشيوعية ، ولو تركت الامور تجرى على علاتها وطبائعها لقامت ثورة عالمية عمالية فى البلاد الشيوعية على دولها ، لان كل ما تزعمه من قيامها بالرعاية التامة للعمال باطل وتضليل ، والدعاية الحقيقية للعمال لا توجد بالفعل الا فى البلاد الراسمالية .

***

لاتوجد اذن مشكلة حقيقية بولندية . وكل ما تقراه فى الصحف وترى صوره فى التليفزيون من ثورة العمال فى بولندا انما هى سياسة رسمها الشيوعيون ليشغلوا الراى العام العالى عما يفعلونه فى افغانستان . وخطتهم المرسومة هى ان يشغلوا الناس بمشكلة بولندا ومشكلة مؤتمرات تحديد السلاح انماهو خداع وتمويه ومحاولات لكسب الوقت حتى يتحقق لهم مايسعون عليه من القضاء على المقاومة الافغانية والاستيلاء على البلاد استيلاء تاما .

***

ولكن ، هل يستطيع الروس القضاء على المقاومة الافغانية ؟

لقد رحب بعض الامريكيين والاوروبيين بالغزو الروسى لافغانستان وقالوا ان هذه هى « فيتنام » بالنسبة لروسيا ، وان بريجنيف واصحابه ادخلوا انفسهم فى معركة لن ينتصروا فيها قط ، لان احدا فى الدنيا لم يستطع ان يقهر الافغانيين قط ، فهؤلاء ناس يسكنون قفرا جبليا لاتسهل السيطرة عليه لاى اجنبى ، لان افغانستان تضم جبال الهندكوش وجبال سليمان ، وكلها مرتفعات شواهق وهضاب لايسكنها الا رجال فى صلابة النسور والعقبان ، والممرات بين هذه الجبال ضيقة مرتفعة لاتستطيع الدبابات والعربات المصفحة اجتيازها ، وقد عرف الافغانيون ذلك ، فلم يشقوا فى بلادهم طرقا واسعة كثيرة ، وحرصوا على المحافظة على الطرق الجبلية الضيقة ، فانت لا تجد فى افغانستان طرقا واسعة بعض الشىء الا فى المنطقتين السهليتين الوحيدتين، افغانستان وهما سهل كابل وسهل هرات ، اما نواحى جلال اباد وهى المتاخمة لافغانستان والاتحادالسوفيتى ونواحى قندهار ويست التى تحيط ببحيرة زاريخ ، فقد تركها الافغانيون لحسن الحظ دون طرق واسعة ممهدة والاعتماد فى النقل فيها يعتمد اساسا على السيارات الصغيرة ودواب الحمل . وهذه الطرق الضيقة هى التى تغيظ الروس اليوم ، وهى التى ستهزمهم باذن الله

ومن اسف ان شعوب العروبة لا تعرف افغانستان وشعب افغانستان معرفة جيدة او قريبة من الجيدة ، مع ان الشعب الافغاني نفسه يعرف عن العرب كل شيء ويحترم العرب ويحبهم من قلبه كله ، فهو شعب كريم النفس عالي الهمة صحيح الايمان ، وهم يسمون الاقطار العربية جميعا عربستان ، اى بلاد العرب ، وفي احيان كثيرة يسمون السعودية باسم عربستان لان اعز اماني الافغاني هو الحج الى بيت الله الحرام ، فالسعودية ومكة والمدينة معروفة لهم اكثر من اى قطر او بلد عربي اخر . ومع فقر الناس هناك فان الافغاني لايكاد يتجمع لديه شيء من المال حتى ينفقه في الحج ، ومن اولئك الناس من حج المرتين والثلاث بل الاربع والخمس

ولا يكاد يجارى الافغانيين في البسالة والتحام المخاطر الا قليل من الشعوب ، فقد مر بافغانستان على طول التاريخ نفر من اعاظم الفاتحين مثل الاسكندر وجنكيزخان وتيمورلنك ، ولكن احدا منهم لم يستطع سيادة ارض الافغان ، ثم ان الافغانيين ساهموا في فتوح الاسلام بنصيب وافر وخاصة في فتوح الهند ، لولاهم لما تمكن المسلمون من فتح القارة الهندية ، ومن الافغانيين الغزنويون ، وهم الذين فتحوا الهند في القرن العاشر الميلادي وانشأوا الدولة الغزنوية ، وهي من اعظم دول الهند الاسلامية ، وهم الذين سكنوا دهلي وجعلوها عاصمة دولة الاسلام في الهند ، ومنهم ايضا الغوريون ، وهم منسوبون الى اقليم الغور في جنوب شرق افغانستان ، والغوريون هم الذين ثبتوا اقدام الاسلام في الهند ووصلوا به الى هضبة الدكن ، ثم حكم الهند الاسلامية بعد ذلك مماليك الغوريين ، وكل جنودهم كانوا من الافغان ، قطب الدين ايبك - اكبر مماليك الغوريين هو الذى انشأ في دهلي اعظم مساجدها ، ويشتهر هذا المسجد بمئذنته الشاهقة الارتفاع ، فهو اعلى واضخم مئذنة في تاريخ الاسلام ، وهي المشهورة باسم قطب منار ، ولازالت قائمة في دلهي الى اليوم

كذلك حاول تيمورلنك احتلال افغانستان فلم يستطع ، وواحد من اجدادهم وهو السلطان بابر الافغاني وبابر مؤسس سلطنة مغول الهند ، وهي احدى اعاظم دول الاسلام

واخر من حاول الاستيلاء على افغانستان كانوا الانجليز ، فقد حاولوا السيطرة عليها بعد فتحهم الهند ليكون ممر خيبر في ايديهم ، ولكن الافغانيين هزموهم وردوهم على اعقابهم ، وهم الدولة الاسيوية الوحيدة التي هزمت الانجليز .

وكذلك حاول الروس ان يحتلوا بلخ في شمال افغانستان فلم يوفقوا ، وبلخ كانت دائما من معاقل الاسلام وحضارته ومنها الجغرافي الاشهر ابو زيد البلخي .

والفان بوضعها الحالي هي معقل الاسلام في وسط اسيا كلها ، واذا

كان الروس قد قرروا الاستيلاء على افغانستان فان خوفهم من الافغانيين هو السبب ، لان الافغانى مسلم صادق ومقاتل لا يجارى ، ومادامت افغانستان مستقلة فان اهل الجمهوريات الاسلامية التى يحتلها الروس مثل قازاكستان وطاجيكستان وغيرهما لن يفقدوا الامل قط فى الاستقلال عن الروس ، فالاستيلاء على افغانستان يؤمن السيطرة الشيوعية على وسط اسيا ، ويفتح الباب امام الروس لكى يتسللوا الى بقية بلاد الاسلام الاسيوية : ايران اولا ثم العراق ، واخرة المطاف السعودية .

ولعل هذه الاشارة تثير منى التعجب ، ولكن ليصدقنى القارىء : ان الروس يهدفون فى نهاية الامر الى القضاء على الاسلام ويحاولون ان ينفذوا الى قلب الاسلام فى السعودية ، وهم لايخافون من شىء فى الدنيا قدر خوفهم من الاسلام . وهذا كلام اقوله اليوم للتحذير ، وربما استبعده البعض ولكنه حقيقة ، وارجو ان تكون هذه السطور انذارا لاخواننا المسلمين الذين يستهينون بالغزو الشيوعى لافغانستان وانا بطبيعة الحال ابرىء الشعب السورى المسلم الصادق من تاييده الغزو الشيوعى لافغانستان ، ولكنى اقول للذين يؤيدون تلك الجريمة من قادة سوريا ان الله سبحانه وتعالى سيخزيكم وستكون خاتمتكم على ايدى الروس ، فتذهبون الى جهنم مع بقية الشيوعيين اعداء البشرية والحضارة والاسلام

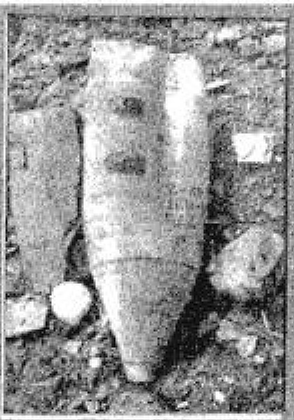
هل يعرف المسلمون فى نواحى الارض ان الروس يعملون على اخفاء الشعب الافغانى

انهم يعرفون انهم لن يستطيعوا قط القضاء على المقاومة الافغانية ، ولهذا فان خطتهم الان هى القضاء تماما على الشعب الافغانى للاستيلاء على ارض افغانستان وتحويلها الى ارض روسية . ان الروس لا يحفلون قط بأرواح البشر ، وعشرة ملايين افغانى عندهم لاشىء ، خاصة وهم مسلمون ، والروس هم الد اعداء الاسلام فى الدنيا

لهذا يستعملون فى افغانستان اسلحة ابادة لا اسلحة حرب عادية ، فهم يستعملون قنابل النابالم وقنابل الشظايا ، اذا انفجرت القنبلة تناثرت منها الوف الشظايا التى تقتل وتصيب الاجساد بحروق وشظايا خطيرة فى دائرة لايقل قطرها عن خمسين مترا ان جرائم هيروشيما وجرتيكا وما اليها لاتقاس الى ما يفعله الروس فى افغانستان ، فان هيروشيما ونجازاكى كانتا قنبلتين ، اما هنا فى افغانستان فان الوف القنابل تلقى كل يوم لابادة الناس .

لقد دخل الصحفى الهولندى برند دى بروين ارض افغانستان واختلط بالثوار واكد فى مقال نشر فى مجلة





قنابل غازات سامة وجدها الصحفي وصورها ـ انها لم تنفجر لحسن الحظ

غنم المجاهدون الافغان هذه العربة المصفحة ولكنهم مع الاسف لا يستطيعون استعمالها .

يوتشي الالمانية ان الروس يستعملون الغازات السامة على نطاق واسع ، وهم في العادة يلقون قنابل الغازات السامة على القرية فيبيدوا كل حي فيها ويتصاعد دخان رمادي ، ثم يلقون بعد ساعات قنابل تحرق دخان الغازات السامة حتى لايكشف العالم جريمتهم ، ولكن هذا الصحفي الهولندى كشف هذه الجرائم وصورها وقد نشرت مع هذا المقال صفحة عنوان المقال ، وترجمة النص الوارد بالالمانية هناك وفي صفحة تالية نشرت صور اخرى التقطها هذا الصحفي

لتثبت استعمال الروس لقنابل النابالم وقنابل الشظايا وقنابل الغازات السامة

ان شعبا اسلاميا يتعرض للابادة

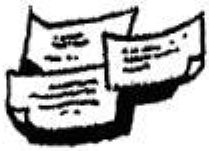
ايها الناس .. اننا جميعا مطالبون بايقاف هذه الجريمة التى يرتكبها الشيوعيون في حق الاسلام .

لابد ان يهب المسلمون جميعا لانقاذ ذلك الشعب المجاهد البطل لابد من ذلك اليوم ، لان الروس ماضون في جريمتهم دون ان يخشوا شيئا ..

وكان الله مع شعب افغانستان

● د . حسين مؤنس ●

قصاصات ملونة





● محمد شوقي امين ●

● مراسم التحديث ●

لم يكن « التحديث » - أعنى تدريس الحديث النبوى - كغيره من ضروب التدريس لسائر العلوم ، اذ كان يعتبر لونا من التعبد ، يحتاج صاحبه الى التزام آداب ومراسم مخصوصة ، فلابد له أن يتطهر ، وأن يتطيب ، وأن يجلس متكئا في تزمت ووقار .

وقد بلغ « الصاحب بن عباد » في هذا الصدد مبلغا عجيبا ، ذلك انه - وهو يتولى منصب الوزارة - عزم على الجلوس لاملاء الحديث النبوى ، فخرج الى الحلقة متطلسا بتزيا بزى اهل العلم ، وقال لحاضريه : قد علمتم تدمى في العلم .

فأقروا له بذلك .

فقال : ان جميع ما انفقته من صغرى الى وقتي هذا ، هو من مال ابي وجدي ، ومع هذا لا ابرىء نفسي ، ولا اخلو من تبعات . واريد أن اشهد الله واشهدكم على انى تائب الى الله من ذنب اذنبته . وترك الحلقة ، واتخذ لنفسه بيتا سماه « بيت التوبة » ، ولبث فيه اسبوعا ، معتكفا عن الناس .

وبعد انتهاء خلوة التوبة ، خرج ليشهد الفقهاء على صحة توبته ، واخذ خطوطهم الشاهدة .

ولما تم له ذلك خرج الى الحلقة ، وقعد للاملاء ، وحضر حلقته خلق كثير ، وكان المستملى الواحد ، ينضاف اليه ستة ؛ كل منهم يبلغ صاحبه

وقد تأثر رواد العلم بما عمد اليه « الصاحب » من مراسم التحديث ، فاقبلوا على حلقته ، يكتبون عنه ، حتى القاضي « عبد الجبار » ، وهو من هو علو مكانة بين علماء عصره .

● احفظ الناس ●

كان « الحفظ » ظاهرة بارزة من ظواهر العلماء والادباء في عصور العربية الاوالى ، وقد حفظ لنا التاريخ نوادر الحفاظ في تلك العصور ، ومن ذلك ما يروى عن « المعرى » اذ طرق بابه رجل فارسي يمت بالقرابة الى « الخطيب التبريزى » ، وجعل يتكلم بالفارسية بين يدى « المعرى » ، فلما عاد « الخطيب » اخبره « المعرى » بقدوم قريبه ، وأعاد عليه ما سمعه منه ، وان لم يفهم له معنى ..

ويذكر لنا « ابن الجوزى » في « المنتظم » أن « ابا زرعة » احد المحدثين في القرن الثالث الهجرى ، كان يحفظ الوف الاحاديث ، حتى قيل فيه : « ماذكرلنا احد في الحفظ الا كان اسمه اكبر من رؤيته ، الا « ابا زرعة » فان مشاهدته اعظم من اسمه »

● راس الديك ●

لم يكن مراد « الجاحظ » فيما اورده من أقاصيص البخلاء مجرد الاطراب والتفكيه والتعجيب ، فان ما ساقه من حديثهم يفصح عن تفكير وتأمل ، ويكشف عن فلسفة الحرص والادخار والاقتصاد ، سواء في ذلك ما تصح نسبته اليهم ، وما ادعاه عليهم . وهكذا يصدق رأى الاقدمين في أن كتب « الجاحظ » تعلم العقل اولا ، والادب ثانيا

ولقد عنى « الجاحظ » بأن يسلك « سهل بن هارون » في عداد اعيان البخلاء .. ومن طريف ما ينسب الى « سهل » ما حكاه « دعبل » ، اذ قال : اقمنا عند « سهل بن هارون » فلم نبرح حتى كدنا نموت جوعا ، فلما اضطررناه ، قال : ياغلام ، ويلك ، اتنا غداءنا . فجاء الغلام بقصعة فيها مرق ولحم وديك ، ليس بعدها ولا قبلها غيرها ، ولحم الديك لاتحز فيه السكين ، ولا تؤثر فيه الاضراس ،

فاطلع ((سهل)) في القصعة ، وقلب بصره فيها ثم اخذ قطعة خبز يابس، فقلب جميع مافي القصعة ، حتى فقد الراس من الديك . ثم رفع راسه الى الغلام ، قائلا : اين الراس ؟ اني والله لامقت من يرمي برجليه بشيء،ولولم اكره ما صنعت ، لكرهته للطيرة والفال .

الراس رئيس ، وفيه الحواس،ومنه يصدح الديك ، ولولا صوته ما اريد ، وفيه عينه التي يضرب بها المثل في الصفاء ، فيقال : شراب كعين الديك ، ولم ار عظما قط اهش تحت الاسنان من عظم راسه . فهلا اذظننت اني لا اكله ، ظننت ان العيال ياكلونه ؟ انظر اين ذهب راس الديك .

قال الغلام : والله ما ادرى اين رميت به ؟ قال « سهل » : لكني ادرى انك رميت به في بطنك . والله حسيبك !

● سرائر الاحلام ●

لاتذكر الاحلام الا كان الشرقيون عامة ، والعرب خاصة ، في مقدمة من ينسب اليهم التعويل عليها، والايمان بها باعتبارها ايماء الى ما يحدث في غد ، وابحاء بما عسى ان يكون ، وقد تنوقلت اخبار وصنفت كتب في تعبير الرؤيا . ولكن هذا كله لاينفي انالناس من عامة وخاصة لم يجهلوا ان الغالب من المنامات هو من عمل النفس ، فهو منها واليها . وليس ادل على ذلك من ان المثل العامي يقول : « حلم القطط كله فيران » ، ونظيره المثل القائل : « الجوعان يحلم بسوق العيش » !

وينقل لنا اصحاب ((قصص العرب)) حكاية جرت للخليفة العباسي ((المهدي)) مع صاحبه ((الربيع)) تدل على سبق المعرفة بأن الاحلام من عمل العقل الواعي في المنام ، وانها اصداء اشتغال النفس بما يكون في اليقظة . فقد استغل ((الربيع)) معرفته بذلك لاكتساب مغنم واصطياد حظوة ، فقد قال للخليفة ((المهدي)) :رايت فيمنامي كذا وكذا لك ، وآية صدقى انك سترى الليلة في منامك كذا وكذا)).

وحدث فعلا ان راى ((المهدي)) في حلمه ما ذكره ((الربيع)) ، فارتفعت منزلته عند الخليفة ، حتى ولاه قضاء

على ان « الربيع » افشى السر فيما بعد ، فقال : انها حيلة ، فاني لم ار شيئا مما اخبرت به الخليفة ، ولكني لما ذكرت له انه سيرى في منامه مصداق ما ادعيت الى رايته ، شغل بذلك فكره ، وادار به خاطره ، فلما نام راى الامر كما وصفت له !!

● بواكير البلاغة ●

الكلمة الحكيمة اشبه شيء بوعاء صغير تكشفت فيه مادة مركزة ، لو حلت لما وسعها الا وعاء كبير . وكذلك «المصطلح » يحمل من الدلالة مالا يغني عنه الا كلام طويل فيه تفصيل .

ومن المصطلحات البلاغية ، او المحسنات البديعية ، مصطلح « اللف والنشر » المرتب او غير المرتب ، وهو ان يذكر مثلا شيئان ثم يخبر عنهما بامرين ، بحيث يكون الامر الاول خبرا الشيء الاول ، والثاني خبرا عن الثاني، على الترتيب ، او يكون الثانيخبرا عن الاول ، والاول خبرا عن الثاني ، على غير الترتيب !

وقد صيغت المصطلحات ، بعد ان تعب الادباء واصحاب البيان في ايضاح ما ارادوا توضيحه من محسنات البديع حين لاحظوها في النظم اوالنثر. هذا هو « المبرد » يلاحظ ماسميناه « اللف والنشر » ــ ولم يكن المصطلح قد ولد بعد ــ فاذا هو يقول فيالتعليق على بيت «امرىء القيس » :

كان قلوب الطير رطبا ويابسا .
لدى وكرها العناب والحشف البالي

((فهذا مفهوم المعنى ، فان اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال : كانه رطبا العناب ، وكانه يابسا الحشف ، قيل له : العربي الفصيح الفطن اللبق يرمي القول مفهوما ، ويرى مابعد ذلك من التكرير عيا ، قال الله جل شانه : ((جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله)) علما بان المخاطبين يعلمون وقت السكون ووقت الاكتساب)) .

وهكذا يبرز مصطلح «اللف والنشر» بموضوعه ومعناه ، دون تسمية .

●●

الرَّسُول يربِّي الوُلاة

● د . احمد شلبي ●

● من اهم ما اتجه اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة الى المدينة – تربية الولاة والحكام ..

لقد شاهد الرسول وهو بالمدينة اتساع الدولة الاسلامية التى اوشكت ان تشمل الجزيرة العربية كلها ، ودعا (صلى الله عليه وسلم) امراء البلاد المحيطة بالجزيرة وماوكها الى الاسلام، وامتدت اماله الى دخول هذه الممالك فى حوزة الاسلام ، ومن هنا اتجه ، عليه الصلاة والسلام ، لتربية الولاة على الاقاليم فى عهده وتربية الحكام من بعده ..

وكان النمط الذى حرص عليه يتمشى مع قوله عليه السلام : اثنان من امتى اذا اصلحا صلح الناس ، واذا فسدا فسد الناس : العلماء والامراء ..

فالرسول صلوات الله عليه يدرك اهمية الحاكم بالنسبة للرعية ، فاذا كان صالحا احسن اختيار معاونيه ، واحسن معاونوه بالتالى سلوكهم مع الرعية فتستقر الامور ويسعد الناس، وعلى عكس ذلك يكون الحاكم او الوالى الفاسد .

واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى مجال تربية الولاة والحكام ، تتدرج تدرجا طبيعيا ، فهى تتحدث عن ضرورة الرئيس ، ثم تثنى للحديث عن شروطه والتزاماته ، ثم تلزمه بحسن اختيار معاونيه ومتابعتهم

وسنروى من احاديث الرسول فيما يلى مايوضح هذه الخطوات :

فعن ضرورة الرئيس والرائد يقول صلى الله عليه وسلم :

● اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا احدهم ..

* لا يحل لثلاثة يكونوا فى خلاة من الارض الا امروا عليهم احدهم .

ومن شروط الرئيس او الحاكم يضع الرسول صلوات الله عليه العلم والعدالة فى قمة هذه الشروط ويحذر من الظلم والجهل وغش الرعية ، وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

● ان احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم منه مجلسا ، امام عادل .. وابغض الناس الى الله يوم القيامة وابعدهم منه مجلسا .. امام جائر .

● كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامير الذى على الناس ارع ، والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عنهم، والمراة راعية على بيت بعلها وهى مسئولة عنه .

ويحذر رسول الله اولئك الامراء والولاة الذين يعذبون الرعية باية صورة من صور التعذيب وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

ان الله يعذب فى الاخرة من يعذبون الناس فى الدنيا . ويقول : اللهم من ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه .. ومن ولى من امتى شيئا فرفق بهم فارفق به .

***

ويوجه الرسول صلوات الله عليه اهتماما كبيرا الى اختيار المساعدين ، وينزل المسئولية على الرئيس ان اساء الاختيار ، او ان اغض الطرف عن اهمال معاونيه وهو فى ذلك يقول :

● من ولى من امر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو اصلح منه فقد خان الله ورسوله وخان جماعة المسلمين .

● من قلد رجلا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو ارضى منه ،

فقد خان الله وخان رسوله وخان جماعة المسلمين .

والزم الرسول الحكام والولاة ان يستشيروا استشارة خاصة او عامة فيما يعرض لهم من شئون ليس فيها نص صريح ، وان يقبلوا رأى الاغلبية ففى غزوة بدر اراد الرسول ان ينزل بجنوده منزلا ، فسأل الخباب بن المنذر : هل انزلك الله هذا المنزل او هو اجتهاد من عندك ؟ فاجاب الرسول انه اجتهاد من عندى . فقال الخباب : اما اذ كان الامر كذلك فليس هذا بمنزل واشار بمكان اخر ايده فيه المسلمون فارتضاه الرسول .

وفى غزوة الاحزاب اتفق الرسول مع أهل الطائف على أن ينفضوا ويفكوا حصار المدينة ، واعد لهم وثيقة نظير ذلك بان يعطوا ثلث ثمار المدينة ، وعرض هذه الوثيقة على زعماء المدينة لتوقيعها ، فسأله سعد بن معاذ عما اذا كان للوحى دخل فى هذا الاتفاق ؟ فقال له الرسول : انما هو امر صنعته للمسلمين راجيا من ورائه الخير .. فرفض اهل المدينة التوقيع على الصحيفة وقال سعد : انهم لم ينالوا منا فى الماضى ثمرة الا قرى ، افبعد ان اعزنا الله بك ، ياخذون ثلث ثمار المدينة عنوة ؟ لا والله .. ورجح هذا الراى وارتضاه الرسول (1) .

وعن الشورى ، يقول ابو هريرة : مارايت احدا قط كان اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله وكان ابو بكر وعمر فى مقدمة الصحابة الذين كان يعتمد عليهم ، وروى انه قال لهما : وايم الله لو انكما تتفقان على امر ماخالفتكما فيه .

***

ويؤكد الرسول ان الولاية على الناس مهمة صعبة وانه ينبغى الا يتقدم لها الا من عرف نفسه انه أهل لها ، فان تقدم لها من ليس اهلا لها وخدع الناس حتى اختير لهذا المنصب ، فانه ينطبق عليه قوله صلى الله عليه وسلم :

من ام قوما وهم له كارهون ، لم تجز صلاته اذنيه .

انكم ستحرصون على الامارة وستكون يوم القيامة ندامة .

ويوضح الرسول صلوات الله عليه وسلم أن الله يعين من اختير للرياسة بواسطة الناس ، اما الذى يسعى لها دون التاكد من التزاماتها ، فان الله لا يعينه ويكله الى نفسه ، وفى ذلك يقول عليه السلام لعبد الرحمن بن سمرة: لاتسال الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسالة اعنت عليها، وان اعطيتها عن مسالة وكلت اليها .

ويروى أن اباذر قال للرسول : الا تستعملنى يارسول الله ؟ فضرب الرسول بيده على منكبه وقال : يا ابا ذر انك ضعيف ، وانها امانة، وهى يوم القيامة خزى وندامة الا من اخذها بحقها وادى الذى عليه فيها .

وعندما يختار الامير او الرئيس على هذه الاسس يجب طاعته مالم يامر بمعصية فلا تجب الطاعة .

وهناك موضوع مهم اهتم به الرسول صلوات الله عليه ذلك هو انه ليس من حق الحاكم او الوالى ان يتجسس على الرعية وان يبحث عن عوراتهم ، فليس له دخل فى عقائدهم ولا فيما يستترون ما دام ذلك لم ينقلب الى اثارة أو عمل يضر بالدولة ..

واهتم الرسول اهتماما كبيرا بتحريم الهدايا على العمال الولاة والامراء احساسا منه انها رشوة نعتت باسم الهدية ، ويروى ابو سعيد الخدرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال فى ذلك :

هدايا العمال غلول « اى سحت وضلال » .

وهكذا نجد الرسول صلوات الله عليه احاط بكل الشئون فى مجال تربية الحاكم الوالى .

ويوم ينتفع المسلمون باتجاهات الرسول فى هذا المجال ، فان حالهم يصبح غير ماهم عليه الان وحيث اصبح الحكم مغنما يسعى له كثيرون ممن لاكفاءة لهم ، وممن لا يعرفون الفكر الاسلامى ولايدينون به ، ومن هنا يحيط هؤلاء انفسهم بعناصر من طبقتهم فيعم الفساد وتنتشر البلوى ، واغلب ما يعانيه العالم الاسلامى فى هذا العصر يرتبط بغيبة الرئيس او الوالى الصالح وظهور الاعوان الضالة على مسرح الحكم والحياة

تكريم التوامخ على مر العصور

● مصطفى الشهابي ●

عرف الناس من قديم الزمان طرقا كثيرة لتكريم وتخليد العظماء عندما ادركوا ان لبعض الافراد حقا فى الامتياز اثناء الحياة وبعد الممات ...

وربما كانت القبور العالية او الضخمة اقدم هذه الطرق ... وجدير بالذكر ان مصر اول من عرف هذا النوع من القبور التى اشتهرت باسم الاهرامات ، ولمصر ان تفخر بان أهرامها هي العجيبة الوحيدة من عجائب العالم القديم السبع الباقية حتى اليوم ، تخلد ذكرى بانيها وشعبه الذى لم يدخر وسعا فى سبيل تمجيده .

واذا كان التمجيد ببناء الاهرامات هو تقليد مصرى فى العصور القديمة ، فان التمجيد قد اتخذ طابعا آخر فى العهد ، وذلك برفع الشخص المجد الى مرتبة الالهة . وهو ما حدث للوزير « امحتب » الذى كلفه الملك زوسر اول ملوك الأسرة الثالثة (٢٩٨٠ — ٢٩٠٠ ق . م) ببناء قبر له ، فبنى هرم سقارة المدرج .

ولما كان امحتب قد اشتهر بقدرته العجيبة على شفاء الامراض ، فقد حزن عليه الناس واعتبروه الها للطب ونصبوا له التماثيل تعظيما وتكريما ، كما كانوا يزورون قبره ، داعين اياه ليشفيهم من آلامهم وامراضهم كما كان يفعل فى حياته ، وهو ما يقوم به البعض اليوم من زيارة لاضرحة الاولياء الصالحين

ومع تلك الاهرامات ابتكر المصريون نوعا آخر من التخليد وهو اقامة المعابد والهياكل والمسلات ، تسجل على جدرانها سيرة المجد واعماله ، وكان اغلبها من الحجر الجرانيتى الصلب والأحجار الجيرية الضخمة . واغلب هذه المنشآت بقى حتى اليوم ، ومن اشهرها معبدا الكرنك والاقصر ومعبد ابى سنبل .

اما المسلات فقد اعجب بها الاوروبيون والامريكيون ونقلوا بعضها الى روما وباريس وانجلترا والولايات المتحدة .

وقد اضاف قدماء المصريين الى وسائل التخليد نوعا آخر ، لا يزال موجودا على نطاق ضيق ، الا وهو تحنيط جثث الموتى والاحتفاظ بها فى مكان أمين حتى لا ينتهك حرمتها احد أو ينتابها الفناء . وكانت قبور هؤلاء العظماء تزخر بالتحف والاثاث وغير ذلك مما كانوا يتمتعون به فى حياتهم ، ولعل كنوز توت عنخ آمون ، التى بهرت العالم ، ابرز مثال .



سعد زغلول — مصطفى كامل — محمد فريد

وكانت التماثيل من أكثر طرق التمجيد شيوعا ، وبعضها كان في غاية الضخامة كتمثال رمسيس المعروف بمدينة القاهرة .

والجدير بالذكر ان تلك الأنواع من التكريم ، التي ابتكرها قدماء المصريين لم تزد عليها الاجيال التالية ، بعد ظهور الاديان السماوية الا بعض تعديلات في بناء الاضرحة والمعابد والزوايا التي توقف على اعمال البر والعبادة ، وتحمل اسماء من بنيت لتكريمهم ، وقد يمتاز بعضها على البعض الآخر بما يوقف عليه من اموال الصيانة من جهة ولاطعام الفقراء وتوزيع الصدقات من حين لآخر .

وقد عنى الاقدمون بكتابة سير العظماء والأعلام ممن عاصروهم او ممن سبقوهم ولكن اغلب تلك السير والتراجم ورد ذكرها مبعثرة غالبا في التواريخ العامة ، بعكس ما امتازت به الاجيال الحديثة من العناية بكتابة سير الأبطال والنابهين في ميادين الأدب او العلم او الحرب او السياسة ، للتعريف بهم والتنويه بأعمالهم ، وتسجيل مآثرهم .

ولا شك أن تأليف التراجم هو الطريقة العملية المثلى للتنويه بالعظماء — (وفي الغرب يضعون الى جانب التراجم الوافية ، تراجم موجزة وتراجم مبسطة ليقراها النشء) — لان المرء اذا رأى ضريحا مقاما لعظيم من العظماء فانه غالبا لا يتذكر الا اسمه ، وقل من يعرف نواحي عظمة صاحب الضريح ، وهذا ينطبق على التماثيل ومن ثم وجب ان توضع لوحات عليها تعريف موجز لصاحب الضريح او التمثال ، ولدينا من الاضرحة ضريح سعد زغلول ثم النقراشي واحمد ماهر ثم ضريح مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد الرحمن الرافعي ، هذا عدا عدد كبير من التماثيل .

وقد جرت العادة في انجلترا على دفن العظماء وتخليد ذكرهم في دير او كنيسة وستمنستر التي تعتبر اشهر واقدم مقبرة للشوامخ اذ تضم رفات عدد كبير من عظماء انجلترا ، كما تزدان جدرانها وأبهاؤها بالتماثيل واللوحات التذكارية .

وفي فرنسا اصبح البانتيون مثوى للعظماء ...

وبالقاهرة جبانة تسمى « بستان العلماء » يدفن فيها كبار العلماء ، ولعلنا نشاهد عما قريب « مقبرة الخالدين » وقد خرجت الى حيز التنفيذ .

وفي الولايات المتحدة انشئت مقبرة

« أرلنتون » بولاية فرجينيا وتضم قبور بعض العظماء ، كما يوجد بها قبر الجندى المجهول .

ويعتبر قبر الجندى المجهول أول واهم مكان يزوره اى عظيم ينزل ضيفا على بلد به ذلك القبر ، ولا غرو فالجندى المجهول تكرم فى شخصه المجهول مئات الألوف من الأبطال الذين تنكرت جثثهم على الناس ، يحج الى ضريحه الآباء والامهات والازواج وكل من يعتقد أن فيه ابنا أو زوجا او اخا .

وقد يكرم الشوامخ احيانا فى غير اوطانهم باقامة التماثيل لهم كتمثال احمد شوقى باحدى حدائق روما ، وتمثال لنكولن وواشنطن بلندن ، كما يمنح الزائر العظيم من الأجانب لقب « مواطن » فخرى ويهدى مفتاح العاصمة .

وكما تعنى الجامعات والاكاديميات باطلاق اسماء الاعلام على صالاتها وبعض قاعاتها ومدرجاتها ، فكذلك تطلق الهيئات والنوادى الرياضية اسماء كبار الرياضيين على كئوس تمنح للفرق الفائزة .

واشهر وسائل التكريم فى القرن الحالى تلك الجوائز المعروفة باسم جوائز نوبل السويدى التى تمنح لاعلام الفيزيقياء والكيمياء والطب والادب والاقتصاد واخيرا وليس آخرا : « السلام » .

ولمصر أن تفخر بأن ابنها البار ورئيس جمهوريتها « محمد انور السادات » قد ظفر بتلك الجائزة ، عن « السلام » الذى عمل ويعمل على توطيد اركانه . وهناك جوائز اخرى منها جائزة بوليتزر الامريكية التى تمنح للنابهين فى ميدان الصحافة بمختلف نواحيها وفى الادب والتاريخ والتراجم والموسيقى . وهناك جوائز اخرى مماثلة فى كثير من الدول تمنحها الاكاديميات والجمعيات .

وفى مصر جوائز مماثلة وهى جوائز الدولة للانتاج الفكرى فى العلوم والفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وقد انشئت عام ١٩٤٦ ثم سميت باسمها الحالى عام ١٩٥٣ ، وقد ظهر بها عدد كبير من الادباء والعلماء والفنانين .

ومن الطريف انه انشئت فى ايطاليا عام ١٩٦٧ لجنة لاختيار الاعمال السيئة فى عالم الأدب او الفن ، التى اثارت السخط العام ، والاعلان عنها بتوقيع عقوبة على صاحبها ، وذلك بدعوته الى الحضور لمقر اللجنة لدفع غرامة نحو سبعمائة جنيه تستخدم فى شراء كتب لصالح بعض المؤسسات الثقافية ليفيد منها الجيل الصاعد، واذا ما رفض المدعو الحضور فان للجنة الحق فى أن تعلنه بالبريد ، فى خطاب رقيق مطبوع طبعة أنيقة ، اعلانا تحمل سطوره دمغه بالعار !

***

وهناك عدا التقدير المادى بالجوائز المالية ، تقدير ادبى الا وهو منح الدكتوراة الفخرية للشوامخ من المواطنين أو من الاجانب وقد بدأت جامعة القاهرة هذا النوع من التكريم ومنحت عددا كبيرا من الاعلام المصريين والاجانب تلك الشهادات وسارت على نهجها باقى الجامعات وكذا اكاديمية الفنون التى منحتها لعدد كبير من الادباء والعلماء والفنانين .

وقد اصبحت الأوسمة وسيلة لتقدير النابهين من المدنيين فى مختلف الميادين وهى على مراتب مختلفة واعلاها قلادة النيل وقلادة الجمهورية ثم وسام الكمال للسيدات ، وهى تمنح ايضا لرؤساء


احمد عرابى


احمد شوقى


ام كلثوم

الدول الاجنبية رمزا للصداقة وللتقارب بين الشعوب .

وقد حلت الأوسمة الحالية محل الاوسمة التى كانت موجودة قبل الثورة والتى كان يلقب حاملها بلقب خاص كلقب «صاحب المقام الرفيع» وغيره ..

وقد كانت الالقاب (أو الرتب) هى وسيلة التكريم فى اواخر القرن الماضى واوائل القرن الحالى حتى قيام الثورة ، وقد تغيرت وتعددت فمن « دولتلو » الى « صاحب الدولة » و « سعادتلو » الى « صاحب السعادة » وامثالها ، هذا عدا رتبة الباشوية والبكوية والميرمران وغيرها .

واما الرتب والاوسمة العسكرية والنياشين فهى معروفة منذ عهد الفراعنة وقد نال أبطال حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ كثيرا منها ، واعلاها رتبة المشير .

***

وقد عرف العرب الالقاب ، وقد شرف لقب « الأمين » عندما أطلقته قريش على « محمد » صلى الله عليه وسلم فى شبابه .

كما شرف لقب « الفاروق » عندما اطلق على عمر بن الخطاب . وقد اشتهر كثير من اعلام العرب بالقاب خاصة انفردوا بها « النورين » لعثمان بن عفان و « الصديق » لابى بكر . وقد عرفنا تلك الالقاب فى العصر الحديث كأستاذ الجيل ، وامير الشعراء ، وشاعر القطرين وشاعر النيل ، وشيخ العروبة وكوكب الشرق .. الخ واصحابها فى غير حاجة لذكر اسمائهم .

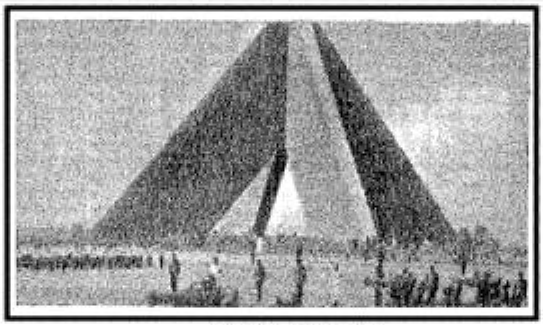
ومن وسائل التكريم الشائعة اطلاق الاسماء على الميادين والشوارع وعلى المدارس والمعاهد ، وقد تنشأ مدن جديدة تخليدا للذكرى كمدينة الاسكندرية التى خلدت ذكرى الاسكندر الاكبر وكمدينة واشنطن فى الولايات المتحدة ومدينة السادات بمصر ..

وقد جرت بعض الدول على الاحتفاظ بمنازل الشوامخ واعتبارها اماكن اثرية أو متاحف تضم آثار الراحلين وبعض اعمالهم ، ولدينا فى مصر من هذا القبيل منازل حسن طوبار واحمد عرابى وطه حسين وزكريا الحجاوى .

وقد تنشأ احيانا متاحف خاصة كمتحف مختار .

***

وجرت العادة فى هذا القرن على اصدار طوابع بريدية تذكارية تحمل صورة العظيم او العظماء بمناسبة ذكراهم ، وقد صدرت فى مصر طوابع كثيره فى السنوات الماضيه حملت صور اعلام نجل ذكرهم ونفخر بهم ، وآخر



قبر الجندي المجهول

ما صدر من تلك الطوابع حمل صور المغفور لهم : الدكتور على ابراهيم الجراح العظيم والدكتور على مصطفى مشرفة عالم الذرة المعروف ، ثم مصطفى صادق الرافعى الاديب الكبير .

واذا كانت بعض الدول العربية قد قامت بمثل ذلك العمل ، فمن الواجب ان نشير الى ان بعض الدول العربية قد ساهمت فى هذا المجال وخاصة اسبانيا التى اصدرت طوابع بريد تذكارية لبعض الاعلام العرب الذين ظهروا فيها .

والعملات الورقية والمعدنية من وسائل تكريم الشوامخ والعملات الورقية الامريكية اعظم مثال لذلك ، اذ أن اغلبها ان لم تكن كلها تحمل صور العظماء . وفى مصر صدرت عملات ذهبية لهذا الغرض منها عملة ذهبية حملت رسم كوكب الشرق الخالدة ((ام كلثوم)) .

أما الفن فتكريم الشوامخ فى ميدانه قديم ، وخاصة من قبل الحكام والاثرياء وقد اتيحت للفنون منذ بداية هذا القرن مهرجانات متعددة النواحى واشهرها مهرجانات السينما وما يمنح فيها من كئوس وجوائز .

ولعل اعظم تكريم للشوامخ فى هذا الميدان هو دعوة الفنان ليمشى بقدميه (حافيتين) على ممر عظماء الفن ليطبع على الاسمنت (الطرى الطازج) بصمات اقدامه ، هذا عدا كفيه ، تخليدا وذكرى للاجيال القادمة ، وذلك بجوار لوحة يحفر عليها اسمه ، ويجرى هذا بين حين وآخر بمدينة هوليوود الامريكية .

وشبيه بالمهرجانات تلك الامسيات الشعرية التى شهدناها منذ سنوات قلائل بكرمة بن هانىء ، منزل امير الشعراء أحمد شوقى وكذلك العرض الفنى البديع الذى اقيم تكريما لحبيب المداحين المرحوم زكريا الحجاوى .

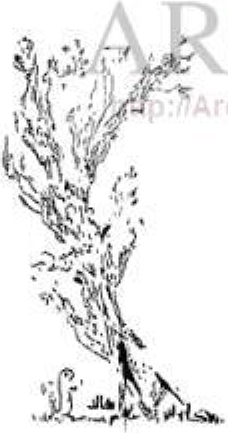
واخيرا وليس آخرا ذلك الاحتفال السنوى او المئوى او الالفى بذكرى المولد او الوفاة .

وقد جرت عادة المسلمين فى مختلف البلاد على الاحتفال بذكرى مولد النبى عليه الصلاة والسلام ولسنا فى حاجة الى ذكر اهمية ذلك الاحتفال واهتمام الحكومات الاسلامية وشعوبها ووسائل اعلامها به .

بقى أن نقول ان من مصلحة الشوامخ الذين يراد تخليد ذكراهم ومن مصلحة الامة التى تخلدهم ان تعنى بحاجاتهم التى هى مفتقرة اليها ، قبل ان تنظر الى وسائل التخليد التى لديها منها الكتابة ، مع العناية بالتاليف لانه يفتح طريق القدوة ويهتدى الى اسبابها ودواعيها وكل نسخة من كتاب عن عظيم هى فى الحقيقة تمثال فى كل مكان يوجد به ذلك الكتاب .

السنجاب الحائر

● محمد عبد الغنى حسن ●



أيها الحائرُ فى الغـابِ ! .. أمَا
لكَ فى الغابِ على الدَّرب دليل ؟
تنقـل الخطـو بعينى حَـذر
فوقَ أغصـان من الدوح تميـلْ
غاديا أو رائِحـا ، مُتنقـلا
لا تحط الرحلَ إلا لِرحيـلْ
ليتَ شعرى ! هل هُنا من صاحب
لكَ فى الغابةِ أو فيها خليـلْ ؟
هل فقدتَ الخل فى الغـابة أم
هل عدمتَ الأهلَ فيها والقبيل ؟

***

أيها الحائرُ مـن فـرع أُلى
صِنوه بين طُلوع ونـزول
فيم عولتَ على القفـز بـلا
مؤنس يحميكَ أو إلفٍ يصول ؟
وإلامَ الجرىُ فى الغـابِ على
سفرٍ ناء ، وفى درب طـويل ؟
إنما الوحـدة فيهـا وحشة
لكَ مهما كنتَ فى ظلٍ ظليـل ..

***

يارفيـق الغابِ لم يهـدأ ، وما
زال فى بلحوطـه العالِى يجول
أكذا عمرُكَ تقضـيه عـلى
يقظة الصبح وإغفاءُ الأصيل ؟
لا تبـالى إن تحاشـاك أخ
أو تخطـاكَ من القـوم رعيـل
السما ملكك والأرضُ ، ومـا
ملكك الكونين بالشىء القليـل
من يكنْ مثلـكَ حرًا ، ماله
عن قضاء العمر فى الغاب بديل •

القمر

والانفعالات النفسية

● لواء مهندس : سعد شعبان ●

● لم يحظ اى جرم سماوى باهتمام اهل الارض قدر ما حظى به القمر ... فقد استثار قرائح الشعراء ، واجتذب ابحاث العلماء ، ومناظير الفلكيين ، وبه تغنى الفنون ، وبنوره اهتدى البدو فى دياجير الظلام ، وباوجهه زعم الزاعمون دياجير الظلام ، وباوجهه زعم الزاعمون الربط بين حظوظ الناس وتصاريف الاقدار !

ومنذ عرف العالم منظار جاليليو المقرب عام ١٦١٠ تعرف الناس على بعض معالم القمر وتفاصيل اسطحه ، وقاسوا بعده وقطره ودرجة حرارته ورصدوا دورانه حول الارض وحول محوره وصوروا اوجهه وحسبوا جاذبيته .

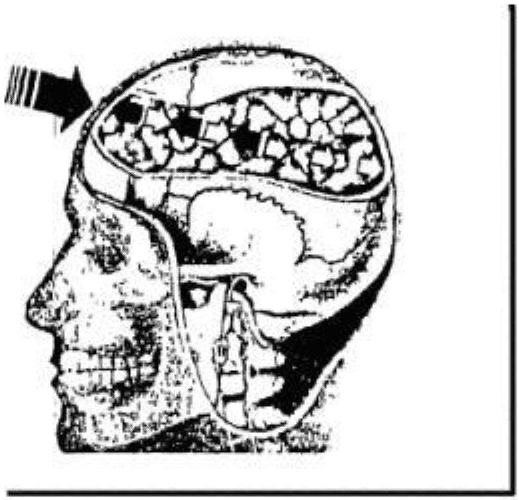
والقمر يدور فى فلك بيضاوى حول الارض ، ولذلك فان بعده عنها ليس ثابتا ولكنه يتراوح بين ٢٢٢ر٠٠٠ ميل ٢٥٣ر٠٠٠ ميل . ورغم كبر هذه الابعاد الا انه اقرب اجرام الكون الينا ، ومن ثم فقد جعل علماء الفضاء منه بابا للولوج الى الفضاء السحيق المحيط بنا . وقيس قطر القمر فوجد انه يزيد قليلا عن (١/٤) ربع قطر الارض ، فهو يبلغ ٢١٦٣ ميلا فهو يبلغ (٢٧ر٠) من قطرها . وقيست قوى الجاذبية على القمر ، فوجدت انها تبلغ سدس ما تبلغه قوى الجاذبية على الارض . ولذلك فان رواد الفضاء كانوا يعانون من صعوبة الحركة على سطحه .

ويتم القمر دورته حول الارض خلال مدة ٢٧ يوما ، ٨ ساعات اى (٣ر٢٧) يوما ، على مدار بيضاوى تقع الارض فى احدى بؤرتيه .. وخلال هذه المدة تكون الارض نفسها قد دارت حول الشمس بزاوية قدرها ٢٧ ه، ولكى يعود القمر الى وضعه الاصلى بالنسبة للارض اى بعد دورة كاملة ، فانه لابد ان يدور هذا القدر ايضا ، ويستغرق ذلك اكثر من يومين . ولذلك تبدو مدة دوران القمر الظاهرية لنا على الارض (٥ر٢٩) تسع وعشرون يوما ونصف

والقمر له حركة ذاتية بالاضافة الى دورانه حول نفسه ، فهو يدور حول محوره فنهاره طوله ١٤ يوما ارضية وليله كذلك يبلغ نفس الطول .

ولتساوى مدة دورته حول نفسه ، مع مدة دورانه حول الارض فلا يظهر منه غير وجه واحد لاهل الارض. ويمكن تشبيه ذلك بحركة طفل صغير يجرى على محيط دائرة يقف فى مركزها رجل يتابع بنظره حركة الطفل ، فلا يمكنه رؤية غير صدغ واحد من وجه الطفل .. ولذلك فان ما نراه من القمر هو الوجه المرئى والوجه الاخر المختفى لم تره عين بشر قبل ان تصوره الاقمار الصناعية عام ١٩٥٩ .

وعلى كل من وجهى القمر مرتفعات



تتمثل فى جبال عالية ، ومنخفضات وشقوق واخاديد . وفوهات صخرية دائرية ذات اقطار متفاوتة تكسو السطح كله ولذلك تظهر على سطح القمر ، مناطق لامعة تمثل انعكاس اشعة الشمس على المرتفعات القمرية بينما تمثل المناطق الداكنة المناطق المنخفضة .. وهذا هو السر فى تخيل بعض الناظرين الى سطح القمر . انه قرص يبدو لهم كشخص له عينان وفم باسم!

ويتتابع ظهور القمر ليلة بعد اخرى، ويلاحظ ظهوره متاخرا عن موعدظهوره، كل ليلة بمدة ٥٠ دقيقة عن الليلة السابقة . ويتدرج ظهور القمر نتيجة لانعكاس اشعة الشمس على سطحه من الهلال فى اول كل شهر عربى ، وهو لا يزيد عن قوس لامع منحنى حتى يكتمل بدرا تمام الاستدارة فى منتصف الشهر العربى ، مارا بمرحلة متوسطة تعرف باسم التربيع . وتسمى هذه المراحل باسم « أوجه القمر » أو « منازله » وقد وردت هذه التسمية فى القرآن الكريم «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » .

وكما تتدرج منازل القمر فى الكبر فى النصف الاول من الشهر العربى ، فانها تتدرج ايضا فى التناقص فى النصف الثانى من الشهر . ولقد تعارف الناس على تسمية « منازل» القمر من اول الشهر حتى آخره هى :

« المحاق » ـ « الهلال » ـ « التربيع الاول » ـ « البدر » ـ « التربيع الثانى » ـ « الهلال « ـ المحاق .

تأثير القمر على المزاج .

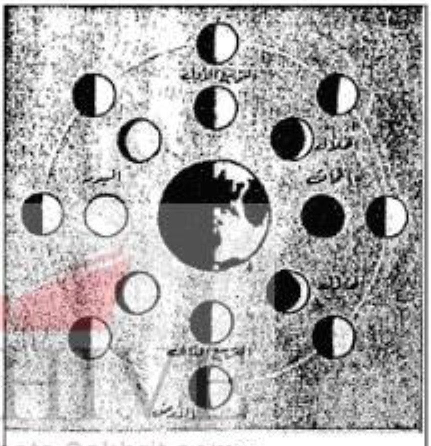
هناك ارتباطات قوية ، بين طباع الانسان وميوله والاحوال الجوية السائدة فى المنطقة التى يعيش فيها. وتتضح هذه الارتباطات جلية فى فارق الطباع بين سكان المناطق الباردة وسكان المناطق الحارة من حيث النشاط فى الحركة وسرعة التصرف والخمول والكسل وبطء الحركة ، والانفعال السريع والغضب والميول الحادة ولذلك فسكان المناطق الوسطى «التى لايغلب عليها البرودة او الحرارة ، هم من اكثر الناس نشاطا فى العمل والحركة والاداء ، وانتاجهم الفكرى والذهنى والفنى اكثر واغزر ، والمواهب الخلاقة فيهم متعددة وبنسبة عالية . لذلك لاينكر احد ما للعوامل الجوية وخاصة لدرجة الحرارة والرطوبة والضغط الجوى من اثار على طباع الناس وتصرفاتهم واعمالهم . وابسط الادلة ان معدل المنازعات والخلافات والجرائم بين سكان المنطقة الواحدة تزداد صيفا عندما ترتفع درجة الحرارة . ولقد عزى الاقدمون ذلك الى ما يحدث فى الجسم من تمدد فى الاوعية الدموية ، ومن تهيج بعض مراكز الاعصاب نتيجة لتدفق الدم فيها بغزارة اكبر من المعدل كما تتبدى بوضوح العلاقة بين زيادة نسبة الرطوبة فى الجو ، وتاثيرها على الضيق فى تصرفات الناس ، الذين تضيق انفاسهم ، وتضيق صدورهم فيحاولون اخذ المزيد من هواء الشهيق بفتح الفم ليتدفق منه الهواء بكميات اكثر مما تنظمه فتحات الانف الضيقة .ولقد صور القران الكريم هذه الصورة فى وصف من تضيق صدورهم .. ممن لم يوفقهم الله فى أعمالهم .

« فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد ان يضله

يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء »

« سورة الانعام ـ ١٢٥ »

ولكن هذا الربط بين بعض العوامل الجوية والمزاج الشخصي للانسان ، قد وجد نوعا من التحريف لدى بعض المنحرفين ، الذين ولعوا بالربط بين ميول الناس وايام الاسبوع ، فبعضهم قال بان يوم الاحد يوم « بسط » يتعدل فيه المزاج ، ويوم الثلاثاء يوم « قبض » يسوء فيه الحال ، والاربعاء الامور فيه ميسرة والجمعة فيه ساعة نحس . وهذه كلها خرافات ، ليس لها قدم ولا ساق ، ولا تعدو ان تكون تعبيرا



منازل القمر

من اهواء بعض الناس ، وتراد فالاحداث مختلفة ، لاحقيقة لها ولا رابط بينها لانها لاتقوم على دليل علمي ولا سند منطقي .

خرافات عن القمر

تنتشر في الريف اقاويل عن الربط بين الجنون وظهور القمر . وذلك بعد ان لاحظوا ان موجات الجنون والتهيج العصبي تزداد عنفا لدى من افقدهم الله نعمة العقل ، كلما سطع القمر بدرا . بينما تخفت لديهم موجات الشرور والتصرفات الشاذة ، عندما يختبو القمر ويكون في المحاق ولم تكن هذه الاقاويل تستند الى سند من العلم ، غير دقة الملاحظة .

والحقيقة ان معلومات الناس عن القمر قبل عصر الفضاء ، كانت تحكمها كثير من الخرافات والاباطيل . فقد تصوره البعض على شكل وجه مستدير يبتسم بفم مفتوح وكان له عينان غائرتان تبدوان وكان عليهما بعض الظلال ..

والحقيقة ان القمر ، ليس له فم أو عين والظلال التي يراها الناس على سطحه يتخيلون توزيعها على هواهم ، وهي في حقيقتها منخفضات غائرة في سطح القمر ، تتمثل في بعض الوديان العميقة التي تشمخ بجوارها بعض الجبال العالية . ولذلك تنعكس اشعة الشمس على الجبال والمرتفعات فتبدو لامعة ، بينما تظل الوديان والمنخفضات مظلمة او معتمة .

وعلى القمر سلاسل جبال مرتفعة اطلق عليها الفلكيون اسماء بعض سلاسل جبال الارض ، كالالب والابينايين والقوقاز وبعضها يصل بعده الى عدة آلاف من الامتار

وعندما اقتربت مئات الاقمار الصناعية وسفن الفضاء من القمر ، سجلت بلايين الصور لكل سطح القمر وما عليه من جبال وفوهات وبراكين ومنخفضات ووديان الى حد ان كل حجر مهما صغر على القمر ، توجد له صورة محددة على خريطة . ولذلك هتكت كل أسراره قبل أن يدب الانسان بخطواته على سطحه ، وأصبحت كل أسرار القمر معروفة لعلماء الارض

ولكن من الاسرار التي عرفت عن القمر قبل عصر الفضاء تأثيره على مياه الارض واحداثه لموجات المد والجزر التي تتعاقب في دورة منتظمة

القمر والمد والجزر

المد هو ظاهرة ارتفاع منسوب الماء في البحار والقنوات والانهار ، أما الجزر فهو ظاهرة انخفاض هذا المنسوب . وليس مقصودا بالارتفاع والانخفاض ، مايحدثه الموج ، ويظهر ذلك بوضوح في البحار والمحيطات المفتوحة وتلاحظ هذه الظواهر بوضوح على شواطىء البحر الاحمر ، وشواطىء انجلترا وامريكا حيث يبلغ ارتفاع

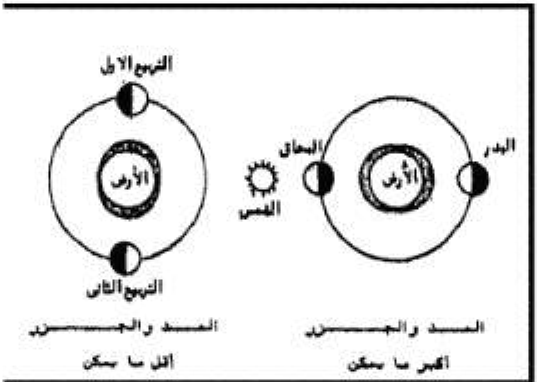
منسوب الماء او انخفاضه عدة امتار. ولكن فى البحار المغلقة والبحيرات كالبحر الاسود والبحر الابيض المتوسط فان ظاهرتى المد والجزر ليستا ملحوظتين بوضوح ، لان منسوب الماء لايتغير غير بضعة سنتيمترات . ويتم كل من المد والجزر بالتدريج ، حيث لايتغير منسوب الماء فجأة أو دفعة واحدة ولكن تدريجيا .

وقد لاحظ الصينيون قديما العلاقة بين ظهور القمر ، ودورة المد والجزر، وقد أعطاها العالم الفرنسى « لابلاس » تفسيرات صحيحة ، ثم دعمها العالم البريطانى ابو الجاذبية « نيوتن » ببراهين صحيحة ودلل على ان مرجع ذلك الى قوى التجاذب بين الارض بكتلتها الضخمة وبين القمر بكتلته الاصغر . فتعمل هذه القوى على تحريك ماء الارض فى المناطق المواجهة للقمر ؛ لان الماء أيسر حركة من اليابسة واطوع فى الانتقال من مكان لاخر

وحقيقة الامر ان سطح الكرة الارضية يغطى « خمسة اسباع » ماء ، ولكن كل جزء منه يحتويه وعاء محدود سواء كان محيطا او بحرا ؛ ولذا فان ارتفاعه فى مكان ما معناه انحساره اى انخفاضه فى مكان اخر . ومعنى ذلك ترادف حدوث المد والجزر ، بحيث يظهر المد فى مكان ما فلا بد ان يقابله جزر فى مكان اخر مقابل له . ويحدث اكبر مد عندما يكون القمر بدرا او فى المحاق ، بينما يكون المد اقل ما يمكن عندما يكون القمر فى التربيع . ودورة المد والجزر اليومية ، تحدث فى صورة مدين وجزرين كل يوم لان حركة القمر الظاهرية حول الارض انه يدور دورة كاملة كل ٢٤ ساعة و ٥٠ دقيقة ويتأخر وقت بدء المد او قمته ٥٠ دقيقة كل يوم من اليوم السابق . ولذلك فانه بعد اربعة عشر يوما تقريبا يكرر المد دورته ويتعاقب معه الجزر مما يبرهن ان الظاهرة مرجعها الى القمر الذى يبلغ طول شهره القمرى ٢٨ .

المد والجزر والمشاعر النفسية

ولقد ربط الناس بين ظاهرتى المد وبين اثارها على الملاحة البحرية وموسم



الاسماك ولكن لم يتنبه احد الى الربط بينهما وبين أمزجة البشر . ولكن التفسير العلمى لقوى الجاذبية اعطى بعدا جديدا لحالات التوتر العصبي ونوبات الجنون المتقطعة بأن الخلية البشرية تتكون من ٨٠٪ من الماء ، ومادام القمر يستطيع أن يشد اليه بقوى الجاذبية كتل الماء التي على سطح الكرة الأرضية ، ليحدث المد والجزر فان القمر يستطيع ايضا ان يؤثر على اجسام الناس على الارض ؛ وتكون اجسامهم تحت تأثير جاذبيته ولذلك يشدها اليه . وتتأثر خلايا المخ البشرى شأن كل خلايا الجسم . فيزداد وجود الماء المغطى لخلايا المخ او يقل ، حسب تدرج منازل القمر وكونه بدرا او فى المحاق .

وصاحب هذه النظرية هو الفلكى البريطانى « سير برنارد لوفيل » .. واسمى نظريته «المد والجزر البيولوجى» وعزى ذلك الى تقلب النشاط الفكرى والاضطرابات العاطفية ، والاحساسات الغريبة

القمر والنشاط الحيوى

ولقد ربط بعض العلماء من النشاط الجنسى لدى البالغين من البشر وبين تدرج منازل القمر ، وربطوا بين ذلك وبين الدورة الشهرية عند النساء وتكررها كل ٢٨ يوما وهو ما يعادل شهرا قمريا . واخذ بعضهم احصائيات للنشاط الحيوى لدى العينات من الناس لاثبات تزايد هذا النشاط عند اكتمال القمر بدرا .

رحلة حياة وعلم وأدب
مع د. يوسف إدريس

أنا أكتب من فرط عشقي لهذا الشعب وكأنه ليلاي وأنا قيسه مجنون به

● حوار أجراه : عادل عبد الصمد ●

اللمسات الانسانية البارعة فى اعمال الكاتب الفنان الكبير د . يوسف ادريس انما هي جزء من حياته .. حيث نشأ فى الشرقية وتربى فى الزقازيق كابن فلاح ارسل به فى المدينـــة ليتعلم ، وزادت الشحنة الانســانية فى وجدانه وهو يعيش عمله فى قصر العيني كطبيب امتياز ويرى مآسي الناس داى العين وهو مشرف صحة فى الدرب الاحمر وشبرا ..

ويوسف ادريس انسان ، له من دقة الحس والرؤية الصادقة ما يجعله يختزن الكثير مما رأى ، فقد كان يرتجف وهو يتلقى شـحنات من مآسي البشر يراها عارية .

وبدأت هذه الحياة المليئة بالتجــارب المشـــحونة بأحاسيس ابن الـريف الاصيل الذى يحمل باعماقه رساله أمينة تجاه وطنه ، كما يتضح ذلك من أعمــاله القصصــية مثـــل « ارخص ليـــال » و « الفرباء » و « العيب » و « قصـــة حب» و «الحرام» و « حادثه شرف » و « العسكرى الازرق » و «نيويورك ٨٠» ودخل يوسف ادريس المسرح من بابه الاوسع تسبقه شهرته ككاتب قصة فى ٦تجارب رائعه هى « جمهورية فرحات» « ملك القطن » ،« اللحظة الحـــرجة » « الفرافير » « المهزلة الارضية » .

وتحـــولت قصص له الى تمثيليـــات اذاعية وافلام سينمائية منها « الغريب » « لا وقت للحب » « الحرام » « النداهة » وما زلنا نرى اللمحات الانسانية التى تحس فيها بصدق الطبيب عندما يشخص المرضى ، وهي من ابرز ما يقـــدمه د . يوسف ادريس فى قصصه

ويوسف ادريس مزيج من الانســـان الطبيب الصـــادق الذى يرى الحيـــاة والكائنات بوجهة نظر صادقة .. فتعال نتعرف على رحلة حيـــاة الكاتب الكبير د . يوسف ادريس .

***

وعندما أحاول أن اتعرف على جوانب من حياة الكاتب الكبير يوســف ادريس اجد نفسى حائرا لتنوع شخصية الاديب والفنان يوسف ادريس ..

والركسع خياله كعادته عندما يتحدث . فقد اشعل سيجارته وارتشف من فنجان القهوة وبدأ فى قوله :

● مرحلة الواقعية والعها من ابتكارى ●

طفولتى كانت مرحلة حرمان من كـــل ما يمت للطفولة بصلة ، كان الدهر اناء



د . يوسف ادريس

على بكلكله كما يقولون فاصبح بيتنا فقيرا حالك تماما وكل ما فيه رجال كبار ، وانا الطفل الوحيد الذى يذهب الى المدرسة الابتدائية — وقد كانت رحلتى الى المدرسة عذابا بشعا فقد كان على ان استيقظ فى الخامسة والنصف صباحا ..

وفى هذه الفترة كان على ايضا ان اعتمد على نفسى فى كل شيء .

ثم كنت اسير من قريتى الى المركز حيث المدرسة ، تلك الرحلة التى كانت تبدأ فى السادسة صباحا . وكنت دائما اصل المدرسة متأخرا عن الميعاد المحدد للدخول ، وبذلك كنت انال عقابى على هيئة عشر مساطر على ظهر اصابعى! . وكان الرد الطبيعى على هذا القهر أن اغرق نفسى فى أحلام اليقظة ، فطوال الثمانية كيلو مترات التى اقطعها يوميا كنت احلم بكل ما انا محروم منه واؤلف القصص والروايات وانا سائر على اقدامى فى البرد القارص .

وقد ساهمت هذه الفترة فى تزويدى بقدرة أعتقد انها غير عادية على تخيل اى شيء اريده ، وتخيل بطريقة اكثر واقعية من الواقع نفسه .. وكذلك فانا اضحك فى سرى كثيرا على الذين يسمون المرحلة الاولى فى الكتابة بالمرحلة الواقعية ، فواقعها كله من عندى ومن ابتكارى !

● واذا كانت الطفولة تتسم بتلك الجدية والمثابرة فماذا عن الصبا ؟..

يقول وملامح وجهه تبدو فى مرح الشباب وحيرته :

● مرحلة صقل الذات ●

اما عن الصبا فالظروف حتمت على ان انفصل عن العائلة منذ الخامسة ، بل واقطن بمفردى فى غرفة أجرتها منذ الثامنة ، واعيش صبيا ضئيل الحجم شبه مذعور فى مجتمع كامل من الغرباء ولم يكن ذلك فى مدينة واحدة ، وانما تنقلت كثيرا بين دمياط ، والزقازيق ، والمنصورة ، وطنطا ..

فى هذه الفترة بدأت اقرا كثيرا وانغمس فى القراءة الى درجة مرضية ، لدرجة انى أذكر اننى قرأت من سن العاشرة الى السادسة عشرة ما يزيد عن الالفين كتاب ، فكان يجذبنى التاريخ تماما والروايات البوليسية والخرافية والعلوم وبالذات علم الفلك ، وكل معلوماتى اليوم عن الفلك استمدها من قراءاتى فى هذه السن المبكرة .

وبمناسبة الفلك قد ادى بى التبحر فيه

الى دراسة الذرة والطبيعة النووية التى لا ازال اقرا عنها الى الان .

وكانت استاذتى فى هذا العلم هى المرحومة الدكتورة سميرة عالمة الذرة المصرية التى قتلت فى أمريكا وقيل انها ماتت فى حادث سيارة .

● شاعر له اثر فى وجدانى ●

ثم يرجع بالذاكرة الى الماضى البعيد ليقول كان شاعرنا المفضل فى تلك الايام هو العقاد ، حيث كنت المح فى شعره تجديدا لم أجده عند شوقى او حافظ ابراهيم او اسماعيل صبرى ، او البارودى او على محمود طه او مدرسة ابوللو .

وما زلت اذكر له قصيدة . يتحدث فيها عن الابواب وعما تخفيه الابواب ، وكان موضوعا مثل هذا جديدا علينا تماما كغرض من اغراض الشعر نحن الذين كنا ندرس الشعر على هيئة الفخر : الرثاء والمديح ..

● الحركة الوطنية فى حياتى ●

فى مطلع شبابى انغمست تماما فى الحركة الوطنية وقد صاحب هذا دخول كلية الطب ، وانتخابى عضوا فى اتحاد كلية الطب وسكرتيرا للاتحاد ، ثم مندوبا لكلية الطب فى اتحاد الجامعة ، واخيرا شكلنا بعد لجنة الطلبة والعمال المشهورة اسمها « اللجنة العليا للكفاح المسلح » :

كانت تدرب وتشترى السلاح والمستلزمات الطبية والذخيرة لكتائب اللجنة التى كانت تحارب الانجليز فى فايد والاسماعيلية والتل الكبير .

وفى هذه الفترة قمت باصدار عدة مجلات كان اخطرها مجلة « الجمهور » التى قدمت من اجلها لمجلس تأديب ، وفصلت عامين من الجامعة ، ولكن الصحف تبنت هذه القضية باعتبار « زميل » وشنت حملة صحفية ناجحة بقيادة الانسان الاستاذ « أبو الخير نجيب » ، ورفع عنى قرار الفصل .

والغريب بعد كل هذا انى تخرجت فى الكلية بدرجة جيد جدا ناقص درجتين رغم انى كنت فى ذلك الوقت ازاول النشاط السياسى ، واصدر مجلة « الجمهور » ..

وبدأت اكتب القصص ، وبدأت انشر فى مجلة « القصة » الذى كان رئيس تحريرها وقتئذ د . ابراهيم ناجى ، وحين استغرب الطلبة كيف لانسان له مثل هذا النشاط أن يقدر له النجاح بهذا التفوق وقلت لهم :

لانكم ترسبون بدون هذه النشاطات ، فأى نشاط ثقافى هو نشاط علمى أيضا

● الممارسة العملية بدلا من تسلط الكمبيوتر ●

ومن خلال هذه المعايشة الحقيقية لكل احداث الجامعة بل لكل احداث مصر فى هذه الفترة التساؤل عن دور الجامعة وما ينبغى ان تكون عليه :

يجيب بكلماته الصريحة الواضحة ليقول : انى تعلمت الطب من مزاولة الطب وليس من الجامعة ، ومن قراءتى ومحاولات العلاج وبذلك صدق المثل الصينى القديم « بدلا من ان تصطاد لى سمكة علمنى كيف اصطاد سمكة ! »

ان الجامعة الآن تحولت الى مدرسة ثانوية عليا تحفظ وينجح منها الآلاف . ولكن لو عملنا احصائية لوجدنا ان الاغلبية من الطلاب الجامعيين قد دخلوا كليات غير راغبين فيها .

ولا أستطيع أن أتصور ان يكون الكمبيوتر هو الذى يحدد مستقبل شبابنا واتجاهاتهم ، فحولنا ضغط الثانوية العامة الى اعداد ، وفى النهاية ضياع ولا نبوغ ولا ابتكار ولا خلق ..

ومن تجربتى اقول انى عملت بالطب تسع سنوات وكرهت مزاولة المهنة فالمعنى ان الانسان يدرس اكثر من تعليم ومهنة لان المفروض ان الطالب ينجح فى الجامعة وليس بمقدار حفظه للعلوم ، ولكن بمقدار قدرته على استيعاب العلوم .. فالمفروض ان الجامعة توسع مخه على ١٨٠ درجة اى يكون مخه « سكوب » .

ولذلك اقول ان نظام الجامعة عندنا خاطىء .. أما فى الخارج فمن يدرس العلوم ، عليه ان يختار أى مادتين من العلوم الانسانية لدراستها بجانب تخصصه ، لان الجامعة تؤهل للتفكير العلمى الشامل ...

● الأميون لديهم تراث شعبي حقيقي حتى في الأمثلة الشعبية ، أما المتعلمون فقد أرضعناهم بتدريسنا لهم العلم والنقد الأوربي ورقصتا بهم على سلم الثقافة .

فالجامعة معهد لتخريج العقل الانسانى ثم من يريد ان يتخصص يعمل له دبلوم او ماجستير فى التخصص الذى يريده وانا دخلت كلية الطب لانى اردت ان ادرس علم التشخيص لانها قدرة يكتسبها الطالب بناء على ان فيها جزء من الفراسة والخبرة فدرست الطب على انه علم وليس حرفة .

واسال الدكتور يوسف ادريس عن كتاب عصره ومن لهم تاثير عليه خلال تلك الفترة ؟!

● احساس شعبي جماهيرى ●

يشعل سيجارته ويأخذ نفسا عميقا ويقول :

انا تقريبا من الكتاب القليلين جدا فى تاريخ الادب المصرى والعربى الذين نشأوا من قلب الحركة الوطنية الجماهيرية ، وليس عن طريق قراءة الكتب وزيارة المكتبات .

وما كانت الكتابة لدى ولا تزال الا وسيلة للتعبير عن احساسى العارم بشعبنا وقضاياه ومشاكله واحلامه وحتى خرافاته .

فانا اكتب من فرط عشقى بهذا الشعب وكانه ليلاى وانا قيسه مجنون به .

● انا ثورة على الكتاب ●

فلم يكن هناك من الكتاب المعاصرين لى من يهتم بمثل هذه القضايا باستثناء « المعذبون فى الارض » لطه حسين او « عودة الروح » لتوفيق الحكيم وكتب قليلة ولكن ليس كتابا فانا كنت ولا ازال معارضا للعقاد فى كل ما كتبه ، ولا اهضم فكرة عبقرياته ولا عبقريته هو شخصيا وارى انه يحتل مكانة اكبر بكثير جدا من اتجاه الابداعى الذى ياخذ به الكاتب مكانته .

وربما كان المازنى اكثر أبداعا عندى من العقاد .

اما طه حسين فابداعه محدود جدا ، يكاد ينحصر فى ثلاث او اربع قصص .. والمنفلوطى لا ابداع له بالمرة انما هو استمرار للادب العربى فى العصور الوسطى مع تحسين فى طريقة السجع . وتوفيق الحكيم تاثر مباشرة بالادب الغربى ، وحاول ان ينقله الينا فى صيغته الغربية ، وكذلك فعل نجيب محفوظ .

وان تكن هذه احكاما متطرفة ، فانا لست ناقدا ، والاحكام الادبية عندى اما ابداعية أو لا شيء بالمرة ، ان احكم على كمية ونوع الابداع فقط ..

وبذلك لم اتأثر باحد من هؤلاء وبالعكس انا كنت ثورة على الكتاب ولم اكن متأثرا بهم ..

● اننا ننتج ونقرا فى وضع يشبه المعجزة ●

ولنسأل الدكتور يوسف ادريس عن الكاتب والناقد والجمهور .. كل منهم شريان حيوى للحياة الثقافية فى كل عصر فما رأيه فى كل منهم .. مع القاء الضوء على كل شريان فى فترة تكوين يوسف ادريس :

– حينما بدأت اكتب كان هناك جمهور يتعطش الى ابداع ، وكانت هناك حركة نقدية ناشئة تتعطش الى أدب مصرى أصيل ترعاه وتقومه وتنقده ، وكان هناك ايضا كتاب طموحين لنقل الادب العربى

من حركة تقليد الى حركة التاصيل .. ولهذا تتكاتف هذه الشرايين جميعا لتؤدى الى واحدة من اعظم الحركات الثقافية في تاريخ الادب العربي ، ان لم تكن اعظمها جميعا .

وطبعا لولا التمهيد العظيم الذى قام به الرواد الاوائل ابتداء من رفاعة رافع الطهطاوى الى على باشا مبارك ،واسماعيل صبرى ، وحفنى ناصف ، ولطفى السيد وطه حسين والحكيم والعقاد، والمازنى

وكذلك كتاب القصة القصيرة الصحفية من امثال الاساتذة يوسف جوهر ، والوردانى ، ومحمود كامل المحامى ، وامين يوسف غراب .. كذلك الاساتذة عبد الحليم عبد الله ، ويوسف السباعى واحسان عبد القدوس ، وعلى راسهم نجيب محفوظ ..

لولاهم لما نشات الحركة الادبية فى الخمسينات والتى ظلت مداها فى الستينات والسبعينات والثمانينات .

أما الجمهور فقد اختلف ولم يعد الجمهور الصبور الذى يحتمل مشاق التحصيل والفهم والقراءة بامعان شديد، فنمط الحياة قد تغير، وسرعتها تتضاعف ومشاكلها كثرت . والمتعة السريعة اصبحت هى القاعدة وهى الشعار .

أما الكتاب فقد قل جهدهم ايضا فيما يختص بالوقت الكائن بين بداية الكتابة وساعة النشر بحيث اصبحت الكتابة مرادفة مباشرة لعملية النشر .

واذا اضفنا الى هذا ان مجالات النشر قد ضاقت وان مجالات الثقافة لم تعد تمثل الثقافة بقدر ماتمثل مدارس فكرية رجعية معينة تنظر بنظرة شذراء الى الانتاج الجديد ـ لامكننا ان ندرك مدى التعاسة التى يحيا فيها محب الادب وعشاقه والراغبين فى ان يصبحوا ادباء.

أما النقاد فللاسف الشديد فان الحركة الثقافية التجديدية سواء كان يقوم بها الكتاب الجدد او التجارب الرائدة التى يقوم بها الكتاب الموجودين ـ فان النقد بالنسبة اليها يكاد يكون غير قائم ، الا فيما يختص ببعض نقاد قليلين والحمل عليهم ثقيل .. وايضا تاثيرهم فى الحركة الابداعية نتيجة لهذا ليس بمستوى تاثير نقاد الخمسينات والستينات

باختصار نحن فى أزمة تكاد تقترب من الكارثة جمهورا ونقادا وكتابا ، فاذا اضفنا الى هذه الازمة الاسوار التى تحول بيننا وبين الحقيقة لامكننا ان ندرك اننا ننتج ونقرا فى وضع يشبه المعجزة .

● **اللغة القصصية لغة الرفاهية الموسيقية** ●

وينتقل بنا الحديث الى قضية هامة ، وهى ماذا كان يقصد د . يوسف ادريس عندما وجه خطابا الى الدكتور طه حسين يقول فيه :

« يا سيدى الدكتور .. هذا فراق بينى وبينك لانك تتبع مدرسة البلاغة بمعناها اللغوى وانا اتبع مدرسة الفصاحة بمعناها الفنى »

يجيب الدكتور يوسف ادريس بقوله: ببساطة شديدة هناك لغتان حتى فى اطار القصة نفسها، اللغة الفنية القصصية واللغة التقريرية الفنانية ، وللاسف الشديد كثيرين من النقاد لا يفطنون هذه الحقيقة بل ويعتبرون القصص التى تكتب بالطريقة التقريرية قصصا مادامت تحتوى حادثا او حدوته ، فى حين ان اللغة القصصية لغة باللغة الرفاهية والموسيقية ، ولابد ان تتحد فيها اشياء كثيرة ساقولها ، ولان البعض لا يفهمها حيث انها تحتاج الى دراسة مستفيضة لا لابد أن يكون فيها البحر القصصى مثل الشعر ، لان لكل قصة بحر ، ونبدأ من الجملة الاولى فى القصة .

والبحر هنا لا يوزن بالشطرة ولكن يوجد به موسيقا داخلية فى اطار الجمله والفقرة والقصة كلها .. ثم لابد أن تحتوى هذه اللغه على قدرة مغناطيسية بحيث لا تستطيع ان تنزع من الجملة القصصية كلمه الا بتحطيم الجملة ، بينما اللغة التقريرية ممكن ان تغير وتبدل فيها كما نشاء لانها لا تخضع لقاعدة صوتية أو موسيقية أو معنوية من ذات البحر كما ذكرت .

والدكتور طه حسين نفسه فى اعماله

الفنية مختلف تماما عن طه حسين في مقالاته وفي احاديث اربعائه ، لانه في تلك المقالات يستعمل اللغة البلاغية التقريرية بينما هو في قصصه مجود موسيقى لغوى عظيم ، وانا آتي بهذا الكلام من عندى ، ولكن احاول ان اشخص به الكنز الموسيقى اللغوى الفنى في بعض آيات القرآن الكريم التى قصد بها ان تكون كذلك .

● وماذا يقول الدكتور يوسف ادريس فيما يدعيه البعض ـ سواء في مجال السينما او المسرح ـ عن عدم وجود النصوص الجيدة ، ويحبذ الاقتباس ونهب المترجمات الاجنبية ؟

يقول د . يوسف ادريس

هذا الموقف ينم عن جهل غريب ، فانا استطيع ان ارشح من التراث المصرى الحديث على الاقل مائة قصة صالحة لانتاج ثلاث سنوات في السينما المصرية وتنجح فنيا وجماهيريا ، ولكنهم لايقراون ولا يكتبون فماذا افعل ؟

فانهم يعتبرون اى مبلغ يدفع في القصة مسألة حرام فاسهل عندهم ان ينهبوا قصة عالمية وان تكون غير متطابقة اطلاقا مع واقعنا او حياتنا او شخصيتنا على ان يدفعوا ثمن قصة لمؤلف معروف ، وعلى راى المثل « البلاش كتر منه » والعقاب الذى ينالونه على هذا عقاب صارم اذ تفشل افلامهم ومع هذا فهم لايتعلمون منها .

وفي نهاية جولتنا مع الكاتب الكبير نسأله .

د . يوسف ادريس عبر تاريخه الطويل من التثقيف والاحتكاك بكل تراثنا الفكرى والفنى .. فماذا يعنى التراث بالنسبة اليه ، وكيف يمكن الحفاظ عليه لنجعله يأخذ الشكل العصرى المفيد .

يقول الاديب د . يوسف ادريس :

هناك نوعان من التراث اقلية مفيدة فنيا وخاصة للدارس في العصر الحديث تماما ، واغلبية او اكثرية لا فائدة منها على الاطلاق ، بل هي عبء على دار الكتب وعلى حفظة التراث .

واستخلاص هذا من ذاك في حاجة ليس الى تحقيق التراث كما يحدث الآن ، ولكن لابد من مراجعة التراث مراجعة شاملة تامة . بحيث يستخلص منه ما يمت الى الفن والاصالة ويحفظ الباقى في متحف الآثار .

وانا شخصيا استفيد من التراث الشعبى مثل « الف ليلة وليلة » وسيرة بنى هلال وعنترة .

وماذا يقول د . يوسف ادريس عن النقاد ؟

يقول :

للاسف الشديد ان كثيرين من النقاد أخذوا على عاتقهم مهمة مهاجمة اعمالى في لحظة ظهورها ثم الاعتراف بها حين يتقادم العهد بها .

وقد فسر لى صديق هذا بانى افجع العقلية السائدة بآراء دائمة من الصعب تصديقها أول الامر او تصويرها ثم كما يقول هو تصبح جزءا من تراثى ، يلوموني النقاد على انى لم اعد استطيع ان اصنع مثله » .

هذه مسألة اخذت عليها ولم تعد تهمنى ، فمنذ مجموعة « ارخص ليال » اقرأ عقب كل مجموعة اصدرها اننى انتهيت وعقب كل مسرحية أو رواية اننى افلست ، وانى ادعو الله معهم ليل نهار ان انتهى وان أفلس وان استريح من هذه اللعنة ، لعنة أن اكون كاتبا في المجتمع المتعلمون فيه أكثر أمية من الاميين ، فعلى الاقل الاميون لديهم تراث شعبى حقيقى حتى في الامثلة الشعبية ، اما المتعلمون فقد امرضناهم بتدريسنا لهم العلم والنقد الاوروبى ، ورقصنا بهم على سلم الثقافة ، فلا هم مصريون ولا هم عرب ولا هم اوروبيون ..

ان التصدى لنقد عمل فنى يحتاج لشخصية أدبية اكبر بكثير من منتج العمل الفنى نفسه وللاسف امثال هؤلاء النقاد قليلون جدا في عالمنا العربى .

الدراجة

عمرها الآن ٢٠٠ سنة

المیزة الكبرى للعمل فى الغرب انه يتحسن باســتمرار ، فما صنعوا شيئا اليوم الا اخذوا يجودونه ويحسنونه ليكون احسن غدا واحسن بعد الغد وهكذا ، فالدراجة مثلا بدات لعبة اولاد : عجلتان مربوطتين معا وبينهما كرسى صغير ، ويجلس الانســان ويسير العجلتين بقدميه عندما يضرب بهما الارض فى اتجاه معاكس لاتجاه السير ، ثم يتوقف عن الدفع فترة تسير اثناءها العجلتان بقــوة الاندفاع ..

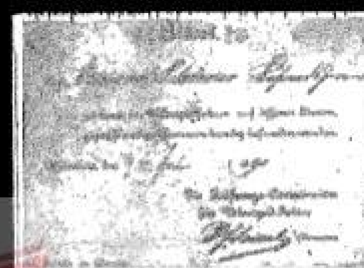
وجاء بعد ذلك اختراع البـدال أى الالة التى تســير العجلـة الامامية بجنزير يحرك محورها ، وتقوم الرجلان بادارة المحــرك وهكذا شيئا فشيئا تطورت الدراجة حتى اصبحت اليوم من انفع وسائل المواصلات واكثرها انتشارا الى جانب رخص ثمنها .. ان آخر الدراجات اليوم لا يزيد وزنها على كيلو جرام وتحملها فتاة على اصبع واحدة !

● د ٠ ح ٠ م ●



في اوائل القرن الحالي كانت الدراجات قد انتشرت وزادت سلامتها بفضل اختراع محور البدال المصنوع باتقان من الصلب المقوى . وفي الصورة نرى اعلانا لهذه الدراجات الجديدة . وفي الركن نرى محور البدال .

والى اليمين نرى تصريحا كان يعطى مع الدراجة يضمن عبورها دون عائق امام صاحبه .





وكانت هناك دراجات بثلاث عجلات صمموها للنساء ، ونرى واحدة منها في الصورة تركبها سيدة انيقة .

الدّراجة عُمرها الآن

٢٠٠ سنة

● ● ● ● ●

وكما يتنافس الناس اليوم فى اقتناء السيارات كانوا يتنافسون فى اقتناء الدراجات ، وكان الرجال يتبارون فى اظهار المهارة فى ركوب الدراجات ، وفى الصورة رجل يظهر مهارته بترك البدال تماما ، فوضع ركبته على الكرسى وترك رجله الاخرى فى الهواء .

وكانت هذه الدراجات موضع فخر الرجال فكانوا يحتفظون بها فى البومات صور العائلة ليعرف الناس مهارتهم وقدرتهم على التفنن فى ركوب الدراجة بطريقة عجيبة جريئة كما ترى فى هذه الصورة اللطيفة .

● ● ●



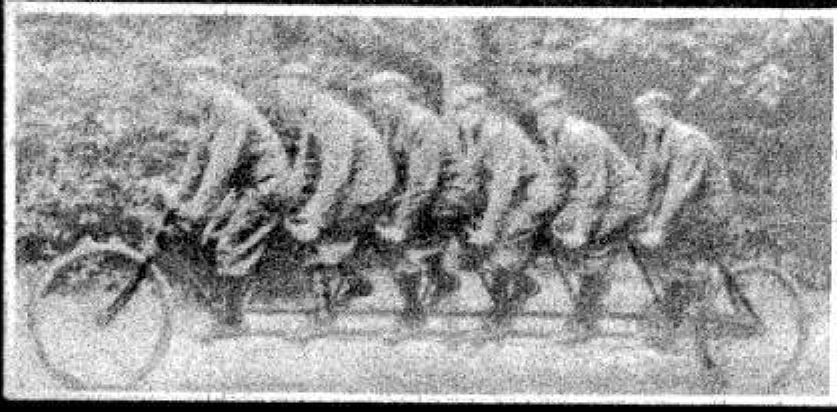
الدراجة عمرها الآن ٢٠٠ سنة



دراجه غريبة تتكون من عجلتين امامية كبيرة جدا وخلفية صغيره ومجراك بيدال يحرك الكبيرة فقط وفي الصورة رجل يظهر براعته بترك المقعد والوقوف على البدال .



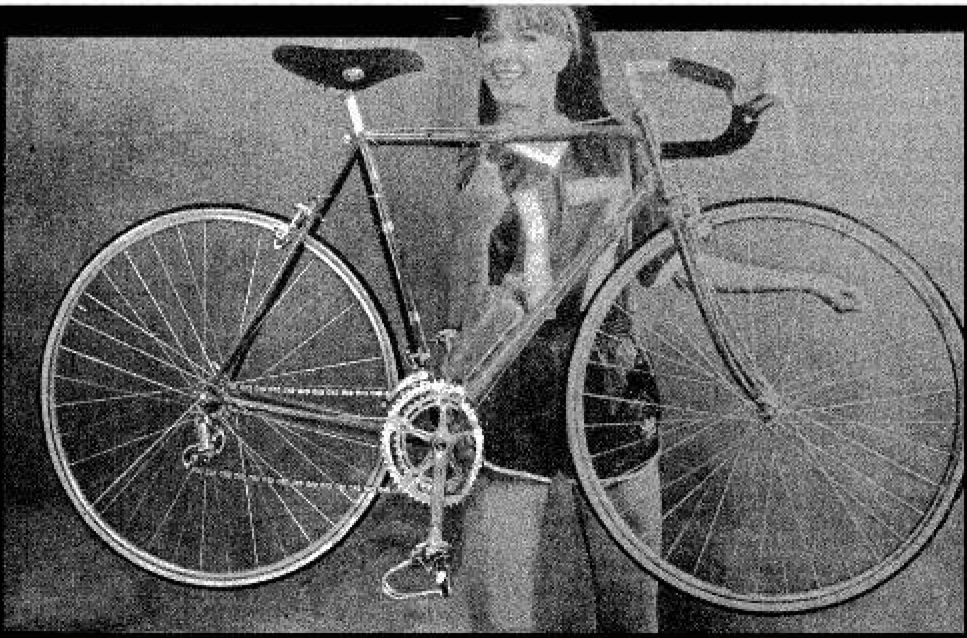
اول من صنع دراجة وسار بها هو الالماني فور ستهايسر من اهل مدينة كارلسروه . وكانت دراجته عجلتين من الخشب موصولة احداهما بالاخرى، وبينهما مقعد . وتحرك بالقدمين على الارض .



وانتشرت الدراجات التي تحمل اثنين ولهما بدالان يتحركان بالرجل ، هذه الدراجة الثنائية تسمى كاندم ٠ واخترعت دراجات تحمل أكثر من اثنين ، مثل الدراجة الطويلة التي تراها في هذه الصورة ، وهي تحمل ٦ أشخاص ٠ وكانت هناك دراجات تحمل ١٠ أشخاص ٠



ثم بدأ الناس يتفننون في صنع الدراجات ، فصنع الألماني جانز فند هذه الدراجة التي تحمل ثلاثة أشخاص وهي تتحرك ببدال على الجانب الأيسر بدفع العجلة الأمامية ، أما الخلفية فتتحرك بالرجل على الأرض



وهذه هي دراجة اليوم في اجمل صورها . كلها مصنوعة من الالومنيوم أو من المعدن الخفيف . وزنها لا تزيد عن كيلو جرام ونصف ويحملها اصبع واحدة . وترى في الصورة ان البدال . اصبح يعطي للدراجة اربع سرعات . والجنزير اصبح ينتقل من محور لمحور بحسب السرعة المطلوبة . والمقعد درجات ، فهو يرتفع وينخفض بواسطة مسمار . والفرامل اصبحت في غاية الدقة والقوة بحيث يستطيع الراكب ان يقف في مسافة نصف متر دون ان يقع لان هناك جهازا صغيرا يسند الدراجة في حالة الوقوف السريع .

رؤيـة جديدة لعـام جديد

• اعداد : موريس عزيز •

حرية الابداع وحمايته

• نجيب محفوظ •

اذا اردنا ان نتصور رؤية جديده للفكر والادب ومستقبله فالامر يقتضي ان نرجع الى جهتين هامتين من حيث أثرهما في الانتاج ..

اولا : الابداع الادبي نفسه او عمل المبدعين .

ثانيا : عمل المجلس الاعلى للثقافة .

ولن أتكلم عن عمل المبدعين لانه يصعب التنبؤ به ، ولانه غير خاضع للقوانين العلمية ، ولكنه يرجع اولا وأخيرا الى المبادرات الشخصية والمواهب الذاتية ، وهي تعرف كيف تهتدي الى سبيلها .

أما ما يقال عن المجلس الاعلى للثقافة فعمله في الواقع يختص بتهيئة المناخ المناسب للابداع ، من ذلك مثلا توفير أسباب حرية الابداع وحمايته من أى قوة مضادة ، ومن ذلك تشجيع المواهب المختلفة في المجالات المختلفة ، ومن ذلك تجديد المجلات الموجودة وانشاء ما ينقصنا من مجلات ، ومن ذلك تنظيم النشر وتوزيعه بين التراث والمعاصرة وافساح المجال للمواهب الجديدة .

أما عن الجيل الجديد في مجالات الادب المختلفة فانه ظهر ويظهر كل يوم مواهب جديدة جديرة بالاحترام ولكن تجد في سبيلها صعوبات لم تكن موجودة من قبل .

سأحاول حصرها فيما يلي :

أولا : انها غزيرة العدد ولا تجد ما يناسبها من وسائل النشر المتاحة .

ثانيا : ان من يصل الى النشر ولو بطرق ذاتيه لا يحصل على ما يستحق من تكوين قاعده ثابتة من القراء والنقاد .. لماذا ؟

ولذلك فان النصيحة التى ادلى بها للجميع من زملائى الشباب هى ان يضيفوا الى دراستهم الادبية دراسة وسائل التعبير الحديث . بحيث ان كل رواية يكتبونها فى كتاب يحسن أن يحاولوا تقديمها الى السينما ، والتليفزيون حتى اذا حظيت بالنجاح المأمول في المجال الرائج أمكن طبعها على ضوء هذا النجاح واقبال القراء عليها .

العودة إلى الدين

• ثروت أباظة •

اتصور ان يتجه الادب الى الفكر الانسانى العام ، وان يتفاءل بمستقبل انسانى تفاؤلا يبنى على التقدم العالمى للانسان ، وعلى الازدهار الدينى الذى انتعشت الشعوب به فى العالم أجمع ، فقد وجد العالم وخاصة المتحضر منه ان لا فلاح له الا بالعودة الى الدين ..

وانى أتوقع ان تتضح هذه العودة فى أعمال الكتاب والادباء ، واتصور أن يزداد اقبال جهات الاعلام الجديدة كالاذاعة والتليفزيون على الاعمال الادبية الكبرى اقبالا لا يفقد هذه الاعمال قيمتها الادبية ..

وأتمنى أن يتجه الشباب الى دراسة هذه الوسائل الجديدة للتعبير دراسة منهجية وفنية حتى تصبح الاعمال المعروضة بها فى نفس المستوى الذى تقف فيه الآن كتاب الرواية فى العالم العربى

رؤية جديدة في النقد خاصة

• جلال العشري •

النقد ابداع لا يقل في درجة ابداعيته وان اختلف في النوعية عن الاثر الادبي من شعر ورواية وقصة قصيرة ، وهو سابق للاثر الادبي ولاحق له في ذات الوقت ،او بالاحرى في مرحلة الى مرحلة اخرى . فهو في مرحلة الاستباق رؤية ونبوءة ، تصعد من الجزئي الخاص الى الكل العام ، او من استقراءتشتات الاعمال الادبية المتناثرة على مائدة العصر ، الى استخلاص احكام نقدية عامة ، او وجهات نظر شمولية ، وهذا الطريق الصاعد في النقد هو الذي يسفر عما يمكن تسميته بالنقد النظري ، وهو الذي يؤدي الى الناقد صاحب النظرية او وجهة النظر .

اما في مرحلة اللحاق ، فالنقد تقييم وتبصير، تقييم لجوانب العمل ، الادبي، وتبصير بما فيه من ايجابيات وايضا بما فيه من سلبيات) فهو رجوع بالقصيدة او المسرحية او الرواية او القصة القصيرة الى ما ينبغي ان تقوم عليه من اصول وقواعد وفقا لما تعارف عليه من مذاهب ادبية ، وهذا الطريق الراجع في النقد هو الذي يسفر عمايمكن التسمية بالنقد التطبيقي ، وهو الذي يؤدي الى الناقد المنهجي او الناقد صاحب المنهج .

واذا كان جيل الستينيات هو الذي تمثلت فيه النوعية الاولى من النقاد ، واعني بهم النقاد اصحاب النظرية الشمولية او على الاقل وجهة النظر العامة من امثال زكي نجيب محمود ومحمد مندور القلماوي ،ولويس عوض ، وعلى الراعي ، وعبد القادر القط ، وشكري عياد وآخرين ، ممن حفلت كتبهم باستخلاص النتائج العامة لا مقدماتها الجزئية كما هي ممثلة في الاعمال الادبية آشتاتا فرادى، فان جيل السبعينيات هو الذي تمثلت فيه النوعية الاخرى من النقاد ، واعني بهم النقاد التطبيقيين او النقاد اصحاب المنهج النقدي من امثال أحمد هيكل ، وفؤاد دواره ، وصلاح فضل ، ونبيل راغب ، وعلي شلش ، وعلاء الدين وفهيم عطية ،وعبد العزيز شرف وآخرين

وفي تقديري ان جيل الثمانينات سوف يشهد نضجا واكتمالا لعدد - غير قليل من النقاد الذين لمعوا في السبعينيات ، وان هذا النضوج والاكتمال ، سوف يتمثل في محاولة الصعود من الاطر الجزئية الى الرؤى الشمولية،كمايتمثل في محاولة الجمع بين يقل الاصالة والمعاصرة ..

واذا كانت الثمانيات من هذا القرن سوف تشهد محاولات جادة وجديدة ، للتجديد في اتجاهاتنا الفكرية والاسس التي قامت عليها معاييرنا في النقد والتقييم ، وهو ما يبدو لنا واضحا في محاولات تجديد التفكير الديني في الاسلام وتجديد الفكر العربي ، وتجديد نظرتنا الى التراث ، ففي تقديري أن العملية النقدية سوف يشملها هذا التجديد ، وسوف يختفي الناقد الاحادي النظرة ،او الناقد ذو البعد الواحد، الذي يصدر في نقده عن ثقافته الاجنبية الخاصة ، التي حصلت في بعثته التعليمية الى الخارج ، ثم جاء ليفرضها فرضا على اعمالنا الادبية ، وسوف يبزغ الناقد الاصول او الناقد على الاصالة ، الذي يحترك بحياتنا الثقافية وينفعل بتراثنا العربي ،ويتمثل ابداعات الغرب ، فيصبح جزءا من كل ، بحيث يعايش عملية الابداع الادبي من الداخل ، دون ان يكتفي بأن يطل عليها من الخارج .

وان كنت آمل في طوالع النقد الجديد من القرن العشرين ، ان يعود النقد الى سيرته الاولى عند نقادنا العظام من امثال العقاد والمازني وطه حسين وسلامه موسى ومحمد مندور ، وان يصحح مسيرته التي حاد عنها في السنوات الاخيرة حيث تردى في هاوية الاعلام النقدي المسطح ، بدلا من ان يرتقي مدارج النقد الاعلامي العميق وان يعود مبصرا بما هو كائن ، مبصرا بما ينبغي أن يكون .

●●

ثأر الهوى

● محمود العتريس ●

عيناكِ ، عيناكِ كانتا قدرا
أنى بوشى الربيع مؤتزرا
برغم أمرى ، أطعتُ أمرهما
من ذا الذى لا يُصانع القدرا
لا تسأليني ــ الغداةَ ــ عن خبرى
أنا الذى طالما الهوى خَبَرا
كم آنسَ الليلُ مجلس عَبِق
سامرتُ فيه النجومَ والقمرا
وكم عبرتُ النهار ، أحسبها
من رحلة العشق والمنى عِبَرا
من أجل عينيك ما برحتُ صدى
إلى مداها ، أعاود السفرا
لا تسأليني ، فما سألتك عن
ما رحتِ تخفيه ، وما ظهرا
قد يُعذَر الحب فى الجمال ، وقد
يَسعى إليه الجمالُ معتذرا
يا نجمة أمسكَ الحنين بها
فما عصيتَ الحنينَ ما أمرا
أخشى عليك الهوى ، فلوعته
لما تدع غافلا ، ولا حذرا
إن يمكر الحسنُ بالهوى ، ترفا
فيا لثأر الهوى ، إذا مكرا

اللغة المصرية القديمة
معجزة الحضارة

● تكملة ما نشر في العدد الماضي ●

● د . سيد كريم ●

● الكتابة الهيروغليفية
الاشارات اللغة

● الاشارات الصوتية
حروف الابجدية



● الكاتب المصري

أول من امسك بالقلم
صنعه من غاب النيل والورق
صنعه من سيقان البردي والحبر
صنعة من نبات الـبلقوالفرشاة
صنعها من ريش الاوز والالوان
من الاكاسيد ليخط ويرسم اول
كتابة عرفتها البشرية كتابة
جمعت بين الفن والجمال فكانت
نواة الفنون الجميلة

اللغة المصرية القديمة معجزة الحضارة

● حجر رشيد ●

اكتشف الحجر ضابط فرنسي من سلاح المهندسين يدعى « بوشارد » لعرضه على قائد الحامية « مينو » وكان من هواة الآثار – وقد استرعى نظره انه يجمع بين الخط الاغريقي وخطوط أخرى غريبة . فأمر بنقله الى منزله بثغر الاسكندرية واستمر عنده سنتين ملكا خاصا له

● لما سمع نابليون باكتشاف الحجر الذي يحوى اول ترجمة للغة الفرعونية الهيروغليفية والديموطيقية باللغة اليونانية امر باستحضاره الى المعهد العلمي الذي أسسه في القاهرة واهتم بشأنه رجال البعثة العلمية التي أحضرها نابليون مع الحملة الفرنسية واستحضر نابليون صانعين ماهرين بالطباعة الحجرية طبعا عدة نسخ وزعها على جميع علماء الآثار في أوروبا لدراسته وفحصه وفك رموزه .

وقد وصف نابليون حجر رشيد في مذكراته بقوله : « ان قيمة حجر رشيد التاريخية تضعه على رأس قائمة الاحجار الكريمة وبينما كانت الهيئات العلمية الفرنسية في مصر وباريس مشغولة بدراسته كانت السياسة البريطانية تلعب دورها في اخراج الفرنسيين من مصر . وفي عام ١٨٠١ نجح السير « رالف بروكرومبي » في مهمته السياسية لعقد معاهدة مع فرنسا جاء في البند الرابع عشر منها ان جميع الآثار المصرية المهمة ومن ضمنها بالتحديد حجر رشيد تسلم للقائد البريطاني في شهر اغسطس من عام ١٨٠١

وحدث خلاف عند تنفيذ الاتفاقية عندما ادعى القائد الفرنسي « مينو » ان حجر رشيد ملك خاص له – وكان قد نقله من المعهد الى مسكنه الخاص بالاسكندرية وتشبث الجنرال « ترنر » البريطاني بنص المعاهدة وكادت تحدث ازمة سياسية بسبب الحجر حتى تسلمته اللجنة البريطانية ونقل الحجر الى لندن في فبراير عام ١٨٠٢ .

وانتقل الحجر الى دار جمعية الآثار في لندن حيث صنع معهد تسجيل الآثار اربع نسخ من الجبس وزعت على جامعات اكسفورد وادنبرة وكمبردج ودبلن ليقوم العلماء بدراسته وفك رموزه . ثم نقل الحجر الاصلي الى المتحف البريطاني في شهر يوليو ١٨٠٢ حيث لايزال معروضا الى اليوم

● وحجر رشيد عبارة عن لوحة من الحجر البازلت الاسود غير منتظمة الشكل لفقد جزء من طرفها العلوي طولها حاليا ثلاثة اقدام وتسع بوصات وعرضها قدمان . وخمس بوصات وسمكها ١١ بوصة .

والنقوش الموجودة بالحجر محفورة باللغتين المصرية القديمة واليونانية وهو مقسم الى ثلاثة اجزاء الجزء الاعلى مكتوب بالخط الهيروغليفي والاوسط بالخط الديموطيقي أما الجزء الأسفل فمكتوب باللغة اليونانية وبمقارنة النص في الخطوط الثلاثة وجد ان ما فقد من الخط الهيروغليفي بسبب ضياع جزئه الاعلى هو ترجمة ١٩ سطرا الباقية من النص اليوناني .

ومن حسن الحظ انه عثر على لوحة مقطوعة من حائط معبد قبله ترجع الى نفس العهد « محفوظة اليوم بالمتحف المصرى » وهى نسخة طبق الاصل من حجر رشيد ، ومنهما أمكن الاستدلال على الجزء الهيروغليفي المفقود منها .

قام باول ترجمة لحجر رشيد البريطاني « ستيفان وستون » عندما قام بترجمة النص اليوناني وقدمه الجمعية الاثرية في لندن في ابريل عام ١٨٠٢ والنص عبارة عن صورة « قرار





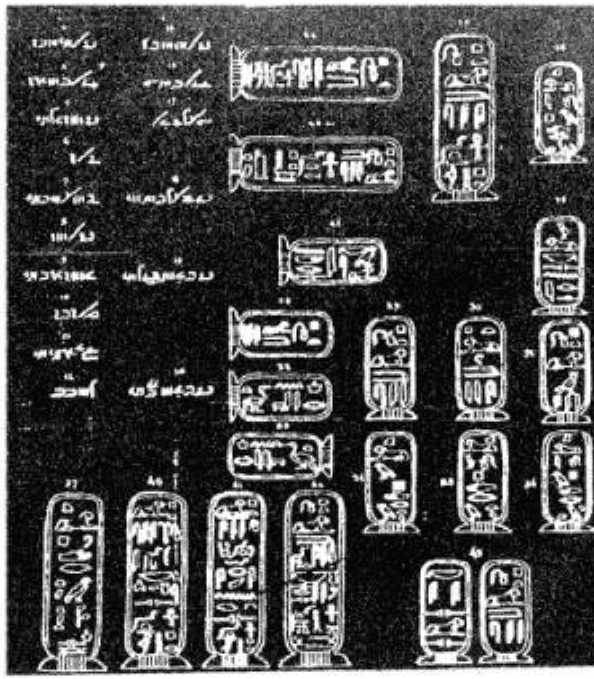
● حجر رشيد
اسم كليوباترا الذى قد فك لغز اللغة المصرية القديمة



● ١٩٧٢/١١/٢
احتفال مصر عالميا بمرور ١٥٠ سنة على فك رموز حجر رشيد



● صورة من الجدول الاصلى الذى وضعه شامبليون بخط يده لترجمة الحروف الهيروغليفية وقدمه الى اكاديمية النقوش تنقوشا على مسلة معبد فيلة بجانب اسم بطليموس المنقوش على المسلة وحجر رشيد



● مجموعة من خرطوشات اسماء الملوك والملكات التى رسمها شامبليون بيده من بينها اسماء بطليموس وكليوباترا والاسكندر الاكبر بالخط الهيروغليفى والديموطيقى وقد وقع باسمه فى الركن الاسفل باحرف هيروغليفيـــة وديموطيقية ويونانية تقليدا لحجر رشيد

المجمع العام للكهنة المصريين المجتمعين فى مدينة منف احتفالا بتذكار تتويج بطليموس الخامس « ابيفان » ملكا على مصر فى السنة التاسعة من حكمه عام ١٩٦ ق . م .

اما النص الديموطيقى فقد ترجمه سلفستردى ساسى عام ١٨٠٣ .

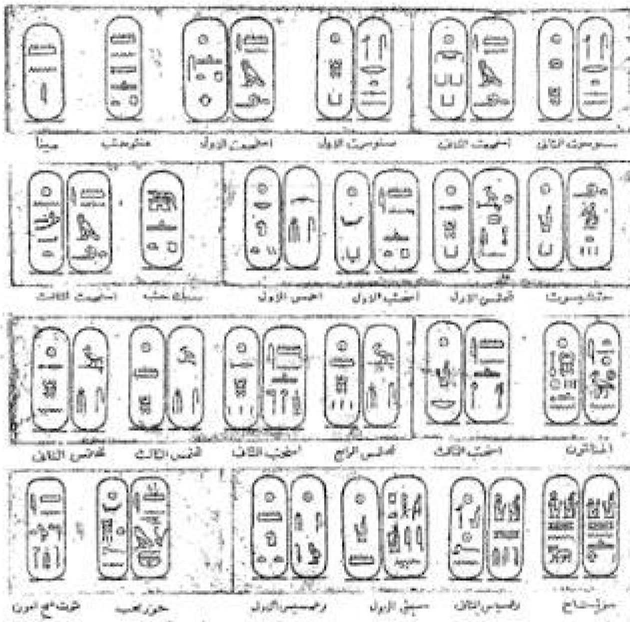
وقام « الدكتور توماس يونج » العالم البريطانى بترجمة النص الهيروغليفى ونشره فى الموسوعة البريطانية عـــام عام ١٨١٩ عندما تمكن من الاستدلال على قراءة نقوش احرف الابجـــدية المصرية القديمة وعرف قراءة بعـــض الاسماء الهيروغليفية الموجودة داخـل الخرطوشات فى حجر رشيد ومقارنتها بالاسماء التى وجدها على المســلات والنقوش التى كانت موجودة عـــلى احجار اخرى بالمتحف البـــريطانى.

فى سنة ١٨٢٢ فاجأ « شامبليون » العالم بابحاثه التى صحح بها الابجدية التى وضعها الدكتور يونج فكان اول من كشف العـــلاقة بـــين النقش الهيروغليفى والخط الديموطيقى وامكنه كشف العلاقة بين القيمة الصـــوتية لحروف الابجدية والرموز المعنـــوية التى تعبر عنها . كذلك العـــلاقة بـين الرموز المعنوية والاشارات المقطعيـــة التى مهدت الطريق للباحثين فى العصر الحديث للتوصل الى قواعد اللغـــة المصرية القديمة واجروميتها وكشـــف اغوارها واصدار اول قاموس لغـــوى شامل لها .

لقد طبق شامبليون مبادىء نظـــرية أبجديته الصوتية المعنوية لمعرفة اسماء ملوك الفراعنة التى اكتشف وجودها داخل الخرطوشات سواء على اوجـــه المسلات او حوائط المعابد او التماثيل او قوائم الملوك فتمكن من تســـجيل أسماء ٧٦ ملكا من ملوك الفراعنـــة . واتخذ من اسماء هؤلاء الملوك قاعـــدة لتكوين الابجدية الصـــــــوتية الكاملة للغة المصرية الهيروغليفية القديمة .

● شامبليون

ولد جان فرانسوا شامبليون عام



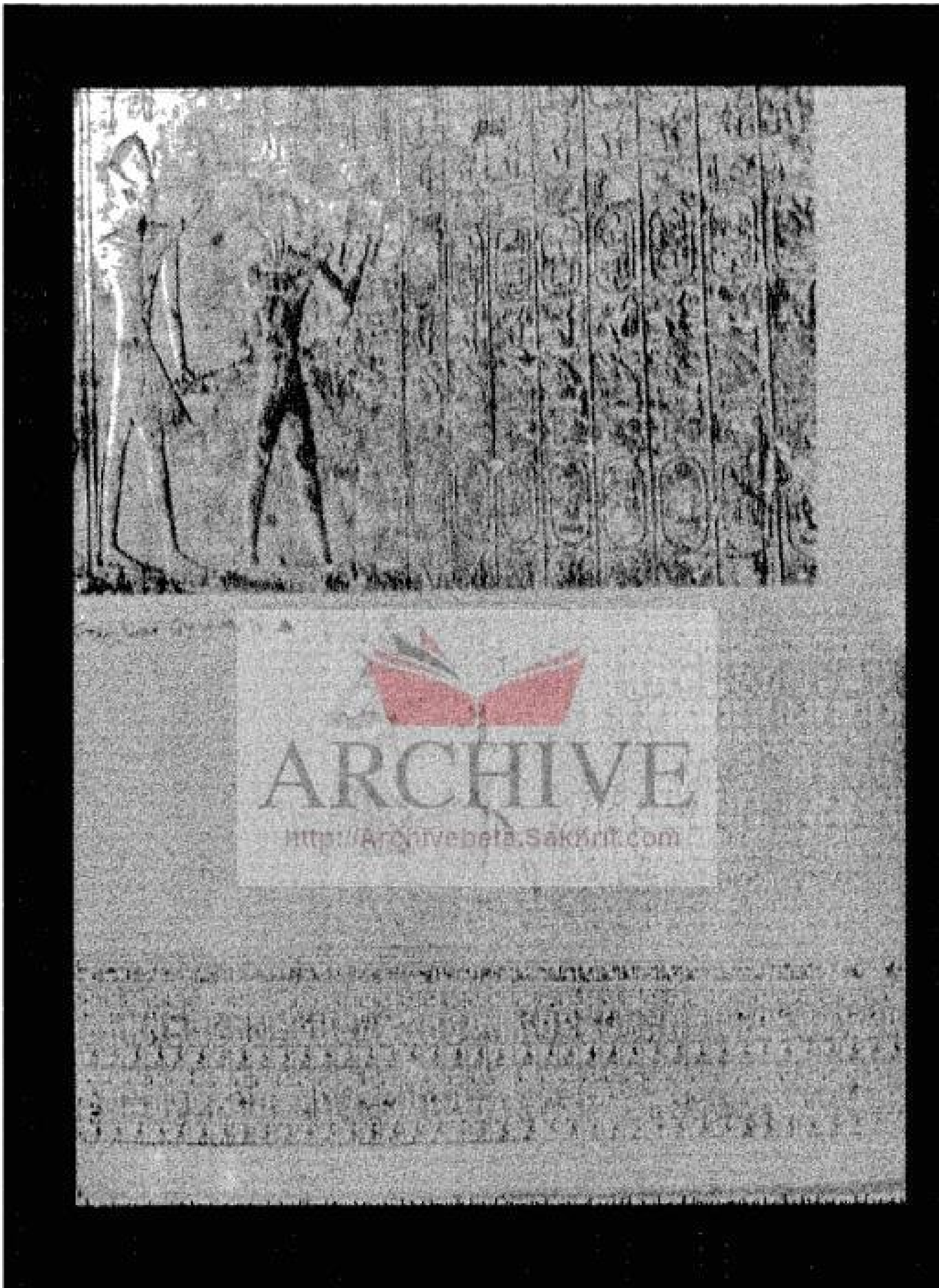
● أسماء أوائل الملوك الذين قام شامبليون بمعرفة أسمائهم الفرعونية الحقيقية مما نقله عن الملوك من بينها اسم خرطوشات المعابد وقوائم كليوباترا اول اسم كشفه منقوشا على مسلة معبد فيلة بجانب اسم بطليموس المنقوش على المسلة وحجر رشيد

١٧٩٠ فى مدينة فيجال بفرنسا . ظهر اهتمامه بمصر وآثارها فى سن مبكرة وهو فى سن الثانية عشرة عندما انشغل الرأى العام الفرنسى بأخبار مصر وآثارها وحضارة الفراعنة بعد زيارة نابليون لمصر وعودة البعثات التى أرسلها لدراسة آثار الفراعنة والتنقيب عن آثارهم واكتشاف حجر رشيد — مفتاح لغتهم الهيروغليفية — وبدأ علماء البعثات فى وضع أول موسوعة عن آثار مصر وتاريخها الحضارى وعرضوا ما نقلوه من آثار وتحف على الشعب الفرنسى فى معرض خاص أقاموه فى باريس.

بدأ وهو فى هذه السن بدراسة لغات الشرق الأوسط ومنها العربية والعبرية ثم عكف على دراسة اللغة القبطية عندما علم من أبحاث العالم الألمانى « كرش » أن اللغة القبطية هى نفس اللغة الفرعونية ولكنها مكتوبة بالخط اليونانى وبعض حروف الخط الديموطيقى وأنها لاتزال تتردد فى الكنائس والأديرة المصرية .

وفى سن الثامنة عشرة عين أستاذا فى جامعة جرينوبل للغات الشرقية ولكن شغفه بحضارة مصر ولغة الفراعنة اضطره الى ترك الجامعة والعودة الى بلدته الأصلية فيجال لاتمام ابحاثه ، وفى عام ١٨٢٢ قدم الى المعهد الفرنسى الوطنى فى باريس رسالته المشهورة «خطاب الى موسيو داسييه سكرتير اكاديمية النقوش الخطية والاداب فى باريس — بشأن اكتشاف الابجدية الهيروغليفية » وهو البحث الذى يعتبر حجر الأساس فى الدراسات اللغوية والأثرية المصرية ،

كانت بداية اكتشافه للقيمة الصوتيه للرموز الهيروغليفية وحصر ابجديتها ونقوشها المعنوية عندما عثر على مسلة صغيرة منقولة من جزيرة « فيلة » بأسوان منقوشا عليها كتابة باللغة الهيروغليفية واليونانية واكتشف بها اسمى كل من كليوباترة وبطليموس داخل اطارات ملكية خاصة «خرطوشات » . وبمقارنة الحروف







الأبجدية الهيروغليفية

عربي	معنى الإشارة
ا	رخم
أ	نبات
ب	ساق
ت	[illegible]
پ	حصير
ث	[illegible]
ج	مقعد
ح	حبل ملتو
خ	غربال
د . ض	يد
ت . ط	تل
ذ ز / ظ ص	حية
ف	قوقعة
ق	سفح جبل
ك	قصعة
ل	أسد
ر	فم
س	مزلاج
س	[illegible]
ش	حوض
خ	[illegible]
ع	ذراع
ن	سطح الماء
و	سمانه
و	حبل ملتو
م	بومة
م	ذراع القابض
ن	تاج
ى	[illegible]
ي	نباتان
هـ	منزل
ق	[illegible]



.. وهكذا طويت صفحة اللغة المصرية القديمة بمختلف كتاباتها في القرن الرابع الميلادي .. لتتحول الى لغز من النقوش والرموز والطلاسم ، احتفظت بها وبسرها اقلالف البردي لتكشف عن سرها في القرن العشرين بعد خمسة عشر قرن من انطوائها واندثارها لتظهر لغز الحضارة الفرعونية الخالدة وتعمل على اعادة كتابة تاريخها المفترى عليه

المشتركة في الاسمين وقيمتها الصوتية امكنه اكتشاف احد عشر حرفا من الابجدية الهيروغليفية . ونال عند اكتشافها واعلانها حظوة عند الملك لويس الثامن عشر وكافأه على اكتشافه العظيم بعلبة من الذهب منقوش عليها « هدية من الملك لويس الثامن عشر الى شامبليون لاكتشافه الاحرف الهجائية الهيروغليفية »

في عام ١٨٢٨ جاء الى مصر ليشغل منصب استاذ الاثار المصرية بالكلية الفرنسية .. وفي عام ١٨٣١ كتب عدة ابحاث اضاف فيها الى بحثه الاول في اللغة المصرية القديمة ولكنه توفي وهو في سن الثانية والاربعين عام ١٨٣٢ فقام اخوه الاكبر بنشرها وقد صحب وفاة شامبليون اشاعة « لعنة الفراعنة » التي حلت به لانه اكتشف اسرار لغتهم المقدسة .

كانت الابحاث التي قدمها شامبليون بداية طريق طويل تكاتف فيه علماء الاثار في مختلف انحاء العالم الذين توصلوا الى قراءة كل من النقوش والخطوط الثلاثة الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية وكشف العلاقة بينهما . كما توصل علماء الالمان في اعقاب الحرب العالمية الاولى الى وضع اول معجم وموسوعة للغة المصرية بالالمانية مع مختلف اجرومياتها وقواعدها يعتمد عليه دارسو المصريات ثم تبعهم كل من جاردنر وبادج في تقديم معاجم مماثلة .. ولكننا امام صعوبات كثيرة فهناك عديد من الكلمات والرموز واشاراتها المقطعية لا تساعدنا حصيلتنا من النصوص على معرفة معناها على وجه التحديد فمازالت معلوماتنا عن كثير من التركيبات اللغوية واللفظية وخاصة في الكتابة الديموطيقية ولغتها الشعبية تحتاج الى دراسة طويلة .

يوسف السباعى فى مرآة عصره



● علاء الدين وحيد ●

من الطريف ان يوسف السباعي (١٠ يونية ١٩١٧ - ١٨ فبراير ١٩٧٨) الذى كان يؤمن في حياته الخاصة والعامة ،بضرورة الاحتفال بالمشاهير فى ذكرى ميلادهم لا موتهم ، ويدعو الى ذلك ويحققه ايضا من خلال مسئولياته فى المجلس الاعلى للفنون والآداب او جمعية الادباء ، او المجلات التى أسسها او اشرف عليها - من الطريف انه عندما يحتفل بذكرى السباعي نفسه ، فان هذا لا يحدث الا فى ذكرى استشهاده لا ميلاده ! ولا شك أن للصحافة دورا كبيرا فى ذلك !

وهذه الكلمة ، تعرض لآراء الكثيرين ، من أصحاب الاقلام من مختلف الاجيال فى الاديب الكبير يوسف السباعي .. حياته وشخصيته ومواقفه وادبه . من خلال المجلد الضخم الذى صدر فى الذكرى الاولى لوفاته .

اليوم العزين

كان حادث استشهاد يوسف السباعي بما لابسه من غدر - تخريبا لقيم كثيرة نبيلة ، كان يمثلها الكاتب العظيم الذي احبته الملايين فى العالم كله ، لا فى الوطن العربى فحسب .. لما عرف به شخصه من دماثة ورقة وصدق وعظمة مع بساطة وتواضع شديدين ، بجانب ما اشاعته كتاباته المتنوعة من مثل ، وما حملته من حب ومرح وتفاؤل . واذا كان الخارج - فى نطاق المثقفين - قد عرف السباعي بشكل جيد ، بسبب بعض اعماله المترجمة .. فان العالم عرفه بشكل اجود ،فى مجال الدفاع عن حرية الشعوب ، والصداقة بين البشر ، عن طريق منظمة التضامن الآسيوى الافريقى

.. يكتب نبيل زكى :

« سألت طالبا صغيرا فى قرية نائية فى القصى جنوب الجزيرة الكوبية عام ١٩٦٨ :هل تعرف بلدا أسمه الجمهورية العربية المتحدة ؟ وكان الرد : (لا) . والسؤال الثانى : تعرف بلدا اسمه مصر ؟؟ واشرق وجه الطالب : (طبعا ، انها ايجبتوس - باللغة الاسبانية - بداية التاريخ) . والسؤال الثالث : هل سمعت اسم اى شخصية مصرية فى حياتك ؟ كان الجواب : (نعم .. اسم يوسف السباعي السكرتير العام لمنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا .. انه يجيء لزيارة بلادنا من وقت لآخر ونذهب لاستقباله) ..

لذا كانت عملية الاغتيال الاثيمة ، ظلما لكل المعانى العالية ، التى تتمثل فى السباعى ، ويستروحها الانسان العربى والمصرى خاصة . ومن هنا جاء مشهد وداعه ضخما عظيما ، عصر قلوب الجميع .. الكبار والصغار ، الرجال والنساء .

يكتب ابراهيم الوردانى :

« يوسف ، يوسف .. عندى كلام كثير كنت تشتاق ان تسمعه منى .. الاغيك به ، واقتنص ضحكتك الطفلة الطنانة ! احكى لك عن شكل المشهد الذى ودعنك به مصر . جنازة ؟! لا ، لا يا شيخ . انها عواطف عامة صريحة صريحة خرجت تتظاهر شهقة شعب على « غلاوة ابن » اختطف وهو ملء الحضن ! « الاغيك وابهرك عن مشهد سطع من خلفك لجورا .. مشهد ؟! انه بات ذروة تاريخ عندنا . الخمسة عشر شهيدا .. « الفدية » تلك التى اسرعت تذبح نفسها فوق قطرات دمك » !

ويقول احمد ابو الفتح :

« قليلون الذين يحزن عليهم من لا يعرفهم . قليلون من تهتز النفوس فى كافة اركان الدنيا بموتهم . قليلون من لا يطوى الزمن سيرتهم . قليلون من يموتون شهداء .. الاستشهاد هو اعظم ما يتوج حياة الفناء .

« مات فى ساحة الدفاع عن الشعوب تلعب باقدارها قوات كبرى دفعها الطمع الى اشاعة الحروب بين شعوبها طمعا فى خيرات دولها وفى استعباد شعوبها . مات يوسف السباعى وهو يعلم ان حياته فى خطر . ذهب ليقتل رغم تحذير الاحباء والمخلصين .

« كان يعلم بالاخطار التى تحيق وكان يدرك ان يد الاثم والغدر تتربص ، ومع ذلك لم يتردد امام واجبه وسافر فى شجاعة الفرسان المقاتلين ليواصل الدفاع عن حق الشعوب فى الحياة .

« اعطى حياته ليعيش من توجه للدفاع عنهم . هذا هو اكرم العطاء » .

ويقول زميل السباعى القديم فى سلاح الفرسان والحياة الثقافية معا ، الدكتور ثروت عكاشة :

« الليلة تبكى مصر كما لم تبك منذ سنين . تبكى قلبا لم ينبض بغير الحب والحنان . تبكى ابتسامة يتوارى فى مواجهتها الاحزان . تبكى تواضعا تستحى امامه الكبرياء . تبكى رسول سلام كانت تفتح له عواصم المشرق والمغرب ذراعيها فى ترحاب . تبكى اديبا منحته السماء سحر الكلمه ينفذ بها الى اعماق النفوس يبث فيها الحقيقة وتوجج فيها أنبل العواطف والاحاسيس تكاد تصفق له الايدى قبل ان تنفرج شفتاه .. تبكى ملكا اسطوريا يسهر آلاف الناشئين فى رفقة كلماته وهو يصوغ لهم احلامهم ، ويقوم أسلوبهم ، وينضج مواهبهم ، ويؤنس وحيدهم ، ويغسل بالآمال بأسهم . ويغرس البسمة على شفاه محزونهم . يجد فيه الفتية نموذج البطل المثالى ، وتجد فيه الصبايا صورة فارس أحلامهن النبيل .

« بوداع يوسف يتشح الافق فى عينى بالشجن » .

وقال أحمد رشدى صالح « دائما هو مهموم بعمله مستغرق فيه ، استغراق الرجال الدين يريدون أن ينتزعوا الفجر من الليل » .

« وكل من عرف يوسف السباعى عن قرب احبه . وكل من عمل معه فى الادب او فى التضامن الاسيوى الافريقى او فى الصحافة ، احبه . وكل بيت دخلته كتبه ، اصبح بيتا من اصدقائه » .

« ان الرصاص الذى اصاب يوسف السباعى ،موجه لكل فلاح وتاجر ومثقف ومالك ومواطن من الاربعين مليون مصرى هؤلاء جميعا ، يقفون مع المعانى المضيئة التى قالها يوسف السباعى وهو يختار عنوانا لا ينساه .. « نحن لا نزرع الشوك » .. فتلك هى كلمة الفارس المقاتل بالكلمة الصادقة » .

لانعدام المسئولية عند الكثير من ادبائنا ، ولان التاريخ الادبى لحياتنا الفكرية وكتابنا .. فى ذيل اهتماماتنا ، فان القارىء العربى ، بعكس القارىء فى العالم كله ، يكاد لا يعلم شيئا عن ادبائه خاصة حيواتهم . ولذلك فان البدايات الاولى لكبار فنانينا ، تكاد تكون مجهولة ولولا أن هناك قلة من أصحاب الاقلام يستشعرون مسئولياتهم ، مثل محمد فهمى عبد اللطيف وفتحى رضوان وعبد المنعم شميس وعباس خضر ، لاختفى تماما هذا اللمع الهام ، لمفكرينا والشخصيات العامة المؤثرة فى حياتنا .

ومن القضايا التى يناقشها عباس خضر ، حقيقة الهجوم على السباعى ، وما لبسه هو رقد عاشره طويلا ، من

اخلاقه . يقول :

« كان أكثر من يهاجمونه يفعلون ذلك تظاهرا بالبطولة وانهم لا يهمهم مركزه ، وكان بعض العارفين بفضله يحجمون عن ترطيب اللسان أو القلم بذكره ، تحرجا من أن يعد ذلك من قبيل التزلف !

« لانه كان ضابطا في الجيش ،وجاءت ثورة الجيش فوضعته في موضع يشبه القيادة الادبية وأتاحت له بعض السلطة في هذا المجال ، لهذا كان ينظر اليه ظلما واجحافا على أن جدارته مستمدة من الثورة « العسكرية » وانه واحد من ضباط كثيرين تركوا الجيش وأخذوا مراكز مدنية رياسية . والواقع ان يوسف السباعي بلغ ما بلغ بأدبه وصفاته الانسانية وقدرته العجيبة على تسيير الامور بحكمة ولباقة ، كانت الخلال الثلاث عدته : الادراك السليم ،والتسامح والمرح ، ولك أن تضيف اليها الذوق السليم » .

واذا كان عباس خضر ، من الجيل السابق ، الذي يملك ذكريات مع السباعي ، فان جيل الشباب مثل أحمد هاشم الشريف ، يملك أيضا بعضها . يقول الشريف : من سنوات قليلة التقيت بيوسف السباعي ،وكان عائدا من قبرص أخذ يحدثني عن آماله بعد اقترابه من سن الستين . فقال انه سوف يتفرغ للادب . وحكى لي عن رواية يريد أن يكتبها ،وقد استوحاها من زيارته لقبرص وكان موضوعها عن السلام ..

« وفي هذا الاسبوع رأيت يوسف السباعي ، عائدا من نفس الجزيرة التي اوحت له بموضوع السلام ،وكان محمولا في نعش ، بعد ان دفع حياته ثمنا لكلماته ، فادركت ان السلام معركة ضارية حقا » .

وبمناسبة الاشارة على عظم عشق السباعي للقلم ، سأله يوما مأمون غريب هذا السؤال الذي كان كثير من القراء ، يريدون الوقوف على جوابه ، وهو ، لو خيرت بين مناصبك التي توليتها وبين الابداع الفني ، ايهما تختار ؟ ويكون جواب يوسف السباعي على الفور ..

« اختار الكتابة . وان كنت اعتقد ان الاعمال التي أعمل بها هي جزء من تجارب الحياة . والانسان لابد ان يعيش ويخوض غمار تجاربه . وقد كان من الممكن كما فعلت دائما الا تعوق اعمالى كتابتي ، لولا انها قد ضيقت على الخناق في الفترة الاخيرة . ولو كان لي الخيار ـ وانا أعرف أن ذلك ليس لي ـ لاخترت الكتابة » .

من أكثر المعجبين بيوسف السباعي ، الاستاذ احمد حسين الزعيم الوطني المجاهد ، والذي يصف فناننا الشهيد ، بأنه نسيج وحده .. « بمعنى انفراده ، بالايشاركه فيه اى انسان آخر ، حقا قد يمكن ان تقارنه في هذا المجال أو ذاك بانسان آخر ، وقد يميل البعض الى هذا الانسان فيقدمه عليه في هذا الفرع الخاص ، ويبقى ليوسف السباعي الامتياز والانفراد بأن أحدا لم يزاول في المناشط والاتجاهات ما زاوله » .

والاستاذ أحمد حسين من القلائل الذين التفتوا منذ وقت مبكر ، الى دور السباعي العظيم قبل يوليه ١٩٥٢ ، بين الكتاب المناضلين الثائرين في العهد الملكي .. « من حق التاريخ على ، ان أسجل للسباعي انه أشعرني في لحظة بالخجل من نفسي ، أولا لجهلي مما كتبه في حينه ، وثانيا لما وصفني به احبائي من أوصاف ، كان هو أحق بها للاسبقية . فما أكثر ما قيل عنى أنني هاجمت الفساد قبل الثورة ، ثم اتيح لي بعد الثورة ان أطالع كتاب يوسف السباعي الذي كتبه قبل الثورة « أرض النفاق » فذهلت وأنا أطالعه كيف قيل هذا الكلام بكل هذه البساطة ، وكيف طبع ونشر ، ولا لوم ولا تثريب على يوسف السباعي ، بل ولا

ينتقص من قدره ، كونه لم يسجن أو يضطهد بسببه ، والمهم أن يوسف السباعي كان على وعي وادراك لكل ما يجري في مصر ، وكان لديه من الشجاعة بل من الفدائية ، ما جعله ينشر هذا الكتاب الذى لو لم يكن له غيره لكفاه » .

والتزام السباعي الوطني لم يغض أبدا بل استمر جريانه . واذا كانت كتاباته قبل يوليـة عام ١٩٥٢ ، تؤكده ، فان مواقفه الشجاعة بالذات بعده .. تؤيده وهذه المواقف الكثيرة لم تعلن بعد ، ولا يعلمها الا القلة . فلم يكن يوسف السباعي ـ كما زعم يوما بعض الحاقدين الذين يريدون التماس بطولات زائفة ، من مهاجمة أديبنا الكبير ـ بالذى تنقصه الشجاعة ، فيخفي رأيه مثلا ازاء التجاوزات أو الاخطاء ، التي حدثت في مصر قبل مايو ١٩٧٠ . فبالرغم من صداقته الوطيدة الشخصية بالرئيس جمال عبد الناصر ، الا انه كان من القلة المخلصة المؤمنة بالثورة ، التي تعمل ما في وسعها لتقدم النصح أو تقول كلمة الصدق . ونكتفي في هذا الموقع بما اشار اليه دكتور مهدى علام ، وهو يؤبنه :

« في بدء ثورة اليمن ، سافر وفد من الادباء اليها وعلى رأسه شهيدنا ومعنا الزملاء نجيب محفوظ وانيس منصور والمرحومان صالح جودت ومحمود حسن اسماعيل . وقد تبين لنا من زيارتنا ان العملية فادحة وانها مرهقة لمصر . وتداولنا في الامر ، ثم استقر رأينا على ان نكتب تقريرا نوضح فيه رأينا ، وقد فعلنا ، مع شعورنا بالمخاطرة ، وعهدنا الى شهيدنا السباعي أن يوصل تقريرنا الى السلطة المختصة » .

لقد صدق نجيب محفوظ وهو يقول عن السباعي : كان طاقة عظيمة من الابداع والانشاء والامر بالمعروف وصنع الجميل والمشاركة المخلصة في الواجب الوطني والقومي » .

● رائد الامن الثقافي ●

واذا كان الدكتور عبد الحميد يونس يصف السباعي بأنه « ميثاق أدبي » .. لنشاطه الموصول لتوثيق العلاقات في مجال الادب والفن ، ولان الاندية والجماعات التي تؤلف بين الكتاب والادباء والقصاص ، أثر من آثار يوسف السباعي » ـ فان توفيق الحكيم ، يطلق عليه ، كما يسجل فتحي سلامة « انه رائد الامن الثقافي والادبي » . ورأى الحكيم في أدب السباعي : لاشك ان الاجيال التي جاءت وتجيء بعد يوسف السباعي ستجد في مؤلفاته نفعا كبيرا ، وزادا غزيرا يلهمها ، من حيث الاسلوب العذب المرح الساخر ، ومن حيث تصوير الشخصيات التي عايشها في بعض نواحي القاهرة ، وكذلك في تسجيل الاحداث الاجتماعية والسياسية التي مرت بها مصر ، وخاصة بعد ثورة ١٩٥٢ ، فكل هذا لابد وان يوضع في الاعتبار ، اعتبار الاجيال الجديدة ، وان ينظروا فيها بعناية حتى يستطيعوا أن يواصلوا السير في طريق المستقبل بزاد أدبي مكتمل من مؤلفات الجيل السابق مثل جيل يوسف السباعي بالاضافة الى التراث القديم للادب العربي وللآداب الاجنبية ـ الرئيسية » .

ولم يكن السباعي ، الصدر الرحب والقلب العطوف واليد المعوان ، بالنسبة الى الاجيال الجديدة فحسب ، بل كان كذلك قبلا بالنسبة الى زملائه ومن جيله أيضا ـ وقبل هؤلاء واولئك ، التلميذ المعترف بالجميل لادباء الجيل الذى سبق جيله ـ والامثلة كثيرة .. ينشر في أول اعداد « الرسالة الجديدة » ، الرواية التي عرفت بنجيب محفوظ على نطاق جماهيري ضخم ، وهي « بين القصرين » ويكتب يوسف جوهر ، عن هذه

السمة في تكوين السباعي ، فيقول : كان يحمل دائما مصباح الابتسامة .. لم تخذله أبدا .. وتدفقت من نبع صفاء العميق في نفسه .. وطاردتني إبتسامته في الاعوام الاخيرة .. تلومني على عزوفي عن الكتابة ، ويغار على قلمي أن يجف ، غيره متقدة ، وكأنه قلمه .. وقد اسرني حماسه ، وكنت ضعيفا امام إبتسامته ضعفا أمدني بالقوة .. ان كانت قد ظهرت في هذا القلم اليابس بعض البراعم الخضراء .. ان كان قد بدأ يورق من جديد ، فالفضل له » .

● معاركه النقدية ●

والنضال ، يستوعب جانبا هاما من التكوين الاساسي ليوسف السباعي منذ صغره . ولا شك أن هذا العنصر يرجع ، في المقام الاول ، الى والدته المكافحة بعد وفاة رجلها الاديب الكبير محمد السباعي ، فجأة ، وهي في عز شبابها . حتى استطاعت بلا معاش في البداية ، ثم بمعاش استثنائي قليل ، ان يتخرج اولادها الثلاثة من كلية البوليس والكلية الحربية ، حتى سميت في الحي « أم الضباط » . ولولا النضال ، لما استطاع يوسف السباعي منذ صباه ان يتخذ في الحياة منهجا مغايرا لمنهج أبيه الفنان البوهيمي ، مع شدة حبه له واعجابه به ، حبا واعجابا يتخذان مثلا .

ويتصل بعنصر النضال في حياة السباعي ، جانب لا يعرفه الجيل الجديد في نشاط السباعي ،وهو معاركه النقدية التي حدث أغلبها في الخمسينات والستينات . وعن هذه الناحية يتحدث محمد عبد الهادي محمود ، فيقول :

« يكتشف الباحث ـ لدهشته الشديدة ـ ان يوسف السباعي كان من الممكن أن يكون ناقدا ذا شأن في عالم النقد والنقاد ، لو انه اراد ان يكون كذلك ، ولكنه لم يرد على كل حال ، واستغنى بالابداع الفني عن انقد الادبي وان ظل النقد يفرض نفسه عليه فرضا في كثير من الاحيان ،فيضطر الى ممارسته كي يدفع عن نفسه وعن ادبه عادية النقاد الذين تكاكأوا عليه طوال الخمسينات ، وراحوا يناوشونه مناوشة فيها كثير من القسوة والعنف واللدد . وربما مارس يوسف السباعي النقد الادبي ـ في بعض الاحيان ـ كي يفي بحق الصداقة ويفسر ظاهرة ادبية او يدق الاجراس اذا ما انحرفت مسيرة الادب عن جادة الصواب .

« وعلى كل حال ، فان أحد المحاور الرئيسية التي تدور حولها مقالات يوسف السباعي الباكرة ، هي معركته أو قل معاركه المستمرة مع النقاد ، فقد لقي يوسف السباعي من النقاد الايديولوجيين ـ بوجه خاص ـ عنتا شديدا ، عنتا لا سبيل الى وصمه بحال من الاحوال ، ومنذ البداية وقف هؤلاء النقاد من ادب يوسف السباعي ، بل ومن يوسف السباعي نفسه ، موقفا عدائيا غير مقبول وغير مبرر على الاطلاق وراحوا يحاربونه بالنقد المغرض المتحامل حينا ، وبالصمت والتجاهل حينا آخر ، وهما أمران أحلاهما مر كما يقولون » .

ويكتب فتحي سلامة ، عن نفس القضية ، التي تشكل بلا شك ظاهرة في حياتنا الادبية ، التي شملت أدباء غير السباعي ، مثل علي أحمد باكثير ، وعبد الحميد جودة السحار ، وأمين يوسف غراب وغيرهم . وسببها الاكبر للاسف ، غلبة النظرة السياسية لا الادبية ، على رؤية النقاد . مما أصاب النقد اصابة قاتلة ، وباخت له حياتنا الفكرية .. ثم يقول في كلمة (السباعي شاهد على عصره) :

« ومع كل الاختراعات » اللاهبية الوارده وفتذاك من بلاد بعيدة ،ظل ادب يوسف السباعي مثل كنز الملك سليمان هائل الحجم لا ينضب ابدا ، ولكنه كنز

شعبي ، فتح خزائنه للناس وانتفع به العامة والخاصة ، وشاع مثل شذى زهرة البرتقال الذي يعطر الجو حول عمال التراحيل وفلاحي السواقي وعمال الورش ، ولم تستطع حركة « النقد الايديولوجي » أن تحول دون الانتشار الجماهيري لاعمال يوسف السباعي الادبية ، فكان تيار من المواصلة ، ومن العشق بين المبدع (يوسف السباعي) وجمهور القراء لا ينقطع ابدا .. فهل كان بمقدور النقاد الحيلولة دون هذه الصلة ، والوقوف دون استمرارها .. ام كانوا يستطيعون تنمية هذا العشق وتقوية هذه الصلة بأكثر مما كانت ؟ . هذه قضية مطروحة يجب الاهتمام بمناقشتها .

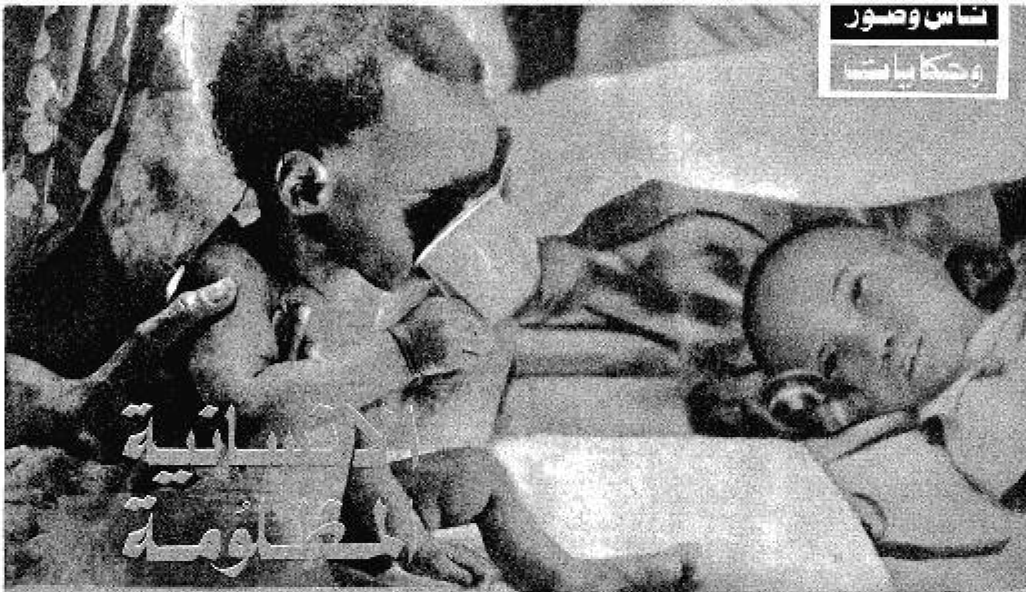
« يوسف السباعي ، رغم كل الرفض من أصحاب المذاهب الايديولوجية والذين يدعون الدفاع عن الكادحين والعمال وأصحاب الاجساد المعروقة ـ هو رائد الادب الثوري » .

● منهجه الروائي ●

ويتناول الدكتور عبد العزيز الدسوقي منهج السباعي الروائي ، قائلا : انه يفكر طويلا في عمله الفني قبل أن يبدأ فيه ويكتب في مفكرته شخصياته ويعرفها حتى يطمئن اليها ويألفها ، ولهذا تحس وأنت تقرأ رواية من رواياته ، انه يتجول بحرية وسهولة بين الاماكن التي يصورها ويجعلها مسرحا لشخصياته ، وكأنه يعرفها من قبل ، وتمنحه هذه المعرفة السابقة بالشخوص وجغرافية الاحداث ، والمحور الاساسي للرواية ، قدرته على الاجادة الفنية والابداع في البناء الروائي بل لعل هذه المعرفة هي السر في تدفق أسلوبه وتتابعه السريع ، والسيابه » . ويتحدث الدسوقي عن رواية بالذات للسباعي ، هي « لست وحدك » ، فيقول : هي من أحب أعمال يوسف السباعي الى قلبه ـ كما كان يحدثنا ـ لانها أول رواية حاول فيها (في عقد السبعينات) ان يبثها أفكاره المحددة في كثير من القضايا الانسانية والكونية ، من خلال رؤية فنية وفي اطار شديد المعاصرة ، ساعده على اختياره ، النجاح الكبير الذي حققه العلم في ارتياد آفاق الفضاء ، والهبوط على سطح القمر » .

أما ابراهيم سعفان ، فيتناول رواية اخرى للسباعي ، هي « أرض النفاق » ، ويكتب عنها : « ان السباعي يريد أن يثير في الانسان ارادة الفعل الذي يميزه عن الحيوان ، ارادة العقل ليتغير واقعه لانه اذا لم يتحرك هو ليتغير واقعه المؤلم فلن يحدث التغيير . « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . هذا هو الدستور القرآني .. اليس الله بقادر على تغيير أحوال الناس وتخليصهم من الظلم والفساد ، ولكن الله يريد للانسان أن يكون ايجابيا ، يمتلك الارادة لتغيير واقعه الى الافضل .. فالسباعي يتمثل هذا جيدا ويؤمن أن أي تغيير لايمكن أن يحدث من الخارج ، الا اذا انبعث من داخل الانسان أولا .. يؤمن انه عندما يصلح الفرد تصلح الامة » .

ويتوقف الناقد يوسف الشاروني ، عند أحد الجوانب الهامة في مسيرة السباعي الروائية ، فيقول : « ويلاحظ ان ادب يوسف السباعي قد ساهم في اتجاه برز بعد عام ١٩٥٢ في أدبنا المصري المعاصر ، هو تناول كثير من رواياتنا احداثا تقع خارج حدودنا ، وهو اتجاه يعكس مدى اهتمام كتابنا بالعالم الخارجي واختلاطهم بدوله ، مما اثمر تجارب جديدة خرج منها ادباء ـ مثل يوسف السباعي ـ عن البيئة المحلية الى نطاق اوسع وارحب . فرواية « نادية » تقع احداثها في فرنسا ، و « جفت الدموع » تقع أحداثها في سوريا ، و « ليل له آخر » تقع احداثها ما بين سوريا وانجلترا « ابتسامة على شفتيه » تقع احداثها ما بين فلسطين والاردن » .



ويل للضعفاء في عالمنا القاسي المرير . الدول الكبرى تتسابق على الفضاء والسلطان والثروة ومواد الزراعة . وروسيا تعمل على إبادة شعب أفغانستان وتهاجم الصومال وتحاول القضاء على شعب أريتريا المسيحي ولا حد لمطامع الشيوعيين .
في سبيل هذه المطامع كم يشقى التعساء والمساكين .. هذه الصورة

طفلان من أبناء الصومال ، لهما عريان مسلمان ، وصلت الى الخيام التي يعيشان فيها معونة الامم المتحدة من اللبن بعد جوع وحرمان . وفي الصورة الكبرى طفلا يشرب كوبا من اللبن وفي جانبه طفل مسكين ينظر الى اللبن نظرة جائع محروم ينتظر نوبته في لهفة . ولكن المسكين ضعيف من الجوع .. هذه الصورة أبلغ من مقال .


ناس
وصور
وحكايات

الجميلة والقطة

هذه الصورة ننشرها لهواة الرسم والتصوير بالفرشاة او الزيت من الشباب ، انها لجميلة تداعب قطة ، هذه الصورة قد تروق شاعرا فيكتب قصيدة ، وقد تحفز شابا متطلعا الى ان يمسك فرشاته وينقلها ..

ناس وصور وحكايات

بتترك للمولعين بالطعام

روز فيفا مايتى التى تراها فى الصورة هى من غير شك اكثر نساء الدنيا تاليفا فى فن الطبيخ ، فقــد الفت ١٣٤ كتابا فى ذلك الفن وباعت منها ٢٢ مليــون نسخة ، وتراها وسط كتبها ومراجعهــا ، وهى تؤلف الكتاب رقم ١٣٥ .

والآن تستطيع ايها القارىء المحب للطعام ان تشترى هذه الكتب وتقراها وتختار منها ما يروقك .

• • •



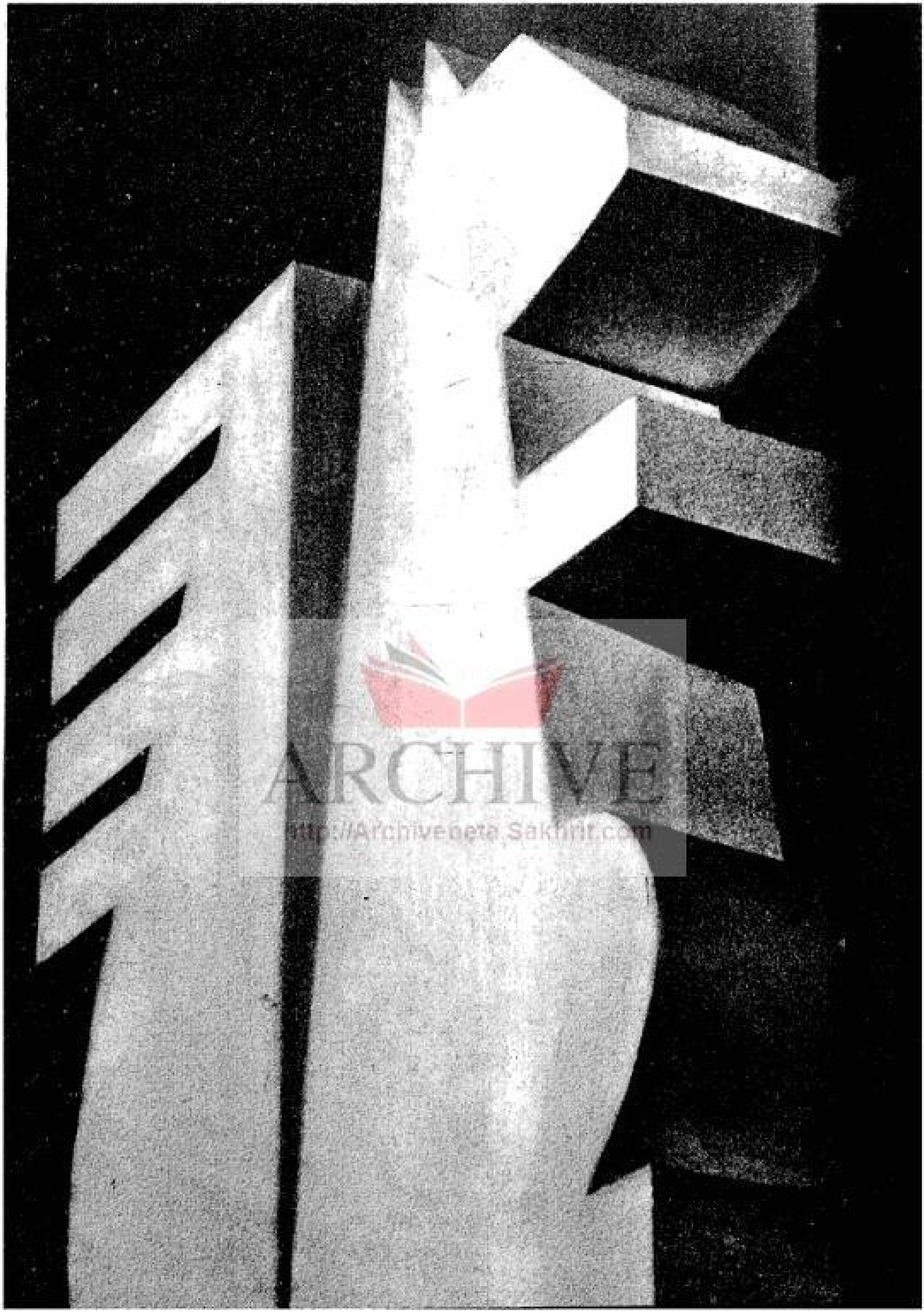
ناس وصور وحكايات

من روائع الابتكار فى المعمار

فى فرنسا صندوق توفير اتخذ صورة السنجاب رمزا له ، والسنجاب حيوان صغير يشبه الارنب ، ولكن له ذيلا طويلا ضخما يتوازن به عندما يقفز من شجرة الى شجرة ، لانه يعيش على الاشجار فى الغابات ويتسلق عليها باظافر كالحديد ويقفز من شجرة الى شجرة كانه طائر .

وقد انشأ صندوق الادخار هذا فرعا له فى احدى مدن فرنسا ، فجعله على هيئة السنجاب كما ترى فى الصورة الماكيت مع هذا الكلام .

• • •



وجهة نظر تاريخية

من الذى أحرق روما؟

● سعد رضوان ●

● حتى وقت قريب لم تكن وسائل نقل الانباء قد انتشرت او عرفت بالشكل المذهل الذى وصلت اليه اليوم .. فالطباعة ظهرت بطيئه ومكلفة في القرن الخامس عشر ، والجرائد كوسيله سريعة لنقل الانباء لم تصل الى ما وصلت اليه من تقدم قبل عهد قريب .. اما الاذاعة والتليفزيون فهما من منتجات القرن العشرين ..

كان نقل الانباء والاخبار ورواية التاريخ تتم في العهود القديمة عن طريق الرواة والمسافرين ، يسالهم الناس عن الدنيا التى حضروا منهما وعما سمعوه من احوالها وانبائها .. ويقص كل عابر مالديه من اخبار صحيحة أو كاذبة ، خالية من الهوى ، أو مبالغا فيها ، وربما استخدم الراوي مالديه من خيال اذا وجد في المستمعين شغفا واعجابا وكان الحكام يعينون منادين يدورون في الشوارع والطرق يعلنون الناس بما يريد الحاكم ان يعلنهم من اخبار هامة كتعيين وزير جديد أو تغيير في الدوله لموت امير واحلال غيره محله ..

ومن هنا فان الناس تناولت قصصا وحكايات ، زادوا فيها أو حرفوا وغيروا ، وردت الينا بعد مرور اجيال عديدة باعتبارها حقائق تاريخية رغم انه ليس من السهل ان يصدقها العقل ..

هل تصدق ان ملكا يامر بحرق عاصمة بلاده ليتفرج على الحريق وهو يغنى! ..

انها القصة التى نحكيها كحقيقة واقعة ، بل وتذكرها كتب التاريخ ، سواء بشكل رواية مؤكدة ، أو شكل رواية جائزة الحدوث ، حين تتعرض لتاريخ الامبراطور الرومانى نايرون ..

فيقول الرواة ، والعهدة عليهم ، ان سيدة جميلة اسمها « اجريبينا » كانت خبيرة في السموم توفى زوجها جنيوس بعد ان انجب منها ابنا صغيرا عام ٣٧ ميلادية ، اسموه لوسيوس ، وطبعا لا احد يعرف ان كان جينوس قد مات موتة ربه او مات بسم زوجته .. انما الامر الهام .

هو ان المراة استطاعت اغراء الامبراطور الرومانى كلوديوس فاحبها ، ولكنها رفضت ان تبادله الحب بغير زواج ، فهى امراة شريفة .. ولهذا قدمت للامبراطور سما دسه لها زوجته فمات ..

وخلى الجو للمراة وتزوجها الرجل ، وتبنى ابنها لوسيس وغير اسمه الى نايرون ! ..

ووجد كلوديوس في ابنه بالتبنى ذكاء وجراة وشاعرية خاصة جعلته ينظم الشعر ويجيد العزف على الجيتار .. وكان للامبراطور ابن اسمه بريتانيكوس من زوجته الاولى وبنت اسمها اوكتافيا ..

وزوج الامبراطور نايرون من اوكتافيا ، وعينه وليا للعهد بدل ابنه الحقيقى ، ثم مات الامبراطور مسموما هو الاخر سنه ٥٤ بالسم الذى برعت زوجته في اعداده ، واصبح نايرون امبراطورا وهو في السابعة عشرة من

عمره ..

وظنت « أجريبينا » أنها أصبحت الحاكمة الوحيدة لروما ، ولكن ابنها لم يسمح لها ، بل قتلها بنفس السم الذى قتلت به زوجها أو زوجهـــا وزوجة الامبراطور .. كما قتل بالسم أيضا بريتانيكوس أخو زوجته ...

وأصبح نابرن طاغية لا يتـــورع عن قتل من يقف فى طريقه ..

ثم وقع الرجل فى غرام زوجة احد أصدقائه هى بوبايا سابينا ، فما كان منه الا أن أبعد زوجها بان عينه حاكما على البرتغال .. ثم طـلق زوجتـــه أو كتافيا ، ثم استجابت لطلب سابينا فقتل أو كتافيا بالسم أيضا ! ..

وكانت ســابينا جميلة لعوبا ومثالا للرقة واللين والــدلال ، تعرف كيف تحافظ عـلى جمالها فهى تستحم فى حمام خـاص مغطى بالمرايا ، وتدلك بدنها بدهن التمســاح ووجهها بدهان معين ، وعندها مجموعة من الجــوارى مهمتهن تدليك جسمها .

وكانت أيضا ذات أناقة خاصة برعت فى انتقاء ملابسها حتى ليقال انها أول امرأة فى روما لبست الحرير ..

وفى سنة ٦٤ قرر الامبراطور الشاعر والموسيقى المـــرهف الحس أن يرى صورة حية تمثل أمامه للحريق الــذى قضى على مــدينة طــروادة ، فجلس بنافذة قصره ، وأمر بحرق روما ! ..

واحترقت روما حريقا مستعــرا استمر ستة أيام وسبعة ليال دمر فيه أكثر من ثلث المدينة ، ونايرون يعزف على قيثارته ويغنى ! ...

وبعدها أعاد نايرون بناء روما ..

وقامت ضده عدة ثورات ، وفى سنة ٦٥ فشلت ثورة ضــده اشترك فيها حرسه الامبراطورى ، ولكن تلك الثورة نجحت فى طعنه طعنة قاسية ..

فقد كان المركز الذى وصلت اليه سابينا يثير حســد الكثيرين فــانتهز أحدهم فرصة خروج نايرون للصــيد يوما ووشى اليه بأنها مشتركة مــع الثوار ضده ..

وثارت ثائرة نايرون وعاد الى القصر مسرعا ودخل على سابينا وركلها برجله بقــوة سقطت بعدهـا فـوق الأرض وماتت ..

وبكى نايرون حبيبته وأمر بتحنيط جثمانها ودفنهـا فى مـدافـن قياصرة الرومان .

وفى ســنة ٦٨ نجحت ثورة قــامت ضــده فاضــطر الى الفرار ، وعند اقتراب مطارديه منه قتله أحد اتباعــه بأمر منه حتى لا يقع أسيرا فى أيديهم

هذه هى القصة التى ترددها الكتب ويتناولهـا الناس .. ولكن هـل هى الحقيقة ؟..

لقد دافع نايرون عــن نفســه بأن بعض المتعصبين هم الذين أحرقوا روما لنشر مبادئهم .. ولا أحـد يـدرى ان كان هذا هو الحق أم انه هــو الــذى أحرق روما لأن اعداءه الــذين اتهمهم بحرق روما هــم الذين حكموها فيما بعد ، ومن مصلحتهم الصــاق التهمة به ..

هذه واحدة ..

وأيضا عمليات القتل بالسم الكثيرة الواردة فى الحكاية .. ان المنطـــق فى بعض حوادث السم هذه مفقـــود ، فامبراطور ماتت زوجته وتزوج بعدها فما الداعى للقول بأنــه ســمم زوجته ليتزوج الارملــه اللهم الا الــرغبة فى الاســاءة لســمعة أسرة نايرون من البداية ..

وانه لم تزوجت الامبراطور وتالت أغراضــها بحمل ابنها ولى العهد فما الداعى لان تسمم زوجها المحب المطيع ليصبح ابنها امبراطــورا وتفقــد هى مركــزها كامبراطــورة حــاكمــة الى امبراطورة أم ، بينما تصبح زوجة ابنها الامبراطورة ..

ثم ما الداعى لاســتعمال الســم مع أوكتافيا زوجــة نايرون بعد أن طلقها وعاش مــع حبيبته ســابينا التى أبعد زوجها ولم يسممه هو أيضا ؟! ..

أرأيت كيف أن التاريخ قــد ينقل حوادث يمكن الشك فيها .. ومع ذلك فان هذه القصة وغيرهـا ستبقى فى أذهــاننا ليس لصــحتها التاريخيــه وتحققها ، بل لما فيها من غرابة تعكس كيف كان الناس يفكرون ضد الملوك الطغــاة ، وكيف يمكن لبعض المغرضين تشويه التاريخ ●

محمد زكى عبد القادر

وفى الساحة الادبية عندنا فإن الافكار تخطف خطفا

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

● من قال لا اعرف فقد افتى ، ومن استرحم الله فى نفسه فقد عرف قدره وحقق قول « سقراط » الشهير فى معرفة الذات والنفس . ليس هذا تقليلا من شان الاستاذ ومكانته عندما ساله التلميذ . بل امنية نطق بها لسانه وهتف بها فؤاده وقد جرى الحوار بينهما هادئا فى بعض وساخنا فى بعضه الاخر .

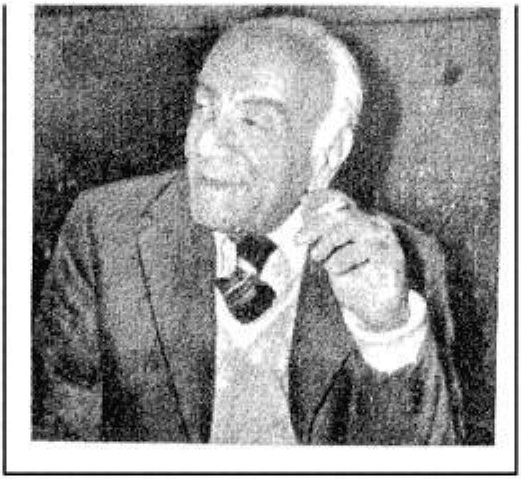
واستاذنا المتحدث . هو الكاتب الصحفى والاديب والمفكر « محمد زكى عبد القادر » . الذى طلب ان يكون اى شىء الا ان يكون اديبا . فلقد رفض ان تخلع عليه هذه الصفة رغم كونها لصيقة به . ورغم كونه امتداد لجيل عالج المقالة الصحفية بالنثر الادبى وطعما بالاسلوب المتادب فناى بها عن الجفاف وجعلها نغما فيه ايقاع موسيقى وحروفا فيها نداوة وطراوة تتسلل الى قلب القارىء وعقله فتجتذبه وتستحوذ عليه .

والاستاذ زكى عبد القادر وان كان ينفى ما يؤكده الاخرون باعتباره فارسا من فرسان الساحة الادبية ، فانه يقول عما يدور فى هذه الساحة فى الوقت الراهن .. وعن سبب عزوفه عن صفة الاديب :

« لست فارسا من فرسان الساحة الادبية ، وانما متذوقا ومحبا للادب ولقد كرهت طيلة حياتى ان اسمى اديبا . ربما يرجع هذا الى الفكرة القديمة عن الادب المقترنة بضيق الرزق والانفصال عن المجتمع حيث كان ينظر للاديب عادة على انه رجل قليل القيمة وليس من الاشخاص البارزين فى المجتمع . وان كانت النظرة التى لازمتنى قد تغيرت الان فاصبح الادباء اليوم فى المقدمة . لكنها كانت فكرة قديمة . وانا لا اعترف بكونى اديب ولا ازعم لنفسى هذه الصفة ولا اميل اليها .

وما يدور فى الساحة الادبية خاصة وما يدور فى باقى النواحى عامة هو ان اكثر ما يقال وينشر تطبعه العجلة وعدم التمكن وعدم التيقن من اى فكرة او اى راى . فالافكار تخطف خطفا .

وكل واحد يدعى المعرفة فى كل فرع من الفروع . واتمنى عندما يسال اى



● محمد زكي عبد القادر

انسان أن يقول لا اعرف اذا كان لا يعرف أو ما يعرفه قليل . فذلك افضل من ان يتصدى الى الاجابه . وقد خيلت له نفسه انه على قدر كبير من المعرفة . وعموما فان جزءا كبيرا مما يقال في الساحة الادبية لو لم يقال لاستغنى عنه تماما . »

● افتقارنا الى الخيال العلمي ●

سألت الاستاذ زكي عبد القادر عن سبب خلو الساحة الادبية عندنا من الرواية العلمية والى اى شيء يمكن ان نرجع ذلك ؟!

« تخلو الساحة الادبية اساسا ممن يعرفون بالكتاب المستقبلين . الذين يقولون بالتطور العلمي دون ان تومىء اليه الحوادث القائمة ويرجع ذلك الى ضحالة الثقافة العلمية . وهى في مجموعها الكلى قليلة فلكى تقرأ القصة العلمية او الرواية العلمية وتجد لها صدى بين الناس واقبالا منهم ، يجب ان يكون لدى الناس ما يعرف « بالحصيرة » العلمية او الطريحة العلمية ، وهو حد أدنى من المعلومات يساعد على هضم وفهم واستمتاع حقيقى بالقصة العلمية .

والتفكير العلمى عندنا لا يزال سطحى يدل على ذلك اننا عاطفيين ولسنا علميين . واننا انفعاليين دون أن نكون عقلانيين . تغلب العاطفة في مناقشاتنا دون الاخذ بالاسباب العقلية . فالحوارات التى تتم بين مجموعة من الناس انما يغلب عليها الانفعال الشخصى أو العاطفى دون أن يغلب عليها الطابع العقلى .

والذين يقطعون برأى في المسائل الانسانية انما يخالفون الواقع . فليس هناك أمر قاطع الا فيما ابتته التجربة اما في المسائل الاخرى فيجب الا تنتهى المسألة الواحدة الى نتيجة واحدة ـ وان كان يمكن أن يحدث ـ لكن تنتهى الى نتائج متعددة . ولكل نتيجة مايؤيدها ويظاهرها وايضا ما ينفيها ويضحضها . بشرط أن تكون المناقشة قائمة على أساس علمى . وهو ما خطت به الشعوب المتقدمة سواء الامريكية والاوروبية ولقد وفر لها ذلك نوع من القراءة العلمية مهدت لظهور الرواية العلمية . التى تعتمد أساسا على الخيال العلمى . »

● تعلقنا بالرومانسية ●

ومن تعلق اكثر الادباء عندنا بالرومانسية يقول الاستاذ زكى عبد القادر « .. وأن كنا اتجهنا في ادابنا الى الواقعيه الا ان الرومانسية لاتزال تكون الادب عندنا .

ويرجع ذلك الى اننا شعب عاطفى انفعالى والرومانسيه اقرب الى الانفعال والعاطفة مع ما يقترن بها من حب للخير وللجمال والرغبة فى السمو. والتصورات .»

« .. وهى وان كانت تهويمات لا تقترب من الحقائق .. الا انها افادت فى كل مراحلها الاداب والافكار

● هروب الاديب من ذاته ●

قلت للاستاذ زكى لماذا يهرب الاديب عادة من كتابة ادب الاعترافات ..؟!
قال : « الاديب لا يهرب الا عندنا فقط وفى البلاد الشرقية التى لاتزال تسيطر عليها التقاليد . اما فى البلاد التى نضجت افكارها مثل الاوروبية والامريكية فقد ادركت النفس الانسانية وابعادها واصبح عندهم ادب الاعترافات جزء من حقيقة الحياة . وهم لا يخلون منه فى حين اننا نخجل منه فيجعلنا نتوارى عنه ولا نذكره »

● المقالة الادبية وسبب اختفائها ●

لايزال الاستاذ زكى عبد القادر محافظا على التقليد القديم فى كتابة المقال الصحفى فى معالجته باسلوب ادبى . رغم اختفاء هذا الشكل من الكتابة من الصحف . سألته عن اسباب هذا الاختفاء .
فقال :

« لا اعتقد انه اختفى . لكنه عدم قدرة من الكاتب على تناول مادة مقالته بمعالجتها بالاسلوب الادبى . والكتابة بهذا الخط الادبى هى اقرب واسهل فى تسللها الى نفس القارىء ووجدانه واقتناعه بها . يضاف الى ذلك الفضلية البعد عن جفاف الموضوع مادة المقالة. فالمعالجة باسلوب ادبى تضفى على المقال لمة الادب وطراوته وجاذبية الاسلوب .

وليتنا نعالج كل كتاباتنا بهذا الشكل الادبى . فالذى يكتب فى الاقتصاد ويلجأ للادب فى كتابته انما يخفف من لغة الارقام عندما يطعم مقاله باللمحات الادبية . فالادب شىء ملين للمسائل يعطيها طابعا مقبولا عند القارىء . »

● عالمية الادب ومحليته ●

من القضايا التى شغلت اذهان الكثيرين وكان فيها اخذ ورد عند بعضهم ، قضيه عالمية الادب ومحليته .. فما هو الراى عند الاستاذ زكى عبد القادر وما هو السبيل الى العالمية ؟!

يجيب الاستاذ فيقول :
عالمية الادب لا تتأتى الا اذا عالج الكاتب موضوعات انسانية ..

« .. وكونها تأخذ بعد ذلك طابع المحلية من عدمه فان ذلك لا يؤثر على عالمية الادب .

فالروايات الكثيرة التى اشتهرت بكونها عالمية . انما تقوم على وقائع واحداث محلية لاناس يضطربون هنا وهناك . وطريقة معالجة هذه الاحداث هى التى تنقلها وترفع من شأنها وتدفع بها الى العالمية . لانه كلما تعمقت فى النفس الانسانية وجدت قدرا من التوافيق بين الناس وبعضهم فى تذوق هذه الحوادث والتأثر بها .
فالمعالجة اذا كانت سطحية لاتؤثر

الا فى الناس الذين تتحدث عنهم ، وفى المحل الذى يكونون فيه . اما اذا كانت المعالجة عميقة وتمس النفس الانسانية فى اعماقها فانها تؤثر فى الناس سواء من يقرأ القصة فى لغتها الاصلية او يقرأها مترجمة فى اللغات الاخرى ..»

● أثر الريف فى الوجدان ●

سألت الاستاذ زكى باعتباره احد الذين ينتمون الى الريف . ما اثر الريف فى تشكيل وجدان الكاتب ..؟!

قال الاستاذ : « كان للريف تأثير فى حياتى فلقد قضيت فيه طفولتى وصباى واختلط بى اختلاطا تاما . واكثر اختلاطه لانه من الطبيعة . وانا اميل الى المذهب الطبيعى . فانا اعتقد ان الانسان جزء من الطبيعة او الطبيعة جزء من الانسان ، وكلاهما يكونان شيئا واحدا له ناموس واحد .

فعندما نتامل الطبيعة نجدها فى تصرفاتها تشبه الانسان تماما سواء فى الصحة او المرض ، فى الاشراق والاظلام .

ومدى ما يفترق بينهما عادة هو فى اقتناع الانسان فى مشابهة الطبيعة له .

وانا اعتقد أن نواميس الكون التى وضعها الله هى واحدة لكل الكائنات بما فيها الانسان والطبيعة .»

● علاقة القانون بالادب ●

كان الاستاذ زكى عبد القادر محاميا فى بدء حياته . فهل اثرت دراسته للقانون على كتابته فى الأدب ..؟

يقول : تعتبر دراسة القانون ثقافة عامة وهى وان كانت تخصصية الاانهاتعالج اساسا العلاقات الانسانية . والقانون باعتباره مجموعة من المنطق فان دراسته تجعل الفرد صالحا للعيش فى المجتمع . وعندها تكمل دراسة القانون الدراسات الاقتصادية باعتبارهما معا يخلقان الانسان المتكامل الذى يدرك كيفية معالجته للامور الحياتيه. ولقد افادنى المنطق الذى لمسته فى دراسة القانون فى كتاباتى عموما ، حيث أننى اعالجها بعيدا عن الانفعال بل واعالجها بشىء من الاعتدال والعدل. والتماس العدل هو ما يحكم ضمير القاضى فى معالجته لقضاياه . كذلك يفعل الاديب الذى يلتمس العدل للقضية التى يعالجها فى كتاباته . وهو حينما يفعل ذلك يكون قد تأثر مما درسه فى القانون وما أضفاه الى ذاته من منطق وثقافة اكتسبها من هذه الدراسة .»

● عن الادب النسائى ●

اذا كان البعض يقول بأن هناك مايعرف بالادب النسائى .. فان الاستاذ زكى عبد القادر يرفض هذه التسمية ويقول بأن « الادب ادب ولا يمكن تقسيمه وفقا لمن قام بكتابته والا تحولنا الى القول بالتقسيم بعد الجنس الى السن فقلنا ادب الكهول وادب غيرهم . ثم قلنا بادب الملونين وادب غيرهم . فالادب له معاييره ومفاهيمه التى اذا ما انطبقت على العمل امكن الحكم عليه وكونه ادبا والا فلا ..»

واذا كان الحوار قد امتد بين التلميذ والاستاذ الى ما يقرب من منتصف ليل تنبىء سماؤه بميلاد مطر يكاد ان تسكبه فوق الرؤوس . واذا كان الاستاذ قد وقف يرقب مايختلج فى نفس الطبيعة من خلف زجاج نافذته فلقد تذكرت قوله ان الانسان والطبيعة صنوان . فتركته يستلهم ما توحى اليه به من افكار .

واستقبلت هواء الليل البارد بالرضا وبقلب منتعش ●

الحقيقة بين "مىّ" والعقاد

● أماني فريد ●

● لم تكن « مى » أبدا هى سارة العقـــاد .. ولكن ، ما هى حقيقـــة العلاقة بين « مى » والعقاد ؟ .

آراء بعض الذين عاصروا العقاد و «مى» ووقفوا على بعض خبايا حياتهما ...

يقول الاستاذ حافظ محمـــود نقيب الصحفيين الاسبق ورئيس تحرير جريدة السياسة القديمة .

أما أن العقاد كان يحب الاديبة «مى» أو أنها كانت تحبه ، فهذه قضـية تحتاج الى آراء المعاصرين لهـــما ، وقد كتب فى ذلك أستاذنا المرحوم الدكتور منصـــور فهمى باشا كتابا أرخ فيه للاديبة مى ...

وكذلك فعل زميلنا الراحل طاهـــر الطناحى رئيس تحرير مجلة « الهـــلال » سابقا وكانت قصة « مى » مع العقاد هى نفس قصتها مع كل الشوامخ الذين كانوا يرتادون صالونها الادبى ، لكن العقاد قد تميز عليهم باعجابها الخاص اعجـــابا يتخلله التقدير والاحترام المتبـــادل ...

وكان أساس هذا الاعجاب يرجـــع الى عبقرية الطرفين العقلية والوجـدانية دون التردى فى بعض الحماقات الصـغيرة أو التصرفات الطائشة التى لا يمكن أن تصدر من هذه الاديبة العملاقة .

لقد كانت « مى » لا تقـــل كبرياء عن العقاد ، وربما كان ذلك سببا من أسباب حبها ، حب الانسان للانســـان ، لاحب المراة للرجل .

وكل الذين عاصروا هذين العملاقـــين كانوا يعلمون من هو حب « مى » ... كان حبها الكامل لجبران خليل جبران الـــذى كان يعيش فى المهجر ، وهذا يعطينا فكرة عن طبيعة العاطفة عند « مى » ، عاطفة الشاعرة التى تحب حبا شـــاعريا يختلف كثيرا عن الحب المعروف المتداول .

لقد كانت « مى » تبـــادل بعض الشخصيات أرق عواطف الاعجاب ، وفى مقدمتهم العقاد ، لكنها كانت تعتبر نفسها « زعيمة » لا يحق لها أن تتردى فيمـــا يتردى فيه غيرها من النساء ، ولعل هـــذا هو السبب المباشر فيما اصابها من أمراض نفسية فى اخريات حياتها .

أما العقاد فلم يكن الرجـــل الذى يلهث وراء أية امراة ، وهذا ظاهر فى شعره ونثره حينما كان يتحـــدث صادقا عن شعوره نحو الجنس الاخر وكذلك كانت « مى » ..

وليس صحيحا أن الاديبـــة « مى » هى سارة التى أخرجها العقاد فى قصـــته الرائعة ... ان قراءة هذه القصـــة تدل بوضوح أن « ســـارة » كانت « أنثى » تتلمذت على العقاد ، وهو وصف لا ينطبق على « مى » التى كانت ترى فى نفســـها قرينة للعمـــالقة الذين كانوا يرتادون صالونها الادبى .

وسارة فيما اعلمه بيقين كانت زوجـــة صحفى أديب لبنـــانى متمصر ، وكانت مولعة بالعقاد بشكل أعمق مما أورده فى قصته ، وقد انتهى بها هذا الولع الى أن تقف أمام القضاء الكنسى ليتم تطليقها من زوجها . فلما خسرت زوجها وخسرت مـــا كانت تطمع فيه من العقاد بعـــد ذلك ، **هاجرت الى فرنسا من مصر ، وعاشت فيها حتى نهاية حياتها ـ وهذه حقيقة لا يعلمها الا الذين كانوا على صلة بجميع أطـــراف هذه القصة التى تؤكد من هى « ســـارة »**

العقاد .

ولست اريد ان أزيد حفاظا على الاسرار التي حافظت عليها جميع الاطراف ، وفي مقدمتهم العقاد نفسه الذي اخفى من قصته اى تلميح الى حقيقة سارة .

***

ويقول الاستاذ أنور أحمد عضو اتحاد الكتاب والذي مثل شخصية مصطفى كامل في فيلم سينمائي : ما أعلمه عن « مي » هو محصلة قراءات ومعلومات من أصدقاء عرفوها ، وهي تدل على أن معظم من كانوا يغشون صالونها يوم الثلاثاء قد أحبوها كل منهم على طريقته ، وأخص بالذكر ولي الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعي ، وعباس العقاد ، وكانت توحي لكل منهم بأنه الاثير عندها ... ولعل المنافسة على حبها كانت ضمن الاسباب والعوامل لما ثار بين الرافعي والعقاد من خصومة ادبية وفكرية عنيفة لم يشهد الادب العربي الحديث مثيلا لها ، حتى لقد ألف الرافعي كتابا في نقد العقاد سماه « على السفود » اى « على شواية اللحم » !

***

والفنان الكبير يوسف وهبي يقول لقد شاهدت مي مرة واحدة فقط عندما جاءت الى مسرحي لمشاهدة مسرحية « كرسي الاعتراف » وقد صعدت بعد ذلك على المسرح لتهنئتي ، وقمنا بالاحتفاء بها بما يتناسب مع مركزها كاديبة كبيرة ... وما أعلمه عن العقاد انه لم يكن يزورها كثيرا ، وانه كان من ذوى الشخصية الانطوائية الى حد ما ، وكان لا يخرج كثيرا من بيته بل يلازمه في معظم الاحيان

***

اما اديبنا الكبير توفيق الحكيم فقد اخبرني انه لم يقابل مي اطلاقا ولم يحضر صالونها ، ولكنه رأى أحد خطاباتها لجبران خليل جبران ويعتبر قطعة ادبية رائعة الى جانب ما كانت تتميز به من خط جميل ، وكأنها واحد من كبار الخطاطين .

وعهد « مي » كان مليئا بالقمم الادبية وكانت هناك مدارس ادبية سلفية كمدرسة مصطفى صادق الرافعي ، وفيها صادق عنبر ، وأحمد زين ... وكانت هناك مدرسة المجددين الذين جمعوا بين الثقافة العربية والاداب الاجنبية مثل العقاد ، والمازني ،وعبد الرحمن شكري ، وابراهيم المصري ، والقصاص محمود كامل المحامي

أما الاستاذ حسن عبد المنعم عضو مجلس اتحاد الكتاب فيقول ان أصحاب مدرسة الديوان الادبية والتي يتزعمها العقاد والمازني ، أرادت أن تفرض نفسها، فبدأت بنقد الشوامخ وعلى رأسهم امير الشعراء احمد شوقي ، ومن ذلك أنه في الوقت الذي أجمع فيه شعراء العروبة من المشرق والمغرب على عقد لواء امارة الشعر لشوقي واجتمعوا لذلك في دار الاوبرا في عام ١٩٢٧ ــ خرج العقاد على الاجماع بمقال نشر في السياسية الاسبوعية بعنوان مثير هو « شوقي شاعر الخليين » ...

ثم قامت مدرسة « أبو للو » للشعر والتي اسسها أبو شادي ورأسها شوقي لبعض الوقت وكان يرد بها على مدرسة الديوان

بعد ذلك قامت معركة ادبية ضارية بين العقاد وطه حسين بعنوان « لاتين وسكسون » . وكان طه حسين يدافع عن الثقافة اللاتينية والعقاد يدافع عن الثقافة السكسونية ، وكانت هذه المقالات مدرسة تلقينا نحن ادباء الشباب ــ في ذلك الوقت ــ أصول الادب منها ــ وهكذا كان عهد « مي » « والعقاد » عهد حافلا بالادب والعلم والثقافة ...

واستاذنا توفيق الحكيم شيخ الادباء يختتم المناقشات حول « مي » والعقاد بقوله ــ : كانت هناك مكاتبات بين « مي » وجبران خليل جبران ، وكانت قطعا ادبية رائعة نشرت فيما بعد ..

اما بين مي والعقاد فانه لم يعثر على اية مكاتبات بينهما ، ولو كانت هناك علاقة قوية قائمة بين « مي » والعقاد لكان ارسل لها وارسلت اليه ولو خطابا واحدا ، ولكن لم يوجد ولم يعثر مكاتبات لاحد منهما للاخر ، واعني خطابات بخط اليد لانها الدليل الوحيد الصحيح والحقيقي على وجود مثل هذه المكاتبات .

من هذا نستخلص أن مي لم يكن لها دور كبير في حياة العقاد ، وكذلك لم يكن هو على علاقة كبيرة مستمرة بها ... لقد كان يرتاد صالونها من وقت لاخر ، وكانت صلته بها مجرد صلة اديب باديبة فاضلة .

ميدالية الاسكندرية

للاديب الفنان

• حسين بيكار •

• سمير عبد المجيد •

نجحت فكرة تكريم الاسكندرية لابنائها الرواد من الكتاب والادباء والفنانين الذين ساهموا فى اثراء الحركة الادبية والثقافية فى مصر والوطن العربى ـ وهى الفكرة التى نفذتها الاسكندرية اخيرا بتكريم اديب مصر توفيق الحكيم •

وفى هذا الشهر اقيم مهرجان كبير بقصر انطونيادس لتكريم الاديب الفنان حسين بيكار ابن حى الانفوشى بالاسكندرية ••

حضر هذا المهرجان الادبى والفنى السيد منصور حسن وزير الثقافة والاعلام وكبار الشخصيات الادبية والفنية ـ واشرفت على اعداده السيدة وسام مرزوق مديرة الثقافة بالاسكندرية

فى بداية المهرجان افتتح وزير الثقافة والاعلام ومحافظ الاسكندرية معرض لوحات الفنان حسين بيكار •

وقال السيد الوزير : نحن جميعا نهنىء الدكتور نعيم ابو طالب صاحب الفكرة فى تكريم الرواد من ابناء الاسكندرية الذين ساهموا فى تدعيم الحركة الادبية والفنية فى بلادنا •• والحق ان هذا المهرجان فرصة لتدعيم الحركة الثقافية فى عروس البحر المتوسط » •

كما أشاد الدكتور نعيم أبو طالب فى كلمته بالفنان حسين بيكار ابن الاسكندرية صاحب الريشة المبدعة ، والشاعر المبدع والموسيقار وصاحب الأسلوب المتميز •

وشارك فى تكريم الاديب الفنان بيكار



● الفنان بيكار مع السيد منصور حسن وزير الثقافة والاعلام والسيد محافظ الاسكندرية

الدكتور حامد عويس عميد كلية الفنون السابق الذى القى نيابة عن الفنانين تحية لاستاذهم ٠

كما اشترك فى تحية الاديب الفنان بيكار الشعراء : الدكتور عمر الجارم ، والدكتور على الباز ، وعبد المنعم الانصارى ،ومحمد برهان ، وفؤاد طمان٠

والزجالون : كامل حسنى ـ محمد مكيوى ـ ميلاد واصف ٠

ثم قام الدكتور نعيم ابو طالب محافظ الاسكندرية باهداء ميدالية الاسكندرية وصينية فضية وشهادة تقدير للفنان حسين بيكار ،واهداه الفنان عادل غبريال نيابة عن فنانى الاسكندرية ميدالية فضية له وأخرى للسيدة زوجته التى وقفت الى جواره تسانده وتشجعه ٠

كما قام الفنان منير فهيم برسم صورة زيتية لاستاذه حسين بيكار واهداها له ٠

وفى نهاية المهرجان قام الفنان حسين بيكار باطفاء الشموع التى ترمز الى عمره فقد كان اطفاء الشموع عيد ميلاده الـ ٦٨ وشاركه اطفاء الشموع لفيف من رجال الفن والفكر والادب ٠

●●



عرابى والمعركة الساخنة فى صحف أوربا

● سامى الليثى ●

ولدت الثورة العرابية فى ظل مؤامرات تتربص بها من كل جانب ..

ففى الآستانة ، بينما السلطان التركى يترنح تحت وطأة الفساد والانحلال ، وتتطلع اليه عيون الطمع الاوروبية ، تتلهف للحظة اقتسام امبراطورية — تهب الثورة العرابية فى مصر ، دولة الممتلكات العثمانية وقتذاك لتفتح الطريق امام الدول الاوروبية ، فتبدا على الفور فى مؤامراتها ، لاقتسام الغنيمة المتهالكة .

واوروبا ، فانها وان كانت تتفق فى هدف تقسيم الدولة المحتضرة — تركيا — فانها كانت تختلف فى نظرتها الى اهداف التقسيم ومراميه وتوزيع الانصبة به . فانجلترا ترى ان تجارتها فى الهند واستراليا رهينة بسلامة الامبراطورية العثمانية من الناحية الشكلية ، باعتبار ان هذه التجارة تعتمد على الطريق البرى خلال الامبراطورية العثمانية ، وعلى الطريق البحرى عبر قناة السويس .. وكان توحيد المانيا ونجاح الوحدة الايطالية الى جانب فرنسا العدو التقليدى وعلاقاتها الخطرة بالعالم العربى مراكز قوة تهدد خطط انجلترا وتهدم آمالها .. ومن هنا بدات تتخلى عن الاحتفاظ بشكلية السيادة العثمانية ، وايضا بالحرص على الاتفاق الاوروبى لتقسيم الاسواق العالمية ..

وكان الوعى العرابى يصد سيطرة الاحتكارات الاوروبية على السوق المصرى ورفع شعار تمصير الديون، تعبير فجر المطامع الاوروبية ، فاسرعت الدول الاوروبية بعقد مؤتمر الاستانة الدولى فى يونيو ١٨٨٢ قبل بدء الخطوات البريطانية الفعلية لاحتلال مصر .. وكان لابد والامر على هذه الصورة أن تتحول فكرة ايقاف الثورة العرابية واجهاضها الى المرتبة الثانية فى الاهمية فى المؤتمر بينما أصبحت صراعات الدول الاوروبية حول نوعية الاستعمار الذى سيضع اقدامه وشيكا على ارض الشرق الاوسط والاملاك التركية . وهو ما كان يطلق عليه باللغة الدبلوماسية فى المؤتمر تصفية المشكلة المصرية ..

وكان الصراع حادا وعنيفا فى اروقة المؤتمر ، وعلى مائدة المباحثات بين انجلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا والنمسا ،

وان كانت فرنسا هى صاحبة فكرة عقد المؤتمر لعجزها عن التدخل العسكرى فى المسألة المصرية خشية انجلترا التى اجهضت لها محاولات سابقة • فقد لجأت الى اقحام اوروبا — بهذا المؤتمر — طرفا فى النزاع • وكانت اوروبا على كل حال تبحث هى الاخرى عن مثل هذه الفكرة لتجد لها موقع قدم فى المكاسب المقبلة • ولكى تمنع انجلترا من القضاء نهائيا على مبدأ التنافس السلمى فى اوروبا وتنفرد بالسوق المصرى دون الرأسماليات الاوروبية الاخرى •

واذ كان مؤتمر لندن ١٨٤٠ قد مثل تعبيرا قانون التنافس السلمى ، فان مؤتمر الاستانة ١٨٨٢ كان تجسيدا لمرحلة النمو غير المتوازن بين الرأسماليات الاوروبية الذى ينبىء بالاختلال التوازن واحتمال الدخول فى مرحلة القوة ، فانجلترا كانت فى هذه المرحلة قد بلغت من النمو لتصبح الاقوى بانتقالها من مرحلة الاستيراد للمواد الخام وتصدير السلع الحقيقية الى مرحلة تصدير رأس المال المصرفى • فكان لابد — من وجهة نظرها — أن يسقط شعار المنافسة السلمية وان يرتفع صوت المنافسة المسلحة. وان يتحول عار احتكار السوق لبلد واحد دون الآخرين والذى كان نموذجا لاخلاقيات البورجوازية الاوروبية حتى ذلك الحين ، الى هدف تبذل فيه الدول قواها العسكرية والسياسية للوصول اليه •

فى البدء • استطاع المؤتمر ان يحجم خطوات انجلترا• ولو أن مصر لم تحضره وتركيا لم تشارك فى جلساته الاولى الا بعد نصيحة بسمارك ولكن الصراع بين الدول الاوروبية الخمس حال دون اتخاذ قرار — يوازن كل المطامع — باشتراك الجميع فى تدخل الدول فى مصر خوفا من ان يكون تدخل الدول الاوربية مجرد غطاء تنفذ انجلترا اطماعها الخاصة من خلاله •

وفيما كان اللورد دفرين مندوب بريطانيا فى المؤتمر يعلن فى الجلسة الختامية بأن التسوية النهائية للمسألة المصرية يجب تركها لنظر اوروبا وحكوماتها وان انجلترا تعمل فى مصر باسم جميع اوروبا — أشير على السفير البريطانى فى الاستانة أنه يلمح للسلطان ويلفت نظره الى أن تدخله العسكرى فى مصر أصبح غير ذى موضوع ، فقد تم قمع الثورة بواسطة جنود صاحبة الجلالة •

● الصراع والمؤامرة ●

كانت صحافة اوروبا تعيش المؤتمر بل تعيش الازمة كلها منذ البداية .. الصراع الاوروبى والمؤامرة على مصر .

صوت واحد طلع يحمل رنة عدل وصدق فى كلمة كتبها كليمانصو السياسى الفرنسى المتقاعد فى جريدة « الطان » الفرنسية • ولو انه أخطأ فى وصف الصراع بين الخديو والثورة العرابية بأنها اتجاه للافكار والاستبداد والعصيان فى دولة لم تبلغ درجة من التمدن بعد ، ودعا الى تدخل فرنسا لنشر الافكار الحرة المعتدلة كهدف من أهداف الطموح الفرنسى الدولى • كما وصف الصراع الفرنسى الانجليزى بأنه ضرب للاتفاق الاوروبى السلمى ورفض الاتفاق مع انجلترا فى خطواتها العدوانية لانه كسب لانجلترا على حساب فرنسا •

وعاد كليمانصو على كل حال فاعترف بخطأ الزعم الذى يقول أن استخدام الفرنسيين فى الادارة المصرية كان تدعيما للنفوذ الفرنسى فى مصر • لان تحقيق هذا الهدف ما كان يمكن ان يكون الا لفتح ابواب التجارة للفرنسيين وتقديم التسهيلات التجارية لهم كما كان ايام محمد على باشا ، حين شهد النفوذ الفرنسى فى مصر قمة ازدهاره • « فان الاداريين الفرنسيين الذين زرعنا نفوذهم فى الادارة المصرية قد اصبحوا اكبر خطرا على سمعة فرنسا بعد ان ظهر فى الميزانية أن مرتبات هؤلاء الموظفين قد بلغت ثلاثة وثمانون ألف جنيه ، دون أن يرى المصريين فى وجود هؤلاء الموظفين أى فائدة • بل على العكس لم تستفد الامة المصرية منهم غير اختلال النظام المالى وانتشار السلب والنهب واتساع أعمال المرابين الاوروبيين • وقد كان المفروض ان يوقف قلم المراقبة الثنائية هذا النزيف ويقضى على السلب والنهب ، ولكن كل ما فعلته المراقبة الثنائية ان زادت عدد الاوراق وعقدت المشاكل أمام

الحكـــومة اكثر مما هى معقـدة • ولم تستفد فرنسا الا سخط المصريين عليها.

« اننا فى فرنسا لا نستطيع أن ننكر وجود الامة المصرية وحيويتها الحقيقية • والحزب الوطنى ليس حزبا وهميـا كما يحاول البعض ان يشـيع فى اوروبا • وسقوط شريف باشا الذى كان واحـدا من اعضاء هذا الحزب لم يكن الا نتيجة لتقديم اللائحة الفرنسية ـ الانجليزية مما دعا الى تحريك الحزب العسكرى بقيادة ـ عرابى ليحمى مبادئه • وانى لا املك الا أن اهنىء الوزارة الفرنسية على رفضها مشـاركة الانجليز فى ضرب الاسكندرية •

كان صوت كليمانصو المتشبع باتزان السن ينسم ببعض العدالة ، وان كانت تفوح ثناياه بالمطامع الاوروبية التقليدية.

ولكن جريدة الليـيـون كانت تلعب لعبة الصراع الفرنسى بكل ابعـاده ••• بالعجز العسكرى ، وباللجوء الى الآخرين ففى عدد ٢٧ يوليو١٨٨٢ هللت بانضمام كل المصريين الى عرابى منذ قلده مجلس الاعيان رئاسـة الجيش • واعـوان يتنافسون يوما بعد يوم ، والامـدادات والسلاح ينهـال على الجيش المصرى من جميع الانواع • ويتقاطر ذوى النفوذ من الاعيان والعربان ليقدموا ولاءهم وخدماتهم اليه • فاذا تقـدم الجيش الانجليزى لمحاربة عرابى فسـيكون مآله الهزيمة المحققـــة • ولما وقف مكـانه ـ فى الاسكندرية ـ فان ذلك اعـلان لعجزه المطلق » ••

ولكن الانجليز كان لهم رأى آخر • وأيضا صحافتهم • فعل هذا عجز السلطان التركى اتخاذ موقف فى مؤتمر الاستانة ـ بينما المعركة محتدمة فى الاسكندرية انتهزت التايمز البريطـانية الفرصـة لتتحدث فى ٢٧ يوليو عن الزمن الغالى الذى فقدته انجلترا فى اضاعة فرصـة استقلال مصر عن الباب العالى وادخالها فى الحماية البريطانية •

« ولكن قد واتت الفرصة الآن وصار **من المؤكد انه عندما تضعف ثورة عرابى باشـــا وتقتحم قواتنا أبواب القاهرة ، فعلينا ان نعلن استقلال مصر عن الدولة العثمانية ، ثم تشكل مجلسا مؤلفا من اعيان البلاد بالقوة القهرية ونكرهه على الاعتراف بالحمـــاية الانجليزية وخلـع سيادة السلطان التركى » •**

● بسمرك وجلادستون ●

مع أن فرنسا كانت المنافس التقليدى لانجلترا فى هذا الصراع ، الا أن ألمانيا بسمارك كانت الطرف الاقوى فى الميدان بل كان هو العصا الذى أرادت به فرنسا أن تخيف به بريطانيا فى أوروبا •• ولو أن بسمارك فى هذه المرحلة بالذات كان يمارس الفصـــل الاخير من حيويته فى تاريخ اوروبا ، الا انه على حـــد قول الناسيونال الفرنسـية كان السـياسى الواســع الافق الفطن الذى رفع دولة ـبروسيا الى مملكة واسعة الارجـاء • والذى ازاح انجلترا من الاتفاق الاوروبى لينقل مركز الثقــل السياسى الى برلين وفيينا • ومن ذلك التاريخ أصبح صاحب السطوة فى اى تحرك سياسى فى اوروبا.

« والغريب ـ كما تقول الناسيونال ـ ان يتجنب رجل السياسة بســمارك المتمكن من عسكريته كل ما من شانه أن يثير الحروب ، مع انه لا يزال متمتعــا بكل قدراته السياسية والعســكرية • بينمـا جلاد ســـتون رئيس الوزراء البريطانى يعتقد أن حل المشاكل بالقوة هو أسهل الحلـــول • وتدخله فى مصر هذه المرة ـ وان تعلل بالمصالح الانجليزية ـ فليس له الا معنى واحد هو رغبته فى الانفراد بالحملة على مصر دون اعتبـار لوضع الباب العالى ولا للحقوق الاوربية

وعبر الخراب الذى لحق بالاسكندرية يمكن تصــور الرجل الذى يدعو الى الاصـــلاح فى انجلترا ويدافع عن حرية ايرلنده ، ويندد بسلفه بيكو نسـفيلد لاعماله الاستعمارية الخطرة • وكان بهذا التخريب قد تناسى آرائه الخاصة التى وصل بها بحزب الاحرار الى الحكم فى

● كان الوعي العرابي يصد سيطرة الاحتكارات الاوربية على السوق المصرية ورفع شعار تمصير الديون

انجلترا واصبح الان يقف الى جانب خصومه السابقين من تلاميذ مدرسة بالمرستنون الاستعمارية .. ولاشك فان مساعدة فرنسا لانجلترا كانت تعوضها الكثير عن فقدانها للادراك السليم في المعاملات الدولية . ولكن غياب جامبيتا - رئيس وزراء فرنسا السابق - وشعور الانجليز بعجز الدولة العثمانية عن التدخل . ثم قصور انجلترا بان سكوت بسمارك المخيف هو استحسان لاعمال انجلترا مما شجعها على تصرفاتها المنفردة .. ان فرنسا لا توافق على هذه الاعمال بعد ان تأكدت نوايا وزارة الخارجية البريطانية العدوانية . وتخلت روسيا تماما عن الاتفاق الانجليزي ، بل سهلت للباب العالى تدبير ثلاثمائة الف جنيه لتجهيز التجريدة المصرية باعفائه هذه السنة من القسط الاول من الفرامة المدين بها منذ حرب ١٨٧٦ . ونحن الفرنسيين نتوقع اسوأ النتائج لانجلترا من تهورها ، لثقتنا في قدرة بسمارك على خلق المتاعب للانجليز قوية ، ونفوذه في اوروبا كبير ، واياديه يمكن ان تمتد الى كل مكان حتى الشواطىء الانجليزية نفسها . وان كان من الصعب التكهن بالمنتصر اذا تورطت في حرب مع المصريين » .

المصالح الاوروبية كانت هي الاساس في الصراع .. وهي الهدف ، وهي المعركة .

فالمؤتمر في الاستانة كان قد قرر ان الحفاظ على حرية مرور السفن في ترعة السويس وحل القضية المصرية يتعلقان بمصالح اوروبا ، وان هذا الحل سيتم وفق الاتفاق الاوروبي كما قالت الميموريال دبلوماتيك في غضب فرنسي شديد . « فان تذرع انجلترا بان ترعة السويس هي الطريق الى الهند لايمكن ان يبرر مؤامرات جلادستون في مؤتمر الاستانة أو الاعتداء على الاسكندرية وضرب اهلها العزل بقنابل الاسطول البريطاني . لان مصالح انجلترا - مهما كانت اهميتها - لا يمكن أن تزيد أهمية من حقوق الباب العالي والمصالح الاوروبية فان ادعت انجلترا أن من حقها الدفاع عن القناة فان للباب العالي حق اكثر في الدفاع عن اقليم من اقاليم مملكته .. مصر . ولاوروبا الحق في أن تساعد تركيا في الذود عن حقوقها بحكم المواثيق والمعاهدات المبرمة بينهما . غير أن ما يحدث الآن هو أن الخديو فقد كل سلطاته في الحكم لان هذا السلطان انتقل الى يد الاميرال الانجليزي . وقد أقامت انجلترا نفسها محل ثلاث قوى : السلطان التركي سيد البلاد . والخديو الحاكم القانوني . والدول الاوروبية بحكم معاهداتها مع الدولة العثمانية » .

وتضمنت الميموريال أسرار المؤامرة الانجليزية في مؤتمر الاستانة والتي خدعت بها الدول الاوروبية لتنفرد بغزو مصر . « فاللورد دوفرين لم يكن صادقا حين أعطى الحق في ضرب الاسكندرية

متعللا بتأخر الباب العالى فى قبول قرار المؤتمر . فقد اتخذ المؤتمر قراره بتدخل تركيا فى ١٥ يوليو . وبعد مضى أربعة أيام - فى ١٩ يوليو - أبدى الباب العالى رغبته فى المشاركة فى المؤتمر ، فلم يكن قد مر على انعقاد المؤتمر وموافقة تركيا على الانضمام اليه سوى عشرة أيام فقط . وهى فترة لا تعطى انجلترا الحق فى اعتبار السلطان متلكئا فى الموافقة وأن تسرع فى اتخاذ اجراءات الغزو لمصر منفردة ، بينما كان القرار لا يزال يناقش على مائدة المؤتمر التى يجتمع حولها كل مندوبى أوروبا وبينهم روسيا » .

ولم يكن التخبط الاوروبى والعجز عن اتخاذ قرار حاسم واضحا فى المؤتمر وحده . بل كان ذلك أوضح على صفحات الجرائد التى راحت تصرخ وتهدد على الورق باسم الدول الاوروبية ، كما فعلت المانيا التى كانت كل الدول الاوروبية تتكل عليها ، بينما راحت من جانبها تعلن على صفحات جرائدها (الفازيت دى كولون) أن المانيا تمثل المصالح الاوروبية كلها . ايطاليا والنمسا وروسيا واسبانيا فى المسألة المصرية . ولو انها أقل هذه الدول مصلحة فى هذه المنطقة . ولكنها تدافع عن حقوق هذه الدول بوصفهم حلفائها . ولذلك فانها لم توافق أبدا على انفراد انجلترا بالغزو وضرب الاسكندرية بالمدافع . كما انها طلبت من هيرشفليت مندوبها فى مؤتمر الاستانة أن يؤيد السلطان ويدعم مطالبه وأن ينذر انجلترا - باسم اوروبا كلها - بسوء المصير » .

ولكن تبرهن « الكورير دى فرانس » على موقف المانيا الصلب والمتشدد - بعد فترة الحياد الطويلة - ذكرت أن نصيحة بسمارك هى التى دفعت السلطان للانضمام الى المؤتمر واقتناعه بقبول الشروط الانجليزية بعد أن أكد له هيرشفليت مندوب المانيا فى المؤتمر بانه اذا تمادت انجلترا فى مناوراتها فان المانيا وحلفاءها يقفون الى جانب السلطان ويدافعون عن حقوقه الكاملة فى مصر » !

ومع المانيا وفرنسا أرغت الصحف الايطالية وازبدت تهاجم الخيانة الانجليزية للاتفاق الاوروبى وتهددها بالويل والثبور . اذ ليس فى وسع انجلترا ان تحمل الدول الاوروبية عن الرضا عن موقفها من المسألة المصرية . وعلى حد قول البريريتو الايطالية « فان الدول الاربع فى انتظار ما يأتى به المستقبل وترجو أن تجنب انجلترا المشاكل . ولكن لا يصبح تفسير سكوت الدول الاوروبية الاربع حتى هذا الوقت بانه موافقة على التصرفات الانجليزية » .

وحتى الصحف الانجليزية التى كان من المفروض أن تؤيد الغزو الانجليزى كان ينتابها فى بعض الاحيان القلق والخوف من الغضب الاوروبى .. وفى بعض الاحيان الاخرى كانت تبدى دهشتها - كما فعلت الجلوب الانجليزية - من التغييرات الواضحة على تصرفات جلادستون وجرأته . فقد بدلت انجلترا تعاونها مع المانيا والنمسا بالاتفاق مع روسيا وفرنسا . فى الوقت الذى ترى فيه كل من الدولتين - روسيا وفرنسا - أن ما تفعله انجلترا لا يمكن أن يؤدى الى كسب الموقف الجماعى الاوروبى . ولذلك بدأتا تتباعدان وتنضمان الى الفريق الغاضب حتى أصبحت انجلترا اليوم وحيدة فى الميدان . وان كان هذا هو الذى يدفعها الى الاسراع والجرأة فى اتخاذ الخطوات العسكرية لعلها تريد تعويض تأييد الآخرين لها بتصرف عنيف تغطى به وحدتها » .

● عمال أوروبا ●

ولم يكسب عرابى فى أوروبا غير الاحزاب العمالية التى كانت أكثر الاصوات فهما للجانب الاجتماعى فى المسألة المصرية ، وأصدقها تعبيرا .. ففى ٣ يوليو أقيم فى قاعدة ريفولى بباريس مؤتمر لحزب العمال الفرنسى لمناقشة المسألة المصرية ، اجمع ممثلو العمال

● كسب عرابي في أوربا الاحزاب العمالية التي كانت أكثر الاصوات فهما للجانب الاجتماعي في المسألة المصرية ، وأصدقها تعبيرا .

على استنكار العدوان الانجليزى على مصر وأعلن كلوفيس هوجس النائب العمالى فى مجلس النواب الفرنسى رفض التدخل البريطانى « فان جميع الاحزاب الفرنسية فى البرلمان أيدت الاعمال العسكرية فى تونس ، الا حزب العمال الذى قاوم تلك السياسة ، وهو يكرر اليوم موقفه من الاعتداء الانجليزى على سيادة مصر » . ووافق المؤتمر على قرار أعلنه « المان » سكرتير حزب العمال الفرنسى يطالب فيه بالتنديد بالحكومة والمجلسين النيابيين (الشيوخ والنواب) الفرنسيين اللذين لم يستنكرا العدوان الانجليزى على مصر ويحذرهما من مجرد الحياد التى يتيح لبريطانيا البطش بالشعب المصرى » .

أما حزب العمال البريطانى فقد ثار على عدوان حكومته وعارض كل تدخل عسكرى فى الشئون الداخلية لمصر لانه تدخل غير شرعى وغير قانونى ولان الحكومة البريطانية تحاول القضاء على آمال الشعب المصرى وتعتدى بوحشية على حريته لمصلحة أصحاب البنوك الانجليز ولو ضربت فى سبيل ذلك بالشرف البريطانى عرض الحائط » .

وأعلن لوزون عضو النواب الانجليزى عن تشكيل لجنة لابلاغ الحكومة البريطانية برأى عمال بريطانيا ومطالبهم « بحل المشكلة المصرية حلا سلميا واحترام ارادة المصريين » .

● لولا الخيانة ●

قال سليم نقاش أحد مؤرخى هذه الحقبة من تاريخ مصر ان عرابى وزملاءه كانت تصلهم تلك الانباء والبيانات فيغرون بالموقف الاوروبى ويزداد تشددهم حتى ان عرابى كان يدلى بالاحاديث لممثلى الصحافة الاجنبية مؤكدا ثقته بان الانجليز لن يحاربوا في مصر خوفا من تقليب الدول الاوروبية عليهم .

لم يصدق عرابى ـ أمام هذه الانباء المتلاحقة والمقالات الثائرة فى صحف الدول الاوروبية الاربع ـ أن انجلترا يمكن أن تضرب عرض الحائط بهذا الاجماع الاوروبى ، وأن تتجاهل تهديدات المانيا وأن تستمر فى مخططها العسكرى . وقد خيل اليه فى بعض الاحيان انه قد كسب معركة اللعب على التناقض الاوروبى كسبا محققا ـ خصوصا أثناء عقد مؤتمر الاستانة ـ وقراراته الاولى ، حتى انه رفض أن يصدق وصف جريدة « الطان » الفرنسية لخطة الغزو الانجليزية فى مصر والذى نشرته فى ١٢ أغسطس بكل تفاصيله واحتمالاته العسكرية قبل المعركة بأكثر من عشرين يوما . فقد نفذ وما نشرته « الطان » الفرنسية قبل بدء المعارك بسبعة وعشرين يوما هو الذى حدث تماما .. وهو ما يدل بصرف النظر عن النتائج المؤسفة ـ فان عرابى قام بواجبه العسكرى كأكمل ما يكون القائد ، وباعتراف جريدة أوربية ، عن توقعاته وتحصيناته .. وان كان المفروض حسب القواعد العسكرية ـ كما توقعت « الطان » ـ ان يكون احتمال مقاومته وهزيمة الجيش البريطانى أقرب الى العقل .. لولا المؤامرات حوله فى العالم . والخيانة فى داخل معسكره . بعد عام كامل من الصراع الذى كان يملأ أوربا ومراكزها السياسية والدبلوماسية وصفحات جرائدها ، ثم تم الاتفاق . وكانت هزيمته الثمن ●

ديوان لورا الأسيوطي

مرفأ الذكريات

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

● هذه الشاعرة التي كانت تتغنى بشعرها في الندوات والامسيات والمهرجانات الشعرية طيلة ربع قرن من الزمان ، قد فقدها الشعر العربي المعاصر ، وفقدنا بموتها شاعرة من اصفى الشاعرات نفسا وارقهن خلقا ، واكثرهن ظرفا وادبا .

وماتت لورا الاسيوطي شاعرة الرحلات في الشعر العربي المعاصر ، والتي قال عنها العقاد : انها رائدة شعر الر حلات في مصر ، وقال عنها انها رائدة الشعر النسائي العربي ، وقال عنها أيضا : ـ

انها شاعرة ممتازة وليست بحاجة لان يقول احد رايه فيها .

واشاد بشعرها في الرحلات او الشعر السياحي محمد فريد ابو حديد ، وكامل الشناوي ، وعلى مصطفى المطراني ، وسواهم .

وشعر الرحلات في ديوانها الذي صدر بعد وفاتها ، شعر متميز رائع ، مملوء بالصورة الفنية الجميلة ، وبالاجنحة الشعرية الفاتنة ـ وهو شعر عاطفي ، تتغنى فيه الشاعرة ـ بجمال بلادها في اطار فنائي يبرز الاحساس بالطبيعة ، ويبرز مواطن الحسن في واديها الحبيب ، على شاعرة ، تنتقل من مشهد الى مشهد حيث تتعدد المشاهد ، ويمثل كل مشهد بذاته قصيدة ، وترتبط المشاهد كلها وحدة فنية ، فيها الطبيعة حيث السحر والجمال . واحيلك على الديوان لتقرأ قصائد الشاعرة عن : ـ

١ ـ رحلة الفيوم .
٢ ـ ورحلة حلوان .
٣ ـ ورحلة ستانل .
٤ ـ ورحلة المعمورة .
٥ ـ ورحلة المنتزه .

وقصيدتها اشراقة الربيع في مصر ، وقصيدتها الاخرى لفترة على السلسلة .

ففي كل هذه القصائد البديعة تجد الشاعرة وعاطفتها روحها وذاتها وراء كل منحنى ، وعند كل منعطف ، ولدى كل منظر ساحر من مناظر الطبيعة الخلابة في بلادنا الجميلة . ولا يمكن الاقتباس من هذه الملاحم الطويلة الساحرة ، وهي في الديوان صور فاتنة من الجمال والسحر والهوى والشباب .

وديوان « مرفأ الذكريات » الذي صدر هذه الايام بعد وفاة الشاعرة في نحو الثلاثمائة صفحة . تحفة فنية رائعة ، ومن المشاعر الحادة ، والعواطف الصادقة ـ والتجارب الانسانية العميقة .

ومن هذه الصور ، وجمال الخيال ، وروعة المضامين .

ويتنوع شعر الديوان من شعر الرحلات الى الشعر الوطني والاجتماعي والشعر الذاتي الوجداني العاطفي ، وشعر الاسرة ، والشعر الانساني .

وفي شعرها تقول الشاعرة من قصيدتها « ازمة الضمير والاخلاق » .

ماذا اقول اذا لم تدركوا ادبي
وما يغرد في اوتار ابياتي
وقد زعمتم بان الشعر يدفعني
الى افتضاح الهوى في بث اناتي
اما علمتم بان الحب عاطفة
تسمو باروحنا فوق السماوات .
والشعر ان لم يكن في الهوى صورا
فليس بالشعر اذ لم يشف علاتي .
اليس ما قيل في بث الهوى ادبا
ما زال يحيا على سر الحكايات .
وانني في الهوى للحب شاعرة
اصور الحب في شعري واهاتي .
ومن قرون مضت قد عاش اشهرهم
وفي الورى نشروا ارقى الحضارات
وكل من ملكوا في الشعر ناصية
من اللغات وفي كل اتجاهات .
لم ينظموا الشعر الا عن عواطفهم
وما يفيض على الوجدان والذات .
من ذا يترجم عن نفس عواطفها
كالبحر تزخر لم تفصح لموجات .
ولا اشير الى الحب وعاطفة
اصوغها عن حياتي وابتساماتي .
وقصة الحب في شعري اخلدها
حتى اخلد في العشاق ابياتي .
فاستمد اصول الحب في ادبي
من الحياة ومن وحي ابتساماتي .
وسوف اخلد في حبي وعاطفتي
وسوف اخلد في شعري وابياتي .

وصدقت الشاعرة فهي خالدة في شعرها وابياتها في ديوانها الجميل (مرفأ الذكريات) في صورها الفاتنة في شعرها في الرحلات ، وفي قصائدها البديعة من مثل قصيدتها في امها وعنوانها · (يا جدول الحب) وقصيدتها : (ابنتي احلام) · وقصيدتها الوطنية : (ساهرون) وغيرهما من روائع شعرها ، خوالد الحانها الجميلة المعبره عن شاعرة وهبت نفسها للشعر والهوى الطبيعيه والجمال .

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون

• تاليف : حاجي خليفة •

• اعداد : محمد الساكت •

بدأت النهضة العلمية والادبية عند المسلمين بعد الفتوح العربية ، وانتشرت حتى اوجدت حضارة عالمية لا يقل اثرها عن الحضارة الاغريقية ، بل ان الحضارة الاسلامية اعمق منها اثرا واوسع انتشارا ..

كما ان فضل الحضارة العربية على الاغريقية كبير ، فالشعوب العربية هي التي تعهدت الثقافة الاغريقية وحافظت عليها كما حافظت على غيرها من حضارات الفرس والهند وغيرها ، ثم اضافت الى التراث القديم اضافات كثيرة كان لها فضل كبير في تقدم المدنية الاسبانية .

كما انها تغلغلت في نفوس كثير من الشعوب وصبغتهم كما طبعتهم بالطابع العربي ، فتركوا دياناتهم وهجروا لغاتهم ، واقبلوا على الدين الاسلامي فاتخذوه لهم دينا وعلى اللغة العربية فاتخذوها وسيلة التخاطب والكتابة والتاليف ، ونسوا لغاتهم القديمة ، وهذا ما لم تحدثه اية مدنية اخرى ..

ومن الامثلة على ذلك أهل الشام ومصر وشمال افريقية ، فقد أصبحت كل هذه الشعوب تعتبر نفسها عربية لحما ودما .

ورغم أن هذه الحضارة قد انتجت انتاجا علميا كبيرا ، وان هذا التراث العقلي كله قد دون في كتب ، الا أن الاحداث التي مرت بهذه الشعوب جعلت بعض هذه الكتب تصل الينا ناقصة ، وفقد بعضها كله ولم يصل الينا منه شيء اذ وصل الينا منه بعض الملخصات والشروح التي قام بها من اطلع على تلك المؤلفات الاصلية .

أضف الى هذا أن أصول الكثير من الانتاج العقلي للشعوب العربية قد تسرب الى العواصم الكبرى في كثير من البلاد وخصوصا في البلاد الاوروبية فاصبح الوقوف على الموجود منها ، أمرا صعبا ، وأسهل الطرق لمعرفة الموجود من هذا التراث المبعثر في انحاء العالم هو البحث في المراجع البيليوجرافية القديمة التي ورثناها عن السابقين .

***

وحين يطل العصر العثماني نجد تاريخ آداب اللغة نراه قد امتاز بنبوغ طائفة من المؤرخين والكتاب في الروملي والاناضول ، ومن اشهرهم حاجي خليفة صاحب معجم كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون .

وحاجي خليفة هذا هو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ، القسطنطيني المولد والمنشا الحنفي المذهب الاشراقي المشرب

الشهير بين علماء البلد بكاتب جلبي ، وبين اهل الديوان بحاجي خليفة ، وأبوه من رجال الجند ، ولما ترعرع استخدم كاتبا فى نظارة الجيش بالاناضول وانتقل الى بغداد وارتقى فى المناصب حتى صار من رؤساء الكتاب وعاد سنة ١٠٢٨ هـ الى الاستانة واشتغل بالعلم ثم اعيد الى بغداد وهمدان ، وصحب الصدر الاعظم محمد (باشا) الى حلب وحج من هناك ، وسمى من ذلك الحين (حاجي) ، ثم شهد حرب أروان وتفرغ بعد ذلك للعلم ، ولقب خليفة منذ كان معاونا او وكيلا فى مصلحة المؤونة فى الاستانة .

والمعاون عندهم يسمى خليفة . ولم يفسروا سبب تلقيبه بكاتب جلبي وهو اللقب الذى اشتهر به المترجم له بين العلماء .

وقد اخذ فى ملازمة مشهورى العلماء ، فسمع التفسير من أعرج مصطفى افندى وعلوم الحديث من عبد الله الكردى افندى ، والمنطق والنحو من ولى الدين أفندى ، كما سمع علوما أخرى من أساتذة آخرين .

ولقد حبب الى حاجي خليفة وهو فى حلب أن يدون اسماء الكتب التى يقع عليها عند الوراقين والتى كان يجدها فى خزائن الكتب العامة والخاصة وكان معنيا فى الاكثر بكتب التاريخ والطبقات والوفيات ، وحين استقر به المطاف فى الاستانة واصل ما كان بدأ به هناك فى حلب واذا هو يجد فى مكتبات الاستانة الشيء الكثير .

وقد كتب له أن يرث اموالا عن بعض قرابته سنة ١٠٤٧ فانفق جلها فى شراء كتب منها ، الى ما كان قد اقتناه من قبل فى تطوافه .

وهذه الحال المملوءة كدا فى التحصيل وسهر الليالى الى مطلع الفجر ، خلقت من صاحبنا عالما فاضلا ومؤلفا مكثرا فى فروع مختلفة أملتها عليه ثقافته وبيئته ورحلاته ووظيفته .

***

وحاجي خليفة يذكر فى ترجمته انه بدأ بتدوين اسماء الكتب أيام اقامته بحلب فى سنة ١٠٤٣ هـ . وكان هذا التدوين هو التمهيد الاول لكتابه كشف الظنون او كان البدء فى تأليفه .

وقد انتفع المؤلف من جميع المراجع والمؤلفات التى ألفت قبله وخصوصا ، كما جاء فى التصدير لطبعه الحكومة التركية سنة ١٩٤١ ص (٤) ، كما ذكر انه أطلع على جميع الكتب والمكتبات التى كانت موجوده بالقسطنطينيه ، وقد كانت فى ذلك الوقت عاصمة الخلافة الاسلامية ثم انتقل الى مدينة حلب بالشام وأطلع على أمهات الكتب التى كانت بها .

وهكذا جاء مؤلفه هذا اوفى ما جمع من نوعه ، وصار أكثر اعتماد الباحثين عليه وخصوصا لانه رتب جميع موارده ترتيبا هجائيا بحسب حروف اللفظة الاولى واعتمد عند ترتيب الكتب على الكلمة الاولى من عناوينها ، كما ذكر كل علم فى ترتيبه الهجائى فجاء الكلام مثلا على علم الفقه فى حرف الفاء .

وقد وصف طريقه ترتيبه للكتاب فى المقدمة بقوله : « ورتبته على الحروف المعجمة كالغرب والاساس . حذار عن التكرار والالتباس ، وراعيت فى حروف الاسماء الى الثالث والرابع ترتيبها فكل ماله اسم ذكرته فى محله مع مصنفه وتاريخه ومتعلقاته ووصفه تفصيلا وتبويبا ، وربما اشرت الى ما روى عن الفحول » من الرد والقبول » واوردت ايضا اسماء الشروح والحواشى ، لدفع الشبهة ورفع الغواش . مع التصريح بانه شرح كتاب فلانى وانه سبق او سيأتى فى

فصله بناء على أن المتن اصل والفرع أولى أن يذكر عقب أصله وما لا اسم له ذكرته باعتبار المضاف اليه كتاريخ ابن الاثير وتفسير ابن جرير وديوان المتنبى ورسالة ابن زيدون وكتاب سيبويه . وما ذكرته من كتب الفروع قيدته بمذهب مصنفه على اليقين وما ليس بعربى قيدته بأنه تركى أو فارسى أو مترجم يزول به الابهام ، واشرت الى ما رأيته من كتب بذكر شيء من أدلته للاعلام . وهو أعون فى تعيين المجهولات ورفع الشبهه ، واما اسماء العلوم فذكرتها باعتبار المضاف اليه فعلم الفقه مثلا فى الفاء وما يليه كما نبهت عليه مع سرد اسماء كتبه على الترتيب المعلوم ، وتلخيص ما فى كتب موضوعات العلوم كمفتاح السعادة ومصباح السيادة) .

***

وقد جاء كذلك فى التصدير المذكور (ص ٤) وصف اهمية هذه الموسوعة بقوله : « وعلى كل حال فهذا الكتاب اوعب الكتب المصنفة واوسعها فى بيان احوال الكتب وان كان لا يخلو من اغلاط الوفيات واسماء المؤلفين والمؤلفات كما هو شان من قام بنفسه بمثل هذه المهمة العظيمة المشكورة ،اشتغل به مدة عشرين سنة وكتب فيه زهاء ١٥،٠٠٠ من اسماء الكتب والرسائل وما ينيف على ٩،٥٠٠ من اسماء المؤلفين وتكلم فيه عن نحو ثلاثمائة علم وفن .

وقد صدر الكتاب بمقدمات فى احوال العلوم قسمها الى أبواب ثم قسم هذه الابواب الى فصول :

الباب الاول : فى تعريف العلم
- الباب الثانى : فى منشأ العلوم والكتب .
الباب الثالث : فى المؤلفين والمؤلفات
الباب الرابع : فى فوائد مأثورة عن ابواب العلم
الباب الخامس : فى لواحق المقدمة عن الفوائد وهى مقدمات جليلة الشأن .

ونظرا للفائدة الكبيرة فى الموسوعة البيليوجرافية فقد عنى بتحقيقها الكثيرون

واوفى هذه الطبعات هى طبعة ليدن سنة ١٨٣٥ - سنة ١٨٥٨ بعناية المستشرق فلوجل مع ترجمة لاتينية فى سبعة مجلدات كبيرة ووضع بجانب اسماء الكتب أرقاما مسلسله من ١ - ١٤٥٠١ وذيله بمجلد كبير فيه فهرس أبجدى بالافرنجية لاسماء المؤلفين وضمنه قوائم المكتبات الموجودة فى عصر الناشر بدمشق والقاهرة وحلب والاستانة ورودس وهى نحو ٢٥ مكتبة بلغ عدد كتبها نحو ١٣٠،٠٠٠ كتاب ورتب كتب كل مكتبة حسب الموضوعات . وطبع أيضا فى مطبعة بولاق فى ثلاثة اجزاء سنة ١٣٧١هـ وطبع طبعة أخرى فى الاستانة فى مجلدين كبيرين سنة ١٣١١ هـ ،وبذل فى تحقيقها مجهودا كبيرا عنى باخراجها عناية فائقة فجاءت منقحة وخالية من كثير من الاخطاء الموجودة فى غيرها .

وبآخر الجزء السادس من طبعة فلوجل ذيل يسمى (اثارنو) تاليف احمد ماهر الشهير بحنيف زاده . وهذا الذيل يضم مؤلفات عربية وفارسية وتركية ليست فى كشف الظنون . ويعد هذا فهرس للكتب التى فى المغرب ثم فهرس بمؤلفات جلال الدين اسيوطى .

وكان أول من ذيل على كشف الظنون هو محمد عزتى افندى المعروف بوشنه زاده المتوفى سنة ١٠٩٢ هـ. ولا يزال ذيله مسودة .

وهناك ذيل آخر لكشف الظنون اسمه (ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون) وفيه نحو من ١٩،٠٠٠ كتاب وهو مطبوع فى مجلدين لاسماعيل باشا البغدادى المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ .

***

هذا هو « كشف الظنون » استقصى مؤلفه ما وسعه الاستقصاء ، وهو ولاشك مرجع هام زود به المكتبة العربية ويجب العناية بهذه المراجع الهامة التى اثرت فى الحضارة الانسانية حتى تحفظ للأمة العربية تراثها على مر الاجيال والسنين ●.

لا تيأسي..!

• سالم حقي •

قد .. يَنقرُ البلبلُ بابَ عشنا !
قد .. يزهر السوسن .. في بيدائنا !
قد .. تشرق الشمس علينا .. مرة
أخرى .. ويزهو النور في ظلمائنا
قد .. يَبرأ الجرح الذي يقتلنا
وتضحك النجوم في سمائنا !
قد .. يعرف الشوقُ الغريب أهله
ويسبق الزمانَ .. صوبَ دارنا !
قد .. تغفر الدنيا لنا .. ماساءها
منا .. ويعفو الدهرُ .. عن أوزارنا
قد .. يرسل الطير اللهيف .. شجوه
وينبض الشعرُ .. على لهاثنا !
قد .. يزخر النهرُ الشحيح فجأة
وتكثرُ الحنطة .. في ديارنا .. !
قد .. يرجع الحبُّ .. إلى أوطانه !
ويرجع الدفءُ .. إلى أحضاننا !

***

حبيبتي ! مهما يكن حمقُ الهوى!
ورغم ما تعرف .. من أخطائنا
لا تيأسي ! لا تيأسي ! .. لا تيأسي
من رحمة الأقدار .. والحب .. بنا!

إضافة وتعقيب

• احمد رمزى •
السفير السابق

● في السلسلة الثقافية القيمة لكتاب الهلال ، صدر كتاب « مذكرات الاميرة جويدان » ..

وفى هذه المناسبة لى تعليقات واضافات :

١ – ليس لدينا اى دليل على ان الخديوى عباس الثانى كان متزوجا من سيدة تركية بهذا الاسم ، وانما لدينا احتمالان اثنان عن صاحبة هذه المذكرات لوجود سيدتين اجنبيتين فى حياة الخديوى عباس ، قد تكون احداهما حملت هذا الاسم التركى .

الاولى مدام لوذانج الفرنسية ، وكان اسمها واردا ضمن كشف الممنوعين من دخول الاراضى المصرية – وهو كشف كانت ادارة الامن العام بالداخلية توزعه على القنصليات عام ١٩٢٥ وبعد ذلك .

ولقد رايت هذه السيدة بالقدس امام مكتب الاستقبال بفندق الملك داوود (كنج دافيد) حين اشار لى موظف بالاستقبال اشارة خفية بان انظر لجوارى فنظرت ، فاذا بسيدة فرنسية تزيد على الخمسين شقراء شعرها ذهبى عليها مسحة من الجمال ، وخلفها وصيفتان ..

وقد أسر الى الموظف بصوت خافت لا يكاد يسمع قائلا « لاكيدنفا » – اى تأنيث كلمة خديوى ، يقصد زوجته ..

كان ذلك فى يناير ١٩٣٦ ..

٢ – هذه السيدة الباريسية جاء ذكرها مرارا فى مذكرات الزعيم الراحل محمد فريد بك عن أيام الحرب العالمية الاولى وقرر انها كانت تتمتع بنفوذ كبير لدى العاهل السابق بل كانت السبب الاول فى اقناعه بالبقاء فى سويسرا المحايدة ورفض العودة الى تركيا – كما كانت تصر حكومة الاتحاديين – او الاقامة فى فينا كما كانت تنصح به برلين .

وذكر فريد بك انها كانت تتمتع بصلاحيات واسعة تمكنها من الذهاب الى فرنسا ومقابلة من تشاء ثم العودة الى سويسرا طول مدة الحرب .

واستبعد انها صاحبة المذكرات ، لانها لو كتبت مذكراتها لجاءت اكثر عمقا ولكشفت خفايا عن محاولات لعقد صلح منفرد لفرنسا او صلح يخرج تركيا من الحرب ، وهذه أمور يحاول رجال الحكومات اخفاءها ، وحتى اذا كتبت فانها لا تكتب بالالمانية بل بالفرنسية ، حينئذ فمدام لوذانج مستبعدة ..

٣ – فى مذكرات فريد بك جاء بشكل بسيط خارج عن الموضوع ذكر سيدة مجرية كانت على ذمة الخديوى عباس الثانى حتى ايام الحرب الاولى ، وذلك حينما اشترى بعض المجوهرات واهداها اليها ، ولم يذكر انها لعبت اى دور سياسى كالفرنسية .. فهل هى صاحبة المذكرات ؟.

انى لا استبعد بتاتا ان تكون هى التى حملت اسم جويدان التركى ..

ولقد قرات الترجمة التى نشرتها دار الهلال ، ورايتها تحمل الكثير من الانطباعات التى لا يمكن ان تصدر عن تركية او مسلمة ، وبوسع اى ناقد ان يقول بأن القسم الاكبر من هذه المذكرات من وضع رجل أوروبى يعرف الشرق ويكرهنا خصوصا توارد الاحكام

المرتجلة عن تاريخنا واعمال رجالنا . وعليه نجزم بوجود سيدة مجرية فى حياة الخديوى السابق لغاية قيام الحرب العالمية الاولى ، وان علاقاته بها انقطعت ابان هذه الحرب باهدائه هذه المجوهرات .

وهنا يصح لى ان اعرض السؤال الذي يتبعه البحث التالى :

٤ ـ هل تاريخ اسرة محمد على ـ رغم كثرة ما نشر عنها ـ يحوطه بعض الغموض ؟.

نعم يحوطه الغموض لكثرة ما نشر ضد افراد هذا البيت :

فى هذه النقاط تجاهل الكثيرين من الباحثين فكرة ان الاسرة تضم فرعين : الاول فرع محمد على ، والثانى فرع ابراهيم باشا ..

ثم هل هذا البيت من اصل البانى كما يقول الاوروبيون وفرع اسماعيل معهم ام ان هذا البيت من اصل تركى كما يقول فرع محمد على .

٥ ـ فالابحاث التى توصل اليها حمد الله صبحى وهو من مفكرى الاتراك والذى تولى تنظيم وادارة « التورك يوردى » ثم عينه مصطفى كمال سفيرا فى بوخارست ، اكدت له ان عائلة محمد على تنحدر من اصل تركى من مقاطعة تسطمونى فى آسيا الصغرى ، وان طبيعة عمله اى محمد على قضت بان تقل الى قولة فى مقدونيا ، ومن ثم عرف باسم « قوللى محمد على » .

٦ ـ ولقد جاء صدور الفرمان السلطانى بجعل وراثة العرش فى الارشد من سلالة اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بالاسفين الذى اقر حرمان الارشد من اسرة محمد على من تولى عرش مصر ..

فانقسمت الاسرة الى فريقين : فرع اسماعيل ثم هؤلاء الاحفاد الذين استمروا يؤكدون ان ابراهيم ابن زوجة محمد على من زوج سابق ..

٧ ـ وقد ادى حرمان هذا الفريق وشعوره بخيبة الامل من ناحية السلطان العثمانى الى الاندفاع فى تشجيع وتأييد حركة « الجون تورك » اى احرار الاتراك المطالبين بالدستور .

٨ ـ وارجح ان هذا الانقسام فى بيت محمد على هو الذى شجع الدعاية الواسعة ضد الخديوى اسماعيل ـ خصوصا ما كان ينشره ابو نظارة فى مجلته التى كانت تصدر فى باريس ، وكان هذا يتفق مع اساليب السياسة الاوروبية التى اعتبرت ان اسماعيل قد ادى ما كلف به ولم يعد صالحا للاستمرار فقرروا عزله ..

٩ ـ للحقيقة والتاريخ اذكر انى حضرت عدة جلسات بحضرة الخديوى السابق لاكثر من عشرين ليلة بالقدس ، شاركت كثيرا من رجالات مصر من السياسيين واهل الصحافة ورجال الصحافة ورجال الاعمال من ذوى الرأى والنفوذ واقرر بانى سمعت كثيرين من اسرة محمد على ممن يتكلمون العربية بطلاقة وكان منهم عباس حلمى وقد حاضرنا فى ليلة عن ترعة الاسماعيلية فاذا بذاكرته تعى اسماء العائلات والاعيان والعمد من سكان القرى من سرياقوس الى بلبيس والعباسة وذكر اعمال المهندسين الفرنسيين الذين اشرفوا على بناء القناطر والاهوسة وعدد اسماءهم وكان حديثه حديث خبير ..

ولا شك ان لكل عامل اخطاء لا يمكن انكارها وهذه انتهت بتدميره ولان كتشنر كان يكرهه ، ولكن من عبث القول ان شعب مصر كان يكره عباس الثانى ؛ بل العكس ان مصر اسفت لعزله اسفا كبيرا : **والغنية « زورونى كل سنة مرة » وفيها مقطع « وانا طول عمرى اناديكم » فيها دلائل كثيرة وكل الجيل الذى عاش ابان الحرب العالمية الاولى يذكر النداء « الله حى عباس جاى » ـ كان يردد بعد صلاة الجمعة ويسبب الكثير من القلق لسلطات الاحتلال واتباعها ..**

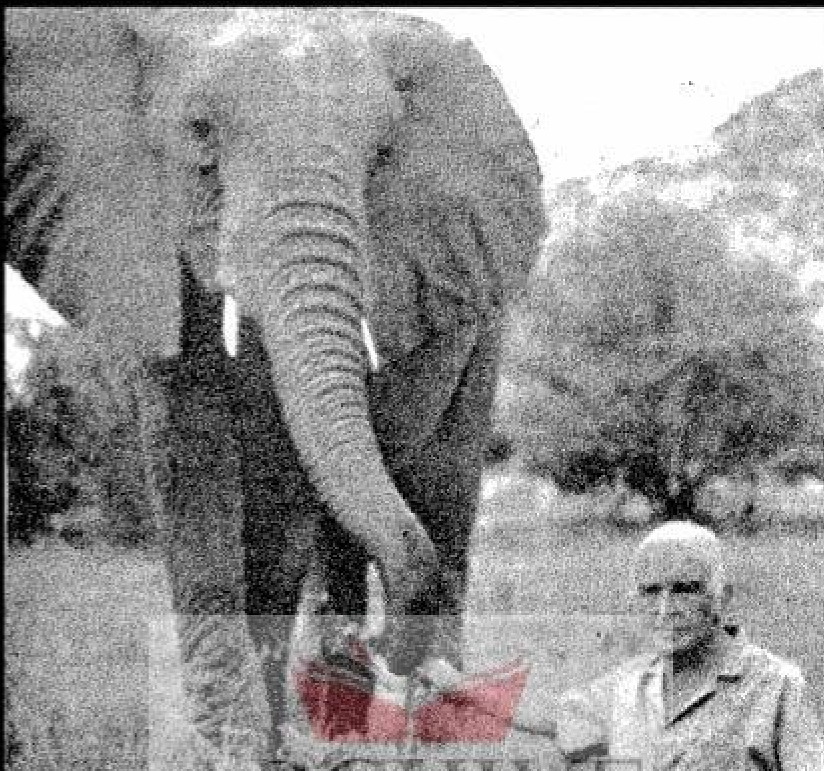
ان عباس الثانى بين يدى الله ، وانى اذ اكتب هذا اعرف اننى ساقف بين يديه تعالى لاحاسب عن كل كلمة بعيدة عن الحق ..

غابات جنوب السودان

حديقة حيوانات العالم

الحيوانات البرية كلها مهددة بالانقراض ، لان الانسان يطاردها فى كل ناحية ويستول على مجالات عيشها ، والامل الوحيد فى المحافظة عليها من الانقراض هى حقول الغابات التى تخصص لها فى مواطنها الاصلية ، فيحاط الحقل بسياجات من الاسلاك الشائكة ويحرم الصيد فيه وتترك الحيوانات على سجيتها لتعيش كما خلقها الله .

استئناس الفيل الافريقي من اصعب الامور على المختصين في دراسة الحيوانات والمروضين ، وفي الصورة ترى فيلا افريقيا مستأنسا يعيش في بيئته الطبيعية وقد روضه العالم فاصبح من اجمل نماذج هذا الجنس من الفيلة .



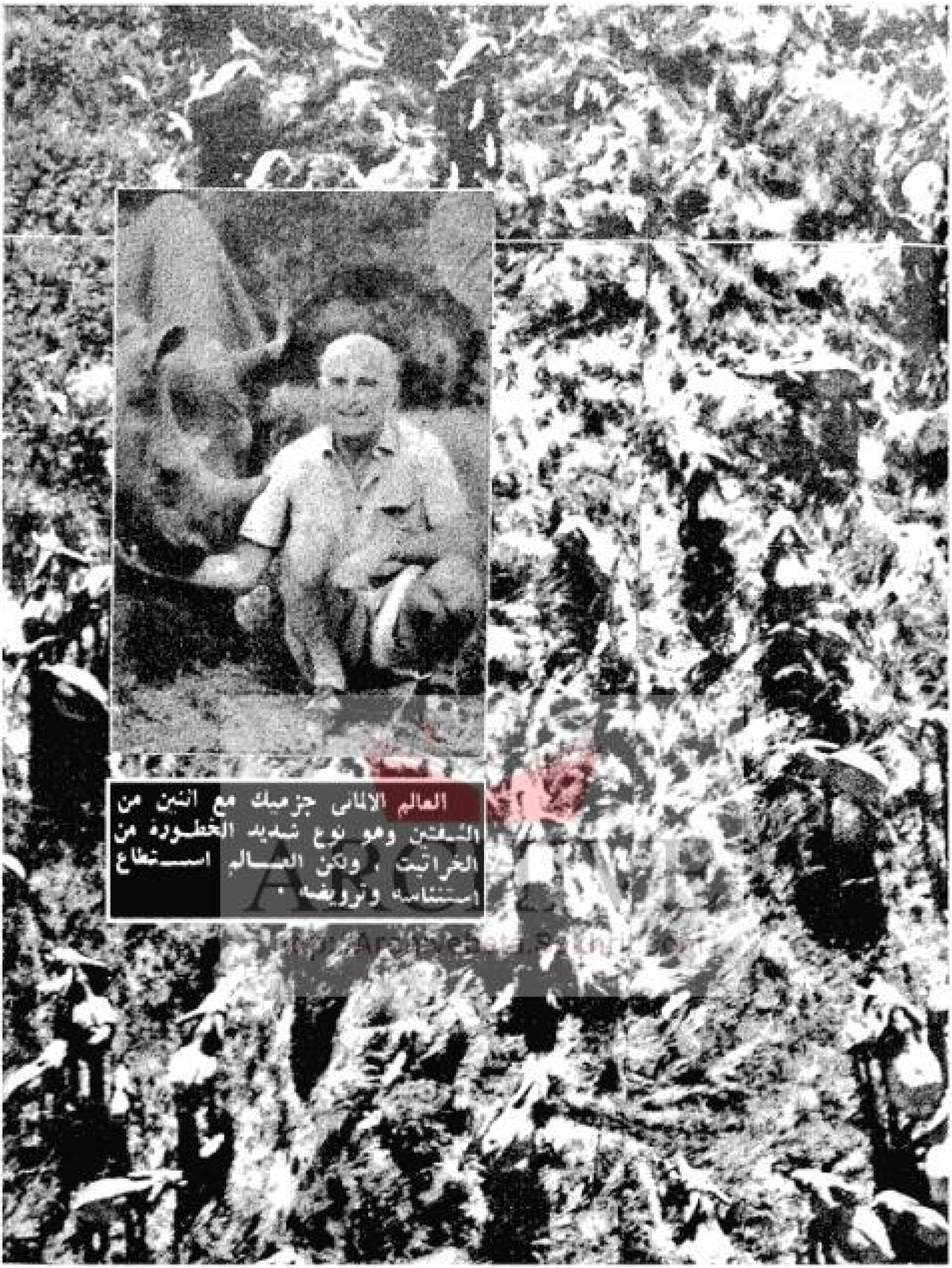
خريطة مصغرة للسودان وترى فيها حقل بيما للحيوانات الوحشية ومدينة جوبا عاصمة الجنوب السوداني .



● بعد بحث طويل اكتشفت الهيئات العلمية المعنية بعلم الحيوان وحماية الحيوانات البرية من الفناء انه يوجد في السودان النيل (الجمهورية السودانية) ثاني حقل طبيعي للحيوانات البرية على سطح الارض . ففي جنوب السودان والى الشمال الشرقي من جوبا توجد مساحة من الغابات قدرها ١٧٠٠٠ كيلو متر مربع لم يقتحمها الانسان ويعتدى على طبيعتها الفطرية ، وفيها تعيش قطعان كاملة من الفيلة وأفراس البحر والتماسيح والسباع والوعول والغزلان. وكلها تعيش هناك على سجيتها ، فالارض مغطاة بالغابات الاستوائية والمستنقعات والبيئة في ذاتها بالغة الجمال . وقد اكتشفت هذه المنطقة بالطائرة واقترحت الجمعيات العلمية على حكومة السودان المحافظة على هذه المنطقة كما هي ، بطبيعتها وحيواناتها دون أي تدخل أو تغيير . وعند عرض الأمر على الرئيس محمد جعفر النميري وافق على ذلك دون تردد ، ومن المعروف ان الرئيس النميري مع ولعه بالرياضة وزياراته المتعددة لاقاليم السودان لم يشترك في رياضة صيد الحيوان البري قط ، وفي حياته لم يرم حيوانا برصاصة .

والذي اكتشف هذا الحقل عالم انجليزي يسمى بيتر ماك كلينتون الذي يعمل لحساب جمعية المانية تسمى جمعية فرانكفورت لعلم الحيوان . وهي جمعية قديمة يرجع تأسيسها الى سنة ١٨٥٨ . وهو يعيش في هذا الحقل منذ سنة ١٩٧٧ هو وزوجته الالمانية . وقد زاره عالم حيوان مثله هو الاستاذ برنارد جرزيمك الالماني وهو اخصائي في دراسات الحيوانات البرية يعمل خبيرا في حكومة كينيا . »

وعندما التقى العالم الالماني بالعالم الانجليزي وجده هو وزوجته يعيشان في منزل ذي ثلاث غرف ، والغرف لها حائطان متقابلان فحسب ، ولم يبنى الحائطان الآخران (لتكون الغرفة من أربعة جدران كما هو المألوف ، لكي يمر الهواء من خلال البيت فان الحرارة شديدة ، وبدلا من الحوائط أقيمت ستور من القماش السميك المخرم . وسقف البيت مسقف من الميص وورق الأشجار ، اما المطبخ فقد أقيم في بناء صغير مجاور للبيت ، وقد بني من الطوب لكي يمكن المحافظة على الاطعمة من الضياع وغيرها من الحيوانات المتلصصة ، واحيطت المساحة كلها بالاسلاك الشائكة وفي هذه الظروف القاسية الى حد كبير يعيش العالم الانجليزي وزوجته منقطعين عن الدنيا في سبيل العلم .. ويضاف الى مصاعب هذه الحياة ان كل مطالب الحياة في هذه البقعة من جنوب السودان غالية جدا ، والراتب الذي يتقاضاه الدكتور كلينتون قليل ، فهو مضطر الى الأعتماد في غذائه الى حد كبير على



العالم الالمانى جزميك مع اثنين من الشفتين وهو نوع شديد الخطورة من الخراتيت ولكن العالم استطاع استئناسه وترويضه .

فى حقل بيما للحيوان البرى لا توجد طرق ممهدة ولا يمكن التعرف على ما فيها من الحيوان الا بالطائرات وفى هذه الصورة التى التقطت من الطائرة ترى قطيعا ضخما من الفيلة يندر أن يرى الانسان مثله .



العالم جزميك مع طريت صغير مع اثنين من جنود السودان الذين خصصا لمعاونته وحمايته من عدوان بعض الأهالي في مناطق الغابات الأفريقية لان بعض

رجال القبائل يظنون ان امثال هذا العالم يجيئون للاضرار بهم واخراجهم من مواطنهم كما كان رجال الاستعمار يفعلون في الماضي .



هذا الشيء الضخم الذي تراه في الماء ليس جزيرة ، انما هو ظهر فرس بحر نائم راقد في الماء وترى الطيور البرية تحوم حوله وتقف على ظهره في ظل [illegible] للحيوانات البرية .

في هذه الخيمة [illegible] المتواضعة على [illegible] النيل الابيض يعيش عالم الحيوانات في اقليم الغابات .

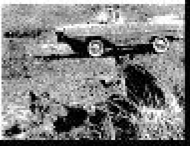
غابات جنوب السودان

ما تزرعه زوجته من الخضر والفاكهة وما تربيه من الحيوانات والطيور . وعندما زاره الاستاذ جوليان الالفي تبين انه وزوجته يعملان طول اليوم من شروق الشمس الى مغيبها . وتلك حياة قاسية حقا . واولئك العلماء الذين يرتضونها ويفضلونها على حياة الرفاهية أو الراحة على الاقل في اوطانهم رجال [illegible] يستحقون اصدق التقدير لانهم يخدمون العلم للعلم . ويخدمون اوطانهم كذلك ، لان انتساب هذا الطراز من الرجال الى تلك الاوطان يشرفها ويرفعها قيمة .

***

وقد اكتشف الدكتور ماك كلينتون هذه المنطقة بالطائرة ، فان لديه طائرة استكشاف صغيرة بمحرك واحد يحوم بها دائما فوق الغابات . واستخدام الدكتور ماك كلينتون لهذه الطائرة [illegible] عن [illegible] . [illegible] طائرة خفيفة [illegible] في ان الحلقة .

في هذا الحقل الكبير تعيش قطعان هائلة لا مثيل لها في افريقيا من الفيلة وافراس البحر والزراف والسباع . ان ارتفاعها عن سطح البحر ٥٠٠ متر ويعني ذلك ان جوها ألطف مما حولها . وتلك الحيوانات تعيش في الشتاء في الاقاليم الشمالية من جنوب السودان ، ولكنها في الصيف - من مايو الى اغسطس عندما تهطل الامطار بغزارة في جنوب السودان وتتحول الارض الى وحول تأخذ في







سيارة برمائية يستعملها الاستاذ جرجيك في السير في الغابة ، وهي تطفو على الماء ولا تغوص في الطين وتجري على الارض .

مئات من افراس البحر في الماء . هذه الحيوانات الضخمة تعيش قطعانا مثل الفيلة . وهي تخرج الى الشاطيء ، ولكنها ترعى حياتها [illegible] الى [illegible] في الماء .

هذا فرس البحر في الماء [illegible] سطح الماء الا رأسه وظهره . هذا الحيوان [illegible] التماسيح .



هذه الزرافة تعرضت لحادث محزن ، فقد انزلقت قدمها في الوحل واشتبكت في نبات ذي شوك ، ولا يستطيع احد انقاذها ، وليس امامها الا ان تموت في بطء



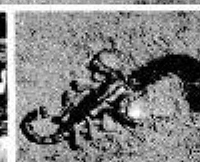
تعتبر هذه الصورة من اجمل صور لقطعان الزراف التي التقطها المصورون . عند اخذت هذه الصورة بالتليفوتو ويلاحظ ان الزرافات في غاية الجمال والصحة .



يقع حقل بيبا شمال جوبا عاصمة الجنوب السوداني وهذه صورة لحي من احياء مدينة جوبا .



قطيع من طيور البشروش فاتنة المنظر والمناظر الخلوية .



عقرب استوائية قاتلة يوجسه الى العقل من هذه العقارب لوقف شره .

الهجرة الى الجنوب ، الى منطقة بيا الكثيفة الغابات . انها تقطع مسافة ٣٠٠ كيلو متر لكى تصل الى مصيفها هناك ، وحقا التنقل يدل على ان الله سبحانه وتعالى جعل حياة هذه الوحوش على نحو يمكنها من البقاء والعيش معا فى توازن ، فقد أحصى الدكتور ماك كلينتون من الوعول الكبيرة ذات القرون الهائلة والآذان البيضاء ٣٧٤٫٠٠٠ وعل ، وهو يعمل الان ـ بمعاونة صادقة مع حكومة السودان على أن تظل القطعان الهائلة من هذه الحيوانات سائرة فى حياتها الطبيعية التى خلقها الله عليها دون تدخل من الانسان . ولا شك فى أن الانسان هو أسوأ الحيوانات المفترسة على وجه الارض وستقيم حكومة السودان سياجات حول غابات بيا وستؤمن الحيوانات فى مشاتيها فى الشمال ، وبذلك تتحول هذه المنطقة الى واحدة من أعظم المناطق السياحية فى الدنيا ، لان الاوروبيين والامريكيين يولعون ولعا شديدا بزيارة هذه الحقول الطبيعية لمشاهدة الحيوانات على طبيعتها .

وهناك أيضا أسود وثعالب وذئاب وبنات آوى وفهود ، وكلها تعيش فى توازن تعرف الطبيعة كيف تحققه . ويقدر عدد الحيوانات التى تعيش فى ذلك الحقل الجديد ما بين ١٫٥٠٠٫٠٠٠ و ١٫٧٠٠٫٠٠٠ حيوان من كل صنف ، وبهذا يكون حقل بيا اعظم حقل طبيعى للوحوش على وجه الارض ، وهو من هذه



العالم الالمانى جزميك فى طائرته الصغيرة يحلق فوق الغابة لبرى قطعان الحيوانات فيها .

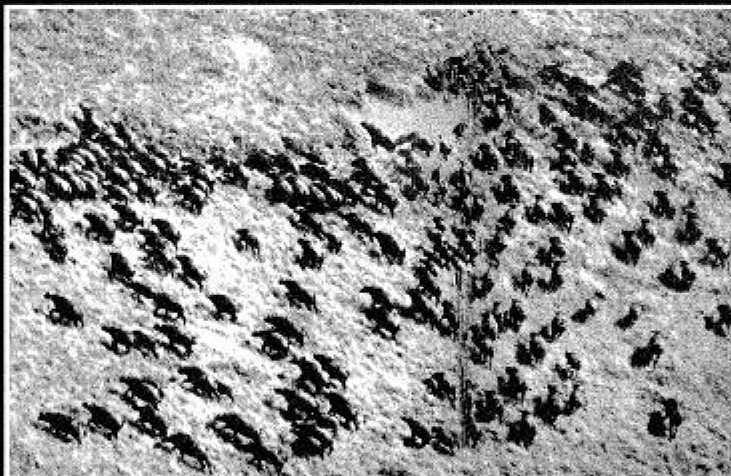
الناحية ثروة عالمية وسودانية فى نفس الوقت ، وعلى دول العالم كله معاونة السودان فى المحافظة عليها وتحويله الى منطقة محرمة لا يدخلها صائد وتزويده بالمنشآت السياحية وطرق السيارات ، وبعد ذلك سيتحول الى ثروة قومية للسودان .

وتقترح جمعية فرانكفورت لحماية الحيوانات ان تتولى هى انشاء كل مايحول هذا الحقل الى منطقة محببة للعلم والسياحة وتزويدها حكومة السودان بالحرس والاداريين ، وبعد ذلك ستكفى ايرادات السياحة للمحافظة عليه ، وحقا ربما كان حلا معقولا اذا وافقت عليه حكومة السودان .



حتى فى الغابة وعالم الحيوانات الوحشية المفترسة ، يتجلى حنان الامومة ، بما يدهش العقـــول للرقة والحنان فى قلوب هذه المخلوقات المتوحشة الكاسرة

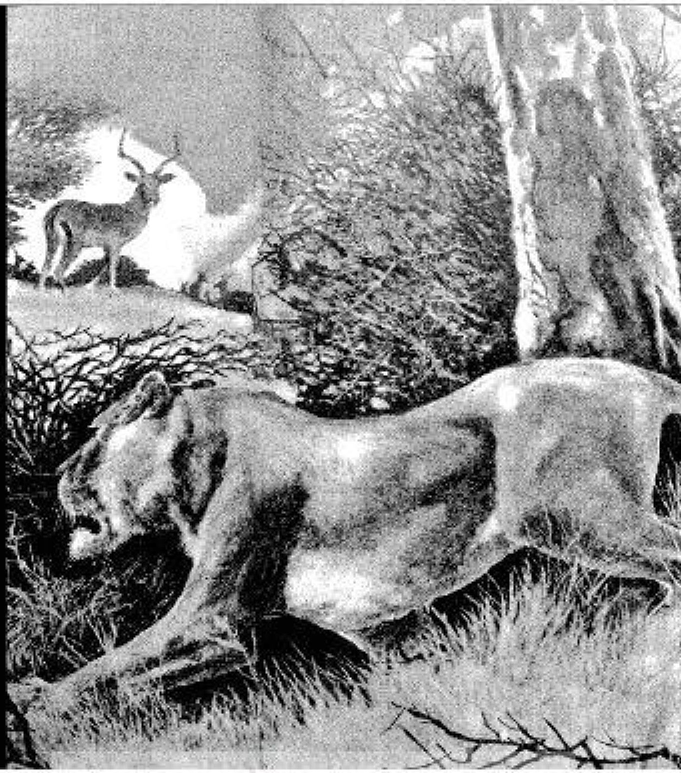
قطيع من الجاموس الوحشي يجري فزعا في حقل بيما . في ذلك الحقل توجد منها اعداد هائلة . وهي عندما تحس الامن ترعى في هدوء كما ترى في الصورة اسفل فاذا احست خطرا اندفعت انطلاقا هائلا فداست وحطمت كل ما يقابلها .



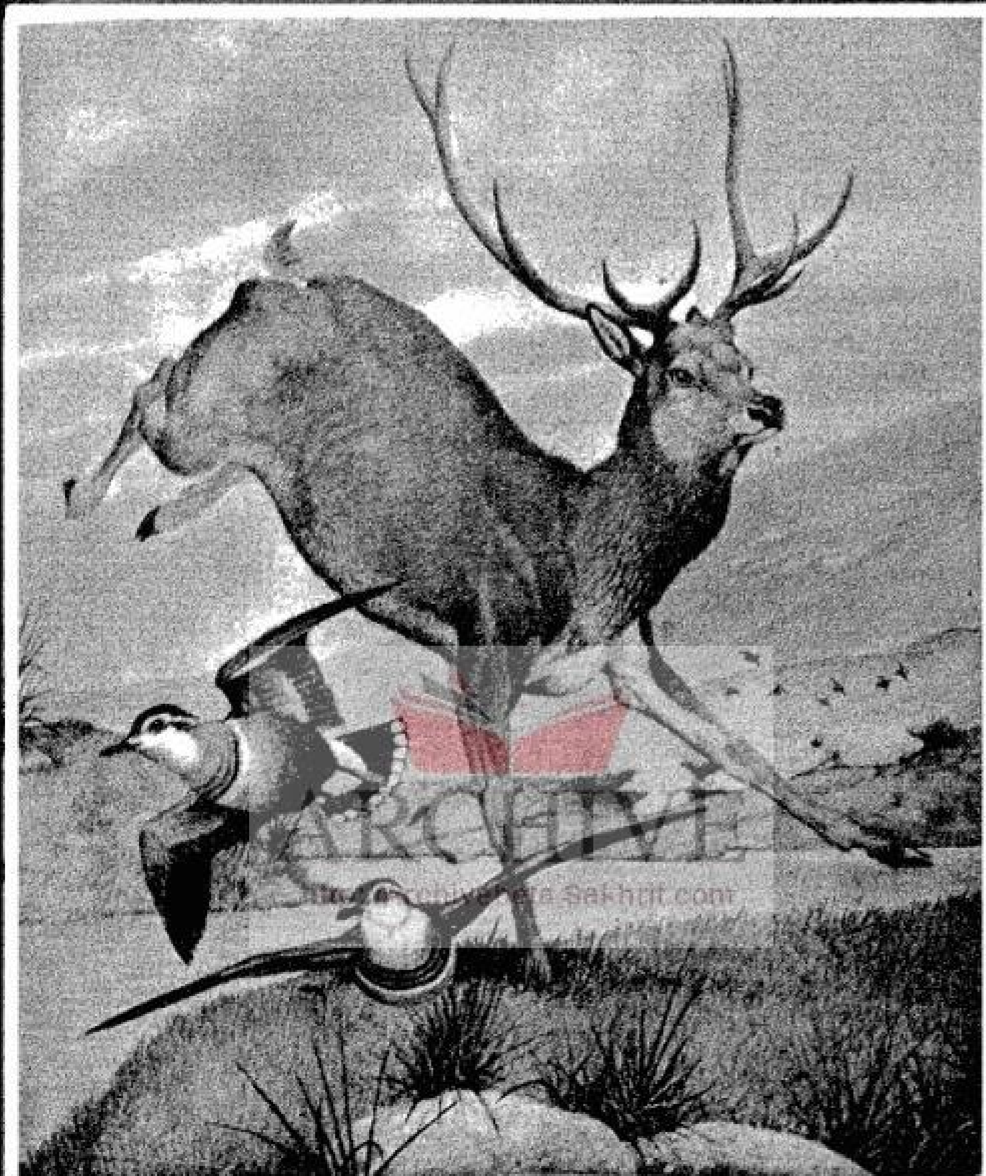




يندر أن تتمكن اسود من التغلب على جاموسة برية وافتراسها . وفي الصورة ترى سبعا استطاع أن يصطاد جاموسة ضخمة . انه يظل يأكل منها هو واسرته اياما ولا يتركونها الا عظاما .



● عائلة النمر ●
صورة تبدو جميلة
.. لكن الأم هنــا
تقتل بوحشية لتطعم
صغارها وتعلمه غريزة
البقاء في عالم الغاب
الكل آكل فيها ومأكول



الغزال من الحيوانات آكلة العشب ، وهي اكثر مخلوقات الغابة جمالا .. معظم الناس يرون الغزلان اما في حدائق الحيوان أو في الغـــابات المفتوحة ، وقلما يرى الغزلان في الطبيعة لخفتها وسرعتها لانهــا تعدو سريعة كالرياح ولذلك تحتــاج بطبيعتها الى الهدوء والسكون والحماية .

قصة

أمام الفوهة

● محمد الجمل ●

● لم يكن في راسه وهو يهبط سلم الطائرة عائدا من أرض الغربة ـ سوى هذه الزيارة الضرورية التي ظل يباعد بينها وبين نفسه قدر ما استطاع . لا يريد ان يواجه حقيقة موتها . يرفض ان يصدق أنها ماتت بالفعل ..

كانت الام ، والوطن ، وسر الله ، والحبيبة ، وانفاس الكون ..لايستطيع ان يفقد كل ذلك بضربة واحدة ..لايتخيل ما يمكن ان يحدث له عندما يقف امام اسمها محفورا على لوحة الرخام الباردة ، عندما تلمس يده المرتجفة ظهر القبر ، الذى يحتويها وهو يقرا الفاتحة ..

ماتت منذ عام وهو في ارض الغربة لم يشا ان يصدق البرقية التى من اخيه ينبئه بالخبر ويتمنى له طول البقاء .. رفض تقبل العزاء من اخوانه واصدقائه هناك في البلد البعيد . ظل يشاهد التليفزيون بانتظام كان شيئا لم يحدث لم تمت .. لم تمت .. بموتها تموت الحياة !.. لا يصبح لها معنى . تنتحر الحوافز للبقاء !

تماسك وهو يحتضن اخاه لدى ارض المطار .. حرص على ان يبدو كاقوى الرجال . اصطحبه أخوه في سيارته وسط غلالة كثيفة من الصمت اوما براسه مستجيبا عندما قال أخوه

ـ هل نزورها الآن ؟ .

اقنع نفسه بانها زيارة تقليدية يعلمها الواجب .. لا اكثر . يطمئن من حين لحين الى جمود مشاعره وانكاره التام للحادثة .

وصلا الى القبر ، وقفا امام فوهته المسدودة . اغمض الابن العائد عينيه حتى لا تقعا على نقوش الرخام . لمس القبر باطراف اصابع مرتعشة . اخذ يتمتم وهو غائب في فراغ سحيق يتعجل فراره وقد بدا طافيا فوق سطح المشهد . لحظات ، ثم وضع يده فوق كتف اخيه .. دعوة خفية للانصراف .

ما زال الاخ يواصل تحكمه في مشاعره بارادة فولاذية . تتدافع الذكريات من العمق البعيد الى سطح الوعي . يذكره الفجر بذكريات ثلاث .. عندما كانت تلفه بالبطانية فوق الحمار وتضع في يده لفة بها بيضة وقطعة جبن ورغيف وهو ذاهب الى مدرسة المركز . عندما كانت توقظه مع الاذان لتشكو له قسوة ابيه .. عندما كانت تصلي الفجر ويسمع تضرعها لله ان يلهمها الصبر والاحتمال ..

ذكريات أخرى كثيرة تتدافع بلا حساب . وعجلة القيادة تهتز بين كفيه . لم يعد في مقدوره ان يتحكم في مشاعره افاق احتماله كل حد . سقطت على الرغم منه تلك الدمعتان .. تجاهلهما من اجل اخيه .. دمعتان اخريان . على النظر نحو اخيه عندما سمعه يقول

ـ لا عليك .. لاتبتئس .

اقترب العائد كثيرا من ارض الواقع سقطت من عينيه نفس الدمعتين ، دمعته الذكريات هو الاخر

السيارة تقترب من المنزل .. الحقيقة تقترب من عقل العائد .. اسمها محفور هناك فوق لوحة الرخام ، بالتاكيد .. هي ليست الان في المطبخ ، تعد له طعام العائد .. ذاك الشهي .. لن تستقبله بجلبابها الكحلي . لن تسعد باحضان هداياه بعد الان .. لن يبتل خده بعرقها النقي . لن تقول له هذه المرة « حمدا لله على السلامة » ..

كانت السيارة تهدىء من سرعتها وهي تقترب من باب المنزل . عندما سحب منديلا من الورق .. اخذ يجفف به دموعه وهو ينظر الى اخيه نظرة واضحة المعالم ، كسيرة ايضا .. مهزومة تماما .

قال

ـ ماتت الان .. الان الن .. ما .. ت .. ت !

البطل في الأدب الحديث

[تتمة مانشر في العدد الماضي]

● بقلم : بول لعويج ●
● ترجمة : سليم الاسيوطي ●

والآن ... اى نمط من الابطال هم الذين تحدثنا عنهم ؟ هل هم على مثال ابطال هوميروس ، اكبر من الحياة ، يفيضون بالحيوية والحماسة والمرح ويتالقون بالاشراق ويومضون بالضياء : وتنبثق شجاعتهم ونواياهم الطيبة من ذوات انفسهم مثلما يصدر الشذا والعبير من هالة منظورة ؟ ..

ولكن ايامنا هذه تجردهم . هذه الخصائص من صفات البطولة بوصفهم نماذج جادة من البشر الذى يستطيع الانسان منهم أن يقوم بمثل ما ياتون من افعال ، انهم يبدون كرسوم «كاريكاتورية» او كلون من «النحت الناتىء» او البارز الهزلى ، او المسرحية الصامتة الصغيرة لكل ماهو طبيعى او متوقع او نموذجى بين فصول الدراما الاكثر أهمية واعظم شانا التى تعالج الحياة الحقيقية الواقعية !

ان هؤلاء الابطال الشعبيين لايتمتعون بمواصفات الخصائص الداخلية التى تتسرب الى حديثهم وحركاتهم وسكناتهم من خلال ثغرات من التردد او الاخفاق. وتأسيسا على هذا فهم يشدهوننا كشخصيات جزئية ، كلون من مخلوقات فى صورة « نصف رجال » يقدمون الينا لونا من المتعة الهازلة . وليس هذا هو مانعنيه حينما نطلق على مثل قصص « الهروب » هذه ، التى تستهدف التهرب من الواقع بالاستغراق فى اللهو والخيال .. انها تبعدنا كل البعد عن انفسنا ببراعة كبيرة ، الى جو خال من الهموم ، عامر بالجذل ، حافل بالمرح ، لا يترك فى نفوسنا اية رواسب او بقايا لفكرة تستطيع بها هذه الشخصيات الكبيرة ان تصبح اشخاصا حية بديلة لنا .

***

ان جين كرامر فى كتابها الحديث « راعى البقر الاخير » تتحدث عن راعى بقر من ولاية تكساس ، يذهب لمقابلة رجال جون وين من سكان غربى الولايات المتحدة الامريكية ، ينشد لديه حياة يستطيع ان يعيش سعيدا فى ظلها ..

ان عالم جون وين بما يزخر به من اللكمات وطلقات الرصاص هو فى مفهوم هذا الراعى ـ العالم المتاز الذى يستطيع المرء فيه أن يحمل من حوله على الشعور بوجوده وكيانه .

ومع ذلك فطبقا لقول كرامر ، فان محاولة راعى البقر فى صياغة حياته على غرار حياة بطل الافلام السينمائية ونسقها ، هى محاولة فاشلة تخيب الامال الى حد بعيد .

ان الحقيقة هى أن هؤلاء الابطال الاكبر من الحياة الذين يمارسون التسلية الشعبية ليسوا ابطالا اطلاقا بالمعنى القديم المتعارف عليه . فهم ليسوا دعاة الى العظمة والروعة كما كان اوديسيوس « اديولوسيس » بطل الاوديسا لهوميروس بالنسبة لسادة مايسيناى . ولكنهم ضرب من « الغميضية (١) » التى نلعبها مع انفسنا .

وبفقدان انفسنا فى عوالم الصواب والخطأ لهؤلاء الابطال ، العوالم القائمة على الصواب والخطأ ، المتجاوزة الحد دقة وفهما ، والمبنية على الشجاعة والموت ـ فنحن نثب جانبا خارج الزمن

(١) لعبة اطفال يغمض فيها احدهم عينيه ، وبعد ان يعطى الباقون وقتا كافيا للاختفاء ، يمضى للبحث عنهم

والمسئولية الى مشهد جانبي (٢) من الواقع الغريب المناق لكل ماهو طبيعي او متوقع أو نمطي : صورة مصغرة للبدائل المتعددة الكثيرة الفنية التي يقدمها لنا البطل المقوار أوريسيوس ورجاله الاخيار.

وبعد الادلاء بهذا الحديث يحسن بنا ان نعود ببعضه على اقل تقدير الى الوراء فانه لمن الخطا ان نبخس قيمة الجاذبية المركبة للثقافة الشعبية ، ووظيفتها بوصفها تربة صالحة لغرس الاتجاهات والمواقف التي تتمتع غالبا بحياة طويلة غنية في الثقافة الكبرى . فانه لمن المالوف الان الاعتراف بجذور الترفيه الشعبي لبلزاك ، وديكنز ، وحتى دستويوفسكي . فان الشعبية الحائرة في مفترق الطرق للقصص الشوطي الذى ذاع في القرن الثامن عشر ، تركت بصماته فيما بعد على الكتاب من مثل ادجار الن بو ، ومليفل وكونراد ، وسارتر ، وبيكت .

***

وفي عصرنا ، يصور كتاب من مثل فونيجت وبنشون ابطال ادب المغامرات الشعبية لابداع هزلياتهم عن الحياة الحديثة ، كما ان نورمان ميلار ، على امتداد جميع مراحل حياته الادبية ، قد اتخذ قالبا او طابعا او صيغة او نموذجا يحتذيه في اعماله من رواية القصص الشعبي ، وتحويله بعد صبغه بقدر ضئيل من التهكم والسخرية ، الى جو الرواية المتقد انفعالا وغضبا ، الهازل الثرثار ، والوجودي ...

وحينئذ فيتعين علينا ان نسلم بان هناك حشد لمشهد من الابطال يندفع في عرض عبر حياتنا ، على الرغم من كل الظروف . فتضخم الاضواء المسرحية الهائلة ، وصفوف مكبرات الصوت نجوم موسيقى الروك ، في الوقت الذى يظهر فيه ابطال قد نقصت اوزانهم الى الحد الذى يكونون فيه اكثر رشاقة وخفة .

●●

ومن المحتمل ان تكون فكرة الاداء الفني هي الهامة هنا . ونحن نميل في هذا الصدد . الى الاعجاب بالاعمال التي لا تعود علينا بالفائدة ولكنها تروعنا انها المخاطر التي لا مدعاة لها ، حبا في المخاطرة فحسب . ولما كان العالم الجاد لايتصف بالبطولي بدرجة تدعو الى الياس او الرثاء ، ولما كنا جميعا نتساوى ونتشابه ، فقد ضاقت آفاق عقولنا وقصرت انظارنا .

ولما كان الاخفاق والالفة في العمل تشغلان حيزا كبيرا من احساسنا بانفسنا ، فاننا نشيح بأنظارنا جانبا الى حيث الميدان الفسيح لقادة «البالونات» الاحرار الطلقاء من كل قيد ، الاخف من الهواء في عبثهم المحبب . اذ لم يعد هناك لدينا شوامخ من مثل « الاوديسا » او « بيودلف » او موبى ديك » .

ولكن يتوافر لنا الهزل الرخيص الذى يقدمه ابطال الترفيه الشعبي ، كما يتوافر من موسيقى « الروك » الصاخبة المجردة من الذوق السليم ، وكذا الافلام العالمية من الطراز نفسه ، كما تمارس العاب المجالدة « حيث يقاتل المجالد حتى النصر او الموت كما كان يجري في روما القديمة » ولكن هنا لا يلقى في هذه الرياضة احد حتفه ، كما يوجد الان الماطل العشاق ، القتلة ، من مثل جيمس بوند .

وكل هذا يسمو على الذوق السليم **ويرتفع عنه ، وان كان لا يرقى الى مرتبة الفن الممتاز ولا حتى الى منزلة الفن الجيد .**

ان المؤرخ جوهان هويزنجا قد حاول ان يبرهن على ان الانسان ، اساسا ، حيوان لعوب يمارس لعبة القانون ، والحرب ، والحب ، والتفكير ، وهو الذى يلهو ويمزح حتى في احرج الاوقات وهو يغوص في حياة الجد والخطورة . فاذا ماكانت هذه هي الحال ، فان هؤلاء الابطال الذين يلعبون ادوار الثقافة الشعبية مهما كان اداؤهم فجا ومعادا ، يذكروننا بواقعية غير متوقعة في الكشف عمن نكون وعما نفعل .

---

(٢) استعراض ثانوي يقدم بالاضافة الى العرض الرئيسي

قصة

ليلة أخرى

● حسين عيد ●

● البداية :

فجأة تشعر العجوز انها تنسلخ عما يحيط بها .. ترتفع . تبتعد تطير تهبط في واد مهجور .. وحيدة .. وسط اراضي مالحة . وما من شجرة تستظل بها ! ..

البقية في حياتك ، يا امنا ..

تتعلق العجوز بوجوه الجيران المحيطة بها ، كمن تستغيث .. ترقب جدران الحجرة الضيقة . تتراجع . تتهاوى . تتلمع . تستوى . تصبح جزءا من الاراضي الشاسعة ، الجرداء ، الممتدة بلا نهاية ..

تكاد تصرخ كان الرجل بالامس معي، كل يوم .. تعيد الفراش .. اطعمه ، اسقيه ، اقضي له مطالبه .

— امر الله ! ياعمة ..

تنتبه . تلتفت . تقبض بيديها المعروقة على يد المراة . تتشبث بها كالمنقذ : اخوك رحل .. يابهيجة !!

تقترب بهيجة . تكاد تلتصق بالعجوز . تربت على كتفها : الصبر ، والصبر ياعمة !.

تجلسان متجاورتين . تهمس بهيجة : سيأتي اهل القرية ومعارف زوجي ... سرادق الليلة ، يجب ان يكون كبيرا ..

تحملق فيها العجوز . يشع الغنى من ملابسها السوداء .. يتكور شبحها الاسود . يتحول الى جذع شجرة ضخم . قوى . ينتصب وحيدا امام الدار .. كم انست العجوز له وهي طفلة . كم تعلقت به،دون سبب معلوم

تعود بهيجة تردد السرادق والمقرىء

تقاطعها العجوز : لن اقيم اى ليلة .. الدفن تم . ومضى كل لحاله !

يتضاعف الالم . تختنق العينان بالدموع .. سامحك الله يا امراة .. المواجع تفوق الوصف ! .. في بداية زواجنا في القرية ، انجبت ولدا ومات بعد شهرين .. لم انجب بعدها ابدا .. قالوا : اجدبت الارض . ولم تعد تصلح نصحوه بالزواج من اخرى . رفض .. هاجرنا بعدها من القرية ، الى اعماق القاهرة .

تستمر بهيجة : نصف الفدان الذى تملكيه بالقرية ، ما فائدته الآن ؟ ..

كانت الارض خصبة من اجود الاراضي ارث اب عن جد . رفض الزوج بيعها باى ثمن .. اعتمد على قوة ذراعيه للعمل بالقاهرة .. كان يحلم دوما بالعودة للقرية . لكن المرض لم يمهله ..

— شرفي رجلك ، ياعمة ..

سيتوافد المشيعون الآن من ابناء القرية والمدينة .. وخلال فترة مرضه الطويلة ، لم يسأل عنه احد .. ولاجدوى للاحتياط ، فلن تنبت الاراضي البور الا العدم .

تكفكف العجوز دموعها . تعود باصرار ساقيم للراحل ليلة تليق به !..

● ومضى شهران :

تحاول العجوز ان تمدد ساقيها . لاتقدر على تحريكهما . تسقط نظراتها على باب الحجرة المغلق ..

جذبها ابوها — ذات مرة — من اذنها بقسوة : اياك والذهاب الى الاراضي البور .. انها مناطق مهجورة ولاتصلح لشيء ، ولا يقترب منها انسان ..

تتناول رشفة ماء من كوب مجاور للسرير .. يجب ان انهض .. ان اعاود بيع الخبز الطازج ، والصابون ، وبعض الحلوى ، .. لاسدد دين ليلة المأتم . واعيش !.

تتحامل العجوز . تحاول ان تنهض تفشل محاولتها .. لم امرض ابدا خلال مرضه .. بعد رحيله انهرت ، املحت الارض الخصبة ...

تاهت عيناها . انتقلت الى القرية . حطت ببطء على الاراضي الرحبة ، الممتدة ، بلا نهاية .

الرضا ملمح النفس المطمئنة

● درية عبد الله ●

ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة ، وهو من اعلى مقامات المقربين الى الله ، الا ان حقيقته غامضـــة على الكثيرين ..

فى القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى : ((رضى الله عنهم ورضـــوا عنه)) بمعنى ان حب الله للعبـــد اذا رضى العبد بقضاء الله .. ويقـــول : ((ورضوان من الله اكبر)) ـ اى من النعيم الذى هم فيه .

ومن الاحاديث النبوية الشريفة (اذا احب الله تعالى عبدا أبتلاه ، فان صبر اجتباه ، فان رضى اصطفاه ...)

وفى مناجاة موسى عليه السلام : اى رب من من خلقك احب اليك؟ قال: من اذا اخذت منه المحبوب سالمنى .. قال فاى خلقك انت عليه ساخط ؟. قال من يستخيرنى فى الامر ، فاذا قضيت له سخط قضائى .

ومثله فى الشدة قوله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال: (قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدابير، وأحكمت الصنع، فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقانى ، ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى).

ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ، ابرص ، مقعد ، مضروب الجنبين بفالج ، وقد تناثر بعض لحمه من الجذام وهو يقول : الحمـــد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه .. فقال له عيسى : يا هذا ، اى شىء من البلاء اراه مصروفا عنك ؟.. فقال يا روح الله ، انا خير ممن لم يجعـــل الله فى قلبـــه ما جعـــل فى قلبى من معرفته .. فقال له : صدقت ، هات يدك فناوله يده ، فاذا هو وقد اذهب الله عنه ما كان به .. فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه .

قال انس بن مالك رضى الله عنـــه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، لما قال لى لشىء فعلته لم فعلته ، ولا لشىء لم افعله له لم تفعله ، ولا قال فى شىء كان ليته لم يكن ، ولا فى شىء لم يكن ليته كان ..

قال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء !.

ورود فى الاسرائيليـــات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا ، فراى فى المنام: فلانة الراعية رفيقتك فى الجنة. فسال عنها الى ان وجدها ، فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها ، فكان يبيت قائمـــا وتبيت نائمة ، ويظل صائما وتظـــل مفطرة .. فقال أما لك عمـــل غير ما رايت ؟ فقالت ما هو والله الا ما رأيت لا اعرف غيره ..

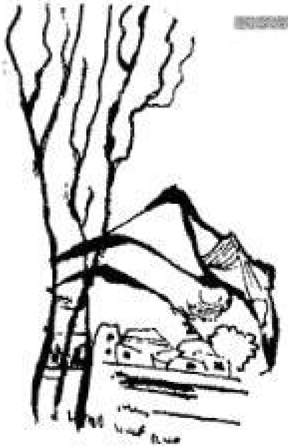
فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت : خصيلة واحـــدة هى فى .. ان كنت فى شدة لم اتمن ان اكون فى رخاء ، وان كنت فى مرض لم اتمن ان اكون فى صحة .. وان كنت فى الشمس لم اتمن ان اكون فى الظل ..

فوضع العابد يده على رأســه وقال: خصيلة هذه ؟ والله خصلة عظيمـــة يعجز عنها العباد !.

وقال احمد بن ابى الحوارى : قال ابو سلمان الدرانى : ان الله عز وجل من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى العبيد من مواليهم ..

قلت وكيف ذاك ؟ قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه ؟. قلت : نعم ..

قال فان محبة الله من عبيـــده ان يرضوا عنه ..



قصة

إنها لا تمطر في هذا الاتجاه

● احمد علي رجب ●

● كلما مررت بشارع عباس ، الذى يقسم مدينة المنصورة شطرين — تباطأت فى المسير . رحت احملق فى تلك اللافتة الكبيرة « صالة الورد » ، ثم .. ازحف ببصرى أعلى اللافته ، و . تستيقظ الذكريات !

وعلى الرغم من ان ملامح المكان قد تغيرت تماما ، وحلت العمارات الشاهقة مكان البيوت القديمة ذات الطابقين ، الا ان بصرى يظل معلقا بالشرفة التى تعلو « صالة الورد » التى كنت اعمل بها .. ويخيل الى أن الثرى « عبده بك » لا يلبث حتى يشق باب الشرفة ، حاملا رشاشة الماء ، ومتجها نحو أصص الزهور ..

اتذكر كيف كاد الشوق يصرعنى ، ذات يوم .. ما لم أصعد الى شقة ذلك الثرى وأرى ما حوته من عجائب ! .. كنت أتوق الى رؤية صف « البرطمانات » البلورية المملوءة بجنيهات من الذهب الخالص ، والتى كانت تتصدر دولاب الفضيات ! .. أيضا كنت أود أن أمرر راحتى فوق فراء القط الاسود الفحمى هناك ، صاحب اللسان الاحمر القانى ، والعينين البرسيميتين .. والذى كان لا يلذ له الجلوس الا فى حجر « البك » لا يفطر الا لبنا ، ولا يتغدى الا « بوفتيكا » .. ولم يدنس فمه مرة واحدة بلحم الفئران !

يومها ، كنت غلاما فى الثامنة ... قضى الساعات الطوال حارسا صغيرا « لصالة الورد » ومحدقا فى « عبده بك » وهو « منجعص » فى المقعد الخيزرانى المريح فوق الرصيف المواجه للصالة ..

وكان الشىء الذى يثير دهشتى هو استحواذ ذلك الرجل على لقب « بيه » كان « عبده بك » لا يرتدى سوى الجلباب الصوفى الفضفاض ، ولا يضع شيئا اطلاقا فوق رأسه .

وبالطبع لم أكن الوحيد الذى استرعى انتباهه جلوس « البك » على ذلك النحو فوق الرصيف دون عمل .. بل لقد سبقنى ظرفاء الحى الى اقتناص تلك الملاحظة .. ومن ثم ، فقد أطلقوا عليه لقب « رئيس مجلس ادارة الارصفة » .

وكان شارع عباس مسرحا كبيرا لنشاط الباعة الجائلين ، فكان « عبده بك » يستوقف الكثير من هؤلاء الباعة لينتقى من بضاعتهم ما يشاء ، ثم يرفع عقيرته مناديا شقيقى ذا الاعوام السبعة الذى كان يعمل عند « الترزى » صاحب الرصيف الرخامى ، فيحمل له اخى المشتريات ويسرع بتوصيلها الى منزله .

وكان شقيقى لا يعود من شقة الثرى بيد خالية ، فان لم يكن فى جعبته رغيف محشو « بالبفتيك » ، فرغيف آخر مملوء بالبيض المقلى فى السمن — هذا فضلا عن بعض الفاكهة النادرة .

سألت والدى أن يخرجنى من نطاق الجدب ، ويلحقنى بالعمل لدى « الترزى »

المبارك ، حيث يجلس الاعيان والوجهاء .. لكن والدى اعتذر عن هذا ، قال ان صاحب الدكان لديه مايكفيه من الصبية .. وأخذ يحبب الى العمل فى قطاع « الورد » .. ويضيف آذالى بما يدره من خير فى المستقبل .

وبالطبع لم أقتنع بذلك، فعدت اقترح على والدى عملية مبادلة ، ليذهب شقيقى للعمل فى « صالة الورد » مكانى ، وآخذ مكانه لدى « الترزى » فرفض والدى هذا أيضا ، لكنى لم أيأس .. ووجهت وجهى شطر « الاسطى محمد » صاحب الصالة ، اقترحت عليه أن يستضيف « عبده بك » ليجلس على رصيف الصالة ويترك الرصيف الآخر ! .. وقلت مزينا فكرتى :

ـ لدينا زرع أخضر .. وسانظف المكان كل يوم حتى يصبح أكثر لمعانا من رصيف « الترزى » .. ويمكننا أن نصنع « لسعادة البك » مقعدا هزازا وثيرا أكثر راحة ، و ..

وابتسم « الاسطى » وسالنى

ـ ولماذا تفعل كل هذا ؟

ـ لانه « بيك » ، ويمكنه شراء « الورد » له ولاقاربه ، و .. قطع الرجل حديثى بقوله :

ـ الاجدر بك أن تلتفت الى عملك !

تقطعت بى الاسباب ،وخبا امل بلوغى « لبرطمانات » الذهب .. وبات من المستحيل ان اداعب القط الاسود ... هذا الى جانب يأسى المطلق فى الحصول على شىء من أطايب الاطعمة التى يستأثر بها شقيقى ذللااالانانى البخيل .. لكن ، حدث فجأة وعلى غير انتظار ، ان دوى صوت جهورى من ناحية الرصيف المقابل فاذا بغيوم اليأس كلها تنقشع وتتبدد .

ـ يا ولد .. انت يا من تعمل فى « صالة الورد » ..

نعم ، يا سيدى البك والف نعم » !

ورايتنى فى اقل من ثانية منتصبا امام « البك » بلحمه وشحمه ، وهو يقبض على زوجين من الدجاج ليدفعهما الى يدى .. فالتقفهما .. وانحوى الطريق واندرج قاصدا مسكنه !

« آن الاوان يا شقيقى كى يسيل لعابك ، وتندب حظك .. فساطلعك على ما ساحصل عليه من طعام وفاكهة ! .. وربما يسعدنى الحظ فاكتشف شيئا تفوق أهمية « برطمانات » الذهب وغرابة القط .. وسننتقل اليك يا شقيقى كل حسراتى السابقة وحرمانى ! »

حدثت نفسى بهذا وانا اقترع باب الشقة الذى سرعان ما انفرج عن سيدة بدينة يغطى الذهب ساعديها .. ما كاد نظرها يقع على الدجاج حتى طلبت منى ان انتظر مكانى فى الخارج ، بينما اتجهت هى نحو نافذة جانبية تطل على صحن البيت ، وصاحت تنادى البواب .

تجاهلت الامر ، وغافلتها ، وتسللت الى داخل الشقة لاسترق النظر الى دولاب الفضيات ، فاذا بها تفطن الى هذا ، فتلتفت نحوى وتنهرنى ، معللة هذا باحتمال سقوط فضلات الدجاج فوق البساط الثمين ، او بافلات احدى الدجاجات من يدى لتثار الفوضى فى ارجاء الشقة الوثيرة !

تقهقرت .. لكنى لم اقطع الامل فى تحقيق امنيتى ، فالمكافأة حتما تنتظرنى .. كل ما احتاج اليه هو قليل من الصبر ريثما انتهى من هذا الدجاج اللعين ، وعند ذاك ستغيب السيدة فى المطبخ لتعد الرغيف المنشود ، ويكون فى استطاعتى أن اتسلل الى الداخل فاملأ عينى من منظر الجنيهات الذهبية،وامسح على فراء القط « المطرود » .

وصعد البواب ، واستولى على الدجاج لكنه لم يذهب لحال سبيله ، بل وقف يحملق فى وجهى برهة،ثم تمنى لى سلامة العودة !

تلتق ذهنى عن كلمة استعطاف عسى ان تذيب جمود الموقف ، ولعل قلب السيدة يرق فتسلك فى يدى قطعة من العملة الصغيرة على الاقل .. وخرج صوتى مشروخا .

ـ انا يا سيدتى « اخو ابراهيم »

ـ « ابراهيم » ؟ ابراهيم من ؟!

ـ ابراهيم الذى .. الذى يعمل .. يعمل هناك فى ..

واحتبس صوتى داخل حلقى .. ورحت اشير باصبع مرتعشة نحو دكان « الترزى » ، وانا الخائب المصروع .. لكن السيدة تراجعت الى الخلف خطوتين و .. اغلقت الباب !

●●

كاريكاتير جيل جديد جدا



الولد لوالدته : ماتشغليش بالك .. انا عارف اختى زعلانة ليه .. اصلهـا يا ستى عرفت ان نجمها المفضل ، ولتى احـلامها ـ خلاص خطب ورح يتجوز !



الولد لابيه : انا عاوز اتفرغ بقى للمسائل الاقتصادية العـويصة ، ولازم بعنى طبعا اتمرن على التصرف فى المبالغ الكبيرة ... تسمح بقى تفتح لى اعتماد كبير فى البنك ؟!



الولد لصديقه فى التليفون : وفى مواجهة ازمة التليفونات ، فانا زى ما انت شايف ، ابتكرت انى اتكلم فى التليفون من جهاز ارســـال واستقبال !

قطط الجيل الجديد



الخادمة :

فين الشجاعة يا قطط

كلكم خايفين من حتة فار قد عقلة الصباع ؟!

أسير زندا...

فيلم للمرة الخامسة

● هادي غضبان ●

● عالم القصة .. عالم متعدد الرؤى والاتجاهات .. فهناك من يكتب قصة أدبية، للقراءة ... وهناك من يكتب « وعينه على السينما » - كما يقولون ! .

والقصة هي أم الأحداث ... لكن هناك أحداثا يمكن أن تتحول الى فيلم سينمائي تبرز أكثر من خلال المشاهد المصورة ... وهناك أحداث من الصعب أن يراها الجمهور على الشاشة ...

والقصة التي تتحول الى فيلم سينمائي لابد وأن تكون غنية بالأحداث التي تجذب المشاهد، وذلك بغض النظر عن الدور الذي يلعبه « السيناريو » والحوار ...

من هذه القصص التي حظيت بشهرة واسعة ولاقت نجاحا كبيرا عندما تحولت الى فيلم سينمائي - قصة « أسير زندا » للكاتب « أنتوني هوب » الذي عاش في الفترة من ١٨٦٣ - ١٩٣٣، وكتب قصته تلك عام ١٨٩٤

وتدور القصة حول مغامرات رومانسية لرجل انجليزي الجنسية اسمه « رودولف راسندل » الذي خدع القوم وهو يلعب دور ملك « روريتانيا » اسم دوالي لبريطانيا - من أجل الحصول على العرش .

● من حياة البلاط ●

وللكاتب « أنتوني هوب » مجموعة مؤلفات تجمع بين الروايات والمسرحيات. نذكر منها .. « حوار الدمية » و « قطع هاندسر » ... ولكن قصة « أسير زندا » التي توفرت فيها مميزات القصة السينمائية الناجحة، قدمت في السينما خمس مرات .. كان أولها عام ١٩١٣ في فيلم صامت قام به مشاهير المسرح آنذاك وعلى رأسهم الممثل « جيمس هاكت » ، وفي عام ١٩٢٠ قام المخرج « ركس انجرام » باخراجها فيلما - اشترك في تمثيله « لويس تون ، واليس تيري » . وفي عام ١٩٣٧ قام المنتج الراحل « ديفيد أوسزنك » بانتاجها للسينما في فيلم بطولة « مادلين كارول » و « دوجلاس فيربنكس جونيور » و « ديفيد نيفين »

وفي عام ١٩٥٢ قامت شركة « مترو » بانتاجها مرة رابعة مع المخرج « ريتشارد ثورب » وبطولة « ستيوارت جرينجر وديبورا كير وجيمس ميسون »

وأخيرا وللمرة الخامسة وقد لا تكون الاخيرة - قام المخرج « ريتشارد كوين » بتصويرها من جديد للسينما أيضا ...



● بيتر سيلرز في مشهد من فيلم « اسيرزندا »



● بيتر سيلرز « الملك »

وأسند البطولة للممثل المرح ـ الـذي فقدناه أخيرا ـ بيتر سيلرز ـ وهذه المرة ادخل العنصر الكوميدى بصورة كبيرة فى احـداث الرواية ليقدم صـورة « كاريكاتورية » لحياة الملوك والبـلاط الملكى ...

وتتضمن الاحداث صورا لما يفعله هؤلاء الذين يطمعون فى السلطة والعرش من خلال ما يدور بين شقيقين كل منهما يحلم بالعرش ، بعد أن تركه لهما والدهـما ـ ملك روريتانيا ـ الذى سقط من « بالونته » وهو يطير ، وأوصى بالعرش لابنه « رودلف » ـ بيتر سيلرز ـ ، ويدب الحقد فى نفس أخيه « مايكل » ـ دوق زندا » ويحاول أن يستولى هو على العرش، بعد أن يجبر أخاه على تركه ويودعه أسيرا فى « قصر زندا » ..

ولكن الاحداث تأتى على غير ما يرتضيه حيث يظهر « سائق تاكسى » يشـبه « رودلف » الاسير ـ ويلعب الدور أيضا بيتر سيلرز ـ ، ويتسلل الى البلاط الملكى وبعد مغامرات مرحة ومثيرة يعيشـها يستطيع ان يفك اسر «رودلف» ويعيده الى العرش مرة ثانية ...

● عناصر النجاح ●

والفيلم الجديد تقوم معظم مشاهده على براعة الممثل بيتر سيلرز الذى يقوم بجانب دوريه « الاسير ، وسائق التاكسى » بدور ثالث هو دور الملك الاب المتوفى ...وهو من الممثلين البارزين فى المسرح الانجليزى .. والذى جذبته السـينما عام ١٩٥٦ حيث مثل أول فيلم له اسمه « قاتلـو النساء » ثم فيلما آخر بعنوان « انا جاهز ... جاك » والذى فاز بدوره فيه بجائزة الاكاديمية البريطانية لأحسن ممثل ..

وتوالت الافـلام حتى بلغت أكثر من خمسين فيلما نذكر منها .. « الفهـد البمبى ، ولوليتا ، و ماذا جـد ياقطتى ، و نيكولاس و لكسندرا ، هارى الثـامن وزوجاته الست » ، وغيرها .

ومع « بيتر سيلرز » تشاركه البطولة الممثلة الالمانية « الكى سـومر » فى دور كونتيسة مونبارناس .. والفيلم صورت كل مناظره فى قصر قديم فى مدينـة « فيناء و سالزبورج » فى النمسا ، ولعل السبب فى نجاح هذه القصة هى انهـا تجمع بين ثلاثة عناصر هى الاساس الاول لنجاح أى عمل سينمائى ، وهى الحركة .. المغامرات .. الاسلوب الكوميدى ..

قصة

الوقوف في وجه الريح

● عبد العزيز الشناوى ●

تقلبت على ظهر الفرن . عاد الخاطر الجرىء يلح عليك ! حاصرته طوال الليل . كم تمنيت ان يكون الليل قصيرا ، لكنه امتد ، صار دهرا .. لماذا لا تضعين حدا للزوبعة التى تعصف فى جمجمتك !!

تسلل الى اذنيها صوت ابيها . لماذا نهض من نومه مبكرا .. اليوم ؟ اتراه قرأ ما يدور برأسى ؟ لو رآنى ..؟

« اين ذاهبة ؟ »

« .... »

سيثير صمتك عواصف شكوكه . ربما اعترض طريقك .. لو لحقتك امك . هيناها الضيقتان تترصدان فى اغوار صدرك . فتنزع منه الكلمات قبل أن تطفو الى لسانك . عيناها انقض الى طفلى . أدرك ماذا يريدان قبل أن يتحدثا .

ــ اما زلت نائمة !.. الشمس ملأت الدنيا !

ماذا يريد ؟ اسحب عليه الماء ليغرفها . لماذا لايذهب الى المسجد كبقية أهل القرية ؟ الالف بجانبه وهو يتناول طعام الظهيرة ! يريد أن أحضر له جلبابه « التروكلين » كى يسافر الى البندر اكوى له طاقيته أم أربطة حولها ..

ــ وحياة طاقيتى هذه . لن تعود ابنتى الى دارك .. اريدها أن تخدم امك واخوتك !

همست شفتها . كلمات ابى النارية .. أشعلت نار الغيظ بين ضلوعه ؟ كان يحمل عنى الكثير . منذ يومين صار جسد ابنى الصغير كالجمرة حملته الى ابى . لوح بيديه !

ــ قلت لك أرسلى الطفلين الى أبيهما . لم تسمعى قولى !

ــ الحمى تلهب جسده !

ــ ماذا افعل له ! خذيه الى الحلاق يعطيه برشامة أو حقنة . الا يكفى التراطم طفليك . ربنا يريحنا منهما !

ارتجف قلبها . كيف يتخلى ابوك عن طفليك ؟

ــ انت باست هالم . الظنون انك فى بيت زوجك الاندى ؟ شعر القلة تحت الزير !

منذ أن جئت الى دار ابى صارت حياتى راكدة . مازالت كلمات ابى الجارحة .. كيف اذهب اليه .. القاه فى مكتبه ! سوف يكسور فى وجهى ؟ يطردنى .. اخشى ان ينفش على ؛

ولد أبكى .. انه يكره الدموع . لو ضربنى و .. ؟ هذا ما اخشاه . لكن لو دلعنى خارج مكتبه و .. سوف تتناول حكايتى الالسنة ، تصبح فضيحتى على كل مصطبة وجرن !.

●●●

سحبت جسدها من فوق ظهر الفرن . لماذا يدق قلبى بعنف ؟ بالأمس اتت احدى جاراتنا « دلة » زارت . ظلت طبول الزار الحموم تدوى حتى منتصف الليل ، لم تكتحل جفناى بالنوم .

زحفت قدماها نحو المرآة . لماذا انظر اليها باستنكار ؟ ارى شيئا لايمت الى بصلة ؟ عيناى حمراوان . وجهى شاحب . الفتيات فى المدينة يمشين على وجوههن المساحيق . يغازلن الرجال . أنا (؟) كيف تسلب امرأة أخرى زوجى . اسأتنازل عن كرامتى كبريائى ، اذهب اليه .. أقبل يده ؟ سيغفر لى ذنوبى . المال : اقوال أبى ! لكن لو رفض و ... يرتاح ضميرى . فعلت مالى وسعى !

يجب أن أخرج . الطلق . الفت ...

تسللت كالظل ، الشمس ساطعة ، سحب الحيرة تملأ اعماقى . ذهنى خال ، صدرى مليء بالخوف .!

ضاعت ازرة فوق احد السطوح . سد وجه ابيها الافق !

ــ لماذا يشيح ابن تاجر الدجاج بالفه ، لأنه يحمل دبلوم تجارة ! سأعرف كيف أكسر عناده !

زادت ضربات قلبها ..

« لقد خرجت من حياتى ... أبوك عسر السبب »

صرخة الخطر ؛ ضبابية الفكر ، سارت ...

خيبة محتمة ؛ الفضيحة . لماذا تصرين على مواصلة الرحلة ؟ قطع ابوك كل خيوط الامل . سكونك قضى على الورقة الوحيدة التى كانت على شجرة عودتك الى بيت زوجك . مسلكك الخاطئة !.

●●●

دالت الارض بقدمها . لابد ان اقابله . انحنى على قدمه و ...

اقبل القطار . قذف بركاب ، والتقط آخرين

لم اركبه ؟ خمسة كيلومترات ليست مسافة هينة . أبي دائما يقول :

ـ هن فرشك . ولا تهن نفسك !

أبي ! هو السبب في كل هذا البلاء الذي حط على رأسي !

ـ والله مال . ضاعت اقدار الناس ؟ كان باستطاعتي أن أزوج ابنتي من ضابط النقطة .

اطلق القطار صفيره ، يتعجل مقدمي ؟ انكمشت خطواتها . لن اركب القطار . حتى لا التفت الى الانظار . ربما ركبه أبي :

ـ لن تعود ابنتي اليه . سأزوجها لسيد سيده .

كم رجلا تقدم اليك ؟ خمسة رجال ؟ ثمانية؟ اعلنت انك لن تتزوجي مرة أخرى . لاتحبين سوى زوجك . مرت اربع سنوات معه كالحلم . كانت كلها سعادة . لولا همسات امك :

ـ الى متى تخدمين امه واخوته ؟ لماذا لايؤجر لك شقة في المدينة .

تركين الغبار والظلام !

الفتيات يضحكن على الوردة . تساجلت صورة خالتها !

ـ المدينة فيها فتيات كثيرات . اذا سمعت كلام ابويك ، ربما تزوج منهن .

لماذا لم يتقدم حتى الآن لخطبة احداهن ؟ مازال يحمل بين ضلوعه حبالك ؟

زحفت عيناها نحو النهر ؟ اقتحمت صورة خالتها ذهنها :

ـ الحياة كالبحر . تصفو حينا . تضطرب احيانا .

كلام والدتك ابي تغرس الكراهية والضيق حتى ؛ الصدور النقية لو كنت مكان زوجي لبحثت عن فتاة اخرى و ... وماذا ؟ كيف يتركني انا وطفلي ؟ لا .. انا امرأة طيب القلب !

ـ عيناك همس اشتياق دائم . كلماتك قطرة الاوتار بعد رنينها !

ـ اصبحت شاعرا !

ـ عندما احببتك لم اكن مرغما أو طائشا . لو وضعت كنوز الدنيا امامي على أن اتخلى عنك لوطأتها بقدمي . انا كاسب . لست بخاسر !

اتراه مازال يذكر تلك الكلمات ؟ احاليها الزائف . الحجارة التي تتساقط من فم أبي الي كراهية و ... !

وقفت على رأس الطريق الترابي . لماذا لا اسلكه ؟ لا أحد يسير عليه .

ساعة .. اصل الى المدينة . قررت مقابلته ..!

الجو خانق ، لا ورقة على الاشجار تهتز ! العواصف تدوي في اعماقي . لم تكن لتنفجر عاصفة هوجاء تهب في سماء حياتنا الهادئة ..

ـ اريد زوجتي وطفلي .

ـ لن تعود اليك الا اذا اجرت لها شقة في المدينة .

ـ لو غادرت دارك هذه المرة ، لن اعود اليها مرة اخرى .

ـ من طلب منك المجيء ؟

ـ ساطلقها !

ترك دارنا بخطوات عصبية . لمحت وجهه من بين فتحتي الباب تملأه دماء الغيظ . كان ذلك منذ شهرين ؟ لا ، ثلاثة أشهر .

الطريق مسدود . كيف اعبر النهر ؟ احيانا يلقى أحد طفلي بسؤال عويص !

ـ لماذا لم يعد أبي يأتي الينا ؟.

الطلاق كلمة كبيرة . لن يستوعبها تفكير طفل في الرابعة من عمره . لولا همسات أمي المحرضة على البقاء بجانبها . لصبح الجيران أبي يطرح ظهره الى الحائط .

لو قبل ابوك وساطة الذين جاءوا اليه من طرف زوجك . !

الطريق تحرقه شمس الظهيرة . ماذا اقول له عندما اقف امامه ؟ لن اتكلم . سوف يدرك ان زيارتي له تعرف ودي من ناحيتي ؟ اسراب العصافير تحلق فوق الحقول . من أين ابدأ معه الحديث اذا .. ؟

اخبره بمرض ابنه .. ؟

الافكار . الهواجس . التساؤلات . تتدافع تطفو .. لم تختفي

عادت اسراب العصافير ، تفرقت ..

عبرت « الكوبري » ، المدينة صاخبة .. ضاحكة . صدري تملأه سحب الحزن . ألعرف ماذا ستسفر عنه مغامرة اليوم !

الفتيات يرتدين ملابس شفافة . تكاد تظهر اجسادهن .

وقفت أمام مبنى كبير . تطلعت الى نوافذه الزجاجية الكثيرة . هل سأجده في مكتبه ؟ ماذا تفعلين لو كان مع احدى زميلاته .. يضحكان طعنك بنظرة نارية ؟

« ما الذي جاء بك الى هنا ؟ »

« ..... »

« لن نستطيع أن نبدأ حياة جديدة كما كنا منذ سنوات . ابوك يقف حائلا »

« الك الممسى لي قلص الهام دون أن ارسم لك مواقف لا املك فيها الخلاص . حبي . املي . اظن أن هذا اغلى من سائر الاشياء ؟ »

دارت حول نفسها . لماذا لاتعودين الى القرية قبل أن يكتشف ابوك ..

لماذا اندفعت الى هنا دون ترو ؟ ماذا تفعلين لو رآك الآن واقفة .. !

الامر زاد تعقيدا .. ؟

صعدت السلم . سائق الباب . لا اطرق النافذة الزجاجية . اضع على شفتي ابتسامة؟ اكسو وجهي بجهامة ..؟ أتوارى بجانب الحائط؟ من الافضل أن اواجهه و .. !

كفت اصابعه من الرقص فوق الآلة الكاتبة . اتسعت عيناه . زحفت قدماها . ختقت المسافة التي تفصلهما .. لماذا لزم الصمت ؟ اين كلماتي التي رتبتها وكررها لساني ؟ ضاعت ؟ تبخرت؟ لن احدثه عن تهديد أبي . تحريض أمي على استئجار شقة في المدينة . لن اذكر حكاية شراء الخبز من السوق ..!

انحنت على يده ..

نهض واقفا . امسك بكفيها . قدم اليهما مقعدا .

سنوات عشر

● مصطفى رجب ●

مرت سنوات عشر ...
كنا ملكين نسبح بالحب ، ونسبح فى بحر الطهر !.
كانت حين تغيب ـ تغيب شموس العالم ..
يغشانى الغم ، الهم ، القلق ، الارق ـ افر ...
اغيب عن العالم ، اغرق نفسي فى بعض بحور الشعر
كانت حين تهل ، يشاطرنى الفرح العمر ...
تراقصنى الاحلام الحلوة . يخرج قلبى فيحاصرها ، يحميها ...
يزرع حول القدمين الزهر !..
كانت حين تهل يضيء الكون ...
تبصر عيناى كنوز الارض ، وتحملنى الريح الى وادى البهجة
لاجيء لها بعروس البحر
كانت تبتسم فتصبح عيناها اصفى من ماء النهر ! .
كانت بسمتها مطرا يحيى قلب الميت فيخضر ..
كانت بسمتها تهب الفقراء الخبز ..
وتهب البسطاء الأمل ،
وتهب العشاق الصبر ...
كانت بسمتها تهب القمر النور
وتهب الفجر السحر ! .
مرت سنوات عشر ...
كنا ملكين نسبح بالحب ونسبح فى بحر الطهر !
عيناها بيتا شعر .
خداها قطعة جمر
شفتاها رشفة خمر ! .
لكنى ...
كنت اخاف الجمر ، احرم كل الخمر ، ولا اقرا كل الشعر!
و . . . . . .
مرت سنوات عشر !


الهيئة المصرية العامة للكتاب
تدعوكم لزيارة
معرض
القاهرة الدولى
الثالث عشر
للكتاب
٢٩ يناير
٩ فبراير
١٩٨١
بأرض المعارض الدولية بالجزيرة
يوميًا من ١٠ صباحًا
حتى ٧ مساءً

إلى الشباب

لكل سؤال جواب

هذا الباب الجديد الذي تفتحه مجلة الهلال للشباب يحاول أن يقدم للأجيال الصاعدة خدمة ثقافية واسعة المجال سواء فيما يتعلق بالمادة الثقافية للشباب الطامحين الى اعداد انفسهم لمستقبل زاهر كما تتجلى في المادة العلمية القديرة في الصفحات التالية .

واستكمالا لهذه الخدمة نرجو الشباب أن يبعثوا الينا باسئلتهم سواء فيما يتعلق بالدراسة أو الثقافية او مشاكل الحياة ..

وسنقوم بعرض الاسئلة على اساتذة متخصصين ونشر الاجوبة ونرجو ان تكون الاسئلة واضحة ومختصرة لكي تكون الجواب عليها وافيا بما يريد الشباب ..

تذكرة تفوق

للشباب ولطلاب الثانوية العامة

لاحظنا فى مجلة « الهلال » ان عنصر الثقافة العامة يخرج من حياة ابنائنا فى الجامعات شيئا فشيئا ، السباق نحو النجاح فى الامتحانات يستحوذ على اهتمامهم كله ، وفى النهاية يتخرجون دون زاد ثقافى له قيمة . وبدون شباب مثقف لايمكن ان نبنى اجيالا قوية قادرة على حمل امانة الوطن وعندما درسنا الامر تبينا ان المشكلة تبدأ فى التعليم الثانوى . فى سباق المجموع والتقديرات لاتترك للشباب اى فرصة لقراءة سطر خارج عن الكتب المدرسية .

فهناك دائما مدرسون محترمون يؤلفون كتبا علمية سريعة قد تجعل الطالب يحصل على درجة عالية فى اللغة الانجليزية مثلا ــ دون ان يعرف اللغة . انما هى نماذج موضوعات انشائية تحفظ وملخصات للكتب الادبية المقررة تستظهر .. ولا مكان للثقافة فى هذا كله ..

وهذا هو الفراغ الذى قررنا فى هذه المجلة ان نحاول ملئه دون ان نبعد الشباب عن المنهج المقرر له ..

كتب المادة العلمية :

- الدكتور جرجس الرشيدى
  مستشار اللغة الانجليزية

- حليم فريد تادرس
  موجه اول الفلسفة بمحافظة الشرقية
  وعضو الامانة الفنية لتطوير التعليم

اللغة الانجليزية وطلبة الثانوية العامة

● بقلم : جرجس فؤاد الرشيدى ●
مستشار اللغة الانجليزية
بوزارة التربية والتعليم

Reading Comprehension

● تحدثنا فى المقال السابق عن الانشاء ، ونتحدث فى هذا المقال عن قطع الفهم ... وواضح من اسم هذا النوع من الاسئلة انه يرمى بالدرجة الاولى الى قياس فهم الطالب لما يقرأ ...

لذا أبدأ مقالى باسداء النصح الى الطلاب أن يركزوا اهتمامهم اثناء اجابة هـذه الاسئلة عن الفهم العميق للقطعة . والقطع المعطاه تكون عادة للطالب العـادى ، وتكون فى لغة سهلة من حيث المفردات والتراكيب . وبعبارة أخرى يجب عـلى الطالب أن ينسى كل « الخداع » التى قد تكون فى جعبته للحصول على درجات فى هذه الاسئلة دون أن يبذل الجهد فى فهم القطعة ... فنقل أجزاء من القطعة حرفيا على أنها اجابات للاسئلة لن يجدى ... لان الاسئلة توضع خصيصا لقياس درجة فهم الطالب لمضمون القطعة وتمكنه من كتابة الجملة التى تجيب على السؤال .

والطالب الذى ينقل جملا بنصها من القطعة على أنها اجابات للاسـئلة عادة لا يحصل على أى درجة خاصة اذا كان واضحا انه لم يفهم ما قرأ ولا يعى ما يكتب .
وأكرر هنا أن الغرض من سؤال القراءة مع الفهم هو قياس قدرة الطلاب عـلى القراءة السريعة مع الفهم مع القدرة على كتابة بعض ما فهمه من القطعة فى شكل اجابات لاسئلة عن القطعة أو ملخص لفحواها ...

لذا يعطى طالب الثانوية العامة قطعتين للفهم احداهما فى الورقة الاولى وفيها يعتمد الطالب فى اجابته عليها على الفهم ثم التعبير والتلخيص ، والاخـرى فى الورقة الثانية وفيها يقاس فهم الطالب لتفاصيل القطعة واللغـــة التى كتبت بها بأعطائه الاسئلة فى شكل بدائل ثلاثة أو أربعة يكون أحدها فقط هو الصـحيح حسب ما جاء فى القطعة ...

● الغرض من سؤال القراءة مع الفهم هو قياس قدرة الطالب على القراءة السريعة مع الفهم مع القدرة على كتابة بعض ما فهمه من القطعة في شكل إجابات لأسئلة على القطعة أو ملخص لمحتواها.

ولنناقش كلا من النوعين على حدة ونبين للطالب كيف يجيب على الاسئلة اجابة تبين فهمه للقطعة • وسنورد هنا نموذجا لقطعة من النوع الاول • ونموذجا آخر لقطعة من النوع الثاني •

وهذه قطعة ذات أسئلة فهم تحتاج الى التعبير أو التلخيص :

As our planet earth, has hore water than solid land man has always thought of means of crossing wide areas of water. For a long time nobady ever thought of crossing the Atlantic ocean. The Arabs called it the sea of darkness. However, as there are monuments in some parts of America similar to those in Egypt, some scientists think that the Ancient Egypians must have crossed the Atlantic in boats made of papyrus more than two thousand years ago. Very recently, a Danish scientist, who held such an opinion, managed to sail from Alexandria to South America in a boat which he had built of papyrus.

1. Why did the Arabs call the Atlantic ocean the sea of darkness ?
2. Why did early man have to think of means of crossing wide areas of water ?
3. In about 30 words, give an account of the Danish scientist's experiment. Use your own words as far as possible.

والمفروض أن يقرأ الطالب القطعة قراءة سريعة ليعرف موضوعها بصفة عامة • ثم يقرأها مرة اخرى قراءة متأنية ليفهمها فهما اكثر عمقا • وبعد ذلك يقرا الأسئلة •

واجابة السؤال قد تكون في القطعة ولا تحتاج لاستنتاج • ولكن مع ذلك لابد وان تحتاج الاجابة الى تركيب جديد للجملة بحيث يكون نقل سطر أو اكثر من القطعة لا يجعل الاجابة تستقيم مع السؤال •

والسؤال الاول في قطعتنا من هذا النوع ، اذ من الواضح أن العرب أسموا المحيط الأطلسي « بحر الظلمات » لان أحدا لم يعبره ، وهذا موجود بالقطعة ،ولكن على الطالب أن يدخل بعض التعديلات في تشكيل ما يقتبسه من القطعة من كلمات فتكون الاجابة :

The Arabs called the Atantic ocean the sea of darkness because nobody had ever crossed it.

أما السؤال الثاني فيحتاج الى بعض الاستنباط فمن السهل أن يستخلص الطالب الاجابة من القطعة فالرجل الاول فكر في وسائل يعبر بها مساحات شاسعة من الماء ليصل من منطقة صلبة الى منطقة صلبة أخرى • فتكون الاجابة :

Early man had to think of means of crossing wide areas of water to get from one salid part of earth to another.

اللغة الانجليزية
وطلبة الثانوية العامة

ولاجابة سؤال التلخيص يبدأ الطالب بتحديد النقاط التى سيذكرها فى ملخصه . وفى قطعتنا جاء أن وجود اثار فى أمريكا تشبه الآثارنا جعل العالم الدنمركى يظن أن المصريين القدماء عبروا الأطلنطى فى قوارب من البردى ، فبنى قاربا مماثلا وعبر الاطلنطى .

وبعد تحديد النقاط ينحى الطالب ورقة الاسئلة جانبا ويكتب نقطتين بأسلوبه . وحين نقول بأسلوبه لا نعنى أن الطالب لن يستخدم أى من كلمات القطعة ، ولكن نعنى أنه لا ينقل جملا أو أجزاء من الجمل برمتها من القطعة . ثم يعد الكلمات التى كتبها ، فاذا زادت أو نقصت عن العدد المطلوب يعدل فيما كتب بحذف ما لا ضرورة له ، أو زيادة بعض الكلمات التى توضح ما يريد أن يعبر عنه حتى يكون الملخص فى حوالى العدد المطلوب من الكلمات .

ويتأكد دائما واضعو الامتحان من أن عدد الكلمات المطلوب هو العدد المناسب للملخص الذى يطلبوه وذلك بعمل ملخص متوخين فيه قدرة الطالب العادى ثم يعدون الكلمات ويطلبوا من الطلاب كتابة الملخص فى حوالى هذا العدد .
ونورد هنا ملخصا لتجربة العالم الدانمركى فى ٣٠ كلمة كما هو مطلوب فى القطعة .

Judging by some monuments in America, the Danish scientist believed that the Ancient Egyptians must have crossed the Atlantic in Papyrus boats. He built a Similar boat and succeeded in crossing the ocean.

وبالطبع هذا مجرد نموذج للاجابة ، وقد يكتب الطالب نموذجا آخر وسيحصل على الدرجة كاملة طالما كان ملخصه شاملا لكل النقاط ومكتوبا بلغة سليمة فى حوالى عدد الكلمات المطلوب .
أما القطعة التى تأتى فى الورقة الثانية فهى لقياس الفهم التفصيلى للقطعة .
وهذا مثل لقطعة من هذا النوع :

People think that a man comes to the end of his energy when he is sixty, simply because according to government rules he has to retire at that age. Yet, most people are full of energy at sixty, and this together with their long experience makes them still fit for work.

I know a man named Mr. Hassan who was strong and fit when, at sixty, he retired from his work as a teacher in a government school. He had nothing to do other than spending most of his time at a café playing chess with his friends. One day, it occurred to him that if he had the strength of body to leave home almost every day to go to the café and the strenght of mind to play chess and mostly win, he might be able to do something that had more benefit.

With the money he had saved and the experience he had acquired, he started a private school for children. The school was very successful as it did not only bring in a lit of money but gave him satisfaction also.

1. According to the writer, a man
— Always loses energy when he retires
— Does not always lose energy when he retires.
— Always retires when he has not enough energy to work.
2. Mr. Hassan
— Always won his chess games.
— Sometimes won his chess games.
— Rarely lost a chess game
— Never lost a chess game.
3. Mr. Hassan started a school

● يجب على الطالب أن ينسى كل الخدع التي قد تكون في جعبته للحصول على درجات في هذه الأسئلة دون أن يبذل الجهد في فهم القطعة.

— Only to make money.
— to spend his time in a useful way.
— Because he lost his energy.

4. Most people come to the end of their energy
— at sixty.
— when they retire.
— after sixty.

5. Mr. Hassan used to go to the café because.
— he was sixty.
— he had nothing else to do.
— he was a retired teacher.

6. Mr. Hassan retired because
— he had no energy.
— he had no experience.
— he had to.

7. Mr. Hassan could play chess because he.
— sat at the café with his friends.
— was good at it.
— had a strong body.

8. The school Mr. Hassan started belonged to :
— himself
— the government
— his friends and himself.

9. Going to the café :
— gave Mr. Hassan satisfaction.
— did not give Mr. Hassan satisfaction
— helped Mr. Hassan to spend his time in a useful way.

10. Mr. Hassan's school was successful as :
— he made much money out of it.
— it was for children.
— he thought of it at the café.

وللاجابة الصحيحة على هذه الاسئلة يجب ان يقرأ الطالب القطعة كلها اولا ليعرف موضوعها ، ثم يبدأ في قراءة الاسئلة واحدا فواحدا . وبما ان الاسئلة تسأل غالبا في تفاصيل القطعة فننصح الطالب ان يرجع الى القطعة عند اجابة كل سؤال ولا يتسرع في اختيار الاجابات ، لانها احيانا تحتاج الى تفكير ومراجعة .

فلاجابة السؤال الاول يرجع الطالب الى الفقرة الاولى من القطعة التى تقول انه بالرغم من ان النظم الحكومية تقضى بأن يحال من يبلغ الستين الى المعاش الا ان معظم الناس يحتفظون بحيويتهم ويصلحون للعمل • وبناء عليه فالقول بانهم يفقدون حيويتهم عند احالتهم الى المعاش خاطىء وأنهم يحالون الى المعاش حين يفقدون حيويتهم خاطىء • اما انهم لا يفقدون حيويتهم دائما حين يحالون الى المعاش هو القول الصحيح •

ولاجابة السؤال الثانى يرجع الطالب الى الجزء الذى يقول فيه الكاتب أن مستر حسن mostly, mostly win تفيد انه ينتصر فى معظم الاحيان وبناء عليه يكون القول بأنه نادرا ما ينهزم rarely lost a chess game هو القول الصحيح •

أما السؤال الثالث فيعتمد على الفهم العام للقطعة فمستر حسن لم يفتح مدرسته من أجل المال فقط ولا لانه يفتقر الى الحيوية بل لانه أراد أن يستغل وقته فيما يفيد فتكون الاجابة استنتاجا هى to spend his time in a useful way.

والسؤال الرابع يعيد الطالب الى الفقرة الاولى التى تتكلم عن العلاقة بين الاحالة الى المعاش وحيوية الموظف والتى تقول بوضوح أن معظم الناس لا يفقدون حيويتهم فى سن الستين عند احالتهم الى المعاش فيكون القولان الاولان خاطئين والاجابة الصحيحة أنهم يفقدونها بعد سن الستين •

والسؤال الخامس يرتبط بالجزء الذى يتحدث عن ذهاب مستر حسن الى القهوة والذى يقول

He has nothing to do other than spend ing most of his time at a café.

فيستنتج من ذلك أن الاجابة الصحيحة هى he had nothing else to do

والسؤال السادس ولو انه عن مستر حسن الا انه يرتبط بالفقرة الاولى التى تقول ان الموظف يحال الى المعاش فى سن الستين لان هذه هى قوانين الحكومة فيكون الاستنتاج انه احيل الى المعاش because he had to اذا كان مضطرا لذلك حسب قوانين الحكومة •

والسؤال السابع يتطلب من الطالب ان يرجع الى الجزء الذى يتكلم عن لعب مستر حسن للشطرنج والذى يقول انه كان ينتصر فى معظم الاحيان ويفيد أنه كان يجيد اللعب فتكون الاجابة الصحيحة هى was good at it

والسؤال الثامن عن فتح مستر حسن لمدرسة ويقول انه himself أى مدرسة خاصة يملكها هو فتكون الاجابة الصحيحة هى started a private school

والسؤال التاسع عن ذهاب مستر حسن الى القهوة التى تقول انه فكر هناك فى عمل أكثر جدوى مما يفيد أنه لم يكن مقتنعا بجلوسه على القهوة فتكون الاجابة الصحيحة did not give Mr. Hassan satisfaction

والسؤال العاشر عن الجزء الاخير من القطعة الذى يتحدث عن نجاح المدرسة لانها اعطته رضا وحققت له كسبا ماديا فتكون الاجابة عن الكسب المادى هى الصحيحة he made much money out of it

وعلى الطالب ان يلاحظ أن الاجابات الخاطئة المعطاة توضع بحيث تغرى الطالب غير الواعى أو المتسرع أو الذى لم يفهم القطعة بعمق وتفصيل أن يختار أحدها • لذا ننصح بالقراءة المتأنية والتفكير قبل اختيار الاجابة الصحيحة •

وبما أن سؤال قطعة الفهم فى الورقة الثانية مشترك بين أقسام العلوم

والرياضه والادبي وبما أن درجة القسم الادبي وزمن الاجابة أكبر منها في قسمي العلوم والرياضة ، كان لزاما علينا أن نضع سؤالا للقسم الادبي من خمس درجات

وقد أدخلنا في مواصفات الامتحان لهذا العام سؤالا في المحادثة • وبما أنه من تجاربنا السابقة كان الطلبة يفشلون في كتابة محادثة كاملة من انشائهم رأينا أن نعطيهم بعض أجزاء المحادثة على أن يستكملوا ما نقص منها • وهذا نموذج لذلك السؤال •

Provide the missing parts in the following conversation :

Laila : I'm free this evening. ———— ————— ?
Samia : We can go to the cinema. Laila : What kind of film would you like to see ?
Samia : ————————.
Laila : There is a good comic film at the Metro.
Samia : Let's go to the Metro then. Who'll get the tickets ?
Laila : ————————.
Samia : ———————— ?
Laila : We can meet at Groppi's.
Samia : ———————— ?
Laila : At six o'clock.

وعلى الطالب أن يقرأ أجزاء المحادثة المعطاة ليمكنه أن يتخيل الموقف والخيال يلعب دورا هاما في اجابة هذا السؤال • فالموقف هنا هو اتفاق صديقتين على الذهاب الى السينما وعادة يوحي السؤال الذي تسأله احداهما بالاجابة الناقصة أو الاجابة المعطاة بالسؤال الذي يسبقها • فحين تقول سامية

We can go to the cinema

لابد وأن ليلى قد سألتها أين يقضيان المساء فيملأ المكان الخالي الاول

How can we spend it ?

أو Where do you suggest we go ? أو أي سؤال آخر تكون اجابته

We can go to the cinema.

وحين تسأل ليلى سامية عن نوع الافلام الذي تفضله وأضح من اقتراح ليلى بالذهاب الى فيلم كوميدي أن اجابة سامية كانت I prefer (I like) comic films

أو I'd rather see comic film واجابة I'm ready to get them

يحتمل أن تكون Who'll get the tickets أو

As I'm free I'll book tickets for both of us

أو شيء من هذا القبيل والسؤال الذي اجابته We can meet at Groppi's

لابد وأن كان Where shall we meet ? والسؤال الذي اجابته At six o'clock

لابد وأن يكون What time shall we meet ? أو What time ? فقط •

وبتخيل الموقف والتفكير فيما يمكن أن يكون عليه السؤال أو الاجابة المناسبة لسؤال أو الاجابة المناسبة لسؤال سيسهل على الطالب أن يكتب الاجزاء الناقصة ويستحسن أن يقرأ الطالب المحاورة كاملة بعد أن يكتب الاجزاء الناقصة ليتأكد من أنها محادثة متكاملة ومنطقية وطبيعية •

والى مقام قادم لمناقشة اسئلة اخرى في الورقة الثانية لامتحان الثانوية العامة متمنيا لابنائنا الطلبة السداد والتوفيق •

تذكرة تفوق

لطلبة الثانوية العامة في علم النفس

● حليم فريد تادرس
موجه اول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الامانة العامة لتطوير التعليم

● علم النفس من اقدم العلوم ومن احدثها في آن واحد ، فقد عاصر الفلسفات الاولى بل سبقها متمثلا بصورة رمزية في اساطير الشعوب وفي قصص الآلهة ، واذا كانت المحاولات الاولى التي بدأها الفلاسفة والشعراء والاطباء قد القت بعض الضوء على خفايا النفس الانسانية فقد كانت في الوقت نفسه تكشف عن مجاهل جديدة في النفس الانسانية ، اذ بدت اشد ظلاما من قاع البحر ، واعقد مسلكا من الغابات الاستوائية ..

ومن هنا كان علم النفس في حاجة الى من يلم شتاته وينفث في عروقه روح الحياة ، في حاجة الى « نيوتن » جديد يثور على الاساليب البالية التي تتناول النفس باسلوب اسطورى او فلسفى .. فكان ان شهد الربع الاخير من القرن التاسع عشر ثورة اخرجت علم النفس من مجال التأمل الفلسفى الى مجال البحث العلمى التجريبى . فكان مولد علم النفس الحديث الذى اتخذ من سلوك الانسان او الهندسة البشرية موضوعا له ، احد العمد الحضارية التي تسهم ايجابيا — من ناحية — في تخفيف عبء القلق وخفض التوتر ، كما تسهم ايجابيا ايضا — ومن ناحية اخرى — في فهم سلوك الانسان وضبطه والتنبؤ به .

● ونظرا لتزايد الحاجة الى علم النفس في عصرنا هذا ، دخل علم النفس ضمن خطة الدراسة في مرحلة التعليم الثانوى ، حيث يدرس طالب الثانوية العامة في مقرر علم النفس موضوعين اساسيين احدهما هو (المدخل في علم النفس) والاخر (النمو) .

ولما كانت اسئله امتحان الثانوية العامه تدور حول الاساسيات وتقيس قدرة الطالب على الفهم والربط وادراك العلاقات وحسن انتقاء المعلومات ، كما تقيس قدرته على فحص الحقائق الموضوعية وتطبيقها ، نقول لما كان ذلك

● الدوافع اللاشعورية تتكون في اللاشعور بسبب كبت رغبات أو مخاوف منذ الطفولة في اللاشعور، ومن هنا تتصف بأنها لاشعورية غير مدركة لصاحبها، أي لا يشعر بها صاحبها.

كذلك تعين علينا ـ حينئذ ان نقدم في السطور التالية مقرر علم النفس للثانوية العامة على نحو يحقق حاجة الطالب الى الفهم ويعده خير اعداد للامتحان .

***

●● فبالنسبة للمدخل في علم النفس :

يعرض المقرر الدراسي موضوع علم النفس ومنهجه ، ولما كان السلوك هو موضوع علم النفس تعين على الطالب ان يتعرف على الآتي :

المقصود بالسلوك وخصائص السلوك، والدوافع التي تحرك وتوجه السلوك، وجهود علماء النفس في تفسير السلوك (النظريات المفسرة للسلوك) ثم الخطوات التي يتبعها الباحث عند دراسة السلوك دراسة علمية ، وهذا ما يعرف باسم « مناهج البحث في علم النفس »

● اما السلوك : فهو كل نشاط يصدر عن الانسان استجابة للظروف المحيطة به ، وهذا النشاط لا يقتصر على الجانب الحركي الواضح المشاهد فحسب ، بل يشمل ايضا النشاط الفسيولوجي كالمرازات الغدد ـ على سبيل المثال ـ والعمليات العقلية كالانتباه والادراك والتفكير ، فضلا عن الحياة الشعورية واللاشعورية .

● وخصائص السلوك كالآتي :

(١) ارادي يتم على المستوى العقلي والانفعالي والعضوي

(٢) استجابة كلية لموقف معين ، بمعنى ان الانسان حين يسلك سلوكا معينا بانه يتكيف لذلك السلوك التكيف كليا ، فيكتل كل قواه الجسمية والنفسية والعقلية لتحقيق غرضه ، ويختلف مقدار هذا التكيف الكلي باختلاف اهمية الغرض وحيويته

(٣) ديناميكي اي متغير ، ومن هنا يتصف بالمرونة والتحسن والاستفادة من الخبرات السابقة للفرد واستخدام البدائل .

● ولكن ما الذي يحرك السلوك ويوجهه ؟ !

والجواب : الدوافع .

● والدوافع هي العامل الاساسي المسيطر على السلوك ، ولذلك يعرف الدافع بانه قوة داخلية تحرك وتوجه السلوك ، فلا سلوك دون دافع ، ومن هنا كان السلوك مرحلة متوسطة بين دافع وهدف ، ويصنف علماء النفس الدوافع في تصنيفين هما ؟

(١) الدوافع الشعوريه : وهي قوى

داخليه محركه لصاحبها اي مشعور بها تحرك وتوجه السلوك المألوف اي المعتاد . وهذه الدوافع اما اوليه او ثانوية

ـ الدوافع الاوليه: كالجوع والعطش والامومة والجنس ، وهذه الدوافع تشبع حاجات جسمية حيوية ولذلك يطلق عليها اسم الدوافع الفسيولوجية، وهي نظريه موروثه وعامة مشتركه بين جميع افراد النوع الواحد وقد يشترك فيها عدة انواع ، وهي تحقق غرضا عاما هو المحافظة على بقاء النوع كالامومة والجنس ، والمحافظة على حياة الفرد كالجوع والعطش ..

ـ الدوافع الثانويه : وهذه يمكن تقسيمها من حيث ظروف تكوينها الى دوافع نفسية اجتماعية كالميل الى الاجتماع والميل الى السيطرة ، والى دوافع نفسية شخصية كالدافع الى المقاتله او التملك ، وهذه وتلك صلتها بالتكوين النفسي اقوى من صلتها بالتكوين العضوي لانها تشبع اولا وبالذات حاجات نفسية تنشأ في ظل الظروف البيئية المختلفة ، فهي اذن مكتسبة لنتيجة احتكاك الفرد بالبيئه ، ولذلك تتعدد وتختلف باختلاف البيئات والمجتمعات والعصور والظروف الاجتماعية المحيطة بالفرد .. ولانها مكتسبه يمكن التخلص منها او تعديلها ..

(٢) الدوافع اللاشعورية : وهذه الدوافع تتكون في اللاشعور بسبب كبت رغبات مخجلة او مخزية ومخاوف منذ الطفوله في اللاشعور ، ومن هنا تتصف بانها لاشعورية غير مدركة لصاحبها اى لا يشعر بها صاحبها ويتصف السلوك الصادر من الكبت بالاتي :

ـ سلوك رمزى يعبر عن نفسه في صور متنكرة مثل فلتات اللسان والاحلام واعراض المرض النفسي والعقلي ، فشلل ساق الجندى في ساحة القتال رمز الى الخوف .

ـ سلوك لا ارادى لا يمكن ردعه بالارادة ، فالوسواس قد يجد نفسه مرغما على عد اعمدة المصابيح في الطريق او عد طوابق العمارات المرتفعه ولايستطيع كف نفسه عن ذلك بارادته.

ـ سلوك يستغربه صاحبه والناس ايضا ، وقد يكون سلوكا شاذا او مضادا للمجتمع او مرضيا .

● اما ان هذه الدوافع لا شعورية ، فلانه لا يمكن الكشف عنها مهما حاول الفرد ، فمن الرجال مثلا من يميل الى السمراوات دون الشقراوات من النساء ولا يعرفون لذلك سببا وقد يكون الدافع في هذه الحالة حدثا قديما سارا مع سمراء او حدثا قديما منفرا مع شقراء في عهد الطفولة ، واغلب الامر ان يكون هذا الدافع ثقيلا على نفس الفرد يسبب له الالم او يجلب له الهم او الخزى

● اما كونها رغبات مكبوته ، فلان الفرد لم يستطع اشباعها او التعبير عن حاجته اليها صراحة خوفا من الضوابط الاجتماعية او حالة كونها رغبات مخجله او مخزيه ، ليستبعدها رقيب داخلي هو الضمير اللاشعوري من دائرة الشعور ويدفع بها الى دائرة اللاشعور ، بيد ان هذه الرغبات لاتلبث ان تعبر عن نفسها في السلوك الذى اسلفنا خصائصه

● اما كونها ترجع الى الطفوله ، فلان الطفل يكون ضعيفا امام سيطرة الكبار ، فضلا عن قلة صلبة ونقص خبرته فلا يستطيع اشباع رغباته او اعلاءها وابدالها ، كما قد يخشى الكشف عن مخاوفه ، لتحدث عملية الكبت .

> ● لم تعد النفس الانسانيه سيدة أمرها كما كان يبدو لأول وهلة.. بل تعين عليها أن تواصل الكفاح لاستئناس القوى اللاشعورية الغامضة التي تتفاعل بعنف في أعماقها..

فسلوك الانسان اذن لاتحركه دوافع شعوريه اولية كانت او ثانوية فقط بل ودوافع أخرى هي الدوافع اللاشعورية، وكان لعالم النفس « فرويد » الفضل في الكشف عن الدوافع اللاشعورية حين نفذ ببصره الحاد الى اعماق النفس البشرية مكتشفا اخر قاره من القارات التي ظلت مجهولة ، عالم اللاشعور والدوافع اللاشعورية ، حيث لم تعد النفس الانسانية سيدة امرها كما كان يبدو لاول وهله .. بل تعين عليها ـ اثر اكتشاف فرويد لعالم اللاشعور ـ ان تواصل الكفاح لاستئناس القوى اللاشعورية الغامضة التي تتفاعل بعنف في اعماقها .. وكثيرا كان فرويد يقول : كيف يمكن القبض على اللص ما دام مختبا ؟ وكانت رحلته الى الاعماق محاولة طويله لتتبع اثر هذا اللص الذى يكمن في خبايا النفس ـ اللاشعور ـ لا للقضاء عليه بل لتحويله قدر الامكان الى عامل خير ورقي .

● النظريات المفسرة للسلوك : وقد بدا سلوك الانسان أمرا غريبا لدى علماء النفس على نحو استحثهم لتفسيره في نظريات تعبر عن تصورات مدارس علم النفس المختلفه للسلوك.. ولعل اهم هذه النظريات ، نظرية الغرائز (مكدوجل) ونظرية التحليل النفسي (فرويد) ونظرية المدرسة السلوكيه (واطسن وبافلوف) ونظرية المجال النفسي (ليفين) :

والذي يهمنا هنا ـ ويهم الطالب اولا وبالذات ـ ان يتعرف على اوجه الاختلاف بين هذه النظريات

فعلى حين ان مدرستي الغرائز والتحليل النفسي تلتقيان على اساس غريزي الا ان الاختلاف بينهما يبدو في ان مدرسة الغرائز ترى ان الانسان امتداد للحيوان في التطور وكلاهما تحركه الغرائز لحفظ الحياة والنوع وتوجيه النشاط ، والفرق بين الانسان والحيوان يرجع الى الذكاء وتعقد الجهاز العصبي والحياة الاجتماعيه .. فكان دوافع السلوك هي « الغرائز » وما يصاحبها من انفعالات .. تقول على حين ذلك نجد ان مدرسة التحليل النفسي قد اضافت بعدا جديدا في تفسير السلوك هو البعد اللاشعوري وما هو مدفون فيه من دوافع لاشعورية بسبب كبت رغبات مخجله او مخزيه ومخاوف منذ الطفوله .. تحرك الانسان الى سلوك غير مالوف او مرضي

ـ ونجد الخلاف واضحا بين المدرسة السلوكية ومدرسة الغرائز ، فمدرسة الغرائز تفسر السلوك بقوى خفية حيوية غير ظاهرة هي « الغرائز » وتصف السلوك بالتحسن والتغير

والفرضية وهذه الفرضية هي التي تعطى للسلوك صفة التلقائية وصفة القدرة على التحسن والتغير بينما المدرسة السلوكية تقف موقفا معاكسا تماما اذ ترفض تفسير السلوك بأية قوى خفية غير ظاهرة كالغرائز والدافع وتفسره بالمنبهات الحسية الداخلية والخارجية ، ومن هنا يصبح السلوك ردود أفعال آلية ثابتة جامدة عمياء ، (لاتهدف لتحقيق غرض) وترى أن المنبهات الحسية كافية لتفسير السلوك والتنبؤ منه

- ولجد الخلاف واضحا أيضا بين المدرسة السلوكية ومدرسة المجال النفسي ، فعلى حين أن المدرسة السلوكية تفسر السلوك بالمنبهات الحسية ، وتعتبره ردود أفعال ثابته جامده أو استجابات آلية للمنبهات الحسية ، نجد مدرسه المجال النفسى تقف موقفا معاكسا فتنظر الى السلوك نظرة كلية فلا تفسره بعامل واحد كالغرائز (فى مدرسة الغرائز) والمنبهات الحسية (فى المدرسة السلوكية) ولكن تفسره بعدة عوامل تكون المجال النفسى ، من هذه العوامل مايرجع الى الفرد كدوافعه وحاجاته وحالته النفسية والفسيولوجية والعصبية ، ومنها ما يرجع الى البيئة المادية والاجتماعية .

ولما كانت هذه الشروط التى تكون المجال النفسى للفرد متغيرة يصبح السلوك دينامكيا أى متغيرا بسبب التفاعل الدينامكى بين العناصر سالفة الذكر التى يتكون منها المجال النفسى وينتج عن ذلك نوع من عدم التوافق يطلق عليه « توتر » ومن هنا يصبح السلوك محاولة من جانب الفرد لخفض أو ازالة هذا التوتر والرجوع الى حالة توازن باشباع الحاجات وتحقيق الغايات .

● يبقى مناهج البحث فى علم النفس وهذه المناهج تعنى الخطوات التى يتبعها الباحث عند تناوله لموضوعات العلم الذى يبحث فيه حتى يصل الى نتائج أو قوانين لها صفة الصدق والثبات ، واذا كان موضوع علم النفس هو السلوك .. واذا كان سلوك الانسان يتصف بكل ما أسلفناه من تشابك وتعقد ، يصبح السؤال هو : **كيف يخضع عالم النفس السلوك للبحث العلمى ؟**

والجواب كالآتى :

- نظرا لأن السلوك الانسانى له جانبان ، جانب حركى ظاهر يمكن ملاحظته والتجريب عليه وجانب آخر ذاتى يبدو فى الحياة العقلية للفرد سواء كانت شعورية أو لا شعورية نقول ، اذا كان ذلك كذلك ، فقد تعددت مناهج البحث فى علم النفس ونوجزها فى منهجين :

(١) المنهج الموضوعى (التجريبى) والغرض منه هو ملاحظة سلوك الغير وفى هذه الحالة يكون المنهج مقصورا على الملاحظة التى تؤدى الى فروض تفسر السلوك الظاهر ، وهذه الفروض نحققها عن طريق التجريب ، وللتجريب النفسى خطوات هى :

(أ) تحديد أو حصر جميع العوامل المتداخلة فى الظاهرة والمؤثرة فيها .

(ب) تثبيت جميع العوامل أو الظروف ماعدا عاملا واحدا ندعه متغيرا بين مجموعتين احداهما تجريبية والأخرى ضابطة ، ثم ننظر فى نتائج هذا التغير .

(جـ) أى تغير يحدث فى النتيجة (أو فى السلوك) يمكن رده الى فعل العامل المتغير بحيث اذا حذفنا هذا

● السلوك الانساني هو كل مايصدر عن الانسان استجابة للظروف المحيطة به ، وهذا النشاط لايقتصر على الجانب الحركي الواضح فحسب ، بل يشمل أيضا النشاط الفسيولوجي كافرازات الغدد .

العامل او غيرنا مقداره فادى هذا الحذف أو التغيير الى اختفاء الظاهرة او تغيرها تغيرا يتناسب مع تغيير العامل بالرغم من ثبات العوامل الاخرى امكننا الحكم بأن هذا العامل هو من شروط حدوث الظاهرة او انه سبب حدوثها .

٢ ـ المنهج الذاتي « الاستبطان » يعني ملاحظة المرء لنفسه والوقوف على ما يجرى بداخله من عمليات عقلية وحالات شعورية ، ورغم الصعوبات التى تواجه هذا المنهج الا انه منهج علمي يستخدم فى استفتاءات الشخصية واثناء العلاج النفسى حيث يسترشد المعالج النفسى بما يرويه المريض من مخاوف واحلام فى تشخيص المرض ، وهو ايضا الوسيلة الوحيدة لدراسة الظواهر والاحوال النفسية للفرد ..

●● الفرق اذن بين المنهج الموضوعي والمنهج الذاتى هو ان الشخص باصطناعه المنهج الاول يستطيع ان يدرس سلوك الغير معتبرا الظواهر السيكولوجية كاشياء خارجية وكموضوعات مستقلة عنه بدون أن يقارن بين حالاته الشعورية وبين ما يحتمل ان يشعر به غيره ، بينما هو اذا اصطنع المنهج الذاتى (الاستبطان) يستطيع دراسة حالاته النفسية بنفسه اى بواسطة التامل الباطني فقط .

●● اما بالنسبة لموضوع النمو : فيمثل هذا الموضوع الجزء الاخر من المقرر الدراسي والذى يهمنا هنا ان نبصر طلبة الثانوية العامة بالآتي :

١ ـ ان النمو يتأثر بعاملين هما : الوراثة والبيئة ، واليهما ترجع الفروق الفردية بين الناس فى النواحي الجسمية كالطول والوزن والهيئة والقوام والشكل وفى النواحي الفسيولوجية كافرازات الغدد ، وفى النواحي العقلية كالذكاء والاستعدادات والقدرات والميول ، ومن النواحي المزاجية والانفعالية والسلوكية ايضا .

ويجب ان ننبه هنا الى ان هذه العوامل جاءت فى الكتاب المدرسي فى عدد مواقع متباعدة ومتفرقة ـ وفق الترتيب المنطقى فى عرض المادة ومن هنا تعين على الطالب أن يقوم بتجميع عوامل الوراثة وعوامل البيئة وتصنيفها فى تصنيفين أساسيين ، خذ على سبيل المثال « الغدد الصماء » وهى عامل وراثي تحدث عنها الكتاب المدرسى فى صفحات ٥٧ ، ٥٨ ، ١١٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، وخذ ايضا على سبيل المثال بالنسبة لعوامل البيئة تحدث عنها الكتاب المدرسى فى صفحات ٥٨ ، ٥٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، هذا التجميع والتصنيف من شأنه ان يعين الطالب على حسن الاجابة على

السؤال الذى يتناول دور واهمية عوامل الوراثة او عوامل البيئة فى النمو او الشخصية . وهو سؤال متوقع ـ خاصة اذا عرفنا ان النمو « او الشخصية » محصلة عوامل وراثية وبيئية ، هذا ويجب ان ننبه هنا الى نقطة هامة لا تقع فى علم كثرة من طلبة الثانوية العامة هى أن تأثير البيئة على النمو يبدأ منذ بداية فترة الحمل لابعد الميلاد فحسب .. ذلك أن جسم الأم وحالتها النفسية والعصبية والصحية .. الخ تعتبر بيئة بيولوجية تحيط بالجنين « انظر الكتاب المدرسى :مرحلة ماقبل الميلاد صفحات ٦٦ ، ٦٨ .

(٢) ان مقارنة مظاهر النمو فى مراحل العمر المختلفه أمر مطلوب وواجب كمقارنه النمو العقلى فى الطفوله بالنمو العقلى فى المراهقه ، وكذلك تتبع تطور النمو الانفعالى مثلا منذ الميلاد حتى مرحلة المراهقه ، خاصة وان الكتاب المدرسى عرض لمظاهر النمو فى كل مرحله من مراحل النمو على حدة .. هذه المقارنات ، وهذا التتبع من شانه أن يعين الطالب على حسن انتقاء المعلومات المطلوبه ويعده خير اعداد للامتحان

***

هذا ومن الخير هنا أن نعرض لاهم الاخطاء الشائعه التى يقع فيها الطلبه وهى كالاتى :

(١) عدم وضوح المصطلح السيكولوجى فى ذهن الطالب من قبيل ذلك المصطلحات التالية التى وردت فى الكتاب المدرسى « الاستبطان ـ السلوك ـ العقل المنعكس ـ الدافع والباعث ـ الدوافع الشعورية والدوافع اللاشعورية ـ غرضية السلوك ـ ديناميكية السلوك ـ الفروق الفردية ـ الكبت والقمع والاحباط ـ النضج والتعلم ـ الذكاء والاستعدادات والقدرات والميول ـ البلوغ والمراهقه ـ العمر العقلى والعمر الزمنى ـ الوراثه والبيئه ـ الدور والموقف ..الخ » مثل هذه المصطلحات يجب ان تتضح فى ذهن الطالب حتى يحسن المقارنه بينها او تحديد معناها على نحو دقيق

(٢) يخلط معظم الطلبة بين (المقارنه بين مطلوبين) و (شرح هذين المطلوبين كل على حده) فالمقارنه ـ مثلا ـ بين الغرائز ونظرية السلوكية تختلف تماما من شرح نظرية الغرائز ونظرية المدرسة السلوكية كل على حده ، كما يخلط البعض ايضا بين شرح عبارة متضمنة فى صيغة السؤال ـ مطلوب شرحها ـ وبين مناقشة هذه العبارة ، ونوضح ذلك بالسؤالين التاليين !

● « الوراثه من اهم العوامل الأثرة فى النمو » اشرح هذه العبارة ، ثم بين دور اهمية عوامل الوراثه فى النمو والشخصية ؟

● « الوراثه هى العامل الرئيسى الذى يحدد شخصيه الانسان واليها وحدها ترجع كل مظاهر نموه » ناقش هذه العبارة ، ثم بين الدور الذى تؤديه عوامل الوراثه فى النمو والشخصية ؟

ـ السؤال الاول يطلب شرح العبارة، وهذا يعنى توضيح معنى الوراثة كعامل مؤثر فى النمو ، اما السؤال الثانى فيطلب مناقشه العبارة ، وهذا يعنى توضيح وجه الحق فيها ، هل هى صواب أم خطأ . ولماذا ؟! فشتان اذن مابين شرح عبارة ومناقشة عبارة !!

(٣) يعالج معظم الطلبة موضوعات المقرر الدراسى بطريقة الوحدات المنفصله والحفظ الالى للمعلومات خذ ـ على سبيل المثال ـ « الفروق

● الدوافع الشعورية هي قوى داخلية مدركة لصاحبها أي شعوره بها تحرك وتوجه السلوك المألوف أي المعتاد .

الفردية » تعرض لها الكتاب المدرسي في ثلاثه مواقع متباعدة مرة في ص ٥٣ كمبدأ من مبادىء النمو العامة ، ومرة ثانيه في ص ١٢٥ تحت عنوان الفروق الفرديه في النمو العقلي (في المراهقه)، ومرة ثالثه في ص ١٦٠ و ١٦١ تحت عنوان (العوامل المحددة للشخصية)

ـ وحين تضمن امتحان عام ١٩٧٩ السؤال التالي (وضح معنى الفروق الفرديه واثرها في تحديد الشخصيه ؟

ـ عجز معظم الطلبه عن الاجابه الصحيحة بل وكشفت التحليلات الاحصائيه من أن الطلبة الذين حصلوا على أعلى الدرجات في علم النفس في هذا الامتحان قد عجز معظمهم عن بيان اثر الفروق الفرديه في تحديد الشخصيه ، ولو أن الطالب كان قد ربط بين ما جاء متفرقا في الكتاب المدرس بخصوص « الفروق الفرديه » لامكنه التوصل الى الاجابة المطلوبه على السؤال سالف الذكر .

(٤) يجيب كثرة من الطلبة على الاسئله باكثر او أقل من المطلوب ، ويظهر ذلك خاصة عند حصرهم لعوامل الوراثه او عوامل البيئه كعوامل مؤثرة في النمو او في الشخصية ، فيغفلون بعض العوامل او يهملون توضيح التكامل بين عوامل الوراثة والبيئة او يوضحون هذا التكامل بتعليل واحد هو ان الوراثة لاتصل الى مداها الصحيح الا في البيئه المناسبه (وهو التعليل الوارد في ص ٦٠ من الكتاب المدرس) دون ان يفطن هؤلاء الى تعليل آخر جاء في ص ١٦٦ من الكتاب المدرس يبدو فيما كشفت عنه البحوث الحديثة في علم النفس من وجود فروق فردية بين التوائم المتشابهه وهذه الفروق ترجع الى التعلم والتأثيرات الاجتماعيه

***

ذلك هو المقرر الدارسي في علم النفس للثانويه العامه ، قدمناه على نحو يبرز اساسياته ومحاوره والنقاط التي تركز حولها اسئلة الامتحان.. وكان سندنا في ذلك ، الكتاب المدرس طبعة ١٩٨٠ وامتحانات الثانوية العامه ، واجابات الطلاب خلال العشر سنوات الاخيره .. وخبرة دامت اكثر من ربع قرن من الزمان ..

وعلى الله قصد السبيل

حليم فريد تادرس
موجه اول الفلسفة بمحافظة الشرقيه
وعضو الامانه الفنيه لتطوير التعليم ●

تذكرة طبية

داء الملوك

د : السيد الجميل

مرض مزمن يتميز بنوبات حادة من التهاب المفاصل الذي ينتج عن ترسيب املاح اليوريا (اليورات) في الانسجة والمفاصل .

واملاح اليورات قد يرجع ترسيبها في هذه المفاصل الى تحلل مادة البيورين المحللة الى احماض نووية ثم تتحول الى يوريا واحماض بولية ، كما قد يرجع اسباب داء الملوك احيانا الى القصور الكلوى المزمن ، لكن على العموم فان السبب المباشر هو كثرة اكل اللحوم الغنية بالمادة البروتينية النووية ومن هنا كثر وجود هذا الداء عند الملوك لاسرافهم في اكل اللحوم . [illegible]

• [illegible] •

[illegible]

وعادة ما ينتج عنهما نقص العدد من سوء التغذية او فقدان الشهية للطعام ، ولعل السبب الرئيسي المباشر لانيميا نقص الحديد في مناطقنا الريفية هو المرض بتعبان البطن او ديدان الانكلستوما .

ولابد من علاج السبب باشراف الطبيب المعالج .

• فشل الغدة فوق الكلوية •

من اهم اسبابه النزيف الحاد في الغدتين فوق الكلويتين على الجانبين الايمن والايسر وعادة ما تحدث اثناء الولادة لاسيما عند التدخل الجراحي بعنف وشدة . احيانا اخرى يكون بسبب التخثر الدموى في الاوردة الكلوية على الجانبين ايضا ، وذلك كله بميكانيكية غير معروفة ، ولكنها على وجه العموم تحدث في موضعين اساسيين هما الحمل وحالات الحروق ، وفي احيان نادرة قد تحدث في الاشخاص العاديين .

وعلامات هذه الحالات تكمن في [illegible] الشديد اعلى البطن وغير [illegible] تشنج عضلات البطن [illegible]

[illegible] محلول الجلكوز [illegible] مع اضافة [illegible] لمعدل ١٠٠ [illegible] ومراعاة [illegible] نقص وقياسا لدرجة حرارة جسم ، وفحص القلب .

• الانسولنوما •

ورم نادر يحدث في خلايا تنشأ الموجودة في البنكرياس والتي تفرز من جرائه الكثير من مادة الانسولين وبغير حدود مما يترتب على ذلك حرق كميات هائلة من سكر الجلوكوز في الدم ، ومن هنا تصل الى درجة الخطورة .

وعلاج هذه الحالة هو اعطاء المريض الجلوكوز . وبعد ذلك لابد من ضبط معدل السكر في دمه ثم استئصال هذا الورم جراحيا من بطنه .



الدكتور داهش

من عمالقة الفكر والأدب

إنه الدكتور داهش الكاتب الملهم، والأديب المعجز. من أكبر كتاب العرب وأدباء هذا الجيل شرقاً وغرباً بل من أعظمهم ، لضخامة إنتاجه وشمولة مواضيعه ، وعمق أفكاره ومراميه .

كتب في الأدب والشعر ، في القصة والرواية ، في الفلسفة والدين ، في فن الهجاء والمراثي ، في أدب الرحلات وغيرها. له حتى اليوم (١١٢) مؤلفاً منها : إثنان وسبعون مؤلفاً مطبوعاً (٧٢)، معظمها ترجمت إلى لغات عالمية ، وأربعون كتاباً معد للطبع (٤٠) وما كتب وطبع حول الدكتور داهش والداهشية إلى الآن : ستة وخمسون كتاباً (٥٦)

من مؤلفات الدكتور داهش المطبوعة :

١- ضجعة الموت
٢- ضجعة الموت شرح الطالب جميل
٣- كلمات الدكتور داهش
٤- نشيد الأنشاد
٥- نشيد الأنشاد بالفرنسية ترجمة ماري حداد
٦- الإلهات الست (طبعة ثانية)
٧- الإلهات الست بالفرنسية ترجمة الدكتور فريد أبو سليمان
٨- عشتروت وأدونيس
٩- عشتروت وأدونيس بالفرنسية ترجمة ماري حداد
١٠- جحيم الدكتور داهش
١١- بروق ورعود
١٢- مذكرات دينار
١٣- مذكرات دينار بالفرنسية ترجمة ماري حداد
١٤- نشيد الحب
١٥- مختارات من كتب الدكتور داهش
١٦- عواطف وعواصف
١٧- نبال ونصال
١٨- خيال يجمع أزهار الأحلام في القمر
١٩- قصص غريبة وأساطير عجيبة في عشرة أجزاء
٢٠- يوم الزلزلة
٢١- أوهام سرابية وتخيلات ترابية
٢٢- نهر الدموع
٢٣- مذكرات يسوع الناصري
٢٤- أسرار الآلهة (في جزئين)
٢٥- أناشيد حزينة
٢٦- قيثارة الأحزان أو ربيع ينوح
٢٧- قيثارة الآلهة (في جزئين)
٢٨- الرسائل المتبادلة بين الدكتور داهش والدكتور محمد حسين هيكل

فراديس الإلهات يرصعها اللؤلؤ المقدس
في عشرة أجزاء

الرحلات الداهشية حول الكرة الأرضية
في عشرين جزءاً

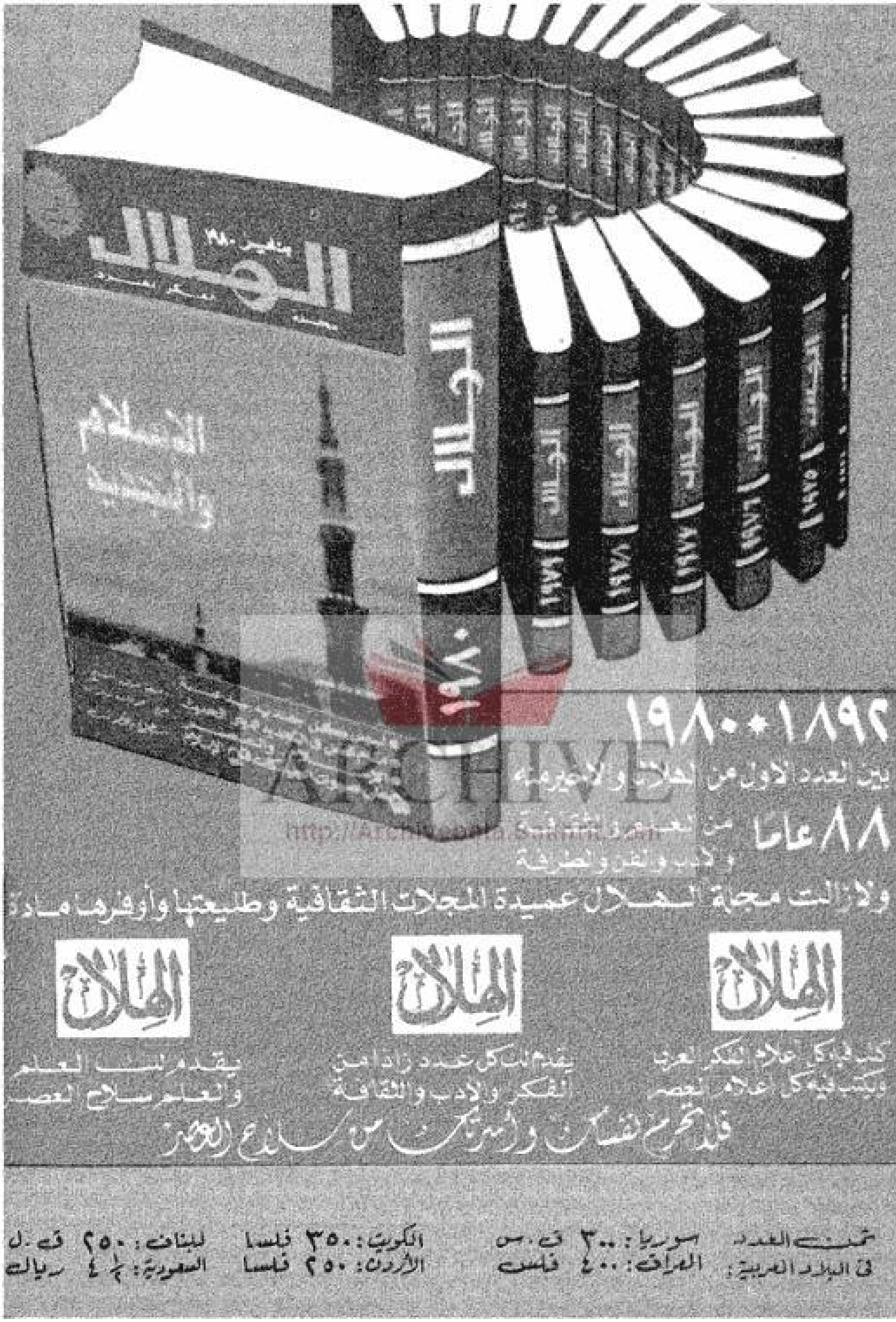
حدائق الآلهة ترصعها الورود الفريدة
في عشرة أجزاء

١- ذكريات الماضي ٢- أفراح وأتراح ٣- أناشيد عاشق ٤- الآلام في سبيل الحياة ٥- نهر الملذات
٦- تراب وسراب ٧- ربيع تغني ٨- قصائد مجنحة ٩- قيثارة الحب ١٠- أناشيد عابد

دار النسر المحلق للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ص.ب ٤٦٢٩ ، تلفون ٤٠٠٧١٧

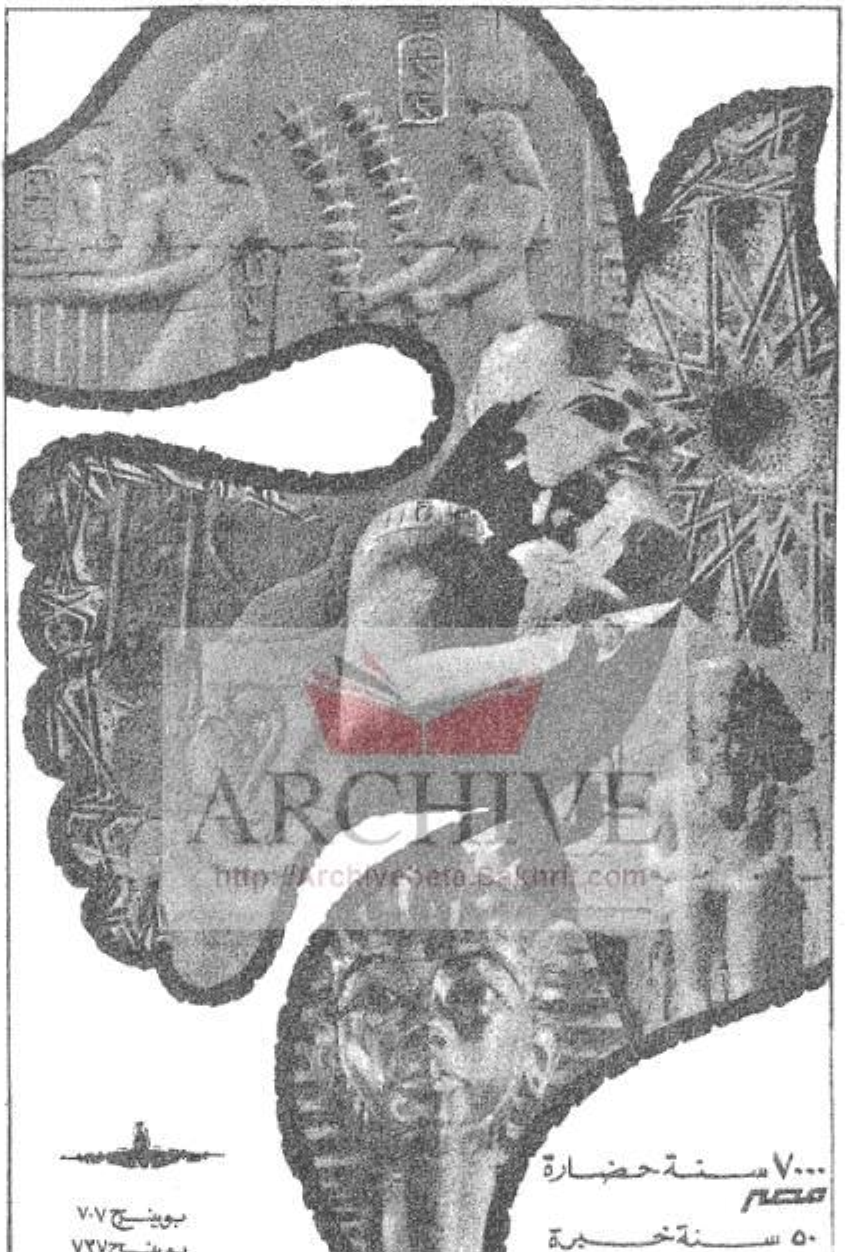
تجدونها بمعرض القاهرة الدولي الثالث عشر للكتاب ١٩٨١ من ٢٩ يناير إلى ٩ فبراير - جناح دار النسر المحلق - سراي (٧)

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨١


الهلال
١٨٩٢ • ١٩٨٠
بين العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٨ عاما من العلم والثقافة والأدب والفن والطرفة
ولازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة
الهلال
يقدم لك العلم والعلم سلاح العصر
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
ثمن العدد في البلاد العربية: سوريا: ٣٠٠ ق.س العراق: ٤٠٠ فلس الكويت: ٣٥٠ فلسا الأردن: ٢٥٠ فلسا لبنان: ٢٥٠ ق.ل السعودية: ٤ ½ ريال

الهلال
مارس ١٩٨١
مجلة الفكر العربي





٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧

كلمة الهلال

أين الكتاب العربي؟

معرض القاهرة الدولي الثالث عشر للكتاب هو أكبر حادث فكري ثقافي في عالم العرب خلال هذا العام ، ومن ثم فهو محتاج لوقفة منا نبدي فيها بعض ما لابد منه من الملاحظات • وقد كنا نحب أن نخصص له دراسة مطولة ولكن الناس كتبوا كثيرا خلال مدة المعرض وبعدها ، فرأينا ان نكتفي بهذه السطور •

المعرض كان ضخما واسع الارجاء ، وقد اشترك فيه عشرات الناشرين وأصحاب المكتبات ، وقد استوقف نظرنا اقبال الناس على المعرض • فمن يومه الأول الى يومه الاخير كانت الوف الناس تجوس خلال المعرض وتفيض بها قاعاته ، وهذه ظاهرة محمودة تدل على ان الناس يحبون الكتب ويريدون شراءها ، وهذا في نفسه يدل على شوق للمعرفة نبيل •

ولكن هذه الجماهير الغفيرة اشترت كتبا قليلة ، والسبب في ذلك يرجع اولا الى قلة الكتب الجيدة الجديدة التي عرضت ، وقد بحثت طويلا عن تلك الكتب الجديدة فلم اعثر الا على عدد قليل جدا ، لان غالبية ما ينشر اليوم هي الكتب الجامعية او المدرسية ، اما كتب الدراسات والابحاث ، وكتب الابداع الفكري فقليلة جدا ، وقد تعجبت وأنا خارج من المعرض من انني احتفلت لزيارته واخذت معي مبلغا من المال لكي اشتري كل ما يعجبني فخرجت بعد يوم كامل من التجوال بكتاب البداية والنهاية لابن كثير •

والسبب الثاني فيما رأيت هي مغالاة اكثر العارضين في اسعار ما عرض من الكتب واجتهادهم في الكسب بأي سبيل ، فقد جاءوا بكتب كثيرة طبعت من سنوات طويلة ، وباعوها بأضعاف أثمانها انتهازا للفرصة واستنادا الى ان سعر الورق قد تضاعف مرات خلال سنتين •

وهذا التصرف غير الكريم من باعة الكتب لا يتفق وكرامة عملهم كوراقين مهمتهم تيسير أم الكتب للناس ، ومن العيب ان يعرض احدهم تاريخ ابن الاثير الذي طبع من عشر سنوات وكان يباع بعشرين جنيها ، يعرضه اليوم بثمانين ، فهو قطعا لم يدفع فيه الا اقل من عشرين فلماذا يبيعه اليوم بثمانين ؟

وبين كسل المؤلفين وأهل العلم والادب وجشع تجار الكتب وقلة المال في جيوب الراغبين في الاطلاع واقتناء الكتب لم يستطع هذا المعرض ان يحقق هدفه الاكبر الذي ارتجاه المشرفون على تنظيمه دون ان تكون لهم في ذلك يد ، فهم قد قاموا بواجبهم عندما اقاموا المعرض ، ولكن ماذا يفعلون لتاليف راكد هابط وتجار استغرقهم الجشع •

وبين هؤلاء وأولئك كان الله في عون الكتاب العربي المسكين •

المحرر

كتب وكتاب

● نصر الدين عبد اللطيف ●

وهو يفعم القلب نارا .. ويمضي!

يلفت اهتمامك ، او يهمك ــ « لواحد واربعين سببا ! » ــ هذا العنوان : الغرفة الخالية ..!

وبعيدا عن السبب الاقرب الى ذهنك حول ازمات السكن ، فان الغرفة الخالية هنا ، عجب من افانين الغرف الخوالى ..!

هي خالية ... وهي ، في عين الوقت ، يزحمها اشباح واطياف واصداء قلب يتوثب على مجامر الحب ، يرضى ... ويغضب عربدا .. !

ولا تسأل الشاعر ــ خليل فواز ــ لماذا تخير لديوانه الجديد عنوان : الغرفة الخالية ...

ان الغرفة الخالية هنا هي احدى كبريات القصائد ...

ولو انها في الديوان ليست قصيدة القصائد ..!

هنا معها كثر قبلها وبعدها .. لكنها التي ظفرت بعرش الغلاف ، وكان لها الصدر دون الاخريات ...

وللقصائد في دنيا الذيوع والانتشار ، مثلما للناس في الحياة والناس ــ حظوظ واقدار ..!

... ولا تحسب ان ذلك كله لان « الغرفة الخالية » وحدها قصيدة الحب هنا ... فكل الديوان بدءا وانتهاء عالم من الحب يطوف حول صحائفه شاعر جوال ، راقي الجرس ، عاشق ، اريب ، يعب من خمر الذكرى ، وخمر الكاس ، ثم لاينتسي ولا ينتشي ..!

وعلى امتداد المسيرة طوافا في الغرفة الخالية ، والشاعر يسبح ، عموديا ، في بحر المتقارب ــ فانه يتوقف للذكرى عند كل المحطات الصغيرة في جنبات الماضي القريب ... محطة سحر الجفون ، محطة وقع الخطى ، وبعدها الثوب الجديد حين تقبل « هي » فيه ، فيهتف يثني عليها ، وتحمد له !

وهو في الغرفة الخالية ، حيث لا احد معه ، ولا شيء عنده ، فان طعامه وشرابه : الذكريات ... وللذكريات سبع شرفات تطل على نهر من الراح ، لن ينشد الراح ، علها تنسيه او ترويه ، أو تراليه فتجلو لعينيه بعض ماكان وراح ...!

الآن ، ها هو ، عند الصفحات السبعين في الديوان وما بعدها ، يشرب على ذكرى الحبيبة ... يشرب ، يشرب .. فلا تنطفيء له غلة ، ولا يهتز ... وانما هو مثلما كان وقال المتنبي : « أصخرة انا ، مالي لا تحركني هذي المدام ... » !

والحب ، الحب هول حين يفعم القلب نارا ويمضي ..

لكن ... وبعيدا من كئوس الذكرى والسهد والشوق ـ فان فى الغرفة الخالية ماهنا ، شاعر حق ، حسن الاداء ، طويل النفس ، مقلق ، ومجيد.!

ثم تبقى من هذه اللحظات مع الغرفة الخالية ، وقفة عند نجمة القصائد العشرين فى الديوان ...

كلمات قصار ، تشع رقة ، وسكينة نفس ، وغبطة ...

عندما يكون الأصعب هو أيضا ... الأروع!

وهى أجمل الاجمل فى مفتتح ديوانه اهداء .. : « الى زوجتى ... مع حبى » ... !

عندما يكون الاصعب هو ، ايضا ... الاروع !

فى كل كاتب شىء مما يكتب ..!

شىء من ملامح صورته ، طبعه او طبيعته ..!

... اهذا راى نافذ ، وقول صويب ؟..

لو أن ذلك كذلك ، فان اكثر الكتاب والشعراء هناك وهنا ، ممن يصح فيه القول : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه .. !

هل تعرف المعيدى ..؟

عندما يفسح لنا ، هنا ، موسع الصفحات ، فسوف أدعوك والمعيدى الى حفل تعارف موسع ..!

الى ان يحين ذلك الحين ، فلقد كنا نقول عن الكتاب والشعراء فى صورهم الشخصية : اكثرهم كالمعيدى .. واقل القليل ليسوا كهو ..!

لكن ذلك على اى حال ، لا يتصل بموضوعنا الان الا من حيث ان من هذه القلة النادرة ، الكاتب الفنان صاحب « فتاة على حصان احمر » المجموعة القصصية الجديدة الشائقة ـ الدكتور نعيم عطيه ...

فهو ، كما هو فى الواقع ، سمح الملامح ، مهذب ، رقيق اللفت والسمت، وليد حضارتين فى وقت معا ..!

● وليد حضارتين فى وقت معا ... كيف ..؟

ـ ... حضارة افريقية مثلا وحضارة مصرية ..؟

● آه ، لعل ذلك كان ايام زمان !

ـ لقاء بنى الحضارات لا زمان له !

● ولكن ، هل يكون احد ابن حضارتين فى الوقت الحاضر ؟!

ـ يكون ..!

● حضارة اغريقية ، وحضارة مصرية ؟..

ـ تماما ، ويكون ايضا كاتبا مصريا موهوبا ياتى بالفرائد !

● الفرائد ؟..

ـ جوهر الابداع والاصالة ، ومجمع ماكنا نقول الان ...

● الان كنا نقول عن ادب الدكتور نعيم عطية ...

آه ، والدكتور نعيم عطية عديد الجوانب والمواهب ، ينشىء الدراسات القيمة فى فقه القانون ـ يكتب الرواية والقصة والمقال ـ ويعرض للفنون التشكيلية دارسا ناقدا وعاشقا ..!

وفى كل ما يكتب شىء بل أشياء منه .. من صدقه ، من عمقه ، وموهبته وفى واقع الحياة من حولنا ، عندما ينفك مسمار صغير من موضعه ، فان هذا ليس بالامر الخطير .. آلاف الاشياء صغيرة وكبيرة ليست فى

مواضعها ... ومع ذلك ، فان الحياة تسير • تسير ! .. لماذا اذن ..
آه .. لماذا كانت نجمة برتقالية تهوى محترقة وتندثر ؟!
هل يبقى من السعادة أو الشقاء ـ شيء ؟!
... لطالما أتيحت لى من قبل مناسبات لاقول أن القصة القصيرة هى الفن الاصعب ..!
الان ، مع « فتاة على حصان احمر » ـ المجموعة القصصية الجديدة للدكتور نعيم عطية ـ فانني اقول ان القصة القصيرة ايضا هى الفن الاروع.!

وتلفتي إلى الشرق يانجمة الفرح!

عندما تكون الامور .. وكثيرا جدا ماتكون ـ مقلوبة راسا على عقب .. فان امرا واحدا هنا يمكن أن يرجىء موعدى مع الجنون الموثق ..!
يحدث ذلك عادة فى الصباح ..
وحين استقبل فى البريد رسائل القارئين ، وتنقلب الامور .. فيصبح الكاتب قارئا ، والقارىء كاتبا .. !
و ... اعجب لاسئلتهم !
ان جمهرة السائلين تتجاوز قضايا الناس والكتب فى صفحاتى القليلة هنا ، الى ماهو اخص ، وابعد ، واعقد .. !
وآه ، لو عرف غربتى فى المتاه من يسالنى هدى الطريق ..!
لو عرف شقاوتى من يسالنى الحل السعيد ـ لعاش العمر يحيى على خيبته كل ليلة حفل عزاء ..!
ثم ... ذلك الذى يسال ويلحف ليعرف ما اكتب الان ، فى التو ، ولحظة وقوع سؤالى تحت عينيك » .. !
... اكتب الان ياسيدى ـ ولا سخرية ـ رسالة الى سيدة فاتنة ، اعرفها ولا اعرفها ..!
سيدتى الجميلة لين فريدريك ـ ارملة الراحل بيتر سيلرز ..
... منذ أشهر وبعض شهر ، مات عنك رجلك الذى أتم حياتك حبا ، وبنين ، واموالا حساما ..!
وبينما انا فى ازمة .. تجميع .. نفقات رحلة اليك ، اعزيك واوصيك بالصبر الجميل ـ فاجأتنى صورك فى المجلات العالمية مع حبيب عاشق جديد « دافيد فروست » ـ تنام ابتسامتك فى حضنه منشوقة شيقة ..!
و ... ياجريحة الصبر ..!
باى المعادلات الصعبة تطفت الاوان قبل الاوان ؟!
اطفات الشموع فى سرادق الاحزان .. !
وانطلقت الى عيون الضوء فى مهرجان التحول .. !
مات الذى كان ..!
عاش الذى يكون ..!
و ... تلفتي الى الشرق يانجمة الفرح ...
فها انا قادم اليك ، قادم ... أعزى لى الفرح !
• • • • •
ولكن ، ليس من حقك ياسيدى ان تعرف ماذا اكتب لسيدة ليس من حقى ان اكتب لها كلمات تفعل بها مالم تفعل الجموع الثائرة بالارملة البديعة فى جزيرة كازانتزاكس العظيم .. !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

كتب وكتاب

الدكتور داهش ومؤلفاته ظاهرة أدبية تستوقف النظر !

بقلم الدكتور حسين مؤنس

من أهل الادب من يهبهم الله موهبة الحب والقبول من الناس ، فتجد الجماهير تتلقى ما يكتبون بقبول حسن، ويقبلون على قراءة مؤلفاتهم بالالوف

ومن هؤلاء الدكتور داهش الاديب الكاتب الشاعر اللبناني الذى الف الى الان فوق « ١٠٠ » المائة كتاب فى كل فن من فنون الادب ، فهو شاعر ينظم الشعر العاطفى الجميل ، وله الى جانب **ذلك اشعار صوفية روحانية هى الغاية** فى الدقة والجمال

وله كذلك روايات طويلة ومجموعات قصص قصيرة ، وكتب رحلات ، ومن كتاباته المشهورة كتاب مذكرات دينار حكى فيها مغامرات دينار وهو ينتقل بين ايدى الناس . وقد أعجب بهذا الكتاب طالب دراسات عربية فى جامعة مانكاتو ـ بولاية منيسوتا ـ بالولايات المتحدة الامريكية فترجمه الى الانجليزية وعمل عليه رسالة للماجستير

وقد أعجب اكثر أهل الادب فى لبنان والعالم العربي بكتاب مذكرات دينار اعجابا يستوقف النظر

فقال فيه الشاعر حسن لطيف الارمنازي :

« واما جولة الدينار التى تأخذ على الحياة طريقها ، فتنتزع من أحداثها الاسوا لتظهر خزى هذه النفوس المتسترة . واما تلك الجولة التى تكاد ان تأتى على خبايا النفوس فتبرز منها ما تجن ، وتزيل من سيمائها أصباغ الخديعة ، فلن يؤلق لها من سمت روحه من الهوى ، وكان فى نفسه وحسه قدوة وهدى !

اي نفس لا تحس باختلاج الضمائر القلقة ، ورائحة الفضائل المحترقة ، عندما تقرأ « مذكرات دينار » !

وقال الشيخ عبد الله العلايلي :

«لقد امتعنى هذا الدينار الذى سجل حكاية ايامه مذ كان حلقة تغط وتحلم فى منجم الى ان تناولته أيدى الناس بشكل دينار انكليزى خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها .. مضطربا بين السادة والسوقة ، وضاربا بين شرق الارض وغربها .. واصفا فى دنيا هؤلاء وهؤلاء، ومن الحياة هنا وهناك .. ناقبا الاسوار الى الدخائل من هذا المجتمع او ذاك ، ينظم المآسى وينشر المساوىء »

وقال الاديب الشاعر حليم دموس :

هو الدنيا وكم سحر الاناما
وكم صلى له شعب وصاما
اما عبدوه دون الله حتى
حنوا من اجله ركبا وهاما
لقد سجدوا له فى عهد موسى
وعيسى والالى نشروا السلاما
نعم سكروا به من غير خمر
وباتوا حوله مثل الندامى
ولو ملك الكلام لقال بيتا
يردده الورى عاما فعاما
انا الدينار يفتنكم بريقى
وقد حذرتكم فابقوا نياما !.

وللاديب الدكتور داهش الى جانب ذلك الكتاب مؤلفات اخرى كثيرة جدا تزيد على المائة كما قلنا ، بعضها يتكون من اجزاء كثيرة مثل كتاب « قصص غريبة وأساطير عجيبة فى ثلاثة اجزاء »

و « الرحلات الداهشية حول الكرة الارضية « فى عشرين جزءا » » وكتاب جحيم الدكتور داهش الاول من نوعه فى العالم بطباعته الثانية الجديدة تزينها مائة وثلاثين لوحة فنية خصصت لدركاته الخمسين ولاشهر الفنانين العالميين

وهكذا نرى ذلك الرجل المتدفق يؤلف فى غير انقطاع ، وكتبه تباع بالالوف كما قلنا . فهو من هذه الناحية ظاهرة ادبية فكرية جديرة بالدراسة والاهتمام من كافة اهل الفكر والعلم والادب العالم العربى

في هلال
هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

ربيع الآخر ١٤٠١هـ
مارس ١٩٨١م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة التاسعة والثمانون ـ أول مارس سنة ١٩٨١ ـ ٢٤ من ربيع الآخر سنة ١٤٠١

من الهلال

[illegible]

صورة الغلاف

مع هذا الشهر ـ مارس ـ تهل علينا طلائع الربيع متمثلا في الماء والخضرة والوجه الحسن كما قيل ، وغلاف الهلال هذا الشهر موعد مع الربيع يعبر عنه هذا الوجه الجميل بزينة الزهر والورود ..

الإشراف الفني
أحمد الورديجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية · في الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ جـ · ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة ·
تليفون ٢٠٦١٠ · عشرة خطوط ·

حول الشخصية المصرية

نعرف أنفسنا أولا لكى نستطيع بناء الحاضر السعيد والمستقبل الزاهر..

بقلم : رئيس التحرير

● اعتقد ان اعظم كلمة قالها فيلسوف هي قول ارسطو : اعرف نفسك ..

فان معرفة الانسان لنفسه هى اساس ما يقدر له من نجاح كبير او غير كبير : اما اذا لم يعرف الانسان نفسه فلا نجاح كبير او غير كبير ، اما اذا لم يعرف الانسان نفسه فلا نجاح كبيرا او صغيرا .. وكل الفاشلين فى الدنيا ناس لم يعرفوا انفسهم ، بعضهم وضع نفسه فوق قدرها فاقحم نفسه فى غير مكانه ، فظل طول حياته قلقا مضطربا خائفا او لجأ الى اساليب غير كريمة ليسند نفسه فى الوضع الذى وضع نفسه فيه دون ان يكون مؤهلا له .. وبعضهم الاخر وضعوا انفسهم فى وضع اقل مما يستحقونه فذهب معظم جهدهم هباء وضاعوا فى زحمة الحياة والبقية ـ وهى الغالبية ، لم تكلف نفسها عناء البحث عن الذات او التفكير فى حقيقة النفس بل تركوا انفسهم مع التيار ، فسار بهم حيث سار ، او جعلوا انفسهم ذيولا لناس ظنوا انهم كبارا ، فساروا فى الحياة

● لو عرف المصري نفسه حق المعرفة لتفتحت أمامه طرق النهوض وتحقيق الآمال ، لأن معرفة النفس بداية الطريق السليم ، ونحن نخطئ إذ نبالغ في مدح أنفسنا لأن ذلك يدعو إلى القعود والقنوع ويبعد عن السعي لتلافي العيوب.

خيولا وراء العربية ، وكانوا بذلك اسوا من الخيول ، لان الخيول ــ على الاقل ــ تسير امام العربة لا وراءها .

ومعظم ماترى من مآسي الناس وما تسمع من شكاواهم حولك آتية من عدم معرفة النفس . فكم من طبيب ــ مثلا ــ يمارس الطب وكأنه صاحب محل بقالة يشترى ويبيع .. وما أقول هذا اجحافا بقدر البقالين ، فهم مواطنون شرفاء يعملون لكسب رزقهم ، ولكن البقالة شيء والطب شيء آخر ، فلا الطبيب يصلح بقالا ولا البقال يصلح طبيبا . والطبيب البقال تعبان وان كان كثير المال ، والبقال الطبيب لا يمكن ان يكون بقالا موفقا ، لان مطالب الطب من انسانية ورحمة وإيثار وسعى وراء العلم لا يصلح معها امر البقال وهو تاجر يشترى ويبيع ومطلبه الاساسى هو الكسب وجمع المال .

وقد عرضت علينا ــ ايام كنت اعمل في وزارة التربية ــ قضية ناظر مدرسة في نواحي ادكو ، وكان هذا الرجل اذا انتهت امتحانات آخر السنة يزرع فناء المدرسة .. ومساحته اربعة فدادين ــ ذرة ، ويحصد الزرع قبل بداية الموسم الدراسي ، ويخزن الذرة في الدور تحت الارض من فناء المدرسة ليبيعه على مهل ولايزال يعمل على ذلك سنوات حتى انكشف امره فاوقف عن العمل وقدم للتحقيق ولم نعرف ماهي التهمة التي توجه اليه ، فهذا الرجل لم يسرق شيئا ولا هو اضر بانسان او بحكومة ، وانما هو كان رجلا ذكيا ومزارعا اصيلا ، انتفع بأربعة افدنة في فصل الاجازات ، فهو ليس مختلسا ولا غشاشا ولامتعديا على حق احد ، ومع ذلك فقد مالت اغلبية اعضاء اللجنة الى فصله ، فقلت لهم :

ــ ان الفصل عقوبة قاسية ، وهذا الرجل كل ذنبه انه مزارع ذكي ، وهو قطعا ليس معلما ولا يصح ان يكون في هيئة التدريس ، وحيث انه لم يضر احدا ولا اختلس مالا ولا خالف قانونا ، فليس هناك في لوائح الوزارة ما يمنع من زرع الذرة في فناء المدرسة اثناء الاجازة .. ولهذا فانني ارى ان نطلب اليه ان يستقيل ، فيخرج بكرامته وحقوقه في المعاش او المكافاة اذا اراد

... ومثل هذا الرجل لا تفسيره الاستقالة ، فسيعرف كيف يشق طريقه مزارعا . فقد عرف الناحية وأهلها ، وكسب ميزة طيبة في الزراعة وتسويق المحصول ، ولاداعي لفصله لان الفصل وصمة ، وستقف عقوبة الفصل عقبة أمامه كلما حاول أن يقوم بعمل زراعي أو تجاري ...

ووافق الزملاء على مااقترحت ، واستقال الرجل وفضل المكافأة على المعاش ، واشترى بها خمسة فدادين وعمل مزارعا ونجح نجاحا كبيرا ، فاصبح بعد سنوات يملك اربعين فدانا واصبح من الاعيان في الناحية ، وظل يذكرني بالخير ماعاش ، وكنت اقول له :

— يافلان ، انت لم تخطيء فيما فعلت . كل الذي حدث أنك عندما دخلت مدرسة المعلمين لتخرج معلما لم تكن تعرف نفسك ، فانت في صميم نفسك لست معلما ولا تناسبك مهنة التعليم ، لانها مهنة تضحية وتعب كثير وكسب قليل ، ولكن الله خلقك مزارعا تاجرا ، ولو انك عرفت نفسك ماتكلفت عناء الدراسة العليا ، وانما كنت قد انصرفت الى الزراعة والتجارة بعد الثانوية العامة ، وفي هذه الحالة كنت تكون اغنى واوسع مالا ...

اقول هذا عن اهمية معرفة النفس بمناسبة الكتاب القيم الذي اصدره اخي ورفيقي في مراحل الحياة والعمل الاستاذ عبد الحميد عبد الغني الذي اشتهر بعبد الحميد الكاتب تيمنا باسم الناثر العربي الاشهر عبد الحميد الكاتب الذي قيل فيه : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

والكتاب عنوانه « قراءات ودراسات عن مصر والمصريين » ونشر في سلسلة كتاب اليوم . وموضوع الكتاب يهمني بصورة خاصة فقد كنت — احسب — من أوائل من حاولوا تعرف الشخصية المصرية في كتابي « مصر ورسالتها » ولم يكن أحد قد سبقني الى الكتابة في الموضوع نصا ، ثم جاء بعدي جمال حمدان بكتابه المبدع « شخصية مصر » ثم جاءت د . نعمات فؤاد بكتابها المتعمق الشاعري « شخصية مصر » ، وقد قرأت ذلك كله وغيره مما يرد في دراسات الدكتور سليمان حزين القيمة وقرأت كذلك ، كل ماكتبه غيرالمصريين عنا من هيرودوت وديودور الصقلي وافلاطون الى ما كتبه المحدثون — اهل الغرب وخاصة كرومر ثم لويد جورج ، وضمنت ابعاضه في طبعات كتاب « مصر ورسالتها » المتتالية ، ثم عدت الى الموضوع مرة اخرى في سلسلة مقالات نشرتها أخيرا في مجلة اكتوبر .

لهذا اهمني كتاب عبد الحميدالكاتب واقبلت عليه أطالعه ، فوجدت فيه الكثير من المادة الفائقة اختارها من محيط واسع من قراءاته وقدم لها وربط بينها بقلمه السهل الممتنع وجعل منها كتابا قيما ممتعا حقا ، فان معظم المادة التي يتألف منها الكتاب موجودة عندي . ولكن جمعها في كتاب واحد ، والربط بينها برباط ادبي فكري متين ، يعتبر بالفعل مساهمة نافعة لنا جدا في محاولاتنا المتصلة لفهم انفسنا ، نحن المصريين .

والحقيقة اننا فيما يتصل بمعرفة انفسنا أمام متناقضات كثيرة محيرة . فهذا شعب ساد في العصور القديمة حضارة ليس لها مثيل في حضارات الامم الماضية ، وأقام هذه الحضارةعلى قاعدة من التنظيم الاداري لازلنا نعجب بها الى اليوم ، ولكن هذا المصرينفسه تأخر زمانا طويلا في اثبات وجوده في عالم الاسلام بعد ان دخل في الاسلام ، فالفرس مثلا سبقونا في علوم الاسلام

● خصائص الانسان المصرى الايجابية كثيرة ويكفى أنه استطاع وحده بجده وعمله وذكائه أن يبنى حضارة مصر القديمة ، ولكن هذا المصرى مر بعد ذلك فى عصور سوداء تراكم على معدنه الأصيل خلالها الصدأ ، فتغيرت صورته الظاهرة له وللناس .

واقامة صرح الحضارة الاسلامية جملة، نعم أن لنا دورنا العظيم الذى نعرفه جميعا فى تاريخ هذه الحضارة ، ولكننا تأخرنا ، فبينما كان علماء الفرس فى شتى علوم الاسلام يعدون بالعشرات خلال القرنين الهجريين الثانى والثالث، لم يبدأ علماء مصر الاسلامية فى الظهور الا أواخر القرن الهجرى الثالث/التاسع الميلادى ، نعم ، اننا نعد عبد الرحمن بن القاسم العتقى واشهب بن عبد العزيز والليث بن سعد مصريين ولكنهم فى الحقيقة نزلاء مصر لا أبناء مصر صلبية ، انما سيظهر ابناء مصر هؤلاء خلال النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ومن اوائلهم عبد الرحمن بن عبد الحكم المؤرخ وابو محمد عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المعروفة ، ولكن واين هؤلاء من فطاحل النابغين من الفرس من أمثال محمد بن اسماعيل البخارى ، ومسلم بن الحجاج القشيرى وطاووس الفقيه وعظماء النحويين واللغويين ، بل أين ذهبت الشاعرية المصرية التى لم تظهر الا فى العصر الفاطمى ، أى بعد أن كان العراق والشام فضلا عن الجزيرة العربية ــ قد اطلعت الرعيل الباهر من شعراء العصر الاموى ثم العصر العباسى الاول ؟ أين اختفت الشاعرية المصرية التى تألقت فيما بعد ؟ بل لماذا لم يقم المصريون باية محاولة للاستقلال بوطنهم عن دولة الخلافة كما حدث فى ايران والمغرب والاندلس ، حقا كانت هناك ثورات محلية فى شمال الدلتا ، ومنها ثورة ضخمة قامت فى عصر المأمون ، واخمدها قائده عبد الله بن طاهر ، واضطر المأمون الى زيارة مصر بعد ذلك ليتأكد من خمود الثورة واستقرار الامور فى البلاد ، ولكن أين هذه من الثورات الكبرى فى المغرب التى قامت فى المغرب خلال العصر الاموى ، وأين هى من استقلال الاندلس بنفسه ابتداء من سنة ١٣٨ • / ٧٥٦ وقيام الدولة الطاهرية فى بلاد الديلم فى أواخر عصر المأمون . لماذا كنا نياما ــ قوميا وفكريا ــ خلال تلك الأعصر ؟

لقد قمنا ببعض الانتفاضات كما ذكرت ولكن هذه الحركات قليلة جدا بالنسبة لمصر ومكانتها ووزنها الحضارى ، فهذا بلد قضى الوف السنين مستقلا وقائدا لغيره فى مضامير السياسة والحضارة وقدرات المصرى وملكاته الانشائية والتجارية والمالية تزيد كثيرا على قدرات شعب فارس أو شعب المغرب أو شعب الاندلس وهذه كلها شعوب سبقت الشعب المصرى الى الظهور واثبات الشخصية والمكانة فى العالم الاسلامى ، فما السبب فى ذلك الخمول الذى اصيبت به مصر خلال القرون الاربعة الهجرية الاولى ، وهى السابع والتاسع والعاشر الميلادية ؟

هنا ،وفي مقام الدراسة المتفحصة لمصر وشعبها ينبغي أن نذكر ان الغزوة الفارسية لمصر بقيادة قمبيز سنة ٥٢٥ قبل الميلاد كانت عنيفة مخربه جدا ، فقد خرب هؤلاء الاسيويون الهمج بلاد الدلتا ومصر الوسطى تخريبا ذريعا ، وقتلوا الالوف من المصريين ونهبوا الماشية وأحرقوا البيوت ولم يتركوا مظهرا من مظاهر العمران الا خربوه ونهبوه ؟ وجعلوا مصر قاعا صفصفا كما يقول ديودور الصقلى ٠

ولكن مثل هذا التخريب ـ مهما بلغ فهو لا يكفي لتقليل الظاهرة ـ ظاهرة الخمول والركود السياسي الطويل التي أشرنا اليها ، خاصة اذا لاحظنا ان مركز القوة في مصر القديمة كان مصر العليا ـ من أسيوط فنازلا ـ والفيوم وهذه لم يؤثر فيها الغزو الفارسي تأثيرا كبيرا ، ولكن الصعيد الاعلى تعرض لغارات أقل عنفا وتخريبا من الجنوب ، من قبائل الحبشة والنوبة ٠

ولكن السبب الرئيسي فيما يبدو لنا أن مصر لم تتح لها بعد ذلك لمدى طويل فرصة هدوء تسترد انفاسها فيها وتعيد ما تهدم من ركائز قوتها وحضارتها ، فقد ظل الفرس وغيرهم من الاسيويين يتوالون على مصر ويعبثون في بلادها فسادا خلال قرنين متواليين استمرا حتى غزوة الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق٠م ٠ ولم يكن هذا الرجل مخربا ، بل كان بناء ، فقد حطم القوة العسكرية للفرس والشعوب الاسيوية الاخرى التي جمعها الفرس في جيوشهم في العصر الاكميني وساقوها بلاء على البلاد والعباد فافسدت امور المنطقة كلها دهرا طويلا ، وعرف الاسكندر بن فيليبوس قدر مصر واحترمها وعظم ديانة مصر وكهنتها ـ بل ذهب الى معبد آمون في واحة سيوة ، وهناك توجوه بتاج فرعون وخرج من مصر رجلا عظيما بالفعل فقد هزم اليونان (وهو مقدوني) وهزم الفرس واستولى على مصر وحظي برعاية كهنتها ، وكان من الممكن ان تنهض مصر بعد ذلك ٠

ولكن الاسكندر ـ كان رجلا حضاريا قبل ان يكون عسكريا أو سياسيا ـ خلف وراءه امبراطورية واسعة يسيطر عليها قواده العسكريون في كل مكان من شرقي ايران الى حدود مصر الغربية ، وبدأ في تاريخ العالم عصر العسكريين المرتزقين الذى امتد ألف سنة !

ذلك ان قواد الاسكندر تقاسموا ملكه الواسع ، فكانت مصر من نصيب بطلميوس الاول المعروف باسم سوتر ووقعت الشام بيد سلوقس ٠وبطليموس انشأ دولة البطالمة التي حكمت من ٣٣٢ الى ٣١ قبل الميلاد ،والبطالمة كانوا حكاما لا بأس بهم حتى بطلميوس الرابع المعروف باسم فيلوباتر ٠ أما بعد ذلك فقد تدهور أمرهم تدهورا ذريعا وفسد أمر دولتهم فسادا محزنا حتى وصل الفساد الى الحالة التي يعرفها الناس جميعا في عصر كليوباترا السابعة ٠

وقد ازهرت مصر في عصر البطالمة الاربعة الاول وتألقت الاسكندرية واصبحت أعظم قاعدة حضارية في العصر البطلمي كله ، وقد دام كما رأينا ثلاثة قرون ٠

ولكن العيب الاكبر في سياسة البطالمة انهم دخلوا البلاد أجانب وأقاموا فيها أجانب حتى نهاية حكمهم ، مثلهم في ذلك مثل أسرة محمد على التي ظلت تعتبر نفسها أجنبية عن مصر وتتصرف على انها دولة تركية حتى نهاية حكم الملك فؤاد على الاقل ، لان فاروق تخلى عن تلك الدعوة التركية وتصرف على انه مصرى ،ولكنه بطبعه لم يكن برجل صالح لقيادة مصر في الظروف العصيبة التي

● من أين عرف المصرى هذا التواكل والتكاسل؟ ومتى وكيف دخل على عملنا الاهمال والتراخى؟ لابد وأن نجيب على هذه الأسئلة لكى نعرف كيف نعالج السلبيات ونفتح الطريق أمام الايجابيات.

عاشتها خلال حكم فؤاد وما بعده ، فقد كان شعب مصر قد ازدادت قوته ودخل مع المتغلبين على بلاده والمتصرفين فى أمره معركته الحاسمة ، ومن سوء تصرف فاروق انه أساء الاختيار ، فوقف الى جانب الانجليز وعملائهم بدلا من أن يقف مع تيار القومية العارم الذى شمل مصر كلها من بداية حكمه وانتهى بالاطاحة به وعودة السلطة العليا فى مصر الى أيدى ابنائها الاصلاء وتجلى ذلك فى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وهؤلاء الاجانب المرتزقة الذين سيطروا على مصر منذ الغزوة الفارسية حتى الفتح الاسلامى هم الذين ، ارهقوا شعب مصر واستغلوه استغلالا شائنا ، لقد كانت ادارة البطالمة ادارة مالية فاسدة نهبت فيها خيرات مصر انتهابا ذريعا ، وتزاحمت فيها الى مصر الوف اليونانيين والمقدونيين والكريتيين والقبارصة وسيطروا على تجارة مصر كلها واستبد هؤلاء بشئون التجارة والمال ، فضاع المصرى فى هذا العصر حقا ،واذا استثنينا بعض المصريين الذين انقذوا انفسهم من الضياع وظهر امرهم فى المدن المصرية اليونانية مثل الاسكندرية ونوقراطيس (نقراش) فان عامة المصريين خلال العصر البطلمى تحولوا الى كتلة من الزراع والصناع الفقراء تعيش وتعانى فى صمت .

ومن سوء الحظ ان الديانة المصرية القديمة تدهورت فى أواخر العصر الفرعونى وطوال العصر البطلمى لانها كانت منذ البداية وثنية بدائية غير قابلة للتطور ، وكان سر قوتها ارتباطها بالفرعون وقوته وسلطانه ،فكانت الديانة والكهنة قوة للعرش ،فلما ضعف العرش وجاءت الاسر الضعيفة ، بعد الاسرة التاسعة عشرة ، ودخلت مصر افكار دينية جديدة آتية من آسيا فقدت الوثنية المصرية حيويتها وسبب بقائها ، وقد حاول اخناتون انقاذها بمذهبه المعروف فى التوحيد ، ولكن الكهنة ثاروا به وأبطلوا هذه الحركة الدينيه العظيمة التى كان من الممكن أن تطيل عمر الحضارة المصرية . وبعد فشل هذه المحاولة تدهورت الوثنية المصرية اكثر واكثر واصبحت وسيلة كسب وسلطان فى يد كهنة جهلاء فاسدين ،فضاع بذلك العنصر الثالث من عناصر قوة مصر الفرعونية وزاد فساد الديانة المصرية خلال العصر البطلمى ، وفقد شعب مصر قادته من رجال الدين والكهان ، وكانوا عوامل تجميع ومصادر قوة معنوية كبرى لشعب مصر أيا كان رأينا فى الوثنية المصرية القديمة .

خلال هذا العصر البطلمى وما تلاه من العصر الرومانى وكان عصر عسكرية

• لا ينفعنا في شيء أن نقول : ليس في الإمكان أحسن مما كان ، ففي الإمكان تحقيق أضعاف ما نعمل بصورة أوفى وأكمل إذا نحن عزمنا على ذلك وأردناه فعلا ، فنحن شعب أصيل فعلا وصانع حضارة بلا شك .

صارمة ونهب للشعوب وضياع لكل ضعيف تدهور المصري تدهورا بالغا ، فقد كان الرومان ينهبونه أولا بأول ، ولم تكن أمامه أية فرصة للحياة آمنا بالعمل الشريف فاقتصر المصري نتيجة لذلك على الضروري الذي لابد منه للعيش . ومن غريب الامر ان الفقر في تلك العصور كان وسيلة من وسائل البقاء والنجاة ، لانك اذا كنت موسرا وبدت عليك مظاهر النعمة أصبحت هدفا للحكام ورجالهم ومطمعا وفريسة لهم ، أما اذا كنت فقيرا معدما فلا مصالح لهم في إيذائك فتسلم . لهذا نجد ان بيت الفلاح المصري — وهو بيت بالغ الفقر ليس فيه ما يطمع فيه — هو بشكله الذي نعرفه الى اليوم — نتيجة هذه العصور السوداء . ولو ان الفلاح المصري عاش في ظروف أمن واستقرار وعدل لما سكن هذا البيت البدائي المقبض للنفس .

ولقد دام حكم الرومان لمصر ستة قرون ونيف . من سنة ٣١ قبل الميلاد الى ٦٣٠ ميلادية ، وفي منتصف هذه المدة دخلت المسيحية مصر فاقبل المصريون عليها ، ووجدوا فيها أمل العدالة والخير والامان ولكن الدولة البيزنطية — التي انتقلت اليها ملكية مصر من أيام الامبراطور دقلديانوس سنة ٢٩٦ ميلادية اضطهدت اقباط مصر بسبب تمسكهم بمذهبهم المونوفيزي ، وعادت قصة الظلم مرة اخرى ، بل زادت ، لان الرومان كان ظلمهم ظلما ماليا ، أما البيزنطيون وهم الروم ، فكان ظلمهم عسفا ماليا واضطهادا دينيا ، فزادت الاحوال سوءا واصبحت معاني العدل والامن والرخاء بالنسبة للمصري اماني بعيدة التحقيق ، وهذه الظروف كلها ما بين مادية ونفسية ومعنوية كانت من اكبر اسباب دخول المصريين في الاسلام واقبالهم عليه .

أيكون الغزو الفارسي الذي ذكرناه وما تلاه من استبداد اليونان والمقدونيين ثم الرومان والروم مدى الف سنة هو الذي أحدث في نفس المصري هذا التغيير العميق الذي ظل يحس به حتى وصل الى الاستقلال الصحيح مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

ان الف سنة في حياة شعب عمر طويل جدا ، والمصري الذي عرف العزة واليسار والثقة في نفسه خلال عصور مصر القديمة واقبل على العمل والاتقان والابتكار حتى أقام للناس أول دولة منظمة وأول مجتمع مترابط متقدم يعرفه التاريخ ، هذا المصري توالت عليه المحن والنكبات والاضطهاد والحرمان فتعلم الكسل والتواكل وفقد شيئا فشيئا روح المسئولية وروح الجماعة ، فقد الحب للحياة والبهجة بمعانيها وأصبح جهده كله موجها الى الحفاظ على نفسه

● لا مفر لنا من أن ندرس أنفسنا دراسة جيدة فإن العالم كله يسرع بل يهرول إلى الأمام، ونحن أشبه بالنيام نسير على مهل، نحلم بالأشياء، بدلا من أن نحققها ونصرف اهتمامنا إلى مشاكل اليوم العابرة وننسى مشكلات الغد التي تنتظرنا.

ولوعه فاصبح همه الوحيد هو ان يسلم بجلده وان يتزوج ليلجب مصريين آخرين يأتون من بعده، فزال عن مصر رونقها البهيج الذى كان يثير اعجاب اليونان وحسدهم وحقدهم، وحلت محل ذلك صورة كئيبة حزينة لا تكاد تحس فيها أثر الحياة الجديرة بهذه التسمية ؟

ان الف سنة عمر طويل جدا كما قلنا وخاصة اذا كانت الف سنة من الشقاء المستمر، وخلال هذه الحقبة الطويلة نسى المصرى مقومات شخصيته الرفيعة الاولى وحلت محلها شخصية المصرى المنطوى على نفسه والامه وشقائه، المعذب بمخاوفه، المرهق بصنوف الظلم التى توالت عليه دون توقف بعضها فى اثر بعض كأنها امواج بحر عاصف، فلم يتسع الوقت امام المسكين ليلتقط انفاسه وينظر فى امر نفسه وبلده ويحاول اصلاحهما ؟ لقد نسى المصرى حتى تاريخه القديم، وعندما دخل العرب مصر وبداوا يسالون عن الماضى والآثار لم يجدوا من اهل مصر من يقول لهم شيئا نافعا عن ماضى ذلك البلد العظيم، واقرأ تاريخ مصر القديم عند المقريزى - وهو من كبار المؤرخين - لاتكاد تصدق نفسك لما تقرأ من الاساطير والاوهام التى سمعها هذا الرجل من المصريين عن تاريخ بلادهم القديم ودونها فى كتاب.

انني الآن فى سبيل « تشخيص » ما أصاب المصرى وما هو الذى ادخل على شخصيته وحياته هذا التغير العميق البعيد المدى، فبعد العلم الواسع حل الجهل، ومكان النشاط والعمل نجد الخمول، ومكان الاتقان والدقة نجد الصنعة السيئة التى تتمثل لنا فى صنعة الساقية، وهى أسوأ صنعة يمكن تصورها، ولابد ان سواقى مصر القديمة كانت متقنة جميلة مثل بقية آثارهم.

ونحن نقول هذا ونصارح أنفسنا به لاننا نعلم ان اصلنا طيب ومعدننا نفيس فلا يزال المصرى يحمل فى اعماق نفسه الشعور بالعزة والقومية والكرامة، ولا يزال يحتفظ بالاصالة وكرم النفس وحب العمل والقدرة على الاتقان والابتكار، ومعنى ذلك ان كل مالا يعجبنا فى المصرى اليوم انما هو الصدأ الذى يعلو الحديد، واذا انت عرفت كيف تزيل الصدأ عاد المعدن النفيس الى الظهور، وقد اثبت المصرى قدرته على النهوض والقيام بالاعمال الباهرة كلما اتيحت له الفرصة لذلك، ويبقى علينا ان نعرف كيف نزيل الصدأ ونتيح لمعدن المصرى السليم الاصيل ليظهر ويصنع الحضارة التى هو ابوها، بقى ان نعرف كيف نفعل ذلك، وهذه هى المشكلة التى اضعها امام كل محب لهذا البلد وكل صاحب امل فيه وكل مؤمن به وبمستقبله الزاهر باذن الله.

● د. حسين مؤنس ●

قصاصات ملوّنة

● محمد شوقي امين ●

● لا يزال التصوير بين اهل الرأى مدار بحث وجدال ، تذهب فيه علماء الشرع الاسلامي مذاهب بين الحل والحرمة ، ولهم فيه احكام بين الاطلاق والتقييد ، وبين الاجمال والتفصيل .

ومنذ ثلاثين عاما ، قدم فقيد الادب الدكتور « بشر فارس » الى الجمعية الآسيوية بباريس والى المجمع العلمى المصرى بالقاهرة ، نصا نادراً ، له وزنه بجهر برأى واضح صريح فى حكم التصوير فى الاسلام ، وكانت عنايته بتقديم هذا النص ثمرة ولوعه بفن التصوير ، ودأبه فى البحث عن المصاور الباقية فى الآثار الاسلامية ، او التى وصفها الاقدمون .

ويبدو أن شيخ النحاة [illegible] فى ذلك النص ، [illegible] صاحب [illegible] القرن الرابع [illegible] الفارسى [illegible] قبلة العربية اربعين سنة . وقد ورد النص فى كتاب « أبى على » المسمى « الحجة فى علل القراءات » ، وهو [illegible] من المخطوطات التى لم تطبع بعد ، ولكن دارت حوله بحوث ودراسات .

تقول « أبو على الفارسى » فى الجزء الثانى من نسخة كتابه التى كتبت بعد وفاته بقليل :

« فأما قوله (تعالى) : « ثم اتخذتم العجل من بعده » وقوله : « باتخاذكم العجل » ، « اتخذوه وكانوا ظالمين » ، « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا » ... فالتقدير فى ذلك كله : اتخذوه إلها ، فحذف المفعول الثانى .

الدليل على ذلك ان الكلام لا يخلو من ان يكون على ظاهره ، كقوله : « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » ، او يكون على ارادة المفعول ، فلا يجوز أن يكون على ظاهره ، دون ارادة المفعول الثانى ، كقوله : « ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ، وذلة فى الحياة الدنيا » . ومن صاغ عجلا او نحوه ، او عمله بضرب من الاعمال لم يستحق الغضب من الله والوعيد عند المسلمين . فاذا كان كذلك علم انه على ما وصفنا من ارادة المفعول الثانى المحذوف فى هذه الآى .

فإن قال قائل : [illegible] فى الحديث [illegible] المصورين يوم القيامة » ، وفى الحديث « [illegible] فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم » . قيل : «يعذب المصورون» [illegible] معنى من صور الله تصوير [illegible] فى [illegible] العلم . فلا تقدم [illegible] الاجماع على [illegible] ذكرنا » .

ذلك هو النص ، ولعل هذا الفهم العلوى لحكم التصوير هو الذى اتاح للعصور الاسلامية أن تخلف لنا هذا الحشد من المصورات المتنوعة التى عنى العلامة « احمد تيمور » بجمعها وصفا وبيانا فى كتابه الجليل : « التصوير عند العرب » ..

● فائت البصر ●

فى الاسئلة [illegible] ، أو حيان التوحيدى ، الى معاصره « مسكويه » ، فى القرن الرابع الهجرى ، الوان من التأمل والتعمق فى ظواهر الحياة . وما احسب أن « ابا حيان » كان يسأل

سؤال المستفهم [illegible] سؤال المتعرف الذي [illegible] بجواب [illegible] التأمل والتفكر.

سأل «مسكويه» قائلاً له: «لم صار الأعمى يجد فائته من البصر في شيء آخر؟ فيكون ذكي الخلق، طيب الصوت، غزير العلم، سريع الحفظ، قليل الهم، طويل التمتع؟».

فأجابه بقوله: [illegible] الأعمى التي كانت تنصرف [illegible] إذا انقطعت [illegible] النفس [illegible].

وهذا يبين لك أيضاً باعتبار الحيوانات الأخر، فإن ما ضعف بصره منها، كان أذكى شيء سمعاً، وأذهى شماً.

والشجرة إذا قطعت [illegible]

ولما كانت الاهتمامات بالمضرات كثيرة، ودواعي النفس إلى اقتنائها [illegible] كالملبوسات والمشروبات والمركوبات، وبالجملة جميع المركبات [illegible] التي هي هموم [illegible] الفكر، واستخراج الحيل في تحصيلها وقت الطمع فيها، والأسف على فوتها إذا فاتته، لتقل همومه!!..

[illegible]

• كيف تكون شاعراً؟ •

حدث شاعر الرقة والسلاسة «البحتري» عن نفسه: كيف هداه إلى أن يستبين طريقه إلى الشعر؟ وكيف كان «أبو تمام» شاعر البديع أستاذاً له، لم يضن عليه بالنصح والتوجيه.

وذلك فيما يرويه [illegible] «البحتري» قال:

«كنت في حداثتي أروم الشعر، وكنت أرجع فيه إلى طبع [illegible]، ولم أكن أوقف على تسهيل مأخذه، ووجوه [illegible] حتى قصدت أبا تمام، وانقطعت إليه، واتكلت في تعريفه عليه، فكان أول ما قال لي:

١ ـ تخير الأوقات، وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم، واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه، فيختار وقت السحر، وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة، وقسطها من النوم، وخف عنها ثقل الغذاء، وصفا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسم الهواء، وسكنت الغماغم، ورقت النسائم، وتغنت الحمائم.

٢ ـ تغن بالشعر، فإن الغناء مضماره الذي يجري فيه.

٣ ـ [illegible] استقص المعاني، واحذر المجهول منها..

٤ ـ [illegible] إياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديئة، والألفاظ الوحشية.

٥ ـ [illegible] الألفاظ والمعاني في [illegible] الثياب على مقادير الأجسام.

٦ ـ [illegible] السحر، فأرح نفسك، ولا تعمل الأوقات فارغ القلب.

٧ ـ اجعل شهوتك لقول الشعر هي الذريعة إلى حسن نظمه، فإن الشهوة نعم المعين..»

[illegible]

مستقبل الإنسان على الأرض بين المتفائلين والمتشائمين

• د. محمد عاطف كشك •

ربما كان شيئا مألوفا لنا جميعا أن نرى في أعمال الأدباء والفنانين درجات متفاوتة من التفاؤل والتشاؤم بخصوص مستقبل الانسان على الارض .. وهذا شيء طبيعي ، فرؤية الفنان او الشاعر - وان تكن مستمدة من الواقع مرتكزة عليه - الا انها رؤية ذاتية الى حد بعيد . فعندما يرى شاعر عظيم مثل « ناظم حكمت» أن « أجمل الايام لم نعشه بعد ! » فهو يحمل كلماته قدرا رائعا من التفاؤل تجاه المستقبل ، لكنه في النهاية لا يستطيع ان يقدم برهانا على ما يقول.. تماما كما لا يستطيع اى شاعر او فنان متشائم ان يقدم برهانا على صواب رايه .. كل ما في الامر اننا نمنح اقوال الشعراء والفنانين قدرا من الثقة يعتمد على مقدار ايماننا بقدرة الشاعر او الفنان على كشف غموض الحاضر ورؤية اهم ملامح المستقبل بما يشبه الكشف او الالهام.. فالفنان بما لديه من مبررات - غالبا ما تكون أخلاقية - له الحق في التفاؤل او التشاؤم ، وليس لاحد ان يساله دليلا على ما يقول ..

إذا كان هذا هو موقفنا تجاه تفاؤل وتشاؤم الادباء والفنانين ، فان موقفنا ازاء تفاؤل او تشاؤم العلماء لابد ان يكون مختلفا .. فالمفروض ان تكون رؤية العالم رؤية موضوعية ، والعالم عندما يقول رأيا فلا بد ان يكون في يده الدليل الموضوعي على صحة هذا الراى ، ولابد من ان ينص - في سياق عرضه رأيه - على الطريقة او المنهج الذى اوصله الى هذا الراى .

كان لابد من هذه المقدمة قبل ان نشرع في عرض آراء المتفائلين والمتشائمين حول مستقبل الانسان على الارض .. وبالطبع فانني سوف اتناول فقط آراء العلماء ، ليس لانني لا اعتقد فيما يقوله الادباء والفنانون ، وليس لان الطبيعة العلمية لمعظم جوانب المشاكل البيئية تستبعد الادباء والفنانين من مجالها ، لا فانا ممن يؤمنون بان الادب والفن يمكن لهما - بل يجب عليهما - ان يقولا رايا في المسائل العلمية التى تمس حياة ومستقبل الانسان ، ومن المؤمنين ايضا بان هذا الراى قد يحمل رؤية مستقبلية قيمة وصحيحة .. السبب الاساسي في انني سوف اقتصر على كلام العلماء هو ان القارىء يتوقع مني - وانا ايضا اتوقع من القارىء - ان يكون لكل منا راى فيما يقوله العلماء . والاراء التى يمكن ان نناقشها بموضوعية - تقوم على فحص ونقد البراهين المقدمة عليها - هي آراء العلماء وليست الاراء الذاتية للادباء والفنانين ..

***

وفي السنين الاخيرة زادت حدة الجدل العلمي بين المتفائلين والمتشائمين بخصوص مستقبل سفينة الفضاء التى تقل البشر جميعا .. وهي الارض ...

● إن التفاؤل والتشاؤم نزعات ذاتية ولا يمكن وصفها بالموضوعية الكاملة حتى ولو استنادًا إلى مقولات علمية وسبب هذا القدر الهائل من التفاؤل والتشاؤم فى اعتقادى هو عدم الدقة العلمية فيما يتعلق بالتغيرات بعيدة المدى فى البيئة الانسانية

وسوف نحاول فيما يلى عرض اهم الآراء والحجج التى يوردها اعضاء الفريقين .

وسوف نبدأ بفريق المتشائمين لانه ظهر الى الوجود اولا ، وتكون فريق المتفائلين كرد فعل بعد ذلك .

فريق المتشائمين : اقتربت الساعة

١ ـ ربما كان اشهر عمل يحمل قدرا كبيرا من التشاؤم ذلك التقرير الشهير الذى صدر فى ١٩٧٢ عن نادى روما بعنوان « حدود النمو »

Club of Rome : «The limits to Growth»

وقد اعد هذا التقرير مجموعة من العلماء فى تخصصات مختلفة ، واستخدموا فيه عددا من النماذج الرياضية ضمنوها مجموعة من البيانات والمعلومات والافتراضات عن الحالة الراهنة للعالم . وتم ادخال النماذج الرياضية المختلفة للحاسب الالكترونى .

وكانت النتيجة التى افرزها الحاسب ان تدهور الموارد الطبيعية ونقص نصيب الفرد من الغذاء قد بدأ بالفعل ، وسوف يزداد هذا التدهور حتى يصل الى مرحلة خطيرة عام ١٩٢٥ . كما ان تلوث البيئة سوف ينقص نقصا طفيفا حتى عام ١٩٩٠ ، ثم يزداد بعد ذلك زيادة كبيرة حتى يصل الى الذروة فى عام ٢٠٥٠ .

وبسبب الزيادة الضخمة فى تلوث الماء والهواء وتدهور الموارد فان عدد سكان العالم سوف يبدأ فى التناقص الشديد فى المائة عام القادمة ..

واختتم الحاسب الالكترونى توقعاته فى كل الحالات بان كارثة ضخمة وشيكة الوقوع ، وان فناء العالم سوف يحدث فى فترة زمنية اقصاها مائة عام ..

وقد اثار كتاب « حدود النمو » ردود فعل واسعة النطاق ، وبعد عام ١٩٧٢ صدر عدد ضخم من الكتب والابحاث والدراسات بعضها مؤيد وبعضها معارض ، وظهرت الى الوجود مدرسة علمية تعرف بمدرسة يوم القيامة The doomsday school راحت تذكر بالكوارث الوشيكة التى تنتظر الانسان فى ظرف قرن واحد من الزمان ..

٢ ـ من ابرز اعضاء فريق المتشائمين العالم البيولوجى الامريكى الشاب بول ايرلش Paul Ehrlsh وقد اورد اهم معتقداته العلمية فى كتاب شهير له بعنوان « **الانفجار السكانى** » The Population Bomb نشر منذ حوالى عشر سنوات . ويرى ايرلش ان الانفجار السكانى هو المشكلة الاساسية التى تواجه الجنس البشرى حاليا ، وانه من المستبعد جدا ان يستطيع الجنس البشرى ان يعبر الفترة الزمنية الباقية من القرن العشرين دون كوارث كبرى ينتج عنها موت ملايين من البشر ..

وفى حديث نشرته النيوزويك فى ١٩٧٤/٩/٢ قال « ايرلش » انه منذ

تم نشر كتابه ، فان تشاؤمه لم يقل ، بل على العكس ، لقد زاد شكه فى امكان المجتمع البشرى التغلب على مشكلة الانفجار السكانى فى الوقت المناسب ، لما زالت كثير من المجتمعات لا تقدر الخطورة الشديدة للتزايد السكانى .

والمشكلة فى الاساس مشكلة عالمية، فقد يحاول البعض القاء اللوم على الدول النامية باعتبارها اهم مصدر لزيادة السكان فى العالم لكن «ايرلش» يرى ان مشكلة التزايد السكانى فى الولايات المتحدة الامريكيه نفسها تعتبر اخطر منها فى اى مكان فى العالم ، ليس لان تزايد السكان فيها اسرع من غيرها، لكن لان ضغط الواطن الامريكى على الموارد ومساهمته فىتدهور البيئة يعادل ٥٠ مرة قدر تاثير المواطن العادى فى الدول النامية .

كما ان ايرلش ـ فى نفس الحديث لم يبد اى قدر من التفاؤل بشأن التقدم التكنولوجى ، فهو يرى ان هناك مغالطة شائعة تقول ان التقدم العلمى والتكنولوجى يمكن ان يحل مشاكل العالم ويوفر الغذاء والسكن والكساء حتى لعشرة اضعاف العدد الحالى من السكان ، فلذلك افراق فى التفاؤل لا نستطيع ان نصدقه ما دمنا نرى باعيننا ان التقدم التكنولوجى لم يستطع ان يطعم او يحل مشاكل الاربعة بلايين نسمة الموجودين بالفعل حاليا .. (ربما كان ربع عدد سكان العالم ـ على الاقل ـ يعانى من مشاكل نقص الطعام او المسكن ومعظم العدد الباقى يعانى من القلق الشديد على توفير احتياجاته واحتياجات جيل الابناء فى المستقبل القريب) .

٣ ـ يرى بعض العلماء انه ليس هناك اى دليل علمى على ان الانسان سوف يبقى على الارض الى ما لا نهاية، بل على العكس تشير ادلة كثيرة علىان الجنس الانسانى سوف ينقرض كما انقرضت من قبله انواع حية كثيرة بعد ان عمرت فى الارض فترات طويلة .. المعروف ان الحياة وجدت على الارض منذ حوالى ثلاثة بلايين سنة بينما لا يزيد عمر الانسان على الارض عن مليون او ٢ مليون سنة .

وقد عاش الانسان طوال تاريخه مسالما مع بيئته حتى بدات الحضارة منذ ستة آلاف سنة تقريبا ، فبدا الانسان يغير كثيرا من عناصر البيئة الطبيعية ، ووصل تدخل الانسان فى بيئته الى مرحلة خطيرة ربما فى القرن العشرين فقط ، واصبح الانسانالمعاصر ـ فى عدة ايام او اسابيع ـ يحدث من التغيير فى البيئة ما كان يعجز اجداده عن احداثه فى عدة مئات او آلاف من السنين !..

واذا كان الامر كذلك فلماذا نتصور ان النوع الانسانى غير قابل الانقراض ... لقد جاء دورنا الآن لنترك الارض تعمرها من بعدنا كائنات اكثر منا حكمة تستطيع ان تفهم بيئتها وتحافظ عليها اكثر مما استطعنا نحن .. واذا كان غرورنا يصور لنا اننا سوف نبقى الى الابد ، فلابد انذلك شعور الديناصورات الضخمة عندما ظلت تعربد على الارض لفترات طويلة !.

***

٤ ـ هناك حجج اخرى كثيرة يسوقها اعضاء فريق المتشائمين بعضها يركز على التدهور الشديد للموارد الطبيعية فى كل مكان فى العالم فالأرض الخصبة تفقد قدرتها على الانتاج وتتحول الى صحراء جرداء فى مساحات عديدة من العالم . والفحم والغاز الطبيعى والبترول كلها سوف تنفد فى وقت قريب ما دمنا نستهلك مصادر الطاقة

بمثل هذا المعدل السريع ، والناتج العالم من الغذاء لا يستطيع أن يفي بمتطلبات السكان المتزايدين ، وهناك دائما الحروب والكوارث الطبيعية التى تضخم من الازمات ..

ولكن مهما كانت كوارث الطبيعة حادة وقاسية ، فان اللوم الشديد يوجه فى كل الحالات الى الانسان باعتباره اكثر مخلوقات الطبيعة اضرارا بالبيئة الى الحد الذى اعطيت فيه للانسان الحديث تعريفات جديدة .. **فلم يعد الانسان هو مجرد « الحيوان الناطق » بل اصبح ايضا هو « الصانع الاول للصحراء » وهو « اشد الحشرات فتكا بالبيئة » وهو « اعدى اعداء نفسه ».**

وقد عبر والت كيلى walt kelley **عن ذلك افضل تعبير فى روايته الكوميدية: « بوجو »** Pogo **بقوله : « لقد قابلنا عدونا وهو نحن ! » ..**

we have met the enemy and he is us

***

ومعظم الكتابات التى نوردها فى هذا الجانب ليست فقط مجرد آراء متشائمة بل هى تحاول ان تقترح بعض الحلول لمنع او تأجيل الكارثة .. واهم الحلول المقترحة والتى تستحق عناية خاصة هو ذلك الحل الذى تبناه كثير من اقطاب مدرسة « يوم القيامة» وروجوا له فى كتاباتهم . هذا الحل يقول ان النمو الاقتصادى لا يمكن ان يستمر بلا نهاية فهو محدود ليس فقط بالامكانيات الطبيعية لكوكب الارض ، ولكنه ايضا محدود بكثير من الحدود الاقتصادية والاجتماعية . وعلى ذلك فلكى نمنع ونؤجل الكارثة التى سوف تصيب الانسان ، لابد من وقف النمو Zero growth

والبعض لا يتردد فى ان يضيف بعض الابعاد الفلسفية لاتجاه وقف النمو قائلا ان النمو الاقتصادى الضخم الذى حققه الانسان وان كان قد تسبب فى توفير بعض الاحتياجات المادية له الا انه لم يسبب اى قدر من الزيادة فى سعادة الانسان وامنه بل على العكس زاد من كمية القلق والتعاسة التى يعانى منها الانسان .

وبالطبع قوبل هذا الاتجاه الذى يدعو الى وقف النمو بمعارضة شديدة من كثير من مفكرى العالم ـ وخاصة من مفكرى العالم الثالث لان البعض رأى فيه محاولة خبيثة يدعمها ويروج لها العالم المتقدم ، الهدف منها وقف المحاولات التى تبذلها الدول المتخلفة لتنمية مجتمعاتها اقتصاديا واجتماعيا .

وسوف نعود الى هذه النقطة مرة اخرى عندما نناقش الجدل الدائر بين الاغنياء والفقراء حول المشاكل البيئية

فريق المتفائلين : مازال امامنا وقت كاف

يرى اعضاء هذا الفريق ان القدر الكبير من التشاؤم الذى يبديه البعض ليس له ما يبرره ، لقد واجه الانسان على مر العصور ازمات حادة وكوارث عديدة لكنه خرج منها منتصرا ، وانه اذا كانت هناك انواع حية عديدة قد انقرضت فذلك لانها لم تكن تملك ـ كما يملك الانسان ـ العقل والقدرة على التصرف وعلاج المشاكل والتكيف مع البيئة .

واهم حجج فريق المتفائلين يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ معظم اعضاء هذا الفريق كانوا من معارضى فلسفة يوم القيامة وما تنتهى اليه من ضرورة وقف النمو . وفى السنوات القليلة الماضية تكونت مدرسة قوية تعارض بشدة كل الاراء

الداعية الى وقف النمو أو وضع حدود له . ووجد اعضاء هذه المدرسة فرصة مواتية لهم للهجوم على تقرير نادي روما « حدود النمو » لما فيه من نقاط ضعف عديدة وقد تم نشر عدد كبير من الدراسات والابحاث التى توجه نقدا عنيفا « لحدود النمو » ..

وتحت يدى اكثر من ٢٠ دراسة من هذا النوع ، وتشير قائمة المراجع فى بعضها الى عدد اكبر منها . وربما كان اعنف نقد وجه الى تقرير « نادى روما » عن « حدود النمو » ذلك النقد الذى وجهته مجموعة دولية من العلماء الشبان فى مؤتمر علمى عن « **السكان والازمات البيئية** » نظمته « اليونسكو » فى الفترة من ٢-٤ مايو عام ١٩٧٢ وعقد بمقر اليونسكو بباريس . وقد نص التقرير النهائى لهذا المؤتمر على نقد ورفض نموذج نادى روما باعتباره غير كاف وغير منزه عن الغرض . ووافق العلماء الشبان فى هذا المؤتمر على ان **هناك** حاجة الى تعريف جديد لعملية التنمية ، وان عملية التنمية بعد اساسى من الابعاد التى لا يمكن الاستغناء عنها عند معالجة الازمات البيئية كما اتفقوا على ان العلم يجب ان يلعب دورا اساسيا فى قضايا التنمية والبيئة .

ويعتبر « جون مادوكس »
John Maddox
واحد من اشد المتحمسين فى نقد وتفنيد ورفض الحجج والاراء التى تروج لها «مدرسة يوم القيامة» وفى دراستين قيمتين احداهما بعنوان « **حدود النمو – الحالة المضادة** »
«The limits to Growth»
The case Againsts
والاخرى بعنوان «**علامات الساعة** »
بذل « **مادوكس** » **جهدا كبيرا فى تفنيد حجج الداعين الى وقف النمو كما وردت فى اهم عملين : « حدود النمو»** **المشار اليه و « خطة اولية للبقاء »**
«A blueprint for Survival»

• وقد تناول « مادوكس » **هذه الحجج واحدة وراء الاخرى مبينا النقص الاساسى فيها ، وانتهى الى ان تحقيق الرخاء الانسانى ممكن ، وان العلم يمكن ان يقدم حلولا ناجحة لكثير من المشاكل البيئية بما فيها المشاكل التى يسببها العلم نفسه . والنتائج التى توصل اليها نادى روما فى دراسته نتائج مشكوك فيها لان هناك عيوبا اساسية فى الطريقة التى بنى بها النموذج الرياضي وفى الطريقة التى استعمل بها . كما ان هناك نقصا وتحيزا خطيرين فى الافتراضات المستخدمة فى بناء النموذج ..**

وفى النهاية اوضح مادوكس ان « الحالة المضادة » لحدود النمو هى ضرورة استمرار التنمية مع الاهتمام الشديد بالاخطار البيئية المصاحبة لها والبحث عن افضل الحلول الوقائية والعلاجية لمنع هذه الاخطار او التقليل منها .

***

ولم يكن « مادوكس » الا واحدا مع آخرين يقاومون الفلسفة الداعية الى وقف النمو كحل وحيد للمشاكل البيئية ، ويكفى ان نستعرض عناوين بعض الدراسات التى كان هدفها الاساسى نقد فلسفة وقف النمو ، وكلها تدور حول قيمة اساسية ، هى ان النمو الاقتصادى ليس منافسا للمحافظة على البيئة ، بل انه من الصعب ان نحافظ على البيئة من التدهور الا من خلال النمو نفسه. فقد قدم رونالد ريدكر Ronald Ridker لهم ١٩٧٢ بحثا له الى المؤتمر العام للجمعية الامريكية لتقدم العلوم بعنوان « **ان ننمو اولا ننمو ليس هذا هو السؤال المناسب** »
to grow of not to grow : That's not the Relevant Question »

كما كان العنوان الذى اختاره ايفيريت هاجن Everet Hagen لبحثه المنشور عام ١٩٧٢ ايضا هو « اعادة نظر فى حدود النمو »
Limits to Growth Reconsidered
أما الدراسة التى نشرها ويلفرد بيكرمان wilfred Beckerman عام ١٩٧٢ أيضا فقد كانت بعنوان « التنمية الاقتصادية والبيئة :: معضلة زائفة ».
Economic Development and the Environment A False Dilemma »

وهكذا نرى من مجرد بعض العناوين كيف حدث رد الفعل السريع والعنيف ضد سياسة وقف النمو ، وجميع الدراسات التى ذكرنا بعض أمثلة لها تؤكد انه لا يوجد تعارض بين النمو او التنمية الاقتصادية والاجتماعية من ناحية والحفاظ على البيئة من ناحية اخرى .

٢ ـ حتى اذا سلمنا بصحة توقعات مدرسة « يوم القيامة » بشأن تاريخ فناء العالم فان مئة عام وقت كاف لكى يصحح الانسان ما وقع فيه من اخطاء، ويتغلب على كثير من مشاكله البيئية . واذا نظرنا الى التقدم المذهل فى العلم والتكنولوجيا الذى حدث فى العشر عاما الماضية فقط فانه يحق لنا ان ننتظر من العلم والتكنولوجيا فى السنين القادمة مالا نستطيع حتى ان نتخيله او نحلم به .

ويرى القائلون بهذا الراى ان اهم نقص فى الافتراضات التى بنى عليها نموذج « نادى روما » هو انه لم يأخذ فى اعتباره التقدم المرتقب فى العلم والتكنولوجيا .

واذا كان بعض المتشائمين يرى ان التقدم العلمى والتكنولوجى قد ساهم فى تضخيم بل وخلق عدد كبير جدا من المشاكل البيئية اكثر من مساهمته فى حلها ، فان المتفائلين يردون عليهم بأن ذلك لا يرجع الى عيب اساسى او نقص ضرورى فى الوسائل العلمية والتكنولوجيا بطبيعتها محايدة والانسان أو النظم السياسية والاجتماعية يمكن أن توجهها الوجهة التى تريدها .

واذا كان الانسان يتصف احيانا بالجهل والغرور وضيق الافق ، فانه ليس من المحتم أن تظل هذه الصفات المدمرة لصيقة به الى الابد ، فهو دائما يتعلم من الاخطاء ويصحح لنفسه باستمرار ... وقد بدأ الانسان بالفعل يدرك ان طرق استعماله لنتائج التقدم العلمى والتكنولوجى لا تكون مفيدة فى كل الحالات ، وانما تكون فى احيان كثيرة ضارة ، وعليه ان يصححها ، وان كانت تدخل هنا اعتبارات خارج نطاق العلم نفسه كالاعتبارات السياسية والاجتماعية والنقابية . وقد اشرنا فى موضع آخر الى ذلك الكتاب الهام الذى يبين نواحى النقص فى استعمالات العلم بعنوان« التكنولوجيا غير المكترثة »
« The Carless Technology ».
وهذا الكتاب وامثاله مجرد خطوات فى طريق الانسان الطويل والشاق نحو تصحيح الاخطاء وتجاوز العثرات .

٣ ـ هنالك مثلين واضحين لما يمكن ان تفعله الثورة العلمية لحل مشاكل الانسان الملحة . اولهما ما اطلق عليه الثورة الخضراء The green revolution وقد ارتبط هذا المصطلح عند ظهوره فى أوائل الستينات باكتشاف اصناف جديدة من محاصيل الحبوب وخاصة القمح والذرة والأرز قادرة على ان تعطى محصولا يزيد عما تعطيه الاصناف التقليدية مرتين او ثلاث مرات. (هنالك اعتبارات سياسية واقتصادية واجتماعية قللت من نجاح الثورة

الخضراء ، لكن ذلك موضوع آخر لا يطعن فى قدرة العلم نفسه) . وهناك ثورة بلون آخر يكثر الكلام عنها حاليا وهى ((الثورة الزرقاء)) .
The Blue Revolution
او الزراعة المائية Aquaculture وهى تشير الى الامكانيات الهائلة التى يمكن تحقيقها من زراعة المياه العذبة والبحيرات والمحيطات (٧٠ ./. من سطح الارض مغطى بالمياه) وقد قدرت المساحات المائية المناسبة لتربية الاسماك فى منطقة جنوب شرقى اسيا فقط بحوالى ٢٥٠٠٠٠كم ٢ . ولو ان هذه المساحة قد استغلت فانها يمكن ان تنتج حوالى ٧٠ مليون طن من الاسماك سنويا .

وهناك امكانية اخرى اصعب وان كانت واعدة ، وهى تربية انواع من الحيوانات الثديية التى تتغذى على النباتات المائية ، والمثل الواضح لذلك هو الحيتان وبقرة البحر التى اوشكت لسوء الحظ على الانقراض . وفى المناطق الاستوائية حيث التربة غير مناسبة لنمو النباتات فان النباتات المائية يمكن ان تكون وسيلة لتغذية الجاموس وغيرها من الحيوانات . وهذه فقط مجرد امثلة لما يستطيع ان يفعله العلم بثوراته العديدة (مختلفة الالوان)

٤ — ان الكثير من مشاكل التلوث التى نعتبرها مصادر تهديد للبيئة ، يمكن تقليلها او حتى تحويلها الى منافع لو ان لدينا الرغبة والدافع لان نفعل ذلك . فيمكن ازالة الكبريت من زيت البترول (وهو مصدر خطير من مصادر التلوث) بتكلفة حوالى ١٥ ٪ من سعر البترول .. ويمكن اعادة استصلاح الارض بعد استخراج الفحم بتكلفة حوالى ٥ — ١٠ ٪ ومن ثمن الفحم الناتج . وكثير من المخلفات الصلبة والسائلة يمكن باعادة استعمالها التخلص منها باعتبارها ملوثات للبيئة . ومن الافضل اذن اعتبار هذه الملوثات ((موارد ليست فى مكانها الصحيح)) . Resources out of Place

٥ — أن مشكلة الانفجار السكانى مع التسليم بأنها مشكلة خطيرة فانها ليست مع ذلك بلا حلول . وهناك جهود عديدة فى العالم كله تتفاوت نجاحا وفشلا ، ولكنها فى تحسن مستمر وبعضها يهدف الى وقف تزايد السكان تماما اى تحقيق معدل نمو سكانى قدره صفر
Zero Population Growth
وتوجد منظمة بهذا الاسم فى الولايات المتحدة الامريكية .

وحتى اذا فشلت جهود الانسان فى وقف التزايد السكانى فان الطبيعة فى هذه الحالة سوف تلعب دورها فى تصحيح الوضع . وليس ضروريا ان يكون الفعل التصحيحى للطبيعة هو فناء العالم . فيمكن ان يقف التزايد السكانى بل وتاخذ اعداد الناس فى التناقص ، ذلك ان مبدأ ((التوازن)) هو احد المبادىء الهامة التى تحكم الطبيعة . واختلال التوازن ينتج عنه هو نفسه توازن جديد . وهناك دلائل كثيرة تشير الى ان التوازن الجديد يمكن ان يكون فى صالح الانسان ، او ان الانسان قادر على ان يجعل التوازن لصالحه فى الوقت المناسب .

وحتى اذا كان مقدرا لنا ان ننقرض فى يوم من الايام فان ذلك لن يحدث قبل فترة طويلة جدا وليس من الضرورى ان نزعج انفسنا بالتفكير فيها منذ الان فنفسد حاضرنا من اجل مستقبل مشكوك فيه ..

وهكذا يستمر المتفائلون فى سرد حججهم ، وهى تدور بالاضافة الى ما سبق ذكره حول عدد من القضايا الاخرى الهامة منها انه اذا كانت الموارد

تتدهور وتستهلك فهناك موارد اخرى كثيرة لم تستعمل بعد ...

واذا كانت الارض تفقد خصوبتها وتتحول الى صحارى فهناك اراض جديدة يتم استصلاحها وزراعتها كل عام . واذا كانت هناك ازمات طاقة حادة فان هناك موارد لا تنتهي من الطاقة لم تستعمل بعد على نطاق واسع وليس لها آثار جانبية ضارة مثل طاقة الشمس . وهكذا ...

وقد تنبأ بعض المتفائلين بان الاجيال القادمة سوف تسخر منا عندما تصلهم انباء الذعر الهيستيرى الذى كنا نتناول به قضايا البيئة، تماما كما نسخر نحن الان من الهيستريا التي سادت العالم يوما عندما انتشر مرض الطاعون

والان في اى جانب تقف انت ؟

بعد هذا العرض الموجز لاراء المتفائلين والمتشائمين : في اى جانب تقف انت ؟

لقد وجهت هذا السؤال لنفسي وفي محاولة مني كي تكون الاجابة معقولة رحت احلل الاراء والتنبؤات في كلا الجانبين ووجدت انه يمكن استخلاص عدد من النتائج :

١ ـ رغم استناد كل من الفريقين المتصارعين الى حجج ومبررات قوية الا ان التفاؤل والتشاؤم نزعات ذاتية، ولا يمكن وصفها بالموضوعية الكاملة حتى ولو استند الى مقولات علمية .

وسبب هذا القدر الهائل من التفاؤل والتشاؤم في اعتقادى هو عدم الدقة العلمية فيما يتعلق بالتغيرات بعيدة المدى في البيئة الانسانية ، فلا اعتقد ان في وسع احد ان يتنبأ بدقة بما سوف يكون عليه حال العالم بعد مائة سنة ، وخاصة في عالم شديد التعقيد سريع التغير كالعالم الذى نعيش فيه !

٢ ـ ان الاراء التي تقول باحتمال فناء العالم وترتب على ذلك ضرورة وقف النمو ، لاشك انها تصدر عن مختلف انواع النيات : الحسنة والسيئة . وبصرف النظر عن النيات ـ التي لا نستطيع مناقشتها ـ فان الراى الذى اجدني مقتنعا به هو عدم تناقض التنمية مع البيئة وانه يمكن من خلال تنمية حكيمة مخططة جيدا ـ تضع رخاء الانسان وسعادته هدفا لها ـ ان نتغلب على كثير من مشاكل البيئة .

٣ ـ ومع ذلك فانني اقف في جانب المتشائمين فهو ـ من الناحية العملية ـ الجانب الاكثر فائدة لمستقبل الانسان . فكل آراء المتفائلين كان يمكن ان تكون بلا فائدة عملية لولا دفاعها الجيد عن ضرورة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ـ اما حسن النية من ـ فريق المتشائمين فلا اعتقد انهم يعانون من « السادية » او ان هوايتهم هي بث الرعب في قلوب البشر ، بل على العكس من ذلك انما يحذرون الانسان من عواقب افعاله المتسرعة غير الحكيمة ويهدفون من وراء ذلك الى توجيه القارة الى المخاطر التي تحيق به حتى يكون على بينة ليتجنب الوقوع فيها .

واذا كان التفاؤل الشديد قد يقود الى التواكل فان التشاؤم يدفع الى التفكير واتخاذ القرار الاصوب بخصوص الفعل . غير انني لا ادعو **الى التشاؤم الشديد حيث ان مضاره لا تقل عن مضار التفاؤل الابله . فالتشاؤم الزائد عن الحاجة قد يقود الى تفكير مشوش وافعال متسرعة عشوائية وحمقاء .. فالمطلوب هو ان نفهم بيئتنا كما يجب ان يكون الفهم السليم ، وان نفهم نتيجة نشاطنا عن البيئة ، ثم ان نعمل افضل ما يمكن عمله لكي نحافظ على الانسجام بين الانسان والبيئة التي نعيش فيها .**

●●

عائد من رحلة إلى الهند

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

● الى « ممباد » من مقاطعة « مالابورم » باقليم كيرالا جنوبي الهند ، حيث ينعقد مؤتمر للادب العربي في كلية جمعية التعليم الاسلامي ، ومقرها « ممباد » ... وكان الطريق الى « ممباد » طويلا وشاقا ...

ولكن كيف الوصول الى « ممباد » ؟ لم يكن امامنا بد من استئجار سيارة تقلنا الى « ممباد » التي لا نعرفها ولا يعرفها السائق ولا مساعده . وسارت بنا السيارة بين غابات من شجر جوز الهند الضخم ، ومن أشجار المطاط والاناناس والموز وخلافها .

السيارة تسرع بنا سرعة كبيرة ، ونحن نسير مرحلة وراء مرحلة دون توقف ، ولا ندري متى نصل الى « ممباد »

وعندما نفقد القدرة على تمييز الطريق، نجد الامل يتجدد في أشخاص الادلاء الذين تتيحهم لنا ظروف هذا السفر الطويل .

***

وفجر يوم الاحد الثامن عشر من يناير ١٩٨١ ، وصلنا « ممباد » ... هذه المدينة الصغيرة المسحورة التي تحيط بها غابات اشجار جوز الهند والمطاط والاناناس من كل جانب

ووصلنا الى الكلية التي سينعقد فيها مؤتمر الادب العربي بعد ساعات قليلة ، واستقبلنا مدير النشاط العلمي فيها الاستاذ عبد العزيز كمال المنقاد ، ثم جاء عميد الكلية البروفيسير عبد السلام عبد الله ، فرحب بنا ترحيبا وديا ، انا وزميل الاستاذ جابر حمزة فراج ، وذهبت بنا السيارات الى الفندق الجميل المعد لنزولنا .. وفيه استرحنا قليلا ، ثم استيقظنا وتناولنا طعام الافطار والشاى

وانتقلنا الى كلية جمعية التعليم الاسلامي ، وفد مصر ، ووفد السعودية ، وقطر ، والامارات العربية ،الكلية الداعية هي جامعة جديدة مصغرة ، تحتوي على اقسام علمية عديدة : للعلوم والآداب والفنون ، وبها قسم كبير للغة العربية والدراسات الاسلامية ، وهي تعمل على نشر العلوم والاداب والثقافات المختلفة بين الشباب الهندى المسلم ، وتعنى بالثقافة الاسلامية والعربية عناية ملحوظة ،وتسهم في خدمة التراث الاسلامى اسهاما فعالا، وقد انشئت هذه الكلية عام ١٩٦٥ .. وهي تقيم ندوات علمية عالمية بين الحين والحين ، ومن الندوات التي اقامتها ندوة عن « الاتجاهات الحديثة في الادب العربي المعاصر » عام ١٩٧٨ ، وفي الكلية نحو ألف طالب ، ونحو اربعمائة طالبة

وتتبع هذه الكلية جمعية التعليم الاسلامي لعموم الهند التي يرأسها الدكتور عبد الغفور محمد ، وقد زار هذه الكلية في سنوات سابقة عدد قليل من الاساتذة المصريين

موضوعات الندوة هي بحوث عن مختلف النهضات الادبية في العالم العربي ، وحركات التجديد في الادب المعاصر ، والمذاهب والمدارس والاتجاهات الادبية المختلفة .

***

جلسة الصباح يوم الاحد الثامن عشر من يناير العاشر من ربيع الاول عام ١٤٠١هـ كانت خاصة بكلمات اعضاء الوفود في تحية المؤتمر والمؤتمرين ، وقد افتتحها الدكتور عبد الغفور ، ثم تلاه عميد الكلية البروفيسير عبد السلام عبد الله ، ثم رئيس لجنة ادارة الكلية . و . عمر كوني حاجي ، ورئيس الندوة الاستاذ عبد العزيز كمال ، والقى جميع اعضاء

الوفود كلماتهم الترحيبية فيهذه الجلسة

اما جلسة المساء فدارت فيها مناقشات حول مذاهب الادب والنقد المعاصر ٠وكان الحوار شديدا حول مذهب مدرسة الديوان ومدرسة ابولو في النقد ، وقد تحدثت طويلا انا وصديقي الدكتور عبد الكريم الاشتر الاستاذ بجامعة الامارات العربية حول ذلك ، وحول مذهب ابى شادى فى النقد ، واشياء أخرى

وعقب جلسات الصباح والمساء دعينا الى حفلات خاصة واجتماعات شعبية لنتحدث فيها الى الجماهير الهنديةالمسلمة ذات الكثرة الغالبة فى اقليم كيرالا الخصب الغنى بجمال الطبيعة فيه ٠

***

وفي اليوم الثاني من أيام المؤتمرالقيت دراسة عن مدارس الشعر المعاصر فى مصر ، وقد دارحول الموضوع مناقشات طويلة جادة ، وقد تناولت مدرسة الديوان ومدرسة ابولو بصفة خاصة بالحديث ، وأشرت الى شعراء المدرستين ونقادهما ، ومن بينهم العقاد وشكرى وابو شادى والسحرتي ومختار الوكيل وسواهم ٠٠ والقى زميل الاستاذ جابر **حمزة** بحثا حول الادب والدين ٠

والقى بعض الاساتذة الهنود دراسات حول الشعر العربى المعاصر ٠ وفيالمساء دارت مناقشات طويلة حول الادب **والالتزام ، اشترك فيها معى الاساتذة : عبد الكريم الاشتر ، على الهاشمى ، عبد العزيز كمال ، عبد الله الازهرى الهندى وتعددت جلسات المؤتمر الصباحية والمسائية ، ودارت فيها مناقشات حادة حول الرواية العربية ومدى تاثيرها فى الاصلاح الاجتماعى ، واثر توفيق الحكيم والشرقاوى ونجيب محفوظ وثروتاباظة فى الرواية العربية ٠**

وتوالت البحوث عن الشعر السعودى المعاصر ، والشعر الحر ، ومذهب الالتزام فى الادب ، وقضايا اللغة العربية التى تحدث فيها مولانا محمد يوسف الهندى ، ومشكلات تعليم اللغة العربية لغير العرب وموقف الادب بينالقومية العربيةوالجامعة الاسلامية ، وسوى ذلك من الدراسات

وفى رابع أيام المؤتمر أعلنت قراراته وتوصياته : باستمرار العناية بالادب العربى والتراث العربى فى الجامعات الهنديه التى تشرف عليها جمعية التعليم الاسلامى فى الهند وبتبادل الاساتذة والطلاب وزيادة عدد المنح الدراسية وغير ذلك ،ووجوب تزويد مكتباتهذه الكليات والجامعات فى الهند بالكتب العربية والاسلامية ، ودعم هذه الكليات ماديا وأدبيا لتظل محافظة على مستوها الرفيع وقائمة برسالتها فى خدمة الادب والتراث العربى ٠

***

وطفنا فى الهند الجنوبية ساعات طوالا على مدى يومين كاملين ، نزور فيها الكليات والمعاهد والمدارس والمؤسسات الاسلامية ، وزعماء المسلمين ونفتتح بعض المشروعات الجديدة ٠ ونحضر الحفلات الشعبية وغيرها ٠

ان الجنوب الهندى يتسم بالخصب والثراء والغابات الكثيفة من مختلف الاشجار والثمار ، وتجرى فيه الانهار الواسعة التى تقوم عليها الجسور النهرية الضخمة

ومن الكليات التى زرناها : الكلية العربية فى بوليكل بكيرالا ، **والكلية** العربية العالمية فى تشمناد **كاسركود** بكيرالا ، **والكلية التابعة لمجلس معونة الاسلام بفناني** ، والكلية العربية **بفاروق** ـ كيرالا ، والكليات التابعة **لكل من** جمعية الثقافة الاسلامية فى **ودكيكاد** ، ومركز الثقافة الاسلامية فى **مارنجيرى** القريبة من مدينة فناني ، **وجمعية دعوة** وتبليغ الاسلام فى مالابار **بكاليكوت** ، وندوة المجاهدين فى كيرالا ، **ومركز العلوم فى زكريا بازار ، البى بكيرالا ، وغيرها**

ان الشعب الهندى متآلف فى تعاون بجميع طبقاته وأجناسه وأديانه ، وهو شعب طموح يسعى جاهدا لتحقيق مثله وأهدافه الكبيرة ٠

وعدنا فى صباح الرابع والعشرين من يناير : من كوتشن ، الى بومباى ، فكراتشى ، فالبحرين ، فالقاهرة ،عائدين **الى رحاب الوطن العظيم ، مصر الخالدة ، أم الحضارات والتاريخ والجامعات والمدارس والمعاهد ، والثقافات ٠**

مصر المجد والطموح والامل

مصر عام ١٩٨١ ٠٠

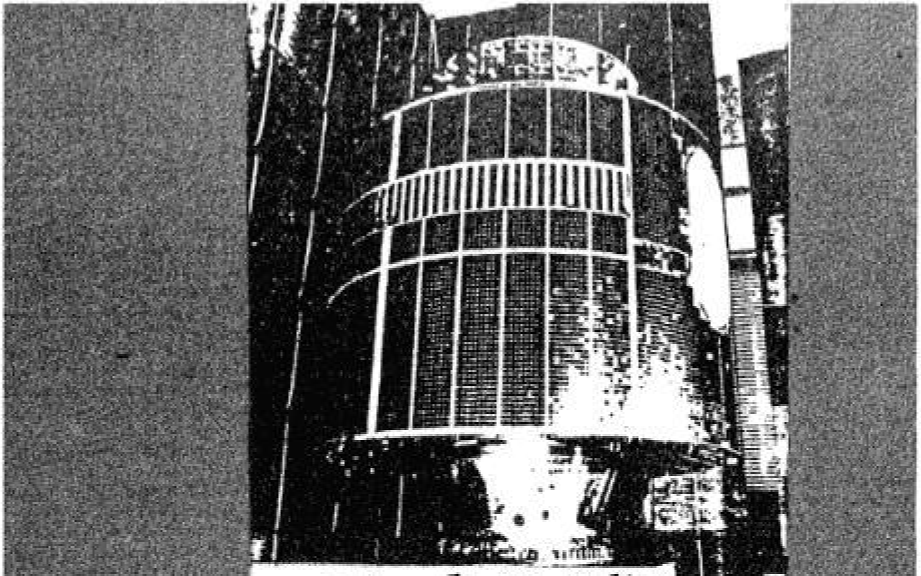
النشرات الجوية في عصر الفضاء

بين التكهن بالنوات وقياسات الأقمار الصناعية

● لواء مهندس : سعد شعبان ●
عضو لجنة الفضاء باتحاد
الطيران الدولي بباريس

نشرات الارصاد الجوية في مصر مادة خصبة لتهكمات الناس وقراء الصحف ورسامى الكاريكاتير لانه كثيرا ما يجانبها الصواب ، ويأتى الجو مخالفا لما كان يتوقعه المتنبؤون الجويون • والحقيقة ان الله قد حبا الكنانة بجو اغلبه صحو على مدار العام ، كما يصفه علماء الطبيعة الجوية بأنه جو صفو ، تسطع فيه الشمس وتصفو السماء بدلا من أن تتلبد بالغيوم ، ويهفو فيه النسيم بدلا من ان تقوى فيه الرياح وذلك لان مصر تقع أغلب اراضيها على خطوط العرض المتوسطة وتطل شواطئها الشمالية الطويلة على البحر الابيض المتوسط ، ومثل هذه الاراضى عرفت على مدار التاريخ انها ذات طقس معتدل • فلا هى تتعرض للاعاصير المدمرة ، ولا للرياح العاتية التى تقوض كل ما امامها من منشـآت ولا للامطار الغزيرة التى تعقبها الفيضانات والسيول التى تجـرف كثيرا من الارض وما عليها من مزروعات ومبان ، ولا تسقط عليها الثلوج الكثيفة التى تحد من الحركة وتجعل انشطة الحياة ذات طابع خاص • ولو استثنينا بعض أيام الربيع التى تهب فيها رياح الخماسين المحملة بالاتربة لوجدنا الكنانة ترفل فى نعيم الله المتمثل فى الجو الصافى المعتدل ، على خلاف ما يحدث فى كثير من البلاد الاخرى كأوربا وأمريكا •

ولذلك فان انظار الناس فى هذه البلدان تتعلق بنشرة الارصاد الجوية فى الصحف ، وعلى شاشات التليفزيون وعلى أساس هذه النشرات يحددون ملابسهم وانشطتهم ورحلاتهم واسفارهم وخاصة اذا كان اليوم اجازة أو عطلة • ويقرر كل منهم هل سيحمل المظلة معه أم لا ، وعلى أى سرعة يمكن أن يقود سيارته وهل يأخذ معه معطفه أم يتركه فى المنزل •



القمر الصناعي ميتيوسات

لكن التنبؤات الجوية عندنا لها سمة خاصة هي « المطاطية » واستخدام اساليب التوقعات والاحتمالات والترجيحات الامر الذى يجعلها متسمة بالحذر والحيطة توخيا لعنصر الامان . فكثيرا ما نسمع فى نشرة التنبؤات على سبيل المثال « يتوقع هبوط فى درجة الحرارة يتراوح بين بضع درجات وقد يصل الى كذا درجة ، ويسود الجمهورية طقس معتدل تشوبه بعض الاتربة فى اماكن متفرقة على الساحل وفى وسط الدلتا . ومن المنتظر ان تنتشر بعض السحب المتفرقة على الدلتا وبعض مناطق من الصعيد ، مع احتمال حدوث شبورة فى الصباح الباكر على بعض الاماكن الساحلية » .

مثل هذه النشرة ، وغالبا ما تكون النشرات كذلك ، لاتقطع بشيء ولا تعطى الا تكهنات واحتمالات ان حدثت فلا لوم على احد ، وان لم تحدث فان الله سلم وهذا ما جعل اكثر الناس يفقدون الثقة فى نشرات الارصاد ، ويتهكمون عليها كثيرا ، ويتناولونها بالسنة حداد فى كل مناسبة وكل مجلس .

وحقيقة الامر ان الكثيرين لا يدركون مبلغ العناء والجهد الذى يستلزمه اصدار نشرة جوية دقيقة ، وهم بعيدون كل البعد عن ادراك الوسائل التى يتم بها تجميع البيانات والقياسات اللازمة لاصدار نشرة جوية دقيقة . ومن ثم نجد انفسنا ونحن نعيش عصر الفضاء ، شاهدين على طرق قديمة واخرى تقليدية ، وطرق حديثة تلعب فيها الاقمار الصناعية الدور الاول .

● فالطرق العتيقة اتبعها اجدادنا الاوائل وتناقلتها الاجيال من بعدهم ، وهى تكهنات واستقراءات تعتمد على الخبرة الناجمة عن تكرار ما يحدث كل

عام · يقودهم الى ذلك دقة الملاحظة وليدة الحاجة التى تدفعهم اليها مصالح الحياة ، من زراعة ترتبط بالجو ، أو أسفار ترتبط بالطقس ، أو ابحار يرتبط بالرياح أو صيد يرتبط بصحو السماء أو تلبدها بالغيوم ·

● والطرق التقليدية ، هى التى تتبعها الدول النامية حاليا ، والتى عرفت فى عصر النهضة الحديثة الذى يحترم العلم والقياس منذ القرن الماضى · وتعتمد على قياس العناصر المؤثرة على طبيعة الغلاف الجوى المحيط بالكرة الارضية والمرتبطة بدورة بخار الماء فيه كدرجات الحرارة والرطوبة والضغط وتجميع هذه العناصر من أماكن متفرقة · وبتوقيعها على خرائط يمكن للمتنبئين الجويين رسم خرائط تمكنهم من التنبؤ الجوى بالطقس ، لمدد زمنية قصيرة مقبلة ·

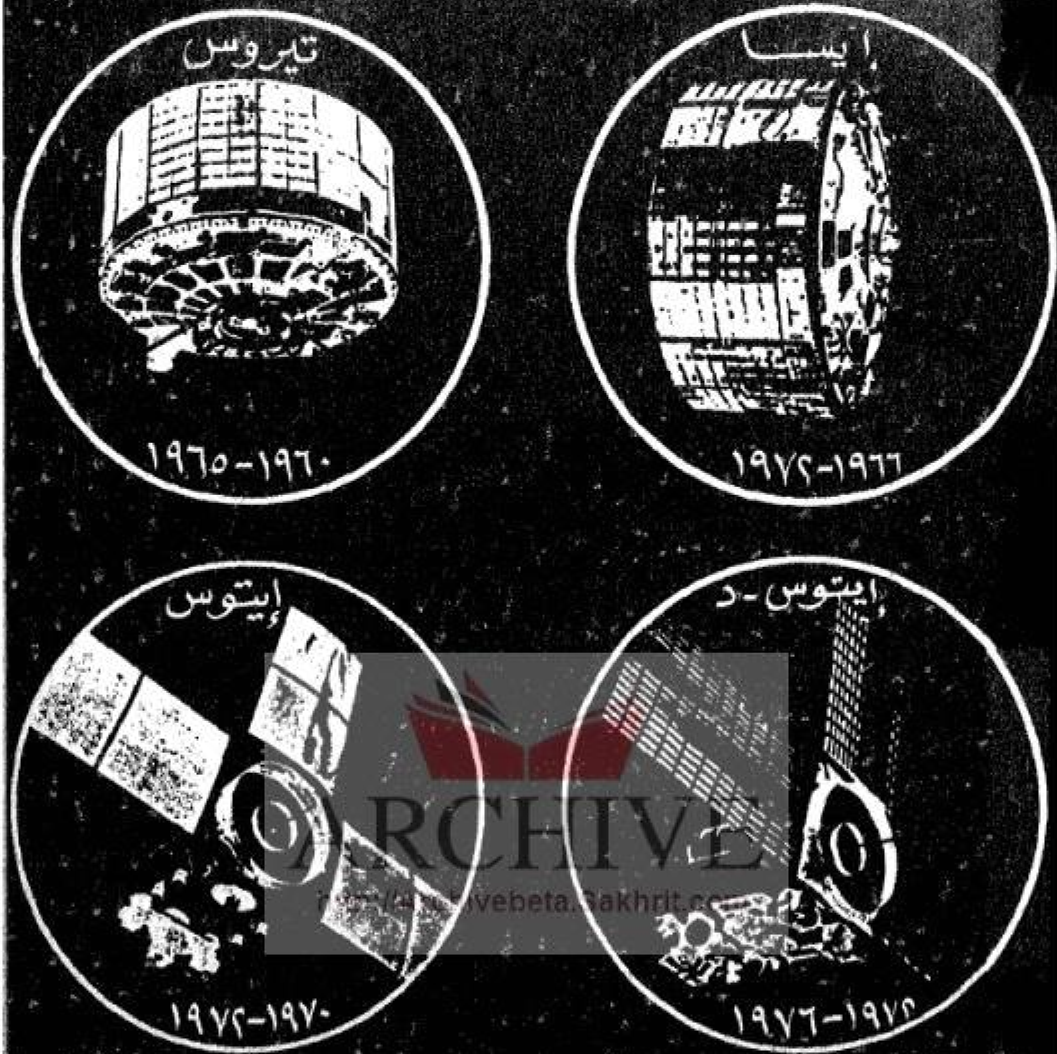
☼ أما الطرق الحديثة ، فتعتمد على استخدام معطيات الاقمار الصناعية التى تطلق خصيصا للتنبؤات الجوية · ومثل هذه المعطيات تتمثل فى صور تلتقطها محطات متابعة ارضية ، وبتحليلها يمكن للمتنبئين الجويين التنبؤ الدقيق بالطقس لفترة زمنية مقبلة قد تمتد الى أسبوع مقبل ·

● النوات ●

كثير من سكان الريف ، وبدو الصحراء ، وصيادو الاسماك وبحارة السفن لهم خبرة بدائية بالتنبؤ بالطقس اعتمادا على دلالات بسيطة تظهر فى اليوم السابق ، كاحمرار الشفق ، أو ظهور انواع من السحب لها شكل أو لون مميز أو هبوب الرياح من اتجاهات محددة ، الامر الذى يمكنهم من التنبؤ بما سيكون عليه المناخ فى غدهم ، أو حدوث ظواهر جوية محددة تتكرر كل عام فى نفس الوقت ، وهو الأكثر ارتباطا فى مصر بالتقويم القبطى ·

ويتفق هذه الخبرة الزراع من أهالى الريف القدامى ، الذين يعرفون انسب الاوقات لوضع البذور ، وأكثرها ملاءمة لشتل الزرع ونقله من أرض لاخرى أو أن موعد الحصاد قد حان لا داعى لتجاوزه · ويربطون كل ذلك بحلول الشهور القبطية مثل برمهات ، وكيهاك ، وطوبة وأمشير · ومن ثم تجد وخاصة فى المناطق الساحلية ، تعبيرات شائعة عن حلول « النوات » فاذا هبت الرياح والعواصف وبدأ سقوط الامطار فى الاسكندرية وبورسعيد فى مطلع فصل الشتاء ويشتد تساقط الامطار وتأتى الرياح من اتجاه الغرب محملة ببعض الاتربة ، يقولون هذه « نوة الفيضة الكبرى » وانها ستمكث خمسة أيام ··· ومن قبلها تكون قد حلت « نوة الفيضة الصغرى » ، وعندما يشتد البرد بضراوة وسط الشتاء ، فى شهر طوبة يقولون « برد طوبة يخلى العجوزة تبقى كركوبة » !

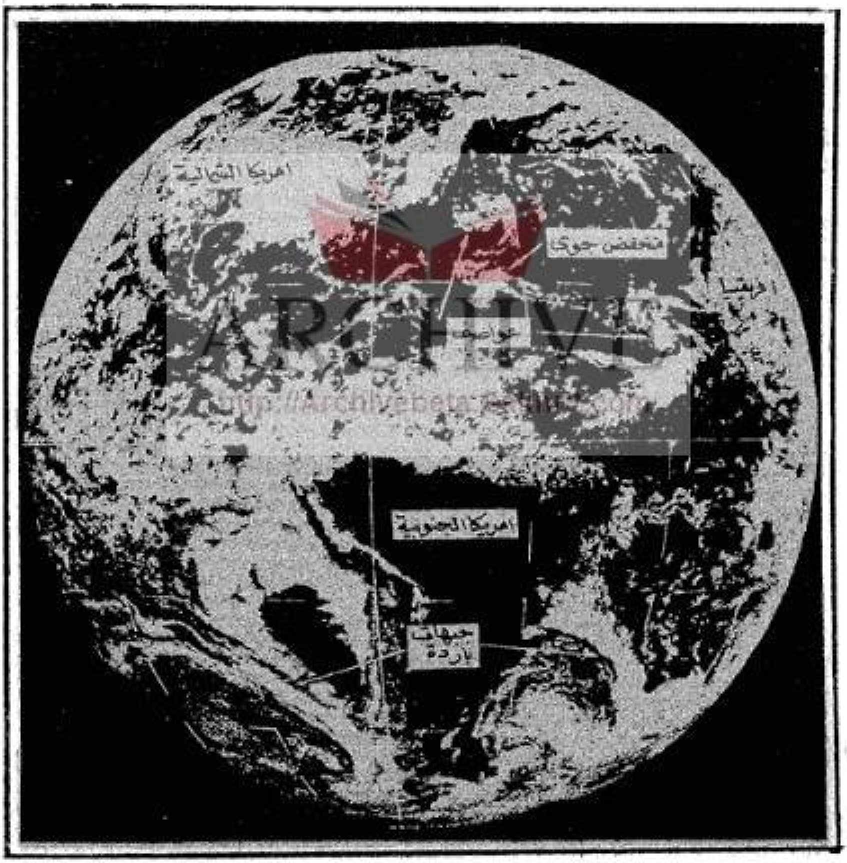
واذا ما أصبح البرد قارصا قرب نهاية شهور الشتاء يقولون هذه نوة



« الحسوم » أو « برد العجوز » وعندما يأذن الشتاء بالانتهاء ، وتهب رياح باردة من الشرق في مطلع الربيع يعرفون ان هـــذه « نوة عوة » ويقـــولون « وما بعدهاش ولا نوة » . هكذا ربط عامة الناس ، النوات بالامثال الشعبية وجعلوا منها مرشدا لبعض ظواهر حياتهم .

وبعدها تنتهي النوات في اوائل الربيع ، تبدأ رياح الخماسين المحملة بالأتربة وتدوم خمسين يوما على فترات متقطعة . ولقد وضع بعض الخبراء .. واغلبهم من العاملين بفنون البحر ومن اشهرهم المرحوم « امير البحـــار سالم البحن » جداول النوات ، وحددوا مددها بالتقريب . وهي كما يلي :

م	اسم النوء	وقتها	اتجاه الريح	مدتها يوم	الظواهر الجوية
١	الصليبية (١)	أول اكتوبر	غربية	٣	رياح
٢	الصليبية (٢)	٢١ اكتوبر	غربية	٣	رياح
٣	المكنسة (١)	١٧ نوفمبر	شمالية - غربية	٤	امطار
٤	المكنسة (٢)	٢٣ نوفمبر	غربية	٤	امطار غزيرة
٥	قاسم	٥ ديسمبر	جنوبية - غربية	٥	عواصف
٦	الفيضة الصغرى	٢٠ ديسمبر	شمالية - غربية	٥	امطار
٧	عيد الميلاد	٢٩ ديسمبر	غربية	٢	امطار غزيرة
٨	رأس السنة	٢ يناير	غربية	٤	امطار



● النشرات الجوية تلجأ إلى الألفاظ والعبارات المطاطة لضعف الامكانيات ...

٩	الفيضة الكبرى	١٢ يناير	شماليه	٦	رياح وامطار
١٠	الغطاس	١٩ يناير	جنوبية ـ غربية	٣	امطار
١١	الكرم	٢٨ يناير	غربية	٧	امطار غزيرة
١٢	الشمس الصغرى	١٨ فبراير	غربية	٣	امطار
١٣	السلوم	٢ مارس	جنوبية ـ غربية	٢	امطار
١٤	الحسوم	١٠ مارس	جنوبية ـ غربية	٧	امطار (غالبا)
١٥	الشمس الكبرى	١٩ مارس	جنوبية ـ غربية	٢	امطار (غالبا)
١٦	عوة (برد العجوز)	٢٤ مارس	شماليه	٦	امطار
١٧	الخماسين	اول ابريل	شماليه	٢	رياح ساخنة

● التنبؤ الجوى ●

فوق كل بقاع الجمهورية ، توجد محطات رصد جوي ، يعمل فيها راصدون لقياس عناصر طبيعية في الغلاف الجوى كدرجات الحرارة القصوى أثناء النهار ودرجات الحرارة الصغرى أثناء الليل ، ونسبة الرطوبة في الجو ، والضغط الجوى وتغيراتها كل ساعة ، وكذلك رصد اتجاه الريح وارتفاعات السحب ، وأنواعها . وهم يستخدمون لهذه القياسات والرصدات وسائل بين البدائية والحديثة وأجهزة وأدوات ويقومون ببعض الحسابات . ولكن لا قيمة لما يعملوه اذا لم يبلغوه الى مركز التحليلات الرئيسي ، الذى يقوم بتجميع هذه الرصدات بغرض توقيعها على خرائط للطقس ، تؤدى فى النهاية الى اصدار النشرة الجوية .

ولدينا في مصر ما يقرب من ٧٠ محطة رصد جوى ، موزعة بين فيافي الصحراء ، وأطراف المدن ، وقمم الجبال ، وأواسط المطارات المدنية والعسكرية وعلى الشواطيء ، والهضاب وفى الموانيء الهامة وقمم المرتفعات الحاكمة ،وبعض الوحدات العسكرية التى تؤثر عليها الارصاد الجوية تأثيرا مباشرا كالقواعد الجوية ، ووحدات البحرية ، وحرس السواحل ، وقوات الحدود ، ووحدات الصواريخ ، والمدفعية . وفى بعض المصالح التى يرتبط عملها بالجو والمناخ كوزارة الزراعة ومعهد الصحراء ومصايد الاسماك . وتبليغ هذه المحطات قياساتها الى مركز التحليل الرئيسى فى هيئة الارصاد الجويه باللاسلكي أو عبر خطوط التليفون .

ومن مجموعها يستطيع المتنبؤون الجويون رسم خرائط الطقس الجوى التي تتحلق عليها خطوط انسيابية تربط بين الاماكن التى تتساوى عليها . الضغوط الجوية وبذلك تظهر بوضوح المرتفعات الجوية والمنخفضات الجوية . ومعروف فى علم الطبيعة الجوية ما يصاحب كل منها من ظواهر جوية وأنواع للسحب .

كما هو معروف أيضا ان كتل الهواء البارد تزيح أمامها كتل الهواء الساخن ولذلك تظهر على الخرائط الجوية الجبهات الباردة والساخنة . وحركة كل منها بالنسبة للاخرى ، وكل من هذه الجبهات يصاحبها طقس مميز وانواع معينة من السحب يعرفها المتنبؤون الجويون :

ولكى ترتسم معالم الطقس فى كل الارتفاعات داخل الغلاف الجوى وخاصة لخدمة مجالات الطيران ، تطلق بعض البالونات الى ارتفاعات الجو العليا حاملة معها أجهزة لقياس العناصر الجوية فى هذه الطبقات واذاعتها لاسلكيا بواسطة محطات متابعة .

وهناك اتفاقيات دولية تحتم على بعض الدول اذاعة نشرات جوية لخدمة حركة الطيران والملاحة البحرية ، على فترات زمنية محددة ، مثل كل نصف ساعة او ساعة بواسطة كود خاص يعرف الطيارون والملاحون رموزه . وبتجميع هذه المعلومات من هذه المصادر يمكن للمتنبىء الجوى رسوم خرائط والتنبؤ بما سيكون عليه الطقس لفترة محددة مقبلة عادة ما تكون اربعة وعشرين ساعة او اكثر قليلا .

ولكن عندما يصعب تجميع هذه العناصر ، كانقطاع المواصلات مثلا ، او صعوبة تغطية جزء من المنطقة ، تأتى التنبؤات تقريبية وغير دقيقة . لذلك فكلما زادت مصادر المعلومات كلما سهل التنبؤ واعطيت التفصيلات الدقيقة للطقس .

● اقمار التنبؤ الجوى ●

من أهم المجالات التى استخدمت فيها الاقمار الصناعية فى الستينات من قرننا مجال الارصاد الجوية . ولذلك اطلقت سلسلة من أجيال هذه الاقمار . التى تطلق الى الفضاء وتتخذ مدارات خاصة لتغطى مساحات محددة على جانبى مدارها لخدمة الرصد الجوى بواسطة ما تحمله من أجهزة دقيقة حساسة . ولكن الغلاف الجوى المحيط بالارض ، ليس الا طبقة غير سميكة أقصى ارتفاعاتها **لا يزيد عن ١٢ كيلو مترا فوق خط الاستواء . واقل ارتفاعاتها ٨ كيلو مترات فوق القطبين . واهم دور فى تغيرات الطقس ، يلعبه بخار الماء ، الذى بسببه تحدث كل الظواهر الجوية من تكون للسحب ، وهطول للمطر ، او سقوط للجليد ، او ادورة للرياح .**

ولكن الاقمار الصناعية تتخذ مداراتها على ارتفاعات عالية جدا خارج الغلاف الجوى وبعيدا عنه بكثير . لذلك فان اقمار الرصد الجوى ، تحمل كاميرات التصوير المرئية نهارا ،وتصور السحب المنتشرة فوق مساحات كبيرة على الكرة الارضية من هذه الارتفاعات العالية . واذا ما حل الظلام على نصف الكرة الارضية فان عملية التصوير تستمر باستشعار ما ينبعث من هذه السحب من حرارة فتستمر عملية التصوير بالاشعة تحت الحمراء . ثم ترسل هذه الصور باللاسلكى الى محطات متابعة ارضية . وبذلك تحولت عملية التنبؤ الجوى الى عملية تفسير للصور الفضائية . وللاسف فانه لدواعى فنية لا يعيش القمر الصناعى فى الفضاء أكثر من خمس سنوات أو سبع على الاكثر . وكان أول أنواع سلسلة أقمار التنبؤات الجوية هو القمر الصناعى الامريكى تيروس الذى اطلق فى اول ابريل ١٩٦٠ ، وتوالت من بعده سبعة أقمار فى نفس السلسلة .

ولقد كان على متن هذا القمر الصناعى الات تصوير تليفزيونية وأخرى تلتقط الصور بالاشعة تحت الحمراء ليلا ومنها ما هو مائل وما هو رأسى ، ومنها أيضا ما هو مأخوذ فى ضوء الشمس أثناء النهار ، او فى الظلام بالاشعة تحت الحمراء .

ولقد التقط القمر الاول « تيروس ـ ١ » ما يقرب من ٢٣ الف صور ارسلت

لاسلكيا الى الارض . وأمكن للمتنبئين الجويين فى مركز تحاليل للصور الفضائية ، أن يتنبأوا بالطقس المصاحب لهذه السحب . وبتوالى استقبال الصور ودراسة حركة السحب ، امكن لهم رصد حركة الكتل الهوائية التى تحركها . وبذلك انقلبت وسائل الرصد الجوى التقليدية الى عملية تفسير للصور الفضائية .

● نيمبوس تكشف اسرار القطبين ●

وفى عام ١٩٦٤ بدأت الولايات المتحدة اطلاق سلسلة الجيل الثانى من أقمار الرصد الجوى ويطلق عليها اسم « نيمبوس » ولقد كان كل قمر منها مزودا بأجهزة قياس وكاميرات تليفزيونية بالاضافة الى كاميرات تصوير بالاشعة تحت الحمراء . ولقد ظلت أقمار هذه السلسلة تتوالى حتى عام ١٩٦٨ واستطاعت صور هذه الاقمار أن تثرى معلومات العلماء عن المناطق القطبية ، لان مداراتها كانت تمر بالقطبين الشمالى والجنوبى باعتبارهما مناطق ذات أهمية عسكرية خاصة . واطلقت بعد ذلك عام ١٩٦٦ سلسلة أقمار أمريكية جديدة تحمل اسم « ايسا » وتميزت بتقنية متقدمة هى مقدرة اختزان الصور على شرائط مغناطيسية ، واذاعتها الى محطات الاستقبال المشتركة فى تكاليف هذه الاقمار .

وقد كان من المشرف أن تشترك بعض الدول العربية منها مصر والكويت فى استقبال الصور المذاعة من القمر « ايسا ــ ٨ » .

وأتت من بعد ذلك أجيال لأقمار أخرى تحمل أسماء « اينوس » وبعضها اطلق ليتزامن مع سرعة دوران الارض مثل أقمار الاتصالات . كما اطلق الاتحاد السوفييتى كذلك سلسلة أقمار من هذا النوع اطلق عليها اسم « ميتيور » كما اطلقت منظمة الفضاء الاوروبية القمر « متيوسات » .

● نشرات جوية دقيقة ●

ولقد اتاحت هذه الاجيال المتوالية من أقمار الارصاد الجوية ، عديدا من المزايا من اهمها اعطاء نشرات جوية مسبقة يمكن أن تكون حتى سبعة أيام مقبلة . وأمكن للصور الفضائية التى تذيعها هذه الاقمار الانذار بهبوب العواصف المدمرة قبل أن تدهم الشواطئ بزمن كاف لاتخاذ احتياطات وقائية ضدها . وكان ذلك واضحا عدة مرات بالنسبة لاعصار « هاريكان » الذى كان معتادا أن يدهم الشواطىء الامريكية فجأة ويحيق بها الدمار فى كثير من تنهمر معه الامطار كعيون القرب وتحدث بسببها الفيضانات . وأصبح يسيرا الاحوال ، نظرا لما يصاحبه من رياح عاتية بالغة الشدة ، وطقس عاصف بعد ذلك متابعة العواصف الجوية فى بلاد متفرقة من العالم مثل عواصف « الهبوب » فى السودان ، و « الطوز » فى الكويت ، و « التيفون » فى شرق آسيا . والخماسين فى مصر . ويكفى عدد قليل من الصور لاعطاء التنبؤات الجوية التى تعبر عنها السحب فوق كل قارات العالم .

واليوم أصبحت الدول التى تستخدم الاقمار الصناعية للتنبؤات الجوية قادرة على اصدار نشراتها الجوية متميزة بكثير من الدقة . ولم تعد هذه الدول فى حاجة الى اقامة مئات من محطات الرصد الجوى فوق الارض ، لان القمر الصناعى يطل على العالم كله من عل .

ولم تعد نشرات الارصاد الجوية ترفا بالنسبة لرجل الطيران أو اخصائى الزراعة او مرشد السياحة او حتى رجل الشارع ، بل أصبحت تشكل عنصرا هاما يهم الحياة اليومية لكل الناس .

عندما ترقص الأرض!

● مصطفى الشهابي ●

● اعتاد شعراء مصر في القرون الماضية ان ياتوا الولاة والحكام كل سنة صباح اول ايام العيدين ليهنئوا القائم بالحكم بما تجود به قرائحهم حتى ينالوا عطاياه . وبينما هم بين يدى الحاكم بامر الله الفاطمي صباح احد الاعياد ، اذ حدث زلزال ارتجت منه البلاد ، فالتفت اليهم قائلا :

« هل من بينكم من يطرفنا شعرا تطمئن به افئدتنا ، وتتلألأ به وجوهنا يكون مضمونه هذه الزلزلة ؟ » .

عندئذ انبرى الشاعر محمد بن القاسم بن عاصم المعروف بصناجة الدوح مرتجلا :

بالحاكم العدل اضحى الدين معتليا
نجل العلا وسليل السادة الصلحا
مازلزلت مصر من كيد يراد بها
وانما رقصت من عدله فرحا

فطرب الحاكم وامر له بجائزة سنية وطبيعى ان هذا التعليل الظريف للزلزال ليس السبب الحقيقى ، وان جاز أن يكون سببا ، لما ابعده عن ذلك الحاكم بأمر الله رجل المتناقضات .

***

واذا كان هذا الشاعر قد حادبشعره من الواقع والاثر المؤلم الذى يصيب الناس عند حدوث زلزلة ، فقد انبرى بعض شعرائنا لوصف ماحدث فعلا من ذلك مانظمه حافظ ابراهيم عن زلزال مسينا بايطاليا عام ١٩٠٨ وقد بلغ ضحاياه نحو ٨٣٫٠٠٠ ، قال :

نبئاني ان كنتما تعلمان
ما دهى الكون ايها الفرقدان
غضب الله ام تمردت الار
ض فانحت على بني الانسان
ليس هذا سبحان ربى ولا ذا
ك ولكن طبيعة الاكوان !

وهذا امير الشعراء احمد شوقى يتناول بشعره الخالد زلزال طوكيو باليابان عام ١٩٢٣ ، وقد بلغ عدد ضحاياه نحو ٩٩٫٥٠٠ ، قال :

قف ((بطوكيو)) وطف على ((يوكاهامه))
وسل القريتين كيف القيامه
قف تامل مصارع القوم وانظر
هل ترى من ديار عاد دعامة !
خسفت بالمساكن الارض خسفا
وطوى اهلها بساط الاقامة
اصبحوا فى ذرى الحياة وامسوا
ذهبت ريحهم وشالوا نعامه .

وجدير بالذكر أن اليابان اقامت بناء تذكاريا لتخليد ذكرى شهدائه وقد روعي في بنائه عدم التاثر بالزلازل على الاطلاق كما اعتبر يوم أول سبتمبر من كل عام ـ وهو يوم حدوث هذا الزلزال ـ مهرجانا لعرض أعمال التدريب على الانقاذ عند حدوث زلزال .

اوهام عن الزلازل :

والواقع أن الزلازل من قديم الزمان هى احدى المحن التى يتعرض البشر

وبلاتها العديدة ، ولما كانت آثارها تبدو دائما على سطح الارض ، فقد شاع بين العوام فى أغلب الشعوب أن الارض محمولة على قرن ثور هائل الحجم وأن **هذا الثور يقف فوق حوت ضخم يعوم** فى بحر واسع وعميق لا يعلم مساحته ومكانه وقراره الا الخالق جل وعلا ، وأن الثور حين يشعر بالكلل من ثقل الارض ينقلها على القرن الثانى فتهتز الارض وتتزلزل !

وفى أغلب جزر المحيط الهادى يسود الاعتقاد بأن الأرض يحملها مارد على كف احدى يديه وأن الزلزال يحدث عندما ينقلها الى الكف الاخرى ليريح الكف الاولى . ولا يخفى مايوجد من تقارب بين هذا التعليل وبين التعليل السابق للزلازل .

وفى الهند يعتقدون ان ادم ابا البشر هو الذى يهز الارض ليتأكد مما اذا كانت سلالته لا تزال تقيم على ظهرها ولم تنقرض ، ولذلك يصرخون عندما يحدث زلزال وينادون :

« نحن هنا وبخير فاطمئن ! »

ويذهب اهل بورما والهند الصينية الى أنه يوجد تحت الارض حوت كبير نائم وذيله فى فمه وانه ينسى احيانا ويعض ذيله ليتألم ويهيج ويضرب الماء فتهتز الارض !

وزنوج أواسط افريقيا ينسبون الزلازل الى غضب الالهة ولذلك يبادرون الى تقديم الضحايا كلما وقع زلزال .

وفى الهند تقيم بعض قبائل لا يزال اهلها فى حياة شبه بدائية ، وهؤلاء القوم يقومون عقب كل زلزال بدق عدد من المسامير الحديدية الضخمة فى الارض اعتقادا منهم انهم بذلك يثبتونها فلا تهتز ثانية .!

أسباب الزلازل وانواعها :

يقول علماء الارض انها كوكب باطنه من معدن مصهور ، هو غالبا الحديد وتبلغ درجة حرارته مابين ٢٠٠٠ — ٤٠٠٠ درجة مئوية ويلى هذا الباطن طبقة من صخر غير مصهور يبلغ سمكها نحو ١٨٠٠ ميل ، وفوق هذه الطبقة قشرة الارض التى نعيش فوقها وهى من صخور اهمها البازلت والجرانيت ، التى اختفت تحت الرمال والصخور الجيرية .

هذه القشرة تبرد ويصيبها الانكماش فتنشقق من تحتنا وتتزلزل بنا .

ثم هناك القمر الذى يجذب ماء البحار اليه كلما دار حول الارض ، فيحدث المد فى المياه وانجذاب نحو بضع بوصات من سطح الارض كذلك ، مما يجعل ذلك السطح دائم التمدد والانكماش ، الامر الذى ينتهى بالكسر او بالانصداع وهو بدوره زلزلة .

والزلازل تحدث على اعماق تبعد عن سطح الارض قليلا او كثيرا ، فالزلزلة الضحلة اى الخفيفة تكون على عمق ٣٠ ميلا والمتوسطة تصل الى ١٨٥ ميلا اما العميقة فتقع على عمق ٤٥٠ ميلا .

ومن العجيب ان الزلازل الضحلة هى اشد الزلازل تخريبا .

وهناك جهاز لرصد الزلازل ويسمى سسموجراف اما شدة الزلازل فتقاس بمقياس « ريختر » .

وقد رسم علماء الارض خريطة للعالم اوضحوا عليها مراكز الزلازل أو مايسمى « حلقة الجحيم » أو حزام الزلازل وهذا الحزام يشمل غرب أمريكا الجنوبية والشمالية كما يشمل امريكا الوسطى أما فى العالم القديم فيضم الجزائر ووسط جنوب اوروبا وتركيا وايران وشمال الهند ووسط وجنوب بلاد الصين ثم اليابان وشمال وشرق استراليا .

وقد امتازت الموجات الزلزالية فى السنوات الاخيرة بزحفها نحو الشمال وحدوثها فى دول لم تكن ضمن حزام الزلازل ، مما يشير الى مرحلة من عدم الاستقرار .

وقد صرح المختصون فى معهد الارصاد **باكاديمية البحث العلمى بمصر ، ان مصر خارج الحزام الزلزالى المعروف ، وانها بعيدة عن احتمالات الخطر ، وان كان هذا لايمنع من حدوث هزات خفيفة تسجلها الاجهزة الدقيقة لقياسات الزلازل ، ولكن دون اى اثر مدمر او مضاعفات .**

موجات الزلازل :

وقد تجتاح الزلازل عدة اماكن فى وقت واحد أو فى أوقات متقاربة لتكون اشبه بموجة طاغية وقد يتكرر

الزلزال في المكان الواحد لتحدث عدة هزات ارضية كما حدث في عام ١٩٧٦ عندما اجتاحت اوروبا موجة من الزلازل اعتبرها علماء الارصاد بداية مرحلة عدم استقرار اذ امتدت الزلازل في زحفها الى الشمال وشملت دولا لم تكن تدخل ضمن حزام الزلازل الذى كان يشمل تركيا وايران واليونان ويوجوسلافيا وايطاليا .

وفي عام ١٩٧٧ عادت الموجةالزلزالية الى الظهور وامتدت من مدينة سالونيك باليونان الى العاصمة السوفييتية موسكو ، كما اصابت بلاد وسط اوربا كالنمسا ويوجوسلافيا والمانيا ، بل وامتدت الى امريكا الوسطى والجنوبية . واستمرتالموجة عام ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ . ويعتبر العامالاخيرمن اكثر الاعوام «زلازل»ومن الدول التى نكبت خلاله ايطالياواليونان وايران ثم شقيقتنا الجزائر وذلك في منتصف أكتوبر ، وقد دمرت مدينة الاصنام التى تقع جنوب غربي مدينة الجزائر وعدة قرى مجاورة لها .

وغني عن الذكر أن مصر كانت في طليعة الدول التى قدمت مختلفانواع المعونات للتخفيف من المنكوبين من عرب وغيرهم .

عام الزلازل في بلاد الشام :

وقد ذكر الدكتور حسين مؤنس في كتابه « نور الدين محمود » ان سنة ٥٥٢ هـ « ١١٥٧ ـ ١١٥٨ » والسنة التى تلتها ، كانت فترة عصيبة على الشام كله فقد دهى بسلسلة من الزلازل ، توالت في تلاحق وقسوة كانما مادت الارض بما عليها . وقد بدات الهزات في حلب اواخر جمادي الاولى سنة ٥٥٢ هـ ، واستمرت موجتها الاولى حتى نهاية الاسبوع الاول من جمادى الثانية فانهارت المنازل في حلب وحماة وشيزر ، ثم عادت في اواخر رجب واثرت في دمشق اثرا بالغا حتى هرب الناس من الدور وتصدعت حوائط الجامع الاموى وتناثرت فصوص الفسيفساء التى تزين ماحول الصحن ،واستمرتالهزات تغدو وتروح اياما متوالية .

وبلغت الخسائر غايتها في حماة حتى نسبت الزلازل كلها اليها فقيل «زلزال حماة » . قال ابن القلانسى في « ذيل تاريخ دمشق » ، « وقد انهدمت حماة وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنساء وهم العدد الكثير والجمالغفير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير واما حلب فان ربضها سلم الا ما كان خرب اولا ، واما حصنها المشهور فانه انهدم على واليهـا تاج الدولة بن ابى العساكر بن منقذ ومن تبعه الا اليسير ممن كان خارجا » ، وكان من بين هذا اليسير الذى نجا اسامة بن منقذ ، ولم يبق بعد هذه النازلة من كبار اهل بيته سواه ، واستمرت هذه النازلة الى رمضان ... »

ومن الزلازل الكبيرة الاخرى التى تعرضت لها بلاد الشام زلزال عام ٥٥٥ م الذى وقع بساحل لبنان وكان على اشده في منطقة مدينة بيروت التى دمرت وهلك ثلاثون الفا من سكانها وانهارت مدرسة الحقوق التى كانت بها والتى كانت من اشهر المدارس في ذلك العصر . وقد سبقه زلزال اخر حدث في انطاكية عام ٥٢٦ م وقد ذكر المؤرخون أن ضحاياه بلغوا ٢٥٠٫٠٠٠ قتيل .

افظع الزلازل :

وقد اصيبت الارض منذالازلبالعديد من الزلازل : اشتهر بعضها بما اعقبه من فظائع وويلات وخاصة عدد القتلى ومن اشهر تلك الزلازل ،الزلزال التى وقع في الصين صيف عام ١٩٧٦ وبلغ عدد قتلاه مايزيد على ٦٥٥ الف نسمة ، وقد سبقه زلزال اخر عام ١٩٥٦ وكان عدد ضحاياه ٨٣٠ الف نسمة ، ويضيق النطاق عن ذكر عشرات الزلازل الاخرى التى تجاوز ضحاياها عشرات الالوف .

اول زلزلة في بلاد الاسلام :

وقد حدثت سنة ٢٠ من الهجرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قيل فضرب الارض برمحه قائلا : « يا ارض اسكني ، الم اعدل عليك؟» فسكنت ، وكان ذلك من جملة كراماته.

الحيوانات والتنبؤ بالزلازل

من الظواهر العجيبة التي شدت اليها الانظار والاهتمام ما يلاحظ من انه عند اقتراب وقوع زلزال ، ان بعض الحيوانات كالكلاب والقطط والخيل ينتابها الفزع ويبدو عليها الاضطراب وخاصة ما يوجد منها في اقفاص بحدائق الحيوان ويعلل خبراء علم الحيوان تلك الظاهرة بان تلك الحيوانات تتمتع بحساسية خاصة تجعلها تشعر بالهزة الخفيفة التى تسبق اى زلزال ، ولهذا يحدث رد الفعل عندها قبل غيرها .

ويذهب اخرون الى ان غريزة المحافظة على النوع تدفع الحيوانات الى الاحساس بالخطر ، اما الانسان فقد ابعدته المدنية عن ان يعيش بجميع غرائزه بل يعتمد على عقله ..

والى جانب الحيوانات لوحظ كذلك تكاثر الاسماك على الشواطىء اليابانية وظهور انواع لاتصعد عادة الى سطح الماء كلما اقترب حدوث زلزال .

يضاف الى ذلك الصراصير ، التى ذكر « المركز القومي للخدمات الاعلامية الخاصة بالزلازل بالولايات المتحدة » خروجها من مخابئها وكثرة تنقلها ، بتسبب عن احساسها باقتراب وقوع الزلازل واضاف المركز أن حساسية الصرصار تفوق احدث الالات العلمية الحديثة !

وقد كان للاهتمام بهذه الظواهر العجيبة الفضل في الحد من الخسائر التى تسبب منها الزلزال المنيف الذى حدث بمنطقة هايتشنج بالصين في فبراير عام ١٩٧٥ .

لقد لاحظ الناس قبل الزلزال بايام عددا من الظواهر الشاذة في تلك المنطقة ، اذ خرجت الثعابين من بيالها الشتوي ومالت خارج جحورها من شدة البرد ، وانطلقت الفئران مذعورة واصيبت الخيول والثيران بآلام لم تعرف اسبابها ، دفعتها الى رفض الطعام ومحاولة تحطيم حظائرها للفرار !

وعندما علم خبراء الزلازل بهذه الظواهر ، ادركوا أن هناك زلزالا قد اقترب ولا بد من الإسراع في اخلاء الناس من تلك المنطقة لحصر الخسائر في اضيق الحدود .

وجاء الزلزال كما توقع الخبراء ، واعترف العالم بان هذه التجربة العملية في التنبؤ بالزلازل فريدة في نوعها وجديرة بالدراسة والبحث ، مما يدفع الي وجوب التعاون بين الجمهور وبين الاخصائيين في علوم الزلازل وابلاغ الاخيرين بابسط الملاحظات لكل ما يجري من أحداث طبيعية شاذة حتى يستطيعوا دراستها ومعرفة علاقتها بالزلازل

آثار الزلازل

والتأثير الذى يحدثه الزلزال في النفوس تأثير عظيم ، مهما كان نوع الزلازل اى درجة اهتزاز الارض ، بسبب توقع الاخطار المجهولة وفي طليعتها تلك الضحايا العديدة من الارواح البشرية والخسائر المادية الجسيمة والمحن التى يتعرض لها سكان المناطق المنكوبة ، ففي برهة ضئيلة من الزمن لاتتجاوز دقيقتين او ثلاث يعم التدمير منطقة ما، فاذا بالمدن والقرى تدمر باكملها ومابقي من اطلالها تلتهمه النيران ، بينما يتكدس القتلى والجرحى تحته ، ومن ينجو من هذه الاهوال العاتية يمنى بفقد بعض أو كل افراد اسرته ثم يظل بلا مأوى ولاطعام حتى تأتي النجدات التي قد يتاخر وصولها بسبب تهدم الكباري وانقطاع وسائل المواصلات ويزيد الطين بلة

عندما ترقص الأرض

تهدم الخزانات فتفيض المياه ويغرق اغلب من بقى على قيد الحياة . وافظع ويفسر البعض اختفاء قارة «اطلانطس» الاسطورية ، ذلك الاختفاء الذى وصفه افلاطون فى محاوراته ، بأنه كان كارثة زلزالية قديمة وقعت فى بحر ايجه حوالى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ؛ وأن هذا الزلزال كان سبب الانهيار المفاجىء لامبراطورية « مينوان » وللحضارة الكريتية التى كانت واحدة من أعظم حضارات العصر القديم .

وحدث زلزال بالولايات المتحدة الامريكية عام ١٨١١ بلغ من شدته أنه غير مجرى نهر المسيسبى وهز اجراس الكنائس بمدينة بوسطن فجعلها تدقه .

وفى سنة ١٨٢٢ حدث زلزال ادى الى اضافة ١٠٢ الف ميل مربع الى سواحل شيلى .

وفى اواخر عام ١٩٨٠ بدات جزيرة تطفو الى سطح الماء شيئا فشيئا فى خليج باكو بحر قزوين وظهرت بقايا قصر شيد فى القرن الثالث عشر . ويعتقد الباحثون أن زلزالا شديدا هوى بجزء من مدينة باكو الى الماء سنة ١٣٠٦ . وفى جنوب السودان وعلى بحر الجبل تقع بلدة الرجاف التى تعتبر مركزا للزلازل الخفيفة اذ لا يمر عام دون أن تحدث بها هزة او اكثر ! وقد سميت بهذا الاسم هى والجبل المجاور لها بسبب « الرجفات » التى تصيبها .

وأخيرا وليس اخيرا لقد أودت الزلازل باحدى العجائب السبع التى شهدها العالم القديم الا وهى منارة الاسكندرية واودت عوادى الايام بخمس عجائب أخرى ، ولم يبق منها الا اهرام مصر تقف شامخة تتحدى الزمن !

مصر والزلازل

وقد وقع بمصر كثير من الزلازل على مر القرون ومن الجهات التى تعرضت كثيرا للزلازل فيما مضى مدينة الاسكندرية وفى احدى هذه الزلازل هدمت منارتها الشهيرة . كما أصيبت مدن كثيرة أخرى بزلازل عدة لا يتسع المجال لذكرها . وكانت زلازل القاهرة اكثرها خطورة بسبب كبرها وعلو بعض مبانيها وكثرة مساجدها ذات المآذن العالية التى هى اشد المبانى تأثرا بالزلازل .

وبمصر أربع محطات لارصاد الزلازل فى أسوان ومطروح والسويس وكلها تتبع المحطة الام فى حلوان وهدف هذه المحطات تجميع وتسجيل كل هزة ارضية فى منطقة حوض البحر المتوسط .

وقد ذكر أن السد العالى له اثر فى احداث زلازل صغيرة فى منطقة سببها ثقل المياه الضخم على الصخور الموجودة تحتها واستمرارها يهدد السد مستقبلا مالم تتخذ الاحتياطات اللازمة لتقويته ، الامر الذى تقوم بدراسته جماعة من علماء جامعة وارسو بالتعاون مع معهد الارصاد المصرى .

الوقاية من الزلازل :

ولما كانت اليابان من اكثر الدول التى تعرضت للزلازل فقد كانوا حريصين منذ القدم على الا تعلو مساكنهم عن طابق أو طابقين من الخشب غالبا .

ولكن التقدم السريع تطلب انشاء عمائر جديدة ترتفع احيانا الى ٢٥ دورا الامر الذى اضطروا معه الى تزويد تلك العمائر باحدث الوسائل المعمارية بحيث لا تتأثر بالزلازل من جهة ، لان كل عمارة وحدة متماسكة الاجزاء والاطراف واما عن الحريق فقد روعى ان يكون فى سقف كل حجرة فى فندق او بيت او متحف .. الخ : فتحات لها ثقوب تسكب من المواد السائلة مايطفىء فى ثوان معدودة اى حريق .

دراسة التنبؤ بالزلازل :

وعلى الرغم مما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من منافسات علمية وخلافات سياسية وخاصة فى السنوات الاخيرة وبسبب التدخل السوفيتى

فى أفغانستان ، الا انه قد قام بينهما تعاون مشترك للتنبؤ بالزلازل قبل وقوعها وذلك لتقليل الخسائر فى المعدات والارواح . وكانت نتيجة ذلك التعاون اقامة مركز أبحاث للزلازل بمدينة دوشانبى عاصمة طاجستان الروسية التى تقع فى أواسط آسيا على مسافة ١٥٠ ميلا من الحدود الافغانية وهذا المركز حافل بالعقول الالكترونية والمعدات التكنولوجية التى صنع بعضها بالاتحاد السوفيتى والبعض الاخر بالولايات المتحدة .

وقد اختيرت هذه المدينة لانها افضل موقع لدراسة الزلازل اذ انها تقع فى منطقة تحيطها الجبال وتعتبر حوضا للزلازل اذا انها تشهد مالا يقل عن اربعين هزة ارضية كل شهر ، وهو مايندر حدوثه فى اى مكان آخر على ظهر الارض .

وقد تنبأ بعض العلماء فى أمريكا بوقوع زلزال عنيف فى منطقة كاليفورنيا بأمريكا قبل هذا القرن واكدوا انه سيكون خطيرا بحيث تتأثر به السدود والخزانات فى لوس انجلوس .

طرائف عن الزلازل :

وكمحاولة للتهوين من شأن الزلازل فان بعض الفنادق القائمة فى مناطق تتعرض للهزات الارضية بدأت اساليب مغرية لتشجيع السائحين على الاقامة فيها .

ومن أطرف مالجأ اليه احد هذه الفنادق ، انه قسم الهزات الارضية الى ثلاث درجات : بسيطة ومتوسطة وشديدة .

فاذا حدثت هزة ارضية بسيطة فان الفندق يصرف لكل نزيل من نزلائه زجاجة بيرة مجانا !.. واذا كانت الهزة متوسطة خفض الفندق حساب كل من النزلاء بما يساوى ١٥٪ ، اما اذا كانت الهزة الارضية قوية وشديدة بدرجة مخيفة الى حد ما ، فان الفندق يمنح النزلاء اقامة مجانية لمدة اسبوع !

ومن طريف ماحدث فى مصر ان الزلزال الذى حدث فى أوائل عام ١٩٦٩ وتسبب فى انهيار بعض المنازل ، تسبب أيضا فى اصلاح عمارة جديدة كانت موشكة على السقوط وكانت صاحبة هذه العمارة ، وهى ممثلة شهيرة قد اقامت دعوى على المهندس الذى قام بتشييدها ، مطالبة اياه بتعويض كبير لان خللا ما فى البناء تسبب فى ميل العمارة بحيث أصبحت مهددة بالسقوط .

ثم جاءت مفاجأة الزلزال الذى اشرنا اليه ، وبدلا من أن تسقط العمارة المائلة ، اعتدلت تماما . وجاءت لجنة فنية لمعاينتها واثبتت ان العيب الذى كان يهددها بالسقوط قد زال تماما الا ماالحه الزلزال نهائيا ، واصبحت العمارة فى وضع طبيعى وسليمة من كل عيب ..

وهكذا فض الزلزال نزاعا قضائيا واصلح مبنى سكنيا !

وشبيه بذلك ماحدث فى نوفمبر عام ١٩٦٥ ، اذ اعاد الزلزال الذى وقع يوم ١٨ نوفمبر ، اعاد تمثال الزعيم احمد عرابى بمدينة الزقازيق ، الى وضعه الطبيعى !

وكان التمثال قد ظهر فيه ميل بعد تركيبه ، وعندما ذهبت لجنة تعاينه فى اليوم التالى للزلزال اكتشفت انه عاد

ومن الفكاهات التى تروى عن الزلازل ان احدى القرى تعرضت لموجات خفيفة متباعدة من الزلازل ، فخاف احد سكانها على اولاده وبعث بهم الى ابيه الذى كان يقيم فى قرية اخرى ورجاه ان يبقى الاولاد عنده حتى تنتهى تلك الموجة ..

وبعد ايام قلائل ارسل الجد الى ابنه الرسالة التالية :

« ارسل من يأخذ اولادك من عندى فانى افضل ان ترسل الى الزلزال نفسه بدلا من اولادك ، لانهم اشد خطرا واكثر فتكا منه ! »

الفلاّح في بلاط صاحبة الجلالة

• اجرى الحوار : عاطف فرج •

● النهار يدفع بمليكته الشمس الى العلو لكي تمنحه مزيدا من الضياء وقدرا أكبر من الدفء . فلم تزل في ضحى هذا اليوم من ايام الشتاء .. وهو من خلف زجاج نافذته يقف متدثرا بعباءته الصوفية ينظر الى قبة الحرم الجامعي واشجار حديقة الاورمان ، ثم يتجاوز ذلك الى قمم الاهرامات الثلاثة بما تطويه من اسرار الخلود . انه الكاتب الصحفي القاص اللاذع الساخر ابراهيم الورداني .. صاحب « المصطبة الادبية » المعروفة « صواريخ » ..

وجدان غني بالتجارب والذكريات صحبنا معه في رحلة حياته الادبية والفنية ..

مرفأ الذكريات

اول مرفأ وقف به القاص ابراهيم الورداني هو قرية « وردان » التي تسمى باسمها ومحل لقبها .. قرية تقع في أقصى الحدود من محافظة البحيرة وادناها من حدود محافظة الجيزة . انها نقطة بداية ونهاية . كما انها نقطة التقاء والفراق .

لم يكن ابراهيم يحلم وهو في هذه القرية أن يكون أديبا . لكنه تمنى أن يكون شيئا نادرا . والندرة التي عاشت معه في مخيلته ويبحث عنها في كل عمل جديد يقدمه ولدت من تعلقه بنخلة كانت عندهم وكانت تثمر بلحا لمذاق حلو شهي نادر ! ..

« ومن العجيب ان ثمارها تبلغ الواحدة منه طول سبابة اصبع الرجل جمع بعض هذه الثمار قريب لي كان يعمل محاميا اسمه زكريا أرسلان وارسل به الى جريدة الأهرام . نشرت الاهرام صورة البلح في صفحتها الاولى أحسست مثل هذه اللحظة انني اريد أن اكون مثل هذه النخلة نادرا فريدا ! »

وانتقل الى مدرسة دمنهور الثانوية كمرفأ جديد في رحلة حياته المشدة استهوته مكتبتها الزاخرة .. قرأ استوعب .. تأثر بأهم كتاب في حياته .. أميل القرن التاسع عشر .. كتبه مؤلف الجليزى لا يحضرني اسمه .. متحديا به جان جاك روسو في كتابه اميل القرن الثامن عشر .. » ..

سنوات قليلة .. وينتقل الفلاح الورداني الى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة « يفسل بعرق الافكار » كل شبر في ممتلكاتها الواسعة فهو « مولود

فوق حروف المطبعة الصحفية «يكتب القصة القصيرة والرواية الطويلة المقالة الصحفية ، حاد فى كتاباته « سواء اكان مدحا او قدحا » لا يعرف الالتفاف أو الدوران حول النفس او المواربة .

ثقافة التامل ..

قلت للاستاذ ابراهيم : ماهي العلاقة التى تربطك بشخصياتك بعد أن ينتهى العمل الادبي من بين يديك ؟

قال : بعد لحظة صمت :

« لقد اعتمدت فى حياتى على مايعرف بثقافة التامل .

وهو تامل مع قراءة نهمة .. لكل ماتقع عليه عينى .. واستطعت بذلك أن أجد لنفسي امكانيات التصور لكل الاشياء .. وتقمص اى شخصية اريدها بل والدخول فى اى عصر ...

فالمرأة رغم أن لها غرائز تختلف من تلك التى للرجل ، الا اننى عندما اتقمص شخصيتها اعايشها معاشرة اللحم والعظم ..

والشخصيات التى اكتب عنها لاتنقطع صلتى بها بعد انتهاء الكتابة من العمل الادبي بل احملها ولا اتركها وتظل تعيش فى داخلى .. بكل مقوماتها بكل احداثها لا تسقط منى ولو حاولت ذلك .. »

استدراج المعارك :

كان ابراهيم الوردانى فى احدى مساجلاته التى عرف بها دائما قد قال بأن الادب اليونانى ماهو الا «ادب عفاريت» .. مما جعل خصومه يأخذون القولة عليه ، لدرجة قولهم « بانه الكاتب الذى يدعو الى الجهل .. »

يبتسم الوردانى وهو يتذكر هذه الواقعة ..

« لقد افتقدنا كثيرا هذه المعارك الادبية . التى طالما أثرت الحياة الادبية ..

وكنت قد لاحظت نزول اساتذة الجامعة الى الساحة الادبية . مطالبين الادباء الجدد بكثرة القراءة والاطلاع والرجوع الى أصول الثقافة سواء الاغريقية منها او العربية او ثقافة العصور الوسطى .. وأى اديب مهما بلغت قراءاته وتعددت وتنوعت لايمكنه أن يصل الى ربع « رف » فى المكتبة



ابراهيم الوردانى

العالمية ، ولابد أن يأتى وقت فيه الاديب لكى يكتب ، والا فانه لن يكتب لو استمر به الحال كما يطالبون به ...

فرددت عليهم بهذا المفهوم .. وقلت عن الادب اليونانى انه ادب العفاريت والالهة اليونانية القديمة ، وان الادب العربي القديم ماهو الا ادب الطلاسم .. وان ادب العصور الوسطى ، ماهو الا ادب المستعمر الابيض .. وثارت ثائرتهم لهذا القول ..

وعلى العموم ليت هذه المعارك تعود حتى تنشط الساحة الادبية من ركودها»

« مى » الصغيرة :

كان الاستاذ الوردانى يوقع قصصه القصيرة التى يكتبها باسم « مى الصغيرة » حيث كان للاديبة مى زيادة دور كبير مؤثر فى الحياة الادبية .. وقد كتب العديد من القصص العاطفى نشرت بهذا الاسم المستعار وعندما شعر بالاقبال الشديد من جانب القراء كشف من اسمه الحقيقى .. ونشر العديد من القصص القصيرة ، الا انه لم يكتب للمسرح : « المسرح محدود وارستقراطى ولا يزيد عدد رواده باية حال عن عدد المقاعد فيه .. »

أما القصة فانها جماهيرية « وكنت ولا ازال ابحث عن قارىء جديد » .

ولقد رأى الاستاذ الوردانى فى اقبال القارىء عليه سببا فى ان يغرس فى داخله بذرة الوطنية بنفس الاسلوب القصصى الذى اعتاده فى القصص العاطفى فكتب اول قصة له باسم « المشنوق الرابع »

من حادثة دنشواى .. ثم ظل يكتب فى كل مناسبة قصة بلغت فى مجموعها أكثر من اربعمائة ، قالوا عليها انها من « أدب المناسبات » ..

وهو وان كان لم يقدم من الرواية الطويلة الكثير مثل « برديس » ، فانه يقول عن سبب ذلك ..

« معظم ما أكتبه انشره فى حلقات فى الجريدة أو المجلة .. وبمجرد نشره افقد شهيتي الى تجميعه ونشره فى كتاب .. فأنا عندى الكثير من الروايات الطويلة التى تحتاج الى النشر .. فى شكل روايات متكاملة .. وقبل « برديس » بحوالى ١٢ سنة تقريبا كتبت « الدوامة » ، لكن انتنى فقط أن أجد الفرصة لاعيد ترتيب أوراقى. »

فى الساحة الادبية :

قلت لابراهيم الوردانى : خلو الساحة الادبية من النقاد أثر على الحركة الادبية تأثيرا كبيرا .. فما رأيك فيما يدور فى الساحة الادبية الآن ؟ قال: وهو يتقلب فى صفحات روايته برديس:

« الأدب يعيش هذه الايام فى محنة .. لانه لم تعد توجد مدارس أدبية كالتى شاهدناها منذ ثلاثين عاما مضت ... هذه المدارس .

« .. وان كانت حلقات أدبية فى شكل صالونات سواء ندوات يعقدها كبار الكتاب فى منازلهم او فى اماكن عملهم الا انها اخرجت الى الحياة الادبية اجيالا يحمل كل منها طابع المدرسة التى كان يعيش لندواتها .. فانيس منصور مثلا تربى فى ندوة العقاد ومدرسته ، ولان الادب مدارس مختلفة فكل اديب ناشىء كان يلجأ الى المدرسة التى تتفق ورغباته ، فكان لامين الخولى مدرسة ، وللعقاد مدرسة ، وللدكتور هيكل مدرسة .

اما الآن فالاديب الناشىء لا يجد حتى من يقرأ قصته . ولا يجد من يبدى له نصيحة .. وان وجدت قصة طريقها للنشر . فانه لا يجد من أحد تعليقا عليها .. وهكذا نحن نعيش محنة الأدب ومحنة الاديب .. »

لحظة الميلاد :

كيف يعيش الاديب لحظة الميلاد الادبي ؟!

يقول الاستاذ الوردانى « عندما اكتب عملا جديدا أستضيف اشخاصه واشحن نفسى بهم . وأستضيف الى جانب ذلك وقبل ذلك ايضا صاحب الجلالة القارىء .. وأمد فى ضيافته حتى ائتلاف مستقبلا اى اشاحة منه . وعادة اكتب قبيل الفجر ، حتى يكون السكون اعم ، والحياة نائمة من حولى .. »

المغالاة فى الكتابة :

سألت أبو خليل عن سر مغالاته فى الكتابة سواء منها الادبية أو الصحفية .. قال وهو يضحك ملء شدقيه :

« رغم ان هذه المسألة تسبب لى كثيرا من المتاعب وعادة ما اكون ضحيتها ، فانتى اعتبر ان الحدة فى الكتابة هى اقصر الطرق واسهلها لبلوغ الهدف والوصول الى ايجاد زمجرة فى نفس القارىء ، حتى أصل الى اقناعه بما اريد .. والحدة ليست فقط عندما اهاجم مالا اعتقد به وانما ايضا عندما ادافع عما احب واعتقد فيه ..

من أهم روايات ابراهيم الوردانى « برديس » أو رواية النصف المفقود .. يقول الوردانى :

« برديس ليست اهم اعمالى ،لكنها يوتوبيا ، تخيلت احداثها .. وان كانت بطلتها تعيش فى الواقع الا اننى اضفيت عليها من عندى ماجعلها تمثل أجيال مصر بعد ثورة ١٩ ، والى حرب الاستنزاف الاخيرة ، والجزء الذى لم يكتب فى برديس هو الجزء الخاص بالبطل سالم ابو المجد .. افكاره ، مشاعره ، رأيه فى ناموس الحياة ، واحلامه .. تمنيت ان أقول أفكارى من خلال هذه الشخصية التى خلقتها. لكن الظروف لم تمكننى بعد أن رتبت ان أكتب ذلك على مدار سنة كاملة .. »

اطلالة على الماضى :

لو سألت الأستاذ الوردانى : عندما

تنظر الى رواياتك الان هل تشـــعر بالرضى ؟!

قال وهو يبحر فى ذكرياته :«لايوجد كاتب يشعر بالرضى التام عن كتاباته.. ففى المرحلة التى كنت مزدهرا فيها بل وكنت ايضا اكاد اكون متفردا فى اطعام الجمهور بالفن الادبى ، واذكر كيف حدث ذلك .. اشعر انها كانت مجــرد « موضة » مرحلية .. واعادة تقييم الكتابات لايمكن ان تتم ، لأن كل كتابة تكون مقيدة بالظروف التى كتبت فيها .. واؤكد لك اننى عندما اقرأ هــذه الكتابات الان ، اشعر بان فيها اخطاء كثيرة فى حاجة الى تعديل ، لكنى أتركها كما هى ، فزيادة خبرتى لا تعنى اننى اعدل فيما كنت قد كتبته .. لــكن تنصب على ما اكتبه فى المستقبل ..

النصيحة فى غلالة :

سألت ابرهيم الورداني عن رأيه فيما يقال بان الفن للمتعة فقط وما قيمـــة الفن عنده ؟!

قال : « عندما اكتب فاننى اضـــع نصب عينى قارئى العزيز .. ، فانا شديد الاخلاص له متفان فى خدمتــــه صادقا فيما اقدمه من كتابات واعمال ، كما انى ملتزم بالعصر الذى اعيش فيه بحيث يكون الفن معبرا عنه والا انتقل بنا الى عصور اخرى نجهلها .

والفن مهمته الاساسية فى نظـــرى تشييد الجمال على جدران الواقع .. ومهمة الكاتب ان يكتب ليقرأ اخر ... والفن اساسا يجب ان يكون ممتعا ... ولان الناس لا تقبل النصيحة ، فاننى اضعها فى غلالة رقيقة شفافة من الامتاع حتى تثمر النصيحة فائدتها المرجوة فى ثوب التسلية الخفيف .. »

رصيف الحضارة :

قلت له : بعض الكتاب الـكبار فى الغرب ، ضمنوا لانفســـهم ولكتاباتهم الخلود ، فما السر فى ذلك ؟!

يقول الاستاذ الورداني :

« حقيقة لقد مر العالم بمرحـــلة استعمارية غيرت الاصول فيه والجذور ونحن نعيش الان فوق رصيف الحضارة الغربية .

وكل شيء من الغرب فرض نفســه على كل مكان فى العالم .. ولاننا نسير وراء الحضارة الغربية وهى قد غمرت العالم كله واصبحت المســـتوى الذى يقاس به .. وباعتبارنا ناقلين ، فاعتقد اننا لن نبلغهم فى ذلك ، وايجـــاد الادب المحلى الذى يمكن ان يغزو العـــالم لابد ان تتمهل عليه حتى يصنع حضارة نفسه .

وسر خلودهم لانهم صنعوا اشــياء متقنة جيدة وجعلوا شخصياتها غنيــة ثرية ، وخاطبوا اساسا النفس البشرية .. والنفس البشرية هى التى يملكها اى انسان فنيا ، وبالتالى فهــــم يخاطبوننا ويخاطبون من سياتى بعدنا ، وهذا وحده كاف لان يجعل من هـذه الاعمال اعمالا باقية .. »

السينما .. لم تعبر عن افكارى

علاقة ابرهيم الوردانى بالســـينما علاقة قديمة فهل عبرت عن افكاره تماما وهل يصح القول بانقطاع الصـــلة بين العمل الادبي وبين مؤلفه عندما يقع فى يد المخرج ؟!

يقول الورداني : ـ « عنــدما ارى الافلام السينمائية التى اخـــذت من قصصى اشعر بعدم الارتياح . لانها لم تعبر تماما عن وجهة نظـــرى . ولان المخرج لم يفهم حقيقة مايقصـــده المؤلف .. تظهر الهوة الشاسعة بين العمل الادبى فى أصله وصـــورته فى شريط السينما .. لكن ماذا نفعل ؟! كل مايمكن قوله اننا فى حاجة الى المخرج المثقف الواعى .. الذى يعطى العمـــل الادبى حقه كاملا .. دون تحـــوير أو تبديل .. »

المنطلق الفكرى :

واذا كان لكل كاتب منطلق فـــكرى يعبر من خلاله عما يعتقـــده ، فان المنطلق الفكرى عند ابراهيم الوردانى هو التغنى بمصر والافتتان بســـحر الخلود فيها ، وطبيعتها التى لا يعادلها فى نظره طبيعة اخرى .. فهو كما يقول « الواقع المصرى المعاصر .. بكل احداثه وعظمته .. والطبيعـــة المصرية الآمنة .. فانا فلاح يهيم حبـــا بمصر » ..

●●

ناس وصور
وحكايات



همومُ الملك

[illegible]

ناس وصور وحكايات

تشيانج كوينج أرملة ماو تسي تونج

مأساة امرأة ألقى بها الطموح في بحر السياسة وصعدت بها الأقدار الى قمة المجد السياسي ثم أسلمتها ليد الجلاد .

خلال عشر سنوات كانت جيانج كوينج أشهر امرأة في الصين . كانت زوجة ماو تسي تونج زعيم الصين الأكبر وأقرب الناس اليه ، وصاحبة سلطان واسع في الصين كلها تبعا لذلك . كانت اذا خطبت استمع اليها ملايين الصينيين في اعجاب بالغ . وكان الملايين يستمعون الى خطاباتها أيام الثورة الثقافية ويهتفون باسمها : كانوا يصيحون بأصوات كالرعد : نحن نتعلم من الرفيقة جيانج كوينج : نحن نفدي الرفيقة جيانج كوينج بأرواحنا .

وعندما حاولت هذه المرأة نفسها أن تقبض على السلطان خلال السنوات الاخيرة من حياة ماو واستمالت الى جانبها عددا من رجال ماو بدأ رجال الحزب الشيوعي الكبير يتعرضون لها ويدبرون كيلا تتغلب عليهم هذه المرأة الطموحة النشطة وتنتزع السلطان والرياسة عقب وفاة زوجها المسن ، وما كاد ماو يموت حتى كانوا قد أحكموا خططهم وانتزعوا السلطان وقبضوا عليها وعلى شركائها واودعوها السجن ثم قدموها للمحاكمة بتهمة التآمر على الحزب ، ونبشوا وراءها واستخرجوا تهما خطيرة بالقتل والتعذيب اقترفتها أيام الثورة الثقافية وكانت هي من أكبر العاملين عليها .

وعندما جردت من كل سلطان واودعت السجن أصبحت هذه المرأة عدوة في نظر الجماهير وارتفعت صيحات الملايين تهتف بسقوط الساحرة العجوز والحشرة الطويلة اللسان . وأخيرا تمكن أعداؤها من أحكام القبضة عليها واستصدروا من القضاء حكما بإعدامها هي وشركائها الثلاثة ، وقد اشتهروا باسم عصابة الاربعة .

***

وهكذا السياسة دائما : صراع متصل على السلطان ولا أمان لها ولا ميثاقات .



فى قاعة المحاكمة جلست تشيانج كوينج تدافع عن نفسها • كانت جريئة وقوية • انها فى الثالثة والستين ولكنها تفيض حمية وحماسا • كانت تعرف ان مصيرها الموت مهما دافعت عن نفسها ، لقد فعلت هي بالالوف مثل ذلك ايام الثورة الثقافية •

والجماهير تسمع ما يلقى فى آذانها وتصدر أحكامها . ومن قمة السلطة والمجد والحب سقطت هذه المرأة وهى فى الثالثة والستين الى الحضيض وانتهت حياتها معلقة فى حبل المشنقة .

عبرة من عبر السياسة التى لا تنتهى ودرس للطامعين فى السلطان دون ان تكون لديهم الاسلحة الكافية للثبات فى ميدان صراع السلطات الذى لا يعرف الرحمة .

***

ولدت هذه المرأة فى أحضان الفقر المدقع فى شينجهاى سنة ١٩١٥، ولكنها ولدت طموحة وشبت امرأة جميلة ، ومن سن الخامسة عشرة اتجهت للتمثيل وكونت لنفسها اسما صغيرا فى عالم التمثيل ، ولكنها لم توفق فانصرفت الى السياسة ، وكانت فى شبابها الباكر فتاة قلقة جياشة العواطف ، فكانت لها مغامرات وحكايات ثم دخلت السياسة كما قلنا .

وكان الحزب الشيوعى اذ ذاك حزبا سريا ، فانضمت اليه سنة ١٩٣٣ وعمرها ١٨ عاما ، وابدت نشاطا واسعا ، فقبضت عليها سلطات النظام القائم فى الصين اذ ذاك وهى حكومة الكومنتانج وعلى راسها تشيانج كاى تشيك ، واودعتها السجن . وفى السجن تحولت الى شخصية ثورية مثيرة للمتاعب ، تعب معها رجال السجن . وعندما أطلق سراحها حمدوا الله ، وانضمت بعد ذلك الى جماعة من الكتاب والفنانين الثوريين وحاولت ان تكون رئيستهم ففشلت واختلفت معهم فطردوها .

كان عمرها اذ ذاك ٢٥ سنة ، غادرت شينجهاى وليس عليها الا ملابسها .

قطعت مسافة الفى كيلو متر فى طريقها للالتحاق بجيش ماو تسى تونج الذى كان يخترق الصين . وما زالت تسعى حتى دخلت الدائرة الضيقة التى تحيط بالزعيم الكبير بصفة سكرتيرة . كانت جميلة ونشيطة فاستلفتت انظار الرجل .

وكان ماو فى تلك السنوات يلقى دروسا منظمة على اتباعه يشرح لهم فيها آراءه ، فالتحقت بحلقة الدرس واصغت بكل نفسها الى كلام ذلك الرجل الساحر وآمنت بما كان يقول . ولاحظ هو اهتمامها ولفت نظره جمالها ونشاطها فقربها منه .

وكان ماو قد طلق زوجته الرابعة ، وابدى رغبته فى الزواج من لان ينج ولكن رجال الحزب اعترضوا عليه ، لم يمانعوا فى ان تعيش معه لان ينج ولكنهم رفضوا ان تكون زوجته ، وبدات مشاكلها مع رجال الحزب من ذلك الحين ، كان ذلك سنة ١٩٣٩ ، ومن ذلك الوقت لصقت هذه الفتاة بالرجل الكبير ، وقد سببت له متاعب جمة ، واوقعته فى خلافات كثيرة مع نفر من كبار رجاله ، ولكنه تمسك بها ، واصبح اسمها فى الحزب تشيانج كوينج وبعد مدة تمكنت من الزواج منه ، وزاد سلطانها تبعا لذلك .

***

وفى ١٨ اغسطس سنة ١٩٦٦ اعلنت تشيانج كوينج ونفر من المحيطين بماو ما سموه بالثورة الثقافية . كان هدفها الاساسى الخلاص من كل من كانوا يكرهونها ويقفون فى سبيلها فى الحزب وكانت الثورة الثقافية حركة تصفية واسعة المدى قيل ان هدفها تنقية مبادىء

ناس وصور وحكايات







تشـيانج كوينج وهى فى الثامنة عشرة من عمـرها . كانت فتـاة جميلة تحترف التمثيل ، ولكنهـا لم توفق فيـه ، فاتجهت الى السياسة .

ناس وصور وحكايات

الشيوعية الماوية ، واخراج من سموهم بالمتخلفين فكريا من الحزب او اعدامهم لتحل محلها عناصر شابة من صميم البروليتاريا العمالية ، وقد بذلت تشيانج كوينج جهدا ضخما لتنفيذ هذه الثورة الدموية ، واصبحت رئيسة لجنة من ١٨ عضوا قيل انهم يمثلون الجناح التقدمى فى الحزب . ولم تكن تعلم اذ ذاك ان هذه الثورة الثقافية ستكون سبب هلاكها .

لقد هلك فى الثورة الثقافية ما يزيد على ١٠٠٠ر١٠٠٠ انسان ، كلهم اعدموا بتهمة الميل الى الراسمالية أو ما سموه بالفاشية . ومعظم اولئك الذين اصابتهم هذه الكارثة ماتوا على ايدى الجماهير الصاخبة التى كان زعماء الثورة الثقافية يسلطونهم على الناس .

ونتيجة لهذه الثورة القاتلة الدامية اصبحت تشيانج كوينج من كبار شخصيات النظام . وكان ماو قد اسن واصابه الشلل ، فتكومت حول سرير الرجل المريض تلك الجماعة التى رسمت خطة الاستيلاء على الحكم بمجرد وفاة ماو تسى تونج وعلى رأسها اولئك الذين عرفوا بعصابة الاربعة ، وقد اقترفت تلك العصابة جرائم لا تحصى فى حق الابرياء .

***

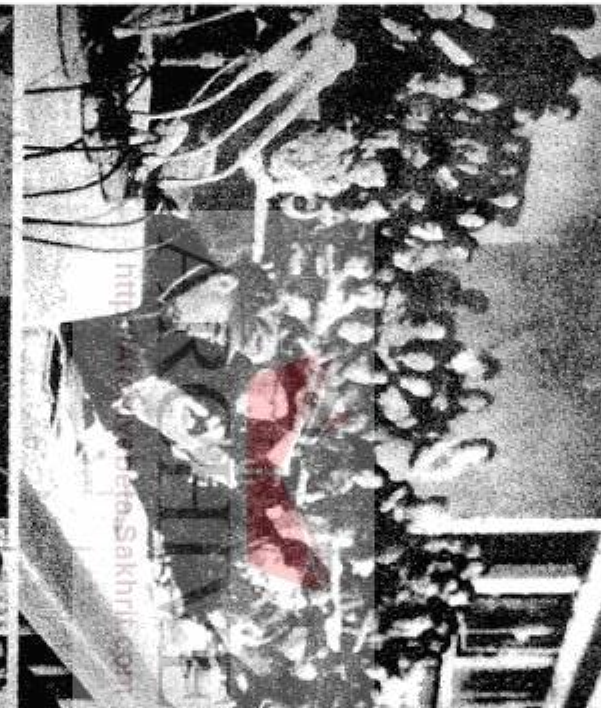
وقد تكاثر اعداء هذه المرأة الطموح الجريئة . وكانوا بدورهم يدبرون للاستيلاء على السلطان . وقد حاولت تشيانج كوينج أن تقضى على خصومها بين صفوف الجيش فلم تستطع . نجح اعداؤها فى كسب تأييد العسكريين .

ولهذا فما كاد ماو تسى تونج يتوفى فى اكتوبر ١٩٧٦ حتى فوجئت تشيانج كوينج بالقبض عليها وعلى شركائها واودعوا السجن . كان هذا آخر ما كانت تتصوره هذه المرأة ، لانها كانت تحسب ان أزمة السلطان كلها فى يدها . وقد كانت فى يدها بالفعل بعض خيوط السلطة ، ولكن خصومها كانوا أمهر منها بكثير ، لان هذه المرأة التى كانت تنتظر موت ماو بفارغ الصبر لم تكن تعلم أن موت هذا الرجل يعنى موتها هى ايضا .

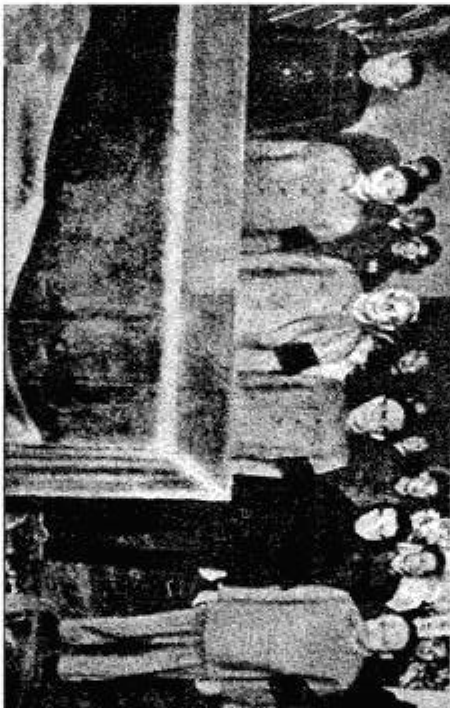
ذلك ان خصومها احكموا قبضتهم حول رقبتها ، ووجهوا اليها تهمة التآمر على ماو ومحاولة قتله ، واتهموها بانها السبب الرئيسى فى موت الالوف من الابرياء . وكانت محاكمة هذه المرأة وشركائها مهزلة مهازل المحاكمات ، واظهرت هى أمام المحاكمة جرأة ووقاحة لا تتصور ، فقد كانت تسب وتلعن وتتحدى ولا تبالى بالموت . وقد اخرجوها من قاعة المحكمة اكثر من مرة ، واخيرا صدر الحكم باعدامها ، وانتهت بذلك حياة من أعجب ما عرف الناس فى القرن العشرين .



في الثلاثين من عمرها كانت تشيانغ ينغ قد أصبحت خليلة ماو تسي تونغ . كان اذ ذاك في الخامسة والاربعين من عمره . وأراد الزواج منها ، ولكن رجال الحزب رفضوا الموافقة على ذلك .



تشيانغ كوينغ في أوج قوتها السياسية وهي رئيسة حركة الثورة الثقافية . لقد اذكت كبار رجال الحكم واخافتهم . في مقدمة الصورة نرى لين بياو نائب الرئيس ماو ويبدو على وجهه عدم الرضى .. هذا الرجل اتهم بالخيانة وفر وسقطت به الطائرة ومات .



تشيانغ كوينغ مع زعماء الحزب أمام جثمان ماو بعد موته . كانت تظن يومها ان الرياسة في يدها . غاب عن ذهنها انها ستكون في السجن بعد اسابيع ولن تخرج منه الا الى يد الجلاد .

لقاء مع :

الأديب اليونانى الكبير أفيروف

• د. نعيم عطية •

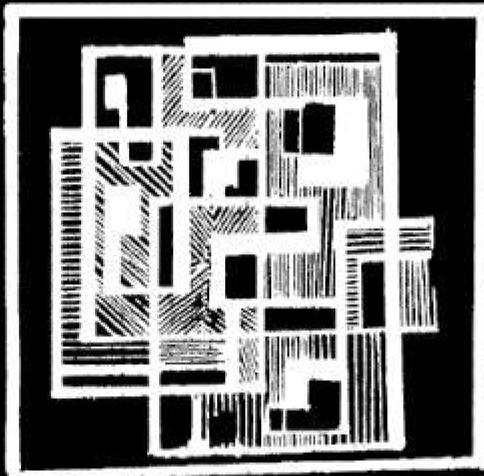
● ان البداية بعيدة ، يا سيدى . فاسمح لى ان ابدأ بلحظة قريبة تحضرنى الآن ، لحظة لها دلالتها العميقة . كنا فى اوائل يولية عام ١٩٧٢ وكنت اعرف « حكومة الحيز الآخذة » كما كنا نسميها فى اليونان . وكانت حكومة غير ديمقراطية فى بلد يعشق الديمقراطية من قديم

اعددت حقيبتى ، ملأتها بالاقلام والاوراق التى ستلزمنى فى السجن ، حيث تكون الكتابة مهربا روحيا من العزلة بين الاسوار ، واداة للصمود النفسى فى وجه محاولات التحطيم التى يمارسها فى التحقيقات على الاخرين . لكن خيبة املى كانت كبيرة عندما كان اول ما فعلوه عند باب السجن ان جردونى من حقيبتى ! ..

احسست ازاء ذلك اننى فقدت آخر صديق يقف بجانبى . واننى اصبحت اسيرا فى الطريق اعزل .. لا تتصوركم يحس الكاتب بالقوة عندما يلمس القلم بأصابعه .. ان لمسة القلم تفعل فيه فعل السحر ، وتبعث فيه شموخا على كل الجبابرة .. اتعرف كيف ينام الفقير الهندى على مرتبة من المسامير فلا يحس بوخزها ؟ هكذا يحدث للكاتب عندما تنبسط الورقة البيضاء تحت ناظريه ويشرع فى ترصيعها بالكلمات !.

انهالت على الاسئلة فى التحقيق . وفى لحظة احسست بأن الغرفة تدور من حولى تمتمت قائلا « اننى لست على مايرام .لست على مايرام ! » ووقعت على الارض فاقد الحراك !

بعد ذلك ، وانا افيق ببطء ،سمعت



طبيب السجن يقول ما مفاده انني ربما اكون قد اصبت بشلل مفاجيء اوقعني على الارض .. ولما كنت التحقت بكلية الطب مدة عامين ، فقد كانت لدي فكرة عما يقول .. ببطء ساقي وذراعي ، فسمعت المحقق ومن حوله يهللون فرحين ، كما لو كان قد انزاح عن كواهلهم هم ثقيل ، ويقولون « انه يتحرك » انه يتحرك . انه يتحرك !».

فهمت مـاذا كان يعنيه فرحهم بسلامتي . كانوا يخشون مغبة ان يحدث لي على يديهم مكروه فادح ، وانا شخصية عامة معروفة لها ماض يعمل له حساب .. نهضت ، وقلت لهم : « استانفوا التحقيق ! » لكنهم ارادوا ان يمنحوني بعض الراحة حتى لا يصيبني ما لا تحمد عقباه ، بل انهم لطفوا من معاملتهم وسالوني ما اذا كنت ارغب في شيء . فسارعت وطلبت اوراقي واقلامي . فجلبت على عجل ، وجلست اكتب ...

ـ عن اي شيء كتبت يا سيد افيروف؟

ـ عن « زنزانة بلا نوافذ » ! ..

ـ وانطلقت افكاري تتساءل عن القدر والسعادة . وحاولت ان اجيب ببساطة على تساؤلات كبيرة تشغلني وتشغل الانسانية كلها .. كان الحارس المعين لمراقبتي من اقليم « ابيروس » وهو الاقليم الذي انحدر منه انا ايضا . كان ينظر من ثقب الباب فيراني منكبا على الكتابة . وذات مرة اقترب مني ، واطل على اوراقي وسالني « ماذا تكتب ؟ » اجبت ببساطة « قصص اطفال ! »

نظر الي غير مصدق . كيف ينشغل رجل ضالع في المشاكل بمثل هذا النوع من الكتابة ؟ « واستوضحني قائلا « قصص اطفال ؟ » هززت راسي وقلت « اجل ، قصص اطفال ، الصغار والكبار ! » وسالني من جديد ، وقد استخف بي « ما اسم الكتاب ؟ » قلت « غابة السعادة! » ، وقلب اوراقي برهة .. ثم هز راسه ، كما لو كان يرثي لسذاجتي ، واستدار خارجا من زنزانتي ! ..

استغرقت في الكتابة . ونسيت

زنزانتي وحارسي والتحقيق، وانغمست في أسعد لحظات العمر، أعني تلك التي أكتب فيها .. وتلاشت من حولي أسوار السجن، ومثلت امامي غابةمن غابات بلادي . تخيلت صبيا وصبية يلتقيان مصادفة عند هـذه الغابة الخرافية . ثم **يقفز سنجاب لطيف امامهما يعرض عليهما ان يجوس معهما انحاء الغابة . يقابلان هنـاك الاشجار العتيقة القديمة التي شربت الحكمة من ارض الاجداد ..**

وتجيب هذه الاشجار على تساؤلات الصبي والصبية اللذين سيكبران ويتزوجان فيما بعد ... انه عمل من قبيل « اليس في ارض العجائب » للشاعر الانجليزي لويس كارول ،ولكن ارضي انا ليست » ارض عجائب « بل « ارض حكمة » !

واني اعنى كثيرا بما يقدم للطفل ،فهو ياتي الى هذا العالم ،او الى هـذه الغابة المتشابكة الاشجار، ويحتاجمن الكبار انيجيبوه بوضوح عن تساؤلاته، وان يقوده عبر دروب هـذا العالم برصانة تهديه الى الصواب لا الى الضلال والضياع ..

وقد عرف القدماء هذه الحقيقة ايضا ، فجاءت « حكاياتهم » مليئة بالحكمة ترويها الجدات للاحفاد ، فتسليهم وتثقفهم . وقد كانت لي تجربة سابقة في هذا النوع من الكتابة المجازية التهذيبية في متابعتي القصصية « الحمائم » أو « مغامرات حمامة تطير كالسهم » التي تتحدر عن قصص الطير والحيوان عند«ايزوبوس»

او « ايزوب » الاغريقي القديم ، وربما من بعده « لا فونتين الفرنسي . وقد شبه بعض النقاد ايضا « مغامرات الحمامة » من بعض النواحي بحكايات « كليلة ودمنة » الفارسية العربية .

***

ـ هل يفهم من تساؤلك عن معاني « القدر » و « السعادة » و «الكرامة» و « الاخوة بين البشر » في كتابيك القصصيين انك تهتم يا سيدي افيروف في العمل الادبي « بالمضامين » ؟

كنت على الدوام اهتم « بالمعنى » في العمل الادبي . فالعمل الادبي بالنسبة لي يحمل رسالة ننقلها الى القارىء . صحيح ان « المعنى » ليس هو « العمل الادبي » ولكن المهم انيكون للعمل معنى يهدف اليه . ثم ياتي بعد ذلك كيف يصاغ هذا المعنى ، وكيف يذاب في اسلوب ..

ان « الاسلوب » هو « الشكل » و « المضمون » هو « الموضوع » و « العمل الادبي » « مضمون منخلال شكل » او « شكل يفضي الى مضمون» لماذا ؟ لان الادب « رسالة » ... وفي رواتي « نداء الارض » تقول بطلة الرواية كيتي ، عندما يسالها عمها نيقوس مانوسيس عما تقرا « رواية لا قيمة لها ، فان المؤلف لا يبدو ان لديه شيئا يقوله ! »

هذا الشيء الذي يقال في العمل الادبي هو « لب » العمل الادبي ، ولا يمكن ان تخلو منه حتى تلك الاعمال

الحديثة الموغلة فى التجريبية اوالعبثية او اللاشعورية او التلقائية .. فهناك على الدوام فى الاعمال الادبية معانى مهما اختلفت الاشكال والاساليب . ولكن هذه المعانى تتفاوت عمقـــا وضحالة .وتتنوع فى طبيعتها وجوهرها .. ولا يبقى على مر الزمن الا الاعمال الادبية ذات المضامين الانسانية العميقة . وهذه المضامين ايضا عرفت التجريب . فالتجريبية لا تصدق على الاشكال فحسب ، بل تمتد الى المضامين ايضا . ولا تعتقد انى بذلك ارفض التجارب الادبية الجديدة ، مثل « العبث » فهذه الاعمال كثيرا ما تحتوى مضامين ذكية مثلما فى اعمال يوجين يونيسكو بالاخص .

ـ من اين يستمد الكاتب مضامينه، يا سيدى الفيروف ؟.

ـ يستمد الكاتب مضامينه من تجاربه . وقد استقيت تجاربى الادبية من بعض هوايات ملكت على حياتى . وفى مقدمة هذه الهوايات « الزراعة » ، فانا انحدر من اسرة من الزراع ومالكى الاطيـــان فى اعالى اليونان . وقد احببت الزراعة منـــذ الصغر وكنت استمد منها كثيرا من معلوماتى ومعارفى ...

والحق ان الزراعة فى جوهرها تدخل الانسان فى علاقة مع الخالق ومـــع الوجود ومع الصيرورة .. تلك البذرة الصغيرة ، اى بذرة كانت ، عندما تلقى فى الارض ، ثم تموت فى التربة لتعود فتعطى الحياة وتتفتح ويكثر محصولها اليست تجربة وجود ؟ اليس فى البذرة سر الوجود الذى وضعه الخالق فيها؟ اى سر هذا ؟ قد لا نصل الى كنهـــه ولكننا نعاين وجوده . ونحـــن معشر الفلاحين نتابع دورة الحياة من البذرة الى الشجرة الى الثمرة والعطاء ثم الى البذرة والموت من جديد . ويتغلغـــل الايمان بذلك فى اعماقنا .

***

ـ رأينا فى « نداء الارض » بطلهـــا نيكيتا كولتيس ياخذ على عاتقه ، بعد ان حمـــل السلاح فى ارض المعركة ، الاعتناء بالارض وتنمية المحصـــول ، وذلك كواجب قومى لا يقل اهمية عـــن حمل السلاح . وهنا مصداقا لقـــولك يا سيدى الفيروف ؟.

ـ اجل ، اجل ... وقد قدرلى ايضا ان آخذ على عاتقى كثيـــرا من المشاريع الاقتصادية واسهم فى عديد من الانشطة الاجتماعية والخيرية ، على الاخص فى [illegible] « ميترولو » باعالى اليونان ..

وقد اكسبتنى احتكاكاتى هـــذه بالحياة الاجتماعية والاقتصادية خبرات عمقت نظرتى الى الانســـان ، والى حاجاته ، والى ماهو مرجو منـــه للاخرين ، وما يرجوه هو منهم . وقد تحققت ايضا من خلال ذلك ان ثمة فارقا كبيرا بين النظريات وتطبيقها ؛ فقد تبدو النظرية باهرة وخيرة ولكنهـا تستحيل فى التطبيق الى مســاوىء باهظة ، وينطفىء بذلك بريقها الاول .

وقد علمتني الحياة ايضا ان اجيد استخدام العقول في مناقشة المبادىء والنتائج ، وارفض الارهاب والتطرف ... وتجد مثالا طيبا على ذلك روايتي « نداء الارض » عندما يناقش بطلها نيكيتا كوليتس مع فوليوليتس دعوة هذا الاخير له الى الانضمام لحركة ترفع لواء افكار براقة .

ـ هل يمكننا ان نعرف ياسيد افيروف ، من اين تستقى موضوعات رواياتك وابطالها ؟ .

ـ انني استقى موضوعاتي من تجاربي الخاصة . وقد قدر لي ان اعيش لحظات من اصعب اللحظات في تاريخ اليونان الحديث . وقد انخرطت في هذه الاحداث وشاركت في النضال من أجل الحرية والاستقلال . ولهذا جاءت اعمالي الروائية مزيجا متسقا مع حياتي الشخصية والحياة العامة في بلادي .. وقد حقق ذلك رحابة في الرؤية الانسانية، وصدقا في التعبير باعتباري كنت شاهد عيان لمسارات الاحداث التي تقوم عليها رواياتي ، ولكن ليس لزاما الا تخلو اعمالي من بعض الشخصيات المتخيلة ؛ ذلك انني لست مؤرخا فيما أكتب بل اديبا ...

وبمناسبة الحديث عن شخصياتي يحضرني هنا واقعة طريفة لها دلالتها. ففي روايتي « عندما كانت لاوينتشير ١٩٦٩ تحدثت عن فترة اعتقالي بأحد المعتقلات بايطاليا . وقد تعاطفت كثيرا مع قائد المعتقل الذي كانت فيه صفات انسانية لم تخفها بزته العسكرية . وعندما جرت محاكمتي امام مجلس عسكري داخل ذلك المعتقل بحجة اهانتي للسلطات الايطالية ، وقفت صامدا أمام ذلك المجلس الصارم .. فجاء قائد المعتقل الليلة التالية للمحاكمة الى زنزانتي وابدى خفية اعجابه بشجاعتي .. وعندما ترجمت روايتي الى الايطالية اخيرا وصلني خطاب يقول لي كاتبه بالايطالية انه صار الآن عجوزا مهدما ، وانني لن اذكره بعد كل هذه لسنين ، لكنه قرا روايتي كما قرأها أولاده الذين كبروا وصاروا رجالا . وهو يشكرني لانني الوحيد الذى نجحت ان أرد اعتباره ، وان اصوب نظرة ابنائه اليه، بعد أن كانوا يعتبرونه مجرد قائد معتقل فاشي لم يات من الاعمال ما يستأهل الاحترام ..

كان هذا الخطاب ابلغ دليل على انني أجدت رسم شخصيتي واوليتها العناية اللائقة بها ، حتى أن صاحبها الحقيقي تعرف عليها .

***

ـ في ختام حديثنا هذا يا سيد افيروف ، نذكر ان فيلسوف الحمامة الحكيمة التي تطير كالسهم » زارت بلادا كثيرة ، وجئت منها حكمة ومعرفة وصداقة ، فهل نامل ان يزور (فيلوس) البلاد العربية في وقت قريب ؟

ـ اتمنى ذلك ، وبخاصة ان لي اجدادا عاشوا في مصر وخدموا الزراعة والاقتصاد المصري ابان القرن الماضي ، وانى اكن لبلادكم عميق التقدير ..

القصر المهجور

● د. عزت شندي موسى ●

تقادمت يا قصر بين القصور
وطال عليك توالى العصور
وجارت عليك عوادى الزمان
وحطت عليك صروف الدهور
لصوح فيك جمال الربيع
وجفت بروضك ابهى الزهور
وهبت عليك رياح السموم
وكنت مهب عبير العطور

***

.. وقفت ببابك وقت الغروب
وشمس الأصيل تهز شعورى
فلاح عليك جلال مهيب
وصمت رهيب .. كصمت القبور
ومنظر اطلالك الدارسات
يفتت الفلاذ قلب الصخور
ويبعث فى النفس حزنا عميقا
يمس اساه شغاف الصدور

***

فيا قصر ابن الالى عمروك
بانس ليالى المنى والسرور
واين جواريك رمز الدلال
واين ذوات الجمال النضير
.. مضوا مثلما قد مضى السابقون
بذات الطريق .. لنفس المصير

***

لكم اشرقت فيك شمس الثريا
ت ، تاخذ بالضوء عين البصير !
وكنت بنورك ، وسط الظلام
منارا لمن ضل قصد المسير ..
فاظلمت يا قصر بعد الضياء
وامسيت ينعاك بانى القصور



فلسفة الشباب عند العقاد

• نصري عطا الله •

● الشباب كما عاشه العقاد وكما رآه بفكره ، دعوة الى الحياة بكل أدواتها وعناصرها ومكوناتها ، وجماع بواعثها ، والهاماتها ، وسعي حثيث نحو المثل العليا في ارقى وانبل والوى صورها واشكالها ..

« كل عبقري عنده من فيض الحياة مايربى على حاجته ويتناول حاجات الالوف من الناس ، ومن هنا اشتغال العبقريين بالاصلاح والاثارة والتثقيف والتجميل ، ومن هنا عملهم لما بعد الحياة ، او عملهم للخلود ، لانهم يعيشون فى اعمار تتجاوز اعمار الافراد » .

هذه من اقوال العقاد ، خير تحية نقدمها للعقاد فى ذكرى رحيله ...

لقد اعطانا العقاد الكثير وسيظل فياضا بالعطاء على مدى اجيال من بعدها اجيال ، وكان دأبه ــ برغم كثرة قراءاته ــ ان يعطى من ذات نفسه : انه يستعرض مطالعاته وتأملاته وتجاربه فينفعل بها ويعمل فيها منطقه وفكره ثم يقدمها لنا .

وليس غريبا ان يتحدث العقاد عن شبابه هو حين يتحدث عن الشباب عامة ومقوماته ومشاكله واهدافه والغايات التى يجب ان يلتزم بها ويسعى الى تحقيقها ..

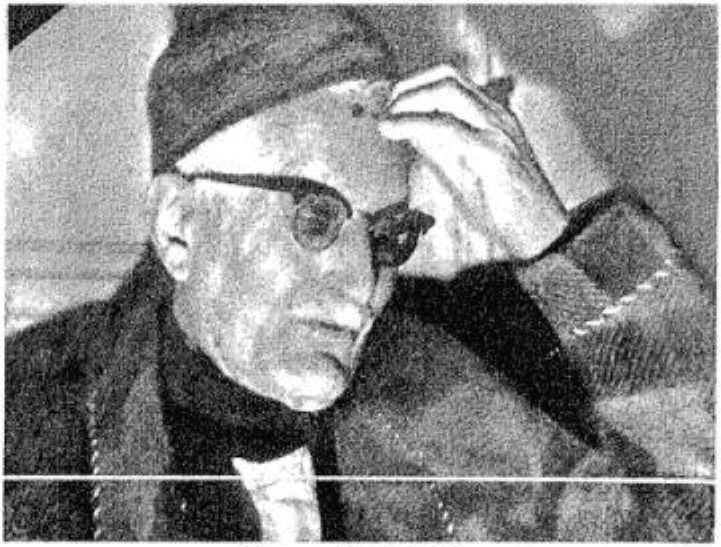
يحدثنا العقاد عن مقاييس الشباب فيقول :

١ ــ ان عمرك هو شعورك ، فانت فى الثلاثين ان شعرت شعور ابن الثلاثين ... وانت فى الستين ان شعرت شعور ابن الستين وان كانت تذكرة ميلادك تقول أنك لم تبلغ نصفها من السنين .

٢ ــ المقياس الثانى هو مقياس القلب والهوى ... انك شاب اذا كانت الفتاة تسعدك وتشقيك . وكهل اذا كانت تسعدك ولا تشقيك . وشيخ اذا كانت لاتسعدك ولا تشقيك !

٣ ــ وهناك مقياس الهمة والطموح . وأصحاب هذا المقياس يحسبون المرء شابا مادام له مطمح فى المجد والعظمة . فاذا ماركدت همته فهو من الشيوخ وان كان فى ربيع العمر ...

تلك هى المقاييس العامة ولكل فرد مقياسه الخاص المرتبط بنوع الرسالة التى اختارها لنفسه فى الحياة ، فمن



الكاتب الكبير عباس محمود العقاد

استطاع أن يؤدي في الستين عملا كان يؤديه في العشرين أو الثلاثين – فهو لم يهرم بعد ... »

***

ثم يقول العقاد عن نفسه :

« والمقياس الواحد الذى أقيس به جهدى فى جميع أدوار حياتى هو النهم الى المعرفة، فانني لا اذكر سنا لم أكن فيها أحب ان اعرف ، وان أقرا وأن أختبر ، وأن أفيد من كل ذلك توسعة فى آفاق الشعور »

ويرجع العقاد احتفاظه بفتوة الشباب الى اقتصاده وحكمته فى انفاق قواه وفى هذا يقول :

« وهذا التحفظ الذى لم يفارقنى فترة فى حياتى هو « القصد » الطبيعى الذى حفظ لى ثروة الفتوة ، فجاوزت الستين وأنا أعمل عمل فى العشرين وفى الثلاثين وفى الاربعين وقد أزيد عليه .. ولا أراني صنعت معجزة أن احتفظت بهذا القسط من الشباب ، لانه حظ يصيبه من شاء ، واخال طريقتى فى اصابته من أيسر الطرق للجميع ، فلى وقت للعمل ، ولى وقت للرياضة ، ولى يوم كل أسبوع أكف فيه عن كل عمل وكل قراءة حتى مطالعة الصحف وفض رسائل البريد ... ولى مواعيد للطعام والنوم لاتختل فى يوم ، ولى قاعدة عامة تشمل العمل والرياضة والطعام والحب واللهو والبطالة ، وهى التوسط بين الافراط والتفريط ... »

● ينبوع الشباب والعبقرية ●

ويربط العقاد بين الشباب والعبقرية فى كل مجالات الابداع ، لانهما فى رأيه ينبعان من معين واحد هو فيض الحياة وحرارة الشعور ، وغنى الروح ، وثقة الخلود .

وغزارة النفس هى سر اقبال العبقرى والشباب على الحياة ، وازدهار الامل فى نفسيهما رغم كل الكوارث والصعاب والعقبات ... ان العبقرى يشبه الشاب فى اسلوب تناوله لشئون الدنيا والناس ، لان العبقرى – مهما علا به السن – شاب بما عنده من ذخيرة الحياة ، ان العبقرية والشباب خالقتان ... كيف ؟ تلك هى حكمة الطبيعة التى تزود العبقرية بالخصوبة والرجاء فتكون الاداة التى تخلق بها عالم المستقبل فى مجالات الفكر والروح والاحساس ، وتزود بها الشباب،

لان الشباب هو العمر الذى تخلق فيه الحياة حياة جديدة تضمن بها الاستمرار وتزيد ثروتها من الابناء والاعقاب والاجيال .

والشباب ـ مدفوعا بالرجاء والحيوية الفياضة والنفس الوثابة ـ قد يصيب وقد يخطىء ، ولكنه سيواصل سيره وبين الخطأ والصواب يرتاد من آفاق الحياة جديدا أو مجهولا ، فتتبدل مفاهيم ، وتستحدث غايات ، وتتشكل قيم معنوية جديدة ... والشباب بذلك من حيث قصد أم لم يقصد أحد أدوات التطور ...

أليس هذا هو عمل العبقرية وان اختلفت الاساليب والوسائل ؟ »

● تشاؤم الشباب الى زوال ●

ويذكر العقاد انه كان عظيم الشغف بأبي العلاء المعرى وشعره فى بواكير شبابه ، ولكنه مالبث أن عدل عن ذلك ... لقد كان يجد فى شعر أبى العلاء المغرق فى التشاؤم ، صدى فى نفسه من ضيق وتبرم وسخط على الحياة ، ولكن العقاد الدائم التأمل فى جوانب نفسه وطبيعة أفكاره وعواطفه ، مالبث أن أحس أن تشاؤم الشباب شكوى عارضة وليس تشاؤما فلسفيا ، وقد يحنق المرء على الحياة لانه يطلب منها الكثير ، وذلك هو مايحدث فى طور الشباب ...

وتعليل ذلك بسيط ، لان الشباب سن الغنى النفسى ، وهو يقترن بالقلق ، وهو سن الحب وقد تلازمه اللوعة ، وسن الاقدام وقد يقترن بالندم ... وسن الزهو والجمال . ومعنى ذلك أنه سن التدلل والتجنى ، وكأنما الشباب صبى الحياة المدلل الذى تحنقه الهفوة ولا يقنعه العطاء ولو كثر ، عودته الحياة الكرم فتعود الطمع ، وذهب يشكو كثيرا لانه يطلب كثيرا ، ثم مايلبث الشباب أن يتمرس بالواقع فيصحح مقاييسه ويحدد أهدافه وغاياته ويختار لها الوسائل فيطمئن بعد قلق ويثوب الى الرضا بعد السخط ...

ويرى العقاد أن هذا لايعنى أن عناصر النفس البشرية تتغير ، انها لاتتغير مع السن ولكنها تتكيف ، وهو يصف ثروة الحياة فى نفسه ابان شبابه الاول وكيف بقيت على حالها من الوفرة ، وما انتابها من تبدل فيقول :

« ... كل ماكان فى نفسى من اخلاق واطوار وشهوات احسستها فى ابان الشباب الاول ، لاتزال قائمة هناك ، اراها فى العشرين ، فى الخامسة والعشرين ، وفى الثلاثين وفى الاربعين .

« كل ما اختلف منها انها كانت فى حالة الفوران ، ثم هى جانحة قليلا الى الاستقرار

« فكأنها هى مواد فى قدر تغلى وتضطرب ...

« ففى ابان الشباب الاول كان الغليان شديدا فكانت هذه المواد تذوب وتتحلل ويختلط لون منها بلون ، وعنصر منها بعنصر ، ولا تنى صاعدة هابطة لاتلمحها الى اليمين حتى تراها الى الشمال ، ولاتهم بأن تحصرها وتعرف مقدارها حتى تغيب عنك وتفلت من الاحصاء ...

« اما فيما بعد ، فقد جنحت الى الاستقرار فأمكن أن تراها وان تحصرها وان تعرف معادنها وألوانها ، وقل اختلاطها وتميزت ألوانها فسهل من احصائها ماكان صعبا واسلس من بيانها ماكان عصيا ، ولكنها فى جميع الناس هى هى بلا زيادة ولا نقصان » .

ويرى العقاد أن غليان الشباب قوة ، وفى الوضوح الذى يتأتى من السن معرفة ، والمعرفة فى حد ذاتها قوة أيضا وهو بذلك لايرجح كفة على كفة .

واذا كان الفرق بين الشبان والشيوخ فرق فى المزاج وأسلوب تناول الحياة ، ظاهرها وباطنها ، فان من طبيعة الحياة ان كل من المزاجين متمم للاخر ، وان الحكمة ليست مقصورة على سن معين . والتاريخ يثبت لنا أن السياسات التى بنيت على حماسة الشباب وحده ـ مثل النازية والفاشيـة ـ قد أصابت الامم بالدمار . ان الطاقة الانسانية وان اختلفت فى الشباب عنها فى الشيوخ ، الا أنها

● يربط العقاد بين الشباب والعبقرية في كل مجالات الابداع ، لأنهما في رأيه ينبعان من معين واحد هو فيض الحياة ، وحرارة الشعور ، وغنى الروح وثقة الخلود.

لازمة في كل أطوارها لحيــاة المجتمع • ولن يحدث أن يأتي زمن يقع العبء فيـه على الشـباب وحدهم أو على الشـيوخ وحدهم ، غير ان بعض المراحل في تاريخ الامم تكون أحوج الى نشاط الشباب في حين أن البعض الاخـر يحتـاج الى حنكة الشيوخ •

● أعباء الجيل المعاصر ●

يرى العقاد ان الجيل الحاضر افضـل من الجيل الماضي خاصــة فيمـا يتعلق بالحرية الشخصية ، كما انه اصلح للحياة واوفر نصـيبا من العلم وأكثر معـرفة بحقوقه ، ولكن الواجبات التي عليه ان يواجهها ويبت فيها قد تضاعفت وتضخمت حتى أصبح من المشكوك فيه أن تكافىء قوته مازاد عليه من الواجبات والتكاليف التي تتناول الحياة العالمية العامة والوطنية الخاصة وقضايا الاخلاق والعقيدة •••

ويقف العقاد وقفة متأنية عند هــذه المشكلات كأنه يريد أن يبصر بها الشباب فيقول ان الشباب في سالف العصور كانت لهم مشكلات محـدودة في مجتمع واحـد ووطن واحد ، وفي بعض الاحيان لم تكن لهم مشكلات على الاطلاق ، لانهم كانوا يسلمون بالموروثات ويسيرون على هديها دون تفكير • ولكن جيل الشبان في العصر الحاضر يواجه الكثير من المشكلات وهي متعددة الجوانب كثيرة الشعب ، متناقضة المبادىء والغايات ، كما أنها مشــكلات عالمية انسانية وليست مشــكلة مجتمع واحد • ويمكن اجمال هذه المشكلات فيما يلي :

١ ـ المذاهب الاجتماعية التي يتوقف فهمها على فهم أطوار التــاريخ من عهـد الهمجية الى ليوم •

٢ ـ السياسة العالمية وما يحيط بهـا وما تنطوي عليه من أسرار وغوامض ليس من التيسير فهمها على وجهها الصحيح •

٣ ـ المفاهيم المتناقضة للقيم الروحية والمادية وأصول المعاملات الاقتصادية •

● رسالة شباب الجيل ●

واذا كانت أعبـاء العصر الذي نعيش فيه ثقيلة ومتشعبة ومعقدة فهو في حاجة الى حيوية الشــباب في مجالات الاخلاق والاجتماع والتفكر ، ويحدد العقاد رسالة شباب الجيل الجديد وحاجته الى التفكير الاصيل ويحلل بواعث ثورات « الجيل الغاضب » من الشباب ـ فيقول :

« كواهل الشباب ، شــباب الغـد ، خفيفـة ، لان الحـوادث قد طرحت عنها أثقال الموروثات البـالية ، والاراء الراكدة والمذاهب التي فنى لبابها النافع ولم يبق الا القشر المزعج من القشــور ••• وقد كانت عوارض هذه الخفة الاولى انطـلاقا مخيفا ، يحســبه بعض الناس دليلا على الاباحة والانحلال ولكنها عوارض لابد منها بعد تحطيم القيود والحواجز •••

فلسفة الشباب عند العقاد

... فواجب الشبان غدا أن يطرحوها قيودا بالية ويضعوا في أماكنها أمثلة عليا جديدة ، لان الروح الانساني لن يعيش طويلا بغير المثل الاعلى ... »

● الموازنة بين المهم والاهم ●

ومصدر الخواطر اسراف الشباب في الطموح ، فاذا كان جيل الشباب يعاني الحيرة والاضطراب بين شتى المذاهب والزعامات والدعوات ، فقد يصعب عليه أن يميز بين الصالح والفاسد من كل دعوة فيقع فريسة للمضللين من أصحاب المذاهب والدعوات ، ويصبح ذلك أمرا سهلا اذا ماوقع الشباب فريسة للغرور ...

واوجب الواجبات هو أن يعصم نفسه من تلك الآفة لأنها ظلال يحجب حقائق الاشياء . ولابد للشباب أن يخرج من الظلام الى النور مفتوح العينين فيرى الطريق السوى ، فان فعل استطاع أن يصل حتى وان طالت المسافة وشق السير

ويرد العقاد تعرض الشباب للامراض النفسية من غرور وغيره الى بطلان القدوة الاجتماعية ، وطلب المساواة باسقاط الكبير الى منزلة الصغير والاستغناء عن المساواة بارتفاع الصغير الى منزلة الكبير

ويرى ان اللوم في ذلك يقع على الجانبين لان الكبار لم يحسنوا ان يكونوا كبارا كي تحسن بهم الاسوة ، ولكنهم هبطوا وارتفع من دونهم فاختل القياس واضطرب الميزان ، ولن يعتدل وزن الامور حتى يستحق العلية في الجماعات الانسانية ان يقتدى بهم السواد .

لابد اذا للجيل الجديد من تصحيح خطراته وأعماله حتى اذا كان نصيبه من العلم والاهتمام بالمسائل العامة أوفر وأعظم من الاجيال السابقة ، انه لايستطيع أن يستقل بالعمل في مسائل وطنه أو مسائل العالم ، بل هو أحوج من كل جيل مضى الى التعاون بينه وبين الاجيال السابقة ، ذلك لان العبء الذى يواجهه هو عبء انسانية كاملة وليس عبئا ينهض به جيل عابر في هذا الوطن أو ذاك ؛

وعملية تحديد الواجب واختيار نهج وفلسفة للحياة لم يعد سهلا . ويقول العقاد : « ما أسهل الواجب لو كان معروفا ، وما أسهله لو كان معروفا وكان مع ذلك واحدا لايتعداه . وما أسهله لو عرفه الانسان وعرف أنه يؤديه ، فيعمل ماينبغى أن يعمل ويترك ماينبغى أن يترك . ولكن الواقع أن الواجب لايعرف في جميع الاحوال ، وانه اذا عرف تعدد وتفرق ، ووجبت الموازنة بين المهم الفاضل من الواجبات ، وما هو أهم منها وأعجل وأولى بالتقديم في الوقت الحاضر »

وخير مايعين الشباب على تبين الطريق الصحيح هو التضامن بين الاجيال : جيل الحاضر وجيل المستقبل أو جيل الشباب ... والتاريخ خير شاهد على صحة هذا الرأى فالاصلاحات الاجتماعية والسياسية والعلمية لم تتم أبدا بمجهود الجيل الناشيء وحده ، بل ان الانبياء والمصلحين جميعا أنجزوا رسالاتهم بعد تجاوز سن الشباب ، كما أن كل الثورات الفكرية والمخترعات الحديثة في عصرنا هذا تمت على أيدى أناس عبروا سن الشباب ، ولابد أنهم استعانوا بأساتذتهم حتى بلغوا المستوى الذى أتاح لهم انجاز أعمالهم ، فلابد اذا من التضامن والتكافل بين الاجيال . والقدوة المحبوبة يرتفع بها الفتى الى منزلة فوق منزلته ، ومن أكبر من سنه وتكليف أصعب وأقسى من التكليف الذى يقدر عليه ...

ويعاود العقاد الحديث عن واجب الكبار ازاء الشباب فيقول انه لا قوام لمجتمع يعجز فيه الكبار عن اعطاء القدوة للصغار أو يتمرد فيه الصغار على سنة الاقتداء بالكبار ، والقدوة قوامها الاخلاق .

● معالم الطريق ●

كيف يستطيع الشباب اذن أن ينمى شخصيته بكامل عناصرها ويصقل ملكاته حتى يحيا حياة ايجابية ويؤدى واجبه في الحياة الحرة الواعية ؟

يحدد العقاد العوامل التالية حتى

يستطيع الشباب الذى يجيبه أن يحقق ما يريد :

١ ـ الوعى بروح العصر

لما كانت مشكلات اليوم تعم العالم وتشمله من أقصاه الى أقصاه ، فلابد للشباب حتى اذا أراد أن يتفرغ لمشكلات وطنه دون غيره أن يختار المذهب الذى يبنى عليه مطالب الاصلاح فى وطنه . والفصل فى ذلك يتطلب ثقافات وتجارب وبصيرة نافذة واحساسا سويا عميقا ، ومشكلة المذاهب هذه ـ سياسية وفلسفية واجتماعية ـ تحتل تفكير شباب الجيل فى جميع الاوطان .

٢ ـ الوطنية السمحة

تطور مفهوم الوطنيـة فى زماننا فأصبحت خدمة عالمية من عدة وجوه ، لأن المعاملات قد وحدت بين أجزاء الكرة الارضية فى التجارة والسياسة والثقافة والمواصلات . واذا كانت خدمة الوطن هى أولى واجبات الشباب فالوطنية الضيقة بمفهومها القديم لم تعد تصلح للحياة الجديدة ومن يعتنقها يقصر فى حق وطنه قبل التقصير فى حق العالم كله .

ان تحقيق المصلحة العالمية فى سياسة الامم ، والروح العالمية فى المعارف والفنون والشعور العالمى فى تقدير الخير والشر والحق والباطل ، والحساب العالمى فى المعاملات وشئون الاقتصاد ، كل ذلك مطلوب بعد حربين عالميتين فى مدى عمر واحد . وينطوى فى هذه العالمية المتكاملة مبدأ التضامن بين الامم والطبقات والافراد فكل سياسة قامت على غلبة القوى وتسخير الضعيف فهى وبال يلحق بالاقوياء كما يلحق بالضعفاء .

« وكل مذهب اجتماعى يقوم على طبقة واحدة ، فهو مذهب مشلول يصيب النوع الانسانى فى جزء من بنيته التى تشمل جميع الاعضاء ، وكل خلق يبطل به التعاون بين الافراد فهو عجز فى الشرائع وعجز فى الآداب وعجز فى تفكير الناس » وعلامة الصلاح أن ينطلق الجيل الناشىء الى طريق العالمية وطريق التضامن بين الامم والطبقات والافراد .

ومهمته أن ينطلق فى هـذا الطريق بنشوة الشباب التى هى أفضل مزاياه » ولا ينسى العقاد أن يضيف قوله :

« ومهمة السن أن تحده فى انطلاقه بالحذر والحنكة وحسن المراجعة والتسديد »

٣ ـ الشخصية الانسانية والاخلاق

ان الشخصية المتكاملة هى الشخصية الفردية ، فلابد أن تنال حقها من الرعاية مع اجتناب الغلو والتطرف ، أى أن تنال الشخصية الفردية حقوقها دون اخلال بقواعد الاخلاق كما يرسمها لنا الفكر والضمير .

٤ ـ الايمان ضرورة

استفاضت الحرية العقلية فى عصر العلم الذى نعيش فيه ومن حق الشباب أن يفكر فى كل ما يواجهه تفكيرا علميا حرا طليقا ، ولكن يجب الا ينسى أنه جزء غير منفصل من هذا الكون ، وأن يظل على صلة بين ظواهره وخوافيه وذلك عن طريق العقيدة ، والعقيدة وحدها هى التى تعقد هذه الصلة ، ولا وجود للروح بغير وجودها فمن عاش فى هـذا الكون بلا عقيدة كان فيه كالريشة فى مهب الريح لا قرار لها وجيل الشباب فى عصرنا أحوج من غيره الى الايمان ، ذلك لأن الشباب يتعرض فى عصرنا هـذا لنوازع الشك وكثيرا ما يفقد ايمانه امام طغيان الفلسفة المادية ، والعلم وسيطرته على كل مرافق الحياة ، والشبان يؤثرون الثقافة العلمية حرصا على أن يضمنوا لأنفسهم مركزا مرموقا فى العالم الحديث ، فهل يمكن الاستغناء عن الايمان ؟

يجيب العقاد قائلا انه اذا أمكن للانسان ذلك فسوف يترتب عليه القلق النفسى وعدم الاستقرار والشعور بعدم الاطمئنان . والشخص السوى لا يمكن أن يستغنى عن الدين كما أنه لا يطلبه بدافع من ارادته انه استعداد فطرى ، وكما يطلب الانسان المعرفة والاحساس بالاشياء واستيفاء النظر عن طريق الحواس فهو كذلك يطلب اليقين والطمأنينة الى الحياة .

ويقول العقاد ان الدين يكاد يكون

حاسة من حواس الانسان ، وهو ليس غريزة ، لان الغريزة آلية وحركة ليس لها دخل بالضمير ، أما الحاسة فلابد أن يكون الى جانبها معنى أخلاقي او معنى عقلي ، والدين حاسة تسعى الى أن تحقق وظيفتها وتؤكد غايتها ، وهو ضرورة كونية تنبعث من صميم قوى الكون مطابقة لحكمة الخلق وسر التكوين . ولولا ذلك لما أفلح الانبياء والرسل في نشر دعوته وهو بذلك ذخيرة من القوة ومن حوافز الحياة ، تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لاتستمده من غيرها .

والملحد انسان تائه فقد الامل في الحياة وفي الانسانية وفقد الثقة حتى في نفسه .

وإذا كانت الحياة تتطور نحو الاعلى والارقى فالدين هو أساس هذه الترقية وجوهرها ، اذ لابد للفرد حتى تتم رسالة التطور أن يؤمن بالكائن الاكبر وان هناك مصلحة أكبر من مصلحة الانسان نفسه ، وبذلك يتهيأ للتضحية بمصلحته الشخصية وهو أمر لابد منه في سبيل المثل الاعلى وفي سبيل المجتمع وفي سبيل نصرة المبادىء .

ان الدين يعطي الحياة معنى ويقرر للانسان مكانه في هذا الكون ، والعقيدة السليمة تنهض بالعقل والقريحة ولا تصدهما عن سبيل العلم والصناعة ولا تحول بين معتقديها وبين التقدم والحضارة ومجاراة الزمن حيثما اتجه به مجراه ، كما أن العقيدة الدينية لاتعارض الفلسفة في جوهرها .

• المادية والروحانية

الشباب الذي ينشده العقاد هو ذلك الذي يأكل ليعيش لا الذي يعيش ليأكل فمطالب العقل والروح تأتي قبل مطالب المادة والجسد . ان المادة وسيلة الى غاية والا ملكت زمامنا وجعلتنا عبيدا لها ، ولابد لنا أن نغلبها بما هو فوقها واسمى منها أي قوة العقل وقوة الروح . حتى لذات الجسد نفسها تخلو من الطعم والمذاق عند من ينشدها لذاتها ولا يسمو بها الى جمال العاطفة ومتعة الذوق والجمال ، ولا يتهافت الناس على لذات الحيوان الا اذا أقفرت أرواحهم من لذات الانسان « واذا خفنا من هزال الجسد مرة فلنخف من هزال الروح مرات » .

• الخلاصة •

يجمل العقاد توجيهاته الى الشباب فيما يلي :

١ — كن فخورا بعملك بين ابناء الاجيال الغابرة ، ولكن تواضع حين تذكر الاعباء الجسام التي تقع على كاهلك .

٢ — كن وطنيا غاليا في الوطنية ، ولكن تمم وطنيتك بخدمة العالم كله لانها الوطنية الصالحة دون غيرها لخدمة الاوطان في الزمن الحديث .

٣ — اعرف لشخصك حقه ، ولكنك اذا نسيت الاخلاق كنت شرا ممن ذكرها ونسي شخصه في الزمن القديم.

٤ — فكر ، وعلى ضوء فكرك تستطيع ان تهتدي الى عقيدتك .

٥ — عش بجسد سليم وروح سليم ..

وهكذا ، نرى ان الشباب الذي ينشده العقاد هو ذلك الذي يستثمر كل مواهبه وملكاته ويوظفها توظيفا كاملا ، وبذلك ينال حقه من الحياة بقدر ما يأخذ منها وكأنه يقول :

— اذا لم تعط من نفسك فانت لم تعط شيئا ..

الا يتطلب منا ذلك — نحن ابناء الشرق العربي — ونحن بسبيل خلق حضارة جديدة — ان نعيد النظر في وظيفة البيت والمدرسة والكتاب والمذياع والمسرح وغيرها من العوامل التي تشكل شخصية شعبنا العربي ، حتى نصل بها الى المستوى العربي الذي يكفل تحقيق ما يتمناه لنا مفكرنا الكبير عباس محمود العقاد ..

وسلام على العقاد في الخالدين ●

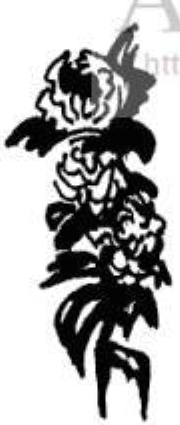
لعلّي و عسايا

● فريد قرني ●

بالدموع الحمر تهمى مقلتـــــايا
وحـــريق الحزن يجتـــاح الحنايا
وانين النـــدم الموجـــع يـكوى
مهجتى .. تمضغ فكاه حشـــايا
خجلى من صفحتي السوداءيخزى
صفحة الوجه فيزداد اســـــايا
انا يا رباه قـد تبت وهـــدى
اوبتى صـدقا ، يزكيها تقـــايا
انا قد هاجرت من دنيا المعـــاصى
وغسلت القلب من رجس الخطايا
فى طريق النـــور قد ابصرت دربي
ثبت اللهـــم لى فيه خطـــايا
تضـــرع الادمع ليـلي ونهـاري
ابتغي العفو .. لعلي وعســـايا
ويلتا ، وات ليـــالي الخـــوالي
مثقـلات بجهـــالات عمـــايا
بذنوب كلهـــا زارت خيـــالي
كدت من عض الاسي تدمى يدايا

●

يا الهى انت مــــولاى وجاهي
انت ربي انت عـــلام الخفـــايا
لهفتي للطهـــر يذكيهـــا تمني
رشفـــة فيها دوايا وهنـــايا
اوصـد الباب على دنيـا زوال
وغـرور عشقهـــا ســـر البلايا
اشحـــن الطاقات حتى لا يحاكى
منتهايا فى ضـــلالى مبتـــدايا
روضـــة التقوى تغذي العمر نورا
حـــين اتلو مصحفى آيا فآيا
حين يغشـــانى الرضـــا اذ اتوضا
والى التكبيـــــر تصغى اذنايا
حين يرتـــع بحب الله قلبي
واناجيــه وازجيـــه دعـــايا



●●

المسرح العربي بين الفصحى والعامية

● عادل عبد الصمد ●

● ان قضية الحوار في مسرحنا العربي قديمة ومتشعبة ولها اوجه مختلفة وآراء منها المتطرف ومنها المتشدد .. وهي قضية تدور حول لغة الحوار : هل يكون بالفصحى ام بالعامية ..

والسبب في اثارة تلك المشكلة ، هو البون الشاسع في حياتنا بين اللغتين، كما انها مشكلة قديمة كثر الجدل والخلاف حولها منذ بداية النهضة الادبية الحديثة ، ولاحظ المستشرق كراتشكوفسكي مدى صعوبتها وتعقدها حين قال في احدى مقالاته سنة ١٩٢٥: ان مشكلة لغة الحوار في المسرح اكثر حدة منها في الرواية . والنظرة الى معظم ما يكتب تدل على ان :

ــ الفصحى مازالت لها السيادة في هذا المقام غير ان تجارب كتاب مثل محمد عثمان جلال وتيمور تدل على ان الامر مازال غير مستقر .. ولعل مما يجدر ملاحظته ان كاتبا مثل محمود تيمور يبدأ حياته الادبية باستغلال العامية في الحوار ثم يعدل عنها بعد فترة الى اللغة الفصحى ... اما توفيق الحكيم فيجمع بين الامرين : العامية في الحوار ، والفصحى في الملاحظات المسرحية وفي السرد القصصي ، وربما كان هذا اوفق الحلول في الوقت الحاضر

بيد ان المشكلة اقدم من محاولات الحكيم وتيمور .. وهي قد بدأت مع البواكير الاولى للمسرح العربي ، ففي ظل غياب التقاليد المسرحية في هذا الادب ، وجد اوائل المؤلفين والمترجمين انفسهم امام مشكلة لغة الحوار . وهل يكتب بالفصحى ام بالعامية .. وكان طبيعيا ان تنقسم آراؤهم وتتنوع تجاربهم ازاء هذا الموضوع واختار كل كاتب لنفسه اللغة التي يعتقد انها اقدر على خدمة العمل المسرحي ، او اقرب الى فهم الجماهير وبذلك نجد مسرحيات مارون النقاش من اقدم النصوص التمثيلية التي وصلت الينا ، وقد كان علاجه لمشكلة الحوار المسرحي جديداً في حينه اذ نراه في



احمد لطفى السيد — محمود تيمور — توفيق الحكيم

مسرحية « البخيل » ينطق الشخصيات المتعلمة باللغة الفصحى ، اما غير المتعلمة فتنطق لغة عامية ..

وقريب من هذا الحل الوسط محاولة خطيب الثورة العرابية المشهور « عبد الله النديم » فى مسرحية « الوطن » حين جعل بسطاء الناس يتحدثون باللغة العامية ، اما المثقفون فيتحدثون بلغة ادبية فصيحة ..

وقد حاول يعقوب صنوع — الذى اسس واحدا من اقدم المسارح فى مصر سنة ١٨٧٠ — أن يتغلب على المشكلة بأن جعل ابطاله يتحدثون احياناً باللغة العامية ، أما محمد عثمان جلال فقد ترجم امثال « لافونتين » وكوميديات « موليير » الى اللغة العامية

غير ان اختيار هؤلاء للعامية وسيلة للحوار المسرحى لم يكن ليلائم اذواق غيرهم من الكتاب الذين اصروا على اختيار الفصحى لغة لمسرحياتهم ، ربما بدافع الحرص على لغة التراث العربى ، ومن ابرز ممثلى هذا الفريق الثانى ابو خليل القبانى الذى لم ينطق شخصية من شخصياته المسرحية كلمة باللغة العامية ..

وقد لعبت الاوضاع السياسية والاجتماعية فى مصر دورها فى لغة المسرح : فمن المعروف ان الصراع الوطنى ضد التدخل الاجنبى ، ثم ضد الاحتلال الانجليزى وكذلك الصراع بين الشعب المصرى وبين العناصر غير المصرية وخاصة التركية والشركسية التى كانت تحتل مكانا بارزا فى الادارة الحكومية — كل هذا دفع كثيرا من الكتاب الى الاحساس بالشخصية القومية، والحرص على تاكيدها فى مجالات الادب والفن ، ومن هنا الدعوة الشهيرة الى تمصير الثقافة ..

وليس من شك فى أن اللغة كان لابد ان تاخذ مكانها وسط هذا الصراع ، وأن

تشتد الدعوة الى تمصيرها ..

وقد كان « احمد لطفي السيد » على راس المنادين بان العامية اكثر ثراء واوفر حيوية من الفصحى ..وقد سمى دعوته هذه « تمصير اللغة العربية »وروج لها على صفحات « الجريدة » وحجته ان العربية واسعة في القاموس ضيقة في الاستعمال ، وانه لا يعرف سببا لهجر المالوف المشهور الى غيره ..

وكان طبيعيا أن تنعكس هذه الدعوة الى تمصير اللغة على لغة المسرح المصري، فنرى الكاتب « فرج أنطون » يكتب في الجريدة مقالا يمهد به لمسرحيته : «مصر الجديدة » سنة ١٩١٣

وتذكرنا هذه التجربة بمحاولات كل من مارون النقاش وعبد الله النديم في فترة سابقة ، كما انها تعكس بوضوح مدى حيرة الكتاب وتباين مواقفهم ازاء قضية اللغة المسرحية فمثلا حين نرى فرح انطون يختار هذا الحل الوسط، نرى تيمورا يكتب مسرحياته بالعامية

اما توفيق الحكيم الذي بدأ حياته الادبية بكتابة مسرحيات يدور الحوار فيها باللغة العامية — مثل المرأة الجديدة سنة ١٩٢٣ ، — فنراه يكتب سلسلة مسرحياته الذهنية باللغة الفصحى .. بينما نرى محمود تيمور يعيد صياغة بعض نتاجه المكتوب بالعامية الى لغة عربية فصيحة كما نراه يكتب بعض مسرحياته الاخيرة مرتين : مرة بالفصحى ، ومرة بالعامية ، وينشر النصين معا :

وحين ظهر التيار الواقعي الجديد كان من ابرز المواقف الفنية التي اتخذها في الخمسينات التجاؤه الى العامية في الحوار المسرحي ، ولم يكن هذا الموقف محض صدفة ، فالقضية في نظر ممثلي هذا التيار ليست قضية لغتين يفاضل بينهما الكاتب بل هي بالدرجة الاولى قضية فنية ، فلكي تكون الشخصيه المسرحية واقعية بكل ابعادها ينبغي للكاتب ان يجعلها تنطق تلك اللغة التي تنطقها في حياتها العاميـــة ، وفي تلك الحالة لا تكون اللغة أداة حوار فحسب، بل هي جزء من صميم مكونات الشخصية الواقعية

يقول يوسف ادريس : « اللغة ليست وسيلة ، اللغة في العمل الفني مثـــل اللون في الرسم او النغمة في الموسيقى، جزء من صميم العمل الفني ، والمضحك اننا في الوقت الذي تقوم فيه لدينا حركة ضخمة لاحياء الفولكلور الغنـــــائي والقصصي نقف من اللغة الشعبية التي هي سمة من سمات انساننا ،هذا الموقف الرجعي ، وننظر لها باعتبارها عملا غير لائق »

***

وقد حاول توفيق الحكيم في مسرحية الصفقة تجربة ما اسماه « باللغـــة الثالثة » آملا ان تكون هذه التجربة حلا لمشكلة الازدواج اللغوي ، غير ان محاولته هذه لم تجد متابعة من غيره من الكتاب، كما انه هو نفسه لم يعد اليها في اعماله التالية ، ومن ثم يمكن القول بانها لـم تقدم حلا نهائيا لهذه المشكلة ..

وقد اردنا بهذا العرض لوجهات نظر الكتاب والنقاد ازاء لغة الحوار المسرحي، ان نبين صعوبة القضية وتعدد الاراء فيها .. ولسنا هنا في مقام تقديم حل نهائي لهذه المشكلة التي لم ينقطع النقاش حولها منذ مطلع القرن ، فقط نود ان ننبه الى الحقائق التالية :

اولا : ان بعض النقاد الذين تناولوا هذه القضية ، تناولوها من زاوية فنية بحتة ، مع ان للمشكلة وجها اخر قوميا وسياسيا ، اذ تعتبر الوحدة اللغـوية عنصرا جوهريا في الوحدة الشاملة التي تطمح اليها شعوب الامة العربية ، ولو

ترك كل شعب من هذه الشعوب ليكتب أدبه بلهجته المحلية فلقد يساعد ذلك على تعميق الفوارق اللغوية واعاقة الجهود المبذولة نحو الوحدة القومية

ثانيا : ان الصدق فى تصوير الواقع ـ وهو جوهر الاتجاه الواقعى ، لا يعنى نقله نقلا فوتوغرافيا استاتيكيا وانما يعني «انتخاب» الظواهر النموذجية التى يؤلف بينها الفنان ويركبها بطريقة توحى بالفكرة الكلية من العمل الادبي . والفنان الاصيل لا يرتفع فوق الواقع ، ولكنه كما يقول د . طه حسين « يرتفع بالواقع دون ان يخل ذلك بدقة التصوير وصدقه»

والواقع فى تلك الحالة ليس واقعا مجردا بل هو الواقع مضافا اليه ذات الفنان ، وفى ضوء هذه الاعتبارات جميعا قد ينبغى النظر الى لغة الحوار المسرحى

ثالثا : ثمة فرق بين الواقعية بمعناها الفنى وبين واقعية اللغة ، فالواقعية يقصد بها واقعية النفس البشرية وواقعية الحياة والمجتمع اللذين يصورهما العمل الادبي .. وواقعية اللغة عنصر من عناصر هذه الواقعية ، ولكنها ليست كلها هذه العناصر ، فقد يكتب اديب مسرحية رمزية او رومانتيكية بلغة شعبية ومع ذلك لا تعتبر مثل هذه المسرحية واقعية فالمقياس اولا وآخرا هو واقعية الموقف الدرامى ومدى مطابقته لمنطق الحياة ، ولن تخسر المسرحية كثيرا اذا كتبت حوارها باللغة الفصيحة ، ولكنها تخسر كل شىء بضعف الصراع الدرامى ومجافاته لواقع الحياة

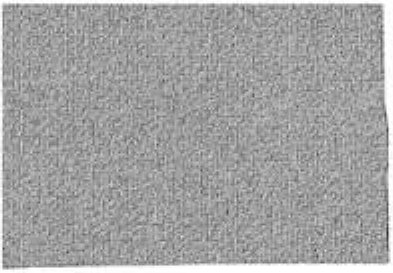
رابعا : ينبغى التسليم بان « المنشأ الاجتماعى للغة الشخصية يشكل عنصرا هاما فى تحديد ملامح هذه الشخصية ، ومع ذلك فليست ثمة طائفة اجتماعية او بيئة مكانية تعيش بمعزل عن الاخرى ، بل لقد يكون تأثير البيئة الاجتماعية الدخيلة على الفرد اوضح واقوى من تأثير البيئة الاصيلة ، ويعني هذا ان مصطلح « المنشأ الاجتماعى للغة » ليس حاسما فى هذا المقام . كذلك ينبغى التسليم بأن اللهجات المحلية لدينا ـ ولدى كل الامم ـ أروج استخداما فى شئون الحياة اليومية ، وانها نتيجة لهذا الاستخدام قد اكتسبت أنواعا من الدلالات الواقعية الدقيقة لتى تدتقصر عنها اللغة الفصحى .

غير ان هذا لا يعنى بالضرورة الحكم على الفصحى ـ من حيث هى فصحى ـ بالعجز التام عن أن تكون لغة للحوار المسرحي أو القصصى فقارىء دستويفسكى اليوم لا يستطيع فهمه دون قاموس لعلو لغته وتعقيدها . ومع ذلك سيظل دستويفسكى احدى قمم الواقعية التحليلية

ونجيب محفوظ يستخدم الفصحى فى كل رواياته الواقعية . ولم يقل احد ان هذه الروايات غير واقعية لمجرد ان الحوار فيها لايدور بالعامية

ولا يعنى هذا تعصبا لاحدى وجهتى النظر المطروحتين بشأن العامية والفصحى فى لغة الحوار المسرحى ، ولكنه يعنى ان القضية اعمق من ان ينظر اليها من زاوية واحدة

ونعتقد فى النهاية ان حل المشكلة ، ليس فى فرض حل لها لان فرض الحلول امر تاباه طبيعة الابداع الادبى ، بل ان حلها يتاتى بالتجربة والتطبيق ، ومن خلال عملية الكتابة ذاتها .. فالممارسة وحدها كفيلة بتقريب الهوة بين اللغتين، كما اننا مع القائلين ـ بان انتشار التعليم وارتفاع مستوى الثقافة بين جماهير الشعب سيقضى على حدة المشكلة ، وسيؤدى الى وجود لغة مشتركة تكون اداة للحديث اليومى وللكتابة الادبية معا ..



من وحى الأكباد النازحة

إغفاءة

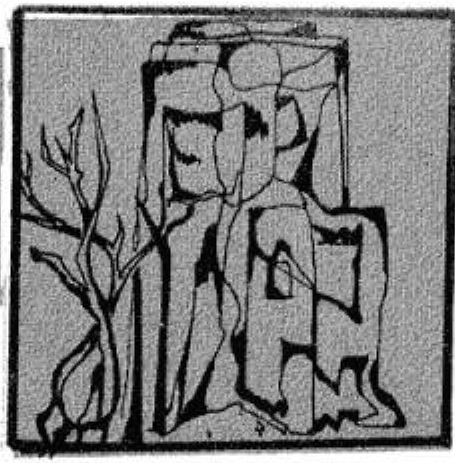
على ربى سلفادور العالية

● محمد عبد الغنى حسن ●

هنالكَ على الرَّبوة العَاليه ... رقدتُ أهدهِدُ أجفانِيَه
يُداعبُنى الرمل من جانب ... ويَضحكُ لى المَوج من ناحيه
ويصحُو النَّسيمُ على رقدتى ... فيُوقظُ بالرِّفق أحلاميه
تمُر على خاطِرى الذكريات ... وتَنسابُ رائِحةً غَاديه
وتَصْعَد بى فوقَ هام السهى ... وتَهبطُ منها إلى الهَاويه
وتَحمِلنى مِنْ وَرَاءِ المحيط ... إلى النِّيل ، والنخل ، والسَّاقيه
إلى حيثُ مَنْبتى الذى قد درجْت ... عليه ، ونشأتُ ألف مراحيه
الى حيثُ أبنكى الذى قد تَموتُ ... عليه ، ولبَّيتُ أغنيَاتيه
الى حيثُ « مصرُ » بأحلامِها ... وأيامِها الحلوةِ الزاهيَه
وحيثُ الحضارةُ فى موطنى ... حديثا ، وفى الأعصر الخاليه
وحيثُ تُحدث آثارُنا ... وتحكى روائعنا الماضيه
يقص على الدهر أخبارنا ... وأخبارَ أمجادِنا الغاليه
تمرُ المراكبُ مِنْ حَوْلِنا ... وتمتد ذاهِبَةً ، آتيَه
إذا ما افتخرنا بأهرامنا ... فإنَّ مآذنَنا عاليَه
وإنْ كان « فِرعَون » فى عرقنا ... فإن « عُروبتنا » باقيَه

***

جَمَعْنا من المجدِ أطرافه ... وعزَّ الحضارةِ والباديه
هنالكَ على الرَّبوة العاليه ... فقدتُ المُواسِىَ والآسيه



فيا ربِّ جمِّعوا : فلا مسجدٌ … أناجيكَ فيه .. ولا زاويه
وكيف ؟ وأنتَ إذا ما اتجهتُ … صلاتي ، وتشكي ، وقرآنيه
أراكَ على كل غصن يرف … وفي كل سنبلة ثانيه
وأرنو إليكَ بقلبي الضعيف … وأهفو بآمالي الذاويه
أتيتك مستشفعا بالبنينَ … أسائلكَ الأجرَ والعافيه
ركبتُ المخاطرَ من أجلهم … وذقتُ المريرةَ ، والحاليه
فقد فرقتهم نواحي البلاد … وضمتهم الأربعُ القاصيه
ورَاء البحارِ لهم خطوة … تشاغلهم الخطوة التاليه
عجبتُ لهم : كيفَ ضاقت بهم … على سعة — «مصر»نا الحاليه؟

***

بنيّ ، لقد جئتكم زائرا … وبي من حنيني لكم ما بيه
أعد لقائي بكم موكبا … لأجمل أيامي الراحيه
غفرتُ به سيئات الزمان … وألقيتُ في اليمِّ أحزانيه
شققتُ المحيطَ لكم هادرا … وخضتُ الرياحَ لكم عاتيه
أنا والرفيقة في جملة … وفي لهفة نحوكم طاغيه
فلسنا نبالي لنحظى بكم … متاعبَ جولاتنا القاسيه
نودعكم حينَ للقاكمو … على أمل الملتقى ثانيه .. !

● سلفادور ● — ● محمد عبد الغني حسن ●

شفتاه

ملامح فن القصة القصيرة عند جاذبية صدقي

● يوسف الشاروني ●

● السيدة جاذبية صدقي من أغزر الاديبات المصريات انتاجا، وهي متعددة الإنتاج، فقد كتبت القصة القصيرة والرواية وادب الرحلات والمسرحية وقصص الأطفال والدراسات الادبية والاجتماعية والادب الشعبي الى جانب ما ترجمته من ادب عالمي، غير ان فنها الاول بلا منازع هو القصة القصيرة.

و «شفتاه» هي آخر مجموعة قصصية اصدرتها السيدة جاذبية، وتتكون من اربع عشرة قصة تعطينا فكرة عن ملامح فن القصة القصيرة عند السيدة جاذبية في مرحلتها الحالية.

ويبدو أن الموضوع الأثير لقصص هذه المجموعة هو ما ينتاب المرأة من صراع بين واجبها كزوجة وعواطفها غير المشبعة أو غير المرتويه. فشخصيات القصص ليسوا نساء سويات وجدن في الزواج اشباعا عاطفيا لان هؤلاء نساء سعيدات او راضيات وعاديات لا يصلحن موضوعا للقصص.

فمثلا في القصة الاولى «شفتاه» نجد زوجة تثور ثورة معقدة على زواجها برجل يكبرها سنا، وهي لا تكرهه لكنها تحبه حب الابنة لأبيها، وكان زوجها نفسه يقول لها: والله انك طفلة مازلت برغم أعوامك الثلاثين. لو انني تزوجت منذ عشرين عاما لأنجبتك .. ولكن هذا التصالح هو نفسه الذي ادى الى نقيضه، فقد كان من دلائل اهتمام زوجها بها هو احضاره مدرس موسيقى ليشبع هوايتها الموسيقية، ولكن المدرس الشاب لعب على اوتار قلبها وايقظ فيها مشاعر كانت علاقتها الأبوية بزوجها قد وأدتها ...

ولان شخصيات جاذبية صدقي النسائية لا ترتكب الاثم وان كانت تصل الى حافته، فانه عندما ضمها الى صدره وشعرت بذراعيه تعصرانها، وضغط بشفتيه على شفتيها المحرومتين وشعرت لأول مرة بالحياة تدب في جسدها، احست بفظاعة الجرم الذي ارتكبته طوال حياتها مع زوجها ... تقول في اعترافها الذي تركته لزوجها بعد انتحارها. «كنت كالأجيرة اقدم لك خدي ونفسي وقتما اخترت أنت». ولأنها لا تستطيع ان تختار أيهما: واجبها الزوجي او عاطفتها المتقدة، تهرب من هذا الصراع وتحل الموقف

حلا سلبيا . لتغادر الحياه ..

ذلك نموذج يتكرر فى اكثر من قصة مثل قصص : « بعنف ايضا ماتت » و « قصة حبيبها » و « السراب ». ففي قصة « بعنف ايضا ماتت » نجد المرأة التى تثور — هذه المرة — على زوج يحاول ان يستولى على شخصيتها ، وهى ثورة سلبية كسابقتها ، نوع ايضا من الانتحار . اذ تصاب بما يجعلها اقرب الى الجثة الهامدة لولا بريق عينيها . وعندما استجابت لطبيبها كان واضحا انها فهمت منه اكثر من حقيقة قيامه بواجبه . فقد كان يحاول ان ينقذها مما هى فيه لكنها ترجمت شفقته بلغتها الى حب ، فلما اندفعت نحوه ووجدته لم يستجب لها استجابتها له ، كانت النتيجة اسوأ من بدايتها اذ تنتهى القصة بهذه الجملة : هرولت هاربة من المستشفى، ومن الحديقة ومن حياتي ومن حياتها « مما يذكرنا بقصة » « حذار من الشفقة » لستيفان زفايج .

***

اما قصة « حبيبها » فسبب الصدع بين الزوجين هنا ليس فارق السن ولا ان الزوج يحاول ان يستولى على شخصية زوجته ، بل سببه ان العلاقة بين الاثنين علاقة السيد بالعبد . يقول الزوج لها ليلة الزفاف « من اول لحظة يجب ان تفهمى انى لم اتزوجك لجمالك ، فأنت شحاذة بالنسبة الى تلك الهبة الكبرى . كما لم أتزوجك لاصلك فاسرتى عريقة معروفة مشهورة نار على علم .. فلم يبق الا المال . ومن البديهي انى لم اتزوجك لذلك ايضا. ففي استطاعتي ان ابيعك واشتريك واشترى عشرا من امثالك .. اولادى انا اطفالى هم سبب زواجى بك .

« فقد كانت مدرستهم الخصوصية وتعلقوا بها وخشى ان تنقلها الوظيفة الى بلد اخر فتزوجها — اذ يبدو ان زوجته السابقة ام الاولاد قد ماتت و لعلها هجرته بسبب شخصيته المتعالية المسيطرة — لتصبح مجرد رئيس للخدم على ان يكافئها مرة كل شهر كانه يمنحها راتبا على حد تعبيره .

كانت اذن مقهوره ، لكن عواطفها كانت ايضا مشتعلة « ربى هذه النار اخمدها ، هذه القوى اضعفها، اخرس هذا النداء . لا اقوى على كل هذا . لا أقوى . انعم ببلادة الحس ، بموت المشاعر .. بخمول .. بذهول .. ببرود .. اما هذه الحيوية وهذه الثورة فلا .. لا اريدها .. لأن احدا لا يريدها . »

وكما فعلت الزوجة المقهورة فى كل من قصة « شلتاه » و « بعنف ايضا ماتت»، كذلك فعلت « فتنه» لتتراجع مثلما تراجعتا . ولئن كانت البطلتان السابقتان قد قررتا انهاء حياتهما . فان بطلتنا وصلت الى حل لا يفترق كثيرا عن الموت . « لا لن تخونه اطلاقا ، لن تخون زوجها ابدا ابدا . جسدها ملك لزوجها . فليكن . اما عواطفها ، قلبها ، انتفاضتها فملكها هى . لكنها ستخونه ، ستخونه خيانه قاليمة بشعة فى نظرها ، خيانة دنيئة، ستهوى بادميتها الى الحضيض لكنها خيانة سترضى الكل .. المجتمع والمبادىء والتقاليد والاسرة .. حتى الزوج . ستغمض عينيها وهى فى احضانه وتتخيله ... « حبيبها » . وهكذا تصل الزوجة المقهورة المحطمة الى قمة التناقض بين ارضاء واجبها وارضاء عواطفها .

كذلك نجد فى قصة « السراب » زوجة ايضا مقهورة محبطة . تحتج على قهرها بطريقة اقرب الى الطريقة السلبية التى لجأت اليها بطلة و « بعنف ايضا ماتت » ، اذ مرضت بالنوم !

لم ينفع معها عقاقير ولا تنفس صناعى ، ولا غمرها فى المناشف المغموسه فى الماء الحار ثم فى الماء المثلج ثم لفها بعشرات البطاطين ثم نزعها عنها . وبعد الكشف عليها اعلن الطب انها سليمه جسمانيا . وكما كانت بطلة و « بعنف ايضا ماتت » لها اربعة أولاد كان لنجوى ايضا سبعة .

ان جلابية صدقى تريد ان تلسور

ان المرأة سواء قبل الزواج او بعده تعيش في حاجة الى من يروي عاطفتها ولا يكفي اشباع الجسد ، فهذا مجرد مستوى حيواني . والانسان يتميز عن الحيوان بعدة ميزات من بينها عاطفته التي تحتاج الى الاشباع ، وفارق السن قد يكون معطلا لهذا الاشباع كما كان في قصة « شفتاه » ، وقد تكون محاولة الرجل ان يقف من زوجته موقف الاستاذ لا موقف الصديق او الشريك كما هو الحال في قصة « وبعنف ايضا ماتت » و « السراب » تقول راوية قصة « السراب » - وهي صديقة لنجوى - ان لها زوجا متطبا له كرش وأولاد صخابون واهيا ! زوج تعيش بينهن في وئام تام . لم تختلف معهم يوما ما . هم الآمرون الناهون في بيتها ، وهي دائما تعيش راضية بما يرضيهم . اذا تزوجت بنت لهم فهي التي تجهزها . تجوب المتاجر معها ، تناكف البائعين وتحاسب الحائكة . اذا مرض احدهم فهي التي تقف مع الطبيب ، ثم تنفذ تعليماته . اذا خرج الطاهي سدت مكانه . وتضيف ان زوجها كهل اصلع قصير .. اقصر منها ، محور حياته الطاولة ودمية المقهى .

هذا هو الظاهر يظن من رآه ان ليس في الامكان احسن مما كان ، لكن وراء هذا الظاهر باطنا يغلي ، يتلمس الثغرة التي يفور منها ويلقي بحميمه ونيرانه . لقد ادركت ذلك صديقة نجوى وراوية القصة ، فقد تذكرت ان اخا الزوج - واسمه سعيد - يقيم عندهم منذ شهر : ضابط بحري يجوب بحار الله ، مطلق . هو بعينه مدرس الموسيقى في قصة و « بعنف ايضا ماتت » ، والرسام في قصة حبيبها » . فما كررت نجوى اسمه حتى اختلجت شفتاها ، ثم مالبثت ان افاقت ، ويتضح لنا انها مثل بطلات القصص السابقة ، مقهورة ومحبطة ، ومشتعلة ايضا حتى انها تسأل صديقتها ماذا تفهمين عن الرجل .. عن المرأة .. عن الرغبة . ثم تستنجد صارخة : السعير .. السعير ! .

لقد عاشت سنين وانجبت وأكلت وشربت وتنفست وبكت وضحكت - لكن بلا روح - كانت تظن انها تروي وجدانها بالزواج . ثم جاء سعيد ليوقظ فيها ما لم يوقظه احد من قبل .

وكبطلات جاذبية صدقي اللاتي لا يستطعن حل تلك المعادلة الصعبة طرفاها الواجب والعاطفة ، فانها تثور على واجبها كزوجة لكنها لا تصل الى نهاية الشوط سواء حلالا بمطالبة الزوج بالطلاق او حراما بخيانته ، لهذا يهربن الى حل مرضي : يظل الظاهر فيه محافظا على التقاليد ، بينما الباطن الذي يفور يشبع رغباته الدفينة اشباعا يقودها الى المرض الذي يتضافر فيه الجسم والنفس على الاحتجاج على ما يلقيانه معا من احباط وقهر . لهذا فان بطلتنا نجوى فضلت ان تغيب عن الوعي : « غيبوبة سحيقة بديعة رائعة ، حلم جميل بديع ، رأيتني فيه بين ذراعيه وشفتاه على شفتي » . لهذا فلا عجب أن عادت الى غيبوبتها الهائلة النشوانة مرة اخرى .

واذا كانت المرأة في القصص السابقة مقهورة محبطة - بسبب جنسها - من زميلها الرجل ، فاننا نجدها في قصص اخرى مقهورة محبطة هي وزميلها الرجل معا بسبب طبقتهما التي ينتميان اليها ، تلك هي طبقة العبيد . وذلك في مجموعة القصص الثلاث الاخيرة والتي احب ان اطلق عليها اسم « القصص الزنجية » لان ابطالها من السود وقضاياهم التي تدور حولها القصص تنبع من كونهم رقيقا ، ورقيقا اسود اولا .

والمعروف انه من المفروض ان مشكلة الرقيق قد انتهت منذ اكثر من قرن ،

ولكن جاذبية صدقي مع ذلك تحيى هذه المشكلة في قصصها اليوم حيث يستأثر هذا الموضوع بلبها وتجعله مصدرا لالهام بعض فنها . ودلالة ذلك انها تبحث عن الشخصيات المقهورة في الزمان والمكان ، حيث تجد مواهبها الابداعية مجالها في الدفاع عن مثل هذه الشخصيات ، ولابد ان مزاجها الفني يستجيب لمثل هذه المواقف وتجد فيها ما يخصبه وما يستهويه .

فقصة « بحر النيل » بطلتها زنجية ايام تجارة الرقيق ، والقصة لا تزال تعالج موضوع الزوجة المقهورة ، غير ان الزوج هنا مقهور معها بسبب الاوضاع الاجتماعية التي كانت تسمح بان يعامل بعض الناس اخوانهم معاملة البهائم فيباعون ويشترون ويفرق بين افراد الأسرة الواحدة .. والقصة تحكي لحظة التفرقة بين الزوجين : مرسال وبحر النيل . فمرسال اشترته غانية تريدان تلهو به او تلهو معه ، وبناء على توسله اشترت ايضا بحر النيل — غير انها اعتقتها .

الا ان بحر النيل لم تستطع ان تتحمل فراق حبيبها من ناحية ، ولا مواجهة حريتها من ناحية اخرى !! الحرية ما هي ؟ ما جوهرها ، حمل .. حمل ثقيل .. الحرية .. ومسئولية . مسئولية ضخمة تنوء تحت وطأتها ، عليها ان تطعم نفسها وتكسو نفسها وتؤوى بنفسها .. ثم عليها ان تفكر وان تنقاد الى تفكيرها هي . الى عقلها هي . الى عقليتها هي . وعليها ان تشكل حياتها ، كيف ، كيف ، كيف يضعون الفرس مكان السائق ؟ ثم هذه الحرية ما مذاقها ، ما ملمسها ، انها تبدو في خيالها وكأنها ليل طويل يهيم بهم .. متاهات غامضة ، غول مخيف مستخف متربص بها .. الخ فما كان منها الا ان فعلت بنفسها ما سبق ان فعلته زميلاتها عندما هربن من الصراع بين واجبهن وقلوبهن .. فانتحرت .

والحرية لم تخف بحر النيل فقط ، بل اخافت كثيرا من نساء جاذبية صدقي فهن مثلها تعودن العبودية ، فاذا لاحت لهن الحرية خفن منها واصبحت خطورتها عليهن مثل خطورتها على أطفال لا يعرفون مصلحتهم وحدهم . تقول احداهن انهن ينقلن من اسر الى اسر . « الحرية تعذبنا تكوينا .. الحرية تعني الوحشة .. الوحدة الصقيع » .

ولعل قصة « انا سوداء » اخر قصص المجموعة تقدم نموذجا ايجابيا للمرأة المقهورة يختلف في استجابته لقهره عن الاخريات ، لهذا فانها وان كانت نهايتها مثل الاخريات : الموت ، الا انها لا تفعل ذلك بنفسها في نفسها ، بل يفعله الرجل الابيض ، يعاقبها بالشنق لأنها حاولت أن تدعو زملاءها وزميلاتها للصلاة مرة، وان تنشر نور التعليم بينهم مرة اخرى وهي أمور محرمة عليهم يصل العقاب على ممارستها الى حد الاعدام شنقا .

بقيت من هذه المجموعة الزنجية قصة « طبوع » . وواضح انها دخيلة بموضوعها على القصص الأخرى ، فهي لا تعالج العلاقات المعقدة بين الرجل والمرأة على نحو ما عالجتها القصص السابقة ، وان كانت لا تزال تعالج موضوع القهر في شخصية الطفل « جادو » الذي ضحى بنفسه في سبيل انقاذ شعبه من الغزاة البيض ، غير ان معايشة الطفل هنا لم تصل في اقناعها الفني الى ما سبق أن وصلت اليه المؤلفة في معايشتها لزميلاتها المصريات ومما يدل على ان المعايشة في هذه القصة لم تكن كاملة ، ان الطفل « جادو » سمع الأجانب يتكلمون لغتهم ومع ذلك فهمها وهو قابع فوق شجرة يراهم ولا يرونه ، كما تقول المؤلفة ان الاغصان العليا الدقيقة للشجرة التي لسعتها شمس الغابات الحارقة قد جففتها ، والمعروف ان هذه الاطراف

العليا هي اكثر اجزاء الشجرة حيوية ومصارة حتى ولو سلطت عليها احر الشموس بل ربما يفضل ما تمتصه من هذه الاشعة ، مما يساعد على تكوين عصارتها الخضراء .

اما قصة « أم الاولاد » فهي قصة بنت بلد اخرى مقهورة خدعها زوجها باعت كل حليها ومعظم جهازها وسبعة قراريط في بيت كبير في الدرب الاحمر ورثتها من امها وضمنت لمن كل هذا على ثمن عافيتها بما وفرته من اجر عشر سنوات ، ثم تركته يسجل الدار الجديدة باسمه هو ، فربما تموت فاين يذهب « لم تتساءل واذا مات هو فاين تذهب هي » وهناك العوايد وشركة النور وشركة المياه ، اتقابل الرجال ويتفرج هو ؟ اترد الخطابات باسمها وهو لوح ، وتكون مكافأتها على هذا كله ان يتزوج ابنة رئيسه في المكتب ويتنازل عن البيت الجديد بدل مهر وشبكة العروس .

وهكذا فان بقية قصص المجموعة مازالت تعالج موضوع المرأة المقهورة ولكن دون أن يصلن الى الحالات المرضية اللاتي وصلن اليها في القصص السابقة فقصة « السيد الثرى مبتاه ترقان » هي قصة دفاع المرأة عن شرفها او عن ان يغتصبها آخر مهما كان ثراؤه ومهما كان ارهابه دفاع حتى الموت . فزنوبة الجميلة زوجة صياد مقطوع الساق تتعاون معه على الصيد ، وكانت في الوقت نفسه تحنو على عجوز مقوس الساقين لم يبق بعينيه الا بصيص نور ، ثم ظهر في تلك الضاحية من الاسكندرية — ابى قير — عادل بزورقه البخاري الانيق يريد زنوبة لنفسه ، فلا يبعد من بعينه على ذلك الا العجوز الخائن الذي تعطف عليه فخطف طفلها اثناء غيابها عن كوخها بينما زوجها يحتضر ، فلما علمت بما حدث هرعت الى الزورق ، وما ان مست قدمها سطحه حتى انطلق الى عرض البحر ، وبرز عادل يحاول اغتصابها ، فما كان منها الا ان فضلت الموت فالقت بنفسها في البحر ، فما كان من عادل الا أن تنازل للطفل عن قاربه تكفيرا وندما .

***

واذا كان موضوع المرأة المحبطة المقهورة هو الموضوع الاثير في قصص هذه المجموعة كما رأينا . فان القصة الاخيرة « السيد الثرى ترقان » تشير الى خصائص الشكل الفني لقصص هذه المجموعة . هناك اولا اكثر من قصة تبدأ بنهايتها ، من بينها هذه القصة . انها تبدأ بغلام يقف على سطح قارب بخاري انيق ما يكاد يؤذن حتى تتجه اليه كل القوارب الاخرى ، كأنما هو مؤذن يدعو للصلاة . وبعد مراسم معينة ينطلق الزورق بمن عليه الى عرض البحر ، ويميل الرجال على حاجزه يلقون بالشباك واحدة وراء الأخرى . بعد هذه المقدمة او الخاتمة المثيرة نرتد الى الوراء لنعرف بداية النهاية ، ونحن نتلقاها من النوتي الذي كان يرافق راوي القصة في احد القوارب ، وتروى لنا القصة في هذا الجزء من القصة بضمير الغائب حين تكتشف في النهاية أن هذا الضمير ليس الا ضمير المتكلم لكنه — كما يقول النحويون — كان ضميرا مستترا ، لأن هذا النوتي لم يكن الا العجوز مقوس الساقين الذي مضى البعد التي امتدت اليه ، وهكذا تنتهي القصة بمفاجأة لقارئها . وهذان هما ابرز خاصتين نجدهما في كثير من قصص المجموعة : البداية من النهاية وعنصر المفاجأة في النهاية .

فمن القصص الاخرى التي تبدأ بنهايتها قصص «شفتاه» و « الدنيا ليل » و «عادت الشاردة» و«السراب» فقصة «الدنيا ليل » قصة المرأة التي

بذلت حياتها في سبيل قريب لها لتربيه وتعلمه ، وتعشمت ان تكون مكافأتها على ذلك هو زواجة منها دون اعتبار فارق السن والثقافة . وفي السطور الاولى اقرا هذه الجملة التي توحي ببعدى اختلاف طريق كل منهما «الان تعود بلدتها دسوق ، اما هو فيبحر الى اوربا يتم علومه ، متى يطلب يدها ؟ » .

اما قصة « وعادت الشاردة » فهي قصة الوارثة التي تطمع عمتها في ثروتها فتحاول ان تستولى عليها بالحيلة اولا ، فلما فشلت حاولت بالقــــوة ، لكن « فاطمة » تستطيع تحين فرصة تفلت فيها من هذا السجن وتعــود الى ابن عمها الذي سبق ان سخرت منه لفقره . وتبدا القصة بتلك العودة حيث نجدها تلقى بنفسها على صدر «الناوى» لحظة فتح الباب بينما يفاجأ هواه لا يستجيب لهـــا اول الامر . ثم نرتد الى الخلف لتعرف تفاصيل ماوقع قبل هذا اللقاء والاحداث التي ادت اليه .

اما قصة « السراب » ــ وهي قصة الزوجة التي هــربت من صراعها بين واجبها نحو زوجها وعاطفتها نحو اخي زوجها الذي جاء يقيم معهم منذ شهر هربت من هذا الصراع بالنوم ، فهي تبدأ باستدعاء راوية القصة وصديقة الزوجة عندما فشلوا في ايقاظها من نومهـــــا المرضي ، ثم نرتد الى الوراء لتعرف سر هذا النوم غير الطبيعي ، وقصة هـذا الصراع الذي انتهى الى تلـك النهاية التي استيقظت منها لحظات لتطلع على سرهـــا ثم تعود اليه مرة اخرى ، لان المقدمات لم تتغير وبالتالي فالنتــــائج لن تتغير .

اما انتهاء القصة بمفاجأة فلعل ابرز مثـــال عليها قصة «في العلالي » ، وهي قصة تطلع فتـــاة من بيئة متواضعة وطموحها الى ان تتبوأ مكانة افضل عن طريق الزواج . ففاطمة » تعمل ممرضة - ولكن بالطب - ويستدعونها ذات يوم بعد بطالة طالت - الى احد القصور للعناية باحد المرضى لاعطائه حقنا ليلا « ولا اعرف حكمة اقتصار الليل عـلى اعطاء الحقن ، .. فالمألوف ان الحقن تعطى بانتظام كــــل فترة زمنيه بغض النظر عن الليل والنهار » . وهناك تعلم من الخدم ان اهل المريض مسافرون ، وليس في القصر الا مريضها وهؤلاء الخدم ، فتحلم بان تنشأ علاقة حب بينها وبينه لتتخلص من حيــاتها الشقيه . وفعلا تجد امامهــــا في حديقة القصر شابـــا يطارحهـــا الغرام فتستجيب له ، غير انها ما تلبث ان تصدم حين تعـرف ان المريض المكلفة باعطائه الحقــن ليس الا طفلا ، اما من استجابت لغزله فليس الا البستاني .

بقيت اشارة اخيرة الى قصة «عينان نجلاوان » ، وهــي القصة الرابعة في المجموعة التي نجد ان مسرح احداثهـــا ليس البيئة المصرية . حقا نجد ان المرأة لا تزال نهبـــا لصراع واجبهــــــا وعاطفتها ، غير ان واجبها يتمثل هنا في أمومتها ــ وهو ما لم تلجأ اليه المؤلفة ابدا في قصصها ذات الشخصيات المصرية ــ هنا نجد ان الواجب يتغلب لاول مرة على العـــاطفة . فالمرأة الاسبانية التي كانت تراقص حبيبها فيما يشبه الوله عندنا لاتلبث ان تستجيب لنداء طفلها الذي يبعث الى الحياة علاقتها بابيه ، وهي علاقة كـــادت تنفصم بفراق دام عشر سنوات ، بينمـــا توارت العاطفة خجلى ، وبدت كغريب طفيلي يقحم نفسه على اصحاب بيت فلا يجد له مكانا فالامومة ليست واجبا فحسب بل واجبا وعاطفــة يتغلبان على كـــل العلاقات الاخرى ..

أيام

في مستوطنة الشعراء

● نصار عبد الله ●

اذا شئنا التقريب الى ذهن القارىء قلنا انها قرية تعاونية اعضاؤها المؤسسون من الشعراء والفنانين التشكيليين .. واذا شئنا الدقة قلنا انها مستوطنة اشتراكية تجرى الحياة فيها وفقا لنظام التسيير الذاتي الذى اخذت به جمهورية يوغوسلافيا الصديقه والذى اصبح واحدا من اهم الملامح التي تميز تجربتها الاشتراكية الفريدة.

انها مستوطنة « كوف » ومقرهـا قرية فراشس التى تبعد عن العاصمة بلغراد نحو ستين كيلو مترا فى اتجاه الحدود الرومانيه ، وانها لمستوطنه فريدة حقا فقد انشاها مجموعة من الشعراء والفنانين عام ١٩٧٢ فى اقليم فويفودينا احــد اقاليم جمهورية يوغوسلافيا الاتحاديه ، واتخذوا من منزل شاعر يوغوسلافيا العظيم ايفان ستيريجا بوبوفيتش (١٨٠٦ – ١٨٥٠) مقرا لادارتها فى قلب القرية الجميلة فراشس ، وهكذا بدأ المشروع الطريف مستوطنه الشعراء والفنانين او كوميونة الشعراء والفنانين اذا شئنا مزيدا من الدقة ..

بدأ هذا المشروع لكى يمارس الشعراء والفنانون كافة أوجه النشاط الاقتصادى المتعلقه بانتاجهم الفنى من طبع ونشر وانشاء معارض ومتاحف ومشغولات وما الى ذلك .. وعلى الرغم من أن أصحاب تأسيسها كانوا أساسا من الشعراء والفنانين الا أنها جمعت فى عضويتها بين الفنانين وبين متذوقى الفن ومتلقيه ، وبمعنى اخر لقد جمعت بين المنتج والمستهلك . كما اتسع نطاق عضويتها ليشمل افرادا عديديـن ينتمون الى سائر انحاء جمهوريه يوغوسلافيا لا الى اقليم فويفودينا فحسب . وتزايد مستوى نشاطها بحيث أصبحت تطبع العديد من السلاسل الادبية وسلاسل الفن التشكيلى ، بالاضافة الى الندوات والامسيات الشعرية الدورية واللقاءات الادبيه بين أعضائها وبين سائر الكتاب فى العالم .

وقد اتيحت لكاتب هذه السطور ان يزور هذه القرية فى الخريف الماضى اثناء حضوره لمؤتمر اكتوبر الذى يعقد فى بلجراد كل عام بمناسبة ذكرى تحريرها من الاحتلال النازى (اكتوبر ١٩٤٤) والذى يشهده فى كل مرة ينعقد فيها ممثلون للشعراء والكتاب فى نحو خمسين دولة من مختلف دول العالم .

بدات الزيارة بجولة قصيرة داخل قلعة فراشس التاريخيه التى تقع على مشارف القريه ثم تحرك موكب الكتاب بعد ذلك الى مدخل القريه حيث استقبلته فرقه موسيقى فراشس وهى واحدة من منجزات هذا المجتمع الفنى الشعرى الطريف ..

وفى مدخل القرية وقفت فتاتان صغيرتان من تلميذات مدرسة فراشس الابتدائيه كانت احداهما تحمل طبقا مزركشا به رغيف ضخم من الخبز .. اما الاخرى فقد كانت تحمل طبقا مزركشا اخر ممتلئا بالملح ، وكما تقضى تقاليد القرية فقد كان على كل واحد من الضيوف ان يقتطع لقمة من الرغيف لكى يغمسها فى الملح ثم يتناولها ، وهكذا ياكل الجميع خبزا وملحا ، ويكون هذا عهدا فيما بينهم على الوفاء والحب الى الابد ..

ثم يبدأ الموكب فى استعراض شوارع القريه ومنشاتها تسبقه فرقة الموسيقى بطبولها وابواقها والاتها الموسيقية المختلفه

وفى ساحة القريه اخذت تلميذات المدرسة الثانويه يؤدين بعض الرقصات الوطنيه احتفاء بالضيوف . وكان يرافقنا فى هذه الزيارة شاعر يوغوسلافيا الاول ورئيس مجلس ادارة المستوطنه « فاسكوبوبا » وهو شخص فارع القامه وسيم الطلعة واسع الثقافه حلو الحديث ، غير انه فاجانا بموهبه اخرى من مواهبه فعندما بدات التلميذات فى الرقص اندفع الى الساحة مشاركا اياهن فى رقصاتهن الوطنيه الصعبه والعنيفة الحركة والايقاع ، راح يدور حول نفسه مرتكزا على ساق واحدة فى رشاقة بالغة ملوحا بيديه فى الهواء ثم ينحنى وينقب فاتحا ذراعيه مستقبلا تصفيق الجميع وهتاف ابناء القريه .. « بوبا بوبا »

***

وعندما اقيمت مادبه الغداء وتلتها حفلة اخرى من الرقص ، باحت مدرسة تلميذات المدرسة الثانويه تراقب التلميذات وهن يراقصن شبان القرية تارة ويتطلعن فى لهفة الى مراقصة فاسكو ولو لرقصه قصيرة .. كانت مدرسة القرية تبدو على حظ ضئيل من الجمال ولعل هذا كان سببا فى ان نظراتها الى مرحهن ولهوهن كانت متسمة بشىء من الحسرة الغامضه الخفيه ..

ورحت اراقب فاسكو من طرف خفى وهو يعرض عن دعوات الفاتنات الصغيرات التى توجهها اليه نظراتهن ثم يتجه الى مدرسة القرية وينحنى امامها فى ادب جم طالبا منها أن تتكرم عليه بالسماح بمراقصتها وتعلو وجهها فرحة غامرة وهى تنهض لمراقصة شاعر يوغوسلافيا الكبير الاسم والقلب ..

لن نستطرد فى وصف مشاهد ذلك اليوم البهيج ، ولن نستطرد كذلك فى وصف كافة جوانب الحياة اليومية فى فراشس اذ ربما كان مجال ذلك دراسة دقيقة مثالية يقوم بها متخصص فى نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وحسبنا هنا ان نفسح مجالا بين هذه السطور لكى نقدم الى القارىء العربى بعض النماذج الشعرية التى تضمنتها اولى المجموعات المختارة التى صدرت باللغة الانجليزية عام ١٩٧٩ وقد قام بترجمتها من لغاتها الاصلية الصربو كرواتية والرومانية والمجرية والسلوفاكية الشاعر اليوغوسلافى الكسندر نيجيباور عضو مجلس ادارة قرية الشعراء .

ايفان بوتنيك

ولد الشاعر ايفان بوتنيك عام ١٩١٤ فى مدينة كنكفا - ليكتب اسفاره باللغة العربية - من اهم دواوينه السفر التاسع لموسى « ١٩٣٩ »

ـ « قريتي نائمة » « ١٩٣٩ » ـ الام كورنملد ١٩٧٦ ـ : .

● الريح التي تهب من كاراس ●

صاخبة صاخبة ..
موجات النهر وهو يتدفق .
اش.. ش ش ش ش ـ اش ش.ش!

مجنون ..
ذلك الذي يعرف الى اين تسر !
ارادة الحياة .
اقوى من افعال الانسان !
اش ش ش ش ش ـ اش ش ش.ش

● رمال جربيناك ●

الناس يأتون
ويلعبون
لاشيء غير الرمال
تفتح ابوابها الرحبية بنعومة
وتغلقها ربما بنعومة اكثر
كأنها الباب الاخير !

الشاعر فاسكو بوبا ..
ولد عام ١٩٢٢ في مدينة جربيناك بالقرب من فراشس ، يشغل منصب رئيس قرية فراشس للشعراء والفنانين ـ يكتب باللغة الصربية ـ اهم اعماله « الضفة ١٩٣٥ ـ حقول القلق ١٩٥٦ ـ السماء الثانوية ١٩٦٨ تشييد الارض ١٩٧٢ ـ الجسد الخام ١٩٧٥ بيت على الطريق ١٩٧٥ ..
ترجمت قصائده واعماله الى العديد من اللغات العالمية :

● رأس الرجاء الصالح ●

في احد معارض جنوب افريقيا
كان ثمة رجل اسود وزوجته
من بين معروضات رجل ابيض
يدعو الى التمييز ..
جلوبهما يتسلقان الاشجار
ويزأران
ويمشيان على اربع
فيتسلخ جلدهما
واكمل صديقي الشاعر حكايته .
ان كل ما استطعت ان افعله هو ان ..
انتزع عن جسدي بشرتي البيضاء
انتصل منها والقيها بعيدا .
والا ..

***

الشاعر الكسندر نيجيباور
ولد الشاعر الكسندر نيجيباور عام ١٩٣٠ في بلجراد ـ يكتب باللغة الصربية ومن أهم دواوينه ديوان اليسة الزمان الصادر في فراشس ١٩٧٨ ..

● تعزيزات ●

اعتقد ..
انك توجد لهذا السبب
مثل اصوات الاطفال
بعد الظهيرة
مثل الستائر التي تهفهف
على الاوراق
مثل السلام الذي يدعى
لكي يأتي في الصباح
اعتقد ..
ويفتح الباب لي !

● قياس السرعة ●

السرعة الاجمالية
للمرأة ..
تساوي حاصل تجمع
كافة الازاحات
للجزيئات البسيطة
المتولدة من المصادر الارضية
بعد انكسارها
عبر طبقة الحدود ..
الى النجوم
بشكل لايمكن فصله ..
من القدار الاجمالي
لسرعتنا نحن !

شراعى والمرفأ الأخير

• يس الفيل •

وحين اردت ان ترسو .. تهاوى عمرى المجـروح
وانت دمعة حيرى ـ لديك ـ وناشدتك الـروح
وصلى الامس ـ يا قلبى ـ ونادى شوقى المذبوح
هناك .. هناك .. مرفانا الم تبصر ؟ هناك يلوح
لمن ضلت مواكبهم ، يغنى فى ظـــلام الريـــح

يغنى للغد النائى
الم تـسـمعه يادائى ؟

هناك يقول : يامن تنشـــدون المرفا الحـانى
الى ســاحاتى البيضاء ، ياصرعى الهوى الجانى
الى صـدرى .. على صـدرى يغنى كل انسـان
ولم تسمعه يا قلبى .. مضيت .. باى ايمـان ؟
مضيت .. ولم تكن تدرى .. بانك فـوق بركان

تسـير بخطوك العاتى
باهـــالى .. باناتى

وحين اردت ان ترسو .. ولم تشفع لديك دمـوع
هتفت : حذار يا قلبى .. ستحيا .. لا كأى صريع
فما هذا الذى يبدو ربيع .. او سراب ربيـع
حذار حذار يامجنون .. وانشر للفـرار قلوع
اترضى ان تبيع العمر ؟ هل تدرى لمن ستبيع ؟

ولم تسمع .. ولم تنطق
ولم تبحر .. ولم تغرق

ولكن فى الصخور السود رحت تبعثر العمـــرا
وترجو ان ترى فى الصمت عطر الامس ، والذكرى
فما حنت حنايا الدهر ، ما احييت لك الصخرا
ولا ردتك يا قلبى تغنى للهـــوى حـــرا
ولكن عـدت فى قيد .. الى تفلسف الصـبرا

فسر نحـو الغد النائى
كسيح الخطـو يادائى

وان طال الطـريق بنا وغالتنا يـد القــدر
وضج العمـر .. وارتاعت حنايانا من القهـر
وضل شراعنا الاعمى طـريقا فى دجى العمر
لسوف نسير يا قلبى .. وما يجـرى لنا يجـرى
لنحكى فوق مـوج الليل ، ماعشـناه من طهـر

ونشـدو للغد المامول
ولو ان الطريق يطول !

حول فن القصة ..

● ماهر شفيق فريد ●

كتب « أ ٠ د ٠ هيرش » في مجلة « ذا نيويورك رفيو اوف بوكس » ، مقالة عنوانها « المعرفة الجسدية » يعرض فيها كتابا جديدا للناقد البريطاني المعاصر فرانك كيرمود ، عنوانه « تكوين السرية : حول تفسير السرد القصصي »

ويقول كاتب المقال : ان هذا الكتاب الموحى عن طبيعة التفسير ، والذى يقوم على محاضرات كيرمود الحديثة في جامعة هارفرد ، يقدم قراءة جديدة لاعمال كافكا ، وهنرى جرين ، وجويس ، فضلا عن أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ٠ ومن خلال فحصه لهذه النصوص وغيرها، يناقش كيرمود عددا من القضايا المجردة كنظرية التفسير في النقد الادبي ، وشرح العهد الجديد في الكتاب المقدس ،والمنهج البنيوى ، ونظريات السرد القصصي ٠ بيد أن ما يتجمع على شكل محاضرة لايتجمع دائما على شكل كتاب ٠٠ فرغم اقرار كيرمود بأن طريقة تناوله لهذه القضايا غير منهجي ، ورغم مضاء لمحاته في هذا الموضع أو ذاك ، يظل كتابه غير مرضى ، خاصة من زاوية حججه النظرية ٠

ان الاهتمام النظرى بقضية التفسير قد ازداد في الفترة الاخيرة ، ويرجع الفضل في ذلك الى الفيلسوف الوجودى الالماني مارتن هيدجر الذى توفي حديثا٠ ذهب هيدجر في كتابه « الوجود والزمان » (١٩٢٧) الى أن المعرفة الموضوعية الخالية من التحيز أمر متعذر وقال باستحالة تخليص فعل المعرفة من معرفة مسبقة ، أى من خلفية تاريخية واجتماعية وشخصية ٠ ان كل معرفة نسبية ، وكيرمود ينتمي الى هذا الموروث الهيدجرى المؤمن بالنسبية ٠

يقول كيرمود انه بعد أن يظل النص الادبي متوافرا زمنا طويلا ، يتعذر على القارىء الحديث ان يظل مالكا لكل المعرفة الثقافية واللغوية التى افترض المؤلف الاصل أن قراءه الاصليين يمتلكونها ٠ وكما ان القارىء العلماني لا يستطيع أن يأمل في استعادة المعاني المقدسة للاناجيل ، فان القارىء الحديث لا يستطيع أن يفهم وجه الدقة ما كان كاتب مات منذ زمن طويل ، مثل شكسبير ـ يود ان ينقله ٠

وعلى ذلك فان النظرية الوصفية الوحيدة للتفسير هي نظرية تضع في الاعتبار الطرق التى خلع بها مفسرون مختلفون معان مختلفة على نفس النص ٠ ان التفسير لا يكون نهائيا قط ، وعلى ذلك ثمة ما يمكن لكل جيل من المفسرين ان يقوم به ٠

وعلى ضوء هذه الخلفية النظرية نجد ان جدة كتاب كيرمود لا تكمن في نظرياته قدر ماتكمن في طريقة استيحائه أمثلة من الكتابات المقدسة والدنيوية على السواء ٠٠ ومن أمثلة ذلك استخدام كافكا والقديس مرقس لـ « المثل » في اطار سرد قصصي أوسع ،كمثل السامرى الصالح الذى عني بجريح سطا عليه اللصوص في الطريق ٠٠ ان كيرمود يقدم ملاحظات موحية من أوجه الشبه بين قصص العهد الجديدوعدة أعمال قصصية أدبية ، مؤكدا أن أى قصة قابلة للتفسير الى غير نهاية ٠

ويذهب كيرمود الى ان كثيرا من الاعمال القصصية تملك ما يدعوه « معنى

كامنا او روحيـــا » ، اى معنى خبيئـا لا يتضح الا لاولئك العارفين الذين يرمون بنظرهم الى ما وراء المعنى الظاهر ، ولكى نصـل الى المعنى الروحى للنص ، يتعين علينا ان نفحص بؤرته المتغيرة ، وسطحه المتكسر ، وابدالاته ، فعنـد كيرمود ان الاناجيل ورواية « يولسـيز » لجويس تشتمل على شخصيات ملغزة يلوح انه لا دور لها فى القصة ، او تشتمـل عـلى تفاصيل وصفية يؤكدها الكاتب دون ان يكون لها قيمة رمزية ظاهرة • ومن امثلة ذلك ان شابا يلبس قميصـا من التيل يظهر فى انجيل مرقس ، ولكنه لا يظهر فى أى من الاناجيل الاخرى •

وخلاصـــة رأى كيرمود هى ان كـل القصص الجيدة قصص رمزيه أولجورية لها معنى خفى يختلف باختلاف القارىء، ونحن نتعلم كيف نرى المعنى الخفى لما يلوح فى ظاهره قصصا واقعيا عن طريق تفسير التفاصيل التى يبدو ، ولاول وهلة انه لا صلة لها بالقصة •

ومن هذه المقالة ننتقل الى عدد آخر من مجلة «دا نيويورك رفيو أوف بوكس» حيث نجد مقالة للروائى الامريكى جور فيدال يعـرض فيها كتابا جديدا من تأليف الناقد والقاص البريطانى ف • س برتشت عنوانه « صانعـو الاسطورة : مقالات أدبية » •

يقول فيدال : ان برتشت يعالج فى كتابه الجديد تسعة عشر كاتبـا خارج الموروث الادبى الانجلو - أمريكى : ستة كتاب روس ، وخمسة فرنسيين ،وخمسة أسـبانيين أو برتغـاليين ، الى جانب سترند برج وكافكا • أو بمعنى آخر ، لقد نقل برتشـت ذاته هنا من أرض أسلافه • ونلاحظ على وجه الخصـوص ان معرفته بالادب الفرنسى تعادل معرفته بالادب الانجليزى ، وهو فى ذلك يشبه ذلك الناقد الغريز العلم ، والذى لم يعد يقرؤه أحد : جورج سنتسبرى •

ان برتشت يكون فى أحسن أحواله حين يعالج الادب الفرنسى ، ولئن لم تكن الكتابة عن روائى مثل فلوبير تحتاج الى كبير مضاء فانها لتحتاج الى كبير ذكاء ان أراد المرء أن يقول عنه شـيئا جديدا • وبرتشت يقول : « لقد قدم فلوبير الجوع الى المستقبل ، ودرب الاشـواق الحارة والرغبات العنيفة التى تنبع مما هو حسى وقطيع وسـادى » • كما انه يكتب عن جورج صاند بأصالة مشابهة •

ولئن كان هناك خليط يوحد بين هذه المقالات التسـعة عشر ، فانه اهتمـام برتشت بمشكلة الرواية والزمن ، انه يوافق على أن دوستويفسكى هو « مبتدع جنس أدبى جديد ، الرواية البوليفونية أو المتعددة الاصوات ••كثرة من أصوات داخلية وخارجيـة لا تندمج » بينمـا الرواية الاوروبية التقليدية مونوموجية، شىء ينتمى الى الماضى ، ومن هنـا كانت روايات دوستويفسكى خليقة ان تبـدو خليطا يسوده العماء اذا قورنت ، مثلا ، برواية « مدام بوفارى » •

وأكثر مقالات الكتاب تشـويقا هى المقـالة التى تعـالج الروائى الروسى جونشاروف مؤلف رواية « اوبلوموف » لقد كتب كونشاروف ثلاث روايات فقط فى قلب ما لابد انه كان حيـاة مخيبـة للآمال ، اذ كان يعمل رقيبا للدولة على المطبوعات • ويتساءل برتشت : « من أى ثقب فى عقل كان صغيرا ومختوما على هذا النحو ، قـد سالت تطـرات اللاشعور وأنتجت شخصية اوبلوموف قديس الكسل والسكينة غير المنتجين ، وأحد تلك المخلوقات التى تغـدو أكبر وأكبر ، كلما مضينا فى القراءة ؟ » ليس ثمة رد على هذا السـؤال ، فالعبقرية جشع روحى كما يلاحظ برتشـت فى ثنايا حديثه عن تشكوف •

وبرتشت ، فى معالجته للسير الادبية والنقاد ، يتسم عادة بالسخاء واللباقة • ولكنه فى مرة واحدة فقط يعبر عن ذعره مما صنعه الاكاديميـون باللغة ، وذلـك عندما يناقش كتابا عن فلوبير من تاليف الاستاذ فكتور برومبرت • ان برتشت يسوق مقتطفـات طويلة من برومبرت ، ويثنى على اشياء معينة فيه ، ولكنه يجد اسلوبه معيبا ، ويرى فى ذلـك مدعاة للقلق •

الحياة الأدبية داخل القوات المسلحة

● فى الملتقى الثقافى السنوى الذى تعقده القوات المسلحة احتفاء بأدبائها ، الذين حملوا على عاتقهم مسئولية تسجيل بطولات جيشنا فى معارك الفداء والشرف ، تلك المعارك التى انصهروا فى أتونها ، وكانوا شهودا بأعمالهم للأجيال المقبلة من شعب مصر ، على بسالة وإقدام جيلنا ، وعلى فدائيته فى ميادين البطولة والنصر !.

ان ادلاء جيلنا بشهادته ، قد استلزم ان تقوم القوات المسلحة باكتشاف المواهب من حملة الاقلام من بين صفوفها ، وقد لعبت «مجلة النصر» التى تصدرها ادارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة ، دورا رائدا فى مجال الكشف عن المواهب ، فمدت لهم يدها وأفردت لهم صفحاتها .. ينشرون تجاربهم الأولى من خلالها .

وقد نشطت الحركة الادبية ، داخل القوات المسلحة ، عندما وجدت فى « مجلة النصر » متنفسا للمواهب الادبية والنقدية وابداعاتها فى مجال الشعر والزجل والقصة القصيرة ..

وارتفع مستوى الابداع الادبى يوما بعد يوم ، حتى لفت وسائل الاعلام المختلفة من اذاعة وصحافة ، راحت تسلط الاضواء عليهم ، وتتبنى اعمالهم ..

ولم تتوان مجلة النصر عن توجيه النصح ، الى البراعم الادبية الصاعدة ، حتى اذا ما تفتحت هذه البراعم ، وصارت كيانات ادبية ناضجة ، احست « النصر » ان الخطوة التالية هى عقد التعاون بين هذه العناصر وبين الاجهزة الادبية المختلفة ، مثل نادى القصة والمجلات الادبية والبرامج المتخصصة فى الاذاعة والتليفزيون ..

ولاجل هذا نظمت « مجلة النصر » مسابقتها السنوية فى القصة القصيرة ، بالاشتراك مع نادى القصة بالقاهرة ، الذى يقوم ادباء ونقاد من اعضائه بتقييم الاعمال القصصية المشتركة فى المسابقة .

ومع مطلع كل عام جديد ، يقيم فرع الاعلام بادارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة يوما ثقافيا ، يقوم فيه وزير الدفاع أو من ينيبه عنه بتكريم الفائزين



الحفل السنوى الذى تقيمه القوات المسلحة للاحتفال بادبائها الابطال .

في مسابقات القصة القصيرة والتوعية القومية ، حيث يسلمهم الجوائز وشهادات التقدير .

وفي هذا الاحتفال يتم التعارف بين ادباء القوات المسلحة ورجال الصحافة والاذاعة والمتخصصين في مجال الادب، والذين تتم دعوتهم الى هذا الحفل الكبير فتمتد جسور الصداقة بين حملة الاقلام والفكر داخل القوات المسلحة وخارجها .. وتفسح المجلات والصحف صفحاتها الادبية لاعمال هؤلاء الادباء ، الذين حملوا القلم الى جانب السلاح وسجلوا ما لم يتح لأديب من خارج القوات المسلحة أن يراه ..

وكم تألقت اسماء ، شقت طريقها بقوة وثبات الى صفحات الصحف المصرية والعربية ، وكان معبرها الاول الى ذلك هو « مجلة النصر » ..

لقد ولد جيل « اكتوبر » من الادباء من خلال معارك التحرير ، لا من تيار «ادب النكسة» الذى ملأ حياتنا الادبية نواحا ويأسا ، وجاء جيل « حرب التحرير » الذى عبر قناة السويس ، واقتحم حصون بارليف ، وصمد ، وقاتل وانتصر ، ليقول كلمته ، ويعيش تجربته الادبية ، دون وصاية عليه من احد ، لان اعماله وحدها هي التى تقرر مدى ما قدمه من ابداع ومن اضافة ..

لقد آثر جيلنا ان يضيء شمعة ، بدلا من ان يندب الظلام ، ولقد اضاءها بدمه وحبه وتضحياته ، فصارت الشمعة شمسا ، لا تستطيع عواصف الليل ان تطفىء نورها .. ومسئولية وسائل الاعلام اليوم ، هى أن تفرد صفحاتها لاعمال هذا الجيل ، حتى لا تختنق كلمته ، فتختنق معها حقائق اروع ايام تاريخنا العربي ..

فمن بين اقلام هذا الجيل ، سيخرج « طه حسين » المستقبل ، و « احمد شوقي » العصر القادم .. وعلينا ان نفتح قلوبنا لهم ، وان نمهد امامهم الطريق ونزيل العقبات ، لان من بين ايديهم ومن ثمرات اقلامهم سوف يتشكل وجدان امتنا لعصور قادمة ..

قصة افريقية

تهاوت الجدران

● بقلم : محمد محمد حجي ●
● ترجمة : د. سليم الاسيوطي ●

شعر قاسم بانه الوحيد من بين افراد الأسرة الذي نجا من المصيدة .. ومن الطبيعي ان اخاه حامد لم يكن ليدخل في الاعتبار ، فلم يفكر قط في شيء يمكن ان يصنعه ..

اذكره اخوه قائلا : « تقلب على صديقتك سريعا .. فان اخرى سوف تصل حالا . «والقى على مسامعه حكمة السيد القائلة بان النساء كالحافلات . والآن حين لا يستحق منا عناء العدو خلفهن . ان اخرى ستصل الآن ما انتظرت لحظة اخرى !

ابتسم قاسم وكأن الانسان يستطيع الانتظار دائما !..

ولكن فيما بينه وبين نفسه لقد انتظرت حتى الساعة الثامنة لكي تذهب الى عملك ، وانت تقرأ الصحف في انتظار نداءك او عشائك او العائلة .. لقد عشت حياتك ، وكأنك في انتظار الموت ! . ربما يكون في مقدور الانسان ان يفعل الاثنين معا ؟ كليهما . فلا بأس من ان تعيش وتنتظر معا !..

وكانت عائشة ؛ على هذا القرار ؛ فلم يكن بمقدور المرء اطلاقا القبض على ما عسى ان تفعله بعد لحظة . ربما كان ما تفعله لا يخطر ببال احد او يتوقعه .. منها .. فقط اسبوعين وهما مضطربان كانت تتبع طريق الصراحة المستقيم ، وتقف مع الوضوح والجلاء فلم تخدعه ابراهيم ابن عمها ..

في هذا الصباح ، تزوجت من ابراهيم وبدت وقد غمرتها السعادة ..

لم يكن ثمة ما يمكن عمله في هذا الزواج . هل كان هناك ما يمكن عمله ؟!

لقد حاول ذات مرة ان يقنع عائشة بان الحياة حافلة بالمسرة والمتعة ، زاخرة بالسعادة والهناء .. اتفق حامد معه في الرأي ، ولكن بتحفظ : « ولكن حياتك وحياتها ليستا صنوان .. فالفن ذو جانب واحد . »

لم يكن قاسم ليفهم هذا المنطق . فلكل حياة حدودها . ولكل انسان حدوده . يتعين على المرء ان يجعل من نفسه جزءا لا يتجزأ من الحياة ومتعتها .

ادلى بهذا الرأي ؛ فهل كان يستطيع هو نفسه الجزم بما كان يعني بهذا القول ؟

تمهل في سيره ؛ عله يتحاشى طريق منعطف منحنى ؛ وقد خلف الشمس الغاربة ، وراء ظهره .. اذ ذاك . كان الطريق امامه يلتف باشجار النخيل على كلا الجانبين ، والشجيرات البرية تتغطى بزهورها وقد عطفت عليها اشعة الشمس التي تؤذن بالمغيب ؛ فاكتسبت عليهما لونها الذهبي . كما كان وهو يقود سيارته ؛ يسبح في هذا الضوء الذهبي .

توقف بسيارته على مقربة من التل وسرح الطرف في الوادي الفسيح ؛ كما فعل مرات ومرات من قبل . اذ بمزارع الارز فسيحة مزدهرة النمو ، لتمتد الى مسافات بعيدة من اسفله . والجدول الصغير يتلوى في مجرى من الاحراج ، ثم يختفي فلا يعود يلمحه البصر ؛ كان الجدول ينساب بعيدا ، الى حيث لا تراه العين ؛ هناك . لقد كانت تنطبع لهذا الجدول في صفحة الذاكرة ؛ صورة غامضة ؟ لحسب ؛ احتفظت بها الذاكرة كحدث جرى منذ عهد بعيد ؛ ولكن لم يكن بمقدوره ان ينساه كل النسيان !

كان قاسم حتى ذلك الحين ؛ لا يعلم ان يكره بعيد النظر الى هذا الحد .. لقد كان السواد الذي لف الليل ، حينذاك ، حالكا ! وعلى الجانب الآخر ، فيما وراء التلال ، كان الافق برأيه الرائع ، يسحب شيئا فشيئا ، كما يشحب وجه شخص اصابه الذعر . لقد سمع ، ذات مرة ، عليا ، حامدا يقول لعائشة ، ان قاسم يرهب الظرف ؟ لقد عاد حامد احمق من جديد ، فهو يتحدث بالالغاز والاحاجي ، كالعهد به ، دائما . لم يكن ليفهمه احد ، وكانت عائشة اقل الناس ؛ فهماله ؛ الا ما ليهه احد اطلاقا . لم تقل شيئا غير انها لم تكن تعرف انها قد احبته . وهذا كل ما في الامر وكانت سعيدة به . رغم ان من الواضح انها لا تحبه الان .. بل اكثر من ذلك ؛ فمن المحتمل انها لم تكن تحبه فيما مضى ..

كانت هذه هي حالها من التقلب والتردد ؛ فهاه لا يتصور ان بمقدور الخلق ان يسعدوا ، وما ذلك الا لعجزهم عن ادراك الحقيقة ، وعدم رغبتهم في ادراكها ، وايثارهم العيش في الظلام ظلام الموت ، على الموت ليعيشوا بطريقة اخرى

اراد قاسم ادارة محرك السيارة ؟ ولكن الليل كان يسحره ويسلبه الرغبة في الحركة ؟

المؤلف : تلقى محمد محمد حجي العلم في زنزبار ثم التحق بجامعة مكريري في عام ١٩٥٤ ، وفي عام ١٩٥٨ ، حصل على درجة في الفنون ، وعمل في الوظائف المدنية في زنزبار حتى شغل منصب وزير التربية والاستعلامات في بلاده .

ليجعل يفكر .. لقد افضى اليه حامد ذات مرة بأن قطه وامه كانا الملاذ الوحيد الذي يسكن اليه ويحتمي به . فمم عساه كان يحتمي ؟ حقا ان حامد كان لهذه !

ادار محرك السيارة وأنار المصابيح الامامية وانطلق خلال الممر المغبر المعد معهدا صوب الفل ، وسرعان ما تلاشى عنه الظلمة التي تحتويه ، وخلفها وراء ظهره ، لم يكلف نفسه عنساء النظر الى خلف .

وعند نهاية الطريق اخذت السيارة منعطفا حادا وقبل أن يتمكن من الضغط على «الفرملة» مرق كلب يجري من امامه وانطلق عواء مرتفع الصوت ، وساد صمت ، ولم يعد يسمع سوى صوت محرك السيارة ..

توقف فرأى الكلب ملقى على الارض ، ومع ذلك فلن يخرج من السيارة . لقد استبد به طارق غريب أطبق على رقبته . لاحول له ولا شعور بالاختناق لتلفت حواليه ، لا حول له ولا طول . لم يكن هناك غير الظلام وبعد لحظة طويلة من عذاب التردد ، فتح باب السيارة وخرج منها ..

كان من الواضح ان الكلب يصارع الموت الذي يصرعه . لقد كانت تنتابه التشنجات ويتقافز من عينه الكرب والذعر كمن رهيب ضار . وعاد قاسم يتلفت حواليه من جديد ، فلا يرى شيئا في الظلام . فيتلفت الى الخلف حيث الكلب ، فتجوله عيناه الرهيبتان تحدقان النظر اليه فيتسمر في مكانه لا يريم ولا يتحرك . لقد حدقتا فيه طويلا حتى غشي وعاد لا يراهما .

راى شيئا آخر غيرهما . لقد تلألأت اضواء عطرة كالبرق الخاطف فارتد ليرى نفسه على شاطىء البحر من جديد ..

كان قاسم غاضبا حين نزلت سلمى الى الماء ولم ترد الخروج وهو يعلم جيد العلم انه لا يستطيع ولا يجرؤ على العودة بدونها ، الى المنزل ، ويتركها حيث هي . لقد كانت فكرته ان يذهبا معا الى البحر ليسبحا . وسمحت له الام بعد ان اعطاها وعدا وقطع على نفسه عهدا بأن يكون لاخته الصغيرة درع حماية ورقابة . استلقى متمددا على الرمل الناعم الابيض والقا يرسم التخيلات البيض السابقة امامه وسمتها لحو السماء . الطفل من سلمى كالفرة ، فلما التفت لحوها آذ بها قد اختفت من ناظريه !

كان على الشاطىء في صباح اليوم التالي عند العمال جسم سلمى من الماء ، فالدليل اليها في جنون ، في امل . في حماقة .. ولكنه الامل لحسب والحماقة لا غير ، فقد رأى الجثمان لم الجثمان لتجمسه في مكانه ولم تنسف عنه حدحلته واحدة يتيمة تسلم يسبق له الصراخ لعلم من قبل ، ولم يبك لعل من قبل – حتى بعد ان حم القضاء ولعبت الرائعة وحلت الكارثة

هنا ارتعد جسده ، واجهش بالبكاء ، وتحدرت دموعه الحرى غالية مرتلفة حتى فلت عسلى صوت محرك السيارة ، وكان رجيع صداها رهيبا عنيفا ، ضاريا وكأني بها النار الكامنة في الرماد البارد الخامد تتأجج فجأة ، وتنفصد دموعه بالزامية ساخنة تبلل وجهه ، وحسبك ان تراها ، فترى انها ظلت تتجمع في عينيه لعشر سنين لا تنقطع .!

مرت الساعات ثقيلة ومتهرة ، لا يرى عسلى امتدادها واتصالها غير وجه غائلة . الوجه العالي المتوجع في آن والسعيد في آن .

هدأ لفسا . وجفف عينيه مما يبللهما من دموع فرأى الكلب لا يزال ملقى في مكانه حيث تركه – فاقد الحياة والحركة .

بدا وجه قاسم حزينا . ولكنه لم يكن الوجه الذي ينطق بالخوف . انه الوجه الحزين المتني

عاد قاسم الى البيت ودخل على امه في حجرة الاستقبال ، فرفعت امه بصرها عن المصرف الذي تحبكه وسألت متسائلة : « ماذا عساك كنت تصنع طوال هذا الوقت كله ! »

وقال حامد : لقد خشينا أن يكون قد حل بك مكروه . »

وقال قاسم : « حسن ، لقد حل مكروه ! في صورة أو اخرى . لقد دهمت سيارتي كلبا ضالا ، فأرديته قتيلا ! »

نظرت اليه امه متوجعة .. فواصل حامد الحديث قائلا : « سوف اذهب في الصباح لادفن الكلب الميت . »

فرد قاسم قائلا : « لا ضرورة لمعاونك ، فلقد اديت « المهمة »

نظر اليه حامد نظرا كأنه فيهما يقول ، ثم نفض رأسه غير مرة في بطء وهو يقلب حاجبيه في صرامة .

قالت امه : « لقد جاءك هذا الخطاب وفي اعتقادي انه من غائلة ، فاخذ قاسم الخطاب ولفضا وألقا يقرأ في هدوء . وسألت امه مستفسرة : « خيرا ؟ »

واجاب الابن ، « تقول انها تأسف ، وتسأل عما اذا كنت استطيع ان امنحها غفراني في يوم ما ؟ »

وساد الصمت ..

لاحظ قاسم ان نظرات اخيه الداهلة الحائلة مازالت مستقرة في عينيه ، وان خلا وجهه من العبوس والتجهم . وهو نفسه يبدو كالرجل الذي انتزع سرا دفينا ، لزمن طويل ، في أعماق السنين ، عرف ان هذا السر يعود الى الظهور ولقد علمت به السماء اخرى ، دون ان يفرغ السر أو يقلله ..

مزق حامد حجاب الصمت الذي ساد طويلا فقال : لقد كانت طائشة . فائدة الصبر ، تسوه حقا . فياحبذا لو لم تكن قد زالت اليه اليوم .. ؟

نظر قاسم اليه . كما اعتاد ان ينظر اليه من قبل – وهو يشك في سخريته وتهكمه ، في قوله ، وحاشا ان يكون في قوله تهكم او سخرية لم نظر قاسم كما اعتاد النظر بعد قضاء ساعات طوال في خلط الالوان ومزجها على ظل اللون الدقيق .

القى رأسه كرجل يفيق من نومه بين البلاهة لون الفجر حقا ؟ وان في اليوم الكامل يكون لون وتكون ظلمة .

وعلى ذلك الرجل ان يتعلم العيش في كليهما !

قصة

حبس انفرادى

● عبد المنعم محمد موسى ●

● صديقي علي كمال، شاب في مقتبل العمر، تعرفت به أو تعرف هو علي في القطار السريع بين القاهرة والإسكندرية، وكانت لنا طوال الرحلة مناقشات حول انطباعاتي عن جيله الجديد .. وقد تعودت على زياراته لي في مكتبي بالجريدة كلما حضر الى القاهرة . وقد جاءني منذ أيام ليحكي لي قصة غريبة خليقة بأن تعرفوها كما رواها لي ..

قال علي - بمجرد أن انتهى من احتساء فنجان القهوة « المضبوط » الذي قدمته له :

كلما انقطع التيار الكهربائي في الحي الذي أسكنه بالإسكندرية، حيث أقطن شقة بالدور السابع من بناية سامقة من عشرة طوابق، تساءلت بيني وبين نفسي، ماذا لو انقطع التيار وأنا صاعد أو هابط بمصعد البناية .. ماذا سأفعل وأنا هكذا معلق ؟ .. هل أصرخ .. هل أنهار، هل يغمى علي ؟ ..

لطالما داهمني هذا السؤال وطالما أصابتني الحيرة ..

حتى كان ذلك المساء، وكنت عائدا الى منزلي بعد يوم عصيب .. ودخلت المصعد وأغلقت بابه علي وكنت وحدي، وضغطت زر الطابق السابع وأسندت ظهري الى باب المصعد، أتطلع الى محياي في مرآته وضحكت من منظري أمامي ! .. فشعري أشعث أغبر، وعيناي ذابلتان محمرتان، وربطة عنقي منحرفة جهة اليسار، وجزء منها قد اختفى تحت ياقة القميص ..

وتنهدت، وقربت وجهي للمرآة أحاول أن أصلح من هيئتي، وإذ الدنيا تظلم فجأة ! .. يا إلهي لقد فعلها التيار الكهربائي ! .. ووقع المحظور وتوقف بي المصعد !

وبسرعة بحثت في جيوبي عن عود من الثقاب . ثم تذكرت أنني لا أستخدم الكبريت أو الولاعة، لأنني لا أدخن .. ماذا أفعل اذن .. هل أصرخ ولكن من سيسمعني .

أصخت السمع طويلا، لا حس ولا خبر كما يقولون .. وضغطت بلهفة على زر الإنذار، وكنت أعرف أنه الأعلى في لوحة الأزرار بالمصعد . ثم تنبهت أن الضغط غير ذي موضوع والتيار مقطوع !

وأخذت أتساءل كم من الوقت سيمر والمصعد معطل .. وبدأت أتذكر ألاعيب التيار المبجل في الأيام السابقة .. كان الانقطاع يتراوح بين دقائق معدودة وساعات طويلة . ترى كم يستمر انقطاعه هذه الليلة .. أتطول الفترة أم تقصر ؟ يا إلهي، ان الحر بدأ يشتد .. وفككت رباط عنقي وزر القميص وأخرجت منديلا ورقيا أمسح به عرقي .. ثم فتحت باب المصعد الداخلي ليسمح لهواء المنور بالنفاذ الى الداخل، لعله يخفف من موجة الحر التي بدأت تزحف .. ووسوست نفسي لي : هل يكفي الهواء الداخل لتنفسي أو ينفد الأوكسجين . وهل أتحمل قلة الهواء أم أنهار وتنتهي « حياتي » ؟! أتكون هذه هي نهايتها، داخل مصعد معلق ! .. إنها ستكون نهاية غريبة لحياة لم تمتد طويلا . لم يكن فيها شيء يمكن أن يعد علامة مميزة ! .. لقد مارست حياة بسيطة بل تافهة، خالية من الانتصارات من أي نوع ومن العواطف من أي درجة ! .. كانت حياتي جافة لا ري فيها . حتى سنوات الجامعة مرت ككل ما سبقها من سنوات، تحصيل وجد مستمرين، ورغم كل الحشد من الزميلات الرقيقات، فقد حلمت بالعواطف والحب في الخيال دون الحقيقة .

مسكين أنت يا علي كمال لن يحس أحد بالأسف عليك اذا غادرت الدنيا هذا المساء، حتى اخوتك، تزوجوا جميعا وتفرقوا في بلاد الله وشغلتهم هموم الزواج ومتاعب الخلفة عنك ..

وساءلت نفسي لماذا جفوتهم وابتعدت عنهم وعشت وحدك ؟ .. ان لهم مشاغلهم الكثيرة، ولكن لماذا انشغلت أنا عنهم ولي حريتي بلا حدود ؟ ..

وشعرت في موقفي بشوق عجيب الى رؤيتهم، وإنكار شديد لعقوقي، وناديت أسماءهم واحدا بعد الآخر في وله عميق مستعطفا مستغفرا ! ..

وتذكرت زملاء العمل وزميلاته .. من منهم سيشعر وطأة أسى لغيابي ؟ .. أشك أن أحد منهم سيهتم كثيرا .

وغمرني أسى حقيقي وداهمني حزن فظيع ، ثلاثون عاما ، هي سنوات عمري في هذه الدنيا . ماذا حققت غير تخرجي في الجامعة والتحاقي بالعمل الحكومي .. لا شيء تقريبا ؟ .. ما هي غاية الحياة اذن ؟ ..

❁❁❁

وتسربت بعض أصوات بعيدة الى اذني . وارهفت السمع لاجد كنهها ولم استطع ان اتبين ان كانت صاعدة او هابطة او متسربة من احدى النوافـــذ القريبة من منور المصعد .

وادركت في وحدتي عذاب « الحبس الانفرادى » .. لو أن معي احدا في هذا الموقف الصعب لكان الفضل دون ريب .. كنا على الاقل سنتشاور في الطريقة المثلى للخروج من هذا المأزق ! ..

وسرح خاطري .. الى سكان العمارة كنت اتمنى ان يكون معي .. وعلى الفور تذكرت « امينة » جارتي التي تسكن في الشقة التي تحتي مباشرة . لقد رأيتها مرات متفرقة متباعدة صاعدة معي او هابطة . واعجبتني ولفتت نظري . فهي مقبـــولة الشكل .. لا ، بل جميلة .. متناسقة القوام .. لها ذوق فائق في اختيار ملابسها .. وتصفيف شعرها ، وانتقاء عطرها .. وكانت دائما على غير المألوف في بنات جيلنا تمسك كتابا تطالع فيه !..

ولطالما رأيتها بعد ذلك من شرفتي التي تعلو شقتها ، تخرج في ساعات الاصيل الى شرفتهـــا حاملة كوبا من الشاي في يد ، وفي اليد الاخرى صحيفة أو كتاب . فاذا احست بمراقبتي لهـــا ، اسرعت داخلة وقد صعد الدم الى وجنتيها ..

وبهرتني طلعتها البهية وحسنها الهادئ وإقبالها الرصين على الحياة والثقافة .. وبدأت اتحين الفرص للقائها .. واستطعت أن أعرف مواعيد خروجهـــا وعودتها .. بل وتتبعتها ذات يوم في خروجها الى عملها .. واكتشفت أنها تعمل في مصلحة قريبة من الميدان على مسيرة عشر دقائق من مسكنها ..

وذات يوم ، دخلت مكان عملهـــا وعرفت نوعيته ، وتعرفت على الساعى القابع على باب القسم الذى تعمل فيه ، وعلمت منه أنها التحقت بعملها منذ سنتين فقط وانها انسانة رقيقة الطبع ، وموضع رضا من جميع زملائها ورؤسائها ..

ولطالما ساءلت نفسي ، ما معنى اهتمامي بها .. وادركت في النهاية انني معجب بها اعجاب ازواج ولكن كيف اطلب يدها .. هل اتقدم لها بالطريقة التقليدية ، اى هل اصطحب احد افـــراد اسرتي وانزل الى شقتها ، وادق جرس الباب واطلب مقابلة والدها ؟ .. لا ، لا .. هذه الطريقة يرفضها جيل .. لم يبق اذن غير ان اتجرأ واتحدث معها ... نعم ، نعم .. سأنتظر خروجها في الصباح والقي عليها التحية واسير معها في الصعيد واحاورها !

.. ـ ذاهبة الى الكلية فيما يبدو ؛

هي ـ بل ذاهبة الى عمل ، فقد تخرجت منـــذ سنتين !

.. ـ حقا .. في اى مصلحة تعملين يا ترى ؟

هي ـ في مصلحة « ..... »

.. ـ انها قريبة من الميدان الذى استقل منــه الاتوبيس الى مكان عملي ..

ثم استأذنتها في مصاحبتها حتى الميدان ، فتقبل في تردد وخفر . وفي المساء انتظر خروجهـــا الى الشرفة واحييها فترد على التحية مبتسمة ..

❁❁❁

آه ، لو انها هي التي كانت معي في هـــذه « المحنة » ، لكانت « فرصة » التعرف عليها أكثر ! ترى كيف كانت ستتصرف ؟ .. اغلب الظن أنها كانت ستفزع ، وترتمي على صدري تطلب الحماية، فأحاول جهدي أن أبث فيها الطمأنينة ، منطلقا معها في الحديث ، راويا لها بعض النوادر .. ثم امسح على شعرها المنساب بيدي ، فاذا اطمأنت وهدأت بدأت في بثها اعجـــابي ، واعترفت لها بمكنونات صدري ، وان كان الظلام المحيط سيمنعني من رؤية صدى كلامي في نفسها .. لا ، لا .. بل سأتعرف على احساسها ، انها على صدري . فاذا ارتعشت عرفت أنها لا تحس بي . واذا دفنت وجهها فيه عرفت انه الحب !

آه .. ولكنني وحدى في هذا المصعد اللعين !.. اتني أحلم واتخيل .. ولكي احقق احلامي يجب أن اتاجر هذه الدرقة المغلقة فورا .. ونظــرت الى ساعتي الفسفورية فادركت انني امضيت ما يزيد على عشرين دقيقة في هذا الحبس الانفرادى ! .. وبدأت أحس أكثر بحرارة الجو وبالعرق الذى يبلل جسمي . وقررت ان أصرخ وان اطلب النجدة . ومددت يدى خلال الباب الداخلي المفتوح للمصعد.. فاصطدمت بجسم بارد .. ورحت أمسح بيدي على ما أمامي وأدركت أن المصعد توقف أمام أحـــد مخارج المصعد بأحد أدوار البناية .

لو كان معي من البداية عود ثقاب لتبينت ذلك ولجنبت نفسي كل ما مر بي .. ومددت يدي اعالج الباب فانفتح ، وخرجت متطوح الانفاس وجلست على السلم منهك القوى وانا احمد الله على نجاتي ، لقد خرجت من هذه المحنة سالما ولكنها كانت محنة « مفيدة » .. لقد رسمت لى الطريق الذى طالمـــا بحثت عنه للفوز بقلب « امينة » ..

وسكت « على كمال » وهو يضحك ، وسألني الدوري لماذا حضرت اليك اليوم ؟ انني ادعوك لحفل خطبتي يوم الخميس القادم على امينة .

. . . .

ان الحياة عجيبة .

ورب محنة خير من الف ميعاد !

● عبد المنعم محمد موسى ●
مدير عام دار الكتب القومية

ترافان الذى كان

● عزت محمد ابراهيم ●

● بعث في نفسي خواطر هذا الموضوع وافكاره خبر عن كتاب صدر فى لندن فى الآونة الاخيرة بهذا العنوان : « ترافان الذى كان » وفحواه ومقصده ودلالته البحث عن سر مؤلف امريكى استعار لنفسه اسم « ترافان » ونشر به كتبه ومؤلفاته ، ثم اكتنفه من بعد ذلك الغموض ،فلا يدرى احد حقيقة شخصيته ولا حقيقة اسمه .. وقد ابى هو – فى حياته – أن يزيل غموضه وان يطلع الناس على حقيقة امره ، وانما آثر الاختفاء والانزواء والانطواء ، بل تفنن فى ذلك كما يتفنن المطارد فى الهروب من مطارديه . ولو اراد لكانت له شهرة عريضة ، ولحظى بصيت بعيد ، فقد صدر له العديد من الروايات ، وترجمت الى العديد من اللغات ، وبيع منها الملايين من النسخ! ..

وليس « ترافان » هو أول من صنع هذا الصنيع فى كل زمان ومكان ، وليس فى جميع الحالات تتمثل بقول القائل :

اضاعونى فتى حلما مت
القوا على مائمـا وعويلا !

وقد يكون الامر : بيدى لا بيد عمرو وقد يكون هو لسان الحال ودلالة المقال

وأول ما خطر على بالى فى هذا الموضوع وما استخرجته الذاكرة من دفائنها ومجاهيلها ما كان الكاتب الكبير المازنى قد كتبه ذات يوم عن شاعر كان فى زمانه شهيرا ، وهو زمان قريب عاصره المازنى وعاش فيه – وضاق الشاعر بشهرته وساء ظنه بشعره فانزوى وانطوى وتوارى عن الانظار حتى .. لا يدرى أحد أهو حى فيرجى أم ميت فيبكى ! ..

ولولا أن المازنى قد نسب بعض وقائع هذه القصة الى كتاب « الاعلام » للزركلى – ويقول ان فيه نبذةعاالشاعر المختفى – لحسبت ان الامر برمته من نسج خيالهوشطحة من شطحاته، وما أكثر شطحاته .. ولا نطيل فى أمره فانما يعنينى دلالته وليست تفاصيله ، ومن أرادها فليرجع اليها فى موضوع « الهارب » من كتاب المازنى : « فى الطريق » .

***

وانتقل الى سواه فأذكر ما كان قد نشر عن صنود « ترافان » فى الانزواء والاختفاء هو المصدر الفرنسى « آبيك لوفريه » وعرف الناس أمره بعد وفاته ، فأقام دنيا الفن وأقعدها ، ووجدوا فى اكتشافه – بعد مماته – اكتشاف العصر بلا مراء ..

ولم يضيع « آبيك لوفريه » أحد ، ولم يناصبه الناس العداء ، او يقفوا له بالمرصاد ، او يقيموا فى طريقه العقبات تحجب عنه الشهرة ، أو تصده عن

سبيلها ، وانما هو الذى أعرض عن الشهرة وضرب عنها صفحا ، وأدار لها ظهره طواعية واختيارا ، بل صدا لها وهروبا منها . ولو أراد لاتته منقادة تجر أذيالها ، فقد كان موضع رغبة واهتمام ، وكانت العروض المغرية تنهال عليه من تجار اللوحات الفنية لشراء لوحاته .

وغير ذلك كان مقصده ومآربه ، ولعله عن حب فنى صادق عرف ما فى التهافت والتهالك وكثرة الطلب من افساد الفن ومضيعة له ، فاعرض عنه ولم يرضخ لمغرياته ، وكان الله قد وسع عليه فى رزقه فهو فى غنى عن المال ، واراد ان يخلص لفنه ، وان يعيش له فكان ما كان من اعراضه عن الشهرة وما يأتى فى عقابيلها من جنوح الى الاسفاف وبعد عن الاجادة ، وميل الى التسرع .

وما جدوى الاجادة ؟ وما النفع منها ؟ وقد تحققت الشهرة فهى تغنى عن العناء والتعب ، والاسم الجهير كفيل باغماض العين عن المساوىء والعيوب ، والعين التى تنظر فى ضوء الشهرة الباهر والساطع هى كعين الرضا عن كل عيب كليلة .

وقد أبى « لوفريه » الا أن يخلص لفنه ، فهو ينزوى فى قريته على ضفاف السين ، بعيدا عن باريس ولألائها الخاطف ويمضى فى رسم لوحاته كأنه عابد فى محراب ، ويتم من هذه اللوحات ما يربو على الألف ، وتهلك مهلكات الحرب العالمية الاخيرة بضعة منها ، وينجو مع ذلك قدر عظيم يبلغ السبعمائة لوحة ، وتحمل قدما ترى من هواة الفن صاحبها الى بيت الفنان فى قريته ليقف أمام ما ترك فاغر الفم قد عقدت الدهشة لسانه ، ويقول لسان حاله ان عجز عن القول لسان مقاله : أمن الممكن أن يعيش فنان مغمورا فى زوايا الاهمال والنسيان ، وله كل هذا الفن الرائع الممتاز .

وينتقل الاعجاب من الثرى الفنان الى غيره وغيره ليتردد صداه فى عواصم العالم الكبرى فتقام فيها المتاحف وتنشأ دور العرض للفنان الذى اكتشفوه فجأة ، وبعثوه من رقاد طال عليه الامد وارتفع ثمن احدى لوحاته الى بضع عشرات من الوف الجنيهات .

ولم يكن للايطالى « لمبدوزا » ذكر فى عالم الادب قبل أن يطويه الردى ، وانطفأ سراج حياته فاضحى من المشهورين ، وقد كان مثل « لوفريه » ذا مال وثراء ، يستطيع بماله وثرائه أن يذيع أدبه وينشره بين الناس ، وأن يشترى أقلام بعض النقاد وضمائرهم ، ومنهم من تشترى أقلامهم وضمائرهم بالمال ، بل وبالنزر اليسير من المال ، هذا اذا كان من هواة الشهرة المفتونين بها ، ولكنه لم يكن كذلك ، وانما كان من الراغبين فى الاصالة ، المؤثرين لها على كل ما عداها .

وينحدر « لمبدوزا » من اسرة عريقة كريمة المحتد ، كانت تتخذ لها فى سالف أيامها « النمر الارقط » شعارا ودلالة ، واتخذه هو عنوانا لروايته الوحيدة التى نشرت بعد وفاته لتدفع به الى مصاف القلة القليلة من المبرزين فى الفن الروائى ، وربما خطر على البال ان صاحب الرواية كان يتسلى بكتابتها ، ولا يرجو من ورائها غير تزجية فراغ هو بطبيعة الحال موفور لأمثاله من ذوى المال والثراء ، ولم يكن الامر كذلك ، فقد كانت احداث الرواية ووقائعها تشغل باله مدى سنوات طوال بلغت الربع قرن من الزمان فهى تدور فى مخيلته وتتحرك شخوصها فى ذهنه ، وتؤرق عليه أيامه ولياليه ، وهو يحجم عن كتابتها تهيبا واشفاقا ، شأن المبرزين الممتازين فى أغلب الاحايين يشفقون على أنفسهم الا تواتيهم القدرة على نقل ما يدور من افكار على نحو يرضيهم ، فاذا أتموا كانوا قليل الرضا عما تهيأ لهم ، فهم يعتذرون عنه بجهد المفكر أو غاية الجهد والطاقة .

وربما كان من المقدر أن يطول أمد التردد والاحجام، لولا أن أعجله مرض السرطان ، فأكب جادا مجدا يريد أن يفرغ من عمله قبل أن تفرغ حياته المعدودات ، ولو كان الامر أمر تسلية لكان فيما ابتلى به مندوحة له عن التفكير فيما عداه ، ولرآه كله حينذاك انما هو برزخ بين الحياة والموت حسبه منه أن ينتظر فيه قضاءه صابرا متجلدا ، أو خائفا فزعا ، تطير من الفزع نفسه شعاعا .

وفرغ « لمبدوزا » من كتابة روايته، وفرغ معه أجله المقدور ، ولم تكتحل

عيناه بمرآها منشورة على الناس فى كتاب ، وقرأها من قرأها فابدى بها غاية الاعجاب ووسع الطـــاقة من التقدير ، وقال فيها الشاعر الفرنسى « أراجون » ، انها احدى كتب هذا القرن العظيمة ، وقال فيها ا . م . فورستر انها احدى هذه الكتب الفريدة فى هذا العالم ، وفورستر من خيرة من تقبل منه شهادة فى عمل فنى ، فهو روائى عظيم قيل فى بعض رواياته انها تقرب فى مستواها الفكرى والاسلامى من مستوى شكسبير ..

وحسبنا من ادلة على اصـــالة « لمبدوزا » ان يكون آخر حـــديث له مع طبيبه ـ وهو فى النزع الاخير ـ عن الأدب والفن ، وأن تكون اخر عبارة تنطق بها شفتاه هى قوله : ان للفن غايتين خالدتين لا يعتريهما تغير ابدا ، هما ان يتأمل فى الموت ، وأن يخلق منه حياة ..

وقد أطال « لمبدوزا » التأمل فى الموت ، يسعى احدهما الى الاخر سعيا حثيثا ، أو سعى الواثق المطمئن ، وقد خلدت اوصاف الموت حياة تسرى من بعده فى عمله الروائى العظيم .

وبين « لوفريه » و « لمبدوزا » يقف « بول فاليرى » موقفا وسطا ، وهو من المعدودين من خيرة شعراء فرنسا المعاصرين ، ولقد ظل مع ذلك حتى سن الخامسة والاربعين فى عداد النكرات ، لا يسمع به احد ، ولا يعرفه انسان ، ولا يقرأ شعره الممتاز غير قلة من صحبه المختارين .

ماذا كان يصنع طوال هذه السنوات ، اذا عرفنا انه بدأ ينظم الشعر وهو فى التاسعة عشرة من عمره ؟

لم يكن يفاخر بشعره ويحمله معه فى حله وترحاله ، يرفع عقيرته صائحا بانه قد اتى بما لم يأت به الاوائل .

لم يكن يفعل شيئا من ذلك ، وانمـــا كان يطوى شعره بين جوانحه او يودعه قراطيس يضن بها على العيون والانظار او ينشر القليل منه فى صحيفة هنا او مجلة هناك ، ماضيا فيما رسم لنفسه من خطة ، دارسا مكبا على العـــلم والتحصيل ، تاركا موهبته تنضج على مهل ، معرضا كل الاعراض عن الحاح أصحابه وخلانه فى جمع شعره المتناثر فى بعض الصحف ، او المتراكم فى قماطير مكتبه ، حتى اذا شارف الاربعين من عمره الح عليه خله الوفى « اندريه جيد » فى نشر شعره ، فابى أول الامر كـــما اعتاد الابله فى كل مرة ، ثم مال الى الرضوخ والاذعان ، لا لان ينشر هذا الشعر ، ولكن ليعيد النظر فيه تهيئة لنشره فى ديوان ، ويستغرق منه هذا النظر و لاعداد والمراجعة خمسة اعوام بغير نقصان ، ليظهر ديوانه الاول وهو فى الخامسة والاربعين فى عمره ..

وقد عاش « فاليرى » بعد ذلـــك ليسمع اسمه مدويا ، وليرى نجمـــه ساطعا ، وشهرته قد طبقت الافاق ، وقد شغل فى المجمع الفرنسى مقعـــدا كان يشغله من قبله « اناتول فرانس » وتبوأ مكانة ممتازة فى « كوليج دى فرانس » وهذا هو الفرق بينه وبين « لوفريه » و « لمبدوزا » ..

أكان « لوفريه » و « لمبدوزا » . مخطئين ام كانا على صواب ، حين ادارا ظهريهما لدواعى الشهرة ، والاسباب الميسرة للغنى والثراء ؟

اما المال ، فلنقل انهما كانا فى غنى عنه ، اما الشهرة ، فمن الذى يدفعها عن نفسه ، ينأى بجانبه عن اضوائها ولالائهـــا وهى شىء كانت فى النفس البشرية تطلبها وتسعى اليها وتتقطع نياطها حسرة على فواتها .

نعم ، يدفعها الفنان الاصـــيل ، ويطلبها ـ جهد طاقته ـ كل ذى زيف وبطلان ، فهى غايته حين تكون عنـــد ذى الاصالة اهون من شراك نعل .

وبعد ، فاذا كان فى الدنيا من تتقطع انفاسه جريا ولهثا وراء الشهرة ، طلبا لها وسعيا وراءها ، فان فيها كذلـــك من يدير لها ظهره ، احتقارا لها وزهدا فيها ، واستهانة بها ، واستصغارا لشانها ، يود من سويداء قلبه الا يكون فى هذه الدنيا شيئا مذكورا ، وان يخرج منها كما دخلها ، عاريا فى الاولى من الثياب ، ومجردا فى الثانية مما يخلب ـ عند غيره ـ الالباب ●

المدى...

● محمد برهام ●

المدى خبأ عني عمره   ليتني اعرف ما عمر المدى ؟
خاطري يسبح كيما يجتلي   كشف سر واراه مجهدا!
ما انجلى عن افقة تطوافه   حيث املت تكون المبتدا
تزدهيني بعض حين رؤية   ثم تغدو بعد تمحيص صدى!

***

قد تركت البر للبحر ارى   ما لديه من مفاتيح الهدى
ما لدى البحر حلول ترتجى   انني افهم هذا جيدا
انما وجه حياة آخر   عالم لا بد لي ان ينشدا!
لم يكد يسبح فيه زورقي   وتوقفت اعانى مشهدا
يبس المجداف في كفي وقد   زاد امره حيرة ان يجهدا!
جبل الامواج قد حاصرني   وتراءى قاب قوسين الردى
صار للبحر ابتلاعي مقصدا!   مثلما للبر كنت المقصدا
رحت من ذعر وهول صارخا   ارتجي من زورقي ان يصعدا!
ارتجي المجداف الا يلتوي   واناديى الشط الا يبعدا

***

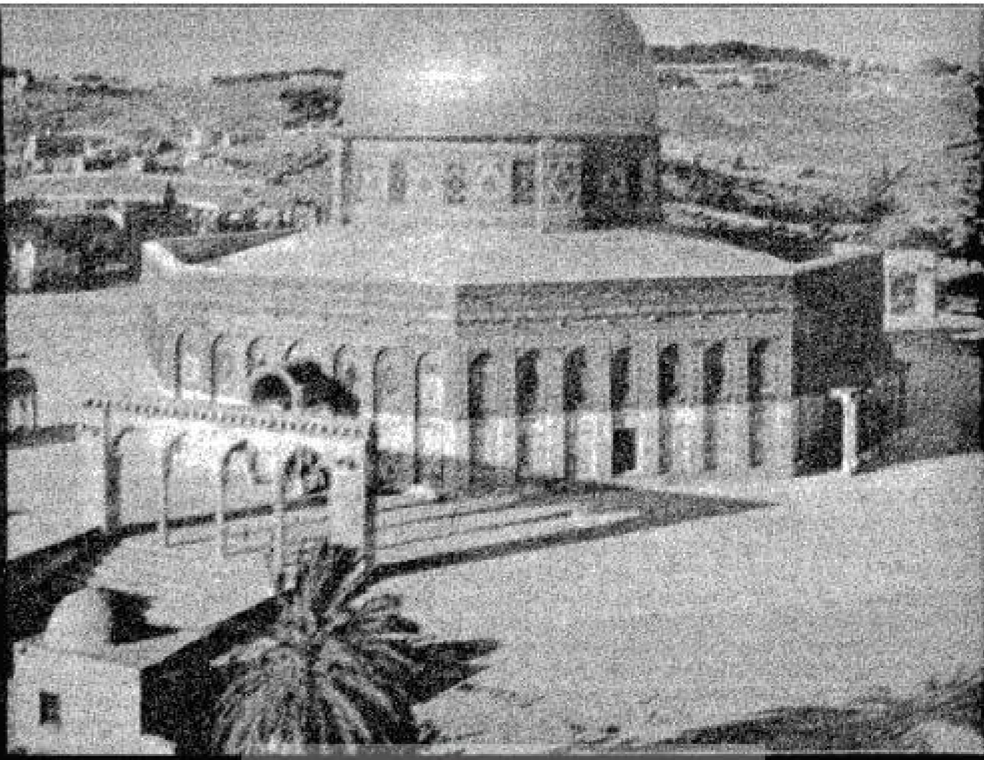
فتساءلت لسماك صرختي   فبدا من خلفها ان اصعدا!
ما الذي فوق ؟ فضاء شاسع   وسماء اطلعت لي فرقدا
دارت الافلاك في ابراجها   وستبقى في مسير سرمدا!
فسألت الفلك ما عمر المدى ؟   كل باب ظل دوني موصدا!
وتسمعت طويلا فاذا ...   همهمات وسؤالي رددا

***

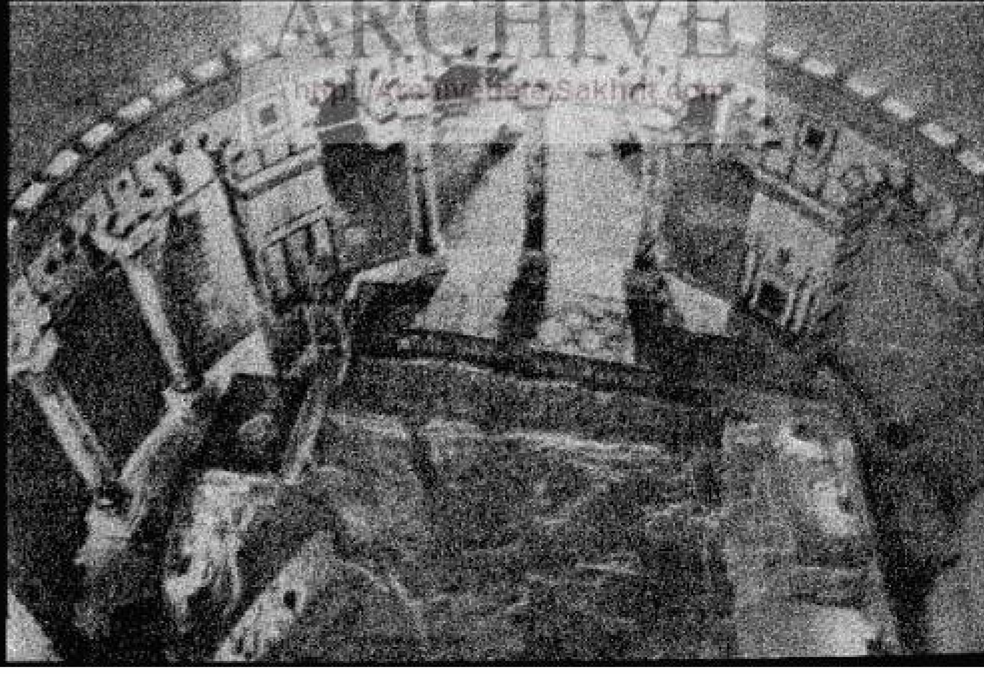
فرجعت الارض احيا صامتا   ارهف السمع لمحتوم الندا!
والى اين ؟ امامي مورد   واناديى كي اذوق الموردا
اكدوا لي انه آت غدا   ومضى الامس وقد جئت الغدا!
هذه الاكوان تدري انني   جئت من غيب اليها موفدا!
بعد تطوافي اراني واقفا   في مكاني لم اجد لي مقعدا !

القدس... مدينة السلام

● جعلها الصهيونيون مدينة الحرب . وقسموها قسمين : عربى واسرائيلى . ولم يرضهم ذلك فاستولوا عليها جميعا . واذلوا اهلها العرب واضطهدوهم وطردوهم من ديارهم لمجرد انهم عرب مسلمون ومسيحيون . وقرروا تهويدها تماما - والقضاء على كل أثر فيها لاسلام او نصرانية او عروبة . فاصبحت مدينة السلام معسكرا تمتلىء شوارعه بالجنود والسيارات المصفحة . ومنطقة الحرم القدسى ذاتها اصبحت ميدان حرب لان الاسرائيليين فى محاولتهم تهويد القدس يريدون أن يتداعى المسجد الاقصى وقبة الصخرة ولهذا يقومون بما يسمى حفريات أثرية . وهذا غير جائز ولا مبرر له . فمنطقة المسجد الاقصى وقبة الصخرة . وهى قمة جبل سوريا . منطقة اسلامية مقدسة . ولو كانت تحتها كنوز الارض جميعا او أسرار التاريخ القديم كلها فاننا نحن العرب نضع الحرم القدسى فوق كل اعتبار . فمن هنا عرج بمحمد صلوات الله عليه الى السماء . فأى شىء هو اعظم من ذلك فى الوجود .



الصوره العليا لقبة الصخرة كما ترى من الجنوب الغربي والصوره السفلى لمبنى قبة الصخرة من الداخل . وترى فيها الصخرة ، وهي قمة جبل موريا وحولها العقود الداخلية للمطاف واعمدته الرخاميه . ومن خلال الاعمدة يرى المطاف نفسه .



أعلنت اسرائيل ان القدس عاصمتها الى الابد، وهذا الاعلان الذى أثار حفائظ العرب والمسلمين والمسيحيين جميعا لا يساوى ثمن المداد الذى كتب به، فليست اسرائيل هى التى تقرر مصير القدس لا الى الابد ولا ليوم واحد. فالقدس عربية وستظل عربية باذن الله وبارادة العرب وحقهم - لا باذن اسرائيل.

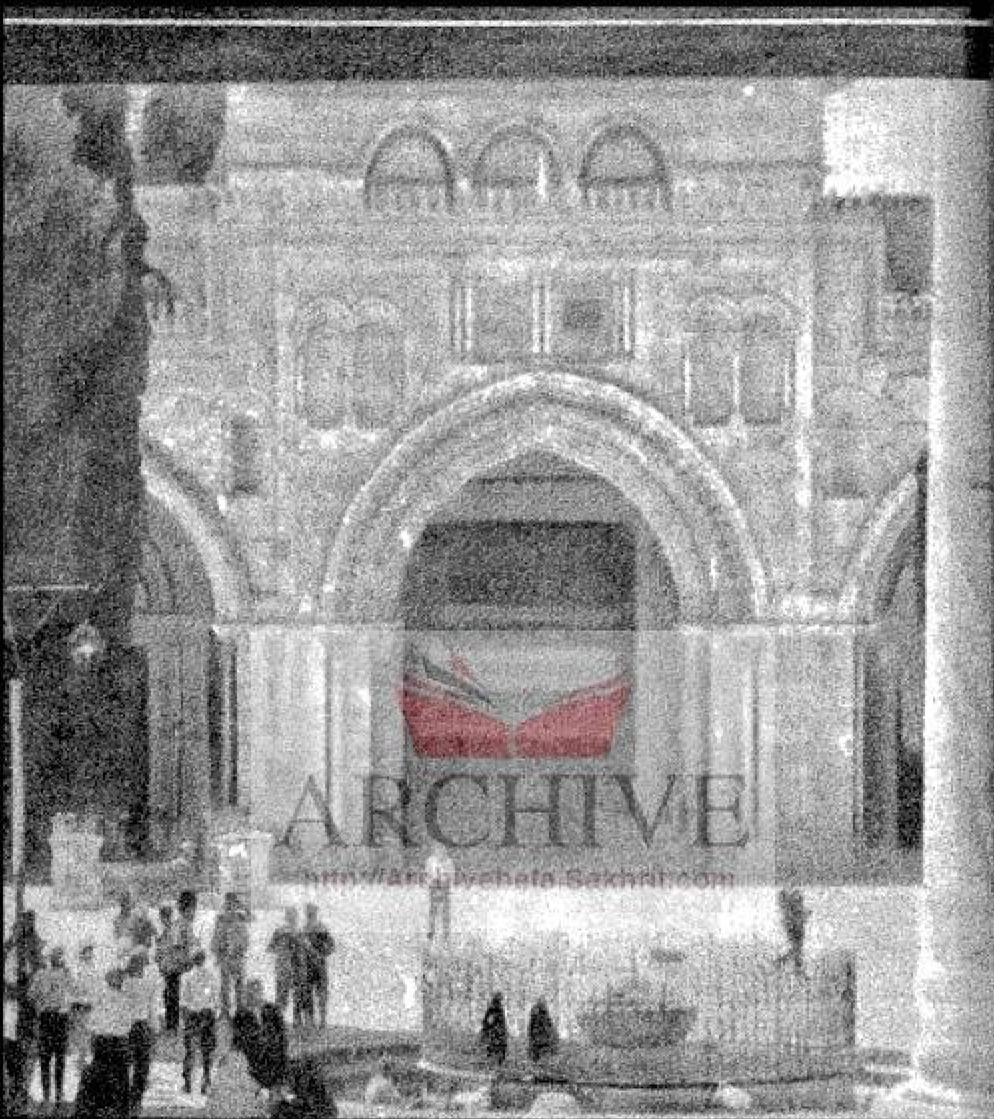
واذا كان الاسرائيليون قد أخذوا قطعة من القدس فى حرب ١٩٤٨ دون قتال تقريبا، ثم وضعوا يدهم على بقيتها بعد قتال يسير سنة ١٩٦٧ فاننا نحن العرب دخلنا القدس أيام عمر بن الخطاب دون قتال، وكانت القدس عربية بسكانها قبل ذلك. ولكن الفتح العمرى جعلها جزءا من مملكة الاسلام ومسئولياتها وكان من اعظم المبادىء التى وضعها عمر ابن الخطاب احترام شخصية القدس الدينية، فهى مجمع الاديان السماوية الثلاثة. وكما حافظ عمر للمسيحيين على كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس حافظ المسلمون على الاماكن المقدسة اليهودية، فلم يمس معبد يهودى بسوء ولا اضير احد من يهودى. وكما كان لكل طائفة مسيحية فى القدس أسقف يرعى افرادها ويعمل على اقامة شعائرها الدينية كاملة، فكذلك كان لكل طائفة من طائفة اليهود فى القدس ربان أو ربى، وهو يقابل ما يسميه اليهود بالربى أى الرئيس الدينى، وكان خلفاء المسلمين وولاتهم على القدس يسمحون لكل طائفة من هؤلاء وأولئك بالتقاضى أمام محاكم خاصة بهم وحل منازعاتهم الشخصية والمدنية بحسب ما تقضى شريعتهم دون تدخل من السلطات الاسلامية الا فى حالة ما اذا شاء المتخاصمون أن يتحاكموا الى قاضى المسلمين ورضوا حكمه.

فكان المسلمين رعوا قدسية ذلك البند من تلقاء انفسهم ومن وحى دينهم الحنيف دين التسامح. وقد طبق المسلمون بذلك ما يدعو اليه البعض من تدويل القدس دون حاجة الى انشاء نظام دولى خاص تشترك فيه دول العالم كما يريدون. طبقوه ببساطة ودون أى تكلف، وقد سار نظام القدس العربية طوال تاريخها الاسلامى على هذا النحو دون أى تعقيد.

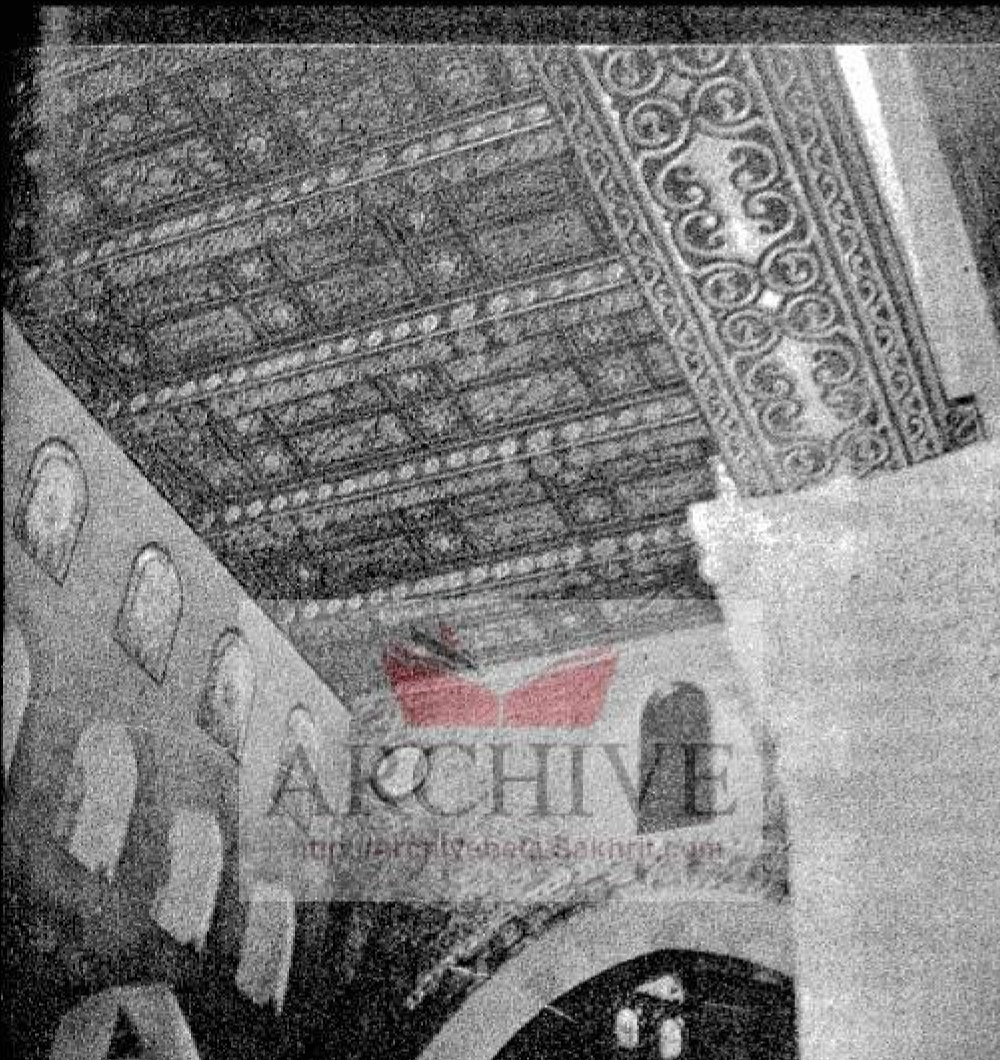
ولهذا فنحن العرب نرفض مطامع اليهود فى القدس ونرفض ما يفكر فيه البعض من تدويل القدس، لاننا نحن أصحابها، وقد اثبتنا اننا نعرف كيف نسير أمور هذه المدينة المقدسة بصورة ترضى أهل الاديان جميعا.

••

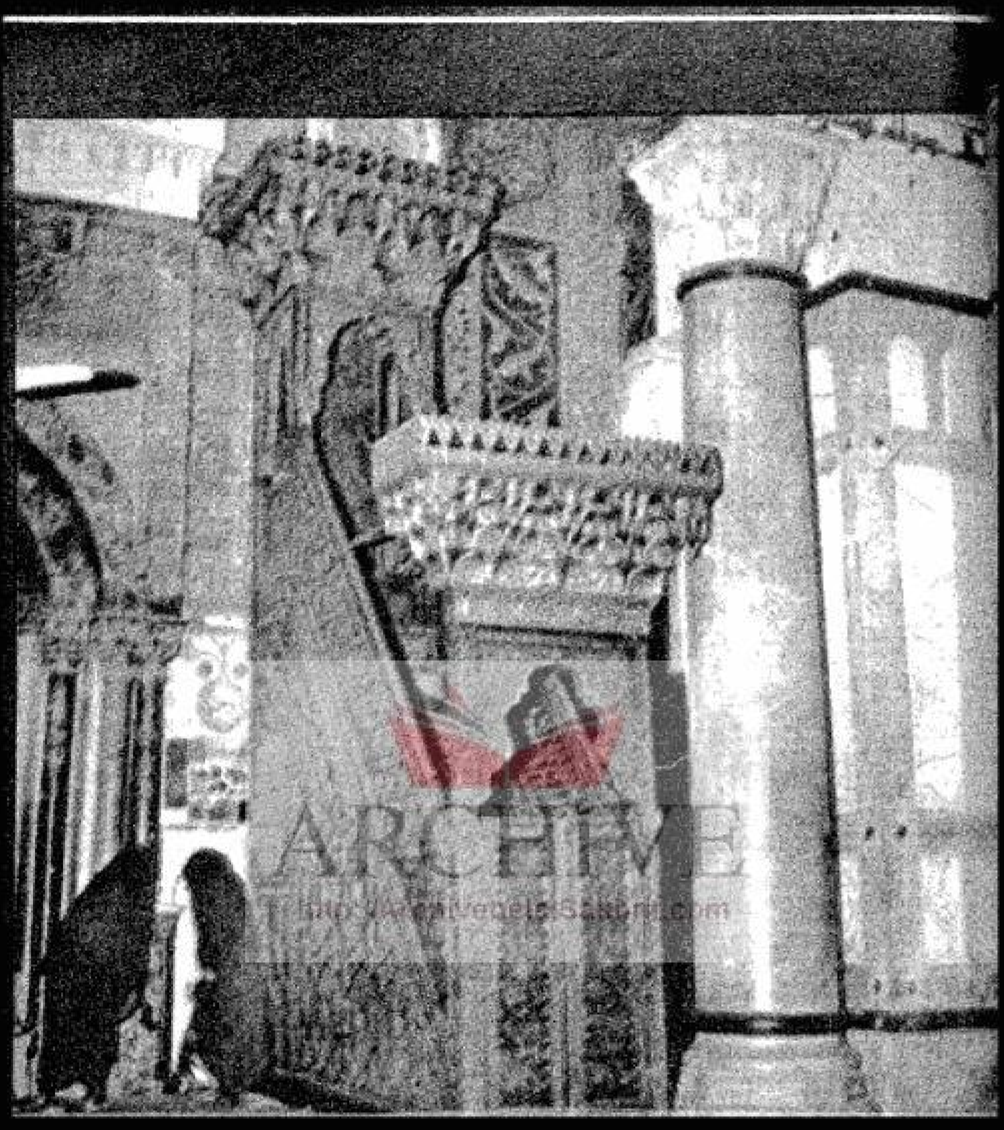
بل اننا عرفنا كيف نحتفظ للقدس بطابعها وشخصيتها وروح التسامح الضرورية لها اثناء الحروب الطويلة التى قام بها الفرنج وهم الصليبيون لانتزاع القدس منا. ولقد حكم الصليبيون القدس بعد استيلائهم عليها بالعنف والوحشية البالغة من سنة ١٠٩٨ الى سنة ١١٨٧ ميلادية عندما استعادها صلاح الدين الايوبى من أيديهم، فكانت تلك أتعس حقبة فى تاريخ بلد الاديان والتسامح. فقد جعلها الصليبيون مملكة سموها مملكة بيت المقدس، فكان ملوكها من الكاثوليك يعاون كل ملك منهم مجلس ممن يسمونهم الاشراف وبعض القساوسة فاضطهدوا غير الكاثوليك من المسيحيين فضلا عن اضطهادهم للمسلمين واليهود، واعتدوا على كل المقدسات التى ظنوا انها



الواجهه الشمالية للمسجد الاقصى وفيها الباب الرئيسي وتتجلى فى الصورة فخامه وصلابة بنيانه . عقود الواجهة مدببة الطراز تقوم على دعامات ضخمة من الحجر . وفى مقدمة الصورة ترى ميضأة المسجد يحيط بها سياج حديدى . والميضأة نافورة تصب الماء فى حوض كبير من الحجر .



داخل المسجد الاقصى : العامود الرخامي في يمين الصورة حديث الانشاء ونرى خلفه عقد من الحجر واعلاه طبان مزين بالفسيفساء من انشاء السلطان الظاهر بيبرس في القرن الثالث عشر الميلادى . والسقف الخشبي المزين بالنقوش الملونة قديم ولكن اعيد ترميمه وتجديد الوانه في العصر الحاضر . وفي اليسار نرى دائرة كتب فيها اسم عمر بن الخطاب امير المؤمنين .



هذه الصورة دخلت التاريخ . انها لمنبر صـــلاح الدين الايوبي الذي
أحرقه صنيعة اسرائيل سنة ١٩٦٩ بعد احتلال اسرائيل للقدس العربية
وفيها المسجد الاقصى وقبة الصخرة . صنع هذا المنبر الجميل من الخشب
في مصر . ثم نقل الى المسجد حيث ظل في موضعه الى ان احرقه اليهود .
عندما نسعيد المسجد القدسي لابد من اعادة عمل هذا المنبر ووضعه مكانه

ليست كاثوليكية . وهدموا معابد اليهود واضطهدوهم اضطهادا شديدا حتى أن ملك مملكة بيت المقدس الكاثوليكى كان يفخر بأنه محا كل أثر من آثار اليهود فى عاصمة ملكه .

فلما استرجع المسلمون القدس على يد صلاح الدين الايوبى أعادوا لكل الطوائف المسيحية واليهودية حقوقها ، وسمحوا لهم جميعا باعادة بناء كنائسهم ومعابدهم . وعاد اليهود الى القدس بعد أن كانوا قد أخرجوا منها ، وهذا كله بفضل الاسلام وتسامحه ، بل ان وفدا من قساوسة الحبشه ، وكانت كنيستها تابعة لكنيسة الاسكندرية وفدوا على الملك الكامل الايوبى يطالبون بانشاء كنيسة لهم . بالاضافة الى الكنيسة المصرية القبطية ،ومع ان مذهب الاحباش والاقباط المصريين واحد ، وبطرك الاسكندرية هو بطرك الحبشة ، الا أن الملك الكامل وافق على ذلك رغم معارضة الكنيسة القبطية المصرية ، ولم يستطع الاحباش بناء كنيستهم لقلة اموالهم . فبناها الملك الكامل فى مقابل اقامة الاحباش لمسجد فى عاصمتهم الا ذاك وهى الشوم .

وعندما أتى فردريك الثانى قائدا لحملة صليبية ، اتفق معه الملك الكامل على أن يرعى امبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وهو فردريك — مصالح المسيحيين فى القدس ، وأكد ما سبق أن وافق عليه صلاح الدين من السماح لحجاج النصارى بزيارة القدس متى شاءوا فى حماية المسلمين . وعلى هذا سارت الامور فى العصر العثمانى رغم ما يقال من تعصب الاتراك فى ذلك الحين فقام ولاة الاتراك برعاية القدس ومنشآتها اسلامية وغير اسلامية ، وكان باشا مصر المعين من قبل الدولة العثمانية هو المسئول عن القدس والحرمين الشريفين فى الحجاز ، وقد قام الباشا يعاونه المصريون بسياسة أمور القدس أحسن قيام ، فكانت واحة سلام فى ذلك العصر الذى اشتهر بتعصبه ومظالمه .

لقد أدرك المسلمون والعرب جميعا أن القدس مدينة الاديان ومدينة التسامح ، وعرفوا لها قدرها وحرمتها على مر العصور ، ولم يبدا الوضع فى القدس يتغير الا بدخول الانجليز واحتلالهم القدس سنة ١٩١٧ وادعاؤهم انهم حراس المدينة المقدسة . فى ظل النظام الانجليزى الذى اشرف عليه يهود انجليز برأسهم هربرت صمويل العميل الصهيونى . فى ظل هذا النظام بدأت أحلام الصهيونيين تتحقق ، فسمح هربرت صمويل بالهجرة اليهودية الى فلسطين على نطاق واسع ، وعين على القدس حاكما عسكريا انجليزيا يهوديا صهيونيا كان سكرتيره أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل الاسبق ، وكان اسمه الاصلى ايفين قبان . فبدأ تدفق اليهود على مدينة الاديان والتسامح والسلام ، وبداوا عملية تهويدها بالعنف ، وكانت تلك بداية ماساة فلسطين كلها ، وقد قرر ذلك حاييم وايزمان نفسه فى مذكراته المنشورة .

ومن ذلك الحين لم تعرف القدس سلاما ولا أمنا . وبعد قيام الدولة الاسرائيلية بدأ تحويل القدس من مدينة السلام الى مدينة الاسرائيليين ، واخذنا نرى هذه



المنبر الرخامي القائم في الفراغ جنوبي المسجد ، انه جزء من مسجد كان قائما هنا، ويظن انه كان منبرا انشيء خاصة عند جدار قديم ذي أعمدة لكي تقام في ذلك الفضاء صلوات الاعياد التي لا تتسع لها مساحة المسجد الاقصى . ويرى أولاد يلعبون حول هذا الاثر الفني الجميل .



قبة المسجد الأقصى مصـــوره من الداخل . عنق القبـه مزين بالقمريات او النوافذ الصغيرة المغطاة بالزجاج الملون . ويعلوها افريز كتابات فيه آيات قرآنيه واسماء صلاح الدين والمنصور قلاوون والناصر محمد بن قلاوون . وقـد رمم هذه القبة داخلا وخارجا السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون سنة ١٣٢٧ ميلاديه . وقد اصاب هذه القبة تلف شديد فى حريق المسجد الاقصى سنة ١٩٦٩



صورة جميلة اخرى للصخرة التى عرج بمحمد صلى الله عليه وسلم من جانبها الى السماء ، وفوقها اقيمت قبة الصخرة تقوم على دائرتين من الاعمدة الرخامية ذات العقود المستدير المزدوجة الالوان التى تراها فى الصورة ، الى اليسار ترى الباب المؤدى الى بئر النفوس الموجود تحت الصخرة ، ويحيط بهذه الاعمدة اعمدة اخرى وبينها المطاف .

الجرائم التى ترتكب فى حق المدينة المقدسة ، من تغيير معالمها وانشاء أحياء اسرائيلية فيها واحاطتها بحزام من المستوطنات اليهودية التى يسمونها بالضواحى بحيث تغيرت شخصية القدس ومعالمها تغيرا تاما ، ثم كانت الطامة الكبرى عندما أصدر الاسرائيليون قرارهم الباطل بتحويل القدس الى عاصمة للدولة الاسرائيلية الى الابد !

اى أبد هذا الذى يتحدثون عنه ؟ ومن هم على هذه الارض حتى يقرروا تحويل مدينة الله الى مدينتهم الى الابد ؟ انهم يتحدون الله سبحانه ويسخرون من الاديان ومن حقوق البشر جميعا بهذا القرار الباطل · وهو باطل لانه قرار استعمارى صدر عما يملكه الاسرائيليون اليوم من قوة عسكرية ·

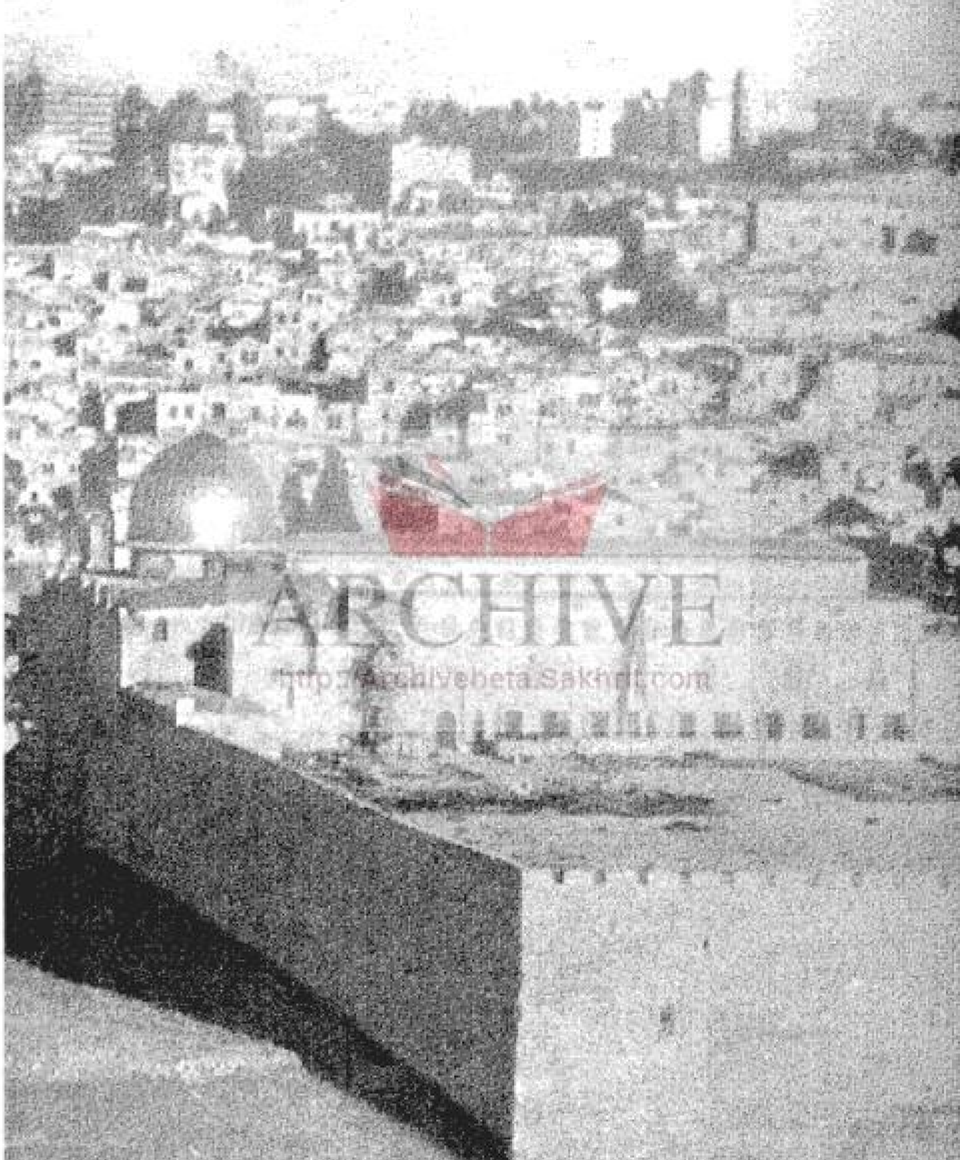
وهما كانت قوتهم فان ذلك لن يؤثر فى مصير القدس ، فالقدس مدينة السلام والاديان وهى قطعة من الوطن العربى واصحابها هم العرب المسلمون الذين رعوها وحافظوا لها على قدسيتها وسلامها وتسامحها · وهذه الارض يرعاها ويقرر مصائرها الله سبحانه وتعالى لا اسرائيل ولا الاسرائيليون · والله سبحانه وتعالى غالب على أمره وهو يرث الارض ومن عليها ·

ولكن ، كيف يستعيد العرب القدس؟ ان اليهود كما نرى ــ متشددين فى أمرها متمسكون بها لا يريدون ان تخرج من أيديهم أبدا ــ بل انهم يؤيدون مطامعهم فى بلدنا القدس فان تمسكهم ذلك يرجع الى ان قيام دولة اسرائيل والقدس عاصمتها تحقيق لنبوءة فى التوراة ، وهذا غير صحيح ، فلم ير احد نصا فى التوراة يقول ان ديانة اليهود لن تتم الا اذا قامت لهم دولة فى فلسطين عاصمتها القدس · فليست هناك ديانة يرتبط امرها بدولة تقوم فى بلد معين وعاصمة معينة ، فهذه كلها امور سياسية لا علاقة لها بالدين أيا كان ، فهذا القول فى ذاته تعليل كاذب ولا معنى له ولا أصل ·

واذا كان حقيقيا فلماذا لم يطالب به اليهود الا فى العصر الحديث وفى هذه السنوات بالذات ولو كان هذا من ديانة اليهود حقا فلماذا هاجر اليهود من الجزء الذى كانت لهم فيه دولة فى فلسطين ؟ لماذا لم يتمسكوا به ويقروا فيه كما يقر جميع الناس فى اوطانهم ؟ يقولون ان الرومان اضطهدوهم ، ولكن الرومان لم يضطهدوهم وحدهم ، بل اضطهدوا المصريين والشاميين وأهل المغرب وآسيا الصغرى والعالم كله ، فلماذا كان اليهود هم وحدهم الذين هاجروا فرارا بأنفسهم من الاضطهاد خاصة وان بقاءهم فى فلسطين والقدس جزء من ديانتهم كما يقولون ؟

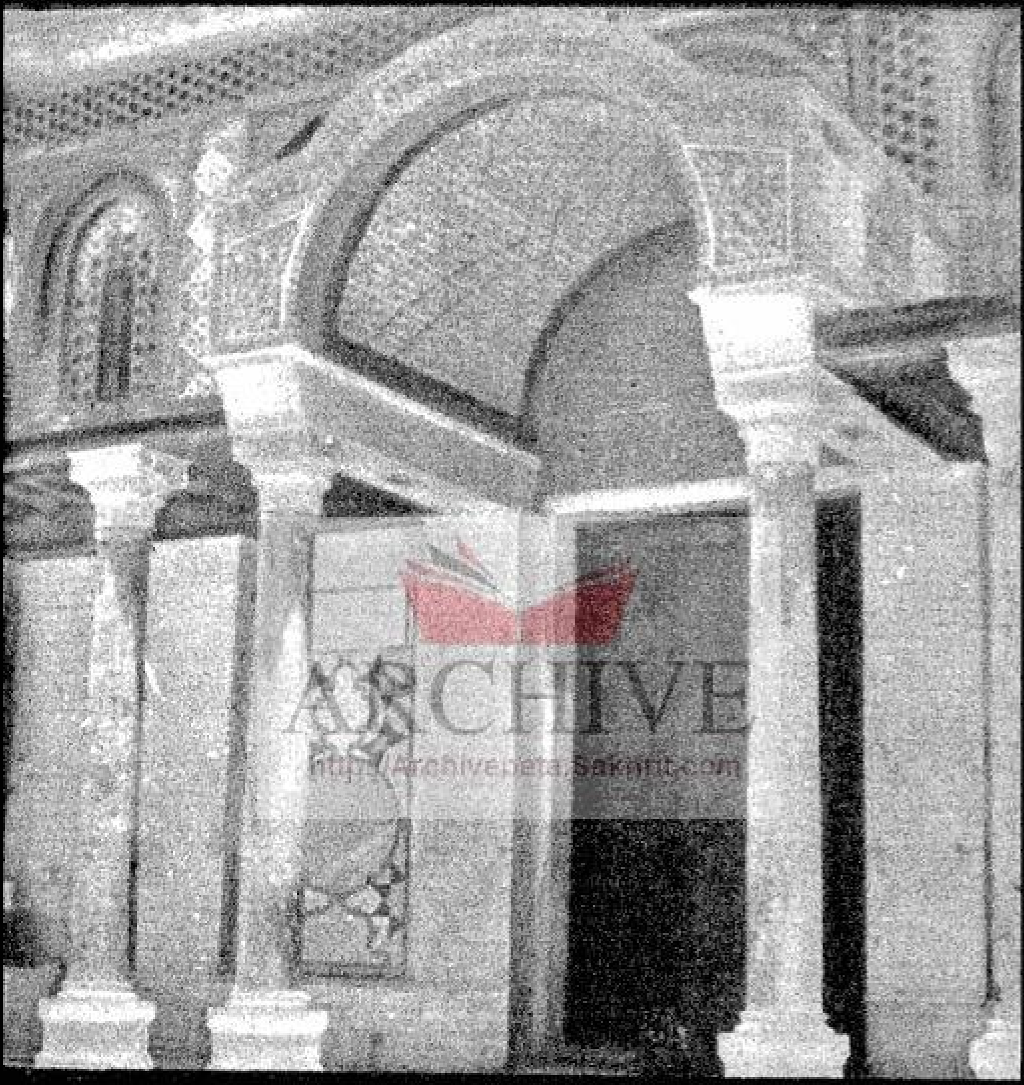
الحقيقة ان هذه المزاعم كلها تعتمد على حقيقة واحدة ، وهى ان اليهود اليوم يشعرون بقوتهم ويعتزون بتأييد الولايات المتحدة وغيرها لهم ، ويعتمدون كذلك على ما اجتاح بلاد الغرب كلها بعد الحرب العالمية الثانية من عطف على اليهود بسبب ما فعل فيهم هتلر ، فكانت الدنيا كلها ميالة لتعويضهم فاختاروا هم أن يكون التعويض من أرض العرب على حسابهم واعانتهم الظروف على غزو أرض فلسطين والتمسك بها بالقوة التى جلبوها من كل مكان ·

المسجد الاقصى مصورا من الجنوب الغربى ، واجهة المسجد فى الناحية الاخرى ، ويرى خلف المسجد جزء من القدس العربية ، ومبانيها كلها تقليدية منخفضة حتى لا تغطى على جمال المسجد ، وفى اقصى الصورة ترى المبانى الحديثة العالية التى تنشا حديثا • يلاحظ ان العرب حافظوا على قدسية الحرم فى حين ان اليهود يريدون انشاء مساكن حديثة من طوابق كثيرة ليغطوا عليه •





الصورة العليا للبحر الميت . والاعمدة التى نراها أعمدة ملحية تكونت من جفاف ماء البحر وانسحاب الماء والصورة الثانية لمزارع خضراء يزعم اليهود أنهم هم وحدهم الذين زرعوا أرض فلسطين على هذه الصورة مع أن العرب فعلوا أكثر من ذلك والصورة الثالثة لقطعة أرض صحراوية لم تستصلح بعد . وهي أرض عربية وأصحابها عرب وهم في سبيل تعميرها



الباب الجنوبي للمسجد الاقصى المسمى بباب القبلة لاحظ التجليد الرخامي لاسفل الجدران تقوية لها . هذه الاقواس فريدة في بابها في العمارة الاسلامية . وعلى مدخل العقد نقوش من الفسيفساء . وعلى الجدار خلفها : بسم الله الرحمن الرحيم ثم هو الباقي .

وقد نال حماس الدنيا كلها لليهود بعد ما رأى الناس ان هذه كلها كانت حيلا ودعاوى منهم للحصول على أرض يقيمون فيها دولة ، وفي هذه الارض انزلوا بالناس من المظالم وصنوف الاستعباد والاستذلال والقهر أضعاف ما زعموا ان هتلر فعل فيهم . وصدرت عن هيئة الامم قرارات بعد قرارات تدين اليهود وتقرر انهم من أشد الناس عدوانا على حقوق الانسان ، وسجونهم تفيض بالعرب وأساليب تعذيبهم لهم هي نفس الاساليب الهتلرية وأسوأ بكثير .

المناخ العالمي اذن تحسن وأصبح يميل الى تأييد حق العرب ، وهناك ينبغي ان تخاف الولايات المتحدة فقد مضت أيام هاري ترومان ولندن جونسون ولم يعد الامريكيون يسيرون وراء اليهود عميانا — أو أصحاب مصالح — كما كانوا من عشرين سنة ، وقد تنبهوا الى ان مصالحهم شيء ومصالح اليهود شيء ، وان الضرر الذي يعود على الولايات المتحدة من جراء السير في ركاب اليهود ضرر بليغ ، وان مصالحهم الحقيقية مع العرب لا مع اليهود . وكل ما يقال عن « العلاقة الخاصة » بين اسرائيل والولايات المتحدة غير صحيح ، فقد كان [illegible] مثل هذا عن علاقات شاه ايران مع الولايات المتحدة . فانظر ماذا فعلت الولايات المتحدة بشاه ايران ..

اذن فالظروف كلها مواتية للعرب اذا أرادوا أن يفعلوا شيئا في سبيل فلسطين والقدس .

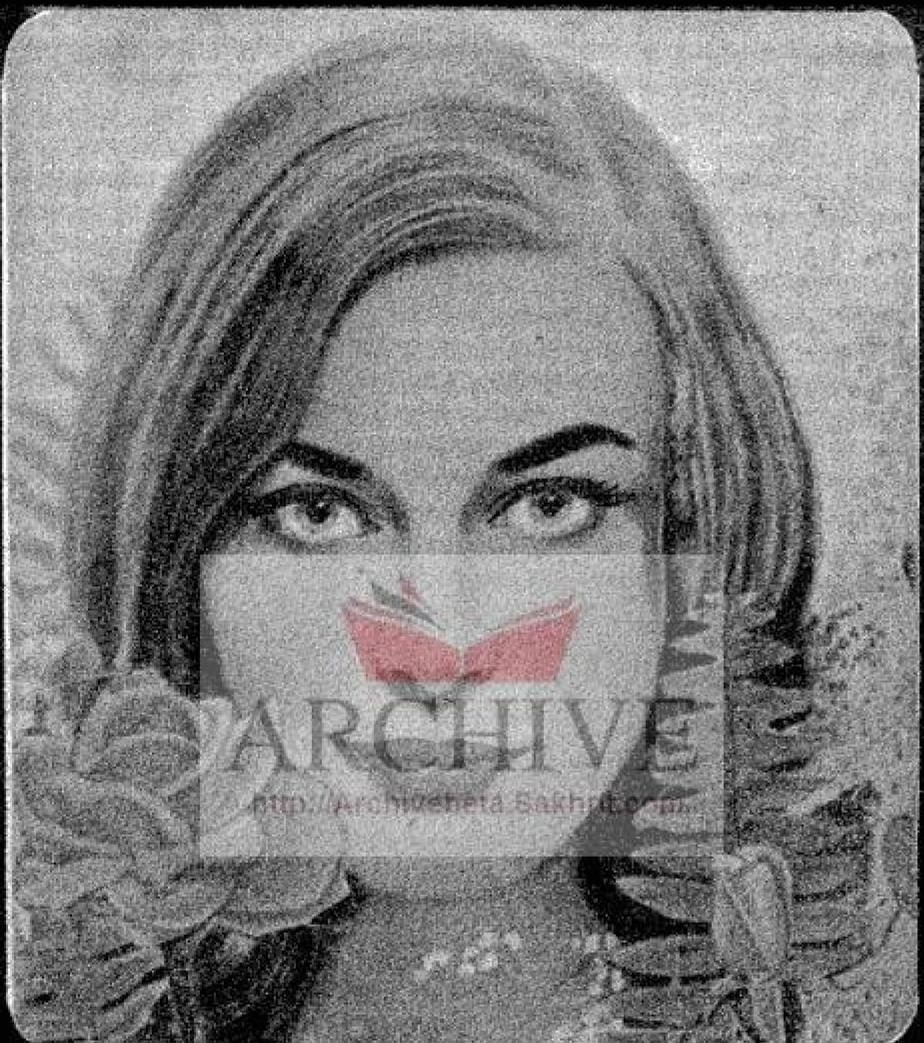
ولكن الشرط الاول للعمل العربي الايجابي هو الوحدة ، وحدة الصف ، ووحدة الكلمة . وليس [illegible] يتفق العرب . اذ المهم أن يتفقوا . فلو انهم اتفقوا على أن يستعيدوا القدس وفلسطين عن طريق المفاوضات وبالطرق السلمية مع ما لابد لذلك من استعمال كل أسلحة المقاطعة التجارية والبترولية لعادت اليهم فلسطين والقدس ، ولو انهم اتفقوا على الحرب وصدقوا في ذلك لعادت اليهم أيضا فلسطين .

ولكن المهم أن يتفقوا ، ان يقفوا صفا واحدا . ولقد انتقد العرب المبادرة المصرية ولم يرضوا بها ، ولو انهم اتفقوا عليها ووقفوا امام الاسرائيليين صفا واحدا لتراجعت اسرائيل . وتصور لو اننا جلسنا كلنا ومعنا الولايات المتحدة نفاوض الاسرائيليين ، أكانوا يثبتون لنا ، من المؤكد اننا كنا — مجتمعين — سنتغلب عليهم ونسترد أرضنا وقدسنا .

ولكننا رفضنا طريق السلام وقلنا لابد من الحرب ، فهل اتفقنا على الحرب ؟ هل كتلة المتشددين الذين ينادون باستعمال القوة متماسكة ثابتة على رأى الحرب مخلصة فيها ؟ أؤكد لكم ان مصر اذا رأت العرب صادقين في استعمال القوة وان صفهم متحد وانهم بالفعل يريدون خوض الحرب لما ترددت في الانضمام اليهم ثقة منها ان العرب اذا اجتمعت كلمتهم حقا فلابد أن يهزموا اليهود ويستعيدوا حقهم المسلوب ، لانهم عندما اتحدوا في حرب اكتوبر هزموا اليهود .

ولكن المشكلة هي عدم اتحاد كلمة العرب ، ولو انهم اجمعوا على طريق واحد — أي طريق ، لانحلت المشكلة ، ولكن المصيبة انهم لا تتفق كلمتهم قط . لا على الحرب ولا على السلام ، فكيف والله تتحرر فلسطين ويعود الينا القدس ؟

● د . حسين مؤنس ●



مع الربيع يحلو للانسان ان ينظر الى كل ما هو جميل . وليس في الوجود اجمل من وجه زانه الله بالحسن والنضرة وزهر حلاه الله باللون والخضرة . وهذا مجال للشعراء فهاتوا شعركم .

موعد مع الربيع



إذا داعب الماءُ ظلَّ الشجرْ
وغازلتِ السحبُ ضوءَ القمرْ
وردّدتِ الطيرُ أنفاسَها
خوافقَ بين الندى والزَّهَرْ
وناحَتْ مطوّقةٌ بالهوى
تناجي الهويلَ وتشكو القدرْ
ومرَّ على النهرِ نشرُ النسيم
يقبّلُ كلَّ شراعٍ عبرْ
وأطلعتِ الأرضُ من ليلها
مفاتنَ مختلفاتِ الصورْ
هنالك صفصافة في الدجى
كأنَّ الظلامَ بها ما شَعَرْ
أخذتُ مكاني في ظلّها
شريدَ الفؤادِ كئيبَ النظرْ
أمُرُّ بعينيَّ خلالَ السماء
وأطرقُ مستغرقًا في الفِكَرْ
أطالعُ وجهكِ تحت الخيالِ
وأسمعُ صوتكِ عندَ السَّحَرْ
إلى أنْ يَملَّ الدجى وحشتي
وتشكو الكآبةُ مني الضجرْ
وتعجبُ من حيرتي الكائنات
وتُشفقُ مني نجومُ السَّحَرْ
فأمضي لأرجعَ مستبشرًا
لقاءكِ في الموعدِ المنتظرْ !

● شعر : علي محمود طه ●

قصة

تصفيق حاد

● د . محمد عبد الحميد ●

عندما تولى هذا المنصب كان قد تخطى بداية العقد الخامس من العمر .. خلاله قضى سنواته العشرين في خدمة المؤسسة يرتقي درجات السلم الوظيفي ، تدفعه الى كل درجة واخرى اقدميته المطلقة ، والفراغ الذى يتركه السابقون في ادارته التى التحق بها منذ تخرجه من الجامعة

لم تثر الترقية في نفســــه من الاحاسيس الا ما كان متعلقا بالامال التى طالما فكر فيها وعبر عنها في جلســاتنا الخاصة باحاديث طويلة كانت تبدأ عادة بعبارة .. لو انني كنت مســئولا لفعلت كذا .. وكذا وتنتهي بكلمـــة واحدة لايمل تكرارها . القدوة ولاشيء غيرها !

رفعت سماعة التليفون لاهنئه بالمنصب الجـديد وعلى الخط كان الصـوت جهورا ، شـديد الخشونة . . يجيب ندائى ، وينقلنى بعد ذلك الى صوته .. ولم اطل الحديث ، ولم يـــزد عن مجرد التهنئة ، فـــمازالت افكاره واحاديثه عن العمل والمسئوليات ترتبط بذاكرتى ..

وتخيلت وقتئذ الجهــــد والوقت الذى يقضيه في الدراســات والتقارير والافكار التى سوف تنتقل بالعمل الى مستوى الطموح الذى ينشده ..

كان طبيعيا أن تتسع الفترة بين كل لقاء واخر : او زيارة واخرى لمكتبـــة الجديد ..

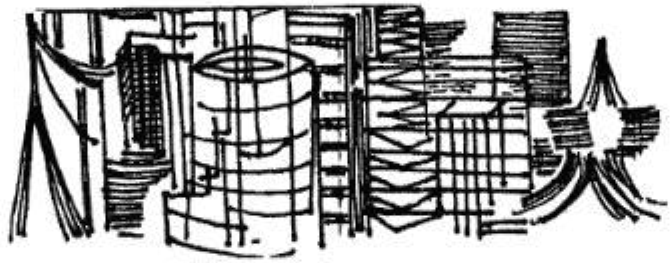
لا يزال كما هـو لم يتغـير .. ولـم تتغير افكاره ، ولم يهتـز طموحه . . ولكنـــه ازداد ثقة كست كل تصرفاته واحاديثه مع مرءوسيه وزملائه .. وعلى العكس مما كنت اشـــاهد في مكاتب اخرى او اتوقع ان اشـاهده في مكتبه او ادارته ــ لم اشهد « طـــوابير » السكرتارية الطويلة او العاطلين عـلى الابواب والمصاعد ودرجات الســلالم والمتبرمين بالنداء وتكـرار المطالب .. والمتطوعين لاداء الخدمات الخاصـــة .. لم تظهر بعد كل هذه الفئـــات واحسست باشعة الامل في تنفيذ افكاره تخترق كل الغيوم التى تصنعها مثـل هذه المشاهد

في الجريدة الصباحية ، وفي الركن المخصص للاجتماعيات ، قرات اعلانا عن ندوة محلية حول احد الموضوعات التى يهتم بدراستها ويقرأ فيهـــا كثيرا ، وينمى معارفه الخاصة بها ، وتوقعت ان اقرأ اسمه بين خبـــراء هذه الندوة ، وفعلا لفت نظرى اسمـــه بين هؤلاء الخبــــراء .. وكم كانت سعادتى لان افكاره سوف تكون محلا للدراسة والمناقشة

.. ومن يدرى ربما يتحقق تعميمها في الاجهزة الاخرى .

وفي الموعد المحدد للندوة توجهت الى القاعة ، اشارك بفرحتى واهنى بكـل ما املك من مشـــاعر واحاسيس هذه الخطوات التى يخطوها في طـريق المستقبل ..

القاعة مكتظة بالمدعوين ، معظمهم من اصحاب الازياء الانيقة والابتسـامات الرقيقة .. يملاون المقــاعد الرئيسيه ومقـــاعد اخرى ازدحمت بها طرقات القاعة ، وتمثلت في الواقفين ضعف عدد الجالسين .. يالهــا من روعة لـو ان المهتمين بمثل هذه الموضـــوعات او



حضور هذه الندوات كانوا في مثل هذا الحشد !

لم يلفت نظري في المدعوين احد من ادارته سوى سكرتيرة الخاص الذي راى في حضوري انقاذا له من وحدته .. ادرت راسي مرة اخرى بنظرات باحثة فاحصة في جوانب القاعة تنبه لها السكرتير فقال هامسا :انت تعلم صديقك .. لقد رفض مبدا حضور اي فرد من الادارة لمجرد المشاركة ! .

لم يتلق اجابة مني ، فقد تاهت الكلمات وسط سعادتي بهذا الصديق الكبير واشفاقي عليه !

بدات الجلسة وتوالت الكلمات .. وعلى وجوه الحاضرين علامات يختلط فيها الصمت والترقب الممل ، تكشف منه الابتسامات المصطنعة والنظرات الشاردة المتجولة بين ارجاء القاعة .. ورغم ذلك فانه بعد انتهاء كل متحدث من كلمته كان التصفيق يرتفع حادا ولفترات طويلة تكاد تهتز له جدران القاعة ..

وعندما انتهى من كلمته بدا التصفيق خافتا لايجد له متسعا بين الاصوات والهمهمات التى كانت تعلو وترتفع حتى غطت على قدرتنا نحن وبعض الحاضرين في تقدير الكلمة وصاحبها الذي اكتست ملامح وجهه بعلامات اعرف جيدا تفسيرها في مثل هذه المواقف . فلاهى الخجل ولا هو الحياء .. ولكنه شيء اخر بدا يعتمل في صدره ، وجعله شاردا . تائه النظرات عند خروجنا .. حتى انه لم يتنبه لتهنئتي له .!

مرت فترة طويلة لم نلتق خلالها ، تباعدت عنى اخباره ببعد المسافات التى كانت تفصل بيننا خلال هذه الفترة .

في احدى الجرائد الصباحية ، وفي الركن المخصص للاجتماعيات ، قرات اعلانا عن ندوة محلية حول احد الموضوعات التى يهتم هو بدراستها .. ويقرأ فيها كثيرا وينمي معارفه الخاصة بها .

في هذه المرة فوجئت باسمه بين خبرائها ، لم يتغير . ما زال صامدا ، يجاهد في سبيل نشر افكاره .. لم تثنه المواقف التافهة عن الاستمرار ،سيعاود الكرة املا في ان يجد التقدير المناسب لافكاره الجادة

حقا يستحق التهنئة . وادرت قرص التليفون ، وعلى الطرف الاخر كان الصوت ناعما ، هادئا ساحرا ـ بكل رقة وعذوبة يجيب ندائي وينقلني الى صوته هو .. فاليا هذه المرة ، يمتلىء بجمل وعبارات لم اسمعها منه من قبل تسبح فوق امواج من الضحكات المستمرة .. وجمل وعبارات تمثلتها في حفلات الاستقبال والوداع واللقاءات الرسمية ومحافل المجاملات . والتى صكت لمثل هذه المواقف فقط !

ولذلك لم تخترق صدري وتوقفت عند حدود الاذن فقط ! .

وبينما كانت رنات الصوت تتوالى، كان خيالي يسرح هناك ، حيث القاعدة الفسيحة والحشد من الرجال اصحاب الثياب الانيقة والابتسامات الواسعة والتصفيق الحار الذى سيعقب حديثه وعبارات التهاني والمجاملة التي قد لاتسمح بان اقدم له تهنئتي الصادقة .

●●

عشرة أيام غامضة في حياة أجاثا كريستي

● ماري غضبان ●

في الرابع من ديسمبر ١٩٢٦ ، اختفت سيدة من بيتها واسرتها وغابت أحد عشر يوما ، لم يعرف أحد خلالها او بعدها أين ذهبت ؟ أين كانت ؟ . ماذا فعلت ؟ .

كانت هذه السيدة أشهر كاتبات القصة الغامضة والمثيرة في العالم .. : اجاثا كريستي .

بعد أكثر من خمسين سنة من تلك الحادثة ، بدأت السينما تصور فيلما يحمل اسم « اجاثا » يحاول أن يكشف أو يكتشف سر اختفاء اجاثا تلك الايام الاحدى عشر . الفيلم تقوم ببطولته فانيسيا ردجريف مع داستين هوفمان .

ولم تكن أجاثا كريستي قبل اختفائها كاتبة بكل الشهرة والنجاحات التي حققتها فيما بعد .. كانت كاتبة قصة في احدى مجلات لندن ، واعطت للمكتبات والقراء خمسة كتب قصصية لم تحقق النجاح الذي كانت تحلم به ..

وعندما عادت من حيث كانت تختفي وهو ما يحاول الفيلم ان يكشف عنه أو يكتشفه ـ كان كتابها الجديد « مقتل روجر اكرويد » قد ظهر في الاسواق وأصبح أهم كتب الموسم واكثرها توزيعا .. وكان أيضا بداية النجاح والشهرة للكاتبة اجاثا كريستي ! ..

ولكن هذا النجاح الاول لم يهم الكاتبة ولم يسعدها ، فيوم ظهور هذا الكتاب ماتت أمها ، واعلن زوجها اعتزامه الانفصال عنها ! .. وكانت قبل ذلك قد اكتشفت انه يخونها مع اخريات ..

كانت خيانة الزوج من اسباب اختفائها .. وما جاء بعد ظهور أول اعمالها التي قفزت بها الى الشهرة والنجاح ـ كان كله من أسباب عدم ارتياحها أو عدم سعادتها !

وكانت اجاثا ماريا كلاريسا ميللر ، قد ولدت في سبتمبر ١٨٩٠ بقرية قرب لندن من أب امريكي وأم بريطانية ...

وقد أرسل شقيقها وشقيقتها الى المدارس الداخلية ، وبقيت هي مع أمها في البيت ، تتعلم منها كل شيء حتى القراءة والكتابة .

ويقول زوجها الثاني السير ماكسملان في مذكراته :

ـ .. من أسباب بقاء اجاثا في البيت مع أمها وعدم ذهابها للمدرسة ـ كان خوفها الشديد من الناس ورفضها الكامل لمخالطة الاطفال أو اللعب معهم .

وقد حاولت اجاثا أن تكون مغنية في الاوبرا ، أو عازفة بيانو .. وذهبت فعلا الى باريس لتتعلم الموسيقى ... واعترف اساتذتها بأنها موهوبة ولكنها عصبية ، وهذا لا يساعدها على العمل امام الجماهير ، أو اية اعمال تتصل بالتعامل معهم مباشرة .

وعادت أجاثا الى بريطانيا ، وتزوجت عام ١٩٤٠ من أرشيد بالد كريستي الذي أرسل للحرب وعاد يحمل أوسمة الابطال .. وكانت هي تقضي فراغها في خدمة المستشفيات حيث عرفت الكثير عن السموم والعقاقير التي استغلت عملها بها في الكثير مما كتبت من روايات ..

وكان من أسباب اقبال اجاثا على الكتابة ، المناقشات الحامية التي كانت تدور بينها وبين شقيقاتها حول كل قصة تقرأها ولا تجد فيها جديدا .. وقالت لها شقيقاتها :

ـ لماذا لا تحاولين أن تكتبي وتعطينا الجديد ، ما دام لا يعجبك شيئا مما نقرأ ؟!

وبدأت اجاثا المحاولة .. وقدمت أول قصصها ، « الاعمال الغامضة » والتي اوجدت فيها لاول مرة شخصية ضابط المباحث البلجيكي هيركين بوارد . وعرضتها على ستة من الناشرين ، فقبلها واحد منهم على ان تكون اول طبعة لاتزيد عن الفي نسخة فقط . وبعدها تتابعت كتبها التي لم تحقق النجاح الذي جاء مع



فانيسا روجريت فى دور «اجاثا» من فيلم اجاثا كريستى



داستين هو فمان فى دور الصحفى الامريكى الذى يحاول اكتشاف اجاثا كريستى

الكتاب السادس الذى تميز بطريقة خاصة لاسلوب المباحث فى الكشف عن الجرائم الغامضة .

وتحولت هذه الرواية بعد ثلاث سنوات من ظهورها الى مسرحية قام ببطولتها الممثل العظيم تشارلز لوتون وكان هذا من اهم اسباب شهرة اجاثا واعمالها التى جاءت بعد ذلك ، وتهافت الناشرون والمسرحيون والسينمائيون على كل عمل جديد يظهر من اعمالها .

بعد سنة ثلاثين زارت الشرق الاوسط لاول مرة ، مع بعثة المتحف البريطانى الى بغداد كصديقه لرجل آثار اسمه ماكسملادين الذى تزوجته فيما بعد .. وخلال هذه الرحلة كتبت « جريمة على النيل » .. وكتبت « حادث قتل فى قطار الشرق السريع » : وكل منهما قد تحول الى فيلم .

وقد ظلت اجاثا زوجة لرجل الآثار أحبته الى أن ماتت منذ خمس سنوات فقط ، عن ستة وثمانين عاما . وقد وصل توزيع روايات اجاثا كريستى فى الثلاثين سنة الاخيرة الى مليون نسخة من كل كتاب — وهذا لم يحدث لكاتب آخر فى العالم !

وقد حاولت اجاثا أن تتجه الى نوع اخر من الكتابة ولكنها فشلت جدا .. ومن اعمالها الفاشلة جدا ،كتاب عن قصة حب « الخاتون ولفرتيتى » .. وقد حاولت ان تجعل منها مسرحية ولكنها ، رفضت ولم تنتج للمسرح او للسينما .

وحاولت اجاثا بعد أن كتبت عن الحب ، وكتبت ست روايات باسم مستعار ، ولكن لم تحقق رواية منها اى نسبة من القبول لدى الجماهير .

وكان انجح أعمال اجاثا التى طبعت أكثر من مرة وانتجت للسينما ثلاث مرات : « عشرة هنود صغار » .

فى المرة الاولى مثلها والتر هاستون وبارى فيتز جيرالد وفى المرة الثانية مثله هيوج اوبراين وليو جين ..

والمرة الثالثة صور الفيلم فى ايران ، وقام ببطولته اوليفر ريد واليك سومر .

أيضا من أشهر أعمالها للمسرح « مصيدة الفئران » التى تعرض فى لندن منذ صدرت عام ١٩٥٧ ولا تزال تعرض حتى الآن ، مع اختلاف الممثلين كلما تقادمت العروض المستمرة منذ ثلاثين سنة حتى الآن .. وهذا أيضا لم يحدث لعمل مسرحى آخر فى العالم !

وقد ظلت أجاثا كريستى تقيم فى بيتها خارج لندن ، تكتب حتى يوم وفاتها .. وكانت تتردد على لندن ، فى اجتماعات نادى رجال المباحث فقط ..

وبعد وفاتها بست سنوات .. أصبحت اجاثا كريستى قصة للسينما تحاول ان تكشف عن أيام من حياتها لا يعرف عنها احد شيئا ، ولا أين كانت هى خلال تلك الايام .. ولا حتى الاسباب الحقيقية لاختفائها تلك الايام ؟!

بعد وفاتها .. صدر ما كانت قد انتهت من كتابته .. « الستارة .. آخر قضايا رجل المباحث « بوارد » .. و « الجريمة النائمة » .. وكانت قد ذهبت لتنام .. النوم الاخير الابدى ●●

وتبقين رغمي



وتبقين يبق طريقي اليك ..
على الرغم مني ..
على الرغم منك .
يقود الخطا مسرعات اليك .
ويرمي خطاي بسهم النكوص .
اذا ضل قدمي
طريقي لديك ..

***

وتبقين رغم الليالي الغضاب
ورغم احتجاج بسنين العذاب ..
ورغم الضباب ..
لقاء يتم ..
اذا حاودته حروف العتاب ..

***

فان ضل قدمي طريقي اليك ..
فلا تندمي .
فما كان مني ومنك .
سيبقى ..
برغم احتجاج الزمان
اللعين ! ●●

اسماعيل عبد الفتاح
من ديوانه
« لا تظلمي الحب »

عيد ومولد ..

● عبد الجواد طايل ●

ما لهذا الدمع فى عينيك .. قد أرغى .. وازبد !
وعلى خديك يجرى .. كل خد .. يتوسد
كل من حولك ساه .. وأنا وحدى - أشهد !
يحسب الضحكة قد رنت من القلب فيحسد ..
انما قولى لماذا رغم ذاك الحسن عربد !
وسرى فى روحك النشوى وفى سمت تجسد :
- هذه الاحزان فى عينيك أمست .. تتعبد !
هدهديها وامرحى كالطير .. أنت اليوم فرقد !
وتعالى للصبا نعدو .. وبالاحلام ... نسعد !
لا تقولى ضيع العمر هباء ... وتبدد ..
كل شيء بمواعيد ، وما للحب موعد !
لا تلومى الدهر يوما ، هكذا الدهر ... تعود !
انما انت شباب وربيع ... يتورد !
وصباح ومساء ... وفتون ... يتجدد !
وسكون ... ولحون ... وفنون تتعدد
انت أملاك .. وأفلاك .. وآباد وسرمد !
فيك ما فى البحر من عمق .. وصمت .. وتمرد !
فيك ما فى الليل من همس شجى ... وتنهد !
فيك ما فى الفن من روح طموح وتغرد !
فيك ما فى الشاعرين من جموح ... وتردد !
فيك ما فى العاشقين من صدود وتودد !
أنت كنز .. أنت ياقوت ومرجان وعسجد
أنت ميلاد لاحلامى ، ولى .. عيد . ومولد !
●●

كاريكاتير جيل جديد جدا



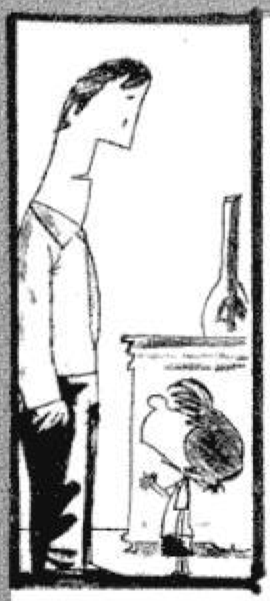
الولد : مادام فيه آلة كاتبة، نتعلم الكتابة ليه ؟ .. ومادام فيه الآت حاسبة نتعلم الحساب ليه ؟ ومادام فيه افلام تاريخيـــة ـ يا استاذنا ـ نتعلم تاريخ ليه ؟ !



ـ انا باقول مش لازم كل واحد منا يذاكر كل العلوم . كل واحد منا يذاكر النص ونشـترك في الاجابة .. المهم نلقى اشـــتركنا طريقة ماتخطرش على بال حد !



الولد : تسمح تقولي ايه اللي خلي حضرتك تشتغل مدرس .. مش كان احسن لك تشتغل تاجر مواشي ، المواشي على الاقل يمكن تجيب لك فلوس ، لكن احنا ......



الولد : لا يا عمو .. انا مش عاوز اكبر ابدا .. احسن بعدين ابقى اب ومسئول عن ولد شكلي وعفريت كده زي حالاتي ! ..



الولد : في تصوري الكاتب أعرف أن الفصل بتاعنا يمكن يكون موضوع مسلسل عظيم للتليفزيون ! .. احنا في الفصل خمسين العدد ، وعشرة مدرسين ، وكل واحد فينا لوحده مشكلة تمثل حلقة مدهشة في المسلسل !

من ذخائر العرب

تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢٢٤ - ٣١٠ هـ

● اعداد : محمد الساكت ●

● الطبري ، هو ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، علامة وقته وامام عصره ، ولد في « آمل » عاصمة اقليم طبرستان سنة ٢٢٤ هـ .

وبعد مولده ، لم يكد يبلغ السن التي تؤهله للتعلم حتى تعهد به والده الى علماء « آمل » ، وسرعان ما تفتح عقله وبدت عليه مخايل النبوغ المبكر .. وقد قال « اني حفظت القرآن ولي سبع سنين .. وصليت بالناس وانا ابن ثماني سنين ... وكتبت الحديث وانا في التاسعة » .

واخذ الطبري يرحل في طلب العلم فجاء بغداد يقرىء الحديث والفقه ، حتى مات حوالي سنة ٣١٠ هـ حيث دفن هناك .

وقد كان الطبري على مذهب الامام الشافعي ثم اختار لنفسه مذهبا في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب ، منهم علي بن عبد العزيز الدولابي ، ومحمد بن احمد بن ابي الثلج وابو الحسن احمد بن يحيى المنجم ، وابو بكر بن كامل وغيرهم ، وكل منهم الف كتبا في بسط مذهب ابن جرير الطبري ودافع عنه ورد على مخالفيه .

وقد اشتهر الطبري بقوة عارضته وفصاحته وبصبره على العمل ، حتى قالوا انه قضى اربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة ...

ولا غرابة في ذلك ، فقد روى ان كتابيه اللذين اشتهر بهما ، نعني التاريخ والتفسير - كان كل منهما يتألف اول الامر من ٣٠٠٠٠ ورقة اي ٦٠٠٠٠ صفحة ، ثم اشار عليه تلامذته باختصارهما فصارا الى ماهما عليه ..

وقد الف كتاب التفسير قبل كتاب التاريخ .

وكل منهما مرجع للباحثين والدارسين في موضوعه ، لانه استوفى الكلام فيهما ...

وكان الطبري ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه ، لسعة علمه في القرآن وعلومه وباخبار الناس وايامهم .. وكان حر الفكر صريح القول اذا اعتقد امرا جاهر به لا يخشى في الحق لومة لائم ، فكثر خصومه من العامة ومن يتزلفون اليهم او يرتزقون بعرضائهم ، ولا سيما من بعض الحنابلة لانه الف كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل ، فقيل له في ذلك فقال : «لم يكن فقيها وانما كان محدثا» فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدا في بغداد فنقموا عليه واتهموه بالالحاد وشاركهم في ذلك اكثر العامة. ولو سئل اكثرهم عن معنى الالحاد ماعرفوه ...

ولم يكن يهمه ذلك لزهده وقناعته

بما كان يرد عليه من تسربة خلفها أبوه فى طبرستان ، فلما توفى فى شوال سنة ٣١٠ هـ دفن فى داره لان بعض العامة تجمهروا وحاولوا منع دفنه نهارا .

وقد تلقى الطبرى على الكبار من علماء عصره ، وسمع من الشيوخ الثقاه **وغيرهم من اصحاب الاسانيد العالية بمصر والشام وبغداد والكوفة والبصرة والرى ، وقد جال ابن جرير الطبرى فى نواحى كل فن ، وضرب فيها جميعها بسهم حتى اصبح فى مقدمة ائمة عصره**

ولقد شغف الطبرى بالمعرفة منذ صغره حتى نهاية عمره وامتدت حياته حوالى ستا وثمانين سنة ، حفلت بالوان الثقافة المختلفة ، وبعلم متعمق فى كثير من فروع المعرفة ، مع ذكاء حاد وعقل ناضج وبعد دائب على البحث والدرس اثمرت ثروة عظيمة من المؤلفات وكانت مؤلفاته كثيرة وهائلة .

ونخص بالذكر من مؤلفاته ..تاريخ الطبرى » او كما يسمونه « تاريخ الرسل والملوك » ، تاريخ الامم والملوك» وهو يعد اوفى عمل تاريخى بين مصنفات العرب اقامة على نهج مرسوم ، وساقه فى طريق استقرائى شامل بلغت فيه الرواية مبلغها من الفقه والامانة والاتقان .

وتاريخ الطبرى يعد اول كتاب فى التاريخ العام ، اكمل به الطبرى ما ابتداه سابقوه من التاريخ للاحداث او الاقاليم او طوائف الرجال كابن سعد واليعقوبى والواقدى والبلاذرى وابن اسحاق .

والكتاب فى قسمين كبيرين ، القسم الاول : تناول فيه بدء الخليقة ، والقسم الثانى : تناول فيه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخباره وغزواته ، ثم ذكر تاريخ الخلفاء الراشدين وفتوحهم ، وجعل يتتبع تاريخ المسلمين بعد ذلك فى الدولة الاموية والدولة العباسية الى سنة ٣٠٢ هـ .

وقد طبع الكتاب فى « ليدن » بعناية المستشرق دى غويه ، واستغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ — ١٨٩٢ فى ٢٣ جزءا ، وهى طبعة علمية دقيقة على اكمل مايكون التحقيق وادق مايكون المقابلة — وهو فى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : حياة ما قبل الاسلام ثم حياة محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده الى سنة ٤٠ هـ .

القسم الثانى : من سنة ٤١ الى سنة ١٣٠ هـ .

القسم الثالث : من سنة ١٣١ الى سنة ٣٠٢ هـ ، وهو نهاية الكتاب ، و « الحقوا به الكتاب المسمى بالمنتخب من ذيل المذيل فى اسماء الصحابة والتابعين ، وقسما من مختصر الطبرى لعريب بن سعد القرطبى ، اسموه « صلة تاريخ الطبرى » مع مقدمة لاتينية تشتمل على ترجمة المؤلف ووصف نسخ الكتاب ، وشرح الكلمات اللغوية والاصطلاحية فيه ثم التصويبات والاستدراكات ثم مجلدا كبيرا بالعربية يشتمل على الفهارس العامة .

ثم اعيد طبعه مرة اخرى فى «ليدن» من ١٧٧٩ الي ١٩٠١ باشراف وتحقيق العلامة دى غويه ، وقد قام محمد بن عبد الملك الهمزانى التونى سنة ٥٢١هـ باتمام حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ ، سماه « تكملة تاريخ الطبرى » ، وقد طبع فى مصر سنة ١٩٠٦ فى ١٣ مجلدا ومرة اخرى بالمطبعة الحسينية سنة ١٩٢٠ ، ومرة ثالثة بمصر بمطبعة الاستقامة سنة ١٩٣٩ ومرة اخيرة بدار المعارف فى ١١ جزءا سنة ١٩٦٧ .

واول من قام بترجمة كتاب الطبرى هو ابو على محمد بن عبد الله العلقمى ، وقد ترجم ترجمة راعى فيها الاقتصار على ايراد الاخبار دون الاسانيد ، وتصرف فيه بعض التصرف ، ثم نقلت هذه الترجمة من الفارسية الى التركية فى عهد امير الامراء احمد باشا ، ثم ترجمة مرة ثانية مابين ٩٢٨ — ٩٣٨هـ ، وطبعت الترجمة التركية سنة ١٢٦٠ فى الاستانة .

كما ترجم ايضا من الفارسية الى الفرنسية وطبع سنة ١٨٧٤ فى اربعة مجلدات قام بها زوتنبرج ، ونقلت طبعته ايضا الى بعض اللغات اللاتينية وطبعت فى فريزوالد سنة ١٨٦٣ .

واول من ذيل على الكتاب هـو الطبرى نفسه ، فقد قال السخاوى : « وله على تاريخ المذكور ذيل ، بل ذيل على الذيل ايضا » .

وترجع قيمة هـذا الكتـاب الى انه يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة فى كتب الحديث والتفسير واللغة والادب والسير والمغازى وتاريخ الاحـداث والرجال ونصوص الشعر والخطب ، ونسق بينها تنسيقا مناسبا وعرضها عرضا رائعا رائقا ، ناسبا كـل رواية الى صاحبها وكل راى الى قائله .

ومصادر الطبرى فى هذا التاريخ هى كل ماسبقه من المواد التى عرفها العرب من قبله ، واخذ من كل متخصص فى فنه ، فقد اخذ التفسير من مجاهـد وعكرمة وغيرهما ، ونقل السيرة عـن ابان بن عثمان ، واخبار الفرس مـن الترجمات العربية من كتب الفرس ، وحوادث يومى الجمل وصفين من ابى مخنف والمدائنى ، وتاريخ الايوبيين عن عوانه بن الحكم ، واخبار العباسيين من كتب احمد بن أبي خيثمه ، وروى أخبار الرده والفتوح عن سيف بن عمـر الاسدى ، كما اخذ اخبار العرب قبل الاسلام من عبيد بن شريه الجـرهمى ووهب بن منبه .

وقد انفرد الطبرى بمنهج فى تاريخه موسوم بسمات خاصة ، فقد عـول على الرواه فى اكثر مادونه ، وحجته فى ذلك أن المؤرخ لايصح له ان يستند الى المنطق والقياس والاستنباط وان حسن ذلك منه فى قليل من المواضع .

قال فى مقدمة كتابه : « وليعـلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما احضرت ذكره فيه انمـا هو على مارويت من الاخبار التى انا ذاكرها فيه والاثار التى انا مسندها الى رواتها فيه دون ما ادرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس .. الا القليل اليسـير منه .

لهذا دون الاخبار على عهدة رواتهـا وعرضها عرضا موضوعيا محايدا ، وعزا كل رواية الى صاحبها .

وكان الطبرى يذكـر فى كل حادثة ماقيل فيها من روايات ويذكر سـند كل رواية موصولا الى صاحبه عـلى طريقة المحدثين ، فاذا نقـل من كتاب ذكر اسم مؤلفه ، وفى بعض الاحيان كان يعتمد على المراسلة .

وفى القسم الاول من تاريخ الطبرى الخاص بما قبل الاسلام كان يعـرض الحوادث غير مرتبة على حسب السنين حيث كان ذلك من الصعب تحقيقه ، فتبدا بالخليفة ثم بالانبياء وماوقع فى عهودهم من حوادث ثم بالملوك الذين عاصروهم ، وذكر الحروب والحوادث التى وقعت ايامهم ، ثم يذكر الامم التى جاءت بعد الانبياء الى أن ظهر الاسلام .

اما فى القسم الثانى والخاص بالاسلام ومابعده فقد راعى فيه ترتيب الحوادث ترتيبا زمنيا عاما بعد عام وذلك منـذ الهجرة الى سنة ٣٠٢ هـ ، وقـد سميت هذه الطريقة بالحوليات المعتمدة على توقيت الاحداث بالسنين والشهور والايام ، وقد سبق الطبرى بهـذه الطريقة كثيرين من المعارضين مثـل الواقدى والهيثم بن عدى .

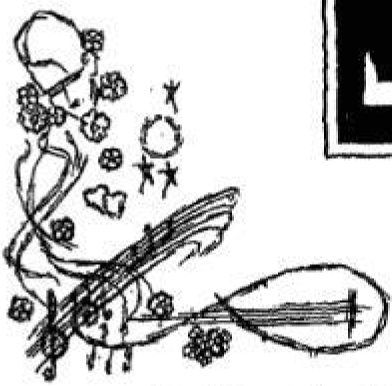
وكان الطبرى يحاكى من سبقه مـن المعارضين والادباء فى الاكثار من تسجيل النصوص الادبية من خطابة وشـعر ومحاورات فى مناسباتها التاريخية .

وكان الطبرى اذا تحدث عن خليفة من الخلفاء ، يذكر الاحداث التى وقعت فى عهده مرتبة على السنين ، ثم بعد ذلك يذكر اوصاف الخليفة ثم طرفا من اخلاقه وبعض نوادره .

وقد اعتبر تاريخ الطبرى عمـدة المؤرخين ومرجعهم فى التحقيق حتى الان وقد تغالى القوم فى اختفاوهذا الكتاب حتى كان منه فى خزانة العزيز الفاطمى صاحب مصر ٢٠ نسخة منها واحدة فقط بخط المؤلف ، وكان فى دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه ، ولم يتيسر اقتناؤه الا للملوك واهل الثراء .

وسيظل تاريخ الطبرى بما اشتمل عليـه مـن الروايات الاصيلة والنصوص النادرة اوفى واشمل مصدر للتاريخ عند العرب ..

دعيني أغني



● حسيني سيد احمد عشرة ●

دعيني اغنى ، اغنى ... لانسى همومى وحزنى !
لانسى ، انتهـــائى ، ودائى ، واوهام لهفى وظنى !
دعينى اغنى فما الوقت الا ربيـــــع التغنى . . .
دعينى اغنى جمـــــالا جليلا - واياك اعنى ! ...

لغيـــــداء حسن ونجــــلاء عين وكحلاء جفن !
دعينى اغنى طمـــوح الامـــــانى بروح التمنى ..
فما اليأس بان وما الحزن جان ، وما الكأس يغنى !
دعينى اغنى شبابى بلحن شـــــبيه بلحنى ! ...
لاحظى حياتى كمـــــا اشتهيها وابنى ، وابنى ! ..
لابنى خلودى بحبى ، وعودى ، واوتار فنى ! ...

***

كثـــير يغنى لمـــــال ... وانى لحب اغنى ! ...
فسل يا حبيبى زهـــور الامانى - تخبرك عنى ...
بانى الصّبا والصّبا والصـــــباح البهيج التسنى !
فكن لى حبيبا كبدر الليـــــالى . تكن كل كـونى !
وكن كل خـــير ، وكن كل حق ، وكن كل حسن !
وطهر فؤادى ، وزكى عمادى ، والا .. فدعنى !! ..

لطلبة الثانوية العامة في الفلسفة ...

مسألة العقل والوحي في فلسفة العصور الوسطى

● حليم فريد تادرس ●
موجه أول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الامانة العامة لتطوير التعليم

● سبق أن قدمنا - في عدد يناير من « الهلال » - مسألة الوجود كما تصورها فلاسفة اليونان، وكانت الفلسفة اليونانية قد تركت تراثا فلسفيا شديد الأثر في فلسفة العصور الوسطى، وبخاصة فلسفة ارسطو التي سيطرت على الفكر البشرى قرابة الفي عام « من القرن الرابع ق.م حتى القرن الخامس عشر الميلادى » . وكان أهم ماقدمته الفلسفة اليونانية وبخاصة افلاطون وأرسطو مايلى :

١ - قول افلاطون وارسطو بقدم العالم أى أزليته .

٢ - تصور افلاطون للوجود الاول « الله » انه « صانع » ، لا خالق - كما سلب ارسطو عن الوجود الاول كل الصفات التى تجب للاله الحق كالعلم والقدرة والارادة والمشيئة والعقل ، اذ وصفه بأنه مشغول عن العالم بالتفكير فى ذاته وتأمل كماله ، وان كلاهما استدل على وجود موجود أول من حركة الافلاك والكواكب .

٣ ـ تفسير ارسطو للوجـــــود والموجودات بنظريته فى المادة والصورة « الوجود بالقوة والوجود بالفعل »

●● واذا كان السؤال الذى طرح نفسه على الفكر اليونانى هو : مسالة الوجود ، وكان السؤال الاساسى فيها هو : ماهو « الثابت » الذى يكمن وراء « متغيرات » الوجود ؟ فان سـؤالا جديداً فرض نفسه على التفكير فى العصور الوسطى حين وجد المفكرون والفلاسفة انفسهم امام حقيقتين :

أولاهما : كتب الاديان السماوية والمنزلة بالوحى والتى لا يمكن التشكل فيها .

وثانيهما : ماجاءت به الفلسفة اليونانية من اتجاهات بعضها يتعارض مع الدين . فكان سؤال العصور الوسطى هو : هل من سبيل للتوفيق بين العقل والوحى « الفلسفة والدين» وكيف توفق بين الدين دون أن نتشكك فيه ، وبين العقل دون ان نرفضه ؟ !

وفيما يلى نقدم هذه المسالة من ثلاثة محاور اساسية تدور حولها اسـئلة امتحان الثانوية العامة :

● المحور الاول ، ما رفضه فلاسفة العصور الوسطى من اتجاهات الفلسفة اليونانية المعارضة للدين .

● المحور الثانى ـ اثر الفلسفة اليونانية فى فلسفة العصور الوسطى،

● المحور الثالث ـ كيف وفـــق فلاسفة العصور الوسطى بين العقـــل والوحى « الفلسفة والدين » ؟

... اما بالنسبة لاتجاهات الفلسفة اليونانية المعارضة للدين ، فتتعلـق بتصور افلاطون وارسطو لاثبات وجود الموجود الاول « الله » ، وصفات الله، والنفس الانسانية ، والقول بقدم العالم اى ازليته .

●● ففى اثبات وجود الله :

ويستدل افلاطون على وجود اللهمن امرين أولهما ـ تفـاوت الاشـياء المحسوسة فى صـفاتها ، يدل على أن صفاتها ليست ذاتية ، بل هى ناشئة من مشاركتها فى شىء تكون له هـذه الصفات ذاتية كاملة ، وهو « عـالم المثل » المفارق للعالم المحسوس،والذى يقع فى قمته مثال الخير ، وهو مبـدأ الايجاد والتنظيم ، وثانيهما ـ ظاهرة الحركة الدائرية التى تتجلى فى حركات الاجرام السماوية والتى لايمكن أنتكون صادرة الا عن نفس لها حركة ذاتية بها تحرك تلك الاجرام .

ـ وارسطو يستدل على وجود الاله كما استدل استاذه افلاطون مبتدئا من النظر فى العالم ومافيه من تغير وحركة يقول ارسطو : كل متحرك فهو متحرك بشىء آخر ، وقد تتعدد المحـركات المتحركات ولكنها متناهية العـدد بالضرورة ، والا لبقيت الحركة الاخيرة بغير علة ، فتصل الى محرك أول هـو علة حركة العالم فى مجموعه ، وهو علة

غائية لهذه الحركة ، اذ يتحرك العالم بحركة عشق ونزوع لكمال المحــرك الاول ، فأثبت بذلك أن فى العالم شيئا آخر غير المادة « صورة » خالصة هى محرك أول لا يتحرك .. ودليله عــلى وجود المحرك الاول دليل صحيح متين ذلك هو التصور اليونانى القــديم لاثبات وجود الاله ، واذا كان فلاسفة العصور الوسطى من مسلمين ومسيحيين قد تأثروا بدليل الحركة الــذى ساقه ارسطو الا ان تصورهم لاثبات وجــود الله كان مشبعا بالعقيدة الدينية .

● فابن سينا ، يبرهن على وجــود الله ببرهان « الممكن والواجب » .فعن طريق القسمة العقلية الى « الواجب» و « الممكن » يقول ، ان وجود الكائن الممكن يستلزم خالقا أزليا أحدثه وأبدعه هو « الواجب بذاته » وهو الله تعالى فابن سينا يبرهن على وجــود الله من نفس الوجود بصرف النظر عــن المشاهد والواقع «» فتصور الذهــن للوجود وحده يؤدى حتما الى الاعتراف بواجب الوجود لذاته ، ومن هنا لم ير ضرورة تلجئه الى استخدام ماهــو مشاهد فى العالم من حركة أو نظام فى الوصول الى اثبات وجود الله ، ذلك أن الممكن سواء فى حدوثه أو ثبــاته يحتاج الى موجود واجــب بذاته اى لا علة له ومبدا لكل معلول ..

● أما ابن رشد ، فقد سلك فى اثبات وجود الله مسلكا آخر اســه على النظر فى آيات القرآن الكريم نظـرا فلسـفيا تحليليا ، فيميز بين دليلين يمكن اخذهما من آيات القرآن الكريم .

ـ الدليل الاول ـ دليل الاختراع ، ومعنى الاختراع هو الايجاد والاحداث والمقصود منه فى نظر ابن رشد هــو اختراع جواهر الاشياء ، واختراع الحياة فى المادة ، ويقوم هذا الدليل فى نظـره على نوع من الدلالة التى يدركها الانسان بالحس والعقل ادراكا مباشرا ، فمثـلا فيما يتعلق بعالم الكائنات الحية نحــن نلاحظ حدوث النبات والحيوان، وهذا يدل بحكم الضرورة العقليــة على ان للحياة علة ، وفيما يتعلق بنظــام السموات فنحن نلاحظ ان الاجــرام السماوية تلزم فى سيرها حركات معينة تؤدى الى تحقيق غايات ، وخصوصــا فيما يتعلق بالارض وما عليها ، ومعنى هذا ان الاجرام السماوية مســخرة مقهورة ، والعقل يقضى بان المســخر مخترع مخلوق بالضرورة .

ـ والدليل الثانى ـ دليل العناية ، وهذه العناية محورها الانسان خاصة، فنحن نلاحظ ان جميع نظــام العالم من الشمس والقمر والليل والنهــار ، وكل ما على ظهر الارض يلائم للحيــاة الانسانية بل ان تركيب الانسان نفسه ملائم لحياته على الارض ، هــذا شىء نلاحظه بالحس ، والعقل يقضى بان تكون هذه الملاءمة ناشئة عن فعل صانع مدبر حكيم قدير قصد ذلك وأراده .

● اما توما الاكوينى ـ وهو احــد فلاسفة المسيحية ـ فقد استدل على وجود الله بعدة براهين يمكن ردها الى برهان واحد هو برهان العلية ، فالعالم المحيط بنا ينطوى على معدلات لها علل والعقل يدلنا على امتناع التسلسل الى غير نهاية فى سلسلة هذه العلل ، فتقف بالضرورة المنطقية عند علة أولى هى الله أضف الى ذلك ما فى العالم من نظــام يتصف بالاستمرار والثبات والاحكام ؛ لايمكن ان يكون وليد الصــدفة ؛ لان

● ابن سينا يبرهن على وجود الله ببرهان « الممكن والواجب » فعن طريق القسمة العقلية إلى الواجب و الممكن يقول إن وجود الكائن الممكن يستلزم خالقا أزليا أحدثه وأبدعه ، هو « الواجب بذاته » وهو الله تعالى.

الصدفة لا تصنع الاستمرار والثبات والاحكام .. فلابد من علة عاقلة تفوق عقل البشر هي الله

●● وفي صفات الله :

● يصف افلاطون الموجود الاول « الله » بأنه مثال الخير ، كما وصفه بأنه « صانع » وزعم أن هذا الصانع ليس مبدعا بالمعنى الحقيقي ، وانما هو يصنع من شيء موجود ، يصنع الموجودات المحسوسة من أربعة عناصر ازلية ابدية هي الهواء والماء والنار والتراب ، محتذيا في صنعها بالمثل الازلية الابدية أيضا .

واذا كان افلاطون قد نسب الى الاله صفة « الصانع » فقد سلب ارسطو من الموجود الاول « الله » كل الصفات التي تجب للاله الحق كالقدرة والارادة والفعل والمشيئة والعلم فلا يعلم الا ذاته ، ولا يعقل غير ذاته ، لايعلم احوال الاشياء لانها متغيرة ناقصة والاله عنده « عقل مفارق للمادة » أو « صورة خالصة » ولما كان يقول ب « هيولى أولى أزلية » « مادة اولى ازلية » وبصورة ازلية ايضا ، وبأن المادة تحركت من نفسها عن شوق الى المحرك الاول ، ونزوع نحو الموجود الكامل ـ فان الاله عنده لا يمكن أن يكون خالقا لشيء ، ومن ثم ليس له في العالم تدبير ولا عناية ، وكان قصده بذلك ان ينزه الاله عن العلم بالاشياء التي دونه او بالاشياء المتغيرة ، فجعله جاهلا بكل شيء .

ـ وغني عن البيان أن فلسفة العصور الوسطى ستقف من صفات الله موقفا معاكسا تماما لموقف الفلسفة اليونانية ، وسندها في ذلك العقيدة الدينية .

● فابن سينا ـ يصف الله « واجب الوجود الواجب بذاته » بكل الصفات التي وردت في الاسلام فجاءت هذه الصفات مشعشعة بالروح الاسلامية ولها معاني روحانية سامية ، فالله واحد لا شريك له ولا ند له ولا شبه له ولا مثل له ، وهو واجب الوجود ، خلق العالم من لاشيء فالعالم ابداع من الله تعالى ، والله ليس بجسم .. وهو حي ثم أن علم الله شامل للجزئيات والكليات لا يخفى عنه مثقال ذرة مما في السموات والارض .

● وابن رشد ـ يصف الله بالوحدانية طبعا ، كما يصفه بالعلم بالجزئيات والكليات ، فالله يعلم الجزئيات قبل وقوعها على نحو اشرف واكمل من العلم الذي يتاح للانسان ، وعلم الله بالكليات علم محيط بالكون كله ، والله قادر ومريد وعادل ، وقدرة الله وارادته ليست واجبة عليه ، ثم انه لا ينتظر خيرا من عدله فسبحانه تعالى يقول

لا لان ذاته تستكمل بذلك العدل ، بل لان الكمال الذى فى ذاته اقتضى ان يعدل ومن هنا لا يتصف الله بالعدل والقدرة والارادة على الوجه الذى يتصف به الانسان ، اضف الى ذلك ما وصف به الله تعالى من انه « سميع بصير » بمعنى انه تعالى عالم بمدركات السمع والبصر وانه لا يفوته نوع من انواع العلوم .

● وتوما الاكوينى ــ يصف الله بالكمال الالهى ، فينفى عنه تعالى الحركة والتغير والانفعال والتركيب والجسمية والمكانية ، اما علم الله فمطلق وقدرته لا نهائية ، هذا الى جانب صفات التثليث التى قالت بها المسيحية .

●● وفى النفس الانسانية :

● كان افلاطون يقول بقدم النفس اى ازليتها ، اذ كانت فى اول امرها فى العالم المعقول « عالم المثل » خالصة من الجسم والمادة ، ثم ارتكبت اثما ، فكان عقابها الهبوط الى الجسم .

● وقد رفض ابن سينا هذا التصور للنفس لمعارضته للدين ، ومن هنا نفى ابن سينا ان يكون للنفس وجود قبل البدن .. وقال بحدوث النفس ، اذ تصدر عن العقل الفعال وتدخل فى الجنين عندما يتهيأ البدن الصالح لاستخدامها .. وتعود للعقل الفعال بعد مبارحة الجسد ، وفى القرآن الكريم « ثم انشأناه خلقا اخر » هذا الانشاء هو افاضة النفس على البدن .

●● وفى مسالة قدم العالم او حدوثه :

● يتفق ارسطو مع استاذه افلاطون فى القول بقدم العالم اى ازليته ، فالعالم قديم غير مخلوق ، اذ يصف افلاطون وارسطو حركة الافلاك والكواكب بانها حركة دائرية ، وكل ماهو دائرى لابداية له ولا نهاية « ازلى ابدى » ثم ان افلاطون يقول باصل ازلى ابدى للعالم هو العناصر الاربعة والمثل . ويصف الله بانه مجرد صانع لعالمنا المحسوس من هذه العناصر الاربعة الازلية محتذيا فى صنعها بالمثل الازلية ايضا ، ونجد ارسطو يسلب من الموجود الاول « المحرك الاول » كل الصفات التى تجب للاله الحق ، ويتصوره على انه مجرد علة غائية لحركة العالم .. ومن هنا كان الاله عنده لايمكن ان يكون خالقا لشىء .

ــ وقد رفض فلاسفة العصور الوسطى التصور سالف الذكر لمعارضته للدين .

● فابن سينا : يذهب الى القول بالابداع ويرفض القول بالايجاد والصنع والفعل والاحداث والتكوين ، والابداع يعنى ان يكون الشىء لا من مادة ولا من زمان سابق ، فالعالم ابداع من الله .. خلق الله العالم من لا شىء ... والله علة الخلق والتحريك .. فالله فاعل الكل بمعنى انه الموجود الذى يفيض عنه كل موجود .. فالله واهب الكون كله الوجود والماهية .. وهذا ما يسمى بنظرية الفيض او الصدور الالهى ..

● وابن رشد .. يصف العالم بانه حادث وحسبه مافيه من مظاهر الخلق والاختراع ، والعناية الالهية .

● وتوما الاكوينى ــ ايضا ــ يقول بحدوث العالم مستشهدا على ذلك بدليل العلية ودليل النظام فى الكون .

● ابن رشد يصف الله بالوحدانية كما يصفه بالعلم بالجزئيات والكليات، فالله سبحانه يعلم الجزئيات قبل وقوعها على نحو أشرف وأكمل من العلم الذي يتاح للانسان ، وعلم الله تعالى بالكليات علم محيط بالكون كله ، والله قادر وعادل ومريد .

... اما بالنسبة لاثر ارسطو فى اتجاهات فلاسفة العصور الوسطى فيبدو فى الاتى :

١ ــ فى اثبات وجود الله تاثر ابن رشد وتوما الاكوينى بدليل الحركة والمحرك الاول . وهو دليل ارسطى ــ ولكنهما لا يذهبان مذهب ارسطو فى القول بان حركة الافلاك السماوية قديمة بل هى حركة مخلوقة حادثة ..

٢ ــ فى تفسير الموجودات الطبيعية تاثر ابن سينا بنظرية ارسطو فى « المادة والصورة » فكل موجود طبيعى أو صناعى فى تصور أرسطو وابن سينا يتألف من مادة « وجود بالقوة »وصورة « وجود بالفعل » ، بيد أن ابن سينا قد أضاف ماسماه « الصورة الجسمية» فكل جسم طبيعى عند ابن سينا يتألف من « مادة » بالمعنى الارسطى ، و « صورة » نوعية تحدد ماهية الشيء وصورة جسمية تعطى للجسم صفة الامتداد والتناهى والتشكل ، وهى علة الكثرة فى الموجودات الطبيعية، فالجسم مادة ويحتاج فى وجوده الى شيء اخر خلاف « الصورة » الارسطية هى الصورة الجسمية .

٣ ــ فى التوفيق بين الفلسفة والدين ، اعتمد كل من ابن رشد وتوما الاكوينى على منطق ارسطو لاعتماده ــ من ناحية ــ على مبدأ عدم التناقض مما يجعل المسائل واضحة ، فضلا عن القياس الارسطى ــ من ناحية اخرى ــ أفضل وسيلة لاقناع الاخرين ، اذ يبدأ من مقدمات مسلم بها، وهذا يقتضى التسليم بالنتائج، فاذا اخذنا بالمسلمات الدينية استطعنا أن نسلم بجميع النتائج المترتبة عليها .. هذا فضلا عن أن توما الاكوينى استخدم الفلسفة الارسطية فى الدفاع عن المسيحية والتوفيق بين الفلسفة والدين على النحو الذى سنوضحه فيما بعد .

... اما بالنسبة **للتوفيق بين العقل والوحى « الفلسفة والدين » فقد جرت المسالة عند فلاسفة العصور الوسطى على النحو التالى :**

● ابن سينا : يتصور ابن سينا المسألة على النحو التالى :

الممكن بذاته ، وهو العالم ، واجب بغيره فى نفس الوقت ، فالعالم ممكن بذاته ، ومن هنا فقد وجد فى علم الله فاخرجه الله من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل ، والله قديم بالذات سرمد لا يحيط به وقت ولا محل ، فالعالم كما كان فى ارادة الله قديم ، لكنه واجب بغيره ، لانه يستمد وجوده من الله .. فالعالم قديم قدم العلة الاولى « الله » ولكنه مخلوق اذا استمد وجوده من الله لكان ابداعا منه تعالى ... اى خلقا من لاشىء ..

وهكذا وفق ابن سينا بين القول بقدم العالم وفق تصور فلاسفة اليونان والقول بانه مخلوق ، وفوق ماجاءت به العقيدة الدينية .

● اما ابن رشد : فقد بدا بابداء حكم الدين فى النظر العقلى « الفلسفة » ثم انتهى الى اثبات عدم التعارض بين النظر العقلى « الفلسفة » والشرع « الدين » وذلك على النحو التالى :

ـ من حيث حكم الدين فى النظر العقلى يقول ابن رشد ان الدين يدعو الى النظر العقلى ، ويؤسس ذلك على الآتى :

١ ـ ما ورد فى القرآن الكريم من ايات بينات تدعو الى النظر العقلى ، قال تعالى « او لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء » .

٢ ـ ان الشرع فيه الظاهر والباطن، والسبب فى ذلك هو اختلاف ما فطر عليه الناس وتباين عقولهم فى التصديق فالظاهر للعامة منهم والباطن لخاصتهم وهم اهل النظر « الفلاسفة » قال تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن» وقال تعالى ايضا « هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات » الى قوله تعالى « وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم »

٣ ـ ان الشرع يدعو الى اعمال المنطق فى مسائل العقيدة ، قال تعالى « فاعتبروا يا أولى الابصار » والاعتبار بمعنى الاستنباط العقلى المنطقى من معلوم الى مجهول ، وفى هذه النقطة يقول ابن رشد ، اذا كان الفقيه يفعل هذا فى كثير من الاحكام الشرعية فلاحرى ان يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان اى من هو من اهل النظر .

ـ اما من حيث اثبات عدم التعارض بين النظر العقلى والشرع ، فيعبر ابن رشد عن ذلك من خلال قياس برهاني « أرسطي » على الوجه الاتى « النظر العقلي للوصول الى الله يامر به الدين « مقدمة كبرى » ، الفلسفة هى النظر العقلى للوصول الى الله « مقدمة صغرى » ، اذن الفلسفة يامر بها الدين « نتيجة » .

ويدلل ابن رشد على صدق المقدمة الكبرى بما اسلفناه من ايات الذكر الحكيم وغيرها كثير ، اما المقدمة الصغرى فلا تحتاج الى تدليل لانها تعريف للفلسفة فى عصره ، وهكذا يخلص ابن رشد الى أن الدين قد اوجب دراسة الفلسفة ، وانه لما كان الدين حق تصبح الفلسفة حق ،والحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له ، ويستطرد ابن رشد قائلا انه اذا كان بعض الفلاسفة قد زاغوا وضلوا فلا يكون العيب فى الفلسفة بل فى الفيلسوف لنقص فى فطرته او سوء ترتيب أفكاره او غلبة شهواته ، او نقص حاجته للفهم ، وهو فى هذه الحالة اشبه بمن شرب فشرق فمات ، فلا يكون العيب فى الماء بل فى الشارب

● اما توما الاكوينى فيتناول المسألة من جانب اخر متأثرا تماما بارسطو ، فالعقل كما يقول توما محدود بالهيولى « المادة » والحواس ، اما الله فعقل خالص وروح خالصة ، ومن هنا ليس فى قدرة العقل الانسانى أن يتجاوز مجال الحقيقة العقلية بالافتاء فى مسائل تتجاوز حدود العقل ، ومن هنا تعين الاخذ بالحقائق الايمانية ، فالعقل عنده تابع للايمان ولكنه مع احتفاظ كل بهويته . فالعقل فى مقدوره « التوضيح » فى الحقائق الدينية ومن هذا التوضيح يتم التوفيق بين الفلسفة والدين ، والعقل فى مقدوره ان يثبت وجود الله ابتداء من الموجودات الطبيعية واستنادا الى مبدأ العلية ،

● يتفق أرسطو مع أستاذه أفلاطون في القول بقدم العالم أي أزليته، فالعالم قديم غير مخلوق إذ يصف أفلاطون وأرسطو حركة الأفلاك والكواكب بأنها حركة دائرية، وكل ما هو دائرى لا بداية له.

وعند حد البرهان على وجود الله يقف العقل. ولا يستطيع أن يتجاوز هذا الحد الا اعتمادا على الايمان، ومن هنا فقد جعل توما الغلبة للايمان الذى يستند الى الوحى، على الفلسفة المكتسبة بالعقل، ويعتبر الوحى محطا للحقيقة ان خالفه العقل ضل سبيلا.

● ومما سبق يبين الآتى :

١ ـ ان الفلسفة الاسلامية كان لها شخصيتها المستقلة ومشكلاتها التى انفردت بها، والحلول التى قدمتها لهذه المشكلات مستعينة فى وضعها بالعقيدة التى يدين بها اهلها، وفيها جميعا حاول فلاسفة الاسلام ان يوفقوا بين ماقالته الفلسفة اليونانية القديمة وما اقره الدين الاسلامى، فأثبتوا بهذا ان حقائق الوحى الالهى لاتناقض ومنطق العقل السليم.

٢ ـ أن الفلسفة الاسلامية قد عالجت فى نظرة عميقة المشكلات الفلسفية التى واجهت الفلاسفة فى كل زمان ومكان، وفى علاج فلاسفة الاسلام لهذه المسائل لم يكونوا مجرد نقله لما جاءت به الفلسفة اليونانية ـ وبخاصة ـ أرسطو ـ وليس ادل على ذلك من معارضتهم له فى مسائل كان علاجهم لها مناط الجدة والطرافة وفى مقدمتها مشكلة الألوهية، وقدم العالم، وخلود الروح وهى من أهم مقومات الدين الاسلامى، وفى كل هذا كانوا يحاولون التوفيق بين الفلسفة والدين اى العقل والوحى.

٣ ـ ان الفلسفة المسيحية وبخاصة « توما الاكوينى » قد ميز بين ميدان العقل وميدان الايمان، ورأى ان العقل وظيفته ان يهيىء للناس النظر ويقودهم الى الايمان، وهكذا أثبت انهما ـ ميدان العقل وميدان الايمان ـ متمايزان موضوعا ومنهجا، فأداة الفلسفة هى العقل، واداة الدين هى الوحى، والايمان يقوم على النقل، وعلى العقل ان يحاول تفهم الايمان، والا يتعارض هو ومقتضياته، وان يدع للنقل « الدين » ماليس فى مقدوره أن يدركه وكان لهذا الفيلسوف الفضل فى التمكين لتراث ارسطو، وان كان يتخلى عن تأييده كلما بدا على غير اتفاق مع تعالم الدين..

● تلك هى مسالة العقل والوحى كما تصورتها العصور الوسطى عرضناها باسلوب جديد يعين الطالب على الفهم والربط وادراك العلاقات وحسن انتقاء المعلومات ومقارنتها، ومن هنا فقد ركزنا على مقارنة اتجاهات فلاسفة العصور الوسطى باتجاهات فلاسفة اليونان فاوضحنا ماذا رفضوا وماذا اخذوا ؟ وكيف وفقوا بين الفلسفة والدين، وهذه المحاور تمثل مطالب اساسية قد لا يحققها الكتاب المدرسى الذى عرض لكل فيلسوف على حدة، وكان سندنا فى ذلك الكتاب المدرسى وبعض المراجع، وامتحانات الثانوية العامة خلال الربع قرن الاخير، وخبراتنا التعليمية والتربوية.

● حليم فريد تادرس ●

موجه اول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الامانة الفنية العامة لتطوير التعليم

المدرسة الجديدة

● محمد نجيب ابو العزم ●

● سادت النزعة الرومانسية الشعر العربي خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين . وقد عرفنا ان الشاعر الرومانسي يغلب عليه طابع العـزلة والانطواء على نفسه يعزف شعره على الالم ، ويوقع على وتر الحـرمان والاحزان ، كما انه يستشرف دائما عالما بعيدا عن الواقع يعيش فيه محلقا بخياله بين الرؤى الشعرية المغرقة في الخيال . ومن ثم فقد أطلق بعض النقاد على هذه الظاهرة في الادب (مرض العصر) .

ثم جدت ظروف واحداث سياسية واجتماعية وفكرية اخرجت الشاعر من عزلته وجذبته من سماء الخيال الى ارض الواقع ليرى الاحداث التي تجرى فوق هذه الارض ، ويجعل منها تجارب شعرية تؤدى رسالتها نحو المجتمع والحياة .

ومن هذه الظروف والاسباب التى أدت الى هذا التغيير نذكر ما يأتي :

- ● ما أحدثته الحرب العالمية الثانية من هزات فكرية وسياسية واقتصادية بالعالم أجمع .
- ● الصراع المذهبي بين الفكر الاشتراكي والشيوعي المتطرف ، وبين الفكر الرأسمالي أو الاشتراكي المعتدل .
- ● انتشار حركات التحرير في البلاد التي وقعت تحت وطأة الاستعمار في آسيا وأفريقيا .
- ● الثورات العربية المتلاحقة وحصول الدول العربية على استقلالها .
- ● الصراع الذى دار بين العرب واليهود في فلسطين .
- ● انتشار ألوان من الفكر الاجنبي بين أبناء العرب والمثقفين .

***

كل هذه العوامل جعلت تيار الرومانسية ينحصر رويدا رويدا ويفسح المجال لظهور تيار شعرى جديد ..

وفى عام ١٩٤٨ بدأت بواكير هذا التيار الشعرى فى الظهور ، وذلك عنـدما طلع جماعة من الشعراء العرب على العالم العربى بأشعار تختلف عما ألفنـاه من حيث المضمون الشعرى والشكل الجديد للقصيدة العربية .

ونذكر من وراء هذه الحركة : عبد الوهاب البياتى ، وبدر شاكر السـياب

بالعراق وعبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور وعبد المعطى حجازى بمصر • ومحمد الفيتورى وصلاح أحمد ابراهيم من السودان ، وفدوى طوقان وسلمى الخضراء من فلسطين ، ثم تكاثر شعراء هذه النزعه الجديدة فى كل ارجاء الوطن العربى حتى صاروا أغلبية لا يكاد يحصرها العد ..

● على أن معظم شعراء هذه الحركة الجديدة لم يتخلصوا فى مراحلها الاولى من النزعه الرومنسية ، الى أن اتضحت معالمها شيئا فشيئا وتخلص شعراؤها من كل رواسب الرومنسية •

خصائص المدرسة الجديدة •

أولا : من ناحية المضمون •

انطلقت حركة الشعر الجديد من منطلقات ومفاهيم أساسية أهمها :

١ ـ أن القصيدة تجربة انسانية عامة ، وليست قاصرة على التجارب الذاتية الفردية •

٢ ـ ان الشعر تعبير عن معاناة حقيقية للواقع ويرتبط به ارتباطا صميما •

٣ ـ الشعر تعبير عن كل القدرات الانسانية من عاطفة وخيال وعقل وفكر •

٤ ـ موضوعات الشعر هي موضوعات الحياة بعامة

٥ ـ للشعر وظيفته في خدمة المجتمع ، فهو يكشف عن الزيف والفساد ومؤازرة حركات التحرر السياسى والاجتماعى ، ويسعى الى تحقيق مجتمع يسوده العدل والامن والسلام •

ثانيا : من ناحية الشكل :ـ

وعندما أراد شعراء هذه المدرسة أن يعبروا عن هذه المفاهيم وتلك المضامين الشعرية الجديدة ، وجدوا أن الاطار التقليدى للشعر لا يتسع لاستيعاب موضوعاتهم الجديدة ، فخرجوا على هذا الاطار واستحدثوا تقاليد جديدة وأشكالا تختلف عن التيار التقليدى للقصيدة من حيث الموسيقى واللغة •

وقد تمثلت هذه التقاليد وتلك الاشكال فيما يأتى :ـ

١ ـ القصيدة بناء فكرى وشعرى يبدأ من لحظة بعينها ثم يأخذ فى التطور والتدرج حتى يكتمل البناء •

٢ ـ القصيدة فى الغالب تنقسم الى اجزاء كل جزء منها يمثل وقفة فكرية وشعورية جديدة •

٣ ـ استخدم الشاعر السطر الشعرى بدلا من البيت التقليدى الذى يتكون من بحر شعرى معين وينقسم الى شطرين متساويين فى عدد التفعيلات ، والسطور الشعرية تطول وتقصر وفقا للمعنى ، والقوافى تتنوع وتتعدد دون التقيد بنظام محدد لتوزيع القوافى

٤ ـ الاعتماد على الموسيقى الداخلية التى تنبعث من خلال تفاعل الكلمة مع الصورة مع الفكر والوجدان •

٥ ـ استخدام اللغة القريبة من لغة الحياة ، والتى تكتسب من دنيا الشاعر دلالات شعورية وايحائية جديدة •

٦ ـ الاعتماد ـ احيانا ـ على بعض الرموز والاساطير التى تكسب التعبير ثراء وحيوية •

٧ ـ اتساع نطاق الصورة الشعرية من مجرد التشبيه فى جملة او الاستعارة فى كلمة الى الصورة الممتدة ، او الصورة الكلية المركبة •

● **موقف النقاد من المدرسة الجديدة :ـ**

هذه المقومات التى استحدثتها المدرسة الشعرية الجديدة ، لعبت فى بدايتها حملة من النقد العنيف •

● فاتهم شعرها بأنه خال من الوزن والقافية •

● واتهمت لغة هذا الشعر بأنها لغة نثرية مبتذلة •

والحقيقة أن شعر هذه المدرسة لم يخل من الوزن ، وذلك لان الشاعر وان لم يلتزم بالبحر الشعرى والوزن التقليدى الا انه ظل ملتزما بوحدة « التفعيلة »

وهذا هو الفرق بين السطر الشعرى والسطر النثرى ٠
أما عن اللغة ، فنحن نقول : انه ليست هناك لغة خاصة بالشعر ، وانما كل لفظة صالحة له ما دامت قادرة على نقل الفكر والاحساس اللذان يملأن عقل الشاعر ووجدانه ٠

● سؤال للمناقشة : ـ
وازن بين كل من المدرسة الكلاسيكية والرومنسية والجديدة من حيث الوزن والقافيه ، واللغة ٠ مع التمثيل ٠

نموذج من الشعر الجديد
الى اول جندى رفع العلم فى سيناء
للشاعر صلاح عبد الصبور

أحداث العبور الفذ غنية بالمواقف النادرة التى تستهوى كاتب المقال والروائى والشاعر ٠٠٠ مواقف جمعت بين ألوان عديدة من البطولات والاحداث ٠٠ بدءا من بطـولة الاعداد والتخطيط الدقيق الرائع ، ثم ضربة الطيران التى فاجأت العدو وفجعته فى كبريائه ، وأفقدته توازنه ، العبور الماحق ، واقتحام الحصون واختراق السدود ٠ والتحام الالوف من الدبابات الهادرة ٠
وهناك أيضا ، تلك البطولات الفـــردية المذهلة ٠٠٠ الى غير هذا وذاك من الاحداث المثيرة ٠
ولكن شاعرنا من بين ذلك كله قد اختار لحظة ٠ بعينها توقف عندها ٠ هى اللحظة التى راح فيها جندى ممن عبروا القناة يرفع علم مصر على أرض سـيناء اختارها الشاعر لانها لحظة غنية بالمشاعر والمعانى ٠٠ فهى تعنى السيادة كما تعنى النصر وتحرير الارض ٠

● التعليق على النص ●

١ ـ أول ما نلحظه فى هذه القصيدة أن الشاعر تجنب الاسلوب التقريرى للمعانى وآثر أسلوب الخطاب لاول جندى رفع العلم فى سـيناء ، وهو بهـذا الاسلوب قد استطاع أن يستحضر أمام أعين القارىء صورة الجندى الذى ظهر مشرقا على الشاشة البيضاء (التليفزيون) حتى لكأن القـارىء يرى المشـــهد ويحسه ويعيش مع الشاعر هذه اللحظة الفريدة النادرة فى حياة الجندى وحياة كل مصرى ٠
٢ ـ اختار الشاعر لغة أميل الى اللغة التصويرية الموحية المشعة بالمعانى ٠٠ لغة قريبة من لغة الحياة ولكنها غنية بالايحاء والتأثير والدلالات الشعورية ٠٠ وحسبنا أن نقرأ من القصيدة هذه السطور لنتعرف على هذه الظاهرة الواضحة ٠
يقول الشاعر :

تمليناك حين أهل فوق الشاشة البيضاء
وجهك يلثم العلما
وترفعه يداك لكى يحلق فى مدار الشمس
حر الخفق ملتحما
كان الوجه مبتسما
ولكن كان هذا الوجه يظهر ثم يستخفى

فأنت لست بحاجة الى البحث عن معانى هذه الكلمات لانها من المعجم اللغوى المألوف القريب المتداول ٠ ولكنها قد اكتسبت طاقة تعبيرية ٠ وحسبك أن تتأمل هذه الكلمات ٠

● شعراء المدرسة الحديثة وجدوا أن الاطار التقليدي للشعر لا يتسع لاستيعاب موضوعاتهم الجديدة ، فخرجوا عن هذا الاطار واستحدثوا أشكالا جديدة وشكلا لا يختلف عن الإطار التقليدي للقصيدة من حيث الموسيقى والتف...

(تمليناك) .. وما توحي من امعان النظر واطالته والاهتمام البالغ الذى تراه فهي اجمل من قولنا (رأيناك) .

وكلمة (اهل) الا ترى انها اكثر امتلاء بالمعاني من كلمة (ظهر) ففيها ايحاء بالبشر والاشراق والفرحة .

وكلمة (يلثم) الا ترى فيها دلالة على الحب والتقدير والاعزاز .

ولفظه (يحلق) وما فيها من معنى الانطلاق من القيد والتحرر من الحبس والجمود الذى ساد أيام الهزيمة .

وقوله (في مدار الشمس) . أليس فيه دلالة العلو والسمو لمكانة هذا العلم.

وكلمة (مقتحما) الا ترى فيها معنى القوة واجتياح العوائق والسدود والاحساس بالاقتدار والاعتداد .

وفي تعبير الشاعر بقوله (وكان الوجه مبتسما) . الا تجد البساطة واليسر الذى قد يذكرك بقول المتنبي عن سيف الدولة .

تمر بك الإبطال كلمى هزيمة ولفرك وضاح ووجهك باسم

واذا وقفت عند قول الشاعر ..

ولكن كان هذا الوجه يظهر لم يستخفي .

الا ترى في هذه المطابقة دقة في نقل الصورة التى يشاهدها على الشاشة حتى لتحس بحركتها كما رآها .

وهكذا لو تتبعنا لغة الشاعر في بقية القصيدة لوجدنا فيها الكثير من الكلمات الغنية بالايحاء والتأثير .

٣ ـ وعندما نتجه الى الجانب الفكرى من هذه القصيدة نجد أن الشاعر قد اتخذ من الجندى ومن لحظة ارتفاع العلم محورا لكثير من المعاني والمشاعر . فان الاذاعة لم تقف عند صفة الجندى ولا اسمه لانه في تلك اللحظة قد خرج من كونه (الفريق ـ أو النقيب أو الرقيب) ومن كونه فلانا أو فلانا ، الى حالة من التجرد الباهر فأصبح رمزا لمعاني الحب والخير والمجد والنور والقدرة الباهرة .

.. بل ان الشاعر لم يكتف بالوقوف عند الجندى وما أنجزه من أعمال وما صنعه من آيات الاعجاز وما فتحه من صفحات جديدة لتاريخ مصر ، وانما راح يلتمس أثر ذلك في نفوس المواطنين البعيدين عن أرض القتال .

تراك وانت تصنع آية وتخط تاريخا
تراك ذكرتني وذكرت أمثالي من الفنانين والبسطاء
وكان عذابهم هو حب هذا الخافق الهائم في الانواء
وخوفا ان يمر العمر لم يرجع الى وكره
وما هو عاد يخفق في مدى الاجواء

فالشاعر هنا يشير الى أيام الهزيمة المرة ، وكيف ان الناس كانوا يتجرعون

هذه المرارة اذ يرون علم بلادهم رمز وطنهم الحبيب مضـيعا تتقـاذفه رياح الهزيمة ، ويستبد بهم الخوف الشديد من أن تنقضي الايام وتنتهي الآجال قبل أن يتنسموا عبير النصر ، ويعود العلم الى شموخه فوق سيناء فيضع نهاية لهذا العذاب ..

فالشاعر لم يقف عند اللحظة التي يراها ، وانما يتخذ منها منطلقا للحديث عن أيام مضت بآلامها .. وساعات أقبلت بآمالها ..

ولا يفوت الشاعر ـ وهو يجعل من الجندى محورا لكل مشاعر المواطنين ـ أن يشير الى هذه المشاركة الوجدانية والروحية والاندماج بينه وبين الجنـدى ومواطنيه اذ يقول :

فهل باسمى وباسمهم لثمت النسج محتشدا
وهل باسمى وباسمهم مددت الى الخيوط يدا
وهل باسمى وباسمهم ارتعشت بهزة الفرح
وأنت تراه يعلوا الافق متئدا ..

فهو يقرر أن الجندى حينما قبل العلم ، انما كان يحمل في شـفتيه كل مشاعر المواطنين ، وحينـما امتدت يده ليرفعه كانت تلتقى معه أيديهم .. وعندما اهتز كيانه من شدة الفرحة كانت الامة بأسرها تهتز معه .. والجميع يتابعون معه وبعيونهم يرون العلم يرتفع في وقار وهدوء ورزانة .

ومن الجانب الفكرى في هذه القصيدة أيضا نذكر ان اللحظات القصار التي وقفها الشاعر أمام مشهد الجندى ، جعلته يتجاوز الصورة المحدودة على الشاشة والتي سرعان ما فقدت معالمها وملامحها لتتحول الى ظلال ممتدة لا حدود لها . فهي تتراءى له وكأنها جذع جميز على ترعة تذكره بأصالة الريفي وعراقته ، أو انها قطعة من صخرة الاهرام تذكره بحضارة مصر القديمة وصلابتها أمام المحن أو لعلها هي النيل بما فيه من معاني الخير والحياة .

رأيتك جذع جميز على ترعه
رأيتك قطعة من صخرة الاهرام منتزعة
رأيتك جانبا من حائط القلعة
رأيتك دفقة من ماء النيل
وقد وقفت على قدمين
لترفع في المدى علما .

٤ ـ الخيال

ونظرة الى عنصر الخيال في النص توقفنا على ألوان الخيال في الشعر وقد اجتمعت والتقت في سطور القصيدة .

فهناك الصورة المفردة والخيال الجزئي : (الاستعارة ـ الكناية ـ التشبيه) ... فالاستعارة في قوله (لم يرجع الى وكره) وهي تتخيل العلم وهو يعـود الى سيناء كالنسر الكاسر الذي يعود آخر النهار بعد يوم من العناء الى وكـره حيث الاستقرار والراحة والطمأنينة .

والكنـاية في قوله (وبين ظل الله والاملاك) وهي كناية عن رعـاية الله وملائكته لجنده المؤمنين ، وتأييده لهم بالنصر المبين .

والتشبيه في قوله (ترده للشمس خدنا) اذ يشبه العلم وكأنه رفيق ملازم للشمس ، دلالة على علو مكانه وسمو منزلته .

وهناك الصورة المركبة والخيال الكلي .

وحسبك أن تطل على الجزء الثالث من هذه القصيدة لترى صورة تعتمد على الحركة وترتيب الاحداث ..

فالجندى يحمل العلم بين يديه ويقبله ، ثم يمد يده الى الخيوط ليرفعه ، ثم

يهتز كيانه ويرتعش من هذه الفرحة ثم يأخذ فى الارتفاع بطيئا هادئا متئدا ثم تأتى الهمسة الخاشعة بسورة الفتح ، وعندئذ تحلق الملائكة من حوله تحرسه وترعاه ، وأخيرا يستقر فى مكانه العالى هناك هنـاك حيث الشمس هى الحضن والرفيق •

صورة كلية تجمع بين الخيال الجزئى والوقائع المادية متمثلة فى الحـركة واللون والصوت •

وهناك الخيال الابتكارى الذى يعتمـد على براعة القــارىء فى الربط بين العلاقات القريبة والبعيدة •• وذلك فى تشبيه الجندى بجذع الجميز حينا ، وبصخرة الاهرام حينا آخر ، ثم بدفقة النيل ليشير الى ما يعنيه الجنـدى من أصالة الريفى ، وعراقة الاهرام والحضارة المصرية ، والحياة الخالدة المستمرة القادمة مع دفقات النيل •

٥ ـ البناء الموسيقى للقصيدة : ـ

وحين تلقى نظرة على البناء الموسيقى للقصيدة نلاحظ الظواهر الآتية •

ـ ان شكل القصيدة يختلف اختلافا كليا عن الشكل المعهــود للقصـيدة القديمة •

ـ فالشاعر استخدم السطر الشعرى بدلا من البيت التقليدى ذى الشطرين المتساويين فى عدد التفعيلات •

ـ والشاعر لم يلتزم قافية موحدة ، وانما تعددت القوافى وتوزعت وتنوعت دون التقيد بنظام معين محدد •

ـ ان السطور الشعرية تطول وتقصر (فى عدد التفعيلات) وفقا فى المعنى الذى يريده •

وهذه الظواهر الموسيقية تكسب القصيدة تنوعا فى ايقاعها وجرسها ، وهذا التنوع يخضع لاعتبارات تتصل بالمعانى والدفقات الفكرية والشـــعورية التى تتحرك فى نفس الشاعر •

٦ ـ النص نموذج تكتمل فيه كل خصائص المدرسة الجديدة فى الشـعر شكلا ومضمونا ، والشاعر واحد من رواد هذه الحركة الشـعرية الجـديدة ، وحسبك أن تعود الى ما ذكرناه عن خصائص هذه المدرسة بصفة عامة لتدرك كيف تحققت وتمثلت هذه الخصائص الفنية ـ لشعراء المدرسة الواقعية ـ فى هذه القصيدة •

● المناقشة ●

يقول الشاعر صلاح عبد الصبور : ـ

تراك وأنت فى ساح الخلود
وبين ظل الله والاملاك
تراك وأنت تصنع آية وتخط تاريخا
تراك وأنت اقرب ما تكون الى مدار الشمس والافلاك
تراك ذكرتنى وذكرت أمثالى من الفنانين والبسطاء •

● فسر معنى قوله (فى ساح الخلود) (تصنع آية)
● ما قيمة تنكير لفظتى (آية ، وتاريخا) ؟ وتكرار قوله (تراك)؟
● عبر باسلوبك عما تضمنته السطور من المعانى •
● اذكر لونا من ألوان الخيال فى هذه السطور ، وبين قيمته فى المعنى •
● ماذا تجد فى هذه السطور من خصائص المدرسة الجديدة ؟

● محمد نجيب ابو العزم ●
● الموجه بالتعليم الثانوى ●
● ومقدم البرامج التعليمية بالتليفزيون ●

اللغة الانجليزية وطلبة الثانوية العامة

● بقلم : د. جرجس فؤاد الرشدى ●
مستشار اللغة الانجليزية
بوزارة التربية والتعليم

● قلنا فى مقال سابق فى معرض حديثنا عن الاسباب التى جدت بنا الى ان تقرر كتاب . Practice and Progress للدراسة فى المرحلة الثانوية ، ان الكتاب لا يقدم معلومات متبلة او قصصا مشوقة بقدر مايعطى تدريبا على انماط اللغة المختلفة . فالطالب يقرأ الفقرة الواردة فى اول الدرس ليتعلم منها مفردات لغوية جديدة ، وتراكيب مختلفة ربما تشمل فى مجموعها الانماط الاساسية فى اللغة الانجليزية . واذا كان الامر كذلك فمن الطبيعى الا يسأل الطالب فى الامتحان فى محتوى الفقرات بل يختبر فى المامه بتلك المفردات اللغوية والتراكيب والانماط .

وقد يتبادر الى ذهن بعض الطلاب انه اذا لم تكن هناك اسئلة مباشرة على محتوى الكتاب ، فلا داعى لدراسته . وهذا خطأ بين يقع فيه الكثير من الطلاب والمدرسين ، اذ بدون دراسة الكتاب لن ينمى الطلاب مهاراتهم اللغوية التى هى فى الواقع الهدف الاول من تعليم اللغة الانجليزية والبؤرة التى تتركز فيها اسئلة الامتحان ..

واكرر هنا ماقلته من قبل لطلاب الثانوية العامة ان دراسة كتاب Practice and Progress يجب أن تتجه الى استيعاب

١ ــ المفردات اللغوية Vocabulary

٢ ــ Key Structures

٣ ــ Special Difficulties

ولا يعنى ذلك ان يضرب الطلاب

● الخطأ الذى يقع فيه كثير من الطلاب أنهم يكتفون بمعرفة معنى الكلمة أو التركيب أحيانا باللغة الانجليزية وأغلب الأحيان باللغة العربية ، وهذا خطأ لأنه لا توجد فى اللغة كلمتان تتساويان وتتطابقان تماما بل توجد دائما فروق قد تكون أحيانا ضئيلة لن يحس بها الطلاب الا بروية هذه الكلمات فى سياق ثم استعمالها بأنفسهم .

بالنص الوارد فى أول الكتاب عرض الحائط ، بل يجب ان يقراوه بعناية ليعرفوا استعمال المفردات الجديدة من ورودها فى سياق لغوى طبيعى .

والواقع ان هذه هى الطريقةالوحيدة السليمة لتنمية حصيلة الطلاب اللغوية وتزويدها بالمفردات والتراكيب على أن يتعلموها ليتمكنوا بدورهم من استعمالها استعمالا سليما .

والخطأ الذى يقع فيه كثير من الطلاب انهم يكتفون بمعرفة معنى الكلمة أو التركيب أحيانا باللغة الانجليزية ، واغلب الاحيان باللغة العربية . وهذا خطأ لانه لا توجد فى اللغة كلمتان تتساويان وتتطابقان تماما بل توجد دائما فروق قد تكون احيانا ضئيلة لن يحس بها الطلاب الا بروية هذه الكلمات فى سياق ثم استعمالها بانفسهم .

فلناخذ مثلا كلمتين قريبتين مثل accept, agree قد يعطيا على أن احداهما تعنى الاخرى وقد تترجم الاولى بيوافق والثانية بيقبل . وهنا تنشا مشكلة اخرى اذ ان « يوافق » العربية ليست دائما agree ، كما ان « يقبل » ليست دائما accept وقد يكون ذلك مثارا للخلط فى ذهن الطالب .

والفرق بين الكلمتين هو ان accept تعنى يوافق على اقتراح او عرض . اما agree ثم ان فتعنى يتقبل فكرة او شيئا .

يتبعها عادة المصدر مسبوقا بـ accept فيتبعها اسم او فعل ينتهى بـ ing فنقول مثلا :

When I suggested that we would travel to Europe, he agreed to go with me.

He accepted my invitation to my birthday party.

وليتبين الطلاب هذا الفرق بين الكلمتين يرجعون الى شرح ذلك الفرق Special Difficulties ويتدربون على استخدامهما .

واذا اراد الممتحنون ان يتبينوا مدى وعى الطلاب بذلك الفرق فانهم يعطون الطالب جملة فيها فراغ ويقدمون للطالب ثلاث احتمالات ليختاروا منها الكلمة الصحيحة وذلك على الوجه التالى :

When I asked him to lend me some money, he (agreed — accepted — approved) to give me ten pounds.

والطالب الذى تدرب على استخدام الكلمات الثلاث سيعرف فى التو ان هى الكلمة الصحيحة .

ويمكن لهذا النوع من الاسئلة ان يقيس دراية الطالب بالمفردات

وبالتراكيب اللغوية ايضا . فيذكر الكتاب مثلا الفرق بين استعمالات run into - run out - run after وتراكيب أخرى فيها حرف جر بعد الفعل run

ويمكن قياس معرفة الطالب بهذه الاستعمالات باعطاء الطلاب الثلاثة تراكيب ليختاروا منها الصحيح لملء فراغ فى الجملة . ويعنى التركيب الاول يجرى وراءه والثانى ينقص ، والثالث يصادف .. وبذلك يكون شكل السؤال كالتالى :

The car stopped when it ran (after - out of - into) petrol

ومن الواضح أن المعنى هو أن العربة توقفت عندما نقص البنزين وبناء عليه تكون كلمة out of هى الصحيحة

ويصلح هذا النوع من الاسئلة لاختبار استيعاب الطلاب لكل ماقى الكتاب من مفردات وتراكيب .

وفى امتحان القسم الادبي وهو امتحان طويل نسبيا اذ تقيم فيه اجابات الطلاب من ٦٠ درجة مجال واسع لمثل هذه الاسئلة . فيشمل امتحان القسم الادبي سؤالا من عشرين جزء علي هذا النمط . وتقسم هذه الاجزاء عادة بين المفردات اللغوية واستخدام الادوات a, an, the وحروف الجر والالمام بالقواعد اللغوية الخاصة بازمنة الافعال واشكالها المختلفة والانماط اللغوية .

وقبل ان اورد امثلة لكل نوع اود ان الفت نظر الطلاب الى ان الاحتمالات الثلاث المعطاة عادة تكون متقاربة جدا

وعليه ان يدقق فى تبيان الفروق حتى يختار الكلمة الصحيحة المناسبة للفراغ

وكمثل لاختبار معرفة الطلاب باستعمال الادوات نعطيهم جملة مثل

We Saw (a - the - an) elephant in the zoo

وبما ان الفيل ليس فيلا خاصا بحيث توضع the قبله وان كلمة elephant تبدأ بحرف متحرك فتكون an هى الكلمة الصحيحة .

ولاختبار معرفة الطلاب بالمفردات يمكن أن ترد جملة مثل هذه هذه :

I (attend - tend - intend) to visit Paris next summer.

والكلمات الثلاث واردة فى الكتاب ولكل معناها بالرغم من تقاربها فى الشكل intend تعنى « يحضر » tend تعنى « ينحو » attend تعنى ينوى . اذا intend هى الكلمة المناسبة فى المكان الخالى .

ولاختبار الطلاب فى التراكيب فيمكن ان تأتى جملة كالتالية

We are looking forward to (visit - visiting - have visited) Luxor.

واذا عرف الطالب أن تعبير looking forward to يتبعه عادة اسم أو فعل ينتهى بـ ing فيختار visiting لملء الفراغ .

ولسؤال الطلاب فى أزمنة الافعال نورد هذه الجملة

He is still in Alexandria. He (did not come - has not come - does not come back yet

● إن كل الأسئلة التي في امتحان الثانوية العامة يحتاج الطالب لإجابتها إلى تدريب يعتمد بالدرجة الأولى على حصيلته من دراسة الكتاب المدرسي.

وفي أحد تدريبات الكتاب يرد استعمال has not happened مع yet وبناء عليه يكون has not come هو الاختيار الصحيح .

ولقياس مدى استيعاب الطلاب لما في الكتاب من تدريبات لغوية يأتي الممتحنون بنوع آخر من الاسئلة عادة ما يكون مشتركا بالنسبة لطلاب جميع الاقسام والسؤال عبارة عن فقرة متصلة لم ترد في الكتاب ولو أن مفرداتها وتراكيبها كلها من الكتاب . وتترك في الفقرة فراغات على الطالب ان يملأ كلا منها بكلمة واحدة من عنده .

ويعتمد ملء هذه الفراغات على إلمام الطالب بالمفردات والتراكيب الواردة في الكتاب . وقد يكون ملء الفراغات بأداة او ضمير او فعل او حرف جر او كلمة مناسبة . وعادة تكون بالفقرة عشرة فراغات يملؤها الطلاب بان يقرؤوا الفقرة ككل حتى يستوعبوا الموقف ثم يبدؤوا في ملء الفراغات بعد ذلك .

ولمساعدة الطلاب على استيعاب الموقف تخلو الجملة الاولى من الفراغات ثم تأتي الفراغات بعد ذلك . وهاكم مثلا مقتضبا لمثل هذه الفقرة

I went with my brother to the air-port because he was travelling abroad. As soon as we arrived .... (1) the airport, a porter took ... (2) brother's luggage to the aeroplane. The passport officer .... (3) my brother's passport. Then my brother waited ... (4) half an hour before .... (5) bus took him to the aeroplane. He .... (6) on the plane which took .... (7) after a short time.

يدرس الطالب ان حرف الجر الذي يأتي بعد arrive هو in للبلاد الكبيرة والمدن الصغيرة ، و at للأماكن الصغيرة .

وعلى ذلك فالكلمة المناسبة للفراغ 1 هي at . واذا استوعب الطالب الموقف استيعابا صحيحا فسيعرف ان موظف الجوازات فحص جواز اخيه ومن المفردات التي يعرفها examine التي تعني يفحص فهي اذن الكلمة المناسبة للفراغ 3 وواضح ان المتكلم يتكلم عنه اخيه والكلمة المناسبة لفراغ 2 هي my

ويحتاج فراغ 4 الى حرف جر والحرف الذي يستخدم مع طول مدة مثل half an hour هو for فتكون هي الكلمة المناسبة لهذا الفراغ اما فراغ 5 فيحتاج الى اداة وبما ان الذي نقل اخي سيارة غير معينة فتكون الاداة المناسبة هي

اللغة الانجليزية
وطلبة الثانوية العامة

ويدرس الطلاب أن ركوب أى وسيلة مواصلات يعبر عنه بـ get on فتكون الكلمة الناقصة فى فراغ 4 هى get كما يدرس الطلاب أن قيام الطائرة يعبر عنه بـ take off فتكون الكلمة المناسبة فى فراغ 7 هى off والطالب الذى يصل به تدريبه اللغوى الى أن ينمو لديه احساس تلقائى باللغة سيحس تماما بنقص النص من كلمات خاصة واليها كلها واردة

Special Difficulties. Key Structures

ونوع آخر من الاسئلة التى قد تمس ماق الكتاب من تدريبات لغوية هو سؤال

Do as shown in brackets

ويشمل اسئلة لغوية مختلفة تكون أحيانا مبنية على ماورد فى الكتاب من تدريبات . فمثلا يتدرب الطلاب فى الدرس الاول على ترتيب الكلمات فى الجملة الانجليزية . ويمكن ان يكون السؤال الذى يختبر قدرة الطالب على هذا التدريب ان يعطوا كلمات غير مرتبة يطلب منهم ترتيبها فى جملة مفيدة .

وقد يسأل الطلاب أن يضعوا الأفعال فى زمنها المناسب أو يطلب منهم ربط جملتين أو أكثر فى جملة واحدة مفيدة باستخدام أدوات الربط وهو تدريب يرد كثيرا فى الكتاب خاصة فى الجزء الأخير منه . وقد يسأل الطلاب أن يحولوا قولا مباشرا الى قول غيرمباشر أو العكس .

Direct and Indirect Speech

أو يطلب منهم أن يكملوا جملة ناقصة أو يضعوا حروف جر ناقصة فى جملة

***

واضح مما تقدم أن الاسئلة التى على الكتاب والاسئلة النثرية قد ادمجت تجيب بصحيح الامتحان مقنابا لـ ... أسلوبه الطلاب من نعة بعد دراسة هذا الكتاب .

واذا كنا قد تحدثنا فى هذا المقال عن الاسئلة المعتمدة اعتمادا مباشرا على الكتاب يجب الا نغفل أن تكون الاسئلة التى فى امتحان الثانوية العامة يحتاج الطالب لاجابتها على تدريب يعتمد بالدرجة الاولى على حصيلته من دراسة الكتاب . ففى كل درس من دروس الكتاب يوجد تدريب على كتابة جمل يعطى الطالب بعض كلماتها ويطلب منه ربطها لتكون فقرة متسقة . وهذا بالضبط مايطلب من الطالب كتابته فى سؤال الانشاء ولو أن الموضوعات عادة غير تلك التى فى الكتاب . كذلك تعطى القطع الواردة فى الكتاب تدريبا على الفهم

comprehension

وتدريبا على الاختصار وهو سؤال [illegible] الامتحان فيطلب من الطلاب [illegible] قطعة الفهم الواردة فى [illegible] الاولى فى جملة أو [illegible] من عندهم . كذلك يعطى الكتاب تدريبا فى كتابة الخطابات كما بينت فى احدى المقالات السابقة .

أرجو أن أكون قد بينت لابنائى الطلبة اهمية دراسة كتاب

Practice and Progress

دراسة متأنية مع التركيز على كل التدريبات اللغوية التى يشتمل عليها واتقانها حتى يتحسن اداؤهم اللغوى فهما وقراءة وحديثا وكتابة من ناحية ويحصلون على درجات عالية فى الامتحان من ناحية اخرى .

البنفسجة الذابلة

● للشاعر الالماني : أرنست راوباخ ●
● ترجمة : أحمد مصطفى حافظ ●

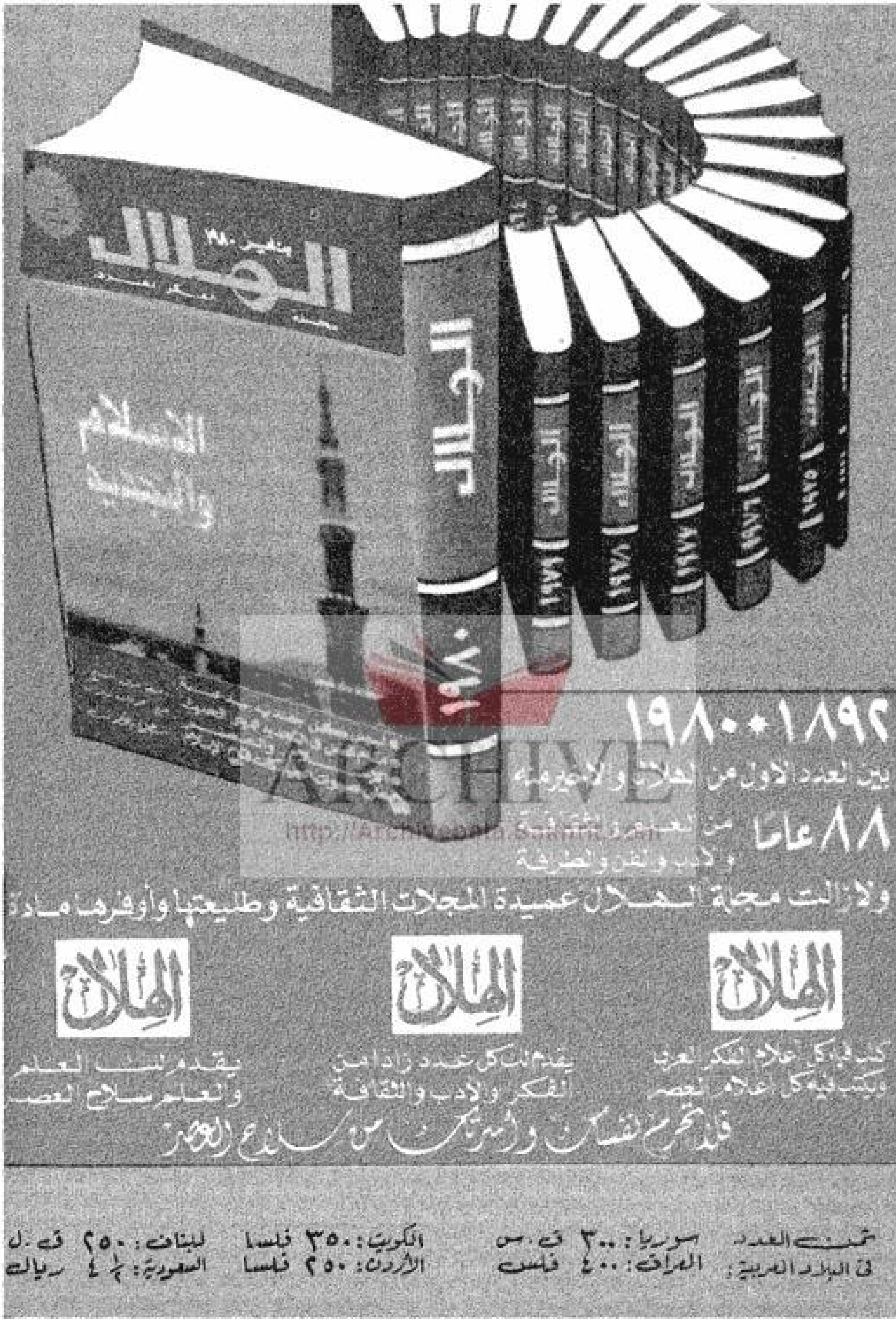
اسفا لذبول الوجنات
لبنفسجة فى السكرات
عجبا ! .. والماء يلاصقها
تهوى فى حر الظلمات
وجهت حديثى اسالها
عن بلواها فى الغمرات :
« اتدور بقربك ساقية
تنساب بخير وحياة
وبهاؤك توا يتلاشى
كالبرق بهذى العرصات ؟!»

***

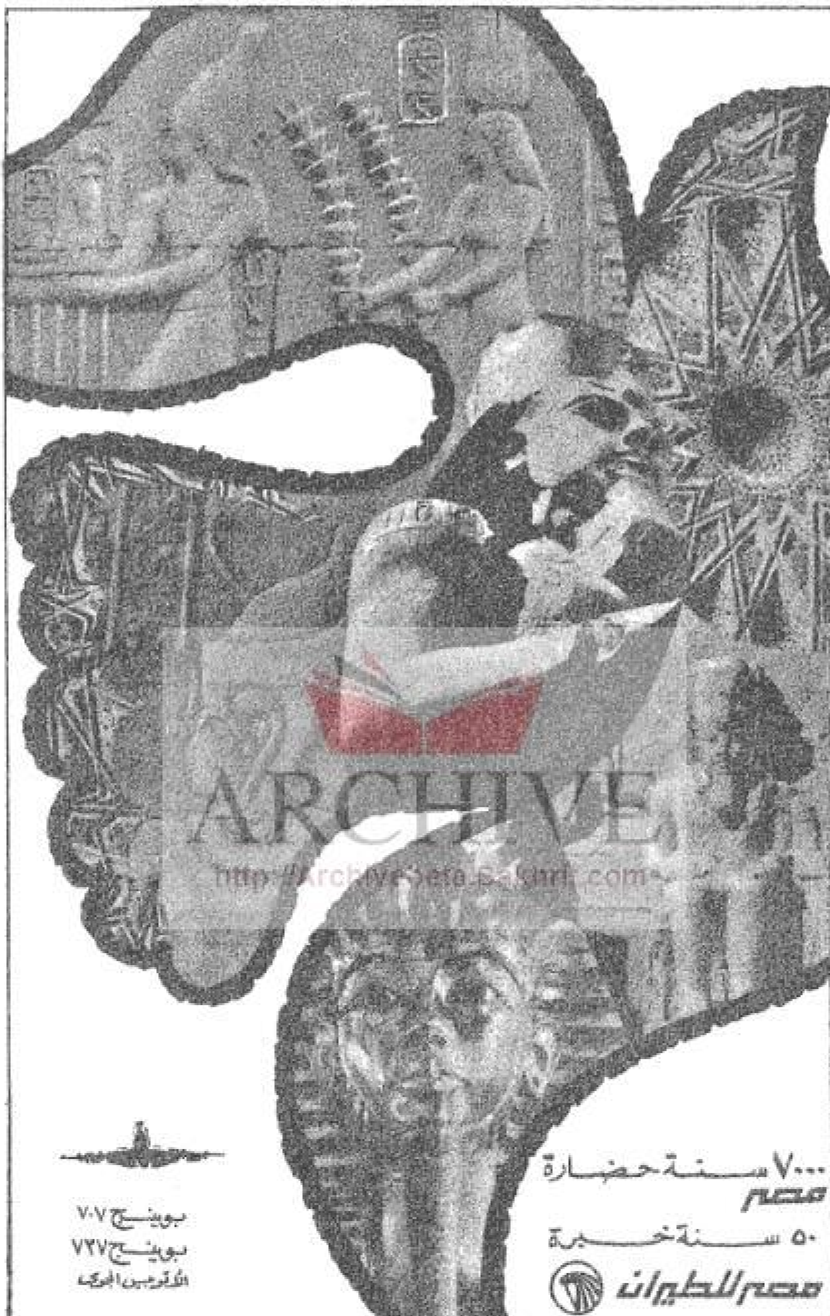
واجابت : « هذا تجديف
يفضى لوخيم الزلات
فالله تعالى كرمنى
بالفرحة تغمر اوقاتى
وحبانى شجرا ملتفا
يقص عن هجوم الحشرات
.. كم رطب قيظى بشذاه
وبجنح الليل بنسمات
والشمس بلطف تلثمنى
والقمر يداعب وجناتى !

***

فاذا ما ادركنى وهن
بخريف ــ كالصرصر ــ عات
مهلا ! فالعام بلا ريث
يجرى مجراه .. بميقات
ويعود ربيع .. يرشفنى
بسناه .. كسحر لرفاه
واشد جمالا ياصاحى
تتلتتج الكون .. رفاتى !!


الهلال
يناير ١٩٨٠
الإسلام والتجديد
١٨٩٢ • ١٩٨٠
بين العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٨ عاما
والأدب والفن والطرافة
ولا زالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي
ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
الهلال
يقدم لك لب العلم
والعلم سلاح العصر
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
ثمن العدد في البلاد العربية
سوريا: ٣٠٠ ق.س
العراق: ٤٠٠ فلس
الكويت: ٣٥٠ فلسا
الأردن: ٢٥٠ فلسا
لبنان: ٢٥٠ ق.ل
السعودية: ٤ ½ ريال


الهلال
ابريل ١٩٨١
مجلة الفكر العربي
شوقي .. بقلم عزيز أباظة..
خلق المشاكل .. هواية عربية!
قاموس العيب ...
أفغانستان .. المأساة الأولى
عمان .. [استطلاع بالألوان]



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧

كلمة الهلال

عالمان رائدان

إميل زيدان

د. أحمد زكي





فى ختام مارس الماضى قامت الدولة بتكريم نفر كبير من رواد الصحافة المصرية ما بين احياء وأموات ..

وهذه مأثرة نحمدها للدولة ، ويد كريمة نشكرها للسيد الرئيس ، لان رواد الصحافة الاول عندنا مجاهدون عانوا كثيرا وسعدوا قليلا ، وعملوا أعمارا طويلة ليستريحوا أياما قلائل ، والصحفى الذى يعمل اليوم فى مؤسسة منظمة ترعاها الدولة وتضمن حقوق العاملين فيها ينسون ان أجيال الرواد التى انشات ذلك كله لهم ، كانت تعمل فى الميدان الصحفى مغامرة بنفسها وأموالها وارزاقها . وما أكثر اولئك الذين عاشوا معظم أيامهم من شرفاء الصحفيين ويد الجوع تطرق عليهم الابواب ..

وكان لزاما علينا نحن افراد اسرة الهلال ان نذكر اثنين ممن ندين لهم بما تعلمناه من فن الصحافة الثقافية ، وكلاهما كان رئيس تحرير مجلة الهلال .

الاول هو اميل زيدان استاذ الاساتذة وشيخ دار الهلال العظيم . ذلك الرجل الذى تلقانا هواة لا نملك من أدوات الفن الصحفى الا سهولة الكتابة ، ففتح لنا الباب وقادنا خطوة خطوة فى العمل الصحفى وادارته وتنظيمه ، لقد كان يقرأ لك المقال الواحد ثم يقول لك ان كنت صحفيا أم غير صحفى ، وكان يلقى نظرة عجلى على الماكيت فيتبين كل عيوبه فى لمحة ..

لقد تعلمنا منه ــ أطال الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية ــ كل ما عشنا عليه بعد ذلك فى ميدان العمل الصحفى . ان ملكته الكبرى هى الادارة الصحفية وعبقريته هى كيف يجعل المجلة شريفة نزيهة ووافية بغرضها ورابحة فى نفس الوقت ، وهى معادلة اصبحت اليوم قريبا من المستحيل .

والثانى هو الدكتور احمد زكى

ــ انه استاذ الصحافة الثقافية على مر الاجيال . كان عالما اديبا كاتبا بليغا واداريا حازما وعاملا لا يكل .

عملت معه فى الهلال ، وشهدته وهو يعمل فى مجلة العربى . لقد ظل يعمل فى مجلة العربى سبعة عشر عاما متوالية، كان يعمل يوميا من التاسعة صباحا الى الواحدة ظهرا ثم يأخذ حقيبة حافلة بالمقالات ليكمل العمل فى البيت .

ولقد رأيته فى المعادى قبل ان يموت بأيام ، كان يعانى مرض الموت ولكنه كتب نصف المحرر للعدد التالى من العربى .

ولم ير هو هذا العدد ولكننا نحن رأيناه ولا زلنا نرى العربى كل شهر ، وكلما تناولنا عددا قلنا : عليك ألف رحمة من الله أيها الرائد العظيم .

المحرر

كتب وكتاب

● نصر الدين عبد اللطيف ●

... هل تعثر، عفوا، في أحد أعمدة الحكمة ؟!

لم يطرق احد الباب ... فقمت افتح الباب ..!
والتف الهدوء حول نفســـه ... حتى تدخل العاصفة .. !
لابد انني تعثرت ، عفوا ، باحـــد اعمدة الحكمة .. !
وانا الذي ، عن غير عمد ، شد ذيل فستان الحقيقة ..!
.. ..

وافتتحنا في الضحى ندوة اللقاء ، على شرف أعزاء يتوهمون عندي لكل سؤال جواب ! ..

هذا رصيد جم من رسائلهم ، والرسائل تنويعات على مفاتيح العجب .!
هنا ، من يسأل فيما هو بعيد بعيد عن « كتب وكتاب » :
ومن يرى ، بالظن الجميل ، نجما وراء الباب ..!
ومن يسأل في عنجهية القط يستجوب فارا : أين تسكن بقية الفئران ؟!

مسافر الى كنوز الحب في الأعماق !

منذ سنوات بعيدة ، خيل لي ان هناك بين الشعر والقصة ، منطقة محايدة . فحملت اوراقي واشيائي ونصبت خيمتي هناك .. !

وفوق قبة الخيمة ، اقمت سارية عالية في راسها علم يحمل شعار عدم الانحياز ..!

... ولو انك ، ياسيدتي مررت بهذه المنطقة البعيدة ، ورايت وحدتي هناك وعزلتي فلربما اقنعك ذلك ببراءتي من اتهامك لي انني انشاغل عن الاهتمام باهل الرواية والقصة ، تشيعا مني للشعر والشعراء ..!

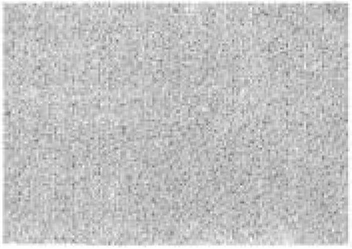
وقد يبدو لي انك لم تقتنعي ببراءتي تماما ، فادعوك الى خيمتي .. نناقش الأمر على روية ، فالخيـــمة مريحة .. والجو يغري .. والمساء ودفء الحوار يزفنا الى اللقاء عند نهاية رائعة ..!

... وعندما تشرق الشمس من جديد ، فسوف اتيح لك الفرصـــة لمساعدتي في فك الخيمة ، ولم المتاع ... ثم الالتفات عودة الى واقع حياة القصة والشعر معا ..!

لماذا ؟ ..

لان وجه الحياة تغير الآن في الناس والعصر ...

ولان مواكب اللقاء تزحف الآن على مناطق الحدود والحياد القـــديم بين فنون الخلق والابداع ..!





... لم تعد القصة جزيرة بعيدة .. ولا خمائل الشعر تحوطها الاسوار ..!

القصاص والشاعر الآن رفيقا سفر على طريق الحقيقة والحلم والكشف عن كنوز الحب فى عمق الحياة ..!

وفى القصة الجيدة الان ، لابد ـ شعر ...

وفى الشعر الجميل الان ، لابد ـ : قصه !

.. ..

والان ، ياسيدتى ، ونحن نتجاوز المفترق فى احد شوارع العصر .. فان كل الذى قلت واقول لك ، هو راى للحوار ...

ولا تتراجعى ...

فان شتمك لى فى بدء رسالتك ...

قد ذاب فى دفء رحلتى معك ..!

ولغير وداع .. ابقاك الله ، وامتع بك !

... والغريب ... فتنة القراء والكتاب !

من رسالة الى : م . ع .
الاسكندرية ـ ردا على رسالته

ليس يكفى ان تكون شاعريا ، لكى تكون شاعرا ..!

الشعر غير الشاعرية ...

هو علم ، وموهبة ، وتقنية ... وهى رهافة احساس وذوق وتذوق .

وفى فنون الادب المقارن ، هناك فنان شاعر ... **وهناك فنان شاعرى!**

وضيف القاهرة فى الشهر الاسبق ، ارثر ميللر ، ليس شاعرا ، ولكنه فى حوار مسرحياته البديعة ـ شاعرى ...

مثله ايضا هناك تينسى وليامز ـ يوجين اونيل ـ ادوار البى ، وغيرهم مثلهم فى الشرق والغرب ، كثير ..

والشاعرية فى الحوار ـ والمسرح حوار ـ تعنى التحليق والخيال والشفافية ، بغض النظر عما اذا كان الحوار فى صيغة شعرية أم نثرية ..

والطابع الشاعرى فى المسرح ، يتحقق بوسائل أخرى غير الصياغة الشعرية ، منها تصوير "ماوراء الطبيعة ، والاماكن والازمنة البعيدة ، والمزج بين الواقع والوهم ، وبين المعتاد والغريب .

ولقد كان المزج بين المعتاد والغريب ، هو سر شاعرية ادوار البى ، وبيكيت ، ويونيسكو ـ فى مسرح اللامعقول ...

و ... لا يغنى هنا ، وكيف يغنى سؤال وجواب ،

وحديث الشعر والمسرح ، فتنة القراء والكتاب ؟!

ونحن، مخلوقات الله، كتب تمشي على الأرض!

... وكل انسان يصلح موضوعا لكتاب واكثر من كتاب ...
مخلوقات الله ، نحن البشر ـ كتب تمشي على الارض ..!
.. ولقد عرفت ذلك الاستاذ فى مرحلة من التحصيل لعلها بعد مرحلتك ...
كان قد اسن ، لكنه لم يفقد دفء الحماسة ، وروح المرح .. !
فى قاعة الدرس ـ هل تذكر ؟ ـ كان يملك لنا رصيدا قريبا من اللمئات بلرنسيته المصرة ..!
وفى محاورات الدرس ، لم يكن عنده غير اسم واحد لكل الطالبات الانسات منهن والسيدات ـ ((أحيانا !)) ـ فكلهن ، وكل واحدة منهن اسمها : ليلى ..!
القصيرة ، والسميكة ، والنامية ، والمتخلفة ـ كلهن عنده : ليلى ..!
وفاض بنا الفضول يوما ، فدفعونى اساله ، لى ولهم ...
ولقد استمع لى ، فتروى وابتسم وتنهد ، ثم قال :
ـ طبعا يامولشير تعرف بيرون الشاعر القائل :
((ليت للنساء فما واحدا ..
اذن لاقبلته واسترحت !))
لم اكن بعد قد عرفت بيرون ..
لذلك ، وبالطبع ، لم افطن الى أن الاستاذ قد لوى ذراع هذا البيت من الشعر وطوح بمعناه بعيداً بعيدا ...
لكنى سرحت فى عمق سخريته ، حتى انتبهت الى أن الاستاذ ما زال يتحدث ... :
((... ولقد عدلت شعر بيرون لصالحهن ، فجعلته :
ليت للنساء اسما واحداً ...
اذن ، لدعوتهن به واسترحت ..!))
وقلت للاستاذ : وهكذا ... لكلهن الان عندكَ اسم واحدٌ !
قال مصححا : اسم موحد ..!
وبرغمى ، تساءلت فى سخرية مهذبة : ليلى ؟..
ورد فى سخرية متعدية : ليلى !!
و ... مشى الفتور على جسور الصداقة بيننا ..!
.. ..
الان التفت لهذه الذكرى وابتسم ..!
كان استاذنا الشيخ المراح ـ يلهو ..!
ولقد تغالط مرتين فى بيت واحد من شعر بيرون ـ ليمكر بى ...
رغم ان ذلك البيت فيما عرفت بعد ، هو الاشهر فى ديوان بيرون والاغزل ، والاجمل .. :

« ليت للنساء فما واحدا ...
اذن ، لقبلته واسترحت ! »
... ويبقى سر الأستاذ مع ليلى او سرها معه ..
ولكن ، ليس من الحتم أن يكون وراء اسم ليلى هنا ، اكثر مما كان قبل الف عام ، للشاعر ابن المولى ، مع مع ليلاه ..
ففى احدى لياليه املى عبد الملك بن عبد العزيز ، يقول :
خرجنا يوما الى قباء ، أنا وأبو السائب المخزومى ، وعبيد الله بن جندب ، واصبغ بن مروان ، ومعنا الشاعر المتقدم من معاصرى الدولتين محمد بن عبد الله بن المولى ، وكان متنكبا قوسا عربيا ...
وفى الطريق ، بعد قليل ، سمعنا ابن المولى ينشد لنفسه :
وابكى ... فلا ليلى بكت من صبابة
الى ، ولا ليل لذى الود تبذل !
واخنع بالعتبى اذا كنت مذنبا ..
وان اذنبت كنت الذى يتنصل !
واحطنا به نعجب له ، ونستعيده ...
وساله ابو السائب وعبيد الله : ومن ليلى هذه ، حتى تقودها لك ؟
فقال ابن المولى : والله ما هى الاقوس هذه .. سميتها ليلى !!

... الوقوف عند محطات الحزن القديم !

... وكان يمكن ان يجرى الحوار بيننا دون توقف عند محطات الحزن القديم ..!
لولا أن المناسبة اليوم ـ ذكراها ، وعيدها ...
ففى الماضى ، فى البدء ، لم تكن لى أم واحدة ..
كانت هناك امى ، وصديقة شابة حبيبة لامى ، عاشت معها رحلة الشوق فى انتظار مولدى ...
هى التى فتحت عينى على ابتسامتها !..
وهى التى اختارت لى اسمى ..
ومنها ، ومن أمى شربت الحنان كاسين من نبعين فى وقت معا ..!
ثم فقدت ذلك كله فجأة ، ومرة واحدة ..!
امى ذهبت .. وحبيبتها تزوجت فى بلد بعيد ..!
ولم يبق لى غير جدى .. كان عالما شيخا جليلا .. شاقه ان يصنع منى ـ بالحب ـ صديقا وعالما صغيرا ..!
ولكنه تعجل الرحيل ، قبل ان يتم صنيعه !..
وقبل ان يرى ماصنعت بصديقه الصغير ، طوارق الايام والليالى ..!

● نصر الدين عبد اللطيف ● ●●

كتب وكتاب

مقالان من فن قصصي رفيع

« اليد السفلى » و « فتاة من حائل »

للأستاذ محمد عبده يماني

• بقلم الدكتور حسين مؤنس •

عندما تناولت قصة « اليد السفلى » وبدأت فى مطالعتها لم أكن أتصور أننى ساجد فيها كل هذه المتعة ، فاننى بحكم عملى اتلقى فى كل يوم روايات جديدة ، ولا أكاد أسير فى المطالعة شوطا حتى تنتهى العلاقة بينى وبين الرواية ومؤلفها فاقفل الرواية ولا أعود الى المطالعة فيها بعد ذلك أبدا ، لان الكاتب الناجح هو الذى يستطيع فى السطور الاولى أن يمد بينه وبين قارئه ذلك الخيط الرفيع غير المرئى الذى يجعل القراءة حوارا جميلا بين الكاتب والقارىء ، وانت تستمر فى القراءة ما دام ذلك الحوار متصلا .

وكل رواية هى فى الحقيقة قضية تقوم على مواقف وهذه المواقف نفسها هى موضوع ذلك الحوار غير المسموع بين الكاتب وقارئه . وأنا لا أدعى اننى ناقد أدبى ولا أحسب ان هذا كان من مطالبى وانما أنا فى هذا الباب اقرأ واستجيد أو لاأستجيد بذوق شخصى،دون أن أتقيد برأى النقاد .

وهذا كان شأنى مع روايات الاستاذ محمد عبده يمانى ، وقد تفضل واهدانى اياها وأنا شاكر له هذا الاهداء ، لانه لفت نظرى بذلك الى نوع جيد من الانشاء القصصى الممتع ، نوع يصدر عن صاحبه كما تصدر الثمرة عن شجرتها دون تكلف ، فنحن هنا أمام اديب قصاص غير محترف ، وانما هو يكتب عن هواية ، والهواية حب ، وهذا الحب هو الذى ينشىء ذلك الخيط الرفيع بين الكاتب والقارىء .

ورواية « اليد السفلى » رواية قصيرة أرسلها صاحبها عفو الخاطر عن تجربة حقيقية صادقة ، فنحن فيها أمام غلام حجازى من قرية صغيرة تسمى بنى فهم، وهذا الغلام نشأ فى قريته الصغيرة وعاش فى جوها الضيق ، ونحن نشعر ونحن نقرأ ان جو تلك القرية كان ضيقا ولكنه انسانى صحى من الممكن أن ينشأ فيه رجال ذوو عزيمة وصلابة يصنعون أنفسهم ويصنعون الحياة فى اثناء ذلك .

الغلام اسمه أحمد وأبوه رجل فقير كثير العيال ، وعندما تبدأ الرواية نجد الاب آخذا بيد ابنه متجها الى مكة ليبحث له فيها عن سبيل رزق . والغلام طيب ولكنه حساس ذو قلب كبير ، وقد اراد له أبوه أن يعمل فى خدمة البيوت ، فلم يغضب أو يتمرد ، وانما هو غلام جاد يأخذ الحياة مأخذ الرجولة والجد ، وهذا هو الذى يعطفك عليه ، وهنا أيضا تجد محمد عبده يمانى نجح فى تصوير الغلام وأباه ودخوله مكة وخطواته الاولى فيها ، ونجح فى نفس الوقت فى مد ذلك الخيط الرفيع الذى حدثتك عنه ، وهذا الخيط يقودك فى القراءة حتى تعرف فى النهاية مصير ذلك الغلام الذى احببته .

الغلام ينتقل من بيت لبيت وهو مطيع ولكنه غير مستسلم فقد كان من مخدومه الاول الشيخ صلاح ولكنه أحب مخدومه الثانى الشيخ باقيس ، وعندما ماتت زوجة الشيخ باقيس واغلق بيته ومضى الى الرياض انتقل الغلام الى بيت الشيخ عبد الحميد ، وهنا تدخل القصة فى دور

جديد ، فهذا الشيخ عبد الحميد رجل أكثر من طيب ، انه انسان عظيم ، وجد غلاما عنده استعداد للدراسة والترقي ففتح له الابواب وانفق عليه من ماله . وهنا نضع يدنا على سر من اسرار تطور شعب الجزيرة ، فهنا رجال بسطاء طيبون ، وهم الى جانب ذلك أهل قلوب عامرة بالخير والاسلام والطموح ، فهذا الرجل الشيخ عبد الحميد أخذ بيد هذا الغلام حتى أوصله الى الجامعة . هنا تدرك معنى بعيدا من معاني الكرم العربي فالكرم ليس مالا يعطى ولا هو سماط يمد وانما هو قلب يفتح وحب يعطى ونفس تأخذ بيد نفس وانسانية متبادلة بين قلب وقلب .

وللشيخ عبد الحميد ابنة هي عزيزة ، انها نموذج لبنات السروات من أهل الحجاز قبل عصر المال الكثير والسيارات وهذا الغزو الميكانيكي الذي يرتفع باسلوب الحياة ويحطمها في آن معا . البنت تعامل الغلام على انه تابع لها او لعبة لطيفة تتسلى بها ، ولكن في داخل هذه البنت اللاهية امرأة ، وهذه المرأة تحب هذا الغلام ، او قل تحب الرجل الذي في الغلام .

وليس هذا ابتكارا من عندي ولكنه بالفعل ما يقوله محمد عبده يماني ، فهذا الغلام عندما درس الطب في مصر تحول الى رجل والرجل تطلع الى عزيزة ، وعزيزة كان الحظ قد عثر بها وساءت حالها بعد موت أبويها ولم تبق لها الايام الا خادم أو « دادة » هي أم جمعة .

والرجل الذي درس الطب في مصر وعاد الى الحجاز ليخدم وطنه سعى الى عزيزة وبحث عنها ، ومد لها يده ، هنا تتحول اليد السفلى الى يد موازية ولا أقول يدا عليا ، وهذه اليد تمتد الى عزيزة وتنهض بها من العثار ، وتعود الابتسامة الى شفة الحياة .

قصة انسانية جميلة . قرأتها في ليلة وأنا أرى من وراء الزجاج أضواء مآذن الحرم المكي ونعمت وأنا أقرأها بساعات حلوة وأحسست ان القصاص أضاف لي شيئا جديدا وفتح أمامي آفاقا كنت أجهلها ، وتلك هي علامة الادب الجيد ، انه مفتاح لاقفال القلوب وخيط رفيع ممدود بين كاتب وقارىء

وبدأت بعد ذلك مطالعة رواية أخرى طويلة لمحمد عبده يماني هي رواية «فتاة من حائل» وهي مثل سابقيها رواية انسانية وخيط رفيع من المحبة ينجح المؤلف دائما في مده بينه وبين قارئه . ونحن هنا لسنا في قرية بني فهم ولا مع غلام يبحث عن طريق للحياة ، ولكننا امام شاب عربي تخرج في جامعة الرياض واخذ طريقه الى المستقبل ليبني وطنه ونفسه ، وشعرت وأنا أقرأ هذه الرواية انني أعود القهقرى الى أيام تخرجي مع زملائي وبحثي المضني عن طريق المستقبل واجمل ما جذبني الى متابعة مطالعة هذه الرواية الى آخرها انني وجدت ان نفس الاساتذة الذين تولوا أمر جامعة الرياض في أول أمرها كانوا نفس اساتذتنا في جامعتنا المصرية : عبد الوهاب عزام ومصطفى السقا وأحمد الحوفي ، وهنا نجح الكاتب في أن يشعرني بأن أمة العرب واحدة ، وسواء أكنت في جامعة الرياض أو جامعة القاهرة فأنت شاب عربي مثلك كمثل اى شاب عربي في اى جامعة اخرى .. حقا ان هذه أمتنا وهي أمة واحدة مهما جرى عليها من تصاريف الايام .

والرواية طويلة وممتعة ، والقارىء لا يطلب مني أن أرويها له فقد رواها صاحبها بقلم استاذ ولا يطلب مني أن اوجزها له فان الاعمال العظيمة لا توجز ، وفي أثناء المطالعة ذكرت ابن خال لي حضر هذه الحقبة في السعوديه وشارك فيها ، وهذا الخال هو حافظ وهبة ، وهو من الفحول الذين دخلوا في خدمة السعودية أيام النهضة الباهرة في عصر الملك عبد العزيز وصدقوا في خدمتهم

هذا الخال حافظ وهبه زارنا في بيتنا في شبرا في السنة التي تخرجت فيها . كان سفيرا للسعودية في لندن ، وقالت له أمي « لماذا لا تأخذ فلانا معك ؟ اذكر انني قلت لها : خال حافظ لم يأخذه احد معه ، بل ذهب وحده ونجح ، وانا ايضا أسير وحدي وانجح ..

غرور شباب تحس به وانت تقرأ حديث ذلك الشاب السعودي هشام الذي شق طريقه في عزم وتزوج فتاة حائل وشارك في بناء وطن عربي عظيم .

● د . حسين مؤنس ●

فى هلالك

هذا الشهر

الهلال

مجلة الفكر الحر

جمادى الأولى ١٤٠١هـ

ابريل ١٩٨١م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
.. اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة التاسعة والثمانون ـ اول
ابريل سنة ١٩٨١ ـ ٢٦ من جمادى
الاول سنة ١٤٠١ .

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان تطلب من الادباء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وقصائد دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت أم لم تنشر

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

● صورة الغلاف ●

زينة غلاف الهلال هذا الشهر — ابريل — لمحات من شمس الربيع المشرقة فى بلادنا ... ومع هذه البهجات بعض ما يقدمه الهلال فى هذا العدد من دراسات وتحقيقات ومقالات ممتعة فى عالم الفكر والثقافة والادب ...

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم — قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات أو ٤ جنيه . لا تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط .

خلق المشاكل هواية عربية

بقلم رئيس التحرير

لماذا تتحول نعم الله الكبرى في ايدى العـرب الى نقم ؟

لماذا يضيع من ايدينا كل خير ، ونحرم شعوبنا مما تستحق من سعادة ؟

ان لدينا كل الاسباب لنصبح ارقى واسعد شعوب في الدنيا ..

ولكن العرب ليسوا اسعد شعوب في الدنيا .

بل هم ليسوا سعداء اصلا .

لماذا ؟ ..

● لم ينعم الله سبحانه على قوم من البشر بنعمة هي أبرك ولا أزكى ثمرة من البترول أو الزيت أو النفط كما يسمونه .

فان كل المعادن الاخرى تحتاج الى عمل شاق من أصحابها حتى تؤتي ثمارها فالحديد والنحاس والرصاص والذهب والفضة ، كلها تحتاج الى عمل شاق من أصحابها الذين أنعم الله عليهم بها ،

فاستخراج طن من النحاس يحتاج الى اكثر من مائة عامل ومهندس بالاضافة الى الحضارات والشاحنات ومعامل الفحص والتحليل وما الى ذلك ، وكذلك الحال مع بقية المعادن ، بل ان الطن من الذهب يحتاج استخراجه الى فوق الالف رجل يعملون عملا شاقا ، عدا المعامل والمعدات والسيارات .

والارض الخصبة من أعظم نعم الله

● لقد أعطانا الله أكبر نعمة ينعم بها على عباده في عصرنا وهي البترول أو النفط والنفط العربي يكفي لإسعاد كل عربي، وقد سعد به بعضنا ، ولكن البعض الآخر حوّل النعمة إلى نقمة، وأصبح البترول مصدر بلاء له وللآخرين .

على الناس ، ولكن الزراعة من أشق المهن فهي عمل وصبر وجهد وانتظار وخوف على المحصول من آفات الحشرات واخطار الطبيعة ، ثم ان الناتج منها بعد ذلك قليل ، هذا بالاضافة الى المنافسة فى الاسواق فى كل مكان ، فكل الدنيا تزرع القمح والفول والذرة والقطن وكلها تصدر وتبيع •

الا البترول ••

فانه نعمة صافية خالصة لاصحابها •

لان استخراجه عسير ومكلف ،ويتطلب خبرات وكفايات علمية ، وفنية وخبرات طويلة لا تتوفر اليوم الا فى دول قليلة ومشروعات تشبه المغامرات ، ولهذا فقد تخصصت فى البحث عنه واستخراجه شركات عالمية ذات رؤوس اموال ضخمة وخبرات عظيمة وتجارب طويلة وثروات طائلة تمكنها من البحث والتنقيب وانفاق الاموال الطائلة • وهى تعمل على اساس « المغامرة المحسوبة » اى انها قد تنفق الملايين بحثا عن الزيت فى مكان ما ولا تجده فتعوض خسارتها بكشوف عظيمة فى جهة أخرى ، ولهذا فان الخسائر الطائلة لا تضيرها كثيرا ، خاصة وهى تحتكر هذه الاعمال فى الدنيا كلها ••

واذا احصيت شركات التنقيب عن البترول فى العالم لم تزد فى مجموعها على تسع او عشر كلها امريكية وانجليزية وهولندية وفرنسية ويابانية ، فاذا سمعت عن شركات اخرى كثيرة يابانية او ايطالية أو مصرية فكلها مشتركة مع الشركات الكبرى التى تملك أدوات الحفر الكبرى ولديها الخبراء العالميون ، وعندها امكانيات التسويق العالمى •

ومعنى ذلك ان كل بلاد العالم التى لا تملك امكانيات استخراج البترول تستطيع ان تمنح حق التنقيب والاستخراج لهذه الشركات العالمية ، وهى تعمل وتبحث وتستخرج وتنقل وتسوق وتأتيك فى النهاية بعائد محترم لان البترول اذا ما اكتشف وخرج أصبح ملكا للدولة صاحبة الارض ، وتتحول الشركة الى شركة مستثمرة لها حصتها من الحصيلة والارباح ، وهذه الدول تنشيء وزارة بترول وترسم لنفسها سياسة بترولية وتتحول الى قوة عالمية اذا شاءت • كل ذلك دون أن يضطر مواطن واحد من مواطنى هذه الدولة الى ان يمد يده فى العمل ، لان الشركة تقوم بكل شيء ، حتى العمال الذين يعملون هى التى تأتى بهم وتؤجرهم سواء أكانوا من أبناء الدولة صاحبة الارض أو أى دولة أخرى •

وتلك هى نعمة البترول الكبرى •

انها مال من السماء ، رزق يعطيه الله دون مشقة ، ثم ان حاجة العالم الى هذا

الوقود تزيد أضعافا على الموجود منه ، فكل قطرة لها شأن وثمن وعليها تنافس

وبينما يضطر أى منتج الى أن يطوف العالم ليسوق منتجاته ، فان منتج البترول يظل مكانه والعالم كله يقبل اليه ويطلب رضاه ، لان النفط اليوم ليس مجرد وقود . انه مادة ثمينة غنية بكل ما هو نافع ومفيد ، **وهو من هذه الناحية سلعة استراتيجية عسكرية داخلة في الصراع العالمي للسيادة ، فالبواخر والطائرات والهيلوكوبتر والشاحنات والسيارات والدبابات كلها تعمل بهذا السائل العجيب ، الذى اودع الله فيه الف مادة ومادة الى جانب البترول وكل واحدة منها احسن واغلى من الاخرى** ويكفى أن نفكر فى « النافتالين » ، وهو من أقل المواد البترولية ثمنا ، ومع ذلك فهو يباع اليوم بسعر الذهب لانه لازم للحفاظ على ملابسنا وفرشنا وبيوتنا . وبهذه المناسبة نقول ان لفظ النافتالين آت من النفط ، ومن هنا فانه ينبغى أن ننطق لفظ النفط بفتح النون لا بكسرها واسم البترول بالروسية نافتا ، واجدادنا كانوا يعرفون النفط السائل على الارض ويستخدمونه فى أغراضهم العسكرية ، وكانت لديهم آلات حربية لتقذف النفط المشتعل تسمى النفاطات .

هذه النعمة الكبرى يملك العرب ٦٠ ٪ من موجود العالم واحتياطيه منها ، ومنظمة « الاوبك » أى البلاد المصدرة للنفط فيها عشر بلاد اسلامية من ثلاثة عشر هم كل أعضائها ، وهذه البلاد الاسلامية هى السعودية والكويت وقطر ودولة الامارات العربية وليبيا والجزائر واندونيسيا ونيجيريا والعراق . فالنفط على ذلك ثروة عربية اسلامية او قل هى سلاح عربى اسلامى بالاضافة الى انه ثروة من وراء العقول يتحكم فيها صاحبها كما يريد ، والدنيا لا تجرؤ على الاعتراض فلو شاءت دولة بترولية أن تزيد ميزانيتها رفعت سعر بترولها من دولار الى خمسة كما تريد ، فيزيد دخلها دون ان تحرك ساكنا . والشركات العالمية لا تخسر ، لانها تحمل الزيادة على سعر البيع ، والخاسر الاخير هو المستهلك فى البلاد غير البترولية .

هذه النعمة الكبرى ماذا نفعل بها نحن العرب والمسلمين ؟

انفقنا على انفسنا منها عن سعة ، وقمنا باصلاحات ومنشآت فى بلادنا كلها خير وبركة ، واوسعنا على أهلنا فى النفقة حتى لم يعد فى أى بلد بترولى فقير واحد ، وكدسنا بواقى الاموال فى المصارف العالمية لتزيد باستمرار بفضل أسعار الفائدة التى تصل فى بعض الاحيان الى ٢٠ ٪ .

ثم ماذا ؟

لم نجد بعد ذلك ما نفعله الا أن نتعس انفسنا بهذه النعمة الكبرى ..

فالبترول فى ايدى الليبيين نقمة على كل انسان بما فيهم الليبيون انفسهم ، فمعظم عائدات البترول يملكها ويتصرف فيها رجل واحد ، فينفق معظمها فيما لا يعود على ليبيا نفسها الا بالمتاعب . والمواطن الليبى نفسه غير سعيد بنصيبه من هذا الخير العميم ، لان خيرة ابناء الليبيين مجندين للحرب فى بلاد لا يعرفونها ولاهداف لا يفهمونها ، وانما يقال لهم انهم ينشئون امبراطورية ليبية

● في ليبيا رجل كان من الممكن أن يكون أسعد حكام الدنيا ، فإن سكان بلاده لا يزيدون على ثلاثة ملايين ، والبترول في أرضه يسعد أربعين مليونا ، ولكنه لم يجد شيئا آخر يعمله بهذه النعمة إلا اشقاء مواطنيه وشقاء الآخرين.

وهم لا يعرفون ما هي هذه الامبراطورية الليبية ولا لماذا ينبغي ان تكون هناك امبراطورية ليبية ، ولماذا يموتون في سبيلها ، ولكن هذا هو مصيرهم أو هذا هو نصيبهم من البترول ! .. وهناك الوف من الليبيين يعذبون بسبب هذا البترول ويلعنون اليوم الذي عرفت فيه ليبيا البترول ..

وفي بلد عربي آخر - ولا داعي لذكر اسمه لان الامر هنا يتعلق بسر من الاسرار الاقتصاد العربي لا يحسن أن يذاع في الناس - في هذا البلد العربي اكتشف البترول والغاز بمقادير كافية لتمكين أهل هذا الوطن على الوصول الى أرفع درجات الرقي أو الرخاء على أقل تقدير ..

فماذا حدث ؟ .. حدث عكس ذلك

والبلد الذي كان ينبغي أن يدخل ميدان التصنيع والعلم والسيطرة على علوم العصر للنهوض بنفسه وملاحقة الامم الراقية أصبح اليوم متورطا في الديون والمشاكل الخارجية بصورة ضيعت عليه وعلى أهله كل فائدة من فوائد البترول .

ذلك ان البترول ملأ رؤوس قادة هذا البلد ، وبدلا من أن يسعدوا أنفسهم والآخرين قرروا أن يستخدموا البترول لسيادة الآخرين ، وفي محاولتهم سيادة الآخرين اتعسوا الناس وأتعسوا أنفسهم وأدخلوا أنفسهم في مشاكل يتعجب الانسان كيف ولماذا ادخلوا انفسهم فيها ..

ذلك ان الفرد - الذي هو خصلة وآفة عربية في نفس الوقت - زين لاهل ذلك البلد انهم لا ينبغي أن يكتفوا بالصناعات العادية من نسيج وتعدين وصناعة ملابس وأدوات منزلية وأدوات بناء وما الى ذلك بل ارادوا ان ينشئوا مصانع تنشىء مصانع ، اي - مثلا - مصانع تنتج أدوات مصانع النسيج وأدوات واجهزة مصانع التعدين وأدوات مصانع الملابس واجهزتها ، وأدوات مصانع اللوازم المنزلية ، وقد فاتهم ان هذا الطراز من المصانع العليا لا يصح الا في بلد على أرقى مستوى من الصناعة والتقدم الفني لكي يكون هناك الفنيون الذين يعرفون هذه المصانع وكيف تدار ، واذا لم يكن لديهم العامل الذي ينحصر عمله في الضغط على زر لكي تتحرك الآلة (ومع ذلك فهو لا يحسن الضغط على ذلك الزرار) فكيف تنشىء في ذلك البلد

العربي مصانع تصنع الآلة أو الماكينة كلها ؟ .

وانفق البلد العربي في انشاء هذه المصانع بلايين من أموال البترول وتبين له بعد ان انشأها انها لا تدور الا بمعرفة مهندسين واخصائيين من بلاد أوروبية ، ومن فرنسا بالذات ، لان المصانع اشتريت منها ، واذن فقد تعاقد البلد العربي مع مهندسين وفنيين فرنسيين كل واحد منهم يتقاضى مرتب رئيس دولة ، ومع ذلك فان اولئك الفنيين لم يستطيعوا العمل ، لانهم في حاجة الى فنيين آخرين في مستواهم ليقوموا بالتنفيذ . وهكذا أصبحت تلك المصانع نفسها مشكلة كبرى بالنسبة لذلك البلد العربي ، وانتهى الامر بأن توقفت عن العمل . بلايين الدولارات انفقت هدرا لكي يحصل البلد العربي في النهاية على آلات وماكينات ومصانع متوقفة عن العمل ..

وما السبب في ذلك ؟

الغرور .

ونعمة الله الكبرى التي وصفتها في مستهل هذا المقال ضيعدها بسبب الغرور ، بسبب الكبرياء الفارغ ، لان ذلك البلد العربي لم يقنع بنعمة الله ، بل اراد ان يحيلها الى نقمة ، نقمة الغرور والتعالي والكبرياء ، فكانت النتيجة ما ترى .. وهل تتصور ان هذا البلد العربي الذي ينتج مقادير هائلة من البترول والغاز مدين اليوم ! ان بتروله وغازه مباع مقدما لشركات وبنوك اوروبية ، وهو لا يستطيع ان يرفض الدفع ، لا يستطيع ان يتوقف عن ضخ البترول لحساب الدائنين الغربيين ، لانه اذا فعل ذلك سحب الغربيون مديريهم وفنييهم وسحبوا رجالهم وضماناتهم المصرفية ،وتوقفوا عن توريد البضائع الاستهلاكية التي لا يستغنى عنها ذلك البلد ..

ومعنى ذلك ان هذا البلد العربي اصبح يعاني حالة استعمار أجنبي جديد هو أسوأ من الاستعمار القديم ، لانه كان يستطيع محاربة الاستعمار القديم الذي فرض عليه ، ولكنه لا يستطيع محاربة الاستعمار الجديد الذي جلبه هو على نفسه وفرضه على وطنه ومواطنيه .

فهل رأيت حالا هي أتعس من هذه الحال ؟

هل من المعقول ان البترول — الذي هو نعمة كبرى — أصبح في يد هذا البلد العربي نقمة كبرى عليه وعلى غيره ؟!

وبلد عربي آخر آتاه الله فيضا من البترول .

وقد انفق والحق يقال كثيرا في رخاء مواطنيه ..

ولكن شياطين الغرب جاءوا اليه واقنعوه بأن بلاده في حاجة الى موانيء جديدة ، لا نالموانى الحالية لا تكفى ، ثم انها ليست على مستوى العصر ، وتعاقد البلد العربي على انشاء ميناءين جديدين تكلفا عشرات البلايين ، ثم احتاج الامر الى فنيين غربيين لادارة الميناءين ، وكان لابد كذلك من منشآت انارة وماء ومواصلات ووسائل اعاشة لاهل الميناءين

وتبين بعد ذلك انه لم تكن هناك ضرورة لانشائهما أصلا ...

● وكانت لبنان أشبه بأرض معاد ، كان الخير يجرى فيها أنهارا ، ولكنهم هناك لم يكونوا « وش خير » فقاموا بحرب أهلية بين بعضهم وبعض على أساس العصبيات واختلاف العقائد ، والنتيجة أن جنة لبنان أصبحت اليوم جحيم لبنان .

ومعنى ذلك ان اخواننا فى ذلك البلد العربى الطيب انفقوا البلايين من نعمة الله فى سبيل لا شىء ..

والاسوأ من ذلك ان هذين الميناءين اضرا بالموانى التى كانت موجودة قبلا ، فهناك - فى الموانى القديمة - ناس لهم مصالح ومكاتب وتوكيلات وموظفون وعمال ، وهم لا يستطيعون أن ينشئوا مثل هذه المكاتب والتوكيلات فى الميناءين الجديدين .

وكان على الدولة أن تعينهم من مالها لكى ينشئوا مكاتب وتوكيلات جديدة دون أن يغيروا مكاتبهم فى الموانى القديمة .

اى ان المسألة اصبحت خسارة فى خسارة من اولها الى آخرها ..

ونعمة الله التى تفضل بها على ذلك البلد اصبحت مصدر هموم ومتاعب لاهله .

وقد تريثت بمأساة البترول العراقى الى آخر ذلك المقال - وانا هنا لا اسمح لنفسى بأن ادخل فى سياسة او اصدار حكما يدخل فى نطاق السياسة ، بل انا انظر الى الموضوع كله من الناحية العربية العامة الخالصة ..

لقد نقل البترول العراق من حال الى حال .

ومن الحق أن نقرر ان اخواننا فى العراق قد أحسنوا التصرف فى بترولهم، ونفعوا به مواطنيهم وبلدهم ، وقاموا بمشروعات كبرى وضعت العراق بالفعل فى طريق نهضة علمية حضارية كبرى .

ثم جاءت حرب ايران والعراق ، ولسنا هنا فى مجال البحث عن المسئول أو من الذى بدأ الحرب . فهذا موضوع يطول الكلام فيه .

وكان من الممكن جدا ان يستمر الاحتكاك بين الجانبين ، أو أن تستمر الحرب الصغيرة غير المعلنة بينهما ، ولكن هذا الاحتكاك وتلك الحرب غير المعلنة لم يكن من الممكن أن تصل قط الى بشاعة الحرب المعلنة وخسائرها ..

وما هو الحال اليوم ؟

معظم منشآت البترول فى العراق محطمة أو مهددة بالتحطم والعمل

الحضارى الجليل الذى كان العراق يعمله متوقف ولا مفر من ذلك ، لان الحرب من شأنها ان تشل كل نشاط فى أى بلد

حقيقة ان حكومة العراق تبذل أقصى وسعها حتى لا يشعر أهل البلاد بأن هناك حربا ، ولكن الشعوب تحس وتتأثر وتتعطل مصالحها متأثرة بغريزة الخوف والاحساس بالخطر ، وعلى أقل تقدير نقول أن الحرب لابد أن تكون الشاغل الاول لقادة العراق ، ولابد ان العمل الحضارى العظيم الذي كانوا سائرين فيه قد توقف ..

اى ان نعمة البترول لم تعد نعمة .

فأما ثمرتها الكبرى وهى المال فها أنت ترى كيف يهدر المال ، لان المال لا يهدر فى شيء كما يهدر فى الحرب ، **والدبابة التى يدفع فيها خمسة ملايين من الدولارات تتعطل وتصبح حطاما من حديد بقنبلة واحدة مضادة للدبابات واحسب أنت كم دبابة وكم طائرة وكم سيارة وكم خط انابيب وكم مصفاه نفط تحطمت ، وقل لى ان لم تكن هذه نكبة ، فماذا تكون ؟**

وايران ، أليست هى الاخرى بلدا اسلاميا انعم الله عليه بنعمة النفط ، فماذا فعل الايرانيون به ؟

فى أيام الشاه استخدم الايرانيون النفط لارهاب العرب وتهديد أمنهم ، واستولت قوات الشاه على ثلاث جزر فى مدخل الخليج العربى لكى تحكم سيطرتها على بترول العرب ومصالح العرب بالاضافة الى اذلال الشعب الايرانى وحرمانه من حرياته وحقوقه بقوة الجيش

وأيام الشاه كان الايرانيون يعيشون فى ذل وخوف ، وهذا هو السبب فى هذا الطابع الجنونى الذى تأخذه ثورة ايران ، فان جنون الظالم ينشأ عنه جنون المظلوم .

والآن نرى ماذا فعلت الثورة الايرانية ببترول ايران ، لقد تحطمت المصافى والانابيب وتوقف العمل وزاد ذل الشعب الايرانى ..

كل هذا ونعمة البترول فى أيدينا .

كانت هذه الامم كلها فقيرة تعيسة من غير البترول .

ولما جاء البترول أصبحت أتعس وأفقر ...

فأى ناس هؤلاء ..

وأى حظ هو أسوأ أو أسود من هذا ؟

نعمة الله على غيرنا تصبح نقمة فى أيدينا !

وخيرات الدنيا تحت بصرنا ولا نعرف كيف نفيد منها ؟

والخلافات بيننا بلا نهاية ..

وكلها خلافات سخيفة بلا منطق وبلا بداية .

والا فماذا بين سوريا والعراق ؟

وماذا بين سوريا والاردن ؟

● ماذا يحدث للدنيا لو امتلأت قلوبنا بالخير والمحبة وروح التعاون ؟ هل تنقلب الدنيا إذا نسى العربي أحقاده ومخاوفه وقرر أن يستمتع بما أنعم الله به عليه ؟ يبدو أن هذا غير ممكن، لأن المشاكل والمتاعب تخصص عربي أصيل

وماذا بين ليبيا وبقية عالم العرب والاسلام ؟

وماذا بين الجزائر والمغرب ؟

بين هؤلاء جميعا بعضهم وبعض لعنة الشيطان التي تتحكم دائما في عقول العرب وقلوب العرب .

لقد حضرت قمة الطائف وسألت الله أن يبارك دعوة الوحدة والاخاء التي صدرت عن هذه القمة ، وحمدت الله على أن الاخوة الشقيقات صاحبات البترول قد أوسعت في باب المعونة والرحمة على اخواننا من بلاد العروبة والاسلام التي تعاني من الجفاف والعطش في افريقيا وتهددها ، بسبب ذلك آفة الشيوعية ، عدوة الاسلام والحضارة والسلام .

حمدت الله على نعمة الاخوة وروح التضامن والاسلام وتمنيت على الله الا يميتني حتى ارى أمة الاسلام كلها وقد صفت قلوب أهلها واجتمعت في قمة طائف أخرى لتبدأ عصرا جديدا من المحبة والسلام والاسلام .

وعندما افتتح المؤتمر في الحرم المكي في مكة سألت الله وأنا محرم معتمر أن يملأ قلوبنا اسلاما ، لان الاسلام وحده هو الذي يشفي كل هذه الادواء ، وهو الذي يؤلف القلوب .

ولو كنا مسلمين حقا لما كان كل هذا البلاء .

لان الاسلام وحده هو النعمة الكبرى التي تتضاءل امامها اي نعمة من نعم هذا الوجود .

والمسلمون الاول الذين حملوا راية الاسلام والسلام ونشروا النور في أرجاء الارض ماذا كان لديهم ؟

الاسلام وحده ..

●

فهل نحن ذاكرون ؟

● د . حسين مؤنس ●

الرسول يرخـ

● د . احمد شلبي ●

● اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام بتربية الفرد المسلم كما اهتم بتربية الجماعة والمجتمع الاسلامي من خلال توجيهاته الخالدة وفي هذا المقال نعرض للرسول وهو يربي الفرد المسلم .

خلق الاسلام آدابا جديدة ، واخلاقا سامية لم يكن للمجتمع البشرى عهد بها والذى يتابع حياة الرسول وبخاصة في المدينة ، يجده بذل أقصى الجهد لاعادة بناء الفرد عقب دخوله الاسلام ، فاخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل في جانبين متوازيين ، الجانب الاول تطهير الفرد المسلم من انواع الشرور والآثام التي كانت متفشية ، والتي يمثل لها النفس الامارة بالسوء .. اما الجانب الثاني فهو العمل ليكسب الفرد المسلم اسمى الصفات واكرم السجايا ، وذلك بتحديد الفضائل والحث على اتباعها والتمسك بها ..

وكان الرسول صلوات الله عليه يتخذ كل الوسائل لتربية الفرد المسلم واعادة بنائه بالقول حينا وبالسلوك حينا آخر ، وكان تأثير الرسول صلى الله عليه وسلم ـ بكلامه وفعله شديدا على المسلمين ، فظهرت طبقة من الصحابة برزت فيهم صفات البر واختفت صفات الانحراف ، وسنعيش مع سيدنا رسول الله نعرض كلامه وتصرفاته وهو يعمل على تجنيب المسلمين الرذائل ، وعلى شدهم الى الخير ، وتمكين الفضائل من نفوسهم ..

وليس مانعرضه هنا الا محاولة لتجديد العهد بصدر الاسلام حتى نستجيب لرسول الاسلام وهو يرشد ويعلم ويوجه وصفة الظلم من اخطر الصفات التى تهدد المجتمعات ، وهى عدوان قوى على ضعيف كأنما ظن القوى انه سيظل قويا وحسب أن الضعيف سيظل ضعيفا ، وهو حساب خاطىء ، فليس هناك شيء يدوم ، ولذلك نجد سيدنا رسول الله يهاجم الظلم ويحذر منه ، قال عليه السلام :

● اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ـ (رواه مسلم)

● اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب ـ (متفق عليه)

ويبين رسول الله ان الظالم لن يفلت من العذاب ، قال عليه السلام :

« ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » واذا كان الظلم نهبا أو استيلاء فان الظالم يطوق يوم القيامة بما نهبه او اغتصبه ..

قال عليه الصلاة والسلام : من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع اراضين ـ (متفق عليه)

الفرد المسلم

ويكون الظلم أبشع وأفحش لو كان واقعاً من ولى الامر على الرعية ،فولى الامر يفترض أن يكون حاميا من الظلم وحارسا للرعية ، فاذا انقض عليهم ظالما وجائرا كان عقابه مضاعفا وحسابه عند الله شديدا ، قال صلى الله عليه وسلم : ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، الا حرم الله عليه الجنة • ـ اللهم من ولى من أمر امتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه • ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به ••

***

ومن الظلم ظلم ينزله الابن بوالديه ، وهو يسمى العقوق ، والرسول يعد هذا العقوق نوعا من الكبائر ، ويخوف بان عقوبته لن تكون فى الآخرة فحسب وانما يعجل الله بها فى الدنيا ، قال صلى الله عليه وسلم :

● الكبائر ثلاث ، الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس •

● ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف •

● كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء الى يوم القيامة ، الا عقوق الوالدين فان الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات •

ومن الاخلاق الذميمة التى نهى الرسول عنها وكرر النهى ، الرشوة ، وهو داء يصيب بعض الناس ، ويوهمهم بانه يجلب لهم الخير ، وهو فى الحق يجلب عليهم البلاء ، ومال الرشوة ما يواجهه من أموال عند المرتشى ، وفى عصرنا الحاضر تنتشر الرشوة باسمها الحقيقى احيانا ، وباسم الهدية احيانا اخرى ، وهى هنا وهناك سحت وضلال ، قال صلى الله عليه وسلم :

● لعن الله الراشى والمرتشى ـ (رواة الاربعة)

● من ارتشى فى الحكم شدت يساره الى يمينه ثم رمى به فى قعر جهنم ـ (رواه الحاكم)

● الرشوة فى الحكم كفر وهى بين الناس سحت ـ (رواه الطبرانى)

ويحذر رسول الله من الكبر ، ويدل تحذيره على ان المتكبر جاهل نسى تكوينه ومبدأ حياته ومنتهاها ، ولو انه تذكر من سبقوه بما كان لهم من جاه وسلطان ثم ما انتهى اليه امرهم ، ما بقى فى نفسه شىء من الكبر ، وفى خلق الكبر يقول صلى الله عليه وسلم :

● من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ، كبه الله على وجهه فى النار ـ (رواه احمد) •

● من تعظم فى نفسه واختال فى

مشيته لقي الله تعالى وهو عليه غضبان.

وفي بناء الفرد المسلم يهتم الرسول عليه الصلاة والسلام اهتماما كبيرا ينهى الانسان عن التجسس ومحاولة كشف مساوىء الناس وعيوبهم ، وقد عد العلماء التجسس من الكبائر ، وينهى الرسول الفرد المسلم عن التجسس بقوله : من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقئوا عينه .

● من استمع لحديث قوم وهم له كارهون صب فى اذنيه الآنك (الرصاص المذاب)

● كل أمتي معافى الا المجاهرون (فاذا كان الله قد ستره فليس لمسلم أن يكشف ستره)

● لا تتبعوا عورات المسلمين ، فان من تتبع عورات المسلمين فضحه الله .

وليس من التجسس ان تتتبع انسانا غلب على الظن انه يريد الفتك بانسان أو ارتكاب كبيرة لتمنعه من ذلك .

وينزه الرسول الانسان المسلم عن الخلاف ، ويروى انه صلى الله عليه وسلم - عندما ارسل عمرو بن العاص على رأس بعث ، ثم امده بجند بزعامة ابي عبيدة بن الجراح أوصى الرسول أبا عبيدة بقوله : « لا تختلفا » . وكم من مفاسد ترتكب بسبب الخلاف والصراع ، وفي المجتمعات افراد كانما يبحثون عن مواطن الخلاف ، ومثل هؤلاء يتخلقون باخلاق تدمر المجتمع وتأتي عليه .

***

وفي بناء الفرد المسلم نجد الرسول صلوات الله عليه يتبع أرقى ألوان الفكر عندما يقول : اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر ..

وينهى الرسول عن الجلوس في الطرقات الا بعد اداء حقها ، فعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اياكم والجلوس على الطرقات فقالوا يا رسول الله :ما لنا بد .. فقال: فان ابيتم الا الجلوس فاعطوا الطريق حقه .. قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟ .. قال غض البصر وكف الاذى ، ورد السلام ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تلك وقفة قصيرة مع الرسول صلوات الله عليه ، وهو يجنب الفرد المسلم شرور النفس وآثامها ، فاذا جئنا الى الجانب الآخر الذي يحث الرسول فيه الفرد المسلم على كريم الصفات وجميل السجايا ، وجدنا ثروة هائلة تجعل من الانسان صورة طيبة ونموذجا حيا يتناسب مع الصورة التى ارادها الله للانسان المسلم ، وسنذكر فى هذا المجال بضعة احاديث تصور أهم الجوانب فى بناء الانسان المسلم .

واحاديث الرسول فى هذا المجال تتدرج فى بناء الانسان ، فهى تتجه فى المقام الاول لتعليمه الصدق والامانة والكرم والاخلاص فى العمل وما ماثل ذلك ، ثم تتجه به بعد ذلك لتعلمه رعاية الآخرين ، فتحثه على صلة الرحم واداء حق الجار والتنفيس عن المعسر ، وتنتقل الاحاديث خطوة أخرى فتحث على الدقة فى اختيار الصديق ، ولما كانت الحياة تحتاج لحراسة فان الاحاديث توضح ان المجاهدين والمرابطين لهم عند الله أحسن الجزاء ، لهم يقدمون النفس والدم اذا قدم الكرماء المال والمتاع ،وتتجه احاديث الرسول فى مجال بناء الفرد الى اتجاهات اخرى متعددة سنراها فيما بعد .

عن الصدق يقول صلى الله عليه وسلم :

● عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، والبر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا .. واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور ، والفجور يهدى الى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا - (رواه البخاري) .

● وعن الامانة يقـــول علي بن ابي طالب رضي الله عنه : كنا جلوسا عند الرســـول صلى الله عليه وسلم فاقبل علينا رجل من أهل العالية فقال :أخبرني يا محمد عن أشد شيء في هـــذا الدين والينه ـ

فقال له الرسول : يا أخا العالية : الين شيء في هذا الدين شهادة الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأشد شيء يا أخا العالية الامانة ·· الا انه لا دين لمن لا أمانة له وان صام وصلى ·

● وعن الاخلاص في العمل واجادته يقول عليه الصلاة والســـلام : ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه ·

● وعن انسب وقت للصـــدقة يروى أبو هريرة ان رجلا جاء الى النبي صـــلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله : أى الصـــــدقة أعظم اجرا ؟ قال : ان تتصدق وأنت صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت هذا لفلان وهذا لفلان ·

● وعن صلة الرحم يروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه ـ (متفق عليه)

● وعن حق الجار يقـــول صـــلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره · وقيل للرسول : ان فلانة تصـــوم النهار وتقوم الليل ، ولكنها تؤذي جيرانها · فقـــال : هي في النار ·

● وعن التنفيس عن المدين يقول أبو قتادة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه ·

ويروى جابر ان الرســـول صلى الله عليه وسلم قال : رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشـــترى واذا اقتضى · (متفق عليه) ·

● وعن الدقة في اختيار الصـــديق يقول صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب ، ويقول الرجل على دين خليله ، فلينظر احدكم من يخالل ـ (رواه ابو داود) ·

● وعن جزاء المجاهد يقول صلى الله عليه وسلم : من قاتل في سـبيل الله وجبت له الجنة ·

● وعن الحث على البعـــد عن الفقر والحرمان العوز ، يقـول صلى الله عليه وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ـ (متفق عليه) ·

● وعن الرفق بالناس يقـــول عليه السلام لعائشة يا عائشة عليك بالرفق ، فانه لا يدخل شيئا الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه ، وان الله رفيق يحب الرفق ـ (رواه مسلم) ·

● وعن حسن معاملة الخدم يقول ابن مسعود : كنت اضرب غلاما لي فسـمعت صـــوتا من خلفي يقول : « اعلم يا أبا مسعود ·· » فلم افهم الصوت من شدة غضبي ، فلما دنا مني صاحب الصـوت وجدته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « اعلم يا أبا مســـعود ان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام » فقلت يا رسول الله : هو حر لوجه الله تعالى : فقال : لو لم تفعـــل للفحتـــك النار ـ (رواه مسلم) ·

تلك نماذج قليلة وهناك آلاف مثلها من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يربي الفرد المسلم ، مرتبطة هـــذه الاحاديث باحداث ومواقف أو كانت من التوجيه العام ، ولاشك ان هذا اللون من التربية شغل حياة الرسول في مقـــامه وسفره ·

●●

أفغانستان المأساة والأمل

١

● د. وحيد رأفت ●

● لعل الغزو السوفييتي لافغانستان في ٢٧ ديسمبر من عام ١٩٧٩ ، هو أول غزو سافر يقع في ظل ميثاق الامم المتحدة ، ومن جانب دولةعظمى تملك حق ((الفيتو)) في مجلس الامن - على دولة صغيرة عضو في ذات المنظمة تنتمي الى العالم الثالث او دول عدم الانحياز ...

ولاشك ان دولا عظمى اخرى تورطت في اعمال عدوانية ضد دول اصغر ، منذ قيام الامم المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية .. ولعل ابرز مثال على ذلك العدوان الثلاثي في اكتوبر ونوفمبر عام ١٩٥٦ من جانب فرنسا وبريطانيا بمشاركة دولة اسرائيل ،على مصر ، غير ان الفارق كبير بين العدوان الثلاثي المذكور ، وبين الغزو الشيوعي لافغانستان . ذلك ان فرنسا وانجلترا كانتا تبغيان بعدوانهما على مصر قلب نظام حكم الرئيس جمال عبد الناصر عقابا له على مساعدته لثوار الجزائر في نضالهم ضد الاستعمار الفرنسي ، ولتاميمه لقناة السويس التي تخدم مصالح الغرب والخاضعة ، وقتها ، للنفوذ البريطاني الفرنسي .. ولم يكن القصد غزو مصر لضمها الى الممتلكات الفرنسية او البريطانية ، او تحويلها الى دولة تابعة ، كما هو الشأن بالنسبة للغزو السوفييتي لافغانستان

واذا كان القادة السوفييت لم يقرروا بعد ضم افغانستان الى اراضيهم المترامية الاطراف ، لكي تصبح الجمهورية الاشتراكية السوفييتية السابعة عشرة مثل جمهورية اذربيجان او ارمينيا او التركمان او ازبكستان ، ربما انتظارا الى ان تهدأ ثورة الغضب التي شملت العالم استنكارا لهذا الغزو ، الا انهم قد شرعوا بالفعل في تحويل افغانستان الدولة الاسلامية المستقلة الى جمهورية ديمقراطية شعبية تسير في فلك الاتحاد السوفييتي كجمهورية منغوليا الواقعة بين الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية في شرقي اسيا ..

ويكاد يشبه غزو السوفييت لافغانستان في اواخر ديسمبر ١٩٧٩ وفي ظل ميثاق الامم المتحدة - غزو ايطاليا الفاشية في عهد موسوليني عام ١٩٣٥ ، وفي ظل نظام عصبة الامم ، لدولة الحبشة المستقلة والعضو في تلك المنظمة وضمها بكاملها الى الامبراطورية الايطالية التي كان موسوليني يحلم بقيامها تحت التاج الايطالي ... وقد ثارت الدول الاعضاء في عصبة الامم وقتذاك ضد هذا الغزو الايطالي السافر لدولة عضو في نفس المنظمة ، وقرروا بعد التشاور تطبيق بعض الجزاءات السياسية والاقتصادية بحق ايطاليا عقابا لها على هذا العدوان والانتهاك الصارخ لميثاق عصبة الامم محط امال العالم حينذاك ، في ارساء قواعد صرح السلام والتعاون الدولي .

ولم يعبأ موسوليني بتلك الجزاءات الهزيلة ، ولم تسترد دولة الحبشة « اثيوبيا » حريتها واستقلالها ثانية الا بعد اندحار ايطاليا واستسلامها في الحرب العالمية الثانية .



ثوار افغانستان .. بين المأساة والامل

ولاشك أن ذلك العدوان الايطالي الصارخ على أثيوبيا وقبول العالم في النهاية للأمر الواقع ، كان من العوامل التي شجعت ألمانيا النازية بزعامة أدولف هتلر على ارتكاب المزيد من الانتهاكات للشرعية الدولية ، بالتهام النمسا ثم تشيكوسلوفاكيا قبل غزو بولندا مما عجل باندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ ، وكانت النتيجة المباشرة انهيار النظام الدولي القائم ممثلا في عصبة الامم .

***

ولا يعني هذا أن الامم المتحدة سوف تلقى نفس المصير نتيجة للغزو السوفييتي لافغانستان ، فهي كمنظمة دولية أكثر شمولا وأرسخ قدما من عصبة الامم اذ تضم اليوم أكثر من مائة وخمسين دولة من بينها الدول العظمى الخمس جميعا وهذا عامل من عوامل قوتها ... ومن جهة أخرى لقد مضى على قيامها خمسة وثلاثون عاما تغلب خلالها على الكثير من الازمات والاعاصير ابتداء في عام ١٩٥٠ بالحرب الكورية والتي كادت تشعل حربا عالمية ثالثة ، وانتهاء بأزمة الرهائن الامريكيين في نوفمبر ١٩٧٩ . ثم بالغزو السوفييتي لافغانستان والحرب العراقية الايرانية المدمرة الاقتصاديات الطرفين ، مرورا بحروب فلسطين الاربع ، والحرب بين الهند والباكستان في عام ١٩٧١ ، والقتال في فيتنام وكامبوديا وغيرهما من دول جنوب شرقي آسيا . واذا كان الغزو السوفييتي لافغانستان في ديسمبر ١٩٧٩ لن يعصف بالامم المتحدة الا أنه قد عصف فعلا بالسلام والاستقرار في منطقة حساسة من العالم .

ولم يكن هذا الغزو مفاجئا بل كانت له مقدمات ومؤشرات بدأت بالاطاحة بالملك محمد ظاهر شاه واسقاطه في أغسطس ١٩٧٣ ، على يد « داود خان » أحد أفراد هذه الاسرة المالكة ، ثم بالانقلاب الماركسي الاول في ابريل ١٩٧٨ ضد نظام داود خان غير المنحاز وتولى نور محمد تراكي من حزب « الخلق » الشيوعي ، مقاليد الحكم ليبدأ في تحويل البلاد تدريجيا الى جانب المعسكر الشيوعي ، حيث عقد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفييتي في سبتمبر عام ١٩٧٨ ، تم التصديق عليها في ديسمبر من نفس العام ، على غرار المعاهدات التي يعقدها السوفييت مع دول العالم الثالث التي يطمعون فيها ، كمعاهدتهم مع مصر عام ١٩٧١ « قبل أن تلغيها مصر من جانبها وحدها عام ١٩٧٦ » ، ومع جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية في عام ١٩٧٩ ، ثم أخيرا مع نظام البعث العلوي السوري في اكتوبر ١٩٨٠ . وهي

معاهدات يحاول السوفيت من خلالها تحقيق مآربهم في التغلغل في هذه الدول انتظارا للفرصة المناسبة للانقضاض عليها وضمها او شد وثاقها الى دائرة النفوذ السوفييتي، فاذا الصداقة وقد تحولت الى حماية، واذا التعاون وقد تحول الى تبعية ذليلة !

وهكذا لم يكد عميل السوفييت في كابول نور محمد تراقي يعود الى بلاده من مؤتمر عدم الانحياز المنعقد في هافانا في سبتمبر ١٩٧٩ ، بعد أن برهن فيه هو ونظيره الكوبي فيدل كاسترو على تبعيتهم للاتحاد السوفييتي - حتى اطاح به انقلاب ثالث في كابول بتزعمه غريمه ومنافسه في « حزب الخلق » حفيظ الله امين .. وما ان بدأ هذا الاخير يفكر في التحرر ولو جزئيا من نفوذ سادته في موسكو ، حتى اطاح به انقلاب رابع في اواخر ديسمبر ١٩٧٩ ، قذف الى دست الحكم بعميل ثالث اكثر انضباطا للسوفييت من العميلين السابقين ، وهو بابراك كارميل من حزب « برجام » المنافس « لحزب الخلق » ...

ولم يكتف السوفيت هذه المرة بالاخراج المعتاد للانقلابات الشيوعية التقليدية الموجهة من الخارج ، بل قاموا بغزو افغانستان بقوات كبيرة عبرت الحدود السوفيتية الافغانية في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ لتصفية نظام حفيظ الله امين واقامة نظام العميل الجديد بابراك كامبل على انقاضه .

وبذلك كشف السوفيت لاول مرة وبكل الوضوح عن حقيقة اطماعهم في افغانستان وجاراتها تنفيذا لمخطط قديم يرجع الى عهد القياصرة بطرس الاكبر وكاترين الثانية ، ويستهدف الوصول الى المياه الدافئة ، ليس فقط باتجاه شرقي البحر الابيض المتوسط ، بل وايضا باتجاه بحر العرب والمحيط الهندي ، هذا المخطط الذي اكتسب اهمية جديدة بعد تفجير ينابيع البترول في ايران والسعودية وامارات الخليج العربي وسلطنة عمان ، وبعد ان تحول الطريق الملاحي الى الهند والمستعمرات البريطانية فيما وراء البحار الذي كانت تحرسه اساطيل بريطانيا ، اكبر دولة بحرية وقتذاك وحتى بداية قرننا هذا ، الى طريق تجاري حيوي لقوافل الزيت من شواطئ الخليج العربي « الفارسي » عبر مضيق هرمز وباب المندب والبحر الاحمر وقناة السويس، الى الدول الصناعية الكبرى واوروبا وأمريكا ، اضافة الى الطريق الملاحي لناقلات الزيت العملاقة حول رأس الرجاء الصالح في اقصى الجنوب الافريقي .

ويعلم القادة السوفيت كغيرهم ، ان من يسيطر على هذه الطرق الملاحية يتحكم في زمني السلم والحرب ، في حياة العالم الغربي الرأسمالي والذي يستمد ٦٥٪ من بتروله من منطقة الخليج بالذات .

يضاف الى هذه الاعتبارات الاقتصادية الاستراتيجية ، خشية القادة السوفيت من صحوة العالم الاسلامي بعد تفجير الثورة الشعبية في ايران على يد آية الله خميني وانصاره من زعماء الشيعة ، واقامتهم نظاما جمهوريا اسلاميا في ايران يطبق الشريعة الاسلامية كما يفهمها هؤلاء ، ويسعى الى بسط نفوذه الديني على الدول المجاورة ، وذلك بعد القضاء على نظام الشاه محمد رضا بهلوى شبه العلماني وشبه الغربي ، في فبراير ١٩٧٩ .

لقد توجس السوفيت خيفة من الاثار المباشرة وغير المباشرة لهذا التحول الكبير في بلاد فارس ، على شعوب الجمهوريات الاسلامية السوفييتية في جنوب الاتحاد السوفيتي ذاته ، في أزبكستان وتركمان وأزربيجان السوفيتية وفي بخاري وطاشقند من المدن الاسلامية العريقة ، فخيل الى القادة السوفيت انه بتحركهم السريع واستيلائهم على دولة افغانستان المستقلة المسلمة المجاورة ، واخضاعها لنفوذهم الكلي - يقيمون حاجزا امتينا يستطيعون

● الغزو السوفييتي لأفغانستان لا يشكل انتهاكا دوليا وتهديدا خطيرا للسلام فحسب بل يعتبر إهدارا لميثاق الأمم المتحدة وللمواثيق الدولية .

من طريقه احتواء الشعور الديني الاسلامي المتفجر في ايران والذي يهدد بالانتقال الى جاراتها كباكستان وبنجلاديش وغيرهما من الدول الاسلامية في اسيا وربما في افريقيا ايضا ..

هذه العوامل مجتمعة حملت القادة السوفييت بعد امعان الفكر ، على المجازفة بغزو افغانستان واحتلالها عسكريا في ديسمبر ١٩٧٩ ،مستغلين مركب النقص الذي استولى على الشعب الامريكي بعد هزيمته العسكرية المنكرة في فيتنام ، وضعف الادارة الامريكية في عهد الرئيس السابق جيمي كارتر ، وتصدع حلف شمال الاطلسي وتردد دوله ، وخشيتها من مجرد التفكير في القيام باي عمل عسكري او شبه عسكري جماعي ضد الاتحاد السوفييتي ، خاصة بعد ان ظهر لدول الحلف تفوق السوفيت عسكريا في كافة المجالات ، حتى في مجال الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية ، على دول حلف شمال الاطلسي بزعامة الولايات المتحدة والتي بدات تفقد شيئا لشيئا مقومات هذه الزعامة ..

كما استغل السوفيت في غزوهم لافغانستان انشغال الدول العربية والاسلامية في الشرق والمغرب بقضايا الساعة والقضية الفلسطينية ومضاعفاتها بعد توقيع مصر على اتفاقيتي كامب دافيد في سبتمبر ١٩٧٨ ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية في مارس وقضية الصحراء الغربية التي سممت الجو بين المغرب والجزائر وليبيا ، وكذلك حول قضية الزعامة على العالم العربي والاسلامي وتطلع حكام سوريا والعراق والسعودية وليبيا الى هذه الزعامة بعد محاولات عزل مصر عن سائر دول العالم العربي والاسلامي .

وغني عن التذكير ان الغزو السوفييتي لافغانستان لا يشكل انتهاكا صارخا لميثاق الامم المتحدة وللشرعية الدولية وتهديدا خطيرا للسلام فحسب بل ويشكل ايضا انتهاكا صريحا للاعلان العالمي الصادر في عام ١٩٤٨ لحقوق الانسان وللمواثيق الدولية المنفذة والمكملة له . فلقد حرصت هذه المواثيق على تاكيد ان حق كل شعب في تقرير مصيره واختيار الحكومة التي التي يرتاح اليها هو في مقدمة الحقوق والحريات الانسانية جميعا ، بينما احتلال افغانستان بواسطة القوات السوفيتية وفرض حكومة عميلة عليها في شخص بابراك كارميل او غيره من العملاء ، يسلب الشعب الافغاني حقه في تقرير مصيره واختيار الحكومة التي يرضاها والنظم السياسية والاجتماعية التي يرغب فيها .

ولقد اقترن هذا الانتهاك لحقوق الشعب الافغاني باكمله ، بانتهاكات اخرى كثيرة تتمثل في ملاحقة المجاهدين الافغان للقضاء عليهم وعلى حركتهم ، وتدمير المدن وهدم منشات

القرى والمساكن على رؤوس أصحابها، وتعريض من يقع بيد سلطات الاحتلال السوفيتية أو السلطات المحلية العميلة من المجاهدين أو الوطنيين غير المتعاونين مع النظام لشتى انواع التعذيب والتنكيل في السجون والمعتقلات، وازالة المساجد ودور العبادة وتسويتها بالارض لصرف المواطنين عن دينهم ودين اجدادهم، واستخدام أساليب يحرمها القانون الدولي والمعاهدات الدولية في مقاتلة الثوار كالغازات السامة والقنابل الحارقة والجرائم الفتاكة والادوات الملغمة، تلقي بها الطائرات السوفييتية على المدن والقرى فتنفجر لاول وهلة عند اللمس، وتقتل من يلتقطها من الرجال والنساء والاطفال أو تشوهم بصورة بشعة لاشفاء منها، مع افتقاد وسائل الاسعاف والعلاج .. وواقع الحال أن الشعب الافغاني يتعرض منذ الغزو السوفييتي لبلاده في ١٧ ديسمبر ١٩٧٩ لحرب ابادة يقدر شهداؤها حتى يومنا هذا بمئات الالوف، مما دفع بالسكان للعزل الى الفرار جماعات وافراد من هذا الجحيم الى الدول الاسلامية المجاورة، وخاصة الى باكستان، التى اصبحت تأوى الان حوالى مليونا ونصف مليون نسمة من اللاجئين الافغان، مما بدأ يشكل عبئا ثقيلا على الحكومة الباكستانية وعلى مواردها المحدودة .

ولقد اعلن بعض ممثلي جماعات المقاومة الافغانية خلال زيارتهم للقاهرة في ديسمبر ١٩٨٠ ان جماعات المقاومة الافغانية تعاني بقسوة من قلة المواد الغذائية، وانهم بعد ان كانوا يطالبون بالسلاح اصبحوا في حاجة امس الى الكساء والغطاء، والعون الغذائي ..

ولقد حاول السوفيت كعادتهم لتبرير غزوهم لافغانستان بانتحال اعذار أقبح من الذنب، تقوم على تشويه الوقائع وتزييفها كقولهم أن الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين وقد أقلقهم الانقلاب الشيوعي الاول الذى وقع في أفغانستان في ابريل ١٩٧٨ ضد النظام غير المنحاز للرئيس داود خان — حاولوا تجنيد وتسليح جماعات من المرتزقة في باكستان المجاورة والموالية للغرب للقيام بانقلاب مضاد، بغية تغيير النظام القائم في كابول لصالح الامبريالية الغربية . ومن ثم فلا تثريب اذا قام النظام الافغاني بطلب المساعدة من الاتحاد السوفييتي ضد تلك الجماعات المخربة المزعومة بموجب معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة بين الطرفين السوفييتي والافغاني في سبتمبر ١٩٧٨، والمصدق عليها في ديسمبر من نفس العام في عهد الرئيس نورمحمد تراكي، وايضا بموجب حق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي المنصوص عليه في المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة

وذهب السوفييت في تجنيهم على الواقع وتزييفهم له الى حد اعتبار اثارة قضية الغزو السوفييتي لافغانستان، داخل الامم المتحدة أو في الدوائر الدولية الاخرى كالمؤتمر الاسلامي تدخلا في الشئون الداخلية للشعب الافغاني وانتهاكا لحقه في تقرير مصيره بل ذهبوا الى حد القول بان الحديث عن الغزو المذكور ليس الا ضجة مصطنعة خلقتها الامبريالية الامريكية من اجل التسلل الى الخليج العربي والمحيط الهندي، والضغط في الوقت ذاته على ايران بسبب قضية الرهائن، وان امريكا وحلفاءها يستغلون قضية افغانستان للدعاية المغرضة من اجل القضاء على سياسة الوفاق بين الشرق والغرب والعودة بالعالم من جديد الى مناخ الحرب الباردة . كما أعلن المندوب السوفيتي لدى الامم المتحدة ، استمرارا لسياسة الاكاذيب وطمس الوقائع ان الدول التى تطالب بانسحاب السوفيت من افغانستان « وهو يعني امريكا » هي نفسها التى تسمح لاسرائيل باحتلال الاراضي العربية وتشجعها على عدم سحب قواتها منها ... وهكذا يستخدم السوفييت قضية للسطي

والاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية كستار من الدخان للتمويه او للتقليل من خطورة غزوهم لدولة افغانستان المسلمة المستقلة ... سلسلة من الاكاذيب والمغالطات والتمويه لا ينفك الاتحاد السوفييتي عن ترديدها لتبرير تدخله في افغانستان واحتلاله اراضيها بينما الثابت ان المقاومة لتغلغل النفوذ السوفييتي في افغانستان منذ الانقلاب الماركسي الاول في ابريل ١٩٧٨ والذي اطاح بنظام الرئيس داود خان غير المنحاز لم تنطلق من الخارج كما يزعم السوفييت ، بل انبثقت من الداخل في صفوف الشعب الافغاني ذاته الذي وقف طوال تاريخه ضد كل غزو اجنبي او تدخل اجنبي في شئونه باي شكل من الاشكال .

وقد اخذت هذه المقاومة الشعبية الافغانية في الانتشار في عهد نور محمد تراقي ، ثم اشتد عودها في عهد خليفته حفيظ الله امين ، وهو ما اقلق القادة السوفييت وجعلهم يخططون لكي يستبدلوا به غيره من عملائهم ،ولو باستخدام القوة العسكرية الغاشمة ، وهو مانفذوه في السابع والعشرين من ديسمبر ١٩٧٩ بعد يومين اثنين من احتفال العالم بميلاد السيد المسيح الذي دعا الناس الى السلام والمحبة وهي قيم انسانية لا يتذوقها السوفييت الغلاظ الطامعين في الهيمنة على العالم ... والثابت ايضا ان راس النظام الافغاني وقت الغزو وهو حفيظ الله امين لم يستنجد بالاتحاد السوفييتي للقضاء على القلاقل الداخلية في بلاده ولا هو طلب العون من موسكو بموجب المعاهدة السوفييتية الافغانية او خلافها ضد شعبه الثائر على نظامه ، بل ان السوفييت هم الذين تدخلوا من تلقاء انفسهم لافساد صوت الشعب ، ولقلب نظام حفيظ الله امين وانصاره من اعضاء « حزب الخلق » ، واقامة حكومة جديدة عميلة في كابول تكون اكثر انصياعا لهم ورهن اشارتهم في فرض ارادتهم على البلاد من خلال احتلالها عسكريا ...

ولقد ثبت ايضا بما لا يحتمل اي شك أو جدل ان الاعلان عن سقوط نظام حفيظ الله امين وتولي بابراك كارميل السلطة مكانه في كابول ، لم يصدر من العاصمة الافغانية أو من اي اقليم من اقاليم افغانستان ، بل صدر من محطة اذاعة سرية اقامها السوفييت داخل اراضيهم في منطقة مجاورة للحدود الافغانية ، ولم يتمكن عميلهم بابراك كارميل دخول افغانستان والظهور على شاشات التليفزيون الافغاني الا بعد اقتحام القوات المسلحة السوفييتية للحدود الدولية الافغانية واحتلالها العاصمة «كابول » والقضاء كليا على نظام حفيظ الله امين ووزرائه وانصاره وتصفيتهم جسديا لكي يخلو الجو تماما لبابراك كارميل من حزب « برجام » المعارض لحزب الخلق » والذي كان ينتمي اليه كل من نور محمد تراقي وحفيظ الله امين ، وذلك رغم وحدة العقيدة الشيوعية للحزبين « برجام » و « الخلق » .

وحتى لو افترضنا جدلا ان حكومة حفيظ الله امين هي التي استنجدت بالاتحاد السوفييتي وطلبت تدخله لمساعدتها على حفظ النظام والاستقرار بافغانستان في اواخر ديسمبر ١٩٧٩ بموجب المعاهدة السوفييتية الافغانية او غيرها ، فان هذا الافتراض الجدلي لايخول الاتحاد السوفييتي اية حقوق شرعية لمواصلة احتلال الاراضي الافغانية بعد أن عبر الشعب الافغاني نفسه بكل جلاء ووضوح عن ارادته في رفض هذا الاحتلال الاجنبي او اي نوع من انواع السيطرة السوفييتية على وطنه .

● البقية العدد القادم ●

ثم جاء الاسلام وتحضر العرب وتثقفوا
لكنهم انصرفوا الى الشعر الغنائي

العواطف الفردية والاجتماعية في الشعر الجاهلي

● د. احمد الحوفي ●

— ١ —

اما ان الشعر الجاهلي غنائي يصور عواطف قائليه ، فهذا مما لا جدال فيه وهذه التسمية حديثة ، اطلقت على الشعر العربي كله ، بموازنته بالشعر الافرنجي القديم والحديث .

ذلك لان الشعر الافرنجي ثلاثة اقسام :

غنائي ، ومسرحي ، وقصصي ..

اما الشعر العربي فغنائي،يتغنى فيه الشاعر بعواطفه من حب وكره وغضب ورضا وقسوة ورحمة وسخط واعجاب

ولم يعرف الشعر العربي المسرحية الا في العصر الحديث ، بفضل الذين مهدوا له قبل شوقي ، ثم جاء شوقي فرفع سمكه ، وجرى على اثره كثير من الشعراء ..

واما القصة الطويلة او الملحمة فما يزال الشعر العربي خلوا منها الى اليوم ، وان حاول احمد محرم ان ينظم ملحمة اسلامية كاملة .

ومع ان العرب درسوا علوم اليونان وفلسفتهم وبعض ادبهم مثل كتاب الشعر وكتاب الخطابة لارسطو ، فانهم لم يتأثروا بادب اليونان كما تأثروا بعلومهم ، ولعل هذا راجع الى عدة عوامل منها :

١ — ان الادب خاضع للذوق ، والذوق يختلف باختلاف الامم ، اما العلم فيخضع للعقل ، والعقل احكامه واحدة .

٢ — ثم ان المسرحيات والملاحم اليونانية حافلة بذكر الالهة وتطاحنها وصراعها للبشر ، وصراع البشر لها ، وهذا ينافي عقيدة التوحيد .

٣ — على ان العرب كانوا معتزين بادبهم وشعرهم وبلاغتهم ، وكانوا متعصبين لقديمهم ، حتى لقد حاول بعض النقاد ان يحجروا على الشعراء، ويرسموا لهم مجال القول وطرائقه حفاظا على نهج القدماء ، وابقاء على ما سموه عمود الشعر .

٤ — وربما كان السبب في انهم لم ينظموا ملاحم تهتف بمجد الامة وتشيد بحروبها، وتنوه بمآثرها وتسجل الوان الحياة فيها ، كما فعل هوميروس — ربما كان سبب هذا ان الملاحم ضرب من التاريخ لاتجيده الامة الا اذا ذاعت فيها الثقافة وتعمق النظرة ، وربط الاسباب بالمسببات ، ولم يكن عرب الجاهلية كذلك ، ثم جاء الاسلام وتحضر العرب وتثقفوا لكنهم انصرفوا الى الشعر الغنائي .

ثم ان حياة العرب كانت قبلية ، والملحمة نتاج الشعور بحياة جامعة او شعبية عامة .

ولقد يعزى هذا الى التزام القافية وتضييقها على الشاعر ، وحدها من طول القصيدة لكن هذا بعيد ، لان نظام القافية قد تطور فيما بعد في صور الموشحات ، ثم جدت الوان من التحرر في العصر الحديث ، ومع هذا لم ينظم الشعراء ملاحم . —

على ان بعضهم تغلب على هذه العقبة فنظم الاف الابيات فيما يشبه الملحمة كما فعل شوقي في «دول العرب وعظماء الاسلام » وكما فعل احمد محرم في « الالياذة الاسلامية » ، فلو كانت القافية وحدها هي العائق ما استطاع احد ان يطيل الى هذا الحد .

وشيء اخر ان شوقي في مسرحياته الشعرية لم يلتزم قافية واحدة » كذلك فعل من حاكوه كعزيز اباظه ، ولقد كان من المستطاع ان يحدث مثل هذا في الملحمة لو أن شاعرا اراد ان ينظمها .

ولكن ليس معنى هذا ان نجزم بان الشعر الجاهلي لم يشتمل على بذور من الملاحم ، لان الملاحم من انتاج الشعوب في عهودها الاولى ، اما الملاحم الحديثة فهي محاكاة للقديمة مثل الكوميديا المقدسة لدانتي والفردوس المفقود لملتن .

واذا كنا نعلم ان كثيرا من الشعر الجاهلي قد اختفى في تضاعيف الزمن وجارت عليه عوادي النسيان او الاغفال والاهمال ، فاننا لا نستبعد ان يكون في جملة ما ضاع شعر اشبه بالملاحم ، ولقد يعزز هذا الفرض اننا نجد فيما وصل الينا قصائد طوالا تعرض بعض الوقائع كمعلقة عمرو بن كلثوم ، وربما كانت هذه القصائد اعظم طولا ، فهي اذن جذور لملاحم ، لم تجد من يتعهدها بالعناية ، حتى تثبت وتسمق سوقها .

— ٢ —

واما العواطف ذات الصلة بالاداب فكثيرة منها :

١ — العواطف الفردية ، وهي التي تتجلى في أكثر الناس ، أو فيهم جميعا ، ذلك ان هذه العواطف الفردية عرضة لان تنحصر في نفس صاحبها ، فلا يشعر بها غيره ، ولكن التشابه في الوان الحياة ، والتجانس في مظاهرها واحوالها ، يجعل من عواطف الشخص مرآة ونموذجا لعواطف غيره ، ولاسيما اذا كان صادق الحس صافي الوجدان

لهذا يكون ذلك النوع الفردي سهل المساغ ، سريع الاتصال بالنفوس .

على ان قدرة الاديب على التصوير تزيد هذا النوع من العواطف تأثيرا وقوة ، وتجعل تعبيره عن نفسه وثيق الاتصال بنفوسنا ، كأنما يعبر عن عواطفنا وانفعالاتنا .

على حين ان العواطف الفردية التي لا تمثل الا ميلا هائما او شرودا حائرا خلجات مضطربة ، تتقاذفها النفس ، فتضل السبيل ، ولا تجد لها موئلا .

٢ — العواطف الاجتماعية ، وهي التي تخرج بانفعالات الاديب الى ميدان واسع وتنشرها في المجتمع وتتصل بالحياة في شتى نواحيها ، وتتجه بآمال الشعب وميوله ونزوعه الى وجهة توحد غاياته العامة ، وتربط اواصره ، وتنير له مجاهل الحياة ، وتجعل من الامة وحدة متماسكة ، ونفوسا مشتركة المشاعر ، تترنم بأنبل الغايات .

فاذا ما رجعنا الى الشعر الجاهلي واستعرضناه وجدناه يمثل العواطف الفردية والاجتماعية . .

ذلك بان العواطف الفردية في الشعر الجاهلي لا تصور مشاعر الشاعر وحده وانما تصور مشاعر العرب وانفعالاتهم ، فهي عواطف مشتركة ، وانفعالات متشابهة .

اما العواطف الاجتماعية الخالصة فان الشعر الجاهلي ليس غنيا بها ، لانه غنائي ينبع من عواطف قائليه وان صور عواطف الاخرين ، وانما يزخر الشعر بالعواطف الاجتماعية اذا كان مسرحيا او قصصيا على الاخص .

٣ — ونستطيع أن ندلل على هذا الرأي بنوعين من الادلة ، أحدهما نظري والاخر تطبيقي .

اما الادلة النظرية فكثيرة ، منها :

١ — كان الشاعر الجاهلي يحصر شعره في قبيلته ، ثم في شخصه ،

فهو اكثر احتفاء بمجد قبيلته ومفاخرها والذب عنها ، وهجاء خصومها ، من حفاوته بعاطفته الفردية ، فقد كان الشاعر كثيرا ما يتجاوز شخصه الى القبيلة كلها ، فهو يفخر بها ، ويرثى قتلاها ، ويهجو أعداءها ، أو يشيد بفرد معين ، ويرثى شخصا معروفا ، ويهجو خصما معينا .. وهو فى هذا كله يعبر عن باعث أو بواعث قبلية وثيقة الصلة بالعشيرة ، فمثلا كان زهير معجبا بهرم بن سنان ، كثير المدح له ، لانه مثل النبل فى الصلح بين عبس وذبيان .

فلما تحضر العرب ضعف الرباط القبلى ، واخذت الحكومة على عاتقها حماية الارواح والاموال والحقوق ، وصار الفرد اقل حاجة الى حماية قبيلته له ، فعاش لنفسه وطغت شخصيته على شعره ، فجاء شعره غنائيا مصورا لعواطفه الفردية اكثر من تصويره لعواطفه الاجتماعية .

والحق ان هذا ضرب من العاطفة الاجتماعية ، لان القبيلة جمع من الاقارب يقيمون فى منطقة معينة ، او يرحلون معا الى منطقة اخرى ، ولهم نظامهم وعرفهم ، ولهم رئيس يخضعون له ، وتدور اعمالهم وصلاتهم بغيرهم على تحقيق المنافع ، ودفع المضار ، وكفالة المرعى والمقام واسباب الحياة الاقتصادية وما يتصل بالشرف والحرية .

ومن المقرر فى علم السياسة ، ان مقومات الامة ترجع الى وحدة اللغة والجنس والى وحدة الاقليم الذى يسكن فيه الشعب ، والى وحدة المصالح الاقتصادية ، ووحدة النظام ، والاتفاق فى الامال والالام والاهداف ، والخضوع لحكومة واحدة .

وهذه المقومات كلها كانت محققة فى القبيلة .

اما وحدة الدين فقد كان للعرب اصنام متعددة بتعدد القبائل كسواع لهذيل ،ويغوث لمذحج ونسر لحمير ، وود لكلب ، ويعوق لخيوان ، وكانت لهم اصنام عامة يعظمونها كلهم ، كالعزى بوادى حراض ، ومناة بين مكة والمدينة ، واللات بالطائف .

واذن فلنا ان نعتبر القبيلة امارة او دويلة صغيرة ، ولنا أن نعد شاعر القبيلة وشعراءها مصورين لعواطف اجتماعية لا فردية .

٢ ــ احتفت القبائل بشعرائها كما احتفت بسؤددها وابطالها ، فكانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الاطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الاعراس ، وتباشر الرجال والولدان ، لانه حماية لاعراضهم ، وذب عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد ، او شاعر ينبغ او فرس تنتج (١)

وهذا الاحتفاء دليل على ان الشاعر لا يتغنى بعواطفه الفردية وحدها ، وانما يتغنى بعواطف القبيلة ايضا ، ولا يصور آماله وآلامه فحسب ، بل يصور آلام القبيلة وآمالها ، والامثلة على ذلك كثيرة فى الجاهلية والاسلام ، فكما كان لكل قبيلة شعراؤها الذين يذبون عنها ويذيعون محامدها ، كان للمسلمين شعراؤهم ، ثم كان لكل حزب دينى او سياسى شعراؤه .

٣ ــ كانت لغة الشعر هى اللغة الادبية التى استقرت فيها البلاغة العربية ومظاهر التأنق ، لانها اللغة المصطفاة المصطفاة للتعبير عن العواطف وتصوير المشاعر ، وكان الناطقون بالضاد يعدون الشعر مثلا اعلى فى العظمة والسمو ، اذ كان شعرا امتدت جذوره الى اعماق حياة الناس ، وشكل افكارهم دون ان يحسوا ، وصور اخلاقهم ، وصاغ منهم شعبا متقارب الوجدان والاخلاق والافكار قبل ان يجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى جميع القبائل المتنافرة فى امة واحدة يتجه بها الى هدف واحد .

ولم يكن الشعر الجاهلي ترفا لا يقوله الا قلة من الناس ، بل كان الوسيلة الوحيدة للتعبير الادبي « وكانت قصائد الشعراء تطير عابرة الصحراء اسرع من الرياح ، وتحدث أثرها العظيم في قلوب الناس ، وفي خضم النضال والتفكك كان الشعر يرسل المثل العالية القائمة على المروءة فصارت هذه المثل رباطا بين الناس ، وصاغت — عن قصد او غير قصد — وحدة قائمة على أساس عاطفي » (٢)

٤ — وقد وجد العرب في الشعر تعبيرا عن عواطفهم جميعا وتصويرا للمثل العالية التي يحبون ، فحرصوا على رواية الشعر وحفظه ونشره وتدوينه ، وليس ادل على هذا من ذلك الفيض الغزير الذي وصل الينا من شعرهم الجاهلي ، وهو بعض ما قرضوا .

وهذا القدر الذي بقي اكثر مما نقلت اية امة قديمة ، فالالياذة والاوديسة لا يزيد عدد ابياتهما على ثلاثين الفا ، وهما مما اكثر ما خلف اليونان ، والمهابهاراته والرامايانة عند الهنود لا تتجاوزان معا ثمانية وستين (٣) الفا ، اما العرب فيربي ما نظموه على ذلك كله ، وهم يعدون منظوماتهم بالقصائد لا بالابيات (٤)

والحق ان ما خلفه العرب كثير جدا يبعث الدهش والاعجاب بالرواة الحفاظ الذين وعوا هذا الفيض .

فمثلا حدثوا ان حمادا الراوية كان يحفظ سبعة وعشرين او ثمانية وعشرين الف قصيدة ، وقد امتحنه الوليد بن يزيد حين ادعى انه يحفظ على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة من شعر الجاهلية سوى المقطعات ، واخذ ينشد الوليد حتى ضجر ، فوكل به من يسمعه ، حتى انشد الفين وتسع مئة قصيدة .(٤)

وقالوا ان ابا ضمضم كان يروى لمئة شاعر كل منهم اسمه عمرو ، وان الاصمعي وخلفا الاحمر لم يقدرا ان يعدا اكثر من ثلاثين من هؤلاء .(٥)

ورووا ان الاصمعي كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة وانه قال : ما بلغت الحلم حتى رويت اثنى عشر الف ارجوزة للاعراب .

ولسنا على يقين من اصدق هذا كله ، فقد يكون فيه تزيد ومبالغة ، لكنه على ما فيه من مبالغة صورة تقريبية لكثرة ما حفظ هؤلاء .

والذي يهمنا من بقاء الشعر الجاهلي محفوظا الى عصر هؤلاء الرواة انه يصور العواطف الاجتماعية تصويرا حبب الى الناس ان يحفظوه ويغنوا به ، حتى جاء عصر التدوين .

ولو انه كان فرديا ذاتيا يمثل عواطف قائلية وحدهم ، ما حرص الناس على حفظه هذا الحرص ، وما وجد الرواة هذا السيل المتدفق لينهلوا منه ، وينهلوا من بعدهم .

على ان كثيرا مما قال الشعراء في الجاهلية قد انطوى مع الزمن ، وتوارى في رمال الصحراء ، ولم يبق منه الا ما امسكته الحوافظ ، ورعته الاجيال ، اما لقرب قائليه من عصر التدوين ، واما لاتصاله باحداث ذات خطر ، واما لشهرة الشاعر نفسه ، او لقوة شعره وروعته ، واما لاسباب اخر .

(٣) تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي زيدان ٣ — ٢٤ — ول حضارة الهند — لجستاف لوبون ان عدد ابيات المهابهارته ٢١٥٠٠٠ بيت
(٤) « الاغاني ٥ر٦ ووفيات الاعيان ١/ ٤
(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦ .
(٦) وفيات الاعيان ١/ ٢٨٨
(٧) العقد الفريد ٣/ ١٠٧

مطلوب نظام اقتصادي جديد يسود العالم

مشاكل البيئة الانسانية بين الأغنياء والفقراء

● د. محمد عاطف كشك ●

● لا يمكن فصل المعركة الدائرة بين المتفائلين والمتشائمين عن معركة اخرى — اشد عنفا — تدور بين الاغنياء والفقراء ... بين الدول المتقدمة ، والدول النامية ، حول عدد من القضايا والمشاكل البيئية ذلك لان القضية الاساسية في المعركتين واحدة ، وهي : هل يستمر النمو أم انه يجب ان يوقف او توضع له حدود صارمة ..

ورغم التعدد الشديد لابعاد الصراع بين الدول المتقدمة والدول النامية وتداخل الجوانب البيئية فيه مع عدد آخر من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، الا اننا سوف نحاول عرض اهم نقاط الخلاف فيما يتعلق بقضايا البيئة بالقدر الذي يسمح به هذا السياق .

● من الذي يلوث البيئة ؟

« الدول المتقدمة هي الملوث الحقيقي للبيئة » .. هذا اتهام توجهه الدول النامية للدول الصناعية المتقدمة ، ولا تستطيع الدول المتقدمة ان تدفعه عنها ، بل هي تعترف به في مناسبات عديدة ، وعلى لسان عدد كبير من ساستها وعلمائها ...

وقد ذكرنا سابقا ما قاله العالم الامريكي بول ايرلش من ان الفرد الامريكي يسبب — بالطريقة الخاصة التي اختار أن يحيا بها — اضرارا للبيئة تفوق ٥٠ مرة قدر ما يسببه زميله في الدول النامية ..

اذن فالعبرة في المشاكل البيئية ليست العدد المطلق للسكان ، وانما بالقدر الذي يساهم به هؤلاء السكان في تدهور البيئة ، وبهذا المقياس فان تعداد الشعب الامريكي ليس فقط ٢٠٠ مليون نسمة ، وانما خمسة بلايين نسمة ، باعتبار ما يسببه من تدهور للبيئة وضغط على الموارد الطبيعية ..

وعلى ذلك فان الدول الصناعية المتقدمة هي اكبر واخطر ملوث للبيئة وذلك عن طريق المستويات العالية من التكنولوجيا المتطورة المستخدمة في كل قطاعات الاقتصاد ، سواء في الزراعة او الصناعة او الخدمات . فهي اكبر مستهلك للطاقة ، واكبر مستهلك للاسمدة والمبيدات الكيماوية ، وهي الدول التي تنتشر فيها اكبر كمية من العربات الخاصة ووسائل المواصلات والسلع الكمالية المسببة للتلوث والضاغطة على موارد العالم ...

وقد عبر عن هذا الاتهام الموجه للدول الصناعية مندوب البرازيل لدى الامم

المتحدة او زوريو دى الميدا عندما قال امام الجمعية العامة للامم المتحدة خلال التحضير لمؤتمر ستكهولم عن البيئة الانسانية ـ قال : ان فحص الملوثات العشر الكبرى التى تهدد البيئة : ثانى اكسيد الكربون ، اول اكسيد الكربون ثانى اكسيد الكبريت أكاسيد النتروجين الفوسفات ، الزئبق ، الرصاص ، البترول ، المبيدات الحشرية طويلة العمر مثل الـ د.د.ت. الالدرين ، والمواد المشعة) بتءى

بفحص هذه القائمة نجد ان الدول الصناعية المتقدمة هى المسئولة عن الجزء الاكبر من التلوث، وأن مساهمة الدول النامية فى هذا التلوث ضعيفة جدا اذا أخذناها باعتبار مطلق ، اما اذا اخذناها باعتبار نسبى (بالنسبة لمساهمة الدول الصناعية) فانها لاتكاد تذكر .

وعلى هذا فاننا لو تخلصنا من كل التلوث الحادث فى الدول النامية، فاننا نكون فى الواقع قد تركنا العالم وبه نفس القدر من التلوث .

وبعد أن حاول مندوب البرازيل ان يثبت التهمة على الدول الصناعية قال أن الحكم المترتب على ذلك يجب ان يحتوى على عدة نقاط هامة :

١ ـ ينبغى أن تتحمل الدول الصناعية الغنية كامل مسئوليتها فى مقاومة التلوث ليس فقط داخل حدودها وانما فى العالم كله . فالدول الصناعية تصدر قدرا كبيرا من التلوث مع ما تصدره الى الدول النامية من سلع واساليب معيشة .

٢ ـ أن اى محاولة لنقل اى جزء من تكاليف حماية البيئة وتحميله على الدول النامية أمر مرفوض ، ويجب مقاومته بشدة ، فليس من المعقول ان يتحمل البرىء نتائج ذنوب لم يرتكبها.

٣ ـ لا يمكن قبول اى محاولة لتعطيل عملية التنمية فى الدول النامية بحجة المحافظة على البيئة .

واذا كان من المقبول والمنطقى وضع حدود على النمو الاقتصادى فى الدول الصناعية التى وصلت معدلات عالية بالفعل من النمو ، فان ذلك مرفوض تماما بالنسبة للدول النامية .. (سوف نعود الى هذه النقطة حالا).

● هل نتغلب على تلوث الفقر بمزيد من الفقر ؟

يرى البعض فى الدول النامية (ومندوب البرازيل لدى الامم المتحدة منهم) ان الاهتمام البالغ فيه بحماية البيئة ومحاولة فرض هذا الاهتمام على الدول النامية ووضع شروط قاسية فيما يتعلق بالمحافظة على البيئة عند اشتراك الدول الغنية فى تقديم القروض والمعونات التى تطلبها الدول النامية لتنفيذ مشروعات وخطط التنمية بها ... يرى البعض أن هذا ما هو الأمثل للحق الذى اريد به باطل ، وهو سوء نية من الدول المتقدمة وتعبير عن فلسفتها التى تسعى الى تعطيل التنمية فى الدول الفقيرة ، وهى فلسفة يجب على الدول النامية مقاومتها بشدة .

صحيح أن الحفاظ على البيئة وحمايتها من التدهور وتحسينها تعتبر اهدافا نبيلة . وصحيح ان المحافظة على البيئة امر مرغوب فيه فى الدول المتقدمة والنامية على السواء، لكن أن تحرم الجائع والجاهل والمريض من فرص تحسين ظروف حياته وتوفير الحد الادنى من الاحتياجات الاساسية له بحجة المحافظة على البيئة ، فهذا امر واضح البطلان ...

وقد عبر عن ذلك ايضا مندوب البرازيل فى خطابه الهام امام الجمعية العامة للامم المتحدة ، مهاجما مؤتمر ستكهولم باعتباره يركز على مشاكل التلوث والمشاكل البيئية الاخرى الناتجة عن التقدم ، بينما يهمل اهم المشاكل البيئية التى تهم الدول النامية وهى المشاكل البيئية الناتجة عن الفقر «تلوث الفقر» ـ فاذا كانت تسود فى الغرب بعض الفلسفات

الداعية الى وقف النمو الاقتصادى من اجل الحفاظ على البيئة ، فان هذه الفلسفات مرفوضة فى الدول النامية ، حيث ان الحفاظ على البيئة فيها لا يكون بوقف او تعطيل التنمية وانما بمزيد من التنمية ...

وما عبر عنه مندوب البرازيل ويجد صدى واسعا فى الدول النامية لايجب ان يفهم منه انه دعوة الى اهمال مشاكل التلوث وتدهور البيئة فى الدول النامية ، بل هو مجرد وضع اولويات لاستراتيجيات التنمية وايضاح لنقط هامة تتجاهلها بعض الدول الغنية ، وهى ان مشاكل التلوث وتدهور الموارد وانخفاض نوعية البيئة فى الدول النامية انما ترجع اساسا الى الفقر والظروف السيئة للغاية التى يعيش فيها الجزء الاكبر من سكان هذه الدول ... ومع وجود هذه المشاكل فلا مجال للكلام عن ان التقدم المادى لا يحقق السعادة للانسان ، فان الجوع والعرى والتشرد لا تحقق حتى شروط الادمية .

وبعد أن توفر الحاجات المادية الاساسية للانسان يمكن أن نبحث عن السعادة الغائبة . ويجب الاعتراف بانه اذا كانت السعادة غائبة فى المجتمع الصناعى ، فليس سبب ذلك التقدم المادى فى حد ذاته ، بل له اسباب اخرى اقتصادية واجتماعية وثقافية ليس هنا مجال الكلام عنها .

● **الحياة اخذ وعطاء**

ليس هنا مجال لتفصيل القول فى مسألة توزيع الموارد الطبيعية فى العالم ومن الذى يستفيد منها ، ولكن يكفى ان نقول ان معظم المواد الخام اللازمة للصناعة تستخرج من الدول النامية ، لكنها تستهلك اساسا فى صناعات أوروبا وامريكا ويكفى أن نضرب مثلين فقط :

ـ ان الدول الصناعية المتقدمة « اوروبا الغربية والاتحاد السوفييتى وامريكا » بتعداد سكان قدره ٨٥٠ مليون نسمة تستهلك فى صناعتها ٧٥٪ من نحاس العالم ، بينما الدول النامية فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وبها ثلاثة اضعاف سكان الدول المتقدمة تستهلك اقل من ٢٥٪ من النحاس

ـ فيما يتعلق بالالمنيوم فان الصورة اسوا بكثير ، فقد قدر الانتاج العالى من الالمنيوم عام ١٩٦٥ على انه يبلغ ١٥٠٠٠ر٧ طن تستهلك الدول الصناعية المتقدمة منها ٧ ملايين وتستهلك اليابان ٣٠٠٠٠٠ وبقى ١١٥٠٠٠ طن هى كل نصيب الدول المتخلفة جميعها .

وينطبق ماذكرناه عن النحاس والالمنيوم على جميع المواد الخام اللازمة لتدعيم صناعات الدول الغنية وبالطبع فان صورة توزيع استهلاك الطاقة تتبع توزيع واستهلاك المواد الخام . ويتضح بذلك كيف أن الدول الغنية هى المصدر الاساسى لتدهور البيئة وتلوثها . فاذا أخذنا توزيع استعمال الطاقة كدلالة على استخدام الموارد وعلى التلوث ايضا ، فاننا نجد ان الكمية المستخدمة من الطاقة فى العالم كله . عام ١٩٧٠ كانت ٦ فى ١٠ ١٢ وات « نصيب الفرد ١٥٠٠ وات فى حين أن الولايات المتحدة الامريكية وتعداد سكانها حوالى ٥٪ من سكان العالم ، تستهلك وحدها ثلث كمية الطاقة « ٢ فى ٢٠ ١٣ وات » ونصيب الفرد بها ١٠٠٠٠ وات »

ورغم أن الصورة بمثل هذا الوضوح والبيانات المتعلقة بها منشورة ومتداولة ومعروفة لدى الجميع ، رغم كل ذلك فان هناك نغمة تسمع دائما ، وهى تسمع فى الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء ، وتثار دائما بشىء من

الغموض او المثالية او كليهما معــــا. هذه النغمة هي الفلسفة التى تقــول ان كل البشر على سطح الأرض اخــوة لهم حقوق متساوية فى موارد العــالم الطبيعية . والمقصود بهذه المواردليس فقط الموارد التى لا زالت غير مملوكة لاحد وعلى سبيل المثال ..
اعالى البحار وقيعان المحيطات ، بل الغريب بانهم يقصدون بذلك ايضـــا الموارد المعدنية والحيوانية والارضــية والمالية وغيرها من الموارد داخل الحدود القومية للدول المختلفة . وتثار هــذه الفلسفة فى الدول الغنية المتقــدمة تبريرا منها لعملية النهب المنظمــة التى مازالت مستمرة حتى الان لموارد الدول النامية بما فيها حتى العقــول المفكرة .

ولكن نفس الفلسفة تقال كثيرا فى بعض الدول النامية ربما طمعــا فى ان تجود عليها الدول المتقدمة ببعض خيراتها . وما زلنا نذكر الضجة التى اثارها وما زال يثيرها العالم المتقــدم، عندما رفع العرب أسعار بترولهــم بنسبة صغيرة بعد حرب ١٩٧٣ .وهى تثار دائما عندما يحدث ارتفــاع فى أسعار اى مادة خام تبيعها الــدول النامية ، بينما لا يستطيع احــد ان يثير نفس القدر من الضجة عنــدما ترتفع باستمرار وبمعدلات سريعــة جدا اسعار جميع السلع المصنعة فى العالم المتقدم وتغزو اســواق الــدول الفقيرة .

والارتفاع الجنونى فى الاســـعار لايشمل فقط السلع المصنعة ، ولكنه يشمل ، ايضا جميع السلع بما فيهـا السلع الغذائية الضرورية مثل القمح الذى يستعمل كسلاح بالغ الاثـر فى عمليات الضغط السياسى . وعلى ذلك فان فلسفة الحقوق المتســاوية لكـل البشر فى موارد العالم فلسفة مثاليـة جميلة لكنها للاسف غير واقعيــة فهى ربما تكــون مناسبــة لو ان العــالم تحكمه حكومة واحدة « حتى لو حدث ذلك فالامر مستبعد فان عدالةالتوزيع داخل كثير من دول العالم امر ما زال صعب المنال » .

وقد عبر عن هذا الراى ايضـــا مندوب البرازيل فى كلمته التى اشرنا اليها من قبل متكلما باســم الدول النامية عندما قال « يجب ان يكــون مفهوما انه اما ان يسود اطــار دولى او قومى واحد للتوزيع والمشــاركة فى كافة القطاعات والا لا مجــال للكلام عن حقوق متساوية لكل البشر. فلو ان الموارد يجب ان يشترك فيهـا الناس كافة فان كل الناس ايضا يجب ان تقتسم القوة الاقتصادية والانتاجية الصناعية والتحكم المالى . وحيث ان الدول الصناعية المتقدمة لا تفكر مطلقا فى التنازل عن جزء من « قوتها للــدول النامية فان هذه الاخيرة لا يجــب ان تفكر فى اقتسام مواردها مع الــدول الغنية » .

واذن فان على الدول الغنية ان كانت تريد سلاما يسود العالم ان تتنازل عن جزء من قوتها وسيطرتها السياسية والاقتصادية ، والا فان عليها مــرة اخرى ان تعود الى استخدام القــوة المسلحة للتحكم فى الدول النامية «كما حدث فى عهود الاستعمار ، وكمــا لايزال يحدث باستعمال اســاليب مختلفة لفرض السيطرة » وان تسلبها مواردها تحت تهديد السلاح . وهــذا هو الموقف الذى يدرك الجميع عــدم جدواه او مدى عواقبه الوخيمــة التى تساهم باكبر نصيب فى تدمير البيئــة الانسانية وتخريبها خرابا شاملا ولذلك فانه ما اكثر الحديث هــذه الايام فى جميع انحاء العالم عن « نظام اقتصادى جديد » يسود العالم ويســتطيع ان يحقق له الســلام . لكــن الكــلام كثير والافعال مازالت قليلة للغاية .

قنبلة الموت غير المرئي... النيوترون

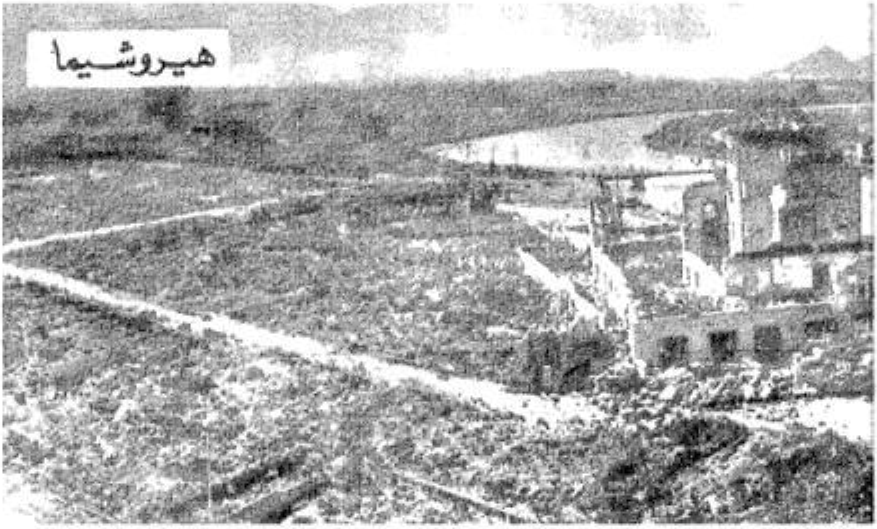
● لواء مهندس : سعد شعبان ●

● سباق من أجل المفاجأة ●

تميزت الحرب العالمية الثانية بنهاية مفجعة رسمتها القنابل الذرية التي ألقيت على هيروشيما ونجازاكي، عندما أطلقت طاقة مدمرة لم تكن معروفة الصورة من قبل، جعلت اليابان تستسلم لمصير الهزيمة خلال ساعات .. إذ لم يبق من معالم هاتين المدينتين أثر إلى حد تحقيق القول انه لم يبق حجر واحد فوق آخر وأتت على الزرع والضرع، كما تساقط آلاف القتلى والجرحى، وتشوه أضعافهم وبقوا ضحايا اشعاعات مميتة أجهزت عليهم بعد أيام أو شهور .

وفي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية تبارت الدول الكبرى في معركة صامتة لانتاج الصواريخ ولذلك غيرت من تكتيكاتها الحربية، وخططها الاستراتيجية لتلائم بينها وبين استخدام الصواريخ في أي حرب مقبلة . وأدى ذلك إلى الاقلال من القوات العسكرية التقليدية كجنود المشاة والمدرعات والبوارج البحرية وزوارق الطوربيد .

ولقد تدرجت أبحاث الطاقة في طريق تحسين التدمير من القنبلة الذرية إلى القنبلة النووية فالقنبلة الهيدروجينية فالكوبالتية وما زالت السلسلة مستمرة لتحل محل آلاف بل ملايين من أطنان المواد المتفجرة التي كانت مستخدمة من قبل . إلا أن هذه القنابل في حاجة إلى الوسيلة التي تحملها، أو المطية التي تركبها لتمضي بها وتصبها فوق رؤوس الأعداء . ولذلك تشعبت « المباراة » بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية لمحاولة السبق في صنع الصواريخ ذات المدى الأبعد . وأصبحت الصواريخ متعددة المراحل وعابرة للقارات ومخترقة للفضاء وحاملة للأقمار الصناعية وسفن الفضاء . وأصبح بعضها له



آثار التدمير الذرى فى هيروشيما ..

رؤوس ذرية او نووية او هيدروجينية لتستطيع أن تشل حيويات العدو فى الدقائق الاولى من الحرب المقبلة .

ولم تعد نظرية تقسيم الاهداف الى تكتيكية واستراتيجية تبعا لبعدها عن مسرح العمليات «من النظريات الصحيحة بعد استخدام الصواريخ كسلاح هجومى وأساسى فى المعركة . فالاهداف بعيدة المدى التى كانت تعتبر أهدافا استراتيجية بالنسبة للجيوش البرية المترجلة أو المحمولة بحملة ميكانيكية أو مدرعة انقلبت الى أهداف تكتيكية بالنسبة للصواريخ .

والوقت القصير الذى يعبر فيه الصاروخ آلاف الاميال ، غير كثيرا من عقيدة الحرب التى أصبحت تعتمد على استغلال المفاجأة والمبادأة . فالنصر سيكتب للكتلة التى ستفاجىء الاخرى بتدمير اهم مراكزها ومواقعها بحيث تشل الجزء الاكبر من قوتها ، بعد ان اخذت الأزرار مكان الخنادق والاستحكامات .

وقد أمضى المفكرون العسكريون عشرات السنوات فى حسابات متغيرة لتقدير الوقت اللازم لتحقيق «المفاجأة» للعدو للسيطرة على الموقف وضمان النصر

ولقد قدر هذا الوقت فى أول عهد انتاج الصواريخ بسبع عشرة دقيقة ، وظل الرقم يتناقص كلما تقدمت صناعة الصواريخ حتى هبط الى بضع دقائق فقط .

ولكن ماذا بعد هذه الدقائق ؟ ان العدو بما يملكه من صواريخ موزعة فى أماكن شتى لن يقف مكتوف الايدى ، بل سيكيل الصاع صاعين وستظل حمولات الدمار تعبر الفضاء من كلا جهتيه .

لذا فان الفكرة التى أصبحت مضاجع مفكرى الكتلتين ، هى « الصاروخ المضاد للصواريخ » ، الذى يستطيع اصطياد صواريخ الاعداء فيحطمها على ارتفاعات عالية قبل أن تصب حممها على الارض . ولذا فان مبدأ التريث لتقدير الموقف ليس له وجود فى حرب الصواريخ بل الانتقام الشامل هو الرد الوحيد قبل حلول الفناء .

ومن أهم مبادىء الحرب الصاروخية توزيع قواعد الاطلاق ومصانع الانتاج فوق رقعة واسعة من أرض الدولة وأرض حلفائها للاقلال من فرص الاصابة . مع التركيز على قواعد اطلاق تمكن من اصابة أهداف العدو عبر اقصر طريق الى أرضه

ولذا فان المنطقة القطبية بعد ان كانت مهجورة تغطيها الثلوج ، وتكاد تنعدم فيها الحياة ، أصبحت من أهم المناطق الاستراتيجية لكل من الكتلتين الشرقية والغربية وانقضاض أى من الكتلتين على الاخرى فى مبدئه لابد وأن يتم عن طريق القطب الشمالى الذى أصبح الآن مزدحما بمحطات الرادار الانذارية ، ومحطات الرصد والتصنت لذلك أصبحت منطقتي « الاسكا » و « جرينلاند » من الاهمية الاستراتيجية بمكان لانهما يحكمان أقصر طريق بين روسيا وامريكا • ومن ثم فان مبدأ توازن القوى يلعب الدور الاول فى ارجاء اشتعال نار الحرب • والدمار الشامل الناجم عن رؤوس الصواريخ بما تحمله من قنابل الى آلاف الاميال ، يكبح من جماح العسكريين الى كفةالسلام لانه لا حياة بعد حرب الصواريخ الا لندرة قليلة ستعانى آلام الاشعاعات والامراض المعروفة وغير المعروفة • ولا عمران لعالم شاء أن يلعب أفراده فوق اتون نار لا تبقى ولا تذر • وما دام التوازن فى العدد والعتاد والنوع مكفولا، فالسلام يستقر على ميزان توازن كفته فاذا اختل هذا التوازن فويل للمسبوق من السابق • لذلك فما زالت عوامل الخطأ البشرى تلعب دورا هاما فى سلام العالم برغم الاهتمام الذى يبذل للاقلال بل لانعدام أى خطأ يتسبب فيه فرد أو أفراد ، يؤدى بالعالم الى حرب شاملة •

استراتيجية الذراع الطويلة

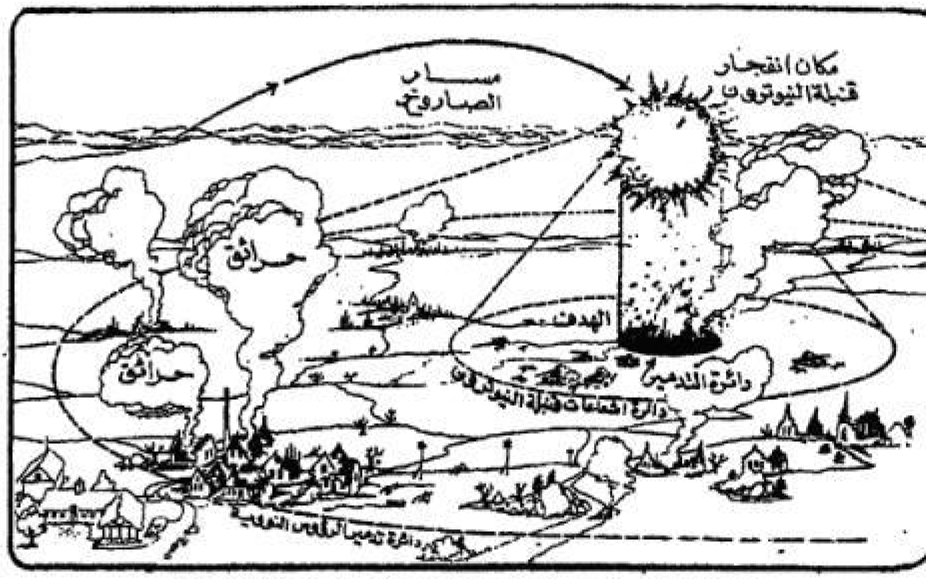
ان « ذراع » حرب الصواريخ لم تعد تعبأ بالمسافات ، بعد أن بلغ مداها آلاف الكيلومترات (بين ۱٥٫۰۰۰ ، ۲۰٫۰۰۰) ، ثم أمكن الوصول الى غواصات تطلق الصواريخ الى أى مكان فى العالم • وصواريخ الغواصات التى تتوفر لها مرونة الحركة لتصل الى أى مكان فى العالم،لعبت الدور الاساسى فى تحديد استراتيجية الصواريخ بالمدى الذى تسمح به الغواصات ، وشاع فى دول حلف الاطلنطى استخدام الصاروخ الامريكى طراز « بولاريس » الذى تستطيع الغواصات الذرية حمل (١٦) ستة عشر صاروخا منه فى كل منها وذلك اعتمادا على امكان اختفاء الغواصات تحت الماء وتعذر كشف الرادار لها ، وتم تصميم هذا الصاروخ ليصل مداه الى ۲٥۰۰ كيلو متر على أساس ما تم من قياس أبعاد البحار والمحيطات التى تحيط بالاتحاد السوفييتى •

وقد ظهر فى العامين الاخيرين اتجاه جديد فى تصميم الرؤوس المدمرة ، هو تحميل الصاروخ الى عدة أهداف وليس الى هدف واحد وتمثل ذلك فى الصاروخ الامريكي الحديث « بوسيدون » ، كما تمثل فى انواع أخرى سوفييتية • وبفضل التقدم العلمى المضطرد وجدت الصواريخ العابرة للقارات والتى تصل برؤوسها المدمرة الى أى مكان فى القارات الاخرى ، واصبحت الصواريخ عابرة القارات من الضخامة بحيث تستطيع صب حممها على الاهداف البعيدة بما يعادل تاثيرها عدة ملايين من أطنان الديناميت أو المواد المتفجرة بفعل الطاقة الذرية أو الهيدروجينية التى تنبثق من الرؤوس المدمرة •

دالاس وسياسة الحروب الصغيرة

ورغم ما ذخرت به ترسانات الاسلحة فى الدول الكبرى فان الحروب الصغيرة ما زالت علامات الوجود البشرى ورغم أن نشوة انتاج الصواريخ والانصراف الى التركيز على تصنيعها ما زالت تشغل بال الدول الكبرى الا أنها أيقنت بضرورة المضى فى تصنيع بعض الاسلحة التقليدية المتطورة ، لان أتون الصواريخ لم يحن الوقت لتفجير نيرانه بعد •

ولقد مضت بعض الدول الكبرى فى احيان متباعدة الى الفخر بتدميرها الكثير من الاسلحة التقليدية القديمة التى أغنت الصواريخ عن وجودها • فكانت بعض قطع الاسطول وبعض الطائرات تضغط فى مكابس ضخمة أمام الجماهير المهللة لتباع فى « سوق الخردة » ، ويعاد صهرها ، اعتمادا على ما أمكن للصواريخ أن تحققه •



رسم يوضح الآثار التدميرية التي ستحدثه قنبلة النيوترون في حالة استخدامها .

ولكن رغما من ذلك فما زال التلويح النووى يحكم السياسة الدولية ،ولا ينقذ البشرية الا وجود التوازن فى تسليح الكتلتين . الا أن أساليب الاحتكاك ما زالت تفرض نفسها بين الحين والحين وتظهر فيصورة اندلاع الحروب الصغيرة كحرب كوريا ، أو الصدام الشهير بين أمريكا وروسيا والخاص باعاقة تسليح كوبا بالصواريخ وحرب فيتنام ، ثم أخيرا الحرب العربية الاسرائيلية فى الشرق الاوسط عامى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ .

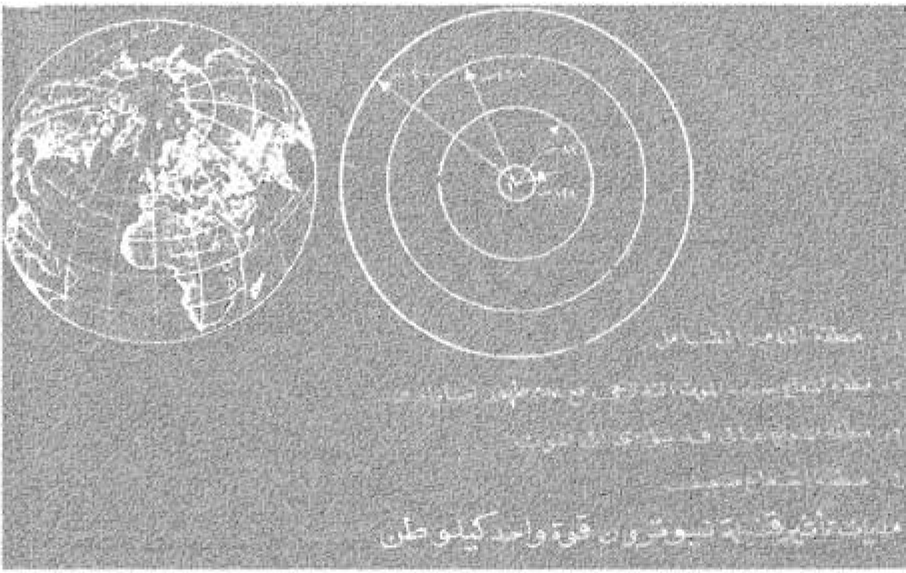
كل ذلك عزز ضرورة الاحتفاظ بقدر من الاسلحة التقليدية الى جانب الصواريخ .

وسياسة الحروب الصغيرة فى ظل « التوازن النووى » أمر برع فى رسم حبكته وزير الخارجية الامريكى فى حقبة الستينات ـ جون فوستر دالاس ـ وأطلق عليه تعبير « سياسة حافة الهاوية » ، أى تعمد العمل العسكرى بحذر دون بلوغ حد استخدام التهديد النووى . ويقتضى ذلك عدم اتاحة أى كتلة لعلماء الكتلة الاخرى بالسبق الى انتصار علمى يحقق سلاحا جديدا لا تتوصل اليه الكتلة الاخرى حتى لا يختل ميزان القوى لصالح هذه الكتلة .

ولذلك تحرص كل من الكتلتين على عدم التخلف التكنولوجى والعلمى عن الاخرى ، حتى لاتقتنص هذه الفرصة لابادتها . ويوم كانت الغواصات الذرية مجالا للتفوق السوفييتى سارعت أمريكا الى انتاج اثنتى عشرة غواصة منها . وبعدها أعلن الاتحاد السوفييتى عن قنبلته المدارية التى يمكن أن يحملها صاروخ الى المدار فى الفضاء حول الارض ويمكن توجيهها لتصيب اى هدف فوق الكرة الارضية ، أعلنت الولايات المتحدة عن صواريخ « بوسيدون » التى يمكن ان تطلق من تحت الماء ،لتحمل عشرة رؤوس ذرية يمكن ان يصيب كل منها هدفا ارضيا مستقلا .

وهكذا تتربص كل كتلة بالاخرى لكى تنقض عليها عندما تحين فرصة التخلف، وما دامت هذه الفرصة لم تحن فالسلام قائم .

لكن رغما من كل ذلك وجدت أيديولوجية جديدة هى « التعقل » قبل شن الحروب الشاملة . لان كل الساسة يعلمون أن قيام حرب عالمية ثالثة ، يعنى فناء الغالبية العظمى من الاحياء على الكرة الارضية ، لانها ستكون حرب فناء . ويصح أن تنعت بأنها لن تبقى ولا تذر ولابد أنها ستصيب الذين أشعلوها .



وتحقيقا لمبدأ التعقل ، اتفق على وجود خط تليفوني مباشر بين كل من رئيس روسيا وأمريكا ، يعرف بالخط الساخن وذلك حتى لا يقود أحدهما البشرية الى هلاكها نتيجة خطأ بشرى . ومن بعد ذلك عقدت اتفاقية « سولت » للحد من انتاج الاسلحة النووية .

الموت برفق بقنبلة النيوترون

ومنذ عدة سنوات ثار جدل كثير في الدول الغربية عن انتاج القنابل النووية النظيفة ، أي تلك المحدودة في آثارها المدمرة . وكان الامر كان سعيا وراء تخلص من عقدة ذنب ، بامتلاك ما يحقق الموت للبشر ، دون أن يحقق الدمار لعالم الحضارة على الارض من انشاءات . ومن ثم وجدت ايدلوجية « الرؤوس القذرة والرؤوس النظيفة » ، ولكن ذلك أتى بعدما رسخت أقدام علماء الذرة في التفنن في تطوير ما لديهم من قنابل فقد أصبح لديهم من القنابل ما هو نووى وما هو هيدروجيني ثم ما هو كوبالتى . ويوما بعد آخر تطور الامر ، وتطورت قدرات التدمير وأصبح الغرب يسابق الشرق في تصنيع قنبلة تستطيع قتل الاحياء بالاشعاع الصادر منها دون أن تحقق الدمار بالانشاءات والمباني ، فتحدث ما يسمى بالشلل البشرى .

ويعتبر لفيف من علماء الذرة أن «قنبلة النيوترون» ، هي خاتمة آمال العصر الذرى وهي الفيصل بين زعم انتاج القنابل الهيدروجينية النظيفة والقذرة . فالقنابل النظيفة هي تلك التي تنتج أقل قدر من النيوترونات ، أما القذرة فهي التي ينجم عن تفجيرها قدر أكبر من النيوترونات . ولذلك اتخذت الدراسات عن جسيم النيوترون اتجاهات أكثر عمقا وأكثر تعقيدا ، بغرض وضع المواد الفعالة في القنابل الهيدروجينية بحيث يتحقق تولد أكبر عدد من النيوترونات عند تفجيرها .

ان النيوترون في عرف علماء الذرة ، جسيم متعادل الشحنة كهربيا ، وبهذه الصفة يستطيع المرور بين مكونات الذرة وخاصة الكهربيات أو الالكترونات ذات الشحنات الكهربية السالبة ، ويمكنه أيضا أن يستقر في نواة الذرة الموجبة الشحنة . ولان نواة أية ذرة لا تطيق الاستقرار وفيها جسيم غريب ، فانه يحدث ما يطلق عليه العلماء « الانشطار النووى » . وعندما تنشط نواة أية ذرة فانها تنتج نيوترونا أو أكثر ، وكل نيوترون منها يستقر في نواة ذرة أخرى

ويحدث بها انشطارا جديدا • وهكذا يتوالى الانشطار اذا كانت المواد قابلة لحدوث ذلك كما هو الحال في اليورانيوم (٢٣٥) ، أو البلوتونيوم • وتبعا لسرعة انطلاق جسيم النيوترون يتوقف ما يحدث فى الذرة المنشطرة ، وعند احدى السرعات يتحول اليورانيوم الى بلوتونيوم وعند سرعة أخرى ينشطر البلوتونيوم ويحدث انفجارا ذريا وعند سرعة ثالثة يمكن أن تتحول العناصر الخاملة كالفوسفور والذهب الى عناصر مشعة وعند سرعة رابعة يمكن أن يتحول الفحم الى ماس •

وأهم عملية تجرى فى المفاعلات الذرية هى انتاج النيوترونات واحصاء أعدادها، وفى كل تفاعل ذري ينتج عدد يتفاوت بين نيوترون وثلاثة • وبسبب ندرتها وصعوبة الحصول عليهاتتخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا يهرب أى نيوترون دون أن يستغل •

ولذلك يوضع فى كل مفاعل ذرى ماء ثقيل أو جرافيت ليمكن التحكم فى سرعة النيوترونات المنطلقة بعد التفاعل • وعلى هذه السرعة يتوقف نوع العمل الذى يؤديه المفاعل سواء انتاج مواد القنبلة الذرية او توليد الكهرباء ، أو انتاج النظائر المشعة ، كمثل مفاعلنا الذرى فى انشاص •

ولكنه يستحيل تخزين النوترونات لان عمرها يتفاوت بين ١٠ ، ٢٠ دقيقة وفقا للمجال الذى تنطلق فيه • وهى كما تتفاعل مع العناصر والمواد تتفاعل أيضا مع الهواء • وبسبب النيوترونات التى تنطلق فى الجو عقب التفجيرات النووية تظهر الاشعاعات المختلفة ، لأنها تندس فى أية مادة تقابلها وتحولها من مادة مستقرة الى مادة قلقة تصدر عنها الاشعاعات ، وهذا ما اصطلح على تسميته الرماد الذرى •

ومن الميسور صنع قنابل من الليثيوم او الكوبالت فتظل سارية المفعول مدة طويلة ، وتسمم جو الكرة الارضية كلها ذلك ان الكوبالت المشع يمكن ان يعيش خمس سنوات فى حالة نشاط اشعاعى ضار •ولقد وضع العسكريون الامريكيون فى اعتبارهم أن اطلاق ١٢ قنبلة هيدروجينية غنية بالمواد النشطة للاشعاعات الضارة ، يمكن ان تأتى على معالم الحضارة بين مدينتى لينينجراد ، وأوديسا فى الاتحاد السوفييتى • فتبيد كل معالم الحياة على شريط طوله ٢٥٠٠ كيلو متر خلال يومين او ثلاثة ولعله لا شىء يمنع الولايات المتحدة من القيام بهذا العمل الجنونى الا التوازن فى امتلاك الطرف الآخر لنفس السلاح •

غير أن قنبلة النيوترون فى عرف العسكريين ، وقياسا على آثارها التدميرية الضعيفة مازالت محدودة النتائج بالنسبة للقنابل الذرية والنووية ، ولذلك يمكن أن تخدم فى الحرب المحلية • فالتدمير الشامل الناتج عنها لا يعدو مدى ١٢٨ مترا فقط، أما خطورتها الحقيقية فتتمثل فى فيض اشعاع النيوترونات الذى يتدفق منها ليقضى على البشر من حولها بعد نطاق التدمير والذى يمتد حتى مدى يصل الى كيلو مترين •ويتدرج فى شدته باحداث الموت العاجل او الآجل •

فاذا تصورنا قنبلة من هذا النوع تسقط فوق مطار مثلا ، فانها لن تدمر تدميرا شاملا الا مساحة صغيرة لا يزيد قطرها عن ١٣٠ مترا • وتبقى تحصينات وانشاءات المطار الاخرى سليمة ، ولكن مجزرة بشرية ستحدث نوعا من الشلل المفاجىء للبشر الموجودين فى نطاق كيلو مترين من مركز الانفجار ، اذ يتسبب اشعاع النيوترونات فى موتهم المفاجىء او التدريجى •

ولو تصورنا مثالا آخر ، بأن مركز الانفجار كان بجوار وحدة للمدرعات أو المجنزرات ، فان الجنود داخل نطاق الاشعاع المميت سيصيبهمالموت بدرجات متفاوتة ، ولكن المدرعات والمجنزرات سيبقى الكثير منها سليما •

فحقيقة الامر ان قنبلة النيوترون •• وسيلة لشل الحياة •• وليس تدميرها • وآثارها ضد البشر اكثر من المنشآت والمعدات •

وبذلك يمكن القول بان سكان مدن كهيروشيما و نجازاكى لو سقطت عليهم قنابل النيوترون فسيلقون الموت ولكن ولكن برفق •• وبدون ان تتقوض مبانيهم !

●●

شوقي...

• بقلم عزيز أباظه •

بين سنتي ١٨٦٩ و ١٩٣٢ عاش بمصر اعظم الشعراء بعد اولئك الذين كانوا قمما في الشعر العربي ابان ازدهاره واوج مجده زمن الامويين والعباسيين فالشاعر الاصيل هبة من السماء تمنحها الارض ، فهو ينزل بها على اجنحة من نور تحيط به هالة من العظمة السماوية والجمال والجلال .

ان الشعر في معناه الدقيق هو التعبير الفني الموقع عن الفكر الانساني في لغة القلب ، فهذا هو في نظري احسن تعريف يمكن ان تعرفه به ، ولكنه رغم كونه بسيطا لم يمنعه ذلك من ان يكون اكمل تعريف واصدقه ، او التعريف الذي يضبط الواقع ضبطا دقيقا ..

فالشعر ليس شيئا عرضيا في حياة البشرية ، ولكنه منها اصلا . فهو يصحب هذه الحياة في جميع مظاهرها ، فهو ينطق بصورة او باخرى في القلب الذي يخفق ، وفي صيحة التاثر ، وفي وشوشة الاسرار ، وفي زقزقة العصافير ، وفي شدو الماء الجاري .. انه يظهر ولكن في صمت على شفاه المرأة وفي عمق عينيها وفي جراة انوثتها .. واخيرا فاننا نكتشفه ايضا ناطقا او صامتا في نشوة الخمر ، وفي اناقة الربيع ، وبصفة اعم حيث يكون الجمال .

فالشاعر الذي اراد هذا البلد الكريم ان يشرفه هو وامثاله ــ وهم قليل ــ من من بين الذين يمكن للعالم عن جدارة ان يقدمهم على انهم الدليل الحي على ان هذا العالم ليس له البتة لتزيينه وتشريفه قيم اشد قداسة من قيم الجمال هذه التي يهبه اياها الشعراء ، فليس من شك في أن الانسانية الخالدة بمثلها الاعلى الذي هي متعلقة به منذ الازل والذي ستتعلق به الى الابد ــ قلت ان الانسانية يمكنها أن تجد استقرارها وان تتفتح هنا في الحياة الدنيا بدون أمثال الاسكندر وقيصر ونابليون وقد يمكنها باحتراز ــ ان قليلا وان كثيرا ــ ان تنمو بدون عبقرية الكثير من رجال الصناعة والعلماء أو الفلاسفة ، الا أن هذه الانسانية لا يمكنها أن تعطى الحياة معناها الكامل ولا يمكنها أن يملأها فرحة وسناء ، الا، اذا اقتبست جميع هذه القيم التي يذيعها عباقرة امثال هوميروس وسفوكل واوريبيد وهوارس ودانتي وشكسبير

***

وليس في نيتي لا ولا في نيتكم ، وأنا على يقين من ذلك ، ان نزج بأنفسنا في دراسة جامعية عن شوقي وفنه البديع ، فما اريد أن أحاول القيام به بعد

★ نشر هذا المقال في مجلة Mioeo وهو خطاب القي بروما يوم ٩ ابريل ١٩٦٢ بنادي الآداب بمناسبة اقامة تمثال نصفي لشوقي بحديقة صفوايا Savola كتبه الشاعر الكبير عزيز اباظة عن الشاعر الذائع الصيت احمد شوقي ..
تعريب رفيق بن وناس والطيب الشاقي.





احمد شوقي   عزيز اباظة

هذه الكلمة الافتتاحية هو أن أرسم في سرعة صورة للشاعر الكبير ولانتاجه حتى اجعله أقرب اليكم ·

ولد شوقي بقصر الخديو اسماعيل ونشأ في أسرة محمد على وظل شاعره المخلص والوفي يحظى بعنايته الى يوم خلع صاحبه ومليكه الخديوي عباس حلمي في بداية الحرب العالمية الاولى ، فابعد شوقي عن القصر ، ونفى الى أسبانيا · ثم عاد الى مصر لما انتهت الحرب ·

هذا هو النصف الاول من حياته ، غير انه رغم تعرضه لبعض المشاق نظرا الى انه كان ينتسب الى القصر ، ومن جراء صلاته برجال الحكومة ـ قد تمكن بفضل أحكامه المطلق لفنه ومعرفته العميقة بدقائق اللغـة ، من تخطي تلك العقبات ، وأصبح بتلميحاته الرمزية وتحليقاته الشعرية لسان قطره الشاهد على شعبه ··

أما النصف الثاني من حياته ، فان شاعرنا قد قضاه في جو أدبي رفيع جدا ، وبلغ بفضل امكانيات فنه المتعددة قمة لم يبلغها الا نادرا ولي عناء كبير أكبر الشعراء في مختلف البلاد ··

فقد ظهر شوقي في زمن كان الشعر العربي فيه في حالة انحطاط ، يرزح في هوة ضعف من حيث المواضيع المطروقة والاسلوب · وكان الادب سجين قوالب مبتذلة قديمة ميتة وزخارف لا فائدة فيها ·· وفضـل شوقي الاكبر تمثل في اتباع البارودي ··

فقد اعاد الشعر الى بساطته الاولى والى الاعتدال ، ونفخ فيه من جديد الحياة والحقيقة واضفى عليه الجمال والعمق · ولم يكن ليحقق ولم يكن يستطيع أن يحقق مثل هذا البعث لو لم يكن يملك ادواته ، فقد كان ذا ثقـافة واسـعة متعددة الآفاق ، وذا موهبة عجيبة في اختيار الكلمات والعبارات ، وقدرة نادرة على سبك اعمق الافكار في اجمل القوالب ! ··

كان ينظم قصائده في احكام شديد حسب قوانين تكاد تكون هندسـية · فمن كان يستمع اليها كان يعجب بصحة لهجته ولين موسيقاه وانسياب صوره الشبيه بانسياب جدول يرقص ·· كان يخيل الى السامع كلما كانت الابيات تتابع ، حين تكون القصيدة طويلة ـ كثيرا ما يكون ذلك ـ ان موسـيقاها كانت تزداد قوة · ويمكنك القول انها سيمفونية خالدة تعزفها فرقة تضـم العديد من ابرع العازفين احساسهم ينبض ! · ·

اضف الى ذلك ان شوقي نفسه كان ذا احساس بالغ بين فياض · وكانت احدى خصائصه تتمثل في انه يفهم لاعواطفه الشخصية فحسب، ولكن كذلك

عواطف الآخرين ، حتى ان شعره في الوقت نفسه الذي يبرز لنا صورة صادقة عن روحه ، يعبر لنا كذلك عن العواطف المرسومة في روح جميع الناس أي عن عواطف عالمية .. وهذا ما أسميه النزعة الغيرية عند شــوقي وهي احــدى خصائص عبقريته الشــعرية . فقد كان واحدا من أبرز ممثليها لســببين ، أساسيين :

أولا : ايمانه بمثالية اخلاقية تظهر في أغلب شعره .

وثانيا : اتحاده بالعالم الذي كان يحيط به : فقد ذاب في احداثه العظيمة واحداثه اليومية ومظاهر واقعه واخطائه في اتراحه وافراحه .

***

ان شوقي يجمع في الآن نفسه في شعره بين القديم متمثــلا في ما فيه من رائع ، والجديد الذي يتبع خطوة خطوة الحضارة الحديثة ويسير في موكبهـا ... انه لم يبتكر بحورا شعرية جديدة اذ لم يكن هناك البتة من ضرورة تدفعه الى ذلك ، على ان الضرورة لا تدفع الى ذلك شاعر عربي يحذق لغته . وفعلا فان قواعد العروض الكلاسيكي التي يتصرف فيها الشاعر بما في الشــعر من ابيات واشطار تستجيب كل الاستجابة الى حاجاته مهما كانت اتجاهاته وتنوعت الموضوعات التي يطرق .

غير ان ما أتى فيه شوقي بالجديد هي طريقة اكتشافه في الموضوعات المطروقة مظاهر الجمال التي تكمن فيها واستجلاؤه أسرار الطبيعة ..

فهو في شعره الغنائي تاثر بالفرداي موسى A. de Musset وفكتور هوجو V. Hugo وفي القسم الذي خصصه من اشعاره ليجمع للاطفال في الآن نفسه الحكمة والمتعة ، تاثر بلا فونتين Fontaine ثم انه في مسرحه الشعري قد استلهم شكسبير Shakespear والكتاب الثلاثة الكبار الفرنسيين : واسين Racin وموليير Molière وكورناي Corneille

ويمكننا أن نقسم شعر شوقي الغنائي وهو في أربعة مجلدات كبيرة الى أربعة اقسام : شعر الجمال ، شعر الحب ، شعر الدين ، وشعر العظمة .

ويشمل شعر الجمال قصائد تصور اغراءات الطبيعة وثوراتها في مشاركتها في أوجاع الانسانية وآلامها ، ولنذكر أمثلة لذلك شــعره في زلزال طوكيــو Tokio وزلزال مسينا Messine ، وسقوط أسبانيا الاسلامية ، وقصف دمشق بالقنابل .. ويشمل شعر الجمال كذلك قصــائد تصور مجالس انس وبعض الاحداث من حياته الخاصة فهي روائع فريدة .

أما شعر الحب فيصور العواطف والمشــــاعر ودقات قلبه أمام المــرأة ، والذكريات التي تثيرها وما يكنه لها من اجلال ، وهو يصور أيضا حبه وحنانه وعطفه ازاء ابنائه وأحفاده ، وبصفة عامة ازاء افراد العائلة وأصحابه ، حتى ازاء الحيوانات الاهلية .

أما فيما يخص الشعر الديني ، فان شاعرنا رغم انه قد تحرر شيئا ما من بعض أوامر الدين فانه قد بقي متعلقا كل التعلق في قرارة نفسه بعقيدته ، فقد تحدث بصورة عجيبة في الآن نفسه عن محمد صــلى الله عليه وسلم وعن عيسى عليه السلام فلا أظن أن هناك مسلما تحدث عن القداسة كما تحدث عنها شــوقي ، فشعره الديني يفيض نبلا ومشــاعر صــوفية ، وهو كثيرا ما يشير الى بطلان الاختلافات التي تفرق بين الاديان ، فالاديان الســماوية تشترك في نظره في معتقدين جد جميلين وأساسيين . فالاول هو أن هنــاك

آلها خلق العالم ونظمه ، والثاني أن بهذا العالم صورة من الآله تظهر قبل كل شيء في الحب ·

أما شعر العظمة عند شاعرنا فهو يكون أكبر قسم من شـعره أو القسم الاعظم والاجمل منه فقد كتب عن روما الخالدة ، وباريس العظيمة ، واسطنبول الساحرة ·· وعن نابوليون ، وغاندي وتولستوي وفيكتور هوقو وشكسبير ·

أما أجمل ما أنتجته عبقريته الشعرية فمجموعتان من القصائد الشعرية تهم الاولى مصر العربية ، والاخرى مصر الفرعونية ·

فان شوقي قد تغنى فعلا بامجاد العروبة منذ نهاية القرن الماضي ، فقد دعا الى القومية العربية مبرزا الروابط الموجودة بين العـــرب في مختلف انحاء العالم ، فقد عرف كيف يواسيهم حين كان عليهم أن يضمدوا جراحهم ، وكيف يشجعهم ابان نهضتهم ، وكيف يهنئهم بانتصاراتهم ·· ثم انه وهو يعتمد كل ذلك قد وحد مشاعرهم حول نفس الوطن العربي ·

اما المجموعة الثانية فموضوعها كما قلنا مصر الفرعونية · وقد افتتحهـــا بملحمته الخالدة حيث رسم تاريخ مصر منذ اقدم العصور مذكرا بالايام المجيدة أيام اولئك الفراعنة العظام الذين خلقوا للانسانية حضارة لا تنمحي · وقد ذكر كذلك الايام السوداء على عهد الغزاة والذين اعتدوا على حرياتها واستقلالها ·

وكتب كذلك ملحمة عن ابي الهول ، وعن توت عنخ آمون ، وعن النيـــل · وقد اوحت قصيدته عن انس الوجود الى بيارلوتي روايتـــه التي بكاها فيها والتي سماها موت فيلاى La mort de Philae

انني لما تحدثت عن تجديد الشعر الذي حققه شاعرنا لم أبرز المظهر الاساسي لهذا التجديد اعني مسرحا شعريا ·· فشوقي يعتبر بحق خالق هذا الفن الثمين والهام من الادب العربي ، فالعرب كما قد تعلمون لم يعرفوا البتة قديما الفن المسرحي وان كانوا قد عرفوا معرفة واسعة العلوم والفلســـفة والحضــــارة اليونانية ·

وقد رأى مؤرخو الادب لهذه الظاهرة اسبابا مختلفة واقربها الى المعقول يبدو ان العرب لم يفهموا فهما دقيقا كتاب الشعر لارسطو Aristot من جراء ترجمات سقيمة · فقد رفضوا في ترفع ان يتعاطوا فنا كان يعتمد على عبادة آلهة مزيفين · فقد كان هؤلاء تقاسموا ان صح التعبير السلطة العليا والوظائف وشاركوا بصورة فعلية في بناء المسرحيات ·

ويمكننا ان نحن أهملنا بعض المحاولات النادرة ذات القيمة الطفيفة ـ ان شوقي كان خالق هذا الفن في الادب العربي ، فقد كتب ست مسرحيات درامية جميعها مستمدة من التاريخ ومسرحية واحدة ملهاة ·· وعلى انه قد اتبع بصورة عامة في « تراجيدياته » الطريقة الكلاسيكية ، فانه لم يلتزم مع ذلك باتباع تيار خاص بالتعلق بمدرسة أدبية معينة ، ولكنه مزج بين الشرق والغـــرب ومختلف المدارس الادبية · فقد درس حسب طريقته الروح البشرية محـــللا بنجاح مختلف عواطفها · فقد عرف كيف يعبر في توفيق عن نيته ووطنية مواطنيه كاسيا اياها بصور المسرح الشعرى الفخمة ، وقد عرف وهو يسيطر على مواهبه الغنائية الفذة كيف يقف بها عند حدودها الصحيحة ولا يتركها تتجاوز مقتضيات الحوار أو تعارض الحركة المسرحية ·

ومما يجب ابرازه فهو انه كان يباشر بناء « تراجيدياته » بطريقة دقيقة ، كما

لو كان عليه ان يقيسها بالمسطرة والبرجل . وقد كان شأنه فى ذلك شأن المهندس المعمارى الماهر يقيس جميع اجزائها بمنتهى الدقة : فالمقدمة وصلب المسرحية والخاتمة تتتابع فى انسجام ودقة تامين .

اثنتان من مسرحيات شوقى لهما موضـوع فرعونى : « مصرع كليوباترا » و « قمبيز » واثنتان موضوع عربى : « عنتر » و « مجنـــون ليلى » . ثم اثنتان موضوع مصرى : « على بك الكبير » و « الست هدى » وتصور « على بك الكبير » الانحلال الاخلاقى والاجتماعى واحتدام الغرائز اللـذين يميزان عصر المماليك أيام انحطاطهم .

وقد كتب شوقى « عنتر معجبا بالمكانة التى تحتلها تلك الشــخصية فى الاساطير الشعبية التى نجحت فى الوصول الينا عبر العصور ، وتطرق المسرحية الفروسية والشجاعة مبرزة خصال العرب الاساسية فى صحرائهم ويبين فيها الشاعر كيف ان قيمة الشخص الفردية يمكنها ان تتصادم مع وضعه الاجتماعى .

وفى قمبيز يصور شوقى فترة حماسة من تاريخ مصر ، أى لما أصبحت لاول مرة فريسة الغزاة الاجانب الفرس ، ويمجد فيها الشاعر الوطنية المصرية منوها بروح التضحية عند الشعب وقوته وصموده فى مقاومة المعتدين .

غير انني أرى ان مسرحيتى شــوقى الخالدتين هما « مصرع كليوباترا » و « مجنون ليلى » ولا اعتقد ان هناك عبر التاريخ الطويل شخصية حظيت بما حظيت به من اهتمام كليوباترا تلك الملكة الساحرة . فان الشعراء والكتـاب من جميع العصور قد كتبوا عنها غير ان مسرحيتين احرزتا نجاحا باهرا اتخذتا منها ومن عصرها الاسـطورى موضوعا : انطـونيو وكليوباترا لشـكسبير و « كليوباترا لبرنارد شو » فالغالب ان حياة كليوباترا تزخـــر بالاحــداث المسرحية ، وقد وجد هذان الكاتبان مجالا واسعا اطلق فيه خيالهما العنان لنفسه كل حسب فنه الشخصى .

غيران شوقى طرق الموضوع بطريقة مختلفة تمام الاختلاف عن طريقة سابقيه فهو شاعر مصرى يقدم لجمهور مصرى ملكة مصرية فى فترة تتقـد فيهـا مصر وطنية وتكافح فى سبيل تحررها . وفى المسرحية يصور الشاعر الملكة مصرية تحب بلادها وتتقدم فى سبيل خلاصها اغلى ما تملك ، فهى تغلب حبها لوطنهـا على حبها لحبيبها والد ابنائها .

وقد جعل منها شوقى كذلك سياسية قوية العزيمة حازمة جـدا بارعة فى السعى الى غاياتها . وبعد معركة اكسيوم فانها لما هربت لم تفعل ذلك خوفا أو خيانة كما يؤكد ذلك المؤرخون ، ولكن لتتمكن من التغلب على روما بالخـداع والحيلـة ، وقد تبين لها انها كانت غير قـادرة على التغلب عليها بالقـوة .. فشاعرنا يبين ان كليوباترا لما سحبت اسـطولها قد ارادت ان تدع الرومان يتقاتلون ويفنى بعضهم البعض ، وبذلك يخلو لها البحر ويمكن لمصر أن تضمن فيه سيادتها .

نعم ان شاعرنا وهو يفعل ذلك قد ابتعد عن الحقيقة التاريخية ، غير انه من المقبول من حيث الفن المسرحى ان المؤلف له لحق فى أن يفسر التاريخ حسب الآفاق التى ترسمها لنفسه مسرحيته وحسب مقتضيات طباع ابطـاله ، لكن بشرط الا يغير الخطوط التاريخية الاساسية ، فالتاريخ يظل التاريخ والفن الفن .

ومسرحية شوقي الخالدة الثانية هي « مجنون ليلى » وقد استلهم شوقي ليكتبها بعض الذكريات التاريخية المنتشرة أنتشارا واسعا بين العرب ،فالمسرحية من نوع « روميو وجوليات » وهو موضوع في الحقيقة عالمي ، وقد وجد في العالم منذ أن وجد أناس وأحبوا ، فالموضوع الحب في صورته الاقوى ، الحب الخالص ، الحب الافلاطوني حيث يظهر ظهورا واضحا الوفاء في جميع الحالات وروح التضحية يتبعها - كما يتبع الظل صاحبه - الحرمان واليأس ٠

وفي طيات ذلك الحرمان وذلك اليأس ينطوي بطل تلك المأساة ، وقد قاده الجنون في نهاية الامر الى الموت ٠٠

وقد ركز الشاعر مسرحيته الدرامية حول هذا المعنى واصفا في دقة تقاليد البادية والقبائل ، محللا في عمق عجيب العواطف البشرية من أبسطها الى اشدها تعقيدا ٠

ان ما يميز هذه المسرحية هو ان الشعر والحوار يبلغان فيها برقتهما ودقتهما وموسيقيتهما قمة الشعر العربي في مختلف عهوده ، قمة لم يكد يبلغها ابدا بمثل تلك الدرجة من الكمال ٠ كل ذلك دون ان يضيع من العنصر الدرامي الحقيقي شيء ٠

وعلينا أخيرا ان نذكر ملهاة شوقي الوحيدة فان عنوانها « الست هدى » وهي ملهاة عصرية تجرى احداثها في نهاية القرن الماضي ، فالمؤلف يدرس فيها من بين المشاكل الاجتماعية عيبا اجتماعيا كان ولا يزال منتشرا في المجتمع المصري ، اعني الطريقة التي بها يسعى الرجال في نهم الى زواج غني ، وهو في الحقيقة عيب منتشر في جميع أوساط العالم ٠ وان الملهاة حقيقة ٠ وقد نجح المؤلف في ربط العقدة وحلها ، وان الحوار عجيب ٠ وهو يستعمل فيه اشعارا ذات لغة سهلة ومنسجمة مع طابع المسرحية ٠

وقد لاقت هذه المسرحية في نظرنا نجاحا هاما وذا دلالة بالنسبة للادب العربي - نعم ان المسرح العربي كان قد ابتهج باللغة الشعرية المستعملة في المسرحيات المأسوية التي كانت تستلهم احداث الماضي ٠ وان الجمهور كان قد تعود أن يسمع شخصيات تاريخية تتكلم شعرا ، ولكن ان يشهد مسرحية المتكلمون فيها شعرا هم أشخاص معاصرون يعيشون وسط المستمعين يلبسون ثيابا شبيهة بثيابهم ويستعملون السيارة والهاتف والتلفزة - فذلك كان بدعة كان للجمهور ان يثور ضدها وان يميل الى الاستهزاء بها ، غير ان الامور في الواقع قد جرت على غير ذلك تماما ٠ فقد استقبل الجمهور تلك المسرحية بالترحاب ٠

فان كنا نريد ان نستخلص عبرة من هذه القصة فاننا نقول ان النجاح كان يعد ضمنيا في صدق العواطف المعبر عنها ، وجمال الوصف مهما كان شأن الشكل والقالب - ولئن اردنا كذلك ان نستخلص حجة من ذلك فاننا نقول ان ما تدعيه المدرسة الواقعية اعني انه لم يعد للشعر في مسرحنا المعاصر مكان هو خدعة أو نوع من الحقد على كل ما هو نبيل وجميل وقديم ٠

واعتقد ان افضل طريقة للختام هي ان الخص في كلمات مكانة شوقي فشاعرنا الكبير يخاطب الروح البشرية حسب امكاناتها المتعددة شأنه في ذلك شأن الاداة الموسيقية المتعددة الاوتار التي يمكنها ان تبلغ أصوات الحياة المختلفة واصداءها المختلفة ●

ناس وصور وحكايات

لأول مرّة في التاريخ حادث تاريخي خطير يصوّر بلحظة

مجموعة الصور التي تراها على هذه الصفحات باعها صاحبها للصحافة العالمية بحوالي مليون جنيه .

وهي تساوي اكثر من مليون .

ففي الساعة السادسة والثلث من مساء ٢٣ فبراير الماضي كان مجلس الكورتس (النواب) الاسباني الذي سيوافق على الاقتراع بالثقة برئيس وزراء جديد هو ليوبولدو كالفو سوتيلو . رئيس الوزراء الأسبق ادولفو سواريث جالس في القاعة بين النواب ، بعد استقالته من الوزارة اصبح نائبا .

فجأة يقتحم القاعة عدد من رجال الحرس الوطني (الجواردیا سیفیل) .

الجواردیا سیفیل نظام بولیسي عسكري فريد في بابه ولا يوجد الا في اسبانيا ، مهمته الاساسية حراسة النظام الاسباني (ايا كان) من اي انقلاب . رأس الحرس الوطني جنرال يختار من رجال الجيش او البوليس ، ولكنه بمجرد اختياره تنقطع صلته بالجيش او البوليس ويصبح رئيس قوة عسكرية مستقلة تخضع لرئيس الدولة مباشرة ، محرم دائما على رجال الحرس الوطني التدخل في السياسة ، فرانكو اعطى هذا النظام قوة



الملك خوان كارلوس

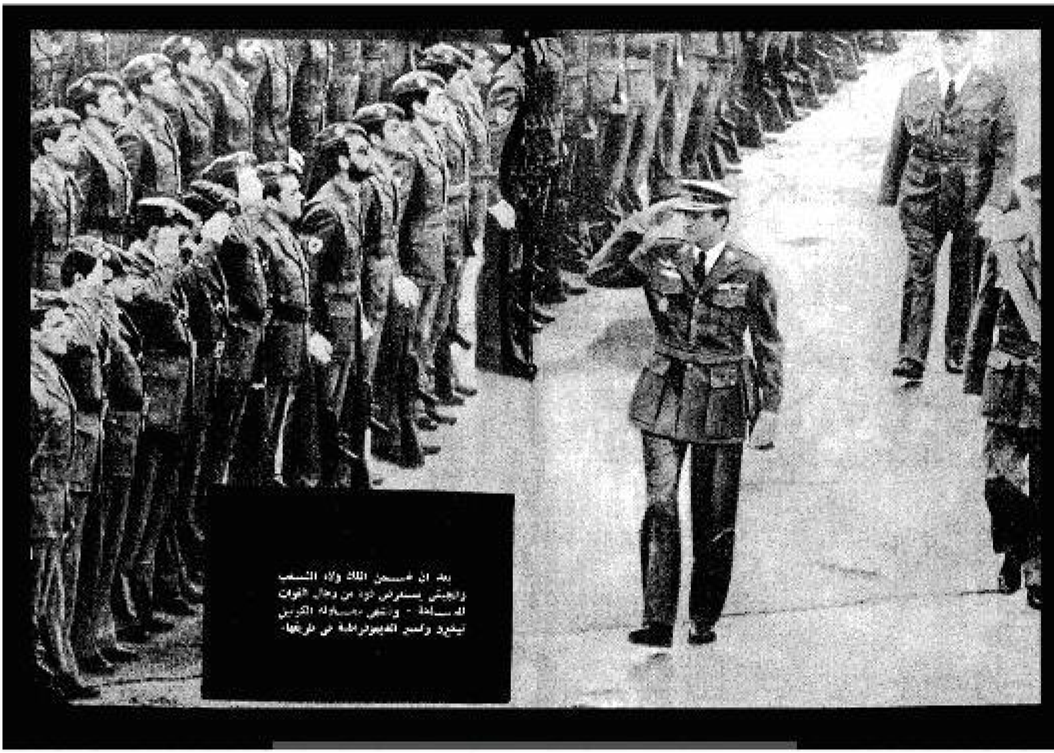
[illegible]



الساعة السادسة والثلث يوم ٢٣ فبراير ١٩٨١ في قاعة الكورتيس الاسباني ، وأثناء عملية إعطاء الثقة لرئيس الوزراء الجديد يدخل الكولونيل تيخيرو ومعه ٦٠ من زملائه ويعلن الانقلاب ، واقفاً الى جانب منصة الرياسة وجنوده من خلفه بالكرابينات ، النواب واجمون .



بالساعة السابعة مساء رئيس
الوزراء الاسبانى السابق ادولفو
سواريث ينهض من مقاعد النواب
ويأمر الكولونيل تيخيرو الجالس
على المنصة (فى الصورة اليمين)
ويأمره بالنزول والامتثال لامر
رئيس المجلس الذى يختار رئيس
الحكومة حتى تتم عملية الاقتراع
بالثقة وتثبيت رئيس الوزراء
الجديد ليوبولد كالفو سوتيلو .
رجال الحرس يرفعون الاسلحة .
وذلك يسود الرأى ونقد النظام
الاسبانى كله .



بعد ان كسب الملك ولاء الشعب والجيش يستعرض فوجاً من رجال القوات المسلحة - وانتهى بمحاولة الكولونيل تيجيرو وكسر الديموقراطية من طريقها.

رئيس الوزراء بالكف عن الكلام وهدده بالقتل .. ساد القاعة صمت رهيب .

ونهض نائب رئيس الوزراء للشؤون الدفاعية في الوزارة المستقيلة وهو الجنرال جوتيريث ميلادو وامر الكولونيل انطونيو تيخرو بان يسلم سلاحه ويخرج من القاعة .. فامر تيخرو احاطة بالوزير عدد من رجال الحرس المدني وضربوه وحملوه والقوا به في قاعة مجاورة واغلقوا الباب .

في احد مقاعد النواب ينهض الشاب ادولفو سواريث رئيس الوزراء الاسبق ويسير نحو الكولونيل تيخرو ليضربه . يحيط به رجال الحرس ويجذبونه من ملابسه ويهددونه بالضرب . هذا لا يهمه امر الكولونيل بالامتثال لامره بعنف احد نواب الشعب وطلب اليه ان يبرز في امر من رؤسائه يخول له هذا التصرف . الكولونيل تيخرو عدو دائم لادولفو سواريث فقد [illegible] مؤامرة [illegible] ١٩٧٨ [illegible]

[illegible]

[illegible] على النواب والوزراء قد انتهى .

وماذا بعد ؟

لا شيء .

وظلوا ينظرون الى تيخرو .

تيخرو لم يعرف ماذا يعمل ، لانه لا يملك نصيرا واحدا خارج المجلس . كان يظن ان رجال الجيش جميعا سيهبون لاقامة حكومة عسكرية تحل محل الحكومة المدنية وتعيد عهد فرانكو وتلغي الملكية .

ولكن الملك خوان كارلوس اثبت انه اعظم ملك من ملوك اسرة البوربون على طول تاريخها . سر قوته انه ملك ديموقراطي يؤمن بالديموقراطية فعلا . لقد نشأ وتربى ايام فرانكو وذاق مرارة الدكتاتورية . حقا لقد كان فرانكو يربيه ويعده ولكن باسلوبه الدكتاتوري .

ماذا يفعل الملك ورجال دولته ورجال الاحزاب والنواب جميعا مسجونون في قاعة الكورتس .

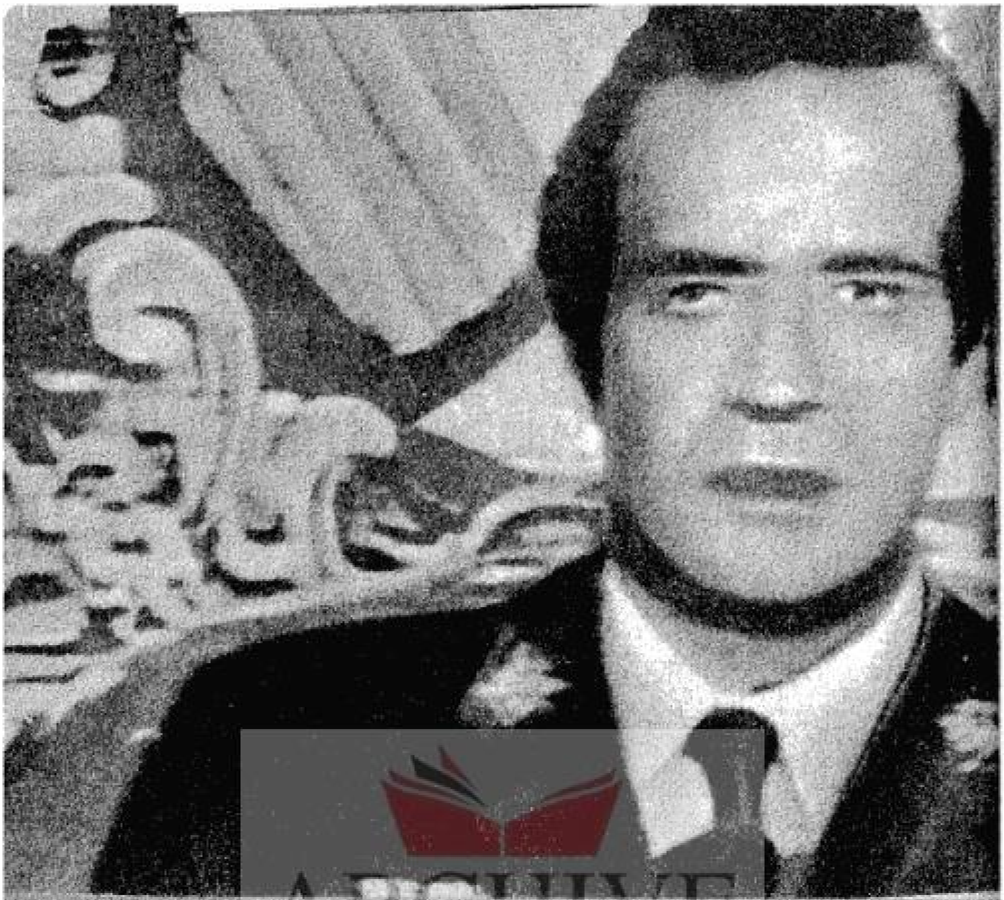
كان من الممكن ان يتصل بقيادة الجيش . ولكنه لو فعل لاقام حكومة عسكرية . هنا تجلى [illegible] . لم يتصل بقيادة الجيش . اتصل بالحكام المدنيين والعسكريين في نواحي اسبانيا كلها [illegible] ولاءهم له . في اسبانيا ومنذ ايام فرانكو هناك حاكم مدني وحاكم عسكري لكل محافظة .

[illegible] جميعا للملك وللديموقراطية [illegible] الملك بقيادة الجيش [illegible] الخبر ، اعلنوا كلهم ولاءهم له . بقوة من الحرس الملكي خرج الملك الى التليفزيون وخاطب الشعب وضمن ولاء الجماهير . خرج الملايين الى الطرقات يؤيدون الملك .

وبعد ذلك اتصل الملك بقيادة الجيش وامر رئيس القوات المسلحة بان يذهب بقوة كافية لفك الحصار عن المجلس . وتم ذلك .

وجد الكولونيل تيخرو انه فقد المعركة فاستسلم لرؤسائه ووضع في السجن .

ثم استدعى الملك رئاسة الجيش وجدد معهم يمين الولاء له .



الملك خوان كارلوس [illegible] حكومة تمثل الحكام [illegible] والعسكرية [illegible] [illegible] في مجلس الكورتيس .

وفي المجلس تمت عملية اعطاء الثقة لرئيس الوزراء الجديد ، واصدر الملك مرسوم تعيين الوزراء وانتهت الأزمة بابتسامات رضى : الملك خوان كارلوس ورئيس الوزراء الاسبق ادولفو سواريث [illegible] اصبح اليوم من اعظم رجال السياسة في أوروبا .

***

كل هذا صوره اثنان من المصورين في فيلم رائع [illegible] سياسية . [illegible] وجه ضابط مهووس ورجاله [illegible] للتاريخ [illegible] لنهايتها .

وهذه هي الصحافة الحقة ، والخبر [illegible] نشره هنا مع صوره نموذج من الصحافة الحية الاخيرة [illegible] ثالث [illegible] واخلاص صحفي .

● عربي – عربي ●

عيون المها ...

● عبد الله اسماعيل متولي ●

اذا كان للانسان حواس خمس تتراوح في وظائفها بين التأثر والتأثير وبين الارسال والاستقبال ، فان العين تقوم بالوظيفتين معا : التأثير والتأثر، والارسال والاستقبال ... ذلك لان العين نقطة الالتقاء ، ونافذة الانتهاء ، ومبلغ الرجاء ، ومرآة تنقل النوازع والخلجات ، خلجات القلب من الم وامل ، ونوازع الفكر من مبدأ او عمل .

وقد عبر عمر بن أبي ربيعة (٩٣ هـ – ٧١٣ م) عن هذا المعنى بقوله :

اشارت بطرف العين خيفة اهلها اشارة محزون ولم تتكلم

فايقنت ان الطرف قد قال مرحبا واهلا وسهلا بالحبيب المتيم !

وقال أبو نواس (١٩٨ هـ – ٨١٤ م) أيضا :

وذات خد مورد قوهية المتجرد

تأمل العين منها محاسنا ليس تنفد

فبعضه قد تناهى وبعضه يتولد

ولاهمية العين تلك نجد لها مكانة كبيرة في دنيا الحب والغزل من شاعر البيداء الى شاعر الفضاء ، فهي توقع القلب في التعب ، وتشغل الفكر بالهم والنصب وترمي الجسد بالاسقام والعلل ، وتسلم الروح للضيق والملل .. ولم لا ، فالعين هي شعاع الحب والكراهية ، ومؤشر التبلد والحساسية .

فيا حقيقة تلك العين التي تدمي مدامع العشاق ، وتلهب قرائح الشعراء ، وتؤرق مضاجع المحبين ، وتحير كثيرا من البحثة والمفكرين ..

● أولا : حرف العين (ع) هو الحرف الثامن عشر من حروف الهجاء ، وهو مجهور رخو ، ومخرجه من وسط الحلق ، ويعده القدماء من الحروف المتوسطة .. وهذا الحرف قدمه جماعة من اللغويين في كتبهم وابتدأوا به في مصنفاتهم ، كالخليل بن أحمد في كتاب العين .

العين : عضو الابصار للانسان وغيره من الحيوان ، ومن اسمائها البصاصة والباصرة والحجمة ••

وجمعها : عيون واعيان واعين وجمع الجمع « اعينات » ••

ـ ولفظ العين له معان كثيرة متعددة منها : ينبوع الماء ، واهل البلد ، وأهل الدار ، والجاسوس ، ورئيس الجيش ، وكبير القوم شريفهم ، وما ضرب نقدا من الدنانير ، والحاضر من كل شيء ، والنفيس من كل شيء ، ومن السحاب ما اقبل والشمس ، والذهب ، وحقيقة الشيء •

وقد نظم هذه المعاني أحمد السجاعي ـ المتوفى سنة ١١٩٧ هـ ـ في قصيدة رائعة ، وقد جعل حروف اسمه في أوائل أبياتها بالترتيب • نجتزىء منها ما يلي :

أيا ظبي الفلا وكحيل عين ويا بدر الدجى وضياء عين
ـ (الشمس)

حميت من المكاره يا غزالا حوى كل الكمال بدون عين
(العيب)

ملكت القلب مني يا حبيبي وحق المصطفى المجرى لعين
(الماء)

دعانا للهداية نعم طه رسول قد ابان لطرق عين
(حقيقة العين)

● ثانيا : اجزاء العين :

❋ الاسهوان : عرقان في العين •

❋ الاصدران : عرقان في العين •

★ انسان : انسان العين : موضع البصر منها ، وقيل سواد العين •

قال ذو الرمة (١١٧ هـ = ٧٣٥ م)

وانسان عيني يحسر الماء تارة فيبدو وتارات يجم فيغرق

= البخصة : شحمة العين من أعلى ومن أسفل

❋ الجحاظان : حدقتا العينين اذا كانتا خارجتين

❋ الجحاظ : حجاظ العين : محجرها

❋ الجفن : لكل عين جفنان : وهو غطاء المقلة من اعلاها واسفلها والجمع « أجفان ، وجفون ، وأجفن » •

قال ابو بكر محمد بن عباس الخوارزمي :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى دمعان في الاجفان يزدحمان

❋ الجلسى : ما هو حول الحدقة ، وقيل ظاهر العين •

❋ الحدقة السواد الاعظم في العين ، وسميت بذلك لان البياض محدق بها يقال أحدق القوم به وحدقوا : أطافوا به من جميع نواحيه •

قال الشريف الرضي :

يا قلب مالك لا تفيق وقد رأت عيناك كيف مصارع العشاق ؟
فتكت بك الحدق المراض ولم تزل تشجي القلوب جناية الاحداق

❋ الحملاق والحملاق والحملوق : باطن الجفن المحمر ، وقيل :

ما غل الجفن من بياض المقلة . حملق الرجل فتح عينيه ونظر نظرا شديدا والجمع « حماليق » .

* الحندقة والحنديقة : الحدقة .

* الحندورة الحنديرة : الحدقة يقال : جعلته على حنديرة عيني وحندورة عيني .

* الذبابة ذباب العين : النكتة الصغيرة التي في انسان العين فيها البصر .

* الذنابة ذنابة العين وذنبها : مؤخرها .

* الشفر : حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر ، وشفير كل شيء حرفه والجمع «أشفار» .

قال جمال الدين بن نباته المتوفى سنة ٧٦٨ هـ

اذا كان شفر العين فوق محلها   فعندى انا الاشفار خير من العين

* الصاد : عرق بين العين والانف .

* العير : عير العين : انسانها ومن امثالهم « جاء فلان قبل عير » وما جرى اى قبل لحظة العين .

قال الشاعر :

وثار قد حضات بعيسدوهن   بدار ما اريد بهسا مقامسا

سوى ترحيل راحلة وعير   اكالئه مخسافه ان ينساما

* العين : حاسة البصر .

الغربان : مقدمها ومؤخرها .

* الفص : فص العين : حدقتها والجمع « فصوص » و « أفص » .

* القبل : ميل الحدقة الى النظر الى الانف .

قال ذو الرمة (١١٧ هـ = ٧٣٥ م)

اشتكى فى الكفلة القبلا   لا كثيرا يشبه الحولا

* اللحظ : مؤخر العين الذى يلى الصدغ . والجمع لحظ والحاظ .

لحظناهم حتى كان عيوننا   بها القوة من شدة اللحظان

* المحجر والمحجر : فجوة العين وهو ما بدا من البرقع والنقاب ، وقد سمي المحجر محجرا لانه مفعل من الحجر وهو المنع فكأنه مانع عن العين من جميسع جهاتها .

قال الامير سيف الدين المشد :

ان العيون لك الحصون : فهدبها   شرفاتها ، وجفونها الاسسوار

وكذا محاجرها : الخنادق حولها   والحافظسون بها هم الانسوار

* المخ : مخ العين : شحمها

* المعاينة : النظر بالعين عاينته معاينة وعيانا رأيته ومنهم قولهم : شاهدته عيانا .

* المقلة : الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، وسميت بذلك من قولهم مقلت الرجل فى الماء : اذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل فى الماء : اذا غاص فيه .

قال شهاب الدين احمد الحاجبى :

لهسا عين غسزل وغسزل   مكحلة ول حسين تهساكت

وحساكت فى غلائلهسا الموالى   فيسالك مقلسة غزلت وحاكت

* الموق : طرف العين الذى يلي الانف ، وهو مخرج الدمع من العين ولكل عين مؤقان ، وفي الموق أربع لغات .

ـمؤق ، وماق وماق ، ومؤة، والجمع اماق ، ومواق ، ومآق .

قال المتنبي (٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م) يمدح كافور الاخشيدي :

قواصد كافور تــوارك غيره ... ومن ورد البحر استقل الســواقيا
فجـــاءت به انسان عـــين زمـــانه ... وخلت بياضا خلفها و (اماقيـا

* الناظر : انسان العين

* الهدب : الشعر النابت على الاشفار واحدته هدبة ، وجمع الجمع أهداب يقال عين سبلاء : طويلة الهدب

قال الشيخ برهان الدين :

اهداب لحظاك للورى شرك فمن ... اوقعته فيهن لا يتخلص

* الهلب : الهدب .

* الهالة : شحمة في باطن العين تحت المقلة

* الهنالة : الهالة

* الورشان : حملاق العين الاعلى .

* الوطف : كثرة شعر العينين مع استرخاء وطول .

***

● ثالثا : صفات العين المستحسنة :

* البجج : سعة العين .

قال الشاعر :

الطرف منها مستعار بججه ... واحسب زينه خداجه

* البرج : سعة العين ، وكثرة بياضها ، وقيل نقاء بياضــها ، وصــفاء سوادها .

قال الشاعر :

كحلاء في برج صفراء في دعج ... كانها فضة قد مسها ذهب

* الحدر : عين حدرة : كبيرة وقيل الحادة النظر .

* الحور : شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها .

وفي القرآن الكريم : « كذلك وزوجناهم بحور عين » سورة الدخان /٥٤

قال الشاعر :

لله در منــــازل ومنازل ... اني يلين بها ولا أحوار

* الدعج : شدة سواد العين مع سعته يقال : « ليل أدعج » أي شــــديد السواد .

قال كثير (١٠٥ هـ = ٧٢٣ م)

سوي دعج العينين والدعج الذي ... به قتلتني حين امكنها قتل

الطرف : انطباق الجفن على الجفن ، وقيل تحريك الاشفار .

قال الشيخ علاء الدين الوادعي :

وحديث من السقام صـــحيح ... قد رواه من طرفه مكحول

قال عمر بن أبي ربيعة :

اشارت بطرف العين خيفة اهلها ... اشارة محزون ولم تتكلم

* الظمى : عين ظمياء : رقيقة الجفن

* العين : عظم سواد العين في سعتها .

* النجل : عين نجلاء : واسعة وحسنها ومنه ، طعنة نجلاء ،

● رابعا : الدمع وحالاته :

الدمع كل ما يسيل من العين قل أو كثر ، دمعت العين تدمع دمعا وعين دموع كثيرة الدمع أو سريعته ، والمدمع مجتمع الدمع فى نواحى العين يقال :

جادت العين : انهمر دمعها ٠

وخضلت العين : سالت بالدمع ٠

وترقرقت العين : تردد الدمع فيها ولم يفض ٠

واغرورقت العين : امتلأت ماء فوارت السواد ٠

وغسقت العين : صبت الدمع ٠

ونضجت العين : فارت بالدمع ٠

ورقأت العين : جف دمعها ٠

وأقفت عينه : ذهب دمعها ، وارتفع سوادها ٠

* الارذاذ : قطر الدمع قطرا متتابعا ٠

* الإرشاش : القطر المتتابع الكثير ٠

قال الشاعر :

ارشت به عيناك دمعا كأنه كل عين شلشاله وجيـــوبها

* الارفضاض : سيلان الدمع سيلانا متقطعا ٠

قال الشاعر :

وارفض دمعى كرشاش الغرب

وقيل هو تفرق الدمع

قال الشاعر :

فارفض معك فوق ظهر المحمل

* الاستهلال : قطر الدمع قطرا شديدا ، يسمع وقره

* الانهلال : الاستهلال ٠

* التحادر : وقع دمعتين وقيل تتابع

قال الشاعر :

كأن العيون المرسلات عشية شآبيب دمـع العبرة المتحاتى

* التعجرة : انصباب الدمع ٠

* الجيوب : مواضع خروج الماء فى العين ٠

★ الذرف : الذرفان الذريف : قطر العين قطـــرا ضعيفا وقيـــل الذروف دمع بلا بكاء ٠

* السجمان : سيلان الدمع كله قليله وكثيره ٠

* السح : اشتداد سيلان العين ٠

* السفح : شدة السيلان ٠

★ السفك : انصباب الدمع يقال : سفك الدمع يسفكه سفكا ، صبه ٠

* الصرى : ما اجتمع من الدمع واحدته صراة ٠

* العبرة : تردد البكاء فى الصدر ، وقيل هى : الدمعة قبـــل أن تفيض وقيل أيضا : أن ينهمل الدمع ولا يسمع البكاء ٠

* العسقفة : جمود العين عن الدمع اذا أرادته ٠

قالت الخنساء (٢٤ هـ = ٦٤٥ م)

أعينى جــودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندى

* الغروب : الدمع حين يخرج من العين ، وقيل كل فيضة من الدمع .
قال الشاعر :

مالك لا تذكر ام عمرو الا لعينيك غروب تجرى

* الغقان : الانصباب .
* النكف : تنحيتك الدمع عن خدك باصبعك .

قال الشاعر :

فبانوا فلولا ما تذكر منهم من الحلف لم ينكف لعينك مدمع

* الهملان : سيلان الدمع من نواحي العين كلها .
* الكوكف والوكيف : قطر الدمع قطرا ليس بالشديد يقال : وكفت العين : سالت ووكفت الدمع : اسالته .

قال الشاعر :

كان وكيف عينك يا ابن عصم وكيف المنجنون سقت ديارا

● خامسا : الحاجب واشكاله :

* الحاجبان : في الوجه وهما الشعر الذي على الحاجبين ، وقيل العظمان اللذان على العين بلحمهما وشعرهما وسمي بذلك لانه يحجب العين عن شعاع الشمس .
* الحجاجان : العظمان المشرفان على غارى العينين .

قال الشاعر :

دعني فقد يقرع للاخذ صل حاجبي راسه ويبزى

★ اللجيج : غار العين الذي تنبت عليه حروف الحاجب .

- اشكال الحاجب :

* الادمص : الذي رق شعر حاجبيه من أخر وكثف من قدم
* الازج : الذي حسن مخط حاجبيه ورق شعره في متابعته .
* الاغضف : القليل شعر الحاجبين ، وقيل الكثير الهدب .
* الانمص : القليل شعر الحاجبين .
* البلج : ان ينقطع الحاجبان ويكون ما بينهما نقيا من الشعر ، يقال : رجل أبلج والمرأة بلجاء ، وقد بلج بلجا ، وهي البلجة .

قال الشاعر :

وابلج يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

* الخطط : رقة الحاجبين ، وقلة الشعر فيهما ، يقال رجل الط وامرأة لطاء .
* الزجج : طول الحاجبين ودقتهما وسبوغهما الى مؤخر العين حتى كأنهما خطا بقلم ، وقد زججت المرأة حاجبيها واطالتهما بالاثمد قال العجاج .

وفاحما وحاجبا مزججا
وفاحما ومرسنا مسرجا

* القرن : هو أن يطول الحاجبان حتى يلتقى طرفاهما يقال رجل اقرن وامرأة قرناء .
* مقوس : حاجب مقوس :شبيه بالقوس في انعطافه .
* مهلل : حاجب مهلل : شبيه بالهلال .
* الوطف : كثرة شعر العينين مع استرخاء وطول يقال رجل أوطف ، وامرأة وطفاء .

من وحي الأكباد النازحة

هنا ملتقانا هنا الموعد..

● محمد عبد الغنى حسن ●

بَعُدتَ وذكراكَ لا تبعدُ ... متى نستردكَ « يا أحمد » ؟
إلامَ تظل تجوبُ البلادَ ... فلا تستقر ، ولا تخلد ؟
تشدكَ أرضٌ إلى أختها ... كأنكَ عن أرضنا مُبْعَدُ
مواطنُ — واللهِ — لم يرتفع ... أذانٌ بها ، أو يقم مسجدُ
ولا رنَّ فى أذنى مقرىء ... يرتلُ للهِ أو ينشدُ
ولكنْ كفى أنَّ أطيارها ... تسبّح لله أو تسجد
وأن الطبيعة فى سحرها ... دليلٌ على أنه الأوحد ...
أأحمدُ ؟ قد مزقتنى النوى ... وحار معى الرشدُ والمرشدُ
ولم تكفنى غربةُ النيّرين (١) ... فلاحَ لنا كوكب أسعد (٢)
سميُّ الذى من حروفى اسمهُ ... ومن أيكتى غصنه الأملدُ
إلى اليومَ لم يطوه ساعدى ... ولم تترفق عليه اليدُ
علمتُ بمولده نازحا .... فكنتُ كأنى الذى أولدُ
أليسَ امتدادا لأمسى ويومى ... وفى برديته يكونُ الغد ؟ ؟
ترفقْ بنا أنتَ والنازحين ... فليسَ من العدل أن تبعدوا
فما العمر أهنأ فى وحشة ... ولا العيشُ فى غربة أرغد
ومصرُ أحن بأضلاعكم ... ولو أنها الصخرُ والجلمدُ
نعم ! دارُ غربتكم جنةٌ ... ولكنما بابها موصد !.
ديارُ التغرب لا تشتهى ... ولو أنَّ حصباءها عسجد
فجوبوا البلادَ ! ولكنكم ... بغير « الكنانة » لن تهتدوا
إذا ما عشقتم فمصرُ الهوى ... ومصرُ النهايةُ والمقصد

---

(١) النيرين : يقصد الشاعر حفيديه النازحين : جميل ونادر بسلفادور وسمان باولو
(٢) هو الحفيد : محمد



الى ولدي المغترب الطبيب احمــد
وحفيدي منه وسميي : محمد ...

رفقتَ بنـا يا رفيقَ السفار   أما شاقكَ المهدُ والمولِدُ ؟
بلادُك فيهـا جلالُ العصور   وأصلُ الحضارةِ والمحتد
فمصرُ أحق بما قد زرعت   وأرضك أولى بنـا تحصد
وهلا حننتَ الى تـربة   تكادُ لأقداسهـا تعبدُ
يرف النضارُ على تربهـا   ويصفو على « نيلهـا » المورد
رفقتَ ! ففي عمرنا فضلة   أخاف على غفلة تنفد ..
فهل لذة لي بعدكم سامر   وهل طاب لي بعدكم مرقد
وما كان لي سبب في الفراق   ولا كان لي في نواكم يد ..
قد اخترتمو في الحياة طريقا   ولكنه النازح الأبعد ..
إذا رمتُ رؤيتكم في المنام   تأبى المنامُ فلا أسعد
وإن شئتُ زورتكم مرة   يكادُ الطريقُ بنا يشرد
نطيرُ على متن « نفاثة »   وينبو بنا فوقها المقعد
تئز مدوية في الفضاء   وتبرق في الجو أو ترعد
وتطوى بنا الليل بعد النهار   فليست تكل ، ولا تخمد ..!
بني ! لكم وحشة في الفؤاد   وفيه لفرقتكم موقد
ولي في الطريق لكم موقف   يطيب السرى فيه أو يحمد
إذا ما التقيتُ بكم مرة   أرى النار في كبدي تبرد
فأغفر للدهر سوءاته   وأركع لله أو أسجد
وأهتف من فوق أرض الثرى :   هنا ملتقانا .. هنا الموعد

من الذكريات الألفية العظيمة

● محمد عبد الله عنان ●

شهد العالم العربي في بضعة الاعوام الاخيرة طائفة من الذكريات الالفية العظيمة ، احتفل بالفعل ببعضها في مهرجانات قومية وتاريخية جليلة ، وكان في مقدمة هذه المناسبات التاريخية الاحتفال بالعيد الالفي لمدينة القاهرة المعزية في سنة ١٩٦٩ ، وقد نظم الاحتفال به في مهرجان رسمي ودولي عظيم عقد بمدينة القاهرة على مدى اسبوع ، فيما بين الثامن والعشرين من مارس والثالث من أبريل من نفس هذا العام ، وشهده جمهرة حافلة من اكابر العلماء العرب والمستشرقين من سائر انحاء العالم والقيت فيه عدة كبيرة من البحوث التاريخية والاثرية عن قيام المدينة الالفية العظيمة على يد جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٨ هـ ، وعن تطور خططها الجغرافية والعمرانية ، خلال مختلف العصور ، وما تزدان به من الصروح والكنوز الاثرية العديدة التي تمثل من الناحيتين المعمارية والزخرفية وسائر عصور العمارة والفنون الاسلامية خلال الف عام ، منذ بداية العصر الفاطمي حتى العصر الحديث والتي تجعلها من هذه الناحية فريدة بين مدن العالم الاسلامي .

وقد جمعت هذه البحوث المختلفة في ثلاثة مجلدات كبيرة ، صدرت باللغتين العربية والفرنسية . هذا فضلا عن صدور اطلس مصور عن القاهرة باللغتين الانجليزية والالمانية .

وقد لبثت القاهرة المعزية الف عام عروس الاسلام في المشرق والمغرب ، ومثوى الحضارة والعلوم والفنون الاسلامية كما لبثت أكثر من مائتي عام دعامة الاسلام وحاميته ضد الحملات الصليبية في المشرق ، واستمرت في كفاحها أجيالا تدفع هذه الحملات الهمجية ، حتى طهرت منها الشام واستردت بيت المقدس على يد عاهلها وملكها العظيم صلاح الدين ، ثم هزمت بعد ذلك فرسان القديس لويس في المنصورة ، وجعلت من هزيمته وأسره أسطورة من أعظم أساطير النصر العزيز .

هذه هي القاهرة العظيمة التي احتفلنا منذ زهاء عشرة أعوام فقط بعيدها الالفي وهذه هي القاهرة التي تحتضر اليوم تحت غمار النسيان والاهمال والجحود من ابنائها الذين أهدروا ماضيها العظيم وأمجادها الخالدة .

وترتبط بالذكرى الالفية لمدينة القاهرة المعزية ذكرى الفية أخرى هي ذكرى جامعها ومعهدها الشهير الجامع الازهر ، وقد انشىء بعد قيام القاهرة بقليل في جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ ، وتم بناؤه وافتتح للصلاة في رمضان سنة ٣٦١هـ

وان هذا الحديث الموجز ليضيق عن التحدث عن تاريخ الازهر الطويل الحافل

وليس من شك في أن الازهر قد لعب أعظم دور في تقدم العلوم الاسلامية ، وفي مقدمتها الشريعة ، وكذلك في تقدم

علوم اللغة العربية . وفيه تخرج الالوف من أعلام الدين واللغة ، من سائر انحاء العالم الاسلامى ،وقد كانوا بمثابة عصبة امم اسلامية ، تعمل على تقــوية أواصر التضامن بينهم ، وعلى القيــام بالمهمة العظيمة الملقاة على عاتقهم ، وهى المحافظة على سـلامة الدين الاســلامى واللغة العربية .

وقد لعب الازهر خلال عصـور الحكم العثمانى لمصر والعالم العربى ، اعظم دور فى حماية علوم الدين واللغــة . وكان بالاخص معقلا حصــينا للغة العــربية وعلومهــا ، تحتفظ فى أروقته بكثير من قوتها وحيوتها ، ويدرأ عنهــا بجهــود علمائه وطلابه ، عادية التدهور النهائى ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ، وردها عن التغلغل فى المجتمع العربى .

وقد بلغ الازهر عمره الالفى بالتاريخ الميــلادى فى سنة ١٩٧٢ ، وقــررت الحكومة المصرية بالفعل ان تحتفل بهذه المناسبة التــاريخية والعلمية الجليلة ، واتخذت فى هذا السبيل بعض الخطوات التمهيدية ولكن الظــروف والاحــداث الدقيقة التى كانت تجوزها مصر يومئذ ، وتأهبها للمعركة الفاصلة مع اسرائيل ، ثم اضطرام حرب اكتوبر سـنة ١٩٧٣ بين البلدين ، وما قيض لمصر من التفوق والظفر فى هذه الحرب المجيــدة ، وما ترتب على ذلك من احداث وتطــورات جديدة : كل ذلك حال دون أن يجرى الاحتفال الالفى المنشــود بعيد الجامع الازهر ، وخسرت مصر بذلك فرحة الفية وعلمية عظيمة .

ننتقل بعد ذلك الى المغرب العــربى ــ الى المغرب الاوسط ــ او بعبارة اخــرى الى جمهورية الجزائر الديمقراطية الفتية لنشهد بعض الذكريات الالفية الاخرى .

ففى صــيف سنة ١٩٧٢ ، فى نفس الوقت الذى احتفلت فيه الجزائر بالعيد العاشر لاســتقلالها ، احتفلت فى نفس الوقت بالذكرى الالفية لمدينة الجــزائر العظيمة ، وزميلتها الصغرى مدينة مليانه

وترجع مدينة الجزائر الاســلامية باسمها المعروف لنا الى منتصف القــرن العاشر الميلادى ، وكانت قبل ذلك بقليل قد غدت منزل بنى مزغنه او مزغنــاه ، وهم بطن من بطــون قبيلة صــنهاجة البربرية الكبرى ، ومن ثم كان الاسم الذى اطلق عليها فى البــداية . وهو الجزائر بنى مزغنه . وســميت كذلك بسبب سلسلة من الجزائر الصــخرية كانت تقع على مسافة قريبة من الشاطىء وتكون شبه رصيف طبيعى لمرساه .

اما مدينة الجــزائر الحالية ، فقــد انشئت فى أواسط القرن العاشر الميلادى وذلك على يد بلقين بن زيرى بن مـنــاد الصنهاجى وذلك فى سنة ٩٧١ م .وكان أبوه زيرى عاملا للخليفة المعز لدين الله، وقائده على المغرب قبل أن ينتقــل الى مصر . ونحن نعــرف أن بنى زيرى ، أصبحوا بعد ذلك عمال الخلافة الفاطمية المصرية على المغرب ، ثم أعلنوا استقلالهم عنها غير بعيد ، واستقلوا بما فى ايديهم من الولايات .

ونمت الجزائر بسرعة ، واصــبحت ثغرا من أهم ثغور المغرب الاوســط ، ثم شاءت العناية الآلهية ، بعد عصر طويل من الاستعباد الفرنسى الغاشم ، ان تكلل جهاد الامة الجزائرية الباســلة بحصولها على استقلالها ، وعادت مدينــة الجزائر حاضرة اسلامية لقطر عــربى اسلامى عظيم ، وكان الاحتفال بعيــدها الالفى فى قصر الصــنوبر الفخم خلال مؤتمر الفكر الاسلامى فى منتصف سنة ١٩٧٢ .

وأما مدينة مليانة التى اشــتركت فى الذكرى الالفية مع الحاضرة الجزائرية ، فتقع على مقربة من جنوب غربى الجزائر على نهر وادى شليف . وقد انشــأها زيرى بن مناد الصــنهاجى فوق محلة رومانية قديمة ، وذلك فى نفس الوقت الذى أنشئت فيه الجزائر ..

وقد الفينا فيها حين زيارتنا لها مدينة مشرقة حسنة البناء ، فسيحة الشوارع. وكانت فى العصور الوســطى ، حسبما يصفها لنا الادريسى ، مدينة قديمة البناء حسنة البقعة نضرة المزارع ، ولها نهـر عظيم يروى معظم مزارعها وجناتها ، وقد ركبت على ضفافه الارجاء ، وتشــتهر مليانة بالاخص بتقاليدها العلمية ، وقد نبغ فيها عدد من العلماء والادباء البارزين

تلك هى بعض الذكريات الالفية التى شهدها العالم العربى فى الفترة الاخيرة. والعالم العربى الذى يمتــاز بتاريخــه الحضارى الحافل ،يزخر بذكرياته الالفية التاريخية والعلمية الجليلة .

عصر العنف

العنف سمة هذا العصر .العنف بكل صوره : السياسي والاجتماعي والاخلاقي، وفي افلام السينما نرى جانبا سيئا من جوانب العنف ولكن اعمال العنف بانواعه اصبحت حديث كل يوم .. لماذا ؟ وكيف نواجه هذا العنف ؟

● اعداد : موريس عزيز ●

الأدب للمجتمع ككل وليس لأفراد

● ثروت اباظة ●

شعور العالم بان الحرب العمالية مستحيلة الوقوع ، وازدياد الرغد في العالم الغربي وخاصة امريكا ،جعل الشباب يبحث عن الاثارة .. لان الحياة أصبحت لاتمد بوسائل الاثارة ، والسبب الأهم من ذلك وجود جماعات عالية من قطاع الطرق ، تفرض بالارهاب الاتاوات على الدول وليس على الافراد

واذا كانت دولة أو جماعة تريد ان تصبح دولة تسيطر على السياسة العالمية فليس غريبا على الافراد من ضعاف النفوس والعقول ان تتخذ من قطاع الطرق الدوليين مثالا لها .. اما عن احداث العنف الفردية فهذه منذ بدء الخليقة ، ولذلك تجد الشريعة الاسلامية قد قررت وأرست القواعد للعقاب لهذه الجرائم ، وقضت مثلا بان يقتل مختطف الفتاة ومغتصبها ، ووجود هذا التشريع دليل على قدم هذه الجريمة فالجرائم الفردية ليست ظاهرة ، وهي لاتمثل ظاهرة للعصر الذي نعيش فيه . انما العجيب انها ظلت موجودة مع ان الصلات الجنسية لم تصبح عسيرة كما كانت في العصور الشريفة .

ويبدو ان هذه الجرائم ترتكب بغريزة العدوان اكثر منها بغريزة الجنس ، واضطراب النفسية امر ليس جديدا على الانسانية منذ قتل قابيل هابيل ..

واما الادب والفن فانه عادة لايتناول الا الظواهر التي تكون سمات واضحة تسيطر على العصر ، وليست هذه الجرائم الفردية من هذا القبيل ، ومن ذلك الى اعتقد ان الادب لايجوز له ان يهتم بمثل هذه الاضطرابات النفسية المحدودة ، فمعالجة الادب تكون للمجتمع ككل وليس لافراد قلة .

ولذلك انا ارفض كل الروايات التي تقوم على احداث شاذة فردية لانها تخرج عن اطار الوظيفة الاساسية للادب الذي ينظر الى العالم كله في مفترقه وليس في حالات فردية لاتشكل قاعدة عامة ، وينطبق هذا على المسلسلات التليفزيونية الخ ..

لان هذه الاعمال تخرج عن نطاق الادب الرفيع الى نطاق التسلية الرخيصة وانا اربا بالادب ان يكون مجرد تسلية وازجاء وقت فنحن لسنا بهلوانات ولامهرجين .

ظاهرة العنف دورة حيــاتية لهــا بداية ونهاية

● صلاح طاهر ●

اهدأ الناس اعصابا ودماثة ورقة ، اذا ماوضعته في غرفة ، وهذه الغرفة تتسع لخمسة اشخاص واحتشد بها خمسمائة شخص ــ فان هذا الشخص الدمث الهادىء الطباع سيكون في حكم الوحش المجنون المفترس بعد بضع دقائق !

فالبلاد التي بها تكاثر رهيب وزيادة مفجعة في عدد السكان يكون من الطبيعي ان يؤثر هذا على اعصاب مواطنيها ..

وبما ان الكاتب والفنان هما مرآة اى حضارة فحينما يعبران عن فنهما فان ذلك الفن لن يخلو بدوره من القلق العصبي الذى يولد العنف ..

وسيكولوجية العنف غالبا ماتكون من قبيل الدفاع عن النفس اولا تكون انعكاسا لقلق نفسي أو جسدي يتخذ شكل الغضب والعنف حينما لايكون هناك اى مبرر لذلك .

والدول المتحضرة التي يتزايد فيها عدد السكان « وهي قليلة » تتفنن حكوماتها ــ كما بدأنا نفعل نحن في تلك الاونة من خلق الميادين الفسيحة المسامة والحدائق العامة الضخمة الواسعة وحدائق الاطفال وشتى اماكن الاستجمام والتسلية والترفية من اجل اتقاء ظاهرة التوتر العصبي .

ومع ذلك فيبدو ان ظاهرة العنف يصعب اتقاؤها . أنها من انعكاسات روح العصر الذي يتصف بانه عصر العلم قبل عصر الفن .

وان ظاهرة العنف التي تظهر في اعمال الادباء والفنانين من طبيعتها أن تجد صدى عند المتلقين من الجمهور الواسع لانها من الناحية السيكولوجية تعوض المشاهد عن استخدامه العنف الذى تندفع به غريزته ..

وهذا بالنسبة للسواد الاعظم من الناس ، اما القلة المرهفة الحس المسرفة في الرقة فانها لاتتحمل رؤية او سماع او استيعاب اى فن او ادب في اطار العنف . ويجب أن نفرق بين ظاهرة العنف وبين ظاهرة القوة ، القوة في العمل الفني والادبي يمكن ان تصل الى اعلى مداها . وبخطوطها في نفس الوقت الهدوء التام وضبط النفس ، وهي في نفس الوقت تقوم بأثرها وفاعليتها في النفوس وتزدهر بعيدا عن الهمجية

أما العنف فهو ظاهرة تتصف بالاندفاع وعدم القدرة على ضبط النفس مهما كانت الضحية او الضحايا في سبيلها . ومن الأسف أن الكثير من المتلقين يستمتعون استمتاعا كبيرا باستيعاب اعمال العنف سواء أن كانت في مضمار الادب او الفن وما اليهما .

وفي تصوري وحسب قانون الحياة والطبيعة ، فانها هي دورات حياتية تستمر فترة من الزمن الى ان تصل الى منتهاها ، ثم تنتهي حينما توجد لها الحلول شيئا فشيئا حتى تتكامل ويتكامل علاجها .

وان شئت ان تقول ان الناس يسأمونها بعد فترة من الزمن طالت أم قصرت . ثم تبدأ دورة جديدة ومشخصات جديدة لفن جديد وهكذا .

واذا كنا نعتبر العنف طاقة كبيرة في الشخص تبحث لها عن مخرج فانه من قبيل الفكاهة ولكنها فكاهة جديدة ان المدارس في الدول المتحضرة تبحث عن الطلبة الذين يتحركون في حياتهم اليومية بعنف كثيرا ما يؤذي زملاءهم .

اقول ان في تلك المدارس بانواعها نجد ان علماء التربية يتناولون هؤلاء الصبية ويختارونهم لتكوين فريق منهم يتدرب على المصارعة والملاكمة وغير ذلك ، لتفريغ الطاقة العنيفة على نحو حضاري ان صح هذا القول .

والعلاج هو عودة شباب الجيل إلى التدين الصحيح

● د . محمد سعاد جلال ●

الاصل الاول الذى تنبعث عنه ارادة الاخلاق الصالحة وابتغاء الطريق للسلوك الصحيح ،ينحصر ـ فى راينا ـ فى المعرفة : المعرفة بجمال الخير ، وبذات الخير . وبمنفعة الخير . وبالمعرفة يتميز الخير من الشر .. ان المعرفة هى الاصل الحقيقى حينما تتجه ببصرنا الى جذور الاخلاق : ومن ذلك يقول سقراط « الفضيلة هى المعرفة » ..

وهذا ما يؤصله القرآن الكريم بمثل قوله : «انما يخشى الله من عباده العلماء» . فان خشية الله ذروة الايمان ، والايمان بالله اعلى درجات الفضيلة ، والخير

وقد جعل الله العلماء ـ بما اتوا من العلم ـ اهل صحة الايمان به ، فكانوا لذلك اهل خشيته على جهة الخصوص والتميز عن غيرهم .

وهذه المعرفة المشار اليها تنال من طريق تجارب المعاملات الانسانية التى يحكم بصحتها العقل او من طريق « الوحى » والدين الذى يشرع للناس منهج سلوكهم .

والواقع فان المنهج الدينى للاخلاق الانسانية ، لا يعدو ان يكون مصادقة من الاديان على الاخلاق التى قررتها تجارب الانسانية وحكم العقل بصحتها ونفعها . كالصدق . والامانة والعدل والعفة ،والرحمة ، وما اليها .

لكن الوحى يكون فى تقرير الفضائل الانسانية اكثر هداية وامنا وابعد من اهواء النفوس ، وابصر ، بوضع الدواء موضع الداء لكونه معصوما من الخطأ فيما يثبت عنه من الراى مقطوعا به ، ثم هو اكثر تطويعا للنفوس فيما ساقها اليه من الهدى بالمثوبة ،او العقاب على العمل فى الدار الآخرة .

وفى ضوء هذه القواعد المستتبة ننظر الاسباب العميقة التى ادت الى انبعاث ظاهرة العنف فى الحياة الراهنة ، فارى ان سبب حدوث هذه الظاهرة ، ضحالة الثقافة ، وضعف الاعتقاد الدينى ، والفكر الدينى ، كظاهرة عامة وضعف فى الامة لايقل خطرا ، وترويعا من ظاهرة العنف المسئول عنها .

ان من يظنون ان الادب ، والفن ، والسينما : مؤثرات فى احداث ظاهرة العنف فى المجتمع . لايسالون انفسهم، ولماذا يعمل بعض رجال الادب ، والفن والسينما على اثارة مشاهد العنف ومعانى العنف فى اعمالهم ، ولايتجه هؤلاء وجهة اخرى ؟ كلا ، ان حقيقة المسالة هى ان المجتمع الذى يفرز سلوك العنف هو المجتمع نفسه الذى يقرر مثيرات العنف فى اعمال الادب والفن ، لان المجتمع ذو طبيعة متساوية فى خلق مقوزيه .

ان ادب العنف وفنه جواب طبيعى عن سلوك العنف . وبالعكس، لان هذه الظاهرة المشتركة المتفاعلة بين طرفيها هى ـ ايضا . جواب عن فراغ النفوس والعقول فى الهيئة الاجتماعية من الثقافة الاصيلة ، والتدين المتين وهذا الفراغ نفسه يقتضيهم ان يشتغلوا عنه باعنف الاعمال واخشنها ليعوضوا عند انفسهم اعظم الخسارات واقبحها . وهى الحرمان من التدين ، والثقافة والعلاج اصبح الان واضحا ، وهو رجع شباب الجيل الى التدين الصحيح والثقافة الحقيقية .

فهل هذا ممكن؟أم اتسع الخرق على الراقع ـ كما يقولون ؟

داخل كل منا جانب شرير يميل الى العنف

● فتحي العشري ●

لاشك ان داخل كل منا جانبا شريرا او يميل الى شيء من العنف .. يتمثل هذا ويتأكد في جنوح البعض الى قراءة القصص البوليسية ومشاهدة المسلسلات التليفزيونية ورياضة المصارعة الحرة وغير ذلك من نماذج ادبية وفنية ..

واعتقد ان وجود هذه النماذج سواء على المستوى الادبي . او الفني او في عالم الرياضة ، شيء مطلوب كنوع من التنفيس ، على الا تصبح ظاهرة غالبة ومنتشرة او منفردة في كل هذه العوالم.. اما لماذا اؤيد هذا الاتجاه وخاصة اذا كان يستخلص مضمونا تثقيفيا وتربويا ونفسيا ، فلأنه يتضمن في الوقت نفسه نوعا من العلاج او الاصلاح لهذا الجزء الكامن في اعماقنا نحو الشر ونحو العنف . .واكبر دليل على ذلك الافلام « الكارثة » السينمائية التي تلقى اقبالا شديدا من جمهور المشاهدين سواء في الشرق او الغرب ، سواء في الدول المتحضرة او الدول النامية ..

فاذا سلمنا بهذا التحليل للظاهرة واذا ضمنا توجه الادب والفن والرياضة للتهذيب ، فلاشك أن حوادث العنف الانساني في المجتمعات كافة والتي ،تخرج عن نطاق الاداب والفنون والرياضة لتنصب في عمليات ذات دوافع انسانية مريضة او فكرية موجهة وسياسية منظمة تتمثل مثلا في اختطاف الطائرات واحتلال السفارات ودور العبادة واشعال الفتنة الطائفية وحوادث السيارات المتعمدة او المخبولة والسرقة التي تؤدي الى القتل وحتى اخذ الثار في المناطق النائية ـ لاشك ان كل هذا سيخف حدته اذا استطاع الادب بما له من تأثير والفن بما له من انتشار ، والرياضة بما لها من حماس .. اذا استطاع ان يحلل تلك الظاهرة وان يبين مؤثراتها في تعميق التخلف بدلا من الارتقاء بالانسان في قرننا العشرين ارتقاء حضاريا ..

غريب جدا ان نلاحظ تفشي هذه الظاهرة فيه مما كانت عليه في مطلع هذا القرن .. على سبيل الملاحظة ففي الثلاثينات مثلا ولم يكن العلم قد تقدم ، ولم تكن الدراسات الانسانية والنفسية قد تطورت .. ومع هذا لم تكن تلك الظاهرة متفشية كل هذا التفشي .. والسبب هو تعقد المشاكل الاقتصادية وتطلع الطبقات الى المستويات الاعلى .

والرغبة الملحة في تحقيق المكاسب بايسر الطرق واسهلها سواء كانت مشروعة او غير مشروعة .. ولنا ان نضيف في هذا الصدد الحروب المحدودة او الموسعة ايضا .

وخلاصة القول ان التعبير عن تلك الظاهرة من خلال الادب والفن والرياضة كتنفيس او تهذيب كما قلنا انما هو سلاح ذو حدين اذ لم تكن المعالجة تتوخى الدقة والتحليل النفسيين بهدف العلاج والاصلاح وتخفيف الحدة ، طالما اعترفنا سلفا بانه في داخل كل منا جانب شرير يميل الى العنف ..

العنف المعاصر تغير في الشكل وليس في المضمون

● د . عادل صادق ●

.. هناك صفات متعددة حاول كثيرون ان يلصقوها بعصرنا الذى نعيش فيه ، من بينها انه عصر العنف .. وكان الجنس البشرى تعرض لتغيرات نفسية حتى وصل في عصرنا الحالى الى حالة نفسية عامة تميزه بسمات معينة تنسحب على الجنس كله دون فئة معينة او مجتمع معين .. ولكن الامر ليس بهذه البساطة ويتناقض مع الحقائق النفسية التى تتعلق بالانسان.

فاذا قلنا اننا نعيش عصر العنف فهذا معناه ان الانسان قد انتقل من حالة المسالمة الى حالة العنف ، وان الحالة الاولى هى الحالة الطبيعية الصحية ، وان الحالة الثانية هى الحالة المرضية .

والتكوين النفسى الطبيعى للانسان هو أن يوجد الشيء ونقيضه داخله .. وهذا شيء مرتبط اساسا بالجانب الوجدانى للانسان .

وفى مجال الامراض العقلية فان بعض الامراض تتميز اعراضها فى بعض الحالات بالسلوك العدوانى العنيف ، وهذه الامراض معروف عنها الان ان أسبابها اضطرابات هورمونية كيمائية واهم هذه الامراض الفصام « الشيزوفرانيا » والهوس الحاد

وبعض الاشخاص يولدون ولديهم اضطراب فى الشخصية تظهر اعراضه منذ صغرهم ، فيكون الطفل عدوانيا عنيفا وحين يكبر تتسم افعاله كلها بالشر والعدوان تجاه المجتمع .. واثبتت الدراسات من خلال رسام المخ الكهربائى ان ثلثى هؤلاء الاشخاص لديهم اضطراب ما فى المخ يظهره رسام المخ الكهربائى عن طريق موجات كهربائية غير طبيعية تنبعث من امخاخهم ..

هذا على المستوى البيولوجى .. اما على المستوى النفسى فان النظرية القديمة والمستمرة حتى الان ان العنف والعدوان فى السلوك الانسانى يكون مصدره الاحباط .. فالانسان اذا عجز عن تحقيق هدف او غاية معينة يصاب بحالة الاحباط ، والاحباط يؤدى الى العنف والعدوان ..

هذا يحدث فى الحيوان تماما كما يحدث فى الانسان .. فاذا جئنا بحيوان جائع ووضعنا على مسافة منه طعاما وكلما اقترب من الطعام ازحناه عنه ، فان الحيوان يثور ويهيج ويصير عدوانيا بتكرار التجربة ، والطفل يصبح عدوانيا وعنيفا ايضا اذا اجرينا عليه تجربة مماثلة .. ويكون هنا العدوان او العنف مباشرا اى من شكل هياج او اعتداء بدنى . قد يحدث هذا فى الكبار ، ولكن يستطيع البالغ ان يظهر عدوانه باشكال مقبولة اجتماعيا ، فليس من المتوقع من شخص بالغ ان يعبر عن عدوانه بالضرب والاعتداء ولكن من الممكن ان يوجه كلمات ناقدة او جارحة او يدبر مكيدة او يسخر بنكتة .. ولهذا فان النكتة او الاشاعة هى شكل من اشكال العدوان فى عصرنا ..

وهذا يقودنا الى ان نقول ان شكل العنف هو الذى يختلف من عصر الى عصر ومن مجتمع الى مجتمع ومن انسان الى اخر حسب سنة ودرجة تعليمه .. ولكن العدوان من داخل كل انسان واحد ومصدره العجز والفشل والاحباط .. وقد ياخذ هذا العدوان شكلا اجتماعيا فى قبيلة او عشيرة او عائلة او قرية وايضا دولة فقد تعتدى دولة على اخرى حين تفشل فى الحصول على حقوقها سلميا .

العنف ورأى الدين فيه وما هو العلاج ؟

● الانبا غريغوريوس ●
اسقف علم الدراسات اللاهوتية
العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى

الشكوى الصارخة تتصاعد من مظاهر العنف الذى استشرى كما يستشرى المرض الخبيث فى المجتمع .. من كان يصدق ان اما تتعاون مع عشيقها لقتل ابنها فلذة كبدها لانه اعترض على علاقتها الاثمة برجل غير زوجها ؟ كيف بتنا نسمع عن خطف الفتيات الصغيرات واهانتهن والاعتداء عليهن ، حتى صارت الحاجة ماسة الى قانون يصدر لمحاكمة ومعاقبة من يخطف الانثى ويعتدى عليها ؟ اين ذهبت الاريحية وكيف ضعفت صفات الرجولة ؟!

وحتى دور العبادة لم تسلم من اعمال العنف .. ولذلك صارت الحاجة ماسة الى رجال الشرطة والامن لكى يقفوا بجوار اماكن العبادة احماتها وحماية المصلين والعابدين من عبث الآثمين ، وعنف المجرمين .

هذا كله شر مستطير..

ليس كله جديدا ! الم يخل فى التاريخ عصر من بعض اعمال العنف ولكن العنف كان حد دائما من بدئه ، خصوصا مع امتداد الدعوة الى الديمقراطية ، والحرية واحترام حقوق الانسان ، وازدياد الايمان بحق الانسان فى حرية العقيدة والرأى وحرية التعبير .. لقد اخذ تيار العنف فى العصور الحديثة ينحسر شيئا فشيئا ، وامسى العنف محصورا ، او يكاد ان يكون محصورا ، فى المجرمين والاشرار ، وصار مدينا او محكوما عليه بانه لم يعد يصلح شريعة ومنهجا لكائنات متحضرة تحيا لتعيش فى مجتمع سليم يسود افراده الحب والاحترام المتبادل والتعاون للبلوغ بالبشرية الى ما يرفعها فوق شريعة الغاب ، الى مراقى السمو والكرامة الانسانية ولتحقيق الخير والرفاهية للجميع .

ومع ذلك بدأ تيار العنف يزداد وضوحا فى السنوات الاخيرة ، بصورة لم نكن نراها فى الثلاثينيات ، واخذنا نلمس اشتداده مع الايام قوة وخطرا .

فماذا ؟ أهل اسهمت الموسيقى الصاخبة التى صار لها عشاقها فى تركيبة روح العنف فى الشباب ؟

ام هو الفن ((السيريالى)) بما يصوره من اضطراب وقلق وخوف وفزع وتمزق داخلى ؟

ام هى الافلام والروايات البوليسية وما تشجعه فى الشباب من روح القتل والمطاردة العنيفة وضرب الشاكسات والقسوة ؟ .

ام هى العاب المصارعات العنيفة التى ازداد روادها من الشباب ، وكثر هواتها حتى من النساء ، على الرغم مما كانت تتميز به المراة فى القديم من الرقة والحنان والوداعة والسكون ؟

ام هى المسلسلات الصاخبة الشرسة التى غزت البيوت والمدارس عن طريق الاذاعات والشاشة الصغيرة التليفزيونية وغيرها من وسائل الاعلام مما يصور العنف ضربا من الشجاعة والجراءة والقوة والدفاع عن الكرامة ، ويهزأ بالوداعة والسكون ، ويسخر من القيم الروحية ، وينمى فى الاطفال

والشباب الشراسة والفظاظة وما اليها من ضروب العنف .. ؟

وليس ذلك فحسب ، بل ان العنف بات يجد له اليوم من يؤيده ويسانده ويفلسفه ، ويلبسه لباس الدين، ويدافع عنه باسم الدين وصار الدعاة للعنف ينادون بالعنف من اجل الله . وهكذا تحقق ما انبأ به المسيح له المجد «ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم انه يقدم ذبيحة لله » ـ « يوحنا ١٦ : ٢ »

وفي اعتقادنا انه لاعلاج للعنف كظاهرة تتفشى وتزداد الا بعودة الناس الى الدين، والى اخلاقيات الدين، وروحانية الدين .. ان الدين جوهره محبة لا كراهية ، سلام لا عنف ، عبادة ورياضة باطنية لتحقيق الصفاء والنقاء للروح والنفس والجسد .. الدين وعمل صالح ومعاملة روحية عقلية انسانية ..

اننا لانستطيع معالجة ادوائنا الاجتماعية بسن القوانين . فالقانون كما يقول علماء الاخلاق هو « الحد الادنى للاخلاق » .. ولكننا في حاجة بالاولى الى توعية روحية نجند لها كل وسائل الاعلام من على منابر بيوت العبادة اولا ـ وبعد ذلك الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، والمحاضرات والندوات ،واللقاءات الفكرية العقلانية.

هذه التوعية الروحية ينبغي ان تقوم اساسا على تقديم الدين في صورته النقية ،وبيان جوهر رسالته الروحية، وانه نعمة لخير الانسان وصالحه .نعم ان الدين جعل لاجل خير الانسان ، ولكي يصير به خيرا مما يكون بدونه، ولكي يصبح به المجتمع الانساني افضل مما يكون من دونه .. الدين في صميم رسالته بركة وهدى للناس لاصلاح احوالهم .. فاذا استغله بعض الناس للايذاء والاضرار بغيرهم ، فقد اتلفوا رسالته ، وحولوه في ايديهم الى سلاح يقتلون به خصومهم او من يظنونهم خصومهم ..

ان مجتمعنا اليوم صار في حاجة ماسة الى قيادة دينية وروحية واعية تحذر الناس من استغلال الدين للتنفيس من احقاد شخصية ، وفرصة للانتقام والغدر وما اليها من صفات شريرة تأكل قلوب اصحابها وتسعى لان تجد متنفسا لها باسم الدين .. هؤلاء في الواقع هم الهاربون من انفسهم ، اذ ان ضمائرهم تبكتهم على خطاياهم .. فيلجأون الى مايسميه علماء النفس بـ « التعويض » وذلك بافتعال تصرفات عنيفة يسترون بها نقصهم امام شريعة الله ، لعلهم بذلك يصمتون صوت الضمير ، او لكي يظهروا امام الناس في اثواب المتدينين .

ان المجتمع بات في حاجة اليوم الى توعية روحية ممن لهم حق التوعية واهليتها ، ليبثوا في الناس الدعوة الى روح الدين وجوهر رسالته لخير الانسان والمجتمع ، وان العنف باسم الدين ، يضر رسالة الدين ، ويسيء الى الدين ويدعو الى تنفير الناس من الدين ، اضعاف ما يستطيعه الذين يهاجمون الدين بخناجرهم او بكتاباتهم .. ان الذين يخدمون الدين بالعنف ، او يباشرون العنف باسم الدين ، يخدمون الالحاد .وسواء قصدوا او لم يقصدوا، علموا او لم يعلموا ، انهم يخدمون الشيطان ، عدو الله . ●●

جنوح السفينة

● ابراهيم صبرى ●

قبلَ أن تنكروا جنوحَ السفينة ... لا تلوموا ـ كنسوة فى المدينه !
واشهدوا ما شهدته ... ثم قولوا ... أيكم ربما يتوقى فتونه !
شئتُ هذا ـ كما ترون ـ وحسبى ... أكثرُ العمر بعته كى أكونه !
ولكم سرتُ هاديا فى المغالى ... سير سقراط فى دروب « أثينه » !
وطننتُ الهوى ـ وقد مللت عنه ـ ... أغلقَ البابَ دون قلبى ودونه ـ
وتهيأت للرضا عن زمان .. ... يألفُ الناسُ فيه ما يكرهونه !
ومضى زورقُ الحياة بقلبى ... لا لذا ـ شكرها ـ بشط السكينه !
ورأيتُ الفؤاد ـ أمسى خليا ـ ... باتَ دونَ الهوى يقاسى شجونه !
يطلقُ الزفرةَ الحزينة .... الا ... يمتع النفسَ لحنُ آه حزينه !
فاذا شاقهُ الغناءُ .. يغنى ... دونما سامع يزكى لحونه !
صمٌ عنه الوجودُ .. أو صار رمسا ... حينَ صار الهوى يلاقى منونه !
وبدا الموتُ والحياة سواء ... حينما أعلنَ الفؤاد سكونه !

***

ثم كانَ الذى رأيتُ ... فكانت ... صحوةَ القلب والرغاب الدفينه !
والتقى البحرُ حيثُ أهدى سفينى ... أوجَ ما فيه من متاع وزينه !
واحتووها بموجه .. فتلاشت ... فى ربا الموج واستباحت مجونه !

***

وعتبتم ... ولست أخشى عتابا ... بعد أن تدركوا الذى تنقدونه !
حيثُ لم تجنح السفينة .. لكن ... جنحَ البحرُ بالألى يركبونه !
كلنا ذلكم .. ولست مسيحا ... لا ، ولن أصبح الذى تصلبونه !
فازحموا البحرَ إن أطقتم أوارموا ... كلُ أحجاركم بقاع السكينه !
كلنا (يامُ) (١) إن عدلتم فتوبوا! ... واسألوا ربكم نجاةَ السفينه !

●●

(١) ابن نوح الذى غرق فى الطوفان

فى مجـموعـة :-

هناك خطأ مَا ...

● د . السعيد الورقى ●

● حاول محمد الجمل في مجموعته القصصية الاولى ، قبل رحيل القطار - ١٩٧٩ - ان يقدم رؤية انسان معاصر مهموم يبحث عن الدفء والسعادة فى الحب ، ذلك العطاء الذى يقدم للوجود الانسانى عزاءه عن المقلقات المحيطة ، ويشمله بثراء دافق يلون كل معطيات الحياة بالوان مشرقة .

ولا يزال الكاتب فى مجموعته الثانية هذه : « هناك خطأ ما » يصدر عن نفس المنبع ، البحث عن الحب فى زمن تعثر فيه على كل شىء سوى الحب .. هذه هى قضية الجمل الهامة التى يطرحها من خلال احداث قصصه القصيرة .

والحب عند محمد الجمل شعور انسانى مشترك ، وعطاء متبادل بين الانسان والانسان ، فمع كل ما احاط صغيرة قصة « القفص » من مغريات ، الا انها جامدة ، تأخذ ولا تعطى ، ولذلك فقد فشلت كل اللعب فى ان تملا على الصغيرة حياتها .. قد تتلهى بها لحظة ، ولكنها تقع فريسة الفزع المهلع حينما تتفقد امها - عطاء الانسان للانسان ، فتجد انها قد اختفت ..

وعلى هذا النحو يلتمس بطل قصة « خيال » زاده فى الاستمتاع بنشوة مداعبة صغيرة صديقة ، ان كل ما يوده من هذه الزيارة ان يجلس فى حضورها ويهوى الى عالمه الخاص ، شاخصا ببصره نحو الباب ، تحاول اذناه ان تلتقط بحرص شديد تلك الدندنات العابثة المقتربة حتى اذا دنت صاحبتها ، اندفع يلتهمها بنظراته ، يلمس خدها بشفته ،

● اهتم الكاتب بالبحث عن عالم الداخل في محاولة لتقديم أسطورة البطل المنهزم الذي تكشف له الواقع ... وقد ضاعت منه القيمة الأساسية للحياة وهي قيمة الحب.

يحتويها بين ذراعيه ، يجلسها بقرب راسها من صدره ، يسرح شعرها باصبعه .. كل ذلك يحدث في خياله دون أن يجرؤ على الاقتراب منها .. انه يفضل أن يمارس حبه في سرية وصمت » .

هذا العطاء المشترك الذي يراه الجمل عزاء الانسان في حياته ، أصبح قيمة مفقودة في عالم تحولت فيه ممارسة الانسان لحياته - كما يقول بطل القصة « رسالة الى صديق » - محاولة لملء زمن فارغ (ص ٢٨) ، لذلك فلا تلبث صغيرة « القفص » أن تترك مع لعبها الجامدة ولا يلبث بطل قصة « خيال » أن يفيق من سعادته الزائفة ويستعد للعودة الى منزله .

ما الذي حدث للانسان اذن حتى تخلى عن هذه القيمة التي لا يتحقق معنى الحياة الا من خلالها ؟ .. يجيب محمد الجمل على هذا في أكثر من قصة في المجموعة . لقد هرم الانسان ، وشاخت مشاعره ، ولم يعد العصر عصر الشعر والحب ، وأصبح الانسان يعيش بلا زمن لأنه كما يقول في قصة « أبي والزمن » « لا أحداث في حياته تجعله يحس بأن هناك ما يسمى بالزمن ! » (ص ٢٧) . لقد انشغل الانسان بأشياء كثيرة ، كلها قاتلة للانسان ، للحس والمشاعر : صراع العمل التطاحن بالأفكار والطموح كما يرى « باهر » في قصة « لا املك سوى الانتظار » . لذلك فقد انطفأت الجمرة في صدر صاحب قصة « رسالة الى صديق » ، و « شابت عقولنا قبل الأوان .. توقفت مراكز انفعالنا .. عصفت الرياح بأفكارنا » ! (ص ٣٩)

لقد ادرك بطل رسالة الى صديق التي تعتبر « مانيفستو » محمد الجمل حيث قدم من خلالها أسطورة البطل المنهزم ادرك أن حديثه بات رتيبا مثلج » (ص ٣٦) ، ولم يعد امامه الا أن يتظاهر بالجدية والاهتمام ، ويواصل باقي المسيرة « فلسنا آخر الأجيال ، ولسنا آخر البشر .. دعنا نواصل حديثنا الأجوف ، افعالنا المضحكة » (ص ٤٠)

وهكذا لم يعد امام الانسان الا أن يتظاهر بالجدية والاهتمام . لقد ضاع الحب ، فضاع كل شيء .

***

لقد اقلق نوزي في قصة « طهارة مرفت » . شكه في حب مرفت له بعد رحلتهما الطويلة معا ، وحبه لها الذي

يملأ حياته واحساسه بحبهـــا له ... المصادفة تحمل له هما أقلقه وأحزنه ان ما رآه في صـــالون منزله بين مرفت وصديقه خالد يثير في نفسه شكا مقلقا ، أصبحت معه طهارة مرفت هي شـــغله الشاغل ، « حياته مرهونة بالحكم فيها ، كل شيء أو لا شيء » (ص ٨ ـ ٩) ، حتى أنه حينما « اختبر شعوره نحو ابنه حسام وابنته هالة ، أيقن ان حبه لهما مرهون هو الآخر بطهارة مرفت » (ص ٩) • وتعلق كل شيء في حيـــاته على طهارة مرفت •• المال والبنون ،والوضع الاجتماعي والمستقبل •

وتتداعى الخـــواطر في ذهنه مجملة بالشكوك التي يرغب جادا في أن تنتهي ببراءتهـــا • وهكذا يترك عمله ويقضي اليوم في مراقبة واستنتاج يود لو خرج منها بما يؤكد له ان القلب لا يزال يعمر بالحب •• أما لو حـــدث وتكشـــفت المراقبة عن الخيـــانة والغـــدر ، فأي مستقبل رهيب ينتظره ؟!

ومن خلال متابعته لها يجد في الواقعية أشياء كثيرة لم يفطن لها وقتها : «نظرات الارتياح المتبادلة بين خالد ومرفت •• خالد يرتب الاعمال والمواعيد بشـــكل خاص يفتقد أحيانا الى مبررات كافية •• يلح في الاستئذان في أوقات معينة •• يغيب أحيانا بلا اذن •• أصبح جريئـــا يصر على بعض القرارات • مرفت تتدخل في العمل احيانا تغيرت كثيرا في ملبسها في ترتيبها لاشيائها • في مواعيدها • في طريقة انشغالها بالبيت والاولاد » ! •• (ص ١٤)

وتقـــوده المتابعة الى مراقبة مدخـــل العمارة التي يقيم خالد بشـــقة فيها • طال انتظاره ، ويود أن تخونه شكوكه، حتى أوشك أن يدير محرك الســـيارة عائدا الى حيث فرصة اخرى • ولكنه يراها تهبط من ســـيارة تاكسي •• هي مرفت الحبيبة الزوجـــة • كان يتمنى الا تكون هي ، ولكنها مع كل الاسف هي مرفت ! ..

وتدخل العمارة ، ويسرع خلفهـــا متباطئا حتى يتيح لها فرصة دخـــول شقة خالد .. ومن خلف باب الشـــقة يتسمع فيسمع .. ضحكات زوجتـــه مرفت الرقيقة العذبة ، ويكمل خيـــاله باقي الاحداث ، اجزاء الصـــورة التي لن يشاهدها .

ويقع في حيرة شديدة • هل يضغط جرس الباب باصبعه ويفقـــد معه كل شيء مركزه الاجتماعي وشهرته الذائعة وسيرته الحسنة !! ..

وتتداخل الاشياء في ذهنه • لقد فقد في الواقع كل شيء ، حينمـــا تأكد انه يلقى مقابل حبه لمرفت الخيانة والغدر •• وهكذا يهبط السلم مخدر الاعصاب والاطراف ، ويعود الى سيارته منطلقـــا بها وراسه يموج بالافكار • لقد تكشفت الحقيقة امامه ركاما من الاحباطات التي تصيب الانسان بشلل في الفكر والارادة • فتصطدم سيارته المندفعة بسيارة كبيرة وتنضغط وتتحول الى كومة من الصفيح يسيل منها الدم • ويستحيل المكان الى شهقات وصرخات وتساؤلات •• هكـــذا يسقط البطل ثمنا لحبه وثقته التي لم تقابل الا بالخيانة والغـــدر ، وهكـــذا

كانت صبحة بطل ، رسالة الى صديق الى صديقه ستطلب نفحة صدق ، هزة وجدان .. رعشة قلب ..

«ص ٣٧ » و ستدعوني للمساهمة في تغيير العالم ،ولكن من اين اليك بكل هذا ياصديقى ، وقد شاهدت الموضوعات .. وفقدنا الحماس : « ص ٣٩ »

عالم محمد الجمل اذن هو عالم الداخل والاعماق ، حيث تقطعت الاسباب بين البطل وبين عالمه الخارجي الذى لم يستطع ان يعثر فيه على الحب .

وقصص محمد الجمل لهذا غوص فى الاعماق للبحث من لؤلؤة صغيرة ، امل الباحث فى المجهول ، سعيا وراء لمسة دافئة هنا واطلالة جانبية هناك ، ونبض لايزال يرتعش بالمشاعر ، لذلك فهو مشغول اصلا بكل ما يمكن وراء الافعال الظاهرة من مشاعر .

وقصة « هناك خطأ ما » مثل سائر قصص المجموعة ، مواقف انسانية متناثرة ، التقطها الكاتب فى ذكاء ماهر ، محاولا التركيز على ما يمكن فيها من قيم وجدانية ترصد الانفعال وأثره على السلوك الخارجى فى صبر مدقق . هكذا يتتبع محمد الجمل - فى قصة الذراع - انعكاس لحظة تعلق رجل من ذراعه فى باب ترام يسير ، حيث تتوقف الحركة وتتلاشى فجأة حلقت اسماعهم اهة الراكب المتدلى على سلم الترام . توقفوا عن قراءة الجرائد والمجلات ، من تأمل المعروضات ، من تقب الواجهات بالنظرات المبهورة .

تجمدت زجاجات المياه الغازية فى ايديهم انقطعت احاديث السمر المسالية . كف البعض عن مواصلة عقد الصفقات العابرة ، تأجلت تعارفات الصدفة لم يقدم بائع « الفشار » الكيس المملوء فى يده الى الزبون المنتظر » ص ٦٧

***

حاول محمد الجمل فى مجموعته الاولى « قبل رحيل القطار » ، فى محاولة البحث عن اسلوب بناء خاص، ان يجرب عددا من الاساليب الفنية التى عرفتها القصة القصيرة . واعتقد انه استطاع فى مجموعته الثانية هذه ان يتوصل الى اسلوبه الخاص الذى يتفق مع رؤيته البشرية .

لقد رأينا كيف ان محمد الجمل فى هذه المجموعة - وقد اتضح هذا بشكل ما فى مجموعته السابقة معى بالبحث عن عالم الداخل فى محاولة التقديم اسطورة البطل المنهزم الذى تكشف له الواقع وقد ضاعت منه القيمة الاساسية للحياة ، قيمة الحب ولذلك نرى القصة القصيرة لديه لحظةمتوهجة بلورية تموج بعديد من الالوان والاصداء يتتبعها الكاتب الفنان فى قدرة طيبة للكشف عن كوامن الفعل الداخلية .

ولما كانت رؤية الداخل رؤية شاعرية لذلك نجداللغة عند الجمل فىمجموعته لغة قريبة الى حد كبير من خصائص اللغة الشعرية بايقاعها النفسي وارتكازها على رصيد هائل من الانفعالات تتحول بفضلها الى وجود حى مشع ●●

من أجل كلمة

● جليلة رضا ●

سألني صاحبُ كلماتٍ   في لوحةِ عمْرى محفوره
سألني .. وهو يحيّيني   بيد ترتعش .. كعصفوره
وبصوت أغلى من كنزٍ   ذهبى فضىٍّ الـمـرئيه
صوت .. فى الماضى .. أغانى   أن أعبّر بصداه الجنّه
سألنى وهو يتناولنى   من غصن فى الروضة : ورده
يفضاء .. كأنفاس صباح   تضحك فى بشر ومودّه
سألنى : « كم عام ولّى
وأنا مشلول الخطوات ؟
أتساءل : ما سر بعادك   أسكبُ عن بعدٍ .. كلماتى
أتراك .. كرهت الكلمات ؟ ! »

سكت الصوت وقلبى   لم يزل يطوى جوابه
بغتة .. حطّت على الور   دة فى كفّى .. ذبابه
لم تشوّهها فقد مرّ   ت على الوجه كنسمه
إنما رفّت جناحا   وانثنت تطبع لثمه
تركت فيها هوانا   صرت أدرى .. ما مداه
تركت حسنا زهيدا   وبقايا .. من حياه !



فأجبتُ : ـ (آيا أجمل عُمرى   يا رغبة أمسى المحمومه
أحيا بالكلمة .. لكنى   أخشى لدغتها المسمومه
قد صغتُ الكلمة مزهوا   وطرتُ بها نحو القمه
لكنك لم تدرك يوما   ما تصنع فى الدنيا الكلمه !
قد يحدث أن تجرى الكلمه   من ثغر حبيب يرعاها
وتمر الأيام وتمضى   والكلمة تأخذ مجراها
تنغرس الكلمة فى ركن   من قلب العاشقة المرحه
تنغرس .. وتنبت وتسوى   بستان مخالبها .. فرحه .!

وتقول : كرهت الكلمات ؟!

وافترقنا .. والهوى يبكى   بلا صوت علينا
والضياع المر يبدو ..   فى تحيات يدينا
وانطلقنا .. كل خطو   موغل .. فى .. لا مكان
هو فى الذكرى .. وخطوى   فى متاهات الزمان
ومضينا .. كل قلب   مثقل يحمل همه
هو من أجل غرورى   وأنا .. من أجل .. كلمه ! ●●

وأخرجت الأرض أثقالها

● مصطفى الشهابي ●

● كان القدماء يعرفون البركان بانه « جبل يخرج منه نار ودخان ومواد ملتهبة » !! ..

اما ان البركان جبل فهذا خطأ ، لان الاصل فيه انه فتحة فى سطح الارض ، والجبل الذى يشيرون اليه هو المخروط البركانى الذى يتكون بمضى الايام من تراكم المواد التى تخرج من تلك الفتحة .. واما انه يخرج نارا فهذا غير صحيح كذلك ، لان النار التى نرى ما هى الا انعكاس ضوء المواد المنصهرة الموجودة داخل البركان وخارجه على بخار الماء والغازات والرماد ، فيخيل للناظر انه يرى لهيبا ، وهو لا يرى الا ضوءا منعكسا .. واما الدخان فما هو الا بخار الماء المتصاعد من فوهة البركان عند تكاثفه فاذا رآه أحد ظنه دخانا ..

والتعريف الصحيح للبركان أنه : « فتحه فى سطح الارض يصلها بجوفها أنبوبة يخرج منها أثناء الثوران المقذوفات البركانية غازية كانت أو سائلة أو صلبة . ويتكون حول الفتحة بمضى الزمن ، نتيجة لتراكم المقذوفات البركانية بعضها فوق بعض ، يتكون مخروط بركانى تكون به أحيانا فتحات جانبية »

● **اصل كلمة « بركان »**

وكلمة « بركان » ليست عربية وانما هى محرفة عن كلمة « فولكانو » الافرنجية التى تعنى « بركان » . و « فولكانو » هذه منسوبة الى « فالكان » آله النار والبراكين عند الرومان ، ويعرف كذلك باسم « حداد » الآلهه وقد اقيم له معبد فى روما .. وتروى الاساطير أن « فالكان » هذا يقيم فى قاع « بركان اتنا » بجزيرة صقلية حيث يقوم بصنع الصواعق للاله « جوبتر » ليقذف بها اعداءه ..

● **شكل « البركان » :**

يكون « البركان » عادة فى صورة مخروط ذى قاعدة مستديرة ، جوانبها مائلة بانتظام وتزداد انحدارا عند القمة ثم تقل بالتدريج نحو السفح . وعلى القمة فوهة مستديرة لها جدران عالية تحيط بها من جميع الجهات ، غير أن أحد اجزائها يكون منخفضا لتفيض منه المصهورات البركانية ، أو فاضت منه فى الزمن الماضى .

وهذا المخروط قد يكون منتظما فى شكله الهندسى الى درجة مدهشة كما هى الحال فى بركان « فوجى ياما » باليابان أو « اتنا » بجزيرة صقلية .

ويختلف حجم البراكين وارتفاعها فبركان « فيزوف » لا يزيد ارتفاعه عن ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر ، بينما بركان « اتنا » يزيد على ٣٥٠٠ متر .

ولكثير من البراكين فتحات فرعية على جوانبها يخرج منها ما يخرج من الفوهة الرئيسية .

و « البراكين » انواع :

١ ـ « براكين » خامدة تماما فلا يخرج منها رماد ولا غازات ، وهذه « براكين » قديمة جدا وتتكون على قممها بحيرات تخرج منها انهار تسيل على جدرانها وتزول منها اجزاء بالتعرية والنحت ، ومن ذلك الطراز جبل كلمنجارو وجبال الحبشة فى افريقيا .

٢ ـ « براكين » نشيطة لا تزال فى حالة نشاط واضح ، تقذف فوهتها بمواد

● في أحيان كثيرة كانت مقذوفات البراكين نعمة على الأراضي المحيطة بها إذ أمدتها بعناصر جعلتها من أخصب بقاع الأرض.

جرة أو رماد أو بخار ، ومن آن لآخر يشتد ثورانها اشتدادا عظيما ، كبراكين فيزوف ، واتنا ، واسترمبولى بايطاليا ، وبراكين جزر الهند الشرقية .

٣ – وهناك نوع وسط بين الخمود وبين النشاط والثوران ، وهذا النوع يظل ساكنا عشرات السنين ، حتى يستجمع قواه فيعود للثوران من جديد .

٤ – « البراكين » البحرية وهي التي تتكون في قاع المحيطات والبحار وتنشأ بسببها جزائر . وقد ثبت ان قاع المحيط يتألف من أكثر التضاريس وعورة واشدها خطرا ، فالمحيط الهادى مثلا يحوى ملايين التلال والجبال التي يتفاوت ارتفاعها من كيلو متر الى ٨ كيلو مترات كما ثبت أن « البراكين » الشاهدة على سطح الارض قليلة وتافهة اذا ما قورنت بالموجود بالبحار والمحيطات ، وبلغ ما احصى منها نحو ١٠ الاف بركان ، منها الخامد ومنها ما لايزال يرسل حممه بين حين وآخر ولكننا لا نراها .

« البراكين » وكيفية ظهورها :

ويمكن القول على وجه الاجمال أن السبب الطبيعى للبركان هو الحرارة التى توجد فى باطن الارض وأن برودة القشرة الخارجية للارض تحدث انكماشا تتسبب عنه تحركات تحت السطح ، مما قد يسبب نقطا ضعيفة تنفذ منها المواد الساخنة التى توجد فى باطن الارض .

ويسبق ظهور البركان علامات ، من بينها حدوث زلزلة أحيانا ، ثم يسمع دوى عظيم سببه خروج بخار الماء بسرعة شديدة من الشق البركانى ، وغالبا ما تغيض الآبار المجاورة للبركان وربما تجف تماما لتسرب مياهها الى الشقوق المجاورة لها . واذا كان « البركان » فى البحر ، تاثرت المياه وهاجت هيجانا غير عادى .

وبعد ما يتصاعد بخار الماء تبدأ المقذوفات والغازات ويعكس بخار الماء والغازات والتراب ضوءالمصهورات داخل « البركان » وخارجه ، فيخيل للناظر أنه يرى لهيبا بينما هو لا يرى الا ضوءا منعكسا ، ومن هنا كان الخطأ الشائع الذى اشرنا اليه وهوالقول بأن «البركان» جبل نار .

ومقذوفات « البراكين » هي الرماد والاحجار والمصهورات ، التى تسيل على جوانب المخروط البركانى ..

وأخيرا يهطل المطر مختلطا بالرماد ويكون سيلا طينيا ويصحب المطر ، البرق والرعد .

بعدئذ تحمل الرياح الرماد أو الاتربة الى مختلف الجهات فتتكون ترسيبات بركانية فى البقاع التى يسقط بها ، وقد ذكرنا أن رماد « بركان » كراكاتو باندونيسيا وصل الى فرنسا وانجلترا كما ثبت وجود ترسيبات رماد بركانى غرب الاقصر ترجع الى عشرات الالاف من السنين ، وسبب تكوينها هو تساقط رماد « البراكين » التى انفجرت شمال البحر المتوسط او غربى السودان وجنوبه .

● البراكين المائية :

وهناك نوع آخر من « البراكين » وهو « البراكين المائية » او النافورات الحارة وهى توجد على مقربة من « البراكين » العادية او الثائرة ، وأحيانا توجد فى أماكن سبق ان حدثت بها براكين فى العصور السابقة ، وهذه **البراكين تقذف المياه الحارة والبخار من فتحة فى سطح الارض فترتفع احيانا فى الجو نحو ٦٠ مترا ويخرج الماء منها خروجا متقطعا .**

ويرجع الثوران الى أن الماء يتسرب الى عمق بعيد فى الارض حيث تشتد درجة الحرارة ، وبسبب الضغط الشديد لا تتحول هذه المياه الى بخار اللهم الا فى الطبقات السفلى حيث تشتد الحرارة جداً، فتتحول المياه هناك الى بخار فتندفع المياه التى فوقها الى سطح الارض بانفجار شديد . ثم يقف اندفاع الماء حتى يتجمع بخار جديد يقوى على دفعه مرة أخرى وهكذا ، وهذا هو السر فى خروج الماء متقطعا .

ومياه النافورات اما نقية تقريبا او مشتملة على مواد ذائبة فيها واهمها « السيليكات » التى ترسب على الفوهة فترصعها .

ومن أشهر النافورات الحارة نافورة أيسلندا الكبرى وقد زاد فى شهرتها وجودها فى منطقة يغلب عليها البرد القارس اذ يتساقط الثلج معظم أيام السنة . وكذا نافورات نيوزيلندا ، ثم نافورات « يلوستون بارك » التى توجد فى ولاية ويومنج بالولايات المتحدة الامريكية ، وتقع وسط سلسلة الجبال المعروفة باسم الجبال الصخرية ، وتعتبر من أجمل البقاع التى يتردد عليها الامريكيون للنزهة والاستجمام .

واذا كانت النافورات الحارة تتسبب فى احداث التخريب والتدمير حين تنفجر او تنبثق للمرة الاولى ، الا أنها لا تلبث أن تنقلب من أداة تخريب الى أداة عمران والنتاج ، اذ يفيد منها السكان المجاورون لها وغيرهم بطرق عدة فى شتى الاغراض الصناعية والتجارية والصناعية .

وهى تعتبر اليوم أحد مصادر الطاقة، ذلك أن البخار الطبيعى المنبثق من تلك النافورات أصبح يشكل مصدرا مهما لتوليد الطاقة الكهربائية ، ويزيد فى أهمية ذلك البخار انه سيظل يتدفع من باطن الارض لملايين السنين بخلاف البترول الذى لا تلبث أن تنضب آباره بعد عشرات السنين ..

وقد نجحت التجارب التى اجريت فى هذا الميدان فى أماكن كثيرة فى طليعتها ايطاليا التى استطاعت توليد الكهرباء لادارة الآلات وانارة المدن كما نجحت فى الولايات المتحدة كذلك .

وتبلغ درجة حرارة مياه النافورات ما بين ٣٠٠ ــ ٤٠٠ درجة مئوية ولذلك تستغل فى طهى بعض الاطعمة وفى التدفئة ، وفى اليابان تستخدم فى حمامات « السونا » التى اشتهرت بها تلك البلاد .

ويتم استغلال المياه الساخنة عن طريق مواسير تدق كمواسير الطلمبات العادية ولها محابس تفتح وتقفل عند الحاجة .

● اشهر البراكين :

وأشهر البراكين هو « بركان فيزوف » الذى يوجد فى ايطاليا على الساحل الغربى ، على مقربة من مدينة نابلى ويبلغ ارتفاعه نحو ١٫٢٨١ مترا ، وهو من البراكين النشيطة ، فلا تمضى سنة الا وتقذف فوهته من المواد ما يعرض القرى القريبة للخطر أحيانا .

وقد اشتهر بثوراته العنيفة التى تنشر الخراب والدمار الشامل ، واشهر تلك الثورات سنة ٧٩ ميلادية ، ففى تلك الثورة ، قضى فيزوف على مدينتى « بومبى » وهو كيولنيم » اذا اكتسحتها قذائفه وسيوله المنصهرة ، ثم سقطت الامطار فبردت السيول والقذائف وطمرت المدينتان وغابتا عن الوجود تحت طبقة سمكها نحو ستة أمتار . وهلك فى هذا الحادث الالاف أما من نجا فقد فر الى القرى والمدن القريبة . ودفنت المدينتان وطمست آثارهما وسحيت اخبارهما من الاذهان بتقادم الزمان ، وبقيت سرا مكتوبا فى ضمير الدهر .

وظل الامر كذلك حتى عام ١٧٤٨ عندما عثر أحد الفلاحين على بعض أوان منزلية من النحاس وغيره ، فتنبهت لذلك الافكار وبدأ الاهتمام بالحفر فى تلك المنطقة واستمر حتى عهد قريب وكلما وجد أثر ، نقل الى متحف نابلى ثم اقيم لبومبى متحف خاص .

وكان لبركان فيزوف الفضل فى الاحتفاظ بمعالم مدينة بومبى وشقيقتها كما كانتا فى عهد الرومان . وبذلك اصبحت لدى المؤرخين صورة كاملة وواضحة للحياة واساليبها ووسائلها بل وأبطالها من رجال ونساء واطفال وقد

● نجحت بعض الدول الأوروبية في استغلال البخار المندفع من باطن الأرض في توليد الطاقة الكهربائية لملايين السنين القادمة .

تحجروا على الهيئة التى ماتوا عليها عند ثورة « البركان»، فمنهم النائم على ظهره والنائم على جنبه والمنقبض الجسم والمنبسط ، ذلك من الاشكال التى يمكن ان يموت عليها الانسان ، وهناك مجموعة اخرى مماثلة لبعض الحيوانات والطيور

ومن طريف ما يروى عن « بركان فيزوف » أن احدى المغنيات الانجليزيات أقامت حفلة غنائية بمدينة نابلى فى عام ١٩٢٠ ، وبينما الناس يستمعون اليها سمعوا أصواتا صادرة من « بركان فيزوف » وتنبأوا بثورة جديدة له ، فاتهموها هي السبب وحاولوا الاعتداء عليها ولكنها نجحت فى الهرب بمساعدة رجال الشرطة .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية عندما نزل الحلفاء بإيطاليا وتقدموا نحو نابلى ، ثار « بركان فيزوف » وسرت بين الاهالى اشاعة ان مدافع الحلفاء هى السبب فى ثورانه ، لولا الجهود العنيفة التي بذلها الحلفاء لدحض تلك الاشاعة .

● أحدث البراكين ، فى الولايات المتحدة .

فى ١٨ مايو عام ١٩٨٠ ثار « بركان سنت هيلانه » الموجود بولاية واشنطن التى تقع فى الطرف الشمالى الغربى للولايات المتحدة (وهى غير واشنطن العاصمة) ـ ففى صباح يوم الانفجار كان الخبير الجيولوجى المكلف بمراقبته، رغم خموده لنحو قرن ونصف ، يكتب تقريره اليومى بنفس الطريقة الروتينية التى تعود عليها منذ فترة طويلة ، وبينما هو يلتفت نحو « البركان » راعه ما رأى واتسعت حدقتاه فى فزع هائل واطلق صرخة واحدة هى : « البركان يتفجر » وكانت تلك آخر جملة ينطق بها ، اذ اعقبها انفجار مروع وصلت قوته الى ٥٠٠ ضعف القنبلة الذرية التى اسقطت على مدينة هيروشيما اليابانية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ... وكان اول ضحايا الانفجار ذلك الخبير الجيولوجى !

وتوالت الاحداث بطريقة يصعب تصديقها ، اذ اخذت ملايين الاطنان (التى ظلت حبيسة اكثر من قرن) تندفع من فوهة البركان بقوة هائلة لتصل الى ارتفاع ١٦ ميلا فى السماء ، وتوالت اصوات الانفجار التى كانت تصم الآذان وتثير الرعب على بعد وصل الى اكثر من مائتى ميل ، حتى ظن القوم هناك ان تلك هى نهاية العالم .

ثم بدأ الرماد البركانى يتدفق على سفح الجبل ويذيب الثلوج مكونا كرات من الطمى ، اخذت تجتاح أمامها كل شيء لسرعتها التى وصلت الى ما يقرب من مائة ميل ، محطمة كل ما يعترض طريقها من مساكن واشجار ومزارع . وبدأ الرماد المتطاير فى الهواء ينهمر على المناطق المحيطة بالبركان وكانت درجة حرارته تزيد على مائة درجة مئوية .

وبالقرب من فوهة « البركان » التى اتسعت ليصل قطرها الى ميلين ونصف ، كانت الحمم البركانية تزحف على جوانب « البركان » الى أسفل ، بعد أن وصل سمكها الى ثمانية اقدام اى اكثر من مترين ، ينطلق منها شرر احمر وأزرق

وابيض اللون ، وكأنها أفعى اسطورية تنشر الموت والخراب والدمار .. كما انهمر الرماد البركاني أيضا على حقول القمح وبساتين الفاكهة في المناطق المجاورة والتي تزود امريكا بثلث انتاجها من التفاح . وشكل الرماد المتطاير في الهواء سحابة ضخمة قلبت النهار الى ليل في بعض الولايات المجاورة .

وبلغ عدد الضحايا أكثر من مائة شخص بين قتيل ومفقود ، وتوقفت الملاحة في نهر كولمبو الذى يربط مدن تلك الولاية ، كما ان ملايين الاطنان من الاسماك اصيبت بالتسمم وطفت على سطح الماء بشكل رهيب ، ولجسامة الخسائر اعلنت الحكومة الامريكية ان تلك المنطقة باسرها منطقة كوارث !

وبعد مضى نحو اسبوعين على الانفجار ظهرت آثاره في بريطانيا وذلك من خلال اللون الاحمر الذى يشوب غروب الشمس بالاضافة الى سقوط الامطار الملوثة برماد هذا البركان .

وفي أواخر اكتوبر سنة ١٩٨٠ انفجر ذلك البركان مرة أخرى ليذكر سكان شمال غربى الولايات المتحدة بالانفجار السابق وأن هناك « براكين » أخرى قد تنشط في أية لحظة لتزيل كل مظاهر الحياة حولها .

ومن الغريب ان احد المتخصصين في علم البراكين تنبأ منذ أربعة أعوام في كتاب نشر وقتئذ تحت اسم « نار وثلج » بان «بركان» سنت هيلانه سيكون أول بركان ينفجر من مجموعة « براكين » حددها في غرب الولايات المتحدة .

● اكبر انفجار بركاني :

واكبر انفجار عرفه التاريخ وقع في عام ١٨٨٣ في جزيرة كراكاتو الواقعة بين جزيرتي جاوة وسومطرة ، فقد أحدث بركانها انفجارات مرعبة ، سمعها الناس على مسافة نحو خمسمائة كيلو متر ، ثم بدات تتدفق الرماد الكثيف والدخان والحمم ، وساد الظلام مئات الاميال حوله ، وظلت الجزيرة في فزع منه خاصة وان المياه المحيطة بالجزيرة تأثرت من درجة غليانها حتى لقد مات ما بها من حيوانات مائية وأسماك ، كما اضطربت أمواج البحار المجاورة ، وانتهى الانفجار بتدمير مئات القرى وهلاك آلاف الانفس . وحملت الريح ـ رماد هذا « البركان » حتى وصل الى سواحل فرنسا وانجلترا !

● مركز دولى للبراكين :

وقد انشأت منظمة اليونسكو مركزا رئيسيا للابحاث البركانية والغرض منه تكوين هيئة من الخبراء في علم البراكين لارسالهم الى البلاد النامية واجراء أبحاث في علم البراكين بقصد التوصل الى طرق جديدة في التنبؤات وفي الدراسات البركانية لتطوير البحث عن القوى الداخلية التي تفجر البراكين .

وقد اتخذ هذا المركز بقرية بمدينة كتانيا الواقعة بالقرب من « بركان » اتنا بجزيرة صقلية .

وهناك عدا هذا المركز عدة مراصد قريبة من « البراكين » المعروفة لرصد حركاتها ومقدار اهتزاز الارض حولها والتنبؤ بالثورات المحتملة ، وقياس درجات الحرارة في المناطق المحيطة بالبركان .. الى غير ذلك من البحوث والدراسات .

● « براكين » في الكواكب :

وقد ثبت أن البراكين ليست قاصرة على الارض فقط وانما توجد في الكواكب أيضا ، اذ أمكن أخيرا اكتشاف براكين على سطح المريخ وعلى سطح الزهرة ، كما سبق ذلك اكتشاف براكين على سطح القمر . وليس هذا بالامر العجيب فأساس تكوين الكواكب جميعا واحد .

● « للبراكين » فوائد :

واذا كانت « البراكين » قد أودت بحياة الالوف فهي من ناحية أخرى احيت الملايين ، ولو أنك زرت ايطاليا يوما واتيح لك أن تشاهد منطقة « بركان فيزوف » لادهشك ما ترى حول « البركان » من حدائق الكروم المترامية الاطراف التي تنتج أفضل أنواع العنب في العالم ! . والسر في ذلك ان مقذوفات ذلك « البركان » كانت نعمة على الاراضى المحيطة به اذ أمدتها بعناصر جعلتها من أخصب بقاع الارض .

والبراكين مورد مبارك للزئبق

والكبريت والبوريك وأملاح النشادر ، وقد أمكن صنع قوالب من التراب البركاني ، اذا احيطت بها جدران المباني من الداخل ، منعت وصول الضوضاء الخارجية أيا كان نوعها ، هذا عدا حجر الجفاف الذى يستعمل في جلى وتلميع المعادن ويمتاز بخفته وطفوه على سطح

والى « البراكين » يرجع الفضل في تكوين عدد كبير من الجزر ، ولعل اشهرها جزر هواى التي أصبحت احدى ولايات الولايات المتحدة الامريكية .

وآخر ما يروى عن فوائد « البراكين » ما يراه رجال البحر وأصحاب السفن من أن « البراكين » فنارات طبيعية تضيء البحار المجاورة لها وبذلك تنير لها الطريق في البحر .

● هل الزلازل والبراكين انذار للخطاة ؟

ولما كانت الزلازل « والبراكين » من ظواهر الطبيعة التي وقف الانسان أمامها صاغرا وهو حسير ، لجأ الى الاعتقاد بأن الزلازل « والبراكين » غضب من الله ينزله على البشر بسبب انحرافهم ، ودليلهم في ذلك ما حدث لسدوم وعامورة بسبب كفر أهلهما وما كانوا يأتون من فاحشة ، ثم ما حدث لبومبي لما اشتهرت به من اباحية واقدام على الرذائل ، فقد فاجأها البركان والجميع في لحظات نشوتهم فقضى عليهم وخلد عليهم آثامهم التكراء مجسمة الى اليوم . !

وكثيرا ما أنذر بعض رجال الدين أتباعهم بحدوث مثل تلك الكوارث اذا انحرفوا .

وعندما وقع زلزال لشبونة سنة ١٧٥٥ علل رجال الدين حدوثه بأنه عقاب نزل بسكانها لعدم تمسكهم باهداب الكاثوليكية الحقة وذهب رجال الدين البروتستنت في بريطانيا الى أن لشبونة عوقبت بسبب ما يرتكبه أهلها من رذائل

ولعله ليس بين أحداث العالم شيء كالزلازل والبراكين يمكن ان يحرك الخطاة ويجعلهم يثوبون الى رشدهم ، لانهما من الظواهر التي تتسم بان يد الله ، الذى يدير الكون ببالغ حكمته ، هي التي تحركها .

● طرائف عن البراكين :

في يوم الجمعة العشرين من شهر فبراير عام ١٩٤٣ كان المزارع «ديونيزيو بوليدو» يعمل بفأسه في مزرعته الصغيرة الواقعة خارج قرية « سان جوان » بالمكسيك ، وبينما هو يضرب الارض بفأسه في عنف ، اذا به يرى خيطا من الدخان الحار ينطلق في وجهه فجأة ، واذا الارض تزلزل تحت قدميه — ثم يرى الحفرة الصغيرة تتسع وتتكشف عن رمال ومواد مختلفة الألوان .. فلم يسعه الا الانطلاق مذعورا الى القرية حاملا الى أهلها نبأ هذه الظاهرة العجيبة !

وعندما أسرع سكان القرية الى المزرعة رأوا ألسنة النار تنطلق في الهواء وأصوات الانفجار تتوالى ، وفي خلال ساعات كانت الاحجار الضخمة تنبثق في الفجوة . وما هي الا ساعات حتى أخذ سكان القرية يستعدون لمغادرتها ، بينما كان عدد كبير من السياح ، وقد بلغهم النبأ عن طريق الاذاعة ، يستعدون لزيارة تلك القرية ، ليظفروا برؤية مولد « بركان » ، وما لبث السياح أن تدفقوا عليها ..

واخذت الفجوة تتسع « والبركان » يعلو ويرتفع وانتهز الكثيرون الفرصة لاقتناء الاحجار المنطلقة من الفوهة للبحث عما بها من معادن ثمينة ، وفي نفس الوقت راحت جماعة أخرى تبيع المرطبات والحلوى والشطائر لوفود السياح والمتفرجين .

أما المزارع « ديونيزيو » فقد اخذ يبكي حظه العاثر الذى افسد مزرعته وقلب كيانها وغير معالمها .

ولكن احد المحامين الأذكياء استطاع ان يحصل له على ترخيص رسمي يتيح له تحصيل رسم بسيط من كل من يريد مشاهدة البركان الوليد .. وبذلك جمع في اشهر قلائل اضعاف ثمن مزرعته ، مما جعل زملاءه القرويين يحسدونه ، ثم يحاول كل منهم ان يضرب الارض بفأسه في عنف شديد أملا في ان يولد في مزرعته بركان !

●●

مطلوب ضيف

● سعد رضوان ●

● ضغط جرس باب الشقة المقابلة لشقتي التى سكنتها حديثا ، وفتحت الجـارة الحلوة التى تسكن امامى ، والتى لم تزد علاقتى بها عن مجرد التحية العابرة ألقيتها اليها او ألقتها عل ، فى المرات القليلة التى تقابلنا فيها عل السلم او امام الابواب ..

ونظرت المرأة الى فى غير استغراب منتظرة أن ابدأها الحديث ، فانا الذى طرقت بابها .. وابتسمت وانا اقـول لها :

ـ يا مدام .. انا الساكن الجديد فى الشقة المواجهة لك ·

ـ اعرف .. اى خدمة ؟

ـ خدمة بسـيطة .. لقد حضرت لادعوك الآن للعشاء معي فى شقتى ·

وابتسمت ساخرة ·

ـ مرة واحدة هكذا ، وبدون مقدمات ، تدعونى للعشاء فى شقتك الآن ؟

وسـمعت وقع خطـوات بالداخل ، وصوت رجل يسأل :

ـ من هناك يا مرفت ؟ ..

فالتفتت مرفت ترد عليه : «هذا جارنا الساكن فى الشـقة التى أمامنا يدعونى الآن للعشاء فى شقته · » وكان الرجل قد وصل الى الباب ، ووقف خلف المرأة يسمع لها ، فلما أنهت كلامها ازاحها الى الداخل وواجهنى وهو ينظـر الى بشرر قائلا : ـ ماذا قلت لزوجتى ؟

واصابنى الاضطراب ، وتلعثمت وأنا اجيبه :

ـ لا شيء ، فقط كنت أدعوها للعشاء معي ، أقصد ادعوكما للعشـاء .. ولم أكمل كلامى ، فقد وجدت نفسى مصـابا بلطمة دفعتنى الى الوراء حتى اصطدمت بباب شقتى ، والرجل يصرخ :

ـ سافل !

وتقدمت المرأة خلفه بسرعة وأمسكت به تمنعه من الاستمرارفى ضربى وتجذبه الى شقتهم قائلة :

ـ كفاية يا محمد · غير معقول غيرتك هذه ان الرجل ..

وصرخ فيها : «اسـكتى ، وادخلى الشقة .. ان لك حسـابا معى » · ثم دفعها الى داخل الشقة وهى ممسكة به تجذبه معها ، واغلق البـاب بقـوة ، وسمعت صراخا بينهما .. وكنت واقفا مذهولا وقد أركزت ظهرى على باب شقتى .. وفهمت من صراخهما انه يسألها عنى وعن علاقتها بى ، هـذه العـلاقة التى سمحت لى بأن أجرؤ وأطلبها للعشاء فى شقتى و ..

ولما كنت أنا السبب فى سوء التفاهم الذى حدث بين الزوجين فقد تقدمت الى بابهم ودققت الجرس مرة أخرى بعد أن رأيت أن من واجبى أن أوضـح للزوج خطأه ..

وفى هـذه المرة فتح الزوج البـاب بنفسه ، ولم أشـعر الا وأنا واقع فوق الارض ، فان الرجل لم يعطنى فرصـة للكلام ، بل صرخ بسـباب وهاجمنى كالوحش ، ثم عـاد الى شـقته وصفق الباب ! ..

وقمت ، ولكنى فى هذه المرة لم أجرؤ على أن أدق جرس باب الرجل من جديد، بل قررت تركه لوجه الله ، ولفرصـة أخرى تهدأ فيها ثائرته ، واستطيع أن افهمه أن غرضى لم يكن غير طلب ضيف



للعشاء عندى ، وليس كما توهم وتصور ! ..

وكانت الحاجة الى الضيف ملحة وضرورية ، ولهذا نزلت السلم الى الدور الاسفل ، ثم وقفت حائرا انظر لبابى الشقتين المتواجهتين مفكرا فى اى باب ادق جرسه ..

كانت الشقة التى تحت شقتى بها سكان كثيرون واطفال لا اعرف عددهم ، وان كنت رايتهم يصعدون وينزلون ، وكثيرا ما اقلقنى صراخهم ، ولهذا ترددت فى دق جرس هذه الشقة ، فانا ابحث عن ضيف واحد ادعوه للعشاء فى شقتى الليلة ، ولا اعتقد انه سيكون من السهل ان استضيف جيشا من الاطفال ! ..

وهكذا اتجهت الى الشقة المواجهة التى لم يسبق لى رؤية سكانها ، ودققت جرسها . وسمعت صوت خطوات تقترب وفتح الباب قليلا ، وقد وضح ان هناك سلسلة من الحديد تربط بين الدلفتين حتى لا ادفع الباب وادخل .. ورايت جزءا من وجه امراة عجوز ذات شعر ابيض تسالنى عما اريد ، فقلت :

ـ اريد ان ادعوك الى العشاء فى شقتى الليلة .

ـ نعم . لم افهم ..

ـ انا ادعوك للعشاء فى شقتى الآن .

ـ تدعونى للعشاء فى شقتك .. لماذا ؟ ..

ـ لان ..

ولم اكمل ، فان المراة لم تترك لى فرصة للكلام اذ قاطعتنى !

ـ آه ، فهمت ، تدعونى للعشاء فى شقتك ، ليسرق اللصوص زملاؤك شقتى ! .. امش يا لص قبل ان اصرخ واجمع عليك الناس !

ـ يا مدام ، انا ..

وصرخت المراة : « اللص .. اللص الحقونى ! » واغلقت الباب فى وجهى .

ووجدت نفسى اندفع نازلا السلم دون وعى فاصطدمت بولد فى حوالى الخامسة عشرة كان يصعد ، وكاد الولد ان يقع فامسكت به معتذرا : « آسف يا ابنى . هل آذيتك ؟ » .

ـ لا يا عمى .. انا كنت مندفعا .

ـ حصل خير .. انت تسكن هنا ؟ .

ـ لا .. انا اتيت لاذاكر مع صديقى ابراهيم الذى يسكن فى الدور الثالث ، فانا وهو فى فصل واحد .

ـ عظيم ، وهل تعشيت ؟

ـ ساتعشى بعد عودتى الى المنزل .

ـ لا ، لا .. لقد حان وقت العشاء ويجب ان تتعشى حتى تذاكر جيدا ، ولهذا سادعوك للعشاء معى فى شقتى الآن .

ـ متشكر يا عمى ، لست جائعا الآن ..

وصعد الولد ، وصعدت خلفه حتى وصلنا امام باب شقتى فامسكت بذراعه قائلا :

ـ لا يمكن .. يجب ان تتعشى عندى ، انا اسكن هنا بالدور الثانى ولا يصح ان تصعد للدور الثالث دون ان تتعشى عندى ! ..

ـ شكرا يا عمى !

وحاول ان يفلت ذراعه ، ولكنى امسكت به بقوة ومنعته من الصعود : « لابد ان تتعشى معى ! »

●●

ـ ارجوك يا عمي .. اتركني .

ـ لن اتركك قبل ان تتعشى عندي .

ـ وظهر رجل ينزل السلم .. ورآني وانا ممسك بذراع الولد ، وينظر الينا بتعجب ، ثم قال : « اهلا مختار .. لقد تأخرت وابراهيم ينتظرك منذ ساعة . » والتفت الي وقال : « اظن سيادتك ابو مختار . »

وفهمت ان الولد اسمه مختار، والرجل يظنني أبوه فقلت :

ـ لا .. لا توجد علاقة بيني وبينه . انا فقط ، قد دعوت مختار للعشاء ..

وتنبه مختار الى الوضع الذي وضعته فيه ، وانا ممسك بذراعه ومصمم على دعوته للعشاء ، فاستنجد بالرجل قائلا :

ـ عمي حامد .. انا قابلت هذا السيد على السلم ، وهو مصمم على أن أتعشى عنده .

وقال الرجل « ان الامتحانات قريبة ، ولا وقت لدى ابراهيم لغير المذاكرة » .

وقلت : « ضروري ان يتعشى عندي . لن أعطله كثيرا . »

وتأوه الولد وهو يشد ذراعه من قبضة يدي ويقول بعصبية :

ـ اتركني ارجوك ، قلت لك انى لا أريد أن آكل .

وبدا تساؤل على وجه الرجل وهو يحدق في وجهي ويقول :

ـ اترك الولد .. ماذا تريد منه .. آه ، الا تستحي يا رجل ، الا تراعى الله أليس عندك ضمير .

وفوجئت بثورة الرجل فتسمرت في مكاني وأنا ممسك بذراع الولد ، وتنبهت الى انه أخطأ فهم موقفي فقلت : « ياسيد أنا .. »

ولم يدعني أتم فقد ضرب ذراعي الممسك وهو يصرخ .

وتركت ذراع الولد ، وحاولت ان اتكلم ، ولكنه لم يترك لي الفرصة .. وجرى الولد صاعدا السلم ، بينما الرجل ينظر الي بحدة وهو يتأسف :

رجل كبير مثلك ، ويهاجم ولدا صغيرا بهذا الشكل !؟ لم أظن ان ..

وقاطعته صارخا : اسمع .. أنا جارك هل تقبل أن تتعشى عندي الآن ؟

ـ ماذا تقول .. حتى أنا تدعوني للعشاء ؟ .. رجل كبير مثلك ..

ـ يا سيد الهملي .. دعني اشرح لك .

ـ تشرح ماذا !؟

ـ أنا احتفل الليلة بسكني حديثا بهذه الشقة التي أمامك .

ـ وتبدأ احتفالك بالامساك بالناس .

ـ اسمعني .. لقد دعوت أحد عشرة شخصا للعشاء ، وحضروا جميعا ، ولكن أحدهم أحضر معه صديقا له فاصبحوا اثنى عشرة .

وكان الرجل ينظر الي كما لو كان ينظر الى مجنون .. واستأنفت :

ـ ولما قمت أعد المائدة وجدت ان عدد الذين سيجلسون للعشاء ثلاثة عشرة ، اثنى عشرة ضيفا ، وأنا ..

ـ وماذا في ذلك ؟

ـ ثلاثة عشر .. أنا اتشاءم من هذا الرقم ، انهم يقولون ان اجتماع هذا العدد معناه ان يحدث حادث لاحدهم ..

ـ سمعت بعض المتطيرين يقولون هذا ..

ـ ولهذا خرجت من شقتي لادعو احد سكان العمارة للعشاء ووجدت هذا الولد

وبدا الشك عند الرجل وهو يفكر في كلامي ثم قال :

ـ انا لا اصدق الا اذا رأيت بعيني .

ـ حسنا وهل تقبل ان تتعشى معنا ليصبح عدد من على المائدة اربعة عشرة .

ـ موافق ..

وهكذا عثرت على الضيف المطلوب !

بين عينيك

● يسرى العزب ●

●

تجيئين أو ..
تروحين أو ..
طريقك هو
أو النار يا روح هذى الحياة ؟
بين فكى قلم
محاصر يراوغ الالم !
يحاول الوقوف فوق الرخو
ويلعن الذى مضى
ويخدش الذى يراه
يخربش المياه
يقدم الذى يجىء
والذى يجىء
لا يراه !
تجيئين او لا
وترحلين ثانيا
وتبعثين ثالثا
وترحلين من جديد
وما يروح لا يعود !
ونقطة ، فنقطة
يسيل دم ..
وتوغلين فى الضلوع – جيش هم
اظل فى ندم
بما ملكت من مثابرة
وما يؤوب لى من المغامرة
مسمرا على المكان
مجمدا بصفحة المياه
لحظة من الزمان

طريقك المكتظ بالمودعين
مسافر يئن بالأنين
.. وتختفى النجوم حين يخنق القمر
ويبعث الحياة فى العواسج المعوقة
وتنثرين فى الزحام زنبقة
تراود الذى اختنق
وتطفىء الذى احترق
ويعلم الذى ..
بأنها – لو علمه صدق –
غمامة تهل بالمطر
فتمسك الذى انشطر
وتجبر الذى انكسر
ويعلم الذى ..
ظهورها الرجال
بقبضة – يفضها
لو الرمال يا حبيبتى تفجرت
شظى من اللهيب
يلملم النحيب
يشجع الذى ..
كائك القيامة
اظل بين فكى النعامة
ادور فى الزمان
ادور فى المكان
تديرنى هنا .. تديرنى هناك
تديرنى رحاك
لعلى ارى .. لعلنى اراك !

●●

شاعر وشاعرة

● ماهر شفيق فريد ●

● كولردج والثورة الفرنسية الشاعر فهو كولردج ... واما الشاعرة فهى كاثلين رين .

ومناسبة الجمع بينهما هى ما نشرته مجلتان فصليتان امريكيتان هما مجلة « التاريخ الادبى الانجليزى » الصادرة عن جامعة جونز هوبكنز الامريكية ، ومجلة « ذاسذرن رفيو » الصادرة عن جامعة لويزيانا .

ففى مجلة « التاريخ الادبى الانجليزى » نجد مقالات عن امارة الشعر فى العصر الاليزابيثى بانجلترا ، وعن الشاعر الانجليزى الميتافيزيقى جورج هربرت ، وعن كولردج ، وعن رواية « فيليت » للروائية تشارلوت برونتى ، وعن دكنز ، وعن ت. س. اليوت . وقد اخترنا ان نعرض هنا مقالة روبرت ستربناك المسماة « كولردج وجان دارك وفكرة التقدم » .

يقول كاتب المقالة : ظل كولردج يرغب دائما فى اقامة مجتمع مثالى على الارض. ففى شبابه كان يحلم بقيام دولة يشترك سكانها فى امتلاك الثروة ويتمتعون بسلطة سياسية متساوية ، مما يؤدى الى محو العدوان ، وتحقيق سخاء عالمى كان يعتقد انه ظل سائدا الى ان قامت المؤسسات السياسية الحديثة ففتتته . وفى مثل هذا المجتمع يتسنى للانسان ان يحقق حرية ذاته الحقة الاصيلة ، ويشارك فى عين الوقت فى عبادة الواحد الاحد .

تحمس كولردج وصديقه الشاعر الانجليزى روبرت سذى للثورة الفرنسية وفى الفترة ما بين ١٧٩٤ و ١٧٩٥ كان تصورهما لمفهوم الحرية راديكاليا ثوريا . وقد كتب سذى قصيدة ملحمية عنوانها « جان دارك » أسهم فيها كولردج ببعض مقطوعات وابيات ترابة خريف ١٨٧٤ ، واشتملت القصيدة على رؤيا مستقبلية .

انها تؤكد قومية الامة الفرنسية فى مواجهة الانجليز ، وعند نهايتها نرى « جان دارك » ـ تدنو من منصة الاحراق ـ رؤيا معزية تؤكد تقدم الانسان نحو مزيد من الحرية، لان هذه هى مشيئة الله .

وقد كانت « الفضيلة » و « المساواة » من شعارات الثورة الفرنسية فى ذلك العهد . ولكن الامر المهم هو ايمان سذى وكولردج بأن تحرر الانسان أمر مقدر مع الزمن، وانه سيتجاوز عبادة اوثان الطغيان التى تجعل حياته على الارض مفتقرة الى التكامل، ومليئة بالصراعات .

وهذا التحرر من الاوثان التى تسدل ظلمة على عقل الانسان ، فضلا عن الايمان بامكانية التقدم ، كانا اهم ما اهتم له كولردج لا فى مساهمته فى قصيدة سذى فحسب ، و محاولته كتابة قصيدة خاصة به عن اسطورة « جان دارك » فى عام ١٧٩٦ . وقد وضع كولردج عناوين لقصيدته من نوع : « تقدم الحضارة الاوروبية: رؤيا » ـ « رؤى عذر. اورليان » ـ « رؤى عذراء آرك » . ظلت هذه القصيدة ناقصة ، ولم ينشر كولردج شيئا منها الا فى اواخر عام ١٧٩٧ بمجلة « مورننج بوست » تحت عنوان : « رؤى عذراء اورليان : شذرة » . واخيرا فى

١٨١٧ نشر كولردج الشذرة التي كتبها في ١٧٩٦ ، فضلا عن اغلب اضافاته الى قصيدة صندى تحت عنوان « قدر الامم »

كان كولردج نزاعا الى التأمل في قضايا الميتافيزيقا ، ولعل هذا هو السبب في أن صندى سأله ان يكتب القصيدة الذى يعالج طبيعة الوحي الذى كانت تتلقاه « جان دارك » .

وقد ذهب كولردج الى ان فكرة الحرية هي التي الهمت « جان دارك » نضالها ضد قوى الشر . اما عندما بدأ كولردج يكتب قصيدته الخاصة عنها فقد بدأ يفقد ايمانه بان للتاريخ مسارا اخلاقيا محتوما وانه سينتهي برؤيا سعيدة . وربما كان هذا من أسباب تركه القصيدة ناقصة ، وعزوفه عن اكمالها .

● كاثلين ومفهوم الجمال ●

ومن مجلة « التاريخ الادبي الانجليزى » ننتقل الى مجلة « ذأسدرن رفيو » حيث نجد مقالات عن طبيعة الجمال ، وعن الناقد الامريكي آلن تيت الذى توفي حديثا ، وعن مواويل انجلترا واسكتلندا ، وعن الناقد والشاعر الامريكي أيفور ونترز ، وعن الروائي الانجليزى برناود جلبرت ، وعن بعض الشعراء الانجليز الجدد ، ومقابلة مع الشاعر الامريكي المعاصر هوارد نميروف ، فضلا عن أبواب القصة ، والشعر ، والكتب الجديدة .

تقول الشاعرة والناقدة الانجليزية المعاصرة كاثلين رين في مقالتها المسماة « مقالة عن الجميل » : كنت في شبابي الباكر انظر الى مفهوم الجمال على ضوء تصورات الشعراء الرومانسيين الذين جعلني أبواى اقرأ لهم : كولردج، شيلي، وكيتس ، ووردزورث . ومن ثم كانت كلمة « جمال » مصطبغة عندى بسياق قصائدهم : « انها تسير في جمال مثل الليل » ، « انها تسكن مع الجمال ، الجمال الذى لا مفر له من ان يموت » ، « الامواه في ليلة تضيئها النجوم جميلة وحرة » ، « الجمال هو الحقيقة ، والحقيقة هي الجمال : ذاك كل ما تعرفه على الارض ، وكل ما أنت بحاجة الى ان تعرفه » . ولم يكن ابناء جيل الذين غذى الشعر حبهم على هذا النحو يعرفون شيئا عن الفلسفة بل لم نكن نعلم ان هذا الشعر الذى نقرؤه له أساس فلسفي . وما حاجتنا الى هذا العلم ؟ لقد كان الشعر تعبيرا عن تلك الفلسفة ، اوليس الشعر – بعبارة افلاطون – « أكثر فلسفية » من المحض ؟ كانت كلمة « شعر » تعنى عندنا عالما من الجمال نؤمن به ، ونخبره على انه حقيقي ، هو عالم الخبرة اليومية وليس عالما في آن واحد ، حيث ثمة ازهار بنفسج ، ونحل، وبنات الجمال كما يسميهن نيرون في قصيدته التي مطلعها « ليس بين بنات الجمال من هي مثلك » . ومع ذلك فان زهرة البنفسج الواقعية ، والطريق المعشوشب المتعرج ، والفتاة الجميلة كانت كلها اقل جمالا – بدرجة طفيفة ، من ازهار وغابات وعذارى الشعر . لقد كان كل شيء في الطبيعة جميلا في نظرى ، وما كنت لاصدق احدا يقول لى ان الطبيعة لا يمكن ان تكون جميلة .

ومع ذلك فانه عندما بدأت عشرينات هذا القرن تسلم السبيل لثلاثيناته بدأت انا ايضا اتحرك نحو عالم لم تعد هذه الاشياء تلوح فيه جميلة للشعراء، او هو بالاحرى عالم لم يعد شعراؤه معنيين بالجمال وانما بالواقعية، لا بالجبال وانما بالمناجم المهجورة ، لا بالطريق المعشوشب المتعرج وانما بالسيارات التى تطن على طول الطرق ، لا باللمعة الرؤيوية – كما دعاها وردزورث – وانما بضوء النهار العادى .

والى ان مزق ديلان توماس سحب الجهامة بأشعة شمسه لفترات قصيرة ، ظل كل شيء رمادى اللون ميتا . جعلتنا فترة الثلاثينات (التى سادها الكساد الاقتصادى ، وظهور النازية والفاشية ، والحرب الاهلية الاسبانية) نعتقد ان عالم الخبرة هو العالم الحقيقي ، وان الفردوس لايلائم سوى الاطفال الابرار الذين يتحدث عنهم بليك في سلسلة قصائده المسماه « أغاني البراءة » .

رسالة المانيا الاتحادية

رحلة بين الكتب والمعارض

بقلم: ● منى الملاخ ●

● فى ميدان الثقافة والادب فى جمهورية المانيا الاتحادية ،يتمتع عدد من الكتاب بشعبية واعجاب كبير ، ومن هؤلاء جونتر جراس ، وسيجفريد لنس ، وردولف هاجلشتجة ، والزوجان فون هوف ... وذلك لما تتميز به كتاباتهم من السلاسة والبساطة ولاحساسهم بمشاكل المجتمع الالمانى ومحاولتهم لمعالجتها من خلال ما يكتبون فى مجال الادب والقصص .

والاجانب بما يظفر به انتاجهم من اقبال فقد ظهر أخيرا كتاب جديد بعنوان : « الثقافات القديمة فى عالم حديث » للكاتب الالمانى رودلف بورتنر بالاشتراك مع البحاثة الامريكى ناجيل رافير .

ـ يدور موضوعه حول نتائج الابحاث الاثرية فى شمال أمريكا ووسطها وجنوبها ...

ويعتبر هذا الكتاب الثامن من مؤلفات بورتنر حول علم الاثار والتاريخ فى مناطق متعددة من العالم ...

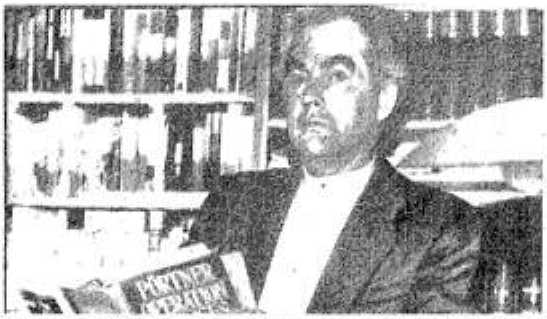
ومع ذلك فان هذا الكاتب ليس من الاساتذة العلماء المتخصصين ـ ولو أنه درس التاريخ والعلوم القديمة فى شبابه، وقد عكف متأخرا وبعد سنوات طويلة على كتابة أنباء الاحداث المعاصرة كصحفى فى صحف ومجلات مختلفة .

وبورتنر من مواليد سنة ١٩١٢ ، لم ينشر أول كتاب له حول علوم الاثار الا فى سنة ١٩٥٩ ،منطلقا فى ذلك عن خطوة عملية هى ان فى استطاعة أى مرء ان « يهبط » من دار بلدية مدينة كوبنيا لمشاهدة الاثار الرومانية الموجودة فى قاعتها السفلية بواسطة المصعد . لذلك فقد جاء عنوان هذا الكتاب ملائما لهذه الحقيقة وهو « الى عصر الرومان بواسطة المصعد » ... وقد عالج فيه النتائج التى توصل اليها تاريخ الاثار القديمة فى منطقة الراين الالمانية .

وقد لقى كتابه هذا نجاحا كبيرا بحيث اعتبر من أكثر الكتب رواجا فى الاسواق، ليس بسبب ازدياد أهتمام القراء المتزايد بالاثار فقط بل بسبب اسلوب الكاتب الصحفى المثير ..

وبهذا الكتاب أصبح مؤلفه واحدا من المساهمين فى خلق جيل جديد من الكتب الالمانية الموضوعية الناجحة التى تصل الى أوسع طبقة من القراء .

● ومن الكتب التاريخية أيضا ظهر فى الأسواق الالمانية كتاب عن مصر بعنوان « أيام على ضفاف النيل » للزوجان فون هوف ـ وقد بدأ العمل فى تأليف هذا الكتاب سنة ١٩٥٠ ، ولكن الزوج توفى سنة ١٩٧٦ فأكملته زوجته . وتستعرض صفحات الكتاب مصر فى العشرينات عندما كانت تستعمل الدواوين الخاصة فى القطارات والمراكب الشراعية فى النيل ... ومن الجدير بالذكر أنه عندما حضر المؤلف الى مصر لم يحاول أن يستعين فى رحلاته بمرشد ، وانما أخذ ينتقل بحرية بين خان الخليل وحى الازهر والجمالية، والاسكندرية والاقصر وأسوان ونجع حمادى ، يسجل ويلاحظ بانبهار تقاليد



الكاتب الالماني
رودولف بورلتي

الشعب المصرى والزوجات المصريات ولا سيما فى الريف والاعباء الموكلة اليهما .. وفى نهاية الكتاب لا يخفى المؤلفان حزنهما الدفين لتحول مصر الى التكنولوجيا كالعالم الغربى — وهو أمر لابد منه لمسايرة العصر ...

● وعن الحياة اليومية التى يواجهها الناس فيما بينهم وبين أنفسهم ومع الاخرين، اختارت جابريلله فومانى موضوع كتابها وعنوانه « تزحلق مزدوج » . وجدير بالذكر أن هذا الموضوع الذى تعرضت له هذه الكاتبة الالمانية ، البالغة من العمر ٤٧ سنة والتى تعتبر من أشهر أديبات المانيا الاتحادية ، لا يعتبر من الموضوعات الجديدة ،فقد ناقشت فى معظم قصصها المشاكل النفسية والامور الصعبة التى تواجه الفرد والمجتمع خلال الازمات وشعور الغربة والوحدة المسيطرة على الناس ...

ويبرز خلال صفحات الكتاب الاهتمام بأحوال النساء المتقدمات فى السن ،وعدم التوازن والمساواة فى سلوك الزوجين وحياتهما المشتركة ... وتفضل الكاتبة هنا أتباع أسلوب الحوار الداخل لدى أبطال قصصها ... كما أن سخريتها ونظرتها السلبية تجاه سلوك الاخرين وتشاؤمها قد لا يستسيغها القارىء الذى يبحث عن المتعة والراحة .لكن وفى نفس الوقت فان كتبها الاولى وخاصة قصصها القصيرة تعتبر من اشهر الاعمال فى الادب الالمانى خلال العشرين سنة الماضية .

● وفى مجال الفن التشكيل شاهدنا فى نادى الصحافة بالعاصمة الالمانية بون، معرضا ناجحا للفنان الالمانى ماتياس كنول

وقد ركز هذا الفنان اهتمامه خلال أعماله الفنية على ابراز القصص والصور الدينية والاساطير القديمة بحيث يعتبر واحدا من الفنانين القلائل الذين يعملون فى هذا اللون من الفن التقليدى فى وسط اوروبا .

ولد هذا الفنان الشاب فى مدينة شتو تجارت سنة ١٩٤٩ ، وقد ثقف نفسه بنفسه دون أن ينتسب الى احدى الاكاديميات الفنية . ومع ذلك فقد تميز بأسلوبه الفنى الجميل وطابعه الخاص فى رسومه ولوحاته ويقول النقاد هناك انه فى اعماله المتميزة يهوى المنحنيات الحادة والصور التجريدية التى تذكر بالصور المنقوشة على الاقداح والقدور اليونانية القديمة . ومع ذلك فانه يتلاعب دائما بالتفاصيل الفنية بحيث تبدو أعماله الفنية غنية بالاساطير القديمة ، الامر الذى يدعم نشاطه الفنى الاخر ، وهو كتابة القصص ...

ومن الجدير بالذكر أن كنول وجد طريقه الى الكاره الفنية واسلوبه ، بعيدا عن تأثير اساتذته الاكاديميين بصورة سهلة مرتبطة بالاساطير القديمة والقصص الدينية الفنية ...

وهو يحاول أيضا الجمع بين الموضوعات القديمة والعلوم المعاصرة ، فهو مثلا يرسم القديسين وهم يضعون على رؤوسهم خوذات واقنعة الوقاية . كما يرسم بعض المحضرين فى المحاكم وكأنهم مجرمى حرب ...

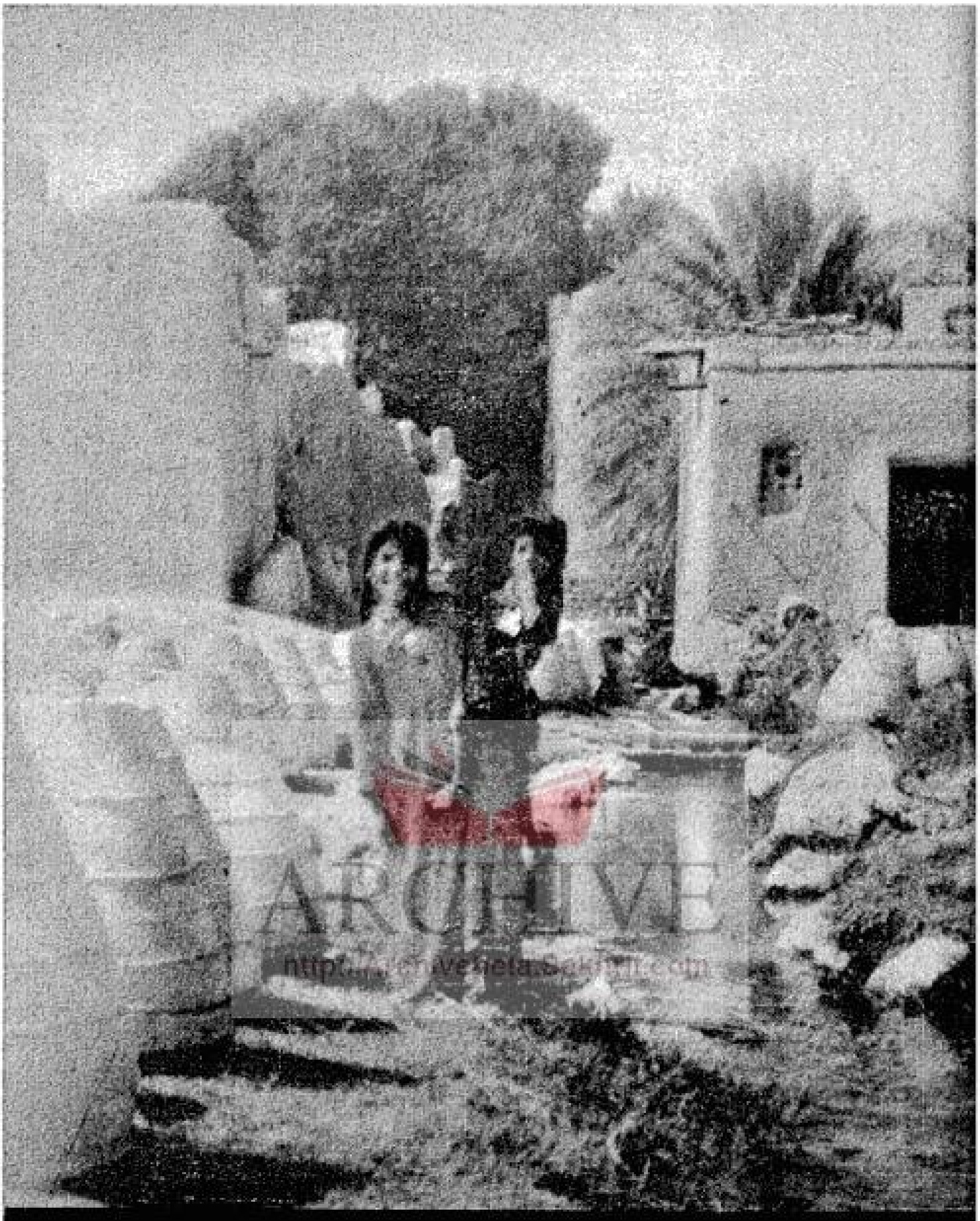
ان تصور العالم عند كنول يجمع بين الحياة والعدم بشكل فريد ، وهو يقول : انتى أسعى بفنى الى ابراز الموت اليومى الذى يبدأ منذ لحظة الولادة !

●●

عُمان

تحرس مضيق هرمز

بلد عربى ناهض تبلغ مساحته مساحة فرنسا ، تشرف سواحله على المحيط الهندى من ناحية والخليج العربى من ناحية اخرى ، وهو اليوم الحارس الحقيقى لامان المرور فى مضيق هرمز وهو الطريق البحرى الذى يوصل للعالم ٦٠٪ من حاجاته من الوقود .. لقد تجمعت اساطيل الدنيا هناك لتأمين حرية المرور وزادت الخطورة بعد قيام الثورة الايرانية ووقوع الحرب بين ايران والعــراق ، واحتــــلال الروس لافغانستان . كل ذلك يجعل عمان اليوم فى موقف سياسى وعسكرى يحتاج الى حكمة وثبات وقوة ، وهى صفات تتوفر لحسن الحظ فيمن يتولون اليوم مقاليد الحكم فى عمان ..



مدينة فرق (بكسر الفاء) من مدن سلطنة عمان الصناعية ، فهي مركز صناعة النسيج وصباغة الاقمشة ، ومعظم الصــباغة تتم بواســطة التيلج (التيلة بالعامية) وهي صباغ زرق يستخرج من نبات يحمل نفس الاسم . التيلج يوجد بكثرة في الهند وفي عمان وفي واحات مصر ، وهو يكون في أوراق النبات التي تعصر عصرا شديدا لاستخراج الصباغ .

عمان تحرس مضيق هرمز

منذ قامت الثورة الايرانية تعرضت منطقة الخليج كلها للعواصف والاخطار، ومنطقة الخليج تعتبر اليوم اهم مناطق العالم اقتصاديا وسياسيا ، فمن هنا يأخذ العالم ٦٠٪ من الوقود الذى يعتمد عليه كل شيء فى عالمنا الراهن ، ومن منطقة الخليج تحصل اوروبا على ٧٠٪ من الوقود اللازم لها ، وتحصل اليابان على ٩٠٪ من البترول ، وهو المادة الاساسية فى حياتنا .

والمدخل والمخرج لمنطقة الخليج هو مضيق هرمز ، وعرضه ٤٤ كيلومترا ، ومن سيطر على هذا الممر المائى الخطير استطاع ان يقبض على عنق الاقتصاد والحركة العالمية .

لهذا ، ومنذ قيام الثورة الايرانية وغزو روسيا لافغانستان اتجهت انظار الدنيا كلها الى مضيق هرمز ،فمن هنا تمر قافلة بترول ضخمة كل ٤٠ دقيقة ليلا ونهارا ، والمضيق كله يقع فى المياه الاقليمية لسلطنة عمان وجمهورية ايران ليس هنا متر واحد مياه دولية ، اى مغلقة للدول جميعا دون قيود ، فكل سفينة تمر من هذا المضيق لابد أن تستأذن عمان وايران معا ، ومن هنا فقد كان تطلع ايران الى السيطرة على مدخل الخليج واستيلائها على ثلاث جزر فى مدخله هى أم موسى ، وطنب الصغرى وطنب الكبرى .. كان هذا عدوانا على أراضى العرب وعدوانا على الحق والقانون لان هذه الجزر الثلاث تابعة لامارتى الشارقة وأم الخيمة من دولة الامارات العربية .

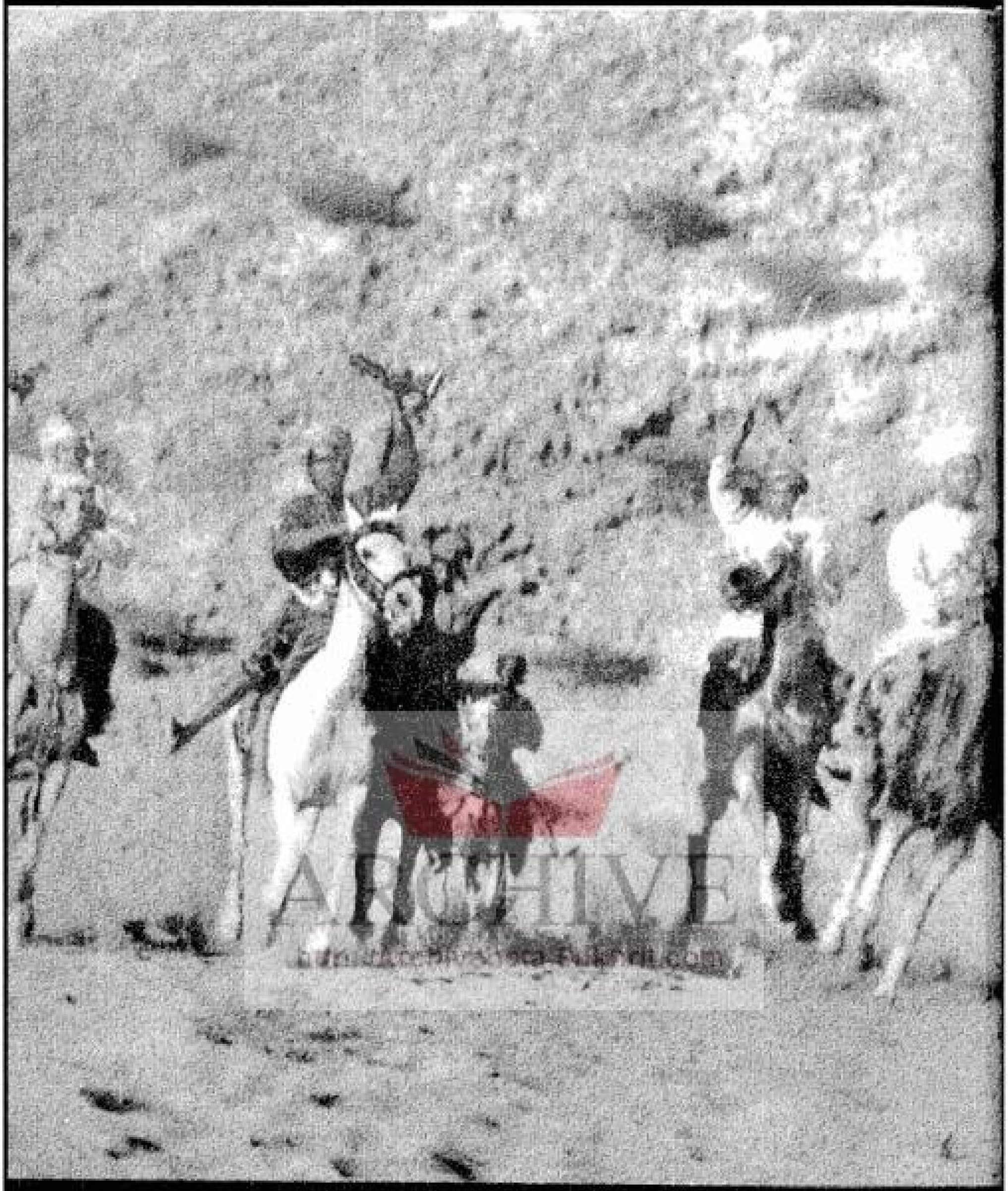
وايران عندما قامت بذلك العدوان عرضت نفسها للخطر ، فها هى دولة الشاه قد ولت وايران قد تدهورت وتفككت واصبحت هى نفسها معرضة للعدوان من جانب الاتحاد السوفييتى الذى ابتلع افغانستان تمهيدا لتمزيق شمل ايران .. والروس اليوم يطلون على اقليم بلوخستان ، وهو اقليم ايرانى فقير تجد الدعوة الشيوعيه فيه قبولا ، فاذا استولى الروس على بلوخستان وصلوا الى الخليج ، واصبحوا دولة خليجية ، وهنا تتحول منطقة الخليج كلها الى ميدان حرب عالمية .

●●●

وسط هذه العواصف الهوجاء تقف سلطنة عمان ثابتة كالطود وعلى رأسها رجل حازم بعيد النظر وعربى صميم ، هو السلطان قابوس ، ان التقسيم الجغرافى هناك جعل رأس مسندم ،وهو الرأس البارز الداخل فى خليج هرمز ، داخلا فى أراضى سلطنة عمان ، اى أن عمان وحدها ودون بقية دول الخليج هى المسئولة وحدها عن الدفاع عن حقوق العرب فى ذلك المضيق الخطير ، وهذا يلفت نظرنا الى اهمية الدور الذى تقوم به عمان ، وضخامة المسئولية الملقاة على عاتق سلطانها ورجاله .

وهنا ينبغى ان تذكر ان سلطنة عمان كانت دائما دولة قوية باسلة يخشى باسها ، وقد قامت على طول التاريخ بدورها فى حماية منطقة الخليج وطرد المعتدين عليها ، فعمان تمكنت بمعاونة الانجليز من طرد البرتغاليين من الخليج بعد ان كانوا قد سيطروا على هرمز وجزيرة قشم (انظر الخريطة) ـ وانشأت القواعد العسكريةواقامت القلاع على ساحل عمان وقرب هرمز ، فما زال العمانيون يجاهدون حتى طردوا البرتغال من مياه الخليج كلها ، وعقد العتهم المعاهدات مع بريطانيا وغيرها من الدول التى اشتركت فى طرد البرتغاليين وابعاد اذاهم عن المناطق العربية فى جنوب غربى آسيا .

ولعمان تاريخ بحرى طويل ، فالعمانيون والحضارمه جيرانهم كانوا دائما شعبا بحريا يسود بسفنه وملاحيه بحار آسيا الجنوبية ، وعندما اقتحم البرتغاليون المنطقة أوائل القرن السادس عشر الميلادى كان العمانيون هم الذين



كل العرب فرسان ولا يمكن أن نتصور العربي دون حصانه . والحصان العربي هو أحسن خيل الدنيا وأشهرها وأجملها . في عمان يربون الخيول ويعتنون بها عناية فائقة ، والملك قابوس من هواة الخيل ولديه أعداد من أنفس الخيول العربية نسبا ، والفرسان الذين تراهم يركبون خيولهم العربية القوية بدون سرج ، ومع ذلك فهم من أمهر فرسان الدنيا .

عمان تحرس مضيق هرمز



جبرين معقل حصين من مواقع سلطنة عمان . وكانت دائما من معاقل امارة عمان التي تؤمن سلامة البلاد . وهي الآن قاعدة عسكرية . ولا تزال قلعتها القديمة قائمة الى اليوم ذكرى لصراع عمان الطويل في سبيل استقلالها وحفاظها على أراضيها من العدوان .



مجلس الوالى • يحكم نواحى عمان ولاة هم بمثابة المحافظين ، وكل وال مسئول عن ناحيته امام الحكومة المركزية • ويتميز ولاة عمان بانهم لا يزالون يمارسون اعمالهم على الاسلوب العربى التقليدى . فابوابهم مفتوحة للناس جميعا ، وأى زائر اجنبى له قدر لابد أن ينزل ضيفا على الوالى ، واذا حضر وقت الطعام اتى به وأكل الوالى مع جلسائه •

عمان تحرس مضيق هرمز

تصـــــدوا لهم . ولقد تمكن الاميرال البرتغالى افونسو اليوكيرك من انتزاع السيادة البحرية من العمانيين ، لانهم — اى البرتغاليين — كانوا يملكون المدافع والبارود فى حين كان العمانيون يحاربون بأساليب الحرب البحرية القديمة . ولكن عندما حصل العمانيون على البارود وملكوا المدافع عرفوا كيف يحطموا قوة البرتغال ويستعيدوا سيادتهم على سواحلهم ومداخل الخليج العربى .

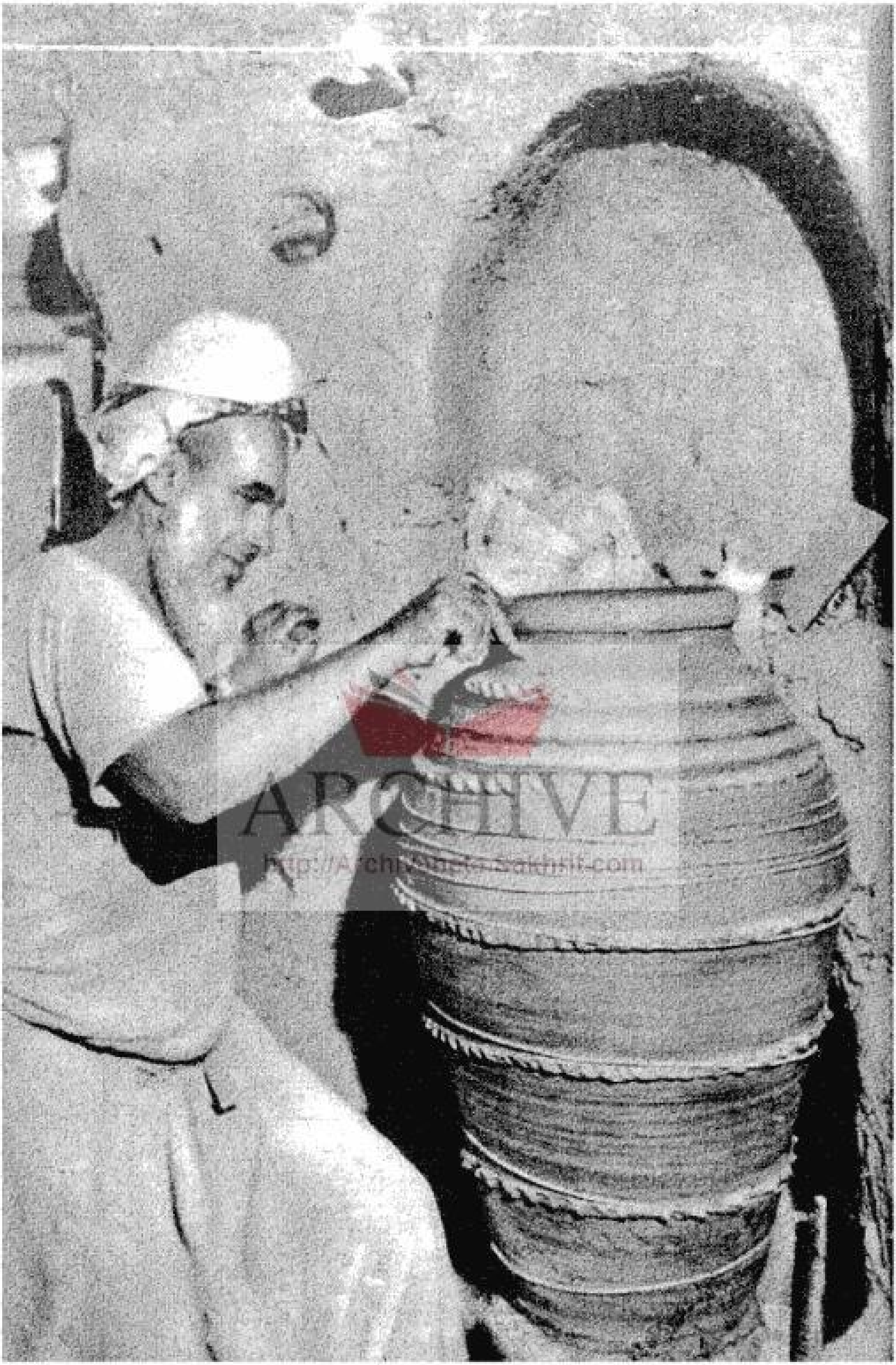
•••

وتدرك عمـــان مسئوليتها الخليجية ادراكا كاملا ، لقد حكى صحفى المانى انه لقى السلطان قابوس واجرى معه حديثا قال السلطان فى خلاله مشيرا الى ممر هرمز : هنا تمر وتتلاقى السفن الحربية للدول الكبرى : حاملات طائرات امريكية وسفن قاذفة للصواريخ فرنسية وسـفن انزال روسية . ونحن نكره ان نرى هذه السفن كلها فى المضيق ، اننى مسئول عن سلامة كل ناقلة نفط تمر فى الخليج ومســـئول عن حركة المرور فى ذلك المضيق ، وارجو الا اضطر الى ان اطلب المعاونة من احد من هؤلاء .

والحقيقة ان عمان أصبحت اليوم بحكم موقعها وادراكها لمسئوليتها مسئولة عن الامن فى الخليج . ان السـفن وحاملات الطائرات تعبر هذا المضـــيق فى خيط واحد واحدة تلو الاخرى . ولو توقف مرورها يوما واحدا لكانت الخسارة فادحة . فالمسئولية هنا عمانية وعربية وعالمية فى آن واحد . ويضاف الى ضخامة هذه المسئولية ان الدولة الاخرى المشرفة على ممر هـرمـز وهى ايران لا تقـدر مسئوليتها عن أمن الممر تقديرا سليما ، فقد هدد الخمينى اكثر من مرة باغلاق الخليج .

وقد ركب الصحفى الالمانى الذى نقلنا عنه العبارة السابقة قاربا حربيا سريعا يقوم بعملية المراقبة فى الخليج ، القارب

الفخار اساس من اسس الحضـارة وهو من اقـــدم واهم الاختـراعات فى تاريخ البشر ،وقد عرف اهل عمان من قديم الزمان صناعة الفخار ، وهم يصنعونه من صلصال جيد ممتاز يوجد قرب بلدة بهلا التى تشتهر به . وفى الصـــورة ترى صـــانع جرار يصـــنع جرة كبيرة تستخدم للماء ولخزن الطعام والجرار البهلية مشـــهورة فى جزيرة العرب كلها .





شاب عمانى يلبس الزى العمانى التقليدى الذى يتكون من قفطان واسع من القطن أو الصوف . وحزام من الجلد وخنجر يوضع فى ذلك الحزام ، والخنجر جزء لا يتجزأ من لباس العمانى ، ويندر ان ترى عمانيا بدون خنجر ،ويستعمل غمد الخنجر لحفظ الاوراق كأنه حافظة . وهناك ايضا العمامة العمانية المتميزة بشكلها .



فتاتان من بنـــات ظفـــار ترتديان الزى النســـائي العماني الذى يتميز بالوانه الزاهية ونقوشة البديعة . اهل ظفار ذوو سمرة شديدة مثلهم فى ذلك مثل سكان كل السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية ، وظفار اقليم خصب من اقاليم سلطنة عمان . وقد حاول الشيوعيون التسلل اليه من اليمن الجنوبية ولكن سلطان عمان تمكن بشبانه وبعد نظره من ايقاف ذلك التسلل وحماية بلاده من الشيوعية .

- عمان تحرس مضيق هرمز

انجليزى ولكنه مسلح بصواريخ فرنسية وانناء مروره فى مياه مضيق هرمز رأى عشرات السفن من كل بلد وجنسية بعضها مراكب نقل بضائع وبعضها الآخر ناقلات نفط وبعضها سفنا حربية من كل نوع وطراز ، وقد استمع الى جهاز الاستقبال المركب فى القارب فنعجب من كثرة الاصوات التى التقطها الجهاز : بعضها انجليزى او فرنسى ، لان الدنيا كلها متجمعة فى مضيق هرمز الآن ، خاصة وان الحرب الايرانية العراقية تتطور تطورا سيئا كل يوم .والاضطراب داخل ايران يتزايد ، وفى أى يوم من الممكن أن يرتكب المسئولون فى ايران حماقة تعصف بأمن الخليج وامان الملاحة فى هذا الممر الخطير .

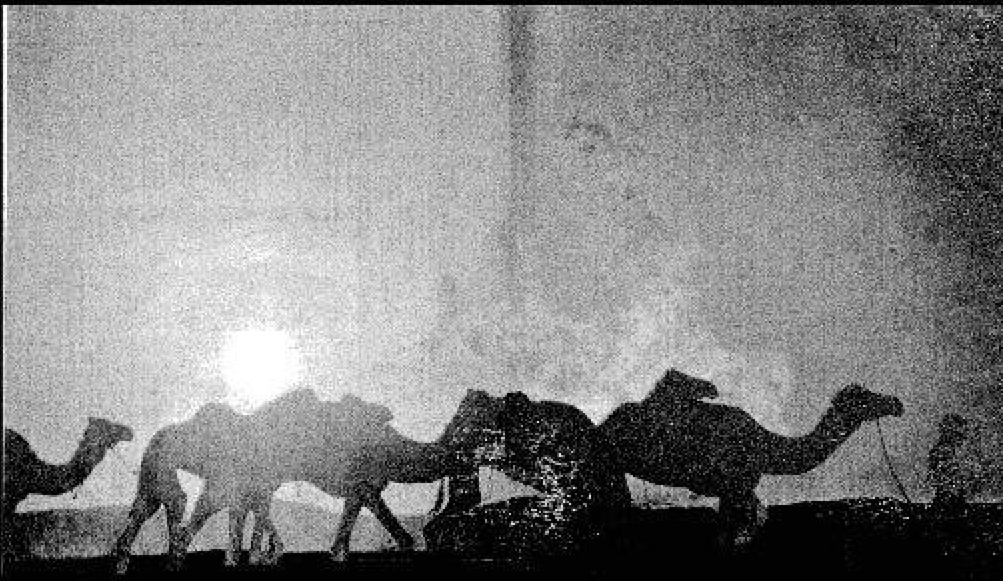
ان عمان تستخدم نحو ٣٠٠٠ خبير فنى غربى فى تدريب ملاحيها ورجال امنها على استعمال السفن والاجهزة اللاسلكية والالكترونية اللازمة لامن الخليج . وهى تستخدم هؤلاء لان رجال حكومة عمان ، وهم لا يخفون انهم صنائع الروس يستخدمون الروس والالمان الشرقيين فى تجرباتهم وقواتهم المسلحة التى تعمل على اقلاق امن عمان . وبين صنائع الشيوعيين من ناحية واخطار الفوضى السياسية فى ايران ، تجد عمان نفسها المسئولة الوحيدة عن امن الملاحة فى مدخل الخليج .

ولقد رأى الصحفى الالمانى سفنا من كل نواحى العالم تحمل بضائع شتى ، فهذه سفينة تنقل سيارات برازيلية تحمل على ظهرها ٥٠٠ سيارة يابانية لتفرغ حمولتها فى البحرين . ومن اعجب ما رأى سفينة تنقل مواد كيماوية سائلة لازمة لمطالب الصناعة فى دول الخليج تمر بين سفينتين حربيتين امريكيتين .

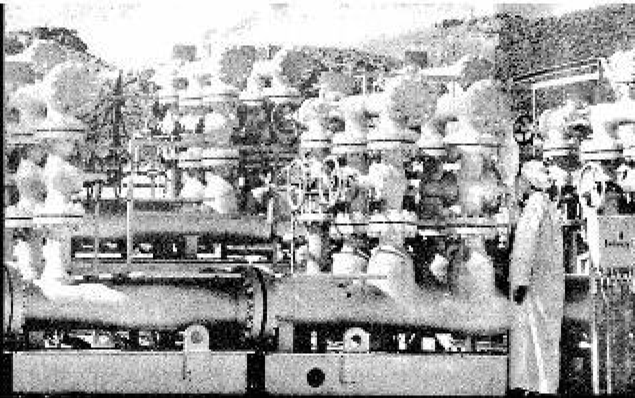
وقد قال أحد الخبراء الملاحين العاملين فى خدمة حكومة عمان : ان اغراق سفينة واحدة فى ممر هرمز لا يمكن أن يقفل الممر فى وجه الملاحة ، فان عرض الممر

صورة طريفة جدا لاحد موظفى ادارة الوالى ،الموظف جالس الى مكتبه فى الهواء الطلق تحت نخلة . هنا مكتب الرجل وهو يقوم بعمله طول النهار تحت هذه الشجرة : انه يقضى حوائج الناس ويوصل الشكاوى ومكاتبات اصحاب الحاجات الى الوالى .





الى زمن قريب كانت الابل والنجب هي الثروة الكبرى في كل اقطار الجزيرة . ولا تزال عمان تفخر بان لديها أفضل سلالة من الجمال الأصائل المشهورة بقوتها وقدرتها وسرعتها وألبانها - وبينما تخلى الكثير من أبناء شبه الجزيرة عن الجمال فما زال العمانيون حريصين أشد الحرص على جمالهم . وفي الصورة نرى عددا من الجمال العمانية متجهة نحو البحر لتشرب بعد سياحة الغروب .









ثلاث صور تصور الحياة في سلطنة عمان اليوم . الاولى من اعلى لعمال في حقل من حقول البترول في عمان . انهم يعملون في الحقل ثلاثة اسابيع ثم يأخذون الاسبوع الرابع اجازة يقضونها في المدينة . والثانية تمثل ضربا من مضارب خيام الاعراب ترى في الصورة سيارة يابانية وجهاز تليفزيون يعمل ببطارية السيارة . والصورة الثالثة لنساء عمانيات بالحجاب الكامل . بعض العمانيات تحجبن حتى عن الازواج !

ميناء من موانئ تصدير البترول العماني . ان البترول يوجد في داخل البلاد في الاقاليم الجبلية . وهو يجري بعد استخراجه في انابيب طويلة تصل به الى البحر حيث ينقل الى الناقلات التي تحمله الى الخارج . هنا نحن في مركز من مراكز ضخ البترول .

كما قلنا ٤٤ كيلو مترا . ولكن الخطورة تأتي من التهديد بالزحف السوفييتي من الغرب . فلا شك في انه لو اشرفت على ذلك الممر [illegible] خطرا . وهنا الوقوف الثلاثة وتكون الازمة العالمية .

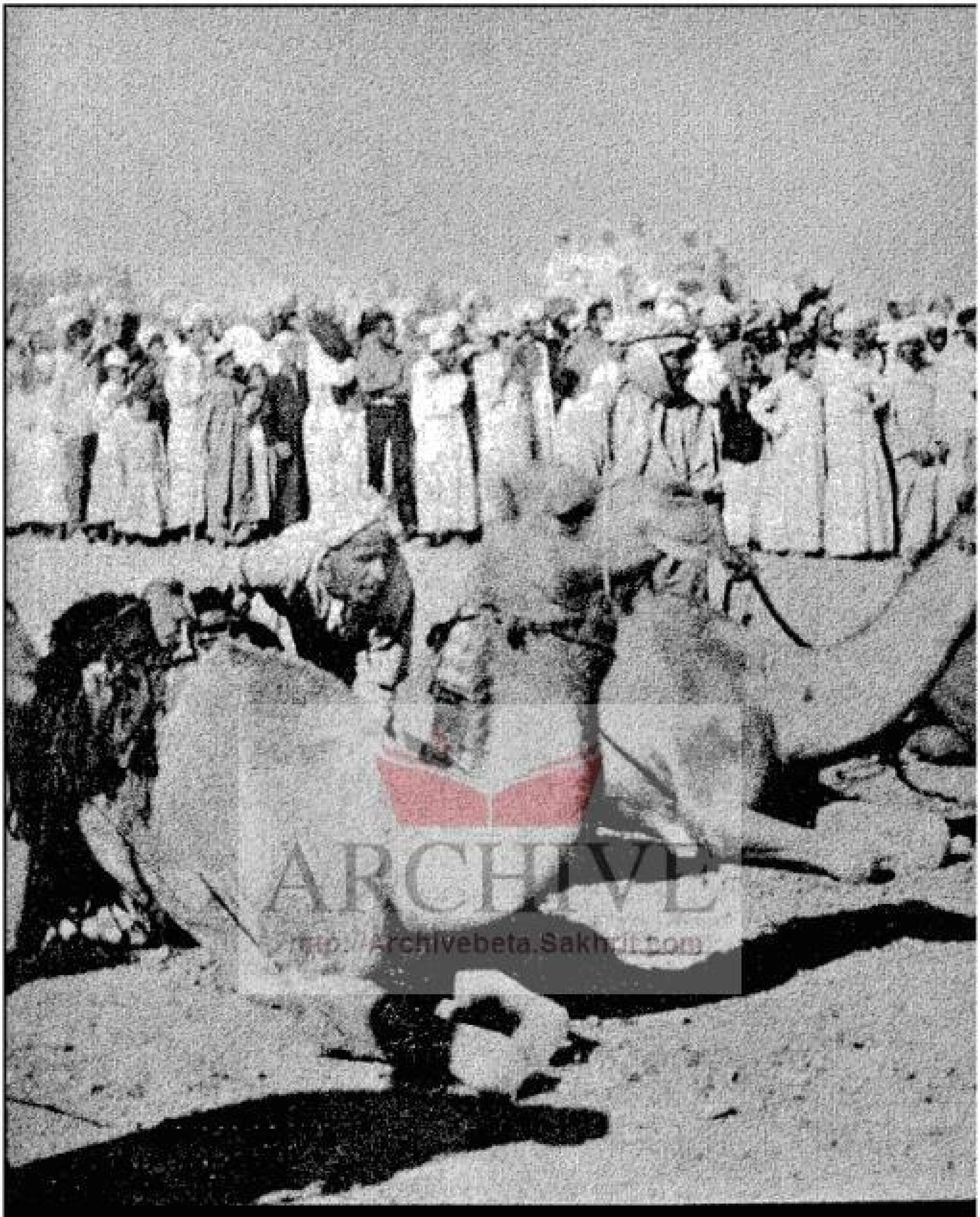
●●●

ان عمان تسير في طريق التقدم بخطى ثابتة ونظر بعيد مستنير . لقد حكم السلطان قابوس الى الآن عشر سنوات استطاع خلالها ان ينقل البلاد بحكمته وبعد النظر نقلا كبيرا . فمنذ [illegible] لم يكن في السلطنة الا ثلاث مدارس ! (ليس فقط طبعا) وكان هناك مستشفى واحد تديره احدى الارساليات التبشيرية . ولم يكن هناك الا طريق واحد مرصوف طوله عشرة كيلو مترات . واليوم يوجد في عمان ٣٥٢ مدرسة يدرس فيها ٨٩٥٠٠٠ تلميذ من بينهم ٢٦٥٠٠٠ طالبة . واصبح طول الطرق المرصوفة ١٢٠٠ كيلو متر . والعمل مستمر بغاية النشاط في مسقط ومطرح ونزوى وغيرها من مدن السلطنة .

وثروة عمان من البترول تتزايد يوما بعد يوم فقد بلغ الصادر من البترول العماني الى الآن ٣٦٥٠٠٠ طن يوميا . ويبلغ دخل عمان من هذا البترول ٢ بلايين دولار في العام . وهذا المبلغ في زيادة .

ان عمان بلد عربي اصيل له تاريخ حافل . وهو اليوم يسير في طريق التقدم بخطى ثابتة وعقل رشيد . وهو يحمي مستوياته القومية والدولية بحكمة وبعد نظر . وعمان من هذه الناحية بلد جدير بتقدير كل عربي صادق واعجابه .

● د . حسين مؤنس ●



سباق الجمال يعتبر من الرياضات المحببة الى أهل عمان • وفى الصـــورة ترى جمال السباق ترتاح بين شوطين من أشواط السباق • وجمهور النظـارة ينتظر اشارة البدء فى شوط جديد • الجمال العمانية مشهورة بسرعة عدوها •

عصفور الكناريا

● حسين على محمد ●

اه سقط البلبل من فوق الغصن
وانا قلب مصبوغ بالحزن
من سيغنى للعالم بعدك
والعالم كان يغنى .. يرقص .. يتالم
آه .. يا من علم صوتك كل الناس الحب
جعل العالم مشبوب القلب
يتحرق ابدا للقيا
ويخاف فراق المحبوب ..
لكن الحنجرة احترقت ...
سقط البلبل ... فانسكبت
كل الالحان المصبوغة بالدمع المسكوب !
يا من علمنا الحزن ونحن صغار !
من انساك تقول :
الليل يجىء اليكم بالاعصار ...
الليل يجىء اليكم فيه المطلق والمجهول ؟!

الجغرافيّون العرب

● محمد قنديل البقلي ●

● ما من شك في ان العرب قبل ظهور الاسلام كانت لهم محاولات تتسم بصفتها الجغرافية ، فلقد افادتهم رحلاتهم التجارية شمالا وجنوبا الى اختراق آفاق والمرور ببلدان وسلوك طرق، فعلمتهم هذه كلها وما اليها التعرف على الاقاليم والبلدان والاماكن ، فوصفوا ذلك كله .

ومن هنا يصح لنا ان نسمي تلك الملاحظات التي افادها العرب وعرفوا بها ما راوا بالجغرافيا الوصفية .. ومن هنا يحق لنا ان نقول ان الجغرافيا الوصفية كانت اول شيء بدر من هؤلاء العرب الاوائل ، وان كان ثمة جغرافيا غير الجغرافيا الوصفية سبقتها في البيئة العربية .

فنحن نعلم ان العرب كانت لهم في بداوتهم الاولى صلة وثيقة بالسماء ونجومها يعرفون عنها الكثير لا عن علم كعلم اليوم ، ولكن عن تجارب عاشوها هم وآباؤهم ، ورثها الاباء للابناء وورثها الابناء للا . د .

وعلم العرب هذا بالسماء هو مانسميه اليوم بالجغرافيا الفلكية ، وهكذا نستطيع ان نقول ان العرب قبل الاسلام كان لهم صلة بالجغرافيا جاءتهم عن ارتباطهم بالسماء اذ كانوا على نجومها وهديها يضربون في البيداء ، ثم كان لهم من رحلاتهم ما استملوا منه ذلك الوصف للبلاد التي زاروها والطرق التي سلكوها والمشاهد التي شاهدوها .

وحين ظهر الاسلام اتسعت على العرب الافاق وانبسطت تحت ارجلهم رقعة الارض من هنا وهناك ، واتصلوا بامم افادوا منها ما مكن لهم في هذين الفنين الجغرافيين : الجغرافيا الفلكية ، والجغرافيا الوصفية . فنمت مداركهم واتسعت عقولهم للكثير ، وكان من ورائهم الخلفاء يشجعون هذا كله بما ادخلوا من علوم ، كان لعلم الجغرافيا منها نصيب كبير ،وبما ترجم في عهودهم من كتب في الجغرافيا ، ثم بما سخوا به في سبيل تشجيع الرحلات لا سيما ما كان من الخليفة الواثق الذى حكم نحوا من خمس سنين ، فلقد ولى الخلافة سنة ٢٢٧ هـ الى سنة ٢٣٢ هـ ، وكان يقال عنه انه من مشجعي الرحلات ...

وكما عرف العرب البر ، عرفوا البحر ، فكانت لهم رحلات بحرية الى الهند والصين .

وصلة العرب بالجغرافيا عن طريق النظر فى السماء ثم الرحلات البرية نشأ عنها كذلك ادب جغرافى تجده موزعا فى ثنايا الكتب التى عرضت للحديث عن هذه الفروع الجغرافية الثلاثة من وصف أدبى دقيق ، ومن شعر يقال احيانا على لسان البلدان ، ومن قصص حاكه هؤلاء الرحالة العرب عما رأوا وشاهدوا .

ولقد يعد مؤلف ابن خرداذبة : « المسالك والممالك » اول مصنف وصلنا عن العرب فى الجغرافيا الوصفية .

وابن خرداذبة هذا واسمه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ،وهو فارس الاصل وكان جده مجوسيا فيما يقولون ، ولقد عاش فى ظل الخليفة المعتمد (٢٥٦ هـ ـ ٢٧١ هـ) وكان من ندمائه ومن أصحاب النفوذ فى بلاطه بسامراء .

ونشأة ابن خرداذبة العلمية هى التى مكنته من هذه المكانة ، فلقد تعلم الكثير حتى الموسيقا والغناء اللذين تعلمهما على اسحاق الموصلى .

والقارىء لكتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة يكاد يحس أثر الادب فيما جرى به قلم ابن خرداذبه من وصف للطرق التى تخرج من بغداد شمالا الى آسيا الوسطى ، وجنوبا الى الهند ، كما يرى القارىء فى هذا الكتاب تقسيم ابن خرداذبة للادارة والخراج ، وتغلب عليه صفته الادبية فيسوق استشهادات شعرية ، ثم هو وصاف فى كتابه دقيق الوصف ، فلم يفته شىء مما تقع عليه العين ويحسه الطرف أو تسمعه الاذن أو فى خياله الا عرض ذلك كله فى وصف دقيق أدبى رائع .

وفى ذلك العصر أى فى حوالى القرن الثالث الهجرى الى ما بعده بقليل عاش مؤلف جغرافى آخر هو اليعقوبى أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح ، الذى كانت وفاته سنة ٢٩٢ هـ .

وكتاب اليعقوبى فى الجغرافيا الوصفية المعروف باسم : « البلدان » يكاد يلقى اسمه ضوء على مضمونه ، فلقد كان اليعقوبى فى كتابه هذا « البلدان » وصافا أديبا ، ووصفه المسهب لبغداد وسامراء الذى استوعب نحوا من ربع الكتاب تقريبا يعطيك فكرة طيبة عن دقة اليعقوبى فى الوصف دقة أدبية فاقت تلك التى سبقه بها ابن خرداذبة .

ولقد كان لكتاب اليعقوبى هذا أثر كبير فيمن جاء بعده مثل الادريسى ،وياقوت ، وأبى الفداء ، ويعده أبو الفداء مصدرا من مصادره التى اعتمد عليها .

ومع هذين الرجلين نجد جغرافيا آخر وصافا معاصرا لهما ، هو البلاذرى ، واسمه أحمد بن يحيى بن جابر ،والمتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وكتابه : فتوح البلدان .

وهذا الكتاب ـ أعنى كتاب فتوح البلدان ـ يشبه أن يكون تاريخا للفترة الاولى للفتوحات الاسلامية ، فهو يتحدث فيه عن جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حروب الردة ثم فتوح الشام والجزيرة وأرمينيا ومصر والمغرب والعراق وفارس .

ونجد البلاذرى يعنى عناية كبيرة فى

كتابه هذا : فتوح البلدان بالسكان والابنية الشهيرة .

ونستطيع أن نسوق مع هؤلاء الجغرافيين الوصافين ابن الفقيه الهمداني أحمد المتوفى سنة ٢٩٠ هـ ، وكتابه : البلدان ، ثم ابن رسته أبو على المتوفى سنة ٣٠٠ هـ ، وكتابه : « الاعلاق النفيسة » ، ثم قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٢٩٥ هـ .

وكتاب قدامة : « الخراج » وإن لم يكن جغرافيا بحتا فنستطيع أن نعده مدخلا الى علم الجغرافيا ، اذ هو يعتمد كل الاعتماد على ذكر البلدان قبل دخوله الى تقدير الخراج عليها .

وهكذا كان هذا القرن الثالث الهجرى حافلا بالجغرافيين الوصافين من العرب ، ثم هو بحق كان اول القرون الهجرية التى شغل فيها العرب بالجغرافيا الوصفية تاركين جانبا الجغرافيا الفلكية التى كانت اسبابها أسبق الى الوجود من اسباب الجغرافيا الوصفية او كانت على الاقل تقدير معاصرة لها .

فمنذ كانت الرحلة العربية فى البادية شمالا وجنوبا كانت صلة العربى بسمائه يتعرف نجومها ويتتبع مواقعها ويربط ذلك باتجاهه الاتجاه الصحيح السليم الذى لا يضل معه طريقه فى تلك البادية الصماء ، فما من شك فى ان تعرف العربى بسمائه كان صنوا لرحلاته حيث بدات هذه بدات تلك ، ما تظن ان واحدة منهما جانبت الاخرى .

وقد تكون الرحلات بمشكلاتها ومتاهاتها هى التى املت على العربى تلك النظرة الى السماء يتعرف مواقع الخطو والهداية فى سبله التى يجتازها .

من أجل هذا كنا نظن انه كما نشأ المليان معا ينشأ ما يقل عنهما معا أيضا، اعنى انه كما نشأت الرحلات والنظرة الى السماء معا ، كنا نظن أن الجغرافيا الفلكية والجغرافيا الوصفية تزدهران معا، فحيث تكثر المؤلفات فى الجغرافيا الوصفية تكثر المؤلفات فى الجغرافيا الفلكية .

وكما نظن ان القرن الثالث الهجرى كما حفل بجغرافيين وصافين كذلك يحفل بجغرافيين فلكيين ، ولكن الامر اقتصر فى القرن الثالث الهجرى على جغرافيين وصافين دون الجغرافيين الفلكيين . ويبدو ان مرد هذا كان الى أن الجغرافيا الفلكية بدأت تعتمد على مقاييس علمية لا سيما بعد أن خالط العرب الامم الغربية وأخذوا عنهم الاصول العلمية .

وكانت نشأة عالمنا الفلكى البيرونى ابى الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ وكتابه : « القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم والجغرافيا» يشهد له بطول الباع وانه بز فيه الغربيين قاطبة ممن سبقوه ، ثم حسبه ان هذا الكتاب لا يزال عمدة للدراسات الحديثة ، ثم حسبه ان له كرسيها باسمه فى بعض جامعات الغرب .

قصة

ولد و شجرة

● حسين عيد هادى ●

(١)

يجذب الولد الصغير امه نحو النافذة : الرين هذه الشجرة المحصورة بين المساكن ، وبين قضبان السكك الحديدية هزت الأم راسها بالايجاب .

يتساءل ببراءة : لماذا هي وحيدة ؟!

لم تجبه الأم فورا .. لكنها لم تنس السؤال !

(٢)

يندمج مدرس العلوم في الشرح بحماس : للنبات اشكال مختلفة ، منها ما هو صغير الحجم ، كالخضروات ... ومنها ما هو ضخم ، عملاق ، كالغابات . حيث تنمو الاشجار متجاورة ، متلاصقة تتشابك اغصانها ..

يقاطعه تلميذ الصغير : لماذا تنمو الاشجار متجاورة ؟!

يفتر حماس المدرس . يحملق في الطفل مفكرا . كيف يبسط له الظروف الطبيعية المتوفرة بالغابات ، التى تهيء فرصة النمو والحياة للنبات والحيوان معا ؟

يختصر الطريق : انها حكمة الله يا ولدى ..

لم يعلق التلميذ بشيء ، لكنه لم ينس السؤال ..

(٣)

تمدد تحت شجرة ضخمة . انبسطت خضرة الاعشاب فى مرمى البصر . نهض يستكشف المكان ، اى شجرة - كالقريبة من بيتهم - تجاورها اشجار اخرى ، تظلل سيقانها نباتات متسلقة لا يعرفها انصت لخرير جدول مياه قريب . لكن اين الشمس ؟ .. هل ضاع الطريق من قدميه ، فسقط فى تيه الغابة وحيدا ، دون اليس ؟!

حاول أن يصرخ طالبا النجدة ، لكن صوته لم يسعفه .. زاغ بصره فى مختلف الارجاء .. هل حكم عليه ان يتوه دون ان تدرى امه ؟!

تزحف يد الطفل اليمنى على السرير متحسسة ، متاكدة من وجود امه نائمة بجواره . تتشبث بجسدها كالنقد . ثم يمضى - مطمئن البال - يتجول فى الغابة متمهلا .. يحاول ان يتعرف على عالمها السحرى ، الطبيعى ..



قصة

لقاء..

● شوقي فرج ●

تراصت الجموع فوق الكراسي، يلفهم صمت رهيب يتخلله أصوات النسوة يطلقن عويلهن وصراخهن – « مات نصار الاكبر » .. جلس عبد الستار أكبر الابناء في صدارة الجموع ، وقد عقد يديه فوق عصاه ، بينما امتد بصره عبر الطريق وكأنه ينتظر مجيء شخص ما ، ثم ما لبث ان نهض من مكانه ، مرق وسط الجموع يتمتم والعبرات تكاد تخنقه :

– شكر الله سعيكم يا رجال ..

عاد ليجلس مكانه وهو يود ان يسد اذنيه كي لايسمع صراخ النسوة وعويلهن الذى يقطع نياط قلبه .. « فلتسكت تلك النسوة والا اخرستهن بعصاى ! »

مال عليه احد اخوته يهمس باذنه وهو متجهم الوجه عبوس :

– عبد الستار الم تقل لى انك قد ذهبت اليه امس ؟ ..

– اجل ، ذهبت اليه .. الا صدقني ! .. قال لى انه سيأتى عند خيوط الفجر الاول .

– كأنه ليس اباه الذى مات !

تنهد عبد الستار وهو يغض بصره أسفا ويقول :

– ولا حتى اخانا ! ..

كظم عبد الستار غيظه .. الحصر تفكيره في شقيقه جاد الذى لم يأت بعد ، بينما الساعة قد جاوزت الظهيرة .

« جاد أيها الابن العاق .. لماذا لم تأت حتى الآن .. أتراك قد نسيت ! . وكيف تنسى ؟ .. أتأتى من النجع لتشاطر الناس احزانهم ، ولا تأتى لتشييع جثمان والدك ؟ أى عار هذا ؟! وأى غطرسة تلك التي غلفت قلبك .. والدنا نحن ، الذى ملأ القرية وملك فيها ودانت له السيادة على قومها .. الم تقلها ذات يوم .. « لن أمشى وراء نعشه يوم يموت » .. صدقت اذن .. وها أنت تفي بما قلت .. لقد كنت أعز منا اليه . وأنت الوحيد الذى وقف في وجهه تتهمه بالصلف والجبروت .. كان ذلك يوم معركتنا مع الزمايرة ، ويومها وقفت تصد عنهم . وباتت القرية كلها تتساءل : معنا كنت أم علينا .. الم أقل لك أمس .. لاداعي للتباكي والعتاب .. كان ما كان ولا داعي لنبش الماضي . بل ويكفيك أن الرجل قد أوصى أن ترث مثلنا .. وأنت ،أنت ابن ضاربة الودع التي تزوجها نصار وأعتبرتها أمنا نحن خطيئة لن تغفرها له أبدا .. يقيني انك لن تأتي » .

نظر عبد الستار الى معصم يده .. الساعة جاوزت الواحدة ، أشاح بعصاه صائحا :

– لنمض الآن ..



خرج النعش تحف به من حوله وخلفه الرجال ، بينما راح عبد الستار يتفرس وجوههم ٠

« ها هم الدعابسة والزمايرة ، أخبروني بربكم ٠٠ جئتم تشاطرونا الاحزان ام ماذا ؟ ٠٠ أعرف ان لكم عندنا الف ثار ٠٠ حرقنا زرعكم وسممنا مواشيكم ! ٠٠ سلبنا أراضيكم ورملنا نساءكم وواحدة منهن تزوجها جاد اللعين متحديا اياه ٠٠ كان يقف دائما بجانبكم يصد عنكم وترضون لحكمه ، بل لقد جعلتموه يوما يقف في وجه أبيه ويعلو صوته ٠٠ وهل في القرية كلها من يعلو صوته فوق صوت نصار ؟ ٠٠ تعرفون ابانا جيدا ، يومها ضربه بالسوط حتى أدمى جسده » ٠

تململ الناس وهم يسيرون خلف النعش ساعة الهجير ٠٠ أمتعضوا وتساءلوا فيما بينهم ٠

ــ جاد لم يات حتى الآن !

ــ ان لم يات فستعلنها حربا على آل نصار ٠

ــ لا، نحن باقون على جاد ٠٠ تعرفونه جيدا ، لا يرضى الا بالعدل ٠

ــ سياخذ كل ذى حق حقه ٠

ــ الى الجحيم اذن ايها الغراب العجوز

ــ الويل لك يا عبد الستار ٠٠

اقترب النعش من المقابر : تفرس عبد الستار وجوه الدعابسة الصارمة ونظرات الزمايرة المترقبة ٠ راح يجهش بالبكاء ٠

« من كان يصدق يا أبت ٠٠ انه الموت ، قضاء الله ٠٠ أو تتركنا وسط هذه الصقور العجوزة بما تحمله من رواسب الماضي ! ٠٠ سندفع الثمن غاليا ان لم يات جاد ، فهو مخلصنا منهم وبينه وبينهم صلة رحم ولا يرهبون بعدك الا غيره ٠٠ لن يبعنا لهم ، ولن يجرؤ أحد على المساس منا ٠٠ جاد أخانا ومن صلب نصار وان اختلف الماعون ، ليته يأتي الآن ليخرجني من هواجسى تلك وما هي بمهاترات ولكنها حقيقة واقعة » ٠

اتجه النعش نحو القبور ٠٠ اعترض طريقهم نعش آخر يسير من خلفه نفر قليل وامرأة غطى الطين وجهها ٠٠ أشاح عبد الستار بعصاه وهو يصيح ٠

ــ انتظر ٠٠

اقترب من النعش الآخر ٠٠ فاللم اليه شاب صغير بادره بقوله :

ــ سيدى عبد الستار ٠

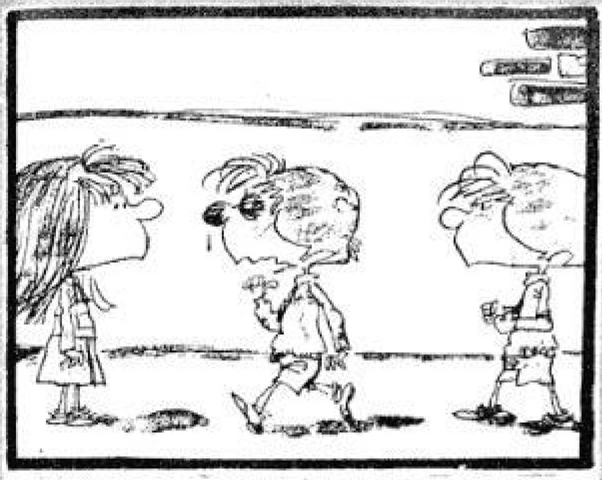
ــ سانه عبد الستار فى غلظة وكبرياء؛

ــ نعش من هذا يا ولد ! ٠٠

اجابه الفتى وقد تكونت الدموع بعينيه ثم ما لبث ان انفجر باكيا :

ــ انه نعش اخيك سيدى جاد ! ●●

كاريكاتير
جيل جديد جدا



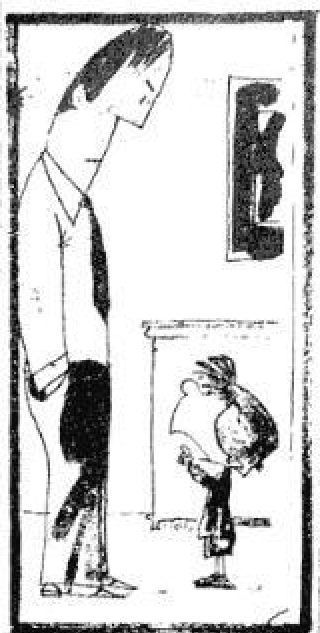
الولد للبنت : حصل خير .. صحيح هو كسرلي النضارة ولكن معلهش .. ادیني فرصة كام يوم بس وانا اكسره لك !.

الولد لأمه : ماتخافيش عليه أبدا .. بسيطة والحمد لله .. أصله كان بينافسني في مباراة نط الحبل ..!!





الولد لابيه : فعلا التعبير بتاعتى وحشه .. والسبب انه فى المدرسة بيدوا نمر وحشه .. احسن بقى تنقلنى منها وتشوف لى مدرسة بتدى نمر حلوه !..



الولد لابيه : هو انت بس اللى دايما عندك حق ! .. ما تيجى يا اخى نقسمها بالعدل: يوم انت عندك حق ، ويوم انا عندى حق !!.

الولد لصاحبه : بس يا عم واتفقت انا ف السر مع المدرس الخصوصى يعمل لى خصم من اجر الدرس ، اقبضه انا .. واصرفه انا ؟؟



قصة

لا ضوء في المرفأ!

● محمد كمال محمد ●

● من شرفتي كنت ارقب حركة الصبي عند العصر .. كان يغلق ضلفتين من باب الدكان القديم ، ويشب بساقيه الجريديتين تحت جلبابه القصير ، لينقل قوس التنجيد ويعلقها بصدر الضلفتين المفتوحتين تجاه الخرابة القديمة ، وكان ظهره يتقوس امام كيس القطن الهائش ، فتنفر فقرات سلسلته كحبات الحصى .. وترتفع مؤخرته الضامرة ككرة فارغة من الهواء عندما يزحزح الكيس الى شمال الدكان، وكان بعد أن يلتقط الدلو الفارغ ليركض الى عشة القهوة في ركن الخرابة، يقابله معلمه بعينه الزجاجية عائدا من غداء البيت ، فيتعجله بلطمة على قفاه البوص .. بعدها كان يقف المعلم في فراغ الدكان متجها بعينه ناحية الخرابة، واضعا قدمه على العتبة الخشبية المرتفعة حتى يجيء رفيق الجوزة والقوالح المشتعلة في كوز الصفيح الواسع يحملها الصبي من عشة القهوة ..

عندما سكنت شقتي من أيام دعوت المعلم لينجد لي حشيتين قديمتين ووسائد المقاعد بقماش جديد .. كان طول الوقت يمتص الأفيون في شدقه ويطلب أكواب الشاي المغلي .. دس في مخلته الدمور قطع القماش الفائض ، وقال ، يترضاني ، أنه سيرسل الى الصبي كل يوم ليقضي لي الاشياء .. أوصيته به فحلف أنه يكرمه كابنه ! .. طلب أجرا عاليا وابتسم كثعلب : «اكراما لخاطرك»

وكان الصبي كل يوم ينقذف خارج الدكان ناشجا بالبكاء . ويتوقف وسط الشارع يوجهه ناحية الباب .. عندما ترتفع من داخل الدكان صيحة المعلم لاعنا اياه يأمره بالدخول ، فيطيع .

عندما كان يجيئني كانت عيناه تجوس في الشقة التي لا يسكنها سواي . كان يقول لي انه ينام عند واحد من مدينته البعيدة في عشه طينية راقه جنب شريط القطار .. وكان يشكو خوفه من ليل المنطقة المهجورة هناك في الخرابة الواسعة ، كان يحتمي بي ليلة رأيته المرة الاولى : شيء صغير يجري في جوار قدمي لا أكاد انتبه اليه .. عندما اجتزت ظلام الخرابة قفز الشيء من جانبي الى ضوء الشارع ، وهرول ليدخل الدكان بمخلة كبيرة تدلت في يده تضرب قدمه الحافية ..

كنت اقدم له شيئا من الطعام ملفوفا في ورقة . فيختطفه من يدي بتلقائية ، وينتبه فيمد يده به الى ليعيده ، يتمتم يشكرني .. يصر رافضا كلما حاولت . في مرات كان يفتح اللفافة هاتفا بلهفة :

ـ « ما هذا ؟! »

تلتهم عينه الطعام ، ولكنه يسترد نفسه .. يغمغم بالشكر ، يرده ..

وددت أن أراه يأكل أمامي ، أو يغادرني بالطعام راضيا ، فأطل من الشرفة عليه لأجده خارجا من باب البيت للدكان فارغ اليدين ! .

●●●

ـ « تعبت من الدكان ! »

شكا الصبي منخفض الصوت ..

نظرت الى خديه اليابستين بصمت عطوف ، تعلقت عيناه الواسعتين بي :



ـ نادني من عنه المعلم . ليس مرة في اليوم ، لاجلس معك . هه .. يا عمي ؟
لم انطـــق لتـــوي ، اهتـــززت .. « يا عمي » .. ذابت المسافات بيننا .. وامتد الجسر . حط على صدرى الحمل الثقيل .. انضغطت حتى الانسحاق . فليس في الطوق فعل شيء . ولربما لن يلقى عمره نقطة ضوء ..

●●●

في العصر جاء الصبي بكوز الفوالح لمعلمه وقف أمام باب الدكان .. تقوست رقبته مقربا وجهه من الفوالح . كان عليه أن ينفخ فيها لتتوهج قبل أن يدخل بها تطايرت شرارات لكومة القطن المرتفعة في فم الكيس .. اضطرب الصبي .. القى الكـــوز على الارض وارتمى على الكيس يغترف بكفيه الملتقتين القطن المحمـــل بالشرارات .. اندفعت يد المعلم من الدكان .. تطايرت صرخته الى أذنى قبل أن ينفلت خارجا .. ســـقط على وجهه عندما علقت قدمه بالعتبة ،فنهض بسرعة لم يتوقف هذه المرة وسط الشارع .. جرى يعوى في الخرابة ..

●●●

قرب الميدان الواســـع الذى تلهبـــه شمس الظهر ، توقفت بي عربة الاجرة وسط الشارع خلف صف من العربات للضوء الاحمر . من النافذة لمحت الصبي يقفز أمام العربة المجاورة ليمسح بلهوجة مقدمتها بخرقة في يده .. أطللت له . توهجت في عينيه ابتســـامة .. خف نحوى بلهفة .. رفع يده الى جانب رأسه بتحية محبة .. ودفع من النافذة ذراعه من آخرها متمددة الكف .. بصـــوت عال هتف :

أهلا ! ! ! يا ..

تراجعت ذراعه فجأة وانقبضت كفه متمتما بصوت انخفض قليلا :

ـ يا بك !

لطمت صدرى الكلمة . كبحت نظرة عتاب .. لحقت يده فأمسكت بها على حافة النافذة :

ـ ما الذى تفعله هنا ؟

ـ اشتغل ! هذا أول يوم ..

قلت باشفاق :

ـ لكنك لن تتعلم مهنة !

بانكسار قال :لا اريد العودة للدكان!

انبثق الضـــوء الاخضر من بعيد . وددت ان اغادر العـــربة لاتكلم معه .. سألته بعطف :

ـ هل تريد شيئا ؟

ابتسم مترددا في حياء ، انحنى على النافذة هامسا :

ـ اريد ان اشترى فوطة صفراء ..

تحركت العربة ويدى تمتد الى جيبي . جرى الصبي جنب النافذة ..

عندما اخرجت يدى كان يركض خلف العربة ..

لوحت بيدى من النـــافذة والقيت بوريقة النقود .

استدرت ارقبه من خلف الزجاج .. كان بعيدا يجـــرى بوجهة ناحيتى .. كانت عيناه تبحثان عابرة اسطح العربات الفارهة ، لتحوم حول رأسى ●●

في مهرجان برلين

العودة - مرة أخرى - إلى الأعمال الأدبية

● ماري فضبان ●

● في مهرجان برلين الاخير والذي اقيم في الفترة من ١٢ الى ٢٢ فبراير الماضي - اشتركت الولايات المتحدة بثلاثة افلام كبيرة .. كلها مرشحة لجوائز الاوسكار القادمة ، ونالت جميعها جوائز النقاد الامريكيين ..

والافلام الثلاثة تمثل ظاهرة كانت مختفية بعضا من الوقت ، هي ظاهرة اقتباس سيناريوهات الافلام عن اعمال ادبية كبيرة - سواء كانت مسرحيات ، ام روايات ، ام قصص لترجم حياة شخصية من الشخصيات .

وليس هذا بجديد على السينما الامريكية ، فقد سبق ان نقلت اعمالا ادبية كبيرة لكتاب كبار امثال اوجين اونيل ، وآرثر ميللر ، وهال آشبي وغيرهم من الرواد في الكتابة الادبية . ولعل السبب في هذا ، هو روعة تلك الاعمال والصدق المتمثل في ثنايا العمل الادبي الجيد وما يتضمنه من مضامين اجتماعية او نفسية ، او سياسية .. سريعة التأثير ، وقريبة من الحقيقة التي يحرص المشاهد السينمائي على معرفتها ..

من هذه الافلام - ثلاثة .. مثلت امريكا في مسابقة المهرجان الاخير ، هي « الثور الثائر » المقتبس عن قصة حياة « جاك لاموتا » بطل الملاكمة والتي كتبها بنفسه وهو مازال على قيد الحياة .. وقد قام بتمثيلها في السينما النجم « روبرت دي نيرو »

والفيلم الثاني يحمل اسم « تكريم » مقتبس عن مسرحية بنفس الاسم تأليف « برنارد سليد » ، وقام بالبطولة سينمائيا « جاك ليمون » الذي قدم نفس الدور من قبل على مسرح برودواي

والفيلم الثالث « الناس العاديون » وهو - ايضا - مأخوذ عن رواية الكاتبة « جوديث جيست » وقد مثلها « دونالد ساذرلاند » وماري تايلورمور » .

والاعمال الثلاثة مختلفة المضامين والغاية .. ففي « الثور الثائر » نرى الفيلم وقد صور بصدق احاسيس شخصية عاشت حياتها في بداية الامر تتطلع الى المجد والشهرة والبطولة ، في ظروف مالية واجتماعية قاسية ... حيث ولد « جاك لاموتا » فقيرا ، تعيسا ، ذا نفسية مشوبة بالقلق .. لكنه اخذ يصارع هذه الظروف بكل طاقة لديه ، ويتغلب على ما يقابله من صعوبات في مجال الملاكمة حتى يحقق في عام الف وتسعمائة وثمانية واربعين ما يريده ، ويصبح بطل العالم بانتصاره على خصمه « مارسيل سيردان » ... لكنه في الجانب الاخر من حياته .. يفشل في

زواجه الاول والثانى ، وعلاقاته مع اخيه ؛ وكانت مشوبة دائمـا بالعنف والخلاف .. وفى النهاية ، وقد خسر فى آخر مباراة له ، يترك الملاكمه ويدير بماله ، ملهى ليلى فى ميامى « بفلوريدا » ، حيث ينتهى به الامرالى السجن لارتكابه احد الاعمال غير القانونية ..

والفيلم فى مجموعه يصور الانفعالات النفسية الكامنة فى اعماق البطل وصراعه بين المجد وواقع حياته التعيسة .. ولكى يبرز المخرج هذه الاحاسيس المظلمة ، صور الفيلم « ابيض واسود » ، واختار لتمثيله النجم روبرت دى نيرو ، لقرب الشبه بينه وبين صاحب القصة الاصلية ، وبعد أن مكث عاما كاملا يتدرب على الملاكمة مع « جاك لاموتا » بنفسه ..

واخرج الفيلم « مارتن سكورسيسى » الذى شاهدنا له فى القاهرة فيلم « سائق التاكسى » .

اما الفيلم الثانى « تكريم » فقد صور المسرحية فى اسلوب سنتمنتالى كوميدى ، يحكى قصة صراع بين اب وابنه البالغ من العمر احدى وعشرين سنة ، بعد ان طلق زوجته التى آثرت الطلاق لاستحالة الحياة مع زوجها المنصرف عنها دائما الى اعماله والتى لم تجد منه الحنان الكافى لاستمرار الحياة الزوجية .

وهذا الصراع بين الاب والابن ، والذى يتمثل فى الطباع المختلفة لكل منهما . فالاب بعيد دائما عن ابنه ، من صفاته اللامبالاة باى شىء يخصه .. اما الابن فهو خجول منطو دائما على نفسه » .. ومن هنا نشا الخلاف الحاد بينهما فى الفكر ، فى اسلوب التعامل مع الحياة ...

والفيلم يشبه الى درجة كبيرة فيلم « كرامر ضد كرامر » الذى شاهدناه فى القاهرة ، مع اختلاف فى اسلوب التناول وفى الشخصيات .. فالاسلوب هنا كوميدى مرح .. وهناك درامى لكن فى رقة .. والابن هنا يكبر الابن الاخر بخمسة عشر عاما ..

ولعل صدق الفيلم فى التعبير يرجع الى ان كاتب العملين واحد ، وهو « برناردسليد » ، وكان اثناء كتابته واضعا فى اعتباره ان « جاك ليمون » هو الوحيد الذى يستطيع ان يؤدى هذا الدور

اخرج الفيلم « بوب كلارك » الذى هجر امريكا بعد ان انتهى من هذا الفيلم ليستقر نهائيا فى كندا .

والفيلم الثالث « الناس العاديون » يحكى ببساطة .. قصة عائلة امريكية عادية تعيش فى ضواحى شيكاغو ، فى رغد من العيش ولها ولدان كبيران ، يستأثر احدهما بحب الاسرة . اكثر من الاخر .. مما يترتب عليه اصابة الاخر بعقدة نفسية !

الى ان ياتى يوم تقع فيه حادثة ويموت احداهما غريقا بعد أن حاول اخوه انقاذه وتنقلب الحياة السعيدة الى حياة كلها تعاسة والم ودموع .. ويحاول الاخ ، ان ينسى الاسرة هذا الحدث الأليم معطيا لاهله كل حنان ورفق وحب ـ لكن دون جدوى .. ويصاب بحالة نفسية تودى به الى محاولة الانتحار ..

وقد استطاعوا انقاذه فى النهاية ، ثم يبداون فى علاجه عند الاطباء دون ان يعرفوا سببا لهذا التصرف .

هذه القصة تبرز لنا فى صراحة .. وبساطة ايضا تفاصيل هذه المشكلة ، وتقدم نموذجا من النماذج الانسانية الموجودة فى المجتمع الامريكى المعاصر .. اخرج الفيلم الممثل « روبرت ريدفورد » ـ لاول مرة ـ قام بالبطولة الممثل دونالد سازرلاند والممثلة مارى تايلور مور ..

وليس من الغريب ان يفوز احد هذه الافلام بجائزة فى مهرجان برلين .. حيث نال الممثل « جاك ليمون » جائزة الدب الفضى لاحسن تمثيل . ●●

قصة إفـاقـة

● هلال سلامة ابراهيم ●

ما هذا ؟! أين أنا ؟ •• ماذا حدث لى بالضبط؟فى اى غرفة لأى دار انا الآن؟!

يا أهل الدار ! •• يا قاطنى المكان !

•• الا من مجيب ؟!

يا هذا الصمت المطبق ؟ هل اختطفت؟ ماذا الم بى ؟!

أدور برأسى فى المكان •• غرفة ضيقة شاحبة اللون سقفها كان مطليا فى الأزمان الغابرة باللون الابيض •• الجدران تعلوها بقايا من طلاء كان أخضر اللون والترب الآن من اللون الاسود •• منافذه لشرفة ظل زجاجها باللون الأزرق الداكن •• قطعة من الزجاج مكسورة ومثبتة اجزاؤها بالورق المصمغ ••

ما كل هذا ؟! انى مشدود الوثاق •

آه ! انى أشعر بآلام شديدة •• ما السبب ؟ كل ما أذكره انى كنت فى داخل سيارة وماذا بعد ذلك لا أعرف ؟

رأسى ثقيل الوزن •• لماذا ؟! رفعت يدى لأتحسس رأسى • يدى للمرة الاولى لا تطيعنى •• يدى الاخرى تحسست رأسى ، كانت هناك الشاشة واربطة كثيرة تحوطه •• وبدأت يدى الحسرة تتفقد أحوال يدى الاخرى • عثرت عليها •• انها موجودة لكنها مشدودة الى صدرى • ماذا حدث ؟ ••

عل أن أبحث عن باقى اطرافى •• أرى فخذا بساقه ملفوفا أيضا بلفائف واربطة عديدة معلقا ومشدودا الى نهاية المخدع •• لابد أنه فخذى وساقى •• ما كل هذا ؟! أأصبت فى حادث ؟! لابد أن السيارة اصطدمت بأخرى أو انقلبت لان كل ما اذكره انى كنت فى داخل سيارة لو صح ظنى لكنت الآن فى مستشفى !

لكن هل هو مستشفى خال تماما من المرضى والاطباء والممرضات ؟! انى لا أستمع لاية أصوات بالمرة •• أحاول ثانية الوقوف لا أستطيع •• الآلام شديده مبرحة بجسدى الواهن كله •

أبحث عن ضاغط لناقوس طالبا للنجدة •• الرحمة يا ربى •• مكانه خاو وتطل منه قطعتان من السلك المكهرب كنابى لثعبان سام •• أعوذ بالله !

ظللت أصرخ وأتأوه ولا مجيب بالمرة •• كررت الصراخ والصياح بأعلى صوتى •

فجأة فتح الباب •• وتحققت كل الظنون والوساوس ، اذ تيقنت اننى فى مستشفى عام لواحدة من عواصم محافظاتنا •• اذ دخلت ممرضة بلباسها الابيض تحمل فى واحدة من يديها طفلها الرضيع ، وفى الاخرى (ابرة) وقطعة من القطن ••

وضعت وليدها اعلى المخدع الخاوى وتقدمت نحوى ••

ـ ما كل هذا الضجيج والصياح والصراخ ؟ ماذا تريد ؟!

فاجبت بضيق : اننى اتألم يا آنسة واريد ان أعرف اين انا الآن ؟!

ـ انت الآن فى الفردوس ! • انت فى غرفة تطل على نيل القاهرة فى واحد من فنادقها ! •• انك فى مستشفى يا سيد •• والضجة والصياح والصراخ كلها ممنوعة افهمت ؟! ••

فاسترسلت : ـ وكيف حضرت الى هنا يا آنسة ؟!

فقالت ساخرة : ـ فى طائرة خاصة • ولم تمهلنى كثيرا ، اذ سرعان ما قامت بغرس (ابرتها) فى جسدى ورحت للتو فى غيبوبة جديدة •

● هلال سلامة ابراهيم ●

كفر الشيخ

السّباحة في بحر اللّاعودة !

● جمال محمد فرغل ●

يا صافي العينين المانحتين فؤادي زلزال الفرحة ! ..
احتضن هواك حنانك .. احتضن حماما أبيض ! ..
ومرايا لربيع اخضر .. جزرا للياقوت وللمرجان كواكب لآلي ...
فبات القمر الزاهي ...
ما تملك عيناك من السحر الطاغي ...
الوي اجمل من (فينوس) و (ايزيس) !
اسمع صوتك مسكونا باللهفة كعناق علقني بين النار وبين الماء ،
احال الجسم الى عنقود من ضوء ..
يا الباك الفجر الراقص ...
قلبي صار غزالا يتمرد ... واصابع كفي خمس فراشات
اسجد للتيار الآتي من اعماق الاعماق بعينيك واعرف انى ابحر في بحر اللاعوده ...
استسلم للمجداف وللقارب كرماح في دغل الوريقى يغل بالثوره ...
صرت كصاعقة تخترق الموج ...
اشتهى ان اقطف من اشعار (شكسبير) ومن فيلقة الساحر ،
من اشجار الكرز وشجر الياسمين وموسيقى الماس ـ كنوزا من كلمات
ازرعها فوق جبينك ... فوق الصدر المرمر طوقا ...
اسوره تمرح فوق ضفاف اللؤلؤ بذراعيك لرتل حسنك ..
اشتهى ان امتلك حدائق (بابل) فاهادى كل لآلئها ..
اهدى كل كنوز العالم لعيونك ...
لكنى لا املكا الا روحي اهديها .. هل تكفي ؟ ...
لن اطلب ان تهواني فكفاني ان ابصر وجهك ...
لن اطلب ان تهواني فكفاني ان تسمح لى ان اهواك
ولا تغضب ...

●●

تذكرة تفوق

لطلبة الثانوية العامة في الفلسفة..

مسألة المنهج والمعرفة في الفلسفة الحديثة

● حليم فريد تادرس ●
موجه أول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الامانة الفنية لتطوير التعليم

● دارت الفلسفة فى مرحلتها الاولى ـ اليونانية ـ حول مسالة الوجود فكان سؤال العصر اليوناني هو : « ما الوجود ؟ .. وما علته ؟ .. وما الاصل الثابت وراء هذا الوجود المتغير ؟ (١)

وما ان اقبل القرن السابع الميلادى حتى تغيرت المسالة الفلسفية المطروحة ، اذ كان سؤال العصر الوسيط (من القرن السابع الى القرن الخـــامس عشر الميلادى) هو « كيف يقبل العقل ما جاء به الوحى ؟ وهل من سبيل للتوفيق بين العقل والوحى (والفلســـفة والدين) ؟ » (٢) فكانت وجهة الفكـر فى العصور الوسطى دينية محضـة .. وكانت مهمة الفلسفة خلال الف سنة تقريبا ان تؤيد بالدليل العقل ما سلمت به النفوس بالايمان تسليما لا يقبل ريبة ولا

● شهدت أوربا من القرن السادس عشر الميلادي نهضة شاملة مهدت لها ثلاث حركات كبرى هي بعث الآداب القديمة، والإصلاح الديني، ونشأة العلوم الطبيعية والبيولوجية، فضلا عن أن العالم - حينئذ - كان قد امتد أفقه بكشف أمريكا والطريق البحري إلى الهند.

شكا ، ومن هنا أصبحت الفلسفة تابعة للعقيدة ، والعقل عونا لها ..

● بيد أنه ما أن لاح القرن السادس عشر حتى شهدت أوروبا نهضة شاملة مهدت اليها ثلاث حركات كبرى هي : بعث الاداب القديمة ، والاصلاح الديني ، ونشأة العلوم الطبيعية والبيولوجية ، فضلا عن أن العالم ـ حينئذ ـ كان قد أمتد افقه واتسع نطاقه بكشف أمريكا والطريق البحرية الى الهند . وقد أدى ذلك كله الى توجيه العقل وجهة جديدة ، فاشتد الغضب على كل ما هو قائم ، وعلى ما لدى الناس من عقائد عتيقة ، فاعلنت الحرب على كل سلطة سابقة سواء كانت هذه السلطة ، سلطة أرسطو أو رجال الكنيسة ، وبدت الدعوة الى حرية الفكر واستقلال العقل ، فكان سؤال العصر الحديث (القرنين ١٧ ، ١٨) هو (ما هو المنهج) الذى لو اتبعه « الانسان » فى دراسة (موضوع) معين ، لجاءت (نتائج) دراسته صحيحة ؟ .. وبمعنى آخر « ما هو المنهج اللازم لتحقيق أدق معرفة ؟ » .

وقد تصدى عشرات الفلاسفة فى العصر الحديث للاجابة على هذا السؤال، نخص بالذكر منهم « ديكارت » صاحب الاتجاه العقلى و « بيكون » صاحب الاتجاه التجريبى الاستقرائى و « لوك » و « هيوم » من أصحاب الاتجاه التجريبى الحسى ، ثم « كانت » الذى جمع فى فلسفته النقدية بين الاتجاهين العقلى والتجريبى فى محاولة قوية لتفسير العالم والوجود ، فأحدث بمذهبه ثورة فى مجال الفلسفة أشبه بالثورة التى أحدثها « كوبر نيقوس » فى مجال الفلك ، حتى استحق أن يلقب بلقب فيلسوف المانيا الأكبر .

●● والذى يهمنا هنا .. ويهم طالب الثانوية العامة أولا وبالذات هو التعرف على الفروق الاساسية بين الاتجاهات الفلسفية التى أجابت على سؤال العصر الحديث ، وهذا يقتضى :

(١) مقارنة الاتجاه العقلى عند « ديكارت » بالاتجاه التجريبى الاستقرائى عند « بيكون » .

(٢) مقارنة الاتجاه النقدى عند « كانت » بالاتجاهين العقلى عند « ديكارت » والتجريبى الحسى عند « لوك » و « هيوم » .

ـ هذه المقارنات من شأنها أن تعين الطالب على الفهم وحسن انتقاء المعلومات وتصنيفها وفى ذلك خير اعداد للامتحان ..

● أما عن « بيكون » و « ديكارت » :

لقد اتفق هذان الفيلسوفان في الغرض ، ولكنهما اختلفا في الوسيلة المؤدية اليه أى في وسيلة الكشف عن الحقيقة ، فبينما يذهب « بيكون » (١٥٩١ ـ ١٦٢٦) الى أن المصدر الوحيد للحقائق هو ملاحظة العالم الخارجي وتجربة ظواهره ، اذا بديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) يعترف بأن يكون العقل معينا تتدفق منه المعرفة ، وكان « بيكون » بذلك مؤسس الفلسفة التجريبية ، كما كان « ديكارت » واضع الاساس لفلسفة عقلية جديدة .

ـ دعا « بيكون » لتأسيس علم جديد يحقق سيطرة الانسان على الطبيعة ، ووسيلة ذلك اخضاع الطبيعة للملاحظة والتجربة باستخدام منهج الاستقراء ، وتقوم طريقة « بيكون » الاستقرائية على دعامتين أساسيتين :

الدعامة الاولى : ان الملاحظات والتجارب التي تؤيد القانون لا تكفي وحدها للتأكد من صدق القانون ، ذلك ان حالة سلبية واحدة كفيلة بهدم قانون أيدته مئت الالاف من الملاحظات والتجارب ، ومن هنا احتلت « قائمة الغياب » منزلة كبيرة في طريقة بيكون الاستقرائية وكانت اهم من « قائمة الحضور » .

والدعامة الثانية : ان القانون العلمي يجد سنده ـ في مفهوم « بيكون » في مبدأين اساسيين هما (العلية) و (الحتمية) ، والعلية تعني ان لكل ظاهرة علة تسبقها وتكون سببا في حدوثها ، فالقانون العلمي بهذا المعنى هو تفسير (علي) لظاهرة ما او عدد من الظواهر ويكشف عن (صورة) تلك الظواهر ، والحتمية تعني انه اذا حدثت العلة ـ حتما ـ يحدث المعلول ، وغياب العله يحتم غياب المعلول ، وان اى تغير في العلة يحدث معه حتما تغير ممـاثلا في المعلول ذلك أن العالم الطبيعي ـ في اعتقاد بيكون ـ تسيره قوانين ثابتة ، وبه عدد محدود من الطبائع ، وأن مشكلة العلم هي معرفة تلك الطبائع واكتشاف قوانينها ، ولذلك كانت مرحلة تصنيف الوقائع في جداول أو قوائم هي محور طريقته الاستقرائية عند بحثه في ظاهرة الحرارة مستهدفا الكشف عن علتها فانتهى الى أن « الحركة » هي « علة » الحرارة ، اذ تبين له أن كل جسم متحرك حار وغير المتحرك لا حرارة فيه ، وأن درجة الحرارة تختلف باختلاف حركة الجسم .

هذا ويلفت « بيكون » النظر الى لزوم تطهير العقل من الاوهام العالقة به قبل المضي في استخدام منهجه سالف الذكر وهو يحصر هذه الاوهام في أربعة أنواع هي :

(١) أوهام الجنس البشرى ، التي تبدو في ميل الانسان الى التعميم السريع في الاحكام .

(٢) أوهام الكهف (أى البيئة) .

(٣) أوهام السوق ، التي تنشأ من سوء استخدام اللغة .

(٤) أوهام المسرح ، التي تأتي مما تتخذه النظريات المتوارثة من سـلطة ونفوذ .

ـ أما « ديكارت » فيختلف مع « بيكون » في طبيعة المنهج العلمي أى في طريقة الكشف عن الحقيقة .

● يتساءل « ديكارت » كيف نصل الى التجربة كما يريد « بيكون » ؟

ـ والجواب : بالحواس ..

ـ ولكن « ديكارت » يصف الحواس بانها خادعة ، وليس من الحكمة ان يثق الانسان فيمن خدعه ولو مرة واحدة !

ـ وماذا غير الحواس ؟

ـ انه (العقل) .. يقول « ديكارت » عنه انه « اعدل الاشياء قسمة بين

الناس » ، واختلاف آرائنا لا ينشأ عن كون بعضنا اعقل من بعض ، وانما ينشأ عن كوننا نستخدم العقل استخداما سيئا ، أو عن كوننا نوجه افكارنا في طرق متباينة ولا نرى الاشياء في ذاتها ..

ـ وكيف يستطيع العقل أن يدرك الاشياء في ذاتها ؟

ـ يقول « ديكارت » بالحدس ، ويعني به الرؤية العقلية المباشرة .

ـ وما هو موضوع هذه الرؤية العقلية المباشرة ؟

ـ يقول « ديكارت » : موضوعها الافكار الواضحة المتميزة لانها صادقة ، ذلك ان الوضوح والتميز علامتان على الصدق ، ومن هذه الافكار الواضحة المتميزة : وجود الفكر ، ووجود الله ..

ويرتب « ديكارت » هذه الافكار ترتيبا منطقيا على الوجه التالي .

● انا اشك في الحواس وفي العلم الموروث .

● والذي يشك فهو يفكر بالضرورة ، حتى الذي يشك في انه يفكر فمثل هذا الشك يقتضي انه يفكر ايضا .

● والذي يفكر فهو موجـــود بالضرورة (انا افكر اذن فانا موجـــود) وباللاتينية Cogit oergo sum ، ولهذا تعرف هذه القضية باسم (الكوجيتو) .

● ووجودي هذا ناقص ، لاني كائن يشك .

ـ وهنا يتساءل ديكارت .. هل فكرة (الوجود الناقص) من صنع خيال الانسان ام انها آتية من موجود آخر ؟

ـ جواب ديكارت أن فكرة (الوجود الناقص) ليس من عنـــده ، وانما هي من عند موجود آخر يتصف بالكمال ، لان فكرة النقص تقتضي ـ في مقابلها ـ فكرة الكمال ، فلا اعلم اني ناقص الا اذا كانت عندي ـ من قبل ـ فكرة عن موجود كامل (وهذا حدس) ، وهذا الموجود الكامل هو الله .

● الله اذن موجود .

● والله صادق لا يخدع ، لان المخادعة نقص ، والله كامل ، وصدق الله هو الضمان الوحيد لصدق العقل في كل ما يراه العقل في وضوح البداهة .

●● اذن لقد التمس ديكارت صدق العقل في الله الصادق .. ومن هنـــا كانت ثقته المطلقة في العقل كأداة للفهم والكشف عن الحقيقة ..

وكان « ديكارت » من قبل قد تشكك في الحواس والخيال والذاكرة والعقل وأطلق عليها اسم (خداع الطبيعة والنفس) ثم افترض وجود (شيطان ماكر) يعبث بالعقل فيصور له الحق باطلا والباطل حقا ، وخطوة الشك هذه تقابل عند « بيكون » خطوة أوهام العقل .

ـ أما كيف تتغلب على خداع الطبيعة والنفس ؟

ـ وجواب « ديكارت » باتباع قواعد المنهج العقلي التي وضـــعها ليولد بها اليقين من الشك .

يقول « ديكارت » اذا أردت أن تصيب الحقيقة فاطلب البداهة (الوضوح والتميز) ، واذا أردت أن تصيب البداهة ، فاطلب في كل مسألة أبســـط الاشياء ، اذن فقسم وحلل ، واذا حصلت على أشياء بسيطة بديهية فاستخدمها لتصيب الحقائق المركبة ، اذن فألف وركب ، وأخيرا راجع حتى تتحقق من الصدق »

ـ اما كيف تخلص ديكارت من الخداع الميتافيزيقي (الشيطان الماكر) .

ـ وجواب « ديكارت » : الله الصادق ، فما دام الله صادقا يستحيل عليه أن يكون سببا في تضليل الانسان وخداعه بأن يهبه عقلا مضـــللا يؤدي الى

الخطأ والزلل ، فالصدق الالهى كفيل لنا خير كفيل بأن يكون العقل الذى وهبنا اياه أداة صالحة للفهم .

●● أما عن مقارنة الاتجاه النقدى عند « كانت » بالاتجاهين العقلى عند « ديكارت » والتجريبي الحسي عند « لوك وهيوم » فهذا يقتضى توضيح الآتي :

أولا — الاتجاه العقلى عند « ديكارت » : يقوم هذا الاتجاه على ثلاثة مبادىء أساسيه هي :

(١) أن في العقل أفكارا فطرية قبلية سابقة على كل خبرة حسية وتجربة ، وهي جزء ضروري من تكوين العقل ، وهي بديهية بالوضوح والتمير ، كفكرتنا عن وجود أنفسنا ، وفكرتنا عن وجود الله ، وهذه الافكار مسلم بها من جميع الناس اذ يدركها العقل ادراكا حدسيا أى عن طريق الرؤية العقلية المباشرة .

(٢) أن العقل سابق على التجربة ويشرف على تفسيرها ، وهو أداة صالحة للفهم ، فما يدركه العقل واضحا ومتميزا فهو صادق ، والله الصادق هو الضامن لصدق العقل .

(٣) رفض ما تأتي به الحواس الخادعة أى ما تضيفه الحواس الخادعة إلى الشيء كاللون والطعم والرائحة ، والابقاء على الصفات التى تتعلق بحقيقة الشيء الخارجي نفسه بحيث تكون فكرتنا عن هذا الشيء واضحه ومتميزه ، فالامتداد — مثلا — هو الصفة الواضحة المتميزة للمادة .

ثانيا — الاتجاه التجريبي الحسى عند « لوك » و « هيوم » :

يقف « لوك » و « هيوم » أيضا موقفا معاكسا لموقف « ديكارت » فينكران وجود افكار فطرية قبلية في العقل ، فيصف « لوك » العقل بأنه يولد كالصفحة البيضاء لا أثر فيه لاى نقش او فكرة حتى الافكار الكلية يركبها العقل بفعاليته من الافكار البسيطة التى تأتينا من الاشياء الموجودة في العالم الخارجي ، كما يقرر « هيوم » أنه لا يمكن أن تنشأ في العقل أفكار الا اذا سبقتها آثار حسية فالعقل عند « هيوم » أشبه بفيلم السينما تنطبع عليه صور الاشياء . ولا أعلم من العالم الخارجي الا ما في ذهني من مدركات حسية ، ومن هنا وطالما ان أفكارنا هي الآثار الحسية نفسها ولكن بعد غياب المؤثرات التى أحدثتها يصبح الاثر الحسي هو المرجع الذى نميز به صدق الفكرة أو كذبها . فالفكرة التى لها آثار حسية فهي فكرة وهمية كاذبة . وتأسيسا على ذلك اعتبر هيوم (العلية) وهم من عمل الخيال ذلك أننا لا نجد لفكرة العلية أصل بين الاحساسات التى تتلقاها من الاشياء ، فاذا صدمت كرة متحركة أخرى ساكنه فحركتها ، نقول أن الكرة الاولى هي « علة » حركة الكرة الثانية ، وهنا يقول « هيوم » ان العين لم تر — فيما رأت — « علية » تربط الكرة الاولى بالثانية ، وبالتالى تبطل العلية كمبدأ عقلى ضرورى ، ومن هنا يصبح الربط بين الظواهر — فى تصور هيوم — عادة ذهنية صنعها العقل بحكم اعتياده تتابع الظواهر معا ، ونسوق المثال التالى لتوضيح ذلك ، فقد يزورنى صديق يوم الجمعة من كل أسبوع ، وقد يكرر ذلك ألف مرة ،حتى اذا جاء يوم الجمعة ، توقعت على ترجيح شديد أن يزورنى هذا الصديق على عادته ، لكن لا ضرورة تحتم هذه الزيارة ، وهكذا يقول «هيوم » عن ظواهر الطبيعة لا ضرورة في وقوعها ، فانكر بذلك (العلية) كمبدأ عقلى ضرورى ، فهدم بذلك الميتافيزيقا التقليدية التى تقول (كل موجود له بالضرورة علة لوجوده) .

●● **نعقب على الاتجاهين السابقين بالآتي :**

(١) ان لوك وهيوم يقفـان من ديكارت موقفا معاكسا ، فـى حين يذهب

● أثبت ابن سينا وجود الله ببرهان الممكن والواجب ، أما ديكارت فقد أثبت وجود الله بالرؤية العقلية المباشرة .

ديكارت الى ان المعرفة تحصل بواسطة العقل ، وبالعقل وحده يحصل العلم بالاشياء ، نجد لوك وهيوم ينكران تحصيل المعرفة بالعقل المحض ، ويذهبان الى ان كل معرفة تنشأ من الاحساس والتجربة ؟

(٢) لم يتعرض احد الاتجاهين السابقين لمسالة (امكان المعرفة) ، وقد ادار « كانت » فلسفته حول هذه النقطة .

ثالثا – الاتجاه النقدى عند « كانت »

كان السؤال الذى شغل « كانت » هو « هل تمكن المعرفة ؟ واذا امكنت فما حدودها ؟ ولم يبحث العقليون والتجريبيون الحسيون هذه المسالة ، بل آمنا بأن لنا قدرة على معرفة الاشياء اما بواسطة العقل (كما تصور ديكارت) واما بواسطة الادراك الحسي (كما تصور لوك وهيوم) .

●● اخضع « كانت » العقل للسؤال الذى أسلفناه ، فاراد ان يرى : هل في طبيعة العقل التي فطر عليها ما يمكنه من الوصول الى بعض المعرفة دون اعتماده على ما تأتي به الحواس من العالم الخارجي ؟ وهل في العقل احكام ثبات فيه سابقة على الخبرة والتجربة ؟

اراد « كانت » ان يحاكم القاضي (العقل) بعد ان ساد العقل والتعصير بفعل الاتجاه العقل الديكارتي لغال الفرنسيون في تمجيد العقل حتى أصبح خطرا على العقيدة الدينية .. ومن هنا جاء الحين لنقد العقل على يدى « كانت » ولهذا تسمى فلسفته « الفلسفة النقدية » .

● برهن « كانت » على ان الانسان لا يعلم من العالم الخارجي الا ما تجيئه به الحواس ، وان العقل ليس صفحة بيضاء قابلة تخط فيها التجربة ما تشاء بل فاعل ايجابي ، يتلقى التجارب الحسية فينظمها داخل مقولاته الفطرية القبلية ، فالانسان اذن لا يعيش في العالم كشيء من اشيائه بل ينظم العالم ويخضعه لعقله وارادته . يقول « كانت » ان التجربة تنتظم وفقا لتصورات الذهن . وكيف يكون ذلك ؟ الجواب عند « كانت » كالآتي :

– نحن نتلقى مادة الاحساس من الخارج وهي مادة خام ، لنصبها في صورة من عندنا حتى تصير ادراكا حسيا ، اذن فالمادة مكتسبة ، اما الصورة التي تشكل المادة وتعطيها معنى ، فمفطورة فينا اى قبلية سابقة على كل خبرة وتجربة وهذه الصورة التي تشكل المادة أشبه بالقوالب الفارغة ، ومن هنا يصبح كل جزء من معرفتنا يعتمد في مضمونه على خبرة الحواس وفي قالبه على فطرة العقل ، فليست المعرفة كلها مستمدة من الاحساس والتجربة كما تصور لوك وهيوم وليس في طبيعة العقل التى فطر عليها ما يمكنه من الوصول الى بعض المعرفة دون اعتماده على ما تأتى به الحواس من العالم الخارجي كما تصور ديكارت .

● « انظر الى هذه الأم الراقدة الى جانب طفلها تراها لا تستيقظ لضجيج الاصوات الصاخبة من حولها ، ولكن لو تحرك صغيرها حركة خفيفة ، او همس بخافتة ، نهضت من نعاسها فزعة ، مع أن صوت الطفل أضال من جلبة العربات والمارة ، دليل على أن العبرة ليست في مجرد الاحساس ، ولكن لابد كذلك من القوة التي تختار هذه الاحاسيس وتكسبها مالها من معنى ، هذه القوة هي العقل » .

— في العقل اذن قوى فطرية هي مجرد صور أو قوالب تستقبل المضمون الحسي لتحوله الى ادراكات حسية ذات معنى ، ومن هذه الصور أو القوالب :

(١) مقولة الجوهر : وهي التي توحد بين الظواهر وتجعلها ثابتة ، وبدونها تصبح الظواهر والاشياء في حالة تغير دائم . مثال ذلك حين أدرك مجموعة برتقالات تنقل الى الحواس الوانها وأطعامها رائحتها وأشكالها ، وهذه كلها مختلفة ومتفرقة ، ولا تكون برتقاله .. بل يجمعها ويوحد بينها جوهر ثابت يجعل منها برتقاله مهما تغيرت الوانها واطعامها وأشكالها ، هذا الجوهر الذي وحد بينها مقوله فطرية قبلية سابقة على البرتقالات .

(٢) مقولة العلية : واليها يرد كل تغير ، لان كل تغير يخضع لقانون العليه ، الذي عن طريقه نفسر ظواهر الاشياء في ذاتها ، مثال ذلك حين أقول (ضوء الشمس يسخن الحجر) هذا حكم كل مؤسس على قانون العليه ، والعليه ليست في ضوء الشمس ولا في الحجر ، وانما هي مقولة قبلية فطرية في العقل بدونها لا يمكن أن نفهم ما يطرأ من تغير على ظواهر الاشياء .

● وهكذا وقف « كانت » بفلسفته النقدية موقفا وسطا بين الاتجاهين العقلي ، والتجريبي الحسي ، لم يشك في التجربة الحسية ، ولم يجعل من العقل مصدر اليقين المطلق كما تصور « ديكارت » ولم ينكر الافكار الفطرية ، ولم يجعل من الحس والتجربة معيارا لصدق الفكرة كما تصور « لوك » و « هيوم » ولكنه يرى — وكما أسلفنا — ان كل جزء من معرفتنا يعتمد في مضمونه على خبرة الحواس ، وفي قالبه على فطرة العقل ، فالتجربة تنتظم وفقا لتصورات العقل .

ولعل من الخير هنا أن نبرز أساسيات الفلسفة النقدية عند « كانت » في الركائز الثلاث التالية :

(١) ان المعرفة هي نتيجة أثر العقل في الانطباعات الحسية .

(٢) أعطى « كانت » لمبدأ (العلية) قيمة جديدة ، اذ اعتبرها تصورا ضروريا من تصورات العقل وقالبا من قوالبه الفطرية اليها يرد كل تغير وفي ضوئها نفسر ظواهر الاشياء ، وبغير ذلك لا يقوم العلم ، لان كل تغير يطرأ على الاشياء يستند الى قانون العليه ، وكان « هيوم » قد أنكر العلية كمبدأ عقلي ضروري ، ووصفها بأنها وهم باطل نسجه الخيال ولفقه ،وغاية ما في الامر — كما يقول هيوم — أنه تتابع بين الظواهر والحوادث يحدث بحكم العادة ، وحين أعطى « كانت » لمبدأ العليه هذه القيمة الجديدة أنقذ العلم من معاول الهدم .

(٣) حدد « كانت » العلم وحصره في عالم الظواهر ، فوضع بذلك حدودا للعقل الا ذ ينبغي للمعرفة أن تتجاوز المضمون الحسي أي الخبرة بالبحث في أمور ميتافيزيقية هي (الاشياء في ذاتها) كنهاية العالم أو خلقه وحرية الروح وخلودها ووجود اله خالق ، لان هذه الامور يستعصى على العقل أن يقيم عليها الدليل ، اذ لا تمثل مضمونا حسيا ، واذا ما حاول العقل الخوض فيها وقع في الاشكال والتناقض لان مقولات العقل تصبح — حينئذ — خالية من أي محتوى

فكري ، ومن هنا ينبه « كانت » الى ان موضوعات المعرفة ظواهر لا أشياء في ذاتها لان عالم الاشياء في ذاتها بعيد عن تناول العقل ، وبهذا انقذ « كانت » الدين من معاول العقل .

●●

● تلك هي الفلسفة الحديثة اعدنا صياغتها على نحو يبرز اوجه الاختلاف بين اتجاهاتها ، وكان سندنا في ذلك الكتاب المدرسي وامتحانات الثانوية العامة ، وخبراتنا السابقة .. فاذا ما انتهينا الى ذلك كان من الخير ان نعقب على هذا العرض بنماذج مختلفة من الاسئلة صممناها بدقة لقياس قدرة الطالب على الفهم والتعليل وفحص المفاهيم والمقارنة بينها وحسن انتقاء المعلومات المطلوبة ، وتحقيقا لمزيد من الخير سنقدم مفتاح الاجابة على كل سؤال :

● السؤال الاول :

انسب العبارات التالية لاصحابها من الفلاسفة ثم فسرها في ضوء اتجاهاتهم الفلسفية :

(١) الانسان ينظم العالم ويخضعه لعقله وارادته .
(٢) لا احد يدري كيف يمكن ان توجد الاشياء في ذاتها .
(٣) اننا لا نعرف غير ظواهر الوجود .
(٤) لا ضرورة عقلية من العلية .
(٥) العلية مبدأ ضروري من مبادىء العقل القبلية .
(٦) تنتظم التجربة وفقا لتصورات العقل .
(٧) لا سلطان على العقل الا سلطان البداهة .
(٨) صدق الله هو الضامن لصدق العقل .
(٩) لا تفصلوا بين النظر والعمل بل وحدوا بينهما .

● مفتاح الاجابة ● :

(١) « كانت » لانه يتصور ان كل جزء من معرفتنا يعتمد في مضمونه على خبرة الحواس وفي قالبه على فطرة العقل ، فالتجربة تنتظم وفقا لتصورات العقل ، ففي العقل مبادىء قبلية او مقولات فطرية هي مقولة « الجوهر » وهي التي توحد بين الاشياء ، ومقولة « العلية » واليها يرد كل تغير .

(٢) « كانت » وهو يعني بهذه العبارة ان للعقل حدود ، اذ لا ينبغي ان تتعدى معرفتنا ظواهر الاشياء بالبحث في امور ميتافيزيقية ليس لها مضمون حسي ، لان مقولات العقل تصبح حينئذ خالية من اي محتوى فكري .

(٣) نفس الاجابة السابقة .

(٤) « هيوم » لانه يتصور ان الربط بين الظواهر ليس الا عادة ذهنية صنعها العقل بحكم اعتياده تتابع الظواهر معا مع انه لا ضرورة عقلية في ذلك لاننا لا نجد لفكرة العلية اصل بين الاحساسات التي تلقيناها من الاشياء .

(٦) « كانت » ـ نفس الاجابة الواردة في رقم (١) .

(٧) « ديكارت » ، اذ يرى ان العقل الذى هو اعدل الاشياء قسمة بين الناس قادر على بلوغ اليقين بشرط ان يتخلص من كل سلطة سابقة ولا يخضع الا لسلطان البداهة ، وتعني البداهه وضوح الفكرة وتميزها .

(٨) « ديكارت » لانه بعد ان شك في العقل مفترضا شيطانا ماكرا قد يعبث به عاد فالتمس يقين العقل فى الله الذى وصفه بالصدق .. والله الصادق لا يخدع ولا يضلل .. ومن ثم فلن يهبنى عقلا مضللا فكان صدق هو الضامن لصدق العقل في كل ما يراه فى وضوح البداهة .

(٩) « بيكون » ويعنى بها أن فلسفته تقف بين العقلانية المجردة والتجريبية الخالصة ، فهو يرفض التجريبية الخالصة لان الوقائع غير المرئية لا تصنع العلم ومن هنا كانت دعوته الى تجديد العقل بواسطة التجربة ، وذلك أن المفكر التجريبي يشبه النملة التى تجمع قوتها وتخزنه ، والمفكر العقلانى القطعى يشبه العنكبوت الذى ينسج خيوطه من المادة التى يستخرجها من جوفه ، ومن هنا يتصور الفيلسوف الحقيقى أشبه بالنحلة التى تستخرج ملونها الاول من الرحيق والزهور فى الحقول وتحولها بفنها الجميل الى عسل حلو المذاق .

● السؤال الثاني ● :

بين الصواب او الخطأ فيما يلي مع التعليل :

(١) يتفق ديكارت مع السوفسطائيين في مبررات الشك .
(٢) الكوجيتو الديكارتى قياس عقلى .
(٣) يتفق ديكارت مع ابن سينا فى أن ادراك النفس سابق على ادراك الجسم .
(٤) تصور كانت العلية كما تصورها هيوم .
(٥) يقول كانت باستحالة معرفة الشيء فى ذاته .

● مفتاح الاجابة ● :

(١) خطأ ـ لان الشك السوفسطائى يجد سنده فى الاحساسات المتغيرة التى اعتبروها مصدرا للمعرفة ومن هنا تصبح الحقيقة متغيرة ولا شيء ثابت ومن هنا كان شكهم مذهبيا . أما مبررات الشك الديكارتى فترجع الى خداع الطبيعة والنفس والخداع الميتافيزيقى .. وهو شك مؤقت خرج منه الى التماس يقين العقل فى الله الصادق فكان شكه شكا منهجيا .

(٢) خطأ ـ لان الكوجيتو الديكارتى مجرد حدس اى رؤية عقلية مباشرة .

(٣) صواب ـ لان الوعى بالذات هو الصفة الجوهرية للنفس عند ابن سينا فقد يغفل الجسم عن ادراك ذاته فى حالة النوم مثلا ، ولكن النفس لاتغفل ابدا عن وجودها ، وهذا الادراك ادراك مباشر ، وهوية الانسان لا تقوم على البدن ولا على المحسوس بل هى قائمة على ادراك الانسان لذاته ، هذا فضلا عن أن الانسان يربط الماضى والحاضر بذاته ، وكذلك ديكارت اثبت وجود ذاته من خلال الفكر (أنا افكر اذن أنا موجود) ومعنى ذلك أن يتعين الفكر أسبق من يقين الجسم . ذلك لانى ادرك الفكر ، بالفكر نفسه بينما ادرك الجسم بواسطة العقل والحواس . ومن هنا كانت معرفة النفس أيسر من معرفة الجسم ، فلو لم يكن الجسم موجودا على الاطلاق لكانت النفس موجودة بتمامها على حد تعبير ديكارت .

(٤) خطأ ـ والتعليل سبق أن أشرنا اليه .
(٥) صواب ـ والتعليل سبق أن أشرنا اليه .

● السؤال الثالث ● :

اذكر الفرق بين كل الآتى :

(١) اثبات ديكارت وابن سينا لوجود الله .
(٢) تصور هيوم وديكارت لصدق الفكرة .
(٣) تصور هيوم وكانت للعلية .

ـ مفتاح الاجابة :

(١) أثبت ابن سينا وجود الله ببرهان الممكن والواجب ، فوجود الكائن الممكن يستلزم خالقا ازليا أحدثه وابدعه ، أما ديكارت فقد أثبت وجود الله بالحدس أى بالرؤية العقلية المباشرة فى حالة كونه يشك ، والذى يشك هو كائن ناقص لا يعرف الا فى مقابل الكمال ولا اعلم أنى ناقص الا اذا كانت عندى ـ من قبل ـ فكرة عن موجود كامل ، وهذا الكامل هو الله .

(٢) تكون الفكرة صادقة فى نظر هيوم اذا كانت تشير الى آثار حسية ، اما عند ديكارت تكون الفكرة صادقة اذا كانت واضحة ومتميزة .

(٣) انكر هيوم العلية كمبدأ من مبادىء العقل الضرورية اذ ليست لها آثار حسية وتصور أن الاقتران بين الظواهر ليس الا عادة ذهنية ، أما كانت فرى ان العلية مبدأ ضرورى من مبادىء العقل القبلية اليها يرد كل تغير ، لان كل تغير يطرأ على ظواهر الاشياء يخضع لقانون العلية .

● السؤال الرابع :

« يتفق بيكون مع ديكارت فى الحملة على كل قديم ، لكنهما يختلفان فى طريقة الكشف عن الحقيقة »

اشرح وفسر هذه العبارة معللا لما تقوله .

ـ الاجابة (ارجع الى ما سبق أن أسلفناه عند المقارنة بين بيكون وديكارت)

● السؤال الخامس ● :

« وقف كانت بفلسفته النقدية موقفا وسطا بين الاتجاهين العقلى والتجريبى الحسى » اشرح وفسر هذه العبارة ؟

● السؤال السادس ● :

« كانت المبادىء الفطرية القبلية محورا للاختلاف بين الاتجاهين العقلى والتجريبى الحسى » اشرح وفسر هذه العبارة ، ثم بين موقف « كانت » من هذه المسألة ؟

ـ الاجابة : السؤالين الخامس والسادس اجابتهما واحدة ، ويجد الطالب الاجابة عليهما فى مقارنتنا التى اسلفناها بين الاتجاه العقلى والاتجاه التجريبى الحسى والاتجاه النقدى .

● والى اللقاء فى العدد القادم حيث نقدم لطلبة الثانوية العامة أساس المقرر الدراسى فى علم المنطق معززة بنماذج من الاسئلة المبتكرة .

● هذا ويسعدنا أن نتلقى استفسارات الطلبة والطالبات حول موضوعات المقرر الدراسى فى الفلسفة والمنطق وعلم النفس ونجيب عليها .

● حليم فريد تادرس ●
موجه أول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الامانة الفنية لتطوير التعليم

●●

من دروس النقد والبلاغة

التجربة الشعرية

● محمد نجيب ابو العزم ●
● الموجه بالتعليم الثانوى ●
● ومقدم البرامج التعليمية بالتليفزيون ●

مفهومها وعناصرها :

يمر الشاعر بكثير من المواقف التى تحرك فى نفسه شعورا ما ، قد يكون شعورا بالتعاسة والشقاء ، أو بالسعادة والهناء أو بالراحة والرضا ، أو بالغضب والثورة . أو بالاسى والحسرة بالفرحة والبهجة ..

وقد يكون المؤثر الذى وقع تحته الشاعر تأملا لظاهرة كونية أو استبطانا لتجارب ذاتية ، أو تأثرا بأحداث اجتماعية او سياسية او قومية او انسانية الى غير ذلك من المواقف والمشاعر المختلطة المتباينة مما لا يقع تحت حصر .

وهو فى كل ذلك ينفعل ويتأثر . وهنا نقول ان الشاعر يمر بتجربة شعورية فاذا طال تأمله واستغراقه فى هذه التجربة وراح يتأمل الموقف بفكره وعقله ونضجت التجربة فى داخله ـ كان لا مفر له من ان يلتمس لتجربته الشعورية الاطار التعبيرى الملائم لها ، وعندئذ تنساب على لسانه وقلمه كلمات وصورا وأنغاما .. وبذلك تتحول التجربة من شعور الى شعر .. وعندئذ نقول اننا أمام تجربة شعرية ..

هذا هو مفهوم التجربة الشعرية .. أما عناصرها فتتمثل فيما يأتى :

التجربة الشعرية

الوجدان الفكر الصورة التعبيرية

الالفاظ والعبارات الخيال والتصوير الموسيقا

● عندما تنضج التجربة الشعورية في داخل الشاعر، يلتمس لها الإطار التعبيري الملائم لها، وعندئذ تنساب على لسانه وقلمه كلمات وصورا وأنغاما.

عناصر التجربة الشعرية اذن هي :

الوجدان - الفكر - الالفاظ والعبارات - والخيال والتصوير - والموسيقا ولنترك جانبا الحديث النظرى وننتقل الى دور التطبيق .

هذه مقطوعة شعرية لشاعر وأديب كبير هو الاستاذ عباس محمود العقاد تحت عنوان :

« العقاب الهرم »

يهم ويعييه النهوض فيجثم
ويعزم الا ريشه ليس يعزم
لقد حلق العصفور وهو على الثرى
يكب ، وقد صاح القطا وهو ابكم
ويثقله حمل الجناحين بعدما
اقلاه وهو الكاسر المتقحم
ويلحظ اقطار السماء كأنه
رجيم على عهد السموات يندم
ويغمض احيانا : فهل ابصر الردى
مقضا عليه ، ام بماضيه يحلم ؟
اذا ادفأته الشمس اغفى وربما
توهمها صيدا له وهو هيثم
لعينيك يا شيخ الطيور مهابة
يفر بغاث الطير عنها ويهزم
وما عجزت عنك الغداة وانما
لكل شباب هيبة حين يهرم

« هذه صورة مرئية محسوسة يرسمها الشاعر بتفصيلاتها رسما يوحي للقارىء أشد ايحاء بالصورة الخالدة المتكررة في شتى الكائنات وعلى مر العصور » .

١ ـ عنصر الوجدان :

بداهة لا يمكن القول بأن العقاد قد رأى نسرا عجوزا يحـــاول النهـــوض فيعجز ، ويحاول الطيران فيفشل ، ولا أنه أحس مشاعر الندم والاسى في قلب العقاب الهرم . وانما يمكن القول بأن الشاعر هنا يستبطن ذاته ويغـــوص في اعماقه بل في اعماق كل الكائنات حين تذهب مع الايام قوتها المادية والجسمية والحركية وقد تبقى لها آثار الهيبة التي يخشع لها الرائي راضيا او كارها . وحين نتأمل ابيات القصيدة نستشف من خلالها مشاعر الحسرة والحنين والندم والذهول ، والاسى والرهبة ، والكبرياء والهيبة . .

وأول ما يوصف به هذا الوجدان . . انما هو الصدق الشعوري الذي ينقل لنا الاحاسيس بريئة من أي تكلف أو تعسف فنحن أمام حقيقة ثابتة . وصورة خالدة متكررة في الانسان والحيوان والطير وكل الكائنات .

٢ ـ عنصر الفكر :

الفكرة الاساسية بعد أن نقوم بتجريد القصيدة من مشهد النسر العجوز الى جوهر النص ومضمونه ـ هي

« بين ماض ثائر وحاضر خائر » .

وتحت هذا الخط الفكري الرئيسي تتدرج الافكار الجزئية متمثلة في تلك المقابلات التي تبرز الفكرة . فالنسر يحاول النهوض ولكنه يعيا ويعجز ، ويرغب في الطيران ولكن ريشه لا يسعفه فيظل جاثما . .

وصغار الطير تنشط ، وهو لصيق بترات الارض ، وهذان الجناحان قد عجزا عن حمله ، وكانا فيما مضى مجدافين ضاربين بين أمواج الفضاء ، ويلتفت الى السماء فيعاوده الندم على عهده بها . وهذه الشمس التي تبعث الآن الدفء في اوصاله الباردة المتجمدة ، هي التي كانت بالامس هدفا يندفع اليه وبين أفواج الحسرة والاسى والحنين والتذكر تنبعث مشاعر الكبرياء في قلب النسر لا . بل في قلب الشاعر فيتذكر أنه ما زالت هناك هيبة في ملامح العينين تطـل منهما لتخشع أمامها الابصار كارهة أو راضية ويختم الشـــاعر أبياته بهذه الحكمة الصادقة . « لكل شباب هيبة حين يهرم » .

***

وان كان هناك شيء نقوله عن عنصري الفكر والوجدان ، فانه تأكيدا لهـــذا التلاحم بينهما والامتزاج بين العقل والشعور في وحدة شعورية وفكرية فالشاعر كما يقولون يفكر بقلبه ، ويشعر بعقله .

٣ ـ الالفاظ والعبارات .

الكلمة في الشعر هو الوعاء الذي يملؤه الشاعر بفكره ومشاعره وهي خلية حية بما تحمله من الدلالات الشعورية والايحائية ، وقد كانت قبل أن يستخرجها الشاعر مادة جامدة في المعجم اللغوى .

● الكلمة في الشعر هي الوعاء الذي يملؤه الشاعر بفكره ومشاعره ، وهي خلية حية بما تحمله من الدلالات الشعورية والإيحائية ...

واذا تأملنا الفاظ شاعرنا طالعتنا الفاظ معبرة مؤثرة توحي بما في نفسه من الاسى والحسرة والحرمان ، وبما يخالجه من حنين ويراوده من كبرياء .

ففي قوله (يعييه النهوض) .دلالة على الضعف والعجز وفقدان القدرة .. وفي قوله (يهم – ويعزم) ايحاء بالرغبة والشوق والحنين الى الحركة التي يتمناها . وقوله (وهو على الثرى مكب) توحي لنا بمدى التصاقه بتراب الارض .. كأنه المكان الذي حدد له قدره وعمره الذي شاخ وهرم ..

وفي قوله (يلحظ أقطار السماء) تحس من لفظه (يلحظ) ايحاء بالحسرة على أيامه الاولى والحنين الصامت الذي يغمر نفسه .. ولا يفوتنا أن نقف أمام قوله (وهو الكاسر المقتحم) (وهو هيثم) وما فيهما من اشارة الى ماضيه وشبابه القوى الهادر ..

وعندما نقرأ قوله (هل ابصر الردى منقضا عليه) ندرك مشاعر الخوف والرهبة التي تفزعه وتروعه ..

ثم هناك التقابل بين المعاني .. هذه المطابقات التي تجلو في وضوح حالة النسر في شبابه وشيخوخته ، وما كان فيه من قوة وما آل اليه من ضعف .. وذلك عندما نتأمل .. رغبته في النهوض ولكنه يعجز فيظل جاثما .. ورؤية العصفور الذي يحلق .. والنسر الذي يكب على الثرى .. والقطا الذي يصيح ويغرد . وهو صامت أبكم .

وهذان الجناحان العاجزان .. وكانا بالامس يحملانه الى اجواز الفضاء والمقابلة والمطابقة في اسلوب الشاعر والاديب قريبة الشبه بالالوان المتنافرة في اللوحة المرسومة من شأنهما ايضاح الصورة وابرازها في مرأى العين والفكر

٤ – الخيال والتصوير .

لقد اجتمع في هذه الابيات كل الوان الخيال والتصوير الشعرى .

فنحن أمام صورة كلية هي في مجموعها مشهد مكتمل العناصر غني بالتفاصيل والزوايا والجوانب . صورة الكائن الحي وقد اعتراه الوهن ودب في أوصاله العجز فراح يذكر ماضيه ويأسى لحاضره ، صورة رمزية تجعل من النسر الهرم محورا ومركزا للمعنى الانساني الخالد المتكرر ، الله الذي خلقكم من ضعف ثم

جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » ٠
وفي هذه الصورة الكلية نرى الخطوط الفنية التي تكونت منها هذه الصورة وتلك اللوحة ٠٠ نجد حركة النسر ٠ وصوت القطا ٠٠ وانقضاض الردى وفرار الطير ٠٠ وتحليق العصفور ٠٠ واقتحام الفضاء ٠٠

وهناك بعض الصور الخيالية الجزئية من تشبيهات واستعارات ٠٠ هي الاخرى من عناصر الصورة الكلية ٠٠ فالتشبيه في قوله (كأنه رجيم) اذ يشبه النسر بالطريد الرجيم ٠ وهي صورة توحي وتدل على الحرمان وضياع عهد من القوة والمنعة ٠ والاستعاره في قوله فهل ابصر الردى مقضا عليه ٠٠ وفيها تجسيم للموت كأنه وحش كاسر ينقض عليه٠وفيها ايحاء قوى بالخوف والرهبة والاستسلام للمصير المحتوم ٠٠ وتصوير الشمس وتشبيهها بالصيد ٠٠ دلالة على ما كان للنسر من سطوة تجعل الشمس هدفا وبغية ٠ وتذكرنا بمكانة النسر يوم كان كاسرا يقتحم السماء ٠

٥ ـ الموسيقا :

أ ـ الموسيقا الظاهرة ٠ وهي التي تتمثل في الوزن بتفعيلاته وانغامه والقافيه بايقاعها المنتظم المطرد ٠

ب ـ والموسيقا الداخلية وهي ذلك النغم النفسي الحزين الذى نحسه من خلال تفاعل عناصر التجربة الشعرية كلها ٠ تفاعل الوجدان الصادق مع الفكر الاصيل مع اللفظ المعبر بالايحاء والتأثير مع الصورة القوية الدلالة والايحاء الشعورى ٠
وكل ذلك كله قد تمثل في هذه المقطوعة الشعرية الرائعة ٠

***

نموذج للمناقشة والدراسة ٠
اقرأ هذه الابيات لشاعرة تدلل وليدها الصغير ٠٠ ثم أجب عن الاسئلة التى تليها على ضوء فهمك للتجربة الشعرية وعناصرها ٠

ازهو بطلعته واحسبه
الكون جمع كله بيدى
واظل منه على تخلعت
آماله في مفرق الابد
تهتا جنى من فيه زقزقة
تزرى بصوت البلبل الفرد
ويهف نحوى منشبا يده
بالعين أو بالنحر والعضد
فارده عني وارهقه
واكاد ارجعه الى كبدى ٠

أ ـ وضح عنصر الوجدان الذى تشف عنه هذه الابيات ٠

ب ـ ما الايحاء الذى تحسه من الكلمات ·
(أزهو بطلعته) ، (الى كبدى) · ؟
جـ ـ فى البيتين الاول والثانى خيال جزئى وضحه وبين دلالته على عاطفة الشاعرة ·
د ـ فى الابيات الثلاثة الاخيرة صورة كلية تفيض حركة وحيوية · عبر عن هذه الصورة بأسلوبك موضحا عناصرها الفنية ·
هـ ـ الموسيقا فى الشعر عنصر جوهرى · فما مصدرها فى هذه الابيات ·

***

من عبقرية عمر :
يقول الاستاذ العقاد ·
« هذه القوة فى ايمانه كانت هى المسيطر الاكبر على كل خلق من أخلاقه وكل رأى من آرائه ، بل كانت هى المسيطر الاكبر على ما هو أصعب مقادا من الاخلاق وأشد عراما من العقائد والشبهات وهى دوافع الطبع وسورات الغريزة ·
أ ـ ما معنى قول العقاد (أشد عراما) (سورات الغريزة) ·
ب ـ تشير الفقرة الى أن النفس العمرية لها جوانب متعددة ، وهناك ضابط قوى يسيطر عليها ، ما هذه الجوانب · وما ذلك الضابط ·
جـ ـ شبه العقاد الرأى بالسفينة ، والخلق بالنهر ، والغريزة بالسيل العرم· فما دلالة هذه التشبيهات ، وما علاقتها بالصفة العمرية التى يتحدث عنها ·
د ـ اضرب مثالا يؤكد سيطرة الايمان على سورة الغريزة عند عمر ·
ما اعراب الكلمات (القوة ـ المسيطر ـ عراما) من كلام العقاد ؟
(يسيطر) اجعل هذا المضارع فى جملتين بحيث يكون واجب التوكيد بالنون مرة ، وجائز التوكيد مرة أخرى ·

***

من النصوص النثرية
يقول د · طه حسين :
« هؤلاء لا تستقيم حياتهم الا اذا اجتمعت كلمتهم لان الله يأمرهم بأن تكون كلمتهم مجتمعة ، ولا تستقيم حياتهم الا اذا كانوا أحرارا لان الله قد خلقهم احرارا وقد أنزل عليهم دينه ليحرروا أنفسهم من كل ذلة ، من كل خضوع · ومن كل اذعان »

ـ من المشار اليهم بكلمة (هؤلاء) ؟

ـ فى الفقرة رأى للكاتب ودليل عليه · فما الرأى وما الدليل ·
ـ يحرص الدكتور طه حسين على تأكيد فكرته وعباراته · فما وسائل التوكيد التى تجدها فى هذه الفقرة ·
ـ لأسلوب طه حسين موسيقا متميزة · فما مظاهرها فى الفقرة ·
يمثل الكاتب الكبير مرحلة من مراحل تطور النثر فما هى ؟ وما ابرز خصائصها ؟



وعد عينيك

● محمد محمود عبد العال ●

ماس فى روضِ هـواتا الياسـمينُ
مشـتـار الشوق فوّاحَ الحنـين
واتتنى الوردُ كأنفـاسِى حزين
لاهب الأعطار فى الأفـقِ السجين
يسأل النبضَ عن الشجو المستكين
فأجيبى ... إذ صوتى لا يبين !
يا حياتى ... يا منى قلبى وروحى
يا انبجاسَ النـور فى القلب الجريح
يا ذرى الآمال فى عمرى الطموح
أنتَ بالشجـو الذى بى تعلمـين
فلماذا يا حيـاتى تصمـتين ؟
إن فى عينيـكَ أسرارَ وجودى
جئتُ للدنيـا أوفيها عهـودى
لم أجىء إلا لتحقيـق الوعـودِ
وعدُ عينيكَ سماوى .. فجودى
واغزلى الفرحة للقلب الحـزين
واملأى عمـرى بأفراح السـنين

الدمازين

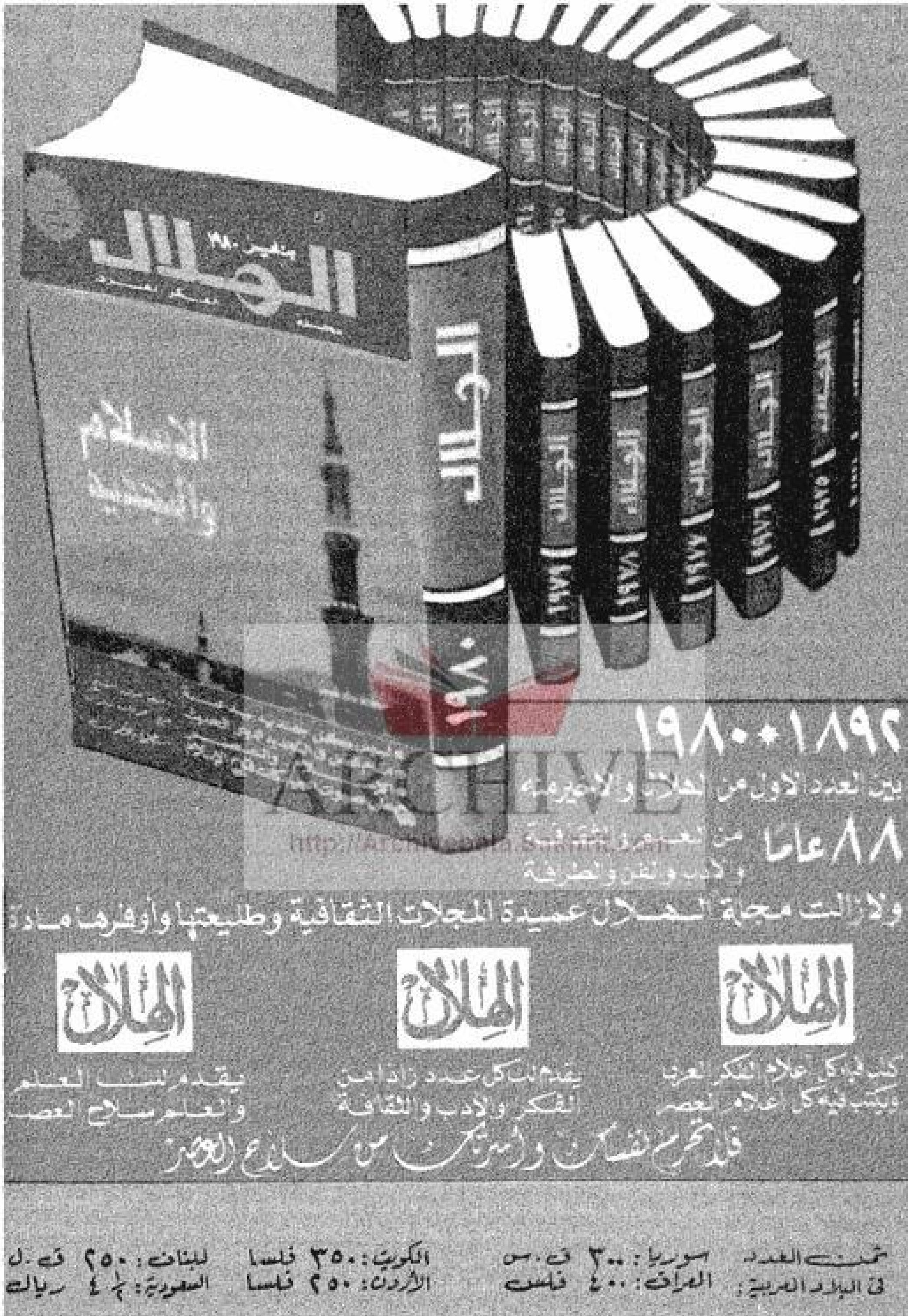
دُرّة النيل

● مبارك المغربى ـ الخرطوم ●

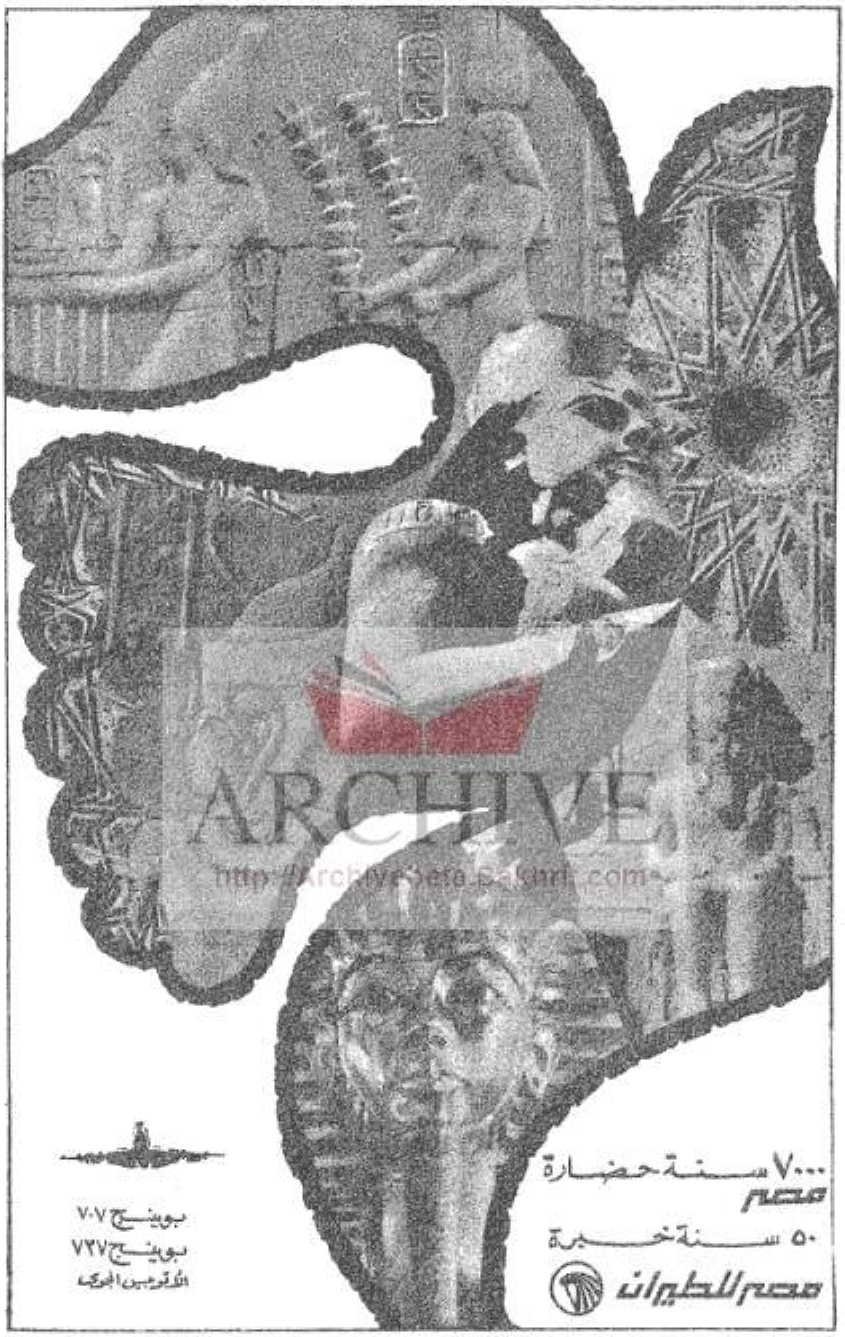
ليس يقوى على هواك فؤادى   كل مافيك فتنة يابلادى
انت دنيا من الطبيعة تغرى   نا فتوحى روائع الانشاد
انا صب بكل مافيك من حسـ   ـن فلا بدع ان ملكت قيادى
كم رضعنا لبان حبك فى المهـ   ـد وما انفك خالدا فى الفؤاد
سار شعرى مسير نيلك يحكى   قصة النيل فى الهوى والجهاد
شاقنى سحرك الخلوب فغنيـ   ـت مشيدا بالسحر فى كل ناد
فى مراقى الجمال .. فى الخلق   السمح وفى كل مشهد منك باد
كلما قلت استريح قليلا   اجد القلب ممعنا فى العناد
كلما زادنى الدنو ائتلاقا   واحتراقا .لم اقض منكمرادى
فاذا بى اسير وجد جديد   فى ربوع تطيب للمرتاد
نفحتنا ربى « الرصيرص »بما   لعطر نديا على الربى والوهاد
يرقد النهر تحتها وهى جذلى   برفيق العهود والامجاد
قام خزانها العتيد مثالا   للتحدى .. فى روعة واعتداد
« والدمازين » فى جلال ترائت   كعروس فى اجمل الابراد
تزدهى بالشباب فى ساحة البذ   ل وتعتز بالرجال الشداد
حيثما سرت تلتقى بجديد   فى طريق البناء والاعداد

●●

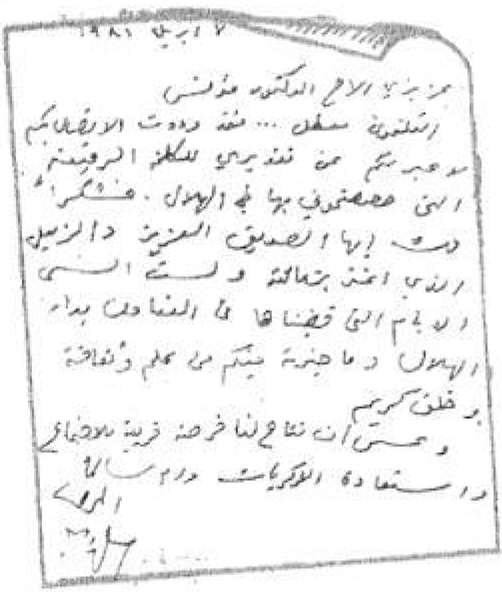
فتنة «الازرق» الجسور سلام   من قلوب تلقاك رغم البعاد
اسرتها من المشاعر السمو ا   ن كساها الشذى عبير الوداد
بين قوم سقى الغمام حماهم   عهدهم والندى على ميعاد
جادك الخير والرخاء وطابت   بك نعمى للساكنين الصوادى
وكستك الرياض ثوب ائتلاق   واخضرار يدوم للاباد
وتبوات سامق القدر بالعز   م وعشت الزمان فى اسعاد
درة النيل عشت للنيل ذخرا   وحماك الاله من كل عاد


الهلال
١٨٩٢ • ١٩٨٠
بين العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٨ عاما من العلم والثقافة والأدب والفن والطرافة
ولازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة
الهلال
يقدم لك لب العلم والعلم سلاح العصر
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
ثمن العدد في البلاد العربية: سوريا: ٣٠٠ ق.س العراق: ٤٠٠ فلس الكويت: ٣٥٠ فلسا الأردن: ٢٥٠ فلسا لبنان: ٢٥٠ ق.ل السعودية: ٤ ١/٢ ريال


الهلال
مايو ١٩٨١
مجلة الفكر العربي
قضية للمناقشة



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧


٧ ابريل ١٩٨١

عزيزي الاخ الدكتور مؤنس

تحية وسلام ... فقد وددت الاعراب لكم
عن [illegible] تقديري للكلمة الرقيقة
التى خصصتموني بها في الهلال . فشكرا
وهي إنما تصدق على الصديق العزيز والزميل
الذي اخلص برسالته و[illegible] السنين
والايام التى قضيناها في [illegible]
الهلال وما تميز بينكم من علم وثقافة
وخلق كريم
وعسى أن تتاح لنا فرصة قريبة للاجتماع
واستعادة الذكريات ودمتم سالما
المخلص

رسالة من منشىء صحف دار الهلال
الأستاذ الكبير : اميل زيدان

كلمة الهلال

أعظم ماتعلمناه منك

● تحية بتحية .. ●

استاذنا الكبير : اميل زيدان

الف شكر لك يا استاذ الأساتذة وتأكيدا استاذنا اميل اننى لا انفرد وحدى بتقديرك وشكرك والاعتراف بفضلك فاننا هنا فى دار الهلال كلنا تلاميذك وصنع يديك . حتى هذا المبنى وكل حجر فيه يشهد لك ويعترف بفضلك . وكما أن اسمك محفور فى كل قلب ـ فهو محفور ايضا على كل حجر فى هذه الدار .

لقد كنت انت اول من فتح لنا الباب وما اكثر الذين فتحت لهم الباب ليدخلوا ذلك العالم الصعب ، الفاتن ، المحفوف بالمتاعب ، عالم الصحافة والأدب .

وما اكثر اولئك الذين اعطيتهم الفرصة واختبرتهم وتركتهم يجربون حظهم وكنت ترقبهم عن كثب ، فمن رايت فيه خيرا ابقيته وبقى ونجح ، ومن لم ترض عنه خرج من الباب ولم يعد . وجرب حظه فى ميادين اخرى وقد يكون قد نجح ولكن ليس كصحفى او اديب من الطراز الجاد الذى كنت تريده ... وانت يا سيدى كنت استاذا دقيقا ، الميزان فى يدك لا يختل ، لانك كنت منشئا وصانع رجال . ولن اعدد لك اسماء تلاميذك الذين لازالوا يحمدون الله من انك عرفتهم واخذت بيدهم .. فهم كثيرون جدا ، وانا اخشى ان انسى بعضهم لانهم كثيرون . ولكن يكفى ان اذكر لك تلميذتك وقائدة مدرستك امينة السعيد كانها بتوفيقها العظيم تنوب عنا جميعا فى التعبير عن مشاعرنا نحوك وعرفاننا بجميلك .

اتعرف يا استاذ اميل ما هو اعظم شيء تعلمناه منك ونذكرك به على الدوام .. الشرف ، شرف القلم ، وقداسة الكلمة المطبوعة ، وامانة القلم والاخلاص . وحب هذا الوطن ووضع القلم فى خدمة الحق والوطن والايمان والاخلاق ..

عشت يا استاذنا وبورك لنا فيك ...

واننا دائما على دربك ومنهجك داعين الله لك بطول العمر ودوام العافية ..

كتب وكتاب

● نصر الدين عبد اللطيف ●

القراءة .. وبعدها يأتى الحب

خذ الامر ــ امرك ــ بالاوثق ! ..

اذا لم تستطع ان تاتى بالبحر الى قلب الصحراء ..

فلا اقل من ان تقيم لك فى قلب الصحراء خيمة بلون البحر ! ..

مثل ذلك ماتراني فيه الآن ...

لقد هاجرت ــ للمرة الثانية ــ الى منطقة الحياد بين الشعر والقصة ..

حملت اشيائى واوراقى ،واقمت فى الصحراء خيمتى هناك ، والخيمة بلون البحر ! ..

الآن ، كل ما حولى يذكر باعرابى الفج ، لم يبق منه للتاريخ مايذكر الا جوابه عندما سالوه :

● انا جلست الى ساعة صفو ، فمع من تحب ان تقعد ..

وعلى وجه من يطيب لك ان تشرب ؟

ــ على وجه سماء .. وصفو هواء .. وسعة فضاء .. وخضرة وماء ! .

• • • • • * *

وآه لك يا اخا العرب ! ..

ها انا الآن فى مثل ما وصفت .. وخيمتى فى قلب « الديكور » الكـــونى العظيم .. وجه سماء ، وصفو هواء ، وسعة فضاء .. ولكن ، كيف يانعهنا .. كيف تطيب فى غيبة الوجه الجميل ــ خضرة وماء ؟! ..

***

.. وتنهدت نجمات المساء من اجلى ..

لا احد معى ولا احدة ! ...

الليلة لانحن ايام زمان .. ولا انــا السلطان .. ولا هنا عذبة الحضــور ، تحفة الله ، رائعة الحنان !..

ليس غير القلم ، والحلم ! ..

بالقلم والحلم ، يتغير وجه الواقع .. او ياخذ وجها جميلا ! ..

تغيير الواقع ـ ثورة ! ..
وتجميل الواقع ـ فن ! ..
هل رأيت ما فعل فريق المتصوفة فى قاعة الاسمار ؟! .

لقد شاء السلطان ، أيام زمان ، أن تكون الحوائط الكبرى فى القصر ، زينة العصر ! ..

ولهذه المشيئة ، جاء مهرة الفنانين والمزخرفين من اركان الدنيا ، فاختار فريقا من الغرب ، وفريقا من الشرق ..

ثم أمر فأقيمت الحواجز والأستار فى منتصف القاعة بين الحائط والحائط المقابل .. ثم عزل بين فريقى الفنانين ، لايرى احدهما الآخر ، ولا يعلم ما يرسم على الحائط ليجمله بمشيئة السلطان بدما يخلب الناظرين ! ..

ومنذ الايام الاولى فى العمل .. بدا فريق الغرب يضفى على الحائط من فنون النقش والألوان .. وفريق الشرق يعكف على الحائط يجلوه ، يزيده صقلا وتنعيما ! ..

.. حتى جاء اليوم الموعود ، فرفعت الحواجز والاستار .. واقبل السلطان يرى ما صنعوا ، ويجيز من اجاد وابدع ..

واهتزت نفسه ، لما رأى ـ عجبا ! ..

.. بالزخارف والنقوش ابدع فريق الغرب ، فجعلوا الحائط لوحة رائعة ! ..

وبغير زخرف ولا نقش ابدع فريق الشرق ، فجعلوا الحائط المقابل مرآة باهرة ! ..

هكذا ، بدا الحائط المرسوم قطعة حية من الواقع الجميل ! ..

.. وبدأ انعكاس خياله على الحائط المقابل مشهدا من الحلم الاجمل ! ..

* * * * * * *

ولست أدرى ، ولا استاذنا الكبير الجاحظ يدرى ، لمن تحيز السلطان فقضى واجاز .. فان للسلاطين ((ـ كما لعلك لاتعرف !)) مزاجا متعبا ، متقلبا على ذبذبة قدرها واحد واربعون الف ميجا هيرتز ! ..

* * * * * *

.. لم يكن لخيمتى باب .. ولا للباب جرس تضغطه فيدق لى ولك نغمات صوت البلبل ! ..

ولو ان على باب خيمتى حارس اسمر ضخم رهيف القلب ، لجاءنى مسرعا ، مقبلا ، يشير بيديه نحو الباب وهو يقول لى :

● شابة مزعجة طلعت لنا من تحت الارض !

وأسأله :ـ أو تحت الارض أيضا شابات مزعجات ؟!

● الآن صدقت وآمنت ! ..

ـ لابد انك رأيتها وهى تطلع لنا من تحت ..

● فتحت عينى فجأة .. لقيتها امامى !

ـ .. يفتح عينيه فجأة من يكون نائما ! ..

● هاه ! .. لا .. آه !

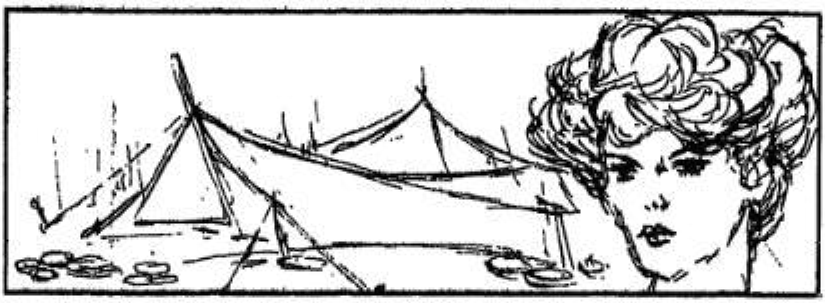
ـ افهم .. ياترى فتحت عينيك على وجه جميل ؟!

● لكنها كانت عصبية غضبانة ، وعفاريت الدنيا فى عينيها ! ..

ـ آه ، فتنة الناس والعصر العفاريت فى العيون الجميلة ! ..

● استغفر الله !

ـ لن يغفر لك ذنبك فى حق ضيفتنا القادمة من تحت الارض !..
● ابدا ، الحقيقة انا ..
ـ تركتها تنتظر حتى زهقت ، واضطرت ان تقتحم علينا الخيمة !
● ولكن ..
ـ انظر وراءك . شابة رائعة .. مهملة الثياب .. شعرها عسل . واقفة تتامل رفوف الكتب ! ..
● والان ، كيف اذن .. اعنى .
ـ خل عنك انت وانطلق حالا الى قلب الصحراء !
● قلب الصحراء ؟! .. ياساتر ! .. لماذا ..
ـ لتصيد لنا غزالا نجعله شواء تشتهى له الليلة !
● انا .. اصطاد غزالا ؟! اصطاد .. كيف ، كيف يمكن ..
ـ مثلما يمكن ان يصطادك اسد غليان جائع ، ياكلك ، ..ونسهر الليلة بغير عشاء ـ على ذكراك ! ..
● الله يسامحك ! ..
ـ سيحصل !! .
* * * * * *
وتقدمت ، اقول لها :
● اعجبك شيء من هذه الكتب ؟..
قالت : لا ، لا ارى امامى فرصة لاختيار ما يعجب !
● معك حق ! .. الكتب هنا مرصوصة فوضى وكيفما اتفق !
ـ لكنها طبعا سيعاد ترتيبها قبل موعد الافتتاح ؟!
● الافتتاح ! .. اين ؟ ..
ـ هنا ! .. اليس هنا معرض كتب فى خيمة وفى الصحراء ؟!
● آه .. هاها ! .. والله فكرة !
ـ يعنى الم تكن تعرف ؟
● لا ، اعنى .. لم اكن اعرف هل وصلتك دعوة لحضور الافتتاح ؟
ـ ابدا المسالة مجرد صدفة .. عربتى تعطلت فى الطريق ، ومشيت حتى وصلت هنا !
● آه ، واهلا بك هنا ! تفضلى ..
ـ شكرا ! ..
● تفضلى الى الداخل لتستريحى ، ونجد طريقة للنجدة !
ـ اهنا .. اعنى فى الداخل احد ؟
● نعم ، آه .. هنا ـ اريكا ..
ـ اهى .. !
● حسناء ناضجة ، شاعرية وشاعرة وخوافة ! ..
ـ خوافة ؟ ..
● تفتش الاركان وتغلق النوافذ والابواب قبل النوم !
ـ ولكن ..
● ولكن خوفها ميز شاعريتها .. اجمل قصائدها مفعمة باسقاطات الخوف ، وعنوانها : « الرجل الذى .. »
ـ المهم الآن اين هى ..



● القصيدة ؟.. لا ، لا .. اكسف اقدمها لك الآن ! ..
ـ انا اقصد اين الشاعرة .. اين اريكا ؟ .
● آه ، اريكا جونج ، الشاعرالامريكية المعاصرة من مواليـــد نيويورك ١٩٤٢ انها الان .. في ذات المدينة التى ..
ـ المهم ! .. المهم الآن .. من هنا بالداخل ؟ .
● لا أحد ! ..
ـ ولا صاحب هذا المعرض ؟
● صاحب هذا المعرض ذهب يصطاد غزالا يتعشى به !
ـ آه ، وأنت .. بماذا تتعشى ؟
● انا .. تحت امرك !!
ـ اوهه .. شكرا !
• • • • • • •
ـ ولكن . من انت هنا ؟ العمل ، الوظيفة ؟
● وظيفتى هنا قارىء ! .. قارىء لكل هذه الكتب التى ترين !
ـ ياه ! .. مسكين !
● شكرا !

ـ ولكن من الذى اوقعك على هذه الوظيفة المتعبة ؟
● الحب !
ـ الحب ! .. وما الصلة بين القراءة والحب ؟!
● صلة تبعية ! .. القراءة وبعدهاياتى الحب !
ـ لا اظن ! ..
● ولم لاتظنين ؟!
ـ لان المعرفة هى الاسبق ! .. المعرفة وبعدها ياتى ..
● لم تختلف .. اليست المعرفة قراءة ؟ ..
ـ ولكنى اقصد المعرفة بمعنى التعرف ، يعرفها ، وتعـــرفه اولا .. المعرفة وبعدها ..
● سااقتنع بوجهة نظرك ، اذا ساعدتنى الان نعمل فنجانى شاى تعرفى ؟

ـ اعرف !
● اذن اتفقنا ! .. الشاى ، اقصدالمعرفة ، وبعدها ياتى الحـــب ؟!

● نصر الدين عبد اللطيف ●

حصاد الكتب

● قراءة فى القصة القصيرة ●

كتاب جديد للكاتب الناقد الفنان محمد قطب ، يتناول فيه بالنقد التطبيقى اهم الملامح القصصية لدى كتاب القصة القصيرة فى اجيال ثلاثة متتابعة ومتواكبة ، مع ما طرأ على القصة القصيرة من احداث فى الشكل والبناء ..

ومن ابرز ما يتميز به هذا الكتاب الشائق ، أن مؤلفه الناقد الفنان ، قد عنى فى اختياره للأعمال القصصية التى عرض لها ، بذلك الخيط الذى يربط بين الكاتب والمتلقى حتى تكتمل الدائرة بين الكاتب والعمل والقارىء ..

كذلك فان المزاوجة بين الفكر والجمال ، كانت ضرورة فنية حرص عليها وأبرزها المؤلف فى تناوله للأعمال القصصية فى هذا الكتاب القيم الذى يجلو للأجيال وجه القصة المصرية القصيرة ، والذى يمثل علامة بارزة فى النشاط الجديد الذى تقدمه الى المكتبة العربية الحديثة باعتزاز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ..

● عالم الجمال ●

يمثل هذا الكتاب الجديد للأستاذ الدكتور عبد الفتاح الديدى ـ مرحلة جديدة ممتعة فى التفكير الجمالى ، فهو يدرس الجمال مطبقا على اعمال التصوير والنحت والحفر والموسيقى والسينما ، وكل الفنون الأخرى التى يلعب فيها الجمال دورا بارزا محسوما.

ولقد حرص الدكتور الديدى فى هذا الكتاب على أن يتكلم عن الجمال كعلم ، ينبثق من الأعمال الفنية ذاتها .. كما تضمن فى التأليف وضع مخطط يخدم الفن ابتداء من الديكور الى شتى انواع الفن التطبيقى ، وعلى اساس الربط المحكم بين التقنيات الفنية وجماليات الفن .

والرحلة مع هذا الكتاب الجديد طويلة وممتعة ، يتزود منها القارىء بثقافة متكاملة ورائعة فى أجمل فنون الحضارة الانسانية على امتداد الماضى العريق ، والحاضر المتطلع فى عالم الفنون الى الأروع والأنفع .

● بوح العاشق ●

ديوان جديد للشاعر مفرح كريم ، من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، يضم مجموعات مختارة من شعره ، تتألق قصائدها عبر صفحات الفصول الستة فى الديوان، وتتصدرها

اهداء رقيق .. « الى ولدى تامر ، وابنتى حنان – اطلالتى على المستقبل» .

● لؤلؤة من الاعماق ●

مجموعة قصصية جديدة للقـــاص الفنان الشاب ملاك ميخائيل واصدرها على نفقته بتضحيات مرهقة ، وبعيد متابعات وجهود مع دور النشر على غير جدوى ..

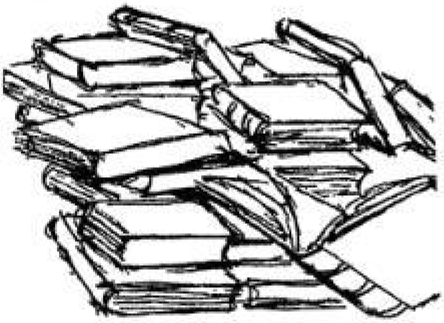
وملاك ميخائيل من شـــباب أدباء الاســـكندرية ، فاز بالجـائزة الاولى وميدالية د. طه حسين الذهبية للقصة القصيرة من نادى القصـة الى القاهرة عام ١٩٧٦ وعام ١٩٧٨ اضـــافة الى فوزه بجـوائز اولى فى مهـــرجانات التاليف المسرحى والقصة القصـــيرة بالاسكندرية .

● شجرة البيض المصلوب ●

وشجرة البيض هنا هى جزء اول من ثلاثية يصدرها المؤلف الاستاذ مختار محمود فى ثلاثة اجزاء تروى تاريخ مصر وحياة مصر الخاصة والعامة .. وهذا الجزء الاول من الثلاثية – (ثلاثمائة صفحة من القطع الأنيق وغلاف الوان – طبع على نفقة المؤلف) – يعبر عن مرحلة مكتملة فى الفـن الـروائى ، من خلال حركة درامية واعية تتصاعد فى هدوء لتصل الى ذروتها فى دراما الحب والشوق والوحدة والكبرياء ..

● فى ديوانه الجديد «اطياف الشفق» – يقدم الشاعر الرقيق عاطف السيد الاهداء فى قصيدة عذبة يقول فيهـــا

ياحبيبا ساهما فى الافق
فى رؤا مثل طيف الشفق



اهبط الافق فقلبى لم يزل
فى رداء من سواد الغسق !

● **« الحب هو الحب » كتاب جديد**

للكاتب الاستاذ امين سلامة يضاف الى سلسلة اضافاته الكثيرة للمكتبة العربية ويتميز بشموله فى تناول شـــتى موضوعات الحب من مختلف الزوايا ومن آراء مشاهير اهل الفكر الذين مسهم الحب بلمساته السحرية ، فقالوا عنه وفيه اجمل ماقيل ويقال ! ..

من مطبوعات « الكلمة الجديدة » – كتاب غير دورى تصدره الندوة الأدبية بمحافظة السويس – صــــدر ديوان جديد للشاعر حجازى غريب ، بعنوان « طائر الموت الأسود » .. والشــاعر يتميز باكتمال أدواته لغة وفكرا ، ويتسم شعره – كما تقدم « الكلمة الجديدة» بنغمة رئيسية هى نغمة الحـــزن التى يتخللها الشاعر كركيزة اساســـية ومحورية ترتكز عليها قصـــائد الديوان

فى « السلسلة العصرية . للمعلقات المصرية » يقدم الشاعر المجيد الأستاذ السيد مصطفى الجرف : الملحمـــة الطريفة فى جحيم الوظيفة .. والملحمة بالاضافة الى ماتتميز به من شعر جيد قوى الأداء فانها تقدم لونا طريفا فى عالم الشعر تفتقده المكتبة العربية ويتطلع اليه جمهرة القراء فى عالم العروبة ..

كتب وكتاب

جيل وراء جيل

● جلال العشرى ●

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

● نموذج يبشر بالخير لادب جيل مبارك من شباب الفكر ننتظر منه كل خير .

خير ما نقرأ من الكتب هو ما تشعر وانت تطالعه انك كنت بحاجه اليه ، فانت تستمتع به لانه يسد فراغا عندك ويضيف اليك علما ، فاذا كان الكتاب مصوغا فى قالب علمى دقيق رصين ، مرسلا فى اسلوب عربى قديم ، متحريا للحق فيما يكتب فقد زادت متعتك بالكتاب وتقديرك لمؤلفه .

كتاب « جيل وراء جيل » هذا كله ، ويجمع الى جانبه ميزة أخرى هو ان كاتبه اديب مفكر شاب ، فهو بالنسبة لى يضيف الى متعتى فوق ماأعطانى ، يضيف الامل فى جيلنا الجديد والثقة فى ان شجرة الفكرة المصرية لاتزال غنية مثمرة وان جيلنا ليس الاخير كما قال بعضهم ، ولا يمكن ان يتصور انسان على أى حال ان جيلا – مهما كان – هو الاخير ، لان الحياة متصلة والاجيال تتوالى ولكل جيل عبقريته واعلامه ، ومصر – أعرق أمة ذات علم وفكر فى الوجود تعرف ذلك أكثر ممن يعرفه غيرها، فهذه سبعة آلاف سنة وتزيد واجيال تتوالى والعطاء متجدد، ومصر لا يمكن ان تكون الا مصر ، والا فماذا يمكن ان تكون .

من خلال مشاعر كانت تتوالى فى ذهنى وانا اقرأ هذا الكتاب الممتع الذى اهدانا اياه جلال العشرى وهو من خيرة ابنائنا علما وجدا وخلقا ، وهو من أولئك الذين يعرفون ان الابداع ليس مجرد موهبة بل وعمل وان النجاح ليس ضربة حظ وانما هو عمل متصل وان نصيب الحظ فيه قليل ، فقد كان ابو حيان التوحيدى موهوبا وعاملا جادا ولكنه كان قليل الحظ ، فلم تعقد به مثار الحظ عن الظهور ، فظهر واشتهر ووصل الينا ادبه وانتفعنا به، ونسينا ونحن نقراه انه هو نفسه كان سيئا بحظه القليل من دنيا الناس ..

***

الكتاب يتناول موضوع الجيل الذى يلى جيل المشاهير الذين وصلوا الى اعلا السلم وثبتوا اقدامهم هناك . من توفيق الحكيم الى صلاح عبدالصبور وصلاح جاهين ، وانا شخصيا لا اعرف اسماء الكثيرين من اسماء رجال جيل ما بعد المشاهير هذا ، فانا اعرف توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى ونجيب

محفوظ ويحيى حقى ويوسف ادريس وانيس منصور ورشاد رشدى وصلاح عبد الصبور ، ولم يسعدنى الحظ بمعرفة صلاح جاهين . اما من بعدهم فاعرف منهم نعمان عاشور ولكننى اعترف - مع كثير من الاسف - باننى لم اعرف نجيب سرور الا من خلال صفحات جلال العشرى هذه ، وقد عرفت حسن محسب وقرات له ماوراء الشمس . وعرفت الشاب نفسه واعجبت به. ولكن جلال العشرى زادنى به معرفة ، وعرفت يوسف القعيد ولا ادرى لماذا لم اقتنع به ولكن جلال العشرى لفت نظرى الى جوانب اخرى متميزة فيه مثل الرمزية مثلا ، فان شخوصه فى قصصه ليست مجرد شخوص . .بل هى رموز لمعان خافية عن القارىء ولكنها معروفة مثلا فى القرية المصرية . .

وقد عرف جلال الشرقاوى كيف يقدر مجيد طوبيا وابراهيم اصلان ومحمد حافظ رجب وعز الدين نجيب وزهير الشايب وضياء الشرقاوى وجمال الغيطانى ومجيد البساطى وعبد العال الحمامصى ويحيى الطاهر عبد الله ، وهؤلاء جميعا اعرفهم ، فان العمل فى مجلة الهلال ورواياته عاوننى على ان اقرا لكل شباب هذا الجيل وفتح عينى على مواهب كانت فيهم ولابد أن تخرج وان كنت قد لاحظت ان انتاج الكثيرين منهم غير متعادل ، فان الواحد منهم يكتب قصة جميلة جدا ثم ، يعقبها باخرى تتمنى انت لو لم يكتبها ، وبعضهم تحس وانت تقراه ان قامه ضحل وانه يغترف من وشل ، ربما لقلة الاطلاع او لامتلاء النفس بالنفس ، ولكنهم على اى حال يقدمون فى مجموعهم جيلا جيدا من اهل القلم والموهبة الفنية . .

وقد ابدع جلال العشرى فى الكلام عن انيس منصور ومن بعده من السائرين فى خطه ، وانا احب انيس منصور منذ عرفته ، وزاد حبى له عندما قرات مقالاته المبدعة عن صالون العقاد ، فانت تحس وانت تقرا هذه المقالات ان انيس لم يصل الى ما وصل اليه مصادفة او تفضلا من احد ، بل هو تعب جدا فى صنع نفسه : قرا كما لم يقرا احد من اهل جيله ، وسعى ليعرف ويتعلم كما لم يسع غيره ، وكتب الوف الصفحات لكى يصل الى التجويد المبدع الذى يكتب به اليوم ، وهذا هو الذى ينقص معظم السائرين على دربه ، فهم محتاجون الى هذا العمق الغزير الذى يتمتع به ، وليس لهم هذا الصبر الطويل الذى تسلح به انيس منصور ليقطع الطريق الطويل . .

وكان بودى ان اكتب عن رشاد رشدى وجيل ما بعده ، فانا احب رشاد رشدى واعجب بادبه واسلوبه وشخصه ، وهو فى رايى طراز لا يتكرر ، فكيف يكون له ما بعده . وكذلك الحال مع صلاح عبد الصبور ، ففى رايى انه اليوم فى عنفوان نضوجه الفنى وانتاجه الادبى ، ثم انه شاعر ، والشاعر دائما نسيج وحده ، وما بعده لابد ان يكون شيئا آخر غيره .

***

وبعد فقد كنت أود ان أكتب كثيرا عن هذا الكتاب ، ولكن لكل شىء حدوده ، وأعتقد أن القدر الذى قلته فيه كفاية ، فانا لا اريد أن يغنى كلامى هذا عن الكتاب ، بل اريد أن يكون دعوة لقراءة الكتاب .

لقد استمتعت بهذا الكتاب وسعدت به ، لانه كما قلت من قلم شاب عرف فعلا كيف يجعل نفسه بعمله وعلمه واطلاعه وجديته - فى الصف الاول من جيل جديد مبشر بالخير مؤكد للحقيقة التى جعلته يكتب كتابه هذا وهى انه لا يمكن ان يكون هناك جيل اخير ، بل هى اجيال تتلاحم ونهر الحياة يسير ، والفن والفكر آخر الامر قصة بلا بداية ولا نهاية .

● د . حسين مؤنس ●

فى هلالك هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربى

جمادى الآخرة ١٤٠١هـ
مايو ١٩٨١م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
ــ السنة التاسعة والثمانون ــ أول
مايو سنة ١٩٨١ ــ ٢٤ من ربيع
الآخرة سنة ١٤٠١

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
سكرتير التحرير الفنى : موسى حميد

من الهلال

الإشراف الفنى
أحمد الوروجى

● صورة الغلاف ●

فى هذا العدد مقال قيم عن مكونات الفضاء للواء المهندس سعد شعبان ، وقد اخذنا رسم الغلاف من هذا المقال الذى هو اشارة الى المستقبل ورمز على اتصال شجرة العلم والصورة تمثل صاروخا من الطراز الجديد منطلقا فى الهواء ليصل الى فضاء الله ..

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . لا تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط .

لكي تحقق بلادنا أهدافها لابد أن نكون جميعاً علماء

بقلم : رئيس التحرير

● الطبيب والمهندس والمعلم والميكانيكي والاسكافي والنجار والخياط حتى عامل التنظيف

.. ينبغي ان يكونوا كلهم علماء كل في فنه .. هذا هو مفهوم الحياة واساس النجاح والرخاء في العصر الحديث . في الجامعات ومراكز التدريب في الغرب يرسب في الامتحان من يحصل على اقل من ٩٥٪ لان العلم اما ان يكون كاملا او لا يكون علما على الاطلاق ، والصناعة لابد أن تكون متقنة تماما والا فان عدمها أحسن .

نحن نعيش في عصر العلم . والعلم يدخل اليوم في تركيب كل شيء ومن حولنا ، فنحن اليوم نأكل بالعلم ونشرب بالعلم ونفكر بالعلم . وبدون العلم فاننا لن نجد ما نأكله او ما نشربه ويصبح فكرنا كله هباء .

وقد تغير لهذا معنى العلم وشكله ، فلم يعد العلم قاصرا على طبقة رفيعة من الناس متميزة على غيرها بالعقل والحكمة والدراسة ، وانما أصبح من المطلوب ان يكون النجار والكهربائي وعامل الادوات الصحية وصانع الحذاء علماء في فنهم ، والصنعة نفسها ، التي كانت في الماضي وسيلة لكسب العيش أصبحت تكنولوجيا والتكنولوجيا هي الاتقان ولفظ « تيخنوس » اليوناني الذي اشتقت منه التكنولوجيا موجود في القواميس العريقة تحت تقن .

وقد رأيت من حين قريب فيلما عن صناعة الاحذية في فرنسا فملكني العجب ، لان صانع الحذاء بدا لي مهندسا وطبيبا ومصمم ازياء واشياء اخرى كثيرة في آن واحد معا ، فلما ذهبت الى سويسرا من حين قريب اشتريت حذاء من هذه التي يصنعها الاسكافيون الاطباء المهندسون . ولقد هالني الثمن ، ولكنني ما كدت اضع قدمي في الحذاء وأسير به حتى صغر الثمن في نظري .. فهذا الحذاء اغلى من ثمنه بكثير ، وانت لا تشعر بشيء في قدمك اذا لبسته ، وانت تسير به الشهر بعد الشهر فلا يتغير شكله ولا تقل راحتك معه . هنا شعرت ان العلم جعل « النعل » وكان في الماضي ادنى شيء ، جعله قطعة من الراحة والصحة والفن . ويلقاني صانع حذاء مصري ويقول : انا اصنع لك أحسن منه ، قلت له مستحيل ، لان هذا علم ، وكل الذي عندك « عافية » .

هذا الشيء البسيط ـ الحذاء أقصد ـ صور لي معنى العلم الحديث ، فهو دراسة وتجربة وخبرة ودقة واخلاص في العمل والصنعة . لان الخطة التي يسير عليها مصنع الاحذية الاوروبي اليوم خطة علمية أساسها ان كل ما يصنع هناك لابد أن يباع . ونتيجة لهذه الخطة العلمية في

● نحن نعيش اليوم فى عصر العلم ، والعلم يدخل اليوم فى تركيب كل شىء ، حتى الفن أصبح علما ، ونحن اليوم نأكل بالعلم ونشرب بالعلم ونكتب بالعلم ، والعلم لا يتجزأ : إما علم أو لا علم ، وما أخطر التظاهر بالعلم أو المتاجرة بالعلم ...

الصناعة والاسلوب العلمى فى الدعاية والتوزيع هى أن كل انتاج هذا المصنع يباع مقدما لسنتين على الاقل . والاعلانات التى تقرأها فى الصحف عن أحذية أوروبية ليست مجرد وسيلة للترويج ، بل هى تأكيد لحقيقة ، فهم يقولون لك انه يريح قدمك ويخدمك زمنا طويلا ثم انه جميل يضيف الى حسن مظهرها ، وهذا كله صحيح .

وهذا دون شك هو النجاح .

***

ونحن نتصور أن الصناعة والتجارة العالميتين تقومان على الصناعات الكبرى : السيارات والقاطرات والتوربينات وما اليها ، حقيقة أن هذه تكون نصف الصناعة والتجارة فى العالم ..

والنصف الثانى ؟

أشياء نحن نستطيعها قطعا ، مثلا :

النسيج والملابس .

الالبان ومنتجاتها ..

الخضروات والاطعمة المحفوظة والمعلبة والمثلجة .

الادوات الكتابية ..

لعب الاطفال .

وغير ذلك كثير ..

وتصور مثلا أن شركة نسله للالبان والشيكولاته والاجبان هى رابع شركة فى الدنيا من حيث رأس المال والانتشار والارباح ! ..

واليابان مثلا هى الاول فى العالم فى الالكترونيات الكبيرة والصغيرة والساعات وأدوات التصوير .

ولكن ثلث ايرادها لا يزال يأتى من النسيج والاقمشة .

ونحن ننسى عندما نرسم خططنا الصناعية أو الطعام ألزم للانسان من الثياب ، وان الثياب ألزم له من الالكترونيات .

ـ ولو أننا نجحنا مثلا فى احتكار انتاج وتوزيع معلبات الخضر والفاكهة ومثلجاتها فى الريفية والبلاد العربية لكسبنا من ذلك وحده بلايين الجنيهات فى السنة .

ولكن لكى نصل الى هذا النجاح ينبغى أن تكون صناعتنا مضمونة الجودة دون أدنى شك .

انى أذكر انى رأيت مرة فى أحد الاسواق المركزية فى الكويت رفا محملا ببودرة العدس ..

أخذت ٢٠ علبة .

فى البيت وجدت ذلك المسحوق ممتازا

ولكن .. وآه من « ولكن » هذه .. !

ولكن العلب التى وضع فيها المسحوق لم تكن متقنة الاغلاق . المسحوق يخرج من كل علبة ..

وبطبيعة الحال يتلوث ..

هنا ، فى هذه العملية الصغيرة ينقص العلم والايمان والاخلاق .

أما من ناحية العلم فتصور ماذا كان يفعل السويسريون مثلا ، لو كانوا هم الذين يقومون بعمل مسحوق العدس هذا

كانوا يعبئون المسحوق فى علب من الصفيح محكمة الاغلاق سهلة الفتح كما يفعلون مع البن .

وكانوا يكتبون الاسم على العلبة بأحسن خط وأجمل رسم . وعلى كل علبه وزن المسحوق الموجود ثم طريقة اعداد حساء

لكي تحقق بلادنا أهدافها لابد أن نكون جميعا علماء

العدس بالعربية والانجليزية .

هنا كان يتضاعف ثمن العلبة ثلاث مرات . بدلا من ١٥٠ فلسا ، كان سعر البيع سيكون ٤٥٠ فلسا ..

ثم ان الانسان ـ وخاصة في البلاد العربية ـ لا يهتم كثيرا بالفرق بين ١٥٠ فلسا و ٤٥٠ فلسا .

فهذه فروق مالية بسيطة في مقابل ما تستطيع كسبه اذا نحن أقمنا عملنا كله على أساس العلم والذمه والضمير .

وهذه الطريقة في تعبئة مسحوق العدس ينقصها أولا العلم ثم الايمان بمصر والايمان بالنفس .

فالرجل الذي يؤمن بمصر يعرف ان مصر مركزها كبير جدا ، ولابد ـ نتيجة لهذا ـ من ان يكون كل ما يحمل اسم مصر كبير جدا ..

والسويسري الذي يلف قطعة الشيكولاته في أربعة أغلفة واحد منها من ورق الالومنيوم والثاني من ورق السلوفان والثالث من الورق المقوى ثم الغلاف الخارجي وهذا الغلاف مرسوم اجمل رسم ومطبوع ادق طبع .

والسويسري في هذا يعبر عن ايمانه ببلده سويسرا . ما دامت قطعة الشيكولاته ستحمل اسم سويسرا فلابد أن تكون من مقام سويسرا ..

ثم ان تعبئة مسحوق العدس على الصورة التي ذكرتها ينقصها الاخلاق ..

فليس من الاخلاق ان تبيع رجلا مسحوق عدس في علبة من الكرتون الرخيص تتسرب اليها الميكروبات من كل جانب ويتسرب منها المسحوق من كل ناحية .

ثم ، هل من الاخلاق ان تربط العلبة بخيط بدائي هزيل ! اى والله !

علبة فيها بودرة طعام يربطونها بخيط

واين أساليب الاغلاف من السليوفان والسيلاتيب وورق الالومنيوم .. ؟

نحن يا ناس في القرن العشرين .. ففكروا بأسلوب القرن الحادي والعشرين اما ان تعبئوا الطعام في علب كانها المقاطف التي يحمل فيها الفلاحون أشياءهم فهو خيانه لمصر ، لان مصر اعظم بكثير من ان تطبع اسمها على هذا الشيء المتاخر الهزيل .

هل فهمت الآن ما أقصده بكلمة الاخلاق هنا ؟

وهل فهمت ما أقصده بالعلم والايمان؟ استسمحك ايها القاريء العذر في ان أوضح نفسي ، لانني ارجو ان انقل فكري الى القاريء بوضوح ودقة . لاننا بهذه المقالات وما تثيره من مناقشات لنضع اساس حاضر مصر ومستقبل مصر .

***

فالعلم في عالمنا الحاضر أصبح مفهوما لا يقبل التجزئة .. فليس هنا نصف علم أو ربع علم ..

اما علم أو لا شيء ..

والمثل الذي أضربه هنا هو « امبولة » حقنة ..

لهذه الامبولة دواء محضر علميا ومعبأ علميا .

فلنفرض أن المحلول المعبأ كان ينقصه واحدا على الف من الدقه والاتقان ، فهل كنت ستشتريها ؟

ولنفرض ان لحام الامبولة كان فيه ثقب اتساعه واحدا على الف من المليمتر ..

فهل كنت تشتريها .. ؟

واذا اشتريتها ووجدت المحلول يتسرب ولو بهذا القدر الذي لا يذكر فهل كنت تسمح لاحد بان يعطيك اياها في العضل او في الدم ؟

هنا اعطيتك المثال في شيء ملموس لك ، هو الدواء اذن فتاكد ان هذا ينطبق على كل شيء ..

والناس عندنا ـ فيما يبدو ـ يفهمون تماما ماذا نريد بالاخلاق ، فالاخلاق عندهم هي الاخلاق التقليدية فحسب الادب والامانة والصدق ونزاهة النفس والبعد عن الدنايا وما الى ذلك .

وكل ذلك حق ولاشك ..

ولكن ذلك كله ينبغي ان يكون كاملا

حقا ، وينبغي ان يقوم على اساس محاسبة النفس والتصرف بما يرضى عنه الضمير من كل ناحية ، وكذلك يتطلب من الانسان التصرف على اساس ان الانسان يعامل الله سبحانه قبل ان يعامل الناس في كل شيء ٠

ويبدو ان ذلك عسير لاننا لم نتعوده، ولكنه في الحقيقة ايسر مئونة مما نظن، فالمهم ان تقتنع به ، فاذا انت اقتنعت به اصبح قاعدة تعاملك مع الناس ، وما دام قد اصبح قاعدة فستنفذه وتطبقه دون صعوبة ٠

وهناك من يقول لك : وما الفائدة في ان اطبق انا قواعد الايمان والاخلاق ومحاسبة النفس وغيري لا يطبقها ؟ انني لو فعلت ذلك لاصبحت الخاسر الوحيد ٠

وليس اضر على بلد مثل بلدنا من ذلك التفكير ، فاننا نظن ان الناس كلهم من حولنا يتصرفون دون امانة او اخلاص او اخلاق مع انني ـ شخصيا ـ تبينت في اكثر من مناسبة ان ذلك غير صحيح ، فان الدنيا بخير والامانة والصدق ومحاسبة النفس لا زالت في النفوس ، ولكننا في حمى الحياة المتدفقة المتطورة من حولنا وبسبب الخوف الذى يملأ نفوسنا والقلق الذى اصبح سمة عصرنا لا نرى هذا الخير الكثير في الناس من حولنا ٠

لقد تبينت من زيارتي للبلاد التي تتمنى ان نكون في مستواها من ناحية النظام وراحة المواطن واطمئنانه على نفسه وعلى حقوقه انهم يتصرفون جميعا على أساس ان الدنيا بخير وان الناس من حولهم اشراف يقومون بواجبهم من تلقاء انفسهم وان هذا هو الطبيعي ٠

واضرب بذلك مثالامن واقع مشاهداتي فانا اذهب مثلا الى دكان يبيع الاطعمة في زيوريخ أو باريس أو لندن مثلا ، فأجد كل شيء متوفرا ، واجد على كل شيء سعره ، وانا لا اشك في ان هذا السعر هو الصحيح ، ولا اشك كذلك في انني اذا طلبت كيلو من اللحم من النوع الفلاني فان البائع سيعطيني ما طلبت بكل امانة ، لان المحل قد وضع للكيلو من هذا اللحم السعر المناسب المجزى له ، وما دمت سأدفع الثمن المقرر فلابد أن أحصل على الشيء الذى أطلبه دون غش أو تزوير ٠

والآن فلنفرض انني دخلت مجمعا استهلاكيا عندنا لاشترى نفس النوع من اللحم الذى أريده ، فمن المؤكد انني لن أجده ، واذا وجدته فانني لا أشك في أنه مغشوش وفي ان المحل سيخدعني ٠

لماذا ؟

أحب أن أقول أولا ان كل أنواع الطعام لابد أن تكون موجودة في هذا البلد ، لاننا أولا بلد ينتج الطعام ، وثانيا لان الدولة تدعم الغذاء بحوالى ١٥٠٠ مليون دولار سنويا ، وهو أمر لا تفعله دولة في الدنيا ٠

وثالثا لاننا شعب غالبية افراده من محدودى الدخل ،ومن محدودى الاستهلاك تبعا لذلك ٠

فلماذا رغم ذلك كله نعانى من اختناقات في التموين ؟

الجواب ٠ لان الذين يرسمون سياستنا التموينية لا يعرفون المصريين معرفة علمية صحيحة ، ثم ان المصريين لا يعرفون أنفسهم ، فهم ناس شرفاء ، ولكنهم لا يتصرفون تصرفا يتفق مع ذلك الوصف ٠

فهم يفترضون الامانة في انفسهم وقلة الامانة وضعف الذمة في غيرهم ، وعلى هذا الاساس يضعون تشريعاتهم ويحددون طريقة معاملتهم لنا ٠

وهذا كله خطأ ٠

فنحن اساسا شعب عنده اخلاق واصول وذمة وضمير ٠

فلماذا اذن نتصرف تصرف من لااخلاق عنده ولا ذمة ولا ضمير ؟

لاننا جميعا لا نفكر تفكيرا عمليا ،ولان قلوبنا خالية من الايمان ولاننا لا نعمل

لكي تحقق بلادنا أهدافها
لابد أن نكون جميعا علماء

عملا دقيقا متقنا يرضي الله .

ولقد وقفت مرة أمام موظف عام لاستخراج شهادة رسمها أربعة جنيهات. وقال لي الموظف لابد أن تضع ورقة دمغة على هذا الطلب .

ولكي أحصل على ورقة الدمغة كان لابد أن أهبط أربعة أدوار ، فقلت للموظف . هذه الشهادة لن تكون جاهزة الا بعد أربعة أيام ، فاعمل اجراءاتك ، وعندما آتي لاستلم الشهادة وادفع الرسم ستكون معي ورقة الدمغة المطلوبة بأذن الله .

ـ غير ممكن هذا الطلب لن أستلمه الا بورقة الدمغة .

ونزلت وأتيت بها ووضعتها على الطلب وانصرفت وأنا أتعجب من أمر هذا الموظف الذي لا يفكر اخلاقيا ويتصرف دون أي ثقة في المواطنين فضلا عن ان تصرفه لم يكن أخلاقيا قط . فليس من الاخلاق أن يدع رجلا مثلي ـ كبير السن ـ يهبط أربعة أدوار ثم يعود فيصعدها مع انني كنت لابد ان اعود اليه بعد أربعة أيام بالورقة المطلوبة .

وبعد شهر أو نحوه كنت أصعد سلم المجمع بميدان التحرير لشأن من شئوني في ادارة البعثات (الدور ٨) وكنت أصعد على مهل بسبب تزاحم الشبان على المصعد الكهربائي .

ولقيت ذلك الموظف هابطا من أعلى يسب ويلعن ويقول لي انموظفا في احدى الادارات في الدور التاسع رفض ان يتسلم منه أوراقا لانه ينقصه ختم من ادارة التموين المحلية .

ـ ولماذا أنت غاضب ؟

ـ هل يجوز ان أعود الآن الى تموين قصر النيل لان موظفا نسي أن يضع ختما على الطلب ..

ـ أجل يجوز ، بل يجب . لانك أنت تعامل الناس على هذا الاسلوب من قلة العلم وقلة الثقة في الناس ، هل تذكر ورقة الدمغة اياها ؟ فهذه مثل تلك .

مشكلتنا الكبرى هي نحن ، لا أحد في الدنيا يتعبنا بقدر ما نتعب أنفسنا . لا أحد في الدنيا يظلمنا بقدر ما نظلم أنفسنا . ان تفكيرنا كله لا يقوم على علم وتصرفنا لا يصدر عن ايمان أو اخلاق .

لقد قال هذا الكلام محافظ القاهرة السيد سعد مأمون في رده على جريدة وضعته موضع المسئول عن مأساة انفجار ماسورة مياه كبيرة في شارع من أضخم شوارع العاصمة ، واليك ما قاله كلمة كلمة في رده على نقد الجريدة : وطلب المحافظ في مذكرته تعديلات جوهرية حاسمة في قانون الحكم المحلي يمكن بها اجراء التخطيط المتكامل السليم مركزيا ومحليا بالنسبة لعاصمة الدولة ، وبما يسمح بالتنفيذ دون أي مشاكل جانبية . تؤدي الى مشاكل تتفاقم يوما بعد يوم بحيث تصبح الحلول لها في السنوات القادمة أمرا عسيرا . وطالب المحافظ في مذكرته لنائب رئيس الوزراء بأن تعطي القاهرة من مواد القانون ما يساعدها على اجتياز مشاكلها ويحميها ويحمي تخطيطها من اجتهادات تتضارب ولا تحقق صالح العاصمة الذي لا يهم مواطنيها فقط بل يهم كافة مواطني الجمهورية (جريدة مايو ، الاثنين ٦ ابريل ١٩٨١ الصفحة الاولى) .

وما معنى كلام السيد المحافظ ، وهو رجل كبير مسئول ذو خبرة طويلة بأمور الادارة والتنظيم ، فقد كان من قادة الجيش العظام الذين ساهموا في كسب نصر اكتوبر ؟

معناه ان هذا الرجل المخلص الكفء لا يستطيع أن يدبر مدينة القاهرة وهي مسئوليته على النحو الذي يحقق مصالح القاهرة نفسها وبقية البلاد ، لان القاهرة هي القلب ، وما دام القلب يشكو فان الجسد كله يشكو .

ولا يتصور أحد مقدار الملايين التي نخسرها يوميا لان القاهرة لا تدار الادارة السليمة التي تحقق المصلحة القومية ..

● ولماذا نجد أنفسنا فى الصناعات الثقيلة على خطورة ميدانها وصعوبتها ، ومالها الصناعات الخفيفة وصناعات الأغذية ولعب الأطفال والأدوات الكتابية والمنسوجات ؟ هل تعلم مثلا أن شركة أوربية للألبان والشيكولاتة والبن هى رابعة شركات العالم ربحا

فهناك شركات مصرية وعالمية كبرى لا تستطيع العمل فى مصر لان القاهرة مدينة صعبة المرافق .

والقاهرة التى كان لابد أن تصبح قلب العالم العربى كله اقتصاديا وفكريا عاجزة عن أن تقوم بهذا الدور لان مرافقها مريضة والحياة فيها متعبة والعمل فيها عذاب .

وأنا شخصيا يضيع منى ثلث ما أكسب بسبب متاعب القاهرة ..

وما السبب فى ذلك ؟

السبب اننا لا نفكر فى حل مشاكل القاهرة تفكيرا علميا .

ونحن عندما نعمل فى حل مشاكل القاهرة لا نصدر عن ايمان بمصر وصالح مصر ..

ونحن عندما نتصرف فى القاهرة فاننا نتصرف دون اخلاق المواطنة السليمة .

وعندما ارى لافتة تقول ممنوع الوقوف ثم أجد سيارة كبيرة تجىء وتقف تحت اللافتة ، ويخرج منها مسئول كبير ويضطر الشاويش الى أن يحييه تحية الاجلال بدلا من ان يوقع عليه الغرامة اللازمة .. عندما ارى ذلك افهم كل شىء واعرف سبب متاعبى ومتاعب الناس ، وافهم كلام السيد الحافظ .

وأفهم أيضا لماذا كل مشاكلنا لا تحل بل تتزايد ..

وهل هناك أغرب من عجيبة التموين؟ بلد زراعى ينتج طعاما .

ودولته تنفق ١٥٠٠ مليون جنيه سنويا فى دعم أسعار سلع التموين .. ثم هو الى ذلك لا يأكل الا الضرورى دون ترف أصلا ..

فأين يذهب ذلك كله ؟

تذهب به رياح الاجتهادات العشوائية وآراء ناس ينبغى أن يكون تصرفهم علميا ومع ذلك فهم لا يعرفون ما هو العلم .. ثم اننا جميعا لا نؤمن بالعلم .

ايماننا بأنفسنا وببلدنا قليل ..

ونحن لا ندخل الاخلاقيات الانسانية او القومية فى تصرفاتنا ومعاملاتنا .

فالمفروض مثلا اننا نصنع معظم احتياجاتنا ..

وهذا صحيح ولكننا نصنع كل شىء دون اتقان أى عمل على غير اساس علمى ننتج منه كمية قليلة لا تكفى ربع حاجات البلاد لاننا كسالى وننتجه بسعر أعلى مما ينتجه غيرنا لاننا لانراعى الاخلاق عند تحديد الاسعار .

ومرة اخرى لماذا ؟

لاننا لا نؤمن بالعلم ولا نتصرف على اساسه

ولان ايماننا بانفسنا وكل شىء قليل ولاننا نتصرف بعيدا جدا عن اخلاق الواطنة والقومية .

● د . حسين مؤنس ●

العلوم عند العرب اعتمادها على التجربة والمعاينة ..

● محمد عبد الغني حسن ●

● لسنا نحاول هنا ان نسجل مدى مشاركة الحضارة العربية الاسلامية في التقدم الباهر الذي احرزته العلوم العملية في المجال العالمي الواسع ، فان عددا غير قليل من المستشرقين ومؤرخي العلم الغربيين كانوا اصحاب فضل عظيم في اماطة اللثام عن كثير مما خفي علينا - نحن العرب والمسلمين - من الامجاد والانجازات العلمية الاصيلة التي حققها آباؤنا في هذا السبيل .

والحق اننا في هذا المجال ، مجال اظهار فضل العرب وقوتهم في مسايرة التطور العالمي للعلم العمل والتطبيقي لا نستطيع ان نغفل اسماء كريمة كرست جهودها الغالية لتجلية هذه الناحية الهامة في تاريخ التمدن الاسلامي ، وكشفت عن نواح دقيقة لمشاركات عربية اسلامية في ميدان العلوم المختلفة التي اسهمت في التقدم البشري . والذي يبعث على الغبطة والسرور ان اكثر هذه الاسماء لا يمت الى العروبة بعرق ، ولا الى الاسلام بنسب . ولكنه الانصاف الذي يدعو اهله الى قولة الحق ، بغير انتماء جنسي او انتساب ديني .

وهل نستطيع في هذا المعرض - مثلا - ان ننسى اسماء « سارطون » و « الدومييلي » و « دونالد كامبل » في بحثه الجيد عن الطب العربي .

و « ماكس مايرهوف » في دراسته الجيدة عن العلم والطب عند العرب » .

و « لوسيان لوكلرك » في تاريخ الطب العربي » .

و « ادوار براون » في مصنفه الجليل عن الطب عند العرب ، الذي خدمه « بول رينو » بترجمة دقيقة من الانجليزية الى الفرنسية ، ووشحه بتعليقات واشارات بارعة جملته يفوق الاصل الانجليزي »

● كانت دعوة « الجاحظ » الى استخدام الأسلوب العلمي « المعاينة والتجربة » تعد أول صيحة في الفكر الاسلامي العربي سبقت العلماء والمفكرين الأوروبيين بعدة قرون .

و « فون ليبمان » في بحوثه الجيدة عن الكيمياء عند العرب »

و « نالينو » في دراساته الرائدة عن علم الفلك عند العرب .

و « ارنست جرلاند » فيما كتبه عن علم الطبيعة عند العرب .

و « كراتشكوفسكي » في كتابه العظيم عن الجغرافية عند العرب .

و « سيديو » في نظراته النافذة الى العلوم عند العرب من خلال كتابه الممتع عن (تاريخ العرب العام) ـ وغيرهم من الباحثين الاوروبيين والامريكيين الذين لم يقارنوا العروبة جنسا ، ولا الاسلام دينا .

***

على انه بجانب هؤلاء الاجانب عن العروبة والاسلام نجد حفنة كريمة من علماء العرب والاسلام المعاصرين قد دخلوا ميدان البحث عن تطور العلوم عند العرب فابدعوا فيه على قدر ما أتيح لهم من مصادر ، مؤكدين بذلك انهم اولى من غيرهم بالكشف عن روائع آبائهم . ومنجزات أجدادهم .

ولا نستطيع أن نغفل في هذا المقام ما كتبه جماعة من أمثال المرحومين : « مصطفى نظيف » عن علم الطبيعة والحسن بن الهيثم ، « وقدري حافظ طوقان » عن العلوم عند العرب .

و « الدكتور فيليب حتى » في تاريخه المطول المركز عن العرب ، والمسلم المستعرب ـ بالفين المعجمة ـ « حيدر بامات » في كتابه الجليل : (مجالى الاسلام) ، وصديقنا العالم الطبيب الدمشقي : « أحمد شوكت الشطي » الاستاذ في كلية الطب بدمشق ، فيما كتبه عن تاريخ الطب ، وتاريخ العلوم الطبيعية في الحضارة العربية الاسلامية

وعلى الرغم مما عمق به المستشرقون والباحثون من العرب والمسلمين موضوعات البحث عن تطور العلوم العملية عند العرب والمسلمين في خلال أربعة عشر قرنا ، وعلى الرغم من تفصيلهم في تاريخ هذه العلوم ، وتاريخ البارزين من أعلامها ، وعلى الرغم من أوصافهم الدقيقة لمجالات هذه العلوم وآلاتها ومنجزاتها ـ على الرغم من ذلك كله فان ناحية هامة من نواحي البحث قد أغفلت ، أو أعطيت من

العناية بها والالتفات اليها أقل كثيرا مما تستحقه ،وهي ناحية (المعاينة والتجربة) كوسيلة فعالة مجدية من وسائل البحث العلمي عند العرب،مع انها كانت تستحق وقفة خاصة طويلة ، بأن يكتب فيهما فصل من كتاب ، أو كتاب قائم برمته ، على ان يؤيد ذلك كله بما يدعمه من أخبار وحوادث قد تأتي عارضة في كتاب من كتب التاريخ العام ، أو كتب الطبقات - وخاصة طبقات الحكماء والاطباء - الذين ينتظمهم سلك التقدم العلمي في تاريخ الحضارة العربية والاسلامية ٠

***

فالالتفات الى ظاهرة (المعاينة والتجربة) في التاريخ الحضاري للعلوم العملية عند العرب والمسلمين لم تلق عند المستشرقين والباحثين هنالك وهنا ما يستحقه ، وما يستوجب التأني في الوقوف عنده ، وما يستأهل الاشارة اليه والاشادة به في معرض الحديث عن تاريخ العلوم عند العرب ٠

ولا أدري سببا لهذا التغاضي عن هذه الظاهرة في تاريخ التمدن الاسلامي العربي وكثيرا ما ساورني شك في ان يكون هذا مقصودا - وموضع استغراب في الوقت نفسه - من علماء مفروض فيهم أن يتجردوا من بواعث التحيز والغرض اللذين لا يتنقر صدورهما من أهل النصفة واحقاق الحق ٠

والحق ان لعدد غير قليل من علماء الحضارة العربية فضلا في الحث على تحصيل المعارف من طريق « المعاينة » والاختبار والتجربة » ، والبعد عن تحصيلها عن طريق النقل والقياس الارسطي ، وسبيلها في الغالب هو الاستظهار والحفظ ٠

ويأتي « الجاحظ » أولا في تاريخ العرب من حيث ايمانه بالمذهب التجريبي العملي في تحصيل المعرفة على الرغم مما يحيط بالاديب عادة من ملابسات الحفظ والاستظهار ٠

والحق ان دعوة « الجاحظ » الى المعاينة والتجربة تعد أول صيحة في الفكر الاسلامي العربي تسبق دعوة « بايليه » و « بيكون » بعدة قرون ٠ وقد كانت اجرأ دعوة في وسط يهتم كله بالمحفوظ ويعلي من قدر الحفاظ الذين كانوا يتحمسون بالحفظ الغريب ويجعلونه سببا الى الشهرة والى ولوج أبواب الخلفاء والامراء والولاة واصحاب السلطان والجاه ٠

ولا ننسى رجالا من أمثال « بديع الزمان الهمداني » و « الخوارزمي » ، و « ابن العميد » و « وأبي تمام » ، و « الصاحب بن عباد » وغيرهم ممن كانت تروى عن غرائب حفظهم اعجب الاعاجيب ، والجاحظ - على عمقه في الادب وسائل الفكر - لا يؤمن بالحفظ قدر ايمانه بالتجربة والمعاينة في كسب

● تؤكد بعض المصادر الموسوعية أن العرب هم الذين أسسوا علم الكيمياء الحديثة وعلم الفلك معتمدين على المشاهدة والاختبار

المعرفة . وما أصدقه وهو يقول عن نفسه (ليس يشفيني الا المعاينة) . فهو ينحو منحى التجريبيين فى زماننا هذا ، ولا يعتمد على المحفوظ والمنقول ، ولكنه يعتمد على المشاهدة والخبرة والاستبصار

ولنجد مصداق هذا فى عشرات وعشرات من التجارب التى أجراها بنفسه فى عالم (الحيوان) ليصل من خلالها الى ما يود الوصول اليه . ألم يحدثنا عن تجربة له على الجعل - أو الجعلان - والخنفساء ، ليتأكد مما يقال من شرود الحياة فيهما اذا وضعا فى الورد أو دفنا فيه ، وعن عودة الحياة اليهما اذا أعيدا من جديد الى الروث الذى يقيمان فيه ؟ ألم يجر بنفسه تجربة على الافعى لبيان حركتها بعد موتها بالذبح ، وفرى الاوداج تارة ، والقبض على خرزة عنقها تارة أخرى ؟

ألم يبتعج مرة - وهو نازل بمصر - بطن عقرب ليتحقق مما يقال من أن العقرب تحمل فى بطنها عشرات من العقارب الصغار ؟ ويقول فى ذلك : (كنت بعجت بطن عقرب اذ كنت بمصر، فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغارا ، كل واحدة منها نحو (أرزة) .

***

واذا كنا نلحظ ان التربية فى الاسلام قد اتجهت يوما الى الاستظهار والحفظ ، ضنا بالنصوص أن تضيع ، فان جماعة من مفكرى العرب والاسلام قد تنبهوا الى مافى ذلك من خطر على مواهب التفكير والتدبر ، وتعطيل لنشاط العقل وحيويته ودعا الى الفهم والمعاينة والتجربة فى التحصيل . ونجد الشيخ الحكيم برهان الاسلام ينصح المتعلم فى كتابة قائلا : (وعليه أن لا يكتب شيئا لا يفهمه ، لان ذلك يورث كلال الطبع ، ويذهب الفطنة وينبغى له أن يجتهد فى الفهم من الاستاذ ويكثر من التأمل والتفكير) .

وعلى الرغم من حرص « المسعودى » صاحب (مروج الذهب) على تنخل الاخبار التى كان يسمعها فى أسفاره ورحلاته ، ودعوته الى عرضها على محك العقل ومناقشتها ، والتحرز من قبولها كأنها قضايا مسلم بها ، لقد فاته فى

هذا الباب بعض أمور استدرك عليه فيها المؤرخ المحقق « ابن خلدون » ، وعجب من جوازها عليه وعدم فطنته لها . ولعل تلك المزالق مما يميز عالما من عالم . والحق ان « ابن خلدون » قد بلغ فى باب تجريح المعارف والاخبار او توثيقها جدا يعلى من قدر العقل العربى فى التحصيل .

واذا كنا نجد مذهب التجربة والمعاينة يتنبه اليه جماعة من مفكري الاسلام الذين يشتغلون بمسائل الادب وقضايا الفكر المجرد ، وموضوعات العلوم النظرية كالذى وجدناه عند « برهان الاسلام » الحكيم ، و « المسعودي » ، و « الجاحظ » الاديب ، فان جماعة غير قليلة من علماء العرب والاسلام المشتغلين بالعلوم العملية التطبيقية قد تنبهوا الى قيمة « المعاينة والتجربة » فى بحوثهم واكدوا بها اصالتهم العلمية ، وبعدهم عن التقليد والنقل والترديد .

ويشير الباحث المسلم المستعرب « حيدر بامات » اشارة سريعة الى التجربة عند علماء المسلمين بقوله » « وما تم لعلمائهم من اكتشاف يثبت مقدار ما عرفوا استخلاصه استخلاصا عجيبا من عناصر البحث التى بقيت من العالم القديم ولكن هذه الاكتشافات تثبت على الخصوص أيضا ماذا كان نصيب الترصد والتجربة الذى عرف علماء المسلمين ان يوردوه الى مؤلفاتهم » .

وقد التقط « حيدر بامات » الاشارة من عبارة للمؤرخ « سيديو » يقول فيها عن احدى مدارس العرب والاسلام الكبرى :

« فكانت مبادىء أساتذتها تقوم على الانتقال من المعلوم الى المجهول ، وعلى ملاحظة الحوادث ملاحظة وثيقة لمجاوزة المعلولات الى العلل ، وعلى عدم التسليم بما لا يستند الى التجربة » .

ومن حسن الحظ يتنبه عالمنا الطبيعى المرحوم « مصطفى نظيف » الى « ابن الهيثم » وطريقته المثلى فى الاخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل ، والاعتماد على المشاهدة والتجربة . فى كتاب (المناظر) لابن الهيثم نراه يستعين على قوانين الضوء باجراء التجارب بالمعنى الذى نعنيه اليوم .

ولم يقل « جابر بن حيان » عن « ابن الهيثم » اهتماما بالاختبار والتجربة ، فقد كان له ـ كما جاء فى الفهرست لابن النديم ـ مختبر فى الكوفة . ومن اقواله المأثورة : (ان علماء الطبيعة لا يفرحون بغزارة المادة ، ولكنهم يبتهجون بمهارة طرقهم فى التجارب) .

وقد بقى اهتمام علماء العرب والاسلام بالمعاينة والتجربة على مدى العصور ،

(١) مجال الاسلام لحيدر بامات

● هناك حفنة كريمة من العلماء والمفكرين الأوروبيين أسهموا في الكشف عن مجهودات العرب العظيمة في مختلف ميادين العلوم المختلفة.

سواء في القرون الاولى لتاريخهم أم في القرون المتأخرة . ففى الشطر الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى ظهر عالم الكيمياء « أبو القاسم العراقى » فكان لا يكتب شيئا من العلم الا بعد اجراء التجارب ، لانه كان لا يؤمن بالنظريات السائدة قدر ايمانه بالتجربة الحاضرة .

ومن حسن الحظ أيضا أن يتنبه « سارطون » صاحب تاريخ العلم الى هذه الحقيقة ، وينشرها فى كتابه العظيم الذى ترجمته لجنة من علماء العرب المعاصرين ، وقد أشاد مؤرخنا العربى « فيليب حتى » بهذه الحقيقة ونشرها فى كتابه : (تاريخ العرب) .

ويتمثل الاهتمام البالغ بالمعاينة والتجربة عند علماء العرب والاسلام فى الذى كان يصنعه مؤرخنا الطبيب « عبد اللطيف البغدادى » . ففى كتابه (الافادة والاعتبار) مواطن غير قليلة تؤكد هذه الروح العلمية التى كانت تسود بحوثه .

ومن لطائف الوفاق بين الرأى العربى والرأى الاجنبى فى الوصول الى نتائج متشابهة أن الباحث الانجليزى « هولم يارد » والدكتور « صروف » رئيس تحرير المقتطف قد التقيا على القول بأن الكيميائى العربى الاندلسى « مسلمة بن محمد المجريطى »المتوفى سنة ٣٩٥هـ كان عالما مجربا ، واطلق « هولم يارد » على عالمنا الاندلسى هذا الوصف خلال بحثه .

ولم يبعد « ابو نصر الفارابى » — من فلاسفة القرن الرابع الهجرى وممن ضمهم تراب دمشق سنة ٣٣٩ هـ — عن ميدان التجارب والاختبار فى كتابه عن الانغام والاصوات ، فانه اخذ يبين طبيعة الاصوات وتوافقها ،ثم شرح تاثير تموجات الهواء فى الاوتار معتمدا فى ذلك على التجربة .

ومن علماء الحضارة العربية الاسلامية الذين جمعوا بين المعاينة والتجربة جمعا ملازما محمود النتائج عالمنا النباتى الاندلسي « ابن البيطار » من رجال القرن السابع الهجرى ، فقد زار كثيرا من انحاء العالم العربى ، وجاء الى الشام ودرس نباتها على الطبيعة ، ومن هنا كان كتابه فى مفردات الادوية المعول



عليه عند الاوروبيين فى ابان نهضتهم ولا يقل معاصره « رشيد الدين بن الصورى » عنه عناية بالمعاينة والتجربة فى مجال دراسة النبات ، فكان يخرج لدرس الاخشاب والحشائش فى منابتها ويستصحب معه مصورا بارعا مزودا بالاصباغ والليق المتنوعة .

وبعد : فليس الغربيون باسبق منا فى مجال التجربة والمعاينة ، وان اربعة عشر قرنا من عمر الزمان وعمر الحضارة العربية الاسلامية تؤكد انعلماءنا سبقوا أوروبا فى هذا الميدان . ولا يجوز ان نعاب بميلنا الى الحفظ والاستظهار فى تحصيل المعرفة ، فقد كان الغربيون غارقين فى هذه اللجة الى حد جعل المفكرين منهم يتنبهون الى الخطر المحدق والى ضرورة معالجته علاجا حاسما . وللمفكر الفرنسى « ألفونس سكيروس » حملات ضارية وآراء جديرة بالتقدير فى هذا السبيل أروعها كتابه المشهور : (التربية الاستقلالية) الذى عرف قيمته وضرورته للعرب فى سبيل نهضتهم الحديثة الامام الشيخ محمد عبده ، وأوصى المستشار المصرى « عبد العزيز محمد » بترجمته الى لسان العرب ،فكان من نفائس المكتبة العربية فى العصر الحديث .

ومن الطريف آن «ألفونس اسكيروس» لم يكن وحده فى ميدان مقاومة الحفظ والاستظهار ، والدعوة الى « المعاينة والاختبار » ، بل كانت تسمع الى جانبه صيحات « آبيل » و « ليبمان » و « جوستاف لوبون » مما يؤكد ان حالتنا وحالهم فى « الحفظ » كانت واحدة ..

***

ولكن النماذج الفريدة ـ التى وقعنا عليها هنا ، والتى وجدناها اشتاتا مفرقة فى مظان مختلفة وغير مملوكة ولا مضمومة ـ تؤكد لنا ـ ونحن فى الاشهر الاولى من القرن الخامس عشر الهجرى ـ ان علماءنا العرب والمسلمين ـ او عددا غير قليل منهم ـ على مدار العصور قد اتخذوا مذهب « التجربة والمعاينة » لتحصيل المعرفة التى اسهموا بها اسهاما مجديا وبناء فى مسار الحضارة العالمية الطويل .



انبياء الله في مصر

● د . سيد كريم ●

● مصر ارض السلام والاسلام

(قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون) – الانبياء –

فالقرآن الكريم يؤكد أن الدين عنـــد الله الاسلام بما يعني انه دين جميع الانبياء من آدم اول الخليقة عليه السلام حتى نبوة سيدنا محمد خاتم المرسلين .

« قل آمنا بالله وماانزل علينا وماانزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاســـباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (آل عمران)

فالاسلام كما اكد القرآن معناه توحيد الخالق وعدم الشرك به هو الدعوة التي التقت عندها جميع الاديان والرسالة التي اجتمعت حولها جميع الكتب السماوية .



اوزوريس « النبي ادريس » ٦٠٠٠ ق.م اول من حمل رسالة التوحيد للبشر : اول من حمل عقيدة التوحيد والبعث والحساب والعالم الاخر ، الراعي الحكيم الذي نزل ليحرر الناس ويعلمهم الزراعة والكتابة والحكمة .

من ارض مصر ارتفع اول صوت في البشرية ينادي بتوحيد الاله الواحد الاحد وعلى ارض مصر علت راية الاسلام وذلك في سماء مدينة « اون » قبل ظهور الرسل والانبياء بالوف السنين كما سبق شرحه .

لقد توارث البشر هذا الدين .. دين التوحيد الا انه قد تعرض بالبعد الزمني عن النبوه لمختلف مراحل الارتداد والانحراف والخرافات التي نسبها الناس زورا وبهتانا الى الاديان فتحررت المعبودات وتشعبت المعتقدات وحرفت الكتب السماوية مما كان سببا في توالي نزول الانبياء والرسل لهداية البشر والعوده بهم الى نور الاسلام من عهد ابراهيم ابو الانبياء الى سيدنا محمد خاتم المرسلين .

وهو ما ينطق في نفس الوقت على عقيدة التوحيد الفرعونية التي ولدت مع مولد الزمان وتعرضت لمختلف نواحي الانحلال والارتداد والشرك وتعدد الآلهة والمعبودات ثم عادت للظهور اكثر من مرة وظهر في كل مرة من يحمل الرسالة وينادي بدعوتها .

لم تكن محض مصادفة ان يجذب نور تلك الدعوة التي ارتفعت شعلتها من ارض مصر جميع الرسل والانبياء ليقضوا فترة زمنية اختلفت ابعادها وازمانها ، كانت كافية لتامين حمايتهم والتدبر في وحي رسالتهم لينقلوا رسالة التوحيد والدعوة للاسلام عبر تاريخ الاديان .

فمصر مهد الاسلام فكان من الطبيعي ان يكون دين الدولة من اول نشاتها حضاريا هو الاسلام الذى شهد به جميع الانبياء والرسل الذين عاشوا فوق ارضها .

« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » صدق الله العظيم

● الانسان المصري لم يعرف العقم في حياته وانما عرف العطاء منذ ان شهد مولد الزمان . فالمصري قد صنع الحضارة لا في مصر وحدها بل في العالم اجمع . ان عطاء مصر للحضارة والانسانية دائم ومتجدد واعظم ما جادت به القريحه المصرية كان في مجال الاديان والعقائد ، فقصة الدين وتتبعها على مدار العصور ، تنهض دليلا

على عبقرية اصيلة ووجدان مرهف لشعب وادى النيل ، وهى عبقرية لم تنقطع قط وستظل تؤدى دورها طالما بقى لسجحياة ذلك الانسان العظيم ..

(برستد)

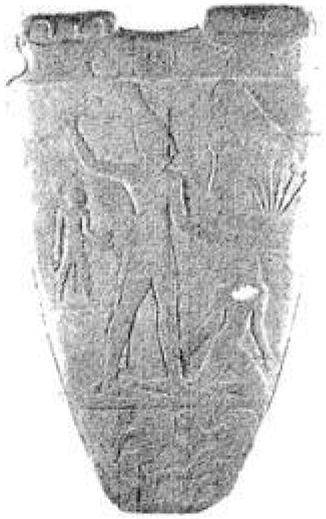
كان شعب مصر اول شعب آمن بالله ، اول من آمن بان هناك الها واحدا للجميع .. آمن بهذه الحقيقة قبل مولدالزمان ، فكان اول من نادى بالتوحيد . فدعا الى توحيد الاله رع (لك) خالق الكون رمزوا اليه بقرص الشمس المجنحة التى تتربع فوق عرش السماء التى تعبر عن القوة الخفية الكامنة التى تهب الحياة وتسير الكون .

لقد شد ذلك اللغز اهتمام الباحثين فى علوم اللاهوت وتاريخ الحضارات من قديم الزمان يحاولون الوصول الى جذور تلك العقيدة وموطن نشأتها وعوامل تطورها وانتشارها ، فتقابلت لتالتي بحوثهم عند مدينة أونو اقدم مدينة فى تاريخ مصر ، وأول مركز حضارى ظهر على سطح الارض فى تاريخ الحضارات .

وقد ورد اسمها فى صحف ابراهيم واسفار التوراة وكتب العهد القديم باسم « أون » ، التى قام بزيارتها وعاش فيها أو تعلم بها العديد من الرسل والانبياء ممن زاروا مصر أو هاجروا اليها .

وقد وصفها المصريون القدماء بانها « افق السماء » وموطن نشأة جميع المعبودات وخرجمنهارسل للمرفلةومجمع القضاء ويرجع تاريخ انشائها كما ورد فى قوائم تاريخ مصر الفرعونية التى سجلها المؤرخ المصرى ما يتنون ، آخر من تولى مركز الكاهن الاكبر لمعبد أون ، ونقلها عنه المؤرخ يوسيبيوس عالم اللاهوت وتاريخ الاديان فى موسوعته « تاريخ العالم من الخليقة الى نزول المسيح » .

حدد مانيتون تاريخ انشائها بوصول الكهنة المبجلين من انصاف الالهة الى الارض المقدسة التى ارشدهم اليها الاله الاعظم عام ٩٥٠٠ ق.م ليقيموا بها معبده ـ وهو التاريخ الذى حدده مانيتون فى قوائم تاريخ مصر باسم « ميلاد الحضارة المصرية » اى ميلاد الانسان المصرى والحضارة المصرية التى بدأت بميلاد العقيدة



الملك نارمر « مينا » موحد شطرى الوادى ومؤسس الاسرة الاولى وحد البلاد بتوحيد العقيدة ومنع عبادة الاوثان ٣٢٠٠ ق.م

فمدينة « أون » سبقت الدنيا كلها فى الوصول الى حقيقة الخالق وأول من أعطى تفسيرا لنشأة الكون ووجود الاله الواحد الخالق والقوى العليا التى تحرك الكون كما ورد ذكره فى أول وثائق أون المقدسة بالنص التالى :

« كان الكون فضاءا أزليا يغمره الظلام وتنعدم فيه الحركة حتى خلق الالهالاعظم نفسه بنفسه فسارت الحركة الدائمة وغمر نوره الكون كله ـ ومن أنفاسه أنجب ملائكة التكوين الثمانية التىتعبر عن عناصر الكون والحياة (شو وتفنوت ونوت وجب وايزيس وأوزوريس وست ونفتيس) ـ (الهواء والماء واليابس والخصب والحركة والعقل والخيروالشر) وكلف أوزوريس بحمل رسالة العقيدة الى البشر » .

كما ورد فى نصوص رسائل الخلق والتوحيد ..

« فى البداية كانت الكلمة . والكلمة

مصدرها الاله رب الارباب • قالها لكل شيء فكان كل شيء • علم الانسان الحرف والكلمة والاسم والنطق ليقرأ رسائل الاله ويتلقى تشاريع السماء » •

وهي الرسالة التي قدمت بها جميع الكتب السماوية الى البشر •• فكان شعب مصر اول شعب عرف الكتابة والقراءة وكانت اللغة المصرية القديمة وابجدياتها وكتاباتها الهيروغليفية اول كتابة عرفتها البشرية •

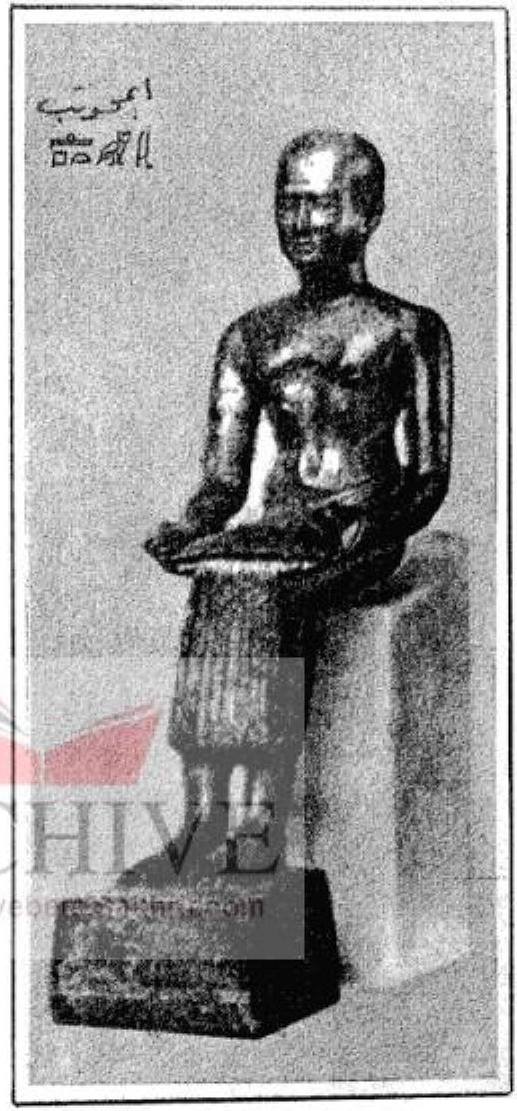
ومن أون خرج أول تقويم شمسي في الوجود ظهر عام ٤٢٤٢ قبل الميلاد • به سجل كهنة معبد أون أحداث التاريخ فكانوا أول من عرف حساب الزمن فقسموه الى سنوات وقسموا السنة الى اسابيع وأيام وقسموا اليوم الى ساعات ودقائق وثوان • وهو التقويم وحساب الزمن الذي خرج من مصر الى مختلف الحضارات قديمها وحديثها ولم يجد له العالم بديلا الى يومنا هذا •

ومن عقيدة أون كان المصري أول من عرف معنى الخلود والبعث والثواب والحساب والميزان والجنة والنار آمن بها مع ايمانه بالاله الواحد

صورت له عقيدته رحلة الروح ومعنى الحياة والموت وضمت له السماوات السبع وطبقات الجنة ودرجات الجحيم وزودته بما يتسلح به في دنياه من وصايا يتلزله طريق الخلود ، العالم الاخر •

يؤكد كثير من علماء اللاهوت ومؤرخي الاديان والعقائد ان تلك الرسالات ليست من صنع البشر كغيرها من الكتب السماوية وانها نزلت على رسل وأنبياء سابقين خاصة وأن جميع ما جاء في الكتب السماوية التي نزلت على البشرية بعدها بالوف السنين لا تخرج عما بها من تعاليم وتشاريع وتفسير •

خرجت عقيدة التوحيد من « أون » الى مختلف أنحاء وادى النيل ومعابده • وتعثرت الدعوة أكثر من مرة خلال عصور الاضمحلال والارتداد عن العقيدة والتي



ايمحوتب ٢٩٠٠ ق.م
كبير كهنة معبد اون كعبة العقيدة في عبادة الاله الواحد رع في عصر الاهرامات . جمع بين علوم المعرفة من هندسة وطب وادب وحكمة وكان رائدا لكل منها . قدره المصريون والاغريق والرومان بان قدسوه بعد الفي سنة من موته واقاموا له المعابد في مصر والخارج واعتبره الاغريق الها للطب عندهم .

تبعها فى كل مرة تفكك وحدة البلاد وانفصال قطرى الوادى عن بعضهما مع تعدد الالهة والمعبودات ، ليظهر أكثر من رسول ينادى بالتوحيد وينسبهم تاريخ الفراعنة الى انصاف الالهة الذين تمكنوا من مخاطبة السماء ونقل رسالتها الى البشر · فى مقدمتهم الملك مينا (القائد نارمر) موحد القطرين ومؤسس الاسرة الاول ـ الذى وحد القطرين بتوحيد العقيدة والعودة الى عقيدة أون وعبادة الاله الواحد تحت راية حورس (صقر السماء) كرمز لاله التوحيد الواحد ليحل محل جميع الالهة والمعبودات المحلية والاقليمية · ونقل عاصمة البلاد الى منف لتتوسط قطرى الوادى القبلى والبحرى وتكون فى مواجهة « أون » على الضفة الغربية من نهر النيل حتى تكون على اتصال مباشر بها وبكهنتها ·

كما قام كهنة أون باعداد « التقويم الكهنوتى » الذى نادى باستعماله لاول مرة فى تاريخ الاسرات ·

ثم ظهرت دعوة مماثلة فى الاسرة الثالثة قام بها الملك سنفرو الذى نادى بالعودة الى توحيد الاله بعد ارتداد العقيدة فى نهاية الاسرة الثانية والاتجاه الى « أون » للمناداة بتوحيد الاله فى صورة « رع » قرص الشمس والانتماء الى معبد أون وهو التوحيد الذى استمر الى نهاية عصر الاهرامات وامتد الى نهاية الاسرة السادسة الذى استمر حتى بداية الثورة الشيوعية الاولى أو عصر الاضمحلال الاول ·

دعوة أخرى قام بها اخناتون بعبادة الاله الواحد ورمز له بالقوة الخفية التى تشع من خلف قرص الشمس (آتون) وكان أول من قام بتحطيم تماثيل الالهة والمعبودات كما كان أول من أقام الصلاة بالركوع والسجود والطواف وغيرها من الطقوس · لا تختلف تلك المراحل التى مرت بها عقيدة التوحيد المصرية القديمة وما تخللها من عوامل الاضمحلال وظروف





اخناتون ، عقيدة التوحيد فى الأسرة الثامنة عشرة ١٣٧٠ ق٠م



لوحة ابراهيم عليه السلام وجدت فى حفريات منف

الارتداد عما مرت به عقيدة التوحيد التى نادى بها الانبياء ابتداء من سيدنا ابراهيم أبى الانبياء .

● اذا نحن تتبعنا قصة نزول الانبياء والرسل الى أرض مصر كما وردت فى الكتب السماوية وما سجله التاريخ الانسانى فى تتبعه لخطاهم على تراب أرض مصر مهبط العقائد ومهد الاديان ، نجد أنها قد بدأت مع شروق فجر عقيدة التوحيد فى أرض مصر قبل عهد سيدنا ابراهيم بالوف السنين حيث نزل بأرضها المقدسة أنبياء ورد ذكرهم فى القرآن وأنبياء ورسل ورد ذكرهم فى الكتب السماوية الاخرى ورسل أمكن اقتفاء آثارهم والاستدلال عليهم من سجلات تاريخ العقيدة .. « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل . ورسلا لم نقصصهم عليك . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل »

(سورة النساء)

● تقول سطور التاريخ ان كل الانبياء قد لاقوا فى سبيل دعوتهم شدائد واهوالا وان اغلبهم قد هاجروا فى فترة من حياتهم بحثا عن المكان الامن الذى وصفته الكتب السماوية بانه ارض مصر والذى يبعثون فيه اشعاع دعوتهم حتى تجد الدعوة الارض التى تتشقق عن نبت جديد يشد ازر العقيدة .

● اوزوريس (ادريس (٤٢٠٠ ق.م

ان أول اسم من أسماء الرسل والانبياء نزل الى أرض مصر ورد ذكره فى تاريخ العقيدة كان « أوزوريس » أحد الملائكة

الثمانية التي حملت عرش الاله وهو الذي حمل رسالة التوحيد الاولى الى معبد اون ثم صعد الى السماء ليبعث مرة اخرى فى صورة انسان ونزل الى منف لنشر الدعوة بانه رسول المعرفة والخير والخصب فكان اول من علم الناس الزراعة وتستمر الاسطورة لتصور كيف غـــدر به اخوه حيث علم الناس الكتابة والقراءة ووصف « ست » اله الشر وقتله فرفعه الاله الى السماء ليرأس محكمة الاخرة او محــكمة العالم الاوزرى »

ان ذكر اسم أوزوريس ضمن أسماء انبياء الله الذين نزلوا الى مصر نابع من التشابه العجيب بين اسمه وصفاته واسم النبي ادريس الذي ورد ذكره فى القرآن الكريم وفى مختلف الكتب الســـماوية وصحفها بوصفه الجد الاعلى لابراهيم عليه السلام وان الله سبحانه وتعالى أرســـله قبل ان يبعث نوحا وابراهيم

وأوجه الشبه بين أدريس واوزوريس تتمثل فى ان كلا منهما نزل بأرض مصر وعاش فى مدينة منف • وان ادريس كما ورد فى التــــاريخ علم الناس الزراعة وأوزوريس اله الخصب اول من عـــلم المصريين الزراعة كما وصف ادريس بانه اول من خط بالقلم واوزوريس انزل الكتابة وعلم الناس الحرف والكلمة كـــما ان أوزوريس رفعه الاله الى السماء بعد ان قتله أخوه ست اله الشر ويقول القرآن الكريم « واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » .

ولما كانت مدينة منف قد أنشئت عام ٤٢٤٢ ق٠م مع بداية التقويم الكهنوتى لتصبح عاصمة مصر بعد توحيد القطرين بتوحيد العقيـــدة فمن المرجح ان يكون نزول النبي ادريس برسالة التوحيـــد فى منف فى عهد الملك مينـــا او ابنه الملك تحوتى الذى نسب التقويم الى اســـمه وفى عهده أقيم أول معبد للاله فى منف وهو المعبد الذى قام كثير من الانبيـــاء بزيارته أثناء هجرتهم الى مصر •

لقد حاول بعض البـــاحثين فى تاريخ الاديان كشف العلاقة بين أســـماء آدم وادريس ونوح الذين وردت اسماؤهم فى الكتب السماوية ـ كاول رســـل نزلوا الارض ـ وبين ثالوث (اتوم وأوزوريس ونو) الذى ورد فى متون العقيـــدة الفرعونية لتشابه أسمائهم وصفاتهم حيث وصف أتوم بأنه اول الخلق وأوزوريس أول من نزل برسالة التوحيد ونو اله الماء والفيضان ومنقذ البشرية • وهى مـــن المحاولات الذكية ولكنهـا تفتقر الى كثير من الاسانيد العلمية والتاريخية •

● سيدنا نوح ٢٠١٥ ق٠م

اختلف مؤرخو العهد القديم واسفار التوراه فى هجرة نوح عليه الســـلام وأولاده الى مصر • فورد فى بعضـــها ان نوحا عليه السلام هاجر بعد الطـــوفان العظيم من ارض أرام بعد انكشـــافها الى البلد الامن مصر مع ابنـــه مصرايم الذى سميت مصر على اسمه واتخذ اليهود من تاريخ نزوله بأرض مصر بداية لتقويمهم الذى تحدد بثلاث وثمانين سنة بعد بداية التقـــويم المصرى اى عام ٢٠١٥ ق٠م وأطلقوا على بداية هذا التقويم بيـــوم الخليقة •

بينما ذكرت مصادر مؤرخى العـــرب او الكنعانيين انسيدنا نوح توفى فى أرض كنعان وهو فى طريقه الى مصر ، فنصح ابنه بيصر الذى كان يرافقـه أن ياخـذ أولاده الى البلد الآمن مصر ويقود بيصر الركب وكان مسنا وقد ناهز المائة عام وينزل مع اله فى منف حيث توفى ودفن بها •

ويتفق ذلك التاريخ مع تاريخ الفيضان العظيم الذى سجلته ممرات الهرم الاكبر (أبحاث العلامة جريفز ـ نبوءات الهـــرم الاكبر والانقلابات الروحانيـــة فى تاريخ البشرية) •

● سيدنا ابراهيم ـ ١٨٩٠ ق٠م

تصف التوراه زيارة ابراهيم الخليـــل لمصر بقولها :

« عندما عم القحط أرض فلسطين هاجر



« احدى لوحات مدينة اون وجدت في مسكن رئيس الكهنة الذي تزوج يوسف ابنته اسنات »» اخوة سيدنا يوسف العشرة عندما تعرفوا على اخيهم يوسف وهم يرجونه الافراج عن اخيهم

الى مصر ومعه زوجته سارة واقام بهـا ماشاءالله له ان يقيم وزاد رزقه وكثرماله وتوالت عليه في أرضها النعم ولكنه لم يستشعر الرضا فقد أحس من بعض أهلها الحقد والجفوة وأثر العودة ومعه زوجته هاجر المصرية وأموال وانعام ٠

بينما تؤكد مراجـع تاريخ الاديان ان ابراهيم الخليل وان كان قد ولد في اور فهو آرامي المنبت والثقافة والعقيدة وليس كنعانيا او يهوديا « ما كان ابراهيم يهوديا او نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين » آل عمران

وجاء سـيدنا ابراهيم الى بلاد كنعان ليدعو القوم الى عقيدته التوحيدية الموروثة فلم يجد منهم الا كل عداوة واضطهاد ولم يؤمن به الا زوجه سارة وابن أخته نبي الله لوط فقال « اني مهـاجر الى ربي سيهدين » فهاجر تصحبه سارة ولوط سائحا في أرض الله الواسعة حتى حط رحاله في أرض مصر التي وصفها القرآن بقوله :

« ربوة ذات قرار ومعـين » ونزل سيدنا ابراهيم في منف عام ١٨٩٠ فاكرمه فرعون مصر « سنوسرت الثاني » وقربه اليه تقديرا لعلمه وحكمته وزوجه من الاميرة هاجرا احدى أميرات البيت المالك عندما أظهر رغبته في الزواج من احدى بنـات مصر « أرض الاله المقدسة » (وقد حزى حزوه كثير من الرسل والانبيـاء الذين هبطوا أرض مصر ٠) وانجب منها سيدنا اسماعيل ابو العرب وجد سيدنا محمـد عليه الصلاة والسلام ٠٠

وعاش سيدنا ابراهيم في مصر خمس سنوات متنقلا بين معبـدي منف وأون

بتوصية من سنوسرت • وقد تأثر ابراهيم بمصر فى أمور العقيدة فى أكثر من ناحية وخاصة فى ايمان المصريين بعودة الروح والبعث والعالم الآخر وهو ما لم يكن موجوداً فى عقيدة التوحيد التى كان ينادى بها فعندما خرج من مصر سأل ربه :

« اذ قال ابراهيم لربه ارنى كيف تحيى الموتى • قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » •

وقد ثبت تاريخيا نزول سيدنا ابراهيم بمنف فى عهد الملك سنوسرت من احدى اللوحات التى تم اكتشافها بحفريات منف تمثل سيدنا ابراهيم وعائلته وهو يقوم الهداية للملك وقد نقش اسمه عليها • كما وجد جعران يحمل صورته واسم الملك سنوسرت الثانى فى مقبرة سنوسرت •

● النبى لوط – ١٨٩٠ ق•م ••

خرج مع خاله ابراهيم الخليل من أرض كنعان متوجهاً الى أرض مصر المباركة « ونجينا لوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين » وتذكر اسفار التوراه انه لم يمكث فى مصر أكثر من عام واحد خرج منها بأمر سيدنا ابراهيم الى سدوم وعموره ليدعو اهلهما الى توحيد الله وقصة النبى لوط مع قومه معروفة « ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم قوم سوء فاسقين » •

● النبى يوسف ••

تبدأ قصة سيدنا يوسف وهجرته الى مصر كما وردت فى الكتب السماوية عندما ألقاه أخوته فى الجب ليتخلصوا منه ويخلو لهم وجه أبيهم لتلتقطه قافلة من البدو باعته لعزيز مصر (فوطيفار) بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين •• « وكان ما فعلوه خيرا على يوسف الطفل وعلى أهله وعلى الناس أجمعين حيث آوته مصر – البلد الآمن – كما آوت غيره من الانبياء والرسل » •

وفى قصر العزيز عاش يوسف وراودته التى هو فى بيتها فاستعصم • ثم ألقوه فى السجن فظهرت آيات فضله وعلامات حكمته فى تفسير الرؤيا • ومن السجن أفتى فى رؤيا فرعون « سبع بقرات سمان يأكلن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات » فعفا فرعون عن يوسف وجعله أمينا على خزائنه ومتصرفاً على شئون البلاد وأطلق عليه اسمامصريا وهو صفنات فعنيح (مخلص العالم)

والتحق يوسف بتوصية من فرعون بمعبد أون حيث تعلم اللغة الهيروغليفية ونقوشها المقدسة ودرس أصول الحكمة والعقيدة وأسرار الوجود على يد « بادى بارع » (عطية الاله) الكاهن الاكبر للمعبد الذى أعجب به وقربه اليه وزوجه من ابنته « اسنات » (الزهرة الطاهرة)•

وعاش يوسف فى أون فترة طويلة وأنجب من اسنات ولدين ، أطلق على ولده البكر اسم منسيا – لان الله أنساه تعبه بين عشيرته وفى بيت أبيه وأطلق على الاخر اسم افرايم لان الله جعله مثمرا فى أرض مذلته •

انه من المؤكد وطبقا لما جاء فى الكتب السماوية وأقوال المؤرخين « ان سيدنا يوسف عليه السلام جاء مصر وعمره ١٣ سنة وأمضى بها ٩٧ عاما من بينهما ٨٠ عاما كاملة حافظا على خزائن مصروالرجل الثانى على عرش البلاد من بعد الملك حتى لقى ربه بعد ان مكنه فى الارض وعمره تجاوز المائة بعشر سنوات » أى من عام ١٧٨٠ ق•م فى عهد الاسرة الثانية عشر الى عام ١٦٨٧ فى عهد الاسرة السادسة عشر من حكم الهكسوس وهو ما يؤكد صحة ما ورد فى وثائق جميع المؤرخين ويفسر ما ورد فى سفر التوراه « وأتى يوسف الى مصر فى عصر فيه رخاء ثم انتهى فى عصر فيه قحط واضمحلال •

مات سيدنا يوسف فى مصر بعد ان عاش على أرضها مايقرب من المائةعام ونقل أتباعه جثمانه ليدفن فى الخليل بجوار جده سيدنا ابراهيم عليه السلام •

● البقية فى العدد القادم ●

العواطف الفردية والاجتماعية في الشعر الجاهلي

● د . أحمد الحوفي ●

● استطرادا لما سبق اليه القول في عدد الشهر الماضي من الهلال — نقول : اما الادلة النصية التطبيقية فنستطيع ان تستمدها من كثير من موضوعات الشعر .

وبحسبنا الآن ان نتخذها من الصق أبوابه بالفردية ، وهو الفخر وما يتصل به .

١ — فقد حرص العربي ان يوصف بالكرم ، وعلى ان يمدح به وعلى أن يؤثر عنه ..

والشاعر اذ يصور عاطفته نحو المحتاجين والمحتاجات يصور عواطف غيره أيضا لان الكرم ليس رحمة فحسب ، بل هو وسيلة من وسائل السيادة ، كما قال حاتم :

يقولون لي : أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيدا (١)

ومن هنا نوهوا بالكرم فخرا ومدحا، قال حاتم :

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما في إلا تلك من شيم العبد (١)

وافتخر مضرس بن ربعي بأنه يقدم لضيفه أشهى جزء في الناقة وهو دهن السنام ، ثم يشكر لضيفه أنه نزل عنده :

وإني لأدعو الضيف بالضوء بعدما كسا الأرض نضاح الندى وجامده

لأكرمه أن الكرامة حقه وملآن عندي قربه وتباعده

أبيت أعشيه السديف وأنثني بما نال حتى يترك الحيّ حامده (٢)

وافتخروا بإيناس الضيف وحسن لقائه ، كما قال عمر بن الاهتم :

فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيت صالح وصديق (٣)

وتتضح عاطفتهم الاجتماعية في السخاء على الارامل واليتامى والبائسين والسائلين ، ومدحهم بذلك ، وفخرهم به :

---

(١) ديوان حاتم ١٣ .

(٢) حماسة ابي تمام ٣٠٢/٢ .

(٣) البيان والتبيين ٢٤/١ .

قال أوس بن حجر في رثاء فضالة بن كلدة :

أبا دُلَيْجَةَ من يوصَّى بأرملة ... أم من لأشعثَ ذي هِدْمين طملان(٤)

وقالت بنت وثيمة في رثاء أبيها وثيمة بن عثمان :

أليتَه مأوى الآرا ... مل والمدفعة اليتيمة (٥)

وقال ابن ربع الهذلي في رثاء رجل اسمه رقيبة :

أعينِي ألا فابكي رُقَيْبَةَ إنه ... وصول لأرحام ومعطاء سائل

فأقسم لو أدركتَه لحميتُه ... وإن كان لم يترك مقالا لقائل (٦)

ولهم في الفخر بالكرم أحاديث وأعاجيب ، بحسبنا منها أنهم كانوا يهدون الغرباء الى منازلهم بالنار ، وبنباح الكلاب ، فكنوا عن كرم الرجل بجبن كلبه ، لانه ينبح في الليل ، فاذا ما رأى الغرباء كف ، اذ أنه اعتاد أن يطرق المنزل غرباء ،

أو صَيْبك خيرا به ، فان له ... خلائِقا لا أزال أحمدها

يَدل ضيفي عليّ في غسق الل ... سيل إذا النار نام موقدها (١)

ويطول بنا الحديث لو أكثرنا من استشهادهم على إشارة المحاويج على أنفسهم ، وعلى طرق هدايتهم للضيفان ، وفخرهم بالكرم ، ومدحهم به ، ورثائهم للكرماء ، ولعبهم الميسر لاطعام الجياع . (٢)

لكنا لا نغفل ناحية موصولة بالكرم أو بالعاطفة الاجتماعية ، ممثلة في شعر الصعاليك ، فان في شعرهم عاطفة اجتماعية سامية ، ونحن نعلم أنهم جماعات من الفقراء الشجعان الثائرين على النظام المالي في عهدهم ، وانهم كانوا يغنون عنوة ، في جموع متحدة ، ربط بينها الالم والحرمان والفتوة ، ثم يقتسمون ما غنموا ، ويعودون فيعطون اخوانهم العاجزين عن الكسب والسلب ، ليكفلوا لهم أسباب الحياة .

وقد اشتهر زعيمهم عروة بن الورد العبسي ، اذ كان يؤوي المعجزة عن الكسب ويقوم بأمورهم اذا أخفقوا في غزواتهم ، فأحبوه ولقبوه بأبي الصعاليك (٣) .

وجرى تقديره على السنة الخاصة والسادة ، فقد قال عبد الملك بن مروان : ما كنت أحب أن أحدا ولدني من العرب غير أبي الا عروة بن الورد (٤) .

وان العاطفة الاجتماعية لتنجلي في قول عروة :

فلا أترك الإخوان ما عِشت للرَّدى ... كما أنه لا يترك الماء شاربه

ولا يُستضام الدهر جاري ولا أرى ... كمن بات تسري للصديق عقاربه (٥)

وفي قوله :

أتهزأ منّي أن سَمِنْتَ وأن ترى ... بجسمي مسّ الجوع والجوع جاهدُ

لأني امرؤ عافي إنائيَ شركةٌ ... وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد (١)

وكان يرى ان اغاثة المحاويج واجب عليه ، وحق من حقوقهم ، ويحزن ان لم

---

(٤) ديوان أوس ٣ طملان : سيء الحال قبيح المنظر .

(٥) البيان والتبيين ١/١٨٣ . (٦) البيان والتبيين ١/٢١٣ .

(٢) كتاب (الحياة العربية من الشعر الجاهلي) للدكتور احمد الحوفي .

(٤) الاغاني ٣/٧٤ .

(٥) الديوان ٤ وشعراء النصرانية ٩٠٠ وفي الأغاني ١١/٤٣ وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ان الابيات لابي الشناش من لصوص بني تميم في الاسلام .

(١) الديوان ٧ والعقد الفريد ١/ ٢٧٥ عافي أنائي : طالب طعامي ، يشربه على الجوع الماء بارد يقصد في الشتاء او لانه فيحس ببرده .

يجد ما يعولهم به ، يقول لزوجته :

دعيني أطوف في البلاد لعلني أفيد غنى فيه لذي الحق محمل

أليس عظيما أن تلم ملمة وليس علينا في الحقوق معول (٢)

٢ ـ أما الشجاعة فقد كان تصويرهم لها نابعا من عاطفة اجتماعية ، ومصورا لخلق عام في القبائل كلها .

تجد هذا في قول بشامة بن حزن النهشلي ـ أو المرقش الاكبر ـ انه من معشر أفنتهم المواقع وحماية المستجير ، وانهم لا يموتون حتف انوفهم :

وتجده في قول عمرو بن كلثوم :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم قيلُ الكماة : ألا أينَ المحامونا ؟

لو كان في الألف منّا واحد فدعوا من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا

إذا الكماة تنحّوا أن يصيبهم حدّ الظباة وصلناها بأيدينا

ونركب الكره إحيانا فيُفرجُه عنّا الحفاظ وأسياف تواتينا

ولا تراهم وإن جلّت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكونا (٣)

أيا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبّرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا

وأنا المطعمون إذا قدرنا وأن المهلكون إذا ابتلينا

وأنا المانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا

وأيام لنا غرّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا (١)

٣ ـ ولقد تستعلن العاطفة الاجتماعية واضحة قوية في الدعوة الى السلام .

ذلك بان الحروب كانت تتوالى وتتوالد ، فتزهق الارواح ، وتوتم الاطفال وترمل النساء ، وتثكل الامهات ، وتخرب وتدمر .

وكانت تستيقظ في نفوس المتحاربين أحيانا نوازع الخير والسلام والامن ، ويأسى بعض العقلاء والاشراف مما يشهدون دماء تراق ، وصلات تتقطع ، وذعر يقض المضاجع ، فتتنازعهم نفوسهم الى الصلح ، وكان بعض الشعراء رسل سلام ، ينفرون من الحرب ، ويكشفون عن جناياتها ، ويشيدون بالداعين الى السلم والعاملين على صونه .

تجد هذا واضحا في قول عمرو بن معد يكرب ان الحرب في أول أمرها كالشابة الحسناء التي تفتن الاغرار والحمقى والجهلة بما وراء فتنتها من معاطب فاذا ما اشتدت الحرب ، وكوتهم بنارها صارت عيونهم كريهة كالعجوز الشمطاء التي جزت شعرها وتبدلت خلقتها ، فلا يرتضي أحد أن يدنو منها ، ولا أن يراها :

الحرب أولَ ما تكون فتيةٌ مكروهة للشم والتقبيل !

حتى اذا حميت وشبّ ضرامها تسعى بزينتها لكل جهول

---

(٢) بالديوان ٣٦ وشعراء النصرانية ٩١٦ .
(٣) حماسة ابي تمام ٥٠/١ .
(١) شرح القصائد العشر للتبريزي والزوزني .

شمطاء جزّت رأسها وتنكرت   عادت عجوزا غير ذات خليل

اما زهير فقد نفر من الحرب بتصوير آخر ، اذ أنذر الساعين اليها بأنهم اذا اشعلوها احترقوا بآثارها ، وذموا عواقبها ، واذا هاجوها استشرت وافترست، واهلكتهم وحطمتهم كما تحطم الرحى ما تحطنه ثم ان الحرب تلد الحرب ، لان العداء يورث جيلا عن جيل ، والحرب تلد توأمين ، يقصد أن شرورها تتضاعف ولكن يكون الناشئون فى بيئة تضطغن بالعداء والبغضاء الا موتورين ناقمين مشائيم يسعون بالشر ، كان كلا منهم أحمر ثمود الذى عقر الناقة فأهلك قومه ثم سخر زهير وتهكم اذ قال لقومه ان ويلات الحرب ستفوق فى كثرتها خيرات العراق ، أو ان الديات التى يتقاضونها ستنافس فى كثرتها هذه الخيرات :

ما الحَرب إلا ما علمتم وذقتـم   وما هو عنها بالحديث المرجّـم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً   وتَضرَ إذا ضرّيتموها فتضـرم
فتنتـج لكم غلمانَ أشأم كلهم   كأحمر عاد ثم ترضعْ فتفطـم
فتغلل لـكم مالا تغِل لأهلهـا   قرى بالعراق من قفيز ودرهم (١)

***

٤ ـ على أنه لا يفوتنا ان كثيرا من الشعر الجاهلى فى الفخر كان بلسان القبيلة كلها وباعمالها وبامجادها ، ولهذا وجدنا الشعراء يستخدمون ضمير المتكلمين لا ضمير المتكلم الواحد ، وهذا دليل على ان الشاعر يصدر عن عاطفة اجتماعية لا فردية ، كقول عمرو بن كلثوم :

وأنا المانعـون لمـا أردنـا   وأنا النـازلون بحيث شِينا
متى ننقل إلى قـوم رحانا   يكونوا فى اللقاء لها طحينـا
بأى مشيئة عمرو بن هنـد   تطيع بنا الوشاة وتزدرينـا

ومن الشعر الذى يتحدث فيه الشاعر عن قبيلته بضمير الجمع قول حسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الغسانى :

ولقد تقلدنا العشـيرة أمرَها   ونَسودُ يوم النائبات ونَعتلِي
ويسود سيّدنا جحاجحَ سادة   ويُصيب قائلنـا سَواء المفصل
ونَاول الأمـر المهمّ خطـابة   فيهم ونَفصل كل أمر مُعضِـل
ونزور أبوابَ الملوك ركابُنـا   ومتى نُحكّم فى البرية نعْدِلَ (١)

وبعد ..

فهذه عجالة من العواطف الاجتماعية فى الشعر الجاهلى ، تكشف عن غناه بتصوير مشاعر الجماعة ، ومشاركتها فيما تحب وتكره ، وفيما يفرح وفيما يحزن ، فهو الآن ادب انسانى منذ خمسة عشر قرنا ، ومن المؤكد انه ازداد غنى بالعواطف الاجتماعية فى الاعصار اللاحقة ، حتى استحق ان يوصف بانه احد الآداب العالمية الخالدة .

●●

(١) المعلقات للتبريزى : المرجم: المكذوب . تضر : تشتد . تضرم : تشتعل .
(١) ديوان حسان ٣٧٢ .. سادة: جمع جحجاح .

مكوك فى الفضاء

● المهندس : سعد شعبان ●
عضو لجنة الفضاء باتحاد
الطيران الدولى بباريس

● وقفة مدتها ثلاث سنوات :

تبدو ابحاث الفضاء وكأنها فى توقف منذ سنوات ، بعدما كانت احداثها وانجازاتها متلاحقة خلال حقبة الستينات واوائل السبعينات .

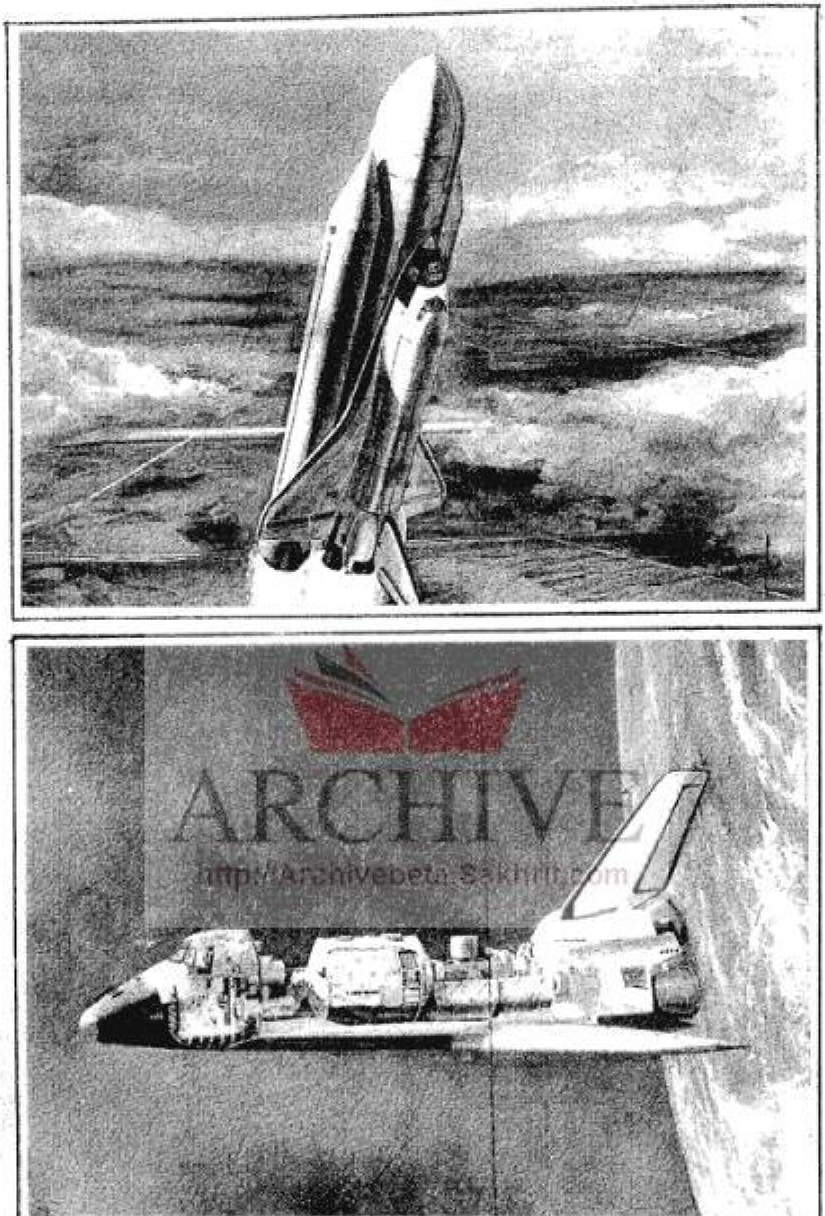
وكانت رحلات الفضاء برواد من البشر او بدون رواد ، ملء السمع والبصر ، تبهر الانظار ، وتتجاوز كل خيال . ووراء ذلك حقيقة خفية ، هى سر الامر كله ، تلك هى التكاليف الباهظة التى ترهق كاهل الدول الكبرى وحتى يومنا هذا مازالت المباراة حلبة ابحاث الفضاء مقصورة على الدولتين الكبيرتين امريكا وروسيا وحدهما ، ولا تقوى باقى الدول على مجاراة هذه الجهود الا بخطوات فرعية او بعمليات مساعدة تتمثل فى اطلاق الصواريخ او بعض انواع من الاقمار الصناعية .

ومازالت عمليات اطلاق سفن الفضاء برواد او بدون رواد مقصورة على هاتين الدولتين وحدهما ، وواضح ان السبب فى ذلك مرجعه ان هذه الانجازات تستلزم اموالا طائلة . وعلى سبيل المثال لقد بلغت تكاليف رحلة « ابوللو ـ ١١ » التى هبط منها رائدان على سطح القمر عام ١٩٦٩ مبلغ « ٧٥٥ » مليون دولار .. وتوالت من بعدها ست رحلات اخرى اكثر منها تكاليفا .

وبلغت تكاليف مشروع معمل الفضاء الامريكى « سكاى لاب » الذى لحقت به ثلاث رحلات متوالية عام ١٩٧٣ ما يقرب من « ٢ر٦ بليون دولار » اما مشروع السفينة الامريكية « فايكنج » التى حطت برفق على سطح كوكب المريخ فى صيف عام ١٩٧٦ فقد تكلفت نفقات باهظة تقدر بالمليارات .

وبسبب هذه التكاليف الباهظة التى تستلزمها ابحاث الفضاء كانت توجد دائما معارضة قوية لدى كثير من اعضاء الكونجرس الامريكى ، لاعتماد الميزانيات المطلوبة لوكالة ابحاث الفضاء الامريكية « الناسا » .

بل مازالت هناك معارضة فكرية فى المجتمع الامريكى ، فكرة غزو الفضاء من اساسها ، وتنادى بان فقراء الارض اولى بهذه الاموال الطائلة ، وما زال هؤلاء يرفعون شعارات براقة تقارن فى سطحية ، بين تكاليف وجبة واحدة يتناولها رائد فضاء تقدر بمئات الدولارات ، وكيف تفوق تكاليف وجبات اسرة امريكية بكاملها خلال عدة شهور . وتجذب العامة بحجة ما يمكن ان يتغير به وجه الحياة على الارض لو انفقت هذه الاموال الطائلة التى تمتصها ابحاث الفضاء ، على اسعاد الفقراء من البشر وعلاج المرضى منهم ونشر العلم ومكافحة



صورتان من لحظة انطلاق المكوك الى الفضاء ثم اتخاذ المكوك مساره حول الكرة الارضية

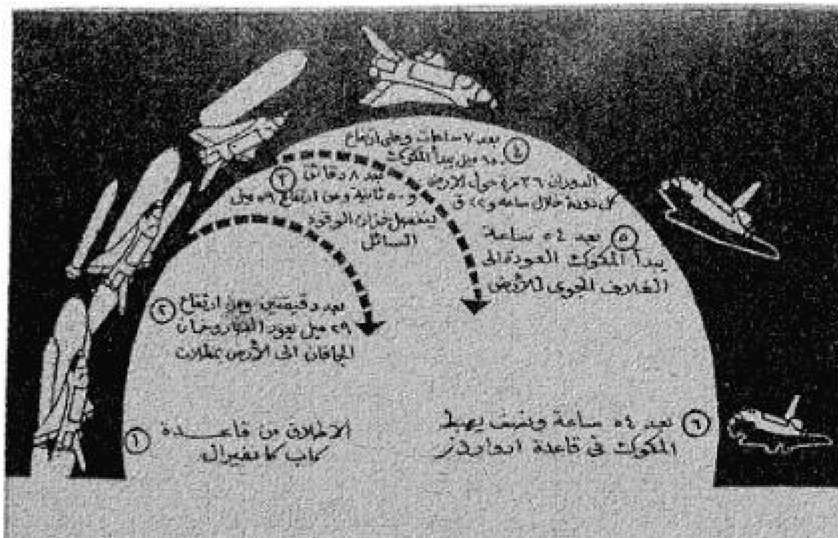
الجريمة وانقاذ من يموتون جوعا فى كل القارات .
لذلك جد علماء الفضاء الأمريكيين فى ايجاد حلول للاقتصاد فى نفقات رحلات الفضاء بطريقة جذرية ، وانتهت هذه الجهود الى فكرة الطائرة الفضائية « المكوك » Space shuttle التى يمكن ان يتكرر اطلاقها عدة مرات .
ولقد بدأت فكرة المكوك فى الستينات ، وادخلت عليها عدة تعديلات حتى ظهرت الى الوجود فى صورتها النهائية فى صيف عام ١٩٧٧ وتم تجربتها فحققت النجاح ، وشجعت العلماء على المضى قدما فى اتمام المشروع . ومضت بعد ذلك فترة ثلاث سنوات من صيف ١٩٧٧ حتى اوائل عام ١٩٨١ فى جهود فنية متوالية للتغلب على مشاكل لم تكن تخطر على بال ، وخلال هذه السنوات الثلاث اعلن عن اعتزام اطلاق « المكوك » عدة مرات وفى كل مرة كان يؤجل موعد الاطلاق عدة شهور لتتجدد المشاكل الفنية واحدة تلو الأخرى . حتى تحقق الاطلاق يوم ١٢ ابريل ١٩٨١ من قاعدة كيب كانفيرال الأمريكية لتدور فى الفضاء ٥٤ ونصف ساعة .

● **تهجين سفينة الفضاء والطائرة**

اتت تسمية « المكوك » من امكان تكرار عملية السفينة عددا يمكن ان يصل الى مائة مرة ، شأنها فى ذلك شأن مكوك النسيج . وبذلك يتوفر الثمن الأساسى لسفينة الفضاء ، التى لم يكن يعود منها الى الارض غير الكبسولة أو « قمرة » القيادة التى تضم رواد الفضاء . بينما كانت باقى الاجزاء تحترق بالاحتكاك عند عبور الغلاف الجوى للارض . اما الصاروخ الحامل للسفينة فلم يكن يستفاد منه اى شىء ، حتى الأجزاء التى لا تحترق منه فانها كانت تسقط الى غير عودة فى مياه المحيط .
لذلك تمثلت عملية توفير النفقات فى تصميم المكوك ، بحيث يمكن تكرار اطلاقه عدة مرات .
ولكى يتحقق ذلك صمم على هيئة طائرة ذات جناحين وذيل ومقدمة تحوى قمرة قيادة تسع رائدين للفضاء لقيادته والعودة به الى الارض شأن الطائرات . وبذلك انخفضت النفقات وزاد من خفضها كذلك امكان استعادة صاروخى الدفع اللذين يحملان المكوك الى مداره ، بواسطة مظلات نجاة تهبط بهما فوق مياه المحيط .
وبذلك يمكننا تصور رحلة المكوك حيث يبدأ فى الانطلاق من الارض ملتصقا بصاروخ ، حتى اذا ما استوى على المدار المحدد لدورانه فانه يدور كسفينة فضاء لها شكل الطائرة ، واذا ما - اتم مهمته فى الفضاء ، ينحدر كاملا الى الارض حتى يصطدم بالغلاف الهوائى المحيط بها ، ويطير عبره شراعيا . وهكذا يمكن القول أن العلماء افلحوا فى تحويل « سفينة الفضاء » الى « طائرة فضاء » .

● **الاطلاق فوق خزان**

الدور الرئيسى للصواريخ بالنسبة لسفن الفضاء ، هى انها وسيلة حمل ، تقوم بعمل المطية التى تحملها خارج نطاق الجاذبية الارضية اذ تعمل قوة نفث الغازات التى تنجم عن احتراق الوقود داخل الصواريخ ، على حمل جسم الصاروخ ، وما يكون عالقا به من اجسام اخرى الى طبقات الفضاء العليا ، مارا بارتفاع يستطيع ان يتحرر عنده من اثار الجاذبية . وبعدئذ يصبح ما بقى من جسم الصاروخ وما يحمله متحركا فى الفضاء بسرعة تسمى السرعة المنتظمة . وحيث لا توجد اعاقة او مقاومة من ذرات الهواء لانه لا وجود له وكل جسم يتحرك بسرعة منتظمة يظل محتفظا بهذه السرعة حتى يطرأ عليه تدخل خارجى
ومن ثم تستطيع الصواريخ أن تجعل



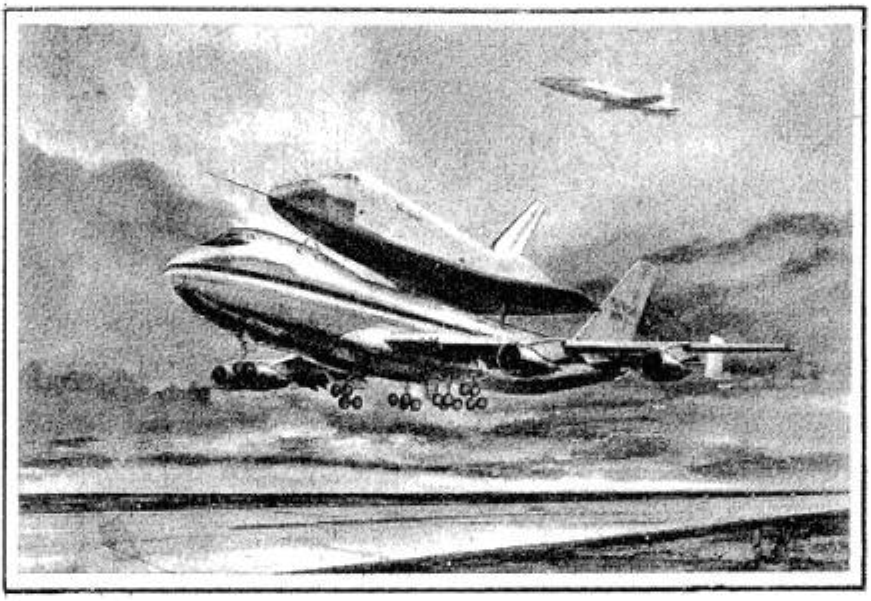
مراحل رحلة المكوك

جسم السفينة المكوك « التى تحملها ملتصقة بها يستقر على مدار معين فى اعالى الفضاء لتدور على هذا المدار ..

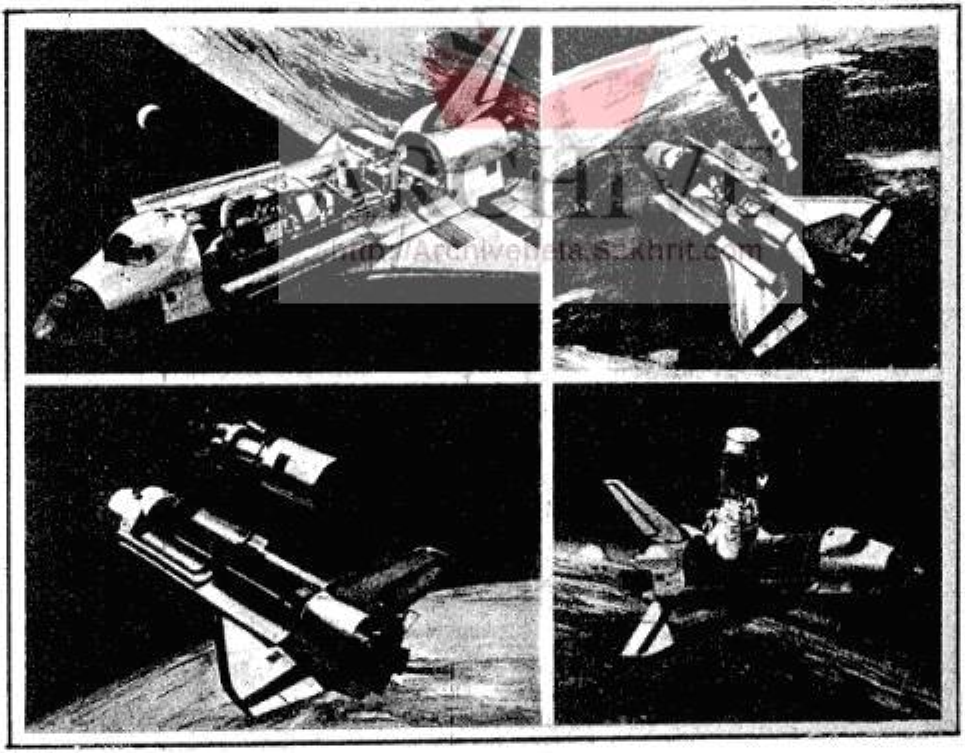
والصواريخ المستخدمة فى حمل السفينة المكوك ، هما صاروخان جافان ضخمان ارتفاع كل منهما ٥٣ مترا وقدره فع كل منهما ١ر٨ مليون كيلو جرام دفع . ويلتصقان بمستودع ثالث ضخم يحوى وقودا سائلا يتكون من ١٢٩٫٠٠٠ جالون اوكسيجين سائل و٣٧٠٫٠٠٠ جالون ايدروجين سائل ويبلغ وزن مجموعة الصواريخ والمستودع ٧ر٢ مليون رطل وهذا القدر الهائل من الوقود يكتمل احتراقه بعد ثمان دقائق ونصف من الاطلاق ليعطى قدرة تعادل ١٧٠٫٠٠٠ كيلو جرام دفع ، لتحمل السفينة الفضائية « المكوك » الى مدارها وتكون عند بدء الاطلاق فى وضع راس مقدمتها الى اعلى وذيلها الى اسفل . وعند بدء الاطلاق يتوالى احتراق الوقود الجاف الذى فى الصاروخين الجافين اولا ، وبعد نفاد الوقود منهما ، يعودان فارغين الى مياه المحيط ، بواسطة مظلات نجاة ، بينما يفجر مستودع الوقود الضخم فى الفضاء لتتناثر اجزاؤه فوق مياه المحيط الهندى .

● **طائرة ثمنها ١٠ بليون دولار**

لجأت امريكا عام ١٩٧٧ الى فكرة عجيبة وحديثة ، لتجربة صلاحية المكوك للطيران والانحدار شراعيا ، وذلك بحمله فوق متن الطائرة المدنية الضخمة « الجامبو » او « البوينغ ـ ٧٤٧ التى استخدمت فى هذه الحالة كمنصة اطلاق . ولكى يتم ذلك كان لزاما بناء منصة معدنية ضخمة تعلق عليها السفينة المكوك على ارتفاع عال يسمح بأن تحط هذه السفينة الضخمة فوق السطح العلوى الطائرة المدنية الجامبو . وترسو فوقها محمولة على ثلاثة ارجل قصيرة بحيث يسهل ان تنفصل عن هذه الارجل عندما تبلغ



لحظة هبوط المكوك مرة آخرى الى الارض في قاعدة جوية خصصت لهذا الغرض في كاليفورنيا وفي الصورة السفلى مراحل عمل المكوك في الفضاء اثناء دورانه حول الكرة الارضية



سرعة طيرانهما معا حدا معينا . ولقد نجحت التجربة فى عام ١٩٧٧ وتكررت اربع مرات وتأكد العلماء من سلامة تصميم السفينة المكوك وسهولة انحدارها شراعيا . لكن الثلاث سنوات شهدت مصاعب فنية بالغة التعقيد فى تصميم المكوك تمثلت فى ضرورة لصق قوالب عازلة للحرارة من مادة السليكا الزجاجية على السطح الخارجي كله وذلك للتغلب على حرارة الاحتكاك بالهواء فى الغلاف الجوى . وكان لزاما لصق أكثر من ٣٠،٠٠٠ قطعة، وتصميم بعض اجزاء المحركات من سبائك معدنية تقاوم الحرارة العالية التى تعرضها للانصهار . فضلا عن تصميم حواسب اليكترونية ومولدات قسوى متطورة للتحكم فى كل مراحل قيادة السفينة واجهزتها . ولذلك بلغت تكاليف المكوك الاول الذى اطلق عليه اسم «كولومبيا» ٩،٩ بليون دولار .

وفى يوم ١٠ ابريل ١٩٨١ وبعد جهود مضنية اوشك العد التنازلى على الانتهاء ، ولكن قبل تسع دقائق فقط من لحظة الاطلاق المرتقبة اكتشف وجود خلل فى احد الحواسب الالكترونية ادى الى تاجيل اطلاق ٤٨ ساعة .

وعلى متن المكوك توجد خمسة حواسب اليكترونية تتحكم فى اجهزته كلها . ولتضبط المسار المحدد له فى الفضاء على ارتفاع قدره ٢٧٣ كيلومترا فوق سطح الارض ، ولتنظم سرعته التى يمكن ان تصل الى ٢٧٣٠٠ كيلو مترا فى الساعة ، وليكرر المكوك الدوران ٣٦ مرة حول الارض .

وقد اعدت خمس مطارات احتياطية للهبوط الاضطرارى للمكوك ، فى أسبانيا واليابان وجزر هاواى وولايتين امريكيتين .

وبعدما يتم المكوك رحلته الفضائية التى قدر أن تمتد لمدة ٥٤ ساعة ونصف فان محركاته تبدا فى العمل لكى يوجه بواسطة اثنين من الطيارين نحو الغلاف الجوى للارض ..

● **حمولات مربحة على المكوك**

مقاييس السفينة المكوك لا تختلف عن كثير من الطائرات ، فطولها ٣٧ مترا وعرض اجنحتها ٢٤ مترا . والحجم المتاح فى الجسم يسمح بحمل حمولة كبيرة قدرها ٢٩ طنا وتقدر تكاليف حملها للفضاء بمبلغ ٣٥ مليون دولار . ولقد فكر علماء الفضاء فيما يمكن ان يكون عليه هذا الحمل وذهب بعضهم الى القول بامكان وضع صاروخ بكامله فيها ، أو وضع منصة اطلاق القمر صناعى . كما ذهب البعض الآخر الى القول بامكان استغلال جزء من هذه الحمولة . فى حمل عدد كبير من الركاب هواة الطيران فى الفضاء بعد اجراء الفحوص الطبية اللازمة عليهم .

يمكن ان تتنوع حمولات المكوك لتكون علمية ، أو تجارية ، أو عسكرية، ولقد اتاحت وكالة أبحاث الفضاء الامريكية « الناسا » الفرصة امام كل الدول لتاجير حمولات مدفوعة الثمن على متن رحلات المكوك المقبلة . الامر الذى شحذ عقول العلماء فى كثير من بقاع الارض لاغتنام هذه الفرصة لوضع حمولات ذات نفع قومى او عالمى

● **افاق جديدة لغزو الفضاء**

كان الاعتماد المالى المخصص لمشروع مكوك الفضاء عام ١٩٧٢ هو ٥،١ بليون دور ، قفز الى ٩،٩ بليونا ، ولا شك أن هذه الميزانية الضخمة ستجعل البشرية امام حقبة جديدة من عصر الفضاء ، وستقلب بحوث الفضاء راسا على عقب ، لأن المكوك يمكن ان يكرر طيرانه كل اسبوعين ، ويمكن ان يحمل أجهزة علمية ومعدات عسكرية لم يتطرق اليها فكرنا اليوم . ولذلك بدأ البعض فى القول بامكان تشكيل « بوليس نجدة فضائى » تكون مهمته انقاذ سفن الفضاء ، أو اصلاح اعطال الاقمار الصناعية أو نجدة رواد الفضاء . وبدأ **آخرون يفكرون فى كيفية تجميع المستعمرات الفضائية او استخدام المكوك نفسه كمنصة لاطلاق الاقمار الصناعية من المدارات العالية فى الفضاء كما بدأت بعض الشركات الامريكية الاعلان عن رحلات للسياحة الفضائية بعد عشر سنوات . ولاشك ان الانسان سيخطو خطوات الى الامام بواسطة المكوك لتحقيق حلمه ، فى غزو الكواكب.**

غذاء أم مجاعة؟

● د . محمد عاطف كشك

● منذ انعقد مؤتمر الغذاء العالمى فى روما عام ١٩٧٤ والعالم كله تشغله مشاكل الغذاء ، وتوفير الغذاء الآن ،وعلى وجه أخص فى المستقبل .

وشدة انشغال العالم بهذه المشكلة تتفاوت بالطبع من بلد لآخر ، وداخل البلد الواحد من فئة الى أخرى ، فمن يناقش ويفكر فى مشكلة الغذاء وهو جائع ، ليس كمن يناقشها ويفكر فيها وهو متخم ! ..

ورغم هذا الاختلاف فى طريقة تناول مشكلة الغذاء الا ان هناك وعيا متزايدا بان سكان العالم الآن يعيشون مرحلة حرجة فمساحات الاراضى (المصانع الأولية للغذاء) ليست بلا نهاية ، كما ان قدرتها على الانتاج محدودة ، وهى عرضة باستمرار للتدهور او الضياع وخاصة عند استعمالها تحت ضغط الحاجة الشديدة وسكان العالم يتزايدون باستمرار ..

وهناك تقديرات عديدة مختلفة لعدد سكان العالم فى السنين المقبلة . ولكن التقديرات المتوسطة تتوقع عددا يزيد عن ٦٫١ بليون نسمة فى عام ٢٠٠٠ اى بزيادة حوالى ١٠٠٪ فى زمن قدره أربعون عاما (مقارنة بأرقام عام ١٩٦٠) ورغم ان بعض العلماء يرون أن الارض يمكن أن تعول عشرة أضعاف عدد السكان الحاليين الا أن البعض الآخر يتوقع ان ملايين عديدة من البشر يواجهون مجاعات شديدة فى المستقبل القريب - (هناك ملايين عديدة يواجهون بالفعل مجاعات مختلفة الشدة فى الوقت الراهن) - وسوف نترك الآن مناقشة مدى صحة التوقعات بشأن المستقبل ومدى تفاؤلها أو تشاؤمها ، مكتفين بمحاولة القاء الضوء على بعض جوانب المشكلة الحالية.

● سوء توزيع الغذاء :

يعتمد سلام العالم على توفير الغذاء الكافى لكل سكانه ، ولكن للاسف فان زيادة الانتاج ليست هى الحل المباشر للمشكلة ، فكمية الغذاء المنتجة فى عالم اليوم تكفى لكل سكانه ، لكنها ليست موزعة بالتساوى او بدرجات متقاربة بين الجميع . وادراكا لاهمية العناية بمشكلة التوزيع فى حل كثير من مشاكل التنمية بدأ كثير من العلماء يتكلمون عن « اعادة التوزيع مع النمو » .

Redistribution with crowth

وخاصة بعد الدراسة التى نشرها البنك الدولى بالاشتراك مع معهد دراسات التنمية بجامعة ساسكس تحت هذا العنوان عام ١٩٧٤ ، ومؤداها أن النمو وحده قد ينتج عنه فى النهاية أن الغنى يزداد غنى والفقير يعانى من فقر أشد ، ولذلك لابد أن يصحب عمليات النمو اعادة توزيع للدخول لتحقيق الحاجات الاساسية وخاصة أفقر الفقراء منهم

Poor the poorest of the poverty

Foucused strategies كما كثر الكلام عن استراتيجيات التنمية بحل مشكلة الفقر

واصبح هناك وعى متزايد بمضمون الشعار الذى رفعته مجموعة من الدول

النامية المطالبة بنظام اقتصادى عالمي جديد ، وذلك في الدورة ٢٩ للجمعية العامة للامم المتحدة في الاعلان الشهير الذى عرف باسم The cooc Declaration عام ١٩٧٥

هذا الشعار يقول أن « الازمات الراهنة لا ترجع الى ندرة الموارد وانما الى عدم عدالة التوزيع » .

ويكفي ان نذكر هنا بعض الارقام التي تبين الى اى مدى يتفاوت الناس في العالم غنى وفقرا ، جوعا وشبعا . فحتى هذا اليوم ما زال ثلاثة ارباع دخل العالم واستثماراته وخدماته وتقريبا كل الابحاث العلمية في ايدى ربع سكان العالم .فمثلا يسكن في امريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا ٦ر٢٪ من سكان العالم في يدهم ٣٤٫٥ من دخل العالم ، بينما يعيش في آسيا (ما عدا الاتحاد السوفييتي واليابان) ٥٣٫٩ من سكان العالم لا يملكون الا ٩٪ من دخل العالم (الامم المتحدة : النيوزويك ٢/٩/١٩٧٤) .

وبالطبع فان لهذه الارقام انعكاسات عديدة على مشاكل الغذاء فمصادر الامم المتحدة تقدر انه من بين كل ستة اشخاص يوجد واحد جائع او ناقص التغذية ،والعدد الاكبر من ناقصى الاغذية يوجدون في البلاد النامية وخاصة الشرق الاقصى وافريقيا ويقدر عدد ناقصى التغذية في العالم بحوالى ٤٦٠ مليونا حسب بيانات الامم المتحدة (وربما كان هذا تقدير متفائل جدا) والدول النامية تضم حوالى ٧٠٪ من سكان العالم ، ومسئولة عن ٨٦٪ من الزيادة السنوية للسكان ، ولكنها تنتج فقط ربع غذاء العالم ..

ومشكلة التضخم زادت من اسعار الغذاء بشدة منذ عام ١٩٧٠ . فالقمح الذى تصدره الولايات المتحدة ارتفع سعره فيما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٤ بنسبة ٢٠٤٪ (د . اسماعيل صبرى عبد الله: **نحو نظام اقتصادى عالمي جديد ١٩٧٧ .**

وبالطبع فان الفقراء الذين لايستطيعون مواجهة الاسعار العالية هم أكثر الناس معاناة للجوع وسوء التغذية .

● **كم من الغذاء يحتاجه العالم ؟**

هذا السؤال يتطلب أولا الاجابة على



سؤال آخر : ما هو مستوى الوجبة التي يحتاجها الانسان أو هو على استعداد لقبولها ؟ ..

وهنا نجد أن الفرد المتوسط في الدول المتقدمة يستهلك قدر زميله في الدول النامية ٤ مرات من اللحوم والشحوم ، ٦ مرات من اللبن والبيض و ٣ مرات من السكر (والتفاوت داخل معظم الدول النامية أكثر من ذلك بكثير) وفي الدول النامية نجد أن ٦٣٪ من السعرات الحرارية اللازمة للانسان تأتي من الاستهلاك المباشر للحبوب ، في حين أن هذه النسبة في الولايات المتحدة ٢٠٪ فقط وانتاج العالم من الحبوب في عام ١٩٧٤ كان حوالى ٩٧١ مليون طن ،وهذه تمثل زيادة ٧١٪ عن انتاج عام ١٩٦١

ولكن لو أخذنا في الاعتبار زيادة السكان فان زيادة انتاج الحبوب بالنسبة للفرد لا تمثل أكثر من ١٠٪ . واذا اعتبرنا مشكلة سوء التوزيع نجد أن عددا كبيرا من فقراء العالم لم يستفد من هذه الزيادة بالمرة .

ومعظم زيادة انتاج الحبوب نتجت من زيادة استعمال **الاسمدة ، والثورة الخضراء واستصلاح اراضي جديدة** في البلاد النامية .. ولكن زيادة سكان العالم تدل على أنه يجب العمل على مضاعفة الانتاج بعد ٢٥ ـ ٣٠ سنة أخرى فهل هذا أمر ممكن تحقيقه ؟

ربما يكون ذلك سهلا بالنظر الى التقدم العلمي المذهل الذي حققه ويحققه الانسان كل يوم ، ولكن هناك عدة عوامل تزيد من تعقد المشكلة ، منها :

● **ان النظام الاقتصادي العالمي الراهن يتسم بأن الدول المصدرة للحبوب واهمها امريكا تسعى الى تحديد انتاج الحبوب ورفع سعرها في نفس الوقت لاسباب محلية (مثل محاولة تحقيق مستوى دخل متقارب بين المشتغلين بالزراعة والمشتغلين بالصناعة)، ولاسباب دولية (لكي يظل التحكم في انتاج الحبوب واسعارها وسيلة ضغط وتحكم)**

● **العامل الثاني هو أن حيوانات العالم تستهلك من الحبوب ما يكفي لاطعام ١٥ بليون انسان ، وبالطبع لا يمكن التخلص من الحيوانات لانها تمدنا بانواع اخرى من الغذاء الضروري ، ولكن يمكن كلما كان ذلك مناسبا ، اعفاء الحيوانات من العمل فتتوفر كميات اكبر من اللحوم والالبان وتتحسن نوعيتها .**

● العامل الثالث هو الكوارث الطبيعية فهي تجعل الامور اكثر سوءا فلا يستطيع العالم أن ينسى فيضان بنجالاديش عام ١٩٧٠ الذي ترك أكثر من ٣٠ مليون انسان في مجاعة .

كذلك أسوأ فيضان في التاريخ حدث لباكستان عام ١٩٧٣ .

والفيضان الاخير في الهند عام ١٩٧٨ وعلى عكس الفيضانات نجد الجفاف الشديد في منطقة الساحل الافريقي لعدة سنوات وصلت الى الذروة في عام ١٩٧٤ ، وما صحب ذلك من مجاعات وموت كثير من الناس ونفوق إعداد اكبر من الماشية . وربما تذكرنا هذه الكوارث وكذلك سوء التوزيع بما قاله الشاعر أحمد شوقي .

● **ما الناس الا عاملان ، فعامل قد مات من عطش وآخر يغرق** ●

والكوارث معظمها يرجع الى عوامل طبيعية وراء قدرة الانسان على التحكم فيها ، ولكن بعضها يرجع الى أسباب من صنع الانسان نفسه . وأيا كان السبب فان الكوارث الطبيعية في السنين القليلة الماضية نتج عنها نقص احتياطي الحبوب العالمي من ٩٥ يوما عام ١٩٦١ الى ٣٦ يوما عام ١٩٧٤ .

اذن ، كم من الغذاء نحن في حاجة اليه ؟ .

كمية متزايدة حوالى ٣٠٪ زيادة كل ١٠ سنوات ، الا اذا نقص سكان العالم او انخفض استهلاكهم للغذاء ـ وهو أمر مستحيل .

● زيادة مساحات **المحاصيل الغذائية:**

على الاقل يمكن زراعة مساحات جديدة مساوية للمساحة المزروعة الآن في العالم .. ولكن السؤال : **هو باى تكلفة؟** ان احسن اراضي العالم **قد تم استغلالها بالفعل** ولم تبق الا الاراضي السيئة التي تحتاج الى أموال ضخمة وجهود جبارة لجعلها منتجة .

وهذه الاراضي اما انها تقع في **مناطق المستنقعات** التي بها كمية من المياه زيادة عن اللازم ، او في **المناطق الصحراوية** التي لا تجد قطرة من الماء تنشر الخضرة عليها ، أو توجد **في مناطق من الصعب للغاية تنميتها . فمثلا توجد حوالى ١٫٨ بليون فدان في اواسط افريقيا موبوءة بذبابة تسي تسي التي تسبب مرض النوم للانسان والحيوان ، وتنمية وزراعة مثل هذه المناطق مكلف للغاية .**

والامل الآن في حل فوري لمشكلة نقص الغذاء يتمثل في زيادة انتاج الاراضي

المزروعة فعلا ، وهذا يمكن الوصول اليه بتكلفة اقل من استصلاح واستزراع اراضي جديدة، الا في الحالات التي يكون فيها الاستصلاح أمر لا غنى عنه كما هو الحال في مصر .

● المنهج المتكامل لحل مشاكل الغذاء:
ما ذكرناه عن زيادة انتاج المحاصيل ليس الا بعض جوانب المشكلة فقط ، فالمشكلة كما رأينا متعددة الجوانب ، لذلك فان محاولات حلها بمناهج احادية الجانب لن يكون نصيبها الا الفشل كما حدث في حالات كثيرة .. ولذلك فان كثير من الكتاب والمفكرين يتبنون الآن محاولة الاقناع بأن حل المشكلة غير ممكن الا اذا تناولنا المشكلة بمنهج متكامل وهذا المنهج باعتباره منهج عام لعملية التخطيط للتنمية ، ومنهجا ايضا للدراسات اللازمة للتخطيط ، يصلح لتناول مشكلة نقص الغذاء باعتبارها من أهم المشاكل التي يجب أن تركز عليها خطط التنمية في البلاد النامية ، حيث تحدد اهداف التنمية ووسائلها وطريقة تقييم مشروعاتها .

ولن نستطيع هنا أن نتناول كل جوانب المنهج المتكامل فهو يستحق دراسة خاصة ولكن في حدود مشكلة الغذاء يمكن أن نركز على النقاط التالية:

● قبل كل شيء لابد وأن تتبنى خطط التنمية استراتيجيات التنمية التي تساهم في حل المشكلة فمثلا من الضروري أن تكون اهداف التنمية واضحة وموجهة نحو سياسة تحقيق الاكتفاء الذاتي والاستيراد في حدود تحقيق الهدف الذي لابد وأن يكون اشباع الحاجات الاساسية لكل الشعب وخاصة الفقراء .

ولن نتوسع في الكلام عن الحاجات الاساسية في هذا المجال ، ولكن لابد من ذكر ان أول الحاجات الاساسية للانسان هو حاجته الى وجبة كافية متوازنة لتوفر له فرص النمو الطبيعي والقدرة على العمل المنتج وتحميه من امراض سوء التغذية وغيرها .

وليس هذا مطلبا انسانيا فقط ولكنه ضروري لتحقيق اهداف التنمية ذاتها فمن البديهي أن الانسان هو بؤرة عملية التنمية فهو الغاية والوسيلة في نفس الوقت .

وشعب يعاني معظم افراده من الجوع والجهل والمرض والبطالة ، غير قادر على انجاز عملية تنمية حقيقية .

● واضح الآن ان اشباع الحاجات الاساسية كهدف للتنمية لا يمكن ان يتم في ظل التفاوت الشديد في الدخل الذي تعاني منه الدول النامية اكثر من غيرها ، وعلى هذا فان سياسات اعادة التوزيع لابد أن تصاحب عملية التنمية منذ البداية كهدف ووسيلة في نفس الوقت .

● اشباع الحاجات الاساسية واعادة توزيع يحقق هدفا آخر هو مشاركة الشعب كله في عملية التنمية والمشاركة ليست هدفا نبيلا في حد ذاته فحسب ، ولكنها وسيلة لانجاز اهداف التنمية والا كيف يمكن تحقيق تنمية فعالة في بلد يكون ٨٠٪ من سكانه مثلا غير مشاركين في عملية التنمية غير متمتعين بثمارها ..

● استعمال التكنولوجيا أمر لابد منه اذا اردنا ان نحل مشاكل الغذاء وغيرها من المشاكل

وبديهي أن البحث العلمي بالاعتمادات الهزيلة المخصصة له حاليا في معظم البلاد النامية لا يمكن أن يكون فعالا ، فلابد من الاقتناع الكامل بأن الانفاق على البحث العلمي يعتبر افضل استثمار ممكن في البلاد النامية والمتقدمة على السواء .

● تتضح ضرورة المنهج المتكامل في الدراسات اللازمة للتنمية فلحل مشاكل الغذاء فلا غنى عن أن تتم مراحل الدراسة والتخطيط بواسطة فريق من المتخصصين يغطي كل جوانب الموضوع مثل التعليم والتدريب الزراعي والخدمات التي تقدم

للفلاحين والاشراف الحكومى ، ونظام التسليف بشروط ميسرة ، ونظم الحيازة الزراعية وطرق الزراعة واعداد الارض والتسميد والرى والمعدات الزراعية ، ومقاومة الحشائش والامراض والآفات، وتحسين وسائل الحصاد والتخزين والنقل ، وسياسة الاسعار الزراعية والتسويق .

كما لابد من تناول مشاكل الفروق بين القرية والمدينةوتخطيط القرى وتوفير خدمات التعليم والصحة والمواصلات والثقافة بها ، وكذلك لابد من التكامل والتوازن بين الزراعة والصناعة والاهتمام الجدى بالتصنيع الزراعى ..اى لابد فى النهاية من ان تكون القرية منطقة جذب لا منطقة طرد ، وهذا لا يرفع انتاج الاغذية فقط ، لكنه فى نفس الوقت يحل مشاكل اخرى عديدة ليس اقلها شأنا مشاكل الهجرة من الريف الى الحضر والنمو السرطانى للمدن .

والنقطة الهامة هنا هى أن هذا المنهج المتكامل قد لا يلقى قبولا فوريا من الدراسين ورجال التخطيط ، وايضا من معظم الفلاحين ، لانه جديد عليهم ، كما أن تعاون الامم والشعوب ضرورى جدافى هذا الشأن ، لان مشكلة الغذاء مشكلة عالمية فى النهاية ، ولا يمكن للشعب الامريكى مثلا ان ينكر مسئوليته ولو جزئيا عن الجائعين فى اى بقعة من العالم بعد عملية النهب الطويلة للموارد الطبيعية والعقول المفكرة والقوى المنتجة والتى ما زالت حتى الآن تجرى على قدم وساق .

● عقبات اخرى (غير متعلقة بالارض) فى طريق الانتاج الغذائى :

يبدو ان المثل القائل أن « البشر هم أعدى اعداء انفسهم » مثل صحيح الى حد بعيد فالنزاع السياسىوعدم الثقةوالجهل والغرور ، والتعصب ، يجعل انتقال المعرفة بطيئا وتوزيع الغذاء أبعد ما يكون عن العدل ويضيع جزء كبير منثروة الامم على الاسلحة واعداد الجيوش للحروب والدمار .

فمثلا الغاز الطبيعى ، وهو المادة الخام الاساسية لصناعة الاسمدة الازوتية يبدد فى كثير من حقول بترول الشرق الاوسط لانه لا توجد المصانع الكافية لصنع الاسمدة ، وهذا يترك العالم وخاصة شعوب المنطقة تعانى من نقص هذا النوع الهام من الاسمدة . وقطع الغابات ساهم فى تضخيم كوارث الفيضانات فى الهند وباكستان ونيبال ، وزيادة اسعار الاسمدة والآلات والمبيدات تقفز الى اعلى وبالتالى تزيد أسعار الحاصلات الزراعية زيادة غير معقولة وغير محتملة .

والتغيرات المناخية غير المتوقعة تسبب كوارث محزنة فيما يتعلق بالانتاج الزراعى . وهناك عوامل أخرى عديدة مناخية وغير مناخية مثل انتشار الآفات والانجراف بالرياح أو المياه ، والصقيع غير المحتمل ، والحرائق وندرة المياه او فشل مشروعات السدود . ولا يفوتنا هنا ان ننوه بالحقيقة المؤكدة حاليا وهى ان الصحراء فى كل مكان تزحف على الارض الزراعية ، وبدلا من أن نضيف مساحات جديدة كل عام نساهم بالاستخدام الاحمق للموارد الارضية والمائية فى تدهور البيئة ..

والخلاصة ، ان العالم يواجه مشكلة حقيقية تتعلق بأهم الاحتياجات المادية الاساسية للانسان وهو الغذاء .. ولم يعد فى وسع احد سواء فىالدول المتقدمة او المتخلفة أن يغمض عينيه عن المشكلة ولو بات ممتلىء المعدة ، على الاقل تفكيرا فى غذاء اولاده فى المستقبل .. ومع ذلك فان المشكلة الحادة هى مشكلة الدول المتخلفة او دول العالم الثالث ، وقد نطالب بتغيير النظام الاقتصادى العالمى ، وقد نضغط على الدول المتقدمة لكى تواجه مسئولياتها فى اقرار سلام عالمى. ولكن يجب ان نطلب المساعدة من الاخرين ان نكون قادرين على مساعدة انفسنا .. وبكل المقاييس فان اتباع سياسات صحيحة فى التنمية وحل مشاكل الغذاء يمكن الدول النامية من ضمان النجاح ●

البحار الخالة

• محمود الفترس •

أحبابنا .. والوشاة ما كذبوا
ذلك شأنُ الهوى .. فلا عجبُ
مَواجِد .. لا يلام موجِدها
وجنة .. زادَ أهلها التعب

***

أنّا بلونا الهوى .. سراب ضحى
تعانقُ الصدقُ فيه والكذبُ
سلوا المنى فيه عن جنايتها
وعارى دربه ... وما اكتسبوا

***

وما يرحنا — المدى — تكابده
من أجل ما نشتهي ونرتقبُ
يامن جنينا كروم كرمهم
كم من ذوى [illegible] التعبُ

***

الخمر لا تحتوى .. معتقة
إلا إذا شابَ دنها العطبُ
والعهد لو قطعت أواصره
فليسُ يجدى العتاب والغضبُ

***

أحبابنا .. لم تزل موائدنا
للحسن .. ما تحتوى وما تهب
لا لومَ فى العشق إنه قدرَ
الماءُ فى راحتيه واللهب !

الأحلام فى الغالب رموز على أشياء قادمة أو خافية!

الاحلام ظاهرة طبيعية لها معان ودلالات نفسية ، ومن قديم اهتم الناس بتفسير الاحلام واعطوها اهمية كبرى حتى ان فرويد جعلها محورا من محاور التحليل النفسى ، ولكن العلم الحديث يقول ان الاحلام قد لا تعنى اكثر من التفريغ عن النفس او هى عملية ترتيب ومراجعة يقوم بها الذهن اثناء النوم . ولكن .. تثير الاحلام دائما اهتمام الناس !

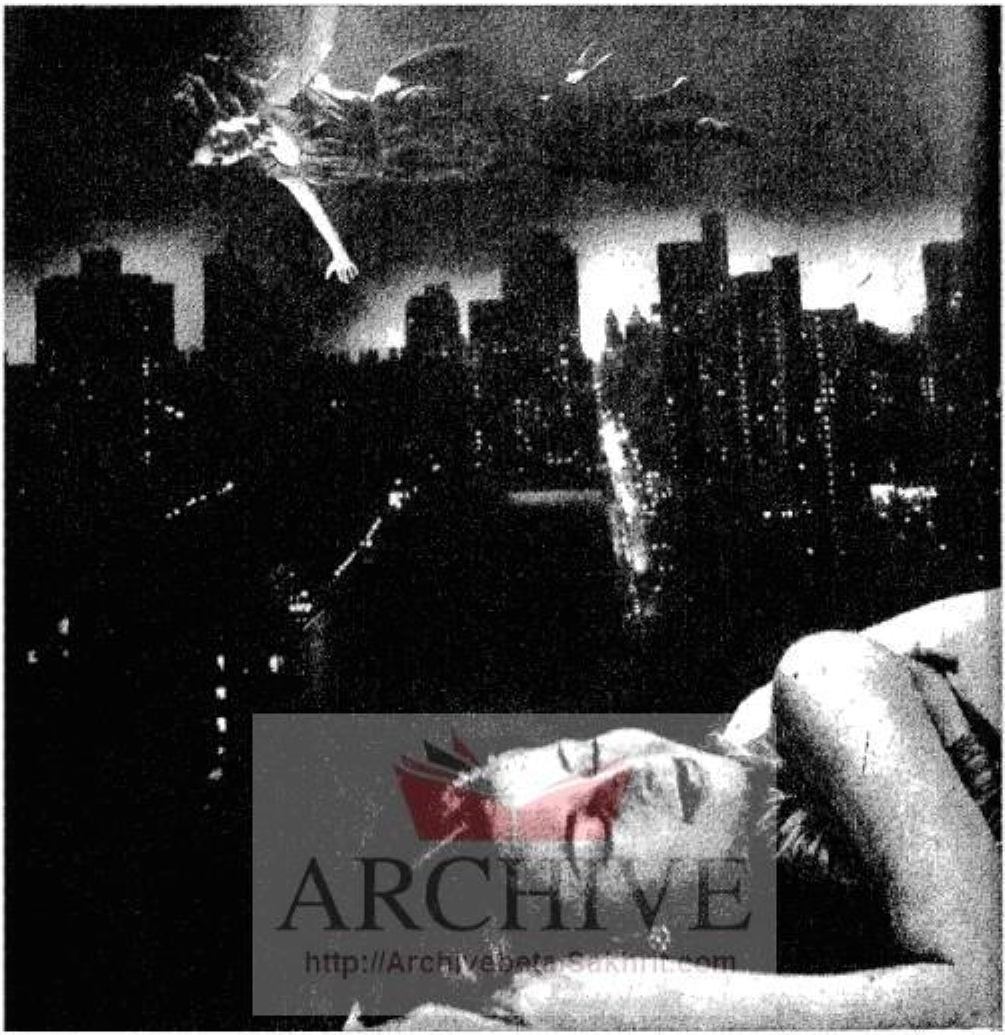
حتى الذين يعتقدون انها اضغاث لا تعني شيئا يرون أحيانا أحلاما تثير مخاوفهم وتشغل بالهم بل تخيفهم وتحيرهم ..

وعندما ظهرت نظريات سيموند فرويد عن الاحلام قبل قرن من الزمان أصبحت موضوعا جادا يدرس فى الجامعات ، ولم يعد تفسير الاحلام هواية أو حرفة يعيش منها ناس يرتزقون من مخاوف الناس وقلقهم وتشوقهم الى معرفة المجهول ..

وقد فقدت نظريات فرويد الكثير من أهميتها العلمية ، لأنه عندما درس وبحث وكتب تمسك بأفكار وآراء عن الجنس ثبت بعد ذلك أن الكثير منها على غير أساس .

ولكن الاهتمام العلمى بالاحلام استمر وظهر اساتذة آخرون مثل يونج عرفوا كيف يضعون اسسا علمية امتن واسلم مما وضع فرويد ، وشيئا فشيئا اقترب موضوع الاحلام من الروح العلمية مرة اخرى واصبح موضوعا اساسيا من موضوعات علم النفس والتربية .

وفى السنوات الاخيرة . وفى المانيا وامريكا على وجه الخصوص أصبحت الاحلام موضوع تخصص علمى، وأصبحت دراسة الاحلام ومعرفة معانيها ورموزها جزءا أساسيا فى علاج الامراض النفسية التى أصبحت اليوم من أوسع الامراض وأخطرها واوسعها انتشارا . وقد كان الاهتمام بالاحلام قد قل بعد الحرب



من الاحلام مالابد ان يكون لمعنى، مثل رؤية الانسان نفسه طائرا فى الهواء او شعوره بانه ينام معلقا فى الجو .. ومثل ذلك الحلم له معان كثيرة ...

العالمية الثانية نتيجة لتزعزع ثقة العلماء في سيجموند فرويد كله ، ولكن علماء آخرون أعادوا النظر في الموضوع وتكشفت لهم حقائق جديدة عن طبيعة النوم والتكوين النفسي للانسان لعاد الاهتمام بالاحلام كموضوع علمي . وأصبح من المألوف جدا اليوم أن يذهب الانسان الى الطبيب النفسي ليسأله عن تفسير حلم رآه ، وخاصة الاحلام المتكررة التي يراها الانسان مرة بعد أخرى في يومه بنفس الصورة أو بصور شتى .

والحقيقة ان الاحلام تتصل اتصالا وثيقا بحياة الانسان ، ومن هنا فلابد ان لها علاقة بهذه الحياة ، وما يراه الانسان فى الاحلام ان هو في الحقيقة الا صورا من حياته فاخذ اشكالا غريبة وغير مألوفة ، لان الذهن يتصرف فى الحلم دون ضابط من التفكير .

الاحلام فى الغالب رموز على أشياء قادمة أو خافية !

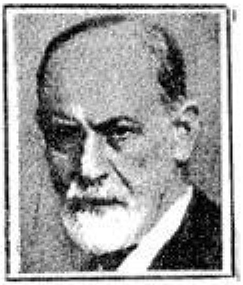
وزعيم المدرسة الجديدة فى تفسير الاحلام هو العالم الطبيب الالمانى ايريك فروم ، وهو يقول ان الاحلام لغة عالمية بين البشر ، أى أن الصور والالوان والحوادث التي يراها الانسان فى منامه لها نفس المعانى سواء كان الحالم المانيا ام عربيا ام صينيا ٠

وقد حكى الدكتور هايبريخ فالنوفر ان رجلا جاء الى عيادته ليستشيره فى تفسير حلم رآه خلاصته انه رأى نفسه فى المنام يحاول أن يكلم زوجته بالتليفون وكانت فى سويسرا — على رقم ٢٢٠ أو ٢٥٠ ٠ وقد تكرر هذا الحلم أكثر من مرة وكانت آلة التليفون تأخذ فى كل مرة لونا جديدا ٠

وبعد تفكير وبحث تبين ان الرجل كانت لديه سيارة من ماركة معينة طرازها ٢٢٠ ثم باعها واشترى سيارة أخرى طراز ٢٥٠ وانه فى أعماق نفسه كان يخاف ان يقع له — أو لزوجته حادث بهذه السيارة ٠ فالحلم هنا تحذير ٠ وبالفعل نصح الطبيب ذلك الرجل بأن يأخذ الحذر عندما يركب هذه السيارة ٠ وقد آثر الرجل ان يبيعها ويستريح ٠

ويقول الدكتور فالنوفر ان الانسان ينبغى أن يأخذ كل ما يراه فى الاحلام مأخذ الجد ، فان الذهن ينطلق فى الحلم دون منطق أو قيود لتنكشف خبايا النفس ويظهر الكثير من المستور ، وما أكثر ما يخفى الانسان من حقائق نفسه عن الناس ، وما أكثر ما يكون الحلم سبيلا الى فهم الانسان لنفسه ثم الى الكشف عن أشياء كثيرة لم تقع بعد ، لان للانسان حسا خاصا يستطلع المستقبل ، وهذا الحس ينطلق وينكشف فى النوم ٠ وهنا جانب كبير من أهمية الاحلام ٠

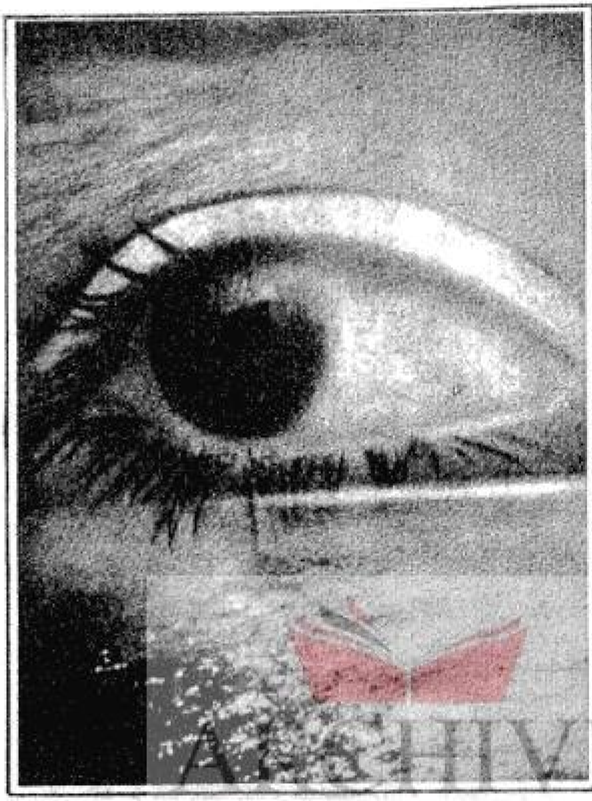
ومن الغرب ما يحدث ان الانسان يحل فى الحلم مشاكل لا يصل الى حلها فى اليقظة ، ومثال ذلك ان واحدا من



سيجموند فرويد الذى اعتبر الاحلام مفاتيح الفهم لفهم دخائل النفس والكشف عن العقل الباطن ، وهو الذى قال: الحلم هو الطريق السلطانى للكشف عن عقل الانسان الباطن.

الكيمائيين العالميين يسمى كيكوله كان يعمل فى معمله بكل جد للتوصل الى تركيبه دوائية هامة ، وفى ذات ليلة رأى الحل والمعادلة الرياضية فى الحلم ، وتمكن بذلك من تركيب الدواء المشهور المعروف باسم دائرة البنزول ٠

وليس معنى ذلك أن الانسان يخاف الاحلام ويقلق بسببها ويسرع الى الطبيب سائلا عن التفسير والمعنى كما الناس يفعلون فى الماضى مع العرافات ، لان الكثير من الاحلام ليس لها معنى كبير بالنسبة لحياة الانسان لانها فى أحيان كثيرة تكون مظهرا لعملية ترتيب وتنظيم للمعلومات التى يكتسبها الانسان فى النهار ، وأثناء النوم يقوم الذهن بترتيبها واستبعاد مالا معنى له ولا أهمية له منها ، ولهذا ينهض الانسان مرتاحا صافى الذهن بعد ليلة نامها هادئا ورأى فيها أحلاما كثيرة ٠ وهذا لا يحدث اذا نام الانسان نوما غير طبيعى أى بمنوم ، فهو فى هذه الحالة يحلم وينهض فى الصباح متعبا كما نام ٠



العين فى الحلم تدل على الخوف من الرقابة او على ان الانسان ارتكب شيئا . ويريد ان يخفيه او ان يريد ان يرتكب شيئا ويخشى نتائجه او انه يريد ان يخفى نفسه من شىء يخافه ...

● تشريح الاحلام ●

وقد كان سيجموند فرويد أول من نظر الى الاحلام نظرة علمية ، وأول من حاول ان يجد لها معنى بطريقة علمية . فقال ان أى شىء تراه فى الحلم اما أن يكون صورة لاشياء من الواقع كما هى أو رمزا لاشياء خافية فى العقل الباطن . فأنت قد ترى فى الحلم سيجارة ، ولا يكون لها معنى أكثر من انها سيجارة ، وقد تكون رمزا لانسان تعرفه يدخن السجاير بصورة خاصة .

وقد تبين العلماء أن هناك أشياء معينة يراها الانسان فى المنام ولها معنى آخر غير صورتها ، وهنا يلتقى علماء النفس المحدثون مع مفسرى الاحلام القدامى مثل ابن سيرين ، فابن سيرين مثلا يقول فى كتابه انك اذا رأيت ذهبا فى الحلم فذلك دليل على شر مقبل ، واذا رأيت انسانا بعينه قد مات فمعنى ذلك ان عمره سيطول وهكذا .

وفيما يلى بعض الحقائق التى انتهى ●●

الاحلام فى الغالب رموز على أشياء قادمة أو خافية !

اليها علماء الاحلام فى معانى الصور فى الاحلام وما ترمز اليه •

العيون

اذا رأيت فى المنام عينا تنظر اليك نظرة فحص وتدقيق فمعنى ذلك ان تخاف ان تكون تحت رقابة انسان أو تنظيم ، وقد يكون معنى العين انك فعلت شيئا تريد أن تخفيه عن الناس وتخشى أن ينكشف • وقد تكون لديك رغبات جنسية مكبوتة وانت تخشى افتضاحها • وقد تكون العين دليلا على انك خائف من شىء ما •

الدم

من زمن قديم يتخوف الناس من رؤية الدم فى المنام • ولكن بعض المفسرين القدامى لا يتخوفون من منظر الدم فى الحلم • ففى التوراة يفسر انفتاح الشريان وخروج الدم منه بأن تحرر أو تخلص من خطيئة • ويقول عالم النفس المشهور كارل جورج يونج ان الدم فى الحلم دائما رمز على شىء • وقد اختلفت الآراء فيما يرمز اليه منظر الدم ،فبعضهم يقول انه رمز على شىء ذى قيمة كبيرة يركله الانسان ، أو ان الانسان يضحى بنفسه فى سبيل غيره ، وقد يدل على رغبة يرجو الانسان أن تتحقق وصغار البنات بالذات حين يحلمن بمنظر الدم يكون معنى ذلك انهن يتعجلن سن البلوغ •

النار

رؤية النار المشتعلة فى المنام شىء يفزع ولا شك •

ولكن الحقيقة ان النار لا ينبغى أن تفزع صاحب الرؤيا، ففى بعض الاحيان تكون الرؤيا تحذيرا من خطر مقبل • واذا أنت رأيت نفسك مررت فى النار فقد يكون معنى ذلك انك تنجو من خطر أو تخرج سالما من حادث أو مرض •

الالوان

لا تظهر الالوان فى كل الاحلام •

والكثير من احلامنا نتذكرها أبيض وأسود أى بلا ألوان مثل الصور الفوتوغرافية •

ولكن الالوان اذا ظهرت واضحة فى المنام ، ويذكرها الانسان بعد اليقظة لابد أن يكون لها معنى ، فعندنا مثلا يستبشر ، الناس باللون الاخضر ، والبساط الاخضر بشرى خير وكذلك الثوب الاخضر •

وهنا يميز علماء النفس بين نوعين من الاحلام بحسب اللون الذى يسود الحلم

الاحلام الحمراء أى التى يغلب عليها اللون الاحمر والاحلام الزرقاء أى التى يغلب عليها اللون الازرق •

ويقول عالم النفس اليابانى أن الاحلام الحمراء تعنى القلق والهم وانشغال البال والاحلام الزرقاء تعنى هدوء النفس وخلو البال وكارل جورج يونج يقول أن الاحلام الحمراء تدل على الهياج العاطفى وربما كانت انذارا بالخطر •

والاحلام الزرقاء عنده تدل على هدوء النفس والاحلام الخضراء تدل على النمو والزيادة والكسب •

واللون الاصفر فى الحلم يدل على انشراح النفس وتوقع الخير •

واللون البنى يدل على تحير الانسان أمام مشكلة •

اما اللون الاسود ليس نذيرا بحزن قادم • وعكس ذلك انلون الابيض فانه بالحزن ورؤيتك انسان فى ثياب بيض تدل على انك تخشى عليه شيئا •

ورأى رجل ذات مرة ثلجا ابيض يتساقط على مرج اخضر ، وبعد قليل فقد المرأة التى كان يحبها : هجرته الى غيره •

الطيران في الهواء

وكثيرون من الناس يرون في المنام أنفسهم يطيرون في الهواء واعتبر سيجموند فرويد الطيران في الهواء نوعا خاصا من الاحلام له معناه ، فهو عنده بقية من ذكرى الطفولة عندما كان الكبار يقذفون بنا في الهواء ثم يتلقفوننا ٠

ويذهب بعض علماء النفس ان الانسان يرى نفسه يطير في الهواء اذا كان مستبشرا سعيدا صحيح البدن ٠

أما اذا رأى الانسان نفسه يطير ثم يسقط الى الارض فذلك نذير شر قادم ، قد يكون مرضا أو حادثا ٠

وأحيانا تكون منامات الطيران دليلا على تطلع الناس الى القوة ، وقد يحلم بالطيران من لا ينجب ويتشوق الى الانجاب ٠

وقد يحلم بالطيران اولئك الناس الذين يعانون من الخجل والتردد ، والخوف ومركبات النقص ، فيجدون في الحلم متنفسا لهمومهم وتحقيقا لما يتمنونه ٠

وتكثر أحلام الطيران عند من يعانون من قيود الاسرة أو المجتمع ٠ ويكون ذلك عادة في اعضاء الاسر الكبيرة ذات التقاليد التي تثقل على النفس ٠ ويقترن الطيران عند هؤلاء بالسقوط او الوقوع ٠

رؤية الله سبحانه في المنام

هذه الرؤى قليلة عند المسلمين ، لان الله سبحانه لا يتشكل عند المسلمين في صورة مادية قط ، بخلاف ما نجد في الاديان الاخرى حيث يصور الاله وتعمل له التماثيل ٠

ولكن المسلمين أحيانا يشعرون بالله في المنام ، وقد يسمعون صوتا يكلمهم والكثيرون يرون انهم في الجنة ويشعرون ان الله قريب منهم ، وهذه كلها بشريات خير ، وبالنسبة للمسنين جدا قد يكون ذلك دليلا على قرب الاجل ٠

وأحيانا يكون احساس النائم بأنه يرى الله سبحانه رمزا على انه ارتكب خطيئة يخفيها في نفسه ولكنه يعلم ان الله مطلع عليها ٠ ومن الغريب ان الكثيرين ممن لا يؤمنون بالله يشعرون في منامات كثيرة بانهم يرونه او انه يتحدث اليهم ٠

الشعر

مجرد رؤية الشعر في المنام لا يعني شيئا ٠

ولكن رؤية شعر الانسان يتساقط يرمز الى اقتراب مرض أو خوف من مرض

واذا رأى الانسان نفسه وقد نبتت له لحية طويلة وشارب كبير فذلك دليل خير قادم ٠

أما اذا رأت المرأة ان شعرا قد نبت في وجهها دليل على أن حاجتها الجنسية غير راضية ٠

الساحرات والشياطين

في الماضي كان الناس يحلمون كثيرا بالساحرات لانهن كن موجودات ، ومع التقدم العلمي والفكري اختفت الساحرات من الحياة وقلت في المنام ٠ وقد ذهب فرويد الى ان الساحرات في المنام رمز على الجنس ٠ والشيطان أيضا رمز على الجنس ، وهو اما رغبة جنسيه مكبوتة او أمنيات جنسية في نفس الحالم ٠

واذا رأيت الشيطان في المنام ـ وذلك يحدث كثيرا لصغار السن ـ فذلك دليل على خفة النفس والنزوع الى المتاع والعربدة ٠

آلام الجسد

قد يتألم الانسان من شيء ما وهو نائم ، ولكن ذلك الالم يأخذ في الحلم صورة أخرى ٠ يبدو ذلك بوضوح فيما يسمى بالكابوس ، وهو في العادة نتيجة امتلاء المعدة قبل النوم ، وهنا يشعر الانسان احيانا بأن حجرا يثقل صدره أو ان يدا تخنقه ، وقد يرى شيئا مخيفا يأخذ صورا شتى ، فاذا افاق عرف ان المصدر هو معدته ٠

كذلك قد يحلم الانسان بأنه يبحث

الاحلام في الغالب رموز على أشياء قادمة أو خافية !

عن دورة مياه ، أو يبحث عن مكان يتبرز فيه ، ويصحو ويحس ان مثانته ملأى تريد أن تفرغ ·

والرغبة في التبول قد تاخذ صورا اخرى غريبة منها مثلا ان الانسان يرى نفسه وكأنه يريد فتح باب دورة المياه وان الباب لا يريد ان ينفتح ، أو انه يريد ان يمر في شارع ولكن شجرة كبيرة تسد الطريق · وهذه الاحلام كلها تحمي الانسان من التبول في فراشه — وذلك قليل الحدوث ، لان الانسان يصحو منزعجا قبل أن يحدث ذلك ·

واذا راى الانسان نفسه — أو انسانا يحبه — مريضا هزيلا فذلك نذير سوء أو على الاقل دليل على ان الانسان يخاف على نفسه او على من يراه · وقد رأى رجل نفسه وكان الطبيب يجري له عملية جراحية ، وفي اليوم التالي كان بالفعل على منضدة العمليات اذ فاجأه التهاب عنيف في الزائدة الدودية ·

الحصان

الحصان في المنام دليل على أن الانسان يعاني من شيء ما أو أن حياته لا ترضيه أو ان هناك حواجز تقف في طريقه ·

ومن الغريب ان رؤية الحصان في المنام دليل على موت قادم · وربما لان الحصان في الماضي كان رمز الحرب أو الدخول في الحرب ، والحصان الابيض رمز على شيء لا يسر ، أما اذا رايت نفسك على هذا الحصان الابيض فتلك بشرى نصر قادم ·

ورؤية الحصان يدخل البيت ويتخبط في المتاع والابواب ثم يخرج دليل موت قادم ·

الموت

الموت في المنام ليس دليل شر الا اذا رأى الانسان نفسه أو أى انسان آخر مسجى في النعش فذلك نذير سوء ·

واذا رأيت نفسك ميتا في المنام فذلك دليل العمر الطويل ، وذلك أيضا صحيح بالنسبة للآخرين الذين تراهم أمواتا ·



هاينريش فالفوفر من اكبر علماء النفس المعاصرين المتخصصين في دراسة الاحلام ، وهو يقول : ان كل ما تراه في الحلم يفيد صحتك ، فان الحلم — ايا كان ما تراه فيه — تفريج عن اشياء تثقل الذهن وتشغل البال ···

ولكن ينبغي الحذر اذا رأى الانسان نفسه على وشك الموت بالغرق او النار ، وخاصة اذا راى نفسه على وشك السقوط من حالق ·

وفي بعض الاحيان يكون الموت رمزا على تحول حاسم في الحياة ·

الاحلام الجنسية

أحلام الجنس لا ترمز لشيء ، انما هي ترمز للجنس فقط : الحاجة اليه او النفور منه · وقد قص شاب على طبيب انه رأى نفسه في المنام يواقع امرأة قبيحة الهيأة ، ثم عرف بعد ذلك انه ينوي الزواج من امرأة لا تعجبه لاغراض أخرى غير الحب والزواج ، أو لانه مرغم على ذلك · وفي العادة ترى المرأة نفسها مع رجل عجوز بغيض عندما يريد أهلها تزويجها من رجل لا يعجبها ·

ويأخذ الجنس في الاحلام صورا غريبة فقد يرى الانسان حية تسعى والمراد امرأة ، وقد يرى مدفعا والمراد الرغبة الجنسية ، وقد يرى يديه في لبن ناصع البياض والمراد اشباع الجنس ·



احيانا نرى فى المنام اشخاصا نعيش معهم ولكن فى صور تختلف كثيرا عن الحقيقة ، وفى هذه الحالة تكون هيئتهم فى الحــلم تعبيرا عن شـــعورنا نحوهم •

واخيرا نريد ان نقول انه لا ينبغى ان يكون لكل منام معنى ، فإن الاحلام عملية طبيعية يقوم بها الذهن فى النـوم لكى يرتب نفسه او لـكى يتخلص من افكار تضايقه • ولابد ان يحلم الانسان على اى حال لكى يصحو فى اليوم التالى منتعشا مستريحا • ونحن فى الغالب لا نذكر من الاحلام الا ما يكون قرب الاستيقاظ • لان الانسان اذا استغرق فى النـــوم لا يذكر ما حلم به عندما يستيقظ ، وقد يستيقظ الانسان فزعا من منام رآه ولا يكون لذلك اى معنى،فان الذهن يتخلص فى الحلم من أشياء تثقل كاهله ويريد ان يتخلص منها ، وفى هذه الحالة قد يرى الانسان نفسه يسقط من حالق أو ينحدر بسرعة دون أن يجد شيئا يتشبث به •

ومهمـا يكن من الامر فـلا ينبغى ان يعطى الانســان الاحلام اهمية كبيرة ، فهناك ناس يحلمون دائما باشياء مزعجة ولا يكون ذلك الا صدى لظروف عصيبة مضت ، وقد يرى نفسه فى سجن لان مشكلة تضايقه ، وقد يرى نفسه يسبح فى بحر واسع اذا كان مثقلا بالاعبـاء والمسئوليات •

●●

افغانستان المأساة والامل

● تتمة مانشر ●

● د . وحيد رافت ●

جسبنا التذكير بان حق تقرير المصير من المبادىء المسلم بها حاليا ، كما ان القرار الشهير رقم ١٥١٤ الصادر فى ٩ ديسمبر ١٩٦٠ عن الجمعية العامة للامم المتحدة ،وباجماع الاراء بما فى ذلك صوت المندوب السوفييتى ، والمتعلق بتصفية الاستعمار والسيطرة الاجنبية على الشعوب الى الابد ، هذا القرار يعلن فيما اعلنه كمبدأ عام معترف به دوليا ، ان اخضاع الشعوب للاستعمار الاجنبى اوللسيطرة الاجنبية ، او محاولة استغلالها اقتصاديا يشكل انكارا لحقوق الانسان الاساسية ويناقض ميثاق الامم المتحدة ويعيق قضية السلام والتعاون العالمى، وان لجميع الشعوب الحق الكامل فى تقرير مصيرها ، وان لها بمقتضى هذا الحق ان تحدد بحرية مركزها السياسى وان تسعى بحرية ايضا الى تحقيق نموها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى. وهو نفس ماقرره ايضا ميثاق حقوق الانسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الذى اقرته الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦٦ واصبح نافذ المفعول اعتبارا من عام ١٩٧٧ ، بعد ان صدقت عليه دول كثيرة من بينهاالاتحاد السوفييتى .

لذلك استنكرت جميع دول العالم باستثناء غالبية الدول الشيوعيةوبعض دول اخرى موالية للسوفييت من بينها بعض دول عربية ـ الغزو السوفييتى لافغانستان وادانته بشدة وفى مقدمة هذه الدول التى شجبت الغزو السوفيتى لافغانستان الولايات المتحدة الامريكية ودول المجموعة الاقتصادية الاوروبية التسع ، ويوجوسلافيا رغم كونها دولة شيوعية ، اذ جاء فى بيان حكومتها من بلغراد انها فوجئت بتطور الاحداث فى افغانستان تلك الدولةالتى كانت لفترة طويلة عضوا فى حركة عدم الانحياز ، وان يوجوسلافيا تعبر عن اهتمامها البالغ بهذا التطور الخطير للاحداث والذى لن يؤدى الى عدم استقرار المنطقة فحسب ، بل وسيكون له نتائجه الخطيرة فى العلاقات الدولية

كما شجبت حكومة الصين الشعبية ودول اسيوية عديدة هذا الغزو ، وجاء فى بيان حكومة سنغافورة على سبيل المثال « ان ما اقدم عليه الاتحاد السوفييتى فى افغانستان يشكل تحذيرا واضحا للعالم كله بانه اذا كان الاستعمار الغربى قد انتهى ، فهناك من يريد ان يخلفه بحق الارث ، وان هذا الغزو يحمل فى طيه تهديدا مباشرا للدول الاسيوية التى قد تلقى نفس المصير بسبب الاطماع السوفييتية » .

وقارن البيان بين الغزو السوفيتى لافغانستان وبين تحريك السوفييت لفيتنام فى جنوب شرق اسيا لغزو كامبوديا ، رغم ان الانظمة المستهدفة فى الحالتين هى انظمة ماركسية ، وان وحدة العقيدة الشيوعية فى تلك الدول لم تنقذ افغانستان ولا كمبوديا من الاطماع التوسعية السوفيتيةورغبة السوفيت فى الهيمنة على العالم . كما اضاف البيان ان السؤال الذى يعرض نفسه على الدول الاسيوية الاخرى هو



ثوار افغانستان يواصلون الكفاح من اجل النصر

من هي ياترى الضحية التالية » .

وكان من الطبيعي ان يندد مجلس الامن التابع للامم المتحدة هو الاخر بالغزو السوفييتي لافغانستان ، ولكن نظرا لاستخدام المندوب السوفييتي لحق « الفيتو » لم يستطع المجلس اتخاذ اى قرار ملزم بهذا الصدد . كما نظرت القضية امام الجمعية العامة للامم المتحدة التى أصدرت فى يناير ١٩٨٠ وباغلبية ساحقة قرارها بدعوة الاتحاد السوفييتي لسحب قواته فورا من افغانستان وترك الشعب الافغاني لتقرير مصيره بنفسه بعيدا من اية تدخلات أو مؤثرات خارجية ، وعادت الجمعية العامة للامم المتحدة الى تأكيد قرارها السابق فى ديسمبر ١٩٨٠ . غير انها لم تتعرض بعد لموضوع توقيع اية جزاءات اقتصادية او سياسية بحق الاتحاد السوفييتي لحثه على الانسحاب ، كتلك الجزاءات التى سبق للجمعية ان اوصت باتخاذها ضد نظام الاقلية البيضاء فى روديسيا فى عهد ايان سميث وقبل اعلان استقلال روديسيا « زمبابوى » فى ابريل ١٩٨٠ او ضد جمهورية جنوب افريقيا لحملها على العدول من سياسة التمييز العنصرى والتفرقة العنصرية .

ولعل الدولة الوحيدة التى سارعت الى توقيع الجزاءات بحق السوفييت هى الولايات المتحدة الامريكية ربما لا من منطلق الاخلاقيات والمبادىء فحسب ، بل وبدافع من مصالحها الخاصة لما فى تواجد السوفييت فى افغانستان بالقرب من الخليج العربى ومنابع البترول الايرانية والعربية وايضا على مشارف الطرق البحرية لناقلات الزيت المتجهة الى دول المعسكر الغربي واليابان ، من خطر داهم على مصالح الولايات المتحدة وحلفائها .

كما جاء غزو السوفيت لافغانستان فى أواخر ديسمبر ١٩٧٩ بعد اسابيع معدودة من اقتحام الايرانيين للسفارة الامريكية فى طهران واخذ من فيها من دبلوماسيين امريكيين كرهائن ؛ وفي موقف موسكو المريب من تلك الازمة الامريكية الايرانية فزاد من توتر الجو الدولي ، واخيرا كان هذا الغزو السوفييتي لافغانستان ضربة قاسية لسياسة الوفاق بين الدولتين الاعظم التى انتهجتها الادارة الامريكية منذ عهد الرئيس نيكسون بعد زيارته التاريخية لموسكو فى عام ١٩٧٢ . فلا عجب اذا اتهم الرئيس الامريكى كارتر

نظيره السوفييتي ليونيد بريجنيف غداة الغزو السوفييتي لافغانستان، بالخداع والتضليل، ومحاولاته المفضوحة لتبرير هذا الغزو مما دعا وكالة « تاس » السوفييتية الرسمية الى الرد على ذلك باتهام الرئيس الامريكي بالخبث ورميه بالشر .

كل هذه العوامل مجتمعة دفعت الادارة الامريكية في واشنطون الى توقيع طائفة من الجزاءات بحق موسكو شملت تاجيل مناقشة اتفاقية ((سولت)) الثانية التي توصل اليها الطرفان الامريكي والسوفييتي بعد جهد للحد من سباق التسلح النووي فيما بينهما، ووقف شحنات القمح الامريكي الى الاتحاد السوفييتي كوسيلة من وسائل الضغط الاقتصادي . وبينما وافقت كندا واستراليا على الاسهام في هذا التدبير بعدم تغطية الكميات التي كانت واشنطون تصدرها الى السوفيت ، خفف من فاعليته اعلان دول اخرى مصدرة للقمح كالارجنتين ، عدم تأييدها بهذا الحظر ، كما اشتملت قائمة التدابير الامريكية ضد السوفيت الحد من حقوق الصيد الممنوحة للسفن السوفيتية في المياه الامريكية ، وتجميد اتفاقيات النقل والمواصلات مع الاتحاد السوفييتي ، ووقف تصدير الاجهزة الالكترونية المتطورة الى السوفيت ، وتخفيض حجم التمثيل الدبلوماسي بين واشنطون وموسكو ، ومقاطعة الالعاب الاولومبية التي كان مقررا ان تجرى في العاصمة السوفيتية في اغسطس ١٩٨٠ ، وكذلك قطع العلاقات مع النظام العميل في كابول . هذا فضلا عن العمل في الوقت ذاته على تقوية الصين ورفع الحظر على ارسال الاسلحة الامريكية اليها والى باكستان لتمكين هاتين الدولتين الاسيويتين من الدفاع عن اراضيهما وسيادتهما في وجه المطامع السوفييتية .

ومعلوم أن باكستان هي في نظر البعض الضحية الثانية المرشحة للعدوان من جانب السوفيت بعد ان يستتب لهم الامر في افغانستان . ولقد اتهمت موسكو اكثر من مرة حكومة باكستان الاسلامية بمساعدة الثوار الافغان وبايواء حوالي المليون والنصف من المواطنين الافغان الفارين من وجه الاحتلال السوفييتي لبلادهم ، ويبلغ عدد اللاجئين اليوم حوالى مليوني افغاني يعيشون في باكستان وايران ويمثلون حوالى ٨٪ من شعب افغانستان ولم تجد الولايات المتحدة التأييد الكافي من شركائها في حلف شمال الاطلسي فيما يتعلق بالجزاءات الاقتصادية والسياسية التي قررت اتخاذها ضد السوفييت حتى فيما يتعلق بأبسط هذه الجزاءات كمقاطعة الالعاب الاولومبية التي جرت في موسكو . واظهرت فرنسا والمانيا الغربية بوجه خاص ترددا كثيرا في هذا الصدد ، بل وعارضت في توقيع هذه الجزاءات بدعوى خطرها على سياسة الوفاق بين الشرق والغرب ، وكان هذا الوفاق لا يقيد الا امريكا وحلفائها الغربيين بينما يطلق العنان للاتحاد السوفييتي ليعربد في العالم كما يشاء. ويخفى هذا التردد من جانب حكومتي فرنسا والمانيا الغربية حرص هاتين الدولتين على مصالحهما الاقتصادية الخاصة ، لاسيما على تجارتهما مع موسكو ودول الكتلة الشرقية بعد ان ازدهرت هذه التجارة بصورة ملحوظة في السنوات الاخيرة . ولقد ابرز هذا التباين في المواقف ازاء هذا الغزو السوفييتي لافغانستان ما اصاب حلف شمال الاطلسي من ضعف وتصدع .

ولم تؤد مع ذلك الجزاءات السياسية والاقتصادية التي اتخذتها امريكا الى زحزحة الاحتلال السوفييتي عن كاهل افغانستان ، بل ازداد السوفييت تمسكا بالبقاء في هذه الدولة الاسلامية وفي تشديد قبضتهم عليها اكثر فاكثر. والثابت الآن وجود مستشارين من كوبا

● استنكرت أكثر دول العالم التدخل السوفييتي السافر في أفغانستان باستثناء غالبية الدول الشيوعية وبعض دول عربية !!

والمانيا الشرقية ودول شيوعية اخرى فى افغانستان الى جانب السوفييت ويعنى خبراء المانيا الشرقية بنوع خاص باعادة تنظيم اجهزة البوليس والامن فى كابول ، بينما يقوم المستشارون الكوبيون بمهام مختلفة فى الادارات الافغانية الاخرى .

ولقد صرح احد كبار موظفى وزارة العدل الافغانية السابقين فى نيودلهى فى ٢٣ ديسمبر ١٩٨٠ بعد فراره من كابول - بأن السوفيت الغوا القانون الافغانى ، ولا يسمحون بالتقاضى على مقتضاه ، وعهدوا بمسئولية العدالة الى رجال البوليس السرى السوفييتى او الى قضاة افغان يتلقون التعليمات منهم ، وأن الاساليب المستخدمة فى وزارة العدل الافغانية اصبحت سوفيتية تماما ، ولا يستطيع الوزير الافغانى التصرف فى وزارته بدون تعليمات المستشار السوفيتى .

واذا كان هذا هو الشأن لمرفق العدالة رغم صلته بالدين والشريعة الغراء ، فان مصير المرافق العامة الاخرى اسوأ بكثير من حيث احكام سيطرة السوفيت عليها بصورة مطلقة يجرى هذا كله رغم المقاومة الباسلة التى يبديها الشعب الافغانى الغيور على استقلاله ، ورغم استمرار هذه المقاومة مع ضآلة العون الذى يتلقاه المجاهدون الافغان من العالم الخارجى بما فى ذلك العالم الاسلامى فيما عدا بعض تبرعات تصلهم بصفة شخصية من وقت لآخر .

لقد تحرك العالم الاسلامى ولاشك بعد الغزو السوفيتي لافغانستان . وعقد وزراء خارجية الدول الاسلامية مؤتمرا فى اسلام اباد من ٢٧ الى ٢٩ يناير ١٩٨٠ شاركت فيه ستةوثلاثون دولة اسلامية فى غياب مصر التى جمدت عضويتها فى تلك المؤتمرات الاسلامية منذ انعقاد الدورة العاشرة لها فى مدينة فاس بالمغرب فى مايو ١٩٧٩ ، وانتهى مؤتمر اسلام اباد بعد الاخذ والرد فى يناير ١٩٨٠ الى عدة قرارات ووفق عليها بالاغلبية تدعو الى الانسحاب الفورى وغير المشروط للقوات السوفيتية من افغانستان ، وعدم الاعتراف بنظام الحكم العميل القائم فى كابول بزعامة بابراك كامل ، والاعتراف بحق الشعب الافغانى فى تقرير مصيره .

لكن هذه القرارات التى تعبر عن التمنيات والامانى لن تجدى فتيلا اذا لم تقترن بالعمل الجاد الفعال لتحرير افغانستان ، او فى القليل لشد أزر المجاهدين الافغان فعلا لا قولا . ولعل باكستان وجمهورية مصر العربية رغم استبعادها من مؤتمر القمة فى اسلام اباد - هما الدولتان الاسلاميتان الوحيدتان اللتان تعملان بجدية على امداد الشعب الافغانى والثوار الافغان

بعض مايحتاجونه اليه من سلاح لمقاومة قوات الاحتلال السوفيتية والقوات الحكومية التابعة للعميل بابراك كارميل ومن المحزن حقا ان تعمل دولة عربية على مساندة الغزو السوفيتي لافغانستان او التخفيف من وقعه باثارة قضايا اخرى جانبية مثل قضية فلسطين ، او قضية معاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية ، فى تلك المؤتمرات الاسلامية بينما المفروض ان يكون تركيز الاهتمام فيها على الغزو السوفيتى وحده ، والتدارس فى وسائل مقاومته، وتعبئة الراى العام العالمى لهذا الغرض ومن بين تلك الدول العربية من جاهر بانحيازه السافر الى جانب السوفيت محاولا تبرير الغزو السوفيتي بمختلف المبررات ، وباقامة مقارنة مضللة كما سبق القول بين موقف امريكا من مساندة اسرائيل فى احتلالها للاراضي العربية وبين موقف السوفيت فى غزوهم لافغانستان التى يبلغ عدد سكانها حوالى ١٦ مليون نسمة اى اربعة امثال تعداد شعب فلسطين العربي كله . وليس معنى ذلك التهوين من شان قضية فلسطين ، فقد كانت ومازالت القضية العربية الاولى . ولكن لا ينبغى على احد ان يتذرع بها للتغطية او للتهوين من شان الغزو السوفيتي لافغانستان كما تحاوله سوريا وليبيا والجزائر واليمن الجنوبي ومعهم منظمة تحرير فلسطين ! لقد حاول هؤلاء منذ البداية تخريب مؤتمر القمة الاسلامى الذى طالبت بنجلاديش بعقده فى اسلام اباد لاتخاذ موقف من قضية الغزو السوفيتي لافغانستان فبعثوا برسالة جماعية فى ١٦ يناير ١٩٨٠ الى سكرتارية المؤتمر لتأجيل انعقاده ، مقترحين أن يتم عقده فى دولة خلاف باكستان وأن يشتمل جدول أعماله على قضايا أخرى مثل تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل ، واثره على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، ومسالة التهديدات العدوانية الامريكية لبعض دول المنطقة كما يقال ، وقضية القواعد الامريكية المزعومة فى عمان ومصر واثرها على امن المنطقة ، كما زعمت تلك الدول فى مذكرتها الى الامانة العامة للمؤتمر ان مجموعة كامب دافيد وتقصد مصر واسرائيل وامريكا « تود أن تستغل أحداث افغانستان وقضية الرهائن فى ايران للتغطية على النوايا العدوانية الامبريالية فى المنطقة والعالم وبينما تقف هذه الدول المحسوبة على العروبة والاسلام موقف المساندة لموسكو منذ البداية ، وتكشف عن نواياها الخبيثة قبل انعقاد مؤتمر اسلام اباد وخلاله وبعد انفضاضه ، نرى دولا غير عربية ولا اسلامية كالهند تعارض الغزو السوفيتى لافغانستان بشدة ورغم انها لم تفكر فى التهديد باستخدام القوة ضد الغزاة ، ولكنها كانت فى معارضتها صريحة وجادة . وقد تجلى ذلك خلال زيارة الزعيم السوفيتى بريجنيف فى أوائل ديسمبر ١٩٨٠ للهند اذ كان من اغراض تلك الزيارة التى استمرت اربعة ايام استرضاء الهند بوصفها كبرى دول عدم الانحياز لكن الشعب الهندى لم يخف سخطه على السوفيت بسبب احتلالهم لافغانستان وعبروا عن شعورهم هذا للضيف السوفيتى مما اضطرت معه الحكومة الهندية الى تغيير برنامج الزيارة اكثر من مرة حرصا على حياة بريجنيف ولم ينجح هذا الأخير فى الحصول على مساندة الهند لسياسته فيما يتعلق بافغانستان او كمبوديا .

وادى تلاحق الاحداث العالمية منذ الغزو السوفيتى لافغانستان فى اواخر ديسمبر ١٩٧٩ ، واندلاع الحرب المجنونة فى منطقة الخليج بين العراق وايران ، وظهور الازمة البولندية على المسرح الاوربى الى تراجع قضية شعب افغانستان الى الرتبة الثانية أو الثالثة من اهتمامات العالم وهيئة الامم المتحدة ، وذلك بالرغم مما تتناقله الصحف والمجلات فى بلاد كثيرة عن المقاومة الافغانية الباسلة ضد اقوى

● السكوت على الغزو السوفيتي لأفغانستان والخضوع للأمر الواقع ، يعني فتح الباب على مصراعيه أمام الدول القوية لاحتواء الدول الضعيفة .

دولة فى العالم ، ومن الانتهاكات الصارخة لحقوق الانسان التى ترتكبها قوات الاحتلال السوفييتى وقوات بابراك كارميل العميلة ضد المجاهدين الافغان والمواطنين الابرياء مما ابقى القضية على قيد الحياة وحمل الجمعية العامة للامم المتحدة فى ديسمبر ١٩٨٠ ـ كما رأينا ـ على اصدار قرار جديد بأغلبية كبيرة يطالب الاتحاد السوفييتى مرة أخرى بالانسحاب الفورى من افغانستان .

ومن الواضح أن الاتحاد السوفييتى لن يعير القرار الجديد او اية قرارات اخرى للجمعية العامة اهتماما طالما لم يتقدم أحد الى مجلس الامن يطلب تطبيق الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة الخاص بالجزاءات السياسية والاقتصادية وغيرها بحق الاتحاد السوفيتى ، وذلك لعدم استجابته لقرارات الامم المتحدة بسحب قواته من افغانستان . ولعل توقع استخدام السوفيت الأكيد لحق « الفيتو » لتعطيل تطبيق مثل هذه الجزاءات هو الذى اخر الاتجاه لمجلس الامن بمثل هذا الطلب .. ومع ذلك فان السكوت على الغزو السوفييتى لافغانستان ، والخضوع للامر الواقع، يعنى فتح الباب على مصراعيه امام الدول القوية لالتهام الدول الضعيفة والعودة بالعالم الى قانون الغاب ، او فى القليل الى عصر ماقبل الامم المتحدة وعصبة الامم ، حيث كان حق الفتح والغزو وضم الاراضى بالقوة دون التفات الى ارادة السكان والشعوب من الحقوق المشروعة المسلم بها فى العلاقات الدولية

ان ترك الاتحاد السوفييتى يستثمر احتلاله لافغانستان للقضاء على سيادة هذه الدولة ولتقرير مصير شعبها على هواه ، هو انتهاك صارخ لمبادىء القانون الدولى المرعية ، ولميثاق الامم المتحدة ، وكما يحرم الميثاق المذكور استخدام القوة أو التهديد بها فى العلاقات الدولية الا دفاعا عن النفس او من خلال العمل الجماعى المنظم تحت اشراف مجلس الامن من اجل حفظ السلام ودفع العدوان ، فانه يحرم بالمثل التوسع الاقليمى بطريق الضم او اكتساب السيادة على أراضى الغير باحتلالها غصبا ..

ان هذه المبادىء التى تقررت منذ الحرب العالمية الثانية ، وترسخت فى ميثاق الامم المتحدة لحماية الدول الضعيفة من بعض الدول القوية يجب ان تحترم اذا اريد لهذه المنظمة الا تفشل وللسلام ان يعم ويستقر . وعلى دول العالم الثالث قبل غيرها التمسك بهذه المبادىء بكل قوة وعدم السماح بالتغاضى منها او التهاون فيهما باى حال .

لقد نجحت الامم المتحدة منذ القرار

الصادر عن الجمعية العامة فى ديسمبر ١٩٦٠ من أجل تصفية الاستعمار فى تحرير جميع المستعمرات السابقة تقريبا ، فحصلت الاقاليم الخاضعة لنظام الانتداب او الوصاية الدولية ، وغير المتمتعة بالحكم الذاتى الكامل فى أفريقيا واسيا وغيرهما على استقلالها خلال العشرين سنة الاخيرة ، واصبحت اعضاء كاملة العضوية فى هيئة الامم المتحدة حيث انعقدت لها الاغلبية العددية فى جمعيتها العامة . فكيف اذن يسمح اليوم بأن تتحول دولة مستقلة أصلا وعضو مؤسس فى الامم المتحدة ، كافغانستان الى مستعمرة او محمية او الى كيان تابع مهدور السياده نتيجة غزو أجنبى لاراضيها واحتلالها بالقوة الغاشمة ، وفرض حكومة عميلة عليها لا سند لها فى البلاد الا الطائرات والدبابات السوفيتية ..

انه لا مكان لهذا الاستعمار الجديد او الاستعباد الجديد فى عالم اليوم .. هذا مايجب ان يلقنه العالم للقادة السوفييت القابعين فى قصر الكرملين ، ومن ثمة ينبغى على الدول العربية والاسلامية وعددها اليوم يناهز الاربعين دولة ان تكثف جهودها داخل الامم المتحدة وخارجها لمواصلة المطالبة بالجلاء عن افغانستان وترك الشعب الافغانى ليقرر مصيره بنفسه .

ثم لا اقل من ان تعامل الجمعية العامة للامم المتحدة الثوار الافغان معاملة ثوار الجزائر وأنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو وزيمباوى وناميبيا ، وهذا اضعف الايمان : فشتان بين بلد يئوء منذ اجيال تحت يد الاستعمار الاجنبى فتتكتل جميع دول العالم الثالث لمساعدته على التحرر من هذا الاستعمار ، فينال استقلاله فعلا ، وبين دولة كافغانستان كانت بالامس القريب حرة مستقلة وعضو كامل فى الامم المتحدة ومجموعة دول عدم الانحياز ، قبل ان تبتلى بالتسلل السوفيتى اليها ، ثم بالاحتلال السوفيتى لاراضيها منذ حوالى العام . فنكتفى بالاحتجاجات الكلامية ، ونسلم للغاصب بسلب استقلالها وفرض التبعية عليها .

لقد صدق الشاعر اديب اسحاق حينما قال ان قتل امرىء فى غابة جريمة لاتغتفر ، وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر !

انها جريمة اغتيال لشعب كامل ترتكب جهارا نهارا بالمخالفة لجميع القيم والمواثيق والنواميس الدولية !

ان مطالبة الاتحاد السوفيتى بسحب قواته من الاراضى الافغانية واجب يمليه ميثاق الامم المتحدة على جميع الدول الاعضاء بلا استثناء ، والى أن يتم ذلك الجلاء يتوجب على الدول العربية والاسلامية بصفة خاصة التمسك بالابقاء على قضية افغانستان مدرجة فى جدول اعمال الجمعية العامة حتى رحيل اخر جندى سوفيتى عن الاراضى الافغانية ، وعدم الاعتراف بالنظام العميل القائم حاليا فى كابول ، ورفض التسليم بصحة تمثيل هذا النظام العميل لدولة افغانستان وللشعب الافغانى ، داخل الامم المتحدة والمنظمات والوكالات والمؤتمرات الدولية .

كما ينبغى التنديد بالدول العربية التى ايدت الغزو السوفيتى لافغانستان وفضحها حتى تعود الى الصواب وتسترد الاحساس باسلامها وعروبتها ولقد أحسنت الحكومة المصرية صنعا باعلان يوم ٢٧ ديسمبر الذكرى الاولى لغزو القوات السوفيتية لافغانستان منذ حوالى العام ، يوما للتضامن مع الشعب الافغانى ، وسوف تواصل مصر جهودها ولاشك من خلال الامم المتحدة للاحتفال بهذا اليوم رسميا وعلى نطاق عالمى على غرار الاحتفال باليوم العالمى للتضامن مع شعب فلسطين . وربما يستخف البعض بمثل هذه القرارات

لكنها احدى الوسائل العملية لتذكير العالم دوريا بماساة هذه الشعوب ، وبالتالي بواجبه في العمل الجاد على ازالة اسباب تلك المأساة .

ومن حق الدول الاعضاء في الامم المتحدة جميعا اعمالا لقرارات الجمعية العامة الصادرة في السنوات الاخيرة بشأن حركات المقاومة وحروب التحرير في افريقيا واسيا وغيرهما ، تقديم كافة انواع العون والمساعدات المعنوية والاقتصادية والعسكرية للمجاهدين الافغان من اجل تحرير وطنهم واسترداد استقلال بلادهم .

لقد كان هذا هو موقف السوفيت بالذات تجاه حركات التحرير وجماعات المقاومة في فيتنام وروديسيا وأنجولا وغيرها ، ولم يكتف السوفيت بتعبئة الرأى العام العالمي لاسيما في العالم الثالث ، لصالح هؤلاء المجاهدين ضد الاستعمار الغربي والامبريالية ، والما قدموا لهم ايضا ، بالذات او بالواسطة ، المساعدات المادية والعسكرية التي استطاعوا بفضلها الصمود واحراز النصر . فلا يحق للقادة السوفيت اليوم الاحتجاج على تقديم مثل تلك المساعدات الى المجاهدين الافغان أو اعتبارها من قبل الاعمال العدائية الموجهة ضد الاتحاد السوفيتي ذلك أن ما كان حلالا ومشروعا ضد المستعمر الغربي الانجليزي والفرنسي والهولندي والاسباني والبرتغالي ، يظل حلالا ومشروعا بالمثل ضد المستعمر السوفيتي الجديد ، وضد الاحتلال السوفيتي لشعب يناضل من اجل تحرير بلاده .

واذا كان تقديم العون والمساعدات لشعب افغانستان المناضل التزاما اوليا واجبا على كل دولة عضو في الامم المتحدة ، فهو اوجب على كل دولة عربية واسلامية حيث يختلط النضال من اجل التحرير ، بالجهاد من اجل الحفاظ على العقيدة الاسلامية لشعب افغانستان المؤمن في مواجهة غاصب متعجرف ملحد ، ينادي بالسلام وينتهكه ، ويتظاهر بمؤازرة حركات التحرير والمقاومة الشعبية ، ثم ينفرد بالدول المتحررة ليلتهمها واحدة بعد الاخرى . ان شعب افغانستان الذى يخوض باعتراف الجميع ملحمة من اروع ملاحم البطولة ضد عدو جبار مسلح باحدث ادوات القتال الفتاكة والتدمير الجماعي ، لا يريد وعودا حسابية وتشجيعا كلاميا لا يغن ولا يسمن من جوع ، وانما يريد طعاما وكساءا بعد أن عز الطعام والكساء ، يريد دواء يعالج به جرحاه ومرضاه ، وسلاحا يثبت به اقدامه في جهاده ، ومن لا يستطيع الاسهام في هذا الجهاد بالنفس فليسهم فيه ببعض ماله فيجازى عن ذلك في دنياه وآخرته خير الجزاء (١) .

---

(١) بعد الانتهاء من هذا المقال استجد امران الاول اقتراح الرئيس جيسكار دستان في حديث تليفزيوني في باريز في ٢٨ /١/ ١٩٨١ عقد مؤتمر دول لبحث القضية الافغانية على ان يشترك فيه الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانية وفرنسا والصين الى جانب الدول المجاورة لافغانستان . وكان دستان قد بعث باقتراحه هذا الى الزعيم السوفيتي بريجنيف الذى لم يبد تحمسا لهذا الاقتراح الفرنسي .

اما الامر الثاني فهو انعقاد مؤتمر قمة اسلامي جديد في مكة والطائف في اواخر يناير ١٩٨١ . وقد اكتفى في قراراته بمطالبة الاتحاد السوفيتي بسحب قواته من افغانستان ودعوة الامم الاسلامية لمساندة المقاومة الافغانية ولم يقرر المؤتمر اى عون مادي أو عسكري لمعاونة شعب افغانستان على تكثيف مقاومته لانهاء الاحتلال الاجنبي وامتنعت ليبيا عن حضور المؤتمر لتردى العلاقات بينها وبين السعودية ، الدولة المضيفة . كما رفض الرئيس السوري حافظ الاسد والرئيس اليمني الجنوبي علي ناصر محمد وياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين ادانة الغزو السوفيتي لافغانستان وهو استمرار لموقفهم في المؤتمر السابق في اسلام اباد في يناير ١٩٨٠ . ولعل مصر هي الدولة الاسلامية الوحيدة التي اعلن رئيسها علنا عن امداده الثوار الافغان بالسلاح — في كفاحهم ضد السوفيت الغزاة .

فضل الحضارة الاسلامية على النهضة الأوربية فى مجال الكيمياء

● ابراهيم الكردى ●

الكيمياء فى الحقيقة علم عربى ينسب الى مؤسسة العالم المسلم : جابر بن حيان .

ولا يزال الاوروبيون يطلقون على هذا العلم نفس الاسم العربى

كما لاتزال بعض الكلمات العربية فى الكيمياء تستعمل فى لغات الاوروبيين حتى اليوم .

مثل :

الكحول Alcool **الاكسير** El ixir

الشراب sgrap **الكافور** camphor

وتضم المكتبات الاوروبيـة فى برلين ولندن وباريس أكثر من ثلاثمائة كتاب عربى فى الكيمياء .

وقد ترجمت مؤلفات جابر بن حيان وابو بكر الرازى الى اللاتينية ، ودرست فى جامعات أوروبا ، ثم ترجمـت الى الانجليزية والفرنسـية . وظلت المرجع الرئيسى للكيمياء فى الجامعات الاوروبية حتى القرن السابع عشر . وقد نقل منها كبار العلماء الغربيين امثـال : لافوازيه وبريستلى .

وذلك بعد مرور سبعة قـرون من تأليفها .

ومن الكيميائيين المسلمين ، جابر ابن حيان .

يعتبر جابر بن حيان شيخ الكيميائيين العرب ومن مؤسسى علم الـكيمياء بالمعنى الحديث .

لم تكن الكيمياء علما بالمعنى المعروف قبل جابر بن حيان ، انما كانت صناعة وخبرة تحتـاج الى دراية ومران : وتستخدم فى التعدين والصناعة وصناعة الزجاج والتحنيط وتحضير الزيـوت والعطور .

وقد بين جابر ضرورة اجراء التجارب مع دقة الملاحظة والاحتياط والتـأنى وعدم التسرع .

هذا فى الوقت الذى كانت فيه نظرية العناصر الاربعة هى السائدة ، وكان هم المشتغلين بهذه الصناعة التفكير فى امكان

تحويل العناصر الخسيسة الى عناصر ثمينة ولاسيما الذهب .

وقد خطأ جابر اراء العلماء الاغريق، فهي لا تفسر الظواهر والمشاهدات التي كان يلاحظها في تجاربه . فقال ان الفلزات لاتتكون من صورتي العناصر في باطن الارض ، بل انهما تتحولان الى عنصرين جديدين ، هماالزئبق والكبريت وباتحاد هذين العنصرين في باطن الارض تتكون الفلزات . وفسر اختلافهما بتباين نسبة الكبريت فيهما .

وقد بقي معمولا بنظرية جابر عدة قرون حتى القرن الثامن عشر .

وكانت نواة النظرية التي تلتها وهي نظرية « الفلوجستين » وهي القائلة بان كل المواد القابلة للاحتراق والفلزات القابلة للتاكسد تتكون من اصول زئبقية وكبريتية وملحية .

الكيميائي الطبيب الفيلسوف الاسلامي الكبير : ابو بكر الرازي (١)

هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي، فيلسوف ومن الاعلام في صناعة الطب، اطلق عليه « جالينوس العرب » ...

وهو من مؤسسي علم الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب . كان يسمى بابن ابي اصيبعة .

مولده : ولد بالري عام ٢٥١ هـ ـ ٨٦٦ م

وعاش في بغداد من بعد سن الثلاثين في عصر من ازهى عصور الحضارة الاسلامية .

اولع في صغره بالموسيقى والغناء والشعر . واشتغل بالكيمياء ، ثم عكف على الطب والفلسفة في كبره فنبغ واشتهر وتولى رئاسة البيمارستان العضدي في بغداد .

وقد اثرت معرفته للكيمياء في طبه . فكان يرجع الشفاء من الامراض الى تفاعلات كيماوية تحدث في الجسم .

● قسم المواد الكيماوية الى اربعة اقسام هي :

المعدنية ـ والنباتية ـ والحيوانية ـ والمواد المشتقة .

● كما قسم المواد المعدنية الى ستة اقسام :

وذلك لكثرتها واختلاف خواصها .

مما يدل على ممارسة وتجربة ومعرفة بتفاعلاتها .

● كان اول من استخدم الزئبق في تركيب المراهم ، وجرب مفعوله على « القردة » قبل ان يستخدمه في علاج الانسان ، وبذلك كان اول طبيب يجري التجارب على الحيوانات قبل استخدامها على الانسان .

حضر حامض الكبريتيك بتسخين الزاج الاخضر ولذا سماه « زيت الزاج» وحضر الكحول بتقطير مواد نشوية وسكرية متخمرة ، وقدر الكثافة النوعية لعدد من السوائل مستعملا ميزانا خاصا .

● مؤلفاته : الف ٢٣٢ كتابا ورسالة في الطب والصيدلة والكيمياء والمنطق والهندسة ، بقي منها القليل تفخر به المكتبات العربية والعالمية . ومن اشهر كتبه في الطب كتاب الحاوي وكتاب المنصوري في التشريح ، وكتاب الفصول في الطب ، وكتاب الجدري والحصبة .

ومن مؤلفاته في الكيمياء كتاب الاسرار وقد توفي عام ٣١١ هـ ـ ٩٢٤م

ومن الكيميائيين العرب ايضا :

المجريطي : وهو من علماء القرن العاشر الميلادي ، له كتاب في الكيمياء، ترجم الى اللاتينية ويعتبر من اهم المصادر في الكيمياء .

كما اولع عدد كبير من العلماء المسلمين بالكيمياء واشتغلوا بها بجانب تخصصاتهم الاخرى منهم :

الزهراوي ، وابن النفيس ، وابن البيطار ، وابن ميمون والبغدادي ...

(١) انظر الغلاف الاخير لهذا العدد .

إن جيلاً ما ، في عصر ما ، قد تكفيه نظرية علمية واحدة

دعوة إلى الانتقال ..
من الاتهام إلى الحوار ..

● صلاح عيد ●

منذ ايام شهدت الكويت ندوة واسعة عن الابداع الفكرى فى العالم العربى ، واجتهد المشاركون فيها فى تلمس اسباب انعدام هذا الابداع وطرح ما يرونه من مقترحات لخلق او لاحياء هذا الابداع ..

وبالامس واصل الدكتور زكى نجيب محمود حملته على الفكر والادب فى العالم العربى وهو فكر لا يجد فيه اثرا لابداع او تجديد ، وهذا هو رأى اكثرية اصحاب القلم اليوم ..

ففى العالم الناطق بالعربية اليوم يكاد يكون هناك اجماع على ان لا ابداع أو تجديد ، وحسرة وألم على هذه الحال ..

ولست ادرى كيف يصح هذا فى وقت حلت فيه بقلم عربى وفكر عربى مشكلة العلاقة بين الفنون والعلوم على اساس خط اللغة ذى الاتجاه التجريدى .. وظهرت فيه بقلم عربى وفكر عربى وبرهان رياضى عربى لاول مرة ـ النظرية الداعية الى ان الطاقة الاشعاعية الصادرة عن النجوم وعن الكواكب أيضا • انما هى آخر مرحلة يتركب منها الجرم الفلكى المشع ، فهى ليست نتيجة لاى تفاعل نووى داخل الجسيم ، وانما هى آخر مرحلة يتطور اليها تركيبه الى وحدات اصغر لها سرعات اكبر مع البعد عن مركزه •

وهى نظرية مبنية على برهان رياضى بالغ الصلابة وبالغ البساطة فى وقت معا • وهذه النظرية هى احدى ثمار نظرية اكبر واشمل ، هى نظرية ثبات كمية الحركة لجسم واحد على اساس التناسب العكسى بين الكتلة القصورية او الجاذبية وبين السرعة ..

ويعرف اى مطلع على قوانين الفيزياء ان هذه النظرية تعارض القانون الثانى لنيوتن وتعارض معادلة الكتلة والسرعة ، والكتلة والطاقة لاينشتين .. ثم هى تقف على ارض ثابتة من البرهان العملى القاطع المتمثل فى السرعات الهائلة لجسيمات الطبقة الاخيرة من الغلاف الجوى للارض ، والناجم اساسا عن ان لها اصغر الكتل القصورية او الجاذبية بسبب بعدها الكبير عن مركز الجذب الارضى •

وهى تتمتع فوق ذلك بالميزة الكبرى للنظرية العلمية وهى قدرتها على التفسير للعديد من الظواهر مثل ثبات سرعة الضوء فى الفراغ ، وقانون القصور الذاتى (القانون الاول) بل تفعل اكثر من ذلك باعتبارها أن القصور الذاتى يفسر سرعة الضوء فى الفراغ ، وثبات هذه السرعة ، وما يعتريها من تغير عند الدخول فى مجالات الجاذبية •

ومع هذا ، ورغم هذا ، يقال ويعاد ان الفكر العربى خامل متقاعس ،لايتحرك ولا يتجدد فى هذه الايام !

بل لقد ولدت فى هذه الايام نظرية تكشف عن النظام الذى تتبعه مراكز

> • ليست النظرية مجرد رأى يبدى أو تعليق عابر .. وانما هى بناء له أساس من البرهان العقلى أو العملى.

الحضارة الرئيسية والفرعية فى التوزيع على كوكبنا الصغير هذا باعتبار أن المراكز الرئيسية ينظمها خط مستقيم ممتد من اليمن الى دائرة تضم مصر والعراق الى دائرة تضم اليونان وجنوب ايطاليا الى دائرة تضم اوروبا الغربية ... خط مستقيم مائل قليلا نحو الغرب ..

وعلى الشرق والغرب من كل من هذه المراكز الرئيسية مراكز فرعية ينتظمها خط محيط بالكرة الارضية كالخط الذى يمتد اليوم شرق اوروبا الغربية ليشمل المراكز الحضارية فى الاتحاد السوفييتى وجنوب اليابان وغرب أوروبا عبر المحيط الى الجزء الشمالى الاكثر حضارة وتمدنا فى الولايات المتحدة الامريكية .

وهذا الخط يتحرك باكمله الى الشمال او يتحرك باكمله الى الجنوب ،فالحضارة لا تتبعثر مراكزها كيفما اتفق ، وانما تتبع هذا النظام الدقيق فى توزيعها على الارض ، وقدرة هذه النظرية على التفسير يتجلى فى كشفها السبب فى تقدم اليابان فى الوقت الذى عانت وتعانى فيه مصر مما يعوقها عن التقدم الحضارى ... والسبب بسيط جدا هو ان اليابان واقعة على الخط الحضارى لهذا العصر ومصر ليست واقعة على هذا الخط ! وهذا الخط عودنا على ان يصعد باكمله الى الشمال او يهبط باكمله الى الجنوب ..

أليس عجيبا فى وقت ظهرت واعلنت فيه مثل هذه النظريات والافكار أن نعلن مرارا وتكرارا انه لا يوجد لدينا فكر متجدد متحرك فى أى مجال ؟

ان جيلا ما فى مصر ما تكفيه نظرية او اكثر ، لان النظرية هى قمة العامل الفكرى ، والنظرية ليست مجرد راى يبدى او مجرد تعليق عابر ، انها بناء . بناء له أساس من البرهان الرياضى او المعملى ، وله شرفات يطل منها على الظواهر المتعددة مفسرا ، وكلما كان هذا الاساس أصلب ، وكلما كانت هذه الشرفات أرحب ، كانت النظرية أعظم وابقى وأثبت للنقد ..

لكن مجرد وجود النظرية دليل ، بل هو اقوى دليل على حركة الفكر وعلى طموحه ، وقدرته على تحمل المسئولية رغم مسئولية هينة على الاطلاق ...

وحين بدات فى هذه الكلمة لم يكن فى خطتى الا ان اقدم البرهان على وجود فكر متحرك فى جيل يتهم بالكسل والخمول والجمود اتهاما متواصلا لا هوادة فيه ، وان اقدمه على نحو مختصر .

الفنون	الآداب	العلوم
الفنون الخالصة		العلوم البحتة
الرسوم لغة الحضارة القديمة	الكلمات لغة الحضارة الوسطى	الرموز لغة الحضارة الحديثة
(مصر والعراق)	(اليونان والعرب)	(اوروبا الغربية)

دعوة الى الانتقــال
من الاتهام إلى الحوار

هذا الرسم البسيط يروى تاريخ اللغة البشرية منذ اقدم العصور الى اليوم ويبين علاقة الفنون الجميلة وعلاقة العلوم به ، ويبدو الادب عودة بالكلمة الى اصلها التصويرى وبالتالى اصلها النغمي السابق لمرحلة الكلمة أو سيرا في الاتجاه العكسى لخط اللغة ذى التطور التجريدى ..

أما العلوم فهى تأخذ نفس الاتجاه التجريدى لخط اللغة البشرية : الكلمات في الادب تتجمع في تكوينات موسيقية أو تصويرية ، وفى العلم تختصر الكلمة الى حرف أو رمز ، فالاختلاف بين الادب والعلم هو فقط اختــلاف في درجة التجريد ناتج عن الاختلاف في الاتجاه على الخط الممثل لتاريخ اللغة المكتــوبة بمعالمه الرئيسية .

ولا يغفل هذا الرسم البسيط الفروق بين العلوم على اساس قربها من الكلمة أو قربها من الرمز ، وواضح انه كلما ازدادت قربا من الرمز ازداد حظها من الدقة والسرعة والكفاءة وكان لها من التقدم معناه العملى المباشر .

فهل لمن يتهمون هذا الجيل بالكسل والخمول والجمود وانعــدام العطاء والابداع ، ان ينتقلوا الى مناقشة هذه النظريات والافكار التى قدمت بعضها فى هذه العجالة ، والتى يجدونها تفصيلا مع ما تقــدم عليه من براهين منطقية ورياضية اذا ارادوا ــ فيما هو منشور من الفكر العربى فى كتب ومجلات ادبية وغيرها .

من السهل عليهم أن يلتمسوه اذا أرادوا ولهم الشكر اذا بينوا لنا أن ماندعيه من حل لمشكلة العلاقة القديمة بين العلوم والفنون هو لغو لا طائل تحته ،وانه غير مبنى على اساس مقبول أو معقول ، وان ماندعيه من اكتشاف للنظــام الذى تتوزع على اساسه مراكز الحضارة الرئيسية والفرعية على مر العصور ، انما هو وهم من الاوهام الباطلة ، وان هذا الحزام الحضارى الذى يبطل نظرية انقسام العالم الى شرق وغرب لا يلتقيان ، هو ادعاء باطل كذلك .

ثم ليبين لنا أهل العلم ان نظرية ثبات كمية الحركة لجسم واحد على أساس التناسب العكسى بين الكتلة القصورية والسرعة هى فكرة لا تقوم على أســاس عمل ، وان كل البراهين التى تؤيدها زائفة ، وان قانون نيوتن الثانى ونظرية النسبية الخاصة راسختان على الرغم منها . ولكنى اطمع بل أطالب أن يكــون الاعتراض مبنيا على نفس الاسس المنطقية والرياضية بل أقوى منها وأصلب .

وأهل الفكر حين يفعلون ذلك فانما يقدمون الدليل العملى على أن هذا الجيل لم يكسل ولم يجمد ، وانما تحرك وجد ، وهو قد تحرك فى مجالات صعبة . وسار على أرض وعرة ، وارتطمت راسه بصخرة صلب قاس ، وهو يحاول أن يفهم هذا الكون أكثر ، ويحصل على رؤية اشمل واعمق وأسلم من تلك التى اتاحتها له نظريات وقوانين ما كان أحد ليظن انها ســتكون يوما ما موضــعا للتساؤل واعادة النظر ، فضلا عن أن تكون عرضة للشك فى صلابة الاســاس الذى قامت عليه ...

اتمنى أن ينتقل الاتهام الى نقاش لما هو موجود فعلا وقائم فعلا من نظريات جديدة وافكار فى ميادين لا يستهان بها فى تاريخ الحضارة ، والفيزياء ،والفلك وفلسفة العلم . والفن .. وهناك المزيد لو اراد من يتهمون هذا الجيل بالركون الى الجمود ، وهذا المزيد تحت أيديهم وتناوله سهل يسير .

● د . صلاح عبد ●

انتظار

• سالم حقي •



لا تَنتَظِر .. !
يا آخِرَ العُشّاق .. ليسَ موعداً ؟
ولّى زمانٌ ،
أنتَ .. في أفنانه المغردُ !
لا يلتقي أمسٌ مضى ..
أمس تُوارى في الدّياجِي ـ وغداً ...
لا يَلتقي غصن ذوى فيهِ الربيع .
وزهرة أنفاسُها تزغردُ ...
لما تزل تخبُو على دَرب الهَوى ..
لمّا تزَل أشواقها .. تعَربدُ !..
يَهفو لها في أفقها المسحُور ،
ألفِ فرقد .. وفرقدٌ !
لا تَنتَظِر ..
يا أيها القلب الذي وَلّت لياليه .. في الهَوى ..
يُستَشهد .. !
يا أيها القلب الذي ولّت لياليه ..
وضاعَ السؤدد ..
يَكفيكَ .. تَصبُو خِلسَةً ..
للحُسن .. ثم .. تُنشدُ

ناس وصور وحكايات

الحرب مع التدخين تدخل دورها الحاسم



نحن هنا لا نحسن الحرب على التدخين . فيما عدا بعض اعلانات قليلة الجدوى فى التليفزيون والراديو لا تجد صوتا واحدا يجعل من هذه الحملة حركة حقيقية تؤدى الى نتيجة

فى اوروبا يخطون خطوات عملية حقيقية . فى كل وسائل النقل هناك اقسام للمدخنين واقسام لغير المدخنين .. الذين يدخنون يجلسون الى اليسار وغير المدخنين الى اليمين كما ترى فى الصورة . فى الطائرات كذلك لا يمكن للمدخن ان يجلس



مع غير المدخنين . اما فى المسارح ودور السينما فالتدخين ممنوع نهائيا والبوليس حازم جدا فى ذلك الموضوع . لا يسمح بالتدخين فى المجالس العامة وفى الاجتماعات والمحاضرات ، حتى فى مجالس النواب هناك اقسام للنواب الذين يدخنون . الهدف الموضوع هو ان التدخين آفة لابد ان يقضى عليها وشجرة الدخان شجرة سامة لابد ان تتلاشى . هذه هى الحرب الحقيقية ومهما انفقت شركات السجائر فان التدخين مصيره محتوم وعندما تحل سنة ٢٠٠٠ سيكون الدخان ذكرى من ذكريات الماضى .

ناس وصور وحكايات

ظلّ يلعب بالجنون حتّى لعب به الجُنون

سلفادور دالى اشهر رسام فى الدنيا بعد بابلو بيكاسو كان عمره كله يلعب دور المهرج لكى يستلفت الانظار لنفسه وفنه

انه فنان عظيم ولاشك

ولكنه كان ذا نهم لا يوصف الى الظهور والى حديث الناس عنه . فى سبيل ذلك لم يكن يبالى بشىء : يلبس ملابس من جبن ، يضع شوارب مضحكة كلها ملصقة فوق انفه بالصمغ او يسير فى الشارع على يديه ..

المهم ان تكتب عنه الصحف ..

وكانوا يقولون انه اما ان يكون اعقل مجنون فى الدنيا او اجن عاقل فيها والامران سواء

وفى النهاية وعندما تجاوز الخامسة والسبعين بدا ينتابه الاكتئاب والهوس .. دخل فى بعض ادوار الجنون فعلا .. انه لا يريد ان يرى احدا او يكلم احدا .. انه اليوم ضحية نفسه .. لقد دخل عالم الفن فنانا ، وعظم شانه فيه مهرجا وسيموت مجنونا

لا بأس .. فهو فنان ، والجنون فنون



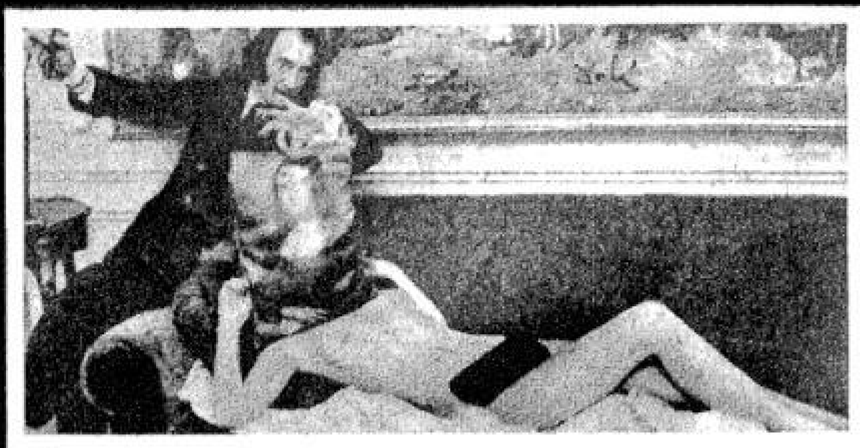
بمثل هذا الطرطور كان والى يسير فى الطرقات احيانا
وخلفه اما احدى الجميـلات او شلة من المعجبين



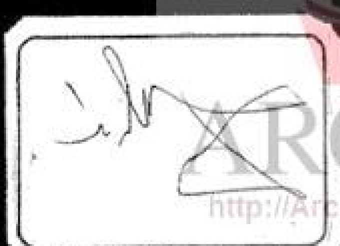
وشاربه المشهور .. كان شاربا مزيفــــا ملصقا فوق فمــه ، وهاهو به مع صديقة له تسمى اماندالير .

وهو هنا يرسم. امامه فتاة جميلة تقوم بدور الموديل ولكن الموضوع الرئيسى فى الصورة حصــــــان





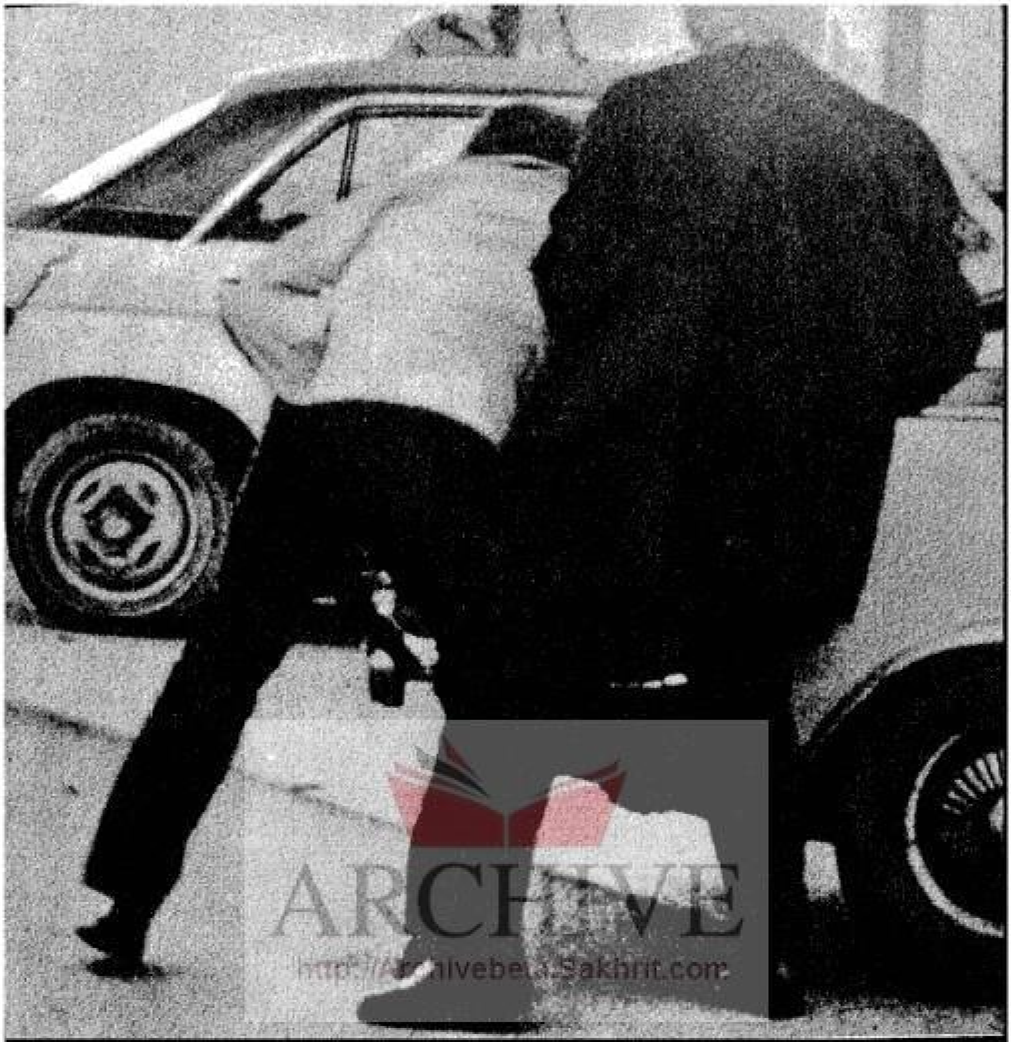
هذه الصورة تهريج فى تهريج ، ولكنها احدى
اساليب الدعاية عند والى



امضـــاء والى ..
تهريج لا امضاء ..



وفى النهاية جن ..
وزال شاربه



الصحفى ... ذلك المظلوم الأبدىّ

الصحفى هو ذلك الانسان الذى اختـار نفسه ان يكون فى وجه المدفع دائما انه يبحث عن الاخبار ، والاخبار احيانا اسرار ، واحيانا اخرى اسرار ..
والمسكين يجرى ويلهث ، ويضع انفـه دائما فى شق الباب ، وقد يأتى بالخبر او قد لا يأتى به ، وقد يأتى به فيفتح على نفسه ابواب المتاعب



وهاتان الصورتان تعبران عن ذلك باجلى بيان

فان الصحفي المصور الفلبان كان ينتظر الى جوار باب في موناكو ينتظر خروج الامير رنيه وابنته كارلون ليلتقط صورتين او ثلاثا لجريدته

وكان الامير قرفانا من الصور والصحافة والصحفيين ، وربما من عيشته ايضا

فما كاد يرى الصحفي يشرع آلة التصوير حتى فقد صبره واعصابه وهجم على الصحفي المسكين ، وهات ياضرب

مهنة متاعب ومهنة اخطار

ناس وصور وحكايات

شخصية كل إنسان على وجهه ..

هذه الصورة اخذت لمجموعة فتيات يتعلمن رقص الباليه فى معهد المانى

منهن صغيرات دون العاشرة ..

ولكن انظر الى وجوههن .. كل منهن لها منذ هذه السن الباكرة شخصيتها المتميزة .

الصغيرة الاولى على اليسار فى الخلف لاتزال طفلة خجولة تسبح فى عالم الاطفال .

الثانية امامها جريئة متفتحة تريد ان تثب على الحياة .. انها خير نسمة ساخرة والدنيا ومافيها

ووراءها ثالثة غيرى منها .. انظر كيف تنظر اليها فى اعجاب وغيرة .. تريد ان تكون مثلها

الى جوارها الرابعة طفلة باسمة .. انها تلعب .. الرقص عندها لعب والحياة لاتزال لعبا .

وفى النهاية فى اقصى اليمين بنت لاتزال بدون شخصية .. انها تصنع شخصيتها مع الايام ..

حقا .. كل انسان عالم قائم بنفسه



جورج براك

فى عيد ميلاده المئوى

● فتحى العشرى ●

●● بدءا من مايو تحتفل الاوساط الثقافية والفنية على مدى عام كامل، بعيد ميلاد المصور الفرنسى « جورج براك » المئوى ، ليس فى فرنسا وحدها ولكن فى العالم اجمع .. واذ ننبه الى موعد هذه الاحتفالات العالمية ، نتمنى ان تشارك مصر بنصيب يتفق ومكانتها الحضارية التى تميزت بالفنون التشكيلية المتقدمة والمتطورة عبر العصور وحتى اليوم !.

ولد « جورج براك » فى الثالث عشر من مايو عام ١٨٨٢ بمدينة ارجونتوى بجنوب فرنسا ، لجد واب لهما علاقة بالفن التشكيلى ، فالاول كان تاجرا لادوات الرسم والاخير كان بائعا للوحات الفنية .. فتح « براك » عينيه اذن على الالوان واختبر الفه رائحة الزيت و « الجواش » . عاش طفولته وحوله كبار فنانى عصره « مانيه» و « مونيه » و « رينوار » .. ثم انتقلت اسرته الى اقليم الهافر يحيط به رواد فنون عصره «بودين» و «راؤول دوفى».

علمه والده أصول التصوير وقواعده ، فظهرت موهبة « براك » فى التصوير الزيتى بصفة خاصة ، خاصة عندما حاول ان يتمثل « بسيزان » ويرسم منطقة لستاك القريبة من مارسيليا ..ولكنه حاول ايضا بعد ذلك ان يتخلص من تأثير « سيزان » نهائيا حتى تتكون شخصيته الفنية المستقلة والمتميزة ..

التحق بمدرسة الفنون الجميلة (القسم الحر) وهو بعد تلميذ بمدرسة



جورج براك

الليسيه .. وكان « براك » يتمتع بحيوية ولياقة بدنية وصفاء ذهن نتيجة لممارسة رياضة السباحة والملاكمة والدراجات ، فضلا من حبه للرحلات وعشقه للموسيقى ، الى جانب اجادته للعزف على « الفوت » ..

ولم تعوقه فترة الخدمة العسكرية عام ١٩٠٢ عن متابعة كل هذه الهوايات التى تركزت فى هواية واحدة ، سرعان ما تحولت الى طريق ومستقبل وحياة خاصة ، بعد ان تخرج فى اكاديمية هامبير للفنون عام ١٩٠٦ وعرض أولى لوحاته فى منطقة اونفير .. جاءت هذه اللوحات الأولى استجابة مباشرة لتيار « الحوشية » الجبار الذى كان « ماتيس » قد اطلقه منذ عام واحد ..

ولكن « براك » لم ينجرف تماما فى هذا التيار ، فبعد عشرين لوحة ، فقط احس بأن « الحوشية » تضحى بالشكل فى سبيل الالوان ، بينما يريد هو ان يوفق بينهما .. فبدا بتجربة اللون الواحد ودرجاته مستفيدا من تجارب « سيزان » الناجحة فى مجال اللون بشكل عام .

وبعد ان عاب الناقد التشكيلى « فوكسيل » على « براك » انغماسه فى الاشكال الهندسية وبخاصة المكعبات ، اكتشف « براك » ومعه « بيكاسو » عام ١٩٠٧ فى حضرة الشاعر « ابولينير » ما سمى بالتكعيبية التى سادت فترة طويلة وجذبت اليها عباقرة الفن فى ذلك الوقت ..

ومع هذا رفضت اعمال « براك » من « صالون الخريف » عام ١٩٠٨ ، فزاده ذلك الرفض اصرارا على مواصلة طريقه وتحقيق استقلاليته وفرض اسلوبه ..

وعرضت اعماله بعد ذلك فى « صالون الخريف » نفسه الى جانب اعمال معاصرية «دوفى» و« ماركيه » و « دروه » و « دونجان » واعمال الذين سبقوه أيضا ومنهم « فان جوخ » نفسه ..

أفاد « براك » من مهنة والده كنقاش فنان يعرف كيف يستخدم الالوان وكيف يطوع الجدران الرملية والمبصصية والاخشاب الخشنة والجافة .. فادخل الواح الخشب والسحارات الخشبية فى نسيج لوحاته الرمزية بطريقة « القص واللصق » او الملصقات التى تحدث بروازا فى اللوحة حتى تكتسب حياة ملموسة .. وهى فكرة ولا شك مثيرة ، لفتت الانظار خاصة

بعد أن نوع «براك» وتوسع في استخدام تلك الخامات الدخيلة مثل ورق اللعب والرمل والفليون والنوتة الموسيقية والاوتار والالات الموسيقية وابرزها الكمان «والفلوت»، وتوسع في استخدام الالوان ، فأضاف الى جانب الاسود والرمادي « والبيج » والازرق والاخضر والاصفر ، وادخل الحروف الهجائية البارزة مكونا أسماء شهيرة مثل «باخ» « وبال » ..

اما في التكوين فقد استعان بفن الارابيسك ادخل عليه بعض التعديلات او التغيير ، فقد حول الخطوط المستقيمة الى زوايا ومثلثات ودوائر.. وما فعله « براك » لم يقف عند حد تجميع هذه العناصر وتنسيقها ، وكأنه ينسق باقة زهور متعددة الانواع ، مختلفة الالوان والاحجام ..

وقد دافع « ابو لليتير » عن هذه الفكرة التي لاقت معارضة شديدة بقدرما لقيت استحسانا بقوله : « ان الموازابيك عبارة عن تصوير بالحجارة أو بالخشب .. ومن المواد التي كانت في المتناول ورق الجرائد الذي ساهم في بلورة « التكعيبية » وخاصة فيمابين عامي ١٩١١ و ١٩١٢ .

وقد كان من الممكن أن تأخذ قصاصات الجرائد اتجاها رمزيا ، ولكن استخدامها كان ينطوي على حيل للذين يرون بنظارات كانت تخفي عنهم حساسية الفنان ، وفي هذا الدور المبكر صور الفنانون التكعيبيون صورا بعضها شديد الشبه بالبعض الاخر ..

ولذلك عبر « أبو لليتير » عن اتجاه أو اتجاهات « براك » الجديدة والحديثة معا بقوله : « انه يصور كملاك صافي الروح والاحاسيس ، لانه مشغول دائما بالعبور الى أرض جديدة ، جديدة تماما على فن التصوير .. وهذا هو سر الجهد الذي يبذله في كل لوحة من لوحاته بطريقة لم يسبقه اليها فنان من قبل .. »

وكان كل ما يشغل « براك » في هذا الوقت هو التخلي عن المنظور التقليدي طارقا أبواب واقعية تتسم بالشاعرية والصفاء ، بهدف اعادة صياغة الواقع المرئي بشكل غنائي متفائل حتى وهو تجريدي ، وايضا وهو تكعيبي .. فالتكعيبية التي استمدها « براك » من فن « الارابيسك » العربي منحت فن التصوير الحديث جماليات هندسية وخطوط هارمونية وحلول تشكيلية تخاطب العين عن طريق العقل وليس عن طريق العاطفة أو الحس ..

هذه « التكعيبية » ذاتها هي التي دفعته الى الاهتمام برسم « الطبيعة الصامتة » التي تكلمت اونطقت على يديه

ولا يصبح غريبا ولا مستغربا بعد ذلك ، والحال كذلك ، ان يلجأ « براك» الى العنصر الانساني حتى وهو يحاكي الطبيعة الصامتة مكتشفا لاول مرة صلة التصوير بعلوم الضوء والعدسات.

ويظهر فن « براك» واضحا جليا في عناصر ثلاثة : الخطوط الاساسية الملتفة والحركة التدويرية المتدفقة (الديناميكية) والالوان المتوهجة

الشمعة .. بحيث تبدو اللوحـــة .. « كرجرجة الموج على سطح المحيط ».

اما فكرة التباين فى تركيب الرسم عند « بـراك » فتعتمد عـلى الالـوان المتصـارعة (الابيض والاســود) او (الاحمر والاخضر) والخطوط المتداخلة المستقيمة والمنحنيـة والمســتديرة والمتعرجـــة والمتوازيـة التى تؤلف فى التجريد عناصر الدراما الجمالية التى تشبه الى حد بعيد دراما المسرح ..

وجند « براك » عـلى اثر أنـدلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤)واصيب فى الحادى عشر من مايو ١٩١٥ (وهو فى الثالثة والثلاثين) وهـذا مـا دفعه الى الانضمام الى حركة السلام العالمية التى كان «بيكاسو» من اكبر مؤسسيها ومناضليها ..

واقام «براك » معرضه الفردى الاول حيث ظهر تأثره ببيكاسو او على الاقل مجاراته فى كشـــفه للعوالـم الفنية الجديدة وطرق ابواب الفن الحديث ، مضحيا بعشقه « لسيزان » فى طبيعته الحية وحبه « لجـــوخ » فى طبيعته الصامتة .. وكانت لوحة «بيكاســـو » الشهيرة « فتيات الفينيون » قد بدات تغير مجرى الفن العالمى كله .. ولذلك قـدم « ابولليني » معـرض « براك » تقديما باهرا ومبهرا دفـع « بيراك » الى قمة الفنون التشكيلية لايشاركه فيها غير « بيكاسو » العظيم ..

وهنا قال براك : « ان مـا تبادلناه بيكاسو وانا ، من افكار خلال اكثر من سبعين عاما لا يمكن ان يتم مرة اخرى فى المســتقبل ، وحتى اذا قيلت فلـن تفهم ولن تستوعب تماما ..

ومع هذا كان «براك » أسـعد حظا من رفيق عمره «بيكاســو »، فما ان بلغ السادسة والعشرين منعمره حتى تعهده واحتكر انتاجـه اكبر متعهد فى عصره .. وقد حدث ان يبعث احـدى لوحاته وهو يعد فى هذه السن الصغيرة وتلك التجربة القليلة والخبرة البسـيطة باكثر من عشرين الف دولارا ..

ومع هذا ايضا اصـيب «براك » فى اعقاب الحرب العالمية الثانية بمـرض غريب ، ولكن فوزه ببينالى فينيســيا عام ١٩٤٨ اعاده الى فنه .. فنه الذى اتجه به وبفنون عصره الى التجديد ، بعد ان هجر المذاهب التقليدية المتوارثة جيلا بعد جيل من حوشية « مانيه » و « مونيه » ــ رغم سخونة الوانه المقابلة لنارية الوانهم ، ونعومـة خطوطـه المتعارضـة مع عنف خطـوطهم ــ الى تعبيرية « جوخ » و «جوجان » ــ رغم توقد والتهاب الوانه ، وتالف وتناغم اسطح لوحـاته ــ وتلك هى اصـرخ النماذج والامثلة ..

ولـم تمض بعد ذلك فترة طويلـة القصر او قصيرة الطول ، حتى انتشرت لوحات « براك » فى معارض فرنســا وانجلترا وايطـاليا والمـانيا واليابان والولايات المتحدة وحتى رحل فى اخـر اغسـطس عـام ١٩٦٣ عـن احدى وثمانــين عاما حافلة بالانطلاق والتحـدى والفـن.

الغرب يقرأ شعر الشرق

● ماهر شفيق فريد ●

● جولتنا في هذا الشهر مع عددين جديدين من مجلتين فصليتين احداهما بريطانية هي « اجيدا » والاخرى امريكية هي « صحيفة تاريخ الافكار » وهي فصيلة دولية تعالج التاريخ الذهني لمختلف الافكار والمواقف، وتصدر عن جامعة « تمبل » بولاية فيلادلفيا الامريكية ٠

● الشعر الشرقي مترجما الى الانجليزية

في مجلة « اجندا » كتب مايكل الكزاندر مقالة بمناسبة صدور كتاب جديد حرره كيث بوزلي وعنوانه « كتاب الشعر الشرقي » يتضمن ترجمات من الشعر الافريقي والآسيوي ، قديما وحديثا ، الى الانجليزية ٠٠ يقول كاتب المقالة : هذا كتاب بالغ الجودة ، رغم ان مداه مسرف في الطموح ٠ فهو يشتمل على قصائد معادة من ثلاثين أدبا شرقيا ، على امتداد خمسة واربعين قرنا او نحو ذلك ٠ واغنى هذه الآداب ـ نعني الادب الصيني ، والياباني ، والهندى ، والفارسي ، والعربي ، والعبرى ـ يستأثر بالقسم الاكبر من صفحات الكتاب ، ولكنه يشتمل أيضا على قصائد من تايلاند وبورما والملايو وكمبوديا والتبت وارمينيا وتركيا وغيرها ٠

من رأى بعض أتباع ف ٠ ر ٠ ليفيز الناقد البريطاني الذى توفى حديثا ، انه لا يليق بنقاد الادب الانجليزى أن يدرسوا أى شعر مترجم ، باعتبار ان الشعر غير قابل للترجمة ، وان كانوا بطبيعة الحال لا يحظرون على الناقد أن يقرأ هذه الترجمات ٠ ولكن اتباع هذه النصيحة يبدو عسيرا ،فان تدريس اللغات الاجنبية فى مدارس بريطانيا اليوم قد أصابه التدهور ٠ ودراسة اللغات الكلاسيكية ـ اليونانية واللاتينية ـ قد أصبحت قضية خاسرة أو تكاد ٠ ومن هنا كانت الحاجة الى الترجمات ٠

والترجمات المدرجة فى « كتاب الشعر الشرقي » ترجمات منظومة فى الغالب ، وقد اختيرت على اساس قيمتها الادبية فى اللغة الانجليزية ، وكذلك على اساس قيمتها الادبية فى لغاتها الاصلية ان كلا من هذين المبدأين صائب ، ولكنهما قلما يتفقان : فان أعظم الشعراء ـ شكسبير أو دانتي ـ عصيون على النقل الى أى لغة أجنبية ٠

وبعض الترجمات أفضل من الاصل ، كما قيل عن ترجمات الشاعر الفرنسى مالارميه لقصائد الشاعر الامريكى ادجار الآن بو ٠ بيد ان كيث بوزلي ـ محرر الكتاب الذى نناقشه ـ قد سلك طريقا وسطا بين هذين المبدأين ، خاصة فى مختاراته من الشعر الصيني والشعر العربي ٠ فالقسم الصيني يضم قصائد ممتازة ترجمها ازرا باوند ، وآرثر كوبر وديفيد هوكس وغيرهم ٠ والقسم العربي ترجمه الشاعر العربي المعاصر عبد الله العذرى بالاشتراك مع ج ٠ وايتمان : الاول لغته الأم هي العربية ، والثانى شاعر وناقد انجليزى ، مما أثمر نتائج رائعة ٠

ان قراء هذا السفر الضخم الجميل الاخراج يحتمل ان يكونوا على غير معرفة بالشعر الشرقي ، وذلك نتيجة للصورة الرومانسية التى ارتسمت للشرق فى اذهان الغربيين زمنا طويلا ٠ ان مصطلح الشعر الشرقي يغطى اغلب الاداب القديمة لمصر وبلاد ما بين النهرين والهند فضلا عن سيبيريا والفلبين ولغة التاميل

وقصائد الشعراء الفيتناميين عن حرب فيتنام ، وهي افضل من قصائد الشعراء الامريكيين عن تلك الحرب • واكبر مفاجاة يشتمل عليها الكتاب هي كشفه عن جمال الشعر الاسلامي المكتوب بعدد من اللغات : عربية ، وفارسية ، وتركية بيد ان بعض قصائد القسم الهندي مخيبة للآمال •

ويختم مايكل الكزاندر مقالته بقوله : ونتيجة هذا كله هي سلسلة من الاكتشافات الشعرية الجديدة التي تثري وعي القارىء • ان الاداب الاوردية والفارسية والتركية لم تعد أبوابا مغلقة في وجهي كما كانت من قبل • كذلك يفضي بي الكتاب الى نتيجة مؤداها ان الشعر قابل للترجمة • منذ عقود قليلة ماضية ترجم ر • ك • جوردون نماذج من الشعر الانجليزى القديم المكتوب باللغة الانجلو سكسونية الى لغة انجليزية حديثة • كان نثره محايدا ، قيمته الادبية محدودة ، وليس دقيقا في بعض الحالات • بيد انه تمكن من جعل القارىء يستجيب لهذا الشعر القديم ويتعرف على خصائصه الجوهرية • لا يجمل بنا اذن ان نسرف في التشاؤم ونقول ان الشعر لا يمكن ترجمته • فالايمان قادر على تحريك الجبال ، ونعني بالايمان هنا حب المترجم للغة التي ينقل عنها ،واللغة التي ينقل اليها •

● هوميروس والفيلسوف الايطالى فيكو

وننتقل الى « صحيفة تاريخ الافكار » حيث كتب ب • ا • هادوك مقالة عن الفيلسوف والناقد الايطالى فيكو صاحب كتاب « اكتشاف هوميروس الحقيقي » • يقول الكاتب : ظل كتاب فيكو عن هوميروس موضع دراسة الباحثين في الحقل منذ تبلور ما عرف فيمابعد باسم المشكلة الهومرية : نعني ، اكان ثمة حقا شاعر اسمه هوميروس ؟ وهل هو وحده مؤلف الالياذة والاوديسة ، ام انهما من وضع عدة شعراء ؟

وحتى في القرن الثامن عشر عندما لم تكن اعمال فيكو واسعة الانتشار اقر احد الدراسين الايطاليين ، في طبعته لاعمال الشاعر اوسيان ، باهمية كتاب فيكو عن هوميروس لمن يريد فهم الشعر البدائى ، واورد مقتطفات وافرة من كتاب فيكو المسمى « العلم الجديد » • كان اوسيان بؤرة جدل مهم عن نظريات النقد الادبي ، فقد كان ثمة تقليد اكاديمي طويل الامد موضوعه طابع الشعر البدائى في استكلندا ، بدا في كتابات شافتسبرى ، وظل غالبا على القرن الثامن عشر • وفي البلدان الناطقة بالالمانية ، خاصة سويسرا ،جعل الباحثون من شعر الملاحم البطولية موضوعا جديا للدرس • وكانت كتابات الفيلسوف هردر حاسمة في هذا الصدد فقد ذهب الى ان الشعر ينبغي اعتباره تعبيرا عن طريقة حياة شعب باكمله ، وما لبث هنرى نلسون كولردج في ثنايا كتابه « مداخل الى دراسة الشعراء الكلاسيين الاغريق » (١٨٣٤) ان نقل كتاب فيكو عن هوميروس من الايطالية الى الانجليزية ، كما تجلى تاثير فيكو على كثير من نقاد القرن العشرين ، وبخاصة بندتو كروتش الذى كان عليما بكل جوانب فكر فيكو •

ذهب فيكو الى انه قد كان ثمة عصور ثلاثة من الشعراء البطوليين سبقت مقدم هوميروس فالعصر الاول كان متسما بالصرامة ، مما يلائم مؤسسي الدولة الاغريقية الناشئة ، لم ينصرف هم شعرائه الى تنميق الاوصاف وانما الى سرد تاريخ حقبتهم سردا تاريخيا خاليا من الزينات • تلا ذلك عصر ثان تميز شعراؤه بالفساد مماجعلهم يغيرون معاني الاساطير الاصلية لكي تتسق مع اسلوب حياتهم الخليع • لم يكن شعر هذين العصرين الاولين نتاج افراد ، وانما أمم شعرية باكملها • اما في العصر الثالث فقد بدأ شعراء بعينهم يظهرون ،يجمعون الاساطير الرائجة بين قومهم ، او بالاحرى صورها المحرفة ، وينسجون قصائدهم حولها • ولما كان هوميروس ينتمي الى هذا العصر الاخير ، فقد كان في نظر فيكو اول مؤرخ لامة الاغريق • لقد صنف، ملحمتي الالياذة والاوديسة من قصص قريبة الصلة ، نابعة من المأثور الشعبي • اما التناقض بين انماط الحياة التي تصورهاهذه المجموعات من القصص فيفسره انبعاثها من مناطق وعصور يونانية مختلفة •

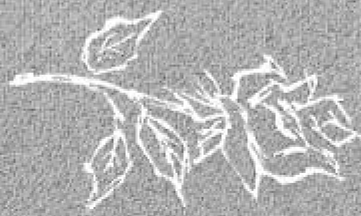
●●

عبير

● ابراهيم عيسى ●

قد كان لى عمر خضر فى الربيع بلا وعود
فسقيته من نهر أشواقى لتضحك لى الورود
ومعى المنى تتحدى الليالى .. والمنى أم ولود
وجرت بصحرائى ينابيع تنادى الشاطئين
وسمعت فى آفاق نفسى أغنيات الضفتين
وإذا الليالى الغائبات صفت ومدت لى اليدين
وهتفت : يارب السماء حنانا لبيك تلهفى
فأنا يمزقنى ضنى فى الحنايا متشوقى

وبلابلى فى الغيب لم أعرف .. ولم أتعرف
فتنسمت رحماته وتحدرت فى كل درب
ونمت بروضى زهرة أوراقها من خفق قلبى
وتلفتت فسجدت فى محرابها لعطاء ربى
ساقى الربيع سقى طفولتها الندية من هوايا
وتفتحت أحلامها واستضحكت بين الحنايا
فجمعت شوقى كله وزففته دفا وتنايا
نظراتها ألق الضحى .. وحديثها الغناء (واه)



يا صوتها القدسي غرّد في الجوانح ما تشاء
وكأنه في خاطري لحن تردده السماء
وإذا خريفي مورقُ البسماتِ ضحّاكُ الغدير
وعلى ضفافي فرحة تلتقي الظلالُ على العبير
وتعطّرت كل البراعمِ (يا عبيري) بالعبير:
للناس قلب خافق صان الهوى حينا وخان
وأنا بحبك صار لي قلبان نبضهما حنان
وإذا التقينا غبتُ عن معنى الزمانِ أو المكان

يا طفلتي .. وستمضي بك الزمان إلى مداه
ويكون لي في عمرك الباقي من ركابك شاطئه
فإذا تلفّعَ بالدجى فستلهمي نورَ الإله
وإذا طغى بحرُ الحياة وليس بعد اليمِّ شيء
وتمرّدت أمواجه وعدا على المجداف نوء
فاستمطري وجهَ السنا فيعانق الآفاقَ ضوء
يا طفلتي .. هذا فؤادي فارتقيه بلا شريك
واسقيه يا هبةَ السماءِ متى تاهت عن أبيك
إني عرفتُ اللهَ لكن قد رأيتُ الله فيك

● كتبها الشاعر عندما بلغت أولى بناته ـ عبير ـ عامها الأول . ●

قراءة نقدية في الدوران حول السور

في مجموعة نبيل عبد الحميد

● يسرى العزب ●

● تعد هذه المجموعة القصصية الجديدة للاديب القاص / نبيل عبد الحميد من جيل السبعينات الادبي ـ احدى النفحات القيبة لروايات الهلال (سبتمبر ١٩٨٠) التى سبق لها ان قدمت الكاتب روائيا في روايته (مســافة بين الوجه والقنــاع) ـ (ديســمبر ١٩٧٨) . التى اثبتت معالجتنــا النقدية لبنيتها الجمــالية ان الكاتب استطاع عن طريق « التكنيك » المعاصر للرواية ان يتعمق الداخل الروائى فيركز على كل دقائقه الزمانية والمكانية مهما صغر حجمها ، وان يعطى الاشــياء حواس ومشاعر انســانية فاقت قدرة البشر على الفعل ، فصــارت رموزا فاعلة في تصعيد النمو الدرامى في الرواية حتى بلغت حد النضج ..

وتأتى مجمــوعة (الدوران حــول السور) ممثلة بشكل جيد ـ وان كان غير شامل ـ لتيار « التكنيك » المعاصر في القصة القصيرة ، الذى يعتمــد على عناصر تيــار الوعى ، « المونولــوج » و «الديالوج» والحركة المسرحية الخاطفة التى تتشكل في جمل سريعة بل متلاحقة تشحن بالدلالات وتسير في خط دينامى صاعد يكثف الرؤية في رحلة سعيه الى الاكتمال القصصى ، فيقدم بذلك القاص بنية قصصية مكتملة لا تعتمد على سرد الواقع ، بل على استبطانه وتحريكه .

يأتى ذلك في احدى عشرة قصــة من قصص المجموعة ، التى تحتوى على ست عشرة قصــــة ، اى أن الخمس قصص الباقية تأتى على النمط التقليدى للقصــة الذى لا يستخدم عناصر القص المعــاصر في بنائه كلبنات أساسية ، بل نجدها تأتى غالبا كحلى تزيينية تقــوم بدور المحسنات البديعية في التراث العــربى القديم .

والقصص التقليدية الخمسة هى :

حجم السان بســيط (ص ٤١) ـ لعبة شهر زاد (ص ٥١) ـ الامتصاص



ص (٥٩) ـ الذبابة ص (٧٧) ـ الدوران حول السور ص (١٤٣) ٠

أما القصص الحديثة فهي تحتل ـ وهذا حسن ـ ثلثي المجموعة تقريبا ٠٠ وسنحاول ، التعرض لها بالتحليل لنتبين من هذا قدرة القاص على الابداع في الشكل الجديد ٠٠

في قصة جسور وفئران (ص ٩) تتكون جمل السرد ـ الذي لا يقوم بمجرد الوصف ، بل يمتد ليكون خليفة أشبه بخليفة المشهد السينمائي ، أو أرضية اللوحة التشكيلية ، من الفعل المضارع والفاعل الذي هو جزء من الانسان وليس الانسان نفسه : (سواد العينين ، الصدر ،الصوت ، النظرة ،احمرار الجلد الرقيق ٠)

ويعطي الكاتب هؤلاء صفات مماثلة (السواد الملتمع ـ الصوت المشروخ ـ الاحمرار الوردي ـ الصوت المتقاطر الخ ٠٠)

من أول وهلة ندرك أننا مع عالم قصصي يستخدم الصورة الشعرية في تشكيله ، وهذه من أهم معطيات الشعر المعاصر للقصة ، ردا لبعض جميلها عليه حين منحته بسخاء دراميته التي تتأتى عن طريق « المونولوج » و « الديالوج » ٠٠

❋❋❋

يجيد القاص مع التصوير الشعري لاحتوائه استخدام العنصرين السالفين (المونولوج والديالوج) كأحد العناصر الاساسية في تشكيله القصصي ٠

في زحف القواقع (ص ٢١) على سبيل المثال تلمح توظيفا ٠ جيدا لهذين العنصرين حتى انه يصل بهما الى حد التوحد :

« ـ ولكن ٠٠ ما الداعي لذهابي ؟

ـ أريد أن أتأكد انه بالداخل ، وانه يفعل ٠

ـ لقد رأيناه معا وهو يدخل ، أليس كذلك ؟

ويضرب الباب ، واخرج ، واضع يدي على كتفه ٠

ـ أليس الأفضل أن تذهب بنفسك أنت تعرف الطريق جيدا ، فان وجدته بالداخل امكنك أن تفاجئه ، وأن تتصرف معه ،وان لم تجده بالداخل تعود ،ونذهب ما رأيك في هذا الحل ؟ ٠٠

وترتخي يده بالسكين وينظر الى

الارض ويقـول بصوت منخفض : انا احبها ولا اريد ان اقتلها » (ص ٢٧)

في هذا الجزء نرى جمل الحوار تتدافع بين الصوتين الفاعلين السائق الذى يريد الانتقام من زوجته وعشيقها ، والراكب الراوى الذى وجد نفسه في موقف حرج مع سائق سيارة لا يعرفه ، فلم يكن مفرا من مشاركته المأساة .. الاول بتهوره الشديد ، والثاني بتعقله الشديد الاول بحبه القـوى لامرأته ، يحب دفعه للتفكير في القتل ! .. الاول الذى يمنعه الحب من القتل بنفسه ، ويدفعه الحب في نفس الوقت حيث تحـول الى رغبة في الانتقام ، الى دفع الراكب عنوة بتهديده بالقتل ـ أن يسـعى لقتـل المحبوبة ..

استطاع الحوار المشحون في قصـة نبيل عبد الحميد أن يصـور الواقع المتنـاقض والـلاهث في أحد المواقف الانسانية بأحسن ما يكون التصـوير . وتأتي آخر فقرة في الجزء السابق في شكل مونولوج ـ وان كان حديثا منخفضا جاء على همهمة من السائق تبينها الراكب ـ توالت فيه صور الحب في نفس الرجل وليت الكاتب قد حذف ما يدل على سماعه كراو همهمة السائق ، اذن لترك الفرصة « للمونولوج » بالتسلل خـلال العمل الفني دون عائق . وهو ما يجيده بعد ذلك في قصة الرأس والحائط (ص ٣٣) ولنقرأ معا هذه الفقرة !

« ويتراجـع ، ويندفـع ، ويرتطـم ، وتسـقط الصابونة من بين يديها على الارض .. ادفع الباب وامسـك بكتفها الباردة : ماذا تفعلين يا فتحيـة ؟ وتفتح عينيهـا ، وتتطلع الى وجهي ، وتهـرش قفاها ، جبهتها محمرة .. الخ »

في هذه الفقرة يضـعنا القاص أمام ثلاث مستويات قصصية في آن واحد ، فنحن هنا مع فاعلين ثـلاثة (هو وأنـا وهي) يوازيهـا ، سرد وحـوار و « مونولـوج » أى (حـديث عن) و (حديث مع) و (حديث في) ..

ان تداخل المستويات « التكنيكيـة » الثلاث ، العاكس للمسـتويات الدالة والفاعلة من أهم الانجازات التي يضيفها نبيل عبد الحميد كقاص سـبعيني الى عملية التشكيل الجمالي المعاصر ، ولعله اكتسب هذه الخاصيـة الجمـالية من معايشته الحميمة لفن صـديقنا الراحل الطليعي ضياء الشرقاوى الذى اسـتطاع في أعماله الاخيرة (مجـموعة بيت في الريح (١٩٧٨) ورواية الملح (١٩٨٠) ـ أن يعكس الجدل الواقعي في لغة فنية مواتية ، اعتمـد في ذلك على تداخـل الضمائر (الفاعلين) والزمن (الفعل) وتعاكس الدلالات (التضاد) ..

على نفس الدرب يسير نبيـل عبد الحميد ، فيصل الى ما يريد باقتدار ، وان كان يبذل الكثير من الجهد والعناء أثناء عملية الخلق الابداعي ..

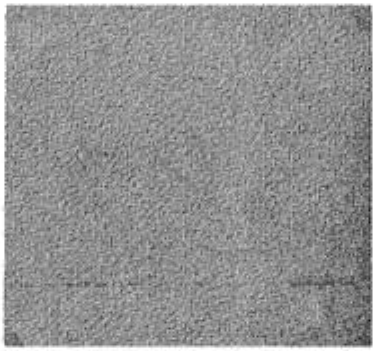
***

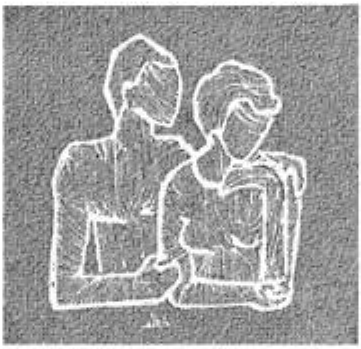
● وتعتمد قصة الميزان (ص ٩١) على الحوار اكثر من اى شيء آخر ، بل ان ما عداه لا يعدو ان يكون وصـفا للموقف الدرامي من الخارج ـ (سرد) وليته تخلص منه نهائيا ، ليعطينا فرصة اكبر للاستمتاع بما تحمل جمل الحوار المشكلة للقصة من دلالات عميقة :

« قعد الى جوارى وضـم ركبتيه الى صدره ، كان يتمتم بصـوت منخفض ، قلت :

ـ هل يتركون باب الزنزانة مفتوحا ؟
فرك المسبحة بين كفيه ،قبلها ووضعها في جيبه .
ـ ولماذا يغلقونه ؟
ـ أليست زنزانة ؟
اسند رأسه للحائط وهرش لحيتـه الطويلة .
ـ زنزانة ؟ حجرة ؟ .. كلهـا ارض الله »

كان في استطاعتنا أن نكتشف كافة أبعاد الشخصيتين المتحاورتين بعد حذف الجمل السردية بين جمل الحوار ، ولكن رؤية الكاتب التي أصرت منذ البدء على التركيز في جزئيات الواقع ورصـدها وتحريكها ، هي التي بررت له اصطناع





عنصر السرد الذى نلاحظ هنا أنه لا يقوم بدور الحكي لما حدث فى الماضى ـ رغم استخدامه للفعل الماضى ـ بل يقوم بدور التضوىء للشخصية فى الموقف القصصى فيعطينا بهذا التضوىء تجديدا لابعاد الشخصية القصصية والنفسية والبيولوجية والثقافية .

تقوم كل القصص التى اخذت « التكنيك » المعاصر على التوظيف الجيد لهذه العناصر التشكيلية . وعلى العكس من ذلك نجد بالقصص الخمس التى اعتمدت على الاسلوب التقليدى فى القص من حيث كون القصة حكاية تقال . ولهذا نجد السرد هو المنصر الاساسى فى بناء القصة ولا يكون الحوار أو « المونولوج » الداخل أكثر من حلية ، « فالمونولوج » يأتى أطول مما تحتمله القصة فى : حجم السان بسيط (ص ٤١) . ولذا فانه لا يقوم بدوره هو بل بدور السرد ، ومثله الحوار، كما نلاحظ انفصال العوالم الثلاثة بحيث يفرد الكاتب لكل منها مقطعا فى القصة ، فالاول (حديث فى) والثانى (.. مع) ، والثالث (عن) ويحتل الثالث (السرد) وحده مايساوى حجم الاول والثانى معا فى القصة (٣ = ١ + ٢) ..

كما نلاحظ من رواسب القصة القديمة اصرار الكاتب على أن يذيل لها بجزء وصفى ليست البنية فى حاجة اليه :

« أعود اذن وأحكي لهم عن كل الاشياء هل أتحرك الآن ؟ رأسى تؤلمنى .. لاسرع اذن بالعودة » ـ ص ٤٧ .

يحدث مثل ذلك فى (لعبة شهر زاد) ص ٥١ ـ و (الدوران حول السور) ص ١٣٩ وان كان الكاتب يحاول أن يخلق من الصورة رمزا فنيا لكنه لوقوعه فى الشكل التقليدى نجده يقع فى المباشرة فيفضح رمزه ، فلا يصبح فنيا بقدر ما يمثل « فزورة » قابلة للحل السريع، وهو ما يعانى عليه الفن المعاصر .

ولعل محاولة الكاتب الوصول الى القارىء الكبير (الجمهور) من خلال قصص بسيطة قريبة الاخذ هو الذى دفعه الى اصطناع هذه القصص الخمس . ولولا ان الدوران حول السور هى آخر ما كتب فى هذه المجموعة من حيث التأليف لقلت انها وزميلاتها من مرحلة اسبق فنيا على القصص الاثنتى عشرة الاخرى الاكثر نموا ونضجا من هذه ..

فى المجموعة القادمة سيتخلص الكاتب ـ بلا شك ـ من مثل هذه « التراجعات » التكنيكية لانه يسعى دائما الى الصعود للاعلى ، وقد استطاع فى هذه المجموعة ان يرتقى أكثر من درجة على سلم الصعود وهو قادر من ثم ـ على الصعود الى القمة فى عمله القادم .

من رواد المسرح العربي

ابراهيم رمزي

● مرت في الرابع والعشرين من شهر مارس الماضي ذكرى مرور ٣٢ عاما على رحيل الكاتب المسرحي المصري ابراهيم رمزي الذي يعد من ابرز دعائم المسرح العربي ، والذي اسهم اسهاما عميقا في النهضة المسرحية الحديثة في مصر ، بمسرحياته الرائدة وكتاباته المتميزة في مطالع هذا القرن

ونحن اذ نقدم هنا لمحات سريعة من حياة هذا الرائد وآثاره الفكرية فاننا نسهم في تكريم احد شوامخ النهضة الفكرية الحديثة الذين اثروا في تطوير الادب المسرحي العربي

حياته ودراسته :

ولد ابراهيم رمزي في مدينة المنصورة بمحافظة الدقهلية في السادس من اكتوبر عام ١٨٨٤ وتلقى دراسته الابتدائية بها ثم بالقاهرة حتى حصل على شهادة « البكالوريا » عام ١٩٠٦ من المدرسة الخديوية الثانوية وبعدها التحق بالجامعة الامريكية في بيروت ، ثم رحل الى انجلترا لدراسة الطب ولكنه اتجه الى علم الاجتماع ، ثم حصل على دبلوم المعلمين العليا وعلى شهادة في التعاون من كلية مانشستر عام ١٩٥٤

وفي أول حياته العملية عين ابراهيم رمزي مترجما بالمحكمة المدنية بالخرطوم

وفي اثناء عمله بالسودان زار الخرطوم الامام محمد عبده فاعجب بقدرة رمزي في اللغة العربية وولعه بالأدب الانجليزي . وبعد عودته من السودان عين مترجما في جريدة اللواء ثم رئيسا لتحرير القسم الأدبي بجريدة البلاغ ، ثم عين مترجما في وزارة المالية ونقل منها مترجما في وزارة الزراعة الى أن دعاه صديقه القديم الشيخ عبد العزيز جاويش مراقب التعليم الأولي بوزارة المعارف ليعمل معه مفتشا لمدارس المعلمين ، ثم عين سكرتيرا للجنة العليا للبعثات وظل في وزارة المعارف الى أن احيل الى المعاش عام ١٩٦٤ ، وكان وقتئذ مراقبا عاما للبعثات

ومن ابرز جهوده في هذا المجال جهوده لابقاء عدد كبير من الخريجين الممتازين في بعثات للاستزادة من العلم من جامعات اوربا وأمريكا

ترك ابراهيم رمزي وراءه ثروة فكرية ثمينة تشمل خمسين كتابا مابين مؤلف ومترجم . ولعل من ابرز آثاره الفكرية هو كتاباته المسرحية حيث تنقسم كتاباته في هذا المجال الى مسرحيات تاريخية استمد مادتها من احداث التاريخ العربي الاسلامي

ومسرحيات اجتماعية فكاهية : عالج فيها مشكلات اجتماعية واخلاقية من صميم البيئة المصرية ، وتناول فيها بالنقد الساخر اوضاعا اجتماعية معينة بهدف الاصلاح والتقويم .



ابراهيم رمزى

ومن مسرحياته التاريخية « الحاكم بأمر الله » التى مثلتها فرقة جورج ابيض واخرجها زكى طليمات و «ابطال المنصورة » وقد مثلتها فرقة عبد الرحمن رشدى ومسرحيات «البدوية » و « بنت الاخشيد » وغيرها من المسرحيات ..

وكان محور مسرحه الاجتماعى يدور حول موضوع الحرية ولا سيما حرية المرأة الحديثة التى بعثتها دعوة قاسم امين ، ونلمس فى كتابات رمزى تأثره بالكاتب المسرحى النرويجى الكبير هنريك ابسن

والى جانب هذا التراث المسرحى الكبير لرمزى ، الف كتابا فى « التعاون » وكان له الى جانب ذلك تراث قصصى، ومن قصصه التاريخية « باب القمر» و « ضيف الرسول » و « ذئاب الكوفة » حيث استوحى مادته القصصية من احداث التاريخ الاسلامى ، وقد نجح فى هذا المجال نجاحا كبيرا

الترجمة

ولا يقل نشاط ابراهيم رمزى فى الترجمة عن جهوده فى التاليف ، فقد كان واسع الاطلاع خصب الثقافة ،ومن مترجماته المشهودة كتاب « الهلال والصليب » للكاتب التركى خليل خالد الذى كان استاذا بجامعة كمبردج وكتاب « الآراء العلمية الحديثة » للعالم شارل جبسن وكتاب « المجتمع ومشاكله » للعلامة الامريكى « داو » بالاضافة الى هذه الكتب المترجمة فان رمزى ترجم العديد من روائع الادب المسرحى العالمى مثل « قيصر وكليوباترا » « لبرناردشو » و « الملك لير » و « ترويض النمرة » لشكسبير و « عدو الشعب » لابسن

السينما

اتجه ابراهيم رمزى فى اخريات حياته الى الفن السينمائى ، فانشأ مع ابن اخيه حسن رمزى « عميد السينمائيين الراحل » شركة للسينما عام ١٩٤١ اخرجت عددا من الافلام المصرية الرائعة منها « خفايا الدنيا » و « من الجانى » و « الموسيقار »

وبعد ، فان الحديث يطول من ابراهيم رمزى وجهوده الخصبة فى مجالات الادب والمسرح والثقافة والفن ومنذ وفاته لم تصدر عنه دراسة سوى كتاب الاستاذ ابراهيم درديرى بعنوان « ادب ابراهيم رمزى » وكان دراسة موضوعية جادة كشفت عن مقومات شخصيةرمزى والنتاجه الخصب وتراثه الادبى المسرحى الكبير ●

● السفير احمد رمزى ●

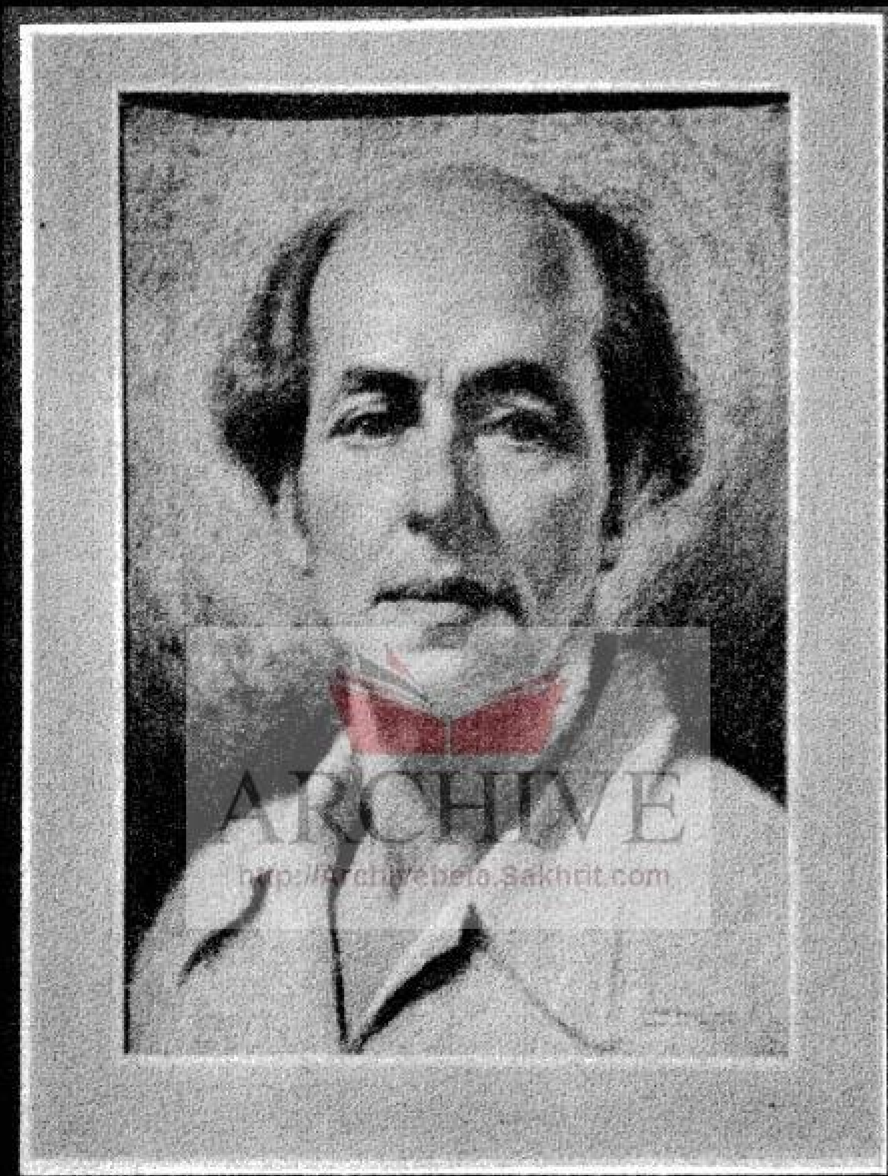
حسين بيكار

والوجه الانسانى

لقاء مع مصوّر الجميلات

● د . نعيم عطية ●

منح الفنان حسين بيكار هذا العام جائزة الدولة التقديرية ، تقدير العطائه الصادق فى خدمة الفن والنقد والأدب .. فهو استاذ لجيل الفنانين الذين درسوا على يديه بكليات الفنون الجميلة وهو ناقد لمعارض الفن التشكيلى، وشاعر يكتب مقطعات بديعة جمعت فى مجلدين بعنوان « الرسم بالكلمات » كذلك هو من العازفين القلائل على الموسيقية دقيقة مثله هى آلة البزق ان حسين بيكار رائد بارز فى كل من هذه المجالات . وهو قبل كل هذا وذاك انسان مفعم القلب بحب الخير والجمال ...



بيكار بريشة بيكار

● عدسة سعيد عبد الحميد ●

بيكار مصور الجميلات

● زرت حسين أمين بيكار فى شقته الصغيرة الانيقة بالزمالك وفى حجرة الجلوس المزدانة بلوحات تطل علينا منها عيون ودود وابتسامات حانية ، جلسنا نتحادث . ومن وقت لآخر يدخل قطه الاليف ، يجوس الغرفة يقفز الى حجر سيده حيث يرقد فى اطمئنان بضع دقائق ثم يقفز خارجا من الغرفة .

وقادنا الحديث الى « البورتريه ؟
سألت : ـ ما البورتريه ؟
فاجابنى الفنان الكبير :

ـ الانسان يعرف غيره بالنظر الى وجهه ولاتكتمل معرفته به الا بالنظر الى وجهه . ثم عرف الانسان نفسه بالنظر الى قسماته مرتسمة على صفحة الماء فى بحيرة أو غدير ثم على اديم المرآه .

والانسان ضد الفناء ، ومن اجل ذلك لجا الى التحنيط ، وآمن بالبعث ، ورسم الوجه على التابوت وعمل للملوك التماثيل .. واحد وسائل تخليد الذات ايضا « البورتريه » او الصورة الشخصية ولكن الامر لم يكن مجرد تثبيت للمعالم ، بل كان هناك عامل التسامى ايضا . فما كان الفنان الفرعونى يصور الملك فى شيخوخته او مرضه ، بل كان يلغى من صورته عيوبه وأمراضه ، كى يبدو على أجمل هيئة . وهنا دخل عنصر « التهذيب » واصبح الفنان يبدع الشىء كما يجب او كما ينبغى ان يكون . وبذلك ارتقى الفن الى درجة أعلى ومن ثم تحقق فن « البورتريه » عندما انتقل الفنان من مرحلة التسجيل الى مرحلة الصقل ...

● **ما الذى يجذبك الى « البورتريه »؟!**
ـ فى الوجه الانسانى اغراء شديد ... وكمصور لاأقاوم هيامى بالوجه الانسانى انى لاأكف عن التطلع اليه ، والتعرف على صاحبه ، والغوص فى اعماقه . وللبورتريه

طرافة خاصة ، هى المعايشة واستخلاص اغوار الشخص الذى ترسمه ، ووضع اليد على « لزمات » هذا الانسان ، وهذه لاتصل اليها الكاميرا عادة .

انك بعبارة موجزة تترقب اللحظة التى يتخلى فيها من يريدك ان ترسمه عن الاقنعة التى يختفى وراءها كى تكتشف حقيقته .

ولكن هذا ليس كل شىء فان عليك ان تبنى لوحة ، تبقى كعمل فنى .. هناك التلوين والنسيج وانسجام الالوان وغير ذلك من متطلبات بناء اللوحة ...

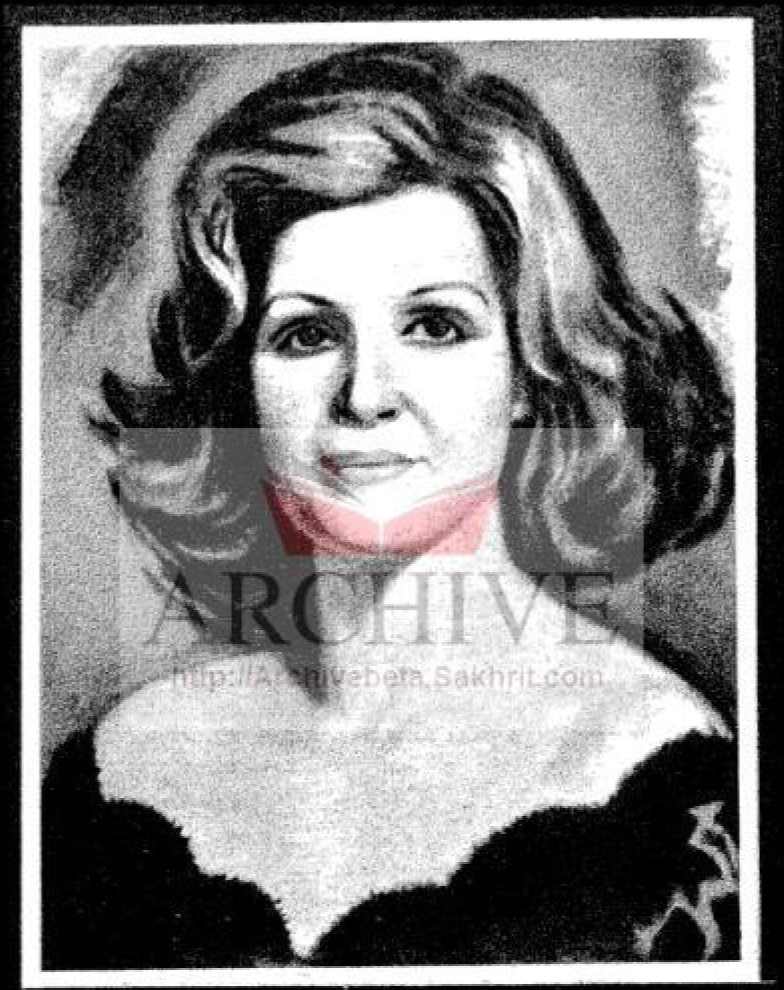
ويجب الا ننسى « الجوكندة » ذاتها ـ أشهر لوحة فى تاريخ الفن ـ « بورتريه » ـ ومن ينظر الى صورة الجوكندة لا يعرف الشخصية المرسومة بذاتها ، ولكنه يستمتع باللوحة كعمل فنى ...

❋❋❋

● **الا يمل فنان « البورتريه » من رسم الموضوع ذاته ؟**

ـ لئن كان الفنان يرسم وجوها فحسب الا انه لايمل هذا الرسم ، لان كل وجه عالم مستقل .. ووراء الصفات التشريحية للوجه ـ شىء ما ـ وعلى مصور « البورتريه » ان يقتنص هذا الشىء ، ويودعه لوحته . وعندما يجلس امامى الشخص الذى يريدنى ان ارسمه تكون لحظتى الرهيبة مع النموذج ، فانى اكون امام لغز غامض وعلى ان التقط طرف الخيط .. وانها لمسألة غريبة ومحيرة . ويمكن ان نقول انها لاتقل عن مغامرات المكتشفين .
احيانا تجد للانسان لونا ، لونا اثيريا او ترابيا ، او ورديا . وهذا اللون هو الذى اجمله غالبا فى كل لوحة .

ويعتبر اختيار المناخ الذى يتفق مع



احدى الزهرات التي حظيت بريشة بيكار..
ويقرن الفنان جمال الروح بجمال القسمات

بيكار مصور الجميلات



بخطوط بسيطة ولمسات سريعة يثبت بيكار قدرته كفنان مبدع



ليست المرأة مخلوقا جميلا فحسب بل هي انسان عزيز النفس موفور الكبرياء

ـ بيكار مصور الجميلات

الشخص المصور خطوة هامة في بناء لوحتي . ان كل انسان يفرض مناخا لونيا معينا . انظر الى لوحة الاستاذ حسن فهمي ما الذي جعلني اختار لها اللون البني القرمزي . بينما اخترت للوحة السيدة نجوى ابراهيم . النجمة المشهورة ، اللون الازرق الاثيري ؟

انه امر توحي به الى شخصية الذي ارسمه دون ان استطيع تعليل ذلك منطقيا . والواقع ان هناك تعليلات اخرى غير التعليل العقلي في العمل الفني .

● هل يضايقك ان تصور شخصا دميما؟

ـ لا يوجد شخص دميم واخر غير دميم .. هناك انسان يستهويك ان ترسمه دون ان يكون جميلا بالضرورة ، ولكن فيه عطاء تشكيلي . فالجمال هنا ليس الجمال « الجنس » بل الجمال الانساني .

ان بعض الوجوه مسطحة لا تعطى ولا تجذب بينما هناك وجوه معبرة تشتهي ان تصورها حتى لو لم يطلب منك صاحبها ذلك .

● هل يمكن ان تعتذر عن رسم انسان معين ؟

ـ هذا صعب .. لان البورتريه فن من اصوله انه بناء على طلب وعلى الفنان أن يعالج الموقف الذي يوجد فيه .

● وماذا عن اصوليات هذا الفن أيضا؟

ـ لا يوجد في الدنيا ـ حتى القبحاء ـ من يقبل ان يرى نفسه مشوها . ويستبعد الكاريكاتير في هذا المقام . لان الكاريكاتير ليس من فن « البورتريه » . ويكل صدق اذا سألنا احدا هل تحب ان تكون صورتك مشوهة . سيجيب بالنفي ومن ثم يتبين مدى التزام مصور « البورتريه » ببعض القوانين الاخلاقية والنفسية .. وعلى ذلك فانني لا اؤمن بالبورتريه التكعيبي الذي تتلاشى فيه في النهاية سمات الشخص المصور ،

الى تصبح اللوحة مجرد عمل فني لذاته بعيدا كل البعد عن « البورتريه » .

لان نكهة البورتريه انك تكاد تريد ان تلمس بشرة الشخص او تصافحه او تحضنه او تسمع صوته وهو يطل عليك من اللوحة الصامته التي رسمت له .

ان البورتريه في نظري « فن الحيوية » او التدفق الحيوي ـ هذا هو « البورتريه » الجيد .

● هل يعني ذلك انه لا توجد مذاهب او مناهج « للبورتريه » ؟

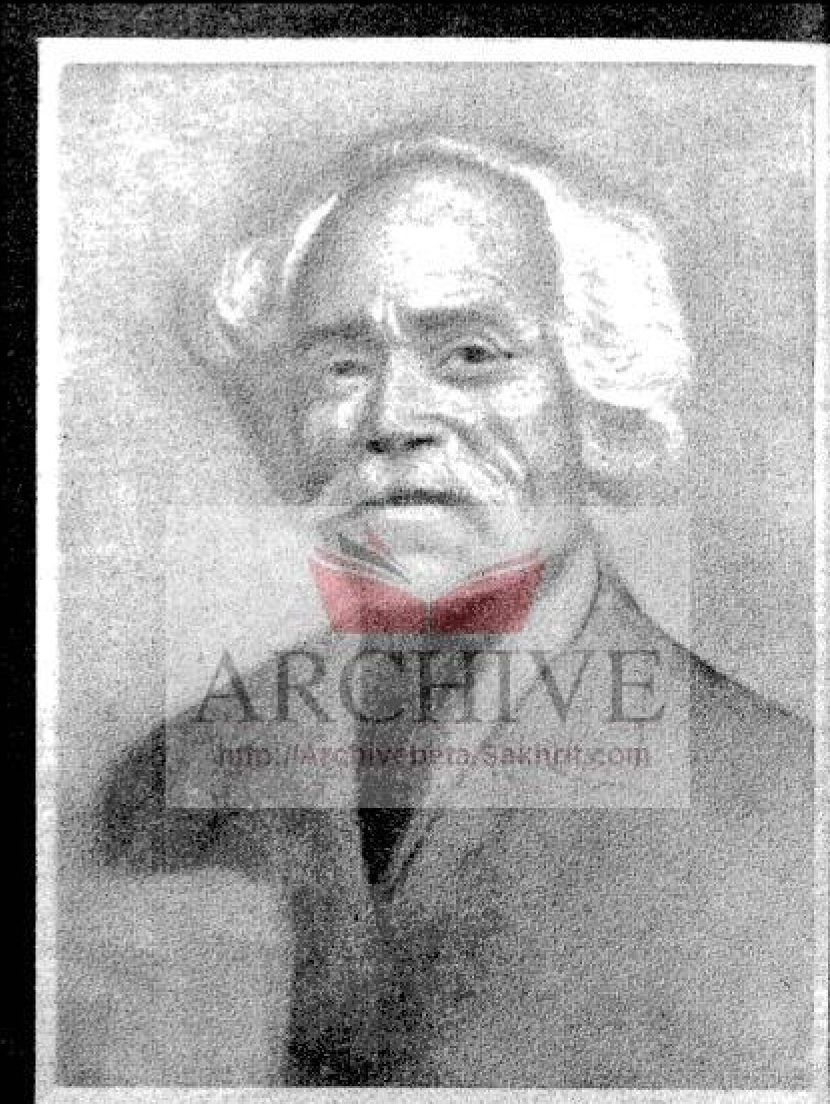
ـ هناك « البورتريه » السريالي ، والتأثيري والحوشي ، والتعبيري ، والتكعيبي ... ولكن البورتريه الذي أقدمه هو البورتريه الملتزم الذي يتحاشى الشطحات وانا بطبعي انسان مجامل على ان المجاملة ليست هي « النفاق » .. وهذا ينعكس على « البورتريه » الذي اصوره .

فمثلا احب الانسان الذي يقابلني ان يقابلني بوجه باش وليس بوجه مقطب .. ولهذا فانني اثبت في لوحاتي القيم النبيلة والجميلة في الانسان .. الحزن مثلا ارسمه حزنا جميلا . انني استعير من الشخص الذي ارسمه الملامح التي تبجله ولكن كل في اطار « الصدق » ايضا .

● ما هو مدخلك لرسم الشخصية ؟

ـ ان المدخل الاول والاصل الى الشخصية التي ارسمها هي « ابعادها » وكلما استطعت ان اضيف في لوحتي سمات مميزة لهذه الشخصية سواء من مهنتها او مكانتها الاجتماعية او مكوناتها النفسية كلما ارتفعت قيمة العمل كبورترية

وفي كثير من الاحيان تحدث لدى عملية تقليب ، فقد يأتي الى محام ولكن الانطباع الذي تعطيه لي شخصيته ليس



ليست الوسامة مقصورة على الشباب ، فالوسامة والرجولة صنوان

بيكار مصور الجميلات

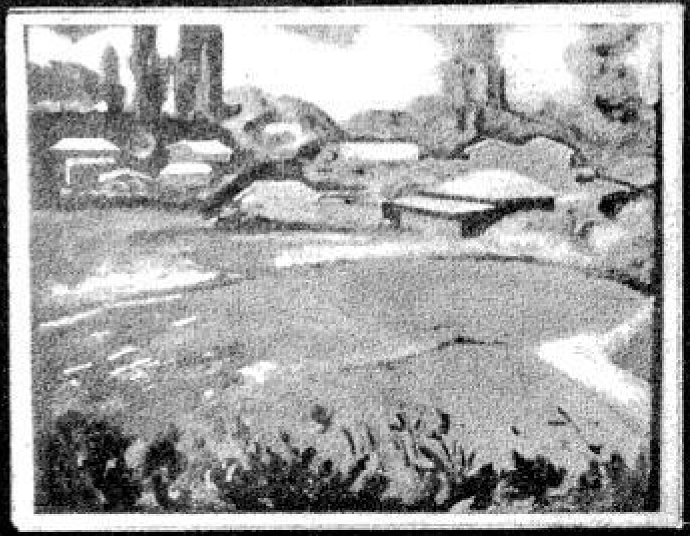


احدى الجميلات مستغرقة فى تاملاتها . وقد
حقق استخدام المرآة كخلفية عمقا فى الايقاع



لايغفل الفنان التفاصيل الصغيرة وقد عالج الثوب
وطياته المتعددة وحزامه المنقوش بمهارة فائقة

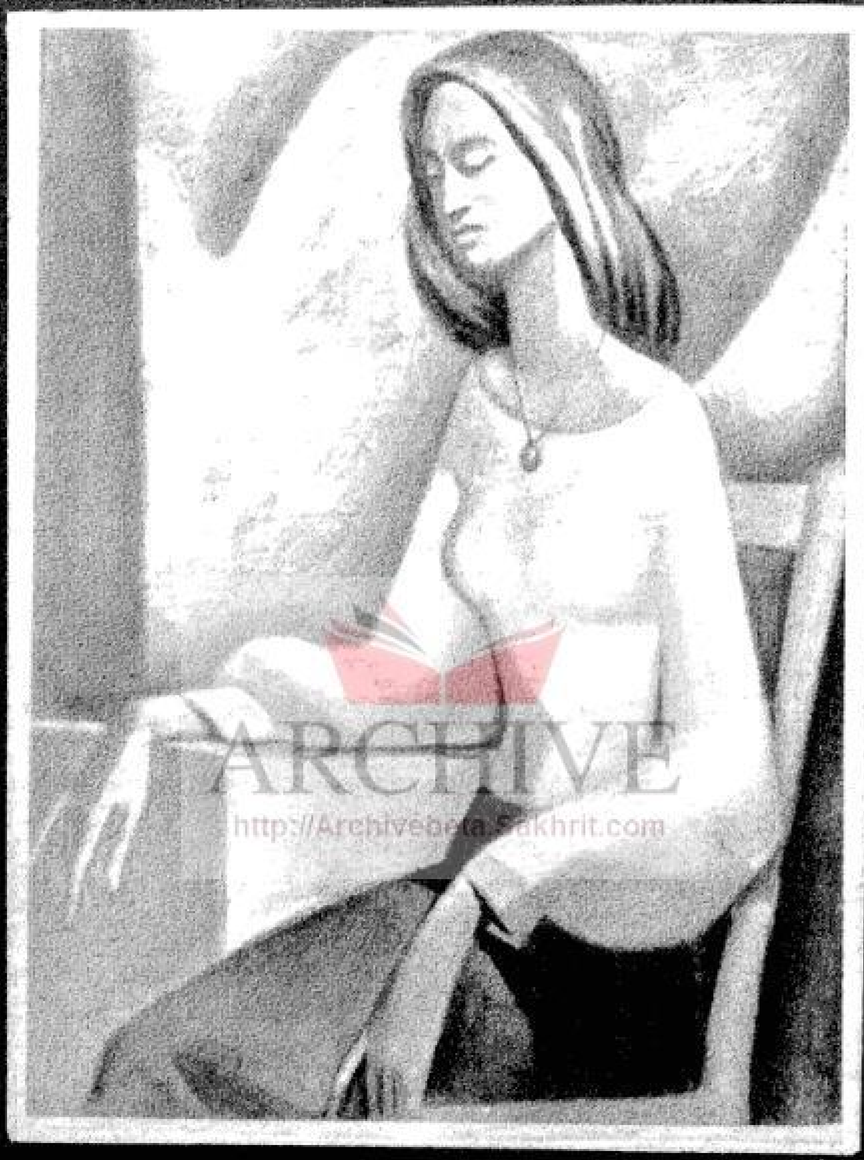
بيكار مصور الجميلات



أحب بيكار الرحلات . وقد زار بلادا كثيرة .
صور مناظرها اجمل اللوحات .



الجمال ليس فى الجميلات فحسب ، بل وفى
تراثنا المعمارى . انظر .. كم هو جميل هذا
البيت النوبى ؟



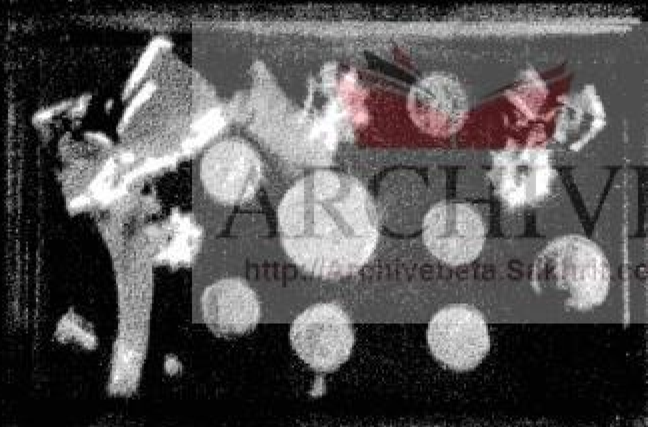
دميلة تعيش في خيال الفنان . . وهو يرسمها كالموسيقي
الذي يتدرب على مقطوعة قبل ان يعزفهـــا . . . .

بيكار مصور الجميلات



لا يرسم بيكار الصورة لتشاهدها بل لتعيش معها . والآن بعد ان
رأيت هذه اللوحة قد لا تستطيع ان تنساها !





حصـــــل بيكار عن
جدارة على وســـــام
الاســـــتحقاق من
الدرجة الأولى وكثير



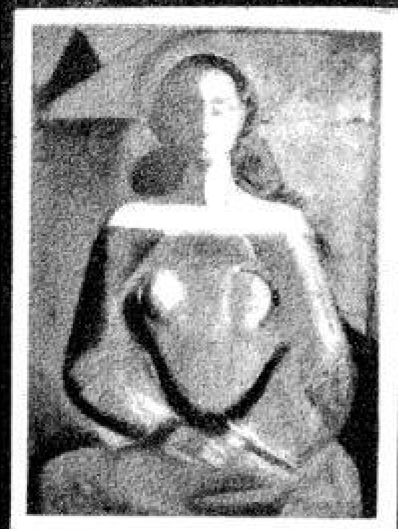
بيكار مصور الجميلات



اللغز الذي يطل من عين هذه الفتاة يذكرنا بأعمال أخرى لبيكار غير « البورتريه »



النظرة الى بعيد ، واللفتة الرقيقة ، والوقار في المعالجة من سمات فن بيكار



رسم حضري للوحة [illegible] الفنان .

ارتباطه بالمهنة قدر ارتباطه بالشعر او بالاحاسيس الرفيعة . وفي هذه الحالة يحدث تأكيد لهذا الجانب ، ويتراجع في لوحتي الجانب المهني فيه .

والتغليب عملية نجربها حتى في النسب التشريحية لاعضاء الجسم المختلفة ، فقد يحدث مثلا أن تبرز الانف . او نؤكد العينين أو حركة الحاجب في ارتفاعه او انخفاضه اننى عندما يأتيني الشخص لارسمه أجري في داخلي عمليات تقييم لهذه الشخصية يمكن أن تسمى ((مساومات تشكيلية)) تتمثل في تغليب عناصر على عناصر ، واقصاء بعضها دون البعض الاخر حتى احصل في النهاية على عمل يرضي الشخصية ويرضيني ـ ويرضى هنا بمعنى ان تسعد دون ان تبخس بالقيم الفنية .

ـ ماذا قدمت في بورتريهاتك ، وماذا تتمنى ان تقدم ؟ ـ

ـ وانا عملي في بورتريهاتي ، لان هذا مطلب العصر . ويبدو ذلك في اختيار حجم الصورة ، والخامة ، ووضع الانموذج ، وتخفيض عدد الجلسات . واني وان كنت في اغلب لوحاتي قد صورت شخصية واحدة وفي وضع لاتتجاوز النصف العلوي من الجسم الا انني اتمنى ان اصور لوحات تتضمن الشخصية في وضع الجسم الكامل ، ولوحات تتضمن اكثر من شخص : كلوحة تتضمن اسرة بالكامل من اب وام واولادهما . وكذلك اتوق الى البورتريهات في الهواء الطلق ، كما فعل الانطباعيون ، كأن اصور فتاة في قارب على سطح النيل ، ولا اقتصر على الانموذج داخل غرفة . ولعل كل هذه امنيات أرجو ان تتحقق ، فان فن البورتريه فن غير محدود وواسع المدى وغير محصور بمكان اوزمان .



الرجال نصيب كبير في لوحات بيكار . وهذا هو صديق له قديم

بيكار مصور الجميلات



حسناء تطل علينا بنجيمة الجمال

الايمان

● د. عزت شندي موسى ●

عش على الايمــان طابا
ولسوف لا انضو الثبابا
من طاف في افق الجمـا
ل يذوب شوقا وانتحابا
او ذاق غـــدرات الرفا
ق وشــام بينهم الذئابا
وتجــرع الـكاس التى
جرعتها فى العيش صابا
او كان قد عرك الحيــا
ة كما عـركت خبا وشابا
انا لا ازال ارى الحيـــا

***

ة سعادة ليست عــذابا
متفائلا لا اســـتجيب
الى التشـــاؤم ان اهابا
واحب اجــواء السرو
ر ولا احب الاكتئـــابا
وارى امـــانى الفــؤا
د حقيقـة ليست سرابا :
ولذا ســـــاحفظ ما حييت
طوال ايامى الشبابا ..

***

واحب ازهار الربيـــع
تبيت تستجدى السحابا
وتروقنى الاطيــار تحتل
الخمــائل والهضـــابا
ويطيب لى ان ارشــف
الراح المصفى والرضابا
واذوق نشــوانا رحيق
الروض والعطر المذابا
ولذا ساحفظ ما حييت
طوال ايامى الشـــبابا ،

***

والعجز ليس وسـيلتى
بل آخذ الدنيا غــلابا ..
لا انثنى عن نيــــل آ
مالى ولا انسى الطـلابا
واذلل العقبـات مقـدا
ما واقتحم الصعابا ..
متوكلا ارجـــو المهيمن ان
يقـــدر لى الصوابا
ولســوف احفظ بالتوكل
فى مدى العمر الشـــبابا



الفن

بين الأصالة والتقليد



اماديو موديلياني

• عزت محمد أبراهيم •

يقلق بال المشتغلين بالفن هواية واحترافا ومتاجرة ، ما يكون بين الحين والحين من تقليد لوحات الفن الشهيرة تقليدا متقنا يبعد مظنة التقليد والمحاكاة حتى على ارباب الصنعة انفسهم •

وقد قيل فيما قيل في هذا الصدد بأن واحدا من هؤلاء البارعين في التقليد يدعى « جان بيير شيتكرون » قد بلغ غاية البراعة في التقليد والمحاكاة الى الدرجة التي يعز معها التفرقة بين الاصل والمحكي حتى على صاحب الاصل ذاته ، وكان هذا المقلد المحتال يعيش في سعة وبحبوحة في باريس ـ ولعله لا يزال ـ التي يتخذها مركزا لنشاطه •

ولا يدخل هذا المقلد المحتال في عداد الفنانين ، ولا يحسب من زمرتهم ، لان الفنان يأبى على نفسه الهبوط الى حضيض التزوير والتدليس والغش والسرقة التي تعرضه لعقوبات السجن وفرض الغرامات ويتساوى في ذلك مع لصوص الاعراض والاغراض والعقار والمال ، وبئس الدرك يهوى الى حضيضه منتسب الى الفن بأية حال •

ومثله يؤثر عاجلة الفن على آجلته فيبوء بالخسران ، ومهما تبه فيه فهو لا يخلو من موهبة الفن على نحو من الانحاء ، ولو انه حاول أن يستغل موهبته في الابداع لربما كان قد خطا في ميدانه خطوات ، وليس من المستبعد أن يكون واحدا من المشهورين المجيدين على غرار الذين يحاول تقليدهم ، ولكنه آثر أيسر السبل لحياة البحبوحة والرخاء ، فهبط بنفسه الى حضيض ما بعده حضيض ، سواء أكان فنانا أم مجرد انسان •

وليس ايثار رغد العيش هو سبيل الفن ، وانما سبيله التحمل والمعاناة ، والتضحية والجهاد ، وقل من الناس من يصبر عليها ، فاذا صبر فهو الفنان الخليق بصفة الفن ، الجدير بشاراته وسماته •

وقد قيل ان لوحات الفنان الايطالي الشهير « أماديو مودلياني » تثير مشكلة متشابكة معقدة ، فبعضها ليست له ، وان كان توقيعه عليها ، لا سبيل الى الشك فيه



طه حسين



حافظ ابراهيم



محمود سامي البارودي

والسر في ذلك انه كان يوقع على لوحات اصدقائه الفنانين ممن ليس لهم حظ شهرته وذيوع صيته ، فيضمن لهم بذلك النفع والفائدة والاجر الحسن في سوق البيع والشراء ، وفاء بحق الصداقة ، ورفدا من عند نفسه ، وقياما بواجب الحب والايثار، وذلك عمل آخر من أعمال الغش والخداع مهما كانت الغاية من ورائه .

ولا نكران لاثر الاسم الشهير على الناس بغض النظر عن المضمون والمحتوى رفعة وانخفاضا ، والشواهد على ذلك كثيرة لا يكاد يبلغها الحصر ، وقد قيل ان الجاحظ كان في مبدئه ينسب الكتاب الى نفسه فلا يأبه به أحد، ويعزوه الى شهير من المشاهير فيتهافت عليه الناس .

وينشد بيت الشعر منسوبا الى نكرة فيقال لا جرم أثر التوليد ظاهر فيه ، استهانة به وتهوينا من قدره.. ويرد الى صاحبه من المشاهير فتهتز له الجوانح طربا ... ويقال مع التمايل والاهتزاز : انه والله لهو الديباج الخسرواني .

وتدور الدورة مع نضج الجاحظ واكتماله فاذا كان ينسب الى سواه طلبا للرواج ، فقد نسبوا اليه من بعد ما هو منه براء ، وليس بالقليل ما هو اليوم « منسوب الى الجاحظ » مما بين أيدينا من تآليفه وتصانيفه .

والى عهد قريب كان كتاب «نقد الشعر» ينسب الى ابن قدامه حتى قيض الله بصاحبه من يرد له الفضل وهو نكرة مغمور اسمه ابن وهب ورأى ناسخ الكتاب - او ناشره بلعه العصر - كان اسم مؤلفه لا يحقق له رواجا فنسبه الى ابن قدامة ، ... ومن يدري لعله كان يرفع من ذكر صاحبه ابن وهب ويضفي عليه مجدا لو ان الامور كانت تسير في نصابها الصحيح ولكن الناس لا يزالون يعرفون الحق بالرجل ، ولا يعرفون الرجل بالحق .

وما كان يحدث في ازمنة متقادمة يحدث مثله اليوم، وقد نسب ناشر كتابا بعنوان « ادب الدنيا » الى طه حسين ، وكان لا يزال على قيد الحياة فسارع الى نفي نسبة الكتاب اليه في مقال له بعنوان « حماية الآداب » وهو بعض فصول كتابه « من لغو الصيف »

ومن دواعي طلب الشهرة والرواج ما يكون من النسج على منوال ما اشتهر من الاعمال تيمنا بها ، وتطلعا لمثل ذيوعها وانتشارها ومكانتها ، وقد حذا حافظ ابراهيم في « ليالي سطيح » حذو محمد المويلحي في « حديث عيسى بن هشام » لما كان لها من شهرة وذيوع ، ولما غدا لها من مكانة واعتبار ، ولا ضير في ذلك ولا ملمة ولا افتئات فيه على أحد من الناس ، وانما الضير والملمة والافتئات في السرقة والنسبة والاختلاق ، ولا يزال لها اليوم سوق رائجة على قدم وساق قائمة .

واذا كان في وسع الاحياء ان يدفعوا عن انفسهم شر النحل والاختلاق وأن يردوا عن انفسهم كيد السطو والسرقة فماذا يصنع الموتى وليس في وسعهم وسع .

ولامر ما قال ابو العلاء يوما ما :

لا تظلموا الموتى وان طال المدى
اني أخاف عليكم ان تلتقوا

قصة

الملكة

● عبد المنعم محمد موسى ●

● استيقظ زقاق مرزوق قبيل الفجر على صراخ رهيب لا عهد للزقاق به • أضيئت الانوار المطفأة .. وفتحت الشبابيك المغلقة .. وأطلت رؤوس النساء والاولاد ، ونزل الرجال بملابس النوم وقد ملأ نفوسهم الجزع ، يسعون أسباب هذا الصراخ .. ولكن الزحف توقف فجأة عندما تبينوا أن مصدره هو بيت « الست توحيدة » الملكة غير المتوجة للزقاق .. ونظروا بعضهم الى بعض يتساءلون : هل يصعدون .. فقد كان هذا البيت منطقة محرمة على أهل الزقاق لا يدخله الا من تسمح له بذلك هي شخصيا ..

ولم يكن الامر كذلك يوم كانت توحيدة شابة صغيرة • كانت زينة الزقاق يتمناها كل شبابه ، بل شباب الحي كله .. كانت جميلة ، فارعة ، ملفوفة ، كانت شيئا فريدا فى هذا الزقاق الذى اشتهر نساؤه بسوء المظهر والشراسة •

ومنذ شب عودها وهى محل تطلعات الصغار والكبار على السواء • ولكن توحيدة التى ولدت لوالدين فقيرين جدا يحصلون على لقمة العيش التى تسد الاود بشق الانفس ـ قررت أن تثور على فقرها الشديد بالزواج من رجل غنى • ولم يكن امامها فى الزقاق غيره : المعلم مرزوق ، الذى يملك نصف بيوت الزقاق تقريبا ..

وهكذا قررت « اقتناصه » ، لم تهتم بأنه يوشك على بلوغ الخمسين ، أى انه فى سن والدها • المهم فى نظرها أن تهرب من فقرها ، أن ترفل فى الدمقس والحرير وأن تقتنى الذهب .. أن تكون لها مائدة حافلة بأطيب الطعام .. أن تذوق طعم الفستق بدلا من الترمس واللب ! .. ان الفقر يوشك أن يقضى على جمال شبابها ! •

ولم يكن عسيرا على توحيدة أن تصل الى غرضها • فقد كان المعلم مزواجا ، لا يكاد يعجب بامرأة حتى يسعى الى زواجها ، خاصة وانه كان يبحث عن الذرية التى حرم منها رغم تعدد زيجاته .. وهكذا سعى اليها المعلم المتصابى • ولكنها اشترطت عليه أن تكون الوحيدة على ذمته ، وخضع العاشق الولهان • وكانت هذه بداية الشرور التى أصابت الزقاق بزواج المعلم من توحيدة .. ثم تتابعت الشرور !

توطدت مكانة توحيدة فى قلب المعلم لانها أنجبت له ، وغرق الرجل فى سعادة الفرحة بالذرية • وخضع تماما لها الكلمة كلمتها ، والرأى رأيها .. ولم يعد يقيم وزنا لاحد غيرها •

وبعد ان اطمأنت توحيدة الى المعلم ، استدارت الى اهل الزقاق لتفرض عليهم سلطانها ، وكانت لها على ما تتميز به من انوثة ـ قوة بدنية ضخمة ، فكانت تفتعل أسباب الشجار مع الجميع ، وتخرج منتصرة فى كل معركة ، حتى خشيها الجميع ..

ولم تكن تتشاجر حبا فى الشجار ، فلم يكن الشجار الا وسيلة لغاية خططت لها بعناية : أن تمتلك بيوت الزقاق كله! .. وشرعت ترهب مالكى البيوت بالخناق تارة ، وبأعمال التخريب تارة أخرى ، حتى آثر الجليهم السلامة وباعوا لها ما يملكون ورحلوا الى غير رجعة ... وهكذا أصبح المعلم مرزوق والست توحيدة يملكون الزقاق بأكمله ..

ورغم نشأة الاملاق والفقر المدقع التى كانت عليهما توحيدة وأسرتها ، فانها لم ترحم أحدا من السكان الذى يحول فقرهم عن دفع الايجار الشهرى • كانت

تتخذ اجراءات طـــردهم على الفـــور ، لا تستمع الى توسلاتهم ، أو تلين لتعاسة حالهم .. كانت تفرح فرحا « وحشيا » لخلاصها منهم واختفائهم من وجهها .. كانت تكره الفقر ، وتكره رؤيته . وكان هؤلاء التعساء يجسمونه لها ، لهذا كانت ترفض بقـــاءهم فى الزقاق مهما كانت الاسباب !

وعلى عكس ما توقع الكثيرون من أهل الزقاق ، كانت توحيدة تزداد شراسة كلما زاد دخلها .. كان منظر الفقـــر ينزع الرحمة من قلبها فتنقلب عند رؤيته الى نمرة مفترسة تعصف وتمزق وتنزل به وبأهله الضربات القاسية .. وكم من عائلات شردت وبيوت تهدمت من جراء قسوتها وظلمها .

واصبح نهمها للمال وزيادة دخلها هو شغلها الشـــاغل ، وهكذا فكـــرت فى التجارة وكانت لا تستنكف الاتجار فى اى شيء ما دام يدر دخلا ويزيد رصيدها حتى الجـــرائد القديمة كانت تجمعهـــا وتبيعها لمحال البقالة والفاكهة والعطارة . وفى احدى جولاتها لتســـويق جرائدها القديمة ذهبت الى محل عطارة بالأزهـــر تعرض عليه ما معها ، حين دخلت سيدة تسأل عن برطمان « مفتقة » فاعتـــذر التاجر بنفاذ الصنف . ولمعت الفكرة فى ذهنها لماذا لا تصنعها وتبيعها ..

لقد كانت أمها تصـــنعها لهـــا وهى صغيرة ، بل لقد اشتهرت بها فى الزقاق وعلى الفور اتفقت مع التاجر على توريدها له .. وهكذا بدأت مرحلة جديدة فى حياة توحيدة حولت غرف سطوح بيتها الى مصنع صغير . بدأ العمل فى البداية بإشراف امهـــا وتوجيهها ، ثم لما توفيت الأم تولت هى الأمـــر ، واســـتطاعت بحسها وذكائها ان تضيف الى المواد التى تصنع منها « المفتقة » بعض الاضافات التى جعلت لها مذاقا أفضل وأحـــلى .. وبالطبع احتفظت بالسر لنفسها ، لهـــذا كانت تقـــوم بالعمـــل فهى التى تشترى المواد ، وهى التى تؤلف خلطتها ، وهى التى تقلبها فى الآنية الضخمة التى تعد فيها ، وتترك للفتيات عبء التعبئة فى « البرطمانات » وتســـويقها الى محال العطارة والبقالة ..

وحققت لها هـــذه الصناعة مكاسب مستمرة كانت ســـعيدة بها . ورغم مكاسبها الهائلة كانت شديدة الغلظة فى معاملة معاوناتها من الفتيات تحاسبهن على الدانق والمليم وتشـــتد فى تعنيفهن اذا أخطأن او تسببن فى تحطيم « برطمان » .

كانت توحيدة تتحول شيئا فشيئا الى كيان شره يتفنن فى جمع المال ، نزعت الرحمة والشفقة من قلبه ، وعلى استعداد أن يدوس على كل من يقف فى طريقه !

وفى تلك الليلـــة التى انبعث فيهـــا الصراخ ، كانت توحيدة وفتياتها ساهرات لانجاز « طلبية » مفتقة لاحد تجار الأزهر .. ونعست احدى الفتيات الصغيرات من طول السهر فوقع منها « برطمان » على الارض وتهشم .. وكانت توحيدة أمام اناء ضخم تقلب فيه خليط « المفتقة » على النار وقد انعقد قوامه حتى أصبح أشبه بغراء سميك سائل .. وعندما تهشم « البرطمان » أصيبت توحيدة بغيظ حانق والتفتت ثائرة الى الفتاة ، وفى التفاتتها دفعت المغرفة الضخمة التى تقلب بها اناء « المفتقة » على النار ، فانقلب الاناء بما فيه على جسمها . وانسال الخليط اللزج على فخذيها وأرجلها العارية ، وصرخت من النار والالم المرعب ، فقد التصـــق الخليط الملتهب بلحمهـــا ، وفشـــلت الفتيات الصغيرات فى مسحه عن جسمها .. كان الخليط اللزج الملتهب قد التصق باللحم وانبعث من التحامه به رائحة أشبه برائحة الشواء على الفحم .

ونقلوها بين الحياة والموت الى مستشفى خاص قريب .. وبقيت شهورا به بذل فيها الأطباء جهودا مضنية لانقـــاذها . ولكن التشوهات اصابت الجسم الجميل الملفوف ولم تفلح عمليـــات التجميـــل العديدة فى اصلاح ما فسد .

وخرجت توحيدة من المستشفى كائنا آخـــر .. ان النار التى احرقت لحمهـــا وشوهت جسمها فى أماكن عـــديدة قد طهرت نفسها .. والالم الذى عانته قد فتح عينيها على معنى الألم وكيف يسحق النفوس ويذل القلوب .. ان الكيـــان الشره والشرس قاسى القلب عابد المال قد أفاق وأدرك بعد هذا الثمن البـــاهظ ان الحياة طيبة ، جميلة ويجب ان نساعد على أن تســـتمر جميلة .. بالحب .. والحنان .. والمغفرة .

● عبد المنعم محمد موسى ●
مدير عام دار الكتب القومية

«الرجل الفيل» يثير الزوابع فى انجلترا

● مادى غضبان ●

● ما زالت الافلام المقتبسة عن قصص ادبية ، هى التى تحتل المكانة الاولى فى عالم الجوائز ..

ولعل ذلك يرجع الى الفكرة والاسلوب الادبى الراقى الذى تكتب به القصة الاصلية ، والخيال الذى يتميز به الكاتب الروائى عن غيره ، ويرجع ايضا الى كتاب السيناريو ومدى جودتهم فى ابراز هذا العمل الادبى ..

وكم من قصة « سينمائية » حازت اعجاب النقاد والجماهير ونالت اكثر من جائزة فى اكثر من مهرجان نظرا لما تضمنه من مواصفات النجاح وعناصر الجودة الفنية التى تؤهلها للفوز بالجوائز

والقصة الادبية التى نتحدث عنها ، والتى اخذتها السينما وصنعت منها فيلما اثار دهشة الجمهور والنقاد ، وحاز على خمس جوائز حتى الآن ..!

– هى «الرجل الفيل وذكريات اخرى» للكاتب الانجليزى : سير فريديك تريفز التى كتبها ابن عهد الملك ادوارد السابع ملك انجلترا ، ولم تنشر الا فى عام ١٢٣ حين اكتشفها احد الناشرين – صدفه – عند احد الناس – وكتاب آخر بعنوان « الرجل الفيل ودراسة عن قيمة الانسان » ، للكاتب « آشل مونيجو » .

وقام بكتابة السيناريو لها ثلاثة من ابرز كتاب السيناريو فى انجلترا ، هم كريستوفر دى فور ، و اريك بيرجرن ، ديفيد لينشى – والاخير هو الذى قام بعملية الاخراج ايضا ...

وقد اشترك بالتمثيل فى الفيلم مجموعة من أشهر ممثل المسرح الانجليز هم : أنطونى هوبكنز ، وجون هيرت ، وآن بانكروفت ، وسير جون جيلجود ..

ولتوافر العناصر الثلاثة التى اعطت

لقطة من فيلم « الرجل الفيل » الذى عرض فى انجلترا واثار ضجة كبيرة



للفيلم أسباب النجاح ، نال ما ناله من جوائز عالمية .

والقصة تحكي « حياة رجل ضخم الجثة غريب الهيئة .. يشبه الفيل في ملامحه وصلابة عوده ، وأيضا في شكله العام .. هذا الرجل يعيش حياته لغيره من الناس ، حيث يعمل في سيرك ، ويقدم فقرة من الفقرات ، لا يقوم فيها بأداء أي لعبة من اللعبات سوى أنه يقف فقط ، ليتفرج ، عليه الناس ! ..

ويراه أحد الاطباء الجراحين ، ويأخذه الى المستشفى التي يعمل بها ويحاول ان يجعل منه انسانا عاديا .. ويطلب من المسئولين الابقاء عليه في المستشفى ولكن مدير المستشفى يرفض ذلك ، خوفا على النزلاء من وجوده بينهم .

الا ان الطبيب يقوم بمحاولاته حتى يستبقيه ويقوم بتلقينه الكلام ، وينجح في مهمته ، فقد بدأ ، هذا الرجل الفيل ، ينطق بما يقوله له الطبيب ، واستطاع أن يحفظ أناشيد التوراة ، الامر الذي اقتنع به المدير وجعله يوافق على بقائه بعد أن كان رافضا بحجة أنه يحفظ مالا يفهم ، وأنه مجرد ببغاء لا فائدة منه . وأولى له أن يعود الى السيرك كي يشاهده الناس فقط ! ..

ويعرف الناس حكاية الرجل من الجرائد التي بدات تنشر أخباره وعن طريق أحد حراس المستشفى الذي استطاع تهريبه الى جماعة منهم التقوا به وتحدثوا معه ، واكتشفوا أنه انسان يملك ما يملكون من عاطفة وأحساس ومشاعر ، حين عرضوا عليه بعض « الصور الفوتوغرافية » وعرفها ،وأخرج من جيبه صورة لامرأة حسناء ، أخبرهم بأنها أمه ،التي حدث لها وهي في الشهر الرابع للحمل أن « داسها » فيل .. وحين وضعته ، جاء هو في صورته التي هو عليها !

وتواترت في أنحاء البلاد أخباره ، الى أن عرفت بقصته الممثلة آن بانكروفت التي تقوم بأحد الادوار في الفيلم ، فذهبت اليه وأخذته معها في كل حفلاتها التي قامت بها على المسرح ، وفي واحدة منها ، وبعد الانتهاء من دورها ،



آن بانكروفت

أخذته من يده وقدمته للجماهير ،وأعلنت أنها تقدم هذه الحفلة تشريفا له ، ومن أجله . وصفق المشاهدون « للرجل الفيل » تصفيقا حارا ..

وعاد الى مأواه ، لينام ويحلم بأمه التي ماتت وتركته .. وتتحرك فيه ذكريات الماضي ، وآلام الحاضر ، وتذرف عيناه الدموع ويروح في غيبوبة تامة ، يفارق بعدها الحياة » .

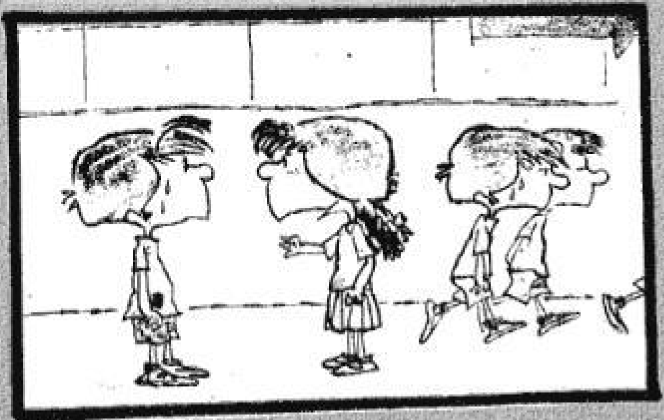
تلك هي القصة التي عالجها الفيلم الانجليزى « الرجل الفيل » ـ والتي نجحت نجاحا جماهيريا ساحقا ـ فالانجليز بطبعهم يحبون الشيء المثير .. وبالاضافة الى أن السيناريو والاخراج قد لعبا دورا هاما في ابراز الاحداث المليئة كلها بالمشاعر والتي توضح الى اي مدى يتمتع الانسان أيا كان وفي اي صورة هو عليها ـ بتلك الاحاسيس وبهذا الشعور وبالعاطفة التي خلقها الله فيه ، بصورة أكثر من اى مخلوق آخر .. وتوضح كذلك قيمة الانسان . وكيف انه لابد أن يشعر كل فرد باحاسيس الآخرين ويعمل من اجلهم ويتعاون معهم

كاريكاتير
جيل جديد جدا



الولد لأبيه : إيه الحكاية .. مصروفي إللي عشرة جنيه بس ! .. إيه .. إنت فاكرني شحات ولا إيه ؟!

البنت للولد : لا مدارس ولا شهادات بقى لها مرتبات تكفي ! ... ما تيجي بينا أنت تطلع سباك وأنا أطلع خياطة .. ونطلع أغنى ناس في العيلة !



الولد لابيه : عشان بس ما تزعلش من [illegible] الضعيفه اللى انا باخدها فى المدرسة .. ادينى [illegible] عبقريتى فى اللعب !



الولد لابيه : فعلا يابابا انا عاوز اطلع طويل كده زى حضرتك بس ابقى حاجة تانية .. حاجة احسن ! ..



الولد للبنت : انا رايح المصيف ، وزى ما انتى عارفه بقى الواحد لما يصيف بيغير كله!! المصيف له معارف واصحاب [illegible] غيرهم ! ..



تذكرة تفوق

اللغة الانجليزية وطلبة الثانوية العامة

• د. جرجس فؤاد الرشيدى •
• مستشار اللغة الانجليزية •
• بوزارة التربية والتعليم •

تحدثنا فى اخر لقاء بيننا عن Practice and Progress وقلنا انه الكتاب الرئيسى الذى يستمد منه الطلاب معلوماتهم اللغوية ويتدربون من خلاله على استعمال اللغة ، ولكن يدرس طلاب الثانوية العامة كتابا اخر هو Nucleus General Science فى القسم العلمى Tales from Shakespeare فى القسم الادبى وقبل ان اتحدث عما يجيء فى الامتحان من اسئلة عن كل من الكتابين اود ان اناقش لماذا وضع هذان الكتابان فى المقرر الدراسى .

جرت العادة فى السنوات السابقة ان يدرس طلاب القسم العلمى كتابا علميا يشمل على مقتطفات تعالج موضوعات علمية متفرقة كان المدرسون يبذلون جهدا كبيرا كى يفهموا تلك المادة العلمية لينقلوها بدورهم الى الطلاب . وكان الممتحنون يسألون الطلاب فى تلك المادة العلمية . لم يكن هناك مجال حينذاك لاى تدريب لغوى للطلبة لان فهم المادة العلمية واستيعابها كان يستأثر بمعظم الوقت ثم ان دراسة موضوعات بعينها لم يعط الطالب فرصة للتعرف على المقررات والاساليب والاصطلاحات التى تستخدم عادة فى التعبير العلمى

كانت النتيجة ان يفاجأ الطلاب الذين يدخلون كليات الجامعة التى تكون فيها اللغة الانجليزية هى لغة الدراسة ، فالاساتذة يتكلمون لغة لا يفهمها الطلاب فيضيعون وقتا فى استقصاء معانى ما يقوله الاساتذة بدلا من استغلال هذا الوقت فى دراسة المادة العلمية نفسها .. وكان يتميز فى هذا المجال طلبة مدارس اللغات الذين درسوا العلوم والرياضيات باللغة الانجليزية من بدء تعلمهم فى المرحلة الابتدائية .

وقد يقول قائل ان ما يتدرب عليه

الطلاب من لغة فى كتاب Practice and Progress يكفى أن اللغة التى تستعمل فى التعبير العادى هى نفس اللغة التى تستخدم فى العلوم والرياضيات وقد يكون ذلك صحيحا ، ولكن جدت دراسات مستفيضة استخلص منها الباحثون انه بالرغم من ان اللغة واحدة الان هناك مايسمى بالانجليزية للاغراض الخاصه English for Special Purposes اى ان كل فرع من فروع المعرفة له مفرداته وتراكيبه الخاصة به ، وان الطالب الذى يدرس اللغة لاعداد نفسه لدراسة معينة سيتخصص فيها يجب ان يلم باللغة المستعملة فى مجال تخصصه

وكتبت كتب عديدة لتدريب من يتخصصون فى فروع المعرفة المختلفة . ولكن طالب الثانوية العامة الذى لم يتخصص بعد ذلك التخصص الدقيق يحتاج الى ان يلم الماما عاما بالاصلاحات والتراكيب المستخدمة فى العلوم والرياضيات .

ووجدنا ان كتاب Nucleus General Science يفي بهذا الغرض ، اذ انه كتب لدارس العلوم بصفة عامة على ان يتبعه فى نفس السلسلة وهى Nucleus كتب للمتخصصين فى الطب او الصيدلة او التمريض او الهندسة او المعاملات التجارية الخ .

واذا كان الامر كذلك فواضح أن ما يعنينا في الكتاب هو اللغة بمصطلحاتها وتراكيبها وليست المادة العلمية ، فالمادة العلمية التى فى الكتاب ليست الا معلومات اولية يعرفها طالب الثانوية العامة حق المعرفة ويوردها الكتاب ، أن من غير المستطاع تقديم اللغة فى فراغ . لذلك ليس مطلوبا من الطالب أن يدرس التجارب أو النظريات أو المعادلات الواردة في الكتب ، بل مطلوب منه أن يعرف اللغة التى كتبت بها النظريات والتجارب والمعادلات لأن يعيها ويتدرب على استخدامها .

ولنأخذ مثلا ليوضح ما اعنيه .. يشكو كثير من الطلبة وربما أساتذة أيضا من صعوبة الدرس الذى يقدم دورة الكربون فى الحيوانات والنباتات . والواقع أن ما يعنينا فى هذا الدرس ليس المعلومات العلمية على الاطلاق ولكن ما يعنينا بالدرجة الاولى هو استخدام مفردات مثل Carbon dioxide give off, absorbed, واستخدام حروف الجر فى تراكيب مثل

lead to, as a result of, result from, result in

وكلمات علمية مثل atmosphere, release, decomposition

respiration, carbohydrates, absorption, formation, photosynthesis,

والدرس نفسه ما هو الا وعاء لاستخدام هذه المفردات والتراكيب . وبناء على ذلك فلن يسأل الممتحن الطلاب فى أثر الشمس فى عملية النتح أو احتراق اكسجين واخراج ثانى اكسيد الكربون من جسم الحيوان ولكن ما يهدف اليه الممتحن هو التأكد من ان الطلاب يعرفون كيف يميزون أو يستخدمون هذه المفردات والتراكيب فى نصوص سليمة . لذا فيكون السؤال على ذلك الكتاب فى شكل جمل ناقصة أو نص به فراغات أو اختيار الكلمة الصالحة لملء فراغ من عدد من الكلمات . وفى هذه الحالة فالجمل التى تعطى للطلاب تختلف تماما عن الجمل التى فى الكتاب ولكنها تسمح باستخدام نفس الكلمات والتراكيب ، فيمكن مثلا ان يكون السؤال كالتالى :

The regular watering of plants results (in - from - of their healthy growth.
فالطالب الذى استوعب من دراسته لذلك الدرس فى الكتاب يعرف الفرق فى الاستعمال بين result in و as a result of, result from وبذلك يختار كالكلمة الصحيحة فى هذا الفراغ ·

وهناك مثل اخر لاختيار معرفة الطالب بالمفردات

Roots help the plant (release - absorb - decompose) food.
والطالب الذى يعرف معانى الكلمات الثلاث يختار absorb لملء الفراغ ·

وبناء عليه فاذا تدرب الطالب على معرفة واستخدام المفردات والتراكيب التى يشتمل عليها الكتاب يكون الكتاب قد أدى الغرض منه ويكون الطالب مستعدا لفهم أى نص يعترضه فى دراسته الجامعية ·

ويدرس طلاب القسم الادبى Tales from Shakespeare على أساس أن معرفة قصص مسرحيات شكسبير تكون جزءا من الثقافة العامة لاى دارس للغة الانجليزية خاصة اذا كان مهتما بالعلوم الانسانية مثل طلبة القسم الادبى · ودراسة نص ادبى الآن تختلف عن دراسة القصص التى كانت تكون جوهر المقرر على طلبة القسم الثانوى · فالروايات التى كانت تقرر كان المفروض أن يعالجها المدرس على أنها وسيلة فى تعليم الطلاب اللغة ·

وكان المعلم يجد نفسه موزعا بين تعليم الطلاب احداث الرواية واعطائهم تدريبا لغويا ، وكان معظم المعلمين يعطون الاحداث اهمية اكبر ·

وفى كل الحالات لم يكن للطلاب فرصة للاستمتاع بالرواية والتعمق فى حبكتها ورسم شخصياتها وعلاقات هذه الشخصيات بعضها ببعض ، فكانت الروايات تدرس ليس على أنها اعمال ادبية ولكن على أنها سرد لاحداث · وكان الامتحان لا يخرج عن اختبار الطلاب فى معرفتهم بهذه الاحداث وباستخدام Practice and Progress ككتاب تعليمى لتدريب الطلاب على استخدام اللغة أصبح من الممكن لطلاب القسم الادبى أن يدرسوا الرواية كعمل أدبى يستمتعون به ويرون فيه تطبيقا لما تعلموه من أنماط لغوية وربما يدرسون النواحى الفنية فيه ·

وكما قلت آنفا اختير الكتاب لتعريف الطلاب بقصص بعض مسرحيات شكسبير ، وربما أن الكتاب قد نجح فى ذلك وشد الطلاب معرفتهم شبه التفصيلية بما يحدث فى مسرحيات شكسبير التى طالما سمعوا بها · ولكن عظمة شكسبير ليست فى قصصه بل فى معالجة هذه القصص وتطور الحبكة فى مسرحية ورسم الشخصيات والشعر الذى كان يصوغ به الحوار وبذلك فليس فى كتاب Tales from Shakespeare شىء من شكسبير · هذا بالاضافة الى أن الكتاب يضم بين دفتيه ملخصات لست مسرحيات مما يجعله متخما بالاحداث والاسماء التى قد تختلط فى ذهن الطلاب · وقد شكا المدرسون والطلاب فعلا من ذلك مما حدا بنا الى اسقاط قصة من المقرر على الطلبة قراءته · كذلك فان كثرة الاحداث والشخصيات تجعل مما لا مفر منه ان يركز المعلم على الاحداث فيحرم الطلاب بالتالى من التذوق الادبى الذى كنا نرمى اليه ·

وقد تقرر بالفعل ابدال هذا الكتاب فى العام القادم بقصة حديثة مشوقة لعلها تكون أكثر تحقيقا للغرض الذى توضع من أجله رواية فى مقرر القسم الادبى ·

ولادراك الممتحنين لصعوبة استيعاب الطلاب لهذا الحشد من الاحداث والشخصيات بكل تفصيلاتها يضطرون الى العودة الى الاسئلة التقليدية آخذين فى الاعتبار أن تنصب الاسئلة على الاحداث الاساسية دون التفاصيل والشخصيات الرئيسية .

ويسال الطلاب عادة عن سؤالين كل قصة احدهما سؤال يجيب عليه الطلاب فى جملة واحدة والآخر اكمال لجملة ناقصة ، ويحتاج هذا الاكمال الى معرفة الطلاب بالقصة بشكل عام او على الاقل معرفة الاحداث الاساسية فيها .

وفى كلا النوعين من الاسئلة يهتم الممتحنون بان يجيب الطلاب فى لغة سليمة .وبما أن الطلاب يدرسون خمس قصص فتكون الاسئلة خمس واكمال الجمل خمس .

تحدثنا عن كل أنماط أسئلة امتحان الثانوية العامة فيما عدا سؤال الترجمة. ويختلف الناس فى جدوى تدريب الطلاب على الترجمة لان القليل منهم يحترفون مهنة الترجمة التى هى فى الواقع فن يحتاج الى اتقان للغة المترجم منها واللغة المترجم اليها .

ولكنى أجيد تدريب الطلاب على الترجمة لانها تعطيهم احساسا بالفرق فى التركيب واستخدام المفردات بين اللغة العربية واللغة الانجليزية . فكثيرا ما يداب الطلاب على التعبير عن أنفسهم بالانجليزية بنفس الانماط المستخدمة فى اللغة العربية فيخطئون التعبير .

ثم أن الترجمة من الانجليزية الى العربية نوع من التدريب على القراءة والفهم اذ على الطالب أن يفهم النص الذى يترجمه فهما جيدا قبل أن ينقله الى العربية .

ونصيحتى للطلاب ان يقراوا النص كله اولا ثم قراءة كل جملة على حدة ثم ترجمتها كما فهمها الطلاب ، وبما ان احد الفروق الواضحة بين اللغتين الانجليزية والعربية ان الجملة الانجليزية تبدا دائما بالفاعل يليه الفعل بينما تبدا الجملة العربية عادة بالفعل يليه الفاعل فيحسن بالطلاب أن يترجم فعل الجملة اولا ثم فاعلها وبعد ذلك يستكمل الجملة .

واذا احس الطالب عند قراءته لترجمته ان اللغة العربية التى كتبت بها ركيكة او غير ذات معنى يكون معنى ذلك أن عليه ان يعيد الصياغة العربية حتى تستقيم ويكون لها معنى واضحا .

ويسال الطالب أن يترجم جملتين متصلتين من العربية الى الانجليزية . ولترجمة كل جملة ترجمة سليمة على الطالب أن يحدد اولا الفاعل ليبدا به جملة الانجليزية ثم يتليه بالفعل ثم ياتى باقى الجملة بعد ذلك .

وبذلك اكون قد تحدثت عن كل اسئلة امتحان الثانوية العامة وارجو ان اكون قد افدت ابنائى الطلاب وانرت لهم الطريق حتى يوفقوا فى اجاباتهم ويحققوا ما تصبو اليه نفوسهم .

أضــــواء على

اللغــة الانجـليزيــة

لطلبــة الثـانوية العــامــة

• مصطفى الشهابى •

والآ وقد طالعت بها الطالب ماسبق ان نشرته مجلة الهلال في الاعداد السابقة تحت هذا العنوان ، بقي ان نلخص لك اهم ماورد بها ، ونضيف اليه كــل ما يعينك على التفوق :

الانشاء :

اولا ــ كتابة الفقرات : وهذه قــد قدمت لها امثلة بعدد « الهلال » الصادر في يناير سنة ١٩٨١ وهذه الامثلــة تضمنت فقرة في موضوع عام وفقــرة اخرى لقصة قصيرة «تذكر دائمــا ان القصص اغلبها في الزمن الماضي البسيط او التام او المستمر » ــ وهنا نوجه نظر الطالب الى قراءة عنوان وكلمات الفقرة المطلوبة كتابتها بتأن وامعان للتأكد من فهم عنوانها فهما صحيحا ، واخــذ فكرة عامة عما ترمى اليه ، ذلــك لان التسرع في القراءة قد يؤدى الى سوء الفهم ، وهذا بدوره قد يقود الى الخطا ويرجع سوء الفهم الى :

(١) الخطا فى قراءة بعض الكلمات احيانا بسبب التسرع وعـــدم التمعن فى حروفها ، فيصبح معناها فى ذهن الطالب مخالفا لمعناها الحقيقى
ومن امثلة ذلك :
قطعة ، Peace piece سلام ، أمن يقابل ، meet لحم meat
دافىء worm دودة warm جو whether ما اذا ـ سواء weather
ذهب want يريد went يرى see بحر sea
وغيرها weak week hall hole whole
٢ ـ : وجود اكثر من معنى لبعض الكلمات ، مثل :
يحب ، مثل • Like
من فضلك ، يسر • please
الربيع ، ينبوع ، زنبرك ، يقفز • spring
ارادة ، وصية ، سوف • will
يقود ، رصاص Lead
Found بمعنى وجد (ماضى واسم مفعول الفعل Find ، هذه الكلمة تستعمل فعلا بمعنى ينشىء ، يقيم ، يؤسس وماضيها واسم مفعولها Founded
وكلمة wind بمعنى ريح تستعمل فعلا بمعنى يملأ الســـاعة ، يلف ، يدور وماضيها واسم مفعولها wound
وكلمة wound بمعنى جرح تستعمل فعلا وماضيها واسم مفعولها wounded
وبسبب الخلاف فى المعنى هناك فروق فى النطق بين اغلب هذه الكلمات ، مما لا يتسع المجال لذكره •
كما يجب التفريق بين الافعال والاسماء فى بعض الكلمات مثل الافعال : dvise ينصح ، practise يزاول ، يمارس ، profesy يتنبأ ـ وبتغيير الـ s الى c تصبح اسماء •
وهناك كلمات ليس لها مفرد مثل : Clothes, People trousers, thanks, goods
كما أن هناك كلمات ليس لها جمع مثل : knowledge, Furniture news, machinery, dirt
وهناك فرق كبير بين استعمال كلمة many وكلمة much وكلاهمـــا بمعنى كثير ، فكلمة much تستعمل مع الاشياء التى لا تعد مثل : food, Sugar, money little
اما many فتستعمل مع الاشياء التى تعد مثل pens, books
وعكس much هـــو اى قليل وعكس many few
ثانيا ـ الخطاب : وقد ورد الكثير عنه فى الهلال عدد يناير ١٩٨١ ولا حاجة لتكراره وكل ما يجب مراعاته هو البساطة فى الكتابة مع ملاحظة :
أ ـ ذكر Egypt أو A. R. E. فى عنوان المرسل اذا كان الخطاب مرســلا الى خارج مصر •
ب ـ عدم استعمال قبل health
جـ ـ استعمل الحروف الكبيرة فى اول كل سطر من سطور العنـــوان وفى الاسماء الموجودة به وعدم اهمال الفواصل (الشولات) فى آخر كل سطر ووضع نقطة فى آخر العنوان •
وفى الانشاء والخطاب يجب على الطالب الا يكتب جملا طويلة بل يجتهد فى أن

تكون قصيرة لا تتجاوز ثماني كلمات وان تكون كل جملة كاملة المعنى وصحيحه لغويا .

● قطع الفهم Comprehension

والمقصود منها هو قياس قدرة الطالب على القراءة السريعة مع الفهم ثم الاجابة من الاسئلة بما فهمه من قراءة القطعة .

وهنا يجب على الطالب أن يقرأ القطعة قراءة سريعة ليعرف موضوعها بصـفة عامة ثم يقرأها مرة اخرى بتأن لتفهمها فهما جيـدا ، وعليه أن يحاول استنباط معاني الكلمات غير المعروفة له بصفة عامة ، وذلك :

أ ـ من المعنى الاجمالي للقطعة أو من الجملة نفسها ، ففي جملة :

He put on his blue gow n.

يتضح ان كلمة *Gown* نوع من الملابس .

وفي جملة The lion went to his den and ate his prey.

ستدرك أن الاسد ذهب الى عرينه وأكل فريسته .... وهكذا .

ب ـ بتقسيم الكلمة الى اجزاء أو مقاطع ومعرفة معنى كل جزء فكلمة unbreakable يمكن تقسيمها الى :

لاعطاء عكس المعنى ، break يكسر ثم able لاعطاء الصفة واذن يكون المعنى « غير قابل للكسر » .

فالاضافات able, un الى الكلمة الاصلية break تسمى لواحـــق

واللواحق تضاف في أول الكلمة أو في آخرها أو في كليهما لاعطاء معاني اخرى لها أو لتكوين الفعل او الاسم او الصفة من الكلمة الاصلية .

واليك بيان باهم اللواحق ومعانيها وامثلة لها .

اولا ـ لواحق (سوابق) تأتي في أول الكلمات وفيما يلي اشهرها :

١ dis بمعنى لا ، ليس ، وتضاف لتحويل معنى الكلمة الاصلية الى عكسه مثل :

يطيع obey يعصي disobey يسر please يسيء displease يوافق approve لا يوافق disapprove أمين honest خائن dishonest يحب Like يكره dislike يثق trust لا يثق distrust أمين loyal خائن disloyal يصل connect يفصل disconnect

٢ ـ un وهي مثل dis تغير عكس معنى الـكلمة الملحقة بها ومن امثلة ذلك :

قادر able عاجز unable اناني selfish غير اناني unselfish حقيقي true غير حقيقي يربط tie يحل ، يفك untie رحيم kind قاس unkind

٣ ـ im وهي مثل un, dis تغير عكس المعنى .

متقن possible غير متقن imperfect ممكن perfect مستحيل impossible محتمل أو متوقع probable غير محتمل improbable

٤ ـ in وهي مثل im, un, dis تغير عكس المعنى مثل .

نشيط active خامل inactive قدرة ability عجز inability

كامل complete ناقص incomplete كاف sufficient غير كاف sufficient

٥ ـ mis وهى كسابقاتها تحول المعنى الى عكسه ، مثل

حظ fortune سوء الحظ misfortune يقود / يرشد lead misleal يضلل

يفهم understand يسئ الفهم misunderstand

٦ ـ over وتفيد الزيادة او الكثرة مثل over-crowded, over-population

٧ ـ fore بمعنى قبل أو من قبل مثل :

يخبر tell يتنبأ fortell يرى see يتنبأ foresee نظر sight

بصيرة ، النظر فى العواقب foresight

٨ ـ Re ومعناها مرة ثانية ومن امثلتها :

اكتب write اكتب مرة ثانية rewrite يبنى build يعيد بناء rebuid

٩ ـ en وتسبق الاسماء والصفات لتكوين الافعال مثل :

كبير large يكبر enlarge غنى rich يغنى ، يثرى enrich

شجاعة courage يشجع slave رقيق enslave يسترق ، يستعبد encourage

قادر able يقدر enable

١٠ ـ Pre ومعناها من قبل ومن امثلتها :

تاريخى historic ماقبل التاريخ prehistoric يحكم judge يحكم مقدما قبل درس القضية او الموضوع prejudge يدفع pay يدفع مقدما prepay

ثانيا ـ لواحق تلحق باواخر الكلمات وفيما يلى أهمها :

١ ـ Less ومعناها بدون ، بغير بلا ومن امثلتها :

شعر hair بلا شعر hairless أمل hope يأس hopeless بيت home

بلا بيت / مشرد homeless

٢ ـ Less ومعناها الاستحالة او عدم الامكان ومن امثلتها :

عدد number لا يمكن عده numberless يحصى count لا يمكن احصاؤه countless

يقاوم resist لا يمكن مقاومته resistless ثمن price لا يقدر بثمن priceless

٣ ـ ous لتكوين الصفات مثل :

خطر danger محفوف بالمخاطر dangerous شجاعة courage

شجاع courageous (لاحظ بقاء e)

٤ ـ Ly وتضاف الى أواخر الاسماء التكوين الصفة مثل :

رجل man خاص بالرجال manly صخر rock صخرى rocky

او فى اواخر الصفات لتكوين الظروف مثل

سريع quick بسرعة quickly صعب hard بصعوبة hardly

٥ ـ able لتكوين الصفات ، مثل :

راحة comfort مريح comfortable يحصل على obtain ممكن الحصول عليه obtainable

٦ ـ Ful لتكوين الصفات مثل :

عناية care حريص ، دقيق care-ful يشكر thank شاكر thankful
جمال beauty جميل beautiful

٧ ـ al لتكوين الصفة مثل :
الموسيقى music موسيقى musical سحر magic سحرى magical

٨ ـ ment لتكوين الاسماء :
يحكم govern حكومة government يستخدم employ استخدام employment

٩ ـ est, er لتكوين صيغ التفضيل من الصفات :
big — bigger — biggest rich — richer — richest

١٠ ـ Y لتكوين الصفات أو الاسماء مثل :
تراب / غبار dust مغبر dusty امين honest امانة honesty

١١ ـ ion لتكوين الاسم ، مثل :
يفعل act فعل action يملى dictate املاء dictation (لاحظ حذف e)
يترجم translate ترجمة translation (لاحظ حذف e)

١٢ ـ ness لتكوين الاسم ، مثل :
شفوق kind شفقه kindness عظيم great عظمة greatness

١٣ ـ ment لتكوين الاسم ، مثل :
يحكم govern حكومة government يوافق agree اتفاق agreement

١٤ ـ dom لتكوين الاسم ، مثل :
حكيم wise حكمة wisdom ملك king مملكة kingdom

١٥ ـ ess لتكوين المؤنث من اسم آخر مذكر ، مثل :
أسد lion لبؤة lioness ممثل actor ممثلة actress

١٦ ـ ship لتكوين الاسم ، مثل :
صديق friend صداقة friendship

١٧ ـ hood لتكوين الاسم ، مثل :
رجل man رجولة manhood صبى boy الصبا (زمن الصبا) boyhood

١٨ ـ th لتكوين الاسم ، مثل :
دافئ warm دفء warmth طويل long طول length قوى strong
قوة strength

١٩ ـ en لتكوين الفعل ، مثل :
قصير short يقصر shorten خوف fright يخيف frighten ضعيف weak
يضعف weaken

٢٠ ـ ize لتكوين الفعل ، مثل :
اعتذار apology يعتذر apologize حقيقى real يتحقق realize
خاص special يخصص specialize مدنى civil يمدن civilize

٢١ ـ er او لتكوين الفاعل من فعل ، مثل :

يمثل act ممثل actor يخترع invent مخترع inventor ينقش paint
نقاش painter يدير manage مدير manager يقود lead قائد leader
يحكم govern حاكم ، محافظ governor

٢٢ ـ Fy لتكوين الافعال مثل :

نقي pure ينقي purify بسيط simple يبسط simplify

٢٣ ـ ian وتفيد الانتساب الى دولة مثل :

مصر Egypt مصري Egyptian ايران Iran ايراني Iranian

٢٤ ـ ing واضافة في أواخر الافعال مصدر خطأ كبير لدى اغلب الطلاب ، ويجب ملاحظته :

أ ـ حذف حرف e عند اضافتها فكلمة come تصبح coming
writing — write, taking — take

ب ـ الكلمة المنتهية بحرف y تبقى بدون تغيير مثل :
playing - , crying - cry

ج ـ تكرار الحرف الاخير اذا كان حرفا ساكنا وقبله حرف متحرك (الحروف المتحركة هي : u, o, i, e, a) مثل :
begging — beg, sitting — sit cutting — cut, shopping — shop

ولا يكرر الحرف الاخير اذا كان قبله حرفان متحركان مثل :
speaking — speak

د ـ اذا كان آخر الكلمة ie مثل بمعنى يرقد أو يكذب ، die بمعنى يموت ، tie بمعنى يربط فان الـ ie تحول الى y وتصبح :
tying, dying, lying

وهناك كلمة dye بمعنى يصبغ وهذه لا تتغير وتصبح dyeing
وشبيه بها كلمة ski بمعنى يتزحلق اذ تصبح skiing

وقد يطلب من الطالب عمل ملخص للقطعة او لجزء منها ، او يطلب منه ذكر الحقائق او الافكار الاساسية للقطعة أو وضع عنوان لها ، كل ذلك او بعضـــه يمكن الوصول اليه بمراعاة الآتي :

١ ـ بعد قراءة القطعة يجب على الطالب محاولة فهم ما تدور القطعة حوله من نقاط وضع خطوط تحت الكلمات التي تتركز فيها الافكار الرئيسية ٠

٢ ـ اعادة القراءة لكل جملة للتاكد من انها اضافت او لم تضف فكرة جديدة الى الافكار الرئيسية ٠

٣ ـ عمل الملخص وحذف كل الكلمات او العبارات التي لا تضيف جــــديدا للافكار الرئيسية ٠

٤ ـ أن يكون الملخص جملا صحيحة وكاملة المعنى ٠

٥ ـ ومن المعنى الاجمالي للقطعة يمكن وضع عنوان لها ، في كلمة أو كلمـــات قليلة ، يشير الى الفكرة الرئيسية للقطعة ٠

وهنا يجب تحذير بعض الطلبة من الاتجاه الى التحايل في كتـــابة الملخص بحروف كبيرة او بشغب كلمة أو كلمتين في السطر عندما يطلب منهم عدد معين من السطور ، اذ المفروض أن متوسط السطر لا يقل عن ثمان كلمات ٠

تذكرة تفوق
لطلبة الثانوية العامة
« في المنطق »

الاستدلال المنطقي

في مناهج البحث العلمي

● حليم فريد تادرس ●
موجه أول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الامانة الفنية لتطوير التعليم

● موضوع الاستدلال هو أهم موضوعات علم المنطق على الاطلاق ، ولما كان الاستدلال يعني انتقال المفكر من مقدمة أو مقدمات الى نتائج وتعميمات أو نظريات تلزم عن مقدمة أو عدة مقدمات كان المنطق هو العلم الذى يرسم الطريق الذى يسلكه الباحث او المفكر وصولا الى نتائج وتعميمات ونظريات تتسم بالدقة ·

واذا كان الاستدلال مرتبطا بتطبيق قاعدة عامة على مثال من امثلتها ، اسميناه بالقياس · واذا كان رتبطا بعلم صورى كالعلم الرياضي اسميناه بالاستنباط ··

واذا كان مرتبطا بعلم مادى كعلم الطبيعة ويبدأ من أمور مشاهدة هي بعض المفردات الجزئية التي يلاحظها الباحث ويجرى عليها تجاربه وصولا الى تعميمات تفسرها ــ اسميناه بالاستقراء واذا كان مرتبطا بأمور غير مشاهدة لا تقع في مجال الادراك الحسي للباحث مثل قوى الجاذبية أو نواه الذرة وحركة الالكترونات من حولها كما في العلم الحديث ــ اسميناه بالمنهج العلمي المعاصر (المنهج الفرضي) ــ وتأسيسا على هذا ننتهي الى أربعة أنواع من الاستدلال هي :

(١) الاستدلال القياسي (وهو القياس الارسطي)
(٢) الاستدلال الاستنباطي (المنهج الاستقرائي)
(٣) الاستدلال الاستقرائي (المنهج الاستقرائي)
(٤) الاستدلال العلمي المعاصر (المنهج الفرضي)

●● والذى يهمنا هنا ويهم طالب الثانوية العامة أولا وبالذات ، هو أن يتعرف على الآتي :

أولا ــ المبادىء الاساسية التي يقوم

عليها كل استدلال من الاستدلالات السابقة .

ثانيا – اوجه التشابه والاختلاف بين الاستدلالات السابقة .

● **اما بالنسبة للمبادىء الاساسية التى يقوم عليها كل استدلال من الاستدلالات السابقة فهى كالآتى :**

● الاستدلال القياسي

تقوم فكرة القياس أساسا على تصور ارسطو للموجودات ، وعلى قانون الهوية وعدم التناقض ،فأرسطو يتصور أن العلاقة الوحيدة بين الموجودات هى علاقة اندراج فئة أخرى أعم منها وأشمل (الأفراد والانواع والاجناس) . ويقضى مبدأ القياس بأن ما نحكم به على الكل نحكم به بالضرورة على اى جزء من أجزاء ذلك الكل وذلك تبعا لقانون الهوية وعدم التناقض ، ذلك أنه من التناقض فى الفكر ان ما نحكم به على الكل لاينطبق على الجزء الذى يتضمنه هذا الكل ويحتويه .

وقد أفاد فقهاء الشريعة الاسلامية وشرعوا القوانين الوضعية من هذا المبدأ ومثال ذلك أن القاعدة العامة فى الشريعة الاسلامية تنص على أن (كل مسكر حرام) فاذا ظهر فرد جديد ينتمى الى طائفة المسكرات ويندرج تحتها فانه يحكم عليه بما حكم به على أفراد الطائفة كلها ، فعصير القصب الطازج لا يسكر ، ومن ثم لا تنطبق عليه القاعدة السابقة ،ولكن اذا ترك مدة طويلة من الزمن تخمر واصبح مسكرا تطبق عليه القاعدة العامة وذلك فى صورة قياس كالآتى :

كل مسكر حرام
عصير القصب المخمر مسكر
عصير القصب المخمر حرام

هذا ويستخدم القياس أيضا عند تطبيق تعميمات العلم الطبيعى على مثال من أمثلتها ، فمن القواعد العامة التى توصل اليها العلم الطبيعى بطريق الاستقراء قاعدة تقول (كل الغازات تتمدد بالحرارة) فاذا ظهر « غاز » جديد اى فرد جديد ينتمى الى طائفة الغازات ويندرج تحتها فانه يحكم عليه بما حكم به على أفراد طائفة الغازات كلها وذلك فى صورة قياس كالآتى :

كل الغازات تتمدد بالحرارة
الهليوم غاز
الهيوم يتمدد بالحرارة

– وللقياس شروط اذا اختل أحدها جاء القياس فاسدا وهذه الشروط هى :

(١) بالنسبة للحد الاوسط وهو (مسكر) فى المثال الاول و (غاز) فى المثال الثانى .

أ – أن يرد ذكر الحد الاوسط فى المقدمتين .

ب – أن يكون له معنى واحد فى كل من المقدمتين .

جـ – أن يستغرق فى احدى مقدمتى القياس على الاقل .

وتعليل ذلك أن القياس استدلال يعتمد على مبدأ السببية ،وبقدر مايتحقق هذا المبدأ بقدر ما يكون القياس سليما فالحد الاوسط وان كانت وظيفته أن يربط بين الحدين الاكبر فى المقدمة الكبرى والاصغر فى المقدمة الصغرى فان محور هذا الربط هو السببية . فقد استنتجنا فى المثال الاول أن (عصير القصب المخمر حرام) بسبب أنه « مسكر » .

وقد استنتجنا فى المثال الثانى ان (الهليوم يتمدد بالحرارة) بسبب أنه غاز ، ومن هنا كانت ضرورة استغراق الحد الاوسط فى احدى مقدمتى القياس حتى يتحقق مبدأ السببية وبذلك يتسنى الانتقال من الحدالاكبر فى المقدمة الكبرى الى الحد الاصغر فى المقدمة الصغرى انتقالا سليما تطبيقا لمبدأ القياس « كل ما يحمل على حد مستغرق ايجابا أو سلبا يحمل بالطريقة نفسها على كل حد يندرج تحت هذا الحد المستغرق » .

(٢) بالنسبة لشروط الكم والكيف:

أ – يجب ان تكون المقدمة الكبرى كلية ، وتعليل ذلك كالآتى :

– ان المقدمة الكبرى فى القياس هى قاعدة عامة (موجبة أو سالبة) تطبق على مثال من امثلتها (حسب مبدأ القياس) ولهذا يجب ان نحكم فيها على جميع افراد موضوعها (ايجابا أو سلبا) ولن يتحقق هذا الا اذا كانت هذه المقدمة كلية .

- ولان المقدمه الكبرى اذا كانت جزئية فلن تستغرق موضوعها (وهو الحد الاوسط) ولما كانت المقدمة الصغرى موجبه دائما ويقع فيها الحد الاوسط محمولا ، والقضايا الموجبة لا تستغرق محمولها ، يصبح القياس فاسدا لعدم استغراق الحد الاوسط في احدى مقدمتيه وفى هذه الحالة يفقد القياس مبدأ السببيه الذى يقوم عليه .

ب - يجب ان تكون المقدمة الصغرى موجبه .

وذلك حتى يتسنى للحد الاوسط ان يقوم بوظيفة الربط بين حد واحد على الاقل ايجابا فى احدى مقدمتى القياس على الاقل ، خاصة وان المقدمة الكبرى قد تكون سالبة ، فاذا جاءت المقدمة الصغرى سالبه أيضا يصبح القياس فاسدا لان المقدمتين السالبتين تفصلان كلا من الحد الاصغر والحد الاكبر عن الحد الاوسط ، فاذا فصل شيئان عن شىء ثالث فلا نكون على يقين من ان النتيجة سالبه أو موجبه ، فالمقدمتان السالبتان (كل فرنسى ليس افريقيا) و (كل مصرى ليس فرنسيا) قد تنتجان نتيجة سالبه هى (كل مصرى ليس افريقيا) او نتيجة موجبة هى (كل مصرى افريقى) .

هذا ويترتب على الشرطين السابقين شروط اخرى هى :

● لا انتاج من مقدمتين سالبتين او جزئيتين .

● نتيجة القياس تتبع اخس (اضعف) مقدمتيه .

● القضية الجزئية السالبة لا تصلح مقدمة كبرى او صغرى فى قياس صحيح من الشكل الاول .

● الاستدلال الاستنباطى .

وهو المنهج المستخدم فى العلوم الرياضية ، ولما كان العلم الرياضى من صنع العقل (ابتكارا كان او تجريدا) ذلك ان عالم الرياضة لا يحدثنا عن أمور فى الواقع الخارجى ، كان العلم الرياضى - حينئذ - علما عقليا مجردا يقوم على الاستنباط والبرهان ، وهما عمليتان عقليتان متعاكستان ومتكاملتان،وذلك ان الاستنباط يبدأ من مقدمات افتراضية الصدق منتهيا الى نتائج تلزم عن هذه المقدمات ، فنظرية اقليدس التى تقول « مجموع زوايا المثلث تساوى قائمتين لزمت عن مقدمة اقليدس التى تعرف المكان بأنه سطح مستوى ، أما البرهان فيبدأ من النتيجة لكى يبرهن على صحتها بردها الى المقدمة أو المقدمات الاولى الافتراضية التى استلزمت هذه النظرية، ومقدمات الاستنباط هى « التعريفات الاشتراطية الاجرائية والمسلمات التى يسلم بصدقها وهى البديهيات والمصادرات، وافتراض صدق البديهية يعتمد على علم سابق أعم ، اذ قد سبق للعلم الاعم ان تكفل بتوضيحها ، أما افتراض صدق المصادرة فهو افتراض على مستوى العلم الذى يبحث فيه العالم . وهذا يفيد بأن العبارة الواحدة تصبح بديهية ويمكن أن تكون مصادرة أيضا فى علمين من مستويين مختلفين ، ففكرة التساوى بين الكميات هى من مصادرات علم الحساب الذى يفترض صدقها ، ولكن فكرة التساوى تعتبر بالنسبة لعلم الهندسة وهو علم أخص من علم الحساب تعتبر بديهية ، فالقول بان (جميع الزوايا القائمة متساوية) اقيم على فكرة التساوى فى علم الحساب » .

تلك هى مقدمات الاستنباط أما نتائجه فهى النظريات التى تلزم عن هذه المقدمات الافتراضية ويتم استنتاجها والاستدلال عليها من جملة المقدمات ، ولهذا كان صدق النظرية فى النسق الاستنباطى يتعلق بصدق المقدمات التى استلزمتها ، فالنظرية التى تقول بأن (مجموع زوايا المثلث يساوى قائمتين) نظرية صادقة طالما أنها نتجت عن مقدمة تقول بان (المكان سطح مستوى) فالصدق ليس مطلقا طالما ان مقدماته افتراضية ، وكان اللزوم أحد السمات الرئيسية التى تميزه ، اذ يقوم على علاقة اللزوم بين قضاياه ، ذلك أننا لو

● القياس استدلال يعتمد على مبدأ السببية، وبقدر ما يتحقق هذا المبدأ، يكون القياس سليمًا.

اخترنا أية قضية من قضايا النسق الاستنباطي، فهي اما ان تكون واحدة من المقدمات التي تستلزم عددا من النتائج او تكون نتيجة (نظرية) تلزم عن المقدمات.

● الاستدلال الاستقرائي :

وهو المنهج المستخدم في علم الطبيعة التقليدي، يبدأ من أمور مشاهدة تقع مجال الادراك الحسي للباحث، فمقدماته بعض جزئيات مفردة مشاهدة يلاحظها الباحث ويجرب عليها، ثم ينتهي الى حكم عام ينطبق على الجزئيات التي أخضعها للملاحظة والتجربة وعلى غيرها من الحالات الاخرى المشابهة لها.. ومن هنا تبدو قيمته في البحث العلمي اذ يفيد في التنبؤ، ولهذا المنهج خطوات أو مراحل هي :

(١) الملاحظة والتجربة

(٢) الفرض وهو مستمد من الملاحظة والتجربة.

(٣) تحقيق الفرض بطريقة مباشرة باستخدام الملاحظة والتجربة.

(٤) التعميم، وهو يعبر عن علاقة علية (سببيه) بين الظواهر، فلكل ظاهرة أو عدة ظواهر علة تسبقها وتكون سببا في حدوثها، وهدف الاستقراء الكشف عن هذه العلة ويعبر أيضا عن الضرورة اذ يربط بين العلة المعلول (السبب والنتيجة) برابطة حتمية فثمة تلازم ضروري بين العلة والمعلول (اذا حدثت العلة حتما يحدث المعلول واذا غابت العلة حتما يغيب المعلول، وأي تغير كمي في العلة يقترن حتما بتغير كمي مماثل وبنفس الدرجة في المعلول)، ومن هنا كان التعميم يتصف بالضرورة وافادة التنبؤ الدقيق

● المنهج العلمي المعاصر.

وهو منهج يتفق مع العلم الحديث الذي يبدأ من أمور مجهولة لا تقع في مجال الادراك الحسي للباحث حتى لو استخدم في مشاهدتها أدق الاجهزة والميكروسكوبات مثل (قوى الجاذبية) فنحن لاندرك بالحواس قوى الجاذبية (الاجسام مدركة بالحواس، أما قوى الجاذبية نفسها فغير مدركة) ومثل (الذرة) ليست موضوع ادراك حسي مباشر أو غير مباشر فنحن لا نرى نواة الذرة ولا حركة الالكترونات حول نواتها ومن هنا لا يمكن تفسير ذلك الا بلغة رياضية بحتة، ذلك أننا لا نبدأ من أمور مشاهدة بل من مجهولات، ومن هنا - وتلك نقطة هامة وأساسية جدا - لا يمكن أن نستخدم الاستقراء في مجال العلم الحديث، وذلك لاختلاف نقطة البداية في كل من الاستقراء والمنهج العلمي المعاصر، فنقطة البداية في الاستقراء هي الملاحظة والتجربة، أما نقطة البداية في المنهج العلمي المعاصر هي الفرض، وهو فرض صوري رياضي لا يشير مضمونه الى أمور مدركة بالحواس.

ولما كانت نقطة البداية في المنهج العلمي المعاصر هي الفرض الصوري الرياضي اذن فهو يستخدم الاستنباط

يحقق به بطريقة غير مباشرة هذا الفرض الصورى الرياضى ، ثم يأتى بعد ذلك – وكمرحله ثالثة على الاقل – دور الملاحظة والتجربة حيث يحقق بهما وبطريقة مباشرة ما توصل اليه من نتائج استنباطية ومن هنا كان المنهج العلمى المعاصر منهجا استنباطيا استقرائيا لانه يجمع بنجاح بين الاستنباط والاستقراء معا فى حين أن الاستقراء منهج استقرائى فقط يقوم على الملاحظة والتجربة دون الاستنباط ولهذا السبب لا يحقق الاستقراء بمراحله التى اسلفناها متطلبات العلم الحديث ومن هنا يطلق عليه اسم (الاستقراء التقليدى) ، هذا وترتيب خطوات أو مراحل المنهج العلمى المعاصر كما يلى :

(١) الفرض : وهو فرض صورى رياضى لا يشير مضمونه الى امور مدركة بالحواس ، وهدفه ليس تفسير ظاهرة او عدة ظواهر كما فى الاستقراء التقليدى بل تفسير فروض او قوانين او نظريات سبق التوصل اليها بتعميمات تجريبية وتكون فى حاجة الى المزيد من التفسير

(٢) الاستنباط : وهو مرحلة تالية للفرض حيث يستنبط الباحث مايترتب على الفرض الصورى الرياضى من نتائج رياضية ، فهو هنا يحقق الفرض الصورى بطريقة غير مباشرة .

(٣) الملاحظة والتجربة : وبهما يحقق بطريقة مباشرة ما توصل اليه من نتائج استنباطية .

(٤) التعميم : ويعبر عن الاحتمال لا الضرورة أى احتمال الصدق لا ضرورته والعلية ليست شرطا اساسيا فيه .

● اما بالنسبة لاوجه التشابه والاختلاف بين الاستدلالات السابقة فتبدو فى الآتى :

أ – من حيث أوجه التشابه :

(١) كل استدلال يبدأ من مقدمة او اكثر وينتهى الى نتائج (تعميمات او نظريات) .

(٢) القياس والاستقراء كلاهما استدلال غير مباشر لانهما لا يبدآن من مقدمة واحدة بل من اكثر من مقدمة فالقياس يبدأ من مقدمتين ويصل الى النتيجة بطريقة غير مباشرة معتمدا على واسطة هى (الحد الاوسط)، والاستقراء يبدأ من عدة مقدمات هى بعض الجزئيات المقررة المشاهدة وينتهى الى حكم عام يشمل تلك الجزئيات وامثالها مما لم يقع تحت الحصر فى الملاحظة والتجربة، ونستدل على صدق التعميم بطريقة غير مباشرة بالاستشهاد بالمقدمات الجزئية المفردة، وكلاهما ايضا (القياس والاستقراء) يقوم على مبدأ السببية وقد سبق توضيح ذلك .

(٣) الاستقراء التقليدى والمنهج العلمى المعاصر ، يتفقان معا فى أن كليهما يستخدم فى مجال العلوم الطبيعية فالاستقراء التقليدى يتفق مع علم الطبيعة التقليدى الذى يبدأ من أمور مشاهدة ، والمنهج العلمى المعاصر يتفق مع العلم الحديث (علم الطبيعة المعاصر) الذى يبدأ من امور مجهولة غير مشاهدة ، نتائج كل منهما قضايا كلية) وكليهما يستخدم الملاحظة والتجربة والفروض وتحقيق هذه الفروض (مع خلاف حاد فى ترتيب الخطوات ودور واهمية الفروض والملاحظة والتجربة) .

(٤) والقياس والاستنباط كلاهما استدلال صورى يقوم على مقدمات مفترضة الصدق تلزم عنها نتائج :

ب – ومن حيث اوجه الاختلاف :

● الفرق بين القياس والاستقراء :

(١) يجب أن تكون احدى مقدمتى القياس (المقدمة الكبرى) على الاقل كلية ، ومن ثم تكون نتيجته « كلية » أو « جزئية » ، بينما مقدمات الاستقراء جزئية دائما ونتيجته كلية دائما ..

(٢) يعنى القياس بالصورة فى المقدمات دون الصدق الواقعى ، بينما يعنى الاستقراء فى مقدماته بالصدق الواقعى الى جانب التزامه قواعد الاتساق المنطقى .

(٣) نتيجة القياس صادقة صدقا مطلقا اما نتيجة الاستقراء فهى دائما احتمالية ولن يكون لها اليقين المطلق

● نتائج الاستنباط لا تكون صادقة أو كاذبة فى ذاتها، إنما الصدق فيما يتعلق بصدق المقدمات التى وردت فيها النظرية.

ذلك لاننا نصل فى النتيجة الاستقرائية الى قانون عام يخص الظاهرة الطبيعية التى نبحثها مع أننا لم نختبر الا مجموعة محدودة من الملاحظات ، ثم نعمم حكمنا فى النتيجة على هذه المجموعة موضوع البحث وغيرها من بنات نوعها مما سوف يحدث فى المستقبل وحيث ان هذا التعميم يتناول ظواهر المستقبل التى لم نلاحظها بعد والتى قد تأتى بغير ما نتوقع ، فان حكمنا الان عليها دائما احتمالى لا يقينى — قد تقترب درجة الاحتمال من اليقين لكنها لا تصل اليه .

(٤) تحوى نتيجة الاستقراء جديدا عما هو مثبت من قبل فى المقدمات ، بينما ليس فى نتيجة القياس شىء جديد اذ الحكم فيها متضمن فى المقدمة الكبرى .

● الفرق بين الاستنباط والاستقراء:

(١) مقدمات الاستنباط التراضية وهى التعريفات والبديهيات والمصادرات) التى يفترض صدقها ويسلم به تسليما دون البرهنة عليه ، اما مقدمات الاستقراء فذات صدق واقعى اذ نستدل على صدقها مباشرة بمطابقتها بالواقع .

(٢) نتائج الاستنباط لا تكون صادقة او كاذبة فى ذاتها ، انما الصدق فيها يتعلق بصدق مقدمات النسق الذى وردت فيه النظرية، اما نتائج الاستقراء نستدل على صدقها بطريقة غير مباشرة بالاستشهاد بالمقدمات الجزئية المفردة ، وصدقها احتمالى لا يقينى .

● الفرق بين الاستقراء والمنهج العلمى المعاصر :

(١) من حيث مراحل وترتيب خطوات كل منهما ، يأتى ترتيب خطوات الاستقراء التقليدى كالاتى (الملاحظة والتجربة — الفرض — التحقق من الفرض باستخدام الملاحظة والتجربة — التعميم) أما ترتيب خطوات المنهج العلمى المعاصر فهى مختلفة تماما كالاتى (الفرض — الاستنباط — التحقق من النتائج الاستنباطية باستخدام الملاحظة والتجربة — التعميم) .

(٢) الاستقراء التقليدى منهج يقوم اساسا على الملاحظة والتجربة اذ يبدأ من امور مشاهدة ، اما المنهج العلمى المعاصر فهو منهج استنباطى استقرائى.

(٣) دور الفرض فى الاستقراء التقليدى تفسير ظاهرة او عدة ظواهر تقع فى مجال الادراك الحسى للباحث ، اما دور الفرض فى المنهج العلمى المعاصر فليس تفسير ظاهرة او عدة ظواهر ، بل تفسير فروض او قوانين او نظريات سبق التوصل اليها بتعميمات تجريبية وتكون فى حاجة الى المزيد من التفسير.

(٤) الهدف من الملاحظة والتجربة فى الاستقراء التقليدى هو وضع الفروض العامية ، فى حين ان الهدف من استخدامها فى المنهج العلمى المعاصر فهو المشاهدة الدقيقة لنتائج التجارب التى تجرى لتحقيق الفروض الصورية والنتائج الاستنباطية .

●●●

●● ذلك هو موضوع الاستدلال المنطقى ومناهج البحث العلمى ، وهو يمثل نحو ثلاثة أرباع المقرر الدراسى فى علم المنطق لطلبة الثانوية العامة عرضناه بطريقة جديدة تبرز الاساسيات

وأوجه التشابه والاختلاف بين الاستدلالات المختلفة على نحو يحقق حاجة الطالب الى الفهم والربط وادراك العلاقات ، وفحص الحقائق وحسن المقارنة بينها ، وهذا ما تعنى بقياسه امتحانات الثانوية العامة ... فلا ما انتهينا الى ذلك كان من الخير ان نعقب على ذلك ببعض الاسئلة المبتكرة التي تقيس ما اسلفناه من قدرات ، نجيب على بعضها ونترك بعضها الاخر لجهد الطالب الشخصي..

● السؤال الاول :

أ ـ كل حديد يتمدد بالحرارة لانه معدن وكل معدن بالحرارة .

ب ـ استئصال الغدة الكظرية يؤدي الى الموت لان ذلك لوحظ في حالة محمد واحمد وابراهيم وغيرهم .

جـ ـ مجموع زوايا المثلث قائمتين لان السطح مستوى .

بين في الاستدلالات الثلاثة السابقة:

١ ـ ما هو قياسي وما هو استنباطي وما هو استقرائي .

٢ ـ القضايا التي تعبر عن مقدمات والتي تعبر عن نتائج .

٣ ـ اساس الاستدلال في كل منها .

ـ « ملحوظة » السؤال السابق صممناه بدقة لقياس عدة قدرات ، كالقدرة على فحص الوقائع والتطبيق والاستدلال والتعليل ، والقدرة على حسن انتقاء المعلومات المطلوبة وادراك العلاقات ، ونقدم فيما يلي الاجابة النموذجية .

● الاستدلال (أ) « كل حديد يتمدد بالحرارة لانه معدن وكل معدن يتمدد بالحرارة » استدلال قياسي ، مقدمته الكبرى (كل معدن يتمدد بالحرارة) ومقدمته الصغرى (كل حديد معدن) اما نتيجته فهي (كل حديد يتمدد بالحرارة) .

واساس الاستدلال فيه ، مبدأ السببية ، فقد استنتجنا ان (كل حديد يتمدد بالحرارة) بسبب انه « معدن » وقد تحقق هذا المبدأ باستغراق الحد الاوسط (معدن) في المقدمة الكبرى وبذلك تسنى لنا الانتقال من الحد الاكبر (ما يتمدد بالحرارة) في المقدمة الكبرى الى الحد الاصغر (الحديد) في المقدمة الصغرى انتقالا سليما تطبيقا لمبدأ القياس القائل « كل ما يحمل على حد مستغرق ايجابا او سلبا يحمل بالطريقة نفسها على كل حد يندرج تحت هذا الحد المستغرق » .

● الاستدلال (ب) ـ «استئصال الغدة الكظرية يؤدي الى الموت لان ذلك لوحظ في حالة محمد واحمد وابراهيم وغيرهم » هذا استدلال استقرائي مقدماته هي هذه الجزئيات المفردة التي وقعت تحت الملاحظة والاختبار وهي محمد واحمد وابراهيم وغيرهم » ونتيجته هي التعميم القائل بأن « استئصال الغدة الكظرية يؤدي الى الموت » .

واساس الاستدلال فيه هو مبدأ السببية ايضا فالموت حدث بسبب استئصال الغدة الكظرية فثمة علاقة سببية او علية بين استئصال الغدة الكظرية والموت .

● الاستدلال (ج) ـ « مجموع زوايا المثلث قائمتين لان السطح مستوى» استدلال استنباطي مقدمته الاولى تعريف اقليدس للمكان بانه سطح مستوى ، وهي مقدمة افتراضية ، ونتيجته هي النظرية (مجموع زوايا المثلث قائمتين) . والاستدلال هنا يعبر عن علاقة لزوم فالمقدمة السابقة تستلزم النظرية السابقة ، والنظرية لزمت عن هذه المقدمة . ولذلك صدق النظرية يرتبط بصدق المقدمة التي تقول بأن (المكان سطح مستوى) .

= اما الاسئلة التالية فنترك الاجابة عليها لجهد الطالب الشخصي :

ـ السؤال الثاني :

● الاستقراء التقليدي والمنهج العلمي المعاصر، يتفقان معاً في أن كليهما يستخدم في مجال العلوم الطبيعية ...

بين الصواب والخطأ فيما يلي مع التعليل :

(١) المقدمتان المختلفتان كما وكيفا في قياس صحيح من الشكل الاول تنتجان نتيجة كلية موجبة .

(٢) تستغرق نتيجة القياس حدودا اقل من الحدود المستغرقة في مقدمتيه.

(٣) القضية الجزئية السالبة لا تصلح مقدمة كبرى او صغرى في قياس صحيح من الشكل الاول .

(٤) يحقق الاستقراء التقليدي متطلبات العلم الحديث .

(٥) يقوم النسق الاستنباطي على علاقة لزوم بين قضاياه .

(٦) العبارة الواحدة يمكن ان تكون بديهية ومصادرة في علمين من مستويين مختلفين

ـ السؤال الثالث :

قارن بين كل من الاتى موضحا بالامثلة :

(١) التعريف الشيئى والتعريف الرياضي .

(٢) مقدمات ونتائج القياس والاستقراء .

(٣) دور واهمية الفرض في الاستقراء التقليدى وفي المنهج العلمي المعاصر..

(٤) دور واهمية الملاحظة والتجربة في الاستقراء التقليدى وفي المنهج العلمي المعاصر .

(٥) تصور علم الطبيعة التقليدى والعلم الحديث لكل من العلية والضرورة .

ـ السؤال الرابع :

ما المقصود بالفرض في كل من الاستقراء التقليدى والنهج العلمي المعاصر ، بين دور الفرض واهميته في كل منهما .. ثم اذكر كيف نحقق الفرض في كل من المنهجين ؟.

ـ السؤال الخامس :

برهن بالامثلة على ان القضية (ليس كل الاغبياء بخلاء) تصلح نتيجة في قياس صحيح من الشكل الاول ، ولكنها لا تصلح مقدمة كبرى او مقدمة صغرى فيه ؟.

ـ السؤال السادس :

ا ـ ما المقصود بالحد الاوسط في قياس الشكل الاول ، بين دوره ، ثم اذكر كيف يتسنى له ان يقوم بهذا الدور ؟.

ب ـ هات ثلاثة اقيسة مختلفة لا يقوم فيها الحد الاوسط بدوره ، وعلل لكل حالة ؟

●● والى هنا نكون قد قدمنا لطلبة الثانوية العامة على صفحات هذه المجلة العريقة بدءا من عدد يناير ١٩٨١ كل موضوعات المقرر الدراسي في الفلسفة والمنطق وعلم النفس بطريقة جديدة تعين على الفهم وتعد الطلبة خير اعداد للامتحان ، ونرجو ان نقدم في عدد يونيو ـ باذن الله ـ الطريق الذى ينبغي ان يسلكه الطالب عند اجابته على اسئلة الامتحان متجنبا ما وقع فيه سابقيه من اخطاء شائعة .

وعلى الله قصد السبيل ..

مذكرة تفوق
من : عبقرية عمر

موازنة بين الحكم العُمَرى والحُكم العصرى

● محمد نجيب أبو العزم ●
● الموجه بالتعليم الثانوى ●
● ومقدم البرامج التعليمية بالتليفزيون ●

● مبادىء وقواعد لتقدير العظماء :

عندما نتعرض للحكم على ابطال العصور الغابرة يجب ان نضع نصب اعيننا بعض المبادىء التى تهدينا الى الحكم الصحيح وهذه المبادىء هى :

١ ـ العظماء أبناء عصورهم :

فلكل مجتمع سماته المميزة له ، ولكل عصر ظروفه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، ولكل بيئة عاداتها وطبيعتها ومناخهـــا الخاص بها ، ولكل هذه العوامل مجتمعة اثرها فى تاريخ الابطال والعظماء فهم ابناء عصورهـم وليسو بابناء عصورنا .

٢ ـ العبرة بالروح الانسانى لا بالشكل والمبدأ :

للحكومات اشكال تعرف بها كالجمهورية أو الملكية مثلا ، ولها مبـــادىء تقوم عليها كالديموقراطية والاشتراكية المعتدلة او المتطرفة ، وهذه المبـــادىء وتلك الأشكال تهدف الى تحقيق الروح الانسانى وهو العدل والحرية .

فاذا ما تحقق الروح الانسانى (العدل والحرية) فى أى نظام من نظم الحكم فلا يهمنا بعد ذلك ماذا يكون الشكل والمبدأ أما اذا فقد الروح الانسانى فـــلا قيمة للمبادىء ولا للاشكال .

٣ ـ عصرنا ليس خير العصور :

عصرنا ليس هو العصر الأمثل حتى يكون هو المقياس الأوحد لتقدير العظمـــاء عبد التاريخ والفرق بينه وبين غيره من العصور هو الألفة او الاستغراب لبعض ما نسمع عنه او نقرؤه فى سائر العصور .

● لم يكن زهد عمر راجعا إلى ترمت في الطبع أو ضيق في الأفق، أو بخل في الانفاق ... وإنما كان في تشدده هذا يصدر عن إيمان وثيق بالله وقدرة على ضبط النفس.

وبعد أن عرضنا لهذه المبادىء التي ينبغي أن تكون واضحة في أذهاننا عند تقدير الأبطال ـ فاننا واجدون في بعض أعمال عمر بن الخطاب شيئا من الغرابة التي قد تجعلنا نخطىء في تقديرها للوهلة الاولى ولكنها بعد شيء من التأمل والنظر السليم تزول غرابتها وتبدو لنا مسايرة للروح الانساني، وان بدت غريبة في شكلها الظاهري .

•• ولنضرب مثالا لبعض هذه الاعمال العمرية .

● الزهد العمري ●

يقول الأستاذ العقاد

« كان عمر وهو القدر المالكين في عصره يقنع بالكفاف ويلبس الخشن من الثياب . ويداوي ابل الصدقة بيديه ويراه رسل الملوك وهو نائم على الارض نومة الفقير الموقع ومسافر مع خادمه فيتساوى معه في المأكل والمركب والكساء » .

والسؤال هو :

ما رأى المعاصرين في هذا المسلك العمري ؟ وما حجة المعاصرين فيما يقولون ؟ ثم ما وجهة عمر فيما ارتسم لنفسه ؟

● وجهة النظر العصرية

يقول العصريون : ان حاكم الأمة ينبغي الا يصنع هذا ، ولا يطالب به . لأنه يحتاج الى المهابة بين قومه وبين غيره من الأمم والأقوام . وهذا حسن ومشكور .

● وجهة النظر العمرية

● لقد حقق عمر الغاية التي يريدها العصريون وهي الهيبة والمهابة عن طريق أقوم وأيسر ، فلقد كان يعيش عيشة الفقراء وأمته وأمم اعدائه اهيب له من هيبتهم لذوى التيجان والقصور

● لقد كان عمر يهدف الى تثبيت العقيدة ـ وهي أساس الدولة ـ قبل أن يهدف الى تثبيت سلطانه ، والعقيدة اذا استقرت في نفوس المواطنين دالوا بالطاعة لمن يرعاها ، وكانت هذه المعيشة خير عون لعمر في تحقيق هذه الغاية

● لم يكن زهد عمر رجعا الى ترمت في الطبع او ضيق في الأفق أو كزازة في النفس أو بخل في الانفاق ، وانما كان في تشدده هذا يصدر عن ايمان وثيق وقدرة على ضبط النفس واقتناع بأن ما عند غير الله ينفد وما عند الله باق ومما يروى عنه في ترويض نفسه أنه حمل يوما قربة من الماء على كتفه ولما سئل في ذلك قال : « ان نفسي أعجبتني يوما فاردت ان اذلها » .

● لقد كان عمر يدين نفسه بهذا الأسلوب في حياته ومعيشته ولكنه لايدين به غيره من الولاة والرعية ولا يلزمهم باتباعه فللمسلمين حل ماشاءوا من الطعام وللولاة عنده ما للمسلمين من حق المتعة والحياة السوية . وقد أجاز عمر

من عبقرية عمر

لواليه معاوية ان يتخذ لنفسه ماشاء من السمت والابهة والمظهر مادام أمر الحكم والولاية في حاجة اليه .

● على أنه ينبغي الا ننسى أن (طبيعة الجندى) وهى مفتاح شخصية عمر قد هيأت نفسه لحياة التقشف والخشونة كأنه دائما فى ميدان الحرب والقتال والجندى القوى هو الذى يأخذ نفسه بأداء الواجب والوفاء بالحق حتى يلقى ربه نقى الصفحة بدلا من ان يجعل معوله الوحيد على طلب الصفح من الله . وهو لهذا يؤثر ان يجور على نفسه لا أن يتمادى فى اعطائها كل ما تشتهى من متع الحياة الزائلة .

● كان عمر فى مسلكه هذا وفيا لحق الصداقة : صداقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصداقته لأبى بكر ، قد أبى وفاؤه أن يعيش خيرا مما عاشا ، وكثيرا ما توسل اليه أصحابه وذووه ومنهم ابنته حفصة أن يستكثر من الطعام الطيب والنعمة السائغة فكان يسأل ابنته : « كم كان نصيب النبى من هذا ومن ذاك وأنت تعرفين نصيبه .. ؟

● ثم هنالك رغبة عمر فى اقامة الحجة على ولاته وعماله حتى يستحى الواحد منهم ان يخون ليغنى وخليفته يعيش عيشة الكفاف .

● كان عمر يذكر دائما انه مسلم ، وخليفته . واذا كان المسلم لايحسابه فى هذه هى وجهة نظر المصريين ووجهة نظر عمر فيما ارتسم لنفسه من حياة الزهد العادى يأكل مما كسبت يداه اما الخليفه فانه يأكل من بيت الله ، بيت المال .. واذن فالحرج كل الحرج أن يأخذ اكثر من حاجته .

هذه هى وجهة نظر المصريين وجهة نظر عمر فيما ارتسم لنفسه من حياة الزهد والتقشف .. وهنالك اعمال عمرية اخرى وقف عندها المصريون يستغربونها لأنهم ألفوا حياة تختلف عن الحياة التى عاش فيها عمر ..وماهذه الغرابة الا اننا نقف عند الشكل الظاهرى دون ان ننفذ بابصارنا وبصائرنا الى اللباب والجوهر فالعدل هو العدل .. جوهره ثابت فى كل عصر ، والفرق انما فى الشكل الذى يؤدى به ،ولا يضير العدل العمرى انه لم يستوف(الصفة القانونية)او الاجراءات الرسمية العصرية التى اعتدناها والفناها فالمهم ان تكون نظرتنا الى الروح والجوهر لا الى الشكل والمظهر .

● من دروس الأدب والنصوص

للشاعر ابراهيم اليازجى يخاطب العرب :

فشمروا وانهضوا للامر وابتدروا
من دهركم فرصة ضنت بها العقب

لاتبتغوا بالمنى فوزا لأنفسكم
لايصدق الفوز مالم يصدق الطلب

خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا
على الوئام ودفع الظلم تعتصب

بالله ياقومنا هبوا لشأنكم
فكم تناديكم الأشعار والخطب

أ ـ عبر باسلوبك عما يدعو الله الشاعر العربى فى هذه الابيات .

ب ـ (ضنت بها العقب) . اذكر كلمة واحدة معارية لهذا التعبير وبين ما فيها من خيال .

جـ ـ فى البيت الثالث صنعه لفظية وضحها واذكر رأيك فيها .

● من أهم الملامح التي تتميز بها المدرسة الكلاسيكية الجديدة في الشعر، وحدة البيت والمحافظة على الاطار الخارجي القديم للقصيدة

د ـ ينتمي الشاعر الى مدرسة شعرية ٠ فما هي ؟ وماسماتها الواضحة في هذا النص ؟ ٠ وماذا في قصيدته من تجديد ؟

هـ ـ تكررت (لا) في البيت الثاني مانوعها في كل مرة وماعراب الفعل

● الاجابة ●

أ ـ يحث الشاعر العرب على أن يفيقوا من غفلهم ويأخذوا الأهبة أمرهم وينهضوا لواقعهم ، وأن يغنموا هذه الفرصة التي لاتتكرر ٠ وهي فرصة ضعف الخلافة العثمانية التي طالما استبدت بسلطانها ٠

ثم يحذرهم من ان يركنوا الى الاماني والاحلام الخادعة فما نيل المطالب بالتمني وانما يتحقق الفوز في الحياة عندما يواكبه ، العمل ، والطلب الجاد ٠

ثم يدعوهم الى ان ينبذوا التفرق والتمزق ، وان يكونوا بهذا واحدة تلتقي من اجل الحب والالفة ، ودفع الظلم عنهم واخيرا سيخلف الشاعر العربي بان يستجيبوا لندائه وينهضوا لشانهم ، فقد اكثر الشعراء والمتحدثون من الحث على استنهاض الهمم واستعادة الحقوق والامجاد ٠

ب ـ (فرصة ضنت بها الحقب) ٠ فرصة نادرة ٠ او ثمينة وفي هذا التعبير من الخيال ان الشاعر يصور الحقب والسنين بانها كانسان بخل بما لديه واخيرا جاد بهذه الفرصة ٠ وذلك للدلالة على انها فرصة ثمينة ونادرة لاتتكرر وفي هذا مايدعو الى اغتنامها ٠

جـ ـ الصنعة اللفظية واضحة في قوله (التعصب ـ عصبا ـ تعتصب) فبين الكلمات الثلاث جناس اى تشابه في الحروف مع اختلاف في المعنى ٠ وبينهما ايضا مطابقة ٠ فالتعصب بمعنى التفرق التحزب ، والعصب بمعنى الجماعات الموحدة ٠

د ـ المدرسة الشعرية التي يمثلها الشاعر هي مدرسة الكلاسيكية الجديدة٠ ومن أهم ملامحها في هذا النص ٠

● المحافظة على الاطار الخارجي القديم ٠٠وهوالوزن الواحد والقافية الواحدة

● وحدة البيت في القصيدة ٠ فلكل بيت معناه المستقل بحيث يصعب تقديم بيت على بيت او حذف بعض الأبيات دون أن يختل المعنى ٠

● في كثير من خيال الشاعر ومعاليه نقل من القديم كما في قوله (التم بين راحات الفناسلب) (فأسمعوني صليل البيض بارقة في النقع) (في ملتقى الخيل حن الخيل تضطرب) ٠

● اما التجديد في هذا النص فيتمثل في امرين هما ٠

ا ـ وحدة الموضوع ٠٠ فالقصيدة تدور حول موضوع واحد ٠

● ب ـ الموضوع ٠٠ فهو من ادب القومية العربية وهو غرض مستحدث ٠

هـ ـ (لاتبتغوا) ٠٠ (لا) ناهية والمضارع بعدها مجزوم بحذف النون وواو الجماعة في محل رفع فاعل (لايصدق الفود) ٠ لانافيه والمضارع بعدها مرفوع بالضمة الظاهرة والعذر فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة ٠

أعجب من كل عجب

● درية عبد الله ●

ان مافى الوجود مما سوى الله تعالى فهو من فعل الله وخلقه، .. وكل ذرة من الذرات من جوهر وصفة وموصوف ففيهـا عجائب تظهـر بها حكمـة الله وقدرته ، وجلاله وعظمته .. واحصاء ذلك غير ممكـن ، لانه لو كان البحـر مداداً لذلك لنفد البحر قبل ان ينفـد عشره .

فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيـك من العجائب الدالة عـلى عظمة الله تعالى ماتنقضي الاعمار فى الوقوف على جزء ضئيل منها وانت غافل عنه ؟.. فيامن هو غافل من نفسه وجاهل بها ،كيف تطمع فى معرفة غيرك ؟.. وقد أمرك الله تعالى بالتدبر فى نفسك فى كتابه العزيز فقال (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان مـن سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقـة ..) الى ختام الآية الكريمة ..

فمن عجائب المعاني والصفات التى تدرك بالحواس : الانسـان ، ظاهـره وباطنه والى جسمه وصفاته فترى به من العجائب مايقضى به العجـب ، الا خلق الله سبحانه وتعالى الانسان مـن النطفة ، وكيف جعلها علقة ، ثم جعل العلقة مضغة ثم جعل المضـغة عظاما واعصـابا واوعية واوتارا وراسـا ، وشق السمع والبصر والانف والفم .

واذا تامل الانسان النطفة كيف كانت اولا وما صارت اليه ثانيا وانه لو اجتمع الجن والانس عـلى ان يخلقوا للنطفـة سمعا اوبصرا ، او عقلا او روحـا او عرقوا او جلدا او شـعرا ، هل يقدرون على ذلك ؟

تحول النطفة لارباب السـمع والقـلب لا للذين من السـمع معزولون ، توهمنى فى ظلمة الأحشاء مغموسـة فى الوقت الذى يظهر التخطيط والتصـوير على وجهى لينقش النقاش حـدقتى ، واجفانى وجبهتى ، وخدى وشـفتى ، فترى التقويس يظهر شيئا فشيئا على التدريج ، ولاترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها، ولا داخل الرحم وخارجه، ولاخبر منها للام ، ولا للاب ، ولاللنطفة ولا للرحم ، .. انما هذا باعجب ممـا تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبـة ، لو نظرت اليها مرة أو مرتين لعلمته ؟.

فهل تقدر على ان تتصور ابداع هذا الجنس من النقش والتصوير الذى يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائهـا من غير ملامسـة للنطفة ومن غير ايصال بها لامن داخل ولامن خارج ؟ .

ومع كل هذه العجـائب ، ان الذى صور ونقش وقدر لا نظير لهولايساويه نقاش ولا مصور .. كما ان نقشـه وصنعه لايساويه نقش وصنع .. فلقد اتم كل هذا بغير قلم مما نعرفوبدون آلة تصوير ..

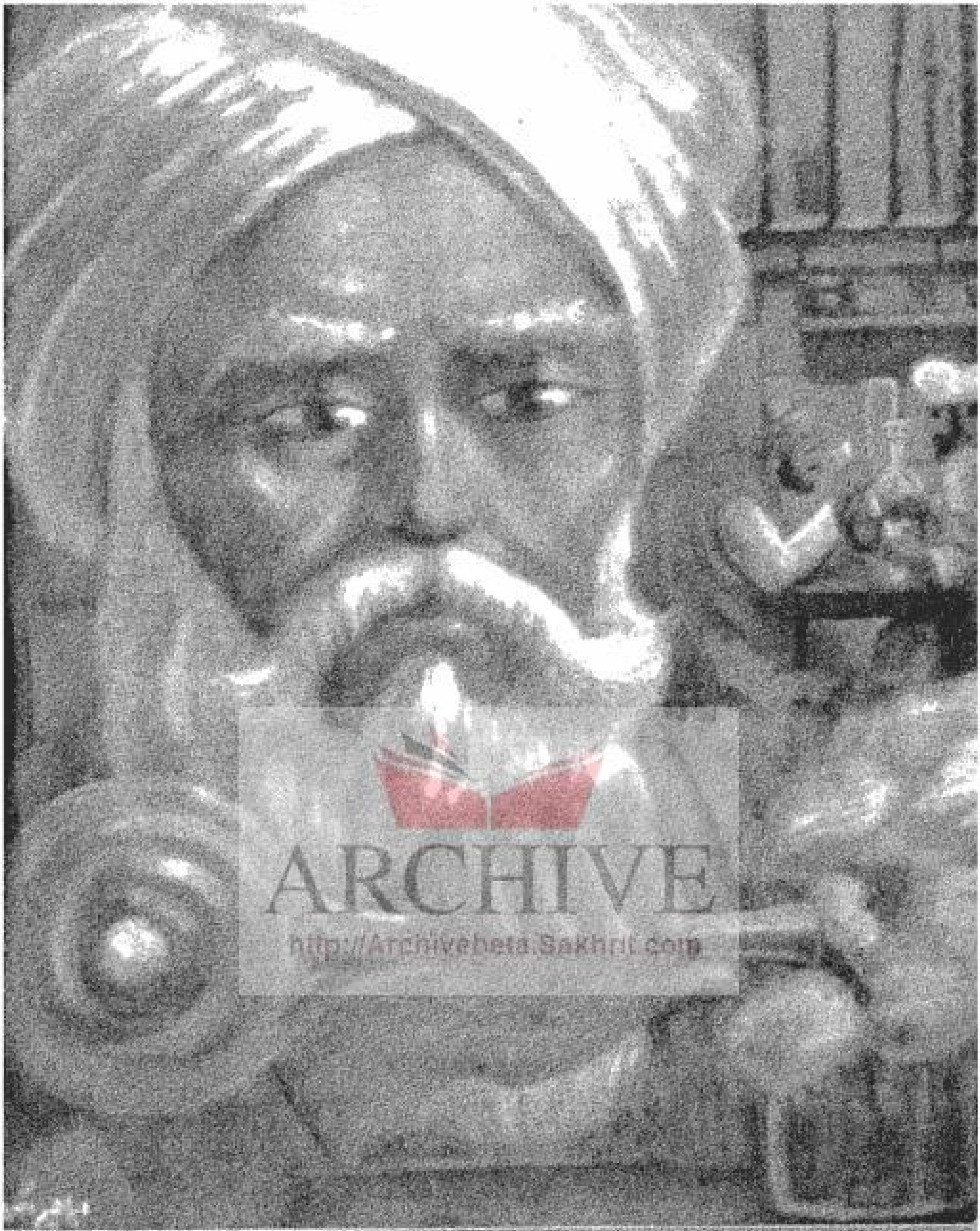
فان كنت لاتتعجب من هذا، فتعجب من عدم تعجبك . فانـه اعجب من كل عجب .. فان استكثرت من معـرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتـك بجلاله وعظمته اتم .

●●

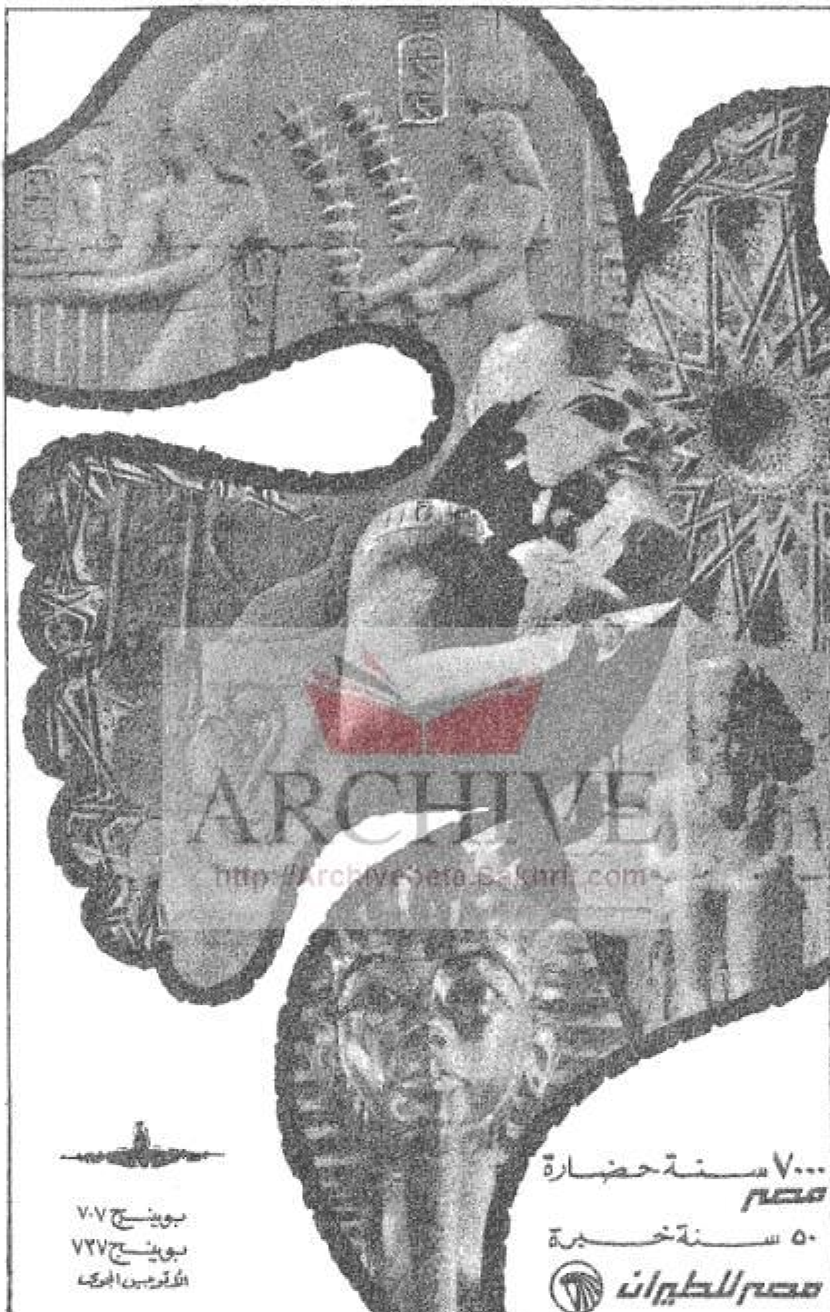
أنت أدرى ...

● عاد عبد الله المبارك الصباح ●

يا حبيبى ، لو فرشتُ الدربَ من أجلكَ زَهْرا
وملأتُ الجوَّ أضواء وألحانا وعطرا
ومددتُ الهُدْبَ فى غابةِ أحلامِكَ جِسرا
ونسجتُ الأمسياتِ البيضَ للأشواقِ وكرا
هاتنا يقطرُ طيبا ... دافئا ينبض سِحْرا
لبدا الكوْنُ لنا من نفحة الفردوسِ قصرا
نحنُ فيه وحدَنا للحبِّ أحرار وأسرى
يا حبيبى ، كم ترامَت لهفتى برا وبحرا
كم زرعتُ الأرضَ شوقا وسقيتُ النبت خمرا
وسمعتُ الريحَ تحكى آهةً فى الصدرِ حرّى
أنا لو فجرتهُ دمعى ماغدتْهُ فى الكون صخرا
أنا لولا حبك المُلهمُ ما حررتُ سطرا
حبكَ الملهم خلّى همساتى لكَ شِعرا
ياحبيبى ، إنَّ قلبى ليسَ يعصى لك أمرا
كلّما هيأتَ لى تضحية .. هيأت عشرا
لو طلبتَ الشمسَ والزهرةَ والأنجمَ طرا
لترامت حول أقدامِك بالفرحةِ سكرى
مُرْ تجدْنى أجعلُ الليلَ إذا ماشئتَ فجرا
والخريفَ الجهمَ نيسانا وألوانا وبُشرى
يا حَبيبى ، لا تَسَلْ مالون حبّى .. أنت أدرى




يونيـة ١٩٨١م
أنت
و
المستقبل


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧

شعاع واحد من نور

لى زمن طويل اتمنى على الله ان اكتب فى هذه الافتتاحية كلمة مشرقة او مستبشرة ، ولكن أهلنا العرب لا يتفضلون علينا بهذه الفرصة ولا يجد الكاتب مندوحة عن ان يستمر فى الكتابة فى نفس الاتجاه : اتجاه التحسر والالم والنصح والرجاء ..

وهل من الممكن ان يظفر الانسان بشعاع واحد من الامل فى الافق العربى كله ؟ هذا لبنان يحترق فعلا ، وفلسطين التى كانت - وينبغى ان تكون - شاغلنا الاول اصبحت اليوم مشكلتنا الثانية . بلوة لبنان غطت على بلوة فلسطين .

ووراء هاتين بلوة حرب العراق وايران ، وقد طالت هذه الاخيرة واصبحت عملية استنزاف للبلدين ، والعراق بلد عربى شقيق ، ومن الاسف ان يدخل فى هذه المأساة التى لا مخرج منها فى القريب على الاقل

ويبدو ان مشاكلنا كلها من النوع الذى لا يحل . سواء على المستوى الداخلى ام الخارجى فان المشاكل العربية لا تحل قط . ومنذ كنت غلاما فى المدرسة الابتدائية كانت البلهارسيا مشكلة مصر الاولى ولا تزال ، والفلاح الذى يبدو انه مسئول عن مصير البلهارسيا فى الدنيا لا تسمح له نفسه لديدانها بان تموت ، وهو - بكل شهامة - يسارع « فيدب » رجليه او جسمه كله فى البرك والمستنقعات ويدعو البلهارسيا الى دخول جسمه ، وهذه ليست فكاهة او محاولة تظرف ، فهذا بالفعل هو موقفنا من مشاكلنا كلها . اننا لا نحلها ولا نريد لها ان تحل .

رجاء لوجه الله اتقدم به ، فنحن واهلنا العرب : اننا فى حاجة الى شعاع واحد من نور يضىء لنا الطريق ، فقد اشتد الظلام وطال بنا الليل ..

المحرر

○○ والسؤال النائم عند حافة التنهدات:
من أنت ؟!

● نصر الدين عبد اللطيف ●

لعله ، لاشىء مثله يمكن ان يجىء ، فى وقت معا ، سيئا وجميلا ـ : الحفل ! ..

هو الذى عطل فى الصحراء ، فجاة ، سيارة شابة بديعة عيناها متاهة، وريحها عطر العشب الناضج ! ..

وهو الذى سرح بها على الرمال توقفت عند خيمتى هناك ، والخيمـة بلون البحر ! ..

.. ..

من اجل عينيها ..

ولكى نجد وسيلة للنجدة ..

ولانها سالتنى السؤال القائم عند حافة التنهدات : من انت ؟ ..

و ... لواحد واربعين سببا بعد ذلك ، فلقد اسدلت علينا الاســتار ، وبدا المشهد ـ ظاهرا ـ كما لو ان خيمتنا مغلقة للتحسينات ! ..

.. ..

لكن ، وحتى لا ننسى الوجه الآخر لليل ، فها نحن اخيرا قد انفتحنا على النهار ! ..

الآن ، نحن على صفو هواء ، وفضاء ، تحت مظلة الله ! ..

على المدى ، عبر بحر الرمال ، لا تبدو لضيفتنا طلائع نجدة ...

حولنا ، وبين ايدينا ، وتحت اعيننا كتب ، كتب ، كتب ، كتب ...

وكلما طوقتنا نسمة مهاجرة الى صباح الناس والعصر .. خيل انا نسمع فى السكون العظيم نبض الليل يخفق للصحراء : عزت الصحراء ... تنبت العشاق ، والشعراء ، و ... القراء ! ..

● محاورات المساء ●

● ... وآه يا عزيزتى لو تحققت له امنيته !

ـ امنيته ! .. من هو ؟

● الأسد .. !

ـ اى ... اى أسد ؟!

● ... الذى كان يمكن ان يطلع عليك فجاة وانت ......

ـ اياياه ! .. وانا معك ؟

● لا ، وانت تائهة فى الصحراء ، قبل ان تبلغى الخيمة !

ـ حصل خير ! .. لا طلع على فجاة ، ولا ....

● ولكن ، كان يمكن ان يطلع عليك و ..

ـ اذن فلعلها امنيتك انت ، وليس الاسد ! ..

● كلنا نتمنى ! .. وبعدها كل واحد ياكل بطريقته !

ـ آه ، المسالة اذن فيها اكل ؟

● تصورى ••• صحراء شاسعة ، واسد جائع ، وشابة حلوة تائهة و ••• و •••

لا ، لا ! •• و •• قل لى : لماذا تفكر لى على هذا النحو المفزع ؟!

● ربما لانك الان تفكرين ، ولا تقولين لى فيم تفكرين !

ـ آه ، ولكن ••• لعلى كنت افكر فى ••• فى « الرجل الذى ••• »

● ••• الذى هو انا ؟ •••

ـ لا ! •• الذى هو القصيدة !

● آه ، ذلك الذى جعلته الشاعرة « اريكا جونج » قصيدة العمر ؟!

ـ نعم ، القصيدة التى زعمت لى بالامس انك مكسوف تقولها !

● الامس غير اليوم ! •• وبين الاحياء لاحياء فى الشعر !

ـ اذن ••••••

● عن القصيدة والشاعرة احكى لك الان ـ ان شئت !

ـ فانى اشاء ! ••

● على ان يكون لى منك الامان •••

ـ الامان ؟!

● من رفيف الاهداب •• وتمرد خصلة الشعر ، ولفتات القوام الذى ••• !

ـ ها ها •• ! تعنى

● تماما •• نريدها ساعة للشعر •• لا ساعة للفتنة !

●

••• ونحن نسبح بالامس فى بحر الحوار •••
قدمت لك ، يا سيدتى ، رأس هذه القصيدة ـ عنوانها ـ مغلفا بغلطة مهذبة ! ••

••• الحق ان العنوان فى الاصل ليس هو « الرجل الذى •• »
انما العنوان شىء غير ذلك ، يقع فى ثلاث كلمات ، تنقل او تقال ، فيقع لها مع فضيلة الحياء ـ حادث اصطدام ! ••
على اننا هنا ، ولحسن الحظ ، يمكن الا نتوقف عند العنوان •• فلعله هنا ، كما هو فى قصائد أخرى كثيرة ، مجرد اشارة مرور •• قد تستوقفك ثم تاذن لك بالانطلاق ، ثم لا شأن لها بما يصادفك بعد فى الطريق ! ••
لنتركه الآن جانبا عنوان هذه القصيدة المثيرة للشاعرة الحسناء الامريكية المعاصرة ! ••
اننا بذلك نتفادى حرج الخصومة مع الحياء الجميل فى الشرق •••
••• ونتجاوز ايضا عنق الزجاجة التى يضعنا فيها الغربيون من نقاد العصر •••
ففى الترجمة ، وللشعر بالذات ، يرى الفرنسيون ان الترجمة كالمرأة •
فى عصر المرأة •• : الامينة ، مادة غير جميلة ••
والجميلة ، غالبا ، غير أمينة !

●

سرى بنا الحديث ، يا عزيزتى ، ولا نزال نحوم خارج الاسوار •••
لا تفتحت لنا أبواب القصيدة ••• ولا تسلمنا مفاتيح شخصية الشاعرة!
•• والشاعرة تلك النيويوركية البديعة ، اريكا جونج ـ هى ربيبة مدرسة التحليل النفسى عند فرويد ، والاتجاهات السريالية فى الادب ••
فى ديوانها الشهير « فواكه وخضروات » نلتقى بميزتين اثنتين ، يعز الجمع فى الشعر بينهما •• : الجراة والعذوبة ! ••

وفى اكثر مواقفها مع الشعر ، فانها تغنى مظلة السريالية :

وهى تدين بالسريالية فى التعبير عن صـــورها الغامضة ... ولكن الغموض فى شعرها مغمم بجاذبيه خاصه ، كلما توقفت عندها : قفزت الى ذهنك صوره سابقت الزمن من تراثنا العربى عند ابن الاثير ! ..

هل تعرفين ، ياسيدتى ، ابن الاثير ؟

لكن .. وحتى لا تجهدك تقلبات الجو فى الانتقال الكثير والمفاجىء بين الشرق والغرب ، فلنرجىء الآن حجز مقعدين فى مجلس ابن الاثير .

ان ما نحن فيه الآن هو الغموض السريالى فى شعر اريكا جونج

هنا ايضا وبالمناسبه ، يطرح الغموض نفسه على اوسع المواقع فى خمائل الشعر المعاصر ...

واذا كان انصار القديم بيننا وفرسانه لا يزالون تحت السلاح فى حربهم مع الجديد من الشعر المغمض ...

فلقد كان هناك من القدم القدامى من تصدى لنصرة المغمضين ، ومن اعلن هذا وسجل فى الجزء السابع من « الفلك الدائر » الكتـاب الكبير لابن الاثير !

« افخر الشعر ، هو ما غمض فلم يعطك غرضه الا بعد مماطله » !

فى المأثور من مقولات التعريف بالشعر :

ان الغرض من الشعر هو ترتيب الاماني ! ..

وعند اريكا جونج ، ولفترات واسعة من الشباب الباكر ـ كان الغرض من الشعر هو ترتيب مخاوفها !

لقد دخلت مراحل الصبا ، ومشت الى الشباب يشـــدها فى الحلم واليقظة خيال غامض للعاشق الغامض ، الرجل الذى ترغبه ، وتخافه ، وتحلم به كل امراة ، واى امراة !

وكلما مرت الايام اقتربت من الواقع ملامح هذا الخيال ليصبح ذلك المجهول شبحا ، طيفا ، يطاردها ، يخترق وحدتها ، تلفح انفاسه صفحة مرآتها .. وفى كل اللحظات يرعبها انه سوف يأخذها ! ..

وفى ضباب هذه الهواجس المذعورة تجيش فى النفس اطياف شجن غامض بعيد .. وقد يجيء الشعر ! ..

وعندما يجيء ، فان اللقاء مع اول من يسمع القصيدة الاولى ، قد يعين على المسار ، قد يهدى ، او يضل ! ..

ولكن صدفة اللقاء الاول مع القصيدة الاولى ، لم تفتح لشـاعرتنا مسارا ولا مدارا ، ولم تتح لها مثل طرافة حظ ناظم حكمت ! ..

و .. لا ، لا ياسيدتى .. لن اسأل هل تعرفين الشاعر ناظم حكمت ..

انه هنا ، عندنا ، فى كتب كثيرة له وعنه ! ... سادعوه يجيئنـا ، يحكى بنفسه تجربة القصيدة الاولى ..

وبعدها تعاود نحن سهرتنا مع اريكا الجميلة ..

ويعود هو الى بطن ديوانه الكبير ! .. :

القصيدة الاولى فى حياتى وشعرى ، كان موضـــوعها قط تعنى به وتعطف عليه اختى ..

وقد وصفته فى قصيدتى بانه ابيض كالثلج ، رقيق رشيق ، ناعم كالحرير ، وعيناه زمردتان ! ..

وفى خطوات الواثق الزهو حملت القصيدة الى اسـتاذى ، ارى رايه

وقرأ الاستاذ القصيدة ، ثم قال لى : اريد ان ارى الفط قبل ان احكم.

فلما كان الغد ، وحملت اليه القط ، تامله مليا .. وكان القط اعور اعرج . قذرا ، مقززا ..

وتنهد الاستاذ وهو يقول لى : مادمت بارعا فى التكذب الى هذا الحد ، فابشر .. ستكون شاعرا عظيما ! ..

ولست أدرى الآن ، يا عزيزتى ، ذنب من ، اننا كلما تقدمنا نحو قصيدة اريكا ، سرحنا ، وعرجنا ، وجازت فينا مقولة اهل الذكر :

« شغلهم عن الاصل ، ما بنى على غيره ، وقيس عليه » !

ان كل ماكان ينبغى ان يقال تعريفا او تقديما لهذه القصيدة المتعبة ، ان اريكا الجميلة قد عايشها الفضول والخـــوف من ذلك المجهول الذى لا تراه ، والذى تحسه يحوم حولها .. حتى خرج الخوف من اعماق الحس الى حيز الواقع ! ..

بدات ترهب الليل وحـدها .. وادمنت فحص النـــوافذ والابواب وما تحت الفراش قبل النوم !

لكن الامور لم تبلغ لحسن الحظ ما هو ابعد من هذا واعقد ..

فلقد كان هناك طبيب النفس الفرويدى البـــارع .. ومن بعـد جاء الحب ، ثم كان الزواج ..

فى كل هذه المراحل كانت انفعـــالاتها تعتمل فى اعمـــاقها ، تنمو وتزهر .. حتى تفتحت اخيرا فكانت قصيدة العمر صـــدقا ، وبراعة ، ومجلبة للذيوع واللمعان ! ..

.. ها هى الآن ، يا عزيزتى ، ـ واخيرا ـ القصيدة التى كلما تقدمنا نحوها ـ تاخرنا ! ..

ترى .. كيف ينبغى ان اقدمها لك ؟ .. ان ترجمة الشعر من لغته الى غير لغته ، لا تزال اصعب المعادلات فى ادب العصر ! ..

فى الترجمة الملتزمة نصا وحرفا ، لا يجىء الشعر شعرا ! ..

وفى الترجمة العمودية نظما وقافية ، يجىء فى بناء القصيدة ، الدخلاء والغرباء واولاد الحرام فيشكلون اغلبية ساحقة ! ..

ماذا ترين اذن يا ..

ما هذا ، .. ان العزيزة زار جفنيها الوسن ! ..

آه ، عزيزتنا .. تزوجها النوم ! ..

لاوقت اذن ، ولا امل فى صفحة اخرى هنا للقصيدة التى اتفقنا على ان عنوانها ليس هو : « الرجل الذى .. » !

الآن ليس هنا الاى ! .. ـ انا ـ الرجل الذى يغنى ، منذ حين ،والمقاعد خالية ! ..

الآن ، اذن ، نسدل الاستار ..

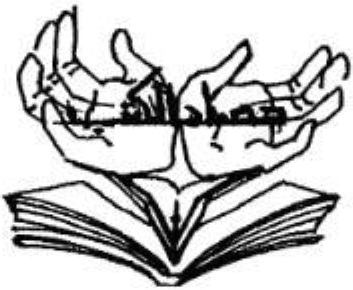
.. نامت الفتنه ! ..

.. نطامن جموح القلم !

والآن .. وضعت الكلمات اوزارها !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

حصاد الكتب



● شروق وغروب ●

« الى كل نجم أضاء لى الطريق : وكل زهرة جملت لى الحياة .. وكل قلب افاض على الحنان والامان ، وزرع فى الامل والطموح .. اهدى هذه النبضات»

بهذه العبارات الرقيقة يقدم الشاعر عمر أحمد ديوانه شروق وغروب ونبضات قلب الى القراء فى أنحاء الوطن العربى الكبير .. والشاعر عمر أحمد الشعبى أستاذ لغة عربية من سورية معار المغرب الشقيق ، يتميز شعره بالجزالة والموسيقى وروح العروبة الخالصة ..

● ايقاعات ... ●

الاديب الناقد فنان القصة الدكتور السعيد الورقى ، صدرت له هذا الشهر مجموعته القصصية الجديدة « ايقاعات حزينة من زمن الموت» .. المجموعة تضم احدى عشر قصة قصيرة ، وتحمل طابع الكاتب السكندرى الشاب ، المفعم برهافة الحس ، وروح العصر ، والاداء الفنى المتميز ..

● نقد الرواية .. ●

يعيش النادى الادبى – فى الرياض – مرحلة خصبة من النشاط والانتاج الثقافى ، ويقدم للمكتبة العربية اضافات هامة وقيمة .. ومن أحدث منشوراته فى سلسلة كتاب الشهر : « نقد الرواية – من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة » ، للاستاذه الدكتورة نبيلة ابراهيم سالم ، وقد تناولت فصول هذا الكتاب القيم الشعر والقصة واللغة فى العمل القصصى ، والمناهج النقدية والدراسات اللغوية ، وكذلك المنهجين الواقعى والبنائى ..

● ساق من ذهب .. ●

للشاعر السكندرى المجيد ، أحمد السمرة ، انتاجه المتميز فى ميادين

القصيد ، والاغنية والقصة ، وله نشاطه في الحياة الثقافية بالاسكندرية ·· وها هو يضيف الى مجالات ابداعه المسرحية الشعرية الجديدة « ساق من ذهب » وهي تتيح للقارىء العربي ولعشاق الشعر الرصين فسحة ممتعة مع هذا اللون من الادب المسرحي المفعم بالقوة والرقة والوجدان العربي العميق ·

وفي المجتمع العربي ، وكما يقول الشاعر السمرة ، فانك تجد متعة التامل والتعمق في المعاني الانسانية في صور مختلفة من الفن ، ولكنك لن تجدها بالعذوبة في غير الشعر العربي ··

● سكر نبات ·· ●

في هذه المجموعة القصصية الجديدة « سكر نبات » ، تحاول الكاتبة هدى جاد ان تتخذ لنفسها اتجاها خاصافي ابداعها القصصي ، فهي تتناول شرائح اجتماعية معينة تعرض من خلالها لمواقف ، وتقول شيئا معينا ، وهي في سبيل تحقيق ذلك تتنقل بين اساليب النجوى الداخلية في التعبير عن المشاعر ، واساليب الرصد الفني الخارج عن النفس ·· وبهذه الموهبة وصدق الاداء ، تتميز هذه المجموعة الجديدة للقصاصة والفنانة الجادة هدى جاد ··

● شجرة الحلم ·· ●

« كتاب المواهب » ، سلسلة ادبية قيمة ، يصدرها « قطاع الادب ـ الهيئة العامة للفنون والآداب » ، وتخصص اساسا لانتاج المواهب الشابة ·· وفي هذا العدد الجديد من كتاب المواهب « يقدم الدكتور عبد العزيز الدسوقي ، المشرف على قطاع الادب ـ ديوانا من الشعر الجديد لشاعر شاب يمتلك الموهبة والاداة ، هو ديوان « شجرة الحلم » للشاعر حسين محمد علي ··

ولعل من أبرز الملامح في هذا الديوان الجديد ، أن الشعر الحديث فيه يتفتح على أعذب المنابع المتمثلة في تراثنا الروحي ويتصل بمعين لا ينضب له عطاء ، ويمثل أملا من آمال الشعرفي الشمول والازدهار

● دراسات في الشعر ·· ●

ثلاثة من شباب الشعر العربي المعاصر هم أمل دنقل ، ونجيب سرور ، وحسين علي محمد ، توقف مع انتاجهم وتناوله بالنقد والتقييم الادبي والناقد مصطفى نجا ، في كتابه الشائق « دراسات في الشعر » ··

الكتابة من منشورات الكلمة الجديدة بالسويس ، وهو كتاب غير دوري يرأس تحريره الكاتب والروائي محمد الراوي ، ويتولى الاشراف الفني الاستاذ محمد عطا ··

وفي هذه الدراسات الشعرية تتألق الرؤية النقدية المفعمة بالتعاطف والعاطفة ويبرز الناقد مصطفى نجا اديبا وشاعرا بالاضافة الى ملكته المتميزة في موازنات النقد والعرض والتحليل ···

فى هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربى

رجب ١٤٠١ هـ
يونية ١٩٨١ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩١
ـ السنة التاسعة والثمانون ـ اول
يونيه سنة ١٩٨١ ـ ٢٨ رجب سنة
١٤٠١

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر . ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد مايرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لاترد ، نشرت ام لم تنشر

الإشراف الفني
أحمد الوردي

● صورة الغلاف ●

على غلاف هلال هذا الشهر وجه جميل . بعد المتاعب التي عانتها كل الاسرات في بلادنا بسبب الامتحانات التي لا يخلو منها بيت ترتاح النفس لصورة جميلة كلها تفاؤل واستبشار .

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم - قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا ساغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراك بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات او ٤ جنيه . لا تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراك بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة تليفون ٢٠٦١٠ . عشر خطوط .

الطريق السلطانى طريق الفقر!

بقلم : رئيس التحرير

كلنا سلاطين او نريد ان نكون سلاطين · حتى الفقير والمتسول عندنا سلطان · انه يقعد مكانه والناس يعملون ليطعموه ، أليس هذا هو السلطان ؟ ·· السنا كلنا نبحث عن الطرق السلطانية للحياة ·· طرق العمل القليل ، والاكل الكثير والانجاب الاكثر ·· حتى الجامعات حولناها الى طرق سلطانية ·· اربع سنوات لعب فى نهايتها الشهادة والوظيفة ·· يصيح الأب : لقد انفقت دم قلبى حتى ربيتهم ·· سبحان الله ياسلطان ·· وهل عندك دم تنفقه ؟!

منذ نحو العام أصدر جمال حمدان الطبعة الجديدة الموسعة من كتابه « شخصية مصر » التى أصبح منذ طبعته الاولى من ذخائر الدراسات العلمية عن مصر وطبيعتها ، وشعبها وخصائصه · وهذه الطبعة الثانية ذخر حقيقى من ذخائر العلم العربى ، وكان لابد لى من ان أكتب عن هذا الكتاب ، ولكن ــ وهذه حقيقة ــ قراءة هذا الكتاب قراءة فهم استلزمت منى شهورا طويلة ··

فى هذا الكتاب تقرأ تحت عنوان : « ما يكتب ومالا يكتب : « فاذا ما عدنا بعد هذا الاستدراك الواجب الى مصر ، فاننا نصطدم بمشكلة ، مؤسفة وجسيمة كالعقبة الكاداء ، فنحن كشعب لابد لنا ــ بصراحة ــ أن نعترف اننا لا نحب فقط أن نمجد ونطرى انفسنا بحق وبغير حق ولكننا أيضا نحب أن نسمع عن انفسنا ما يرضينا ويعجبنا ، أو يرضى اعجابنا بذاتنا الوطنية وبشخصيتنا القومية ، بل اننا لنكره أشد الكره أن نسمع عن عيوبنا وشوائبنا ، ونرفض باباء ان نواجهها أو نواجه بها · ولا تكاد توجد فضيلة أو ميزة على وجه الارض الا وننسبها الى أنفسنا نلصقها بها ، وأيما رذيلة أو عيب فينا ــ ان هى وجدت على الاطلاق ! ــ فلا محل لها لدينا من الاعراب أو الاعتراف ، وان اعترفنا بها على مضض واستثناء ·· فلها عندنا العذر الجاهل والمبرر · والحجة المقنعة ·

« ·· ليس هذا فحسب ــ أو ليت هذا فحسب ، فما أكثر بعد ذلك ما تقلب عيوبنا عن عمد الى مزايا ونقائصنا الى محاسن ، بل اسوأ من ذلك قد نتباهى

● نحن كشعب لابد لنا - بصراحة - أن نعرف أننا لا نحب فقط أن نمجد ونطري أنفسنا بحق وبغير حق ، ولكننا أيضا نحب أن نسمع عن أنفسنا ما يرضينا ويعجبنا أو يرضي إعجابنا بذاتنا الوطنية وشخصيتنا القومية . د. جمال حمدان

ونتفاخر بعيوبنا وسلبياتنا ذاتها ، ولعل هذا تجسيد لقمة ما سماه البعض « الشخصية الفهلوية ، بل الملاحظ اننا زاد جهلنا بمصر كلما زاد تعصبنا لها » .

« .. أيا ما كان ، فنحن معجبون بانفسنا اكثر مما ينبغي والى درجة تتجاوز الكبرياء الصحي الى الكبر المرضي ونحن نتلذذ بممارسة عبادة الذات في نرجسية تتجاوز العزة الوطنية المتزنة السمحاء الى النعرة الشوفينية الساذجة البلهاء أو الهوجاء ، انه مركب عظمة بكامل ابعاده ، وبكل معنى الكلمة . هذا - وسنرى بل كما ترى حولنا بالفعل - مقتل حقيقي كامن للشخصية المصرية فمن المحقق الذى لا يقبل جدلا أو لجاجا ان كل مركب عظمة تمل أو مفتعل ، هو مركب نقص مقلوب

Inverted Inferiarity complex

انه تعويض مريض عن شعور هو أصلا مريض أكثر شعورا بعدم الثقة ، بالعجز والقصور ، باليأس والضمور ، والاحباط والانحدار ... »

الى هنا كلام جمال حمدان ، ويبدأ كلامي . انا في نفس الاتجاه ، فلست والحمد لله أعاني عقدا ولا مركبات نقص بالذات لانني أحب هذا البلد وأحب الوطن العربي كله حبا حقيقيا صحيا ، مثل حب الاب السوي لابنه السوي ، فبقدر ما يحب هذا الاب ابنه بقدر ما يتالم لايسر ما يرى من عيوبه وأخطائه .

ذلك اننا نحن المصريين ، أو غالبيتنا العظمى على الاقل - لم نعرف قدر مصر ولم نخدم بالقدر الذى تستحقه .

كلنا نعيش عالة على مصر . كلنا ناكل من كفيها دون أن نفكر فيها . وكلنا نعتقد ان مصر لم توجد الا لكي نعيش عليها عالة وان من حقنا ان ناكل لحمها دون حساب .

وانظر حولك ترى مصاديق ما أقول . فاننا نحن المصريين نمدح انفسنا دائما بما ليس فينا ، ويبلغ بنا خداع النفس اننا نصدق ما ندعيه ، فنحن لا نذكر اسم مصر الا قلنا : الحبيبة ، فهل نحن نعاملها على انها حبيبة حقا ؟ الذى اعرفه انك اذا احببت شيئا بذلت نفسك في سبيله فكم من الذين يقولون: مصر الحبيبة ، مستعدون لبذل انفسهم في سبيلها . هناك فعلا ناس مستعدون للتضحية في سبيل مصر ، ولكن هؤلاء لا يقولون : مصر الحبيبة ، ولا ينظمون القصائد في حبها لانهم يحبونها ، وهم يكتفون بالعمل لمصر بخدمة مصر ، فهذا هو الحب ، وهذا أكبر دليل عليه .

***

ومصر في ذاتها كنز عظيم ، والذى ينتسب اليها يملك في الحقيقة فرصا عظيمة لبناء نفسه وبناء مصر في نفس

● وهل هناك طريق سلطانية للحياة أسهل من طريق الجامعة ؟ كل الناس يريدون دخول الجامعة .. لماذا ؟ لأنها طريق سلطانية سهلة للحياة .. أربع سنوات لعب .. بعدها الاجازة الدراسية ثم الوظيفة الدائمة

الوقت ، واكتفي هنا بذكر الموقع الجغرافي ، فهذا الموقع ذاته ثروة عظمى لاننا نعيش في قلب الدنيا وملتقى القارات ومعبر الامم . ولو أوتي ذلك لشعب غيرنا لاصبح أعظم شعب تاجر في الدنيا لان نصف تجارة الدنيا تمر بأرضنا ، فلو اننا اهتممنا بالتجارة واشتغلنا بها عن علم وفهم وضمير سليم لكنا اغنى الامم ، والدليل على ذلك ان اليوناني والارمني والايطالي والشامي يجيء الى بلدنا ويشتغل بالتجارة ويكسب ما شاء له الكسب .

فتعال معي وانظر ماذا فعلنا مثلا ببورسعيد . لقد حارب الجنود وهزموا العدو واستعادوا لنا القناة ومنطقة القناة وانفقت الدولة الملايين لتعيد بناء بورسعيد ،وبلغ من اهتمام الدولة بأمرها ان جعلتها مركزا للسوق الحرة ، وفتحت الابواب على مصاريعها لكل من يريد ان يستورد ويصدر ، فماذا فعلنا بذلك كله؟

لقد حولنا بورسعيد الى اسوأ سوق تجارى في الدنيا . والبلد الذى كان ينبغى أن يصبح مصدر خير وبركة لمصر كلها احتكر التجارة فيه نفر هم أبعد ما يكونون عن مفهوم التجارة السليمة الامينة ، وجعلوا همهم أن ينهبوا ليغتنوا هم وحدهم ، ومضوا يستوردون لنا اسوأ البضائع ويبيعونها باغلى الاسعار ،

والكثيرون منهم يهربون بل لا يتاجرون الا في المهربات ، وأنشأوا متاجر منظرها يسوء العين : لا شكل ولا تنظيم ولا ترتيب ولا حسن معاملة ،وانما هي فهلوة وتهليب وخداع للناس ، حتى أصبح الذهاب الى بورسعيد أشبه بالمغامرة . وقد اضطروا الحكومة بأفعالهم تلك الى تشديد الحراسة والرقابة . فأصبح المنظر اسوأ . هذا الى جانب فوضى الميناء وسوء العمل فيها وطول الاجراءات وتكدس البضائع ..

وهؤلاء الذين يعملون ذلك هم الذين لا يذكرون اسم مصر الا قالوا «الحبيبة»! ومصر في واقع الامر لا تريد ان تكون حبيبة هذا الطراز من الناس .

فقارن والله بورسعيد بهونج كونج ، وهونج كونج كانت فيما مضى مركز تهريب واجرام ، ومع ذلك فقد نظمها المستعمرون الانجليز وجعلوها من اكبر مراكز التجارة في الدنيا ، بل اكثر من ذلك : جعلوها مركز صناعة ، وما اكثر البضائع التى ترد الينا من صناعة هذا البلد الصغير ، ومع ذلك فان الناس هناك لا يقولون : هونج كونج الحبيبة ! وبدلا من شقشقة اللسان هذه فانهم يعملون في سبيل بلدهم وينهضون باقتصادها حتى أصبحت أغنى بلاد الدنيا ، دون أن تكون حبيبة لاحد أو مفداة بأحد .

● ثم إن فلاحنا - مثله في ذلك مثل بقيتنا - سلطان صغير أو يفكر بعقلية السلطان .. فهو يقعد مكانه وعلى الناس الباقي .. ومتوسط عمله في السنة شهران ، ثلاثة .. والباقي شاي ومعسل!

والحقيقة اننا كلنا في هذا البلد سلاطين او نحلم بان نكون سلاطين ،حتى المعدم يسأل الله الغني والمال بشرط الا يتعب او يشقى في سبيله ، وعندما اتلفت حولى اجد ان متوسط ساعات العمل بالنسبة للمواطن العادى لا تزيد على ساعة فى اليوم ، ومع ذلك فان انتاجه فى هذه الساعة سيء وغير متقن .

وهل هناك آلم للنفس من ان تسمع وزيرا مسئولا يقول - وهو صادق - ان قيمة البضائع التي انتجناها ولانستطيع بيعها بلغت الى الان ثلاثة ملايين ونصف المليون من الجنيهات ؟

وهذه البضائع لا تباع لانها غير متقنة الصنع ، ومن ثم فهي لا تجد من يشتريها وبينما تتلهف الدنيا كلها على صناعات اليابان والمانيا وفرنسا نجد ان اكثر بضائعنا تتكدس ولا نجد من يشتريها . حتى نحن لا نشترى صنع يدنا ونفضل عليه المستورد ، لاننا نعرف أن صناعتنا غير جيدة ، وهذا في حد ذاته اهانة لكل واحد منا .. الا الذين يقولون دائما «مصر الحبيبة» فهؤلاء لا يشعرون باهانة او مهانة أبدا ..

وموضع الاهانة اننا نحن الذين علمنا الدنيا الصناعة المتقنة ، ونحن لا نكف عن الفخر باجدادنا الذين شادوا الحضارة ، وننسى اننا بحالتنا الراهنة غير جديرين بأولئك الاجداد الذين نفخر بهم . ونحن غير جديرين بهم لاننا كسالى لا نريد ان نعمل ، واذا عملنا فنحن لا نتقن ، وكل هذا آت من قلة الحب لبلادنا ، فان الياباني يعمل ما يعمل لأنه محب لبلاده . وفي كل مصنع ياباني يهدى كل عامل ياباني ساعة عمل زيادة لليابان بدون أجر .. فقارن هذا بما نفعله نحن من عدم العمل فى ساعات العمل ثم المطالبة بأجر اضافي عن ساعات أخرى لا نعمل فيها شيئا . فهل هذا تصرف ناس نحو وطن يحبونه؟ واذا كنا نكره ، فماذا كان يمكن ان نفعل بها اسوأ مما نفعله بها الآن ونحن نزعم اننا نحبها .

***

هذا وبلدنا بلد زراعى وبلد انتاج طعام ، وقد كنا في الماضي نطعم الآخرين توصل بنا الامر الى اننا نستورد معظم طعامنا ، أليست مأساة ان ما تنفقه الدولة فى دعم الطعام يزداد باستمرار ، فقد كان الدعم ١٠٠٠ مليون دولار من خمس سنوات فأصبح في عامنا الحالى ٢٠٠٠ مليون دولار عام ١٩٨١ ، واذا استمر الحال على ذلك فسيجيء وقت

● وهؤلاء الذين حولوا بورسعيد من سوق حرة جميلة تدر الخير عليهم وعلى البلد إلى سوق أسود اليم لا يعرفون حق مصر. ولا يذكرون انهم يسيئون إلى بلد عظيم لا يستحقونه

لا تستطيع الدولة فيه أن تقدم الدعم الكافى ، لأن عددنا فى زيادة ، والذى ينجب طفلا لا يفكر قبل انجابه فى غذاء هذا الطفل ، لانه يؤمن بان « مصر الحبيبة » ستطعم له ابنه وتغذيه ، وما عليه هو وأولاده الا أن يفتحوا افواههم لتقوم مصر بملئها بالطعام .

ونحن نقول مثلا نقول ان الفلاح المصرى أمهر فلاح فى الدنيا فى شئون الزراعة وما يتصل بها من انتاج لبن وجبن ولحم وما الى ذلك ، ثم ننظر فنجد أن هذا الفلاح الامهر يقف فى آخر فلاحى الدنيا من حيث المعرفة بشئون الزراعة وما يتصل بها . فهو لم يبتكر من اصناف الجبن الا صنفا واحدا بدائيا بسيطا فى حين ابتكر غيره عشرات الاصناف من الجبن . حتى اللبن الزبادى لم يعرفه ، وكان لابد ان نتعلمه من غيرنا .

وهل هناك أعجب من تصرف الفلاح فى الماء ؟ لقد كانت مشكلة الفلاح قبل السد العالى هى قلة الماء . وحول الماء كانت تدور حروب الفلاحين . ثم جاء السد العالى ومعه الماء الكثير ، فأصبحت مشكلة الفلاح كثرة الماء ، فهو يروى الارض حتى يشرق النبات ، وهو يسقى حتى يأخذ الماء الكثير املاح الارض ويهبط الى أسفل فيموت ، النبات . هذه الالوف من السنين لم تعلمه كيف يتصرف فى الماء بينما الفلاحون فى اوروبا كلها وفى اليابان يعرفون بالضبط قدر ما ينبغى لكل نبات من ماء ، ويعرفون متى يروون ومتى لا يروون . فهو فلاح متعب وكل شىء عنده مشكلة : قلة الماء مشكلة وكثرة الماء مشكلة .

ودودة القطن مشكلة، **والبعوض مشكلة والفيران** مشكلة **وهو لا يحل مشكلة ابدا ، كانما وظيفته خلق المشاكل وعلينا نحن حلها . وهو لايسمع كلام الناصحين ابدا ، كانه جنس آخر يعيش فى وطن آخر . وامامك مسالة تحديد النسل . كم سنة مضت ونحن ننادى : يا ناس خففوا نسلكم بعض الشىء حتى نستطيع ان نعيش .. والجواب ؟ زيادة فى الانجاب حتى أصبحنا ننموا بمعدل مليون ومائتى الف نفس فى العام ! .**

***

ذلك ان فلاحنا ، مثله فى ذلك مثل بقيتنا سلطان صغير او يفكر بعقلية السلطان ، فهو يقعد مكانه وعلى الناس الباقى ، ولقد دهشت من أيام من متسول أطل برأسه داخل السيارة يتسول وفى يده سيجارة ، ولم أتمالك نفسى ان قلت له : بدلا من ان تتسول لتدخن احترم نفسك ولا داعى للتدخين ، فقال بكل

● وأمامك مسألة تحديد النسل .. كم سنة ونحن ننادي : يا ناس .. خفضوا نسلكم بعض الشيء حتى نستطيع أن نعيش .. والجواب : زيادة في الإنجاب حتى أصبحنا نمو بمعدل مليون ومائتي ألف في السنة !

صفاقة : حتى الدخان يستكثرونه علينا! ومضى يسب ويلعن ..

ثم لمت نفسي وقلت لها : مالك وهؤلاء .. هؤلاء سلاطين على عروش من تراب . وليس فيهم من ليس سلطان الا التعساء أمثالنا ممن يحبون هذا الوطن ، ولاننا نحبه فقد جعلنا أنفسنا خدما .. والباقى سلاطين .

***

ولانهم سلاطين فهم يبحثون دائما عن الطرق السلطانية . والطريق السلطانى فى الحياة هو الطريق الذى تكسب منه المال دون أن تعمل أو تعمل أقل ما يمكن لانك سلطان والسلاطين يشتغل لهم الخدم .

وهل هناك طرق سلطانية للحياة أحسن من طريق الجامعة ؟ كل الناس يريدون دخول الجامعة ،لان الجامعة طريق سلطانى واسع : تدخل كلية من الكليات وتقضى فيها أربع سنوات ، تعمل فى كل سنة منها شهرا ، ثم تتخرج وتتوظف و « يتخصص » على مكتب ويأتيك راتبك كل شهر وعلاواتك كل عام وترقياتك فى مواعيدها ، وأنت سلطان زمانك . فهل هناك أمتع من هذه الحياة ؟ .

لهذا فأنا لا أعجب بأى أب يقول : أنا ربيت أولادى الاربعة حتى حصلوا على شهاداتهم الجامعية !

يقول انه رباهم ، وهو لم يفعل اكثر من أنه اطعمهم ، اما بقية العمل فقد عملته الدولة التى انفقت على الجامعة الملايين . والاب كان سيطعم ابناءه سواء دخلوا الجامعة أو دخلوا الطابونة .. أجل ! ثم يقول انه « صرف دم قلبه » . قبل أن يقولها كان ينبغى ان يسأل : وهل فى قلبه دم لينفقه .

لا والله ما فى اجسادهم قطرة من دم .. انهم عشاق الطريق السلطانى ، طريق الفقر .. تسعون فى المائة من الذين يدرسون فى الجامعات مثلهم مثل ذلك المتسول الذى يمد يدا للتسول وفى اليد الاخرى سيجارة ..

وأليس التسول طريقا سلطانيا فى الحياة ؟

وهل هناك انسان غير السلطان يدع الناس يعملون ويطعمونه وهو قاعد مبسوط .. سلطان زمانه !

د . حسين مؤنس

ومن العالم ما قتل

التكنولوجيا والتنمية والبيئة

● د . محمد عاطف كشك ●

● التكنولوجيا والتنمية والبيئة ، ثلاث قضايا وصل النقاش والجدل العالمى حولها فى السنوات الاخيرة الى درجات من الحدة والتنوع والغنى ربما لم تعرفها اى قضية اخرى من قضايا المجتمع البشرى ..

وقضايا التكنولوجيا والتنمية والبيئة لايضمها معا فى سياق واحد ذلك الاهتمام العالمى الضخم فحسب وانما هى ايضا قضايا وثيقة الصلة ببعضها تتشابك معا فى علاقات متداخلة متبادلة التأثير بحيث اصبح من العسير تناول قضية منها دون الاشارة من قريب جدا الى القضيتين الاخريين .. ذلك ان التنمية ارتبطت فى الاذهان كما ارتبطت فى الواقع باستعمال وسائل واساليب تكنولوجية متقدمة ، واصبح التسابق المحموم من اجل تنمية المجتمعات هو فى اغلبيته تسابقا وتنافسا فى سبيل حيازة وتطويع التكنولوجيا المتقدمة . وهذه التكنولوجيا المتقدمة هى نفسها التى جعلت قدرة الانسان على تغيير العالم قدرة فاقت كل تصور ووصلت الى حدود جعلت صيحات الجزع تعلو فى كل مكان : اوقفوا هذا الوحش المخيف .. فالتكنولوجيا التى كان الهدف منها توفير الخير والرخاء والتقدم للانسان وفعلت كل ذلك بقدرة فائقة كان فى امكانها ايضا وبنفس القدرة الفائقة ان تسبب كثيرا من الشر والدمار ..

هذه هى الملامح العامة لشكل العلاقة المتداخلة بين التكنولوجيا والتنمية والبيئة . وفى هذه الدراسة القصيرة محاولة لتناول بعض تفاصيل هذه العلاقة بهدف اساسى ، وهو التوصل او القرب من صياغة مقبولة تجعل **استخدام التكنولوجيا فى عملية التنمية** محققا لاكبر قدر من الرخاء البشرى ، وفى نفس الوقت لاينتج عنه الا اقل قدر من التدمير للبيئة الانسانية .

وفى البداية سوف نناقش بعض النقاط العامة بخصوص التكنولوجيا المعاصرة توضح اهم خصائصها وما تحمله من دلائل متعلقة بالتنمية والبيئة ثم نتناول بعد ذلك الاثار البيئية لبعض الانشطة الانسانية المرتبطة بعملية التنمية فى الزراعة والصناعة والنقل والمواصلات والاسكان والتوطين ..

الخ . وفى جميع هذه المجالات سوف يتم التناول فى اطار واحد اساسى ،وهو كيف يتم تطوير وتطويع التكنولوجيا لكى تحقق عملية تنمية فعالة تضم ضمن اهدافها الاساسية المحافظة على البيئة الانسانية لصالح الاجيال القادمة من البشر .

● **سمات عامة للتكنولوجيا المعاصرة**

فى مقال قصير وطريف للغاية نشره « جون كروسبى » فى « الاوبزرفر » الصادرة فى ١٣ - ١ - ١٩٧٤ بعنوان « لماذا والى اين » حاول الكاتب ان يدين الايمان الاعمى بالتكنولوجيا والذى يجعل الناس ينبهرون فى اغلب الاحوال بالاساليب التكنولوجية المتقدمة دون ان يسالوا انفسهم : لماذا والى اين ؟ لماذا تحاول دولة فقيرة مثلا مثل البرازيل ان تمتلك قمرا صناعيا خاصا بها ؟

لماذا ، مثلا ، تبذل الدول الكبرى كل تلك الجهود الخارقة والاموال الطائلة لانزال انسان على سطح القمر؟ لقد كان الهدف الاساسى هو التسابق بين امريكا وروسيا ، واخيرا عندما وقف الانسان فوق سطح القمر لم يجد ما يفعله سوى التقاط بعض الصخور والعودة بها الى الارض ! ..

ولكن هل يساوى ربع طن من صخور القمر مبلغ مائة مليار دولار كان يمكن ان تحقق الرخاء والامن لكل سكان الارض ؟

والحماقات الانسانية فى استعمال التكنولوجيا تبدو عديدة للغاية ولكن الانسان المنبهر لا يسال نفسه : لماذا والى ين ؟ واذا خطر السؤال على ذهنه فهو لا يجد الوقت الكافى لكى يفكر فى القضية برمتها ، وغالبا ما تكون الاجابة الوحيدة الممكنة : انه انجاز عظيم للعقل البشرى ... اليس شيئا جميلا ان يكون لنا قمر صناعى خاص بنا ؟ اليس شيئا رائعا ان يصل الانسان الى سطح القمر ؟ نعم ، ربما كانت هذه انجازات رائعة وعظيمة ، ولكن ما افدح الثمن الذى يدفعه الانسان احيانا فى سبيل ان يقف مزهوا بنفسه !

والذى يدعو الى الدهشة اكثر ان الانجاز التكنولوجى لا تكون له احيانا اى مبررات او فوائد واضحة مثلما حدث عندما حشدت فرنسا وانجلترا امكانياتهما العلمية والمالية فى بناء الطائرة الكونكورد .. والاصل فى اختراع الطائرات وتطويرها هو ان ينتقل الانسان بسرعة وامان ، وان تصبح الطائرات اقل تكلفة فى تشغيلها وصيانتها واكبر حجما لكى تزداد قدرتها على النقل واقل تسببا فى تلوث الجو ... الخ .

فلماذا اذن تبذل الجهود والاموال فى سبيل بناء طائرة صغيرة مزعجة مكلفة جدا وليست، كما يبدو ، مأمونة الاستعمال مثل هذه الطائرة ؟ ... هذا سؤال ربما لم يطرحه احد ، ولكن المؤكد ان احدا لم يجب عليه اجابة مقنعة ...

● **ليست حلا سحريا لكل المشاكل ؟**

هذا الايمان الذى يصل حد الهوس والاعجاب غير الموضوعى بالتكنولوجيا المعاصرة ، ربما كان نتيجة للاعتقاد الراسخ الذى ظل سائدا لفترة طويلة والذى لايزال سائدا حتى الآن فى كثير من الدول . والذى مؤداه انه بالعلم والتكنولوجيا يمكن حل جميع المشاكل - هذا الاعتقاد ليس صحيحا على اطلاقه ، فالواقع ان التقدم العلمى والتكنولوجى ليس غاية وانما هو وسيلة ، وهى وسيلة محايدة تماما يمكن استعمالها لصالح الانسان اوضده ، يتوقف ذلك على الهدف الذى نضعه نصب اعيننا ونحن بصدد ادخال او تطوير او استعمال اى انجاز علمى ..

وربما لا يكن مفيدا ان نناقش سوء النية لدى بعض اصحاب المصالح والاطماع الدولية عندما يطورون تكنولوجيا الحرب والدمار ، فهذا لن يتغير بمجرد ان نفهمه وانما لابد لكى يتغير من ان يتغير شكل العالم وعلاقات القوى السائدة فيه وهذا هدف يبدو حتى الآن بعيد المنال .. الاكثر فائدة هو ان نناقش الاخطاء التى تصاحب استعمال التكنولوجيا .. وهنا يكون حسن النية متوفرا ويكون الهدف هو خدمة

الانسان ، ولكن عدم الاكتراث أو عدم تمحيص ونقد الوسائل والاساليب التكنولوجية يجعل استعمالها محفوفا بالمخاطر .

وهناك في الواقع امثله عديدة لماسي حديثا بالتكنولوجيا الخاطئة

وفي كتاب Theca elessTecrology ضخم ـ قيم وشيق ـ يقع في ٢٠ ١٠ صفحة جمع فيه مؤلفاه : تاجي فارفر وجون ميلتون البحوث العديدة التي القيت في مؤتمر علمي عن « الجوانب البيئية للتنمية الدولية » ونشر الكتاب عام ١٩٧٢ بعنوان « التكنولوجيا غير المكترثه The Faulty technology .

ونجد فيه امثله عديدةجدا للاستعمالات الخاطئة للتكنولوجيا والتي ينشا عنها تدمير شديد للبيئه الانسانية في كثير من المجالات .

والحل الوحيد الذي يمكن قبوله لهذه المشكلة المعقدة هو ان توجه التكنولوجيا لصالح توفير الاحتياجات الانسانية الاساسية مع تمحيص ونقد الاساليب التكنولوجية باستمرار لكي لاينتج عنها الا اقل ضرر ممكن .

● التكنولوجيا وفرص العمالة :

وهنا لابد من الاشارة الى ان اهم الاحتياجات الانسانية الاساسية هي توفر العمل المنتج لكل انسان . وعند الاختيار بين انواع التكنولوجيا تتم المفاضلة بين نوعين اساسيين بينهما اختلاف جذري : التكنولوجيا المصحوبة بتكثيف راس المال والتكنولوجيا المصحوبة بتكثيف العمالة ، وفي الدول الصناعية الغنية كان الاختيار للنوع الاول ، ولكن الذي يدعو للاسف والدهشة هو ان معظم الدول الفقيرة المتخلفة قد اختارت نفس نوع التكنولوجيا الذي اثبت نجاحا وقدرة عالية في الدول الصناعية ، لكن النتيجة كانت محزنة، فهذا النوع من التكنولوجيا التي تعتمد على تراكم رأس المال وتوفر المعرفة والمهارة لم يثبت في الدول المتخلفة اي نوع من النجاح او القدرة ونتج عنه في نفس الوقت انتشار البطالة بكل انواعها الظاهرة والمقنعه وبدرجة تبدد كل امل في اي استقرار اجتماعي وفي اي نجاح لخطط التنمية .

● مخاطر نقل التكنولوجيا :

ونقل الاساليب التكنولوجية التي تم تطويرها في الدول الصناعية المتقدمة الى الدول المتخلفة التي تسودها ظروف مختلفة تماما لا تنتج عنه فقط مشاكل البطالة الحادة ولكن تنتج عنه مشاكل اخرى عديدة مثل نقل انماط انتاجية واستهلاكية غير ملائمة بل ومدمرة للمجتمع ومحبطة لخطط التنمية

والأخطر من كل ذلك هو الاعتقاد الزائف الذي يصاحب نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة الى دول العالم الثالث وهو انه لا توجد حاجة ماسة لتطوير قدرات تكنولوجية خاصة لدول العالم الثالث طالما ان الاساليب التكنولوجية الفعالة يمكن استيرادها من الدول الصناعية المتقدمة . ومصدر الزيف في هذا الاعتقاد ـ فضلا عما يصاحبه من مخاطر سبق الاشارة الى بعضها ـ اعتقاد مستحيل التحقيق . فلا يمكن لأي دوله ان تمارس الاختيار الحر لما يناسبها من تكنولوجيا ولايمكن ان تملك مصيرها في تحرير التكنولوجيا من المصالح الاستثمارية والاستعمارية الجديدة ولان تطور وتطوع التكنولوجيا المستوردة بما يناسب ظروفها ..

كل ذلك مستحيل التحقيق مالم يوجد في الدولة المعنية قدر كاف من القدرات التكنولوجية القومية . وهنا يتضح الخطر المتمثل في الاعتماد التام على استيراد التكنولوجيا والعجز التام عن تطوير التكنولوجيا الملائمة للظروف المحلية والتي تعتمد على القدرة على اختيار وتطويع التكنولوجيا المستوردة واعادة اكتشاف وتطوير الاساليب التكنولوجية التقليدية ثم ابتكار اساليب تكنولوجية جديدة وليدة البيئة

■ العلم والتكنولوجيا محايدان يمكن استعمالهما لصالح الانسان أو ضده

■ لكى نسود الطبيعة علينا أن نطيع قوانينها لا أن نجبرها على أن تطيع أوامرنا

والظروف المحلية .

● **التكنولوجيا سلعة :**

ويخفى احيانا على الدول التى تعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على التكنولوجيا المستوردة ان التكنولوجيا المعاصرة سلعة مثلها مثل اى سلعة دولية تخضع للاحتكار وتستعمل لممارسة الضغوط الاقتصادية والسياسية كما ان التكنولوجيا باعتبارها سلعة تمارس فيها كل انواع الغش والتدليس فكما يمكن للدول الصناعية المتقدمة ان تبيع لحوما فاسدة أوادوية ضارة أومبيدات محظور استخدامها لكثير من الدول الفقيرة مستخدمة فى ذلك كل الاساليب المشروعة وغير المشروعة ـ فانها تستطيع ايضا ان تمارس نفس الطرق فى فتح أسواق جديدة للأساليب التكنولوجية الضارة والمدمرة للبيئة والتى عفى عليها الزمن وتلك التى تم انتاجها ولكن المجتمعات المتقدمة لم تسمح باستعمالها فيها وكان لابد من تصديرها لمكان ما عليه ان يقبلها بحكم الحاجة او بحكم الجهل او نتيجة لخراب الضمائر والنفوس به .

● **التكنولوجيا وتحكم الانسان فى الطبيعة .**

لايخفى على احد ان قدرة الانسان على تغيير الطبيعة قد قامت كل تصور بامتلاكه للتكنولوجيا المتقدمة فقد أصبح فى مقدور الانسان ان يغير مسار الانهار وان يشق انهارا جديدة وان يغير حتى من المناخ المحلى وان يقهر الجبال والرياح ويغزو اعماق الارض واجواز الفضاء .. الخ .

واصبح فى مقدور الانسان المعاصر ان يفعل كل ذلك فى زمن قصير للغاية . والنقطة التى غابت عن كثير من الاذهان او تم تجاهلها عن عمد تتمثل فى تلك الصيحة الشهيرة التى اطلقها فرنسيس بيكون : « لايمكن ان نسود الطبيعة الا ان نطيعها » .

هذه الصيحة التى كانت حافزا للتقدم المذهل فى العلوم الطبيعية وما نتج عن تطبيقاتها من انجازات تكنولوجية ضخمة ، هذه الصيحة يساء اليوم استعمالها او يساء تفسيرها ، فنحن لن نستطيع ان نسود الطبيعة الا ان نفهمها ونحبها ونخضع لقوانينها ونحافظ عليها .

وكثير من الاساليب التكنولوجية الخاطئة لم تصبح خاطئة الا لانها تريد ان ترغم الطبيعة لا ان تطيعها . تريد ان تامرها فتنصاع الطبيعة للاوامر الانسانية وهى فى كثير من الاحيان تنصاع نتيجة القدرة التكنولوجية الفائقة ، ولكن انصياع الطبيعة يعنى اختلال التوازن الطبيعى وهذا يؤدى الى كثير من الكوارث بعضها بعيد الاثر الى حد لايمكن تصوره . وربما كان هذا هو السبب الذى دعا البعض الى التحذير من يوم قادم تفنى فيه الحياة من على سطح الارض .

ويبقى الحديث عن بعض الاثار الجانبية الانسانى مثل الصناعة والزراعة والنقل والمواصلات والاسكان والتوطين ..

الجامع الأزهر

يختتم رسالته الألفية العظيمة

● محمد عبد الله عنان ●

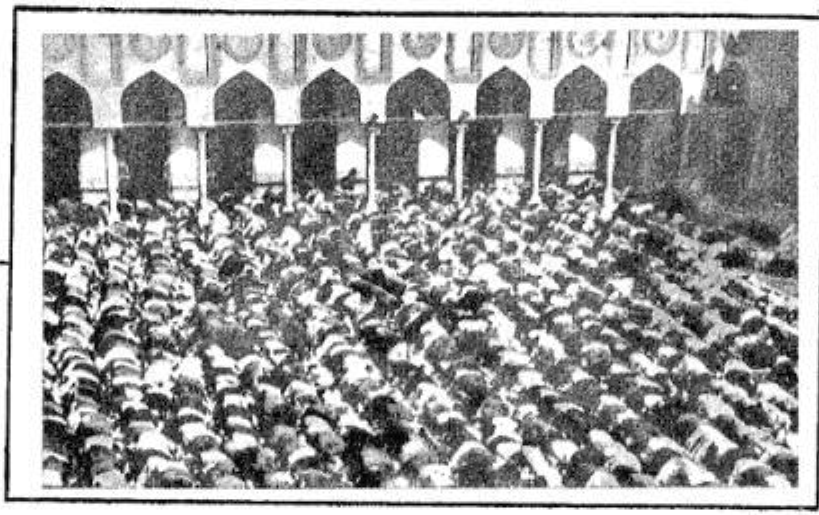
● في الثاني والعشرين من شهر يونية سنة ١٩٧٢ ، كان الجامع الازهر قد بلغ عمره الالفي بالتقويم الميلادي .. وقد وضعت خطط الجامع الازهر ، بعد قيام مدينة القاهرة المعزية باشهر قلائل ، في جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ وافتتح للصلاة في يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ ، الموافق ليوم ٢٢ يونية سنة ٩٧٢ م .

وقد كانت الحكومة المصرية ،اعتزم ان تحتفل بهذه المناسبة العلمية و لقومية العظيمة ، على غرار ما فعلت بعيد القاهرة الالفي في سنة ١٩٦٩ م ، وكانت برامج هذا الاحتفال قد وضعت بالفعل ، ولكن من بواعث الاسف الشديد ، ان حالت الظروف الخاصة التي كانت تجوزها مصر يومئذ ، دون تنفيذ هذا العزم ، فصرف النظر عن اقامة هذا الاحتفال في ذلك الوقت .. ولكن تجدد الحديث اخيرا عن نية الحكومة في الاحتفال قريبا بهذا الحدث القومي العظيم .

والنية معقودة كذلك على ان يكون الاحتفال بعيد الازهر الالفي على مستوى عالمي شامل على نحو ما وقع في الاحتفال بعيد القاهرة الالفي .

وعلى اي حال ، فانه مما يجدر ان تكون هذه المناسبة الالفية للجامع العظيم فرصة للتنويه بتاريخه وذكرياته .

ان الازهر هو بلا مراء أعظم الآثار الفاطمية الباقية ، وقد اقامته الدولة الفاطمية غداة افتتاحها لمصر ليكون مسجدا جامعا ، لعاصمتها الجديدة القاهرة ، وليكون منبرا رسميا لدعوتها الشيعية الامامية ، ولم يكن في برنامج الخلافة الفاطمية في البداية ، ان يكون جامع الازهر ، معهداً للقراءة والدرس ولكنه لم يلبث ان غدا كذلك لاعوام قلائل من انشائه ، عن طريق حادث عارض ، هو جلوس قاضي القضاة الفاطمي فيه ليقرأ فقه آل البيت ، ثم حذا حذوه ابن كلس وزير الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، في الجلوس بالجامع والتدريس لفقه آل البيت ثم



كان ان عين الخليفه العزيز بناء على اقتراح وزيره المذكور عدة من الفقهاء للقراءة والدرس بالجامع ، وبذلك اكتسب الازهر صفته الفعلية ، كمعهد للقراءة والدرس .

ويجب ان نفرق بين هذا الحدث الجامعي الحقيقي ، وما اسبغه على الازهر من صفة جامعية واضحة ، وبين تقاليد الجوامع الاسلامية ، في كونها كانت الى جانب مهمتها الاصلية في تيسير العبادة ، هي اماكن الدرس المختارة ، فقد كان جامع عمرو مثلا : قبل قيام الجامع الازهر وبعده ، يتخذ معهدا للقراءة والدرس به العلوم الدينية واللغوية . وكذا شأن الجوامع في مختلف الحواضر الاسلامية . بيد ان هذه لم تكن سوى صفة عارضة .

ولئن عدا جامع القرويين بفاس ، وجامع قرطبة بالاندلس ، وكلاهما كان على غرار الازهر بضم جامعة اسلامية حقيقية ـ فان الجوامع الاسلامية ، بتقاليدها الدراسية العارضة ، لم تكتسب صفة المعاهد الدراسية المنظمة الثابتة ، على النحو الذى استأثر به الازهر طوال العصور .

وقد اشتهر الازهر بالاخص بصفته الدينية ، وبانه لبث خلال العصور المتعاقبة ، اعظم مركز لدراسة العلوم الاسلامية ، من التفسير والحديث والكلام والفقه والعقائد وغيرها ، بيد أن هذه الصفة الدينية ، قد أسبلت في الواقع حجابا على جهوده في ناحية اخرى ليست اقل اهمية ، وقد اضطلع فيها الازهر باعظم دور . تلك هي جهوده في سبيل اللغة العربية . فقد لبث الازهر كذلك عصورا اعظم مركز لدراسة العربية وعلومها . وقد كان لجهوده في هذا السبيل آثار بعيدة المدى ولاسيما بعد ان اجتاح التتار في زحفهم المخرب بلاد الشرق الاسلامى ، وشمال الجزيرة العربية . وسقطت بغداد في ايديهم في سنة ٦٥٨ هـ (١٢٥٦ م) وخبا مشعل العلوم العربية في ذلك الجانب من العالم العربي ، وبعد ان سقطت في نفس الوقت قرطبة ، وبقية القواعد الاندلسية الكبرى في يد اسبانيا النصرانية ، وانهار بذلك صرح العلوم والحضارة الاندلسية في الغرب الاسلامى . ففي تلك الاوقات العصيبة من حياة الامة العربية والعالم الاسلامى يغدو الازهر اعظم موئل للعلوم والثقافة العربية ، تزدهر في حلقاته واروقته ، وتبلغ اوج عنفوانها وقوتها .

وقد لبث الازهر عصورا مسرحا خصبا

لدراسة المتون والمراجع العربية التالدة في النحو والصرف والبلاغة والادب ، ولشروحها وحواشيها ..

والى جانب ذلك فقد اضطلع الازهر باعظم دور في تخريج الاجيال المتعاقبة من الادباء والكتاب النوابغ ، الذين اغنوا تراث العربية بمصنفاتهم وبيانهم، ولاسيما في القرنين الثامن والتاسع للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر للميلاد) ، حينما بلغ الازهر ذروة قوته ونفوذه الفكرى ، واضحى بلا مراء اعظم جامعة عربية اسلامية في العالم الاسلامي كله ..

وان المقام لايتسع لتعداد الاسماء . ويكفي ان نعرف انه ما من عالم او اديب او مؤرخ مصرى ، في تلك الحقبة الا درس بالجامع الازهر ، او تولى التدريس فيه ، وان كثيرا من علماء العالم العربي والاسلامي ، وادبائه من مختلف الانحاء ، قد تلقوا دراستهم بالجامع الازهر ، او وفدوا عليه زائرين مستمعين او محاضرين ، وكان من هؤلاء اعلام عظام مثل العلامة الفيلسوف والمؤرخ ابن خلدون ، وحافظ المغرب الكبير ابو العباس المقرى ، فقد لبث كلاهما أعواما طويلة يلقي دروسه بالجامع الازهر .

ولم تقتصر جهود الازهر العلمية على الدراسات الاسلامية والعربية ، ولكنه كان كذلك موئلا لدراسة مختلف العلوم الاخرى التى كانت ذائعة في العصور الوسطى ، مثل الفلك والرياضة والفلسفة والمنطق ، والطب بل والموسيقى .

ولما وقع الفتح العثماني لمصر في سنة ٩٢٣ هـ (الموافقة لسنة ١٥١٧ م) ، انهار صرح الحضارة العظيم الذى شادته دول السلاطين الشامخة بمصر واصيب الازهر كما اصيبت الحركة الفكرية كلها بالانحلال والتدهور ، فاضطربت احواله ونضبت موارده ، وانخفض عدد طلابه واساتذته الى ادنى الحدود ، ولجأ كثير من العلماء والطلاب الى اقصى الصعيد ، بعيدا من عسف الفاتحين وظلمهم ، على ان الجامع الازهر يقوم عندئذ ، في ظل هذا الافق القاتم ، باعظم واسمى مهمة ، اتيح له خلال تاريخه الحافل ، ان يقوم بها ..

فقد استطاع خلال المحنة الغامرة ، ان يستبقي شيئا من مكانته ، وان يؤثر بماضيه التالد وهيبته الدينية ، في نفوس الغزاة انفسهم فيحلونه من بين سائر الجوامع والمعاهد ، مكانة خاصة ويحاولون فيما بعد استغلال نفوذ علمائه وشيوخه ، كلما حدث اضطراب او ثورة ..

وفي خلال ذلك يغدو الازهر ملاذا اخيرا لعلوم الدين واللغة ، ويغدو بالاخص معقلا حصينا للغة العربية ، تحتفظ في اروقته بكثير من حيويتها وقوتها ، ويدرأ عنها بجهود علمائه وطلابه ، عادية التدهور النهائى ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ومقاومتها ، وردها عن التغلغل في المجتمع المصرى .

وربما كانت هذه المهمة السامية ، التى القى القدر زمامها الى الجامع الازهر ، في تلك الاوقات العصيبة من حياة الامة العربية ، والعالم الاسلامي بأسره ، هي اعظم ما ادى الازهر من رسالة ، واعظم ما وفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة ، خلال تاريخه الطويل الحافل .

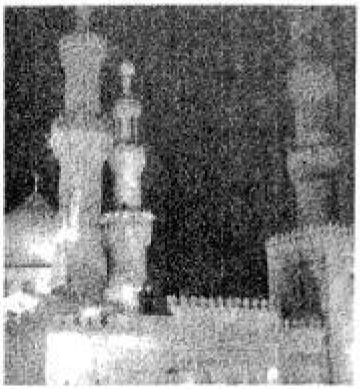
وهكذا لبث الازهر قائما برسالته العلمية العظيمة خلال العصر العثماني ، بالرغم مما كان يلاقيه من الصعاب ، والكبت ، والشظف ولما وقع الفتح الفرنسي لمصر في سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨م) ، قام الازهر شيوخه وطلابه ، باعظم دور في مقاومة الغزاة، وفي بث الحماسة القومية

ولما انقشعت الغمة ، وارغم الفرنسيون على مغادرة الديار المصرية عاد الازهر الى استئناف مهامه الدراسية، ولكنه كان يعمل عندئذ في

ظروف صعبة ، ذلك لانه وقع انقلاب خطير فى اساليب التفكير والتحصيل العلمي ، وكان من اثر البعثات العلمية المصرية الكثيرة التى ارسلت الى اوروبا ان تحولت الانظار عن المناهج الازهرية القديمة ، واتجهت الى افاق جديدة . وخيم على الازهر يومئذ نوع من الظلام والركود ، وعفت حلقاته ، وانصرف عنه الكثير من الطلاب ، ولبث خلال القرن التاسع عشر تتجاذبه مختلف التيارات الجديدة ، وتحاول السلطات المعنية ان تعالج من شانه ، وان تقوم بتجديد مناهجه . واسفرت هذه المحاولات عن اصدار عدة قوانين متعاقبة لاصلاح نظم التعليم بالازهر وتجديدها . وكان اخرها واهمها القانون الصادر فى سنة ١٩٣٠ ، وبمقتضاه حول الجامع الازهر الى نوع من الجامعة ، تتضمن كليات للتعليم العالى ، واقساما للتخصص ، وجعلت هذه الكليات ثلاث كلية الشريعة وكلية اصول الدين وكلية اللغة العربية وجعل التخصص نوعان ، تخصص فى المهنة وتخصص فى المادة .

وقد كان هذا القانون فى الواقع خطوة حاسمة فى القضاء على نظم الدراسة القديمة بالازهر ، وانشاء ما يسمى اليوم بالجامعة الازهرية او جامعة الازهر . وفى سنة ١٩٣٦ ، صدر قانون جديد للازهر يعتبر متمما للقانون السابق ، ويحدد مراحل التعليم ومددها .

على ان ذلك لم يكن كل ما حدث من تغيير فى مناهج الازهر ونظم الدراسة فيه ، ففى سنة ١٩٦١ ، صدر قانون جديد، يجعل من الازهر جامعة حديثة ،تتضمن ثمانى كليات هى كلية الشريعة وكلية اصول الدين ، وكلية اللغةالعربية وكلية المعاملات والادارة ، وكليةالهندسة والصناعات ، وكلية الطب ، وكلية الزراعة ، وكلية البنات الاسلامية ، واعيد نظام الحلقات الدراسية القديمة باسم معهد الدراسات العربية الاسلامية



وكان هذا القانون كلمة الحسم فى مصاير الازهر . وبصدوره انتهى الجامع الازهر القديم ، وترك طرائقه الدراسية القديمة جانبا ، وهى التى تميز بها مدى الف عام فى ميدان العلوم الدينية وعلوم العربية الى طرق الدراسات العصرية ، وانتظم الى جامعة محدثة ، تعنى بتدريس العلوم الحديثة. والاراء مختلفة فى تقييم هذا التطور الحاسم فى حياة الازهر الدراسية . وعلى اى حال فانه من الصعب ان نعرف فى الوقت الحاضر ، ولما يمضى على تنفيذ النظم الجديدة المحدثة سوى فترة يسيرة ، ما اذا كانت هذه المناهج الحديثة التى وضعت لتحويل الازهر الى جامعة عصرية ، سوف تعوضه عن تراثه القديم الزاخر ، وسوف تؤهله لان ينتج فى ميدان العلوم الحديثة ، انتاج الجامعات العصرية العريقة .

وكل ما نستطيع ان نقوله فى هذا الشان هو ان الازهر قد اختتم بهذا التغيير رسالة الالفية العظيمة ، التى لبث الف عام يضطلع بها، وهى المحافظة على علوم الدين واللغة ، واختفت حلقاته وتقاليده العلمية العظيمة ، التى امتاز بها على كر العصور ، والتى تخرج فيها الالوف من ائمة العلوم الدينية واعلام التفكير والبيان وانهى دوره العظيم فى ميدان العلوم الاسلامية والاداب العربية

آخر العمالقة

محمود حسن إسماعيل

● د. محمد احمد العزب ●

حين مر الشعر العربي المعاصر بمرحلة كساد وترهل بعد رحيل عمالقته واحدا بعد واحد، ووقف شاعرنا محمود حسن اسماعيل يؤكد من خلال عطائه الشعرى الوفير والرائع معا ، ان صوت الشعر لايزال قادرا على امتلاك ان يعبر عن روح العصر فى جسارة ووعى ، وان يقود عاطفة الملايين فى اتجاه الصعود الى آفاق التمرد ، وآفاق التناغم ، وآفاق الجمال .

ولقد هيأت شاعرنا الكبير لهذا الدور التاريخى عوامل كثيرة ومناخات متعددة ، منها ماهو بيئى ، ومنها ماهو فكرى ، ومنها ما هو مزاج من الفكر والبيئة . فلقد ولد فى قرية من قرى صعيد مصر ((النخيلة محافظة اسيوط)) فتشكل وجدانه الشاعر بكل ما تحمل امثال هذه القرى من ملامح المعاناة والحزن والثورة ، وظل الى آخر ارماقه على ولاء حميم لقضية انسان هذه المعاناة ، يغنى بها ، ويغنى لها ، ويتقمص كل زاوية من زوايا الوجود النفسى والجمالى والموضوعى بحثا عن التراث الذى يمنحها من هذه المعاناة الانسانية فى قتالها اليومى ضد غلالة ما يحيطها من عناصر الفقر والقهر والتخلف والسقوط ..

لم تلق شاعرنا الكبير تعليمه الابتدائى والثانوى والعالى ، حيث تخرج فى دار العلوم سنة ست وثلاثين وتسعمائة والف ، وغير خاف ان نوعية التعليم تعطى ابناءها حس الانتماء والرفض معا ، فالانتماء نتيجة طبيعية للسفر العقلى فى التراث العربى والاسلامى فى عصور سطوعه اولى . والرفض نتيجة طبيعية كذلك للسفر العقلى فى هذا التراث العربى والاسلامى فى عصور انحساره وجموده .

وحين خرج محمود حسن اسماعيل الى الحياة العامة لم تستوعبه الهموم الوظيفية التقليدية ، كتدريس اللغة العربية ، او العمل المكتبى المبتوت الصلة بعالم الفكر والابداع ، ولكنه عمل محررا بالمجمع اللغوى ، فاحتك عن قرب بروح اللغة ، وشهد عن قرب كذلك حركة تطويرها وتطويع معجمها للتعبير المعاصر عن واقع الانسان بكل ما ينحنى عليه هذا الواقع من كشوف استلزمت بالضرورة واقعا لغويا جديدا يعبر عن قضاياها ومقولاتها ...

وان كنا نعتقد ان روح الفنان المتمرد على الوضعية القاموسية للغة كانت اساسا اسبق رسوخا فى طبيعة شاعرنا من اى وافد خارجى . ويظهر ذلك فى بواكير ابداعه الشعرى الذى ظهرت



طلائعه قبل ان يتخرج في الجامعة ويمارس العمل الوظيفي في هذا المجال الجديد .

ويتدرج شاعرنا في الوظائف الحكومية ليصير مستشارا ثقافيا للاذاعة المصرية وتتفجر عبقريته الخلاقة منذ هذا التاريخ من أروع أعماله وأغزرها ، ويتربع على عرش الريادة الشعرية التي استدبرت الشعر معجما جامدا واستقبلته رؤية ورؤيا ، وخلقت في الحياة الأدبية المعاصرة نوعا من الشعر الذي تقرؤه ليس بحنجرتك وحدها ، ولكنك تقرؤه بحواسك الخمس ، ان التخوم فيه يختلط بعضها ببعض ، فاذا المحس يعبر به عن المتخيل ، واذا المرئي يعبر به عن غير المرئي ، واذا القصيدة لوحة عارمة الألوان والظلال ، واذا عالم الشاعر كله فوضى منغمة ، تضع المتلقي في حالة تأهب دائم ، لأن العادي والمألوف والمتوقع هنا قد اختفى تماما ، وبقي وحده الشعر يتفجر كل برهة بجديد وخارق ولا مألوف .

وحين سافر شاعرنا الكبير الى الكويت الشقيق في شبه هجرة قاسية كانت خاتمة المأساة توشك أن تكمل دورتها . فلقد عاد الشاعر الفرد من هجرته القاسية محمولا على الاحدباء ، تاركا وراءه اجيالا من القصائد التي كتبت والقصائد التي لم تكتب بعد ، وتاريخا ما نشك في انه سيظل محورا لدراسات أكاديمية عديدة ، تتوفر كل دراسة منها على جانب من جوانب الابداع في هذه الظاهرة الشعرية التي اسمها : محمود حسن اسماعيل .

هذه ملامح من رحلة الحياة المادية التي طاقها شاعرنا الكبير ، فماذا عن ملامح رحلة الحياة الفنية التي وهبها عمره ودماءه ، فوهبته هي الأخرى هذه الطاقة الخلاقة المبدعة التي استوت به على عرش الأصالة والريادة في حركة الشعر العربي المعاصر ، وجعلت منه منعطفا بارزا بين مرحلتين من مراحل الشكل والمضمون ؟

أصدر شاعرنا محمود حسن اسماعيل عديدا من الدواوين هي على التوالي : « أغاني الكوخ » ١٩٣٥ . و « هكذا أغنى » ١٩٣٨ . و « أين المفر » ١٩٤٨ . « نار وأصفاد » ١٩٥٩ . و « قاب قوسين » ١٩٦٤ . و « لابد » ١٩٦٦ . و « التائهون » ١٩٦٨ ، و « برزخ » ١٩٦٩ ، و « صلاة

ورفض » ١٩٧٠ و « نهر الحقيقة » ١٩٧٢ .غير قصيدة طويلة بعنوان : « السلام الذى اعرف » شارك بها سنة تسع وستين وتسعمائة والف فى المهرجان الدولى للشعر الذى عقد بمدينة ستروجا بمقدونيا . « يوغوسلافيا » . وغير اربعة دواوين مخطوطة هى : صوت الله ، ورياح المغيب ، وديوان الحب ، وموسيقى الجنائز .

وقد اثارت هذه الاعمال الشعرية لشاعرنا كثيرا من عواصف الجدل ورياح التغيير فى مسار حياتنا الشعرية والنقدية على السواء ، فبينما وقف فريق من الشعراء والنقاد يرجم الشاعر المتمرد باشتات من التهم التقليدية التى تستهدف فى النهاية اعاقة حركة انطلاقة وابداعه ، كقولهم ان شعره غير مفهوم، وقولهم ان مصطلحه الشعرى يلعن معانى الكلمات وعلاقاتها اللغوية والادائية ـ كان فريق آخر من الشعراء النقاد يفتح اذرعته للشاعر الامل ، ويغمر تجربته الشعرية المتقحمة بكثير من الفهم الصوابى ، وغير قليل من المغامرة مع المغامرة لتامين وصولها الى شاطىء النضوج والاكتمال ..

وكان شاعرنا الكبير فى حومة هذا الجدل الدائر من حوله يقف بعينيه الواسعتين وقامته الاسطورية ، متعاليا فوق حجارة الرجم وفوق مذاهب الاكاديميين ، وكأنه كان يحس فى اعمق اعماقه بان الشاعر ليس صوت فرد يتردد على صفحات ديوان من الشعر حتى يمكن للظاهرة النقدية ان تستوعبه بكلمة من هنا او براى من هناك ، ولكن الشاعر صوت الكون والطبيعة وما بعد الطبيعة ، وله حجمها جميعا ، فاذا الحركة النقدية فى تحديد دوره وماهيته فذلك هو الشىء المنتظر من وراء الصدى حركة محدودة لظاهرة بلا حدود ..

فهل تبدل حقا قراء محمود حسن اسماعيل .. وهل تلاشت غربته الفنية حين تغير قراؤه هؤلاء ؟

اما ان قراءه قد تبدلوا فهذه مالاشك فيه ، لان زحف الثقافات كان اقوى من ان يظل الصدأ قابضا على عقول قراء الشعر ، ولان الجيل الخالف ، اعنى جيل ما بعد جيل الشاعر كان قد اقبل على الشعر بلا تعصب تمليه فى احيان كثيرة روح التنافس بين ابناء الجيل الواحد ، فوجد فى شعر محمود حسن اسماعيل من المعاصرة والجسارة والحضور اللغوى والفكرى ما لم يجده فى شعر غيره من شعراء المرحلة الذين اهدروا طاقاتهم فى رمال الاحتذاء والتقعر والغياب فى اكفان التاريخ القريب والبعيد .

واما ان غربة الشاعر قد تلاشت حين تغير قراؤه فذلك ما نشك فيه ونوشك ان نقطع بنفيه الى آخر المدى .. لقد ظل شاعرنا الكبير مغتربا حتى وهو يرى الجيل الشاعر الجديد يرفع شعره وحده راية النموذج الشعرى الذى ينبغى ان يكتب ويقرا .. ثم وهو يرى جيلا شاعرا آخر تجاوز بابداعه الشعرى مرحلته ، وناداه بحركة عارمة استهدفت ليس فقط مصطلح الشعر او مضامينه التقليدية ، وانما الشعر كله .. شكلا ، ومضمونا ، ولغة ورؤية .. وكانت هذه الحركة هى ما اصطلح على تسميتها من بعد بحركة الشعر الحر .

***

والذين يراجعون تاريخ الشعر العربى المعاصر بوعى ، لا ينسون ان شاعرنا محمود حسن اسماعيل ، كان واحدا من

اوائل من فطنوا الى قضية الشعر الحر، وواحدا من طلائع من ابدعوا من خلاله في مطالع الثلاثينيات ، فلقد كتب في رثاء شوقي قصيدة من الشعر الحر ، نوع فيها في عدد التفاعيل تنويعا عفى عليه الشعر الحر من بعده بالتواجد ، وان يكن في مراحله الاخيرة قد تجاوزه الى الابتال في الظاهرة الى ابعد المسافات ..

وهذا واحد من بواعث الاغتراب النفسي الذي عانى منه شاعرنا الكبير، لانه — وهو الرائد الطليعي — لم يؤرخ له من هذا المنحى . ثم لأنه — وهو الرائد الطليعي كذلك — شهد تجاوز تجربته في حياته ، وقد كان يظن انه استوى بها على افق الريادة والاقتحام الذي لا مزيد عليه ..

ويعزو ابو شادي بعضا من بواعث هذا الاغتراب الفني الى غلبة الحس السيريالي في شعر شاعرنا محمودحسن اسماعيل ، مما اوحى بان العالم المادي والروحي كان مشوشا في ذاكـرته ، ومحكوما بالعبث واللا جدوى وحتمية الانهزام .. ولكن قليلا من المعايشة الحقيقية لعالم هذا الشاعر تنفي غلبة الحس السيريالي — من هذه الوجهة — على رحلته الشعرية ، وتؤكد نوعا من الصوفية الفنية يتعالى على التحديد اللغوي ، ولكنه لا يخضع لعشوائية تسجيل الخواطر المختلطة في انثيال بلا قانون ، او لعشوائية الاحساس باللاجدوى في هذا العالم الذي نحياه ..

وهذا هو مجد شاعرنا الحقيقي ، لقد استفاد من ضرب المدلول المحدد للفظة اللغوية فاتاح لمصطلحه ان يعبر عن مناطق مجهولة في اغوار الذات ، وخلق بذلك النمط التعبيري الجديد عالما شعريا ارحب من عوالم الشعراء الاخرين .. ثم تفطن — من خلال هذا المسطح الجديد — الى معان كونية بعيدة الغور ، جعلت من شعره بحق انشودة صوفية يعانق الشاعر من خلالها الطبيعة والكون والمابعد ، ويؤكد احتواءها جميعا على مزيد من الجدوى والحكمة والتبرير .

ان الظواهر الفنية في شعر محمود حسن اسماعيل تتأسس « من الوجهة الشكلية » على محاور كثيرة : فمنها ما يتعلق بشعر «المنولوج» الداخلي او نجوى الذات ، ومنها ما يتعلق بتهديم الحوائط بين معطيات الحواس ، ومنها ما يتعلق برفض وتقديس الشكل العمودي ، ومنها مايتعلق بتعالي قاموسه على الدلالة الوضعية التي حددتها القواميس ، ومنها ما يتعلق بتركيب الجملة الشعرية .

كذلك تتأسس الظواهر الفنية في شعر شاعرنا « من الوجهة المضمونية» على ركائز كثيرة : فمنها ما هو رفض وثورة ، ومنها ما هو غناء للطبيعة ، ومنها ما هو دلالة شعرية على أزمة الذات ، ومنها ماهو تأمل فلسفي ، ومنها ماهو غياب واغتراب ،

والظواهر الشكلية في شعر محمود حسن اسماعيل تدل دلالة اكيدة على ان هذا الشاعر الفذ كان يحيا قضيته الفنية ، ويحس بانه مطالب التغيير خرائط التعبير الشعري . وقد اشرنا الى ان بعض محاور هذا التغيير كان عملهفي مجال شعر «المنولوج» الداخلي او نجوى الذات . وكان يصطنع هذا اللون من الوان التعبير الفني على انحاء متعددة وليس على نحو واحد ، فهو في بعض قصائده يقيم بينه وبين نفسه حوارا طويلا يهدف من ورائه الى استيطان عالم النفس ، وفي بعض قصائده الاخرى يلبس قناع شخصية من الشخصيات المأساوية ليتحدث من خلالها عن عالم ذاتها هي ، وفي كل من هذين النوعين من انواع التعبير

آخر العمالقة ..
محمود حسن إسماعيل

الفنى يصل الشاعر الى ذروة التلقى وتوهج الابداع . فهو فى قصيدته : « هكذا قالت البغى» يستنطق البغى الامها واحزانها ، ويحيلها من مجرد ساقطة الى شاهد عصر على سلوك مجتمعها الجافى الغليظ .

وهو فى قصيدته : « صحراء المجالب » يقوم برحلة فى وجوه الناس ، يتلمس فى كل وجه منها كيف يزيف الانسان حقيقة الانسان ..وحين يستغلق على الشاعر السر فى وجه مسدود ، يستجير بالله من ظلامه ، ويأسى لعجزه من استبطان ما يكن هذا الوجه المسدود،وهو المدرب على النفاذ الى ما وراء ممالك الوجوه .

اما رفض شاعرنا للشكل العمودى فى القصيدة وتقديسه لهذا الشكل فى نفس الوقت فيلوح فى تمرده الباكر على نظام العروض الخليلى منذ مطالع الثلاثينيات، ثم استمراره فيما بعد على ولائه القديم لهذا العروض الخليلى الا فى القليل القليل ..

ان تفسير هذه الازدواجية فى انتماء شاعرنا الفنى يرجع الى حس التململ الكامن فى طبيعته من جهة ، والى حرصه الحريص على كل هذه الثروة الشعرية التى ابدعها فى الشكل العمودى من جهة اخرى .. ان حس التمرد فيه يبحر به احيانا الى شواطىء المغامرة والرفض والاحتجاج الفنى، ولكن حس الحرص فيه يعود به على الفور الى مناطق الريث والوادعة حتى لا يتعرض سواد ابداعه لرجة يشارك فيها ، ولا يأمن عواقب هذه المشاركة على ما ابدع من شعر كثيرا .

اما مايتعلق بتركيب الجملة الشعرية فقد اعطى فيه شاعرنا عطاء ملحوظا ربما يصل الى حد الاجتهاد الذاتى ولكنه قد لا يصل الى حد الاقتناع الفلسفى ، فهو يؤكد فى جمله على « الحال » كنوع من استحضار البيئة الوضعية والزمانية للمقولة الشعرية..

وهو يتكىء على « النفى » فى جمله الشعرية أكثر من اتكائه على الاثبات ربما تأكيدا لغلبة حس الرفض فى تكوينه الفنى .. وغير ذلك اشتات من الاجتهادات الذاتية التى تومض فى شعره هنا وهناك .

هذا من الوجهة الشكلية ..

اما عن الظواهر الفنية فى شعر شاعرنا الكبير من الوجهة المضمونية فمنها كما اسلفنا ما هو رفض وثورة ، ولعل ذلك يستعلن واضحا حتى فى عنوان اول دواوينه التى اصدرها وهو طالب بعد : اغانى الكوخ »وفى عنوان واحد من اخر دواوينه : « صلاة ورفض » . ان الكوخ بكل ما يحمل من معانى القهر والمأساة هو البؤرة التى امدت شاعرنا على امتداد تاريخه الشعرى بكل عناصر الغضب والرفض، ومن هنا ظل الى آخر حياته يقيس اى تطور اجتماعى بمسافة النهوض التى يقطعها الكوخ من ظلام الرق الى وهج الحضارة .

ومنها ما هو غناء الطبيعة ، ونعتقد ان شاعرا معاصرا آخر لم يصل الى ما وصل اليه محمود حسن اسماعيل فى هذا الصدد ، فان ديوانه الشعرى الكبير على تعدد اغراضه وقضاياه ، يتخذ من الطبيعة صدرا حانيا يفىء اليه كلما لفحه هجير المدينة وتاق الى التعبير عن خوالجه واشواقه . ولعل ريفنا العربى بكل ما يتحلى عليه من ظواهر الطبيعة الفاتنة الاسيانة لم يظفر بشاعر آخر فى قامة شاعرنا الكبير، يغنى الامه وامانه ، وربيعه وخريفه، وارضه وسماءه ، واحياءه واشياءه . حتى ليمكن ان يقال ان شاعرنا قد رأى الكون والحياة والميتافيزيقا من خلال ظواهر الطبيعة الرائعة الملهمة .

ومنها ما هو دلالة شعرية على ازمة الذات ، وقد اتعب الشاعر قلمه فى رحلة البحث عن منابع القلق والغموض والماساة فى الوجود الانسانى ، وربما كان ديوانه : « قاب قوسين » ابلغ دواوينه جميعا فى التعبير عن ملامح هذه الازمة ، فالتوق الى الكشف ، والوصول ، ومحاولة انتزاع النفس من ثمالة المادة والتحليق بها الى افق الشفافية ، والابحار الى المستقبل من خلال رفض الصدا والاغلال والرق ، ثم عجز الطاقة الانسانية او محدوديتها .. كل اولئك ولد نوعا من ازمة الذات لدى الشاعر الفنان . ووضعه دائما فى وهج التمزق بين نزوعه الى المطلق وحصاره فى دوائر المحدود .

ومنها ما هو غيـاب واغتراب ، وشاعرنا من هذه الوجهة مستغرق تماما – حتى على المستوى الحياتى – لهذه الظاهرة ، فهو غائب فى حضوره ومغترب على ارضه ، وشارد ابدا وراء احلامه الشعرية حتى لا يكاد يفيق من حلم الا الى حلم .. وهنا لابد ان نتفطن الى ان هذا الغياب وهذا الاغتراب لا يعنيان ابدا قضية من قضايا السلب والانسحاب ، فما نعرف ان شاعرا غنى لاحزان امته وافراحها مثل ما غنى به محمود حسن اسماعيل ، كل ما هنالك ان شاعرا هذا حجمه وهذه قامته كان لابد ان يرتفع فوق تفاصيل الواقع الضيق ، او الواقع العرضى ، ليعطى فنه بعدا اعمق من مجرد الحوار مع سطوح الاشياء .

ومنها ما هو تصوف والتماء ، والتصوف هنا ليس قضية ميتافيزيقية بقدر ما هو قضية وجودية ، اى ان شاعرنا كان يعشق الحياة عشقا صوفيا موغلا فى طقوس العبادة وكان ينتمى الى الارض والتاريخ انتماء الـوعى والاعتزاز ، وكانت غنائياته فى هذا

ومنها ما هو هجاء كونى واجتماعى ، والهجاء الكونى يتحدد عند شاعرنا فى مواجهته العارمة للطبائع الجانحـة ، والنفوس الشاردة ، والضمائر الملتوية كما يتحدد الهجاء الاجتماعى عنـد شاعرنا فى مواجهته الاكثر عرامة للعلاقات الانسانية فى شكلها الهابط او الخابط او المغلوط .

ومنها ما هو مناجاة لعواطف الحب وعالم الجمال ، وللشاعر فى هذا الصدد مغامرات شعرية معجـزة ، فالحب عنده دين الحياة وشريعة الاحياء ، والجمال عنده محراب لتقديس الاروع والامتع ، وعلى الرغم من ان شاعرنا كان مفتونا « بتجسيد » كل عواطفه واشواقـه ، الا انه كان اكثر فتونا « بتجريد » كل مواقفـه وارتباطاته ، وهذه ظاهرة فذة لا نكاد نراها فى شعرنا العربى المعاصر الا عند شاعرنا محمود حسن اسماعيل .

هـذه هى ابرز قضايا الحياة والشكل والمضمون فى رحلة شاعرنا الكبير الرائد ، محمود حسن اسماعيل الذى اعطى للشعر العربى المعاصر قيمة حضوره فى التاريخ الحديث ، وارتفع به من مراقة التقليد والاحتذاء الى مستوى التمرد والتفجر والبكارة ، وغاص به فى شرايين الظاهرة الوجودية والانسانية بدلا من التلكؤ به على سطوح الاشكال والاعراض ، واعطى من خلاله لانسان الارض الحقيقى وجهه الناصع بالجدوى والماساة فى آن ، فجعل من الشعر – فى معركة الوجود – سيف الفارس وذاكرة المفكر ، ودق به على نوافذ التاريخ فانفتحت مصاريعها بلا حدود ، وانهمرت شمس الشعر تغرد فى خواء الصمت ، وتضىء كل حروف الكلمات المتآكلة على جدران تاريخ المعاناة الانسانية ، ليولد للانسان تاريخ بلا معاناة !

● عالم يفتح باب الاجتهاد ●

لا يتعيّن رجم الزانى المحصن حدًا فى شرع الإسلام

● د . محمد سعاد جلال ●

●● يتنازع طائفة من العلماء اليوم فى موضوع صحة حكم الزانى المحصن : فبينما تعلن طائفة من علماء الازهر بصورة رسمية مشددة ان رجم الزانى المحصن هو الحد المتعين الذى يجب اعادة العمل به فى المجتمع الاسلامى الراهن ، وتوقيعه بصورة جازمة على المباشرين لاسبابه – يرى بعض المفكرين المعاصرين ان ارتقاء المشاعر الانسانية فى هذا العصر وشفافيتها ، وعمق فكرة التسامح والرحمة الحاصل بتقدم المدنية، والفهم العلمى لقهر الدوافع الطبيعية،وما قد يخالطها من الامراض النفسية : كل ذلك مجتمعا لا يسمح بقبول تطبيق هذه العقوبة القاسية فى هذا العصر ، وهى العقوبة التى تمثل من وجهه نظرهم قسوة فى العقاب وبشاعة حادة اكثر من مقتضى الزجر عن فعل الجريمة المرتكبة بمقياس التناسب بين الجريمة والعقاب ... ●●

● مسألة إيجاب الرجم على الزاني المحصن مسألة ظنية اجتهادية.. اختلفت آراء الصحابة رضوان الله عليهم في تحديد حكمها

وقد يكون ذلك لان مشاعر الناس يكفيها فى الارتداع عن هذه الجريمة الان بسبب ارتقاء المدنية الذى من شانه حدة الاحساس بالأدنى من العقوبة دون الحاجة الى اغلظها : ما هو اقل من عقوبة الاعدام رجما بالحجارة .

كما لا يجوز — أيضا — فى نظر هؤلاء المفكرين المعاصرين — التشبث باستمرار نسبة هذه العقوبة المنتقدة من جانب العالم المتحضر للاسلام .

ولقد كنا نرى من وقت بعيد — بعد دراسة عميقة وشاملة لهذه المسألة ، ان عقوبة رجم الزانى المحصن ليست هى الحكم الوحيد لهذه الجريمة ، فى الفقه الاسلامى ... وانما يوجد فى الفقه الاسلامى رأيان فى هذه المسألة : الرأى المشهور الذى عليه عمل الناس والمتقرر فى المذاهب الفقهية السائدة اليوم . ورأى آخر مغمور — وهو الاقتصار فى عقوبة الزانى المحصن على الجلد فقط دون « الرجم » ، شانه فى ذلك شان الزانى غير المحصن . فهما فى الحد سواء .

وهذا رأى «الخوارج» والنظامية من « المعتزلة » : وهو اصح الرأيين فيما نرى ، واقربهما من نص القرآن الكريم .

ولو استبدلنا العمل فى هذا العصر بالرأى السائد الذى انقضى طور العمل به . وصار العمل به يمثل مشكلة مضادة لروح الحضارة المعاصرة ، لكان ذلك أصح هداية واصح حكما . وهذا ما سنحاول اثباته فى هذا البحث ..

● تشخيص الموضوع

ووجهة نظرنا العامة فى هذا الموضوع بادىء ذى بدء ، ان ايجاب حد الرجم ليس حكما قطعيا — كما سياتيك من بعد — وانما كان حكما تطبيقيا فقهيا اجتهاديا ظنيا صادرا من الفقهاء الذين قرروه وعملوا به فى عصرهم وكثر الآخذون به — وهو يمثل اجتهاد هؤلاء الفقهاء الاقدمين فى مسائل الفقه الاجتهادية الظنية التى تقبل التبديل والتغيير ، ولا تمثل المعنى الواحد لحكم الشارع الذى يلزم العمل به على صورة واحدة فى كل عصر .

غير أن عاهة التقليد التى غلبت على عقول المنتسبين لعلم الشريعة فى زماننا، ونزع نفوسهم من شبح « الاجتهاد » جعلهم لا يعرفون الاحكام الشرعية التى هى دين الله العام — الا من خلال تلك التطبيقات الفقهية الاجتهادية التى لا تمثل فى ذاتها دين الله العام ، وخطاب الشارع المطرد ، وهو تصور واضح لان هذه الاحكام الاجتهادية الواصلة الينا من الفقهاء الاقدمين لا تعبر الا عن وجهة نظرهم فى مدارك الشرع من اجل سداد الحاجة التشريعية المستدعاة لهم فى عصرهم . فالاقدام على اعتبار هذه الاحكام ممثلة على جهة الانفراد — لدين الله العام الموضوع لكل العصور ، تجميد للشريعة واحباط لطاقتها فى انشاء الاحكام .

ان دين الله العام وخطابه المستمر لكل الاجيال لهو اوسع بكثير من تلك

لايتعين رجم الزاني المحصن حداً في شرع الإسلام

التطبيقات الفقهية المحدودة بزمنها سعة البحر المحيط حول جزيرة متلاشية .

● الشروع في البحث ●

ومن اجل ذلك راينا اداء لواجب البلاغ عن صاحب الشرع ان نكتب لكم هذا البحث الاستدلالي على اسس « الاجتهاد » ، ورفض التقليد فصلا بين المتنازعين واقرار اللحق بين المختلفين .. فنقول وبالله التوفيق :

قال تعالى : «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »

وتقدير الآية : فيما فرض الله عليكم جلد الزانية والزاني : فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة .

والمراد بـ « طائفة » هو « الفرد الواحد » ـ كما نقل عن ابن «عباس» وبه اخذ الحنفية .

وقيل المراد بـ « الطائفة » الجماعة التي من صفتها أن تحيط بالشيء، وقدرت في الأقل بثلاثة نفر يشهدون العقوبة ـ ورجحه الزمخشري ـ ونحن نرجحه ـ أيضا ـ لأن المراد بهذا الشهود افادة التشهير بمن يتورط بالوقوع في الزنا زجرا لغيره عن هذا التورط . والتشهير المقصود لا يحصل بالواحد لايقاع العقوبة على الجاني فقد يحتمل أن يكتم الواحد وصورة المسألة : أن الزاني اما أن يكون محصنا، وهو ما كان مستجمعا لشروط الاحصان المعتبرة شرعا ـ وهي الحرية ، والبلوغ، والعقل ، والاسلام ، والدخول بامرأة في مكان الحرث لاغيره بنكاح شرعي صحيح وان يكون كل من الزوجين موصوفا بصفة الاحصان كالآخر .

واما ان يكون غير محصن ـ وهو من لم تتحقق فيه هذه الشروط .

فاما الزاني المحصن فحكمه الرجم في عامة قوله العلماء واصحاب المذاهب الا رواية عن « احمد بن حنبل » ـ أن الواجب فيه الجلد ، والرجم ، معا ، وهي رواية اهمل العمل بها .

واما الزاني غير المحصن فذهب الحنفية الى ان عليه الجلد فقط، وذهب الشافعية وغيرهم الى أن عليه الجلد ، وتغريب عام ، والمراد نفيه من البلد مدة عام .

وذهب فقهاء الخوارج «والنظامية» من « المعتزلة » وهم اتباع ابراهيم بن النظام الى القول بأن عقوبة الزاني المحصن ، وغير المحصن ـ انما هي الجلد فقط ـ كما نص عليه « القرآن» لم يشرع فيها الرجم على المحصن ، ولا التغريب على غير المحصن ـ اذ لم ينقل منهم التغريب فيه .

قلت ، وهو الراى الذى جعلنا هذا البحث مجال ترجيحه على غيره ، والمطالبة بالعمل به الآن في هذا العصر ، لان تنفيذه والعمل به ممكن ، وتنفيذ احكام الشريعة بما هو ممكن وميسر افضل الف مرة من تعطيلها على حافة المستصعب المدفوع من المكلفين .

وقبل أن نخوض في لب هذا البحث الشديد الخطورة ، والحساسية وسرد ادلته المتعارضة ، والمناظرة فيه ، وهو الذى قد يرى مثار رفض او فزع عند بعض الاوساط الدينية . فقد رأينا ان نمهد لذلك ببعض المقدمات العلمية التي تعين القارىء على فهم رأينا في الموضوع فهما محققا يورث الطمانينة ، والاقتناع ـ (وعلى الله قصد السبيل)

القدمة الاولى في انقسام ادلة الشرع الى قطعية وظنية

المسائل الشرعية : وهي ما ثبت بخطاب الشارع سواء أكانت « كلامية» اعتقادية . او كانت فقهية عملية تنقسم الى مسائل اجتهادية واخرى غير اجتهادية .

فاما المسائل غير الاجتهادية من كل من القسمين ، فهي ما ثبت بدليل قطعي

واما المسائل الاجتهادية فهي ماثبت بدليل ظني .

واما الدليل « القطعي » ما افاد صاحبه اليقين بالمستدل عليه .

والدليل « الظنى » ما ترجح به عند المستدل ثبوت المستدل عليه دون الجزم ...

و « اليقين » هو العلم بالمطلوب جازما لا يحتمل متعلقه النقيض بوجه – كما قال علماؤنا – فادراكك الآن وانت تقرأ هذه الأسطر في نسخة من هذا البحث ، انك تقرأ ، وأن بين يديك كتابا تقرؤه ، هو علم يقيني ... اذ يستحيل ان يكون متعلق علمك الراهن شيئا آخر غير الكتاب الذى بين يديك وغير القراءة فيه .

وخاصة هذا النمط من العلم كما يقول « الغزالي » في « المستصفى » – في مقدماته « المنطقية » – هو الا تقبل النفس فيه الشك ، ولا التشكيك أصلا بل تكون معه آمنة مطمئنة من الخطأ ، بحيث لو حكى لها عن نبي من الانبياء انه اقام معجزة ، وادعى ما يناقض معلومها فلا تتوقف في تكذيب الناقل ، بل تقطع بأنه كاذب . او تقطع بأن القائل بذلك ليس بنبي ، وأن ما ظن أنه معجزة فهو ، « مخرقة » ، ومثال ذلك من علم الكلام ، العلم « بحدوث العالم » وثبوت الصانع » وما يجب له – سبحانه – وما يستحيل عليه ، وما يجوز له من الصفات ، فكل هذه علوم يقينية قطعية لا تحتمل في نفس العالم بها الشك او التشكيك .

ومثاله من علم الفقه : فريضة الصلاة والزكاة . والجهاد ، وما كان من الشرائع العملية [illegible] . مما علم من الدين بالضرورة .

والمراد من المعلوم من الدين بالضرورة ، هو كل ما شاع العلم بثبوت مجيئه عن الرسول واستقر بين المسلمين حتى علمه النساء والصبيان – كما هي عبارة الفقهاء .

وحكم هذا النوع من المسائل « الكلامية » ، و « الشرعية » القطعية ، انها لا تقبل « الاجتهاد » – اى لا تقبل اختلاف الرأى فيها – لأنها رأى واحد لأن اختلاف الرأى في المسألة الاجتهادية يعني عند تمام الاجتهاد من كل من المجتهدين المختلفين ، أن يكون احد المجتهدين مصيبا والآخر مخطئا ، كما يقتضي صحة العمل بكل من الاجتهادين : المجتهد ، ولمن يترجح عنده تقليده ، وثبوت أجرين للمجتهد المصيب ، وثانيهما على عثوره على الحكم الصحيح ، وثبوت اجر واحد للمجتهد المخطىء على بذل جهده ومحاولته العثور على الحكم وان لم يصل اليه .

وهذا الوضع في تكييف صورة المجتهد وعمل المجتهدين هو ما يسمى عند « الاصوليين » بمذهب « المخطئة » القائلين بأن المجتهد يخطىء ويصيب ..

ويقابله مذهب من يسمون بـ « المصوبة » القائلين بأن كل مجتهد مصيب : وأن حكم الله على المجتهد هو ما وصل اليه اجتهاده مطلقا – وقد انتصر « الغزالي » لهذا المذهب انتصارا كبيرا .

والنظر الى هذا المذهب يقضي بتقليل التعصب المذهبي ، والديني ، وذلك هو السبب الذي دعاني لذكره في هذا البحث لأنه بمقتضى هذا المذهب لا يحل لأحد دعوى الاستئثار بحكم الله في المسألة دون غيره ؛ لأن الاحكام الحاصلة باجتهاد المجتهدين حينئذ تكون متساوية في تحقيقها لما هو حكم الله . لأن الله جعل حكمه في المسألة عند كل مجتهد ما وصل اليه اجتهاده . وهذه المسائل الاجتهادية لها خاصتان :

احداهما : انها مسائل ظنية لأنها تثبت بدليل « ظني » لا بدليل قطعي ، فالمحكوم به في المسألة تابع في اتصافه بالقطع او الظن لوصف دليل المسألة .

وخاصة الدليل الظني انه لا يدل على واقع له ثبوت ذاتي – ولكنه امارة تفيد من جهة صاحبها غلبة الظن بأن الحق مادلت عليه ، ولا ينافي ذلك امكان معارضتها بامارة اخرى تفيد غلبة ظن المخالف في مدلولها بوجه آخر من الحق غير ما افادته القرينة الاولى ..

والخاصية الثانية : هي ان المسألة

الاجتماعية لا تكون الا مسالة وضعية شرعية بوضع الشارع ـ كتحريم الخمر ، والميتة ، وماذبح على النصب ، وكعدد فرائض الوضوء ، وصفة التيمم . وحكم الاضحية ، والعقيقة . وصفة صلاة العيدين ، والشهود في النكاح ، ومقدار المهر وما الى ذلك ..

فهذه المسائل وما كان من جنسها ـ مما هو محل الاجتهاد لا وجود لها في صورتها الشرعية بوضع الشارع لها.

فاذا قال الشارع مثلا للمجتهدين كلفتكم بتبين حكمي على العباد استخراجا من الامارات المنصوبة بين يديكم للدلالة على الاحكام وقبلت اجتهاد كل منكم فيما انتهى اليه من الحكم ، ايكون في ذلك شيء مما يحيله العقل ـ وكان فيه التسليم بصحة اختلاف المجتهدين وبقبول انظارهم المتضادة في المسالة الواحدة شرعا .

وهذا اللحظ هو منشا الظنية في المسالة الاجتهادية وهو ان الادلة فيها تدور حول تحقيق اعتبار شرعي يقبل التعدد والاختلاف باذن واضع الشرع.

ولا يلبس علينا ان تكون المسالة الاجتهادية ظنية ، لم يقع التكليف بها علينا جزما من قبل الشرع ؛ لان الله تعبدنا بالظن في المسائل الفرعية العملية ، لا الاعتقادية ولم يشترط علينا اصابة اليقين في ادلتها الدالة على وجوب العمل بها ـ بل اكتفى منا بحصول الظن الغالب بها ـ وذلك كوجوب التوجه الى عين الكعبة ، فان غلبة الظن العجز من اصابة عينها في صحة الحاصلة بالتحري والاجتهاد كاف عند التوجه الى جهة التحري وغالب الظن ، وكذلك الحكم بشهادة الشهود مع احتمال كذبهم ، او غلطهم مثلا في الباطن . وان وصفوا بالعدالة حسب الامكان ظاهرا فانه ترجيح للعمل بغالب الظن حيث لا يتعين طلب اليقين : تبين لكم الآن ان خاصية المسالة الاجتهادية قبول الاختلاف وانها من اجل ذلك هي مسالة ظنية لا قطعية : فمن اى نوع مسالة ايجاب الرجم على الزاني المحصن ؟ نقول : انها مسالة خلافية فهي مسالة ظنية فهي اجتهادية ..

هي خلافية ، لان جنس الخلاف وقع فيها بين الصحابة اولا ، فقد ذهب « عبد الله بن مسعود » و « عمر » ـ رضى الله عنهما ـ فيما روى عنهما ـ أن تمام حد الزاني المحصن انما هو الرجم فقط وذهب الامام «علي» ـ عليه السلام ـ وابن « عباس » رضى الله عنه ـ وغيرهما الى ان تمام الحد . الجلد اولا ، والرجم ثانيا كما فعل علي « بشراحة » الهمدانية : وقال : «جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله».

فههنا وقع الخلاف من الصحابة في جملة الحد وماهيته :

وتوضيحه أن الخروج من عهدة اقامة الحد من قبل الحاكم ، وطهرة الحدود عند الله لا يتم اذا كان بايقاع الرجم فقط على مذهب علي وابن عباس ، خلافا لعمر وابن مسعود ، فانه يتم به على مذهبهما : كما وقع الخلاف ايضا في اصول ثبوت الرجم من «الخوارج» فانهم انكروا صحة ثبوت الرجم على الزاني المحصن ـ ولم يقولوا فيه الا بالجلد مائة كالزاني غير المحصن ..

فيستحيل مع ثبوت هذين الخلافين أن تكون هذه المسالة قطعية كما يوهم بذلك غير المحصن . فلزم أن تكون هذه المسالة ظنية اجتهادية بسوغ خوضها بتجديد الراى فيها للمجتهد.

ـ ٥ ـ

المقدمة الثانية

في بيان اقسام الحديث وحجية كل قسم منها ..

ينقسم الحديث من جهة اتصاله بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى « متواتر » ، و « مشهور » ، و « خبر آحاد » ـ باصطلاح « الحنفية » و « المتواتر » ـ اقواها ثبوتا ، وهو ما يرويه عن النبي ـ صلى الله عليه

● بعد دراسات عميقة وشاملة ثبت أن عقوبة رجم الزانى المحصن ليست هى الحكم الوحيد لهذه الجريمة فى الفقه الإسلامى

وسلم – فى كل حلقة من سلسلة رواته من مبدأ سماعه الى منتهى تبليغه قوم لا يحصون . ويؤمن تواطئهم على الكذب : وشرطه انه يقع عن محسوس ومستيقن ، لا مظنون ، ولا معقول .

وحكمه انه يفيد العلم « القطعى » بمخبره .

لانه يتبع فى العقل اتفاق جماعة لا يحصون من الناس مع اختلاف آرائهم . وهممهم ، وطبائعهم على امر مخترع لا وجود له فى نفسه اصلا .

ولاننا نجد فى انفسنا علما ضروريا . لا نستطيع استدفاعه بوجود ملك كالاسكندر ، وبلد كالصين . ولم نشاهد هذا الملك ، ولا رأينا هذا البلد ، ولكن الخبر المنقول الينا « تواترا » هو الذى اكسبنا العلم بهما علما ضروريا لا سبيل الى الشك فى متعلقه ..

وقد اختلف الناس فى وجود هذا النوع من « الحديث » فى السنة النبوية فانكر بعض « المحدثين » وجوده فى السنة اصلا كما نقل صاحب « مسلم الثبوت » عن ابن « الصلاح » احد كبار علماء مصطلح الحديث : ان هذا « التواتر » لم يوجد فى السنة .

وذهب آخرون الى القول بوجوده قليلا : قيل خمسة احاديث أو ستة وان ابن « الجوزى » تتبعها فلم يجدها اكثر من هذا القدر (١) .

والحديث « المشهور » ، هو ما ثبت له وصف « التواتر » فى القرن الثانى دون الاول – وهو – كما قالوا – لا يفيد القطع كالتواتر ، ولكن يفيد علم طمانينة ، وهو ظن قوى دون القطع فوق مايفيده خبر الآحاد من الظن ..

والحديث المسمى خبر الآحاد هو ما يرويه عدد من الرواة لا يبلغ حد التواتر ، وهو انما يفيد الظن الراجح . وحقيقته انه يحتمل الكذب لكن يترجح جانب الصدق فيه على جانب الكذب لا بحيث ينتفى احتمال الكذب فيه اصلا ، وكل ما فى كتب الحديث النبوى من الاحاديث كالبخارى ومسلم وغيرهما هو من هذا الصنف الا قليلا جدا ، وهو يفيد اثبات الاحكام العملية فقط كتفاصيل الصلاة ومقادير الزكوات ، واحكام المناكحات والبيوع . وما شاكلها ولا يثبت الاعتقادات ولا امور الآخرة لانها لا تثبت الا بدليل قطعى ..

– ٦ –

المقدمة الثالثة

لعلماء « اصول » بحوث فى دلالات الالفاظ على معانيها تتجاوز مستوى فقه اللغة فى ذلك الى ماهو اعمق فى بيان معانيها واحكامها ، وخاصة علماء الحنفية ، فانهم يحكمون المنازع العقلية فيما يتعين ان يكون مفاد التركيب اللغوى كقولهم فى « مفهوم المخالفة » وقولهم فى « الاستثناء » نظرا منهم – اى « الاصوليين » – الى جسامة شان استنباط الاحكام الشرعية وانه راجع الى معانى هذه الالفاظ واحكامها .

ومن ذلك اللفظ المسمى عندهم « بالعام » كالرجال ، والنساء ، والرهط

(١) مسلم الثبوت جـ٢ ص١١٦ ط الحلبى .

والزاني، والزانية والسارق، والسارقة وامثالها، فقد عرفوه « بانه اللفظ الموضوع » بوضع واحد لكثير غير محصور المستغرق لجميع ما يصلح له قطعا عند الحنفية.

وبعيدا عن التعمق في شرح هذا التعريف فمعناه ان « العام » كما مثلنا اذا أطلق، فانه يشمل جميع الرجال، وجميع الزناة وجميع السارقين والسارقات، لا يغادر منهم احدا على جهة القطع ولا يخرج من حكم هذا اللفظ « العام » فرد الا بدليل يخرجه منه ويسمى ذلك « تخصيصا » « للعام »، وهو قصر حكم العام على بعض افراده بدليل.

ثم ان هذا الدليل يلزم ان يكون « قطعيا » ومتصلا بالعام، قطعيا لان حكم العام كما ذكرنا هو استغراق لجميع افراده على جهة القطع فلا يتجاسر عليه بالتخصيص، والتوع وانتزاع افراد من الحكم المسند اليه الا دليل « قطعي » يقاومه ويكون في مستواه، ومتصلا به.

كقوله تعالى ((واحل الله البيع وحرم الربا)) فان جملة (وحرم الربا) تخصيص لعموم البيوع الموصوفة بالحل باخراج البيوع الربوية المحرمة منه، فان لم يكن دليل التخصيص القطعي متصلا ((بالعام)) ((مقارنا)) بل ورد على ((العام)) متاخرا عن زمن الخطاب به كان ((نسخا)) كالامر بقتل عامة المشركين بقوله ((فاقتلوا المشركين)) فان لفظ المشركين ((عام)) لجميع افراد المشركين — قطعا — ثم ورد نسخه في حق المستامن بقوله : ((وان احد من المشركين استجارك فاجره)) فانه يفيد عدم قتل ((المستامن))، وذلك من قبيل ((النسخ)) يعني رفع حكم قتل المستامن الغاءه من عموم حكم قتل المشركين : والفرق بين النسخ والتخصيص، هو ان حكم العام بعد ورود النسخ على العام يظل قطعيا فيما تبقى من افراده بعد ((النسخ))

وفي التخصيص يكون حكم العام ظنيا فيما تبقى من افراده بعد ورود دليل التخصيص عليه.

وسترى شدة الحاجة الى الاستعانة بتطبيق ذلك اثناء البحث.

— ٧ —

المقدمة الرابعة

في بيان عدم اثبات الحدود بما فيه شبهة ..

ذهب جمهور العلماء الى انه يجوز اثبات الحدود باخبار الآحاد . وذهب « ابو حنيفة » وطائفة من العلماء «كالكرخي» من الحنفية و «ابي عبدالله البصري » من « المعتزلة » الى انه لا يجوز ذلك، لان اخبار الآحاد ظنية وتحتمل الكذب مرجوحا كما بينا، فهي دليل فيه شبهة فلا يثبت الحد كما لا يثبت الحد بالقياس لمكان الشبهة فيه، لان الحدود تدرأ بالشبهات، وهو القول المعتمد في المذهب : واليه ذهب فخر الاسلام « البزدوي » وشمس الائمة « السرخسي » وهما المؤسسان لاصول الحنفية وهو ما نذهب اليه ..

اما بعد فقد عنينا بذكر هذه المقدمات الاصولية بين ايديكم لتكونوا على علم تام بكل جوانب الموضوع شرحا وتاصيلا حتى نقطع الطريق على غير المحصلين من المتنسبين لعلم الشرع الذين من شانهم — اذا صدموا بعمل من اعمال ((الاجتهاد)) الخارجية على تقليد اصحاب المذاهب المعروفة كهذا البحث : هولوا على الناس بزعم مخالفة هذا الاجتهاد لشرع الاسلام ... لانه مخالفة للاجماع : فنقول لهم من اول البحث : ليس في المسالة اجماع ...

اولا لانه مخالف للسنة الصحيحة .. فنقول لهم : لا يزعجنا مخالفة ما يسمى عندكم بالسنة الصحيحة، لان هذه السنة الصحيحة دليل ظني يحتمل الكذب مرجوحا، وكذلك سائر السنن الصحيحة — الا ان تكون سنة متواترة، وليس في الموضوع سنة متواترة باتفاق العلماء ..

● استدل أصحاب المذاهب التقليدية على ثبوت الرجم على الزانى المحصن بالسنة فقط

او لانه مخالف للقرآن ، فنقول لهم اذا قالوه : هذا هو الكذب الصراح، فان نصوص القرآن المتعلقة بحكم الزنا ليس فيها ذكر للرجم أصلا ، بل القرآن هو حجتنا الكبرى عليكم فى هذا الاجتهاد. والله الهادى الى سواء السبيل ..

ـ ٨ ـ

ادلة اصحاب المذاهب التقليدية على ثبوت الرجم ونقضها ..

استدل أصحاب المذاهب التقليدية على ثبوت الرجم على الزانى المحصن بالكتاب والسنة ..

اما الكتاب فبقوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .. قالوا ان حكم هذه الاية عام فيمن ثبت عليه الزنا انه يجلد مائة جلدة ـ سواء اكان غير محصن او كان محصنا ـ اما فيما يتعلق بالزانى غير المحصن فقد سلم لهم الاستدلال بصريح النص واما فيما يتعلق بالزانى المحصن ، فقد انسد عليهم طريق الاستدلال بالاية ، لانهم يجعلون حده الرجم وليس فى الاية ذكر للرجم ، وليس فيها الا الجلد مائة لعموم الزناة بغير تفرقة بين الصنفين . فلما انسد عليهم طريق الاستدلال بالقران لجاوا الى الاستدلال بالسنة يحكمونها فى القران بشتى الحيل ـ كما سترى ـ ولهم فى ذلك

الاول ـ قالوا : ان النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ رجم « ماعزا » بعد اعترافه بالزنا وكان محصنا .

الثانى : انه عليه الصلاة والسلام ـ رجم « الغامدية » وهى امراة من قبيلة « غامد » ـ زنت فجاءت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت « طهرنى يارسول الله » فاقام عليها « الحد » .

الثالث : قصة « العسيف » ـ وهو الاجير ـ روى ابو هريرة ، وزيد بن خالد ان رجلا جاء الى رسول الله ـ عليه وسلم ـ فقال :

يارسول الله ـ ان ابنى كان « عسيفا » ـ اجيرا ـ على هذا وزنا بامراته فافتديت بوليدة ومائة شاه ، ثم اخبرنى اهل العلم ان على ابنى مائة جلدة وتغريب عام ، وان على امراة هذا الرجم ، فاقض بيننا .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذى نفسى بيده لاقضين بينكما بكتاب الله ـ معنى كتاب الله هنا حكم الله ـ « اما الغنم والوليده فرد عليك ، واما ابنك فان عليه جلد مائة وتغريب عام ، ثم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لرجل من اسلم ـ واغد يا انيس الى امراة هذا فان اعترفت فارجمها »

●●

● للبحث بقيه ●



انبياء الله في مصر (٢)

● تتمة مانشر ●

● د ٠ سيد كريم ●

● النبي ايوب ١٣٥٠ ق ٠ م

« واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين » ـ صدق الله العظيم ٠

وردت سيرة ايوب في قصص الانبياء للنيسابورى بوصفه ايوب بن تارخ بن عيسى بن اسحق بن سيدنا ابراهيم عليه السلام وان الله اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا ورزقه باصناف المال كله من ضياع وبساتين وابل وبقر وخيل واغنام ، مالا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة ، واعطاه الله اهلا وولدا من رجال ونساء ، ورغم ذلك كان زاهدا في الدنيا يقضي ليله ونهاره ، في كهف بالجبل يتعبد ٠

وامتحن الله ايمانه بصبره على ما ـ

اصابه من ضر بما نزل عليه من نائبات وكوارث اضاعت كل ما يملك ، ولكنها لم تزعزع ايمانه حتى اصبح « صبر أيوب » مضربا للامثال .

وقد ورد اسم النبي ايوب في صحف الانبياء عند اليهود في كتاب « هيوب » وانه كان من زعماء قبائل الصحراء الشرقية شمال سيناء وانه عاش ١٤٠ سنة واطلق عليه اسم « قاهر الشيطان بكلمة الاله والصبر واناشيد الحق » .

وقصة صبر ايوب او صراعه مع الشيطان كما وصفت في سفر الانبياء وكتاب « هيوب » تبدأ عندما يطلب الشيطان من الرب ان يمتحن ايمان ايوب بحرمانه من كل ما يملك من ثروة وجاه ويجيء الرد للشيطان خذ بقوتك ونفوذك كل ما يملك خذ كل شيء الا حياته فهي ملك لخالقه » ويستعمل الشيطان حيله واساليبه ، ففي مرة يطلق الجراد على مزارعه فيبيدها ، والصواعق والجفاف فتحرق اشجارها ، وتفشي المرض في قطيع اغنامه وخيوله فتنفق وسطا اللصوص على ابله فسرقوها ، ومتاعه فجردوه منه ، ولم يصبر ابناؤه على تلك المصائب المتتالية فهاجروه . وكانت زوجة أيوب تناقشه بعد كل مصيبه ، ويوسوس لها الشيطان لتقول له : الى متى الصبر يا أيوب بعد ان فقدنا كل شيء ولا عمل لك الا الصبر والتعبد ؟

فيرد عليها بقوله « اني اشكر الله على ما اعطاني وما املك ، فقد جئت الى هذه الدنيا عاريا خاوي اليدين والآن املك بفضله ما يستر جسدي ويطعم فمي !! »

واستمرت محنته وصبره عشرون عاما فقد بعدها الشيطان صبره من صبر ايوب ، ويركع الشيطان امام ايوب وهو يقول :

ان الشر اقوى من الخير ،ولكنه ينهزم امامه اذا تسلح الخير بالايمان والصبر .

وكافأ ايوب على صبره وايمانه وأعاد له ثروته ضعف ما كانت عليه ، وملأ قلبه بالحكمة الالهية التي نطق بها شعراء رددته الصحراء اناشيد تملأ القلب بالايمان فتحميه من الشر وترد الطمأنينة الى النفس عندما تعرف قيمة الصبر ومعنى الايمان .

لقد وصف كل من «جوته» و«دوماس» و « تولستوي » ـ النبي أيوب بانه اعظم شاعر نطق بالحكمة عرفته البشرية . واختلف مؤرخوا الاديان في العصر الذي عاش فيه ايوب وكتب اناشيده واشعاره فنسبه البعض الى القرن الثامن قبل الميلاد ، بينما يؤكد بعضهم الآخر انه عاش قبل نزول التوراه وصحف موسى ، حيث ظهر اسمه في لوحات اشور القديمة والرسائل المتبادلة مع ملوك مصر في الدولة الحديثة . وقد توصل « ايفار لستر » في كتابه (العقيدة وضمير الشعوب) من اثبات العلاقة الوثيقة بينهما . كما وجد بين رسائل العمارنة اسم حكيم من حكماء البلاد الآسيوية الذين انضموا الى كهنة معبد « اتون)) يدعى « حايوب » وهو ما يرجح ان النبي ايوب لجأ الى مصر واقام فترة في مدينة العمارنة حيث خرج برسالة التوحيد وتعاليم الرسالة لينقلها باسلوبها الشعري واناشيدها الغنائية التي اشتهرت بها صحفه واشعاره واناشيده الدينية .

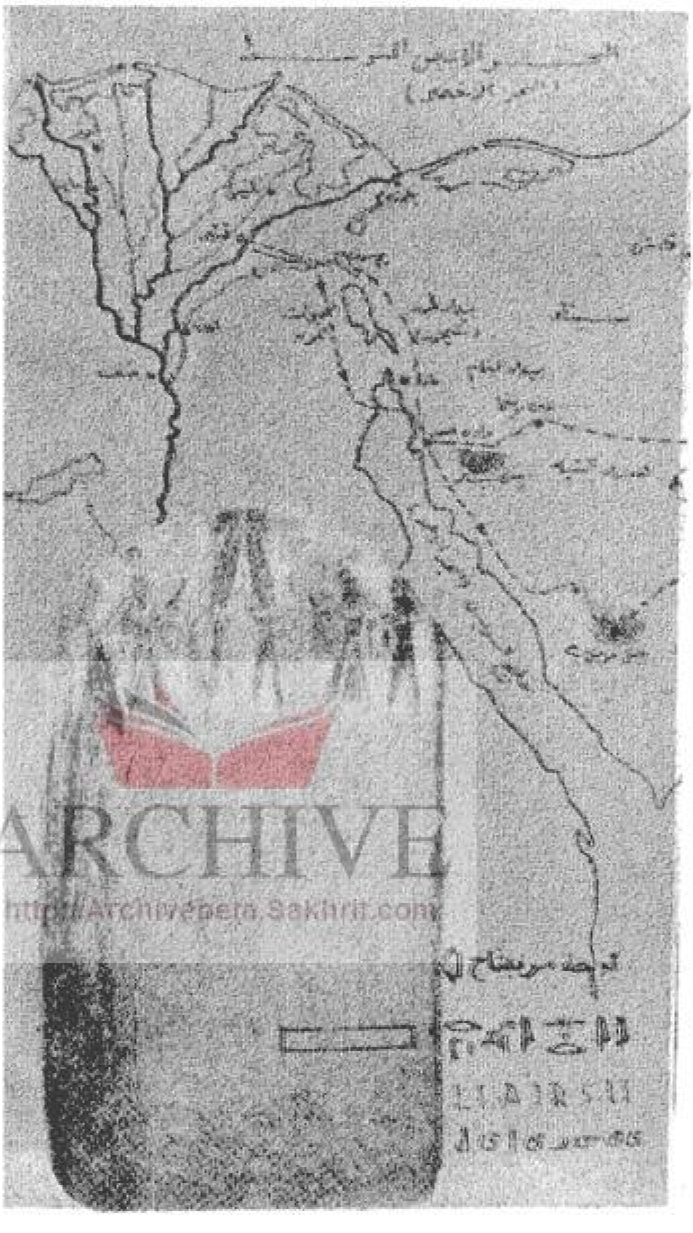
● سيدنا يعقوب ـ ١٧٠٦ ق.م ..

ذكرت أسفار التوراه وأساطير المؤرخين ان النبي يعقوب بن اسحق انحدر مع أولاده اخوة يوسف الاثنى عشر من أرض كنعان الى مصر في عهد الملك ابابي رع كنن من ملوك الهكسوس ونزلوا بأرض جاثان (ماشان) وسكنوا هناك في مدينة فيته بالقرب من مخازن الحنطة التي أقامها يوسف لمواجهة سنوات القحط . وسكنوا هناك وتكاثروا حتى صاروا أمة عظيمة »

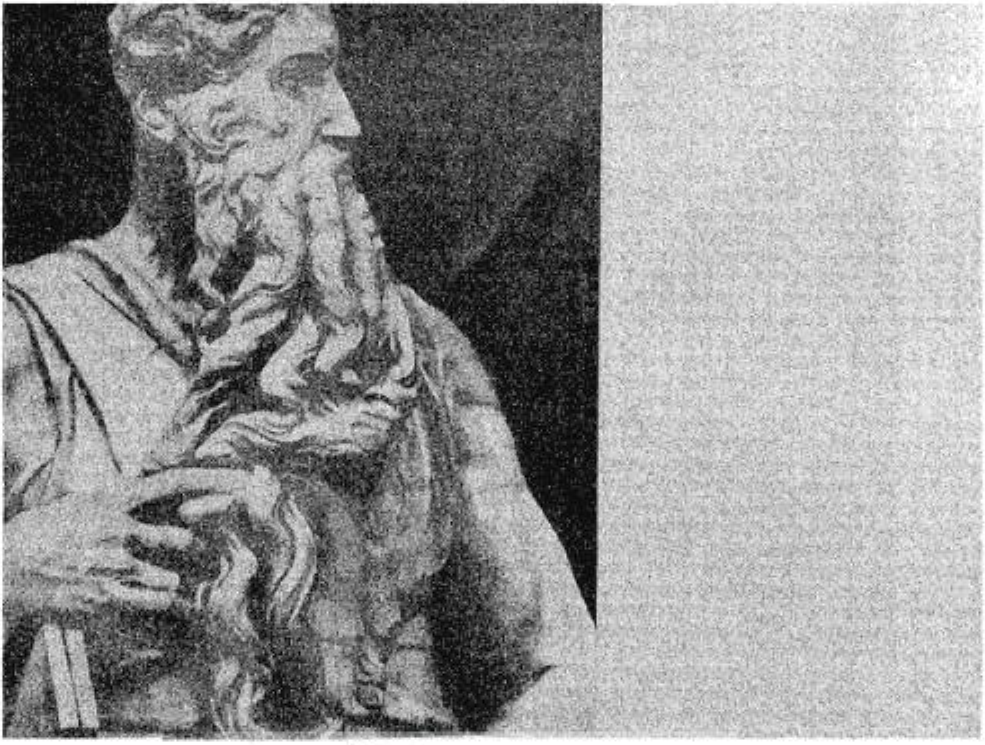
● اخناتون (ذو النون) ١٣٧٠ ق.م

وصفه المؤرخون القدماء وعلماء الاديان بانه عبقرية دينية فذة لا نظير لها فوضعوه في صف أصحاب الرسائل الدينية العظمى نسبه البعض الى « ذو النون » الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وصحف التوراه لانطباق صفاته عليه .

ظهر اخناتون في مرحلة انحلال عقيدة التوحيد الاصلية وارتداد الفراعنة الى تعدد الآلهة والمعبودات والتي كان أقواها الاله آمون سيد معابد طيبة الذي أشركوه



طريق خروج موسى بقوم اسرائيل من مدينة التتبع « برعمسيس » الى « يم سوف » وبيناء ايتمام ووادى سدر الوادى المقدس ومنه الى صحراء التية فى سيناء كما ورد مفصلا فى (سفر الخروج) وتاريخ مرنبتاح اسفل لوحة النصر لرنبتاح فرعون موسى والتى ذكر فيها اسم قوم اسرائيل وخروجهم.



تمثال موسى عليه السلام بالفاتيكان ·

مع الاله رع كرب للارباب ·

وقد نشأ « اخناتون » في بيت من المؤمنين بالتوحيد من ملوك الاسرة الثامنة عشر وكانوا يمارسونها سرا باتصالهم بمعبد أون – كعبة التوحيد – ولكن اخناتون لم يكن مسيرا في اتجاهه الديني بالعوامل الذاتية مثلما فعل أبوه امنحتب الثالث وجده تحتمس الرابع فقد رنا الى أبعد من ذلك اذ هفت نفسه الى الروحانية المجردة فلم يتلق علومه وتعاليمه في معبد آمون في طيبة أسوة بأمراء البيت المالك عندما التحق بها أخوه الأكبر ، بل انتقل سرا الى «عين شمس» لتلقى أصول العقيدة في معبد أون كعبة التوحيد الذي آمن به · وعندما أتيحت له الفرصة لتولى الحكم بعد قصة موت أخيه الغامضة بدأ التمهيد لدعوته بعد ان نشرها سرابين اتباعه ومريديه وجنوده وقام في السنة الخامسة من حكمه بثورته الدينية التاريخية المشهورة ·

وكانت هجرته من الكرنك الى تل العمارنة حيث أقام مدينته المقدسة « أخت أتون » (أفق الاله) يتوسطها معبد أتون وكعبته المقدسة « **ارض لم يدنسها بشر اختارها الاله لتنتشر منها الدعوة في اركان المعمورة الاربعة** » ··

لقد سجلت احدى برديات العمارنة رسالته في وصف الاله « **الله الواحد الاحد الفرد الصمد خلق السموات والارض ولا شان بجواره لاحد· هو الاب وهو الام وليس له ولد اله الخلق جميعا وليس اله مصر فقط · اله كل ارض يسطع نوره عليها · اله كل من يستنير بنوره وكل من يستظل بظله** »



موسى يحطم لوحات الوصـايا عندما عاد اليهود لعبادة عجـل السامرى



مرنبتاح فرعون موسى قال : امنت الا اله الا الله فنجاه الله من الغرق .

لـــذا فلم يكد ينتهى من اقامة دعائم مدينته حتى سعى الى نشر دينه الجديد وعقيدة التوحيد خارج حدود مصر فأمر ببناء مدينة « جم أتون » ، ومعبـدها فى النوبة كما أنشأ مدينة أخرى فى سوريا وثالثة فى آسيا بجانب بعثات التوحيـد التى أرسلها الى الحبشة وفلسطين للدعوة الى رسالته .

كما انتقل اتباع اخناتون الذين أطلق عليهم اسم « الصابى » (اتبـاع الحق والعدالة) الذين ورد ذكرهم فى القرآن باسم الصائبة مع قبائل جرهم (مهاجرى مصر) الى الجزيرة العربية وساهموا فى بناء الكعبة وعاشوا حولها واندمجوا مع أهل من سـبقوهم من أهل منف (بنى مناف) . وقد ظل ارتبـاط المصريين بعقيدة التوحيد الاخنـاتونية والحج الى الكعبة الشريفة خلال حقبة طويلة من تاريخ العقيدة كان يقوم بها المصريون القـدماء كذلك قام بها جميع الرسل والانبياء الذين لجأوا الى مصر وخرجوا منها لنشر العقيدة وحمل الرسالات المقدسة ومنهم سـيدنا ابراهيم والنبى شعيب ويعقـوب وموسى وغيرهم من الانبياء والرسل

لقد كشفت الدراسات المقارنة فى علم الاديان وجود عدة صفحات من التـوراه واسفار العهد القديم مطابقة لمثيلاتها فى رسائل اخناتون مما شجع أحد مؤرخى الاديان من اليهود محاولة اثبات ان اخناتون ما هو الا سيدنا موسى علما بأن اخناتون كان من ملوك الاسرة الثـامنة عشر وتولى الحكم عام ١٣٧٠ ق.م بينما ولد موسى فى عهد رمسـيس الثانى من ملوك الاسرة التاسعة عشر بعد اخناتون بمائة عام .

كما ان مزامير داود المشهورة ثبت بما يقطع الشك انها مطابقة لاناشيد اخناتون بجوهر اسلوبها الشعرى والغنائى . كما وجد تشابه عجيب بين أناشيد اخناتون الموجهه الى آتون وبين أناشيد وتراتيل القديس فرنسيس الاشيرى .

ومما هو جدير بالذكر ان عقيدة اخناتون كدين قائم بذاته يؤمن بها اليوم كثير من الطوائف الدينية اهمها طائفة «الروزيكوش» والتي يبلغ عدد أعضائها حاليا ما يقرب من الثمانية ملايين عضو لهم معابدهم . وطقوسهم الخاصة ويعتبر الحج الى أرض مصر المقدسة في أركان عقيدتهم .

● سيدنا موسى ١٢١٨ ق.م ..

ولد موسى عليه السلام عام ١٢٦٠ ق.م في مدينة «برعمسيس» (قنطير) وذلك في العيد الثلاثيني لتولى رمسيس الثاني عرش مصر الذى ارتبط بصدور أمر فرعون بقتل جميع المواليد الذكور من أطفال اليهود الذين ولدوا في مطلع العام الجديد تحقيقا لنبوءة كبير كهنة معبد طيبة الذى تنبأ لفرعون بأن نهايته ستكون على يد مولود يولد مع مولد العام الجديد .

« واوحينا الى امموسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكونلهم عدوا وحزنا »

فالتقطته أخت فرعون واطلقت عليه اسما مصريا وهو «موسى» أى ابن الشاطيء تيمنا بموضع التقاطه من نهر النيل المقدس وقامت أخت فرعون بتربيته ورعايته ونشأ في قصر فرعون ولما كبر التحق بمعبد أون فترة من الزمن حيث درس الحكمة وتعاليم العقيدة . في احدى زياراته لمدينة منف قتل أحد المصريين وانتهى الخبر الى رجال فرعون فقرروا قتله ولكن رعاية الله التى تحوطه **« ارسلت اليه رجلا من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين »**



المسلة الواحدة الباقية من مدينة اون (عين شمس) كعبة التوحيد . وصفها الفراعنة بانها اصبع العقيدة المرفوع كرمز للاله خالق الكون .. وتشير الى وحدانية الاله الجالس على عرش السماء



مشهد من لوحة تمثل المسيح والعائلة المقدسة فى الطريق الى مصر ..

فخرج من المدينة مهاجرا وخائفا يترقب وتوجه الى أرض مدين على خليج العقبة وهناك أواه النبى شعيب وزوجه احدى بناته وقام مع شعيب بزيارة الكعبة قبله العقيدة الاخناتونية واتباعها وعند عودته بزوجته جاءه الوحى فكان نبيا ورسولا واصبحت هجرته خيرا وبركة عليه وعلى قوم اسرائيل وقد قال ذلك بنفسه لفرعون عندما عفا عنه « ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين»

وتنتهى قصة موسى بخروجه مع قوم اسرائيل من أرض مصر (كما ورد فى سفر الخروج ١٢ـ٣٧) فى اليوم الخامس عشر من الشهر الاول عام ١٢١٨ ق.م فى عيد الفصح وهو يوافق العام الخامس من حكم الملك مرنبتاح بن رمسيس الثانى كما ورد مسجلا فى لوحة اتريب التى سجلت انتصارات مرنبتاح كما ثبت من اللوحة انه لم يمت غرقا حيث ذكر فى نهاية قائمة معاركه وانتصاراته انه مات فى السنة الخامسة عشر من حكمه كما ورد فى وقائع تاريخه انه آمن بالله عندما شاهد المعجزة وقدم قرابين الشكر لمعبد اون حيث بنى معبدا للاله .

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين . الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس من آياتنا لغافلون » (يونس)

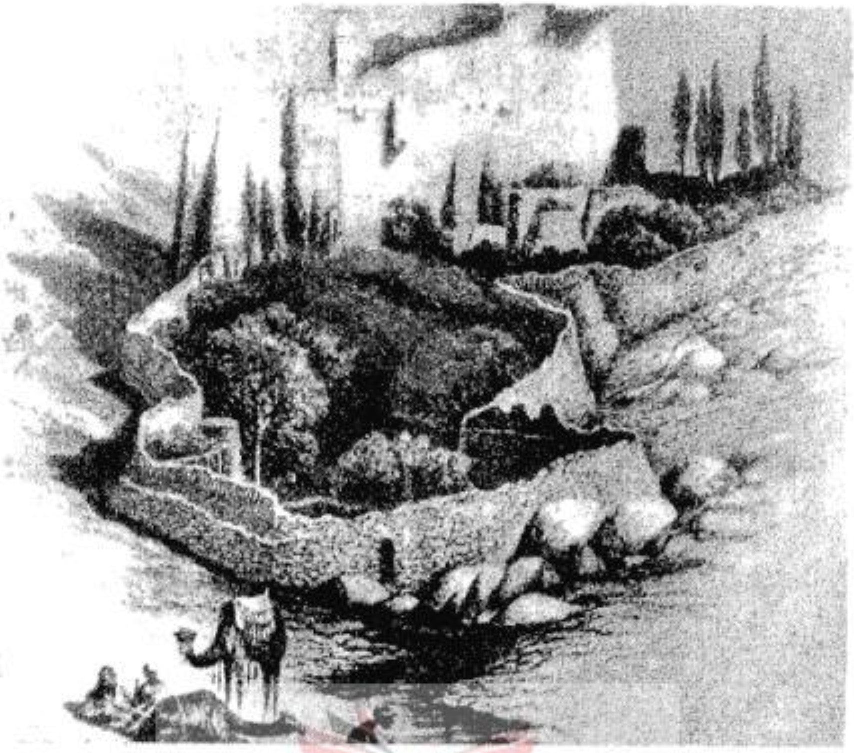
لقد تضاربت آراء الكتاب ومؤرخى الاديان فى حقيقة جنسية سيدنا موسى . فتشكك اسفار التوراه فى صلته باليهود أو بسيدنا ابراهيم حين تصفه بأنه كان « لقيطا بقصر فرعون وهاربا من وجه العدالة ومتكلما عن عبيده غرباء » .

ويذكر فرويد فى كتابه « موسى والتوحيد » وهو الكتاب الذى تآمرت عليه الصهيونية ..

« ان موسى كان قائدا مصريا حقق نصرا فى الحملة على الحبشة وتزوج من ابنة شعيب وهو من المصريين الذين هاجروا



شجرة المطرية المقدسة انحنت فروعها لتخفي مريم والمسيح
الطفل عن اعين جنود هيرودس الذين كانوا يتعقبونه ..



مصد التجلى بالوادى المقدس فى سيناء

الى مدين هربا من الاضطهاد الدينى الذى حل باتباع عقيدة التوحيد الاخناتونيـة والتى اعتنقها موسى بعد التحاقه بمعبد اون حيث درس الحكمة واللاهـوت وان قومه كانوا من المصريين الذين تبعـوا عقيدته ولم تكن لهم علاقة مباشرة بعقيدة بنى اسرائيل الذين خرجـوا مع موسى لينقذهم من بطش فرعون وجنـوده • ويدلل فرويد على نظريته بما حدث مـن بنى اسرائيل عندما اطمأنوا على أنفسهم بعد خروجهم من مصر فانقلبـوا على موسى ورسالته ، وصـنعوا من الذهب الذى سرقوه ثورا عبدوه ، فحـكم الله عليهم بالتيه فى الصحراء فهادنوا موسى وآمنوا بربه وصحفه بعدما أراهم من معجـزاته ما الهاهم حتى وصلوا الى مشارف أرض الميعاد على شاطىء البحـر الميت فارتدوا مرة اخرى وعادوا لعبادة العجل بعد أن قتلوا موسى وهو يقودهم الخطوات الاخيرة الى بيت المقدس • وأرسل لهم من الانبياء داود وسليمان واليشـع وغيرهم من الانبياء ليردوهم الى الايمان وكتب عليهم التيه مرة أخـرى فى الارض أبد الدهر ليكفروا عن ذنب قتلهم الانبياء • »

بينما يرجع بعض الباحثين فى تاريخ الانبياء نسب موسى الى سيدنا ابراهيم عليه السلام لانه ولد فى مصر من سلالة سيدنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ويذكر التوراة انه ابراهيم آرامى الاصل رغم انه ولد فى أور وليست له عـلاقة بالكلدانيين او اليهود العبرانيين «وما كان ابراهيم يهـوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسـلما وما كان من المشركين » (آل عمران) •

التجربة الكبرى

● جليلة رضا ●

يا قلبُ يا شَيْخها الذى نهَلت ... شفتاهُ كل منَابع الخبره؟
كم خضْتَ تجربة وتجربة ... ومَشيتَ فوقَ الشوك والزهره!
وعبدتَ آلهة وآلهة ... سقطتْ مع الازميل مُنكسِرا!
ولبست أقنعة مزيَّفَة ... أخفتْ وراء ستارها الفكره!
وشربْتَ كأسَ الحبِّ طافرة ... حتى الثُّمالة .. عَذْبة ـ مُرّه!
أترى التجارب كلها فرغت ... لم يَبْقَ فى ينبوعِها قطرهْ؟

***

ياقلبُ .. ياطيرى الذى سَبَحت ... أحلامُه فى الأفق منتشرا
جرَّبت كل أمور عالمنا ... وسبرتَ غورَ السهلة الوعره!
أودعت سرَّك مُقمرا ألقَا ... وكشفتَ أنت مع الضحى سر؟
وعلوت بحْرا واعيا حَذِرا ... ولقطتَ من أعماقه ـ دُرره
وترنحتْ قدماك فى وهَن ... فسقطتَ كالمخمور فى الحُفره!
أترى فرغت من التجارب أم ... لا تزل تَبلوك منتصره؟

***

ياقلبُ يانهرى الذى دفقت ... أمواجُه بالأمس منهمِره!..
كم عاصفينا ذاكَ ملتمعًا ... عانقتَه بمشاعر حَذِره!
أرْغيتَ ثمَّ هدرْتَ منطلقا ... وعَبرت كلَّ جسوركَ الخطره!
.. واليَوْم كم تنسابُ فى دعَة ... وبخطوة مأمونة حرّة..
أترى التجارب كلها فرغت؟ ... لا .. والتى فى الغيب مستتره!
عندَ المصبِّ هناك تجربة ... كُبرى .. تعد خُطاك ـ منتظره!

يوسف إدريس

يقاضى جامعات مصر ●●

● أجرى الحوار : عاطف فرج ●

● الاقتراب من عالم يوسف ادريس ، اقتراب من طبيعة الرجل الفنان المتميز بجرأة شديدة في معالجة قضاياه ، وصراحة اشد في زوايا تناوله لهذه القضايا .. وهذا ما عبر عنه قلمه فى اعماله الادبية المتعددة ، والمتنوعة بدءا من مجموعته القصصية « ارخص ليالى» وانتهاء بقصته القصيرة الاخيرة « السيجار » . مرورا بـ « البيضاء » و « النداهة » و «الحرام» و « العيب » و « بيت من لحم » و«يموت الزمار » .

و « الزمار » الذى « يتمنى » أن يتوقف عن الكتابة لكنها قدره » ــ هو يوسف ادريس نفسه ، الرجل الذى اقتربنا منه أكثر فى هذا الحوار ، فى محاولة لرسم صورة قلمية عن أديب فنان كبير ..

تبدأ مكونات هذه الصورة القلمية من أثر القرية فى تشكيل وجدان يوسف ادريس الثقافي والادبى .. عن هذا الاثر يقول يوسف ادريس :

« الاديب يتشكل مثل كل كائن حى اولا فى بطن امه . ما تريده له أساسا . وما تريده له البشرية فى توارثها للاجيال ثانيا تشكله طفولته نوع رضاعته ، طريقة تربيته . أمراضه التى يصاب بها فى الصغر . ثم تشكله الخلية الاجتماعية التى عاش فيها . القبيلة فى الزمن الاول ، والقرية فى العصر الحاضر

وهذا كله ساهم فى تشكيل . واعتقد انه كان من حسن حظى . لان الخلية الحقيقية ــ فى نظرى ــ هى القرية . لا الحارة ولا الشارع ، انما القرية لانها مجتمع شبه متكامل ، وقبيل بالمعنى الحديث . ليس متعصبا وانما يشترك فى تكوين عادات وتقاليد الافراد واخضاعهم للناموس العام الا فيما ندر .

واعتقد ان أبناء القرى هم أكثر الناس . التصاقا بالطبيعة المصرية .من الذين تربوا فى المدينة . لان المدنية انشاها تجار ،وانشئت للتجارة فالقاهرة فى نظرى كانت « ترانزيت » بين الشرق والغرب ، بين السويس والاسكندرية وهى ليست ممثلة للطبيعة المصرية اطلاقا ..

ولقد تاثرت بالقرية فعشقت مصريتى لاننى عشقت مجتمعى الصغير الاول رغم انه كان قاسيا علىّ . ومن ثم فقد ارتبطت عضويا بالمجتمع لانه يعنى عندى الارض ، والارض تعنى قبر والدى وحكايات والدتى وجدتى .. »

***

واذا كان من أبعاد هذه الصورة ما يكتبه يوسف ادريس فى قصصه ، وما قد يغلب عليه الطابع الجنسى ، فان يوسف ادريس يقول فى مجال تبريراته لاستخدام الجنس بدرجة شبه مكثفة :

« هذه تهمه لا انفيها ، وشرف لا ادعيه ــ كما قال الزعيم سعد زغلول . لكننى لا أستعمل الجنس فى كتاباتى ، وانما احترمه ، واقدره ، وأرى فيه جانبا هاما من جوانب الحياة البشرية .

وعندما أتناوله بالكتابة فلكى اجعل

من الكائنات الخشبية ، كائنات حية . ولكى أجعل من العواطف المجردة ، عواطف ممتزجة باللحم والدم . ولكى أجعل منه فى النهاية كما يقول الانجليز الشهوة للحياة .وهى تختلف عن الشهوة الجنسية ، وان كانت رغبات الانسان الجنسية من حيث انعدامها أو ضعفها هى التى تقلل من شهوته للحياة .

وباعتبارى أتكلم عن كائنات حية . فكان من الضرورى أن أجسد هذا المعنى لكن بعض الناس يفسرون هذا تفسيرات سياسية واجتماعية وطبقية أحيانا .. وهم أحرار فى ذلك ، لان هذه ليست مشكلتى انما مشكلتى ان أكتب عن الكائنات الحية بالطريقة التى أراها .

ومن جهة التفسيرات السياسية أو الطبقية فاننى أعتقد أننى لم ادخل السياسة فى قصص طيلة حياتى ، لان السياسة علم مجرد ، ورغم أننى ابن من أبناء الحركة الوطنية المصرية . الا اننى اكتب عن الانسان المصرى على وجه التحديد فى كافة مواقعه ، وكافة مواقفه»

● **قلت للاستاذ يوسف ادريس :**

ما رايك فى القضية التى اثارها اخيرا الاستاذ احسان عبد القدوس من انه لا يكتب للذين لا يقراون ، كما يفعل غيره ؟!

ـ قال : « أعتقد ان هذا صحيح . ولذلك فان كتابات احسان عبد القدوس لا يزال ينقصها أن يكتب للذين لا يقراون لان الكتابة مثل المياه أو الكهرباء ترى فى المجتمع حتى للذين لا يقرأون .

فالافكار السياسية مثلا . ينقلها المثقفون للمتعلمين ، وهؤلاء بدورهم ينقلونها للذين لا يقراون .

وفى الحقيقة جمهور احسان عبد القدوس كله جمهور غير مثقف لانه الجمهور الذى فرض على السينما ، وهو جزء كبير من احسان .واعتقد أن احسان مخطىء فى رايه هذا لان جمهوره يتاثر بافكاره عن طريق أفلامه التى تعرضها السينما أو يقدمها التليفزيون ومشاهدى السينما أو التليفزيون جمهور كبير . اكبر بكثير من الذين يقراون لاحسان عبد القدوس .. »



يوسف ادريس

عن الشكل الادبى وخصوصا فى رواية « نيويورك ٨٠ » التى أخذت اسلوب الرواية الحواريةفاصبحت اقرب الى المسرح منها الى الرواية . سالت الدكتور يوسف ادريس عن سبب لجوئه لمثل هذا الشكل الادبى ـ قال :

.. هذا يجرنا الى قضية . لماذا يلجأ الكاتب الى شكل ادبى معين سواء أكان مبدعا له أو مسبوقا اليه .

وانا ليست عندى مشكلة فى اختيار الشكل اطلاقا . لا فى القصة القصيرة او فى المسرح او فى الرواية . لاننى أكتب الشىء كما يخطر لى فى لحظته ،وبالطريقة التى يخطر لى فيها . فاذا خطر لى ان اتوقف عن السرد ، وادخل فى حواريات طويلة جدا . باعتبار ان هذا جزء من الدراما فسوف افعل .. لان الذى يركب الدراما عندى ليس عقلى الواعى . بل عقلى الباطن . باعتبارها مختزنة فيه ..

وما العقل الواعى الا الزناد الذى يضرب لكى تنطلق الشحنة فى العقل الباطن . وانا لا اعرف عندما اكتب ماذا ستكون عليه الجملة التالية .واذا عرفت

اتوقف عن الكتابة فورا . لانني في هذه الحالة اشعر بانني فقدت تلقائيتي وهي العنصر الاساسي عندي . ومن ثم فقدت الاستمتاع بعملية الكتابة . وانا عندما اكتب لا اكـذب على نفسي واشـعر ان ما اكتبه اصيل وحقيقي وانني لا اصنعه .. ولقد قال البعض عن هذه الرواية انها تشـبه « الرواية » التي كتبهـا توفيق الحكيم . وأنا لا أكتب من أجل « الرواية » أو غيرها ، أنا أكتب لان هناك موضوع يؤرقني بطريقة فاجعة جدا . ومن ثم احاول أن أضع الرؤية الداخلية على الورق وان انقلها بامانة .. »

● قلت ليوسف ادريس ..

الحـرام ، والعيب وغيرها من روائع يوسف ادريس . كانت معالجة لاوضاع طبقية معينة . ولقد سـبق أن قلت ان الاوضاع الطبقية في مصر تميعت فهل زالت مسـببات الابداع عند يوسـف ادريس .. ؟!

ـ قال : كتاباتي ليست قصة أوضاع طبقية في الواقع هي قصـة أوضـاع اجتماعية لانني لا أكتب كتابة طبقية أبدا .. فعندما أكتب عن الفقير أوليه نفس العنـاية التي اكتب بها عن الغني .. لان قضيتي هي الانسان سواء أكان غنيا أم فقيرا ، وسواء أكان خيرا أم شريرا . وعنـدي ما هو أكثر من ذلـك . فأنـا أتعاطف مع الاسوياء باعتبار ان المجرمين مرضى وليس ذنبهم أن خلقوا هكذا .. وعموما فأنا أكتب عن كل ما يسـتحق الكتابة عنه لانني مع الانسـان في كل صوره . »

سـألت الدكتور يوسف ادريس ـ وهو من اكثر من كتبت عنه دراسات في الشرق والغرب ـ : ترجمة الكاتب في الشرق أو الغرب قد يكون لها مسبباتها الشـخصية جدا . فهل تعني ترجمة الكاتب عالميته .. أم انها مجرد نماذج يبحث عنها هؤلاء المترجمون ؟!

قال : وهو يقدم لي صورة من احدث دراسـة كتبت عنه في هولندا باللغة الانجليزية تحت عنوان « القصة القصيرة عند يوسف ادريس » باعتباره « مؤلفا مصريا معاصرا .. » !

« في البدء كانوا يدرسـون الادب العربي وكذلك الدين الاسلامي . دراسات لحضارات قديمة . مثل دراستهم للعبرية او السيريالية ، أو ادب المستعمرات . كانت دراستهم لعينات سواء تاريخية ام معاصرة .

لكن عندما حدثت ثورة ٢٣ يوليو ، بل ومن قبلها ، في عهد محمد علي عندما هزمت مصر أوربا . وأكثر من ذلك في عهد صلاح الدين .. تغيرت هذه النظرة عما كانت عليه .. فلقد اكتشـفوا أن الشرق فيه أشياء أخرى أكثر من كونه شرقا ، فبدأوا يهتمون بالانسـان الذي يعيش فيه ..

وفي العصور الحديثة وبعد اكتشاف البترول والثورات التي اجتاحت العـالم العربي تغيرت النظـرة أكثر . فبدأوا يدرسون كيف يفكر الانسـان العربي ، ومن خـلال أدابه اهتموا بالنـواحي السياسية فيه ، لان هذا ما كان يهمهم فيه أولا .

ثم بدأ الاهتمام يتزايد بالانسـان العربي والانسـان المصري بالذات . وبداوا يدرسون الادب عندنا . دراسة جديدة . فاكتشفوا فيه قيما فنية لاتصلح لان تكون عربية فقط بل لابد ان تكـون عالمية ..

ومن أحدث هـذه الدراسـات هذا الكتاب الذي صـدر في هولندا باللغة الانجليزية لكي يدرس فن القصة عندي والتطـوير الذي أحدثته فيهـا بعـد تشيكوف ..

ورغم هذا فهذا الكتاب محتـاج لرد منا كعـرب لان فيه اخطاء خطيرة جدا ، منها انه ينسب جذور القصـة المصرية القصيرة الى جذور اوروبية .. ونسوا ان الشرق هو بلاد الاساطير ، نشـأت فيه الف ليلـة وليلة التي الهمت الشرق والغرب .. »

كتبت عن الدكـتور يوسـف ادريس دراسات بلغات متعددة ، قدم لي من بينها



العبرية والبولندية ، والانجليزية ، والعربية .

لكن لماذا يوسف أدريس بالذات . هذا ما استوضحته فيه ..

قال : ان الذى أكتبه يكفى ثلاثة من كتاب القصة . وهم يرون ان انتاجى أصلح ما يكون لمثل دراساتهم » .

ويضيف الدكتور يوسف ادريس :

« ان كل ما كتب عنى كتب فى الخارج ما عدا دراسة واحدة قام بها الدكتور « النساج » فى كتاب عن القصة القصيرة وفى جزء من هذا الكتاب .

أما الكتاب الوحيد . الذى قام بكتابته . الدكتور عبد الحميد القط (ابن اخو الدكتور عبد القادر) فلقد كان عنى وعن القصة القصيرة عندى ..

« وسوف اطالب جامعتى الزقازيق وطنطا بمنع تدريسه ، لانه تجريح شخصى فى وارضاء للجنة التحكيم ، لان بعضهم كتاب قصة، فاراد أن يسترضيهم فكتب هذا التجريح .. وهو تجريح بمثابة مؤامرة من بعض اقسام اللغة العربية فى كليات الآداب . يعتبروننى فيها دخيلا على الادب ولست من أنصارهم

هذا الكتاب ساطالب بمنع تدرسيه فورا ، ومطالبة كل جامعة بمليون جنيه وسوف أقاضيهم لنفس السبب .

ولقد عرض بى الكتاب وصاحبه قائلا أن كل قصصى سرقتها من « تشيكوف » ومن « كافكا » . وسوف أطلب من المحكمة مصادرته وجمعه من السوق » .

***

على هامش الحوار .. يرى الدكتور ادريس انه لم يتميز عن جيله أو يتفوق عليه ولا يمكنه القول بذلك : « لاننا لسنا فى مسابقة ، وان الكتابة ليس فيها سباق على الاطلاق ، وان كان فهو سباق الى الداخل والوصول الى الذات والاغتراف من المياه العميقة الموجودة فى النفس فهو سبق مع الذات وأنا فى هذا لم أسبق ذاتى فذاتى أسبق دائما »

وأن مهمة الكاتب « الدفاع عن الفقراء فى أى مجتمع ، حتى ولو كان المجتمع الامريكى باعتبار أن فقراءه اغنى فقراء العالم .. »

وأعتبر ان الذين قالوا ان رواية « نيويورك ٨٠ » ما هى الا مجرد رغبة امرأة فى ممارسة مهنتها فلم تضف جديدا ، فانهم لم يفهموها ولم يعرفوا انها ادانة لمجتمع الاجر مقابل ساعة عمل ولو كان فان اقصر طريق كذلك هى « الموسة » .

وان المرأة احتلت النصيب الاكبر فى كتاباته لأنها « خالقة الحياة » وهو متعاطف مع المرأة لأنه « متعاطف مع الحياة » ..

كما ان الدكتور يوسف لا يرى سببا لحبه الشديد لكتابة القصة القصيرة ، فقط هو احب هذا اللون من التعبير الادبى ، وان كاتب القصة القصيرة يمكنه ان يكتب شعرا .. هو نفسه مر بالتجربة وكتب ثلاثة ابيات لا يذكرها . أما تهمته انه لم يعد عنده جديد يقدمه فهى « تهمة قديمة جديدة ، تقال بعد كل عمل اقدمه » .

وفى النهاية يعترف بان اساتذته متعددون بدءا من الدكتور طه حسين فى القمة ـ ومدرس الرحلة الاولى « الذى مازلت اقبل يده » مرورا بكل رواد القصة القصيرة والرواية وكل من علمه حرفا واعطاه نصحا وحلله ونقده ، او مدحه ..

دراسات فى أدب مَىّ زيادة

الحرية واللغة

● علاء الدين وحيد ●

كان مطلع القرن العشرين ، وبالذات قيام ثورة ١٩١٩ ، بمثابة التفجير الحقيقى لتكوين الشخصية المصرية المستقلة عن الملامح العثمانية التى كانت سائدة حتى ذلك الحين تقريبا ـ التفجير الحقيقى ، على المستوى العام والخاص تقول مى زيادة عن نفسها ، « وقامت الحركة الوطنية المصرية . وهنا كانت يقظتى الادبية الصحيحة ، والخلق الجديد الذى امدتنى تلك الحركة بروحه « أستفتاء الهلال » ـ « اهم حادث اثر فى مجرى حياتى » ـ « الهلال » فبراير ١٩٣٠ ـ ص ٤٠١ » .

وساعدت حركة مقاومة الاحتلال البريطانى ، لتجعل من هذا التكوين ، قدرا حتميا . وكانت دعوة ، « نحو أدب وفن مصرى صميم » ، منهجا قبل ان تكون شعارا .. واذا كان البعض قد استطاع ان يجد النغمة الصحيحة ، فان البعض الاخر فشل فى العثور عليها .. وكانت النتيجة ان بدت الصورة فى البداية ، متقلصة فى بعدين : الاول ، فى اتجاه الماضى ، ويشكله أصحاب التراث ... والثانى ، يشير الى المستقبل ، ويلوذ به من يستوحون الفكر الغربى بلا تمييز فى اغلب الاحيان وهكذا يطفو الماضى والمستقبل على السطح ، ويغوص الحاضر ! ولقد انعكس ذلك ايضا ، بشكل أخطر فى اللغة وأساليب الكتاب ...

ولعلنا نتمثل فى صرخة « مى » فى هذا المجال ، موقف الانسان المصرى المثقف فى ذلك الوقت ، الذى يستشعر الخطورة ، فيما يدرك ، من خلط واضطراب وفوضى محيطة : « ان السير على الاساليب العتيقة وتقييد الفكر بالاستعارات المتحجرة ، من جهة والمجازفة فى اعتناق كل جديد دون بحث ولا تمحيص من جهة أخرى ـ يوقعاننا فى موقف الحيرة والقلق ، ويجردان أدبنا العصرى من طابع تطبع به الآداب عادة فى كل دور من أدوارها » ـ « بين الجزر والمد » ، ص ٤١ ـ ٤٢ » .

وطلب الحرية والجهد فى سبيلها ، يستوعب كل تنفس حياتى . فالقيد المضروب على المواطن المحتل فى مصر او

البلدان العربية الاخرى ، لا يقتصر على مجال بعينه ، بل يشمل كل وجود انساني ــ ومن هنا تجيء بشاعة الاستعمار .

ولقد اهتمت « مي » بمناقشة كل مايمت لقضية حرية الانسان العربي بصلة . فلم تلهها القضايا الكبيرة عن الصغيرة ، أو التي يمكن أن تسمى كذلك . او الكليات عن الجزئيات ..وفي هذا الموضع ، نذكر لاديبتنا ، معالجتها لقضية اللغة ، سواء على المستوى الاكاديمي ، او في حياة الناس .

ففي المستوى الاول ، تدافع « مي » عن قوة اللغة العربية ، التي قدر لها ان تكون أقوى من الحضارة العربية التي ازدهرت قرونا ، ثم تعرضت لعوامل الانحلال ، حتى كاد ينتهي امرها . وتبقى اللغة العربية ، بينما ماتت مثيلتها التي كانت مرتبطة هي الاخرى بحضارة عظمى ، مثل اليونانية او اللاتينية .. والسبب أن العربية هي لغة القرآن الكريم . « لقد عدت اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة منذ سقوط مدنيتاهما . فما الذي حفظ العربية حية بعد زوال مدنية العرب بقرون سبعة ؟ ..

ان الذي كان باعثا على تكوين المدنية العربية هو الذي مازال حافظها الى اليوم ؛ هو القرآن ... لذلك ستظل اللغة العربية حية مادام الاسلام حيا ، ومادام في انحاء المسكونة ثلاثمائة مليون من البشر يضعون يدهم على القرآن حين يقسمون » ــ « بين الجزر والمد » ــ ص ٣٥ ــ ٣٦ » .

وفي موضع آخر ، تسطر كاتبتنا عن اللغة العربية : « فلها الغلبة ولها البقاء ولا يزيدها كر الدهور الا فتوة وجمالا ، لان لغة القرآن لغة خالدة » ــ « كلمات واشارات ــ ص ٨٥ » .

●●●

واللغة الوطنية عادة ، تتعرض في ظل المناخ الاستعماري ، لاشد الوان المعاناة ، خاصة اذا ارتبطت بالعقيدة الدينية . لذا كان المحتل الانجليزي ، مثلا ، الذي يحكم مصر بيد من حديد ، يفزع أن يترك للعربية السيطرة على السنة المصريين ، سواء في المدرسة او الشارع ... لان اللغة بشكل عام ، من اقوى



مي زياده

المكونات الشخصية ، التي تساعد المرء في الحفاظ على مقومات وطنيته ، فلا تتلاشى او تضعف ، كما يطمع الاحتلال

ان الهم الاول للمستعمر ، في كل بلد محتل ، أن يئد لغة المواطنين ، وان يحل لغته هو الاجنبية محلها ، ليتخلص من مقاومة أصحاب البلاد .. وفي قارات العالم التي رزئت بالاستعمار ، نماذج كثيرة تؤكد هذا الهوان ، الذي تلقاه اللغة الوطنية ..

ولنذكر الجزائر ، على يد المحتلين . وفي مصر قبل الاستقلال ، أصبحت الانجليزية ، لغة المستعمر ، هي اللغة الاولى في البلاد . فهي في المدرسة ، تدرس بها كل المواد ، حتى في المرحلة الابتدائية ولو كان في الامكان ، أن تعلم بها العربية ــ لفعل الاستعمار !

ولذا كان الحفاظ على العربية ، بمختلف الاسهام ، عملا وطنيا في المقام الاول ...

يشير عباس محمود العقاد الى اعمال رائعة لسعد زغلول ، فيعد من بينها عملين لهما صلة بتاصيل العربية :« ومن اجل الاعمال التي قام بها سعد في وزارة المعارف وجازف من أجلها بمنصبه وبحسن العلاقة بينه وبين الاقوياء عملان : احدهما كان مغضبا للانجليز والآخر كان للخديو واتباعه من الشيوخ

الازهريين ..

« نقل التعليم من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية فاغضب الانجليز أشد الغضب ، واحتاج الى تذليل عقبات أخرى غير عقبات المقاومة السياسية ، وهى تحضير الكتب وتحضير المدرسين وتهيئة الجو للتدرج من نظام متغلغل متشعب مضت عليه خمس وعشرون سنة الى نظام طارىء لايزال فى دور التمهيد ، محتاجا الى المعدات والمنفذين

« وانشأ مدرسة القضاء الشرعى.. »

« سعد زغلول سيرة وتحية » ـ ط ١ ص ١٢٠ » .

ومن أهمية انشاء مدرسة القضاء الشرعى ، بين الاعمال الوطنية ، يقول عنها المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى: « أسدت للقضاء والثقافة العربية جليل الخدمات » فى اعقاب الثورة المصرية » ـ ج ١ ـ ط ١ ـ ص ٢٨٥) .

وهذا الجهاد الوطنى ، من خلال اعلاء شأن اللغة الوطنية ، ينعكس ايضا فى استخدام العربية ، اللغة الاولى فى الادب والفن . ولذلك عندما عاد جورج أبيض من بعثته فى باريس وكون فى القاهرة فرقته الفرنسية ، يمثل بها على مسرح دار الاوبرا ـ طالبه سعد زغلول بالتمسك بلغته القومية وان يمثل بالعربية . ويصدع الشاب الذى أصبح بعد ذلك واحدا من اعلام المسرح العربى .

ولم يكن السلوك العدائى الذى يقفه المستعمرون من اللغة العربية فى مصر ، يتوقف على الجهاز الحكومى الذى يسيره المستشارون الانجليز ، الذين كانت قراراتهم فوق رقاب الوزراء « المصريين » انفسهم ، فحسب .. بل كان هذا الموقف العدائى نفسه ، يتخذه كل من يدور فى فلك هذه السياسة . وفى مقدمتهم الصحفيون الاجانب ، وكانوا يشكلون فى سنوات الاحتلال قوة يعمل لها حساب ، خاصة والامتيازات الاجنبية كانت قائمة . وكان هؤلاء نادرا مايقفون فى صف الحقوق الشعبية المصرية .

وما أكثر المعارك التى خاضتها « مى » مع هذا النفر من الصحفيين . وكانت احدى هذه المعارك التى وقعت فى يناير ١٩١٩ تتعلق بلغة الضاد : وسخرية مجلة « الاجيشن ميل » الانجليزية من انشاء مجمع اللغة العربية . الذى يطمع ضمنا ، فى أحلال كلمات عربية جديدة **بدل الكلمات الاجنبية التى تطلق على المخترعات الحديثة وغيرها من الاشياء** وتتساءل « مى » :

« **لماذا لا يجوز للمجمع اللغوى ولكل كاتب عربى أن يؤثر استعمال الفاظ عربية دون التغييرات الافرنجية ؟ أليست الحال كذلك عند جميع الشعوب ؟**

« **ولو اقتصرنا على لغتها دون غيرها الا تذكر « الاجبشن ميل » ان الانجليز انفسهم يفضلون الكلمة السكسونية الاصل على الكلمة اللاتينية ؟ وأن كبار كتابهم اذا وجدوا امامهم كلمتين اثنتين تؤديان المعنى تماما احداهما سكسونية والاخرى لاتينية، سارعوا الى الاستعمال الكلمة الاولى لانهم يرونها افصح وابلغ؟**

« **فلماذا ينكر علينا ماهو فى نظرهم عين البلاغة وكل الحق ؟ »** (« بين الجزر والمد » ـ ص ٤٠) .

ولكنه التعصب والاستعمار وتسلط الرجل الابيض ..

***

وتناقش « مى » ، مايوجه خصومنا الى اللغة العربية من اتهام ..

ولما كانت كاتبتنا تجيد عدة لغات أجنبية ، منها الفرنسية والانجليزية والايطالية والالمانية واليونانية ، فقد استطاعت ان تتمثل بما فى هذه اللغات نفسها ، من صعوبات لا تقل ان لم تزد عما تحمل اللغة العربية المفترى عليها!!

وتقف « مى » موقفا صلبا من الدعوة الى أن تكون العامية هى اللغة الرسمية لانها حسب مايدعون ، أكثر دقة ونبضا دافئا وحرارة من الفصحى !..

وتجد أديبتنا فى هذا الزعم ، أكذوبة تنطلق مستهدفة القضاء على العربية ، وتكتشف معها انه بينما اللغة العربية تحاط بهذه الدعوة من اعدائها ، فان هؤلاء الاعداء من المستعمرين وبعض

المستشرقين لايفعلون المثل بالنسبة الى لغاتهم الوطنية ولهجات شعوبهم المحلية!
فلدى الشعوب الاوروبية لهجاتها المحلية ايضا !.. ولكنهم هناك لا يطالبون أو يعملون ، لتحل هذه اللهجات محل اللغات الفصحى !.. هذا بجانب ان لغة الضاد ، من أغنى وأقوى لغات العالم الحية العريقة ، ان لم تكن اغناها واقواها على الاطلاق .

واذا كان الهدف من الاستعانة بالعامية ورفع شأنها على حساب الفصحى ، مكشوفا مدانا ، فان الاداة نفسها لا تقل من الغاية في اكتناف الريب والعداء لاصحاب العربية . فاى لهجة هذه التى تحل مكان اللغة الفصحى ؟.. ان كل بلد عربى ليس به لهجة عامية واحدة فحسب ، بل عدة لهجات بالنسبة الى اقاليمه ، وربما بالنسبة الى مدنه ايضا! وكل لهجة تحتاج بالطبع الى قواعد تنظمها !.. وهذا معناه اننا نضاعف الصعوبات ، بدل ان ننقلها .

وبالنسبة الى لهجة قاصرة عن التعبير يريد البعض أن يجعلها لسانا حضاريا يصلح للفكر والعلوم والفنون والاداب ـ تتساءل « مى » : فاى اللهجات تنتقى « وهل من صالح اهل البلاد ان يؤلفوا لكل لهجة منها كتبا جديدة ويصنعوا لها اصولا وقواعد جديدة ؟! اليست صعوبة اللغة الفصحى والحالة هذه اقرب الينا منالا وأثبت أساسا ؟! »
(« بين الجزر والمد » ـ ط ١ ـ سنة ١٩٢٤ ـ ص ٥٢ ») .

●●●

ودعوة أخرى مريبة ، غير العامية ، فى مجال اللغة ، جابهها المد الوطنى فى النصف الاول من القرن العشرين ، وهى الدعوة الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية بنفس الزعم وهو صعوبة تعليم الفصحى ! الى هذا الحد بلغت ضراوة المعركة ، ولكن المصريين الشرفاء قاوموا .. حتى كتب لهم العوز .

وقضية ثالثة لا تقل خطرا ، افرزها السم الاستعمارى فى المجتمع المصرى ، فى عالم اللغة ، وهى التهافت على الحديث باللغة الاجنبية بدل العربية . واحتقار الاخيرة عاميتها وفصحاها على السواء ! واذا كان المفكرون والادباء والمصلحون ، قد استطاعوا بعد وقت قصير ، أن ينجحوا فى القضاء على تطلع العامية الى السيادة ، اواستخدام الحروف اللاتينية فى كتابة الفصحى ـ فقد احتاجوا الى زمن طويل جدا ، للتصدى « لموضة » لوى اللسان فى الشارع والمجتمعات باللغات الاجنبية ! هذه « الموضة » التى كادت ان تجتاح المجتمع المصرى انسياقا وراء الحكام الارستقراطيين من الاصول غير المصرية والمستعمرين الانجليز .

وتقول « مى » : « كيف أن اناسا ولدوا فى جرود لبنان ، او فى انجاد سوريا ، أو فى سهول مصر ، يجدون اللغة العربية « خشنة ـ يا الهى ! ـ تمزق الحلق .. ويحسبون من يتكلمها فى المجتمعات « فلاحا » ، فى حين ان اجنبيا « تعنى المستشرق الاسبانى الكونت دى جلارزا استاذ الفلسفة فى الجامعة المصرية القديمة » يتقن لفظها . ويحسن الافصاح بها فى موضوع فلسفى عويص .. يحسن ذلك الى درجة ابهام رجل كالدكتور شميل ، وحمله على التردد عشر دقائق تقريبا ، قبل أن يتقدم على الاستفهام هل ذلك الاجنبى من اهل اللغة أم من محبيها » ؟!

وتعقب « مى » صارخة : تكلموا ما شئتم من اللغات يابنى أمى ! ولكن لاتنسوا لغتكم » ! ـ (« بين الجزر والمد » ـ ص ٨٨) .

والحديث عن مى وقضية اللغة ، لا يمكن أن يكتمل الا بالتفات الى لغة « مى » نفسها . وهو موضوع كبير يحتاج الى دراسة اوسع ، فلاشك ان أسلوب « مى » ، هو أحد العوامل الهامة فى تكوين شخصيتها الادبية وشهرتها . ولنتذكر ان « مى زيادة » ، كانت قد بدات اولى خطواتها الناضجة قبل عام ١٩١١ ، واغلب الاساليب العربية فى انحاء العالم العربى ، لاتخرج من نطاق المحسنات اللفظية والبديعية ، والمعانى المستهلكة التى لا طائل تحتها . وكان لثقافة اديبتنا العميقة المتنوعة ، فى الاداب والعلوم

والفنون الاجنبية والعربية ـ اثره البالغ في تخليص لغتها من التقليدية السائدة، وان لم يهبط مستوى اللفظ الذي تستخدم .

بل حافظت لغتها على الفصاحة غير المتقعرة ، التي لا تتشنج فتنهل من القواميس الفاظها . ومن الطريف ان عملها بالصحافة لم يجرفها في تيار الاسلوب الصحفي الوافد السريع التلغرافي . ويرجع ذلك الى امرين ، الاول أن « مي » اديبة وكاتبة قبل ان تكون صحفية .. والثاني أنها تكونت فكريا وثقافيا ، قبل ان تهل هذه الموجة الوافدة . فقد بدأت عملها في الصحافة وكبار الادباء والسياسيون اصحاب الاساليب البيانية الرائعة هم الذين يحررون العمل ، مثل الشيخ على يوسف ، ومصطفى كامل ، وولى الدين يكن ، وسعد زغلول .

وكان من رأى «مي» : « ان التعبير ارتقاء كما للافكار والعواطف والميول . وكلما لطفت النفس من امرىء وتثقيف فكره .. تهذب تعبيره وسما بيانه ،وما نطمع فيه الان هو انصاف انفسنا فنصرح لها بان تكون كما ارادتها الطبيعة وتفصح من خوالجها بحرية ، وان ننصف اللغة فنحترم قواعدها واصولها . فلا نحن نكذب ونداجي . ولا اللغة تجمد وتختلط . وما نطمع فيه ويمثل له التعليم والتهذيب هو رفع العامة الى فهم أوسع واحذق ، والنزول ببعض الخاصة الى ميدان اسهل ليتم في اللغة ماهو تام بين المراتب من النماذج » .

ولذلك لم يكن عجيبا ، أن تشيد اديبتنا باللغة واللفظ . تكتب « مي » يوما ، مخاطبة العبقرى :

« تجلى فيك شعاع المعنى من المقام الاسنى ، ورمقك الرحمن بنظرة انعكست صورتها على جبهتك فكرا ، وفي عينيك طلسما ، وفي صوتك سحرا .. والالفاظ التي هي عند الاخرين اصوات ونبرات د ـع ، صارت بين شفتيك وتحت ـمك نارا ونورا تلذع وتضيء ، وتحرق وتهنيء ، وتخجل وتكبر ، وتذل وتنشط ، وتوجع وتلطف ، وتسخط وتدهش ، وتقول للمعنى « كن » فيكون » ! (« ظلمات واشعة » ـ ص ١٠٣) .

***

هذه بعض الاراء في اسلوب «مي» . يقول محمد عبد الغنى حسن : « اما أسلوبها حين تتناول بحثا ادبيا ، او موضوعا اجتماعيا ، فقد كان في غاية من السلاسة والسهولة والوضوح ، فالفكرة عندها واضحة ظاهرة ، لاتتصيدها من وراء الغيوم أو من خلف الضباب ، والعبارة عندها سهلة لاتعقيد فيها ولا ابهام ، واللفظ عندها سائغ حلو الوقع على الاذان ، فاذا قرأتها لا تمسك نفسك من الاعجاب بها ، والاقتناع بمذهبها .

« وفي عبارات مي حين تكتب او تخطب موسيقى تستسيغها الاسماع ؛ ولقد كانت تجيد العزف على بعض الالات الموسيقية ، فلا غرو اذا راعت في اسلوبها الترنيم والتنغيم » . ـ (« مي اديبة الشرق والعروبة » ـ ص ٨٥) .

وتقول وداد سكاكيني : كتبت «مي» المقال عفو خاطرها وعلى سجية الالهام والابداع ، ومن يقرا مقالاتها على تباعد الزمن وتضارب المذاهب الفكرية والتعبيرية في ايامنا ، يجد الروح الحرة العامرة التي لاتشيب ولا تهرم في هذه المقالات متوهجة الفكرة والعبارة وقد خلت من تنطع اللفظ وتفاهة المعنى وان لم تخل من شطحات في الخيال والتصور ، ولعل السر في جمال مقالاتها هو اسلوبها الشعرى الخاص الذي دل على طبعها وادبها وتاثرها بالروح الرومانتيكية التي كانت سائدة ـ « مي زيادة في حياتها وآثارها » ـ ص ٧٧ » .

ويقول كامل الشناوى .. وكان اسلوب مي مشرقا اخاذا ، كان لتعبيراتها رنين علب ، وجرس خلاب . كانت تفكر في حماسة ، ولهذا غلبت على كتابتها روح الخطيب المفكر ، لا الخطيب المرتجل » ! ـ « والذين احبوا مي » ـ ص ٥٩ » .

● عبد العليم القبانى ●



من عمرية لم ينظمها حافظ ابراهيم

« وراع صاحب كسرى ان رأى عمرا
بين الرعية عطلا وهو راعيها ....
راه مستغرقا فى نومه فرأى
فيه الخلافة فى اسمى معانيها ..
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا
ببردة كاد طول العهد يبليها ...
فقال قولة حق اصبحت مثلا
واصبح الجيل بعد الجيل يرويها ..
امنت لما اقمت العدل بينهمو
فنمت نوم قرير العين هانيها »

« حافظ ابراهيم »



حين حكمت الناس عدلت ..
ولهذا القى الامن عليك الظل .. فنمت
نقلوا هذا عن صاحب « كسرى » ملك الفرس
حين راك توسدت ذراعك تحت الشجرة .. واستغرقت
اسمح لى يا ابن الخطاب ...
بسؤال لم يتبلور بعد :
اصحيح انك حين عدلت ، امنت ؟
او تدرى انك حين امنت خدعت ؟
وبانك حين خدعت . قتلت ؟
او تدرى من كان القاتل ؟
يا ابن الخطاب ..
يا مثلا حيا فوق شفاة الموتى ..
قد كان القاتل فيما شهد .. الناس جميعا ...
صاحب « كسرى »
ملك الفرس ، «١»

«١» من المعروف ان ابا لؤلؤة قاتل سيدنا عمر كان فارسيا

حتى لا يغضب القمر

● حسن عبد المنعم ●

كان قادما من الشمال بعد ان ولى الى ايام عشرة يلتقطها من زحمة العمل التى اغرقته طوال السنوات الثلاث التى استسلم فيها نفسه للشركة الجديدة ، هاربا من السعير الذى الم بالقاهرة ... وكان قد اختار قرية من قرى السويد دعاه اليها صديق من شهداء الفن الذين يسومون على وجه الارض يقضى ايامه العشر فوق ديوتها التى سيتعانق على ثراها الصخر والزهر وتتدلى اقدامها مع اقدامه فى النهير الصغير تبترد ..

وكانت الرعشة التى تشبه النشوة مازالت تسرى فى اوصاله رغم الغضب المتدفق فى اعماقه من الرحلة التى تضاعفت مرتين من خمس ساعات الى عشرين بسبب تاخر الطائرة عن موعد وصولها الى كوبنهاجن التى عشر ساعة لاسباب تعودت الشركة ان تلتمسها ! .. وكان يعض نابيا بانه اشفاقه من ان يصل فلا يجد احدا فى انتظاره . وكيف يتوقع وموعد وصوله فى الثامنة من مساء الامس ان يجد من ينتظر فى الخامسة من مساء اليوم !

ومع ذلك فقد لمحها وهى واقفة عند مهبط الطائرة والانسام تعبث بخصلات شعرها . وهى تحدق فى الوجوه التى اخذت تتزاحم عند سلم الطائرة ، حتى التقطت صورته وخفت اليه تستقبله ...

وتبدد اشفاقه ليحل مكانه اعجابه المتزايد بسكرتيرته .. وهتف بها وهو يصافحها وهى تكاد تثب كى تعانقه ولكنها تتراجع :

ــ اين قضيت الليل يا منى ؟

ــ قضيته فى صالة الانتظار ... وتركت الاوسطى منصور ينام فى السيارة . الحمد لله على سلامتك .

وسالها وهو فى طريقه لاستلام حقيبته عما اذا كان السعير قد انحسر عن القاهرة ، فندت منها ضحكة وهى تقول :

ــ ليت الامر امر القاهرة . لقد حجزت لك على الطائرة التى تسافر فى الواحدة الى اسوان!

.. الجو الا يغضبك هذا ، انها تعليمات رئيس مجلس الادارة ... والحرارة هناك لا تزيد عن القاهرة كثيرا ، ولم تتجاوز الواحدة والاربعين طبقا للنشرة !

واستوضحها الاسباب وهو يدارى غيظه ، فاوضحت له ان المجلس المحلى هناك سيعقد جلسته صباح اليوم التالى للنظر فى موضوعات على راسها مشروع الشركة لاقامة مصنع التذكارات السياحية هناك . وعليه ان يحضر الجلسة ليشرح للمجلس اقتصاديات المشروع وجدواه ...

وفى منصة المطار جلست قبالته يتناولان وجبة الافطار وهى تحاول ان تمتص ثورة الغضب فى صدره قائلة :

ــ لقد امرنى رئيس مجلس الادارة بالسفر معك ، وقد اعددت لك كافة اوراق الموضوع . وسوف اشاطرك حمامات الشمس هناك . والمشاطرة تخفف البلوى ياسيدى !

وابتسم وهو يزدرد قطعة من الفطيرة التى امامه . واستطاعت ان تمتر فى اغوار عينيه على ذلك المعنى الذى تحرص عليه منذ عملت سكرتيرة له : الرضا ...

هل كان رضاء سيلة القاتلين من ابناء هذا البلد : الرضا لمن يرضى ؟ .. ام كان استسلاما لاوامر رئيس مجلس الادارة طالما انه اعطى نفسه لهذه الشركة دون ان يفرض شرطا او يملى عقدا ... ام لعل رضاء لانها سوف تشاطره الرحلة ، ومشاطرة العذاب مع انسان تانس له ولا تقول تحبه يخفف الابتلاء ...

ولم تسترسل فى تحرى الاسباب وهى تنتقل من سلم الحافلة الى سلم الطائرة وهو يربت على ظهرها ويكاد يدفعها لتسرع فى الصعود . واختار صفا خاليا وترك لها اختيار المقعد ، فجلست لصيقة بالنافذة . وجلس الى جوارها وظل المقعد الثالث خاليا حتى امتلات الطائرة عن آخرها بالركب الذى كان واضحا انه من جنسيات اخرى ...

وفى حرارة القيظ الى اسوان وقد كان المعروف ان اسوان مشتى ، اما الان فقد استوى الامر



وبدات المضيفة تحصى الركاب ، وتمنى أن يظل المقعد المجاور له خاليا ، ولكن امنيته لم تتحقق فقد أطلت من مدخل الطائرة قامة سامقة لامرأة نحيلة أبرز ما فيها عينان دوارتان أخذتا تجولان في المكان بحثا عن المقعد الخالى ، ولم تلبث أن تقدمت صوبه واستوت الى جواره يسبقها عطر أنفاسه .

والتفت الى سكرتيرته فالقاها تتمتم هامسة ، فلما سألها عما تقول ، أجابت فى نبرة ضيق .

— لا شيء ...

وراحت أيدى جارته تنساب باحثة عن حزام مقعدها لتربطه ، ولكنها لم تعثر سوى على نصفه أما النصف الآخر فقد كان منزويا . ولاحظ هو الأمر فاقترح عليها أن تبادله مقعدا بمقعد ولكنها شكرته بلغة انجليزية مشوبة بجملة يدرك أنها من أصول لا تيقية

وجاءت المضيفة . ولم تجد بدورها حلا سوى أن يحتضن الحزام شخصين وكان الخيار للراكبة التى أسفرت عن جنسيتها حين هتفت بالايطالية وقسماتها تفوره :

— شكرا على كل حال وارجو الا يتضايق السيد ...

ولم يكن هو الذى ضاق ، ولكن جارته على الجانب الآخر ، خاصة عندما سمعته يقدم نفسه للسيدة :

— المثال فؤاد مختار شركة التذكارات السياحية وحسست الراكبة بدورها وقد التصقت به تماما حتى تتيح للحزام أن يربطهما :

— أميليا فاللى ، من فلورنسه ...

وسرعان ما انطلق هدير الطائرة وانطلقت فوق الممر ، ثم أخذت تصعد وهى تهتز وترتفع حتى بلغت غايتها من الارتفاع . ثم انطلق الصوت المعهود وانطفات عبارة : أربط حزام المقعد . فبادر فؤاد الى فك الحزام الذى كاد يزهق أنفاسهما ، فهمست جارته :

— جراتسى سنيورى ...

وتمس سكرتيرته اوكاد ، وألقى على الجارة الايطالية السؤال التقليدى الذى يستقبل به كل مصرى كل قادم من الخارج :

— أهى زيارتك الاول لمصر ؟ ..

— نعم ، وكم عشت احلم بأن تتحقق ... ولكنها تحققت اليوم !

ولاذت بصمت قصير ، ثم اردفت وكأنها تتحدث لنفسها وبالايطالية هذه المرة :

— وبعد أن فات الأوان !

ولم تكن تعرف انه بدوره قد تعلم بعض الايطالية من بعض الاساتذة الذين تلقى عليهم فن النحت فى كلية الفنون . الا حين سألها بدوره :

— ولماذا يفوت الأوان ؟ ...

ولم شئا أن تفصح له عما تعنيه واكتفت بقولها بالانجليزية :

— أرجو الا يكون ...

وعاد يلتفت الى جارته ولى ظنه أن يجرى معها حديثا ولكنه ألفاها لائذة بصمت شديد يتمثل فى زمة شفتيها ونظرتها التى ثبتت فى الركن المقابل لها من الطائرة ، فلم يجد بدا من احترام صمتها ، وراح يتصفح الصحف المصرية التى كان قد حرم منها طوال الأيام العشرة التى قضاها فى السويد .. حتى أتاه صوت قائد الطائرة يعلن الاقتراب من مطار أسوان ، وتضيء اللافتات تعلن ربط الاحزمة . وتستيقظ السنيورة فاللى من سرحتها ، ونسيت أنها بنصف حزام حتى وجدت أناملة تمتد لتربط الحزام حول جسديهما اللذين عادا للالتصاق حتى أخطر هو أن يحيط كتفها بذراعه وكأنه يحتضنها ... وعادت موجة التورد الى وجنتيها ... وحين لمست عجلات الطائرة أرض الممر فى رفق شديد ، أنطلقت أكف الراكبات والراكبين تصفق معلنة عن أعجابها بقائد الطائرة ولأول مرة يصاخ لنصيحة القائد بعدم فك الاحزمة والالتصاق بالمقعد الى أن يتم توقف المحركات .. ولكنه همس فى أذن جارته :

— أين تنزلين فى أسوان ؟

قالت هامسة بدورها

ـ لي أوبرري ...

واستدار نحو سكرتيرته وتساءل فاجابت :

ـ اطمئن يا أستاذ ونحن أيضا في أوبرري .

وشاع في صدره احساس بالارتياح . وفك الحزام ونهض ثلاثتهم وراحوا ينزلون تباعافوق سلم الطائرة وحين تفرقوا وعاد هو ومنى في سيارة أجرة منفردين الى الفندق كان يبدو عليهما شيء من الضيق لم تفصح عن سببه ولم يسألها بدوره ...

وكان من الواضح أن هناك أمرا يشغل فؤاد مختار .. وانه يبحث بعينيه في الحشد الذي امتلأت به العبارة التي تجتاز بهم النهر صوب الجزيرة التي يحتلها الفندق بعمارته الصاعدة التي اختلف حولها الرأي بين رجال الفن ورجال الاثار ، حتى عثر على رأس السائحة الايطالية يغلف بدوره فتستدير معه خصلات شعرها المسترسل ..

وانشغل كل بالبحث عن مكان غرفته ، واتفق مع سكرتيرته على أن يلتقيا في الردهة المؤدية الى صالة المطعم في السابعة مساء حتى ينال حظه من الراحة وترك لها أن تجري ما تراه لازما من الاتصالات بشأن اجتماع المجلس المحلي الغداة . واكتشفت روعة الغرفة التي خصصت له حين وجدها جناحا يتألف من طابقين وللطابق الارضي شرفة تمتد الى الحديقة .

وقدر أنه سوف ينام بمجرد أن يلقي بجسده فوق الفراش الوثير وقد بعثت أنفاس جهاز التكييف في أوصاله الخدر . ولكنه بدلا من ذلك راح يفكر في الراكبة الايطالية التي فرض عليه أعمال شركة الطيران أن يحتضنها وداخله الاحساس بأنها ما زالت تتمدد الى جانبه وتلتصق بجوارحه . وعاد يتمتم باسمها : أميليا أناللي من فلورنسه ! ..

وقام يضع نفسه في ملابسه ولكنه توقف ليلقي نظرة الى وجهه في المرآة وسمع صوتا يقول له من داخله لقد بلغت الخامسة والاربعين يا فؤاد مختار .. ولم يتوقف عند سماعه ما راح يقطع الطرقة الطويلة الى ردهة الفندق ويصعد الدرجات في خفة شاب في الخامسة والعشرين لم وقف يتلفت .. ولكن صوت منى واتاه .. وهي تخف لاستقباله وتقوده الى حيث تجلس في انتظاره .. وبدا عليها وهي تنظر الى وجهه وتحكي له عما أجرت من اتصالات وحددت من مواعيد مقابلته للمسئولين سواء في المجلس المحلي أو المحافظة ـ أنها تبحث في أساريره عن أشياء وأنها تجد بعضها وتفتقد بعضها الآخر ... وأخرجها من تفكيرها صوت يطل عليهما مع موجة عطر :

ـ سنيور مختار ، أكرر شكري لك .. هل تسمح بأن أنضم اليكما دون تطفل أو ازعاج لك أو للسنيورا ..

وهب فؤاد مختار واقفا ومد يده يلتقط به أميليا وكأنها طوق نجاة وهو يقول :

ـ أبدا .. مطلقا .. أننا نرحب بجلوسك معنا أنا والسنيورينا منى سكرتيري حتى يحجزوا

لنا مائدة في المطعم ..

ونسي فؤاد مختار كل شيء . نسي المكان والزمان ومنى والطعام وهو يتحدث الى أميليا وتنساب عبارته الانجليزية في طلاقة لم يعهدها نفسه ، وهي بدورها تكاد تلتهم كلماته .

وحين جاء مندوب من صالة المطعم يعلن لهم خلو مائدة لم يسمعه حتى اضطرت منى أن تمسك بكمه وتقول ونبرة غل في صوتها :

ـ المائدة يا أستاذ ! ..

وطلب الى أميليا أن تشاركهم المائدة والى منى أن تطلب أعدادها لثلاثة بدلا من اثنين وصدمت منى وهي تهمس بالعربية :

ولكننا لم نكمل حديث الشغل ..

وأجابها بالعربية أيضا ولكن في اقتضاب :

ـ لا تشغل بالك ...

وكان موقع المائدة التي جلسوا حولها مجاورا لحوض السباحة اللوزوردي وقد أطل عليهم القمر في صورة لم تعهدها أميليا فهتفت :

ـ لم أر قمرا كهذا ! ..

واستبد به الزهو فقال :

ـ وما من شبيه لقمر أسوان ... هل سمعت ياسنيورة عن شاعر مصري اسمه العقاد ... دعيني أترجم لك بعض شعره عن هذا القمر :

« فضض الماء بالقمر ... وانقش النور في الحجر ! .. وانظم الفضي بالندى ..

« وانثر الزهر في الشجر ! .. واجعل الكون ضاحكا ... عن سماء من الغرر ! .. »

وهتفت منى وهي تخفي غيظها :

أما أميليا فقد ألقت ببصرها معلقا بصفحة القمر ، وراحت في سرحة كالتي غابت فيها وهي جالسة الى جواره بالطائرة . ولم يشأ أن يوقظها، فتوقف عن الكلام الذي كان يتدفق من شفتيه وعاد يهمس في أذن سكرتيرته وكأنه يعتذر لها :

ـ شيء من الدعاية لاسوان يا منى ... أليست هذه مهمة شركتنا ! ... ليتنا نستطيع أن نعبىء أشعة شمس أسوان وأضواء قمرها في قوارير يحملها السواح عند عودتهم !

وقطع عليهما الحديث وعلى جارتهما التأمل مقدم الطعام .. وبلغت رائحة الحساء الى أنوفهم فاستجابوا وانصرفوا عن الحديث الا من عبارات عابرة . حتى انتهوا وكانت الساعة لم تتجاوز التاسعة حين غادرنا صالة الطعام .

أما سكرتيرته فقد واعدها على اللقاء في ردهة الفندق مبكرين حتى يستكملا الاسباب الى أن يتوجها الى المجلس الشعبي والمحافظة . أما أميليا فلم يستطع الا أن يلقي اليها بالتحية الايطالية التي عادت الى ذاكرته :

ـ أريفادريتشي ...

وصافحها على مضض بينما وقف يتأمل قامتها السامقة وهي تمضي أمامه حتى غابت عن ناظريه في نهاية الطرقة الطويلة التي تقع غرفته عن

بدايتها . وتردد بين التوجه بدوره الى غرفتـــه وبين الخروج الى حديقة الفندق . ولكنه استقر على ان يدخل الغرفة ويجـلس في الشرفة يمضي الوقت ...

ودارت برأسه وهو مسترخ على المقعدالخيزراني وقد امتدت امامه اشجار الحديقة وكأنها تكتسل في اشعة الظهر عشرات الاســئلة وكلها تدور حول اميليا القادمة من زهرة المدائن الايطاليـة فلورنسا . وكان يتوقف عند كل سؤاليتساءل نفسه ولماذا تسأل ؟ .. وماذا يعنيك من امرها لمن الواضح انها سيدة وانها زوجة تحمـل في اصبعها الطوق الذهبي ... اما انها قــدمت منفردة دون زوجها فلا يعدو الامر انه مشـغول باعماله . والاوروبيون لا ينصرفون عن اعمـالهم بالسفر مع زوجاتهم ! ... وهل عندها اولاد ام هي لم تنعم بهم بعد . وان كان قوامهاوخاصرها يزعمان انها لم تلد .. وما العســير ان تترك اولادها هناك وتأتي لتسـلتمس الراحة من الزوج والاولاد ...

وقبل ان يستطرد ، سمع صوت الهاتف فقفز على الفور انها هي تريد أن تذكره بشيء لعلها



نسيت ان تذكره له . وبعد بعض استغرابه لكنه ما لبث ان اعتدل واستقام وكأنه يتحـــدث الى رئيس فقد كان الصوت مميزا وهو يقول :

ـ هل انت ياسنيور مختار ... اميليا تعتذر من الازعاج . ولـــكنني فهمت انـك مرتبط وسكرتيرتك بالعمل منذ الصباح . وانا بعد اريد ان استحثك فيما انزور في الايام الثلاثة التي سأقضيها هنا . لقد قرأت عن معابد فيلةوالاقصر والمسلة الناقصة . فما رأيك ؟

وبدا التهلل على وجهه وفي كلمـــاته وهـو يجيبها :

ـ لم اعد بعد ياسيدتي . ولا اخفي عليـــك انني كنت افكر فيك ... اقصد انني كنت افكر فيما استطيع ان اقدمه لك من عون .. واذاكنت مشغولا منذ الصباح فان الساعة الان لم تبــلغ العاشرة بعد ... هـل يضايقك أن نبدأ جولتنا الان ... هل سمعت المثل الذي يقول : ان الليل ما زال صغيرا ؟ .. والقمر قد احال الليل الى نهار ... ولكن كيف عرفت رقم غرفتي ياسيدتي، لقد فاتني ان أعطيك بها ...

وتلفت الى الالة ضحكتها وهي تقول :

ـ لقد التقطتها من صديقك مع سكرتيرتك.. واذا كنت جادا في قولك فانا بعد لم اغير ثيابي، وسوف القاك في الردهة بعد دقائق .

وبعد دقائق التقيا وكانت الردهة قـــد خلت تماما الا من العاملات السمراوات من بنات النوبة وخرجت معه الى السيارة التي اجتازت بهمـــا الى الشاطىء الشرقي وهناك استقلا مركبا شراعيا الى مقبرة الامراء .. وتقدمت في جانب وجلس هو في الجانب الاخر وصاحب المركب عند دفته وفي يده حبل الشراع . وغمرهم القمـــر والصمت والجلال . ورقت الانسام الدافئة التي تراجعت عن درجة الواحد والاربعين التي سجلتها الارصاد في النهار ...

وبلغا شاطىء المكان فمـــدت لها يده ورابط صاحب المركب على حالتها وتقدمه على الارضبينما قفزت هي معه وراحت وهي مستسلمة للبهجـــة تصعد الربوة الرملية نحو ابنية المقبرة التي القى عليها القمر وشاحه الفضي لجميل دهشتها ، وراح يروي لها ما وعاه عن هذه المقبرة .

واسترعى انتباهه اضواء هنـــاك في القريـة النوبية التي تمتد على يسار المقبرة . واصـــوات موسيقى ودفوف . فعاد يأخذ بيدها ويمضي بهمـــا صوب القرية وهي لا تسأله وانما تعرب عن فرحها بعبارات تطلقها بالايطالية ولا تحتاج الى ترجمة:

ـ يامريم الطيبة ... يامريم الزهـــرة ... ياأماه لهذا الجلال !

وكانت الاصـــوات والموسيقى تقترب وهمــا بدورهما يتقدمان حتى بلغا ساحة القرية والفيا حشدا من الوجوه السمراء التي استقبلتهمــــا بترحاب واعدت لهما على الساحة مقعدين مـــن الجريد . واخذ يحكي لها عن مراسم هذا العرس النوبي وما يرى امامها من رقص وغناء وحداء.. وقدموا لهما التمر وشراب الكاركاديه فاكلا وشربا وحين انصرفا مع موهن الليل وعادت بهم المركب الى الفندق كان كل منهما يحلق في آفاق بعيدة لم يستغرق في امثاله يفتش عن شيء هنـــاك.

وعند باب غرفتها صافحها وأحنى رأسه يطبع قبلة على انامليهــا فارتعشت ... وتراجع الى غرفته وهي والفتــة لا تريم حتى اختفى في نور الطرقة الشاحب . ولاول مرة منذ سنوات يشعر وهو مستلق بانه لا يريد ان ينام بقية الليــل وان اصابعه قد استيقظ فيها ذلك الاحســـاس

الذي لا يجهله مثال ..

وفي الصباح وهو يغادر الفندق مع سكرتيرته وقف امام مدير الاستقبال يرجوه ان يعير له في شرفة الغرفة طاولة رتقرا من الصلصال صلصال اسوان الذي تعلم فيه اول ما تعلم في كلية الفنون كيف يبدع تمثالا ... ولم يستطع مني ان تخفي دهشتها وقالت :

ـ هل تنوي ان تصنع تمثالا وان تطيل اقامتك حتى تنتهي منه ؟ ..

وأجاب مي اقتضاب وهو يمشي الى جوارها شاردا :

ولم لا انه فني الذي عشت له ...

ولم تزد لمى تعرفه حين يغضب . ولكنها تساءلت في اعماقها عما اذا كان يصنع تمثالا ولمن ؟ ..

وشردت بدورها . ثم استغرقتا في حمى اللقاءات التي تمت في المجلس المحلي وفي المحافظة والتي كللت بالنجاح . ولم يبق الا ان توثق . فراحت تسأله اذا كانت تحجز على الطائرة التي تغادر اسوان في اليوم التالي وتطلب له رئيس مجلس الادارة عبر الهاتف لينقل اليه ما تم ـ فاذا به يسوف . ويطلب اليها ان تكف عن سؤاله حتى يطلب اليها . فلم تزد على ان عادت الى غرفتها . فلما قابلته على مائدة الغداء وجدت اميليا هناك تشاركهما المائدة . وقد ارتدت ثوبا جعلها اشبه بزوجات اباطرة الرومان . فادركت سر اللهفة التي بدت في عين فؤاد مختار ... وعبث الخوف بقلبها . ولكنها لم تستطع شيئا . فراحت ترقب ما يدور بينهما في نظرات مختلسة .. وحين انتهى الطعام احست بالراحة . وصعدت الى غرفتها بينما اتجها الى غرفتيهما وقد كانا في اتجاه واحد . فلم تعلم انهما سيلتقيان مرة اخرى . ولم تعلم انهما يرتقيان باب جانبي الى حديقة الفندق ليحملهما زورق صغير منفردين الى جزيرة الفنتين . حيث انتقلت معابد فيلة . وهناك راحا يجوسان بين الاعمدة الرومانية الشامخة وهو يروي لها قصة ايس الوجود واسطورة الحب التي بدأت في بلد بعيد تفرق فيها الحبيبان ثم التقيا في رحاب هيكل القصر ولم يغادراه الا حين غابت الشمس و ارهقتهما . فلما عادا الى الفندق سحبها من يدها حتى باب غرفته وهمت بأن تمضي الى غرفتها ولكنه رجاها أن تدخل معه ليعرض عليها امرا دون ان يهجس بخاطرها ما يمكن ان يدور بخلد امرأة تدخل غرفة رجل لم تعرفه الا منذ الامس ..

ودخلت بغير تردد وقدمها الى الشرفة وهناك رأت شيئا مغطى بقطعة من قماش ابيض . فلما رفعها رأت فوق مائدة كتلة من الصلصال .. وبدت في عينيها الدهشة . ولكنه دفعها برقة الى المقعد الخيزراني واستدار الى كتلة الصلصال وراحت اصابعه تعمل في تشكيلها وفي سرعة فائقة اذهلتها حتى انه لم تنقض ساعة من زمان حتى القت امامها تمثالا نصفيا يكاد ينطق بقسماتها . فاذا بها تقفز من مقعدها وتحتضنه وهو يرفع يديه حتى لا يلوث ثوبها الروماني من الصلصال بهما ..

ولكنها سرعان ما ترخي ساعديها وتعود الى المقعد لتخفي رأسها تحت خصلات الشعر الذهبي وتتساقط دموعها على كفيها .. فركع امامها وقد اخذ ضوء القمر يتسلل من فوق هامات الشجر ليسألها سر الدموع وهي تجيب :

ـ سنيور مختار معذرة . لقد تذكرت اولادي الذين تركتهم في فلورنسا . وبعدت عنهم لاول مرة .. الا تضيق بهذا اللون من ضعف المرأة ..

فلم يزد على ان قبل كفيها المبللين بالدموع وقام ينهض بها ويدعوها لتناول العشاء قبل ان يغلق المطعم ابوابه وقد كانت الساعة تقترب من العاشرة .. وفي صالة المطعم استقبلتهما منى جالسة الى المائدة وقد خلا المكان الا ممن يقومون بخدمة الطاعمين . وكان في صدرها اسئلة تغلي ولكنها لم تزد على ان لقيتهما بابتسامة وسؤال لم يجب عنه فؤاد مختار وانما اجابت اميليا بقولها :

ـ انه سر ياسنيوريتا ولكننا لن نخفيه عنك طويلا . وانا اعلم انك امينة كل اسرار السنيور مختار .

وتفرقوا ثلاثتهم في الردهة كل منهم يقصد غرفته على وعد باللقاء على مائدة الافطار واستغرق كل منهم في شأن يعنيه : استغرق فؤاد في استكمال التمثال الذي بداه واستعاد فيه قدرة الابداع التي اهملها منذ ثلاث سنوات حين اشتغل في الشركة .. واستغرقت اميليا في ذكرياتها التي استيقظت والتي ارسلت الدموع من عينيها حين استوت قبالته وادعت انها تذكرت اولادها . ولكنها لم تصدقه القول فقد تذكرت رجلها البرتو . الذي رحل عنها منذ اعوام ثلاثة وتركها واولادها الاربعة دون انذار او توقع . فقد كانت تحيا معه في قمة احلامها وكانت الاعوام التي كتبا فيها قصة الحب الفائقة والتي تاهت العشرين منذ التقيا في مرابع صباهما فوق ربى فلورنسا قد مرت وكأنها احلام . حتى عاد اليها ذات مساء محمولا على الاكتاف وقد قتله القاسه وهو واقف يتحدث الى عامل يقف الى جانب الة في المصنع الصغير الذي انشأه لصناعة الازرار و « السوستة » ... وجاء الطبيب وصحبته القسيس . وعاشت الاعوام الثلاثة تبكي ولا تصدق أن « البرتو » قد مضى ولن يعود ..

ولم تصرفها واجباتها نحو الابناء الاربعة ونحو المصنع الذي هو مورد حياتهم عن احزانها . ولم يهب قلبها لرجل اخر ولم كثرة الرجال الذين تهافتوا حولها ولكنها تركتهم يتساقطون دون ان ينالوا منها منالا .. حتى جهدها الجهد واضنتها المسيرة واجمع اولادها على انها في اشد الحاجة الى الراحة ...

ونصحها الاصدقاء بان تذهب بعيدا عن فلورنسا وعن مرابع الذكريات وبدلا من أن تمضي الى الشمال امتثالا لحرارة الصيف فاذا بها تأتي الى رحاب الاله آمون لتكوى بنيران اسوان ...

ولم تكن نيران اسوان تتمثل في اشعة شمسها المحرقة وانما تمثل في هذه الشعلة التي احاطت بها والتي احتضنتها دون ان تدري منذ اللحظة الاولى التي التصقت فيها بجسد المثال فوق سلم الطائرة . ولم تصدق السيال الذي سرى في اوصالها حينذاك . ولكنها ادركت ان هناك شيئا يجري في اعماقها حين استسلمت ليده وهو يدلفها الى المقعد في الشرفة وتحدق في انامله وهي تجري على الصلصال .

اما منى فقد لاذت بغرفتها واستسلمت لهواجسها وقد ساورها الاحساس المتزايد بان فؤاد مختار



الذى طلت السنوات الثلاث التي عملت عبرها سكرتيرة له وكانت تحسه في حبات عينيها ، تداخله يتسرب من يديها ويستسلم للقمة القادمة من خلاف نهر الارنو ...

وعادت بذاكرتها الى اليوم الاول الذى وقفت فيه بازائه في مقر الشركة في معرض الاختبار وسالها عن سابق خبرتها بالعمل فاذا بها تصارحه بانها لا تدرى عن العمل شيئا ولكنها تثق في قدرتها على ان تستوعب ما يطلب اليها عمله وتتقدم بل وتتفوق في أدائه . وكان قد استقبل عشرين من المتقدمين قبلها واصابه الزهق ولكنه قرر ان يختارها لتعمل تحت الاختبار .

ومنذ اليوم الاول الذى تسلمت فيه العمل وقد حرصت على ان ترضيه او ترضى ما يتطلبه العمل معه . وحرص بدوره على ان يعاملها معاملة الابنة وان يرد خطأها بل ويصححها في كل موقع حتى يكسبها الخبرة بكل الواقع . وعلى رغم الفارق الكبير الذى يفصل بين عمريهما فقد اكتشفت بعد انقضاء العام الاول منه أنها المسئولة عن توفير كل الاسباب لراحته في عمله . وبعد انقضاء العام الثاني انها المسئولة كذلك عن راحته خارج عمله . وفي العام الثالث ادركت أنها تحبه ولا تكاد تطيق ان تفترق عنه . على الرغم من انه لا يكاد يدرك ذلك حين يقدمها الى عملاء الشركة قائلا :

— ابنتي الانسة منى . ساعدى الايمن والايسر كذلك .

وكان الذى يغيظها لفظة ابنتي . ومع ذلك فقد كانت سعادتها بقربها منه تتجاوز هذا الغيظ العابر .

اما اليوم فقد وجدت لها منافسا خطيرا يتمثل في الوافدة الهيفاء ذات النظرة الحزينة والشعر المسدل . وراحت تفكر في الوسيلة التى تبعد بها عن طريقه دون ان تستثير فيه خصلة العناد التى عهدتها في خلائقه .

وانتهى بها التفكير مع تباشير الصباح الى انه من الافضل ان تساير الرغبة وأن تهادن الغريبة . ولن يتجاوز الامر يوما او يومين آخرين ثم يفترقون أو على الاصح لم تمض الايطالية عائدة الى وطنها . وتعود هى مع سيدها الى مقر عملهما بالقاهرة .

وانقضى اليوم التالى في السعي بين المحافظة والمجلس المحلي وتفتيش الاثار ولم يلتقيا بإميليا الا على مائدة العشاء . وسألته عما اذا كانا سيعودان الغداة الى القاهرة بعد ان انجزا ما قدما من أجله . فاذا به يلوذ بالصمت ولا يجيب . فادركت انه لا يزمع العودة .. وفي الردهة فارقها ومضى الى جوار اميليا فى طريقهما الى غرفة كل منهما فلم تعلم انهما استدارا بعد ان قطعا خطوات في الطرقة وتسللا من باب جانبي الى الحديقة وأن ايديهما قد تشابكت وراحا يتهامسان وهى تسأله :

— هل انتهيت من التمثال ؟

— ما زالت امامى اللمسات الاخيرة ولكنى ارجئها ..

— ارجو ان تنتهي منها قبل رحيل !

وهل سترحلين حقا ؟ ..

وكان نور القمر يسطع على قسماتها فلم يتمالك نفسه فرفع كفيه ليحتضن بهما هذه القسمات . ولم تتراجع ولكنها ارتعشت . وهم ان يطبع قبلته على شفتيها ولكنه تراجع حين احس بدمعتها تتساقط على كفيه . فلم يزد على أن ضمها الى صدره وراح يهمس في اذنها :

— ارجو الا ترحلي يا عزيزتي ..

— الى متى ؟ ورحلتي محدودة ... واولادي ... والبرتو هناك .

— ومن البرتو ؟ زوجك ؟ ..

وخرج الصوت من فيها كأنه حشرجة وهي تجيب :

— اجل . فلم يحدث ان فارقته من قبل .. ولا اريد ان اخونه اذا استسلمت لسحر هذه الانامل التى تعيد الى ذاكرتى انامل اجدادى من مثالى فلورنسا العظام ...

ولم يكن يعلم انها تكذب ولكنه استفاق او افاق وراح يقود خطاها الى غرفتها وعند بابها طبع على يديها قبلة وتراجع الى غرفته ولم ينم وانما ظل يعمل في التمثال الى الصباح

ورفع سماعة الهاتف ليطلبها ولكنها لم تجب . وقدر انها سبقت الى مائدة الافطار . فاسرع اليها ولكنه وجدها منى وحدها . ودفعت له خطابا مغلقا قالت له ان عاملة الاستقبال قد دفعته اليها وهي تعطيها مفتاح غرفتها : وامسك الخطاب باصابع لا تعرف الرعشة ولكنها ارتعشت وادرك من الخط الافرنجي انه من اميليا . ومزق الغلاف وراح يقرأ الكلمات دون ان يفصح :

« معذرة ياصديقي وان شئت ياأكثر من صديق .. فقد آثرت ان اهرب حتى قبل ان تنتهى الايام التى كنت ساقضيها في اسوان . بعد ان اضطررت بالامس ان اكذب . فلم اعود الكذب . وارجو ان تسامحني . فحين كنت اتطلع الى وجهك في ضوء القمر كنت احس ان البرتو ما زال قائما بازائى . لذلك آثرت ان امضى قبل ان يستفحل الامر او اخون ذكراه . وحتى لا يغضب القمر ..

« معذرة مرة اخرى عن اللغة الانجليزية التى لا تسعفني في التعبير . وداعا سنيور فؤاد وتمنياتي الى آمنة اسرارك ، انها اكثر من آمنة .. » اميليا » .

ناس وصور
وحكايات

بولى ساندز

مأساة استعمار وحقد وكراهية بلا حدود

• مأساة روبرت (بوبي) ساندز الذي مات في العشرين من [illegible] في سجن بلفاست في ايرلندا الشمالية بعد تسعة اسابيع من الاضراب عن الطعام حتى [illegible] طويلة . فان بوبي ساندز لم يكن مجرد سجين سياسي عادي ، بل كان ارهابيا وعضوا بارزا في الجيش الايرلندي السري الجمهوري (ايرا) وقد اشترك بالفعل في بعض جرائم اطلاق نار ووضع متفجرات راح ضحيتها الكثيرون من الابرياء . والمحكمة البريطانية التي ادانته لم يصدر عليه الحكم بصفته زعيما سياسيا بل بصفته مجرم عادي اعتدى على حياة الابرياء فحكمت عليه بالسجن اربعة عشر عاما .

ولكنه هو نفسه وانصاره الكثيرون لم يعتبروه مجرما عاديا ، بل مجاهدا في سبيل قضية وطنية عادلة في رأيه ، والقضية هي ان ايرلندا الشمالية ، وهي [illegible] الانجليز قد ركزوا على [illegible] ايرلندا بسكنه مليون [illegible] الانجليز ونصف مليون من الكاثوليك الايرلنديين . وهؤلاء الايرلنديون يريدون ان يضموا شمال ايرلندا الى جنوبها لتكتمل وحدة ايرلندا وانجلترا لا تستطيع ان توافق على ذلك لانها لا تدري ماذا تفعل بعد ذلك بالمليون الانجليزي من البروتستانتين وهم غالبية سكان ايرلندا الشمالية .

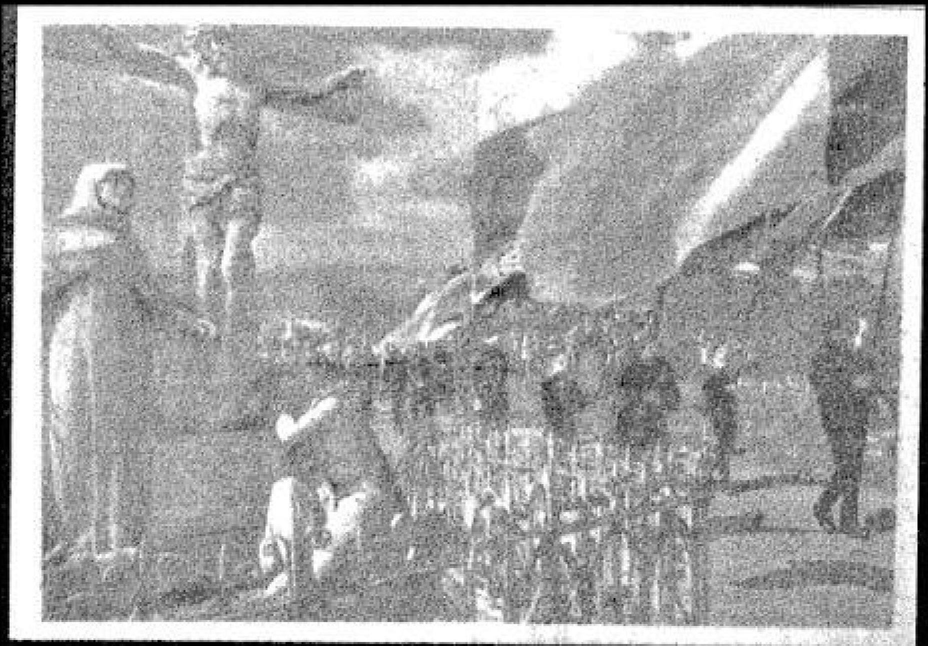
والحق ان كلا الجانبين على حق . فالايرلنديون لهم الحق في المطالبة بوحدة الارض . وانجلترا لا تستطيع التخلي عن جزء من ايرلندا يعتبر فعلا جزءا من بريطانيا بحكم سكانه والاحتلال الانجليزي الطويل له .



والمشكلة قديمة وعسيرة على الحل فهي ترجع الى اوائل هذا القرن عندما بلغت ثورة ايرلندا ذروتها ونالت استقلالها بقيادة الزعيم المشهور ديفاليرا وقد كان الايرلنديون قد سلموا بانفصال شمال ايرلندا المسمى باسم الستر . وسلموا كذلك بأن يظل هذا الشمال جزءا من بريطانيا .

ولكن المشكلة انفجرت مرة اخرى سنة ١٩٦٩ لسبب آخر ، هو ان الانجليز البروتستانت سادة الستر كانوا يعاملون الكاثوليك الايرلنديين الذين يعيشون معهم معاملة جنس أدنى . وبعض الجيش الايرلندي السرى يعمل بنشاط لارغام الانجليز على اعطاء الايرلنديين الكاثوليك حق المساواة الكاملة مع الانجليز البروتستانت . واذا كان الانجليز عموما مشهورين بأن رؤوسهم من حجر فان الايرلنديين رؤوسهم من حديد صلب ، وعندما يكون الصراع بين جنسين بهذا العناد فلا سبيل الى حل او مخرج .

وتطورت المشكلة مع السنين منذ انفجارها سنة ١٩٦٩ . وعمد الايرلنديون الى قتل رجال البوليس والجيش الانجليز ووضع الشحنات المتفجرة في كل مكان فيه تجمع بروتستانتي . واصبحت مدينة لوندنديرى ، وهي مركز أكبر تجمع كاثوليكي في الدنيا مركزا لمأساة من أبشع مآسي عصرنا . فقد اصبح القتل قصة كل يوم . وتوالت حوادث انفجار [illegible] واشعال النيران وتحطيم [illegible] الى جانب الاغتيالات من الجانبين . وخلال ١٩٦٩ حتى ١٩٧٢ كانت الحوادث في ايرلندا مأساة عالمية . حتى سلم الانجليز وسحبوا قواتهم العسكرية وطلبت حل الجيش الايرلندي السرى الذي يسمى ايرا . ولكن الثوار الكاثوليك لم يحلوا جيشهم . ومنذ ١٩٦٩ الى الآن لقي مصرعه في هذه المأساة ٢١٠٠ ما بين رجال جيش وبوليس ومدنيين واصيب ٢٢٠٠٠ باصابات مختلفة . وهوجمت مراكز البوليس في الستر ١٣٩٥ ، وانفجرت ٧٠٠٠ قنبلة وارتكبت ٩٤٠٠ حادثة سرقة واعتداء وبلغت الخسائر المادية ١٠ ملايين من الدولارات . وهذا المال لم يسرقه لصوص



ولكن الذين سرقوه هم المتقاتلون من الجانبين لتمويل المعركة . وقد قبض البوليس منذ سنة ١٩٧٤ على ١٢٧٠ انسان ووجهت اليهم تهمة القتل او الشروع فيه ، وقدم للمحاكمة ٢٣٠٠ انسان بتهمة استعمال اسلحة نارية و ٧٩٠ بتهمة وضع قنابل و ٣٣٥٠ بتهم وجرائم اخرى .

وكل هذا فى زيادة ، لان الكراهية والحقد يتزايدن بين الطرفين . ويبدو شيئا فشيئا اننا امام مشكلة اخرى من مشاكل هذا العالم بلا حل .

وروبرت (بوبى) ساندز كان ولا يزال عضوا ورئيس فرقة فى الجيش الايرلندى السرى . وقد قبض عليه وعلى زملائه متلبسين بجريمة وضع قنابل ـ ومتفجرات فى اماكن تجمع الناس .

وثبتت عليه كذلك تهمة الاعتداء المسلح وقد حكم عليه بالسجن لمدة ١٤ عاما ، ووضع فى المبنى حرف H فى سجن حيز فى بلفاست . وقد سمى هذا المبنى بهذا الاسم بسبب شكله المعمارى . وفى هذا السجن يضعون المجرمين العاديين . وقد طالب ساندز ورفاقه بأن يعاملوا معاملة سجناء سياسيين ، فرفضت الحكومة ، وتوسط ناس كثيرون فى الموضوع ، ولكن المسز مارجريت تاتشر رفضت وحجتها سليمة ، فهى ترى أن بوبى ساندز وزملاؤه اعضاء فى هيئة ارهابية مجرمة ، وهم يعاقبون لجرائم عدوان على الاشخاص الابرياء والاموال وقد حذرتهم الحكومة مرة بعد اخرى ولكنهم تحدوا النظام والقانون واعتدوا على الناس واخلوا بالامن ،فلماذا يعاملون

معاملة خاصة ؟ واحتج الايرلنديون وتظاهروا وزادوا شراسة فى الهجوم على البروتستانت ، وزادت المسز تاتشر فى تمسكها بالقانون ، وعندما مات اثنان من الايرلنديين فى السجن قبل نحو شهر نظم الايرلنديون مظاهرة بشعة فى لوندندرى يوم عيد الفصح الماضى ، وسمى هذا اليوم بيوم الفصح الاسود ، وكان ساندز قد قرر الاضراب عن الطعام مع خمسة من زملائه . وتحمس له الكاثوليك الايرلنديون ، ورشحوه



لانتخابات عضوية البرلمان الانجليزى فى مواجهة مرشح بروتستانتى من كبار الشخصيات ونجح ساندز وزاد حماس الناس له . واستمر ساندز فى اضرابه. وتحركت المحافل الدولية وتدخل اناس كثيرون دون جدوى . اصرت الحكومة الانجليزية على رفضها اعتبار ساندز واصحابه مجرمين سياسيين ورفضت ان تنقلهم من مبنى

ودخل اضراب . ساندز واخوانه اسبوعه السابع ، وصمد هذا الشاب البالغ من العمر ٢٧ سنة صمودا يهز النفس ، وكانت حالته قد ساءت فنقلوه الى مستشفى السجن ، ودخل الاضراب اسبوعه الثامن وبدا الشاب يدخل فى الغيبوبة واقبلت امه تجلس الى جانبه وترجوه ان يكسر اضرابه فرفض ، بل رجا الا تعمل اى اجراءات لاخراجه من الغيبوبة او انقاذ حياته وفقد بصره وفى اليوم الستين دخل فى الغيبوبة النهائية وفى اليوم السادس والستين من الاضراب توفى ، ولا يزال ثلاثة من رفاقه فى السجن مضربين .

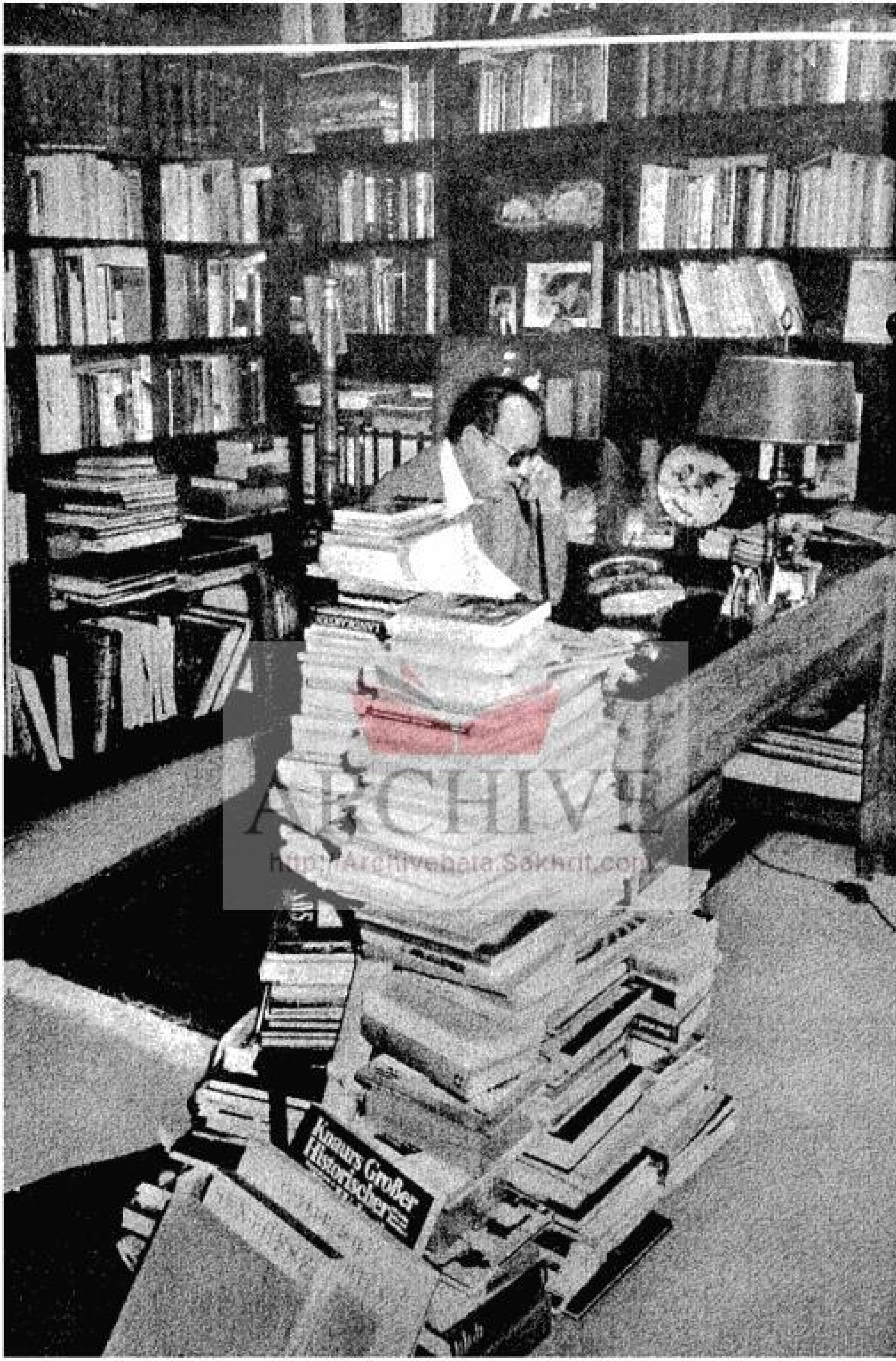
ماساة بلا نهاية وبلا حل ، لان الحقد والكراهية لا يحلان شيئا ، والعنف لا ينشا عنه الا العنف ، وهذه واحدة من مآسى البشرية فى عصرنا ، ومثلها ماساة فلسطين ، وماساة الملونين فى جنوب افريقية ، وغريب ان هذه المآسى كلها من صنع انجلترا .. كلها نتائج الاستعمار الانجليزى .

وزير
أم أستاذ باحث

●●●

وزير الخارجية الالمانية هانز ديتريش جينشر يعمل فى مكتبه . تامل أكداس الكتب الموضوعة على مكتب كان فى الحجرة ، كلها كتب ومجلات علمية وقواميس يقراها الوزير او سيقراها ، حقا ان الوزارة فى أيامنا لم تعد ترفا ، انما هى عمل مستمر ، وهناك فى المانيا حيث الناس يطالبون بالحلول الناجعة للمشاكل لابد ان يكون الوزير عالما الى جانب عمله السياسى .. والحقيقة ان كل الالمان هكذا ، كلهم قراء لا يكفون عن الاطلاع .. ولهذا فهم المان ..

●●●


Knaurs Großer
Historischer

ناس وصور وحكايات

الغطيط وإقلاق الأمن



كثيرون جدا هم الذين يغطون فى النوم وهم يغطون ويرسلون الاصوات لانهم سعداء فى بحار النوم ، لا يعلمون بما يسببونه للآخرين من اقلاق للراحة والنوم كما ترى فى هذه الصورة ـ اسهل علاج لهذا الموقف ان توقظ الذى يغط وتطلب اليه ان ينام على جنبه ، فيتوقف غطيطه او قد يخف على الاقل .

أنت والمستقبل

● لا يخشى الانسان شيئا قدر ما يخشى الغد وما تخبئه المقادير فيه ..

ولا يتطلع الانسان الى شيء قدر تطلعه الى الغد المستكن هناك وراء ضباب الغيوب .

وبين الخوف والتطلع يكمن سر من اسرار الجمال القليل الذى ينعم به الانسان فى الحياة .

فكلنا نريد أن نعرف ماذا يأتينا به الغد ..

وكلنا نخاف ان نعرف هذا المجهول المستور ..

وبعضنا يدفع المال للعرافة أو قارئة الكف أو الفنجان ليعرف شيئا مما هنالك ..

وليس منا الا من يلقى نظرة على صفحة الحظ فى الجريدة أو المجلة التى يقراها كلنا نعرف ابراجنا ، ولا تكاد اليد تمسك الصحيفة حتى تجرى العين الى البرج المطلوب لنعرف ماذا سيحدث لنا هذا الاسبوع فى المسائل الاربعة التى تهمنا : الصحة ، والمال والحب والعمل .

والفتاة التى تبتسم على غلاف هلال هذا الشهر - يونيو - رمز للمستقبل كما يراه أو كما يحس به المتفائلون .. انه وجه جميل باسم معصوب العينين . هذه البنت الحلوة لا تخاف الغد بالذات لانها حلوة وشابة ، والجمال هو الطريق الذهبى للمستقبل السعيد لاى فتاة .. هنا لا توجد مشكلة قط ، فان الرجال من السادسة عشرة الى الستين تحت الطلب ورهن الاشارة ..

أما بالنسبة للرجال فالامر جد مختلف ..

وقد كانوا يقولون لنا فى الماضى أن المستقبل السعيد رهن بالعمل : اعمل تسعد ! وفى ايامنا هذه جدت - فى الدنيا كلها - طرق شتى للمستقبل العامر بالخير والمال مثل شعارات الصفقات والقفز فوق الحواجز والتسلل من الباب الخلفى الصغير .

وماذا يعمل من لا يستطيع ذلك .. ؟ ربنا يستر !

وقد كان المستقبل يشغلنا ونحن صغار ..

كنا نعمل ونشقى ونتعب ونخاف .. أما شباب اليوم فانك لا تدرى علام يعتمد ؟ أما النجاح فى الامتحانات والاجازة الجامعية فأمرها سهل .. وشهر مذاكرة فى السنة يفى بالمطلوب . ولكن الشهادة الجامعية تاتى بالكلا بالخبز الجاف .

والادام أو الغموس ؟

الشقة والاثاث والزوجة والاولاد وتربية الاولاد ..

فى هذا كله لا يفكرون .. يطالبون الآخرين بالحل اما هم فلا تدرى لماذا هم راكدون ومتفائلون مع هذا الركود .

وانا اكتب هذه السطور والساعة الآن العاشرة صباحا ، ولم يات واحد من شباب العاملين حولى ! ..

لماذا هم مطمئنون الى ذلك الحد ..

لماذا لا يخافون أن ياتوا الى العمل فالقاهم واقول لهم : انتهى عملكم لانكم مهملون مضيعون ..

لانهم يعرفون انى لن استطيع ان افعل شيئا ..

وهنا مأساة الغد لكل هؤلاء ..

د . ح . م

ذكرى وذكريات

محمد عبد الحليم عبد الله

ورحلة البحث عن الحقيقة

ولد محمد عبد الحليم عبد الله بقرية كفر بولين التابعة لمحافظة البحيرة في اليوم العاشر عشر من شهر مارس ١٩١٣ ، وتلقى تعليمه الاول بمدرسة القرية وقتذاك ، ثم التحق بالتعليم العالي بمدرسة دار العلوم العليا ونال الاجازة عام ١٩٣٧ ، وعين في وظيفة بدار المجمع اللغوي بالقاهرة وهيأت له الظروف أن يقرأ ويتعرف على اكثر كتاب عصره ، وان يتصل مع الدكتور منصور فهمي والاستاذ عز العلوم في مراجعة الادب القديم ، مما جعله يكتسب من الادب القديم النثر النافع .



لماذا انطفأ المصباح ؟
لقد سترته بعباءتي لاحميه من الريح ، لهـــذا انطفأ المصباح !
لقد ضممتها الى صدري في لهفة الحب ، لهـــذا ذبلت الزهرة !
لماذا جف الجدول ؟
لقد بنيت خزانا عبر الجدول لاستفيد منه وحدى لهذا جف الجدول !

« طاغور »

كان عبد الحليم فنانا في كل وقت.. كان يستحضر الشعور من غير موعده. مع قدرة فائقة على الانطلاق الفكـــرى وتكوين صورة سريعة للمواقف .. لقد اجتمعت لعبد الحليم عناصر دقـــة الملاحظة والاحساس وعمق الشعور

عاش عبد الحليم في الزمن المخاتـل

قليل الحيلة ، غريب الاطوار ، فهـــو مستهدف لكل من يرميه ، ولانه دقيق الحس : فهو معذب بما يصيبه ، وقد ثقلت عليه الصدمات ، وساء ظنـــه بانصاف الناس .

ومن هنا بدأ عبد الحليم في الهجـرة الى الداخل . لقد هاجر الى داخلـــه

واستقر فيه وحاول أن يتصالح مع هذا الداخل . لقد وجد صعوبات بالغة لم يعرف كيف يوفق بين الاحساس العظيم بالخارج ، ومحاولة الهروب الى الداخل . فكتب سنة ١٩٦٦ قصته الشهيرة « الباحث عن الحقيقة » التي يعتبرها معظم النقاد نقطة تحول اساسية في أدبه واعتبرها انا قصة التصالح بين الداخل والخارج .. لقد اهتدى عبد الحليم الى اليقين والداخل عند عبد الحليم عبد الله اساسه العطاء ..

ولقد تجاوز عبد الحليم عبد الله الاحساسات الفردية الى الاحساسات الاكثر شمولا وفي تجاوزه هذا تعرض لانواع من العذاب النفسي ، وقد عاش حياته عمقا ، ان الذي يجذبه هو « العمق » في كل شيء : عمق الفكرة عمق التفكير

ومن خلال الحياة بعمق زاول عبد الحليم برضاه كل ما يؤلمه في الحياة ، وبين تسامح سخي ، وتكوينات اخذة في الذبول ، بدأ النسيج الراقي لعبد الحليم يتمزق ، لم يعد قادرا على النهوض بالتبعات ، ليس لانه عاجز، بل لان قدراته اخذة في الذبول ، ورغم هذا كان يطلب المزيد من هذه القدرات يمارس عملية الضغط على الذات لدرجة العذاب .. وعبد الحليم عبد الله طلب نفسه بنفسه ، كان يستعذب العذاب ، وكان يرى ان الالم خير معلم ولقد تألم في مرضه وتألم في صحته ، وكان الم المرض اخف من الم الصحة

ومن الاشياء التي تستلفت النظر في شخصية عبد الحليم عبد الله انه لايحب التغيير . ومن الصعب أن تعوده على موقف جديد .. كان يكره التغيير في كل شيء . يميل الى الثبات وهذا ناتج عن فطرته الطيبة التي نمت وترعرعت في ظل ثبات كل الاشياء من حوله أيام كان طفلا ثم صبيا فشابا في قريته .

ومن الصور التي تعطينا فكرة عن كرهه الشديد للتغيير رفضه دخول الحجرة التي توفي فيها شقيقه الاصغر محمود منذ عام ١٩٦٠ حتى دخلها رغم ارادته « ميتا » وعلى نفس السرير وفي ذات الموضع الذي كان عليه شقيقه محمود وقتذاك .. انها سخرية القدر

لقد كان موت عبد الحليم عبد الله فاجعة لنا لم اتصور أن عبد الحليم سيموت بهذه السرعة الخاطفة ، وكان من بين احلامي انني ساراه شيخا وانا في قمة الشباب ، فيحلو لي ان اسامره واذكره بأيام شبابه ، واستمع له وهو يحكي عن حياته الشخصية والجانب الخفي منها ، واسرار حياته الادبية . ولكن عبد الحليم عبد الله رمى بقفازه في وجه الجميع ، ورحل الى دنيا أحق منا به ..

اذكر انني قلت له ومائدة العشاء تجمعنا في ليلة صيف وكنا وحدنا :

— رايتك تزور امريكا البارحة ؟

فعلا وجهه الشحوب وبعض الم وتنهد قائلا :

— مرة واحدة كده .

قلت مؤكدا : ان احلامي لاتخيب !

قال : ومن كان معي ؟

قلت : لقد رايت معظم الاهل من بلدنا هناك .

« انتظار طويل ، وحديث للنفس هامس ، ثم قال عبد الحليم مؤكدا »،

— ان ماتصفه يابني هو حالة وفاة، سوف أموت قريبا !

وشملنا صمت اقرب الى صمت القبور ..

كان عبد الحليم عبد الله يملك قدرة غير عادية على تكوين صورة سريعة للمشكلة التي تواجهه . كأنه يراها بالف عين ، وهذه الخاصية جعلته يعيش اكثر من عالم واحد في نفس اللحظة ..

وكان يرى ان الانسان ضنبل الشان

وصاحب كبرياء عظيم ، تدفعه ضآلة شأنه الى محاولة تعظيم نفسه ، ويدفعه كبرياؤه الى كفاح قد يحطمه.. ومحاولة تعظيم نفسه ماهى الا بعض صورة من الانتصارات الرخيصة فى الحياة .

بين معاناة القلب ومعاناة الذهن عاش عبدالحليم عبد الله حياتهواجدنى بعيدا عن حد المبالغة اذا قلت انه مات من فرط المعاناة . فهو يعانى من الامه الشخصية ويعانى ايضا من الالام التى تصيب كل من حوله ، فاصبح كالغريب فى وطنه ، لانه يختلف عمن حوله ..

لم يكن عبد الحليم عبد الله يؤمن بالمذهبية فى الفن ويرى ان الفنان الذى يكتب طبقا لاتجاه مدرسة معينة من مدارس الادب ، لا يكتب ادبا وانما يكتب شيئا اخر لا يمت للادب بصلة .. ان التلقائية فى الكتابة هى اهم ميزة فى كتابات عبد الحليم عبد الله، فهو يكتب بطريقة عفوية ، اما عملية التدقيق فى كيفية العطاء والانتاج اذا لم تضر قليلا بهذه العفوية فهى لا تفيدها كثيرا

واقصى ماكان يطلبه عبد الحليم من عمله الادبى هو ابلاغ مؤثراته الى وجدان القارىء فيتعرف القارىء على نماذج فريدة قد تكون اكثر حياة من النماذج الحية فعلا .

والشخصية فى نظر عبد الحليم لابد ان تحدد معالمها بدقة ، ولابد ان تكون تصرفات هذه الشخصية موافقة الى حد كبير لهذه المعالم . ومن هنا ينبع الصدق الفنى . فالصدق الفنى فى نظره ليس هو مطابقة الواقع اوالصدق الواقعى ، لكنه ذلك الصدق الذى يأتى دون افتعال . ان الصدق الفنى هو الاجابة على السؤال التالى :لماذا تتصرف الشخصية بالتصرف الذى تتصرف به ان التصرف الذى يحدث من الشخصية لابد ان يكون التصرف الوحيد الذى يمكن ان يحدث ولا يمكن ان يحل محله تصرف اخر الا اذا تغيرت الظروفوهذا لايحدث الا فى الامد الطويل .

ان من اهم سمات الصدق الفنى الخصوصية فى الشعور ومدى العمق والشمول فى الاتصال بالكون والحياة

والشخصية فى ادب عبد الحليم اما شخصيات ثابتة لاتؤثر فى حوادث القصة ، غير قابلة للتطور مثل شخصية « عزت » فى « سكون العاصفة » وشخصية « الدكتور امين » في « قصة لم تتم » .. واما شخصيات نامية متطورة ، تبين خصائصها من خلال تصرفاتها ، ونلاحظ نتيجة لتفاعلها مع الحوادث ، مثل « شكرى » فى « سكون العاصفة » و « مختار » فى « شمس الخريف » وايضا « منى المنشاوى » فى « قصة لم تتم »

وينبغى ان نوضح نقطة خافية هنا عن طريقة تصوير عبد الحليم عبد الله للشخصية . انه دائما يحرص على ان تأتى تصرفات الشخصية وفقا لصفاتها اعنى ان شخصياته منطقية ،تصرفاتها واضحة ومعالمها النفسية محددة الى درجة كبيرة .

ويقدم عبد الحليم شخصياته فى شمول تام من الناحية الظاهرية اى السلوك الظاهرى ، ومن الناحية النفسية والسلوك الذى يمكن ان ينتج عن هذه الناحية ، وايضا يحلل لنا بعض مشكلاتها الاجتماعية الرئيسية ، وتحكى لنا من الظواهر الاجتماعية المحيطة التى يمكن ان تؤثر فىالشخصية المرسومة والطبيعة من العوامل المساعدة لنمو الشخصية فى ادب عبد الحليم

عبد الله ، انه يشعرنا بان الطبيعة لها شخصيتها العاملة ، فهى لا تنفصل عن الشخصيات الاساسية او الثانوية المقدمة .. اننا نشعر بجو المسرح فى معظم كتابات عبد الحليم وخصوصا كتاباته الاولى . ان الطبيعة فى ادبه معبرة . واستطيع ان اقول ان منهج عبد الحليم يرى أن العمل الادبى له علاقة وثيقة بنفس صاحبه ، ان اهم عنصر من عناصر العمل الادبى هو العنصر النفسى . فالابداع فى نظره عملية تمرد . للتاثر فيها بالمجتمع والبيئة نصيب كبير .

القصة ذات الحوادث ، وتلك التى تعرض فكرة ما ، والقصة التى تسيطر عليها الشخصية من البداية الى النهاية — لقد تناول عبد الحليم كل هذه الانواع من القصص . وخير مثال فى ادبه للقصة ذات الحوادث هى رواية « شمس الخريف » .

اما قصة « الباحث عن الحقيقة » فهى قصة الشخصية ، واما « قصة لم تتم » فهى تعرض فكرة الموت والحب والحرب اعنى انها قصة « الفكرة » . ولقد عرض عبد الله فى مجموعتى « جوليت فوق سطح القمر » و « حافة الجريمة » الوانا فكرية من القصة القصيرة الرائعة .. ونذكر على وجه التحديد اقصوصة « حصاد ليلة » .

ولقد مال الى « الاتجاه الفكرى » فى الرواية و القصة القصيرة فى السنوات الاخيرة . ويتحدد على هذا الاساس نوع البطل فى القصة . ولقد مر بطل عبد الحليم باكثر من مرحلة فنجده يعرض لنا « البطل غير الفعال » كما فى قصته الشهيرة « شجرة اللبلاب » ويقدم لنا شخصية « منى المنشاوى » فى « قصة لم تتم » « بطلة متمردة » على الواقع المزيف ونجد ابطال عبد الحليم فى رواياته الاولى مثل « بعد الغروب » بطلا ايجابيا حاول التخلص من العقبات التى صادفته ونجح فى ان يكون حياة طيبة حوله .

وتعد شخصية « اسرار » فى قصة « للزمن بقية » نموذجا للشخصية المستقلة . وأيضا من الشخصيات التابعة نجد شخصية « حسن شيحة » فى « البيت الصامت » .

ولعبد الحليم عبد الله اكثر من طريقة فى عرض موضوعاته التى يعالجها ...

ومن الطرق التى عرضها : الترجمة الذاتية ، وهى التى اشتهر بها واطلقت عليه لقب « كاتب الاعترافات » ! لانه يكتب قصصه لضمير المتكلم ، فيضع نفسه مكان البطل او البطلة ويحكى .. وقد تتعرض القصة للفشل اذا لم يكن كاتبها واثقا من نفسه ، وفوق ذلك يتمتع بموهبة . ولقد تمتع عبد الحليم عبد الله بموهبة أدبية عالية .

وقد يعترى طريقة الترجمة الذاتية تعرضها لان تصبح مملة بعد مدة ولقد تغلب عبد الحليم على هذه المشكلة .. وهو قد قدم الترجمة الذاتية باسلوب فريد وبطريقة عرض شيقة ، ولقد برع فى هذه الطريقة التى قدم لنا بها اكثر من عمل أدبى « مثل بعد الغروب » من اجل ولدى «شجرة اللبلاب » اما طريقة السرد المباشر تمثلها رواية « لقيطة » . وتمثل رواية « شمس الخريف » فلعلها نماذج فريدة لرواية الرسائل وكتبت هذه على نهج رواية « الام فرتر » لجوته

«والموضوع» عند عبد الحليم عبدالله لا يؤثر مطلقا فى قيمة القصة .. فالانسان دائما هو المحور الذى تدور حوله كل قصصه .. الانسان بضعفه وشقائه ، ان عبد الحليم عبد الله يفحص الانسان من الداخل وبمقدار الدقة فى الفحص ياتى عمله الجيد . فى كل مرة ياتى بجديد انه يبحث عن خصائص الانسان الذاتية ودوافعه . انه يجيب باستمرار على هذا السؤال : لماذا يتصرف « هذا » بالطريقة التى يتصرف بها ؟ !

● زغلول عبد الحليم عبد الله ●

مصر في شعر البارودي

● علي غريب بهيج ●

وانما الشعر لب المرء يعرضه
على المجالس ان كيسا وان حمقا
وان أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال ـ اذا أنشدته ـ صدقا :
« البارودي »

ينتمي محمود سامي البارودي في الاصل الى أسرة جركسية ، ولكنه ولد في مصر ، وتفتحت عيناه على أرض مصر فعشق جمالها وفنى فيها ، وتغنى بحضارتها التليدة ، وانغمس في مشاكلها المعاصرة ، ولم يكد يبعد عنها للمرة الاولى حتى حن اليها حنينا شديدا ، حتى اذا ابتلى بالنفي بعد فشل الثورة العرابية ، التي كان أحد أعمدتها ، لم يهدأ حنينه اليها ، وظل يبكيها ويبكى فيها نفسه واهله حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وكاد بصره يذهب الى الابد . ولذلك لم يكد يشم ريحها ، وتتخايل أمامه معالمها ـ وهو عائد من رحلة المنفى ـ حتى تنهد قائلا :

أبابل رأى العين أم هـذه مصر
فاني أرى فيها عيونا هي السحر
رضيت من الدنيا بحبك عالما ...
بأن جنوني في هواك هو الفخر
فلا تحسبي شوقي فكاهة مازح ..
فما هو الا الجمر ، أو دونه الجمر !

لقد فرضت شخصية مصر نفسها على قلب البارودي وصهرته في بوتقتها كما صهرت آباءه واجداده من قبل ، فأصبح اسمه واسم عائلته جزءا من مصر « ايتاي البارود » ـ فحملوا لقب « البارودي » وهو الاسم الذي عرفوا به في تاريخنا الحديث .



محمود سامي
البارودى

كما اصبح هذا الاسم مشيرا الى علم من اعلام الشعر العربى الذى جدد شبابه وبعث فيه الحياة من جديد وهو محمود سامى البارودى رائد الشعر العربى فى العصر الحديث .

اول الظواهر التى تلفت نظر الباحث فى شعر البارودى هى تغنيه الدائم بجمال مصر وسحر الطبيعة فيها بصورة تكاد تكون رائدة فى عصرنا الحديث.. فهو اول شاعر حديث يكلف بتصوير مشاهد الطبيعة فى مصر تصوير عاشق ماخوذ بجمالها . ومن اهم المعالم الطبيعية التى استأثرت بالجانب الاكبر من شعر البارودى « روضة المقياس » التى ترددت فى شعره فى اكثر من عشر قصائد .

وروضة المقياس : جزيرة فى نهر النيل ، شرقى الجيزة، وغربى الفسطاط « مصر القديمة » وكانت على عهد البارودى مساحة شاسعة تمتلىء بالاشجار والزهور من كل لون وتكسو ارضها الحشائش الناعمة ، وذات الخضرة الدائمة ، كما كانت مرتعا للطيور من كل جنس ولون .

وقد فقدت هذه المنطقة معالمها الآن ، حيث كثرت فيها العمارات السكنية والمحلات المختلفة ، وازدحمت بالسكان وبذلك فقدت اكثر المعالم التى عناها البارودى وتغنى بها فى شعره ، ولم يبق منها غير بقية قليلة من المساكن والقصور الجميلة وبعض الحدائق التى تمثل ماضيها البهيج ، الذى طالما ترنم به البارودى .

ومن شعر البارودي فى المقياس او روضة المقياس قصيدته التى يقول فى مطلعها :

الاحى بالمقياس ربا المعالم وقل لها منا تحية قادم !
ملاعب آرام ومأوى حمائم ومسقط انداء ومسرى نسائم
احاطت به للنيل من كل جانب جداول تسقيه سلاف الغمائم

تغور معار الطوق من حيث تلتقى
مسيرا وتنسل انسلال الاراقم
اذا ضاحكتها الشمس رفت متونها
رفيف الثنايا خلف حمر المباسم
ترى حولها الاشجار ولهى مكبة
على الماء فعل الصاديات الحوائم

وهى ليست اجمل قصائده فى روضة المقياس ، وانما هناك غيرها كثير ، لا يتسع المقام لعرض شىء منها . وقد حظى النيل بعناية البارودى فسجل جماله فى شعره فى اكثر من مناسبة من مثل قوله :

حبذا النيل حين يجرى فيبدى
رونق السيف واهتزاز الفرند
تتثنى الغصون فى حافتيه
كالعذارى يسحبن وشى الفرند
كلما صورته نفسى لعينى
قدح الشوق فى الفؤاد بزند

وقد كان حنين البارودى يشتد لرؤية مجالى الطبيعة المصرية عندما يبتعد عن مصر . ففى منفاه بسرنديب يقول فى قصيدة له قالها فى رثاء صديقه الشيخ حسين المرصفى :

ليت شعرى متى ارى روضة المن
يل ذات النخيل والاعناب
حيث تجرى السفين مستبقات
فوق نهر مثل اللجين المذاب
قد احاطت بشاطئيه قصور
مشرقات يلحن مثل القباب
ذاك مرعى انسى وملعب لهوى
وجنى صبوتى ومغنى صحابى
لست انساه ماحييت وحاشا
ان ترانى لعهده غير صابى

والمهم ان اول مايطالعنا فى ديوان البارودى هو عكوفه على جمال الطبيعة المصرية الساحرة ، وتصويره لها تصوير عاشق شديد الافتتان بجمالها . وقد اشار المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل الى هذه الظاهرة فى شعر البارودى فقال فى مقدمته لديوانه :

« كان البارودى محبوبا من المصريين محبا لهم .. وكيف لايحبه المصريون جميعا وقد تغنى بحب مصر ماتغنى ، وقد وصف من جمال مصر مالم يسبقه احد اليه ، وقد صور هذا الجمال فى دقة تدل على اخلاصه وصدق محبته » .

واذا كان البارودى اول من تغنى فى عصرنا الحديث بجمال مصر ، وسحر طبيعتها : ووصف معالم حضارتها التاريخية وآثارها الفرعونية بما لم يسبقه اليه أحد ، فانه لم يقف عند هذا الحد ، فى حبه لمصر وانبهاره بسحرها ، ذلك ان الحياة فى مصر لم تكن مجرد طبيعة خلابة أو مشاهد فاتنة ، وانما كان هناك واقع اليم وحياة قاسية تعيشها مصر فى اشد فترات تاريخها اظلاما .

هنالك تظهر شخصية البارودى ـ رب السيف والقلم ـ كما قيل عنه بحق ، فقد انبرى البارودى يهاجم الفساد ويدافع من الظلم الواقع على أهل مصر مستخدما سيفه وقلمه معا .. واذا كانت نهاية الثورة العرابية ـ التى كان البارودى احد أعمدتها ـ لم تكلل بالنجاح ، فحسب الرجال الذين قاموا بها ومن ابرزهم البارودى انهم قد ادوا الامانة ورفضوا الظلم وثاروا عليه . وكان نصيب البارودى ـ كما نعلم ـ النفى الى جزيرة سرنديب مع زملائه زعماء الثورة حيث اقام بأرض المنفى سبعة عشر عاما وبعض عام ، عاد بعدها كليل البصر سقيم البدن .

وشعر البارودى مرآة صادقة لاحوال مصر فى تلك الحقبة من الزمان ، وهو ملىء بالعديد من صور السخط والرفض التى كان يرددها البارودى دائما

فى وقت لم يكن احد يستطيع ان يجهر بكلمة « لا » فى وجه الحكام الذى طغوا فى البلاد واكثروا فيها الفساد ، وهم الذين يقول عنهم البارودى :

حكموا مصر وهى حاضرة الدنـ ـيا فامست وقد خلت فى البوادى
اصبحت منزل الشقاء وكانت جنة ليس مثلها فى البلاد
وقعوا بين ريفها وقراها بضروب الفساد وقع الجراد
تحت رجز من العذاب مهين ومبير من الاذى رعاد ...

وهو يحث على الثورة ضد الظلم ، وان الايهاب المرء فى سبيل الدفاع عن وطنه وشرفه وعقيدته شيئا ، ولو كان الموت نفسه ، فهو يقول :

ابى الدهر الا ان يسود وضيعه ويملك اعناق المطالب وغده
تداعت لدرك الثار فينا ثقاله ونامت على طول الوتيرة اسده
فحتام نسرى فى دياجير محنة يضيق بها عن صحبة السيف غمده
اذا المرء لم يدفع يد الجور ان سطت عليه فلا ياسف اذا ضاع مجده
ومن ذل خوف الموت كانت حياته اضر عليه من حمام يسؤده
واقتل داء رؤية العين ظالما يسيء ويتلى فى المحافل حمده
علام يعيش المرء فى الدهر خاملا أيفرح فى الدنيا بيوم يعده !

ولا يزال البارودى يحث على الثورة وينادى برفض الظلم ، حتى اذا كانت الثورة العرابية وفشلها ، نراه يزداد الما وثورة ، ويظهر ذلك فى شعره ، من مثل قوله :

تنكرت مصر بعد العرف واضطربت قواعد الملك حتى ريع طائره ...
فاهمل الارض جرا الظلم حارثها واسترجع المال خوف العدم تاجره

وفيها يقول :

كنا نود انقلابا نستريح به ...
حتى اذا تم ساءتنا مصايره !

ومن الطبيعى ان يكثر حساد رجل ابى كالبارودى . وهؤلاء الحساد كانوا يتهمونه بانه لم يثر الا لغرض فى نفسه ولمنفعة كان يريد الحصول عليها وانه ندم بعد فشل الثورة العرابية ، وهؤلاء الحساد نسوا او تناسوا ان البارودى قد حصل على ارفع المناصب بجده وعبقريته ، وانه استطاع ان ياتى بفتح جديد فى ميدان الشعر عندما رد اليه روحه التى فقدها عدة قرون . أى أنه كان موفقا غاية التوفيق فى ميدانى الحياة والادب بلغة المنفعة الذاتية . وكان يمكنه ان يحصل على المزيد لو انه لجا الى الطبقة الحاكمة ونبذ الشعب وراء ظهره . ولكن البارودى كان صاحب مبدأ ، وكان صاحب رسالة . وهكذا نراه يشرح ذلك فى شعره ويعرضه فى ارفع بيان من مثل قوله :

ومن عجائب ما لاقيت من زمنى انى منيت بخطب امره عجب
لم اقترف زلة تقضى على بما اصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى ذنب ادان به ظلما واغترب
فلا يظن بى الحساد مندمة فاننى صابر فى الله محتسب
اثريت مجدا فلم اعبا بما سلبت ايدى الحوادث منى فهو مكتسب

وهكذا كان حب البارودى لمصر طبيعة وشعبا ، فبادله اهلها حبا بحب ، ودافع عنها بسيفه وقلمه وتغنى بمجدها وحضارتها وتاريخها ، وكان شعره مرآة انعكست عليها كل افكاره وخلجات نفسه . واستحق بشعره أن يكون من الخالدين .

●●

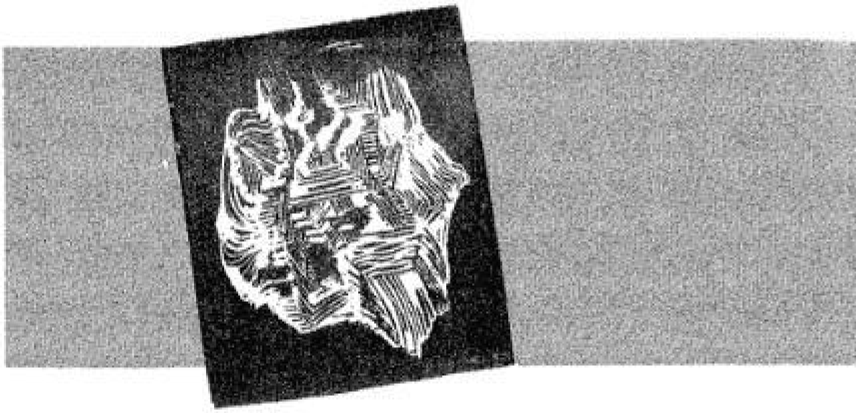
واحد من أخصب العقول في القرن العشرين

جان بياجيه
العالم الإنسانى

● د. عبد الفتاح الديدى ●

كان جان بياجيه «١٨٩٦ — ١٩٨٠» الذى توفى فى أواخر سبتمبر الماضى من اخصب عقول القرن العشرين ومن اعظم رجاله وفلاسفته وعلمائه .. وقلما تتوافر لانسان ماتوافر لاستاذنا واستاذ هذا الجيل جان بياجيه من الاطلاع والذكاء والتنوع والبساطة والاهتمام بعمله .. فقد كان عالما فى البيولوجيا والتاريخ الطبيعى والفلسفة ، والرياضيات ، والمنطق الرمزى ، وعلم النفس ، وعلم نفس الطفل على وجه التخصيص ، وعلوم اللغة والاجتماع والتطور .. وكان الى جانب ذلك ربا لاسرة من زوجة وثلاث بنات ومحدثا لبقا ومحاضرا فذا متدفقا ومجادلا مقنعا ..

ولد فى نيوشاتل بسويسرا ، ودرس علم الحيوان والاحياء بالجامعة ، وحصل على درجة الليسانس فى التاريخ الطبيعى ، وجعل رسالته للدكتوراه عن توزيع اللافقريات فى جبال الالب ... وسرعان ماتحول الى الاهتمام بعلم النفس وبنظرية المعرفة ، فذهب ليعمل مع استاذه ادوارد كلاباريد « ١٨٧٣ — ١٩٤٠ » من أكبر العاملين فى حقل علم نفس الطفل واختبارات الاطفال ، ومؤسس علم النفس الوظيفى ، وله كتاب مشهور من جزئين بعنوان علم نفس الطفل والتربية التجريبية ، وادخل فيه الاحصاءات فى القياسات التى اعدها للاطفال .. ومن كتبه المشهورة ايضا



جان بياجيه

تصنيف وخطة المناهج فى علم النفس ضمن أرشيف علم النفس سنة ١٩٠٦
وعمل « بياجيه استاذا » لعلم النفس وفلسفة العلوم فى جامعة نيوشاتل ثم صار استاذا لعلم النفس الناسلى « الجينيتيك » بجامعة لوزان . وقد وضع بياجيه مفهوم علم النفس الناسلى بدلا من علم النفس الوظيفى الذى وضعه استاذه كلاباريد وتشيع له بياجيه بعض الوقت . و فى صيف سنة ١٩٥٢ أصبح استاذا لعلم النفس بجامعة السوربون بباريس حيث ظل يحاضر بها باستمرار الى سنة ١٩٥٦ ، وفى تلك الاثناء كانت كلية العلوم فى جنيف بسويسرا قد انشأت معهدا خاصا سنة ١٩٥٥ باسم المركز العالمى للمعرفة الناسلية ، واصبح جان بياجيه رئيسا لهذا المركز واستاذا بعدد من جامعات اوربا وعضوا بكل مؤتمرات علم نفس الطفل .

« والناسلية » نسبة الى الناسلات او الجينات . وهى العلم المستقل الذى يختص بظواهر الوراثة والتنوع فى الكائنات الحية .. وعلم النفس الناسلى هو الذى يعتبر الانسان قطاعا طوليا فى سلسلة النمو التطور من الاجداد . وينظر علم النفس الناسلى الى النمو الذهنى بوصفه بؤرة التطور العام فى حياة الطفل والبالغ ، ومركز الفهم الحقيقى للسلوك والقدرات . ولذلك اعتمد بياجيه على نمو المنطق من مرحلة الى مرحلة خلال حياة الطفل فالمنطق فى نظره يمثل حساب البدائه للعمليات الخاصة بالفكر ، والفكر يمثل معيارا محددا للنمو .

وقد ترك جان بياجيه ثروة علمية وفكرية ضخمة تتالف من كتب فى علم النفس والتربية ونظرية المعرفة والمنطق الرمزى . ومن هذه الكتب اللغة والفكر عند الطفل وهو مترجم فى سلسلة الالف كتاب ، والحكم والاستدلال عند الطفل وامتثال العالم عند الطفل ، والسببية الفيزيائية عند الطفل ، والحكم الاخلاقى عند الطفل ومولد الذكاء عند الطفل ، وبناء الحقيقة عند الطفل ، وتكوين العدد عند الطفل ، والفئات والعلاقات والاعداد ونمو فكرة الزمن عند الطفل ، وفكرتا الحركة والسرعة عند الطفل ، وتكوين الرمز عند الطفل ، وعلم نفس الذهن وغير ذلك من المؤلفات التى تتناول الطفل من كل النواحى .. والكتاب الاخير عن علم نفس الذهن يمثل بواكير التحولات الاساسية فى علم النفس لدى بياجيه ويعبر عن المراحل الاولى لانتقاله الى موقفه النهائى فى علم النفس الناسلى

وبناء على هذه الدراسات الهامة فى الطفل اكتشف بياجيه الاسس العامة للمعرفة البشرية ابتداء من بذورها الاولى ووضع نظرية فى المعرفة تعرف بنظرية المعرفة الناسلية . وتنقسم الى قسمين

نظرية المعرفة الناسلية المحـدودة التى تتضمن كل انواع البحث النفسى الناسلى وكل انواع الدراسات التاريخية النقدية التى تدور حول طرق ازدياد المعـارف على شرط أن تستند الى نسق مـن الاشارة المؤلف بواسطة حالة المعـرفة المقررة فى لحظة معينة .

فالمعرفة الناسلية المحدودة هى التى تتناول خلال الابحاث النفسية الناسلية والتاريخية النقدية زيادة المعارف عند الانسان وفقا لمقدرات زمنية ومرحلية فى التكوين والتطور وتبعا لمجموعة الاشارات والدلالات الخاصة بالحالة المعرفية فى الوقت الموضوع موضع الاعتبار .

اما نظرية المعرفة الناسلية العامة فيرتبط الكلام فيها بارتباط نسـق الاشارة ارتباطا شموليا بالعملية الناسلية او التاريخية التى تلزم دراستها . فهنا فى النظرية العامة على عكس مايجرى فى النظرية المحدودة يكون نسـق الاشارة متضمنا هو نفسه فى العملية الناسلية او التاريخية موضوع البحث ..

وتضمين المعارف العلمية الحالية فى العملية الناسلية يرجع الى النظـر الى كل حقيقة بوصفها نسبية بالنسبة الى مستوى محدد من الفكر المتطور النامى بل وايضا يرجع الى عدم الحكم مسبقا عن العلاقات بين الذات والموضوع اى بين الانسان والاشياء .

وقد استطاعت نظرية المعرفة الناسلية أن تلعب حاليا اكبر دور فى تحـديد معنى المعرفة الانسانية وظروفهـا واتجاهاتها لانها لاتدرس موضـوعا الا بالرجوع الى جدول الاشارات المحـددة الخاصة بالنمو العقلى وبمنطق التفـكير نفسـه . فتظل المعرفة مقرونة باوضـاع العقل البشرى وطرق التقائه بالاشيـاء الخارجية عند تكوين المعارف . وقـد الف جان بياجيه ثلاثة أجزاء من كتـابه عن نظرية المعرفة الناسلية حـول كل افرع المعرفة فى الرياضيات وعلم النفس وعلم الاحياء وعلم الاجتماع والعـلم الطبيعى .

وظهر كتاب مختصر بقلم جان بياجيه عن المعرفة الناسلية فى سلسـلة « كوسيج » الفرنسية يوضح مفهـومه الاخير عن هذه النظرية سنة ١٩٧٠ . وفى سنة ١٩٦٧ وضع كتابا بعنـوان المنطق والمعرفة العلمية .

واهتم بياجيه اهتماما خاصا بالمنطق الرمزى الذى يطابق منطق التفـكير الانسانى فى كل مرحله من الميـلاد الى الرجولة ، واعتمد على هذا المنطق اولا فى قياس النمو الذهنى عند الطفـل والمراهق والبالغ ، كما اعتمد عليـه منهجيا فى احلاله محل الاحصاء فى تقدير وتسجيل كل الخطوات المنهجية . «انظر كتابنا عن السلوك والادراك عند بياجيه»

وجعل بياجيه اول خطوة فى تأسيس المعرفة الناسلية التحام المنطق الرمزى بعلم النفس بحيث يؤدى هذا الالتحام الى استخدام حساب البدائة استخداما متحررا من المراحل الزمنية ومتكافئا مع مطالب العمليات الفعلية التى تؤسس كلا من العلم والمنطق ومحققا للادوات الفعالة فى تذليل الصعاب المعرفية ، فالف لذلك كتابه المشهور « بحث فى المنطق » والف ايضا كتابه عن « بحث فى تحـولات العمليات المنطقية » ووضع ايضا كتـابا عن « من منطق الطفل الى منطـق المراهق » وكتابا اخر عن « النمو المبكر للمنطق عند الطفل » .

وانتقل بياجيه بعد ذلك الى مجـال التربية . وتقول انتقل مع ان اهتماماته بالتربية بدات منذ وقت ملازمته لاستاذه كلاباريد ، غير ان دراسته للتربيـة فى صورة معمقة اصبحت مرتبطة باتجاهه فى علم نفس الطفل بناء على ابحـاثه المستفيضة فى هذا الجانب . وبياجيه هو محرر مقالة التربية والتعليم فى دائرة المعارف الفرنسية التى اصـدرتها دار لاروس عام ١٩٣٥ « المجلد الخـامس عشر » وظهر كتابه الهام عن اللعـب والاحلام والمحاكاة فى الطفولة كمدخـل لاتجاهه التربوى . ومن اهم كتبـه التربوية كتابه عن علم التربية وعـلم نفس الطفل سنة ١٩٦٩ . وله ايضـا كتاب بعنوان « فى التربية » .

● اكتشف العالم الإنسانى "بياجيه" الأسس العامة للمعرفة البشرية ابتداء من بذورها الأولى ، ووضع نظرية فى المعرفة تعرف بنظرية المعرفة الناسلية

وكما احدث بياجيه تحولا هائلا فى علم النفس وفى المعرفة وفى المنطق ، استطاع فيلسوفنا العالم ان يشق تيارا لا مثيل له فى عالم التربية ..

وقد تشكك الامريكان فى موقفه اول الامر ولم يقدموا على ترجمته وحذروا من أفكاره ، ثم لم يلبث ابتداء من سنة ١٩٦٠ أن صار شيئا فشيئا شاغلهم الاكبر . وانهزمت امام آرائه التربوية معظم المذاهب التربوية الشامخة فى الولايات المتحدة الامريكية . واسهم بالتالى فى تكوين معظم الافكار والمناهج التربوية الحالية بأمريكا . وتعاطف معه المفكرون التربويون من الامريكان على نحو ليس له نظير من قبل . وتغيرت معالم المدرسة الامريكية الحالية اعتمادا على افكار بياجيه واستنادا الى اكتشافاته.

واراد بياجيه ان ينهى عصر الفلسفة المذهبية التقليدية فالف كتابا عن البصائر والاوهام فى الفلسفة . ووضع كتابا هاما جدا عن البنيوية ولم يقف بياجيه عند هذا الحد ، بل عمل فى قاعات البحث داخل مركز العلوم الناسلية بجنيف من اجل تغيير معالم الفكر التقليدى . فجمع العلماء من كافة افرع المعرفة وجعلهم يلتقون فى حلقات بحث مستفيضة حول كل مشكلات العلوم الانسانية المعاصرة . فصار يجمع مثلا علماء فى الرياضيات والاجتماع والفلسفة لمناقشة قضية الابلاغ اللغوى . وصار يجمع علماء فى علم النفس وعلم الاحياء والرياضيات لمناقشة قضية من قضايا الادراك او احدى مسائل المنطق ، وهكذا ...

واستطاع هذا المركز أن يقدم دراسات لا تزال تذهل العالم بما توفرت لها من عمق وطرافة وجدة . وظهرت مطبوعات لهؤلاء العلماء والباحثين مثل كتاب « المنطق والتوازن » الذى اشترك فيه ابو ستيل ومالدلبروت وبياجيه .

ولم يشرك بياجيه فى حلقات البحث العلماء من اعضاء المركز الدولى للمعرفة الناسلية وحدهم ، بل كان دائما يدعو العلماء والمتخصصين من كافة انحاء العالم . ولو عددنا اسماء العلماء والاساتذة والباحثين الذين اشتركوا فى حياة بياجيه من عام ١٩٥٥ الى اليوم لاذهلتنا قدراتهم ومكاناتهم العلمية والنتائج التى حققوها على مستوى المنهجية المعرفية التى وضعها بياجيه. واعتاد المركز ان يدعو خلال عام دراسى ثلاثة من الباحثين الكبار الذين يهتمون باحدى مشكلات الناسلية فى الرياضيات او المنطق او الفيزياء او غيرهما للتعاون مع علماء النفس فى مواقع معمل علم النفس التجريبى بكلية العلوم فى جنيف وفى معهد جان جاك روسو . وتتجه جهودهم نحو عرض المشكلات بطريقة تستتبع مباشرة أبحاثا تجريبية تؤدى بدورها الى نتائج ذات اهمية معرفية وذات تاصيل معرفى يلقى الضوء على التجارب الخاصة بالنمو ويمهد لتجارب جديدة .

ويجرى عرض النتائج على حلقة بحث فى نهاية العام الدراسى . وتتالف الحلقة من العلماء العاملين بالمركز ومن حوالى عشرة علماء من المشاركين الجدد من مختلف الدول . ويناقش هؤلاء جميعا

الموضوعات المعروضة والابحاث المنتهية مناقشة نقدية ثم يشاركون فى اختيار وتحديد موضوعات الدراسة والبحث للسنة التالية .

وعلى ضوء هذه الابحاث الجماعية يتم بعد ذلك تحرير النتائج ويجرى طبعها وعرضها على الجمهور الواسع العريض. وقد نجحت الفكرة الى حد بعيد واثبتت سلامة التفكير وفقا لاصول المعرفة الناسلية . وبذلك صارت المعرفة الناسلية علما يحتل مكانة جوهرية ورئيسية بين كافة العلوم .

وترجع خطورة المعرفة الناسلية الى انها تهدم مفهوم التجريب كما هو سائد فى أوساط علم النفس الى اليوم . ففى القرن السابع عشر بدأ علم الطبيعة التجريبى . وعلم النفس لايزال فى اولى مراحله التجريبية على الرغم من كل المؤلفات والابحاث التى ظهرت على مدى قرن من الزمان . ولذلك فالكثيرون لايزالون يجهلون حقيقة التجريب ويحولونه الى نوع من الاستفسار والاستجواب .

كذلك من السهل ان نلاحظ تأثير الفلسفة الظاهر على معظم مجالات علم النفس على الرغم من التشدق بانفصال هذين الاختصاصين . ولا يخلص علم النفس من هذا الوضع سوى التمسك الحقيقى بالاصول الناسلية للمعرفة النفسية . ولولا اشتغال بياجيه نفسه بعلم الاحياء فترة طويلة لما امكنه التسرب الى مجال علم النفس الناسلى على نحو علمى اكيد . ولا يزال بياجيه على ماحدده فى مجال علم نفس الطفل من الافكار الاساسية ذات الدلالات العلمية مثل العدد والمكان والزمان والحركة والسرعة والصدفة والثوابت الفيزيائية الاولية ، لا يزال بياجيه ـ او هكذا تصور نفسه فى أخريات أيامه ، وبعد خمسة وخمسين عاما من البحث المتصل على ادق القواعد المنهجية التجريبية ـ ينظر الى نفسه على انه لايزال على الاعتاب !

ومن الملاحظ أيضا فى نظر بياجيه ان معظم علماء نفس الطفل يهتمون بعلم نفس الاطفال الكبار ويشغلون أنفسهم بمراحل متقدمة فى حياة الطفل ويهملون بذلك تلك الابنية المنطقية التى توجد وراء مظاهر السلوك الطفولى فى الاشهر والسنوات الاولى . وبحكم عدم المامهم بهذا الجانب يتجهون الى تحصيل معلومات غير كافية حول مشاكل النمو الفسيولوجى وحصيلتهم ضئيلة من الثقافة العلمية او الرياضية . ويؤدى هذا الجانب التطبيقى من علم النفس الى الزج بعلماء النفس الى الانحصار فى مسائل احصائية عينية ومقدرات الاحتمال التطبيقى بدون اية دفعة نحو مشاكل الجبر العام او المنطق الرياضى او نظرية الاعداد اوعلم الطبوغرافيا ((على الرغم من اهتمامهم بنظريات ليفين)) مما قد يساعدهم على حل المشاكل البنائية التى تفرضها وجهة نظر علم نفس الذكاء او علم الطبوغرافيا ((على الرغم من اهتمامهم بنظريات ليفين)) مما قد يساعدهم على حل المشاكل البنائية التى تفرضها وجهة نظر علم نفس الذكاء او علم نفس الادراك ((والميكانيزمات)) الادراكية والبصرية .

وكان بياجيه نفسه نمطا لا نظير له فيمن عرفنا من علماء النفس . فقد كان يخرج من قاعة المحاضرة ويتجول فى الحى اللاتينى فى باريس عند أوقات خروج الاطفال من مدارسهم او وجودهم فى حلقات ليلعبوا ((بالبلى)) فيشاركهم اللعب كأنه واحد منهم . وكان يتردد على المتنزهات المجاورة فيجالس الاطفال مع امهاتهم ويحادث الطفل مدة طويلة . وأجرى على بناته معظم تجاربه التى سجلها فى كتبه ومؤلفاته عن الاطفال . ولذلك كان بياجيه اول من اعطانا ثروة غزيرة من التفصيلات حول افكار الاطفال الخاصة عن العالم الذى يحيط بهم .

ووضع بياجيه منهجا جديدا لاستقراء تفكير الاطفال وزودنا فى ذلك بنتائج ذات طابع كيفى لا كمى كما كان يفعل الكثيرون . ويستخدم ايضا تلك الافكار كألوان من التصوير للطرق التى يتخذها النمو الذهنى خلال النمو الذى يمر به

اهتم "بياچيه" اهتمامًا خاصًا بالمنطق الرمزى الذى يطابق منطق التفكير الإنسانى فى كل مرحلة من الميلاد إلى الرجولة

الطفل الصغير والمراهق . وفى بعض كتبه المبكرة مثل كتابه مفهوم الطفل عن العالم اتبع بياجيه طريقة خاصة فى الاصغاء الى الاسئلة التى يسألها الاطفال سواء من البالغين او من الاطفال الاخرين . ثم اعتاد ان يقوم هو نفسه بتوجيه تلك الاسئلة ذاتها الى مختلف الاطفال . وبهذه الطريقة اكتشف صاحبه ان مضمون الكلام كان فعلا مثيرا لاهتمام الاطفال وانه لم يكن يخرج عن اطار تفكيرهم العادى .

ودلت الاجابات على ان اقتناع الطفل خلال مراحل النمو وانتقاله الى مستويات المشاركة الاجتماعية يخضع لاحد الاصناف الآتية : اما ان يكون الاقتناع ابتلاعا كاملا لرأى البالغين بالاستماع او بالتلقين او ان يكون بتأثير من البالغين بدون تلقين متعمد او ان يكون اقتناعا كرد فعل اصلى من جانب الطفل . وهذا الاخير ينقسم قسمين اما ان يكون رد فعل متحرر كما يحدث عندما يفكر الطفل بصوت عال فى صورة ذا مسحة طبيعية فى التفكير . او ان كلام استدلالى . وعندئذ يبدو كلامه يكون رد فعل تلقائى كنتيجة لتفكير اصلى سابق . وفى هذه العبارات يظهر الطفل ثقته بانه يعرف الاجابة .

ويمكن ضرب امثلة للاقتناع كرد فعل متحرر عندما يقرر الطفل ان الشمس تدفع السحب امامها وان السحب تسبب الرياح وان الاشياء الجامدة ذات حياة وان اسماء الاشياء اجزاء من تلك الاشياء التى يحاولون تعريفها . وان النار تشعر بالغضب والشر . وتقاوم مثل هذه الاقتناعات اية محاولة من جانب البالغين للاقتراح او التصويب .

وقد صادف منهج بياجيه الاول كثيرا من انواع النقد فقام بتعديله فى كتبه التالية المتخصصة مثل مفهوم الطفل عن العدد . فاستخدم بياجيه منهجا فى الفحص اكثر علمية واكثر صوابا وان كان من نفس النمط فى قالبه الشخصى البسيط . وهنا يعاد اختبار افكار كل طفل وفحصها كيفيا . ففى كل حالة يوضع امام الطفل جهاز بسيط مع تقلبه للذكاء ويطلب اليه بعض الافعال البسيطة كما يطلب اليه التعبير عن افكاره بالكلمات . ولا تكون الاجابة صحيحة حقيقة او ذات قيمة الا اذا اهتم الطفل بشغف بما يعمله او يقوله . ولا تكون الاجابة الصحيحة ذات قيمة الا اذا اتفقت مع الاسباب الحقيقية .

وتأتى المهارة فى الاختبار من الاسئلة الاضافية التى تتلو كنتيجة لاستجابات الطفل لان الغرض من الاختبار هو توضيح مايفكر فيه الطفل حقيقة مع الاحتياط من تضمين الاجابة فى السؤال او الايحاء اليه بالاجابة .

لقد كان بياجيه بما حققه شيئا فريدا فى تاريخ علم النفس والتربية والمعرفة . وبفضله اتخذ علم النفس اتجاها جديدا وتحرر التفكير التربوى من معظم النظريات البالية ، وتقدم هذا الجيل فى مجال المعرفة تقدما لم تحققه الانسانية خلال عدد من القرون . . واذا كنا فى مصر الى اليوم محرومين من تفكير بياجية فذلك تقصير يسأل عنه الجامعات الى جانب الكثير مما لا نزال نعانى من اثاره . ●

شعراء أوربيون

● ماهر شفيق فريد ●

● فى عدد حديث من مجلة «سباحة دراسات اللغه الحديثة» التى تصدر عن جامعة سانت اندروز الاسكتلندية نجد مقالات عن رواية اميل زولا المسماة «جرمينال» واغانى المآثر البطولية فى الشعر الفرنسى القديم، وتطور الشاعر السريالى الفرنسى اندرية بريتون، ومقالة بقلم ر · ج بارانسكى عنوانها «ليوباردى وانجارتى ومونتال» سنتوقف عندها هنا ·

كتب بارانسكى مقالته بمناسبة صدور ثلاث دراسات جديدة عن هؤلاء الشعراء الايطاليين المحدثين، وهذه الدراسات الصادرة كلها عن مطبعة جامعة ادنبرة فى ١٩٧٧ هى :

– جياكومو ليوباردى : الصوت الذى لم يستمع اليه أحد · تأليف جيوفانى كارسانيجا ·

– جوسيبى انجارتى : شاعرا وناقدا تأليف فردريك جونز ·

– يوجينو مونتال : لغة الشعر الخاصة · تأليف جويدو ألمانسى وبروس مرى ·

يقول كاتب المقالة : ان ليوباردى وانجارتى ومونتال هم أبرز شعراء ايطاليا فى مائتى الاعوام الاخيرة · وكتاب كارسانيجا عن ليوباردى صادر عن اعجاب صريح بشخصية ليوباردى والافتتان بها، يسعى الى تقديم صورة مختلفة، وأصدق، لليوباردى، ويرفض كل محاولات التهوين من شأن اليوباردى رجلا وفنانا، او اساءة تصويره، أو احاطته بالاسرار · ان كارسانيجا يؤكد اهمية ليوباردى كفيلسوف، بل وعالم ويكشف عن عمق وصرامة وأصالة واتساق فكره، وينفى الفكرة الفاتنه بأن هذا الفكر يضرب بجذوره فى تربة التشاؤم والعدمية ·

وكتاب جونز عن انجارتى هو، أيضا ثمرة اهتمام طويل بموضوعه · فهو يعالج المؤثرات الثقافية والادبية على انجارتى، وتفاصيل سيرته، وآراء النقاد السابقين فى شعره ونثره، بغية «تزويد انجارتى بمنظور غنائى جديد متصل، من خلال التحليل الوثيق للنماذج الرمزية داخل مجموعات شعره وفيما بينها على السواء» · ومن ثم فانه يدرس شعر الشاعر ويقدمه على انه نمو غنائى عضوى، صوره واجراءاته الاسلوبية مفاتيح لفهم فن الشاعر وفكره كما ان ثمة عناصر بنائية موحدة داخل وبين قصائده وأجزائه ومجموعاته المفردة

اما كتاب ألمانسى ومرى عن مونتال فيؤكد الصعوبات الكامنة فى شعر مونتال، وشعوره المتنامى بالسخرية من ذاته وفنه وجمهوره، وارتفاع مستوى الهامه، منتهيا الى ان عظمته «تلوح أمرا لا نزاع عليه» ·

ويبقى فى النهاية ان نضيف أن ثمة مقالة ضافية عن ليوباردى بقلم الاستاذ على أدهم فى مجلة «تراث الانسانية» وان الدكتور عبد الغفار مكاوى قد كتب عن انجارتى ومونتال وترجم بعضا من قصائدهما فى مجلتى «الفكر المعاصر» و «الادب» وفى كتابه «ثورة الشعر الحديث» بجزئيه، وان وجب أن نضيف اننا ما زلنا بحاجة الى تضافر الجهود – خاصة من دارسى اللغة الايطالية وأساتذتها – للتعريف بهؤلاء الشعراء الثلاثة الكبار على نحو يليق بمقامهم فى الادب العالمى ·

● شاعر المانى يؤثر فى شاعر اسكتلندى

وفى عدد آخر من نفس المجلة نجد مقالا بقلم : ب · هـ جاسكل عنوانها «هولدرلن وشعر ادوين ميور» يعالج



كاتبها اثر الشاعر الالماني على الشاعر الاسكتلندي الذي توفي في ١٩٥٩ ٠

يقول الكاتب : منذ أن تعرف ميور على عمل هولدرلن في ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ الى أن توفى ، ظل يكن لشعر هولدرلن اعجابا عظيما ٠ كان هناك ، بطبيعة الحال ، شعراء آخرون ينظر اليهم بعين التوقير ، ومن بينهم عدد من الشعراء الالمان ٠ ومع ذلك يحق للمرء ان يقول ان هولدرلن كانت له دلالة خاصة عند ميور ٠ فقد وافق اكتشافه لهولدرلن اولى محاولاته لقرض الشعر ٠وخلال السنوات التالية كتب اربع مقالات مسهبة عن الشاعر الالماني ، ومراجعات لكتب تدور حوله ، وجعل منه بطلا لاحدى قصائده المهمة ، كما ظل يفكر فيه في احدى رسائله الاخيرة عن طبيعة الشعر والشعراء ٠ وعلى قدر ما كان ميور مدينا لاى شاعر فرد ، يحق للمرء ان ينتظر ان يكون تاثير هولدرلن عليه كبيرا ٠

ان محاولة تقييم اثر شاعر كبير على شاعر آخر ، باى درجة من الدقة ،مشكلة صعبة بطبيعة الحال ، خاصة حين يكون الشاعران يكتبان بلغتين مختلفتين ، وما يستتبعه ذلك من اختلاف الخلفية الثقافية والجغرافية والتاريخية ٠ ورغم وجود مثل هذا التاثير ، فانه ينبغي الاقرار بان ميور شاعر ممتاز بحقه الخاص ، كان خليقا ان يظل شاعرا حتى ولو لم يعرف اى شيء عن هولدرلن ٠ وربما كان من الحماقة أن نبحث عن مؤثرات مباشرة وحاسمة على عمل رجل بدا ينظم الشعر في سن متقدمة ، هي سن الخامسة والثلاثين ، كما كان الشأن مع ميور ٠ لقد خلف ميور ، بمجيء ذلك الوقت ، سن التمثل الساذج وراءه بزمن طويل ، ولم يعد لنا ان ننتظر منه أن يستوحي شاعرا آخر على نحو مباشر ٠ وتبقى مع ذلك حقيقة مؤداها ان معرفة ميور بعمل هولدرلن وحياته انعكست على شعره الخاص ٠

واوضح دليل في شعر ميور على اهتمامه بهولدرلن هو ان اسم الشاعر الالماني يتردد في قصيدتين له يرجع تاريخهما الى منتصف الثلاثينات ٠ واول هاتين القصيدتين بترتيب النشر (وربما ترتيب الانشاء أيضا) قصيدة غير مشهورة له مطلعها « لامزيد من هذا التحديق الواقع في شرك ٠٠ » ظهرت كواحدة من اربع قصائد له في عدد مارس ١٩٣٦ من مجلة « لندن ميركوري » ولم يعد ميور نشرها بعد ذلك قط ٠ ويبدو ان عزوف ميور عن ادراجها في مجموعة اعماله الكاملة كان راجعا الى عدم رضائه عنها ٠ وتعكس هذه القصيدة اهتمام ميور الغلاب بالزمن والابدية والفناء والخلود ٠ وهي ، الى جانب قصيدة أخرى له عنوانها « القانون » تقدم رؤيا لعالمنا الزمني على انه نسخة ملتوية معكوسة من عالم الابدية ، يقول ميور في قصيدته « لا مزيد من هذا التحديق الواقع في شرك » :

سراح هولدرلن
يثني على الله والانسان ، وقد انبتت
صلاته بالله والانسان
في عالم لامع ملتو

والقصيدة الاخرى التي يذكر فيها ميور اسم هولدرلن هي قصيدته المسماة « رحلة هولدرلن »حيث يقول في ختامها

وهكذا ظل هولدرلن يتأمل ثلاثين عاما
على تل اخضر في توبنجن
ساحبا في الم عقلا محطما
ومثنيا على الله والبشر ٠

قصة

البلهاء تدخل الملهى

● د. محمد عبد الحميد ●

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما ترامت الى اذنيها تلك الاصوات الموسيقية العالية التي تدق على مسامعها بقوة وعنف ويختلط فيها الصخب والضجيج ، فيتملكها الارق ويغيب النوم عن عينيها التى تفتحهما لتصطدم بالاضواء المبهرة التى تخترق فى جراة ظلمة الليل ، والتى تعددت فيها الالوان تطارد بعضها البعض فى سباق جنونى الى كل الاتجاهات ، وترسم اشكالا وتخط حروفا لا تدرك لها معنى ..

تقلبت الى جانبها ، لتمثلت اليها صور الحسناوات الخارجات من هذا الباب ، يرتدين أزياء تزهو بالوانها ، وتلمع ببريقها وتكشف فتحاتها عن مفاتن تتحدى بلا حياء عيون الناظرين بنفش العطر فيملا شذاه المكان، يتمايلن فى دلال يفيض رقه وعذوبة ، وهن يتجهن لصحبة الرجال الى السيارات الفارهة ، تبتلعهن داخلها لم تندفع الى الامام وهى تنفث دخانا يغشى على بصرها فتختفي الصورة . لتأتى صورة اخرى لسيارة اخرى .. حتى يخلو المكان فلا تجد الا نفسها وحيدة مع هذه الصورة التى تلاحقها كل ليلة !

منذ شهر او اكثر وهذه الصور والمشاهد تطاردها فى نفس الموعد عندما تأوى الى فراشها فى غرفة الاولاد ، تحاول ان تسلب من الليل سويعات تريح فيها الجسد المنهك من عناء النهار .

فهى رغم بلوغها العشرين من العمر، ورغم انها فى القاهرة لمدة تزيد عن ست سنوات لم يكن يختلف برنامجها اليومى من منزل لاخر عملت فيه ،وما يتطلبه هذا العمل من ذهاب وعودة الى السوق او بعض المحلات فى دائرة الحى .

حتى كانت تلك الليلة التى بحث فيها السيد عن تبغ فى المنزل ولم يجد ، فجذبها من رقدتها لتشترى له من اى محل يعمل حتى هذه الساعة المتاخرة من الليل والتى كانت قد تجاوزت منتصفه .. ولم تجد فى حدود المنطقة محلا يعمل الى هذه الساعة ، فساقها قدماها الى هناك حيث الصخب والحياة التى تبدا هذه الساعات فى احد الشوارع التى تمتلك ناصية الحى الذى يسكنون فيه .

وهناك كانت هذه المشاهد التى وقفت ترقبها فى ذهول ، فنسيت نفسها والوقت الا متعة المشاهدة والترقب ، وتخيل ما يمكن ان يدور خلف باب هذا الملهى الذى وجدت امامه « كشكا يبيع التبغ واصنافا اخرى لا تعرف اسما لها او استخداما .

ودون ان تدرى كم من الوقت قد مر على وقفتها غائبة عن المنزل . عادت تخطو خطواتها البطيئة الشاردة عبر الشوارع الخالية والدروب المظلمة لتجد الاسرة فى انتظارها . فلا تنتبه لنظراتها التى تحمل كل علامات الاتهام او الاستخفاف . او العبارات التى انطلقت تطاردها حتى استلقت على فراشها تراجع مرة اخرى هذه المشاهد والصور التى التصقت بخيالها ..

وفى يوم خلا المنزل من كل من فيه

الا منها ، عادت تطاردها تلك الصور والمشاهد ، وحيدة هي هـذه المرة ، تناديها المرآة .. تتجه اليها بدلال يقترب من دلالهن أمام باب الملهى .. تشـد ثوبها الواسع ليبرز بعضا من مفاتنها، لا يكفي ، دست يدها في دولاب الاسرة اخرجت بنطلونا للست، ترتديه ليكشف اكثر من هذه المفاتن ، وتتجه بناظريها الى المرآة ، استدارة الوجه حمـرة الوجنتين . . العيون الواسعة ، الحواجب كثيفه تحتاج الى تهذيب ، ضـفيرة الشعر تتدلى على الصدر البارز .. تفكها ليتهدل شعرها على كتفيها .. ابتسامة الثقة والاعجاب ..

شفتاها الصغيرتان والابتسامة ... فرحة هي بهذا الاكتشاف . لم تنتبـه له منذ سنوات رغم طردها من اكثر من منزل دون ابداء الأسباب . ورغـم النظرات الخبيثة للرجال كانت تتوه وسط خيالها الريفي .

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل ، في هذه الليلة سبقت قرارها استرجاع نفس المشاهد والصور التى عادت الى مخيلتها وهي تجمع ملابسها وكل مالها من حاجيات في صرة صغيرة حاولت ان تدقق في حجمهـا حتى لا تصبح عبئا عليها يعوق حركتهـا ، وحتى لا يسمع لها صوت وهي تتسـلل خارجة من الشقة ،متجهة عبر الشوارع الخالية والدروب المظلمة ، الى هنـاك الى الملهى الموعود ! ..

وامام الباب لم تتردد ، وكأنها دابت على الدخول او الخروج ، لعل خيالها هو الذى اكسبها هذه الجرأة، فاعتقدت انها عاشت فيه من كثرة ما تردد عـلى خيالها من مشاهد او صور تخيلتـها بالداخل .. لم تتردد او تحـاول ان تبحث عن باب اخر ، هناك اكثر من باب لكنه هذا الباب هو الذى تدلف منـه الى محطة الخروج الى العـالم الذى ارتسم في خيالها ..

تقدمت اكثر تتلفت حولها فـلا يعترضها احد .. تاهت بين الصفوف والمناضد المتراصة ، فهي لا تدرى الى من تتجه أو من تخاطب .. وقفت برهة وتهاوت الاحلام ، فلا احـد يحس بجمالها ، وفتنتها لم تجذب احدا ، امتدت اليها يد من الخلف تجذبها ، افاقت من احلامها على لحظة من النشوة، وكان يسبح بها بعيدا ، ليرد على اخـر في جانب من الصـالة . تلتفت الى الخلف . الصرة لم تعـد في يديها .

تجذبها يد اخرى من ضفيرتها ، تتعالى الضحكات ولا تنتبه اليها .. بعيـون حائرة تبحث عن الصرة ، كانت عـلى مقربة منها تعبث فيها احداهن، جلباب وطرحه وملابس داخلية .. تـلتف الطرحة حول وسطها ، والحلقة تلتف حولها ويعلو التصفيق .. ولا تستجيب

تائهة ، شاردة ، حائرة النظـرات .. في صمت ابله تنظر يمينا وشمالا وفي كل اتجاه ، والحلقة تتسـع والتصفيق يعلو ...

احداهن تلفها بقوة لتدور في حركات راقصـة مع نغمات التصـفيق .. انسابت الدموع من عينيها .. نظرات الاستجداء تختفي تحت وميض الدموع

.. تشدها واحدة اخرى من صدرها بعنف ، يتمزق صدر الجلباب ، تحاول ان تغطيه بكفيها ، الحلقة تتسـع والتصفيق يعلو . . الطبلة نزلت لتشارك في النغمات .. عبـارات لاذعة تزف العروس ، والحلقة تتسع .. هي تغطي صدرها بكفيها ، ترفعها الى اذنيها ، يتكشف عن صدرها ، تنزلها مـرة أخرى .. تصرخ ، تصرخ .. لم تسقط على الارض ، تنحني بكل جسـدها تحت الاقدام ، ويعلو بكاؤها ..

تكورت وازداد نشيجها ، يد ترفعها الى اعلى وتسوقها بعنف الى الخارج.

تتلفت خلفها بنظرات خائفة من عيون دامعة تبحث عن الصرة .. تقذفهـا اليد الى خارج الباب ، نفس البـاب .. تجرى بعيدا عنه .. تخترق الظلام تجوب الشـوارع والدروب ، تسرع الخطى ، الخوف يطاردها ، تسرع اكثر .. تصعد درجات السلم . تتخبـط على الدرجات ، فتسقط على احداها، وتختلط الدماء بالدموع ..

بابلو بيكاسو

بعد مائة عام على مولده

● د . سليم الاسيوطى ●

● اطلقت عليه مجلة « تايم » الامريكية فى حياته ، « بطل ثقافة القرن العشرين »

.. فى عام ١٩٦٧ بيعت احدى لوحاته بما يزيد على خمسمائة الف دولار .. وكان من المعتقد ان هذا اغلى ثمن يدفع فى عمل فنى لفنان لا يزال على قيد الحياة

وكان ابان حياته لا يذكر عدد الاعمال التى ابدعها ، ولكن بعض التقديرات تربو على العشرة الاف لوحة ، غير الرسوم والحفر على المعادن والخشب والاحجار والسيراميك ونحت التماثيل .

وعند بلوغه سن التسعين ، كان فى حوزته نحو الف لوحة زيتية ، قدرت قيمتها بخمسة وعشرين مليونا من الدولارات . وهذا برهان قاطع على انه كان اغنى مصور ظهر فى العالم دون منازع ! ..

ان الثروة وحدها نادرا ما تعد مقياسا صادقا على منزلة « بيكاسو » كفنان كبير .. فعندما احتفل بعيد ميلاده التسعين ، اقيمت المعارض احتفاءا بهذه المناسبة فى القارات الخمس ، وتميز متحف « اللوفر » فى باريس فى ترحيبه بهذه المناسبة وتكريمه لصاحبها ، فقد أفرد معرضه الكبير - « الجراند جلارى » - لعرض مجموعة مختارة من اعمال بيكاسو ..

كان بيكاسو يتمتع بمنزلة وتقدير عظيمين فى جميع المحافل الفنية فى العالم أجمع ، منذ اشرق نجمه ، حتى غربت شمس حياته ، فمنذ ظهوره لاول مرة فى المجتمع الباريسى فى عام ١٩٠٠ ، كان الفنانون يسيرون على المبدأ الاساسى بضرورة وجود علاقة ظاهرة بين اللوحة الفنية وموضوع هذه اللوحة . ولكنه جعل يصور الاجسام البشرية والموضوعات المرئية كاشكال هندسية متشابكة من الالوان والاضواء بصورة أطلق عليها « التكعيبية » ..

وهكذا ظهرت فى أعماله الشظايا المسننة والزوايا الحادة ، التى تشكل مناظر متعددة لموضوع واحد ، غالبا ما تكون مقطوعة الشبه بواقعها فى الحياة .. فلقد قال ذات مرة : « ان الحقيقة لم تعد فى المدرك بالحواس .. انها فى اللوحة المصورة . فحينما يقول المصور التكعيبى سوف أصور قدحا ، فانه يشرع فى عمله انطلاقا من ايمانه بأن القدح



صورة بيكاسو مع لوحة « الولد الشقي »

في اللوحة لا تربطه صلة بالقدح في الواقع .. لم نعد نريد خداع العين ، بل خداع العقل » .

كان بيكاسو في حياته يقول دائما ان تصوره للعيش الرغد هو : « أن تكون ثريا ، ولكن يتعين عليك أن تسلك كرجل فقير » .. وكانت الحياة الرغدة التي استمرأها حقا هي حرية العمل حينما يشاء وحيثما يشاء دون عوائق أو عقبات .. وهكذا ظل يعمل طوال حياته حتى بلغ انتاجه لوحتين أو ثلاث لوحات في اليوم .

***

كان بيكاسو يقيم في فيللا ، في قرية « موتيز » قرب مدينة « كان » في فرنسا وكانت الحياة فيها تتلاءم تماما مع أسلوب حياته ، فلم تكن معظم حجراتها مؤثثة بأثاث فاخر ، بقدر ما هي مهيأة لان تكون « استوديوهات » .

وكانت الجرائد والمجلات « والتابلوهات » وكل ما يحتفظ به على مقربة منه كمراجع جاهزة ، تتكدس فوق الموائد والمقاعد .. وكانت زوجته جاكلين بجانبه أو على مدى السمع منه في غالب أوقات يقظته ، وعلى الرغم من وجود الخدم بالبيت فنادرا ما كان يشعر بوجودهم أحد ..

دأب بيكاسو على الظهور كل يوم قرب الظهر وهو يرتدي البنطلون القصير وينتعل الصندل في الصيف أو البنطلونات التي لا تعرف الكواء « والسويتر » في الشتاء . كان يعمل في ساعات متنوعة منذ سطوع الشمس فاذا ما جاء الليل عمل في حجرة يضيئها مصباح كهربي واحد لا تحجبه ظلة تخفف من وهج نوره .. وكان لا يستخدم « البالت » ــ لوحة الوان المصور ــ ولكنه كان يمزج الوانه ويجربها على ورق الجرائد أو الكرتون . فاذا ما تم له اللون بالدرجة التي يريدها ، فلا يأبى من استخدامه حتى الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل ..

كان الفنان العظيم مولعا بالحيوانات ، احتفظ دائما بكلبين في الفيللا . وكان ضيوفه صفوة من الاقارب وقلة قليلة من الاصدقاء ، من بينهم تاجر التحف دانيل هنري كاهنويلر ، وكنته ، (١) ولويزي ليريس ــ هم الذين كانوا يشترون كل أعمال بيكاسو التي يرغب في بيعها . أما بقية أعماله فكان يبيعها لتجار فرادى واحدة فواحدة ، حتى يضمن لها أثمانا

(١) الكنة اخت الزوجة .

مرتفعة ، بدون أن يخفض من انتاجه أو المعروض للبيع .

درج النقاد على ان يصفوا أعمال بيكاسو بأنها عسيرة الفهم فكان رده عليهم : « اني لا اقرا الانجليزية لكن هذا لا يعني ان اللغة الانجليزية لا وجود لها . ولكن لماذا لا الوم الا نفسي ، اذا ما كنت لا استطيع فهم ما اجهل ؟! » .

ان مزية التصوير الاولى انها شكلت لغة عالمية انسانية يفهمها مشاهدوه جميعا . ان التجارب مع قدامى اعلام الفن من مثل ميكل انجلو ورمبراندت ، وفيلاسكس ، كان دائما هو الاعجاب الفورى والمتعة المباشرة . وكان بيكاسو يعى هذه الحقيقة كل الوعى ، فقد جاء فى ترجمة حياته بقلم فرانسواز جيلو وكارلتون لايك نقلا عنه : « كنت اشعر دائما بان التصوير يجب ان يوقظ شيئا ما فى الانسان الذى يشاهد اللوحات الفنية » و « ان الغالبية العظمى من الناس تنقصهم روح الابتكار ، فكيف نعلم هؤلاء شيئا جديدا . »

***

كانت آراؤه فى النساء صريحة وقوية كانت فى حياته سلسلة من العلاقات النسائية تنقصها حلقاتها أحيانا وتتصل أحيانا .. ولكنها كانت جميلة وممتعة وعلى الرغم من ذلك فقد روت عنه احداهن « ان النساء اما ربات الجمال او العكس على طول الخط .. » ويعتمد الحكم على هذه أو تلك بمزاجه الخاص عند الحكم .

اما آراؤه فى السياسة فتبدو حين كلفته حكومة اسبانيا ـ موطنه الاصلى ـ ابان الحرب الاهلية ، برسم صورة للجناح الاسبانى فى سوق باريس الموسمية العالمية عام ١٩٣٧ ، استجاب لهذه الدعوة فعمل لوحة « جورونيكا » حاملة اسم القرية التى دمرتها القنابل وشردت أهلها الحرب . وهى لوحة من القماش السميك كبيرة تغطى سطحها رموز الحروب والدمار الذى لحق بهذه القرية المنكوبة المنكودة .



بول بن بيكاسو فى حلة المهرج رسمها فى عام ١٩٢٤



رسم امرأة يتمثل فيه الصورة الجانبية للوجه مع الصورة الكاملة له



رسم تفصيلي من لوحة كبيرة هى « التروبادورز »

ويعدها بعض النقاد أروع انجازاته .

وكان بيكاسو شديد الثقة بنفسه منذ صغره . كان الابن الوحيد لوالديه اللذين فتنا به حبا .. وكان والده ، دون جوزيه رويز ، مصورا ماهرا ، وأستاذا في كلية برشلونة للفنون الجميلة . لقن ابنه أصول حرفته كما سمح له ، وهو صغيرا بمساعدته في أعماله الفنية . وعند بلوغه الثانية عشرة من عمره سلمه أبوه « البالت » الخاصة ، رمزا الى أن ابنه قد تفوق عليه ..

كان دخول كلية الفنون في برشلونة يتوقف على النجاح في امتحان للرسم يستغرق المتقدم له شهرا من الزمان ، لانجازه . ولكن هذا الامتحان لم يكلف بابلو الا يوما واحدا ، واحرز قصب السبق فيه ..

وبعد مضي عامين وهو في السادسة عشرة من عمره ، حقق النصر لنفسه بدخول اكاديمية سان فرناندو الملكية في مدريد . وما كاد يبلغ التاسعة عشرة حتى أعد العدة للسفر الى باريس . ان ثقته بنفسه عند رحيله تتمثل في صورته الشخصية التي نقش على جبهتها عبارة « انا الملك » ثلاث مرات !

عند منعطف القرن كانت باريس مدينة تزخر بعوامل الاثارة الخلاقة خاصة في عالم الفن .. وكان بيكاسو في شبابه جميلا فاتن الصورة بهي الطلعة له عينان سوداوان نهمتان ، وقد عوضته هذه الصفات عن النقص الذي كان يستشعره بسبب قصر قامته التي لم تكن تتجاوز خمسة اقدام واربع بوصات ، وصغر حجمه . ولكنه في الوقت نفسه كان يمتلىء حيوية جياشة وذكاء حادا .

وشارك بقسط وافر ، وهو سعيد ، في المعركة التي كانت تستعر بين الفنانين في حي « مونمارتر » حيث سكن شقة متداعية آيلة للسقوط ، كان هذا الحي مركز الاختمار الفني ، واصبحت شقته قبلة شباب الفنانين والكتاب ومركز تجمعهم .

استطاع الفنان العبقري أن يستوعب بمهارته الفائقة وفي سرعة مذهلة ، الابتكارات التي دخلت عالم الفن على يد صناع السلام في العقود الماضية من قبل كورو ، وفان جوخ ، وجوجان ، وسيزان فما أن لاحت في الافق شمس عام ١٩٠٦ حتى اصبح مشهورا بلوحات المهرجين الحراني وسكان المدن الجياع .

ولكن بيكاسو كان مدينا ، اولا وقبل كل شيء ، بشهرته ، الى لوحة صورها في ربيع ١٩٠٧ ، عرفت باسم « نساء افنيون » ، فقد كونها على أسس المذهب التكعيبي في الفن ، الذي صار التعبير الجمالي الاسمى في ذلك العصر .

كانت ردود الفعل الاولى للوحة « نساء افنيون » لدى نقاد الفن وتجار التحف والمصورين الذين شاهدوا اللوحة غير مرضية ، ولكن قلة من نبلاء النقاد والفنان جورج براك ، رأوا فيها نور فجر جديد في سماء الفن . وكانوا على صواب ، فما أن وضعت الحرب أوزارها حتى صارت التكعيبية الاتجاه السائد في عالم الفن .

وبعد مرور عدة سنوات لخص بيكاسو تطوره الفني قائلا : « في سن الثانية عشرة استطعت أن أرسم كما رسم رفائيل . واستغرقني طوال حياتي كيف اتعلم أن اصور كما يصور طفل »

بقي بيكاسو حتى سن التسعين وبعدها حتى وفاته ، يفكر في نفسه كملك ، كما كان يفعل في سن التاسعة عشرة . كان يعيش في « بلاط » ملكه الخاص ، ويعتبر نفسه مصور بلاطه الملكي .

ومهما تكن الاتجاهات التي تحول اليها الفن بعد وفاته ، فان مسار الفن ، من بعده ، بالتأكيد ، والى حد بعيد ، قد تشكل بقوته الدافعة التي لا تتذبذب ، وحيويته التي لا تفتر ، وبراعته التي لا تبارى .

●●

تجيئين أنت

● محمد علي عبد العال ●

مشيت وحيدا ثقيل الخطـا
وجاء الربيع كثير العطا ..
وبعد الليالي التي أوجعت
تجيئين يا زهـرة أينعـت
بسحر العيون التي أخضعت
وقلب حنون به أشبعت !

***

فيا للقضاء ويا للقـدر ..
وبعد الجفاف يجيء المطـر !
وتخضر أرضي ويزهـو الشجر
ويضحك قلبي لماض غبـر ...
وأنسى بأني هجـرت البشر
وأبصرت فيهم عيـون الخطر !

***

تجيئين أنت كأن لم أكـن !
قضيت الحياة غـريب الوطن ..
أفتش أبحث لي عن سكن
وأصرخ ، يجثم فـوقي الزمن ..
ويكتم في دبيب الشجـن !

***

تحسست نفسي تعلقني أصدق
نظرت إليـك وصمتي مطبـق
وأيقظت نفل فعطـرك يعبـق

***

تجيئين أنت وبعـد انتظار
وياكم خشيت فـوات القطار ..
بلهفة عمـر رويت الأوار
وجدت الحنـان وجدت القرار



يونس .. والعودة

• يسن الفيل •

مثلما « يوسف » عاد
من غيابات الظلام السرمدى .
عاد للشاطىء يونس ..
بعد يأس قاتم الابعاد ـ عاد
بعد ما ألقوا به للموج حيا
واحتواه الحوت صيدا عالميا ..
عاد انسانا سويا .
لم يذب فى جوفه ،
لم يتهرأ .
لم يمت والموت مكتوب عليه ..
شلت الاضراس والانياب حتى عن يديه
لم يعش فى القاع فكرا همجيا ..
عاش فى المحنة ذكرا
عاش فى الظلمة تسبيحا وشكرا
عاش نبضا منطقيا ..
بعد ما القوا به للموج حيا
واحتواه الحوت .. عاد
عاد للدعوة واشتياقا عبقريا ..

• • • • • • • •

اه يا « يونس » هذا العصر
ما أحراك ان تغدو نبيا
تنقذ العاصين من يوم يشيب الطفل فيه
ترجع الشارد للصف
وتجتاح اعتزازا جاهليا
اه « يايونس هذا العصر »
ليت الحرف سيف !
لم يكن حوتك حوتا .
كانت الحيتان الفا
كل حوت يتلهى
كل حوت يتشفى
وزمان الجوع لم يمنحك حرفا
اه .. لم يمنحك ثوبا او رغيفا
اه .. لو انك فى الغاية ارقاما . حروفا
لملأت الارض جمعا
وملأت الافق طرحا
لاحلت الغابة الخرساء بالايات فرحا ..
غير ان الله لم يمنحك نبعا جاهليا ..
انما اعطاك احساسا خفيا
ويقينا عبقريا ..
انما اعطاك الهاما ما به تغدو : نبيا ..



بمناسبة الكلام
عن
القاهرة الكبرى



روما

مدينة الحدائق والزهور والآثار والتاريخ والمتاحف والموسيقى

● هذا الاستطلاع عن روما ننشره ليكون عبرة ودرسا للمسئولين عن مدننا ، فهذه مدينة قديمة عمرها اكثر من ٢٠٠٠ سنة ويسكنها نحو ٧ ملايين ومع ذلك فما زالت فى الغاية من الجمال والنظام ، وحدائقها تسر القلب ومتاحفها وآثارها متعة ، ويزورها فى كل عام نحو ٣٠ مليونا من السائحين كلهم يخرجون منها يتمدحون بجمالها ٠٠ فلماذا لا ننظر كيف يحافظون على مدينتهم لكى نفعل مثلهم فى مدننا التى تزداد سوءا يوما بعد يوم ●



سلم ميدان اسبانيا : بيازادي اسبانيا في روما . يعتبر من أشهر معالم المدينة . لقد بنى السلم في سنة ١٧٢٣ الفرنسيون لان الطريق الصاعد من ذلك الميدان الى الدير الفرنسي اعلا التل كان مغطى بالطين دائما . الدير يسمى رينيتا دي مونتي . في المنزل الذي على يمين الصورة اعلا السلم مات الشاعر الانجليزي كيتس . وعاش الشاعر بايرون قرب ذلك البيت فترة طويلة . ما اجمل الزهور الحمراء والبيضاء التي تزين ذلك السلم .

رومـــــــا

يبلغ عمـــر مدينة روما الآن ٢٧٣٠ سنة ولا تزال من اجمل مدن الدنيا ، فشوارعها فسيحة تزينها الاشجار ، وميادينها متعة للعين والجلوس في مقاهيها يملأ القلب راحة ، لان اهـل روما من أكثر النـاس مرحا ، ونساءها من اكثر نساء الدنيـا أناقة ، ومطاعم روما تقدم اشهى الاطعمة ، ومع ذلـك فهي مليئة بالنـاس دائما رغم أن اسـعار الوجبات في المطاعم اصبحت لا تصدق .

ولا يزال حي التراستيفيري في روما من اجمل احياء المدن في الدنيا ، فمبانيه زاهرة وشوارعه تزينها البيوت الجميلة وعلى نواصي الشوارع تقـوم مقاه لطيفه وخاصة على ضفاف نهر التيبر او التيفيري حيث تستطيع ان تجلس في الصباح وتشرب اجمل فنجان من القهوة الاسبرسو

وقد كانت مدينة روما قائمة قبـل الرومـان ، لان الـذين انشـأوها هم الوتروسكيون ، والسهل الذى تقع فيه روما يسمى اتروريا في اقليم لاتيـوم . وعندما سكنها الرومان وعمروها جعلوا منها اعظم مدينة في الدنيا ، ولم تشهد عاصمة من عواصم العصور القديمة من المجد ما شهدته روما أيام الجمهـورية والامبراطـورية ، فمن روما خـرجت الجحافل التي غزت الدنيا وأنشات أعظم امبراطورية انشـأها البشر قبـل دولة الخلافة الاسـلامية .وهنا عاش رجال كتبوا مجلـدات من تاريخ البشر مثـل بومبي وسـولا والاخـوين جراكوس ويوليوس قيصر وانطونيو واوكتافيوس قيصر . هنا حيث كنوز الدنيا وازهرت الحضارة وقامت المنشـآت الكبرى التي لا تزال آثارها تبهر العيون الى اليوم .

❋❋❋

روما أيضا رأت من البؤس ما لم تره عاصمة اخرى من عواصم الدنيا ، فقد خربها جنود الرومان انفسهم اكثر من مرة ، ثم خربها المتبربرون الجـرمان ،

ومرت بها عصور فقر ودمار في العصور الوسطى ، وفي اثناء الحـرب العالمية الاولى والثـانية قاسى أهل روما الجو وتعرضوا للصوص والسطو والمجاعة .

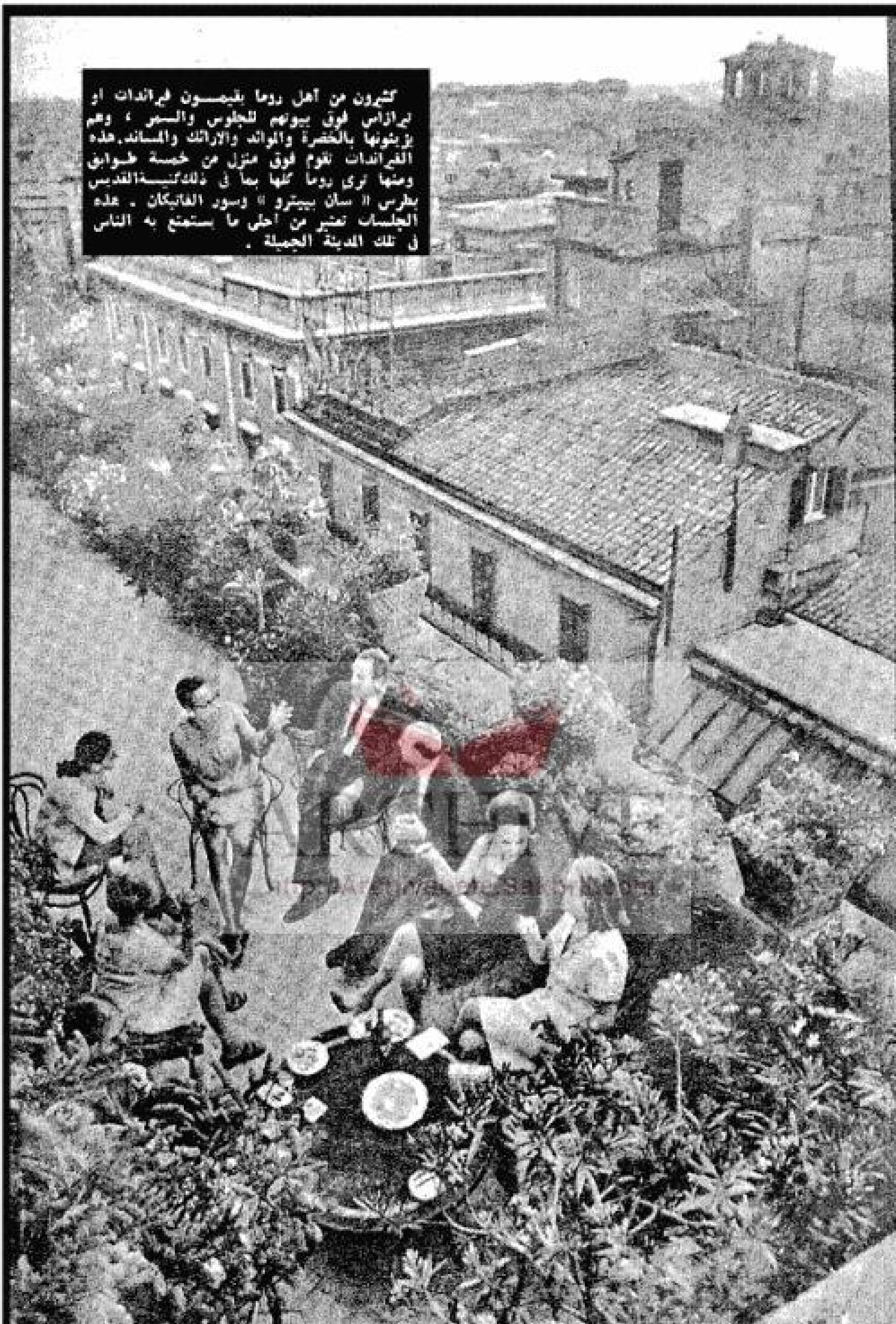
ومع ذلك فما زالت روما هي روما ، لا تزال متعة للعين والنفس . ولا تزال حدائقها وخضرة اشـجارها في الربيع والصيف تبهر الابصار . وفي روما أكثر من ٣ ملايين سيارة ، وكلها تتدافع في سرعة خاطفة ، ولكنك تسـتطيع عبور الشوارع بأسهل مما تعبر شـوارع القاهرة ، والارض هنـاك ليست حفرا ونقرا ومن النادر أن تسمع عن انفجار ماسـورة مياه . والسبب في ذلك ان الناس هناك مدنيـون يعرفـون كيف يستعملون مدينتهم وكيف يحترمونها . أما نحن فلا نعرف احترام المدن . نحن نستعملها ونخربها .

❋❋❋

ويحكم روما أو يديرها مجلس بلدى مسئول عنها ، ورئيس هـذا المجلس ينتخب النواب وللمدينة ميزانية ضخمة تقدر بمبلـغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ دولارا ، وهذا المبلغ تحصله المدينـة ضرائب من أهلها ، لان سكان العواصم الاوروبيـة الكبيرة يدفعون ضرائب خاصة بالمدينة نفسها ، ولكن منشآت روما والمحافظة على البلد يتكلف اكثر من ذلك المبلغ ، ولهذا فان بلدية روما تستدين من البنوك ويبلـغ ما تدفعـه ارباحا لديونها ١٤٤ الف مليون دولار .

وتشكو روما من متاعب لا نهاية لها ، اهمها أزمة المساكن ، فان الناس يزيدون والطلب على المسـاكن الجديدة يزداد والارض يرتفع سعرها ، والمدينة تتوسع في كل اتجاه .

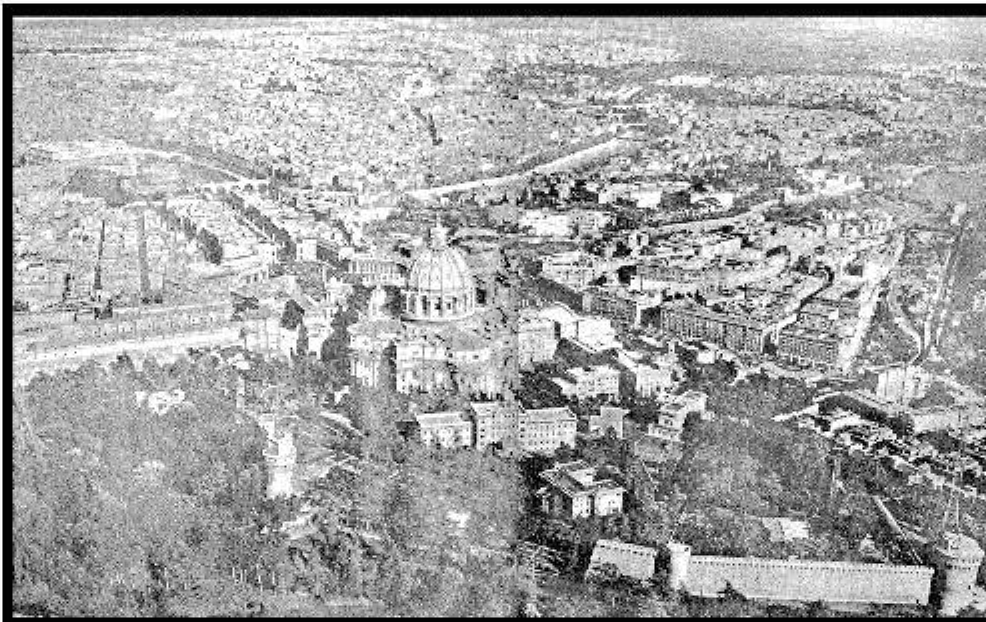
ولكن هناك أيضا المتسللين الى المدينة من الارياف ويبلغ عددهم الآن نصـف مليون ، وهؤلاء يعمدون أحيانا الى اقامة بيوت خارج البلد بدون اذن من الحكومة والقانون هناك يحـرم هدم أي بيت له



كثيرون من أهل روما يقيمون فيراندات او ترازاس فوق بيوتهم للجلوس والسمر ، وهم يزينونها بالخضرة والموائد والارائك والمساند. هذه الفيراندات تقوم فوق منزل من خمسة طوابق ومنها ترى روما كلها بما في ذلك كنيسة القديس بطرس « سان بييترو » وسور الفاتيكان . هذه الجلسات تعتبر من أحلى ما يستمتع به الناس في تلك المدينة الجميلة .



الكوليزيوم من اشهر الآثار الرومانية في الدنيا ، وهو ملعب روماني بني من ١٩٠٠ سنة ، وكانت تقام به العروض المسرحية ومطاردات الوحوش ، كما كانوا يلقون الاسرى للسباع لتفترسهم والجمهور يتفرج . لقد تهدم جزء كبير منه ولكنه لا يزال بهيئته الثائقة من اجمل مشاهد روما .



مباني روما كلها وردية ، وهذا هو لون الطوب الذي توجد مادته من التلال المحيطة بروما . وقد يطلون الطوب بعد ذلك بطلاء وردي مشابه . والمدينة جميلة جدا من الجو تزينها حدائق وربوات ذات خضرة دائمة . وفي داخل البلد تقوم مدينة كاملة وعاصمة دولة هي الفاتيكان يحيط بها سور ذو ابراج ترى هنا قطعة منه . وفي وسط الصورة ترى كنيسة القديس بطرس بقبتها العظيمة العالية وميدان سان بيترو امامها . خلف الكنيسة توجد دار البابا وادارات مدينة الفاتيكان . لاحظ وحدة المباني في الهيئة والارتفاع واللون .

تشتهر روما بمطاعمها وبما تعرضه وتقدمه من الأطباق الشهية والمشروبات التي يولع بها الغربيون عموما . وليس شـــارع الحب ولا أشهر من منظر مائدة في صيفه العام حيث يقـــوم بالخدمة فيه جرسونات يعتقدون أنهم فنانون في تقديم الطعام وخدمة العملاء .



أناقة الروماتيـــات وولعهــن بعرض أزيائهن أمر مشـــهور ، واشتهر منه ولع رجال روما بالنظر إلى السيدات ومطاردتهن بالعيون والكلمات . ونساء روما يعجبهن هـــذا الغزل حتى ولو كن في الستين . هذا شيء درجن عليه من مئات السنين حتى أصبح من العلامات المميزة لروما والحياة فيها



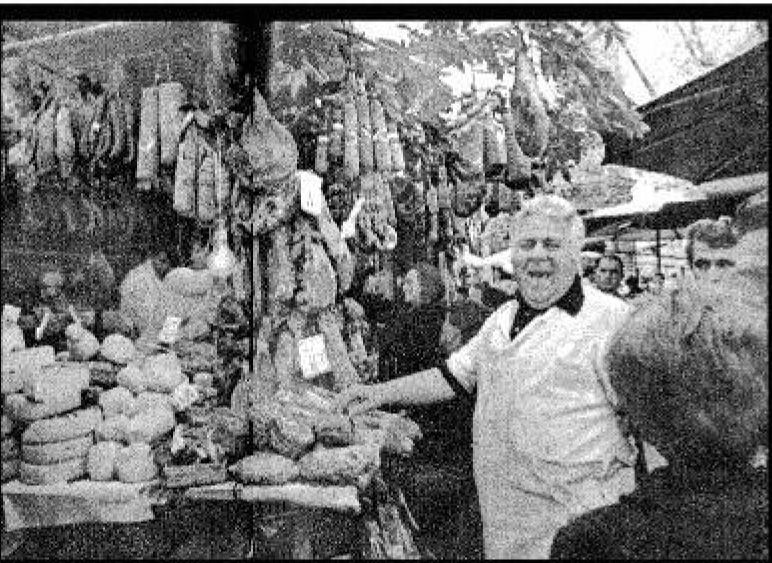


حادث في شارع في روما : تصـــادم سيارة مع أوتوبيس ، في الحال ترتفع الصيحات والسباب ويتجمع الناس للفرجة . رجل البوليس يحاول الآن يدخل ليفصل بين المتشاجرين بينما يحاول أحد المارة تنظيم المرور كأنه جندي مرور . ثم تهدأ الأصـــوات وينتهي النزاع فجأة بذهاب السائقان إلى قسم البوليس .



هنا نرى آثار روما القديمة خارج البلد . هنا انشأ اوائل الرومان مبنى الفوروم ليكون سوقا للبلد . وخارج الفوروم نشأ شــارع يسمى الساكرافيا اى الشارع المقدس . هنا كان الرومان يجتمعون ايام الانتخابات . فالشعب ينتخب النواب او اعضــاء مجلس الشيوخ . وفي الصورة نرى معابد الرومان القديمة والاعمدة التذكارية التى اقيمت لكاستور وبولوكس وهما رمزان لكل مقاتل الرومان الذى غزوا نصف الدنيا .

في الافق البعيد نرى قوس نصر اقامه الامبراطور تيتوس ليخلد انتصاره على اليهود في القدس سنة ٧٠ ق . م . العمود الذى على اليسار اقيم تذكارا للامبراطور فوكاس من اباطرة الدولة البيزنطية في القرن السابع الميلادي .





حواري روما لا تقل جمالا عن شوارعها - هنا في حارة صغيرة مبلطة بالحجر تجلس هاتان السيدتان تتحدثان في هدوء بينما نامت قطة على مقعد الى جوارهما .

أكبر سوق لمواد الطعام في روما هو سوق فيتوريو ايمانويل الثاني - هنا يعرضون عشرات الاصناف من كل نوع من انواع الطعام وخاصة اللحم - بل ان روما تشتهر بلحم الخنزير وما يصنع منه من نقانق (سجق) وغيره . والبائعون ينادون على بضائعهم بنداءات تقليدية تاريخية معروفة .

بطلب ، ولهذا فان اولئك الناس يبنون البيت في ليلة واحدة ويسكنون فيه ، فلا تستطيع الدولة اخراجهم الا بقضايا طويلة . وروما اليوم محاطة بنطاق من هذه المباني القبيحة . ولكن الدولة لا تستطيع شيئا . وقد حدث أن نفرا من الساكنين هؤلاء اقاموا مساكن على أرض احدى الحدائق ، فبادرت الحكومة في اليوم التالي بازالتها وطرد الناس . فذهب أصحاب البيوت الى البرلمان وتولى الحزب الشيوعي الدفاع عنهم ، وكاد البرلمان يقرر أن لهم الحق في البناء في الحدائق ، ولكن مجلس الدولة قد أصدر حكما بأن ذلك البناء غير قانوني .

وتعاني روما اليوم من الشباب المتسكع ومن عصابات اللصوص ومن مدمني المخدرات والسكارى بحيث أصبح السير بالليل في شوارع روما أصعب من القاهرة - ولهذا ينصحون أي زائر لروما بألا يتأخر خارج الفندق بالليل .

***

ورغم ذلك كله فروما لا تزال هي روما ، حتى شوارعها الصغيرة وحواريها كلها جميلة ، ولا ينسى الانسان قط جمال الكولوسيوم رغم ما تهدم منه . فلا يزال هيكلا للمبنى العظيم الذي انشىء من ١٩٠٠ سنة قائما الى اليوم ، وهو يستعمل مسرحا . والميدان الذي يحيط به ربما كان اوسع ميادين المدن في أوروبا .

وفي روما تقوم مدينة الفاتيكان الصغيرة . وهي عاصمة دولة البابوية . وهي في ذاتها آية في الجمال وخاصة كنيسة القديسين بولس وبطرس وهي أجمل كنيسة في الدنيا . والميدان الواسع أمامها ودائرة الأعمدة البديعة من عهد موسوليني .

***

لقد قال الشاعر الانجليزي برسي بيش شيلي : اذهب الى روما ، انها في نفس الوقت الجنة والقبر والمدينة والغابة والارض البرية الخلوية ولم ينطبق هذا القول على روما في وقت من الاوقات كما ينطبق اليوم .

د . حسين مؤنس ●●



البنشيو من أجمل الاماكن بجوار روما وهو يحفل دائما بالناس وخاصة في أيام الآحاد . هنا يوجد مسرح عرائس صغير يسمى تياترينو دي بولتشينيلا نسبة الى منشئه وهو من أهل نابولي . وهو يقع قريبا من فيلا بورجيزي بحدائقها الواسعة وهي حدائق خاصة لا يدخل اليها الجمهور هنا في هذه الحدائق تقوم السفارة المصرية



روما تنافس باريس في صناعة ملابس السيدات . وفي شارع فيفتو تقوم اكبر دور الازياء في روما حيث تصنع نصف ازياء النساء في الدنيا في الصورة نرى صانعة الازياء تجرب ثوبا على احدى العارضات اي المانيكان ، بينما وقفت اخرى تتفرج . ان ايطاليا تبيع من ازياء السيدات والرجال ما يقدر بثلاثة آلاف مليون دولار في السنة

عودة الشمس



● عبد الهادى النجار ●

حسنها يشرح صدرى
طلقة الروض الندى !
بـرواء مسـتهام
وغـرام عبقـرى
او بهمس البشر يزهـو
فى صباح مزهـرى
فهى اوتارى اللـواتى
كفكفت دمـع الشقى
وهى ترنيـم اتزانى
وانطلاق شـاعرى

●●●

ايها الحالم غـرد
بسحرها يروى الظمى
لم يكن حبى هـواها
غير عشـق بدوى
غير اعظام حداها
وشـموخ قيصرى
لهف نفسى لست انسى
ذلك النبع الشـهى
آنسـتنى ، فى ليال
شدوها يغوى الشجى !
هذه البضـة نهـر
وغـدير عـنبرى

لسـت ادرى الروع
فى محيـاها سخى
ام لغصن سـمهرى
ام لشـعر عسـجدى
ام لهام يتسـامى
ام لسـاق مرمـرى
ام لطرف يتهـادى
فى خـليج زنبقى
ام لجـود يفتـديها
ام لصـحو كوثرى

●●●

احتسى خمر سناها
ملهم الـروح هـنى
يا صـحابى باركونى
عيد لقيـانا البهى
وانثروا ورد الأمـانى
عانقى الـزهر الوضى !
رب حلم فى خيـال
شـفنى حينـا غنى
ولأمـر لسـت ادرى
كنهــه دوى دوى
تهبط الأفـراح فـوقى
كلمـا آب القصى ...

الهجرة إلى العالم الآخر

ارسل بصره الشارد الى عرض البحر .. اين شاطئه الثاني ؟ آخر الدنيا ؟ !

ترعة الفلاحين التي تمر بقريتنا تبدو كخيط رفيع بجانبه ... لماذا ركبت راسي وجئت الى هنا ؟ ليتني لم اسمع كلام بدران ! ..

جلس ، طلبا للراحة ، الالم ينبع في ظهره ، اطرافه .. يبلغ تعب النهار التفاع ؟

غسل وجهه بحفنة ماء ... لماذا لم تطفىء لهيبه ؟ ما زالت النار مشتعلة في عروقي ؟ في حلقي طعم التراب والعرق ! ..

تلفت حوله ، الا توجد شجرة تقيني وهج الشمس ؟ .. عندما كنت اعمل في حقول القرية .. ويأتي وقت الظهيرة فهناك مئات الاشجار تحيط بي ... اجلس تحت توتة شيخ البلد ، « اكرع » تحت جميزة الجسر ، و ... و ... آه الحنين يخنقني للعودة الى قريتي ؟ ..

حط عيناه على الشاطيء . ما هذا الذي يشبه البجير ؟ ملح ؟ اصبحت ايامي هنا ملح البحر ؟ ..

لم طائرا ... عندما ركبت الطائرة . كنت سعيدا .. رحت احلم ما اشاء من الاحلام ظننت ان الامل الذي عشت في ارهابه سابق قد تحقق

ارتطمت يده بنبات شوكي . عض شفته كنت تظن ان الطريق هين مفروش بالورود . ان حياة لذيذة ستفتح لك ذراعيها ، ولكن .. !

تنهد . قامت يده الى جيبه . مست اصابعه تفاحة . كنت احلم ان آكل التفاح يوما ما ... الخيار او البصل في قريتي له طعم السكر ... اللحم هنا كثير . لماذا فقد التفاح واللحم مذاقهما ؟ لانني بعيد عن اولادي وامي وزوجتي ؟ مرارة الغربة تملأ فمي !

اعتصر رأسه بيديه . لو كانت قراريطي الثلاثة اندلة لما جئت الى هنا ... انها ارض على كل حال . تنبت الخير . تدر المال . كنت ارويها من عرقي . تعطيني تمرا وحبا وامنا . هنا احس بأن كل شيء يتآمر علي ، الرمال ، النباتات الشوكية ، المياه المالحة و...

– هل معك اوراق رسمية ؟

و .. الا يكفي رجال الشرطة ؟ !

– انني ...

– اين جواز السفر ... الاقامة ؟

قامت يده على جواز سفره . اذا خرجت الانفي نسيتها قبل ان اتأكد من وجود النقود في جيبي الحسن جواز السفر ... لو سرت خطوة بدونه يخيل الي ان وحوشا تحاصرني ، تتهيأ للانقضاض على ظهري . تتلقفني . تلقي بي عبر السلك الشائك !

عندما اسير لا اكف عن التلفت حولي ... في قريتك يا صابر كانت القروش القليلة التي تشخشخ في جيب الصديري تكفي كل شيء ... الحياة تسير ، لها طعم . لم تشعر يوما بالقلق .. الخوف . الضيق وعدم الاطمئنان ... اثناء عودتي من الحقل في منتصف الليل .. يتنحنح الخفير : من هناك ؟

– انا ... انا يا عم سرحان !

يسكت ... لا يكلف نفسه مشقة معرفة اسمي !

خيوط العرق تزحف على قفاه ، مسحها بكم جلبابه ، حتى الشمس هنا حارقة ، منذ يومين « لطشت » احد الرجال . مات ... ماذا سيفعل أولاده وزوجته عندما يصل اليهم الخبر ؟ ماذا سيقولون حين يصل اليهم في صندوق خشبي ؟

« ذهبت الى هناك على قدميك .. عدت الينا في نعش ؟ »

عندما غادرت القرية بكت امي :

يا صابر رب هنا رب هناك ... اجلس معنا ، مستورة والحمد لله . لا داعي للشحططة

جرش اسنانه ... بدران هو الذي شعلل لي دماغي حكاية الحضور الى هنا . لم افكر يوما في السفر ... العجيب انه الآن يبكي :

– كانت شورة مهببة عندما فكرت في المجيء الى هنا !

لم التق ببدران يوما في قريتنا الا وتنهد لهيبا .. سب كل شيء ولعن الحياة في القرية . منذ اسبوعين انطوى على نفسه ... اصبح يمتدح القرية :

– العيش والملح في قريتنا افضل واحلى من اللحم والتفاح هنا !

ما الذي غيره هكذا ؟ كان يقسم : اذا غادر القرية لن يعود اليها . لم تمض ثلاثة اشهر حتى انفجر صارخا يطلب العودة .. شعر بالشوق والحنين الى القرية ؟ ادرك الآن عمق حبه لها ؟

التقط من جيبه ورقة نشرها . تحمل تحيات وسلامات . حدث شيء خطير تغلبه على زوجتي . قالت نسبة من بين اصابع الجرو الركب وه ستحمل سلامي وتحياتي الى واحد في قريتي ستمسح على جبين اولادي وامي وزوجتي ...

البل سليم منكس الراس . يؤلمني رؤية الرجل حزينا .. سيعود الى ما قادل عن البقاء هنا .. كم مرة حدثني في هذا الشأن ؟ خمس مرات . مائة مرة ؟

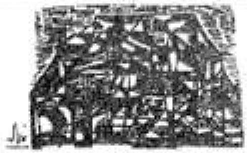
– صابر .

يقززالني سأسمع كلامه ؟ سألتي به في البحر والله يحب المحسنين

– يا صابر !

جئت الى هنا وراء امل خادع . في الصباح كنت احفر في الرمال . تملكني العطش . تلفت حول . لمحت نهرا . اسرعت نحوه ... ابتعد

– يا صابر فكر قليلا ...



● عبد العزيز الشناوي ●

الموضـــوع ليس في حاجة الى تفكير . كانت تجربة خاسرة

ـ يا صابر كل واحد جاء الى هنا . عاد ومعه نقـــود .. اشترى فدانين و ... لست اول ولا آخر من ترك قريته ...

ـ لقد تحدثت كثيرا ياسليم . وصابر ساكت .. اليس هذا دليلا على رفضه البقـــاء معك ؟ التفتا وراءهما . وجدا بدران :

ـ لو « لطشـــت » الشمس احدنا ، ولحق بزميلنا الذى يرقد في النعش ؟

أموت بعيـــدا عن زوجتي واولادي . ولا تراني امي واخـــوتي ؟ قول بدران فجر في اعـــماقي أحاسيس كنت قد نســـيتها في زحام الحزن . القلق والحيرة الذي يحاصرني منذ ان جئت الى هنا . العام الماضي كنت اعمل مع رجال الترحيلة .. احسست بالم في جنبي . سقطت على الارض أتلوى ... يداى . قدماى تضرب الهواء . التف رجال قريتي حولي . حملوني الى المستشفى

ـ تموت في بلاد الخلق يا سليم ؟

زمجر سليم :

ـ لماذا وافقت على الحضور .. ؟ لعبة عيال ؟ الست صاحب فكرة المجيء الى هنا ؟

ـ كانت غلطة . اشياء كثيرة نفعلها في بعض الاحيان ونحن أشد ما نكون كرها ونفورا منها

دق سليم الارض بقدمه :

ـ اذا لم توافقا على البقاء معي سأظل هنا بمفردي !

في الصباح دق بدران باب الحجرة الصـــغيرة التي ننام فيها :

ـ يا صابر سوف أذهب الى السفينة التي قدمت أول أمس الى هنـــا . ربما نعود فيهـــا اليوم .

هتف بدران :

ـ الخسارة القريبة خير من المكسب البعيد !

عقد سليم ما بين حاجبيه :

ـ كيف تعود من نصف الطريق يا صابر ؟ ماذا ستقول لزوجتك ؟

تعود الى زوجتك بلا نقـــود ؟ كانت أحلامك شامخة . تنطح السحاب يا صابر .. لكن ..

ـ بأى وجه ستقابل أهل القرية .. ياصابر ؟ ماذا سيقول أهل القرية عندما اعود .. ؟

« عاد صابر كما ذهب ؟ »

« ليس رجلا . كل من سافر جاء وجيبه مملوء بالنقود .. »

كيف اخرس هذه الالسنة ؟ اعمى تلك النظرات المبللة بالشماتة ؟ اأكذب وادعى انني .. ؟ لم اتعـــود الكذب .. حرام .. لو نطقت بالحقيقة سوف يسخرون مني . كيف اخفيها ؟ ستعلن عن نفسها بعد أيام من عودتي ...

هز سليم رأسه :

ـ من أين ستسدد النقود التي اقترضتها من ابن عمك يا صابر ؟

كيف غاب عن ذهني انني استلفت خمســـين جنيها من ابن عمي ؟ ماذا سيقول لي عندما .. ؟

« لم تســـتر نفسك .. لو رفضت ان اقرضـــك لغضبت . تظن انني لا احب لك الخير . كل من سافروا عادوا وجيوبهم منتفخة بالنقود . وانت ستظل طول عمرك تعمل في الحقول ولن تســـدد ديونك .. الا اذا بعت قيراطا من ارضك » .

« انت لا تعرف الظروف التي مرت بنا .. »

« كل من سافر لم تقابله ظروف .. ؟ »

همس سليم :

ـ لا تسافر يا صابر . ربما تحسنت الظروف في الغد . اصبر حتى تكون لنا قرشين

اشار بدران نحو السفينة :

ـ من الممكن ان نسافر على ظهرها ...

عبث زوربة . أخفى عينيه بيديه . حتى الجو هنا . يحمل تنبؤات لا أستطيع تحديدها .. ! أطلقت السفينة صفيرها . تستعجلني في اتخاذ قرار ؟

وثبت الى ذهنه صورة ابنه . يمد يده الصغيرة اليه . مصافحا وهو يركب القطار . كانت في عينيه البريئتين نظرة وداع . ادرك ذلك الصغير انني سأسافر بعيدا ؟ لن أعود الا بعـــد أيام طويلة ؟

جذبه بدران من كتفه :

ـ هيا يا صابر ...

في اللحظة التي هممت فيها بركوب القطار جذبني ابني الاوسط من ذيل جلبابي :

ـ لا تنس القطار الصغير الذي يســـير على القضبان !

وضع بدران يده على ذراعه :

ـ هناك اجراءات لابد من اتمامها قبل رحيلنا ... يا صابر

اعود خائبا من حيث أتيت ؟ ستغضب امي اذا لم اقدم لها الجلبـــاب القطيفة . وزوجتي التي وعدتها بعقد ذهبي بدلا من عقد الكهرمان . اكدت لها انني سأبتاع لها قرطا هلاليا كبيرا ... واولادي ، كيف تلتقي عيناى بعيونهم ؟ يريدون ملابس جديدة و .. و .. و .. ارجع اليهم صفر اليدين .. !

ـ لماذا ســـكت يا صابر ؟ ستأتي معي أم اذهب بمفردي ؟

نهض واقفا . وضع يده تحت ابط سليم . أوليا ظهرهما للسفينة !..

●●

ضحى الإسلام

للدكتور أحمد أمين

● محمد الساكت ●

● حفلت حياة احمد امين بالكفاح العقلي الخصب المثمرة ، فقد كان صفحيا ، واديبا ، ولغويا ، ومؤرخا ، ومحققا ، وفيلسوفا .. وقد كتب في كل هذه النواحي ، وخلف فيها آثارا قيمة ، وكان من اوسع مفكرينا المعاصرين ثقافة ، وافسحهم مجالا .

ولقد ولد احمد امين بالقاهرة في أول اكتوبر سنة ١٨٨٦ لأب تعلم في الازهر واخذ هذا الأب يعني بابنه فاسلمه الى كتاتيب مختلفة ، حفظ فيها القرآن الكريم ، ثم التحق بمدرسة والدة عباس الاول ، والتحق بالازهر الذي مهد له أن يتدرج طالبا بمدرسة القضاء الشرعي حتى نال درجة العالمية سنة ١٩١١ ،وعلى اثرها عين أحمد أمين مدرسا بمدرسة القضاء الشرعي ، واستمر في هذا العمل حتى سنة ١٩١٣ ، وعمل قاضيا شرعيا في محكمة أسيوط ، ومنها انتدب لمحكمة الواحات الخارجية ثم قاضيا في محكمة طنطا ، وأخيرا انتقل الى مصر منتدبا بمحكمة الازبكية والتي ظل بها حتى سنة ١٩٢٦ .

وعندما كان احمد امين يعمل قاضيا يحتكم الى عقله واجتهاده ، عرض عليه الدكتور طه حسين أن يكون مدرسا بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، فقبل راضيا مسرورا لحبه للادب وشغفه بالتدريس ، وفي هذه الفترة أملت عليه ظروف العمل بالجامعة أن يخلع العمامة والجبةوالقفطان ويصبح في عداد « المطربشين » ، ويرقى الى وظيفة استاذ مساعد بكليته ثم استاذا للادب المصري الاسلامي ، ويصبح عضوا في جامعة القاهرة .

وفي سنة ١٩٣٩ عين عميدا لكيته ، وأخذ يعمل على تنظيم الحياة الاجتماعية بها ودعم الصلة بين الاساتذة والطلبة .

وفي أثناء عمله بكلية الآداب اختير عضوا في المجلس الاعلى لدار الكتب ، وعضوا في المجمع اللغوي ، فاسهم في العمل به مساهمة قوية ، أتاحت له الوقوف على كثير من المشاكل اللغوية والادبية .

***

والدكتور أحمد أمين تجربة رائدة في عالم الصحافة ، فقد انشأ مجلة الثقافة سنة ١٩٣٤ وكان مديرا لها .. ولقد كانت المجلة أشبه بمدرسة أدبية يمارس فيها الادباء كتاباتهم وينشرون على صفحاتها انتاجهم ..

وكان لأحمد أمين نشاط كبير في مجلات دار الهلال وخاصة مجلة الهلال .

وفي سنة ١٩١٤ أسس لجنة التأليف والترجمة والنشر وظل رئيسا لها منذ

تأسيسها ، وفى سنة ١٩٤٥ انتدب وهو استاذ بكلية الآداب مديرا للادارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم فنهض بها وأنشأ الجامعة الشعبية وأرسى قواعدها

وعندما انخرط أحمد أمين فى سلك الجامعة اخذ يتفرغ للحياة العلمية الخالصة التى كان يؤثرها ، واخذ اختلاطه بعناصر هذه البيئة الجديدة من الباحثين المصريين الذين تعلموا فى الجامعات الغربية ومن الغربيين انفسهم الذين كانوا ينهضون بالتدريس بها مستشرقين وغير مستشرقين - اخذ هذا كله يثير فى عقله شررا كثيرا اذكى الجذوة الفكرية المستكنة فى أعماقه ودفعها الى التوهج دفعا ، فاذا هو يكب على دراسة الحياة العقلية الاسلامية فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، ويظل مكبا على هذه الدراسة عاكفا ، نحو عشر سنوات يخرج فيها تراثا فكريا حافلا ونخص بالذكر منه « ضحى الاسلام » بأجزائه الثلاثة والذى نشرته لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٣٣ ·

وقد استغرق تأليف هذا الكتاب حوالى ثمانية اعوام بذل فيه جهدا شاقا تمثل فيه حياة العباسيين العقلية فى عصرهم الاول تمثيلا شاملا ، وقد أمكن له ان يشرح صور هذه الحياة فى اجزاء الكتاب الثلاثة الكبيرة ، وقد تناول فى الجزء الاول منها حياة العباسيين فى عصرهم الاول الاجتماعى والثقافى بادئا الجزء الاول بسكان الدولة الاسلامية متحدثا عن اختلافهم فى الاهواء والخصال واجناسهم ·

وقد افرد فصولا عن الرقيق والجوارى وتصوير حياتهم الاجتماعية من فقر وبؤس وملبس ومطعم ، وكان تركيزه فى هذا الجزء عن الثقافة الدينية وانتشار الاسلام ·

ثم ننتقل الى الجزء الثانى من ضحى الاسلام لاحمد امين فقيه يقوم بوصف الحركة العلمية فى العصر العباسى الاول ويتحدث عن انتشار صناعة الورق ، واثرها فى تكوين العلم ، ويتحدث عن دور الكتب ومعاهد العلم ومجالسه ··· كما تحدث باسهاب عن علوم الحديث والتشريع والتفسير ، ومناهج اهل الحديث ، واهل الرأى وعن كيفية جمع اللغة وجمع الادب وعلم المعاجم ، وكيف وضع النحو ، وتاريخ الاحداث الاسلامية وتاريخ السيرة والانساب وتراجم الرجال

والجزء الاخير من « ضحى الاسلام » وهو الجزء الثالث وفيه يتعرض للفرق الدينية بادئا بنشأة علم الكلام وأسبابها كما يتحدث عن نهج المتكلمين ونهج الفلاسفة فى الالهيات وتقرير الحقائق ·· ويتحدث عن المعتزلة وتعاليمهم ، وعن الاعتزال وتاريخه ومشاهير رجاله فى كل من بغداد والبصرة وكذلك يتحدث عن الشيعة وفرقها ، وهو فى أحاديثه هنا يتحدث بجرأة وشجاعة لا يخاف فى الحق لومة لائم ، وحديثه تارة بالتحليل الدقيق واخرى بالنقد الجرىء ··

وبهذه الاجزاء الثلاثة من كتاب « ضحى الاسلام » يكون احمد امين قد كشف النقاب عن الحياة العلمية الاسلامية فى العصر العباسى الاول من جميع الوجوه وبذلك أعطى الفرصة للباحثين والدراسين كى ينهلوا من هذا المنهل الذى بذل فيه عصارة فكره وجهده بروح اتسمت بكل الاخلاص والوفاء ، ولا غرو فى ذلك ، فقد ثقف احمد امين نفسه بنفسه وازداد معرفة بالقديم والحديث وتميز بعدالته فى الحكم على الاشخاص وتلك صفة اكتسبها عند توليه التدريس بمدرسة القضاء الشرعى ، ومواقفه الجريئة الصريحة فى الحق دون تكلف ولا تقرب الى أحد ، ويضاف الى ذلك دراسته للثقافة القديمة والحديثة بالنقد والتحليل ·

وقد شهد له هذا الكتاب بالبصيرة النافذة والاداة العلمية الكاملة والحكيمة فى جمع مواد هذا الكتاب واستخلاص معانيها بالكفاءة والثقافة والموهبة النادرة



صقور الليل

عمل أدبى للسينما يعالج قضية الإرهاب

● مارى غضبان ●

● فى كل المجتمعات توجد المشاكل والقضايا التى تنتج عن التفاعلات المستمرة والصراع بين الافراد وبعضهم بعضا .. والادب او الفكر بصفة عامة، يكاد يكون هو المرآة الصادقة التى تعكس هذه القضايا وتقف فى احايين كثيرة موقف القاضى او المعالج وان كانت الخاصية الاولى للادب ولكن هى ابراز هذه الصراعات التى كثيرا ما يغفل الناس عنها الطرف .. ناسين ام متناسين، انهم هم صانعوها

ومن هذه المشاكل او الصراعات مالا يخص مجتمعنا بعينه ، فقد تكون مشكلة عامة ودولية، او قضية تشترك فيها كل مجتمعات الدنيا ،او معانى منها وينفعل بها الانسان فى اى مكان ..

ومن هنا فان العمل الادبى المعالج لهذه القضية لابد ان يكون مفهوما وواضحا للافراد والشعوب ، يخاطب الانسان ايا كان .. حتى يكون عملا صادقا وهادفا فى الوقت ذاته ..

هناك مشكلة مجتمع ما .. او على مستوى عالى يبرز فى صفحاته قضية دولية عامة تهم الناس فى العالم اجمع

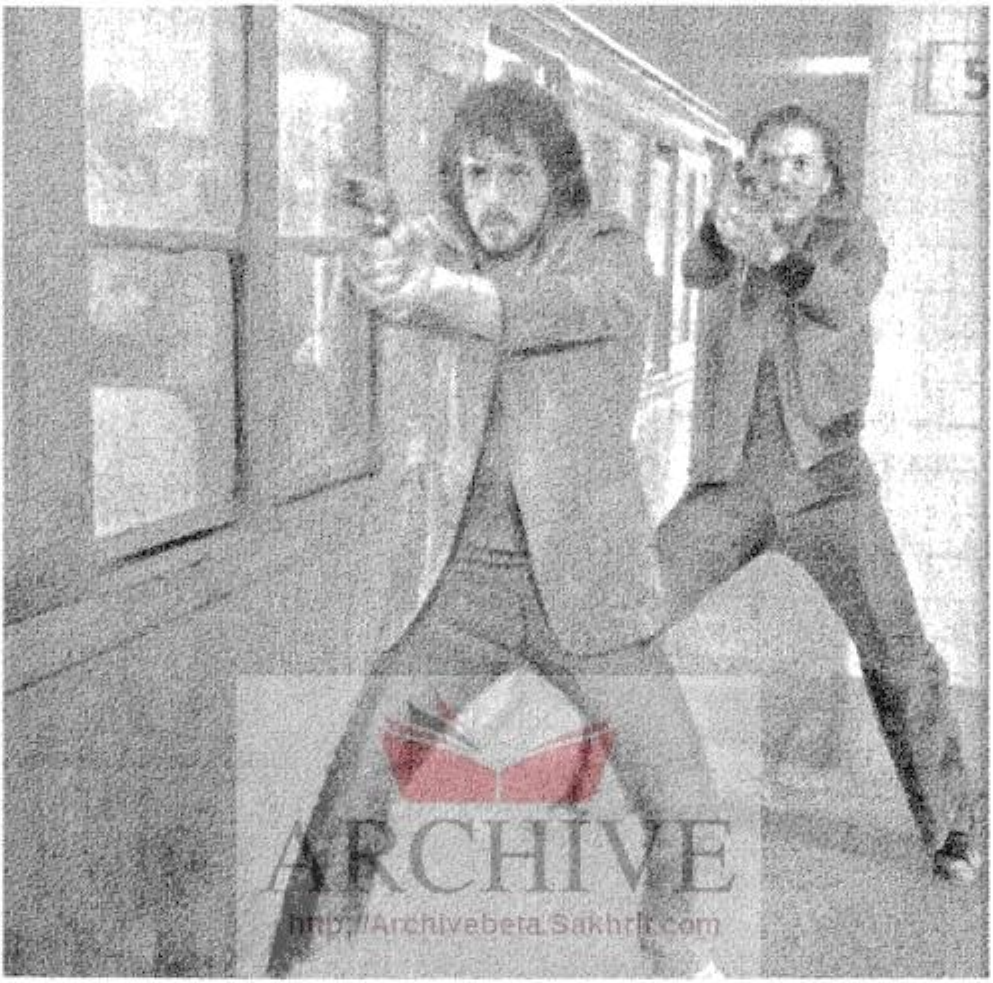
من هذه الاعمال التى تندرج تحت النوع الثانى عمل ادبى قصصى بعنوان « صقور الليل » للكاتب دافيد شابير ، الامريكى الجنسية .. وفيه يصور باسلوب جرىء وسائل الارهاب التى تتكرر كثيرا فى دول كثيرة من العالم ، من خلال منظمة ارهابية ، دولية تقوم بعمليات القتل والسطو والارهاب ..

ولان العمل الادبى - كما قلنا - يبرز الواقع بصدق والتزام فان « صقور الليل » جاءت اكثر صدقا وواقعية وهدفا ، حيث تم نقلها سينمائيا الى فيلم لتعطى الصورة انطباعات اشد صدقا واثارة وجماهيرية من القصة المكتوبة اصلا ، وحتى يتسنى لمجتمعات اخرى غير المجتمع الامريكى ، أن ترى هذا العمل الذى يعالج قضية دولية عامة ..

وقد كتب السيناريو لهذا الفيلم نفس كاتب القصة دافيد شابير ..وقام باخراجه المخرج بروس مالوث . واشترك فى تمثيله مجموعة من الممثلين المرموقين : « سيلفستر ستالونى. وبيلى دى ويليامز . وليندساى فاجنر » .

وكان الاخراج قمة فى الواقعية ، حيث تم تصوير اغلب مشاهد الفيلم فى مناطق « المجارى » حيث تجرى مطاردة احد الارهابيين .

وبالاضافة الى ذلك فقد تضمنت احداث الفيلم اشياء لم تكن موجودة فى القصة الاصلية ، لكنها اعطت انطباعا



سلفستر ستالونى وبيلى دى ويليامز

اكثر بالاثارة والاهتمام ..

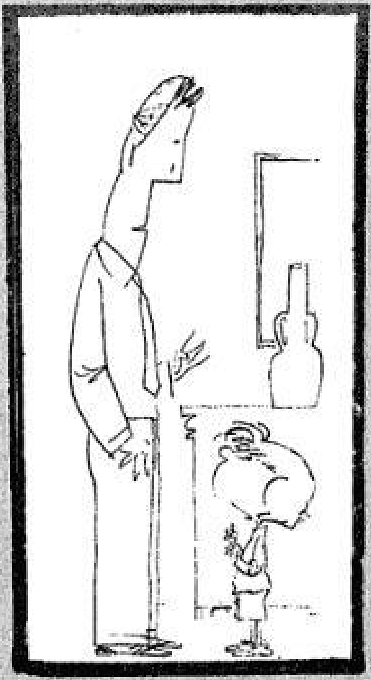
ومما يذكر ان الفيلم قد صور فى مدينة نيويورك ، المليئة بالتناقضات حيث الغنى الفاحش ، والفقر المدقع .. وحيث الشراب والسهرة والنساء والارهاب والوحشية ..

ورغم انها المدينة التى لاتنام الا انهم قد اقاموا بها حراسا ليليون .. حماية لامن الناس وسلامتهم ..

فالاحصائيات تقول ان هناك حوالى خمسة وخمسين مليون فردا يحملون اسلحة ، وانه منذ عام الف وتسعمائة وثلاثة وستين حتى الان ، قد اغتيل اربعمائة الف شخص ، وهو ما يزيد على قتلى الحرب العالمية الثانية من الامريكان

واتمام تصوير الفيلم فى مدينة كهذه دليل على واقعيته وصدقه فى ابراز هذه القضية ..

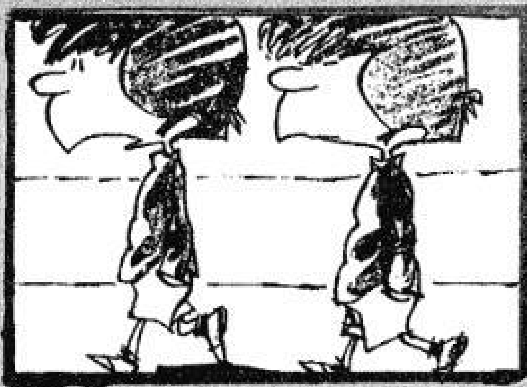
جيل جديد جداً !



الولد لابيه : ما تخلينا نتعامل بالذوق وفى حدود القانون احسن .. بعد مارفعوا الحد الادنى للاجور ، سيادتك محدد مصروفى بدون زيادة وزى ماهو ؟..

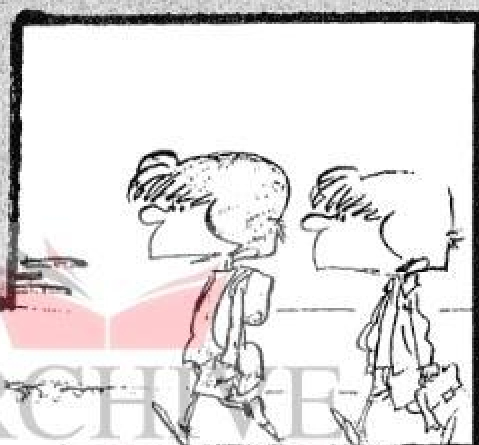


البنت للولد : هو انت فى كل خناقة مـع صاحبك ده لازم تنضرب كده ؟.. عن اذنك بقى المره الجاية اروح اتخانق معاه انا ..



الولد : أنا رسمت خطـة مستقبلى من دلوقت لحـد سن المعاش .. اللى مجننى دلوقت انى مش عارف ح اعمل ايه بعد ما يحيلونى على المعاش ! ..

الولد لزميله : كتر خيرهم النهاردة طردونا من المدرسة بس كان لازم كمان يصرفوا لنا مبلغ علشـان نروح السينما !





الولد لابيه : ولا يهمك يابابا .. صحيح انا اخـدت درجات زى الـزفت فى الامتحان .. لكن ده رايهم هم فى المدرسة . وانا بقى لى الراى الاخر !

المنتظــر!

● أحمد على رجب ●

● انتهى المصلون من اداء صلاة العيد ، وتصافحوا ، وخرجوا الى الطريق ، ولم يبق فى المسجد سوى « على المخ » ، فراش المسجد ، الذى اتجه الى الابواب ليغلقها وهو غاضب ثائر ... ثم التقط حذاءه ، ويمم وجهه شطر باب « الميضة » ، واخرج حزمة المفاتيح وراح يتحسسها ويقربها من عينيه واحدا بعد الاخر ، حتى عثر على المفتاح المنشود ، فدسه فى ثقب الباب ، واداره ببطء ...

ثم توقف قليلا ريثما يلتقط انفاسه ... ثم استدار ، وما كاد يهبط من فوق الرصيف حتى وجد نفسه يطير الى اعلى .. ثم يسقط على راسه !

وقبل ان يتبين حقيقة ما حدث ، سمع شيئا يئز بجوار اذنه ، فمد يده يتحسس ذلك الشيء ، فاذا به دراجة لم يكف اطارها الخلفى عن الدوران .. فصاح فى الم .

ـ قتلتنى يابن الحرام .. قتلك الله وقتل اهلك ومعارفك !

تجمهر المارة ... وصاح احدهم عندما راى الدم يسيل من راس الرجل

ـ ليسرع احد باستدعاء سيارة الاسعاف .

نقطع « المخ » انينه وصاح يشتم الرجل :

ـ لتحملك الاسعاف وتحمل كل اهلك وذويك !.. يكفينى شيء من سحوق البن ايها الكفرة .

واقترب غلام وانحنى فوق اذن « المخ » وهمس .

ـ اتعرف الولد الذى صدمك ياعم على ؟ انه ابن المهدى ...

ـ ابن المهدى او ابن الجن الازرق ، لن اترك الدراجة حتى احطمها كما حطمت عظامى ! ..

ونهض « المخ » قليلا . واخذ يجذب الدراجة شيئا فشيئا حتى اقترب من الرصيف .. فجلس ، وراح يجتر افكاره ...

« هذا العيد لم ار مثله من قبل .. جاء موافقا منتصف الشهر الافرنكى ، فلم تصرف الدولة مرتبات الموظفين ، وبالتالى لم يخرج الكثيرون زكاة الفطر ... وترتب على هذا خلو يدى من النقود .. وعلى الرغم من ان شيخ المسجد قد بح صوته طيلة الايام الاخيرة من رمضان ، داعيا لاخراج الزكاة ، ومحذرا من ان الصوم سيظل معلقا بين السماء والارض مالم تدركه زكاة الفطر فيكمل صعوده . لكن ماجدوى العظات لدى المفلسين ؟ »

« لكن تباشير الفرج قد بدت اخيرا ، ربما جاءت من باب ظاهرة الالم .. لكن باطنه الرحمة بلا شك ... فالمهدى ، والد الصبى الذى صدمنى بالدراجة ، يملك اكبر متاجر الاقمشة هنا ... هذا الى جانب العمارات والسيارات و ... و .. ولابد ان ابنه الان قد اسرع اليه يستصرخه .. ولن اسلم الدراجة اليه الا بعد ان يضع فى يدى خمسة جنيهات على الاقل ... هذا الى جانب ثوب جديد يليق بالعيد بدلا من هذا الثوب البالى ! »

وامتدت يده لتمزق ثوبه الذى يرتديه فى اكثر من موضع !

وكما ان « على المخ » يعرف المهدى فالمهدى ايضا يعرفه .. يعرف انه كان فى صدر شبابه « فتوة » مرهوب الجانب ، تعود أن تمتد اليه الايدى بالاتاوة خشية اعتداءاته وسلاطة لسانه ... ويعرف انه عاش داخل السجن اكثر مما عاش خارجه . وعلى الرغم من انه قد بلغ السبعين الا ان سلاطة لسانه لم تفارقه !..

وكان « المخ » يأمل الايغادر السجن الا بمغادرته الحياة ، وذلك حتى تطوى صحيفته فى صمت قبل ان تمتهن كرامته فلم يكن له خارج السجن قريب ينتظره وليست له دار يأوى اليها .. وهو لايتقن حرفة ، ولا حول له ولا قوة . ترى ماذا يفعل مثله سوى ان يستجدى الناس ؟ والسائل لابد ان يكون حلو اللسان ، وهذا يتعارض تماما مع حدة لسان « المخ » الذى لا يفرق بين محسن ومسيء !

لكن الامور سارت على غير ما كان يشتهى ، فيغادر السجن .. ويلجأ الى أحد اصدقائه القدامى الذى يتوسط له لدى شيخ مسجد الحركى يلحقه بعمل « فراش ميضة » .

وقال الشيخ للصديق :

ــ انت تعرف أن المسجد غير تابع للوزارة ، وانما يعتمد على الاعانات ومعنى هذا فالمرتب لن يزيد كثيرا على جنيهين ..

وقال « المخ » مستسلما »

ــ يكفى هذا الى جانب غرفة داخل المسجد آوى اليها .

واليوم ، وبعد الانتهاء من صلاة العيد ، امتدت الايدى للمصافحة ... واستقبل « المخ » اليد الاولى فالثانية فالثالثة فالعشرين .. ومع هذا فقد ظلت يده خاوية ! .. لم يعلق بها كثير او قليل من اوراق النقود ! ... وعندما امتدت اليه يد اخرى صاح فى وجه صاحبها ـ كفانى مصافحة ياعالم .. لقد خلعتم ذراعى ايها الكفرة !

وتخلى المصلون عن مصافحته ، وغادروا المسجد تاركين اياه يصب لعناته على الاعياد ، وعلى المختفلين بها فى شتى بقاع الارض ...

واقتربت جمهرة من الناس ، يتقدمها رجل ملطخ الثياب ، نامى اللحية ، محمر العينين ، كان يقبض على صبى منخرط فى البكاء ، ويكاد يجره جرا .. وتوقف الرجل والصبى على مقربة من « المخ » ، وقال الرجل بصوت ملؤه الحيرة والتردد ..

ــ معذرة « ياعم على » والف معذرة .. لقد ضربت الولد ضربا مبرحا ، ولو لم يتجمع الناس ويخلصوه من يدى لقضيت عليه تماما .

• ولم يرفع « المخ » عينيه الى الرجل ولكنه زمجر :

ــ وما الذى ربحته انا من ضربك لابنك ، او حتى من قتلك اياه ؟ ... هل اصابك العمى أنت أيضا ؟ انظر الى راسى الذى شج والى وجهى المملوء بالكدمات .. ثم انظر الى هذا الجلباب الذى مزقه ابنك بدراجته !

ولطم الرجل ابنه فى قسوة ، فصرخ الصبى وعلا صوته بالبكاء ، ثم مد الرجل يده داخل جيبه واخرج قطعة نقود فضية ، وانحنى فوق « المخ » يدس القطعة فى يده ..

وتحسس « المخ » القطعة ، وفى اقل من لمح البصر قذفها فى وجه الرجل صائحا .

ــ ماهذا ؟ عشرة قروش أيها البخيل اللئيم ! .. احرق الله دكاكينك واقمشتك .. واسقط عماراتك فوق راسك !

اكتسى وجه الرجل بالدهشة، وهتف متسائلا :

ــ دكاكين ؟ عمارات ؟ من تظننى «ياعم على » ؟

ــ الشيطان .. ابليس اللعين .. من تكون غيره ؟

وفطن احد المتجمهرين الى الامر ، فتقدم من « المخ » وانحنى يهمس فى اذنه :

ــ الولد الذى صدمك بالدراجة ابن المهدى الذى يرقع الاحذية ، وليس ابن المهدى التاجر كما تظن ..

كاد « المخ » ان يصعق .. وامتدت يده فى رعشة تتحسس راسه، ثم تتزلق الى جلبابه الممزق ، ثم تلتمس حجر الرصيف لتستند اليه .. وينهض العجوز فى بطء ، ثم يرفع عينيه الى وجه المهدى ، ثم الى الصبى الذى اخذ ينكمش فى ذعر وهو يتشبث بوالده ..

ويهتف « المخ »

ــ اين قطعة النقود ؟

فسرعان ماتستقر فى راحته ، فيمد يده بها الى الغلام ، ويقول فى صوت أجش .. لكنه لا يخلو من الشفقة :

ــ خذ ، اخذتك داهية .. اشترى لك حاجة حلوة !

●●

لحن الكوخ

شعر

● احمد عبد الحفيظ سلام ●

أنا لى فى واحـــة حرمانى كوخ يتهلل من سكنى
ورضيت به وهو الفـــردوس يظلل شطرا من زمنى
وأقمت ركيزته كصـــمام يدفع طـــوفان المحن
وصنعت له بابا من صخــر يتحدى صــخر الدمن
وكتبت على الجــدران نشيدا ينبع من حلم الوسن
ورسمت على الأركـــان طيورا تتهــادى فوق الفنن
وأخذت أرتل أورادى ، حمدا لعطـــائك يا وطنى
وزرعت حديقتـــه من نبت الورد ومن أعلا الشجر
ونظمت سياجا من أغصـــان تضحك بالزهر العطـــر
وغرســت تخيــلات تهتز وتحلم بالطلع النضـــر
ونثرت عليها من أضـــواء الشمس ومن سحر القمـــر
وحفرت لها نهــرا يسقيها فيضا من مـــاء المطـــر
ونسجت من الأحلام بســاطا يزهو من عشب خضر
ومكثت زمـــانا عـل الريح تساقط شيئا من ثمرى!
وصحوت على وقع الناقوس يحذرنى غـــدر النـــوب
ويقول رويدك إن الأرض زجاج ما جـــدوى التعب ؟
تبنى وتشيد هل يبقى قصر الأحـــلام على الزغب ؟
وبذور الرغبـــة هل تنمـــو إلا بين الطين اللجب ؟ !
ونظرت وقد نفذت عيناى كسهم يمرق فى السحب
فرأيت طيوفا تلعب بى ورأيت نجـــوما تهزأ بى
فرجعت أردد لحن الـــكوخ على قيثـــار مغترب

أناديك ...

● حسيني سيد احمد عشرة ●

اناديك يا اجمــل الأجمـل
من الغيب في عهــدى المقبــل
أناديك يا مســحة من خيــالى
تعــالى نطــير الى المؤمل
اناديك حتى نهـز الحيــاة
ونحيــا سويا على الســنبل
يناديك احلى واغلى حــروفى
تعــالى وطـوفى المنى وانجلى
ومهمــا اراك بعيـــدا هنــاك
فيوما ســتاتين كى تطفلى !
ويوم المنى سوف اشـدو لطفلى
واشــدو لبدرك فى منزلى :
« ايا فرحة القلب لا تغــربى
ويا زهــرة الحب لا تذبلى »

***

فــزفى الى مهجتى شــوقى
حديث الربيــع الزكى الطلى
وهيا لنغزو جمــال الربيــع
ونحتــل نهر المنى السلسل
ونبع الانين وزكى الســنين
يحلــو الرنين مـع البلبــل
وان شئت ان تهجــرى للأمانى
الا فاهجــرى وادخــل داخلى
فبرى عطـــاء وفجرى غطـاء
وشــعرى نداء .. الا اقبلى
وان شئت الا تكونى حيــاتى
ومــرآة ذاتى ... فلترحلى !



هى والرجل الآخر

● مرفت مصطفى عابدين ●

● تزوجا بعد قصة حب عنيفة تحدث عنها كل اهل الحى ، وحسدهما كل المحبين ..

ومضت عشر سنوات ولهيب الحب يزداد اشتعالا بين الزوجين ، وبينهما ثلاثة اطفال هم ثمرة هذا الزواج واجمل روابط الحب ! ..

وبدا وكأن السماء قد خصت هذه الاسرة الصغيرة بكل مافى الدنيا من حب وهناءة وراحة بال ..

شىء واحد تغافلت به الدنيا عنهم ، وكانما لابد ان يكون هناك شىء ينقص الانسان لكى يشعره بالضعف وبالحاجة او بشىء من الالم ! .. ذلك هو المال الوافى او الوفير ، فكل شىء فى حياتهم الآن بحساب ، ثمن الملابس بحساب ، الطعام بحساب ، والنزهة بحساب .. حتى لا يفلت الزمام وتتكشف الامور !

وكانت الزوجة الشابة تتوق الى المال الذى ترى انه « يجعل الانسان محترما فى عيون الناس » .. وتحلم بالمال ، بقليل من المال يجعل الحياة افضل ، لان مطالب المعيشة المتزايدة بدات تنغص عليها حياتها ..

ولم يعد الحب وحده يكفى لاستمرار سعادة الحياة ! ..

وعندما فتحت لها احدى الصديقات فرصة لسفر الزوج بعقد عمل فى الخارج ، كانت الفرحة تغمر الاسرة الصغيرة كلها ، لولا شعور الزوجين بالالم من أن هذا العمل فى الخارج يعنى الفراق والغربة وبعد الزوج المحب عن بيته الدافىء وحنان زوجته وحب أطفاله ..

ولكن هذا الفراق لن يدوم طويلا ، فبعد عام فقط يجتمع الشمل من جديد ، ويرسل الزوج للاسرة لتلحق به فى الخارج لتعيش معه حتى نهاية سنوات العقد ، ويتقاسما أيام الغربة عن الوطن ثم يعودوا اليه فى حالة ميسورة ورخاء لهما وللاولاد ما بقى العمر ! ..

وهكذا تمت اجراءات السفر وودع الزوج أهله وأصدقاءه ، وقضى مع اسرته ليلة العمر .. وفى الصباح الباكر كان الوداع فى المطار ، وأقلته الطائرة الى حيث العمل فى البلد البعيد ..

وعادت الزوجة الى المنزل كسيرة البال .. أغلقت بابها على نفسها هى وأولادها الثلاثة ، لا يؤنس وحدتها فى الليل البارد الا ذكرى الحب الذى عاشته مع زوجها الحبيب .. وكانت تغذى خيالها بالتفكير فى يوم اللقاء وتشبع رغبتها بالتحليق الى الموطن الجديد للزوج الحبيب لتعيش معه فى الخيال ساعات من العمر ..

وكانت خطابات الزوج تصل بانتظام الى الزوجة الملهوفة ، ولكن .. لم يكد ينتهى العام الاول حتى انقطعت أخباره تماما عن زوجته وأسرته ، فلا خطاب ولا نقود ولا مجرد رسالة مع صديق أو زميل عائد ..

ومر شهر وشهران وثلاثة والزوجة فى قلق على صحة الزوج حتى ذبلت صحتها وانطفأ بريق عينيهاوذوى عودها .. وامتد الغياب وانقطاع الاخبار عاما واثنين وثلاثة ، فانفض من حولها الاهل والاصدقاء ولم تعد تجد المساعدة من أحد .. ولقد فشلت محاولاتها فى السفر الى زوجها وفشلت كذلك محاولات الاتصال به .

وباءت كل محاولاتها لمعرفة سبب الغائب ، ترددت شائعات كثيرة عنه .. قالوا انه مات ، وقالوا انه أحب واحدة هناك وتزوجها وهاجر هو وهى الى بلد آخر بعيد ! ..

واسقط في يدها ، ومادت الارض تحت قدميها لما تسمع من شائعات وتنبؤات .

وفكرت في الانتقام .. فلا شيء يطفئ لهيب قلبها الا الانتقام ! .. ولكن اين هو لتنتقم منه ؟!

وفي غمرة الاحزان والوحدة والحرمان العاطفي والمادي ، ظهر فجأة في حياتها الرجل الآخر ، طيب ، حلو القسمات في نهاية العقد الرابع من عمره ، في عينيه نظرة ثاقبة تنفذ الى الاعماق ..

وطالت الاحاديث بينهما ، ومال كل منهما اشد الميل للطرف الآخر .. وذات يوم فاتحها بحبه ، وبأنه على استعداد أن يتزوجها ويكون ابا ثانيا لاولادها ويتكفل بهم ..

.. وشعر الاطفال بدفء العاطفة الفياضة من الرجل الشهم الكريم .

وسألت هي رجال القانون واهل الفكر عن موقفها بالنسبة لزوجها الغائب اذ انها تنوى الزواج خوفا من الفتنة .. فكان الرد القانوني انه من حق الزوجة التي يغيب عنها زوجها مدة سنتين أن تطلق منه غيابيا ما دامت لها رغبة في ذلك .. ومن حقها أن تتزوج غيره بعد انتهاء الفترة المشار اليها ..

.. وهكذا ، تم الطلاق غيابيا ، ثم تزوجت بمن احبها ووقف بجوارها وقت الشدة وشعرت انها استردت بعض كرامتها المفقودة أمام الناس وأمام نفسها وان الله عوضها خيرا بهذا الزوج الكريم عمن خان العهد وفضل غيرها عليها ..

وفي احدى ليالي الشتاء الباردة والاسرة ملتفة حول المدفأة في سمر ومرح — طرق الباب ، وقامت الزوجة لترى تفتح للطارق ، فاذا بها تقف مشدوهة امام الزائر .. أهلا أنت ؟! تعود مرة ثانية ؟

ثم تهاوت مغشيا عليها من هول المفاجأة ! ..

واقبل الزوج والاطفال يستطلعون الخبر ، فاذا بهم يفاجئون بانه الزوج القديم الغائب قد عاد !

وهكذا توالت المفاجآت ..

فوجئت الزوجة بعودة زوجها والد اطفالها ! وفوجيء الزوج العائد بهذا الرجل الغريب الذي يتوسط اسرته وهو بملابس البيت ! وفوجيء بالمقابلة الجافة بدلا من الشوق وفرحة اللقاء كما فوجيء باولاده وقد صاروا شبانا يافعين ينكرون وجوده ولا يرحبون بعودته ..

وافاقت الزوجة لتقول له بجفاء : ماذا تريد منا الآن .. ولماذا جئت الآن ؟!

ودارت به الدنيا ، واسودت امام عينيه .. ولكن الرجل الآخر تقدم في شهامة ينقذ الموقف ، فاصطحب الاولاد معه الى خارج المنزل ليترك لها فرصة تتبين فيها موقف الزوج العائد ، وتشرح له موقفها ...

وبدأ العائد يقص عليها قصته من يوم أن انقطعت عنها اخباره — وقال : كافحت وجاهدت الى أن حصلت على بعض المال الذي أهلني لمشاركة رجل أعمال في مشروع فندق سياحي كبير ، انتهز شريكي غيبة لي في سفر فباع الفندق والسيارة والمسكن ولم يبق لي شيئا حتى ملابسي ، وطار الى بلده البعيد الى غير رجعة .

وفوجئت بما حدث بعد عودتي فذهلت وصدمت .. وانتشلني من ذهولي ما زاد من همومي ، فقد طالبوني بالضرائب المتأخرة علينا انا وشريكي ، فنحن شركاء في كل شيء شركة التزام وتكافل ..

وهكذا زج بي في السجن .. وهناك مرضت وكدت افقد حياتي ، ولم استطع الاتصال ببلدي او اهلي باي طريقة ، ومر على ما مر من زمن في السجن والحياة ظلام دامس لا اميز فيها الليل من النهار الى ان حدثت المفاجأة الكبرى ووجدتهم يفرجون عني ..

وهكذا وقفت الزوجة حائرة أشد الحيرة أمام عودة زوجها الغائب والد أطفالها وحبيبها القديم يحمل معه قصته الدامية ..

أما الزوج الآخر المنقذ الشهم فقد انسحب من حياتها الى الابد .

تذكرة تفوق
اللغة الانجليزية وطلبة الثانوية العامة

● د • جرجس فؤاد الرشيدى ●
مستشار اللغة الانجليزية
بوزارة التربية والتعليم

والآن ، وقد اصبح الامتحان قاب قوسين ، او ادنى استعرض مع ابنائى الطلبة بعض النقاط التى اثرتها فى مقالاتى السابقة •

يجب ان يثبت فى اذهان الطلاب والمعلمين ان الكتب المقررة وسيلة تعليمية وليست غاية فى حد ذاتها ، فالامتحان لن ينصب على المادة التى فى الكتب بقدر ما ينصب على اللغة التى يكتسبها الطلاب من دراستهم للغة ••

ثم ان الطالب الذى يتصور ان الامتحان طويل ، مخطىء •• اذ ان من طبيعة الاسئلة التى يختار فيها الطالب الاجابة الصحيحة من اجابات متعددة أن تشغل حيزا كبيرا فى ورقة الاسئلة وأنها تجاب فى حيز صغير فى ورقة الاجابة • وعدد الاسئلة محسوب فى حدود الزمن المعطى للاجابة بل ربما يكون أقل مما يجب لانه من المفترض أن يجيب الطالب على أى جزء من أجزاء الاسئلة التى من هذا النوع فى دقيقة واحدة ولكن توزيع الزمن على عدد الاسئلة يتيح للطالب أن يجيب على كل جزء فى دقيقتين أو ثلاث •

وعلى العموم فعلى الطالب الواعى أن يقسم الوقت على الاسئلة بحيث لا يستغرق وقتا أطول من اللازم فى اجابة سؤال بحيث لا يتبقى وقت كاف لاجابة الاسئلة الاخيرة التى قد يتمكن من اجابتها والحصول على الدرجة المخصصة لها • وهنا أقترح على الطلاب توزيعا تقريبيا للوقت على أسئلة الامتحان •

تشتمل الورقة الاولى على فقرتين وخطاب وقطعة للفهم والترجمة • ويمكن للطالب المتوسط أن يكتب الفقرتين والرسالة فى ساعة خاصة وأنه مزود بكثير من المفردات التى يبنى عليها ما يكتبه، ثم يمكنه أن يقرأ ويجيب على أسئلة قطعة الفهم وهى عادة قطعة قصيرة ليس عليها الا ثلاث أو أربع أسئلة فى أربعين دقيقة ثم يتبقى عشرون دقيقة للترجمة •

أما الورقة الثانية للقسم العلمى ففيها أربع أسئلة تجاب فى ساعتين • أولها

● الامتحان هذا العام في اللغة الإنجليزية لن ينصب على المادة التي في الكتب بقدر ما ينصب على اللغة التي يكتسبها الطلاب من دراستهم للغة

سؤال قطعة الفهم ذات الاسئلة الموضوعية ٠ ويمكن قراءة القطعة فى ربع ساعة واجابة كل سؤال من الاسئلة العشر فى دقيقتين أو ثلاث بحيث تكفى أربعون دقيقة لتناول هذا السؤال ٠

أما السؤال الثانى الخاص Nucleus general Science فيمكن اجابته فى نصف ساعة بواقع ثلاث دقائق لكل جزء من جزئياته ٠

وتكفى نصف ساعة لاجابة سؤال وضع الكلمات في الفراغات وعشرون دقيقة لسؤال اللغة Do as shown in brackets بواقع أربع دقائق لكل من جزئياته الخمس ٠

والورقة الثانية للقسم الادبى اطول قليلا اذ يخصص لاجابتها ثلاث ساعات والسؤال الاول قطعة الفهم ذات الاسئلة الموضوعية وهى نفس القطعة التى فى ورقة القسم العلمى ويمكن اجابتها فى اربعين دقيقة ٠ ثم سؤال الحادثة ويمكن اجابته فيما لا يزيد عن ثلث ساعة ٠ ثم سؤال اللغة Practice and Progress المكون من عشرين جزء ويمكن اجابته فى اربعين دقيقة بواقع دقيقتين لكل من اجزائه ٠ ثم سؤال Tales from Shakespeare المكون من عشرة اجزاء يمكن اجابته فى نصف ساعة ويتبقى السؤالان الاخيران المشتركان بين ورقتى القسم العلمى والقسم الادبى ويجابا بالمثل فى خمسين دقيقة ٠

وفى الغالب لن تستغرق اجابة الاسئلة كل هذا الوقت فيمكن للطالب أن يستغل الوقت الذى يوفره فى للمراجعة ٠ ولكنى أقترح هذا التوزيع كحد أقصى لما يخصصه الطالب لكل سؤال أثناء الاجابة حتى لا تستغرق اجابة سؤال وقتا طويلا فلا يتبقى الوقت الكافى لاتمام اجابة كل أسئلة الامتحان ٠

والمفروض أن يجيب الطالب على الاسئلة التى يعرفها ولا يضيع وقتا فى محاولة تخمين الاجابة أو التفكير الطويل لاجابة كل جزء من اجزاء السؤال فمثل هذه الامتحانات تغطى مساحة كبيرة من المعلومات اللغوية المفترض أن يلم بها الطلاب وليس من المفروض أن يعرف كل طالب الاجابات كلها وهو لن يخسر كثيرا اذا جانبه التوفيق فى بعض الاجابات لان كل جزء من أجزاء السؤال ليس عليه الا نصف درجة فقط ٠ ومثل هذه الامتحانات مقياس أدق لما حصله الطالب

من لغة فالطالب الممتاز فقط هو الذى يمكنه ان يجيب كل الاسئلة أجابة صحيحة ويتدرج بعد ذلك الطلاب حسب قدراتهم وتحصيلهم فى اللغة • وهذا ما يجب أن يكون عليه أى امتحان كمقياس سليم لمستويات الطلاب •

والآن اود ان اذكر الطلاب بما سقته لهم من توجيهات في تناول الاسئلة • ان كتابة الفقرتين الانشائيتين اصبح عملية سهلة اذا ركز الطالب انتباهه على راس الموضوع وعلى الكلمات المعينة • ويجب أن ينسى الطالب كل ما استظهره من جمل انشائية وأن يعالج السؤال بذهن متفتح • والمطلوب منه أن يقرأ موضوع الفقرة جيدا حتى يهيء ذهنه لكتابة الجمل مع استعمال الكلمات المعينة فى اطار ما هو مطلوب منه الكتابة فيه • وكل ما هو مطلوب من الطالب ان يربط الكلمات المعنية المعطاه فى كل مجموعة بحيث يكون منها جملة مفيدة عن الموضوع • وبعد أن يتم كتابة الجمل منفصلة عليه ان يحاول ربطها بعضها ببعض بحيث يكون الناتج فقرة متسقة ومترابطة •

***

وعلى الطالب ألا يغفل أن الخطاب الانجليزى له شكل معين وأسلوب معين يختلف اختلافا جذريا عن الخطاب العربى • ويدرس الطلاب فى كتاب Practice and Progress شكل الخطاب فيما يتعلق بالعنوان والتاريخ والتحية وعليه أن يكتبها كما تعلمها كل فى مكانه الصحيح مع استخدام أدوات الترقيم السليمة • ويعلم الكتاب الطالب أيضا الطريقة الصحيحة لبدء الخطاب الانجليزى ويساعد الممتحنون الطلاب باعطائهم بعض الكلمات المعينة حتى لا يخرجوا عن المطلوب • وأذكر الطلاب أن الطالب الذى لا يكتب الخطاب أو يكتبه فى غير المطلوب لا يحصل على أى درجة حتى اذا كتب العنوان والتاريخ والتحية الصحيحة •

وقطعة الفهم التى فى الورقة الاولى تقيس فهم الطالب العام لمحتوى القطعة والتعبير السليم عن هذا الفهم لذا يجب أن يركز الطالب على فهم القطعة فهما جيدا ثم يجيب عن الاسئلة مما فهمه منها وأحذر الطالب الذى يتلمس الاجابات بنقل أجزاء من القطعة التى تشترك مع السؤال فى بعض الكلمات • وعادة ما تكون القطعة قصيرة وواضحة وفى موضوع مطروق ولا تشتمل على أى كلمة غريبة بالنسبة للطالب العادى ولذ لن يصعب عليه اجابة الاسئلة • ومن المستحسن أن يجيب الطالب على الاسئلة دون النظر الى القطعة حتى لا ينقل منها ما يظن انه الاجابة الصحيحة • واذا كان هناك سؤال اختصار فعلى الطالب أن يكتب ما فهمه من الجزء المطلوب منه اختصاره بلغته بقدر الامكان • والمهم فى كل ذلك أن يحاول الطلاب الاجابة بلغة سليمة خالية من الاخطاء اللغوية أو الهجائية •

والترجمة تقيس وعى الطلاب بالفروق فى التراكيب اللغوية بين اللغتين العربية والانجليزية • واذا كان الطالب معتادا على الترجمة الحرفية فعليه أن يترجم الفقرة على مرحلتين ففى المرحلة الاولى يترجم كل كلمة فى جملة بنفس ترتيبها فى اللغة الانجليزية ، ثم يعيد صياغتها متوخيا الترتيب والتركيب والمذاق العربى • ويكرر ذلك فى كل جملة من جمل الفقرة • وعند الترجمة من العربية الى الانجليزية على الطالب أن يجد فاعل الجملة أولا ليبدأ به الجملة الانجليزية ثم يأتى الفعل بعد ذلك ثم باقى الجملة •

وقطعة الفهم فى الورقة الثانية تقيس فهم الطالب الدقيق لما يقرأ • والمفروض

أن يقرأ الطالب القطعة مرة أو مرتين لاستيعاب فحواها ثم يقرأ السؤال ولا يبادر باختيار الاجابة بل يرجع الى القطعة فى كل مرة ليتأكد من أن ما يختـــاره هو فعلا الاجابة الصــــحيحة • وعادة ما تكون الفروق بين الاجابات المعطاه دقيقة بحيث تخفى على الطالب اذا لم يفكر جيدا فى كل الاحتمالات ليختـــار الاجابة المناسبة لما جاء فى نص القطعة وبديهى ألا يجيب الطـــالب على أى ســـؤال من معلوماته الخاصة بل يجب أن تكون الاجابات من النص حتى لو كانت مختلفة لما يراه الطالب •

ولاجابة الاسئلة التى تحتاج اجابتها الى اختيـــار واحد من اجابات متعـــددة سواء أكان ذلك فى ورقة القسم العلمى أو القسم الادبى فيجب على الطالب أن يتأنى فى اختيار الاجابة الصحيحة ويســــترجع كل معلـــوماته فى اللغة التى استقاها من الكتب التى درسها هذا العام ومما تعلمه فى سنى دراسته السابقة حتى يختار اجابته على أساس سليم • وهنا أيضا قد تكون الاجابات التى سيختار منها متقاربة فعليه أن يفكر بعمق وروية قبل اختيار الاجابة •

واجابة سؤال المحادثة فى القسم الادبى تحتاج الى تصور الطالب للموقف الذى تجرى فيه المحادثة حتى يمكنه أن يستنبط ما يمكن أن يقال فى الاجزاء المتروكة • وما يكتبه الطالب يكون عادة اما سؤال أو اجابة سؤال فيجب ألا ينسى أن المتحدث الآخر سيجيب على هذا الســــؤال فى الجــــزء التالى من المحادثة • أما اذا كان اجابة فلابد وأنها اجابة لسؤال سأله المتكلم الآخر فى الجزء السابق •

وأسئلة للقسم الادبى Tales from Shakespeare تنقسم الى قسمين أولهما أسئلة مباشرة تشمل سؤالا من كل مسرحية عادة ما يكون عن حـــدث رئيسى أو شخصية رئيسية فى المسرحية بحيث أن الاجابة لن تخفى على الطالب الملم بالمسرحية والمهم أن تكتب الاجابة فى لغة سليمة • وثانيهما اكمال لجمل ناقصة كل جملة عن واحدة من المسرحيات الخمس وهى أيضا فى نقط واضحة جدا فى المسرحيات • ويعتمد اكمال الجملة احيانا على المام الطالب بتركيب لغوى معين • لذا على الطالب أن يعرف الاجابة من حيث الحدث وأن يتنبه الى التركيب المطلوب منه معرفته ليكمل الجملة بشـــكل صحيح • والتراكيب المطلوبة تكون عادة من التراكيب الشائعة الاستعمال وليســـت من تلك التى فيها تعقيدات أو حذلقة لغوية •

ولاجابة سؤال ملء الفراغات بكلمات ، يجب أن يقرأ الطـــالب الفقرة كلها قراءة عامة ليعرف الموقف الذى تتناوله ، ثم يعيد قراءتها محاولا ملء الفراغات الخالية بكلمة واحدة لكل وبعد ملء كل الفراغات يعيد قـــراءتها مرة أخيرة ليتأكد من أن الاضافات التى وضعها جعلت معنى الفقرة مستقيما •

ويتبقى سؤال Do as shown in brackets وهو سؤال لغة يعتمد على معرفة الطالب بالتراكيب اللغوية المختلفة واستعمال الازمنة Tenses استعمالا سليما •

والآن وقد عرف الطلاب الهدف من كل سؤال من اسئلة امتحان الثـــانوية العامة وعرفوا كيف يتناولون كلا من تلك الاسئلة تناولا سليما ارجو لهم توفيقا فى الاجابة حتى يحصلوا على الدرجات التى تحقق لهم أمانيهم •

أضـــواء على
اللغـــة الانجـليزيـــة
لطلبـــة الثـانوية العـامة

تتابع فيمـــا يلي الجـــزء الذى نشر تحت
هذا العنوان فى عدد مايو ١٩٨١ من مجلة الهلال

● مصطفى الشهابى ●

قصص من شكسبير :

تمثل قصص من شكسبير جـــزءا هاما من دراسة طلاب القسم الادبى ، ومن ثم وجب تنبيه الطلبة الى نواحي هامة تتصل بدراسة هذه القصص :

١ ـ العناية بهجاءاسماء الشخصيات والاماكن ومراعاة كتابة كل منها بحيث يبدأ بحرف كبير Capital ومراعاة ذلك ايضا فى القاب بعض هـــــذه الشخصيات مثل :

Earl of kent - king Lear Lady Macbeth - Duke Frederick

٢ ـ التنبيه لصيغة السؤال ، هـل هو مضارع ام ماضى ، فمثلا السؤال :

Who is Cordelia going to marry ?
She is going to marry the king of France.
How did Macbeth silence the royal

فاجابته :

He silenced them by putting drug in their wine.

المحادثة : (Dialogue)

وهذه تجب قراءتها بامعان للوقوف على موضوع المحادثة ، مع مراعاة زمن الافعال فى الاسئلة او الاجـــابات ، ومراعاة التطابق بينهما ، فلا يـــكون السؤال بفعل مضارع ثم يجاب عليـــه بفعل ماضى « الا فى حالات قليـــلة » ، وكذا الحال فى الاجابات ، مع مراعاة الايجاز فى السؤال او الجواب لتجنب الخطأ .

والترجمة :

ومن المهم عند الترجمة قراءة النص المطلوب ترجمته اكثر من مرة لفهــــم مضمون القطعة بصفة عامة ثم قراءة كل جملة على حدة قبل ترجمتها ، وبلاحظ فى الترجمة الى العربية سلامة العبارة من حيث اللغة وملاحظة ربط العبارات العربية بحروف او كلمات ، تجعـل الترجمة سليمة ومستساغة ، مثـل : وقد ، ثم ، ولكن ، غير ان ، واخيرا حرف « الواو » ـ ذلك لان الجمـــلة الانجليزية تنتهى عادة « بنقطة » وهـــو ما يستعمل احيانا فى العربية ، ولكن الجمل العربية تحتاج الى الـــربط بها قبلها رغم وجود « النقطة » .

وعند وجود كلمة انجليـــــزية غير مفهومة المعنى لدى الطالب فعليــــه اما ان يحاول اســــــتنباطه من المعنى الاجمالى للقطعة او بتقسيم الكلمة الى اجزاء أو مقاطع ، كما اوضحنا عنـــد الحديث على قطع الفهم Comprehension واذا صادفت الطالب فى الترجمة من العربية الى الانجليزية كلمة لم يعـــرف

معناها بالانجليزية ، فليبحث عن مرادف عربي معروف وسهل لها ـ فمثلا ، كلمة « يمد » يزود Supply يمكن أن تقوم مقامها كلمة « يعطي give وهكذا .

ومن الاخطاء الشائعة في الترجمة الى الانجليزية استعمال حروف الجر دون حاجة اليها ، لان وجود حرف جر في الكلمة العربية لا يستلزم وجود حرف جر مقابل في معناها الانجليزي ـ فمثلا: يتمتع ب ، فيقول :

We enjoyed the sea breeze. اي تمتعنا بنسيم البحر .

وتقول Smoking affects our health التدخين يؤثر على صحتنا .

ومن امثال ذلك كلمات : يرحب به To welcome him

يحصل على المعرفة To acquire knowledge

عبر عن امتنانه لي : He expressed his gritltude to me.

ومثلها يعجب بشخص to admire a person

وكذا يشعر بالم to feel pain

يجري له الاسعافات الاولية To give him first aid

كما ان هناك مصطلحات يجب التفرقة في حروف الجر المستعملة فيها ، فمثلا:

جيد في التاريخ good at history

ضعيف في اللغات week in languages

وللاشارة الى الحكومة او الوزارة وغيرها نستعمل الضميرين it او its بدلا من she her

***

ويسرف الطلبة في استعمال اداة التعريف the بينما هي لاتستعمل لا في حالات التخصيص ، اي شخص او شيء معين .

ولها استعمالات خاصة تؤدي الى معاني غير مألوفة لبعض الكلمات ، فمثلا the country the countryside تعني الريف ،

واستعمال the قبل بعض الصفات يجعل هذه الصفات تعني صيغة الجمع فمثلا the poor معناها الفقراء دون حاجة الى ذكر كلمة people او ما يماثلها بعدها وايضا the rich تعني الاغنياء وهكذا .

***

هجاء ومعاني بعض كلمات هامة :

هناك مجموعات من الكلمات ، لاتكاد حصة او درس او صفحة من كتاب انجليزي تخلو منها ، وهذه الكلمات لا يهتم بهجائها اغلب الطلبة ،

واهم هذه المجموعات :

١ ـ ايام الاسبوع . السبت Saturday الاحد Sunday الاثنين Monday الثلاثاء Tuesday الاربعاء Wednesday الخميس Thursday الجمعة Friday

ويلاحظ انها جميعا تبدأ بحروف كبيرة .

٢ ـ اشهر السنة : يناير January فبراير February مارس March ابريل April مايو May يونية June يوليو July اغسطس August سبتمبر September اكتوبر October نوفمبر November ديسمبر December

ويلاحظ ايضا انها جميعا تبدأ بحروف كبيرة .

٣ ـ فصول السنة : الربيع Spring الصيف Summer الخريف autumn الشتاء winter وهي بعكس الايام والشهور تبدأ بحروف عادية او غير كبيرة الا اذا بدانا باحدها جملة .

٤ ـ أسماء القارات « وبجوار كل منها النسبة اليه » :
افريقيا African - Africa   اسيا Asiatic - Asia - Asian
اوربا Europe - European
امريكا American - America   استراليا Australia - Australian وتبدأ بحروف كبيرة .

٥ ـ الجهات الاصلية والنسبة اليها :
الشرق Eastern - East   الغرب western - west
الجنوب northern - north   الشمال Southern - South

٦ ـ بعض الدول العربية والنسبة اليها :
الجزائر Algerian - Algeria   العراق Iraqi - Iraq   الاردن Jordanian - Jordan
الكويت Kuwaiti - Kuwait   لبنان Lebanese - Lebanon   ليبيا Libyan - Libya
المغرب Moroccan - Morocco   عمان Omani - Oman
فلسطين Palestinian - Palestine   السعودية Saudi Arabian - Saudi Arabia
السودان Sudanese - Sudan   سوريا Syrian - Syria
تونس Tunisian - Tunisia   اليمن Yemeni - Yemen
ويلاحظ انها جميعا تبدأ بحروف كبيرة هي وصفاتها .

٧ ـ اسماء المحيطات :
المحيط الهادى Pacific Ocean   المحيط الاطلانطى او الاطلسى Atlantic Ocean
المحيط الهندى Indian Ocean   المحيط الجنوبى Southern Ocean المحيط
القطبى الشمالى Arctic Ocean وتبدأ جميعا بحروف كبيرة .

٨ ـ اسماء اشهر البحار والانهار : البحر المتوسط Mediterranean Sea
البحر الاحمر Red Sea   البحر الميت Dead Sea   نهر النيل
The River Nile   وكلها تبـدأ بحروف كبيرة

٩ ـ بعض الدول الشرقية والغربية والنسبة اليها :
بلجيكا Belgian - Belgium   الصين Chinese - China   فرنسا
French - France   الهند Indian - India   ايران Iranian - Iran   اسرائيل Israeli - Israel
ايطاليا Italian - Italy   اليابان Japanese - Japan   تركيا Turkish - Turkey
الولايات المتحدة American - U.S.A.   انجلترا English - England

١٠ ـ بعض المدن والاماكن الشهيرة بمصر :
القاهرة Cairo   الاسكندرية Alexandria   رشيد Rosetta
دمياط Damietta   Luxor   اسوان Aswan   سيناء Sinai   القناطر
الخيرية The Barrage   قناة السويس Suez Canal   منخفض
القطارة Qattara Depression   الاهرام The Pyramids   ابو الهول The Sphinx
وكلها اعلام تبدأ بحروف كبيرة .

***

● **تصريف الافعال الشاذة :**

القاعدة العامة فى تصريف الافعال

القاعدة العامة فى تصريف الافعال الانجليزية هى اضافة له اذا كان اخر الكلمة منتصبا بحرف e مثل blamed - blame   received - receive

٢ ـ اضافة e d اذا لم يكن فى اخر الفعل حرف e مثل defeated - defeat
asked - ask   ويلاحظ تكرار الحرف الاخير اذا كان قبله حرف متحرك مثل travelled - travel   اما اذا كان اخر الفعل حرف Y

وليس قبله حرف متحرك فتقلب الـ Y الى الى امثل tried - try, cried - cry
اما اذا كان قبل الـ Y حرف متحرك فلا تتغير مثل
play - played, stayed - stay
ويستثنى من ذلك paid, said - pay, say وهما من الافعال الشاذة
ويجب التنبيه الى ان الافعال الشاذة في تصريفها — وتبلغ نحو ثلاثمائة فعل — هي اكثر الافعال استعمالا ومن ثم وجب الاهتمام بمعرفة معانيها وتصريفها والى الطالب أهم ما تجب ملاحظته بشأنها

١ — هناك كلمات لا تتغير عند استعمالها في الماضي او كاسم مفعول واهمها : bet يراهن burst ينفجر cost يكلف cut يقطع hit يضرب hurt يؤذى let يدع او يؤجر put يضع set يهيىء او يعد spread ينشر .

٢ — لاحظ تصريف teach, catch فانه aught وليس ought كما في تصريف buy, bring وغيرهما

٣ — بعض الكلمات تتكرر فيها الحروف الاخيرة في اسم المفعول مثل
written, Forbidden, Forgotten

٤ — كلمتا lay, lie والاولى لها معنيان ، اولهما يكذب وثانيهما يرقد او ينام فاذا كان المعنى الاول فماضيها واسم مفعولها lied اما اذا كانت تعنى يرقد فماضيها lay واسم مفعولها lain ولا تأخذ مفعولا به على الاطلاق ، تقول :
I am going to lie down.
The child lay on the floor.
اما lay بمعنى يضع او يبيض فماضيها واسم مفعولها laid - laid تقول :
The hen laid an egg.
Please lay the flowers on the table.

٥ — كلمة hang لها معنيان : يشنق ، يعلق وتصريف الاولى «الشنق» hang - hanged - hanged اما الثانية فتصريفها : hang - hung - hung

***

● ملء الخانات « الفراغات » بكلمات معطاة او من عندك :

ويجب التدقيق في ملء الفراغات وذلك بالتأكد من معنى كل كلمة من الكلمات المعطاة ، لان وضع كلمة في غير مكانها معناه وضع كلمة اخرى في غير مكانها ، كما يجب التأكد ايضا من معاني وهجاء الكلمات التي ستملأ بها الخانات من عندك .

***

ملاحظات وتوجيهات اخيرة :

١ — المعروف at this moment, at present, now وامثالها هي المرشد لاستعمال الفعل المضارع المستمر ولكن هناك كلمات وعبارات تستلزم استعمال المضارع المستمر مثل Look Take care, Pay attention فهذه وامثالها استهلت بها الجمل وجب استعمال الفعل المضارع المستمر

٢ — في الكلام المباشر وغير المباشر Direct او Indirect Speech يصاغ السؤال بغير الكلمات التقليدية .... Change into فيكون احيانا Supply the exact words
Turn into reported speech
Give the actual words
وامثالها . وفي هذا النوع من الاسئلة يجب التنبيه الى علامات الترقيم وخاصة علامة الاستفهام وغيرها .

تذكرة تفوق

علامات على طريق التفوق في الفلسفة والمنطق وعلم النفس لطلبة الثانوية العامة

● حليم فريد تادرس ●
موجه أول الفلسفة بمحافظة الشرقية
وعضو الأمانة الفنية لتطوير التعليم

● قدمنا في الاعداد السابقة من « الهلال » بدءا من عدد يناير أساسيات المقرر الدراسي في الفلسفة والمنطق وعلم النفس للثانوية العامة ، وهي الاساسيات التي تدور حولها وتركز أسئلة امتحان الثانوية العامة ، وبذلنا في تقديمها وصياغتها خبرتنا السابقة .. والآن ، ولم يبق على الامتحان الا بضعة أيام ، فماذا نقدم للأبناء من طلبة وطالبات الثانوية العامة ؟

والجواب : ليس سيلاً من النصائح المكرورة المعادة ، ولكن علامات على الطريق ، تعد الطالب خير اعداد للامتحان ... ولعل خير ما نقدمه في هذه الحلقة مايلي :

● في الفلسفة :

يجب أن تتضح في ذهن الطلبة والطالبات المبادىء والمقارنات التالية :

ـ في الفلسفة اليونانية :

(١) مقارنة اتجاهات سقراط الفلسفية بتعاليم ومبادىء السوفسطائية من حيث تصور كلا منهما للطبيعة الانسانية والاخلاق ، والمعرفة ، والحقيقة ، ومنهج او طريقة كل منهم ، مع ملاحظة أساسية هامة هي أن الحقيقة متغيرة ولاثبات فيها عند السوفسطائية لانهم اعتبروا الاحساسات المتغيرة مصدرا للمعرفة ، وهذا مارفضه سقراط الذى استهدف المعاني الكلية والتصورات العقلية الثابتة ، فكان العلم عنده هو العلم بما هو كلي ثابت : وكان لسقراط أثره الواضح في تلميذه افلاطون حيث وصف عالم المحسوسات الجزئية المتغيرة بانه عالم الزيف والخداع والتمس الحقيقة في المثل الكلية الثابتة المفارقة للمحسوسات المتغيرة .

(٢) مقارنة اتجاهات ارسطو باتجاهات افلاطون من حيث تصور كلا منهما

● وضع "كانت" حدوداً للعقل، فمعرفتنا يجب ألا تتجاوز ظواهر الأشياء بالبحث في "الأشياء ذاتها" كحقيقة الخالق والعالم والروح..

للمحسوسات الجزئية المتغيرة ، والعلل الصورية الثابتة ، والموجود الاول « الله » ، وقدم العالم ، والحركة والتغير فى العالم ، وماهو الكلى الثابت ، وماهو الجزئى المتغير عن كل منهما ، مع ملاحظة مايلى :

●● أن الخلاف الرئيسى بين ارسطو وافلاطون كان خلافا حول المسائل التالية :

ا ـ خلاف فى تصور « العلل الصورية » فافلاطون يرى أن صور الأشياء أى عللها الصورية وهى « المثل » لها وجود مفارق ومستقل عن عالم المحسوسات الجزئية المتغيرة ، وهذا مارفضه ارسطو ونقده ايضا ، وتعبر نظرية ارسطو فى المادة والصورة « القوة والفعل » عن رفضه لنظرية المثل الافلاطونية ، فارسطو يقول انه لايمكن ان نفهم شيء أو نفسر وجود شيء بمبدأ مستقل عنه ، فصورة الشيء اى علته الصورية يجب أن تكون حالة فيه ، ذلك ان كل موجود طبيعى او صناعى يتألف من مادة « هى وجود بالقوة » وصورة « هى وجود بالفعل » ولا توجد مادة دون صورة ولا صورة دون مادة ، ووجود الشيء يعنى تحول ماهو بالقوة الى الشيء بالفعل اى تحول المادة لكى تتخذ لها صورة تسيرهما الغاية « العلة الغائية » .

ب ـ خلاف فى تصور الموجود الاول « الله » فافلاطون يقول باله صانع ، أما ارسطو فقد وصف الموجود الاول بانه محرك أول لايتحرك واعتبره علة غائية لحركة العالم لم يسلب منه كل الصفات التى تجب للاله الحق كالعلم والقدرة والارادة والمشيئة والفعل ، اذ وصفه بأنه مشغول عن العالم بالتفكير فى ذاته وتأمل كماله .

جـ ـ خلاف حول ماهو ثابت ، فالثابت عند افلاطون هو « المثل » الأزلية الأبدية وهى المعانى الكلية المفارقة لعالم المحسوسات ، أما الثابت عند أرسطو فهو « المحرك الاول » وكل ثابت كامل .

ـ فى فلسفة العصور الوسطى :

(١) مقارنة اتجاهات الفلسفة اليونانية المعارضة للدين باتجاهات فلسفة العصور الوسطى المشبعة بالعقيدة الدينية ، وذلك من حيث تصور الفلسفة اليونانية وفلسفة العصور الوسطى لصفات الله وعلاقته بالعالم ، وقدم العالم او حدوثه ، وكذلك تصور افلاطون وابن سينا للنفس .

(٢) بيان أثر ارسطو فى فلسفة العصور الوسطى ، خاصة وان فلسفة العصور الوسطى تأثرت بارسطو فى المسائل التى لاتتعارض مع الدين وبخاصة منطق ارسطو فى التوفيق بين الفلسفة والدين ، ونظريته فى المادة والصورة التى تأثر بها ابن سينا فى فلسفته الطبيعية وتأثر بها « توما الاكوينى » فى التوفيق بين الفلسفة والدين .

ـ فى الفلسفة الحديثة :

(١) مقارنة الاتجاه العقلى عند ديكارت بالاتجاه التجريبى « الاستقرائى » عند بيكون على نحو ويضح الاختلاف بين ديكارت وطريقة بيكون فى الكشف عن الحقيقة رغم اتفاقهم فى نقد ارسطو .

(٢) مقارنة الاتجاه العقلى عند ديكارت بالاتجاه التجريبى « الحسى » عند لوك وهيوم ، وخاصة الخلاف حول الافكار الفطرية ودور العقل فى المعرفة .

(٣) مقارنة الاتجاه النقدى عند « كانت » بالاتجاهين العقلى عند « ديكارت » والتجريبى عند « لوك » و « هيوم » والانتهاء من هذه المقارنة الى ابراز الثورة التى احدثها « كانت » فى مجال الفلسفة ، وهى تبدو فى ثلاثة محاور اساسية هى :

أ ـ انه صحح الأوضاع فى مجال المعرفة ، فالانسان لا يعيش فى العالم كموضوع او كشىء من الأشياء الموجودة فيه بل لينظم العالم ويخضعه لعقله وارادته ، ذلك ان التجربة تنتظم وفقا لتصورات الذهن .

ب ـ اعطى لمبدأ « العلية » قيمة جديدة ، فانقذ بذلك العلم من معاول الهدم ، اذ يرى أن « العلية » مبدأ ضرورى من مبادىء العقل القبلية الفطرية خاصة وأن معرفة الظواهر لا تكون ممكنة كموضوعات للتجربة والعلم الا اذا خضع كل تغير لقانون العلية ، وكان « هيوم » قد انكر العلية كمبدأ عقلى ضرورى وظن أنها مجرد اعتقاد مبنى على العادة .

ج ـ وضع حدودا للعقل ، فمعرفتنا يجب ألا تتجاوز ظواهر الاشياء بالبحث فى « الاشياء ذاتها » كحقيقة العالم والروح وخلودها والاله الخالق . فلا احد يدرى كيف يمكن أن توجد الأشياء فى ذاتها ، خاصة وأن الاشياء فى ذاتها ليس لها مضمون حسى .

ـ فى الفلسفة المعاصرة :

(١) مقارنة مفهوم الجدل فى الفلسفة اليونانية بمفهوم الجدل فى الفلسفة المعاصرة وذلك عند كل من السوفسطائية وسقراط وافلاطون وهيجل وماركس

(٢) الحقيقة فى تصور السوفسطائيين والبراجماتيين والعقليين ، فهى متغيرة فى التصور السوفسطائى لأن مصدر المعرفة عندهم هو الاحساسات المتغيرة . وهى ايضا متغيرة فى التصور البراجماتى وذلك طبقا لما تكشف عنه الاحداث والمستقبل ، اما عند العقليين فالحقيقة ثابتة وصدقها ازلى لانها ذات صدق بديهى أى تتعلق بالأمور الواضحة المتميزة .

(٣) مشكلة الجوهر « أصل العالم » فى الاتجاهين الميتافيزيقى والبراجماتى

(٤) أساس حرية الارادة عند « المعتزلة » و « الوجودية » فأساس حرية الارادة عند المعتزلة هو نظريتهم فى « التوحيد » أما عند الوجودية فالاساس هو موقفهم الجديد من الوجود والماهية ، فماهية الانسان لاحقة على وجوده . ومن هنا يصبح الانسان رب افعاله وسيد مصيره ، فالحرية هنا حرية شخصية .

(٥) اكتشاف وجود الذات عند « ديكارت » و « سارتر » فديكارت يكتشف وجوده من خلال الفكر وعن طريق الحدس اى الرؤية العقلية المباشرة فيقول « أنا افكر اذن انا موجود » اما الفيلسوف الوجودى فيكتشف وجوده من خلال « التجربة الحية » التى تسيطر عليها الانفعالية ، ومن هنا كانت الانفعالية هى الطابع المميز للوجودية ، فى حين ان العقل وحده عند ديكارت يحتكر الكشف عن الحقيقة .

● فى المنطق :

– فى موضوع الحدود والقضايا يتعين على الطالب فهم مايلى :

(١) الفرق بين الحدود التى تعبر عن تمام الماهية وهى « الجنس القريب والفصل » والحدود التى لا تعبر عن أى جزء من الماهية وهى « الخاصة والعرض العام » ، وهذا يؤدى الى ادراك الفرق بين التعريف الجامع المانع الذى يعبر عن تمام ماهية المعرف ويكون بالجنس القريب والفصل « الحد التام » لانه يجمع كل افراد الشىء المراد تعريفه وذلك بذكر الجنس القريب ، ويمنع من دخول اى فرد آخر من انواع اخرى فى دائرته وذلك بذكر الفصل كتعريفنا للانسان بأنه حيوان مفكر ، والتعريف الغير جامع الغير مانع الذى يعرف الشىء بالعرض العام كتعريفنا للانسان بأنه مبصر .

(٢) الفرق بين التعريف الشىء ، والتعريف الرياضى ، ولماذا يعتبر التعريف الرياضى اشتراطى اجرائى ؟!

(٣) اليقين والاحتمال فى القضايا التركيبية وفى القضايا التحليلية ، ولماذا تعتبر القضية التركيبية احتمالية الصدق ، والقضية التحليلية يقينية الصدق.

(٤) الفرق بين الحد المستغرق والحد الغير مستغرق فى القضايا الحملية الاربعة ، وتعليل استغراق او عدم استغراق الحدود فى هذه القضايا .

– فى موضوع الاستدلال القياسى ، نظرا لان هذا الموضوع اساسى جدا فى مقرر المنطق يجب ان يتنبه الطالب الى مايلى :

(١) لماذا يعتبر قياس الشكل الأول اكمل اشكال القياس واتمها ؟ والجواب لانه الشكل الذى يتمثل فيه مبدا القياس بطريقة صحيحة ، فالشكل الاول هو الوحيد الذى يأتى فيه ترتيب الحدود فى المقدمتين بنفس الترتيب الذى ترد عليه فى النتيجة ، وهذا من شانه ان يحقق مبدا القياس كما تصوره ارسطو .

(٢) لماذا يجب أن تكون المقدمة الكبرى فى قياس الشكل الاول كلية ، ومقدمته الصغرى موجبة ، ولماذا يجب استغراق الحد الاوسط فى احدى مقدمتى القياس « فى المقدمة الكبرى » ولماذا تتبع نتيجة القياس اخس « اضعف » مقدمتيه ، ثم لماذا تصلح القضية الجزئية السالبة نتيجة فى قياس صحيح من الشكل الاول ، ولكنها لا تصلح ان تكون احدى مقدمتيه .

(٣) دور واهمية الحد الاوسط فى قياس الشكل الاول وكل الشروط المتعلقة بالحد الاوسط فى هذا الشكل سواء من حيث استخدامه بمعنى واحد فى مقدمتى القياس او شرط استغراقه فى المقدمة الكبرى حالة كونه موضوعا فيها وهى دائما كلية ، او عدم انفصاله عن الحدين الأكبر والأصغر .

– وفى موضوع المنهج الاستنباطى ننبه الى الآتى :

(١) ادراك الفرق بين معيار الصدق فى القضية الرياضية وهو اتساق طرفيها ومعيار صدق النظرية وهو صدق يتعلق بصدق مقدمات النسق الذى وردت تليه هذه النظرية ومن هنا لا تكون النظرية صادقة او كاذبة فى ذاتها انها الصدق فيها مشروط بصدق مقدمات النسق الذى وردت فيه النظرية ، ومن هنا تتعدد الانساق الاستنباطية ، ومن هنا يعبر النسق الاستنباطى عن علاقة اللزوم بين قضاياه ، فكل عبارة من عبارات ذلك النسق اما ان تكــون مقدمة استلزمت نظرية ، او نظرية لزمت عن مقدمات ، والمقدمات دائما افتراضية .

(٢) ادراك الفرق بين البديهيات والمصادرات فى المنطق الحديث ، من حيث ان البديهية فكرة يفترض عالم الرياضة صدقها فى العلم الاخص طالما أن هناك علما أعم قد تكفل بتعريفها وبتوضيحها اما المصادرة ، فهى فكرة يفترض عالم

الرياضة صدقها - أيضا - ولكن على مستوى العلم الذى يبحث فيه ويرتب عليها ماشاء من نتائج داخل النسق الرياضى .

- فى موضوع الاستقراء والنهج العلمى المعاصر ، يجب ان يدرك الطالب وعلى نحو واضح ان ثمة اختلاف اساسى بين دور واهمية كل من الملاحظة والتجربة والفرض فى كل من المنهجين وفى طريقة التحقق من الفرض فى النهجين ،فنحن نحقق الفرض فى الاستقراء بطريقة مباشرة عن طريق الملاحظة والتجربة ، اما تحقيق الفرض فى المنهج العلمى المعاصر ، فيكون اولا بطريقة غير مباشرةباستخدام الاستنباط حيث يستنبط الباحث مايترتب على الفرض الصورى الرياضى من نتائج استنباطية ، ثم بطريقة مباشرة حيث يستخدم الملاحظة والتجربة كمرحلة ثالثة على الاقل ، يحقق بهما ماتوصل اليه من نتائج استنباطية ، ولكل ما أسلفناه من اختلاف بينهما لا يحقق الاستقراء التقليدى كل متطلبات العلم الحديث ، وهذه النقطة هامة جدا اذ قد تكون موضعا لسؤال كالآتى :

« لماذا لا يحقق الاستقراء التقليدى كل متطلبات العلم الحديث ؟ »

هذا وثمة اختلاف آخر اساسى بين تصور الاستقرار التقليدى والعلم الحديث لكل من السببية « العلية » والضرورة ، فتعميمات الاستقراء التقليدى تعبر عن علاقة سببية بين الظواهر كما تعبر عن الضرورة اى ضرورة الصدق ، فى حين ان تعميمات العلم الحديث لا ترى فى العلية شرطا اساسيا ، ثم انها تعبر عن الاحتمال لا اليقين اى ترفض الضرورة .

فاذا ماانتهينا الى ذلك تبقى مسالة تطبيق المنهج الاستقرائى على العلوم الانسانية ، اذ ثمة صعوبات تواجه تطبيق هذا المنهج فى مجال علم النفس وعلم الاجتماع ، وهذه الصعوبات يجب ان تكون واضحة فى ذهن الطالب .

- وفى الاستدلال بوجه عام سواء كان قياسيا او استقرائيا او استنباطيا يجب ان يتعرف الطالب على أوجه الاختلاف بين مقدمات ونتائج كل استدلال من هذه الاستدلالات السابقة ، فضلا عن الاساس الذى يقوم عليه كل استدلال منها ، وهذا ماقد سبق أن وضحناه بالتفصيل ، فى مايو « الهلال » .

● وفى علم النفس :

- بالنسبة للمصطلحات السيكولوجية يجب ان يدرك الطالب مدلول السيكولوجية التى وردت فى الكتاب المدرسى والفرق بينها وعلى وجه الخصوص الفرق بين المصطلحات التالية : السلوك والفعل المنعكس ، الدافع والسلوك ، الشعور واللاشعور ، الدوافع الشعورية « وهى اما اولية او ثانوية » والدوافع اللاشعورية ، الكبت والقمع بالاحباط ، الاستيطان والتجريب ، النضج والتعلم العمر العقلى والعمر الزمنى ونسبة الذكاء ، النمو الجسمى والنمو الفسيولوجى ، البلوغ والمراهقة ، والاكتئاب والخجل والقلق ، الفروق الفردية فى النواحى الجسمية والنواحى العقلية وفى الشخصية أيضا ، الوراثة والبيئة ، غرضية السلوك ، ديناميكية السلوك .

- فهم أوجه الاختلاف بين النظريات العشرة للسلوك ، وهذا مهم جدا . اذ ليست العبرة بفهم النظرية ، ولكن ادراك الطالب لاوجه الاختلاف بين هذه النظريات فى تفسير السلوك وهذا ماوضحناه فى عدد « فبراير » من « الهلال »

- وبالنسبة لموضوع النمو يتعين مراعاة الآتى :

(١) تجميع العوامل الوراثية والبيئية المؤثرة فى النمو « او فى الشخصية » والتى جاءت فى مواقع متباعدة من الكتاب المدرسى مرة فى مستهل الحديث عن العوامل المؤثرة فى النمو ، ومرة اخرى فى سياق عرضه لمراحل النمو ،

● ينبغي أن يدرك الطالب في علم النفس أوجه الاختلاف بين النظريات العشرة للسلوك.. إذ ليست العبرة بفهم النظرية، ولكن إدراك المدلول السيكولوجي للمصطلح

ومرة ثالثة حين عرض الكتاب المدرسي للعوامل المؤثرة فى الشخصية او المحددة للشخصية ، وذلك حتى يتسنى للطالب تجميع الاجابة على الاسئلة التالية :

● « البيئة من اهم العوامل المؤثرة فى النمو « اشرح هذه العبارة ، ثم تتبع دور واهمية عوامل البيئة كمؤثرات فى النمو وكمحددات للشخصية ؟

● « الوراثة من أهم العوامل المؤثرة فى النمو « اشرح هذه العبارة ، ثم بين دور واهمية عوامل الوراثة فى النمو والشخصية ؟

● « الفروق الفردية مبدأ من مبادىء النمو والشخصية » اشرح وفسر هذه العبارة ، ثم وضح بايجاز دور واهمية عوامل الوراثة والبيئة فى الفروق الفردية ؟ هل ترى تكاملا بين هذه العوامل ؟ علل لما تقول ؟

● « كل شخصية هى صورة فريدة لا يمكن أن تتكرر » ناقش هذه العبارة موضحا مدى صحتها ، ثم بين دور العوامل التالية كمحددات للشخصية :

أ ـ الغدد الصماء . ب ـ الدور ج ـ الموقف

(٢) بالنسبة لمراحل النمو المختلفة ، عرض الكتاب المدرسى كخصائص ومظاهر النمو فى كل مرحلة على حدة ، ويلزم أن يقارن الطالب بين مظاهر وخصائص النمو فى المراحل المختلفة وذلك حتى يتسنى له الاجابة بنجاح على الأسئلة التالية :

● ما المقصود بالنمو العقلى ، تتبع تطور النمو العقلى للانسان منذ مرحلة المهد حتى نهاية مرحلة المراهقة ، بين مطالب النمو العقلى فى كل مرحلة ؟

● « تتشابه انفعالات الطفل مع انفعالات المراهق فى انماطها ، ولكنها تختلف عنها فى مثيراتها وفى مظاهر التعبير عنها » اشرح وفسر هذه العبارة من خلال عرضك لأوجه التشابه واوجه الاختلاف فى النواحى السابقة ثم اذكر اساليب الرعاية النفسية للاطفال والمراهقين ؟

●● والى هنا نكون قد قدمنا حصرا جامعا مانعا للاساسيات والمحاور التى تدور حولها اسئلة الامتحان فى الفلسفة والمنطق وعلم النفس ، واذا التهينا الى ذلك .. نختتم ماقدمناه من حلقات بقوله تعالى « رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى » .

فى الفلسفة

●« ان الخلاف الرئيسى بين ارسطووافلاطون كان خلافا فى تصور « العلل الصورية » فافلاطون يرى أن صـور الاشياء وهو «المثل » لها وجود مفارق ومسـتقل عن عالم المحسوسات اما ارسطو فيرى ان صورة الشيء تكـون حالة لاننـا لا نسـتطيع ان نقـدر وجود شيء بمبدا مستقل عنه »

●« صحح « كانت » الاوضـاع فى مجال المعرفة ، فالانسـان لايعيش فى العالم كموضـــوع او كشىء من الاشياء الموجوده فيه ، بل لينظم العالم ويخضـــعه لعقله وارادته ، ذلك ان التجربة تنتظم وفقا لتصورات الذهن »

● «الحقيقة فى التصور السوفسطائى متغيرة لان الاحساسات المتغيرة ــ فى تصورهم ــ هى مصدر المعرفة ، وهى ايضا متغيرة فى التصـور البراجماتى وذلك طبقا لما تكشف عنه الاحـداث والمستقبل ، اما عند العقليين فهى ثابته وصـدقها ازلى لانها تتعلق بالافـكار الواضحة المتميزه »

● اساس حرية الاذاعة عند المعتزلة هو نظـريتهم فى التوحيد ، اما عند الوجودية فاساس حرية الارادة هـو موقفهم الجديد من الوجود والماهية ، فطالما ان ماهية الانســان لاحقه على وجوده يصبح الانسان رب افعاله وسيد مصيره »

فى المنطق

● « قياس الشكل الاول اكمل اشكال القياس وانمها لانه الشكل الذى يتمثل فيه مبدا القياس بطريقة صحيحة ، اذ يأتى ترتيب الحدود فى المقدمتين بنفس الترتيب الذى ترد عليه فى النتيجه ، وهذا من شانه ان يحقق مبدا القياس كما تصوره ارسطو »

● « لايحقق الاستقراء التقليدى كل متطلبات العلم الحديث ، وذلك بسبب اختلاف ترتيب خطوات ومراحل كل من المنهجين ، الى جانب ان الاستقراء التقليدى يعتمد اساسا على الملاحظة والتجربه ، اما المنهج العلمى المعاصر فهو استنباطى استقرائى

فى علم النفس

● علم النفس :

● ينبغى ان يدرك الطالب فى علم النفس مفهوم ومدلول المصطلحات السيكولوجيه والفرق بينها ، وكذلك اوجه الاختلاف بين النظريات المفسرة للسلوك اذ ليست العبرة بترديد المصطلح او النظرية ، انما المطلوب هو ادراك المدلول السيكولوجى للمصطلح ، واوجه الاختلاف بين النظريات .

● « عرض الكتاب المدرسى كخصائص ومظاهر النمو فى كل مرحلة من مراحل النمو على حده ، ويلزم ان يقارن الطالب بين هذه الخصائص والمظاهر فى المراحل المختلفه للنمو

تذكرة طبية

● د. السيد الجميلي ●

التدخين

يعتقد المدمنون للتدخين ان اهم ميزة له – بالنسبة لهم – هى الترويح عن النفس ، وتركيز تفكيرهم اثناء العمل . الا ان للتدخين اضرارا يجب الا تغرب عن البال او تغيب عن الفكر ، اذ يقلل شهية الاكل لذلك لا ننصح به قبل الوجبات .. كما انه يهيج اللسان والمعدة والمصارين نتيجة انطلاق مادتي النيكوتين والبيريدين مما يمهد للاصابة بقرحة المعدة .

الصداع الحاد أحيانا يكون مرجعه للتدخين المفرط الكثير مما قد يترتب عليه خفقات القلب، لذلك فمن المفروض تجنب التدخين فى حالات امراض القلب المختلفة ، وتصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم .

وفى احيان كثيرة يؤدى التدخين الى ضعف الابصار من جراء تأثيره على اعصاب العين .

● النوم والراحة ●

الراحة ، وبصفة خاصة النوم ، هامة وضرورية للجسم حتى يستعيد البدن والعقل قواهما ، ولابد لذلك من النظام فى المواعيد التى يستجم فيهما الجسم ، فالذهاب للفراش لابد أن يكون فى أوقات معينة ثابتة ، والا تقل مدة النوم عن ٨ ساعات يوميا للبالغين كما يجب تجديد الهواء اثناء النوم مع مراعاة استبعاد اية تيارات هوائية ، وليس من المستحب تناول وجبات دسمة قبل النوم .

وفى غرفة النوم لابد من تجنب الحرارة او البرودة حتى لا يتولد الارق فيذود النوم عن الجفون .

● الحمام ●

يجب تجنب عمل الحمام اثناء الجوع وبعد الاجهاد الشديد او عقب تناول الطعام مباشرة .

الحمام البارد المنعش يبعث النشاط والدفء بالجسم ، لذلك فاخذه فى الصباح مستحب مطلوب لاعطاء البدن انتعاشا وقوة وعافية .

اما الحمام الدافىء والساخن فيجب اخذه قبيل النوم مباشرة حتى لا يصاب الانسان بالبرد ، والحمام الدافىء هو اكثر الحمامات تنظيفا للجسم ..

وننوه الى انه يجب ان يراعى ان يكون الصابون المستعمل غير زائد القلوية حتى لا يتسبب فى تهيج الجلد .

● عن الانفلونزا ●

مرض معد حاد مدة حضانته فى جسم الانسان تتراوح ما بين يومين الى خمسة ايام . من اهم اشكالها وانواعها

١ – نوع نزلات البرد العادية حيث يكثر السعال والزكام وارتفاع الحرارة ، وصداع شديد ، والام بالظهر والعضلات وتدهور عام فى القوى البدنية .

٢ – الانفلونزا التنفسية وفيها تلتهب الشعب الهوائية والرئتان ، وقد تتحول الى التهاب رئوى حاد ، ثم التهاب بللورى

٣ – انفلونزا معوية معها الم فى البطن وقيىء واسهال . ومن اهم مضاعفاتها هبوط القلب والتهاب الاذن الوسطى ، مع ضعف حاسة الذوق والشم والتهاب الشعب الهوائية المزمن مع انحطاط عصبى شديد ودوار .

وعلاج الانفلونزا يختصر فى عزل المصاب والزامه الفراش حتى تهبط درجة حرارته لبضعة ايام ، ويعطى اقراص الاسبرين والمسكنات الاخرى ، ولا يجب اعطائه المضادات الحيوية الا باشراف الطبيب المعالج .

ترنيمة الختام

دعاء

● د. مصطفى الجندي ●

من ملحمة ابن الهوى

إله الوجود أسوق الرجا ... وأسأل عطفك رب السماء

فليس سؤالي سوى خفقة ... لقلب إليك شديد الظماء

يقوم لذكرك عبر الدجى ... ويهتف باسمك عبر الضياء

يموت ويحيا على ملة ... أقامت على العدل خير البناء

وشادت على النور أركانها ... وبالحق دامت ودام الرخاء

فكيف تبدل فيض الهدى ... وخير الحديث بشر الدعاء

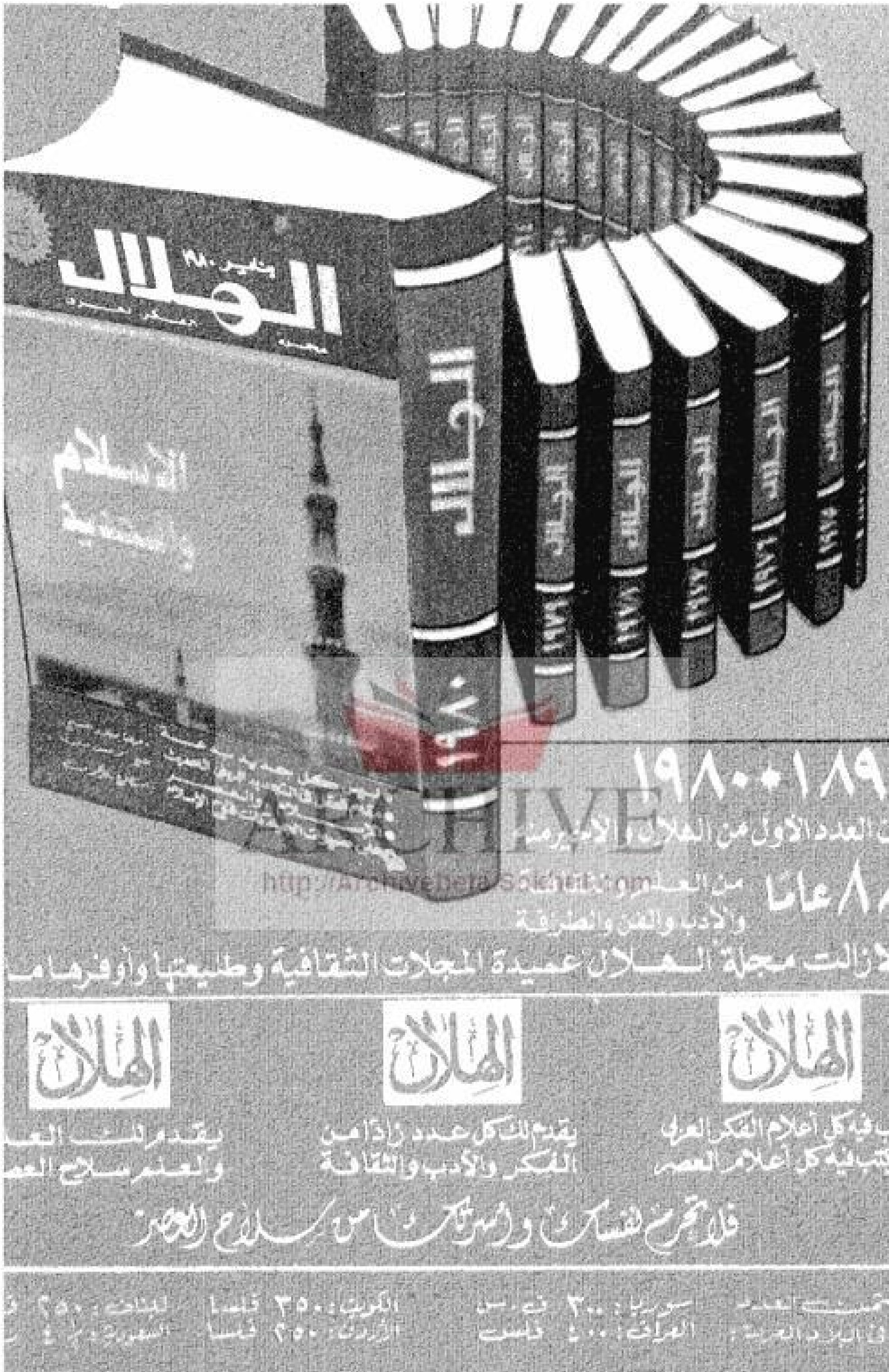
يحار فؤادي بعد السنا ... وعذب الرحيق وحلو السناء

وترفض روحي بعد الرضا ... ظلام الطريق وتأبى العداء

ويلجأ قلبي إلى ساحتك ... فليس بغير هداك رجاء

وليس سواك إلهي إله ... وليس لغيرك ربي بقاء!

●●●


الهلال
الإسلام
١٩٨٠ - ١٨٩٢
العدد الأول من الهلال
٨٨ عاما
والأدب والفن والطرفة
لا زالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها
الهلال
الهلال
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
الكويت: ٣٥٠ فلسا
الأردن: ٣٥٠ فلسا
سوريا: ٣٠٠ ق.س
العراق: ٤٠٠ فلس

يونيه ١٩٨١

الهلال

مجلة الفكر العربي

محمد صلى الله عليه وسلم قاضيا



حات من تجربة الإمام

حمد متولى الشعراوى

التعليم والتعريب .. قضية جامعية

التلوث : مسألة حياة أو موت !

أحمد رامى .. عصر من الحب والغزل

آل البيت فى مصر [استطلاع بالألوان]


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧

كلمة الهلال

ولا تنسوا الفضل بينكم

مما يؤثر عن الصوفى الصادق بن ابى الخير ان واحدا من مريديه طلب اليه ان يتوسط له لدى احد الحكام فصاح : يا مسكين ! تسال المخلوق والخالق اقرب اليك من حبل الوريد !

وهذه العبارة نحب ان نرددها فى اخواننا قراء الهلال فى مطلع شهر رمضان ، لاننا فى الحقيقة نتصرف فى احيان كثيرة دون ان نذكر الله سبحانه وتعالى ، والمسلم الصحيح ينبغي ان يتصرف دائما على انه يعامل الله سبحانه وتعالى ، ولا يعامل الناس فقط ، فان الله سبحانه مطلع على ما نفعل ، ومهما نخفى فى نفوسنا فان الله سبحانه يعلمه . اذا كنا صادقين فان الله يعلم ، وان كنا كاذبين فهو سبحانه يعلم ، فلماذا نظن اننا نخدع الله سبحانه فنكذب ونتنافق ونخدع ونحن نعلم ان الله سبحانه وتعالى يعلم ما نظهر وما نبطن ...

لو تعامل الناس على انهم يعاملون الله سبحانه لصلح لهم امر الدنيا وامر الاخرة ، ولو ذكرنا ان رضى رضى الله هو الغاية الكبرى لكنا اسعد مما نحن فيه ولا سترحنا وارحنا .

ومن كلام الله سبحانه وتعالى قوله : (ولا تنسوا الفضل بينكم) اى اننا ينبغى ان نتعامل بعضنا بعضا بالفضل ، وهو ما يزيد على العدل ، فاذا طلب صاحب لك منك عونا فلا ترفض لانه سبق ان قصر فى واجبك ، بل كن انت الفضل وعامله بالفضل ، اى بما يزيد على المطلوب : ساعد من لم يساعدك واكرم من لم يكرمك واذكر من لا يذكرك وكن انت دائما الفضل فى معاملتك تكن اقرب الى الله سبحانه وتعالى وتكون اسعد حالا واهدا بالا .

اننا الآن فى رمضان ، ورمضان شهر عبادة قوية ومغفرة ، ونحن فى رمضان نصلى من كل قلبنا ونصوم من كل نفوسنا ، فماذا لو عاهدنا الله سبحانه على ان نصدر فى كل تصرفاتنا على اننا نعامله سبحانه من دون الناس ، وماذا لو تعاهدنا على ان نتعامل بالفضل بيننا ؟

هذا رجاء وامل ، والله سبحانه من وراء كل خير ومعين على كل فضيلة وفضل .

وكل عام وانتم بخير

المحرر

كتب وكتاب

شهيد الوطنية المصرية أمين الرافعي

تأليف : صبرى أبو المجد

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

● هذا كتاب يسعدنى ان يكون لى فى نشره نصيب .

ان موضوعه عظيم . انه رجل من اعلام تاريخنا وشخصياته التى تعتبر معالم مضيئة على هذا التاريخ ، انه امين الرافعى مثال المصرى فى أصفى وانبل صوره ، الكاتب فى ارفع مراتبه ، والصحفى فى اشرف مواقفه .

ومن منا لا يتشرف أن يكون له مكان فى ذكره ؟

ومؤلف الكتاب صديق حياة ، وزميل قلم . معا عملنا فى دار الهلال ، وربطتنا روابط القلب والعلم والحب لهذا البلد ، ولكل من احبه وجاهد فى سبيله ، ولا يزال صبرى ابو المجد مؤرخ الصحفيين المصريين وراصد تاريخ القومية المصرية عامة .

***

رأيت أمين الرافعى مرة واحدة . كنت فى السنة الاولى بالمدرسة الثانوية وكان لنا صاحب من أول النجدة ، يكبرنا سنا وكان وطنيا متوقد الحماس متجدد النشاط ، ويبدو ان شباب تلك الايام كان كله على هذه الوتيرة حبا لمصر وتفانيا فيها .

كان هذا الشاب يقضى يومه متنقلا بين الزعماء والصحف ، مشاركا فى المظاهرات حيثما كانت ، لا تراه الا



وتحت ابطه صحف مصر كلها ، وكان يحفظ ما يكتبه أمين الرافعي عن ظهر قلب ، فأمين الرافعي كان رمز حبه ومعقد ولائه ومثار اعجابه .

وفي ذات يوم اضربنا في المدرسة ، ولم يفلح صاحبنا المتفاني في السياسة في تكوين مظاهرة ، فتبددنا أول الطريق ، وقال لنا : نزور أكبر زعيم في مصر .

سألت : سعد باشا ..

ـ لا .. أمين الرافعي .

وذهبنا معا . كنا أربعة ، والمنزل كان في شارع متفرع من درب الجماميز كان دارا صغيرة من دورين ، الاول للتحرير والثاني كان سكنا للاستاذ . وقيل لنا ان الاستاذ موعوك ولكننا نستطيع أن نصعد اليه . وصعدنا يتقدمنا صاحبنا عاشق أمين الرافعي . أذكر ان الغرفة كانت نصف مضيئة . كان هناك باب كبير يؤدى الى بلكون فيما تصورت . وكان هناك مكتب عليه أكوام من الصحف وأكداس من الكتب وكانت هناك كنبة وبعض كراسى .

وكان الاستاذ جالسا على سجادة صلاة . كان قد صلى الظهر وجلس يسبح . كان اشيب شاحب اللون خفيض الصوت ، ولكن الله افرغ عليه جلالا ووقارا لم اعرفهما الى ذلك الحين

كان يقول ان الباشا يؤذيه ،والباشا كان سعد زغلول ، وحمل صاحبنا الشاب على سعد زغلول ، فرفع الرجل يده وقال : لا يا أخ مختار . نحن لسنا ممن يسب ويتحدى . دعهم يفعلون ما يريدون ، فنحن فى طريقنا .وقضية مصر ليست بيد سعد أو عدلى ، بل بيد هذا الشعب ، وما يفعله الله هو الخير ولا يصح الا الصحيح » .

ونهض الرجل فجلس على الكنبة واستند الى الوسائد ، وطلب لنا شايا ودخل ناس كثيرون يحيون الاستاذ ويصافحونه ، وبعضهم يعانقه .

وظل بصرى معلقا بهذا الشيخ المهيب الشاحب الوجه الخفيض الصوت ، ظللت صامتا لأننى فى حضرة قديس . وكان الحماس قد أخذه فمضى يتدفق بالحديث واختلطت على الاصوات ، لأمر ما احسست بحب شديد نحو هذا الرجل ، وسلم صاحبنا ومضى ، ومضى اناس واتى اناس ، وأنا جالس شاخص البصر ، أتأمل هذا الوجه السمح الذى كان يحمل آلاما بلا نهاية . وكان لابد ان أمضى ، فمضيت الى دارى وفى قلبى فرحة وأسى . الفرحة لأننى رأيت بطلا من أبطال مصر والاسى لأننى رأيت هذا البطل موعوكا شاحب الوجه شاكيا من الناس .

ثم قصدت دار صاحبى وطلبت منه ان يحدثنى عن امين الرافعى ، فتحدث فى حماس متدفق ، واخرج ملفا فيه كل ما كتب أمين الرافعى ، ومضى يقرأ لى طرفا من هنا وطرفا من هناك . وعدت يومها الى دارى وأنا أشعر باعتزازى بأن اكون أنا من نفس البلد الذى ينتسب اليه امين الرافعى وسعد زغلول ، على عظيم ما كان بين الرجلين من فوارق وخلافات .

فهذا الرجل الجليل عاش لمصر واحبها فى سبيلها ، كما فعل مصطفى كامل ومحمد فريد . وأمين الرافعى يتميز بأنه لم يكن رجل سياسة ، ومن ثم فهو لم يعرف فى حياته اساليب السياسة وما تجلبه معها أحيانا من ثروة من مكاسب وأمجاد . أما أمين الرافعى فقد كان رجلا مستقيما كالسيف : آمن بمصر وتمسك بحقوقها ووهبها نفسه وقلبه ومضى على الطريق طريق الآلام ـ « أى ايفيا دولوروسا » الى نهايته ، وما كانت أكثر الآلام فى حياة هذا الرجل الكريم الاصيل ! ان الناس يدخلون فى ميدان الصحافة ليشقوا فى البداية ، ثم يسعدوا فى النهاية ، أما أمين الرافعى فقد شقى بالصحافة من البداية الى النهاية ، لانه كان رجلا عاشقا لهذا البلد الذى يستحق العشق حقا ، والعاشق الصادق لا يسعد أبدا ، فما بالك ، ومعشوقة أمين الرافعى ـ مصر ـ كانت تعانى فى أيامه من الآلام ومتاعب الظروف وعدوان الانجليز واستغلال الاسرة الحاكمة وضياعة انصارها وخسة اصحابها ، ولم يكن الرافعى كما قلنا رجل سياسة ، فلم يكن قط مستعدا لان يساوم على ذرة من حقوق مصر ، فكاثره الاعداء وزادوا آلامه ، فظل يخسر الى النهاية ، حتى المال القليل الذى كان لديه انفقه على جريدة الاخبار ، لا لانها كانت تخسر ، بل لانه عندما اعلنت الحماية البريطانية على مصر اغلق الجريدة حتى لاينتشر الخبر فى جريدته ،وكانت السلطة العسكرية الغاشمة قد امرت بأن تنشر كل الصحف ذلك الخبر . نعم ، اغلق الجريدة وظل يدفع رواتب المحررين والعمال الى النهاية ، لانه أوقف الجريدة بقرار شخصى منه فلماذا يتحمل المحررون والعمال نتائج هذا القرار ؟



بعد نصف قرن من الجحود كرم الرئيس السادات شهيد الوطنية المصرية امين الرافعي في حفل عيد الصحفيين ، وسلم الرئيس قلادة النيل لنجل الشهيد م. المهندس محمد عز الدين الرافعي .

هذا هو الرجل الذى يقص صبرى أبو المجد قصته فى هذا الكتاب البديع الذى اسعد بتقديمه الآن ضمن سلسلة كتاب الهلال . وهو يروى القصة كأحسن ما تروى القصص ، وعلى أصدق مايكتب التاريخ توثيقا وتأييدا بالشواهد حينا ، وبالمحبة حينا ثانيا ، وبالعلم الواسع بتاريخ مصر الحديث والمعاصر ثالثا ، ولهذا فقد جاء الكتاب ذخرا من ذخائر المكتبة العربية ووثيقة اجلال لمصر وقصيدة حب لها ، وما أكثر ما ينشد صبرى أبو المجد من القصيد فى حب مصر !

الى هنا واضع القلم ، فقد طال التقديم ـ احسب ـ والقارىء ولا شك مشوق الى ان يقرأ امين الرافعى بقلم صبرى ابو المجد .

تحية للكتاب وبطل الكتاب ومؤلف الكتاب .

وتحية لمصر تلك الخالدة التى نقول جميعا ، انا عشاقها ، ولكن امين الرافعى فى هذا المجال سلطان العاشقين ، ولكن ومعذرة لامين الرافعى ان اصفه هنا بانه سلطان ـ ولم يكن يحب السلاطين ـ ولكن من حق هذا المصرى العظيم ان يكون سلطانا على قلوبنا عندما نذكر الرافعى امينا .

....

يوما بعد يوم تزداد الصحافة اهمية وتزداد مسئولية الصحفى ثقلا ، لان الصحفى تزداد مهمته كصانع للفكر والراى مع الزمن وقد دخلت صحافتنا العربية ، مع الأزمات التى تتزايدداخل الوطن العربى وخارجه خطورة .

لهذا فاننا عندما نقدم هذا الشهر كتابا عن امين الرافعى بقلم صبرى ابو المجد فاننا نقدم للصحفيين ، والمثقفين ، وقراء العربيه جميعا درسا عظيما فى مهنة الصحافة ومسئوليات الصحفى وما ينبغى أن يتصف به من الخصال ، وما لابد له من قوة وطنية وقومية واخلاقية ..

فقد كان الرافعى حقا مثلا اعلا للصحفى كيف ينبغى ان يكون ، كان صادقا مع وطنه ، وكان شديد الاخلاص لقضايا الوطن يضحى بنفسه فعلا فى سبيلها . وكان يحس بمشاكل الوطن احساسا عميقا شاملا لكيانه كله . من هنا فقد احتل فى تاريخ الصحافة العربية مكانا صدرا ...

وقد درس المؤلف صبرى ابو المجد حياة الرافعى كما لم يدرسها احد قبله ، واطلع على وثائق واصول لم تتيسر لغيره وعالجها باستاذية وقدرة معروفة عنه فى كتابة الموضوعات القومية التاريخية .

هذا كتاب عظيم القيمة بموضوعه وبما فيه من دراسة وبما يقدمه من دروس . ويسعدنا ان نقدمه لقراء الهلال ذخرا جديدا من الذخائر التى تتكون منها سلسلة كتاب الهلال ●

فى هذا العدد

الهلال
مجلة الفكر العربى

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

شعبان ١٤٠١ هـ
يوليه ١٩٨١ م

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة التاسعة والثمانون – أول يوليو سنة ١٩٨١ – ٢٩ من شعبان سنة ١٤٠١ هـ

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
سكرتير التحرير الفنى : موسى عميد

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها . وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر

ص

الإشراف الفنى
أحمد الوردجى

● صورة الغلاف ●

تبركا بشهر رمضان المبارك الذى يصدر هذا العدد من الهلال فى اوله، نشرنا فيه حديثا سابقا مع الشيخ العلامة الامام محمد متولى الشعراوى، وزينا الغلاف بصورة من اندر صورها وادلها على شخصيته ..

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراك بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . لا تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراك بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة ،
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط .

بمناسبة رمضان المبارك

الدنيا بخير

بقلم : رئيس التحرير

●●

اذا لم تكن الدنيا بخير فنحن المسئولون ، لاننا لا نريدها خيرا ابدا . كل منا لا يفكر الا في نفسه ، ويتصور ان الله سبحانه خلق هذه الدنيا كلها له وحده دون سواه . ليس في الدنيا اولاد الا اولاده .. وليس في مصر من يستحق الخير الا هو .. وكل قانون وكل نظام ينبغي ان يزول لكي يسعد هو .. ولو استطاع كل منا لانفرد باوتوبيس وحده يحمله الى عمله ويعود به الى بيته .. اما ان يركب مع الناس بهدوء ونظام ويقف في طابور ينتظر دوره ، فهذا مالا يعمله قط . لاننا انانيون فرديون قصار النظر ، ولاننا لانؤمن بالخير وبالقيم الاخلاقية رغم اننا نصلي ونصوم . ونحن ننسى دائما ان الخير هو نحن ، وان الشر هو نحن . اذا اردنا الدنيا خيرا كانت خيرا ، ونحن اولا واخرا المسئولون

●●

الارض بخير الى ما شاء الله ..
والسماء بخير كما خلقها الله .
ولكن المشكلة تكمن فيما بين السماء والارض : الانسان
الانسان هو الخير اذا أراد
والانسان هو الشر اذا شاء ..
وقد هداه الله النجدين ، اما شاكرا أو كفورا .
أهداه الله الطريقين : طريق الخير وطريق الشر ، وتركه يختار .
وبلادنا هذه ـ بلاد العروبة والاسلام .. بخير اذا اردناها خيرا وهي بشر اذا أردنا نحن لها الشر ..

فاذا كنا نشكو فمن أنفسنا .
واذا كنا نشقى فبأيدينا .
والناس من حولنا لا يكفون عن الشكوى . لا يكفون عن سؤال الله سبحانه ان يرفع عنهم ما يعانون منه .

ونحن نقول لهم : لا بأس بكم أيها الناس ولا تراعوا فبلادكم بخير والحمد لله ...
وهذا الذى نشكو منه ليس بجديد . فهذه هي الدنيا . كلها تعب وشقاء ولا ينفع فيها الا العمل والصبر والاحتمال وقبل ذلك كله : لابد من الايمان .
الايمان بالله والايمان بالوطن والايمان بالنفس .
ومهما كانت الظروف التي تحيط بنا فلابد أن نخرج منها سالمين منصورين ما دمنا مؤمنين نتصرف تصرف مؤمنين .
أما أن نقول اننا مؤمنون ونتصرف تصرف غير المؤمنين فشيء لا يستقيم ..
وقد سمعت الكثيرين يتحسرون على السنين الخالية . أيام كانت الاسعار راخية والدنيا واسعة ..
أيام كان الناس يشترون بالقرش لا أدرى كم بيضة ، وأيام كانت الدنيا بخير ...

***

واحب أن أطمئنكم واقول لكم : ان الدنيا لم تكن بالامس أسعد مما هي اليوم ، والمشاكل لم تكن بالامس أقل مما هي عليه اليوم .
وكل الفرق هو أن الناس فيما مضى كانوا أوثق ايمانا بدينهم وبوطنهم وأنفسهم .
ولم تكن المطامع والتطلعات تفسد عليهم دنياهم .
ففي الماضي كان الناس يسيرون على مهل ، ويمدون أرجلهم على قدر لحافهم ويجهدون أنفسهم لكي يطول لحافهم ، ويغطي جسدهم كله .. ولم يكونوا قط يشكون ويطالبون الدولة بأن تقدم لكل منهم لحافا يطول رجليه .

أما اليوم فان الناس لا يعرفون القناعة أو الصبر ولا يعرفون حدودا للاطماع والتطلعات ..
فالناس جميعا ـ من يستطيعون ومن لا يستطيعون ـ يريدون أن يكون لديهم تليفزيون ، وبالالوان ! ..
أذكر انني كنت في السنة الثانية الثانوية عندما انتشرت موجة الفونوغراف الموبيليا ..

وكان الناس يشترون الجرامافون ويصنعون له الدولاب عند النجار .
وكان ذلك يتكلف نحو الثلاثين جنيها ..
وكان الناس الذين فوقنا عندهم هذا الفونوغراف ، وكذلك الذين يسكنون امامنا ، ومع ذلك فلم نحس في بيتنا باننا لابد ان يكون لنا فونوغراف مثل الآخرين . كنا واثقين من اننا سنشتري احسن فونوغراف في الدنيا ، ولكن عندما يحين الاوان .

وظللنا نسمع الاغاني من الشباك .

وعندما دخلت الجامعة كنت اعمل بعد الظهر في التعليم ، وتيسر لي مال لشراء جهاز راديو ، وكان الراديو قد غطى على الفونوغراف ، وقلت ذلك لوالدي ، فقال :

ـ انت حر فيما تفعل ، ولكن لو كنت مكانك لانشات لي غرفة مكتب مناسبة ولصنعت لنفسي ملابس جديدة كافية ، وبعد ذلك انظر في الراديو .. كل شيء سياتي ، ولكن كل شيء باوانه اليس كذلك ؟!
ـ بلى .. هو كذلك !
وفعلت كما قال . وشيئا فشيئا ، ودون عجلة أصبح لدينا ما نريد بجهدنا وعرقنا ، دون شكوى ودون سؤال أحد .
وفي يوم من الايام ، ونحن في المدرسة الثانوية ـ قال لي صديق .
ـ سأشتري سيارة . عندي ١٨٠ جنيها وينقصني ١٢٠ .
ـ ولماذا لا تنتظر حتى تكتمل الثلاثمائة ؟ .
ـ لا أريد ان انتظر .. كم تستطيع ان تقرضني ؟ ..
واقرضته ما تيسر ..
واقترض من غيري كذلك ، واشترى السيارة .

وبعد ذلك ثقل عليه عبؤها ، وحدث لها حادث ، وعجز عن الانفاق عليها ، فباعها ، وبقيت عليه الديون !

وعلى فكرة ليس صحيحا ما يسمى ابناء هذه الايام من ان القرش من ثلاثين سنة كان يشترى عشر بيضات !

هذا غير صحيح ..

ولم أعرف فى حياتى بيضة بمليم !

انما هى تهاويل وتقديرات يسوق اليها الجهل حينا والرغبة فى تصوير غلاء الاسعار اليوم فى صورة يحسب أصحابها انها تدهش الناس حينا آخر .

واذا كانت البيضة تباع فى هذا البلد فى يوم من الايام بمليم ، فلماذا كان عندنا دائما ناس لا يملكون ما يشترون به بيضة فى اليوم مع علمنا بأن أتعس متسول عندنا لا يمكن أن يقل ايراده اليومى عن قرشين. ثلاثة ؟

وقد قرأت لاحد الكتاب ـ ممن يحاولون ان يقولوا ان غلاء الاسعار اليوم لم يسبق له مثيل ـ ان بعض الفلاحين المصريين فى الماضى كانوا يعيشون اسبوعا كاملا على خبز الذرة والماء ولا زيادة ..

ومن المؤكد ان هذا غير صحيح ، فانا أعرف الفلاحين والقرى منذ كنت صبيا ، فما عرفت رجلا فى قريتنا ينام على الطوى يوما أو يومين ، فان أهل القرية لا يأذنون فى ذلك قط اخلاقياتهم تأباه ، ولا يحتاج أحد منهم الى ما يأكله الا وجده ـ دون مبالغة طبعا ـ فهذا البلد لم يعرف الجوع الا أيام الفاطميين. او أيام المماليك والاتراك ، عندما كان سوء الحكم والظلم وجهل الحكام تؤدى كلها الى الازمات الاقتصادية المعروفة بالمجاعات او الغلوات ، أما من أوائل هذا القرن فقد كانت الدنيا دائما بخير فى هذا البلد ، والناس عندنا طيبون فى قرارة نفوسهم . واذكر اننا كنا ذات يوم فى القرية عندما فقدت امرأة مسكينة زوجها وابنها الاكبر غرقا فى « الرياح » وهو قناة واسعة تمر جنوبى قريتنا خارجة من النيل ، فتكفل أهل القرية جميعا ـ دون اتفاق على بين الناس ـ بالقيام بشئون هذه السيدة يوما بعد يوم ، فكفلنا جميعا طعامها وأولادها على أحسن ما كانت تطعم أيام زوجها ، بل تكفلنا بسكوتها وتعليم ولد وبنت لها وهاهما ابنها وبنتها اليوم فى حال طيبة بعد ان تخرجا فى الجامعة وتكفلت الدولة بتعليمهم وسار كل شىء وكان هذه السيدة لم تفقد زوجا وولدا ..

والدنيا بخير ..

***

ولكن الذى ليس بخير هو نحن ..

الارض بخير والسماء بخير ، ولكن الذى بينهما ـ وهو الانسان ـ ليس بخير !

وهو ليس بخير لانه لا يفعل الشىء الذى يجعله بخير والشىء الذى يجعله

● ليس في الدنيا دولة تعمل لشعبها أكثر مما تعمل دولتنا ، ولا توجد دولة على الأرض تنفق ما تنفق دولتنا لتأمين الغذاء للناس ، ولكننا مع ذلك نشكو ، لأننا أنانيون لا نعرف الخير ولا الايمان السليم.

بخير هو الايمان والصدق والاخلاص والايمان ليس كلمة تنطقها الشفاه ، ولا هو اداء العبادات فحسب بل التصرف في كل شيء عن ايمان عميق شامل ..

وما أيسر الايمان لمن أراد أن يلتزم الايمان ..

انه في رأيي أيسر طريق لمن اراد ان تكون حياته سهلة ذلولا .

لا تفعل الا ما تؤمن به ، ولا يصدر عنك فعل أو قول الا من صميم قلبك .

وصدقني انك لو التزمت الايمان لكسبت اضعاف ما تطمح اليه نفسك : ويكفي انك تكسب بهذا راحة البال ..

وهل هناك أيسر من الصدق ؟

انني لا أقصد بذلك ان تصارح الناس برأيك في كل شيء ، وتقذفهم بما في نفسك غير مبال ولا عياب . فهذا امر لا يطالبك به احد ، وليس من المعقول أن تطالبك بأن تدخل في معارك أهلية مع الناس كل يوم ، بل المقصود هو ان تكون صادقاً مع نفسك في معاملاتك للناس .

خذ حقك واعط الناس حقهم .

خذ حقك دون تحايل ، دون لؤم ودون خداع ودون أن تصغر نفسك دون داع للوصول الى ذلك .

والاخلاص هو الا يصدر عنك شيء - قول او فعل - الا عن قلب خالص . فالعمل لابد ان يكون متقنا ، وتقدير الاتعاب اوالاسعار ينبغي ان يكون عادلا والكلمة التي تعطيها لابد ان تكون كلمة شرف واجبة الوفاء .

اذا فعلت ذلك - واؤكد لك انه ممكن - لوجدت ان الدنيا حقا بخير .

لانها اذا لم تكن بخير فثق انك انت المسئول .

لقد بلغ من عدم صدقنا بعضنا مع بعض وعدم اخلاصنا لانفسنا اننا أصبحنا نقول فيما بين بعضنا وبعض ان الاحوال وصلت الى حال من السوء لا يمكن معها علاج ..

وتسأل : اى أحوال ؟

- يعني كل حاجة

وهذه الاجابة تدل على أن المتكلم لا يعرف مم يشكو ، وانما هو « السلام » .

وليس معنى ذلك انه يتجنى ، أو ان حياته على أحسن حال او انه يفتعل الشكوى افتعالا ، وانما معناه انه لا يعرف كيف يعبر عما في نفسه ، لانه في الحقيقة جزء من الشكوى نفسها ، وربما كان هو صميم هذه الشكوى نفسها واضرب لك مثالا تلمسه بيدك .

رجل يشكو من المواصلات في القاهرة . وكل الناس يشكون من مواصلات القاهرة ..

● الدنيا بخير، لأن الله سبحانه وتعالى أرادها خيــرًا ، ووهبنا العقل لنختار الطريق الذى نريد ولكننا نحن بأنانيتنا نختار الخير لأنفسنا فقط دون تفكير فى الآخريــن، وننسى أن الخير لا يكون خيرًا إلا إذا عمّ الجميــع .

ولكن هل السبب قلة الحافلات ؟
بالعكس ، الحافلات اكثر من ان تتحمل شوارع مدينة القاهرة ..
ولكن السبب اننا لا نعرف كيف نستعمل وسائل المواصــلات لدينا ، ولو عرفنا كيف نستعملها استرحنا .
فنحن لا نقف طابورا أبدا ..
نحن نتجمع كأننا قطيع ، وكلما وصلت سيارة هجمنا عليها . كلنا نريد أن نركب في نفس الوقت .
وركوب الحافلة أصبح بهذا الشكل معركة .
هل هذا معقول ؟ ..
اننا نذهب الى أوروبا ونرى الناس طوابير فى محطة الاوتوبيس فنقف معهم ونركب دون صعوبة .
ونرجع الى مصر فنتحول الى همج ونهجم جميعا على الاوتوبيس ، ثم نشكو .
فهل المسئول هنا هو الاوتوبيس ، أو مرفق مواصلات القاهرة ؟ ..
المسئول فى الحقيقة هم نحن ..
وعندما نشكو من مواصلات القاهرة فنحن فى الحقيقة نشكو من أنفسنا ، نحن نتصرف تصرف همج ثم نشكو من الهمجية . نحن نشكو من الفــوضى ، والفوضى هى نحن ..
وفى هذه الحالة كيف تكون الدنيا بخير ، ونحن بأنفسنا نمحو منهــا الخير ونضع الشر .
هل استطعت ان اوضح نفسي ..
هل فهمت ما أريد ان أقول ..
لو وعيت عنى ما أقول لاحسست معى ان الدنيا بخير ..
وان الذى ليس بخير هم نحن ..
وما كان ربك يهلك القرى وأهلها مصلحون

***

الدنيا بخير ..
اقولها لنفسي صباح مساء ..
وأنا اقصد أنها بخير اذا اردناها خيرا ..
ولا يمكن ان تكون خيرا ونحن نجعلها سوءا
وقبل ان نشكو من الدنيا ومن اخطاء الدنيا لننظر فى انفسنا ولنســائل هذه الانفس ونحاسبها قبل ان نحاسب الآخرين ..
هنا سنجد ان الدنيا فعلا بخير ..
عرفت فى حياتى جميع صنوف الناس، ولقيت ومازلت القى طبقات النــاس جميعاً من الوزراء الى عامة الناس ، وقد لاحظت ان المشكلة واحدة عند الجميع .

● لا تنس أنك في كل شيء ينبغي أن تعامل الله لا الناس . إن الله مطلع على كل ما تعمله . وأنت إذا عاملت الله وجدت نفسك أسعد وأقرب إلى الخير

والى يومنا هذا لم يسدد ديونه ..
ما ضره لو كان انتظر حتى تجيء السيارة في أوانها ؟ ..
انه كان يفكر بعقلية ابناء اليوم : يريدون كل شيء ، وفى الحال ، وبأى طريق ! ..

أذكر أول طبيب تخرج في عائلتنا . كان اسمه سامى ، وتخرج سنة ١٩٣٦ ، وكان تعيينه فى المحلة الكبرى ..
وهذا الدكتور سامى ترقى فى المناصب وافتتح عيادة في المحلة ، وكسب مالا كثيرا ، وانتقل الى القاهرة عندما جاء موعد انتقاله ، وافتتح هنا عيـــادة وكسب مالا أكثر ، ووصل الى أعلا المراتب فى عالم الاطباء ..
كل ذلك فى هدوء نفس وثقة فى الله وفى العمل الامين ..

ومن عامين تخرج فى عائلتنا طبيب .
وكان تعيينه فى المنيا .
وقامت الدنيا وقعدت ، لان الطبيب الشاب لا يريد أن يعمل فى المنيا . منازل الاطباء فى الوحدة الطبية لا تعجبه . وقد تعود ــ كما قال ــ على حياة الراحة فى القاهرة ، فكيف يعيش فى الريف وهناك بعـــوض كثير ، والاجــر قليل ..
ــ يا بنى انت فى مطالع حياتك . والانسان ينبغى أن يبدأ من البداية . واذا لم تذهب انت الى المنيا التى يذهب اليها واحد مثلك ، فقال فى شيء من الضيق:
ــ لا أستطيع يا عمى ، لا أستطيع .. انت لا تعرف الأحوال هناك ..
قلت : أما الأحوال هناك فانا أعرفها جيدا ، ولكن الذى لا أعرفه هى الاحوال هنا ...
ــ ما تعنى ؟
ــ لا شيء ..
والحق أن الدنيا تغيرت كثيرا هنا ، فى مجتمعنا أقصد ..
لا أقصد الغلاء ، فقد كانت هناك دائما مشكلة غلاء الاسعار ، ولا أذكر قط يوماً لم يشك الناس فيه من الغلاء ..

حتى فى الايام التى كان الناس يؤجرون فيها الشقة الواسعة بثلاثة جنيهات فهذه الجنيهات الثلاثة لم تكن اذ ذاك فى ميســـور الكثيرين . ايامها كان خريج الجامعة يتقاضى ١٢ جنيها فى الشهر .
وحتى فى الايام التى كان القرش فيها يشترى لا ادرى كم بيضـــة كان الناس يشكون من الغلاء .

● لماذا لا ننتهز فرصة رمضان هذا ونعاهد الله على أن نبدأ حياتنا من جديد. نبدأها على أساس الخير لأنفسنا ولأخواننا ولوطننا. نبدأها على أساس التعاون وتبادل الخير. لنجرب ذلك قريبا انفرجت كل أزماتنا وعرفنا معنى الحياة السعيدة.

ولايصدقني الناس عندما اقول لهم ان شكوى الوزراء اكثر من شكوى غير الوزراء ..

فالوزير عندنا مرهق، لا من العمل بل من الناس ..

واذا ترك كل وزير لعمله يؤديه دون تدخل من الناس لفرغ كل وزير من عمله وكان في بيته قبل الثانية عشرة بعد الظهر، فلماذا يظلون في تعب في مكاتبهم الى الرابعة بعد الظهر ؟

الناس ..

الناس الذين لا يريدون الدنيا أن تكون بخير قط ..

لان الدنيا لكي تكون بخير فينبغي أن تسير على قواعد العدل والاخلاق .

وكل من يقصدون الوزراء برجاء أو التماس اما ان يكونوا يطلبون شيئا غير العدل والقانون والاخلاق (الاستثناءات اقصد) - او يشكون من اشياء غير العدل والقانون والاخلاق الحقت بهم من ناس مثلهم .

وامر الثانية هين، فللوزراء مكاتب وسكرتارين يستطيعون تقصي الحقيقة وابلاغ الوزير عن حقيقة الظلم الذى يشكو منه هذا المواطن أو ذاك .

ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في الاول وهي ان الناس يريدون من الوزير ان يخالف العدل والقانون والاخلاق لكي يحقق لهم مصالحهم وحدهم . وهل هذا معقول ؟ ..

موظف عام - هو الوزير - تولى لكي يكون عمادا من أعمدة القانون والعدل والاخلاق، ونصر نحن على ان يتخطى القانون والعدل والاخلاق ..

فكيف والله نريد مع ذلك أن تكون الدنيا بخير .

اما عامة الناس فاؤكد لك انهم لو ارادوا الدنيا خيرا لكانت خيرا ..

فاذا لم تكن بخير فنحن المسئولون .

***

نحن الآن في شهر رمضان، وهو شهر مبارك ..

ونحن نصلي فيه ونصوم نسبح ونسأل الله ان يجعل الدنيا خيرا علينا وعلى قومنا ووطننا .

فماذا لو عاهدنا الله في هذا الشهر على أن نجعل الدنيا خيرا بانفسنا، باعمالنا، بتصرفاتنا، بنظرتنا الى الحياة، هذا والله ممكن .

وكما قلت لك :

الارض بخير

والسماء بخير ..

والذى ليس بخير هو ما بين السماء والارض : الانسان .

الانسان والذى هو انت اذا اراد ان تكون الدنيا بخير كانت بخير ..

واذا لم يرد فلن تكون بخير قط مهما صلينا ومهما صمنا ومهما تعبدنا .

د . حسين مؤنس

محمد صلى الله عليه وسلم قاضياً

● مصطفى الشهابي ●

لم يتبع العـــرب في السياسة يسمح بوجود سلطة قضــائية مســـلمة تنفى المتازعـات بين الافراد ، وانما كان شـــيخ القبيلة هو قاضيها ، اذ كان بيده السلطان على جميع افرادها ، وكان يحكم بينهم وفق العرف والتقاليد التى كانت تستــمد غالبا من تجـاربهم أو من معتقــداتهم كما كانت تستمد أحيانا ممن جاورهم من الشعوب العـريقة كالفرس والروم او ممن كانوا يحتكون بهم من اليهود والمسيحيين .

وكان هذا العـــرف يختلف من قبيلة لاخرى ، كما انه لم يكن مدونا ، يضاف الى ذلك أن المتخصصين لم يكونوا ملزمين بتطبيقه .

وكانت القضـــايا الكبرى توكل الى حكم عرف بجودة الرأى واصــالة الحكم مثل أكثم بن صـــيفى ، أو الى الكـاهن كسطيح المعروف بسطيح الكاهن لاعتقادهم انه يستطيع اظهار الحق بمعرفته ، لان له ، كما زعموا تابعا من الجن يوقفه على كل شيء ، أو الى العراف الذى يعــرف الامور عن طريق الفراسة والقرائن ..

وكانت متـــازعات العـــرب محدودة لاتتعدى الخلاف على المراعى أو موارد الماء أو المنافسة على الرئاسة والشرف ، وكانت الاخيرة تجر الى اشعال نار العـداء ، كما حدث بين الاوس والخزرج ، وبين عبس وذبيان ، وبين ربيعة ومضر .. وفى مثل هذه المتازعات لم يكن حكم القاضى ملزما للمتنازعين ، كما لم يكن فاصلا فى النزاع بل كانت القوة هى صاحبة القدح المعلى فى انهاء النزاع .

من ذلك يتضح أن القضاء فى الجاهلية كان مضطربا لعدم وجود قوانين محددة وسلطة عليا تتولى تطبيقها .

غير انه وجدت فى مكة قبيل الاسلام نواة للقانون والقضاء والتنظيم «الحكومى» بفضل قبـــائل قريش حيث الأيمت دار الندوة للتشاور فى مهام الامـــور وفض المنازعات .

وقد تولى القضــــــاء فى ذلك العهــد

كثيرون من بينهم هاشم بن عبد مناف ، وابنه عبد الله وابو طالب بن عبد المطلب والعاص بن وائل ..

ومما تجدر الاشارة اليه ، حلف الفضول ، الذى شهده الرسول صلى الله عليه وسلم في شبابه ، وكان هدفه رفع الظلم وانصاف المظلوم والضعيف .

وكانت أهم العقوبات في الجاهلية هي « الدية » لاهل المقتول وقطع يد السارق وقد أقرهما الاسلام .

● قبل البعثة :

عرف محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بالنزاهة وطهارة الذمة حتى لقبه سكان مكة « الامين » ، وهذا اللقب لم يقصد به أمانة يده في شئون المال وحده ، بل هي الامانة المطلقة في كل الامور ..

وفي الخامسة والثلاثين من عمره ، وقبل بعثته رسولا ، قضت الحاجة بتجديد بناء الكعبة ، لتهدم بعض اجزائها ، فلما أجمع أهل مكة على إعادة اقامتها ، ثم بدأ البنيان وبلغ موضع الحجر الاسود ، هنا ثار جدال عنيف حول من يكون له الشرف في وضع الحجر الاسود من قبائل قريش ..

ومكثت قريش يتهدد بعضها البعض ، ولكن شيخا من أشياخهم قال لهم : « يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه ، أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه » ..

واخذ المتخاصمون بهذا الرأى ، وما لبثوا حتى راوا شابا قادما ، فلما عرفوه هللوا جميعا وقالوا : « انه الامين » .. رضينا به حكما يقضى بيننا » .

فلما أخبروه الخبر ، طلب منهم ثوبا نشره على الارض ووضع عليه الحجر الاسود ثم دعا زعماء كل قبيلة الى ان ياخذ كل منهم بطرف من اطراف الثوب وان يرفعوه حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده .. وبذلك كان حكمه وحسن تصرفه مرضيا للجميع .

● بعد البعثة والهجرة :

وبعد بعثته وعقب هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، تولى سلطة القضاء وتطبيق نصوص التشريع الاسلامي ، مستمدا ذلك من الله سبحانه وتعالى ، اذ يقول « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم فيما جاءك من الحق » ، فاذا قام بين الناس نزاع أو عرض لهم حادث ، ذهبوا من تلقاء انفسهم ليحتكموا الى الرسول الكريم ، فيحكم بينهم بما ينزل عليه من الوحي تارة وباقواله وافعاله تارة أخرى ..

● المساواة بين الخصوم :

وكان عليه السلام لايحابي احدا من الخصوم ، ويروى انه قال لمن اذن لهم بالقضاء : « سو بين الخصمين في لحظك ولفظك ، فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضي حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت كلام الاول ، فانه احرى ان يتبين لك وجه القضاء » .

كما نهى عن ان يحكم القاضي وهو غضبان .

● الحكم بالظاهر :

وكان الرسول يحكم في جميع المسائل التى تعرض عليه وفق الدليل

الذى يثبت الدعوى ولو كان ظاهرا على خلاف الواقع ، اذ كان يقول « امرت ان احكم بالظاهر والله يتولى السرائر » ، لقد جاءه رجلان يختصمان فى مواريث بينهما قد ضاعت معالمها وليس بينهما بينه ، فقال الرسول الكريم :

« ... انما انا بشر ، ولعل بعضكم الحن (اى اذكى واقدر على البيان) بحجته من بعض ، وانما اقضى بينكم على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه ، فانما اقطع له قطعة من النار يأتى بها اسطاما (حديدة عريضة الراس تحرك بها النار) فى عنقه يوم القيامة .

فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما : « حقى لاخى .. » فقال الرسول الكريم : « أما اذا نقوما فاذهبا فلتقتسما ثم توخيا الحق ، ثم استهما (اى اقترعا) ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه » ..

● عدم اسقاط الحد :

أراد الرسول الكريم اقامة الحد على امرأة مخزومية سرقت ، فخاطبت قريش اسامة بن زيد ليكلم الرسول فى اسقاط الحد عنها ، فقال صلوات الله عليه : « أتشفع فى حد من حدود الله .. » ثم قام فخطب قائلا : « يا أيها الناس ، انما ضل من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

● البينة من طرق الاثبات

وكانت البينة من طرق الاثبات عنده هى مايبين الحق ويظهره » ـ اذ يقول : عليه الصلاة والسلام والبنية فى الشرع « البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه » أما اليمين فكان الحلف بالله ، اذ كانت قريش تحلف بآبائها فقال : « لا تحلفوا بآبائكم » .

● شهادة الشهود

وكانت شهادة الشهود من طرق الاثبات كذلك ، وكان صلوات الله عليه يقول : « أكرموا الشهود فان الله تعالى يحيى بهم الحقوق » .

وقد بين الرسول من تقبل شهادته ومن لا تقبل شهادته ، قال « لا تجوز شهادة خائن ـ فى الدين أو المال أو الامانة ـ ولا خائنة ولا زان ولا زانية ، ولا ذى غمر (بكسر الغين ،الحقد والغل) ـ على اخيه ، ولا مجلودا حدا ، ولا مجرب فى شهادة ولا القانع (اى الخادم او التابع او الاجير) لاهل البيت ، ولا ظنين (كل من لايوثق به) فى ولاء ولا قرابة»

ومن ثم اوجب الفقهاء رد كل شهادة اصاب بها الشاهد مغنما (اى نفعا) او دفعت عنه مغرما (ضررا) .

● القيافة :

وكانت القيافة ، قيافة البشر لا قيافة هى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين الاثر (ويقال لها العيافة) وقيافة البشر على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة وفى سائر أحوالهما واخلاقهما .

الرسول الكريم دخل عليها وهو مسرور روت عائشة رضى الله عنها أن وذكر لها أن مجززا الاسلمى (وهو قائف) دخل فرأى اسامة بن زيد (وكان اسود) وزيدا بن حارثة (وكان أبيض) وعليهما قطيفة غطت راسيهما وبدت اقدامهما عارية ، فقال : « ان هذه الاقدام بعضها من بعض » . وبذلك زال قدح البعض فى نسب اسامه لكونه أسود وأبوه أبيض ، وكان منشأ سواده من أمه أم أيمن الحبشية .

● القسامة :

القسامة (بفتح القاف والسين) وهى ان يقسم خمسون من اولياء الدم على استحقاقهم دم صاحبهم اذا وجدوه قتيلا بين قوم ولم يعرف قاتله ، فان لم يكونوا خمسين اقسم الموجودون خمسين يمينا ، على الا يكون فيهم صبى ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد .. او يقسم بها المتهمون على نفى القتل عنهم . فان حلف المدعون

استحقوا الدية وان حلف المتهمون لم تلزمهم الدية .

● اهمية الرأى العام :

تجيز الشريعة ان يلجأ المظلوم الى الحيل المباحة ليتخلص بها من اذى غيره وظلمه روى فى عهد الرسول الكريم انه جاء اليه رجل وقال « يارسول الله ان لى جارا يؤذينى » فقال الرسول : « انطلق فاخرج متاعك الى الطريق ».

فانطلق الرجل واخرج متاعه ، فاجتمع الناس اليه وسألوه ماشأنه ، فقال : « ان جارى يؤذينى ! فجعلوا يقولون » اللهم العنه ، اخرجه من رحمتك ! « فبلغ الجار ذلك ، فأتاه واسترجاه ليعود الى منزله ، وتعهد بالايؤذيه ابدا .

فالرسول بارشارته هذه ، دفع الناس الى السؤال عن السبب فاذا علموه لاموا المؤذى ونصروا المتضرر ، وللرأى هذه قوته الدافعة المانعة .

المبادىء المقررة فى التشريع الامريكى انه « من الافضل ان يطلق سراح عشرة مجرمين ، على ان يدان برىء واحد ».

وقد سبق للرسول الكريم هذه القاعدة التشريعية بعدة قرون عندما قال : « ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فان الامام ان يخطىء فى العفو خير من ان يخطىء فى العقوبة».

● القضاء فى الاجزاء البعيدة :

ولما انتشر الاسلام فى الجزيرة العربية ، جعل الرسول القضاء جزءا من الولاية يقوم به الوالى ، وكان الرسول يتخذ الولاة من اكفأ اصحابه قوة ونشاطا وامانة .

ويروى ان ابا ذر الغافقى ، وكان من اوائل من اسلموا ، كما كان من كبار ائمة الحديث – قال : « يارسول الله ، الاتستعملنى ؟ » فضرب الرسول بيده على منكبه ثم قال : « يا ابا ذر انك ضعيف وانها امارة وانها يوم القيامة خزى وندامة الامن اخذ بحقها وابدى الذى عليه فيها »

وعندما عين الرسول « معاذ بن جبل » واليا على اليمن ، سأله الرسول عن السنن الذى يسير بمقتضاه فى ولايته ، فاجاب :« بالقرآن» ولما سأله « فاذا لم تجد فيهما حكما ؟ » ، قال : «عندئذ اعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم »

فعاد الرسول يسأله مرة اخرى : « فاذا لم تجد فيها حكما ؟ » قال : « اذن ارد الامر الى عقلى »

فرفع الرسول يديه الى السماء وقال : « الحمد لله الذى يهدى مبعوث رسول الله كما وكيف يشاء »

وكان يوصى الولاة ان يجعلوا يوم الحساب ماثلا امام اعينهم ، وأن يحذروا غضب الله ، وان يحكموا بين الناس بالحق ولايتبعون الهوى ، وأن يكون القانون واحدا للجميع ، والجميع أمام القانون سواء .

● تنفيذ الاحكام :

وكان الرسول يقضى وينفذ ما يقضى به اما بنفسه او بمن ينتدبه للتنفيذ ، ولم يكن التنفيذ لفر معين لان المسلمين كانوا جميعا جندا ، على كل واحد منهم ان يقوم بما يكلف به .

وكانت العقوبات تنفذ علنا سواء أكانت قتلا او رجما .. الخ وكان النفى من بينها ، وقد ورد أن الرسول الكريم نفى الحكم ابن ابى العاص من المدينة الى الطائف .

ولم يكن السجن بمعناه الموجود اليوم معروفا فى زمن الرسول ولا فى ايام ابى بكر ، بل وجد فى عهد عمر عندما اتسعت الدولة ، وقد كان الحبس عبارة عن تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء أكان فى بيت أو مسجد ، ويعهد به الى الخصم او من ينيبه عنه فيلازمه . ●●

رجم الزانى المحصن حدًا فى شـرع الإسـلام

اليقين (٢)

● محمد سعاد جلال ●

اختلفت اقوال الفقهاء فى رجم الزانى المحصن فذهب اكثرهم الى اثباته ، وذهب الخـوارج و « النظامية من المعتزلة » الى عدم رجمه ونحن معهم ، لانه ليس فى القرآن ثبوت الرجم عليه، اذن فمسالة الرجم هذه مسالة مختلف فيها ، وليست ثابتـة بالقرآن ، فهى مسالة اجتهادية ظنية يجوز تبديل الرأى فيها للمجتهد باختلاف العصـور ـ واما المتون لها فمعتمدهم السنة من قبيل خبر الاحاد الظنيـة ، نعرض لكم الآن ادلتهم ، لنكر عليها بالنقض والابطال ، واليكم مسار الحديث .

الرابع : استدلوا بما روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ انه قال : « ان الله بعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحق وانزل عليه الكتـاب ، فكان فيما انزل عليه اية الرجم فقراتها وعقلتها ووعيتها ، ورجم رسـول الله ورجمنا بعده ، فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل : لانجد الرجـم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضـة انزلها الله تعالى . فالرجم حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنسـاء اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف ـ وقد قرىء بها « الشيخ والشـيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » .. والفقهـاء يعدون أن هذا النص كان من القـرآن وانه قرآن نسخ لفظه وبقى حكمـه ، يعنى نسخت قرآنيته ولفظه المتعبد به، وبقى الحكم الشرعى الثابت به وهـو ايجاب الرجم على الزانى المحصن .

بهذه الاحاديث استدل اصـحاب المذاهب التقليدية على اثبات الرجم ، ثم تحيروا فى وجه تعطيل النص القرآنى المقطوع به من تناول الزانى المحصـن كما تناول الزانى غير المحصن فانقسموا فى التماس المخرج من هذه الحيـرة قسمين :

قال بعضهم : ان هذه الاحـاديث مخصصة النص القرآنى ، كما اشـار لذلك « الزمخشرى » فى تفسيره .

وقال بعضهم : انها ناسخة له كمـا صرح بذلك ابن قدامة الحنبلى ـ صاحب

● لم يرد فى النص القرآنى تحديد رجم الزانى المحصن.. والتحديد أخص خواص النصوص القرآنية.

المفتى .

ولما لاحظ فريق ثالث نبو هذا التفكير وهو تحكيم السنة فى نص القرآن الصريح عن مذاق العقل ، اذ لايجوز تسليط الدليل الاضعف على حكم الدليل الاقوى .

قالوا : ان حد الزانى مجموع الامرين : الجلد اولا ثم الرجم ثانيا ، الجلد بكتاب الله، والرجم بسنة رسول الله كما رأيت .

ولما كان هذا القول يحتمل من القسوة والخروج عن المألوس من مسالك التشريع فى العمل على مقدار الحاجة التشريعية لتحقيق ما يتم به الزجر دون ارادة التعذيب للجانى ، وكان معارضا بكون النبى رجم ولم يجلد من باشر حدهم ــ فقد اختفى هذا القول من بين المذاهب التقليدية المعمول بها بين عامة المسلمين ، واستقر القول عند اصحاب هذه المذاهب على ان حد الزانى المحصن انما هو الرجم فقط ، لم يكن لهم فى ذلك الحجة الا السنة ، والدعوى بكونها ناسخة او مخصصة للقران .

● نقض هذه الادلة ●

وكل من المسلكين باطل عندنا من وجوه :

الاول : اننا لا نجد من قبيل صحة البيان وفصاحة القرآن ويسر البلاغ عن الشارع ، ان يرد نص قانونى يفترض فيه التحديد ، والتحديد اخص خواص النصوص القانونية ويكون هذا النص دالا على الحكم فى صورتين بحسب دلالته الوضعية اللغوية القطعية ، لم نفسره على انه مفيد لمعناه فى احدى الصورتين ، معطل فى الصورة الاخرى ولماذا ؟ اذا لم يستطع الفقهاء المعطلون لعمل النص فى احدى صورتيه الشامل لكليهما وضعا ان يبرزوا لنا حكمة تبرر مجىء النص على هذه الصورة غير المحددة ، فمن حقنا ان نمنع تعطيل حكم النص فى الحالة التى يعمدون هم لتعطيل حكم النص فيها وهى حالة الزانى المحصن ــ موضوع البحث .

لان فى ذلك اعتماد صحة البيان وفصاحة القرآن لكن الفقهاء لم يبينوا لنا فى عدول الاسلوب القرآنى عن التحديد فى هذه المسألة المتعلقة باعدام الانسان ــ حكمة سائغة ــ فلا يلزمنا الان العمل باقوالهم فيها.

الم يكن من السهل ، وما هو اقرب الطاعة وراحة القلب عند التنفيذ ان نأتى لنص محددا نأصا على الصورة المطلوبة دون غيرها ..

نعود بكم لتذكر « المقدمات » فنقول ان لفظ « الزانى » ــ كما علمتم ــ لفظ « عام » فهو شامل لجميع الافراد الموصوفين بالزنى على جهة القطع فلا يصح ابتداؤه بـ « التخصيص » الا ان أن تكون أداة هذا التخصيص دليلا قطعيا يساوى اللفظ العام فى قطعيته دلالته على عامة افراده لان هذا الدليل المراد به تخصيص العام ان لم يكن دليلا قطعيا ، كان دليلا ظنيا والدليل الظنى اضعف من الدليل القطعى ، فهو من جهة هذا الضعف قاصر عن معارضة القطعى فى بعض افراده عاجز عن انتزاعها من تحت حكم العام المسلط عليها بمعنى عاجز عن تخصيصه المدعى .

وبناء على ماذكرنا الان وعن المقدمات ــ نقول أن جميع الاحاديث التى استدل بها مثبتوا الرجم لتكون اداة لتخصيص هذا العام القرآنى لاتصلح اداة لتخصيصه لانها جميعا من قبيل

اخبار الاحاد والظنيات وهذا باعترافهم والظنيات لايخصص العموميات القطعيات بالاتفاق . فبقى قوله « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » مستمراً على عمومه موفراً على أصل دلالته مثبتاً لحكم الجلد فقط في الزاني غير المحصن ، والزاني المحصن على سواء ، لا يعطله عن اثبات عموم حكمه في كل من الصنفين شيء كما لا يجوز ان يزاد على مقتضاه من الحكم شيء بدليل ظني ، فيكون مايزاد على مقتضاه من الحكم زيادة على النص بغير دليل معتمد .

والزيادة على النص نسخ عند الحنفية فتكون باطلة اصلاً فبطل ماادى اليها وهو تخصيص العام القطعي بخبر ظني كما يذهب اليه أولئك .

الثالث : فاما الذاهبون الى ان الأحاديث المذكورة ناسخة للنص — كما فعل ابن « قدامة » — « في المغني » فهؤلاء موقفهم اضعف في الاستشفاع بهذه الاحاديث ممن ارتكزوا في القول بكونها مخصصة للنص لان الاصل في نظم القران وحكمه عدم النسخ .. اما التخصيص من العموم فامر يأذن به العادة في جريان الخطاب عند قيام سببه .

وفي نفس النهج الذي ابطلنا على سوائه القول بالتخصيص نبطل الان دعوى النسخ فنقول : لا يجوز نسخ القران بالسنة مطلقاً سواء كانت سنة « متواترة » او كانت سنة « آحاد » — وذلك مذهب الشافعي « — رضي الله عنه — وهو الراي الصحيح الذي نعول عليه .. لان شرط جواز النسخ المساواة في قوة الدليلين بين الناسخ والمنسوخ والسنة لا ترتفع في ثبوتها لمستوى قطعية ثبوت القران متناً وطريقاً .

وعند الحنفية الذين يجوزون نسخ القران بالسنة على ضعف مذهبهم في ذلك يشترطون في السنة الناسخة لنص القران أن تبلغ في قوة ثبوتها حد « التواتر » المفيد لليقين لا الظن ، وما ذكروه من الاحاديث — كما تكرر القول — هو خبر احاد ظني الدلالة ، لاينهض لنص القران القطعي عند المعارضة فضلاً عن أن يقوى على نسخه بحال .

واذا كان الامر كذلك فقد بطلت دعوى النسخ على اصحابها كما بطلت دعوى التخصيص من قبل القائلين بها .

الرابع : وقد تنبه بعض العلماء الى ضعف ادلة اصحاب المذاهب التقليدية في اصل هذه المسألة واقر بان الاحاديث الواردة في اثبات حكم الرجم انما هي احاديث « احاد » وانها لا تثبت « الحدود » — التي لا تثبت الا بالادلة القطعية — على مذهب الحنفية كما ذكرنا في « المقدمة الرابعة » فتحيل في الاستدلال لاثبات المطلوب الى اتخاذ طريق آخر .

قال ان الاحاديث الواردة في اثبات الرجم هي أخبار احاد ظنية لا تثبت بمفردها حكم الرجم الذي لا يثبت الا بقاطع لكنها تقول أن الاجماع المنعقد على العمل بمقتضى هذه الاحاديث والاجماع حجة قطعية فيسند حكم الرجم حينئذ الى دليل الاجماع القطعي لا الى « السنة الظنية » السابقة على الاجماع فان مستند الاجماع يجوز أن يكون ظنياً بينما يكون الاجماع الثابت به قطعياً .

قال : ولا عبرة بمخالفة الخوارج للاجماع .

وكان هذا الكلام خاتمة المطاف في استدلالات اصحاب المذاهب التقليدية لتأييد حكم الرجم .

قلت : ولست مقتنعاً بما ذهب اليه هذا العالم « وذلك لوجهين » احدهما : انه لا عبرة بقوله « لاعبرة بخلاف الخوارج في ثبوت الاجماع : فان « الخوارج » قسم من الامة التي ينعقد الاجماع بها ولا ينعقد بدونها لانهم لم يزالوا مسلمين ولم ينقلوا عن الاسلام ابداً ، ولا يخرج عن الامة التي ينعقد بها الاجماع الا اصحاب البدع الكفرة المنكرين لشيء من المعلوم ثبوته

● جميع الأحاديث النبوية التي استدل بها مثبتوا الرجم لا تصلح لأنها جميعا من قبيل أخبار الآحاد والظنيات.

من صاحب الشرع بالضرورة «كالسبابة» القائلين بأن الله حل في شخص على ابن ابي طالب – عليه السلام – « والقرامطة » القائلين باسقاط التكاليف الشرعية عن العالم – فهؤلاء وهؤلاء وامثالهم فى الكفر هم الخارجون عن مسمى الامة الذين ينعقد اجماع الامة باسقاطهم .

اما « الخوارج » فلم تكن بدعتهم مكفرة لهم اصلا لانهم لم ينكروا معلوما من الدين بالضرورة ، وانما كانوا أصحاب آراء سياسية خالفوا فيها الجمهور وقاتلوا عليها الدولة ، وهذا لا يقتضى عزلهم عن الامة وتصحيح الاجماع بدونهم . فليس يصح ان يتم الاجماع الا بهم وانهم لمسلمون وخلافهم فى صحة اثبات حكم الرجم خلاف معتد به ويجب التعويل عليه بل يجب بأن الخوارج كانوا من اصدق الناس اسلاما

ونتبه هنا الى ان حكمنا على عقيدة « الخوارج » لا يجوز أن يستمد من اقوال معاصريهم فيهم ، من اهل السنة « والشيعة » الذين هم من خصومهم فان هؤلاء وهؤلاء محمولون على غوارب العصبية وارادة التجريح التى تمنع الثقة بهم – انما نستمد حكمنا على عقيدة الخوارج من النظر الموضوعى لعقائدهم الثابت نقلها عنهم فى ضوء قواعد الاسلام الاساسية واحكام الشريعة الصحيحة المقررة بعيدا عن تأثرنا بخليط الموروثات التاريخية التى وصلت الينا حاملة رواسب الاحقاد المذهبية .

وباعمال هذا النظر وحده فى عقائد « الخوارج لا يملك أحد القول بان هذا القسم من المسلمين » كانوا – والعياذ بالله – كفارا معزولين عن امة الاجماع

الثاني : سلمنا جدلا ، لهذا العالم « بان الاجماع منعقد بلا اعتبار مخالفة الخوارج له – لكنا نقول : أن احتياله على تسخير الاجماع لغرضه قد اوقعه فى مغالطة شنيعة بالنسبة له ، ذلك ان الاجماع حين يواجه النص الذى هو قوله تعالى :« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » على جهة المعارضة له ، يعد ناسخا له وقد أجمع « الاصوليون » على أن الاجماع لا يكون ناسخا للنص اصلا لان حصول النسخ لا يكون الا فى حياته – عليه الصلاة والسلام – والوحى يتنزل عليه ولا ينعقد الاجماع مع وجوده – عليه الصلاة والسلام – لان الرأى فى الشرائع مفوض اليه عند وجوده واهل الاجماع مع وجوده تابعون له فى حكمه فلا يتصور الاجماع منهم فى حياته – عليه الصلاة والسلام – لانفراده بالرأى دونهم فوجودهم فى حكم العدم فاذا قبض – عليه الصلاة والسلام وانقطع الوحى بموته – انقطع النسخ ، ولا ينعقد الاجماع الا بعد موته ، صلى الله عليه وسلم

فحيث يحتمل حصول النسخ ينعدم الاجماع – وحيث يحتمل حصول الاجماع ينعدم امكان النسخ .

فقد بطل اذن اثبات حد الرجم بطريق الاجماع

قال قائل : فاذا امتنع ان يكون الاجماع ناسخا في هذه الحال فلايمتنع ان يكون مخصصا للعموم ، وقد صرح « الاصوليون » بجواز ان يكون الاجماع مخصصا للنص العام .

والجواب هوان : الاجماع منه ماهو قطعي كالاجماع القولي ، اذا وصل الينا بطريق قطعي ، ومنه ماهو اجماع ظني كالاجماع السكوتي ، او الاجماع الواصل الينا بطريق ظني على ما فصله فخر الاسلام « البزدوي » — رضي الله عنه .

نقول فالاجماع الذي يخصص عام الكتاب يتعين ان يكون اجماعا قطعيا تقاوم قطعيته قطعية نص الكتاب العام لا الاجماع الظني الذي يقع من حيث الثبوت موقعا دون هذه المرتبة الثابتة للنص العام من القرآن .

اذا عرفت هذا فان الاجماع المدعى هو اجماع ظني لان مخالفة «الخوارج» « والنظامية» اذا تجاوزنا موطن التحقيق والحق كل التجاوز بقلنا : ان هذه المخالفة من هاتين الفرقتين لا تبطله ابطالا ، فلابد ان تورثه شبهة قادحة تنزله عن درجة القطعية الى درجة الظنية لان الاجماع القطعي هومالايعرف له مخالف من الامة اصلا .

الوجه الخامس : فاما المروي عن عمر بن الخطاب : « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله « **على انه قران نسخ لفظه ، وبقي حكمه فهو من ابطل الباطل .**

اولا : لانه يستحيل في حكم الذوق البلاغي ان يكون هذا الكلام من نظم القران على مافيه من سوقية الاداء وركاكة النظم وعدم استواء الوضع في هيئة التركيب : ولو قارنا هذه الجملة من الكلام بآية من القران في مدار البلاغة والجلالة والاشراق لكان الفرق بينهما كالفرق بين نجوم السماء المضيئة وحصى الارض المطرح على قارعة الطريق « افلا تعقلون »

ثانيا : لايثبت كون النظم قرآنا الا بقاطع لانا اشترطنا حصول النقل « المتواتر » في صحة ثبوت وصف القرانية للكلام المدعى قرانية وهذه الجملة المذكورة غير منقولة عن صاحب الوحي بطريق « التواتر » فيمتنع ان تكون في اصلها قرانا .

واما الاسناد الى « عمر » فهو من قبيل خبر الاحاد الظني الذي لا يثبت لها صفة القرانية .

واما نسخ المتن القرانية فلا يثبت الا بقاطع — ايضا — لان قرانيته تثبت بقاطع — ايضا — لان قرانيته لا تثبت الا بقاطع مسار له .

ثالثا : منع كثير من المحققين هذا القسم من النسخ : وقالوا ان الحكم تابع اللفظ لانه متضمن له فنسخ اللفظ يتضمن نسخ الحكم التابع لهواما نسخ اللفظ ، وبقاء الحكم فهو مما لا تظهر فائدته

واذن فقد امتنع في حق هذه الجملة المشوهة أن تكون قرانا اولا وان تكون قرآنا منسوخا ثانيا . وامتنع الاستدلال بها على صحة اثبات الرجم المدعى لهم ثالثا :

الوجه السادس : لو كان الرجم مشروعا مع الجلد ، أو بديلا عن الجلد لوجب على النبي — صلى الله عليه وسلم — عند تلاوة الاية أن ينبه عليه الصحابة لئلا يعتقدوا عند سماع الاية أن الجلد فقط هو كمال الحد ، ولو حصل ذلك لكان اشتهاره مثل اشتهار الاية ، فلما لم يكن خبر الرجم بهذه المنزلة من الاشتهار الداخل في حد التواتر بل كان وروده من طريق خبر الاحاد ، علم انه غير معتبر ، الا ان يقال ان تمام الحد كان وقت نزول الاية — هو الجلد مائة فقط للبكر ، والثيب ، لكن طرأ حكم الرجم بعد ذلك من الزمان من طريق السنة .

● لم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن أجاز جلد الزاني المحصن ثم الرجم كما تقول بعض المذاهب التقليدية.

والجواب عندنا على هذا القبل المفترض من طريقين :

أحدهما : ان ذلك لو حدث يكون نسخا للقرآن بسنة غير متواترة وقد بينا ما فيه .

وثانيهما : ان ذلك لو توهمنا حصوله لكان منافيا لاسلوب النسخ عند جماعة من العلماء يوجبون كون النسخ انتقالا من الحكم الاشد للحكم الاخف لا العكس تحقيقا لفائدة النسخ ، ولقوله تعالى : «ماننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها » فلو قلنا بمجيء حكم الرجم متاخرا عن حكم الجلد ناسخا له ، لكان على عكس ماذهب اليه هؤلاء مضعفا بادلتهم .

الوجه السابع : نقل « الفخر الرازي » ـ في تفسيره هذا الحديث ان «شيخا وجد على على بطن جارية يفجر بها في خربه ، فاتى به الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « اجلدوه مائة » فقيل انه ضعيف على ذلك، فقال « خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله » .

ووجه الدلالة بهذا الحديث : ان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يستفصل في شان هذا الرجل عما اذا كان محصنا او غير محصن وأمر بجلده مائة جلدة ، ولو كان الحد يختلف في صفته بين حال المحصن وغير المحصن لما ترك النبي الاستفصال عنه لانه طريق ايقاع الحد على الوجه الصحيح ، فمن حيث ترك النبي الاستفصال . في هذه الحال ، فقد دل فعله ذلك ظاهرا على ان الحد الواجب على الزاني انما هو الجلد فقط ـ لا الرجم ـ على من كان بكرا ، ومن كان محصنا بلا فرق .

بل يذهب الظن الى ان مثل هذا الشيخ يكون محصنا لان الغالب في شان من بلغ الشيخوخة ان يسبق له زواج ـ لاسيما رجل لم تنقطع شهوته مع انتهاء الشيخوخة به لضعف الجسد كما هو مذكور في الحديث .

الوجه الثامن : قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « ادرؤوا الحدود بالشبهات » : وهو حديث وقع الاجماع على العمل به عند الفقهاء وهو في نظرنا قطعي الدلالة من حيث معناه ، بمنزلة « المتواتر » وان اختلف عنه بان كان المتواتر يفيد علما ضروريا بمعناه ، وهذا يفيد بمعناه علما استدلاليا .

وانما اعتبرناه كذلك لان معناه متقرر في ثنايا القرآن في الآيات التي تفيد نفي العمل بمقتضى الظن ، وان الظن لايغني من الحق شيئا ، وفي قوله « ولا تقف ماليس لك به علم » . فهذه المعاني الجزئيات في تلك الآيات المتعددات يجمعها معنى كلي : هو عدم الحكم بشيء تعترضه الشبهة : لانه ظن وتقو ماليس للانسان به علم ، فجاء الحديث المذكور صياغة كلية للمعنى القطعي المتقرر في القرآن ، فاستمد منه قطعية المعنى الذي افاده ! وهو ملحظ دقيق رائع أصله « الشاطبي » وتابعناه عليه .

● للبحث بقية ●

أحمد رامي

عصر من الحب والغزل

● صالح جودت ●

لعله لم يحب شاعر شاعرا كما احب الشاعر الكبير صالح جودت ، الشاعر احمد رامي ..
ولقد توفر صالح جودت طيلة حياته على دراسه تاريخ وحياة وشعر احمد رامي ، وكانا من اعز الاصدقاء ..
ومن مفارقات القدر ان الدراسة القيمة التي كتبها صالح جودت عن احمد رامي لم يتح لها الظهور حتى الان ، فقد رحل صالح جودت قبل ان يقدمها للنشر ..
واليوم في موكب الحزن مع رحيل احمد رامي نقدم هذا الفصل الممتع من هذه الدراسة الرائعة تحية الى الشاعرين المحبيين في عالم الخلود ..

● ما احببت في حياتي شاعرا قدر ما احببت رامي .
ولا حاربت في حياتي شاعرا قدر ما حاربت رامي .
وقصة هذه الحرب انه من ربع قرن، كان كلما لقيني قال لي :
اهلا بالشاعر الذى لم يزجل !

ذلك انني الى ذلك العهد لم اكن قد مارست فن كتابة الاغنية الدارجة بعد ، وكنت احس ان رامي يفخر بي اذ يقول لي عبارته تلك ... واحس في الوقت ذاته انه حزين النفس ، اذ اضاع زهرة العمر في نظم الاغنية الدارجة ، وهي ضرب من الزجل، حتى عرفه الناس بها اكثر مما عرفوه شاعرا، على حين أن الله قد خلقه شاعرا واجزل له العطاء في موهبة الشعر ، ولمع اسمه في اوائل العشرينات ، حتى خيل للناس الا خليفة لامر الشعراء غيره .

ولكن القدر شاء له ان يلتقي بام كلثوم ، في منتصف العشرينات واذا هو يضعف امام سحرها وتلين موهبته لالهاماتها ، فينصرف عن الشعر الى نظم الاغنية الدارجة لها ، وتستهويه عاطفته مرعى ذلك الصوت الخصيب ، حتى يكاد ينسى نفسه وينسى موهبته الاصيلة ، وينسى ما جبل عليه وما خلق له قربانا لوتر ام كلثوم ..

***

ومهما يكن من امر فان رامي في نزوله من قمة الشعر الى سهول الاغنية الدارجة ، لم يهبط عبثا وانما حمل رسالة ادبية وقومية ضخمة . هي رسالة الولوب بالاغنية الدارجة من السفوح الى القمم ، في الكلمة والمعنى معا ، واستطاع أن يطوع الصور

والمعانى الشاعرية العالية للكلمة العامية وأن يرقق عواطف العامة بالشجى والأنين والذكريات وغيرها من الكلمات التى تخلق الصور ، والتى لم تعهدها الأغنية الدارجة من قبل، حتى صارت أغنية رامى مميزة على كل أغنية غيرها بشيء جديد هو قربها الى الشعر ؛ وحتى أصبح رامى زعيم مدرسة فى الغناء ، لم يتأثر بها المؤلفون المحدثون وحدهم ، وانما امتد تأثيرها الى روح الملحن وحنجرة المغنى أيضا !..

أقول : ما حاربت فى حياتى شاعرا قدر ما حاربت رامى ...

ذلك أننى عرفته منذ ثلاثين سنة وصاحبته منذ عشرين سنة ، ولازمته ملازمة الظل للظل منذ عشر سنوات، لا يطيب لأحدنا يوم الا اذا سمع صوت الآخر ، ولا تصفو لأحدنا ليلة الا اذا ساهر الآخر .

وفى خلال هذه السنوات العشر ، حرضته على نفسه ليقاومها ، وأوغرت صدره على هواه ليقوى عليه ويغلبه ؛ وغايتى من كل ذلك أن يخلص رامى من الكلمة العامية والأغنية الدارجة ويخلص لوجه الشعر وحده ، ويرتد الى ما جبله الله عليه وخلقه له .

واحسب أننى انتصرت فى هذه الحرب نصرا مطردا بدأ بالقليل وانتهى الى الى الكثير . ولا احسبنى مخطئا اذا قلت ان ما نظمه رامى فى السنوات الأخيرة من الشعر ، يعدل كل مانظمه فى حياته أو يزيد .

وقد لا يزيد فى الكم ، ولكنه يزيد فى الكيف ألف مرة ومرة ...

وهكذا ارتد رامى ..

ارتد عن الكلمة الدارجة الى الكلمة الفصحى وما هى بردة ، وانما هى عودة الى الايمان بما خلق من أجله ، وقد خلق ليكون على القمة التى يقف عليها أعلام الشعر العربى فى هذا الجيل ...

ولست أعرف بين سير الشعراء سيرة أكثر شاعرية من سيرة رامى الشاعر الذى انتقل من مروج النرجس فى جزيرة « طاشيوز » اليونانية الى الحياة بين القبور فى حى الامام ، ثم الى مجامع المتصوفين فى حى الحنفى، ثم الى عشرة الخيام تحت أضواء باريس ، ثم الى الفردوس الذى مدته لخيالة أم كلثوم »



***

وفى يوم من أيام أغسطس (آب) سنة ١٨٩٢ خرج أحمد الى النور فى بيت عريق بحى الناصرية بالقاهرة ، أبوه محمد رامى ـ لايزال يومئذ طالبا بمدرسة الطب ولد أحمد وأنغم ملء أذنيه يذكر فيما يذكر من خيالات طفولته الأولى ان جماعة من أهل الفن والطرب كانت تلتقى دائما فى منظرة بيت أبيه وأن أباه كان شغوفا بالفن .

فلما تخرج الأب من مدرسة الطب اختاره الخديو عباس ليكون طبيبا لجزيرة طاشيوز وهى جزيرة صغيرة على مقربة من قولة « مسقط رأس محمد على » ، وكانت يومئذ من أعمال تركيا ، وهى اليوم من أعمال اليونان

وكانت هذه الجزيرة ملكا خاصا لعباس الثانى والى هذه الجزيرة ذهب أحمد مع أبيه ، وقضى عامين كاملين ذهب وسنه السابعة ، وعاد وسنه التاسعة وهذه سنوات التفتح فى براعم الأخيلة . وهكذا تفتح برعم خياله على غابات اللوز والنخل والفاكهة والبحر

والموج والشاطىء وكانت ملاعبه هناك بين مروج النرجس الكثيفة ، هـذه المروج التي كانت من قبله مـلاعب لهومير وغيره من شـعراء اليونان الاقدمين .

وعاد رامى من هذه الجنة ليلتحق بالمدرسة . عاد الى القاهرة وقد وعى التركية واليونانية وهما لغتا اهـل الجزيرة ولايزال يعى طـرفا منهمـا ويترنم ببعض اهازيجهما الشعبية حتى الان .

عاد من الجنة الى اليباب ، فقدترك أبوه هناك وأقام عند بعض اهله في بيت يقع في حضن القبور بحى الامام الشافعى ، فاستوحشت نفسه وانطوت على هم وحزن عميقين ..

فلما عاد ابوه من طاشيوز ، عادت الاسرة الى بيتها القديم بحى الناصرية بيد ان المقام لم يطل به في القاهرة اذ التحق بالجيش ، وسافر الى السودان وتركه ابنه في رعاية جده ، وهو شيخ في السـبعين يسكن حى الحنفى ، فعاودت احمد الوحشة بعد ايناس ، لولا ان خففت حدتها على نفسه نافذة في غرفته كان يطل منها على تخشوم مسجد السلطان الحنفى ليستمع طيلة الليل الى مجامع المتصـوفة يتلون اورادهـم ويرددون ابتهالاتهـم واستغاثاتهم في نغم جميل .

وكان له قريب من بيت الرافعى ، وهو بيت علم وادب وثقافة ووطنيـة وكانت لقريبه هذا مكتبة عامرة ، انس اليها احمد فكان يقضى بها جل وقته .

وكان اول كتاب وقع في يده فقراه واتشبع به وحفظه من ظهر قلب هـو كتاب مسـامرة الحبيب في الغـزل والنسيب وكله مختارات من شـعر العشاق والغزليين .

هذا هو الكتاب الذى لعب الـدور الاول في حياة رامى فقرر مصير حياته

ثم قرا في هـذه المكتبة كثيرا وكان قد أدرك مرحلة الدراسـة الثانويـة بالمدرسه الخديوية وتعلقت نفسه بحب الادب ..

وكانت هناك جماعة ادبية علىمقربة مما يقيم بحى السيدة زينب أسـمها جمعية النشاة الحديثة . وكان بهـا رواق للادب كل خميس الشهده جماعة من فحول ذلك الجيل منهم لطفى جمعة وامام العبد وصادق عنبر ومحمود ابو العيون وغيرهم .

وتوسم المرحوم صادق عنبر فىاحمد الصغير خيرا وسمعه يتلو الشعر تلاوة طيبة فكلفة قراءة بعض المختارات مـن الشعر القديم في هذا الرواق الاسبوعى

ووراته في هذا الـرواق فرصـة سانحة قرا فيها اول قصيدة من نظمه وهو يومئذ في الخامسة عشرة . ومـن عجب ان اول قصائده لم تكن غزلية ، بل وطنية وهاكم مطلعها :

يامصر انت كنانة الرحمن
في ارضه من سالف الازمان ..
ساعد بلادك يابن مصر ونيلها
واهتف بها في السر والاعلان !

وفى سنه ١٩١٠ نشرت له مجلـة الروايات الجديدة اول قصيدة منشورة وكان مطلعها :

ايها الطائر المفرد رحماك
فان التغريد قد ابكانى
انت مثلت في الغناء غريبا
غاب دهرا عن هذه الاوطان

وانجز احمد مرحلة الدراسةالثانوية وهم بدخول مدرسة الحقوق ، لولا أن نفسه كانت قد تعلقت بالادب ايما تعلق فلم يجد مايروى غلته في هذا المجال الا مدرسة المعلمين العليا ، فتحـول اليها ، وتخرج فيها عام الحرب العالمية الاولى سنه ١٩١٤ .

وكان اول همه ان يتصل بشعراء ذلك الجيل ، وعلى راسهم شوقى وحافظ ومطران وعبد الحليم المصرى واحمد نسيم ، وبقية رعيلهم فاتصل بهم واحبهم واحبوه .

ومن لطيف ذكرياته اذ كان يعرض شعره الاول على حافظ وكان يقول له اذا لم تعجبه القصيدة : اااال

— دى زى السلام عليكم .. كل واحد يقدر يقولها !

فلما نضجت شاعرية احمد كان حافظ فى اوائل المتشددين لشعره بعد ان جاوز « السلام عليكم » الى انيق القصيد !

تخرج احمد فى مدرسة المعلمين العليا ، وعين مدرسا بمدرسة القاهرة الابتدائية بالسيدة زينب . وبعد عامين عين بمدرسة القربة الاميرية ، يدرس الناشئة الانكليزية والجغرافيا والترجمة . وفى هذه الاونة — فى سنة ١٩١٨ صدر ديوانه الاول ، او على الاصح صدرت الطبعة الاولى من ديوانه لان لرامى طريقة فريدة فى نشر شعره ذلك انه يراجع ديوانه فى كل حقبة من عمره فيتخير منه ، وينخل ويضيف ويعيد طبعه من جديد على الصورة التى ترضيه ، دون ان يغير اسم الديوان رامى ، وكان صدور ديوانه حدثا ادبيا فى ذلك العهد ، فقد طالع قراء العربية بلون جديد من الشعر ، اختلفت فيه المدرستان القديمة والحديثة هذه تؤيده وتلك تتحاماه .. هذه المعركة التى دامت فى حقل الشعر الحديث الى سنوات قريبة .

وضاق رامى بالتدريس ذرعا فعاد مرة اخرى الى رحاب مدرسة المعلمين العليا حيث عين امينا للمكتبة فاطمانت نفسه وانصرف الى حياة ادبية خالصة وانكب على ما فى المكتبة من آداب العالم الثلاثة العربية والفرنسية والانكليزية .

وهكذا ظل حتى سافر فى بعثة لدراسة اللغات الشرقية وفن المكتبات بباريس سنة ١٩٢٣ .

وهناك .. فى السوربون ومدرسة اللغات الشرقية قضى عامين هما اسعد ذكريات شبابه ، وكأنه كان على موعد هناك مع شاعر التاريخ عمر الخيام ..

وعاد رامى بعد العامين الى القاهرة حيث عين فى دار الكتب المصرية وظل يتدرج فى مناصبها حتى اصبح وكيلا لها وقد جاوز الستين .

ومع هذا فانه لايزال يلقب فى المجامع والمنتديات بشاعر الشباب .

وقصة ذلك انه كان فى اوليات لياليه ينشر شعره بمجلة الشباب لصاحبها المرحوم عبد العزيز الصدر ، الذى اطلق عليه لقب شاعر الشباب نسبة الى المجلة .

وبقيت النسبة عالقة برامى حتى اليوم ...

***

مارس رامى ثلاثة الوان من الادب هى الشعر الوجدانى والعاطفى والوطنى ثم ادب المسرح ، فقد زود شاعرنا المسرح المصرى بذخيرة ضخمة تبلغ نحو خمس عشرة مسرحية مترجمة عن شكسبير الخالد ، منها هملت ، ويوليوس قيصر ، والعاصفة ، وروميو وجولييت ، والنسر الصغير ، وغيرها مما قدمته مسارح يوسف وهبى وفاطمة رشدى فى زمن عزة المسرح .

ثم انتهى الى نظم الاغنيات وبها اشتهر وطار ذكره حتى اوشك الناس ان ينسوا رامى شاعر الفصحى ورامى كاتب المسرح ، ولم يذكروا الا شاعر الاغانى ..

محاولة لتناول القضية فى إطارها الملائم

● د . محمد عاطف كشك ●

● الحديث عن استعمال اللغة القومية فى التعليم ونشر نتائج العلوم — حديث شائع على ألسنة الأفراد والجماعات والهيئات ... لكنه شائع أيضا أن يتم تناول القضية بشكل قاصر ومنهج غير ملائم وطريقة متسرعة لاتتناسب مع خطورة وأهمية قضية حيوية مثل قضية استعمال اللغة القومية .. لذلك سوف نحاول فى هذه الدراسة القصيرة مناقشة عدد من الأبعاد التى تضع قضية تعريب التعليم فى الاطار الذى نعتقد انه الاطار الملائم لتناولها .

وفى هذا الاطار يتم تناول تعريب التعليم باعتباره جزءا من قضية أشمل هى قضية استعمال اللغة القومية فى كافة المجالات . واستعمال اللغة القومية بدوره جزء من قضية التنمية وبناء الامة ... وسوف نناقش استعمال اللغة القومية باعتباره ليس مجرد دفاع عن النفس بل باعتباره وسيلة ضرورية لاكتشاف الجذور لكى نعرف بالضبط أين نقف حتى يمكن لنا أن نقتحم العالم المعاصر .

لذلك فاننا سوف نحاول فى البداية مناقشة بعض التناقضات والمغالطات الشائعة فى تناول قضية استعمال اللغة القومية ، ثم نحاول بعد ذلك ربط القضية بأبعادها الصحيحة فيما يتعلق بالتنمية والبناء الحضارى للأمة ، وتحقيق الوحدة الثقافية للشعوب ، وتحقيق الارتباط بالواقع ، ونقل العادات والقيم ، ونقل التكنولوجيا ، والتكامل العربى .

وفى عدد من الملاحظات الختامية سوف نشير الى بعض الوسائل التى يمكن بها تحقيق تقدم ملموس فى محاولات تعريب التعليم .

اولا : تناقضات ومغالطات :

عند تأمل الابعاد المختلفة لقضية تعريب التعليم الجامعى فى وضعها الراهن يمكن اكتشاف عدد من التناقضات والمغالطات التى تحتاج الى وقفة لفحصها ونقدها . ويمكن مناقشة أهم هذه التناقضات والمغالطات فى النقاط التالية :

١ — يمكن تقسيم الدول العربية فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية فى التعليم والحياة الى مجموعتين : مجموعة الدول التى استطاعت ان تحافظ على استعمال اللغة العربية فى معظم مراحل التعليم وفى الحياة والتعاملات الرسمية ، ثم مجموعة الدول التى استطاع المستعمر أن يفرض عليها لغته لدرجة انها وجدت نفسها بعد الاستقلال ومعظم افرادها لا يستطيعون ان يتكلموا أو يفهموا لغتهم القومية ، كما حدث فى الجزائر وتونس .

ومن الغريب ان المجموعة الاخيرة تقدر ضرورة بذل جهود مضنية ومخلصة لاستعادة مكانة اللغة العربية ، فى حين ان مجموعة الدول التى حافظت على اللغة العربية طوال فترات الاحتلال هى التى تصاعد فيها بعض الآراء التى تشكك فى صلاحية اللغة العربية لاحتواء العلوم الحديثة وقدرتها على التعبير ومتابعة التغيرات المتتالية السريعة وخاصة فى مجال العلم والتكنولوجيا ..

والتفسير الوحيد الذى نستطيع ان نقدمه لهذا التناقض هو ان الدول التى سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد اتيحت لها الفرصة لان تلاحظ اكثر الاثر الهدام لاهمال اللغة الام ، وان تؤمن اكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الاجيال الجديدة بواقعها — ما أدى الى تخبط وفشل عمليات التنمية المتكاملة . فى حالة الاستمرار فى تجاهل اللغة القومية . والوقوع فى مثل هذا التناقض الغريب ليس نادر الحدوث فهو شائع على مستوى الأفراد او على مستوى الدول عندما تتجاهل قيمة ما تمتلكه بالفعل .

٢ — هناك مغالطة شائعة فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية ، يرددها بعض العلماء مؤداها ان اللغة العربية عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى والمصطلحات العلمية والحضارية التى نشأت فى لغات اخرى .

ولن نرد على هذه المغالطة او هذا الخطأ بترديد ما قيل كثيرا عن خصوبة اللغة العربية

وغناها وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث عن طريق البحث في التراث أو عن طريق الاشتقاق أو نحت ألفاظ جديدة ..

ولنرد أيضا على هذه المغالطة بالاستشهاد بعدد غير قليل من المحاولات العملية الناجحة سواء التي بذلت بواسطة أفراد أو جماعات أو هيئات (مثل مجامع اللغة العربية) والتي تم فيها نقل مصطلحات العلم الحديث والحضارة المعاصرة الى اللغة العربية • وأثبتت هذه المحاولات بالفعل – رغم وجود بعض نواحي النقص فيها – قدرة اللغة العربية ربما أكثر من لغات أخرى كثيرة – على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة •

كما أننا لن نرد على هذه المغالطة وهذا الخطأ بمحاولة تذكير القائلين به بما كان عليه الحال في عصور ازدهار الحضارة العربية أو الإسلامية ، وازدهار العلم والفلسفة العربية عندما كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة وتملك من الغنى والخصوبة والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير والتأثير سواء في العلوم التي نشأت في ظل الحضارة العربية او التي نقلت اليها عن طريق الترجمة وخاصة العلوم والفلسفة الاغريقية •

كل ذلك ربما كان معروفا تماما للقائلين بعجز اللغة العربية • واذن ربما يكون مفيدا أكثر ان نحاول اكتشاف الاسباب الدافعة للوقوع في هذا الخطأ أو هذه المغالطة • واعتقد ان الاسباب لا تخرج عن أحد الاحتمالات الاتية :

(أ) أن يكون القائلين بعجز اللغة العربية لا يفهمون لغتهم الام فهما جيدا ولا يعرفون قدرتها وامكاناتها الهائلة ••• لكنه يجب أن نذكرهم دائما بأنه مهما كان تعمقهم وتبحرهم في اللغات الاجنبية التي يستعملونها فسوف يظلون عاجزين عن معرفة كل اسرارها ، لأنها رغم كل شيء ليست لغتهم الأم •

(ب) بعض الذين يحاولون باستمرار التشكيك في قدرة اللغة العربية ويصرون على استعمال لغات أجنبية – رغم عجزهم الفاضح احيانا في فهم اسرارها – انما يحاولون اخفاء تفاهة مضمون ما يقدمونه من مادة عن طريق تغريب الشكل الذي يضعونها فيه •

(جـ) الاحتمال الثالث لتفسير هذه الظاهرة هو احتمال الكسل الذي يجعل البعض يقول : مادمنا نأخذ مضمون ومحتويات العلوم من الخارج فلماذا نتعب أنفسنا ونبدد وقتنا في محاولة نقلها الى العربية ؟ وخطر هذا الاتجاه – كما سوف نرى – انه لا يدل فقط على الكسل ولكنه يدل أكثر على تجاهل طبيعة التقدم العلمي وارتباطه الوثيق باللغة ••

٣ – المغالطة الثالثة الشائعة يقول أصحابها ان استعمال اللغة العربية يعزلنا عن العالم المتقدم – المنشيء للعلوم الحديثة – ويجعلنا غير قادرين على الاتصال بهذا العالم والتأثر به او التأثير فيه • وهذه مغالطة من السهل فضحها ، فسوف نرى كيف ان التأثير في العالم واحتلال مكان بارز فيه لن يكون الا عن طريق بناء الوحدة الثقافية للامة والارتباط بالجذور التاريخية لها • كما ان القائلين بهذا الادعاء انما يخلطون بين استعمال اللغة العربية وتعلم اللغات الاجنبية الحية • فلا اعتقد أن أحدا يمكن أن ينكر فائدة – بل وضرورة – تعليم اللغات الاجنبية الحية بطريقة جادة وعميقة لكل الاجيال الجديدة ، لكن ذلك شيء واستعمال اللغة القومية شيء آخر والأمثلة أمامنا عديدة ، فمعظم النتائج الهامة للعلم متاحة في عدد محدود من اللغات الحية ولو أن الاتصال بالعالم المعاصر يحتم ضرورة التعليم بهذه اللغات لرأينا التعليم في معظم بلاد أوروبا يتم بالانجليزية او الفرنسية ، لكن ذلك لا يحدث في الواقع •••

والمثل الواضح الذي يمكن ان اسوقه هنا هو هولندا ، فالهولنديون يعرفون أن لغتهم ليست هامة لا يتكلم بها أكثر من خمسة عشر مليونا ، ولذلك لا يوجد شاب هولندي لا يعرف بجانب لغته الام لغتين او ثلاثا من اللغات الحية • ولكن احدا لا يناقش بالمرة في ان التعليم في جميع مراحله يجب أن يكون باللغة الهولندية •• فما بالك باللغة العربية وهي لغة أهم بكثير من اللغة الهولندية باعتبار عدد الناطقين بها ، وباعتبار تاريخها وتراثها ، وحتى باعتبار اعتراف العالم بها •••

هذه المغالطة أدت في الواقع الى معضلة صعبة ، ففي مثل هذا الوضع المتردد والمهتز لا نحن حققنا الاتصال بالعالم ، ولا نحن حافظنا على وحدتنا الثقافية لاننا أهملنا لغتنا القومية ولم نتعمق في تعلم اللغات الاجنبية الهامة • ثم ان هذه المغالطة جعلتنا أيضا نقصر في محاولات الترجمة والتعريب للمصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة باعتبار انه لا مبرر لبذل الوقت والمال والجهد في ذلك في حين أن كل الدول المتقدمة والتي تعتز بلغاتها القومية تعترف بالترجمة والنقل كوسائل فعالة في الاتصال والتبادل بين الحضارات واللغات المختلفة •

٤ – المغالطة الرابعة تتعلق بالادعاء القائل بان التعليم في المرحلة الجامعية وخاصة في مرحلة الدراسات العليا ، لا يمكن ان يتم باللغة العربية ، وهنا تجاهل واضح لنجاح التعليم باللغة العربية في كل مراحل التعليم قبل الجامعة في معظم الدول العربية • وخطورة هذه المغالطة انها ترتبط مباشرة بتدهور مستويات التعليم في كثير من الجامعات ، فكثير من الاساتذة لا يجيدون اللغات الاجنبية التي يعلمون بها ، ومعظم الطلاب يجهلونها جهلا تاما ، وذلك يكون على حساب المادة العلمية والمستوى ويكون على حساب محاولات التأليف في اللغة العربية ومحاولات الترجمة اليها ، ونحصل في النهاية على اجيال غير قادرة على مواصلة التعلم ورفع المستوى العلمي وملاحقة تطورات العلم والتكنولوجيا ، لانها لا تستطيع القراءة في لغات أجنبية ،

ولا تجد او لا تؤمن بما هو متاح في اللغة العربية .

● **ثانيا : الابعاد التي ينبغي من خلالها تناول القضية :**

بعد ان ناقشنا بعض التناقضات والمغالطات الشائعة في تناول قضية تعريب التعليم ، سوف نحاول هنا ربط القضية بالابعاد التي نعتقد ان تناول هذه القضية بدونها يعتبر تناولا قاصرا يجره هذه القضية الهامة من سياقها الذي يجب دائما ان توضع فيه .

ويمكن تناول هذه الابعاد في النقاط التالية :

١ ـ التنمية الحضارية : بعد من ابعاد التنمية الشاملة :

تسود المشاكل المتعلقة باستعمال اللغات القومية في البلاد الفقيرة المتخلفة ومعظمها كانت محتلة لفترات طويلة وحصلت على استقلالها حديثا جدا ... وجميع هذه الدول تحاول ـ بدرجات وطرق مختلفة ـ ان تعبر الفجوة الواسعة بينها وبين الدول المتقدمة عن طريق عمليات التنمية . ويصعب بالتالي تناول قضيه استعمال اللغة القومية بمعزل عن قضية التنمية .

وعندما نتكلم عن التنمية فاننا نتكلم عن بناء الامة بشكل شامل . وهذا البناء لا يمكن ان يكون احادي الجانب ، والا فقد التوازن والاستقرار اللازمين لاى بناء ، فعملية التنمية تتطلب تكامل الابعاد العلمية والتكنولوجية والثقافية والجمالية للتنمية . ولذلك فليس هناك الان فرد او شعب او حكومة على درجة من الوعي يمكن ان تعتبر الثقافة مجرد ترف او ترفيه وتسلية ، بل يزداد الوعي باهمية الثقافة كخطوة كبرى وضرورية في بناء الامم ويزداد ادراك اهمية تحديد استراتيجية للتنمية في الدول النامية باعتبار ان التنمية الفعالة لابد وان تشمل على الاقل اربعة ابعاد اساسية هي : النمو الاقتصادي ، والتناسق مع البيئة ، والعدالة الاجتماعية ، والبناء الحضاري .

والوحدة الثقافية هي سبيل بناء الامة حضاريا ، فالوحدة الثقافية هي الوسيلة الاساسية لتدعيم تماسك المجتمعات المستقلة حديثا او التي مازالت تناضل من اجل استقلالها ، وهي الوسيلة الوحيدة الفعالة للوقوف امام محاولات التمزيق والتفرقة . ومن المستحيل بناء وحدة ثقافية في مجتمع يعتبر نفسه مجرد سوق للثقافة وليس امة . وطريق تحويل الامة من مجرد سوق للتيارات الثقافية الى شريك فعال في الحوار والتبادل بين الشعوب هو بناء وحدة ثقافية لها .

٢ ـ الثقافة : احدى الاحتياجات الاساسية للبشر :

ضمن استراتيجيات التنمية التي تجد قبولا عاما واهتماما متزايدا في العالم كله ، تحتل استراتيجية اشباع الحاجات الاساسية للغالبية العظمى من افراد المجتمع مكانة بارزة . والاحتياجات الاساسية لا تشمل فقط الطعام والملبس والمسكن والعمل وكل وسائل الرخاء المادي ، لكنها تشمل ايضا او لابد ان تشمل ـ وجود هدف للحياة ، وهذا بعد ثقافي .

وقد يصاب البعض بالدهشة عندما يرى أو يسمع عن الاحباط والياس والتعاسة لدى نسبة كبيرة من افراد المجتمعات الصناعية المتقدمة والتي حققت قدرا كبيرا من الرخاء المادي لمعظم افرادها ، ولكنه لا يوجد في الحقيقة اى مبرر لهذه الدهشة ، حيث ان الرخاء المادي ـ رغم ضرورة توفر حد ادنى منه ـ الا انه وحده ليس كافيا لاشباع كل احتياجات الانسان . بل ان مستويات عالية من الرخاء المادى بدون التفات كاف الى ضرورة وجود هدف للحياة يهدد الانسان الفرد وكذلك المجتمعات بفقدان الاتزان ، لانه يخاطب جانبا واحدا منها ويهمل الجانب الاخر الذى لا يقل اهمية عن الجانب المادي .

٣ ـ الاخلاص للماضي ووسيلة التاثير في الحاضر والمستقبل :

المعضلة التي تواجهها الثقافة العربية اليوم ـ مثلها في ذلك مثل بعض الثقافات الاخرى ـ يمكن صياغتها في السؤال التالى : اليس هناك امل في ان تلعب الثقافة العربية دورها في العالم المعاصر في نفس الوقت الذى نظل فيه مرتبطة بجذورها الحقيقيه وقيم البيئة العربية ؟ بمعنى اخر : كيف نظل فيه مخلصين لماضينا وكيف نستطيع ان نعطي من قيمنا للعالم ؟

هذه بالطبع مشكلة عسيرة ، ولا توجد معادلة جاهزة لحلها ، والجدل حولها مستمر ومتصاعد لفترة طويلة . لكننا في المقام الاول يجب ان نحدد الهدف وراء محاولتنا الاخلاص لماضينا ، فلا يجب ان نفعل ذلك لمجرد بعث ماض قديم او بدافع من التعصب او الشعور بالنقص او الخوف من التفاعل مع الثقافات العالمية المعاصرة ، بل يجب ان يكون مفهوما اننا حين نخلص لماضينا فذلك لكي نعيش اكثر حرية واكثر اعتمادا على النفس في العالم الجديد الذى يتشكل امام انظارنا . ولا يجب ان نظل متفرجين حتى يتشكل العالم لنا ، بل يجب ان نساهم بفعالية في تشكيل العالم ، وان تكون مساهمتنا ـ في الاخذ والعطاء ـ على قدر عظمة تراثنا وتاريخنا وعلى قدر ما ترجوه لحاضرنا ومستقبلنا من روعه .

الاستمرار التاريخي اذن ليس هدفه مجرد بعث الماضي بل هدفه الاساسي ان يكون لنا دور في تشكيل الحاضر وصياغة المستقبل . واذا تركنا النظام العالمي الجديد يتشكل تماما بواسطة غيرنا فانه في هذه الحالة سوف يهمل او يتجاهل رغباتنا وقيمنا واهدافنا . واذا كان لهذه الرغبات والقيم اولاهداف ان تكون

أهم تحد يواجه العلم المعاصر اليوم هو كيفية توصيل نتائج العلم واكتشافاته إلى الغالبية العظمى من الناس.

متضمنة وبارزة في النظام العالمي الجديد فلابد لنا من الاغتراف من تاريخنا وتراثنا ، ولابد لنا من أن نعيد اكتشاف التاريخ ونعيد بناء الاستمرارية التاريخية ·

٤ ـ اللغة ونقل العادات والقيم :

نحاول في كثير من المناسبات أن ننتقد وأن نحارب انتشار العادات والقيم التي لا تناسبنا ولا تتفق مع تراثنا وتاريخنا والبيئة التي نعيش فيها · وهناك بعض من يعتقد أن مجرد ذكر جملة « قيم وعادات مستوردة » كفيل باقناع الناس برفض هذه العادات والقيم · وهنا مغالطة أخرى تحاول جعل كلمة « مستوردة » مرادفة لكلمة ضار · وهذا في الحقيقة اتجاه ـ فضلا عن أنه متناقض مع نفسه ـ فهو اتجاه خطر لأننا في الواقع نستورد أشياء كثيرة نافعة ، ولن نستطيع نغلق أبوابنا وعقولنا عن العالم · لكن اذا أردنا الاتجاه الصحيح لتناول قضية نقل العادات والقيم واختيار ما يلائمنا ورفض ما لا يتفق معنا ، فيجب أن نربط ذلك بقضية استعمال اللغة القومية · فما هو غائب في معظم المحاولات هو ربط اللغة بقضية انتقال العادات والقيم الاجتماعية وانتشارها ·

لكن يجب أن يكون مفهوما أن رفض كثير من نماذج الغرب التي لاتناسبنا ليس معناه رفض لغاتهم ومنجزات علومهم · لكن عندما تكون لغتنا القومية محترمة فاننا في هذه الحالة يمكن أن نفصل بين اللغة كوعاء وبين ما تحتويه من مضامين ·

٥ ـ علم لا يصل للناس ، علم بلا قيمة :

كيف يمكن توصيل نتائج العلم واكتشافاته وانجازاته الى الغالبية العظمى من الناس ؟ هذا هو أهم تحد يواجه العلم المعاصر في الوقت الذي ينمو فيه العلم بسرعة خرافية ويزداد فيه التخصص ضيقا بصورة تعجز معظم الناس عن متابعة أهم نتائجه · فالعلم له لغته الخاصة التي يفهمها العلماء ، لكن العالم الأصيل يعتبر أن تبسيط العلم لكي يصل الى أكبر عدد ممكن من الناس هي أخطر وأجل مهمة ينبغي عليه أن يقوم بها ·

والعقبات في سبيل قيام العلماء بهذه المهمة كثيرة كثيرة ، وليس من المناسب أن نضيف اليها عقبة جديدة وخطيرة بأن نكتب العلم ونعلمه للطلاب بلغة أجنبية بعيدة عن متناول معظم الناس ·

٦ ـ اللغة والتكنولوجيا الملائمة :

مصطلح التكنولوجيا الملائمة من أكثر المصطلحات استعمالا في الوقت الراهن ، لأنه ثبت في مناسبات وحالات عديدة الفائدة لفشل التكنولوجيا في حل المشاكل أو مساهمتها ربما في تكثيف وزيادة حدة المشاكل القائمة ، لأنها تكنولوجيا غير ملائمة للظروف التي تستعمل فيها ·

فالوسائل والأساليب التكنولوجية التي تم اكتشافها في ظروف بعينها (طبيعية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية ـ ثقافية) لا يمكن نقلها نقلا ساذجا واستعمالها في ظروف مختلفة تماما · لذلك تتصاعد في العالم كله الدعوة الى ضرورة خلق التكنولوجيا الملائمة ، ويمكن أن يتم ذلك بعدة طرق لابد وأن تشمل اعادة اكتشاف وفحص وتنقية الأساليب التقليدية وتطويع الأساليب الحديثة للظروف المحلية وابتكار أساليب جديدة خاصة تتلائم هذه الظروف ·

لكن ذلك كله سوف يكون من الصعب جدا انجازه لو أننا لم نبذل جهودا جادة وعميقة في استعمال اللغة القومية في التعليم ونشر نتائج العلم لأن التكنولوجيا ـ مثل العادات والقيم ـ يمكن أن تنتقل مع اللغة ، ولن نستطيع تطويع المضمون واكتشاف مضامين جديدة ما لم نستعمل اللغة القومية كشكل لهذه المضامين ·

كما أن لغتنا سوف تتخلف عن متابعة العصر ما لم ننقل اليها ونعبر بواسطتها عن التقدم العلمي والتكنولوجي حيث يعتبر العلم والتكنولوجيا في الوقت الراهن من أهم الروافد التي تثرى اللغات وتساهم في تطويرها وجعلها حية باستمرار ـ واللغة لم تكن أبدا ـ ولن تكون عائقا في سبيل انتشار العلم والتكنولوجيا بل ان العلم والتكنولوجيا يساهمان في اثراء اللغة وتطويرها · وما لم نفهم هذه العلاقة جيدا فسوف نظل تابعين ومقصرين فيما يتعلق بما من عطاء سواء في العلم أو في اللغة ·

٧ ـ ارتباط العلماء والطلاب بالواقع :

نسمع ونقرأ كثيرا عن ضرورة اهتمام العلم والتعليم بحل مشاكل الواقع والارتباط بالبيئة الطبيعية والحضارية · وأحيانا نسمع ذلك ممن لا يستطيعون أو لا يرغبون في الحديث والكتابة

بلغتهم القومية . وأى ادعـاء عن الارتباط بالواقع سوف يكون سخيفا وأى محاولة لذلك سوف تكون فاشلة مادامت اللغة القومية غير مستعملة فى التعليم وفى كتابة نتائج العلوم ونشر التكنولوجيا . فالعلماء عندما يكتبون أبحاثهم بلغة أجنبية والأساتذة عندما يعلمون طلابهم بلغة غير لغتهم القومية ، انما يخلقون نوعا من العزلة والتغريب عن المجتمع ويكونون فئة تطفو فوق سطح الواقع غير متصلة به وغير قادرة على أن تؤثر فيه أو أن تتأثر به .

وفى هذه الحالات لا يصح لنا أن نستغرب ميل العلماء والأجيال الجديدة من الخريجين الى الهرب من مشاكل مجتمعاتهم ، أو حتى الهروب من مجتمعاتهم نفسها ، أو جهلهم الفاضح بمشاكل البيئة التى يعيشون فيها ، أو عدم ربطهم العلم والتكنولوجيا بالأبعاد الانسانية والفلسفية السائدة فى بيئتهم ، أو تعاليهم على المجتمع ككل وبحثهم باستمرار عما يستطيعون أخذه بدلا من بحثهم عما يستطيعون - أو ما يجب عليهم من عطاء للمجتمع الذى أعطاهم بلا حدود . صحيح أن لجميع هذه الأعراض أو الأمراض أسباب أخرى كثيرة لكنه يستحيل تماما حلها بمعزل عن قضية اللغة المستعملة فى العلم والتعليم .

٨ - اللغة والتكامل العربى :

الكلام عن تكامل الدول والشعوب العربية أيضا كثير جدا وشائع . لكن الانجازات فى هذا المجال مازالت مخيبة للآمال . والتكامل لن يكون تكاملا حقيقيا بغير أن يتضمن تبادل وتكامل المعرفة والثقافة وبخاصة العلم والتكنولوجيا ، واللغة العربية هى التى يمكن أن تكون القناة المناسبة لهذا التبادل والتكامل وتحقيق الوحدة الثقافية ليس فقط داخل كل دولة عربية بل بين الدول والشعوب العربية .

● ثالثا : ملاحظات ختامية :

لا أعتقد أنه من المناسب أن انزلق فى محاولة ساذجة لوصف عدد من التوصيات أو الحلول الجاهزة التى يمكن بها علاج المشاكل العديدة المتعلقة بتعريب التعليم الجامعى ، كأن نقول مثلا يجب على الجامعات كذا كذا ويجب على الأساتذة كيت وكيت ... فالقضية كما رأينا متشعبة متعددة الأبعاد عميقة الجذور . ولقد أثبتت خبرة الأفراد والأمم أن الحلول البسيطة عندما يتم اقتراحها لعلاج مثل هذه المشاكل المعقدة غالبا ما تفشل ، أو تساهم فى تعقيد المشكلة بدلا من أن تساهم فى حلها .

ومع ذلك فلا أستطيع أن أتنصل تماما من المسئولية المفترضة فى الكاتب والمفكر - كما هى مفترضة فى الطبيب - من أنه بالاضافة الى محاولة التشخيص السليم لابد وأن يصف العلاج . غير أننى فى الملاحظات التالية سوف أركز على المنهج والأسلوب أكثر من تركيزى على المقترحات والاجراءات العملية :

١ - رأينا الارتباط الوثيق بين استعمال اللغة القومية والبناء الحضارى للأمة باعتباره بعد هام من أبعاد التنمية الشاملة . واذن فليس مناسبا بالمرة أن يتم تناول قضية تعريب التعليم أو استعمال اللغة القومية باعتبارها قضية هامشية قليلة الأهمية بل يجب أن يتاح لها ما هو مطلوب لعلاجها من جهد ووقت وأموال على كل المستويات .

٢ - رأينا أيضا كيف أن القضية معقدة متعددة الأبعاد واذن فان تناولها وعلاجها يجب أن يتم بطريقة متأنية عميقة تستبعد من حساباتها الحلول السهلة غير المدروسة . وأول خطوة فى هذه الطريقة هى الدراسة والتقييم لكل أبعاد المشكلة وأسبابها - الظاهرة والخفية - وانتشارها ومدى تأثيرها .

٣ - الجهود التى تبذلها الهيئات العلمية واللغوية يجب أن تتاح لها فرصة التناسق والتكامل والتبادل . كما يجب أن تتمتع بأكبر قدر من المرونة . فالتعصب والجمود مما أحدى أعداء التقدم فى مجال استعمال اللغات القومية .

٤ - التأليف والترجمة والنشر كلها وسائل يجب أن ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا ، فلن نستطيع أن نؤلف بدون ترجمة ، ولن نستطيع أن نترجم بدون نشر . والنشر وخاصة فى مجال المصطلحات العلمية والتكنولوجية هو الذى يضمن شيوع المصطلح وقبوله بالتدريج ويفقده غرابته على الأذن ويساهم فى مشاركة الناس وملاحقتهم للتقدم العلمى والتكنولوجى .

وللأسف فان غياب أو قصور وسائل النشر هو السبب الرئيسى الذى يقف حتى الآن عقبة عسيرة فى وجه بذل جهود قيمة فى التأليف والترجمة ويحجب نتائج الجهود القيمة التى بذلت بالفعل .

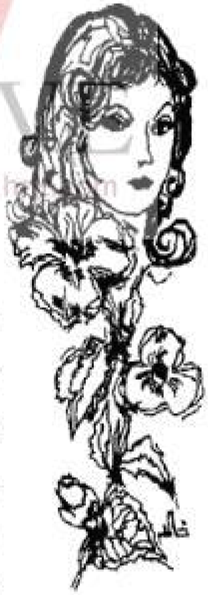
٥ - تعليم اللغات سواء العربية أو اللغات الأجنبية الحية بطريقة جادة وعميقة خطوة أولية وأساسية . ولن يمكن التقدم فى هذا المجال فى ظل القصور والتخبط فى نظم ومناهج التعليم السائدة فى معظم انحاء العالم العربى .

وبعد . فان القضية أكبر وأعقد من قدرتى أو قدرة أى فرد آخر على تغطية كل أبعادها ... وهى فى حاجة الى مواصلة البحث والجهد والوقت سواء على مستوى المفكرين والعلماء الأفراد أو الهيئات والجماعات . لكنها بكل تأكيد فى حاجة أيضا الى بذل وتنسيق الجهود على مستوى الحكومات والشعوب ..

الى ليلى

مصطفى طيب الاسماء
الخرطوم – السودان

الى ليلى وقد شسط المزار
ودون لقائها الجدب القفار
والوية من النيران تعلو
بامواج اللظى وبها استعار
وتصطخب السماء بكل رعد
ودون الغيث ينصب الدمار
ذكرتك فى العروبة وهى لحن
وانغام بقلبى وادكار
ومجد فى دمى واصول عرقى
وصفو فى الشمائل والنجار
ذكرتك والخطوب لها اصطراع
وانات الشعوب لها اوار
حننت اليك ياليلاى لما
رايت على السورى يعلو الثار
وابصرت الدنا ولهت وغامت
على اجوائها المحسن الشرار
اناجى طيفك المحبوب همسا
وجهرا حين يحتلك النهار
وفى ليل الحوادث كنت ضوئى
ونبراسى وانت لى الشعار
عبرت لك العوالم مستنزا
خيالى لاينهنهه انحسار
المنى فى سوالف وتزدهينى
مفان منك يكتنها الخضرار
فلم الفريما ابقى ولكن
رجعت اسى وفى قلبى دوار
فياليلاى هل موعود حبيب
وهل وصل لديك او الديار
فانت منارة الدنيا سلاما
وانا حين يعيها الحصار
وانت الجنة الفيحاء فيها
وانت الروح والخلق النضار
بك انطلق الوجود على هداه
وفك القيد وانحسر الاسار
اميدى الوصل ياليلاى انا
سئمنا الورد وانتكر المزار
واعيتنا المذاهب فى خطانا
واردانا التخبط والعثار
وضمى الكون فى صدر رحيب
تظلله المباهج والنضار
ويسطع فى الوجود سناك قدسا
له فى كل منطلق منار
ومالليلاى آنسة حصان
ولا وجدى بها ثوب معار
فليلاى المحبة والتدانى
وليلاى الاخوة والقرار



وحدة المخلوقات دليل وحدانية الخالق

● لواء مهندس : سعد شعبان ●

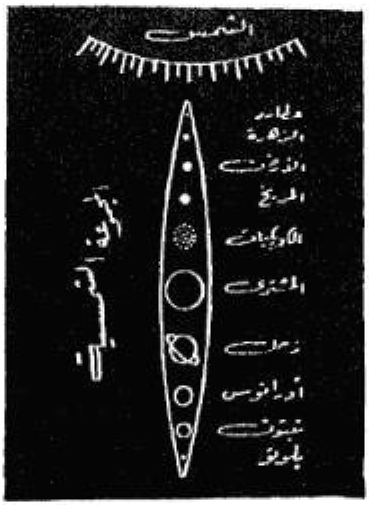
● كل ما خلقــــه الله علـى الارض او فى الكون « مـــادة » والمــــادة متنــوعة من غازية وسـائلة وصلبة ، ولهـــا صـــور ســـواء لاحياء او جماد ٠

ولقد دقق اهل الارض فى البحث عن سر المادة منذ الازل ، وتوصلوا الى أن لها « وحدة » تكوين اطلقوا عليها « الذرة » ٠وتعارفوا على أن « الذرة » هى الوحدة التى لم توالى تقسيم المادة فهى الفرد الذى لا يمكن تقسيمه ، ولذلك اطلق عليها القدامى اسم « الجوهر الفرد » ٠

ولقد تعددت هيئات تواجد المادة فى الحيـاة بين نبات يورق وحيوان يسعى وجمـاد أصم ، ولكن انتظم تكوينها كلها فى ذرات مفـردة أو ذرات متعددة ٠ تكونت منها العناصر وامتزجت فكانت المواد ٠

ولقد جد العلماء وتنازعوا ثم استقروا على أن الذرة لها مكونات من داخلها ولكن وسائلهم حتى القرن العشرين لم تكن تستطيع أن تغوص الى اغوار الذرة لتكشف عن هـذه المكونات ، حتى عرفت القرائن والقياسات وأصبح للذرات أوزان نظمت لها الجداول ، ومكونات افردت لها الترتيبات ٠ ولقد عرف النـــاس جدول العالم المجتهد « مندليف » منذ عام ١٨٦٩ الذى رتب ذرات عناصر المواد حسب أوزانها الذرية ، فجعل اخفها هو غاز الهيـــدروجين الذى رمز لوزنه الــــذرى برقم (١) ٠٠٠ وتدرج حتى اثقلها ٠ وفى عهده لم تكن العنـــاصر تتجاوز عدا عن بضع وثمـــانين ٠٠٠ واليوم اصبحت العناصر مع توالى الاكتشافات تزيد فى عددها عن المائة عنصر ٠

وبنظرة الى مكونات ذرة عنصر الهيدروجين توضح انه يتكون فى بساطة من نواة للذرة ، و (كهيرب) او اليكترون واحد يدور حـــوله فى مدار دائرى ٠ وتعارف العلماء على توازن شحنات الذرة الواحدة كهربيا وبالتالى كـــل المادة لان النواة لها شحنة كهربية موجبة ، اما الاليكترون فله شحنه كهربيـــة سالبة ٠ وتتعادل الشحنتان مقدارا ، فيستطيع الانسان أن يلمس أى مـــادة دون أن تسرى أى من



الشحنات اليه ٠

ورغم صغر حجم الذرات حتى عجز الانسان عن ادراك مشاهدتها سواء بالعين المجردة او بالميكروسكوب الاليكترونى الذى يكبر الاشياء ملايين المرات ، فان هنـــاك مسافة تفصل بين نواة الذرة والاليكترون ٠ وهــذا الاليكترون ليس ساكنا بل دائب الحركة على مداره ، فهو يدور من الغرب الى الشرق دورات منتظمـــة ، مشدودا بقوى الجاذبية الى نواة ذرته ٠

وتختلف عدد الالكترونات أو (الكهيربات من مادة لاخـــرى ، فهى فى غاز الهيدروجين واحد ، ولكنها فى غاز الهيليوم الذى يليه ثقلا فى جدول الذرات اثنـــان ، وفى غاز الليثيوم توجد ثلاثة اليكترونات ، ولكنها فى معـــدن مثل النحاس تبلغ (٢٩) اليكتـــرونا ، وفى عنصر ثقيل مثل الراديوم او اليورانيوم تبلغ عدة مئات من الاليكترونات ٠

ولو تصورنا ما عليه الذرة الواحـــدة من حجم دقيق ، فيمكننا تصور كم يكون عليه حجم الاليكترون الواحد الذى لا يعدو أن يكون جزءا من الف او من مليون جـــزء من الحجم الكلى للذرة ٠ ومهما تعددت الاليكترونات حول الذرة فان كل منها تتخذ لنفسها مدارا تدور عليـــه حول النواة وقد تتعـــدد ببعض الاليكترونات على المدار الواحد كما تتعدد المدارات ، ولـــكن مهما بلغ عددها فانها لا تتقاطع وبالتالى فـــان الاليكترونات لا تتصـــادم مع بعضها البعض ، مهما تباينت سرعاتها وأحجامها وشحناتها ٠

ولو تصورنا نواة الذرة وحولها هذا العدد من المدارات وعليها تسبح الكهيربات السالبة الشحنة الدقيقة الحجم ، يمكننا ادراك عظمـــة الخالق بالتفكر فى أن كلا منها يتحرك بقدر ، ومشحونا كهربيا بقدر ، ومنجذبا الى الاخرين بقدر ٠ وصدق الله العظيم « وانا كـــل شيء

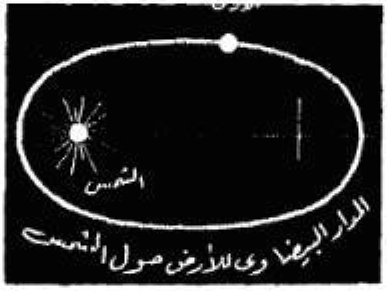
بحيث تظل الذرة الواحدة متوازنة كهربيا ، ومتوازنة حركيا وان كانت تبدو ساكنة للعيان ، وداخلهـــا حركة تموج قوى يعجز العقل عــن ادراكها • ولم يدرك الانسان عظم الطـــاقة الكامنة داخل نطاقات الذرة الا عنـــدما كشف النقاب عن قوى الجذب المهوله التي تربط هـــذه الجسيمات الدقيقة ، وكيف تنطلق منهـــا قوى التدمير المهولة لو تدخل الانسان فاحدث بهـــا الخلل اخراجا لها من الناموس الالهي الـــذى خلقه الله عليها • فعنـــدما تدخل الانســـان ، واحدث خللا في الشحنات الكهربية للذرات ، واجبر بعضا من الاليكترونات على الاخـــلال بالتوازن الكهـــربي لكل ذرة تجمعت هـــذه الاليكترونات الهـــاربة واحدثت مع تعـــارف المهندسين على اطلاق اسم « السيال الكهربي » او « التيار الكهربي » عليه • وما هو الا تجمع لكهربيات حرة استطاعت الفكاك من مداراتها ، وبالتالي الهروب بعيدا عن ذراتها تحت ضـــغط أو تدخل خارجي •

ولكن مثل هذا لا يحدث على كل المدارات او لكل الاليكترونات ، بل يحدث لبعضها فقط هي اكثرها بعدا عن النواة التي هي مركز الذرة • كذلك عنـــدما تدخل الانسان لاحداث شرخ في تكوين الذرة وحـــاول طعن التماسك والتجاذب الطبيعي الموجود بين مكوناتها ، بقوى الجـــذب الخفية بين النواة وكل من الكهربيات مهمـــا تعددت ، انطلقت الطاقة المدمرة التي تعارفنـــا على تسميتها قوى التفجير الذري •

أن قوى التوازن التي خلقها الله في الذرة ، هي ناموس الوجود الذي انتظمت عليـــه كـــل المخلوقات من انسان وحيوان ونبات وجماد ، وهي التي تشكلت على الارض ، وفي الجو وفي الفضاء ، وفيما حولنا من عالم خارجي • وعندما امتدت جهود الانسان ، وتجاوزت حدود الارض وخرجت الى نطاق ما في السماء من اجرام بمحاولات غزو الفضاء بدءا بالقمر ، ثم تلي بالكواكب القريبة ثم البعيـــدة ، راح يبحث عن السر الازلي ، هل من عناصر على هذه الاجرام لا نعرفها على الارض • ومن ثـــم وجدنا رواد الفضاء الاوائل الذين هبطوا على القمر ، يجمعون بعضا من صخوره ، وبعضـــا من ترابه ويعـــودون به الى الارض ليعـــكف العلماء على تحليله في معاملهم ، لعلهم يعثرون على عنصر لا ندري عنه شيئا فيكون هـــذا كشفا والا على ان مكونات بعض ما في السماء تختلف عن مكونات عناصرها الارضية •

ولكن اتى هذا الظن مخيبا ، عندما اقتبست سفينة « فايكنج » الامريكية بعضا من صـــخور كوكب المـــريخ عام ١٩٧٦ بواســـطة ذراع تليسكوبية بعدما حطت عـــلى ســـطحه برفق ثم ادخلتها معملا كهماريا خاصا كان على ظهرها وأخذ يحلل مواد التربة الى عناصرها الاولية ، فلم يظهر في التحليل اثر لعنصر جديد • دليلا على ان اصل تكوين هذا الكون كله واحد وتم بصورة واحدة •

وظلت الالهيـــة متمثـــلة في تـــوازن محكم في كل ذرة من ذرات الوجود ، وفي كون



المدار البيضاوي للأرض حول الشمس

كل الدلائل تشير الى ان اصله واحد ، والدليل على ذلك وحدة عناصره ، ولكن امتدت هـــذه العظمة الى افـــلاك السماء لتشـــير الى ان الاجرام حولنا لها نفس الناموس ايضا •

● اين مركز الكون ؟ ●

كان علمـــاء القرون الوسطى يظنـــون ان الارض هي مركز الكون عنـــدما عجزوا عن ادراك حدود للكون الممتد حولنـــا ، وشاهدوا الشمس ، فظنوها تدور حولنا كذلك ، وتطلعوا الى النجوم فوجدوها تتلألأ في الليالي الحالكة الظـــلام ، فحسبوها ثوابت في اماكنها واسرفوا في الظن فحددوا فائدتها بأنهـــا تتلألأ لتبعث بالضياء الى الارض لتهدى المســـافرين في دياجير الظلام •

ولكن مع تقـــدم الوقت ، وفي عام ١٥٣٠ ميلادية اطاح عالم شـــجاع هو « نيقـــولا كوبرنيكس » بكل هذه المعتقدات وقال بأنهـــا كلها خاطئة • فقد دلل على ان الارض ليست مركزا للكون وانها لا تعدو ان تكون كوكبـــا سيارا يدور حول الشمس • وان لهـــا اخوات اخرى هي « الكواكب » • وانتهـــا لم يكونوا يعرفون غير خمسة كواكب فقط تناقلوا اسماءها عن القدامى في عصور الفراعنة ومن حضارات الرومان والهنود هي عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحـــل • ولذلك اطلق عليهـــا « كوبرنيكس » اسم السيارات تدليلا على انهـــا تدور كالارض حول الشمس •

واعقبه عالمان اخران عـــززا ما قاله ودللا عليه بالرصد والقياس هما العـــالم الدانمركي « تيخوبراهي » ومساعده « كبلر » • وفي عام ١٦٠١ وضع هذا الاخير ثلاثة اسس لحـــركة الكواكب السيارة مازالت تتحدى بصحتهـــا علماء كل العصور حتى عصرنا • ومـــازالت تحكم حركة كل السيارات حتى الصناعية منها والتي اطلقها الانسان في عصر الفضاء كالاقمار الصناعية وسفن الفضاء •

ويقرر القانون الاول لكبلر ان الارض كوكب سيار يدور حول الشمس وليس الامر بالعكس كما كان الاعتقاد لدى سابقيه • وان ذلك ليس بقاصر على الارض وحدها ولكن يدور مثلهـــا حول الشمس سيارات او كواكب اخرى ، وكـــل منها له فلكه او مساره الذي يتخذه حولهـــا • ويقرر ان هذه الافـــلاك ليست دائرية بل هي اهليجية اي بيضاوية الشـــكل تقع الشمس في

احدى بؤرتيها . وعنيت نواميس كبلر الاخرى بتقرير وحساب سرعات هـذه السيارات فى دوراتها حول الشمس ، حسب ابعادها عنها .

ولقد حمل لواء الثورة على افكار القدامى من بعد « كبلر » العـالم الفلكى الايطـالى « جاليليو » ، الذى كان له فضـل ابتكار اول منظار فلكى شرعه نحو اجرام السماء فرأى معالم سطوحها مقربة ، وساعده ذلك على تبين تفاصيل سطح القمر . كما اخذ يدرس حـركة الكواكب الاخرى كالزهرة والمريخ وزحـل . وكشف عن ان الزهـرة يتغير وجهه كما يتغير وجه القمر .

ورغم ان هذا العالم الفذ وضع امام الناس عديدا من المعلومات التى لم يكونوا يعـرفون عنها شيئا قبل ان يضع بين ايديهم منظـاره المقرب ، الا ان ذلك لم يدفع مجمع الكرادلة فى روما الا الى محاكمته ، والحـكم باحـراق مؤلفاته . وزج به فى السجن حتى كف بصره ، وظل يقاسى آلام الحبسين ، السجن والعمى ، حتى توفى عـام ١٦٤٢ ، ورغمـا من ذلك لم يتزحزح عن الصراخ باعلى صوته داخل سجنه « ومع ذلك فالارض تدور .. الارض تدور .. الارض تدور » .

والحقـائق العلمية التى توصل اليهـا « كوبرنيكس » وتيخـوبراهى » وكبلـر ثم جاليليو » وردت فى القرآن الكريم قبـل ذلك بنحو الف عام . وصدق الله العظيم :

« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقـدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عـاد كالعرجون ، لا الشمس ينبغى لهـا ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكـل فى فلك يسبحون » .

(سورة يس ٣٧ ـ ٤٠)

وحتى حركة دوران الارض نفسـها ، اشار اليها القرآن فى وضوح وجلاء لا يلهمه الا ذوى الالباب :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء ، والله خبير بما تفعلون » .

(سورة النمل ـ ٨٨)

وتعددت الآيات الكونية فى القرآن الكريم ، التى ربطت بين حركة اجرام السماء ، وتعاقب الليل والنهار ، وتدرج منازل القمر . وحرك الفكر القرآنى اذهان العرب ، ولفت انظـار المفكرين الى الظواهر الكونية فى عـديد من الآيات ، فى شمول بالغ يبدأ بالحث على اطلاق العنان للعقل ليمتد الى التفكر فى نشأة الكون وكيف توزعت الاجرام ومنها الارض بقدرة الله فى هذا العالم الذى يحتويها .

« قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها ، وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لهـا وللارض ائتيـا طوعا او كرهـا قالتـا اتيـنا طائعين . فقضاهن سبع سماوات فى يومين ، واوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم » .

(سورة فصلت ٩ ـ ١٢)

هـذه الصورة المبسطة لتسلسل خلق الله للكون ، تحوى كل النظريات العلمية التى انتهى اليها علماء الفلك حتى يومنا هـذا . من ان الكون كان عند بدء الخليقة على هيئة كتـلة غازية ملتهبة تقلصت بالبرودة ، فتكاثفت فى اجزاء منها ككل مائعة القـوام تحولت بزيادة البـرودة الى كرات صلبة مختلفة الاقطـار والاحجام ، تكونت منها الكواكب البـاردة ، بينما ظل بعضها متقدا فتكونت منه النجوم .

وتكررت هذه الصورة فى عدة مواقع اخرى من القرآن لتؤكد بتكرارها البـلاغة القرآنية بايقاع الترديد .

« أو لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » .

(سورة الانبياء ـ ٣٠)

« وهو الذى خلق السـماوات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء » .

(سورة هود ـ ٧)

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العـرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمـر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » .

(سورة الاعراف ـ ٥٤)

● وكل فى فلك يسبحون ●

للشمس اسرة خاصة بها ، تدور حولها فى مدارات او افلاك متفاوتة البعد ، ولذلك تعرف هـذه الاسرة باسم « المجموعة الشمسية » ، نسبة لارتباط حركتها بالدوران حول الشمس .

وعدد الاعضاء الاساسيين فى هـذه الاسرة تسعة الارض احدها . وكلها تستمد نورها من الشمس ، شأنها فى ذلك شأن الاولاد يستمدون الحياة من امهم .

ويسمى كل عضو فى هذه الاسرة ، كوكبـا أو « سيارا » ، لانه يغير وضعه فى السمـاء للناظر اليه فيبدو كانه يسير .

ولذلك فالارض كوكب من كواكب « المجموعة الشمسية » التسعة ، وكلها فى الفضاء القريب منا تدور حول الشمس ، وتنعكس عليها اشعتها فتظهر لنا ليلا مضيئة كالنجـوم ، وهى فى حقيقتها اجسام باردة غير متوهجة كالارض .

وكشأن كل الاسر ، يتفاوت الاعضاء بعضهم عن بعض ، فمن حيث الحجم منهـا الكبير ذو القطر الذى يفوق الارض عـدة مرات ،

والصغير ذو القطر القريب من قطر القمر ·

ومن حيث البعد ، منها القريب الدانى من الشمس الى الحد الذى يجعل رؤية تفاصيل سطحه لنا من الارض أمرا صعبا لانعكاس أشعة الشمس عليه ، فيلمع بشدة ، ومنها البعيد الذى يبلغ بعده عدة ملايين من الاميال·

ومن حيث الوزن ، والكثافة ، والشكل وطبيعة السطح فانها تتفاوت كذلك ، كما سنوضح فى الجداول التالية ·

ولكنها كلها تتحد فى دورانها حول الشمس فى مدارات أو أفلاك تختلف سرعاتها ، أى سرعات دورانها · فمنها ما يتم دورته حول الشمس على فلكه الخاص خلال أيام ، ومنها ما يتم هذه الدورة خلال أعوام · ولا شك أن ذلك يتوقف على البعد عن الشمس ·

فالكواكب القريبة من الشمس ذات سرعات عالية · أما الكواكب البعيدة فسرعاتها بطيئة بحكم ضعف قوة انجذابها الى الام ، أى الشمس · وقانون الجاذبية العامة هو الاساس فى ربط أعضاء هذه الاسرة بالشمس ، بحيث لا تستطيع فكاكا عنها ، وتكرر دورتها حولها فى تعاقب منتظم ·

وأعضاء هذه الاسرة ، يحمل كل منها اسما مميزا ، وهى على حسب بعدها عن الشمس :

عطارد ــ الزهرة ــ الارض ــ المريخ ــ المشترى ــ زحل ــ أورانوس ــ نبتون ــ بلوتو

● مدارات الكواكب ●

وتتميز الكواكب التسع فى دورانها حول الشمس بمزايا خاصة ، تعبر عن نسق منظم للمجموعة كلها ، وهذه الخصائص هى :

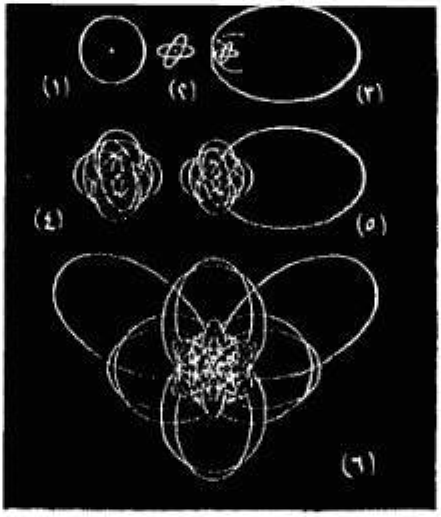
تدور الكواكب حول الشمس فى مدارات بيضاوية ، تماثل الشكل الهندسى المعروف باسم « القطع الناقص » ولكن تفلطح هذه الاشكال البيضاوية ليس كبيرا · ولذلك فهى أقرب ما تكون الى أشكال الدوائر المتمركزة حول الشمس ، ماعدا حالة أبعدها عن الشمس

ومن حيث الوزن ، والكثافة والشكل

وتكاد تقع مستويات مدارات كل الكواكب فى مستوى واحد ، اذ لا يشذ عنها الا مستوى مدار الكوكب « بلوتو » · ولا يزيد شرود هذا الكوكب عن المستوى المشترك لهذه الكواكب عن ٨ درجات ·

ولذلك فان كواكب المجموعة الشمسية فى حركاتها المختلفة تدور فى الفضاء حول « أمها » الشمس فى شريط من الفضاء الكونى ، لا يزيد عرضه عن ٨ درجات حول جانبى المدار الظاهرى للشمس · ولقد اصطلح على تسمية وهو : كوكب « بلوتو » التى تبدو شاذة ·

وتدور كل كواكب المجموعة الشمسية فى اتجاه واحد حول الشمس ، من الغرب الى الشرق ، وهو نفس اتجاه دورانها حول محورها ، وهو كذلك نفس اتجاه دوران الشمس حول محورها الوهمى ، ووفقا لهذه القواعد الثلاث تدور الكواكب التسعة ، مخلصة لنظم الاسرة فى غير شذوذ · اللهم الا حالة بلوتو الذى طوحت به الاقدار بعيدا عن امه



تكوين ذرات عناصر

١- الهيدروجين ٢- الهيليوم
٣- الليثيوم ٤- النيون
٥- الصوديوم ٦- الراديوم

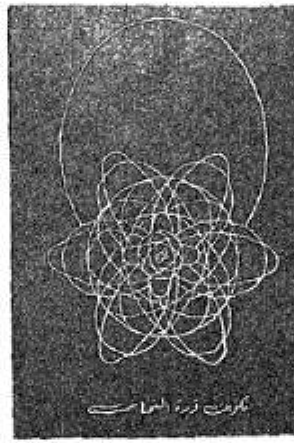
الشمس ، فبدا طريدا للاسرة نات به المسافة ، فهزل حجمه وشذ فعله · ولذلك فلا عجب أن يتأخر الكشف عنه منذ أوائل القرن السادس عشر عندما عرف المنظار المقرب « التلسكوب » فى عهد جاليليو ، الى القرن العشرين عندما تم الكشف عنه عام ١٩٣٠ ·

وتتفاوت أبعاد الكواكب عن الشمس فى غير انتظام ، ولكنها كلها أبعاد تقاس بملايين الكيلو مترات · فعطارد أقرب هذه الكواكب اليها يبلغ متوسط بعده عنها ٥٧٫٩ مليون كيلو متر ، بينما يبلغ بعد الارض وهى الثالثة فى ترتيب هذه الابعاد ١٤٩٫٥ مليون كيلومتر ، أما بلوتو أبعد الكواكب فيقدر متوسط بعده ٥٨٩٩ مليون كيلو متر ·

لذلك تتفاوت مدارات افلاك هذه الكواكب حول الشمس ، حسب بعدها عنها ومن ثم نجد أن المدد التى تتم فيها دوراتها حولها مددا مختلفة · فبينما يدور عطارد حول الشمس كل ٨٨ يوما من أيامنا الارضية ، نجد أن المريخ يتخذ هذه الدورة خلال سنة و ٣٢٢ يوما والمشترى يتم دورته خلال ١١ سنة و ٣١٣ يوما · وزحل يدورها خلال ٨٤ عاما وسبعة أيام · بينما تتم الارض دورتها حول الشمس خلال ٣٦٥ يوما وربع يوم ·

● توابع الكواكب ●

واغلب كواكب « المنظومة الشمسية لها توابع » أى أقمار أصغر منها حجما وتدين لها هى الاخرى بولاء الجاذبية ، شأنها شأن قمرنا



الذي يدور حول ارضنا • ولكن ليست كل كواكب المجموعة الشمسية في مثل قناعة الارض ، فكثير منها يجذب اليه اكثر من قمر •
بل ان بعضها غنى بالاقمار الى حد الاسراف مثل كوكب المشترى الذي يجذب اليه (١٢) قمرا • اثنى عشر قمرا • بينما كوكب المريخ له قمران ، وزحل كان يعرف له (٩) تسعة اقمار ثم تكشف عام ١٩٨٠ ان له اكثر من (١٥) قمرا • واورانوس له (٥) خمسة ، ونبتون له قمران • ولم يتبين العلماء الى الآن عدد ما حول بلوتو •

لذلك لو قدرنا في مجموع عدد توابع الكواكب نجدها تبلغ (٣٧) قمرا ، كل منها يتخذ لنفسه مدارا حول الكوكب نفسه ويدور في حركة اخرى مع الكوكب اثناء حركته حول الشمس • كما نجد ان بعض هذه الاقمار تتم دوراتها حول الكوكب خلال بضع ساعات وبعضها الآخر يتم دوراته خلال سنين •

● حتى المجرات ●

وكواكب المنظومة الشمسية وتوابعها ليست هي وحدها مكونات اجرام السماء ، بل هي ليست اكثر من اسرة شمس واحدة من الاسر التي في الكون وتبعد عن شمسنا ملايين الشموس الاخرى التي هي النجوم المتقدة التي نراها تتلألأ كل ليل في السماء • وهي دون العد احصاء لان منها ما نراه بالعين المجردة ، ومنها ما لا يمكن ان نراه حتى بالمراصد الفلكية نظرا لعظم مسافاتها •

وجل ما نراه حولنا من نجوم لا يعدو كونه مجرة واحدة ، بينما توجد حولها مجرات اخرى لا تعد بالمئات ، ولكن بالملايين •

وصدق الله العظيم ..

« فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم »

(سورة الواقعة ـ ٧٥)

وليس هناك ما يمنع من ان يكون حول كل نجم من هذه الشموس مجموعة كواكب تدور حولها كما هو الحال في مجموعتنا الشمسية •

ومهما كبر عدد هذه النجوم فاصبحت بالملايين عدا ، ومهما حوتها آلاف المجرات فان كلا من الكواكب التي حولها لابد ان تتخذ لنفسها فلكا تدور عليه ، وهكذا ترتسم لنا عظمة الله ما حوى من ملايين الكواكب ، التي لم يصطدم احدها بالآخر منذ بدء الخليقة حتى الآن •

● هذه العظمة من الــذرة حتى المجرة ●

بدءا من الذرة حتى المجرة ... ناموس واحد •

بدءا من العدم حتى اللانهاية ... قانون واحد •

بدءا من الاول حتى الآخر ... اصل واحد •

كل هذه دلائل يمكن ان تطرح على عقولنا عديدا من التساؤلات •

ـ هل يمكن ان توجد هذه المنظومات صدفة .. بلا تدبير ؟

ـ هل يمكن ان تحتشد بهذه الروعة وبينها هذه القوى والمسافات بلا عقل منظم ؟

ـ ان كل نظريات الرياضة والاحتمالات ... تؤكد ضرورة حدوث اصطدام بنسبة لا تقل عن ٥٠٪ لو وجدت هذه الاجسام بمحض الصدفة .. ولكن حاشا لله !!

ولو كان الامر وليد « صدفة » ، فلماذا لم تعمل « الصدفة » باحتمالاتها على فناء هذا الكون ، بتصادم اجرامه يوما بعد يوم ، وعمره ممتد في الماضي كقرائه ؟

ان الجواب ، لا يمكن ان يصوغه الا نظرة ايمان بقدرة هائلة ، تسلم بقصور العقل البشري ، وترقى الى مرتبة الخلق خالقنا عظيما ، لا نهائي التدبير •

« بديع السموات والارض » •
خلق كل شيء فاحسن خلقه في مكانه وزمانه •
« انا كل شيء خلقناه بقدر » •

ولا سبيل الى تحديد قدرته ، ولا عقل يدرك حدود صنعه •

« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » •

« هو الاول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم » •

وبلغة العلم يصوغ العلماء ايمانهم ، عن يقين • فتسطع عظمة الخالق لديهم فلا تزحزحهم الى حماة النكران ، الذي هو كفر بواقع بديع •

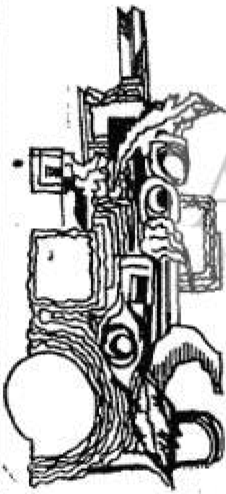
« الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور • ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » •

●●

فتنة الشعراء

د . صلاح عيد

مجردُ رؤيتي لكِ يا مــدامُ
لها في النفس آثــار جسام !
فوجهُ الصبحِ يبدو لي بديعا
عليهِ بشــاشة وله ابتسام !
وأشعــرُ بارتياح واغتبــاط
كأني قد تحقق لي مرامُ ..
وأني حــينَ أفعلُ أيّ شيء
سيأتي ما فعلتُ كما يُرامُ !
فما بيني وبين الكون إلاّ
وفاقٌ واتّســاقٌ وانسجامُ !
ذكاءٌ مثل نور الشمس عالٍ
وحسن كالبدور له تمام ..
إذا ما قيلَ لي وصفٌ قديمٌ
فللذوقِ الرفيع لي احتكام ..
وإحساسٌ لرقته انسكابٌ
كما لدموع رقتك انسجامُ
فتنتِنتُ وفتنتي كرمٌ وخيرٌ
وإجلال لذاتكِ واحترام .
وما في فتنةِ الشعراء ضير
لأنهمُ - وإن شطوا - كرامُ !
وليسَ الحسنُ عندي غير معنى
وبالمعنى افتتاني والغرامُ !..



رؤيـة بلاغيـة

مدخل لدراسة الاسلوب عند الزيّات

● محمد جاد البنا ●

(١)

● أراد احمد حسن الزيات (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨) أن يضع للنثر معايير واطرا ، كما وضع الخليل بن احمد الفراهيدي (٧١٨ ـ ٧٩١) للشعر مقاطع واوزان ...

غير ان الزيات كان ابعد حظا من الخليل في ربطه الذكي المبدع بين التلازم من حيث المعنى والفكرة ، والتلازم من حيث الشكل والإطار ... بينما توقف الخليل بأوزانه ومقاييسه التقنية عند حدود الشكل والموسيقا الخارجية ، ولو انه مضى خطوة جريئة اخرى نحو الموسيقا الداخلية للفن الشعري لأفاد اكثر ، ولتكاملت نظريته حول الشعر ، ولسد الطريق امام عبد القاهر الجرجاني (ت ١٠٧٨) وجماعة البلاغيين والنقاد ممن اتوا بعده فحاولوا محاولات جادة في هذا الاتجاه من خلال نظرية النظم او العلاقات عند عبد القاهر ونظرية الاسلوب عند حازم القرطاجني (١٢١١ ـ ١٢٨٥) تلك المحاولات التي كتب لبعضها النفاذ والتأثير الى حد بعيد .

(٢)

على أن الزيات (يرحمه الله) السابق تاريخيا للشيخ امين الخولي صاحب « فن القول » والمسبوق زمنيا بكتاب « الاسلوب » لاحمد الشايب ـ يتفرق بأنه لم يلف بنظريته البلاغية ـ المجهولة الى حد ما ، فقد غفل عنها كثير من الدارسين ، وأزور عنها البعض ـ عند المصطلحات التنظيرية الجافة والتي تقف حائلا في كثير من الاحيان امام سبل الانسياب الابداعي ، وانما وضع هذه المصطلحات البلاغية موضع التطبيق العملي عند بنائه لنظريته حول الاسلوب ، مما جعله يخلف وراءه مدرسة أسلوبية جمالية ذات سمات وخصائص قل نظيرها ـ تقريبا ـ في الادب الحديث ... اما الزعم بانها خرجت من جبة المنفلوطي ، او اشتركت مع الاتجاه الذي نهجه مصطفى صادق الرافعي ، فزعم مبتور الدلائل يفتقر الى الحجة المؤيدة ...

فالزيات كان بصيرا بضروب القول عليما بفنونه ومسالكه ، مما جعله ـ كما سلفنا ـ يكون قواعده ومصطلحاته ويستل أسسه النظرية من واقع أسلوبه نفسه ، بعد رصده وتذوقه وتمحيصه لاساليب الاساطين من القدماء وبعض المعاصرين في الادبين العربي والفرنسي .

والزيات ـ كما هو معروف ـ ليس ناقدا بالمعنى العلمي ، أي الفن الدقيق للنقد ، كما انه لم يكن بلاغيا اكاديميا جافا ، وانما هو أديب متذوق ومبدع يخضع القواعد والمصطلحات لاسلوبه وليس العكس ، وتلك مزية اخرى يشترك فيها الزيات مع عبد القاهر الاديب البلاغي الناقد البصير .

(٣)

ومن ثم فبهذه المشاركة مع عبد القاهر يجعل الزيات متبعا لا مبتدعا فهو لم يستنبت نظريته الاسلوبية البلاغية من فراغ وانما بناها على اصول ثابتة نصا وأتجاها ... فالواضح انه نظر متأنيا في كتابات عبد القاهر فافاد منها من الوجهة الفنية والبلاغية والنقدية البحتة ، ثم استند كما استند عبد القاهر نفسه على الاصول النصية للاساليب التراثية بعد ان استفاد الفائدة الجلى من النظر المعمق والحفظ المجود للقرآن الكريم ...

ثم نظر ـ كما اسلفنا ـ في نتاجه البياني المميز والذي تكون تلقائيا من واقع الممارسة والتعامل مع عيون المحفوظ والمأثور من جيد التراث الاسلوبي استجابة لمنهج استاذه الشيخ سيد بن علي المرصفي حينما كان يدرس الكامل للمبرد مع طه حسين في حلقته الادبية بالازهر ـ ثم النظر المبكر (اثناء وجوده في الازهر) في تراث اللغة الفرنسية وتأثره بمدارس الانطباعيين والاسلوبيين فيها كما سيتضح فيما بعد .

استطاع الزيات اذن ان يخرج بنتائج تجربته البلاغية في مجال الاسلوب ويسجلها حية نابضة متألقة في كتابه الموجز (دفاع عن البلاغة) ولا يخفي أن الايجاز كان سمة من سمات الاسلوب عند الزيات .

(٤)

ولا يكاد يختلف دارسان على أن عبد القاهر هو صاحب الفضل الاول في وضع القواعد العامة لفن النظم ونظرية العلاقات اللغوية ، بل هو كذلك أول من اعتمد الاخذ بالتطبيقات المبنية على جيد الاساليب وعيون الشعر العربي ، وأن جهوده في هذا المجال تعد شيئا نادرا في تاريخ الفنون والاجناس الادبية ... الا أن الزيات وان ارتكز على بدايات عبد القاهر ، فقد استطاع أن يضيف اضافات جديدة بل ويخالف استاذه في معايير كثيرة ، فبينما اعتمد عبد القاهر على استخدام وجوه النحو وفروقه المختلفة كقاعدة انطلاقية يخرج منها الى تتبع صور التراكيب وتلمس الاغراض التي ترمي بها حين تتغير من صورة الى صورة أخرى ، ومن ثم جعل (النحو) هو المجيز أو غير المجيز لسلامة الصورة التركيبية أو فسادها ، وذلك من حيث الصحة والسلامة الاعرابية - بينما نرى الزيات يختصر الطريق المؤدي الى منابع التذوق الفني والجمالي فيدخل مباشرة من باب « البلاغة » التي يستعين عليها بمزيد من النظر في علم النفس الجمالي، والذي لا شك افاد منه اثناء دراسته في فرنسا (١٩٢٥) ومن ثم نرى الاسلوب عنده هو « مظهر الهندسة الروحية لهذه الملكة النفسية يبرزها للعيان ويصل بينها وبين الاذهان ، وينقل اثرها المضمر الى الاغراض المختلفة والغايات البعيدة »

كذلك فالبلاغة في مفهوم الزيات تخرج عن حيزها المتعارف عليه قديما من حيث هي علاقات بيانية أو تنسيقات بديعية أو تركيبات نحوية لتتآطر في البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، اذ ان الكلام كائن حي روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فاذا فصلت بينهما أصبح الروح نفسا لا تتمثل والجسم جمادا لا يحس »

على أن الزيات - كمعلم - امتهن التدريس ردحا غير قليل من عمره الحياتي والثقافي ، لا يترك الكلام المؤكد دون زيادة تأكيد وشرح وتفصيل - رغم شغفه الواضح بالايجاز وضيقه بالفضول والاطناب - تراه بوضوح العلاقة بين الفكرة والصورة في الاسلوب يجعلهما كل لا يتجزأ ووحدة لا تتعدد ، وليس أدل على اتحادهما من انك اذا غيرت الصورة تغيرت الفكرة ، واذا غيرت في الفكرة تغيرت الصورة ، فقولك (أعنيك) غير قولك (اياك أعني) . وقولك (كل ذلك لم يكن) غير قولك (لم يكن كل ذلك) . وقولك (ما شاعر الا فلان) غير قولك (ما فلان الا شاعر) .

فترتيب الالفاظ في النطق لا يكون الا بترسب المعاني في الذهن . على أنه في هذا



احمد حسن الزيات

نظر الى عبد القاهر في أسرار البلاغة واستشهد به ، اذ أن مزية الالفاظ لدى عبد القاهر : « ليست لك حيث تسمع باذنيك بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك » .

معنى ذلك في ايجاز أن البلاغة التي عني الزيات بالتأصيل لها والدفاع عنها هي بلاغة العقل والذوق والفكرة والكلمة والموضوع والشكل ...

(٥)

كذلك فان الوظيفة الاولى للبلاغة - في رؤية الزيات - هي الاقناع عن طريق التأثير والامتاع من طريق التشويق - والشأن الاول ، وهذا مناط لطريقة المجهولة في البلاغة هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب « فالمعنى المبتذل او المرذول او التافه قد يتسم بالجمال ويظفر بالخلود اذا جاد سبكه وحسن معرضه » .

اما اداة البلاغة عند الزيات فهي « الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والمراد بالطبع ملكات النفس الاربع التي لابد من وجودها في البليغ ، ولا حيلة في ايجادها لغير الخالق ، وهي الذهن الثاقب والخيال الخصب والعاطفة القوية والاذن الموسيقية » .

وعلى ذلك فلابد لطالب البلاغة - وهذا اقل ما يجب - من درس اللغة والطبيعة والفن « أما اللغة فلانها أداة القول والكتابة » يتضلع في مادتها ويتعمق في فقهها ويتفقه في ادبها ويحيط بعلومها ويوغل ما استطاع في استبطان اسرارها ، واستقراء اطوارها حتى تكون للسانه وقلمه أطوع من الشمع في يد المثال الماهر » .

وأما درس طالب البلاغة للطبيعة فلانها كتاب الفن الجامع ومصوره العجيب ، منها موضوعه ومادته ، وعنها اقتباسه ووحيه ، وفيها دليله ومثاله ، وبها مخيلته ومصوره ، فيجب ان يطيل بها النظر ويخال بهما

الفكر »

وأما دراسته للنفس فلانها الينبوع الذي لا يزخر به الشعر والنثر من مختلف الغرائز والعواطف والافكار والاحاسيس ، ومعرفة الينبوع في مصدره وجوهره ومداه شرط في معرفة ما يصدر عنه على حقيقته وطبيعته واثره »

(٦)

التذوق الجمالي للنص لدى الزيات ومحاولة التعمق في أسرار الالفاظ والكلمات والتراكيب ضروري ، لانه مناط العلاقات الرابطة التي لا مفر من التعامل الفني معها ، والتذوق البلاغي عنده هو اداة الفن كما ان العقل في ـ النظر الفلسفي ـ هو اداة العلم ، فمن لا يذق لا يدرك الجمال ، كما أن من لا يعقل لا يعرف الحق ... فما هو الذوق عند الزيات ؟

« الذوق حاسة معنوية يصدر عنها انبساط النفس او انقباضها لدى النظر في اثر من اثار العاطفة او الفكر »

وللذوق لديه مصدران هما العقل والعاطفة ، والفن واحد هو الطبيعة « والفنان كلما دنا من الطبيعة كان انقى واصدق » ومستقبل البلاغة ـ عند الزيات ـ منوط بتغلب الذوق الطبيعي على الذوق المزيف

(٧)

ويخلص الزيات من مقدماته حول التنظير البلاغي والعلاقة بين الطبع والصنعة ومحاولة وضع حد للبلاغة وآلة لها وعناية بسبط رؤيته الى التذوق الجمالي ، يخلص الى الاسلوب الذي هو طريقة الكاتب او الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ وتأليف الكلام ، بل ان الاسلوب هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها ، لان الاسلوب لدى الزيات ـ كما سلف ـ هو مظهر الهندسة الروحية للملكة النفسية يبرزها للعيان ويصل بينها وبين الاذهان » ، وهو في هذا الجانب يمنى المعاناة كلها ويحشد كل الطاقات ويسخر كل الامكانيات، مما جعله يأخذ في الطبقة الاولى من « الدفاع » والطبقات التالية حيزا كبيرا بالقياس الى حجم الكتاب (النصف تقريبا من ص ٥٤ الى ١٢٤) مع الاخذ في الاعتبار ان الصفحات الكلية المكونة للكتاب لا تزيد عن ١٦٤ صفحة

وهو ينكر على بعض القدماء ـ مع اتفاق نظرته مع كثير من فهم ـ ينكر على من خلفوا عبد القاهر وأبي هلال وابن الاثير ـ سكوتهم المتعمد عن الاسلوب من حيث هو فكرة وصورة ، بل ان الفنان العبقري عنده « هو وحده الذي يستطيع ان يغلب صفاته الخاصة (في الاسلوب طبعا) عن صفات قومه العامة ، فيتميز طابعه ويستقل اسلوبه ، وهو تأليف من المقلدين حملة الرواسم (جمع روسم وهو « الكليشيه ») وحفظة التعابير حيث تظل اساليبهم نسخا منقولة عن الاصول العامة الموروثة لا يختلف بعضها عن بعض الا بمقدار ما تختلف رسائل التجار وكتب الدواوين »

ويركز تركيزا جيدا على العلاقة بين اللفظ والمعنى ، ويؤكد على ان الفكرة والصورة في الاسلوب كل لا يتجزأ ، ويحمل على القائلين باستقلال المعنى عن اللفظ ، لانه يرى ان الكتابة لا تخلد بغير الاسلوب ، وان تجويد الصورة يستلزم تجريد الفكرة وليس العكس ...

ويستشهد لرأيه مدعما بأقوال العرب الاقدمين امثال عبد القاهر وابي هلال وغيرهما وبآراء الاسلوبين من الفرنسيين امثال فلوبير (امام الصناعة في فرنسا) ـ وبيوتون (كاتب اسلوبي وعالم طبيعي مكتشف) .

ثم هو يحمل على اعداء العناية بالاسلوب ، ويناقش اراءهم مفندا امثال اميل زولا وبلزاك واستندال ، وسائر الذين رآهم فولتير يعاصرون « معبد الذوق »

وفي هذا الفصل من الكتاب يحشد الزيات معداته واسلحته ، ولا عجب ، فهو عن نفسه وطريقته ومدرسته ينافح ويدافع ، « ولا عليك ان يقال عنك انه يطرح بكره ، فان زهيرا لم يعبه احد بحولياته ، وابن المقفع لم يغض من عبقريته قلة مؤلفاته ... وابو نواس شهر بالتخير والتفكر كما شهر ابو العتاهية بالارتجال والاقتضاب فجاء شعره (يقصد ابا نواس) من حر الكلام ومختاره كما جاء شعر الآخر على رأي الاصمعي « كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى » وللابروبير كتاب واحد ، ولفلوبير كتابان ، ولو كان لبلزاك كتاب من طراز (الشمائل) وكتابان على اسلوبي (مدام بوفاري) و (سلامبو) لما قلت شهرته بهما عن شهرته بمجلداته الخمسين » .

ويرى الزيات أن مقياس الجودة في العمل الادبي ، الاتقان لا السرعة ... ويخلص الى ان صفات الاسلوب الجامعة هي الاصالة والوجازة والتلاؤم ، كما يرى اخيرا ان اسلوب البليغ من لوازم القوة لديه ، والقوة لديه عنصر من عناصر الجمال

(٨)

يراد بالاصالة في الاسلوب لدى الزيات بناؤه على ركنين اساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة ، كذلك نهى الكلمة الخاصة والعبارة الجيدة ، ويرى رأيا يخالف فيه الكثرة من اصحاب الاتجاهات الاسلوبية والمدارس النقدية من حيث ان خصوصية الكلمة وجدة العبارة تحقق الطبيعة الفطرية في الاسلوب ، وليست الطبيعة ان ترسل الكلام على سجيته من غير روية ولا تنقيح « انما الطبيعة نتيجة النظر الطويل والجهد المتصل ، فهي على الرغم من اسمها تكسب ولا توهب ، وشرطها الذي لابد منه ان يختفي فيها الفن كما

تختفي دودة القز في الشرنقة »

ولابد أن تتميز الاصالة بعدة صفات ، الدقة والصحة والصـــدق والطبيعة والوضوح ... ثم هي الصفة الجـــوهرية للاسلوب البليغ والسمة المميزة للكاتب الحق .

أما الوجازة فهي امتلاء في اللفظ وقوة في الحبك وشدة في التماسك ، ولا ترى التميـــع والتكلف والانتشار الا حيث ترى الضعف في شيء من أولئك » كما أنها حد البـــلاغة لانها وان كانت اصلا في بلاغة اللغات فهي في بلاغة العربية أصل وروح وطبع ...

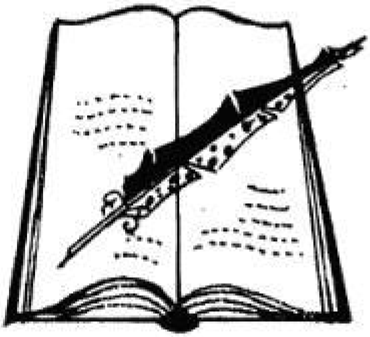
وهو في هذا الفصل أيضـــا يسهب ويطنب على الرغم من أنه يتحدث عن الايجاز شعورا خفيا منه أنه يؤهل لمرتكزات اتجاهه ومدرسته وذلك حينما يرى أن للايجاز مزية ظاهرة على الاطناب فهو « يزيد في دلالة الكلام من طريق الايحاء ، ذلك لانه يترك على أطراف المعاني ظلالا خفية يشتغل بها الذهن ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون وتتسع ثم تتشعب الى معان اخر يتحملها اللفظ بالتفسير أو التـــاويل ، والقرآن الكريم معجـــزة الدهر في هـــذا الصدد »

ويدلف بعد ذلك الى التلاؤم او الموسيقية او « الهرمونية » . والتلاؤم كلمـــة جامعة لكل وصف لابد منه في اللفظ ليكون الكلام خفيفـــا على اللسان مقبولا في الاذن موافقا لحركات النفس مطابقا لطبيعـــة الفكرة او الصورة او العاطفـــة التي يعبـــر عنهـــا الكاتب او الشاعر » . ويكون في الكلمة بائتـــلاف الحروف وتوافق الأصوات وحلاوة الجرس ، ويكون في الكلام بتناسق النظم وتناسب الفقر وحسن الايقاع ؛ ومن هنا تنشأ السلاسة والعذوبة والطلاوة والرشاقة والانسجام التراكيب ومتانة الحبك

على أن الزيات في هذا الفصل يحمـــل في شجاعة على الذين يدعون الى ان نكتب كمـــا نتكلم ، ويرى انهم يزورون حقيقة الفن بنقيصة العجز فيهم ، بدليل انهم يجـــدون في انفسهم حلاوة الرضا أن وقعت في كلامهم عفوا كلمة انيقة او جملة رشيقة او سجعة محكمة » .

(٩)

أما هؤلاء الذين عابوا على الزيات هندسته الاسلوبية وضـــاقوا بقيوده البـــلاغية التي استقاها من واقع اسلوبه واساليب القدماء هم بالطبع امتداد لهـــؤلاء الـــذين عابوا على عبد القاهر الجرجاني تقنيناته التي بنى عليهـــا نظرية العلاقات أو النظم واتهموا منهجـــه بالجمود المدرسي أو النهج الحرفي الجامد وكلاهما القدماء وغير القدماء ـ مجانب لجادة الصواب ، فكما أن الصورة الادبية الفطـــرية المرفرفة وليدة الابتكار الحر ، وكما انها تتأثر في أغلب الاحيان من التقنينات والتعقيـــدات والرسوم والمقاييس الهندسية الدقيقة لانهـــا



بنت الفطرة التلقائية والطبيعة السوية ، الا أنها من جانب اخر ـ وهذا لابد وأن يلاحظ ـ تحتاج الى ضوابط ترد الشارد منها الى لغة القرآن ورسمه باعتباره المرجع والمنبع واليـــه المآب والاحتكام في هذا الاتجاه ، والا انفلتت كما هو واقع بالفعل ـ الى تراكيب أعجميـــة حسب التعبير الكلاسيكي ، فيها حروف العرب وليس فيها فطـــرتهم وتصميمهم التـــركيبي المنضبط المنظم .

لقد كان الزيات ومن قبل كان عبد القـــاهر ـ بالرغم من أن الاخير لم يكن مبدعا ـ فطريا عفويا ، لم يستنجد كلاهما بغير الذوق مقياسا وحكما بينـــه وبين النص الـــشكلي أو الصور الجزئية . فعبد القاهر ـ كما هو معلوم ـ خرج بالبلاغة العربية من إهاب الفلسفة ، وخلصهـــا من مقاييس المنطق التي تورط فيهـــا الأعاجم أمثال السكاكي والخطيب القزويني وغيرهما . الزيات كان طبيعيا ـ رغم الهجوم المركز من قبل النقاد عليـــه ـ بل يبـــدو انه كان مفطورا بأصل الخلقة ، فحياته كلها لن اقرب منه تمضي على هذا النسق الطبيعي المنظم ، وكلماته لن استمع اليه متحدثا حتى من خلال أحاديثه العادية اليوميـــة ، تتسم بالتقسيمات المنسقة والتفريعات المتناســـبة والتشبيهات القريبة الى الفهم والذوق .

شيء اخر اهم وأجدى في مجال الانصاف ـ وليس الدفاع ـ عن محامي البلاغة والدافع عن « معبـــدها » في العصر الحديث ـ تلك هي رسائله الخاصة والتي غالبا ما يتحرر فيهـــا الصديق مع صديقه فيخلع ملابسه الخارجيـــة امامه بلا حرج ويخرج من صـــوره واشكاله الهندسية المنمقة بلا كلفة ... كان الزيات في رسائله ـ وتحت يدي منها ما يربو على عشرين ومائة رسالة كلها بخط يده ـ يترسل في سلاسة دون ان يخرج عن الهندسية الجمـــالية التي هي ابرز سمات اسلوبه الأدبي حتى ولو كانت الرسالة للوسطى الثقافة او لمن هم دون ذلك فالزيات هو الزيات

التلوث

أعظم خطر يهدد البشرية بعد الحرب الشاملة

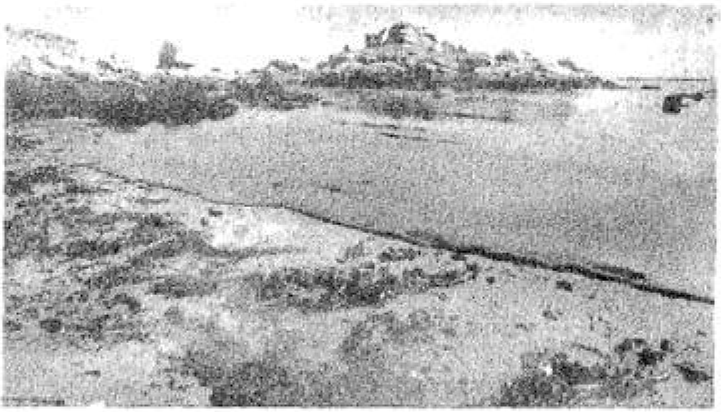
● محمد الحديدي ●

● مشكلة الخير ، والشر مشكلة قديمة ، وسوف تظل كذلك .. لان هذه هي طبيعة الحياة الانسانية .. انه حتى الحرب المدمرة التي يهلك فيها الحرث والنسل يرى فيها البعض خيرا .. من الفيلسوف القديم هرقليطس الى نيتشه والنازين الالمان ، نرى الكثيرين ممن يظنون ان الحرب تساعد على هلاك الضعفاء وبقاء الاصلح . حتى المضادات الحيوية التي قضت على العديد من الآفات التي عذبت الناس آلاف السنين وابرات عللا من نوع الجذام والطاعون ، وحولت ملايين من العميان الى مبصرين حتى هذه وجد الكثيرون فيها شرا كثيرا لانها ساعدت على انماء انواع جديدة من البكتريا تستعصى على كل دواء مما هو لدينا الآن ! ..

وموضوعنا هذا ، تلوث البيئة ، هو ايضا ناتج جانبي للتقدم العلمي والتطور التكنولوجي اللذين لا ينكر احد انهما جاءا البشرية بانواع عديدة من الخير والمتعة والرفاهية ، لم يعد هناك حد لثمار العلم والتكنولوجيا ، ويقدر عدد المستحضرات الكيمائية التى تستجد بالف نوع كل سنة ، والمستحضرات المعروفة حتى الآن تبلغ حوالى خمسين الف مركب ! .. ثلثها على الاقل خطر على الحياة الانسانية ، فهي ليست كلها مستحضرات تجميل ، وانتاجها يتضمن ضرورة التخلص من نفايات كيمائية فتاكة تفرزها المصانع فى حمى الانتاج والصراع من اجل الثراء العظيم ! ولا يعدم كبار رجال الاعمال فى المجتمع الصناعي وسيلة يسكتون بها اولئك الحمقى الذين يثيرون كل هذه الضجة من اجل الانهار والبحيرات ، بل والمحيطات ! ..

ولا يبدو ان هناك حلا لهذه المشكلة، فالمصانع تعمل والعمل ينتج هذه النفايات ، فماذا نريدهم أن يفعلوا بها؟! فى البحر متسع للجميع .. وقد يتساءل البعض : هل يمكن ان يتلوث البحر ؟ .. الاجابة هي نعم ، فهو مهما كان متسعا وعميقا فهو ايضا يتلقى اقدارا عظيمة من فيض المجاري وسموم الكيماليات والمبيدات الحشرية ونفايات البواخر وما يتسرب اليه من البترول ومشتقاته عندما تتصادم الناقلات او تغرق او يقع حادث لحفار بترولي او ناقلة، كما حدث اخيرا فى بحر الشمال وعلى ساحل بريتاني فى فرنسا ..

ارقب الموج الرقيق وهو ينساب فى وداعة على الشاطيء فى يوم هادىء



اسوا حادث تلوث بالبترول فى التاريخ ، الباخرة « اماكوكاديز » ، جنحت عند شاطىء نورماندى بفرنسا ولفظت الى الماء ما يقرب من ربع مليون طن من البترول الخام فى ابريل ١٩٦٨ ، ولوثت شواطىء طولها مائتى كيلو متر وتسببت فى خسائر فادحة وقضايا ما زالت امام المحاكم الى الان ،

لطيف ، سوف ترى خيوط الزيت واضحة كالشمس وهى تمتزج بالماء وترسب فى بلادة على الرمال لتكون هذه البقع السوداء من « الزفت المذاب » الذى يعلق بالاصابع والكعوب ، ويجعلك تبحث فى مخلفات المنزل من وابور جاز تأخلمنهبقايامن الكيروسين تستخدمها كملاك لهذا الناتج الجانبى للصناعة التى جاءت بك الى المصيف فى القطار المكيف أو الطائرة النفاثة ، واعطتك التليفزيون الملون ـ (وهذا يكون خيرا او شرا حسب نوع البرنامج الذى يضعه امامك قدرك !)

● نحن وامنا الارض

هذه الام الرءوم ، أعطتنا الكثير

كم أرضعتنا وكم الحفتنا فلم تلق منا الا مزيدا من النهم والاستنزاف ، منذ قرون والانسان يعامل البر والبحر والهواء كما لو كانت موارد لاحد لها ولا نهاية ، وهى ليست كذلك ..

لقد نفثنا فى الفضاء ملايين الاطنان من انواع الغبار والغازات السامة ، غبار الأسمنت والمبيدات الحشرية ، ونواتج الاحتراق المتصاعدة من المصانع ومصافاوات البترول، ولوثنا معظم الانهار والبحيرات ، ولفظنا من النفايات ما لم بعد لدينا موضع نلقى به فيه كوملأنا الدنيا بكيماويات المبيدات السامة ، واصبحت توجد فى كل شىء نأكله او نشربه ، فى اللحوم والخضروات والفاكهة ، ومركبات الزئبق والرصاص وال . د. د. ت واسترونيوم ٩٠ ـ كل هذا يتم دورته ليحط فى اجسادنا لناخذه معنا الى الارض عندما تنتهى اجالنا ليبدأ دورة جديدة مماثلة .

اهلبنا لا يستطيعون ، او ـ على الاقل ـ كانوا الى عصور قريبة لا يتصورون امكان أن يتلوث البحر، وكان المثل البلدى يصف التصرف الشين ـ من قبيل المبالغة ـ بانه «ينجس البحر» لم يعد هذا المثل يعنى شيئا فقد وقع هذا المستحيل وتنجست بحار كثيرة على راسها البحر الأبيض المتوسط الذى اصبح يزخر بمنتجات البترول والمجارى ...

امنا الارض ، سفينة فضاء ضخمة قطرها حوالى ثلاثة عشر الف كيلو مترا ... ولكننا نعيش على قشرة رقيقة على سطحها ، وفيما عدا بعض الكائنات الدقيقة فالحياة الارضية تنحصر بين قاع المحيط ، وعمقه حوالى

١١ ــ ١٢ كيلو مترا ، واقصى ارتفاع تصل اليه الحياة ، سواء على قمم الجبال أو حتى في الطائرات ، مادامت قد أصبحت شيئا منتظما ، وهذا حوالى عشرة كيلو مترات .

نطاق الحياة على الارض اذن يمتد الى حوالى عشرين كيلو مترا ولو صنعنا للارض نموذجا على هيئة كرة قطرها خمسة سنتيمترات ، فان هذا النطاق لن يزيد سمكه على سمك هذه الصفحة .
الواقع ان نطاقا اصغر من هذا بكثير ، حوالى ثلاثة كيلو مترات فقط يحتوى ٩٥٪ من كل الحياة على هذا الكوكب .

جزء كبير من هذا النطاق يخلو تماما من الحياة ، ٩٠٪ من المحيطات و ٣٠٪ من اليابسة تكاد تكون صفرا منها ، والباقى لابد له أن ينتج ما يكفى جميع الآدميين الذين يعيشون الآن وهم اقل قليلا من اربعة آلاف مليون ، وعند نهاية هذا القرن سوف يصبحون ستة آلاف مليون .

وكل ثانية تمر يولد اربعة اطفال ، ويتفاوت نصيب هؤلاء الاطفال من خيرات الارض ، ففى الولايات المتحدة حيث يولد طفل كل تسع ثوان ، الفرد المتوسط فى المجتمع الصناعى الغربى ، يستهلك ما يلى :
٢٨٠ مليون لتر من الماء ، بما فى ذلك نصيبه من الماء المستهلك فى الزراعة والصناعة الى جانب استهلاكه الشخصى ..١٨٥٠٠ لتر من البنزين .
٥ ونصف طن من اللحم
٥ ونصف طن من القمح
٩ اطنان من اللبن ومشتقاته
و ... اذا استمر الحال على هذا المنوال ، فهل يستمر ؟

● **ثلاثة انواع رئيسية من التلوث**

● **تلوث الهواء**

المصادر الرئيسية هى : السيارات ، والمصانع ، ومحطات انتاج الطاقة ، والتسخين المنزلى ، واحراق القمامة ، والفضلات الزراعية .

● **تلوث اليابسة**

على راس الاسباب : القمامة ، وهذه فى زماننا تحوى الوف الاطنان من البلاستيك والالومنيوم والزجاج ، وهذه كلها مواد لا تبلى بسهولة ولا تتأثر بعوامل الطبيعة كما تتأثر بها المواد الزراعية مثلا ، كبقايا الخضروات والفاكهة .

● **تلوث الماء**

وينتج بصفة اساسية من المجارى ومخلفات الصناعة والمبيدات الحشرية والاسمدة واعمال المناجم .

ولكن هناك ايضا ما يلى :

ــ اقتلاع الاشجار والقضاء على الخضرة من اجل الحصول على الاخشاب أو لبناء المدن والطرق السريعة ، يزيد ذلك من تآكل القشرة الارضية ، وينقص من قدرة الارض على استعادة الاكسجين المستهلك والذى تعوضه النباتات الخضراء فى توازن الهى بديع .

ــ حفر المناجم يشوه الجبال ويغذى السيول الهابطة عليها بالاحماض الفتاكة التى تتلف المزيد من الحرث والنسل .

ــ صحيح أن المفاعلات الذرية لا تلوث الهواء بقدر يعادل ما تحدثه الغازات المحترقة المتصاعدة من محطات التوليد الحرارية ، ولكن المياه المستخدمة فى تبريدها بكميات كبيرة تخسر قدرا كبيرا من الاوكسوجين ، وتتسبب فى الاخلال بالتوازن الاكسوجينى الطبيعى .

ــ **نفايات الزئبق التى تقذفها المصانع فى البحيرات والانهار ، تحولها البكتريا التى تعيش فى الماء الى زئبق ميثيلى ، وهذا بدوره يبدأ دورة بيولوجية جديدة بدخوله اجساد الاحياء البحرية والاسماك التى يتغذى عليها الانسان ، وقد وقعت حوادث تسمم شهيرة فى اليابان وغيرها من اكل الاسماك والطيور ينتج عن غير ذلك من مركبات السمومة » وعنالنتائج متشابه على**

ـ لا تتسبب الطائرات النفاثة فى اكثر من ١٪ من تلوث الهواء ، ولكن محركاتها تفرز قدرا كبيرا من بخار الماء نتيجة لاتحاد الايدروجين فى الوقود الذى تحرقه مع الاكسوجين فى الغلاف الجوى ، يؤدى ذلك الى زيادة حجم الغيوم العائمة فى الفضاء ، وعندما يتزايد استخدام الطائرات فوق الصوتية التى تطير على ارتفاعات كبيرة ، فان مثل هذه الغيوم قد تبقى معلقة فى الفضاء فترات طويلة جدا ، ليس معروفا بالضبط حتى الآن مدى تأثير مثل هذه الظواهر على اجواء كوكب الارض المفترى عليه ...

ـ جميع الانهار الكبرى فى البلاد الصناعية تكاد تكون ملوثة تماما ، هذا التلوث يمتد الى مصبات هذه الانهار والشواطىء المحيطة بها ويحدث اثره على الحياة البحرية .

ـ لا ينكر احد أن الاسمدة الكيمائية قد زادت من الانتاج الزراعى ، ولكن رب نافعة ضارة ، فالرياح والامطار تحمل هذه الكيمائيات الى الانهار والبرك والمحيطات لتساعد على نمو النباتات الضارة ومختلف انواع البكتريا غير المرغوب فيها .. فيها ..

ـ الانسان مدنى بالطبع ، الزحف من الريف الى المدن حيث تتكاثر النفايات وتتركز فى مناطق بعينها ولا تصبح مجرد قطرة فى بحر ، انها البحر ذاته ، تزايد « الزبالة » يؤدى الى انشاء محطات الحرق الكبيرة ونفث المزيد من نواتج الحرق فى الهواء الذى نتنفسه ، أو الى نقلها الى أماكن بعيدة بوسائل نقل تحدث آثارا شبيهة .

ـ تزايد وسائل النقل البحرى ينشر القمامة فى البحار ايضا ، وكثيرا ما تسرع الى الشاطىء فى يوم صيفى رائق ، وبدلا من أن تنعم بالسباحة فى هذه الزرقة الحالمة ، تجد نفسك متدثرا بجوال من النايلون المغطى بالشحم تخوض فى بركة مليئة بقشور الخس والقرنبيط ..

● مياه الآبار

والآن وقد تلوثت معظم الانهار الكبرى فى العالم الصناعى ، وفى بعض الدول النامية حيث توجد صناعات كيمائية أو بتروكيمائية كبيرة ، فان الانسان قد يطمئن لمياه الآبار ، ولكن الواقع ان الخطر يتهدد هذه ايضا ، ففى الولايات المتحدة حيث يعتمد نصف الشعب الامريكى على الآبار فى الحصول على مياه نزلت الى باطن الارض منذ عشرات السنين من خلال الصخور والرمال لتتجمع فى بحيرات جوفية كبيرة على اعماق تصل الى مئات الامتار وتخلو تماما من كل شائبة كيمائية .

وتقدر الجهات المختصة ان الشركات الصناعية تقذف كل يوم بحوالى خمسة ملايين متر مكعب من المياه الملوثة الى مجارى جزيرة لونج ايلاند وحدها ، وقد ظهرت اصابات بسرطان الكلى يعزوها الباحثون لتلوث المياه بالبتروكيمائيات .

ومياه الآبار لا تجرى أو تتدفق كمياه الانهار ، كما أن حرارة الشمس لا تصل اليها ، فهى تبقى ساكنة راكدة الى أن تمتصها المضخات ويشربها الناس اعتمادا على نقائها الطبيعى ، واذا تلوثت بالكيمائيات فلا سبيل الى تنقيتها بأى وسيلة ، بل ان مجرد فحص الماء للكشف عن مدى تلوثه بالبتروكيمائيات عملية معقدة ، ليست فى سهولة الكشف عن البكتريا او الطفيليات أو الطمى أو غير ذلك من الشوائب .

● البتروكيمائيات

ويرى بعض العلماء ان الخطر الاعظم يأتى من حقيقة ان جميع المخلوقات التى عاشت على الارض كانت قادرة على ان تتلاءم تدريجيا مع التغيرات الطبيعية المتوالية لان كلا الامرين ، التغيرات والتطور المواجه لها ، كانا يمضيان بمعدل مناسب ومتناسب

ولكن التلوث الكيمائي يأتي بمعدل أسرع كثيراً من قدرة الانسان على اكتساب المناعة .

ولا يقف الامر عند ذلك ، فالى جانب سرعة حدوث هذا الاثر هناك نوعيته ايضا، نوعية تأثير البتروكيماليات على الهواء والتربة والماء ، فقد عمل البتروكيمائيون على توليف جزئيات من مواد الفحم والبترول والغاز الطبيعي بأشكال جديدة والتجسروا مركبات لم تكن توجد من تلقاء ذاتها وان كانت عناصرها والقوانين المتحكمة فيها موجودة بالطبع منذ الخليقة .

هذه المركبات اساسية الآن في صناعات الغذاء والبلاستيك والمواد العازلة والنسيج وبعض انواع الغذاء ولكنها ، بخلاف الكيماليات الطبيعية ، لا تتحلل او تبلى تحت تأثير البكتريا او الشمس او الهواء او الماء وان فعلت فببطء شديد ، والزجاجة المصنوعة من البلاستيك التي تأخذها الى بيتك وتستهلك ما فيها من زيت او صابون ثم تلقى بها الى القمامة قد تعيش آلاف السنين بعد ذلك ...

قد لا يكون هناك خطر كامن في مثل هذه الزجاجة ، ولكن هناك مواد بتروكيمالية اخرى يلقى بها في المهملات بنفس السهولة وهي ليست في براءة البلاستيك ، اغلبها يحمل اسماء يصعب النطق بها : دايكلوروايثيلين ، دايبراموكلوروبيثين ، تتراكلوروايثلين ، وهكذا .. يقال انها تتسبب في الاصابة بالسرطان وغيره من الآفات وان كانت علاقة السبب بالنتيجة غير واضحة او ثابتة تماماً .

وليس هناك تسجيل لمواقع او كميات النفايات الكيمائية او «القالب» التي تقذف فيها ، وبذلك فهي اخطر من النفايات الذرية ، بل ومن الالغام البرية والبحرية التي تتخلف من المعارك الحربية ، فهذه تعمل لها خرائط تسجيلية ، وقد يظهر خطر الكيماليات في اى وقت ومكان . والكثير من المصانع في دول الغرب تتخلص منها خفية وبوسائل غير قانونية منها سلوك الطرق الزراعية مع الاستمرار في بعثرة النفايات تجنبا للأضرار الى تحمل التكلفة التي تنشأ عن القائها بعيدا عن العمران ...

● القمامة ...
عندما تكون نووية ●

ليس هذا كل شيء ، هناك الطاقة النووية . ومرة أخرى ، لا نحن ولا أحد يدعو الى ايقاف تيار التقدم ، او العلم وتطبيقاته ، واذا دعا احد لذلك فانها دعوة في الهواء ، لان العلم هو التفاعل الحتمي بين قدرات الانسان كما خلق ، والكون كما وجد نفسه فيه . ولا سبيل ابدا لايقاف هذا التفاعل ...

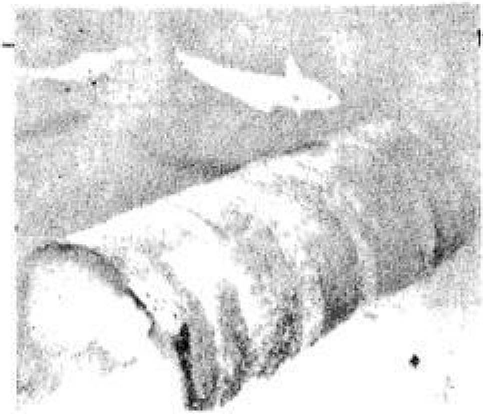
ولكن هناك اخطارا هائلة ، منها مخلفات الوقود النووي ، ونحن هنا لا نتعرض للحوادث من نوع ما وقع في جزيرة « ثرى مايل » الامريكية ، فهذا موضوع آخر ، نحن نتحدث عن تلوث البيئة دون ان تقع الحوادث . النفايات هي سبب التلوث ، والنفايات يمكن ايضا ان تكون مواد نووية مشعة .

بعض النظائر المشعة ـ مثل اليود ١٣٢ ـ تفتقد قدرتها على الاشعاع في ايام قلائل ، بينما يستمر بعضها في الاشعاع ملايين السنين ، من هذه اليود ١٢٩

ويتعرض غذاء الانسان للاشعاع من مخلفات الوقود الذرى ، نتيجة لان هذا الوقود ـ وهو نظائر مشعة من نوع اليود ١٣١ واسترونتيوم ، وعندئذ ينزع من المفاعلات وتظهر هذه المشكلة الكبرى : اين تلقى بهذه القمامة ؟.. انها ليست كالرماد المتخلف من احتراق الفحم والاخشاب ، وليست كالغازات المتصاعدة من المدخنات ومحركات السيارات ، انها تظل قرونا طويلة في غاية الخطورة على الحياة الآدمية والحيوانية ، خاصة عندما تتسرب الى الغذاء او مياه الشرب او الرى او تدخل



براميل تحوى نفايات يلقى بها فى منجم قديم للفحم فى المانيا الغربية ، أدى الى احتجاج السكان الى ابتداع اوان غير معدنية تصنع من السيراميك وغيره



الاسماك تحوم حول براميل تحوى مواد تظل مشعة لقرون طويلة ، الاشعاع الذرى يتسرب اليها ثم يصطادها الانسان ويتخذها طعاما .

أجسام الاسماك التى يتغذى عليها الناس ، أو تمتزج بالآبار حيث لا يكتشف أمرها الا بعد فوات الوقت ..

فكر العلماء فى كل شىء ، بما فى ذلك وضع هذه النواتج فى صواريخ واطلاقها الى الفضاء الخارجى الى حيث تصبح مشكلة « الجيران » ان وجدوا ... تخرج من كوكبنا الى حيث يعلم الله ، الى حيث القت ... نحو الشمس مثلا ، حيث تكون كحفنة من قشر البصل يلقى بها فى جوف فرن من افران الصلب ؟.. فقط ، يا لها من تكلفة !.. من ثمن باهظ للحصول على شىء من الطاقة أو قتل حفنة من الاعداء ... ثم أن مثل هذا الانجاز يتطلب وجود صواريخ لا تسمع بالاشعاع ولا تقع لها حادث ، والا فان الكحل سيؤدى الى العمى كما يقول المثل البلدى !

ماذا من المنطقة المتجمدة فى القطب الجنوبى ؟ أو اعماق المحيط ؟ فكروا فى كل هذا بالطبع ، ولكن هناك مشاكل دولية ، ثم من يدرى ما يأتى به الزمن ؟ حيثما يوجد الماء يوجد احتمال أن يتدفق الماء حاملا فى طياته بذور الفناء ... وهو ينبوع الحياة .

لماذا لا نجرب الكيمياء على طريقة العرب القدماء ؟ نحول الرصاص الى ذهب ؟ أو بلغة العصر : نطلق سيلا من الذرات النووية على هذه المواد اللعينة فتتحول الى الجمود أو الهمود ؟ فكرة مقبولة نظريا ، فقط لا أحد يعرف كيف وأين وبكم يمكن تنفيذها !

الحل الوحيد هو تخزين هذه العفاريت فى قمقم ، فى عبوات صلدة مانعة للاشعاع واغراقها او دفنها فى اعماق تحت الارض تصل الى مئات وربما جدا آلاف الامتار .

وقد صنعت لهذا الغرض أوعية من السيراميك والزجاج ، ولكن المشكلة لا تنحل نهائيا بهذه الطريقة ، انها فقط تؤجل ، لأنه بعد عدة قرون وربما بعد آلاف السنين يعلم الله ما سيحدث عندما تتهالك الأغلفة وتتكاثر صفائح الزبالة اللعينة وتضيق بها اعماق الارض

والمؤسف هو ان الجزء الاعظم من هذه النفايات يأتى من صناعة الاسلحة النووية ، وهكذا فان الدمار يولد الدمار ... والامر لا يقتصر على المفاعلات التى تعطى طاقة من اجل الحياة. ولكن هذا كله يصبح امرا هينا لو ان البشر اتجهت عقولهم نحو الخير ونحو وقاية النوع الانسانى نحو « ضد ينفع الانسان » فهو الذى يمكث فى الارض ..

أزمة الكم والكيف

بقلم

● امام سالم ●

ظلت الترجمة مصدر اثراء الفكر الانسانى على مر العصور .. ولكن فى الفترة الاخيرة تعرضت للركود ونالت من الجحود والانكار الكثير ، مما يثير التساؤل حول هذه الازمة ، ويبعث على التفكير فى عرض المشكلة والمقترحات لحلها ..

● انشاء مركز علمى للترجمة ●

د / مهدى علام

الامين العام لمجمع اللغة العربية

لابد للانسان المتحضر أن يكون على اتصال بأفكار العالم الذى يعيش فيه ولقد أدرك العالم اهمية الاتصال الفكرى عن طريق الترجمة من قديم فليس هناك حضارة من الحضارات الا وقد عنيت بنقل ما حولها من تراث الفكر .. فلا اليونان استغنوا بثورتهم الفكرية العظيمة ، ولا الرومان اكتفوا بما لديهم من علم ومعرفة ـ فهؤلاء وغيرهم سعوا الى نقل التراث العالمى المعروف ..

ومن مظاهر الاهتمام بالاتصال الفكرى اختراع لغة « الاسبرانتو » التى رؤى فى وقت من الاوقات أن تكون لغة عالمية يتعلمها كل انسان الى جانب لغته القومية ليسهل عليه التفاهم بها .

وقد نجح هـذا المشروع العظيم فى ايجاد لغة جديدة ، منعا للحساسيات والغيرة التى تسود اذا استقر الرى على اختيار لغة كالفرنسية والانجليزية مثلا ..

واهم ميزة فى لغة الأسبرانتو ، هى السهولة فى الاشتقاق والاطراد فى قواعد النحو ، وما زالت هذه اللغة تحيا بين محبيها ولها جمعياتها ونواديها ، ولكنها لم تنل صفة العموم العالمى . لان تقدم الثقافة ويسر الاتصال وانتشار اللغات الحديثة ، ورقى تكنولوجيا الاعلام .. كل ذلك اغنى عن اللجوء الى هـذه اللغة المصطنعة ..

ولقد حاول تشرشل أن يحل الانجليزية محل « الاسبرانتو » بتشجيع حركة معروفة باسم « الانجليزية الاساسية » ، كما حاول بعض اللبنانيين بوحى أجنبى تقليد هذه الحركة مع اللغة العربية وعرضوا علينا مشروعهم فى عدة هيئات منها مجمع اللغة



حلمى مراد



حسين القبانى



مهدى علام

العربية ، ومجمع البحوث الاسلامية ، وكان يعيب هذه الحركة الاخفاق ..

والعلم بقواعد اللغة وبمفرداتها لا يكفى وحده للقدرة على التغييرات الحضارى نطقا وكتابة من وان هذه المعلومات ليست الا مواد البناء التى لا تقيم مبنى الا عن طريق الهندسة اللغوية التى تصمم الجملة وتخطط الفكرة وتنسق الفقرة والمقالة وهذا علم هام يحتاج الى مواد البناء السابقة ولكنها لا تقيم لغة بالمعنى الحضارى ..

***

وهناك فعلا ازمة فى حركة الترجمة ازمة كمية وكيفية .. فالازمة الكمية ترجع الى اننا لم نستطع ان نلاحق الانتاج العالمى فى جميع فروع المعرفة .. فالفكر العالمى يتحرك ، وآلات الطباعة تدور ، وعدد اللغات التى تصدر بها هذه المطبوعات يزداد .. وكنا نعتبر انفسنا سعداء عندما كان يظهر كتاب او كتابان من ترجمات فتحى زغلول عن الفرنسية ومن ترجمة محمد السباعى عن الانجليزية ، وكان من النادر ان نتلقى شيئا عن الالمانية واما الآن فالعدد كبير والانتاج غزير ..

واما من الناحية الكيفية فان الازمة تتمثل فى ضعف بعض الترجمات وهو ضعف يرجع الى عدة اسباب منها ان بعض من يتصدوا الترجمة ليسوا من اهلها ، بل هم ادعياء علم او طلاب رزق وان بعض المترجمين تصعب عليهم دقائق فى اللغة التى ينقلون عنها ..

وتطلع القارىء الى ما هو جديد فى الخارج يحدث رواجا فى الترجمة ويبعث بعض الناس على تقديم ما يتلهف السوق على استهلاكه ، فيئول الامر الى رواج بضاعة رديئة فى سوق ليس عليها رقيب .

ويجب ان يتحقق فيمن يتصدى للترجمة شروط ثلاثة : اتقان اللغة المنقولة منها واتقان اللغة المنقول اليها والتخصص فى المادة المترجمة ..

واما فيما يتعلق بانشاء مركز علمى للترجمة ، فارى ان يكون الاقتراح هيئة هى اقرب الى لجنة اتصال بين الاجهزة القائمة الآن بنشاط الترجمة بحيث يظل كل جهاز منها حرا فى نشاطه ، على ان يبلغ هذه اللجنة بيانا باعماله لتنسقها مع نشاط الاجهزة الاخرى .

وتتألف لجنة الاتصال من ممثلين للهيئات المختلفة ومن بعض المتخصصين المشتغلين ليدلوا بآرائهم فى موضوع الاولويات التى تقدم للترجمة فى الاجهزة المختلفة ، ولابد طبعا من وضع لائحة تنظيمية لهذه اللجنة

واعجب ما وقع عليه نظرى ترجمات لبعض الكتب وهى ترجمات مطبوعة فى بيروت ، وهى تكاد لا تتصل بالاصول الانجليزية التى تدعى انها ترجمة لها . وبعضها تاليف جديد كأنه مقالات مستقلة ..

• ثلاثة الاف كتاب جديرة بالترجمة والاقتناء •

للاستاذ حلمي مراد
رئيس تحرير كتابي

ان كل ما ترجم حتى الان من كتب ومراجع لا غنى عنها لمثقف لايزيد من واحد في المائة مما ينبغي أن يترجم .. والذى ترجم لا يخضع لتخطيط منهجي ولم يتلاحم وفقا لخطط أو دراسات ، وانما ترجم على اقتراحات فردية متناثرة

اقول هذا وامامي مئات من الكتب والدراسات تولت اصدارها أكبر الجامعات العالمية وأشهر الاخصائيين في كل فرع من فروع المعرفة ، تتضمن قوائم تفصيلية بنحو ثلاثة الاف كتاب اتفقت اراء جميع ذوي الشان على جدارتها بالقراءة والاقتناء ..

هذه قائمة يرشحها المفكر الانجليزي الشهير « الدوس هكسلى » ، وهذه اخرى انتقاها الاديب الالماني « توماس مان » ، وثالثة من وضع فيلسوف الصين المعروف « لين يوتانج » ورابعة للكاتب الانجليزي المعاصر ((هسكيت بيرسون)) ، وخامسة للناقد والمعلق المشهور ((ج.ب. بريستلى))وسادسة وعاشرة ، وعشرون .. وضعتهـا جامعات العالم المختلفة .

وثمة قوائم وضعت حسب التسلسل الزمنى تبدا بكتب اليونان فالرومان فالعصور الوسطى ، فعصر النهضة فعصر اسرة تيو دور في انجلترا ، فالقرن السابع عشر وماتلاه الى القرن العشرين وقوائم روعى فيها التقسيم النوعى حسب فروع المعرفة المتشعبة فتخصص فصلا لكل فرع .. كتب الاديان .. فكتب الاثار ، فالادب ، فالعلوم ، وهذه تنقسم بدورها الى عشرات الابواب والفصول بقدر تعددها ثم الفلسفة فالفنون فالقصص .. الخ .

وهذا نوع آخر من القوائم تعددت ابوابه بتعدد البلاد والحضارات واللغات فهذه قائمة بالكتب الالمانية فى جميع العصور ، وقوائم اخرى بالكتب الايطالية الفرنسية والانجليزية ثم كتب الشرق من عربية وفارسية وهندية وصينية ويابانية .. وبعض الدراسات تضم قوائمها وفقا لالوان الكتابة واساليبها وقوالبها الفنية ، وهذه قائمة للدراما واخرى للرواية ، وثالثة للقصة القصيرة ورابعة لدواوين الشعر ، وخامسة للرحلات والسير والمقالات والرسائل والنقد ..

ثم هذه قائمة ترشيحات لاعظم مائة كتاب فى جميع العصور ، وقد ورد فيها بين هذه الكتب المائة . القرآن الكريم ، والتوراة ، والف ليلة وليلة .

واخرى باعظم خمسمائة كتاب كلاسيكى من جميع البلاد واللغات . وثالثة باهم مائة مرجع فى شتى فروع المعرفة . ورابعة باحب كتب العالم الى القراء منذ فجر التاريخ . وخامسة باشهر كتب القرن العشرين . وسادسة باعظم ستين قصة فى جميع العصور . وسابعة بالكتب التى غيرت وجه التاريخ والحضارة .

وتقرر الناقدة الامريكية (كلان وشتر) ان دراسة او تقريرا يعطى القارىء مفتاحا ييسر له الحصول على حصيلة ثقافية قد ينفق عليها شخص آخر مالا يقل عن ثلاثة الاف دولار اذا تلقاها من طريق الدراسة فى احدى الجامعات ..

وكبار الادباء عندنا لا يزالون يعرضون عن الترجمة باعتبار انها فى رايهم دون التاليف من حيث المكانة الادبية التى تحققها لهم ، وهى نظرة متخلفة فندها ودحضها نادى القلم الدولى فى اجتماعه الذى عقد فى طوكيـو باليابان منذ سنوات قليلة ...

وقد مثل مصر فيه يومئذ المرحوم الدكتور محمد عوض محمد ، ومثل بريطانيا الشاعر (ستيفن سبندر) وحضره الاديب الامريكى (شتاينبك) وقد أجمع المؤتمرون على النقاط التالية :

● أن الترجمة فن ينبغي أن يحتل مكانه بين سائر الفنون الاخرى من أدب ونحت وتصوير وموسيقى . والمترجم فنان ينبغي أن يحتل مكانه بين الشاعر والروائي والكاتب المسرحي .

● ان كبار الأدباء ينبغي ان يتجهوا الى الترجمة ، فانهم باحجامهم يتركون هذا الميدان وقفا على تجار الفن والدخلاء عليه ويضرون بمصالح الشعوب ضررا بليغا ...

كما ناقش المؤتمرون اسباب واحجام كبار الكتاب عن اقتحام هذا الميدان ، ولخصوها فيما يلي - : الجهد العظيم الذي تتطلبه ترجمة الأعمال الادبيـة والفنية وقلة الجزاء الذى يلقاه المترجم واطلق على المترجم لقب الجنـدي المجهول . واجمعوا على ان فن الترجمة يساهم في زيادة فرص السلام العالمي .

ولا يملك المرء الا ان يتساءل ماذا يمكن ان يكون عليه عالمنا لو لم تترجم الكتب السماوية واعمـال هوميروس وسوفوكليس ودانتي وشكسبير وسرفانتس وجوته ، وتعاليم الفلاسفة وقادة الفكـر ، والآثار العلميـة الى لغات العالم المختلفة ...

والتساؤل في مرارة ماذا ترجم حتى الآن الى لغتنا العربية من اعمال هؤلاء الاعلام وماذا ترجم من تعاليم الفلاسفة وآثار قادة الفكر في جميع العصور .. ومتى يترجم من اجل مائة وعشرين مليون عربي الانتاج العالمي المعاصر في كافة ميادين المعرفة ..

متى يترجم التراث الكلاسيكي منذ عصر النهضة وما قبل عصر النهضة . ومتى يترجم التراث الصيني والهندي القديم في الحكمة والفلسفة والفكـر والفن !

● العودة الى السلاسل الادبية ومشروع الالف كتـاب ●

للاستاذ / حسين القباني

من المعروف ان حركة الترجمـة بدأت في منتصف القرن الماضي عندما بدأ رفاعة الطهطاوي هذه الحركة عقب عودته من باريس ، ثم انتكست هذه الحركة بعد دخول الانجليـز . وعادت حركة الترجمة الى نشاطها مع بدايـة عهد الصحوة الوطنية في عهد الزعيـم مصطفى كامل ، وظهر وقتـذاك من المترجمين الشبان مثل العقاد والمازني ومحمد السباعي وشقيقه طه السباعي .

بجانب هؤلاء كان هناك مترجمون كبار مثل لطفي السيد الذي ترجـم عن اليونانية فلسفة ارسطو .

وقد اتسع نطاق الترجمة تدريجيا بمدرسة المعلمين العليا ، وكلية الآداب ، وظهرت مجلات تقوم على الترجمة فقط .

كما انشئت اقسام للترجمـة في وزارات التربية والتعليم والثقـافة والاعلام في الاربعينات . وقدم الدكتور حسـين مؤنس حين كان مديرا عاما للثقافة بوزارة التربية والتعليم مشروع الألف كتاب الذى قفز بحركة الترجمة الدقيقة الرائعة قفـزة كبيرة ، وقـام المشروع على اختيار وترجمة روائـع الكتب الادبية والاجتماعية والفلسـفية والعلمية والتربوية من العالم الغـربي الى اللغة العربية . وقد اضاف هـذا المشروع المكتبة العربية في عشر سنوات ما لم تقدمه حركة الترجمة لهـذه اللغة في مائة عام ...

والركود الادبي والثقافي الذى نعاني منه الآن ، يرجع اساسـا الى توقف حركة الترجمة عن الاداب والعـلوم والفنون الغربية الى اللغة العربية ...

وعلينا كشعب وحكومة ان نعيـد حركة الترجمة الى ما كانت عليـه في الخمسينيات ، وأن نكرر مشروع الألف كتاب . وان نعيد اصدار السـلاسل الادبية التى تنقل الاداب والعلوم عن الغرب ، وان يكون هنـاك تفاعل مستمر من الثقـافة العربية والثقافة الاوربيـة .

●

الشعراء واستلهام التراث

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

● **هذا الفن الجميل الخلاب ، الذى يناجى المشاعر والعواطف ، والقلوب والعقول ، ويهز الوجدان ويثير اعمق ما تنطوى عليه نفس الانسان ، بلغته الساحرة ، وموسيقاه الباهرة ، وباخيلته وصوره الشعرية الحالمة ، وبكل ما فيه من أسرار الفن ، ودقائق البلاغة .. هذا الشعر ، الذى نقرؤه نسيجا روحيا تلهمنا به السماء ، وتجارب انسانية وحيوية توحى الينا ازمات النفس الانسانية ومعاركها مع العصر والناس والحياة . هو الذى لابد فيه من استلهام التراث ..**

والتراث هو كل مأثورات العقل والحضارة والتاريخ والآداب والدين ، وهو نتاج الفكر الانسانى خلال ازمنة طويلة تنتهى بنهاية العصر العباسى فى رأى ، وبنهاية العصر المملوكى فى رأى ، وبعام ١٧٩٨ فى رأى ، وبعام ١٨٤٨ فى رأى وبنهاية القرن التاسع عشر فى رأى ، وبعام ١٩٣٠ فى رأى من يذهبون الى ان التراث هو ما سقط عنه حق الملكية الادبية ، وهذا الحق المقرر مدته خمسون عاما ، فيصبح كل ما سقط عنه حق الملكية الادبية بعد ذلك تراثا ..

والتراث عند الامم هو كنوز حضارتها وفكرها وتاريخها وبطولاتها وأدبها وفنها ، وهو مواريث أجيال طويلة ، وعصور مديدة ، وهو الملهم لابنائها ، والموجه لشبابها ، والقائد لنهضاتها ، والرائد لمسيرتها ، والحادى لمواكبها ، والشادى بمفاخرها وبطولات أبطالها .

والتراث لابد من استلهامه فى كل عمل فنى او أدبى ، وفى الشعر بالذات يصبح استلهام التراث ضرورة ، واصلا من أصول بناء القصيدة ، وسرا من أسرار روعتها وجمالها .

وعندما يكتب شاعر معاصر قصيدة مثل « صوت من التاريخ » (١) ، ويقول فيها :

ايان شئت غمامتى فلتمطرى
بغداد تبسم للربيع الأنضر ...
ايان شئت فسوف يأتينى خرا
جك ، يا غمامة ، فاثرى ، ثم اثرى

(١) ص ٦٧ ديوان نغم من الخلد ـ القاهرة ـ ١٩٧١

دار السـلام اليك مبصرة لتجـ
ـنى من ثمـارك كل زهـر مثمـر ...
ويجينهـا يا سـحب كل زهورك الـ
ـخضرات ، كـل نثـار فيض الأبحـر
انى غدت ، فى الصـين او فى الهند او
فـوق الربـا ، وعلى ضـفاف الأنهر
فلسـوف ينبت كل زهـرك حيقـلا
بيد الكمي ، ومدفعـا للعسـكر
وقـرى لمسـكين ، وجامعـة تفيض
بها العلـوم ، ومرصدا للمشـترى
او معبدا ، او منجمـا ، او مصـنعا
او عين ماء فى الصـعيد المقفـر
او قلعـة شـماء ، او طرقا تسـير
بها القـوافل ، يا غمـامة ، فامطـرى
وعقـود ريحـان بجيد خـريدة
وشـذى يضوع بكـل وجه مقمـر
ايان شـئت يقـولها متبسـما
جـذلان وجـه كالهـلال النـير
خوليفة الاسـلام هارون الرشـيد
على بسـاط ضـم كـل المعثر
وجيوشـه ملء البطـاح كعاصـف
او مـارد ، متعجـرف ، متكبـر
وكانمـا التـاريخ يفيس عطـره
من عطـر ذيـاك الجـلال الأشـار
وكانما نـزلت من الفـردوس كـالـ
ـملك المطهر ، او مفـال عبقـر
وصـحائف الأيام تنـدى وهى تذ
كرها ، كما تنـدى زهـور الكوثر
(هارون) قال و (شارلمان) مصـدق
والشرق بين مهلـل ومكبـر !

لاشك ان الشاعر كان يستلهم فى قصيدته التراث ، يستلهم رواية رواها التاريخ ، وهى أن هارون الرشيد رأى وهو فى قصره ببغداد سحابة ، فناجاها وقال لها : « أمطرى اين شئت فسوف يأتيني خراجك » . ولا شك أن هذه الجملة القصيرة الهمت الشاعر قصيدة طويلة ..

وقد يستلهم الشاعر التراث ، سواء كان التراث تاريخا ، أو أثرا ، أو قصة أو أسطورة ، أو ملحمة ، أو فنا ، أو فكرا أو حضارة ، او كتابا .. وقد يكون هذا التراث الملهم صاحب فضل كبير فى ابداع أروع آثار القصيدة .

وعندما ينظم الشاعر عدنان مردم قصيدته (جلنار) ، ويكتب بقلمه الشاعرى الجميل قصة الملك (قطـز) المظفر ، بطل معـركة عين جالوت وهى فى أرض المعركة والذى هزم التتار هزيمة لم يروها من قبل ولا من بعد ، وكانت جلنار مع زوجها السلطان فى أرض المعركة ودافعت عنه والاعداء يحيطـون به من كل جانب ، وردت بنفسها عنه سهم أحد المغوليين ، فقضـت شـهيدة فى أرض

المعركة ، فيصور كل ذلك شاعرنا تصويرا جميلا ، ويقول :

وبعين جالوت ضراغمة
ليست عن الاقدام تمتنع ...
مجد له في المشرقين صدى
ومحدث ، يحكي ، ومستمع ،
يروى غرائب كل خارقة
عن (جلنار) ، وليس ينقطع
يسخو الكرام و (جلنار) على
طول المدى تسخو وتبتدع
ثم تال جهدا فى الكفاح على
مر الكفاح وينهها وجع
سقت المغول السم من يدها
في عارض للموت يندفع !
وسقت دماها الأرض مازجة
فعلى الثرى من جرحها بقع (٢)

لاشك انه كان يستلهم تراث البطولة في شخص هذه المجاهدة المناضلة من أجل وطنها العظيم ...

والمسرحيات الشعرية لشوقي وعزيز أباظة وعبد الرحمن الشرقاوى ، وأبى شادى ، وصلاح عبد الصبور ـ أليست استلهاما من التاريخ وتسجيلا للتراث ؟ ..

وما كتب عن شهر زاد أليست استلهاما لأثر رائع من آثار فكرنا وحضارتنا وهو كتاب « ألف ليلة وليلة » الكتاب الخالد الذى تأثر به كل الأدباء في الشرق والغرب ..

وعندما نظم شوقي القصة على ألسنة الحيوانات ، ألم يكن يستلهم حكايات « لافونتين » ، وقصص ابن المقفع فى كتاب « كليلة ودمنة » على لسان الحيوان ...

وقد ترجم ابن المقفع الكتاب من اللغة الفهلوية الى العربية ، وكان أصل الكتاب مكتوبا باللغة السنسكريتية قبل الميلاد بعدة قرون ، ثم ترجم هذا الاصل الهندى الى الفهلوية في عهد خسرو أنو شروان فى القرن السادس الميلادى ، وكان برزويه طبيب خسرو قد حصل على نسخة من الاصل الهندى فترجمها الى الفهلوية ، وأضاف اليه قصصا أخرى ، وجاء ابن المقفع فترجم الكتاب من الفهلوية الى العربية نحو عام ١٣٠ هـ : ٧٤٨ م . ونسج اخوان الصفاء فى رسائلهم على نمط « كليلة ودمنة » ، حيث نقلوا القصة على لسان الحيوان من المضمون الاجتماعي الى المضمون الفلسفي ونظم ابن الهبارية المتوفى عام ٥٠٤ هـ « كليلة ودمنة » شعرا في كتابه « نتائج الفطنة » .وحاكى « كليلة ودمنة » فى كتابه الآخر « الصادح والباغم » ..

وقد ترجم كتاب « كليلة ودمنة » العربي الى الفارسية مرة أخرى ترجمه أبو المعالى نصر الله نحو عام ٥٣٨ هـ . ثم ترجمه حسين واعظ سماها « أنوار سهيل » ، وبها تأثر لافونتين ..

وترجم كتاب ابن المقفع الى مختلف اللغات العالمية . فمن كتاب « أنوار سهيل » اقتبس لافونتين فى الجزء الثاني من حكاياته عشرين حكاية نظمها على لسان الحيوان ..

---

(٢) ديوان لمحات شامية ـ عدنان مردم ـ دمشق ـ عام ١٩٧٩ م .

● أنادي شعراءنا المعاصرين بأن يغنوا تجاربهم الشعرية بالرجوع إلى التراث، والأخذ عنه، والاغتراف من منهله.

وقد ترجم الشاعر المصري محمد عثمان جلال (ــ ۱۸۹۸ م) أكثر حكايات لافونتين في كتابه « العيون اليواقظ في الحكم والامثال والمواعظ » الذي علق عليه الشاعر عامري بحيري وطبع في دار المعارف بالقاهرة .

وحدث عن أثر « ألف ليلة وليلة » في الشرق والغرب على امتداد العصور .. ــ ولا حرج ..

***

والموشحات العربية بما فيها من موسيقى غنائية شعبية انتقل تأثيرها من الاندلس الى جنوب فرنسا ، ثم الى بقية فرنسا وأوروبا كلها ، وقد تأثر بها شعراء التروبادور ، وهم طبقة من شعراء العصور الوسطى عاشوا في جنوب فرنسا ، وتأثروا بفن الاندلسيين الشعري ، فأثروا الشعر الفرنسي ، بل الاوروبي كله ، منذ كانوا أولا في جنوب فرنسا في أواخر القرن الحدي عشر الميلادي الى القرن الرابع عشر ، وكانوا يمدحون الملك والامراء ويتحدثون في الغزل ، وكان منهم أمراء وملوك ، ومنهم جيوم التاسع دوق اكيتانيا الذي تتلمذ على العرب في الاندلس ، وكان أمير بواتييه (۱۰۷۱ ــ ۱۱۲۷ م) واشترك في الحروب الصليبية ، واتصل بالثقافة العربية في الاندلس والشرق وهو أول شعراء التروبادور ، وقد ذاع شعره الغنائي العاطفي ..

ويدل على هذا التأثير أن النظم الفني للقصيدة عند شعراء التروبادور يشبه النظام الفني للموشحة الاندلسية والزجل الاندلسي ، من حيث الاجزاء والاغصان والاقفال والمطلع والخرجة وتعدد القوافي .

والقفل والغصن يسميان بيتا عند بعض من يعرفون نظام الموشحة ، ويسميان كذلك بهذا الاسم عند شعراء التروبادور ، وان كانت هذه التسمية ليست موجودة عند كل الباحثين في الموشحات الاندلسية .

وموضوع الموشحات والزجل والتروبادور غالبا هو الغزل العاطفي . وقد انتقل هذا الغزل الحسي في الموشحات والزجل والتروبادور الى غزل صوفي على يدي الشاعر الاندلسي الششتري المتوفى عام ٦٨٨ هـ ــ ١٢٨٩ م ، الذي تأثر بابن الفارض (المتوفى عام ٦٣٢ هـ ــ ١٢٣٥ م) ومحيي الدين بن العربي (٦٣٨ هـ ــ ١٢٤١) ورامون لول الشاعر الاسباني (المتوفى عام ٧١٤ هـ ــ ١٣١٤ م) ، وكان ملما بالثقافة العربية .

ثم شاع هذا الاتجاه الصوفي في الغزل في الشعر الاسباني ثم الفرنسي ، كما ساد هذا الاتجاه الذي كان سائدا في الادب العربي بعد ابن الفارض في الآداب الفارسية والتركية أيضا .

وروح الموسيقى الاندلسية التي أودعها الاندلسيون موشحاتهم وأزجالهم موجودة في الشعر التروبادوري .

وقد أثر التروبادوريون في الشعر الاوروبي تأثيرا فعالا ، فعم نظامه فيه ووجد فيه نوعا من الشعر الغنائي يسمى سونيت ، بناؤه الفني قريب من الموشحة الاندلسية .

والسونيت قصيدة مركزة يقصد بها الى التعبير عن فكرة مفردة أو لحظة شعورية حادة ، ولها تكوين خاص ، فهي تتألف من أربعة عشر بيتا دائما .

ومن حيث الشكل تنقسم الى نوعين : الشكل الايطالي وفيه ينسقم الشعر الى مجموعتين : تنقسم معها الفكرة في العادة ، والشكل الانجليزى الذى تنقسم فيه القصيدة الى ثلاث مجموعات كل مجموعة تتألف من أربعة أبيات ، ثم يأتي مقطع ختامي تنمو فيه الفكرة المتصلة بموضوع القصيدة نموا أكبر .

***

وهكذا نجد التراث العالمي الادبي والشعرى يؤثر تأثيرا كبيرا في سير الشعر العالمي في مختلف أنحاء العالم .. كما كان التراث القومي له تأثيره الكبير في سير الآداب القومية .

ومن التأثرات في سير الآداب للتراث الفكرى او الادبي العالمي تأثير « ألف ليلة وليلة » التي ترجمت الى الفرنسية وغيرها من اللغات العالمية منذ القرن الثامن عشر الميلادى ، وتأثرت بها الآداب العالمية نثرا وشعرا ، مسرحيات وقصصا وفنا ، حتى أصبحت شهر زاد ذات طابع عالمي ، وطارت شهرتها باعتبارها نموذجا أدبيا عالميا في كل مكان ..

ثم عادت الينا شهر زاد مرة اخرى من الغرب ، حيث ظهرت مسرحية شهرزاد لتوفيق الحكيم ، ولباكثير ، واحلام شهر زاد لطه حسين ، ومسرحية شهر زاد لعزيز أباظة .

على أن استلهام التراث قد يكون استلهاما خارجيا كما رأينا في الصور والنماذج والالوان الماضية ، وقد يكون استلهاما داخليا ، فيتعمق الشاعر تراث أمة أو عصر او جيل ، ويصبح لهذا التراث قيمة فكرية وفنية عنده ، ويصير ، نسيجه الفنى هو نسيج قصائد هذا الشاعر وهو روحها ووهجها وابداعها وجوهر شاعريتها .

ومن هنا يصبح هذا التراث هو الزاد الروحى أو الفكرى للشاعر يستمد من معينه كل رؤاه الشعرية ، وكل صوره وأخليته وموسيقاه الشعرية لا عن تقليد واحتذاء أو معارضة ، بل عن ابداع حقيقى ، اذ يأخذ من ذلك التراث الفكرى أو الفنى أو الحضارى او الشعبى روح شعره ومضمونه ، بل روح شكله الفنى حينا كذلك .

فاستلهام التراث ، اذن لا يكون استلهاما خارجيا فحسب ، ولا يكون تقليدا ومعارضة واحتذاء وتأثرا عاما فحسب ، ولا يكون مجاراة للفن الشعرى في شعره فحسب ، بل قد يكون زادا فنيا يستمد منه الشاعر كل مقومات شعره وخصائصه بل يستمد منه وهج الشاعرية وجمالها وجلالها أيضا .

***

وحين أدعو الى استلهام التراث في القصيدة المعاصرة ، يمثل استلهام الطبيعة ، أدعو الى القراءة الواسعة لكل الروائع الشعرية في تراثنا العربي بل لكل الروائع الاسطورية والملحمية والتاريخية والفنية والاثرية المنبثقة من حضارتنا العربية ومن تراثنا الاسلامي واتخاذ ذلك معينا لينبوع الشاعرية المتدفق ، وواحة يلوذ بها الشاعر ويستمد منها كل روائعه وابداعاته واعماله الفنية الشعرية .

أليست قصيدة « النيل » لامير الشعراء أحمد شوقي مثلا عملا فنيا رفيعا ، مستلهما من زاد تراثى عميق له كل تأثيره وسحره وجلاله في نفس شاعرنا العظيم شوقي ؟

وأليست سينية البحترى مثلا أثرا لزاد تراثى حضارى عالمي تأثر به أبو عبادة الوليد تأثرا عميقا ؟

● استلهام التراث لا يكون تقليدًا أو احتذاء بل زادًا فنيًا يستمد منه الشاعر كل مقومات شعره وخصائصه .

واليست نونية ابن زيدون فى حبه الخالد لولادة أثرا لوهج تراث فنى شعرى عربى جليل مستمد من روح امرىء القيس وعمر بن أبى ربيعة والعباس بن الاحنف وابن المعتز وغيرهم من شعرائنا العرب الكبار ؟

وأنادى ، وأكرر النداء ، لشعرائنا المعاصرين ، بأن يغنوا تجاربهم الشعرية بالرجوع الى التراث ، والاخذ عنه ، والاغتراف من منهله ، والانتهال من مورده ..

وكما أثرت مقامات البديع والحريرى فى الآداب الفارسية والتركية والاوروبية ، مما كان مظهره قصص الشطار فى الادب الاسبانى ، ومما كان لواقعيتها أثره فى الواقعية فى القصة الاوروبية .. وكما أثرت رسالة الغفران فى دانتى وفى « الكوميديا الآلهية » ، وكما أثرت قصة « حى بن يقظان » فى الآداب الاوروبية ، وفى الفكر الاوروبى ، وفى فن الكاتب الاسبانى « بلتاسار جريثان القصصى فى « ربيع الطفولة » وفى « خريف الطفولة » وفى « شتاء الشيخوخة » من حيث الطابع الرمزى والقالب القصصى .

وكما أثر بكاء الأطلال والوقوف عليها فى الشعر العربى فى شعراء الفرس توقفوا على الاطلال كما وقف عليها امرؤ القيس وطرفة وعنترة ولبيد وزهير وأضرابهم ، حتى رأينا الشاعر منوچهرى المتوفى فى أواخر القرن الخامس الهجرى يقف على الاطلال ويبكى على آثار حضارة الفرس وأطلال مدنياتهم ، ورأينا كذلك الشاعر الفارسى خاقانى فى القرن السادس الهجرى ينظم قصيدة فى ايوان كسرى بالمدائن كما فعل البحترى من قبل ، نرى الشاعر ابراهيم ناجى يبكى أطلال حبه فى قصيدته المشهورة « العودة » بكاء حارا ، فى أسلوب معاصر ، له نصيب كبير من زاد تراثى عميق ، ذى أثر كبير فى شعر الشاعر وشاعريته .

وعندما يبكى الحريرى مدينة « سروج » التى خربتها الحروب الصليبية عام ٤٩٤ هـ ، نرى حميد الدين البلخى الفارسى يبكى فى مقاماته الفارسية مدينة بلخ التى خربت عام ٥٤٨ ، وحميد الدين (المتوفى عام ٥٥٩ هـ ـ ١١٦٤ م) هو أول من كتب المقامة فى الادب الفارسى متأثرا فيها بالبديع (٣٩٨ هـ ـ ١٠٠٨ م) ، وبالحريرى (٥١٦ هـ ـ ١١٢٢ م) ، بل وجدنا تينسون الشاعر الانجليزى المشهور كذلك يبكى الاطلال فى شعره متأثرا بالمقامات العربية ، وبمعلقة امرىء القيس خاصة ، وقد كان السير وليم جونز المستشرق الانجليزى المشهور قد ترجم المعلقات وقدمها الى الشعراء الانجليز نموذجا رفيعا لفن شعرى رفيع .

استلهام التراث ضرورى لشاعرية شعرائنا ، ولعبقريتهم ، ولفنهم وابداعهم الشعرى ، ولخلود شعرهم على مر الايام .

قصـــة

المسحراتي

● د. طه وادي ●

● القرية نائمة ... وحدي أسير في الطرق الضيقة والليالي المظلمة . « اصح يا نايم .. وحد الدايم». ثلاثون عاما وتسعة . وانا امارس هذه العادة . انا برهان ابو الخير .سقاء في النهار . وفي الليل مسحراتي ...

تصوروا يا عباد الله ، وحدي علي ان اوقظ كل النائمين في الليل ، شتاء وصيفا ... لا اكل ولا امل ... اسير من شارع الى شارع ، « البازة » في يدي ، وهي « بازة » اثرية ، سطحها من الجلد على نصف دائرة من النحاس الاصفر المزخرف ، بعض الاطفـــال يظنونها مثل الطبلة ، لا ... الطبـلة من الفخار .

اخذت اواصل الضرب على «البازة» والغناء في مدح الرسول :

اول ما نبدى مدحك يا نبي استفتاح
يا من تسلم عليك الشمس كل صباح

، ورثت هذه المهنة ابا عن جد ، لكن الولد محمد ابني رفض منذ صغره ان يعمل سقاء ، أو أن يشاركني في الليل مثلما كنت مع أبي وانا صغير ... حفظت اقدامي الشـــــوارع والحارات والمرتفعات والمنخفضات ... القرية حين تكون نائمة مثل المقبرة . هناك علاقة بين الموت والنـــوم ... سألت الشيخ عمران امام المســجد مرة فقال :

ـ النوم راحة من التعب ، والموت راحة من الحياة !

ـ كل من ينام تعبان ؟

ـ النوم صمت ... والصـــمت نصف موت !

كل ليلة قبيل الفجر اجهد نفسي المتعبتين لكي أوقظ أنصاف الموتى . لكن نومهم ثقيل ! .. الشيء الـذي يملأ قلبي هما وحسرة أنني تعبت ، كبرت ، ستون سنة ... كـل يوم اطوف بالقرية . السؤال الذي يحيرني أن القرية اعتادت النوم ، النـــوم الثقيل !.. صحيح كل واحد يتعب لكي يكسب ... أكل العيش مـر . الناس لا يفكرون الا في الاكل والشرب .

***

سألت المقدس خليل البقال : لـم تصوم كثيرا يا مقدس ؟

ـ ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

الف القرية كلها ..« يا عباد الله ، وحدوا الله » ، ثم اذهب الى المسجد فلا أجد سوى صف واحد وراء الشيخ عمران ، مع أني الف الشوارع كلها . حتى الخفراء لا أحد منهم في الدرك !

السؤال الذي يشغلني أن القـرية بدأت تستغني عن برهان السقاء لان المياه النقية أصبحت قريبة من البيوت لكن برهان المسحراتي كبر ، وشاخ ... فمن الذي سوف يوقظ البلد؟ ، سامحك الله يا ولدي ، فضـــلت أن تعمل بناء ولا ترث مهنة أبيك ...

الولد محمد وهو صغير قال :

ـ لم تشغل نفسك بغيرك ؟

ـ غيري .. كيف يا محمد ؟ مـن يوقظ الناس للصلاة ، للعمـــل ، لاستقبال اليوم الجديد ؟!

ـ الدنيا تغيرت يا ابي ، كل واحـد يبحث عن مصلحته !

ـ بداية الخراب يا محمد ان يبحث كل واحد عن مصلحته فقط !



بعد هذا النقاش مع محمد عضني كلب شيخ البلد ، فرح فى الولد ، وشمتت أم محمد :

ــ يا رجل اعقل .. ارح نفسك الليلة . رجلك مجروحة !

مستحيل ان اسمع كلام زوجتى او ولدها ... كل ليلة ادب واطوف . احب القرية ، اخشى اذا لم الف عليها كل ليلة الا تقوم للصلاة والا تذهب للعمل . احساس حزين يملأ قلبى انى امر كل ليلة واناذى على النائمين لكن لا شىء يتغير ...

الذين يقومون فى الفجر ، هم هم لا احد زيادة . لا احد ينقص ... اعتاد الناس على النوم بشكل مخيف ... طيب اذا انا مت فمن يوقظهم؟!

تذكرت انى امر كل ليلة ومع ذلك لا يقومون ، الولد محمد قال مرة :

ــ الدنيا تغيرت .. لم تعد البلد فى حاجة الى مسحراتى !

ــ لماذا يا ولدى ؟

ــ كل واحد يجب ان يكون مسحراتى نفسه !

الولد محمد ، اصبحت لا استطيع ان اجاريه فى الكلام !.. ما معنى ان يكون كل واحد مسحراتى نفسه ؟ احترت ، هل الدنيا تغيرت حقيقة... واذا كانت تغيرت فالى اى اتجاه ؟

اين ايام زمان ، ايام الخير والبركة ... حين كنت امر مع والدى ، طرقات « بازته » توقظ النائمين . مع الفجر كانت القرية تقوم كلها ، خلية نحل ... حتى النساء كانت تنتهى من الخبز وتنظيف الدار وحلب الماشية قبل طلوع الشمس ...

الظلام يلف القرية ، والناس نيام « اصح يا نايم اصح.. وحد الرزاق » مررت على قهوة المعلم مراد فى حارة مغلقة .. المكان الوحيد الذى لا ينام الليل ، يلعب فيه بعض الرجال والشباب القمار ويشربون الشاى وغيره ، حين يسمعون صوت « البازة » وندائى يخرجون لا للصلاة ولا للعمل . ولكن للنوم . كان بينهم شيخ الخفر ، حين رآنى ضربنى بعصاه الخيزران ، وشخط فى :

ــ يا رجل بلا وجع دماغ ... اترك الملك للمالك !

الليل اسود ، والقرية نائمة .. صعبت على نفسى . اول مرة اهان بهذه الطريقة ... خيرا تعمل ، شرا تلقى ... آه يا بلد . لم استطع ان ان اكمل الدورة عدت الى الدار حزينا . لمن اشكو شيخ الخفر ؟!

انتابتنى موجة من كآبة الصمت . اول مرة منذ ثلاثين سنة وتسع لا اكمل الدورة دورة المسحراتى ! .. تناسيت الاسى ، وعصا شيخ الخفر . لن اكف عن ايقاظ الناس حتى اموت ... الولد محمد قال كل واحد يجب ان يكون مسحراتى نفسه ! .. الليل طويل ، ومظلم ... السماء توشك ان تمطر والناس نيام . كل واحد هده تعب البحث عن لقمة العيش .

الناس نيام ... الطريق فيه بعض الوحل . الناس نائمون ... لكن ساظل ادق على « البازة » . واغنى للناس . انادى عليهم حتى يقوموا حتى يسمعوا ، حتى يأتى الفجر ...

ناس وصور
وحكايات

درس فى الأمانة الصحفية
مأساة الصحفية المزورة
جانيت كوك

● **هذه المأساة الصحفية سمع عنها جمهور القراء وخاصة أهل الصحافة ، ولكن أحدا لم يشرحها بتفصيل لكي يعرف الناس حقيقتها ومغزاها ،ولهذا رأينا ان بنسطها فى هذه السطور لتكون درسا للصحافة والصحفيين ولكل من يهمهم أمر الاعلام فى عالمنا العربي .**

الموضوع ان محررة زنجية فى جريدة الواشنطون بوست نشرت فى الجريدة تحقيقا صحفيا مثيرا عن طفل زنجي قالت انه ولد ونشأ مدمنا للمخدرات وراثة عن والديه ، وقالت ان هذا الطفل يأخذ يوميا حقنة هيروين وسيظل على ذلك ما بقى له من عمر !

والموضوع فى ذاته مثير ويتناقض مع ما يقوله الاطباء من ان الادمان على المخدرات لا يورث .. وقد كتبت الصحفية الشابة واسمها جانيت كوك (٢٦ سنة) فى اسلوب مؤثر جدا . فقد قالت ان الطفل يسمي جيمي ، ووصفت حياته وتعاسته ومنزله وأحوال اسرته فى حي الزنوج .. واعطت تفصيلات مروعة عن توزيع المخدرات بين الفقراء التعساء ..

ونشر التحقيق فى الواشنطن بوست فى ديسمبر ١٩٨٠ . وقد أثار الناس فى الولايات المتحدة واجتمعت لجنة جائزة بوليتزر لاختيار أحسن تحقيق صحفى فى العالم ، ومنحت الجائزة الكبيرة للآنسة جانيت كوك ، ولم تكن هذه أول مرة تحصل فيها الواشنطون بوست على جائزة بوليتزر .

وقد قالت جانيت فى تحقيقها أشياء مروعة منها ان أم الطفل جيمى كانت تسمح لعشيقها بأن يعطى الطفل حقنة

الهيروين . واثار الموضوع ثائرة رئيس بوليس واشنطون ، فأمر رجاله بالبحث عن ذلك الغلام لانقاذه من الموت المحقق .

ولم يجد البوليس اى اثر لغلام زنجى يسمى جيمى ولا لاسرته او المحيط الذى وصفته جانت جانيت كوك فى سلسلة تحقيقاتها المسماة : «عالم جيمى» ..

وقال رئيس البوليس انه يشك فى القصة كلها ، ويشك بالذات فى ان اما تسمح لمصور بأن يصور ابنها الطفل وهو يعطى حقنه هيروين ، لان ذلك يعرضها لعقوبة جسيمة .. واتصل بمدير الواشنطن بوست بنجامين س . برادلى وأنبأه بذلك ، ورجاه أن يستفسر من جانيت عن الموضوع .

وعندما سئلت جانيت اخذت تتلعثم وتتناقض مع نفسها ، وتسرب الشك الى نفوس المشرفين على الجريدة ، ولكن عز عليهم أن يعترفوا بانهم خدعوا فى موضوع كهذا ، لم انهم استبعدوا ان تكون جانيت قد اخترعت الحكاية كلها اختراعا ، فمضوا يدافعون عنها ويؤكدون صحة حكاية «عالم جيمى» وكان قرار لجنة منح الجائزة قد ظهر ولكن بقيت اجراءات أخرى لحفل التسليم وما الى ذلك ..

***

وكانت جانيت كوك ظاهرة جديدة فى الصحافة الامريكية ، فهى شابة زنجية جميلة رشيقة نشيطة ،وهى اول صحفية زنجية تصل الى درجة المحررين الاول فى واحدة من اكبر صحف امريكا ، كان رئيس تحرير الواشنطون بوست فخورا بها . وكان يقول انها من اكبر اكتشافاته وكانت هى قد تقدمت الى الجريدة بمؤهلات عظيمة ، فقد زعمت فى ملخص



جانيت كوك

حياتها الذى تقدمت به الى الصحيفة انها حاصلة على بكالوريوس الصحافة والاعلام من جامعة فاسار بمدينة الشوف وكذلك على درجة الماجستير من جامعة توليدو بامتياز . وكانت قد عملت فى جريدة توليدو بليد ، وعملت لنفسها اسما كبيرا كصحفية نشيطة بارعة الذكاء ذات اسلوب متميز فى الكتابة . ولهذا لم تطالبها جريدة الواشنطون بوست بمسوغات التعيين ، بل اخذت كلامها الذى كتبته بيدها فى طلب العمل على علاته ومضت تعمل ..

وقالت يوما لرئيس التحرير ، وهو ملتون كولمان انها سمعت عن طفل زنجى مدمن للمخدرات ، فقال لها : ان كان ذلك حقا فهو موضوع صفحة اول ، امضى وحققيه لنا ..

وبعد ايام قالت انها وجدت الغلام ، وكتبت الحلقة الاول عن ذلك المسكين المزعوم الذى ولد مدمنا لان اباه وامه مدمنان ، ووصفت بيته وحياته التعيسة وجاءت بصورته وصور أمه وعشيقها . ورحبت الجريدة بذلك ، ونشرت المقالة الاولى دون أن تعطى اسم الغلام الحقيقى

او اسرته • وذلك أمر معمول به فى الصحافة : اذا لم يشأ صاحب الشأن ان يعلن عن حقيقة نفسه ، كان له الحق فى الاحتفاظ بالسرية •

والحقيقة ان مقالات جانيت فى الموضوع مؤثرة وجاذبة للاهتمام ، فهى تقص حكاية اسرة تعيسة من الزنوج تعيش فى مستوى دون مستوى الانسانية الزوجة والزوج يتاجران فى المخدرات ويتعاطيانها ، وللزوج صديق يعاونه فى تلك التجارة البشعة • والثلاثة يعيشون فى غرفة واحدة مظلمة رطبة ذات نافذة واحدة تطل على زقاق مخيف • والغلام يولد فى هذا الوسط • لا يعرف احد من أبوه ولكن امه ترعاه بغذاء ضئيل لايغنى ومنذ ميلاده والطفل يتشنج ويتلوى فتعطيه الأم حقنة هيروين صغيرة لكى ينام وترتاح منه • وشيئا فشيئا يصبح الهيروين عادة • ثم تختلف الأم مع زوجها فيهرب من البيت ويبقى العشيق •

حياة اليمة مفزعة طالعها قراء الواشنطون بوست باهتمام ، وسر بها بوب وودوارد ، كبير المحررين ، وهو من الصحفيين الامريكيين ، فقد كسبق ان حاز جائزة بوليتزر مع زميله كارل برنشتاين سنة ١٩٧٣ عن تحقيقهما فى موضوع ووترجيت • وشهادة رجل مثل هذا تغنى عن اى شىء آخر • وفى أمريكا يعطون الاهمية الاولى للعمل لا للشهادات

ولكن رجال البوليس لم يسكتوا •• ان حكاية كهذه تمس عملهم فى الصميم ان اعطاء الهيروين لطفل جريمة يعاقب عليها القانون ، فكيف تمر حكاية كهذه دون عقاب بل بدون تحقيق ؟ ••

وتلقت الصحف خطابات اتهام لرجال البوليس متهمة اياهم بالتقصير والتعاون فمضوا يبحثون عن الطفل « جيمى » هذا ولم يستطيعوا ارغام جانيت على الافصاح عن سر موضوعها لان قانون حرية الصحافة هناك لا يسمح للبوليس بأن يرغم صحفيا على كشف مصادره • ولكن ملتون كولمان كبير المحررين بدأ يشك ، فطلب الى جانيت ان تعلمه شخصيا بمصادر معلوماتها ، فرفضت ، فابلغ الامر الى رئيس التحرير بينامين س • برادلى • وداخل الشك قلب الرجلين •

***

واخيرا وجد كولمان ــ وهو كبير المحررين وهو زنجى ان واجبه يقضى عليه ان يتحقق من الامر ، فطلب الى جانيت ان يصحبها فى زيارة الى بيت جيمى ليرى بعينيه ويطمئن قلبه • فزعمت له انها اكتشفت ان أم جيمى هربت به خارج واشنطون خوفا عليه وعلى نفسها ، فقد هددها رجال المخدرات بالاذى • وهنا بدأت شكوك ملتون كولمان تتحول الى حقيقة •

وحان موعد تثبيت منح جائزة بوليتزر لجانيت كوك ــ وكان هناك موضوع آخر مرشح كتبه اثنان من الصحفيين عن جزيرة سانت هيلانه التى ظهرت على وجه الارض نتيجة لانفجار بركانى تحت البحر ، وعاشت اشهرا ثم اختفت مرة اخرى نتيجة لحركة ارضية عنيفة •

وطلبت لجنة الجائزة من الواشنطون بوست رسميا ان تؤكد صحة كلام محررتها ، وازاء هذا ، وخوفا من التورط فى شهادة كاذبة عقد الثلاثة الكبار فى الجريدة وهم برادلى وودوارد وكولمان



الثلاثة الكبـــار فى الجريدة الكبرى الوشنطن بوست بوب وودوارد وملتون كولمان وبنيامين برادلى .

مجلس تحقيق لجانيت وعصروها عصرا لمدة سبع ســاعات • واخيرا ، وامـام تناقضاتها اضـــطرت وهى تبـكى الى الاعتراف بانها اختلقت الموضـــوع كله اختلاقا • فليس هناك غلام مدمن يسمى « جيمى » ولا عائلة لهذا الغلام المزعوم ، بل ان الصور التى اتت بها كلها ملفقة !

واكثر من ذلك : اعترفت جانيت بانها كذبت فى صحيفة مؤهلاتها ، فهى ليست حاصلة على ليسانس الصحافة ، انما حضرت سنة واحدة فى قسم الصحافة جامعة فاسار ثم انصرفت وعملت بالصحافة بصفة محررة دون تعيين •

***

وعقب ذلـك اتصل دونالـد جراهام ناشر الواشـنطون بوست بلجنة جائزة بوليتزر وقال لسـكرتيرتها ان جريدته تسحب ترشيح كوك للجائزة لانها بعـد تحقيق تبينت ان القصة ليست سـليمة تماما ، ففيها اشياء كثيرة غير صـحيحة واشياء اخرى اخترعتها جانيت كوك من عندها •

وسحب الموضـــوع فعلا ، ونشرت الواشنطون بوست بعد يومين مقـالا فى صفحتها الاولى بداته بقولها : نحن نعتذر لقد خدعنـا • اننا عندما نقـدم حكاية صـحيحة نقول انها صحيحة ، ولكننـا عندما نتبين انها غير صحيحة نقول انها غير صحيحة •• وحكاية عالم جيمى التى كتبتها جانيت كوك غير صحيحة •ومس كوك نفسها لم تصـدقنا فى المعلومات التى قدمتها لنا عن نفسها ولهذا ، فاننا نسحب طلب ترشيحنا لهذا الموضـــوع لجائزة البوليتزر ، ونعلن اننا استغنينا عن خدمات المس كوك • قبلنا الاستقالة التى قدمتها لنا • وكتبنا بالامر كله الى نقابة الصحفيين لتتخذ فيه القرار الذى تريد بشان هذه الصحفية »

***

درس عظيم للصحفيين جميعا • كم من النـاس يخترعون و « يفبركون » ولا احد يحقـــق أو يراجع ، وحتى عنـدما تكتشف « الفبركة » فقلما يتخذ قرار • ان الصحافة امانة والقـارىء يثق فى الصحفى وهى عماد الصحيفة نفسها • صحيفته ، وهـــذه الثقة هى راس مال

●●

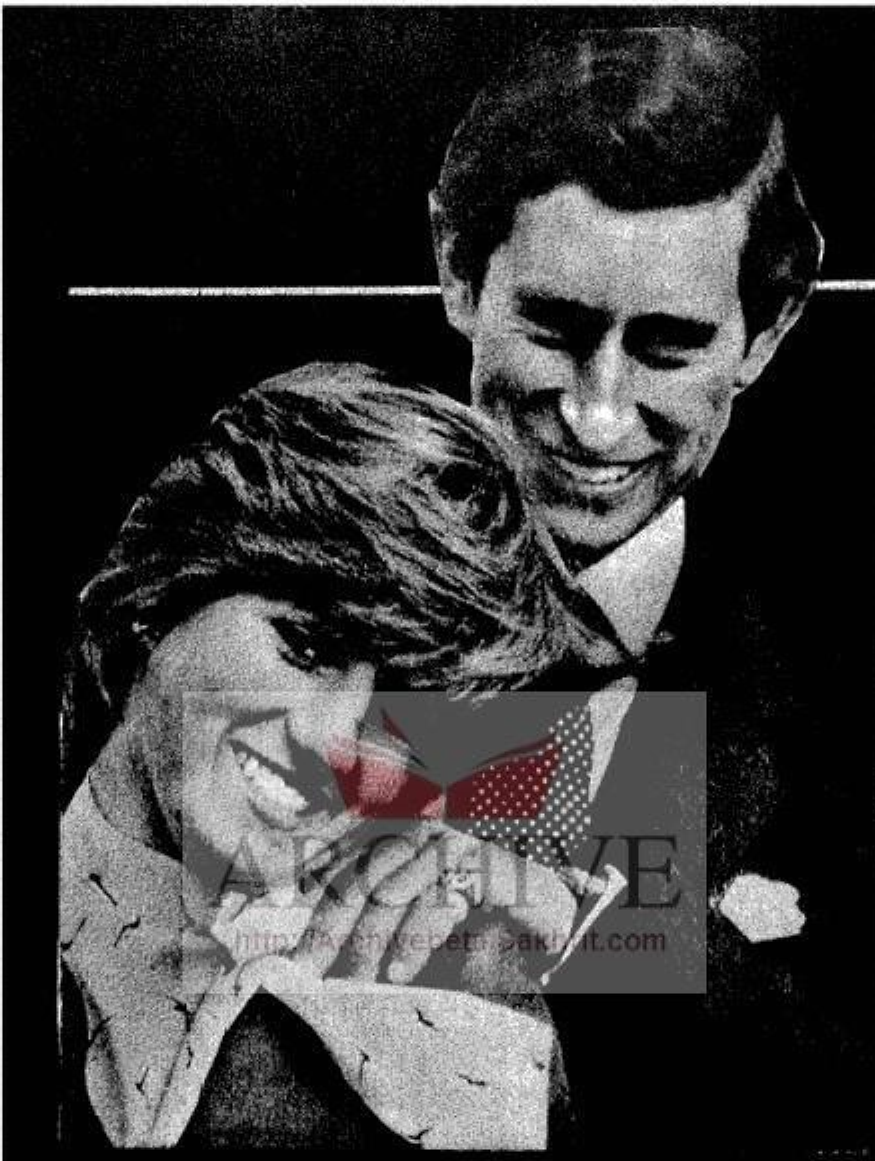
درس للأمير ومو ضوع يهم الصحفيين

● الامير تشارلس ولى عهد بريطانيا ، شاب صريح طيب القلب ، وهو يقول مافى قلبه دون تكلف . وقد حدث انذار استراليا من ثلاثة شهور ليستطلع شعور الناس نحوه هناك لان حكومته فكرت فى ان تعينه حاكما لاستراليا .

واستراليا عضو فى الكومنولث البريطانى وكل دولة عضو فى هذا الكومنوليث لابد ان يكون على راسها حاكم بريطانى وهو حاكم رمزى يشير الى ان البلد داخل فى دولة التاج البريطانى ، ولكن السلطة الحقيقية كلها فى يد رئيس الوزراء فى كل بلد من بلاد الكومنولث

وقد ارادوا تعيينه هناك لان ولى العهد المسكين يسبح فى بحر لاساحل له من الفراغ ، والى ان يريد الله ويصبح ملكا ارادوا ان يشغلوه بهذه الوظيفة الشرفية وسمحوا له بان يذهب الى استراليا ليجس بنفسه نبض الناس قبل ترشيحه رسميا .

وذهب الامير ولم يجد من الناس فى استراليا قبولا . وهذا الامير الذى لايستطيع ان يتكلم مع احد لانه امير وكلامه محسوب عليه ، لم يجد الا خطيبته الانسة ديانا لكى يفتح لها قلبه



الامير تشارلس ولى عهد بريطانيا وعروسه ديانا ٠



ويقول كل ما فى نفسه ..

وفى مكالمة تليفونية مع الليدى ديانا قال تشارلس انه يستثقل دم الاستراليين وان رئيس وزرائهم المستر مالكولم فريزر رجل لايتمتع باى روح فكاهة او دعابة وانه اى تشارلس لايقبل بحال ان يكون حاكما لاستراليا

ولم يدر الامير وهو يقول هذا الكلام ان هناك من يتعقبه وهذا الذى يتعقبه صحفى بريطانى يعمل لحساب نفسه (فرى لانسر) يسمى سيمون ريجان ــ وهو يكره الامير شارل وقد سبق ان الف كتابا سماه « شارل الامير المهرج » وهذا الصحفى ينتهج هذا الطريق لانه يكسب من وراء امثال هذه الكتب . وقد كسب بالفعل الوفا من وراء هذا الكتاب وشجعه هذا على ان يتعقب الامير .

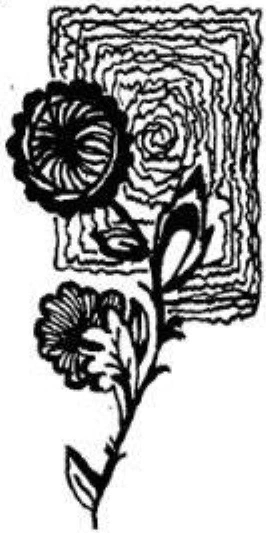
هذه المرة ذهب ريجان فى اعقاب تشارلس وعرف باساليبه الملتوية كيف يركب جهاز سمع على تليفون القصر الذى كان نازلا فيه ، وسجل كل مكالماته مع ليدى ديانا . ومن بين ما سجل راى الامير فى الاستراليين ورئيس وزرائهم وضيقه من الفراغ الذى يعيش فيه وشكواه من مسائل مالية وخاصة كثيرة .

وقد رفضت الصحف الانجليزية نشر هذا الكلام لان فيه ــ على الاقل ــ انتهاكا لحرمة الكلام الخاص بالتليفون ، فذهب الصحفى البريطانى واتفق مع مجلة المانية تسمى «اكتويل» على نشر الحديث ، واتصلت نقابة الصحفيين البريطانيين ــ بمجلة « اكتويل » ورجتها عدم النشر ، فقالت المجلة انها دفعت بالفعل ٣٥٫٠٠٠ دولار لريجان ثمنا للشريط . ونفى ريجان ذلك وقال انه لم يتقاض دولارا واحدا من المجلة . وعندما سئل عن الطريقة التى حصل بها على الشريط قال انه اخذه من موظف فى تليفونات استراليا وهذا الموظف معاد للنظام الملكى ولايريد ان تحكم استراليا بامير من الاسرة المالكة البريطانية ، فهو رجل صاحب مبدا لا باثم الشرطة ولا متسمعا لاسرار الناس عندما يتكلمون بالتليفون .

واذن فقد اصبحت المسالة مسالة مبدا وراى وعقيدة، وكيف تقاضى رجلا يعبر عن عقيدته ويبرهن على صحتها باذاعة حديث يدل على سخافة عقل الامير الملكى المرشح ليكون حاكم بلده

واذا لم تكن هناك وسيلة لمعاقبة هذا الصحفى ،فقد افاد من ذلك الامير شارل نفسه وعرف انه من الان فصاعدا ينبغى ان يتحرز وهو يتكلم فى التليفون حتى مع خطيبته ●●

كأنى رأيتك !



● فتحية النميرى ●

خيالك كالبرق لاح لعينى
وارخى الظلام جناحا عليه !
وبعد ذكرى تكاد تلوح ..
كذرات رمل على كتفيه !

***

رايتك ، انكرت فيك السمات
ووجهت عينى نحو الفضاء ..
وحين بسطت الى يديك
.. كأنى عرفتك ذات مساء !

***

شعرت بهذا السراب البعد
وان الهوى قد طواه الوهن !
كأنى رايتك عبر الزحام
وتاهت خطاك كأن لم تكن
ورحت اسائل نفسى لعلى
بين الظنون فقدت الاثر ..

***

فهل مرحقا على نعماك
وهل كان وجهك بين الصور ؟!

من فلوبير إلى سارتر

● معتز شفيق فريد ●

● موضوع هذه الجولة اديبان فرنسيان هما فلوبير وسارتر ، وذلك من خلال مقالتين ظهرتا في « المجلة الفرنسية » التي تنشرها الرابطةالأمريكية لمعلمي اللغة الفرنسية ، ومجلة «دراسات فرنسية» وهي دورية تصدر عن جمعية الدراسات الفرنسية بانجلترا .

ففي « المجلة الفرنسية » كتبت اميلي زانتس مقالة عن رواية فلوبير المسماة « غواية القديس انطونيوس » وهي رواية تصور التجارب الروحية للقديس انطونيوس أبي الرهبنة المصرية في معتزله بالصحراء . تقول الكاتبة :

ان كراهية فلوبير للبورجوازية امر معروف وواضح في رواياته ذات المهاد الواقعية المعاصرة : سواء كانت « مدام بوفاري » او « التربية العاطفية » او « قلب بسيط » او « بوفار بكوشيه » ولئن قرانا رواية « الغواية » مستبقين ذلك في اذهاننا ، فسنجد انها تعد احدى خصائص البورجوازية وهي رغبتها في السيطرة على الآخرين ، وهذه الرغبة في السيطرة هي الغواية التي يتعين على القديس انطونيوس ان يقاتلها .

كانت حياة انطونيوس ، قبل انخراطه في سلك الرهبنة ، مليئة بمحاولات الاستحواذ على السلطة . فهو يفكر انه ان اشتغل بالكهنوت ، صار له سلطان في نطاق العائلات . وان اشتغل بعلم النحو او الفلسفة ، تحلق حوله شبيبة الطلاب . فقرر ان ينصرف عن هذه المغريات . وتعروه هلوسات عن الخطايا السبع المميتة ، فيقارن نفسه بالاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر

اللذين سادا البشرية . ويسود الرواية اختلاط في الصور ففي مفتتحها تنبسط الصحراء ممتزجة بالافق . وكما في الرسم الانطباعي ، يجنح الحدود الفاصلة بين الارض والهواء الى الانمحاء

والمشكلة الاساسية التي يطرحها فلوبير هي : ايمكن لاحدى الصور او التراكيب ان تصنع مركبا مع صورة اخرى جديدة ومختلفة عنها كيفا ؟ ان غوايات القديس انطونيوس تعبر عن تركيب سيطرة وخضوع . ولكن هذه الغوايات ، اذ تتوالى كالموكب امام اعيننا ، تولد فينا شعوراً بالخدر ، وعزوفا عن الفعل .

ويستخدم فلوبير صورة الكائنات الشائهة خلال هذا العمل ، كما انه يومئ الى العلم ككل . وفي ظل تجارب عصره التي تتحول خلق الحياة في انابيب الاختبار وحيث يخشى الناس تخلق جنس من الكائنات المشابهة للعلماء في هذه الانابيب ، تلوح رواية فلوبير وكأنها استباق « للقصص العلمي » انه يؤمن بالعلم كوسيلة للهرب من انية السيطرة ، وذلك لانه يسوى بين جميع موضوعاته . ان العلم يتطلب ان تتعاون كل الاجزاء معا ، « لا » تريد للكل ان يعمل ، وهذا المفهوم يتسق مع نظرة فلوبير للعمل الفني حيث تتفاعل كل الاجزاء مولدة اثرا كليا ، عملا ، « صورة » تتجاوز مكوناتها الفردية

● سارتر و فرويد :

وندع « المجلة الفرنسية » الى « دراسات فرنسية » حيث نجد مقالة

لكرستينا هاورز عنوانها « سارتر وفرويد » ..

تقول الكاتبة : اتسم اتجاه سارتر ازاء فرويد ، منذ البداية ، بازدواج وجداني . فعلى حين يعترف بديس التحليل النفسي الوجودي للتحليل النفسي الفرويدي ، يحرص على تأكيد اختلافاتهما من حيث المبدأ والمنهج . وعلى حين يوافق سارتر فرويد على ان كل سلوك بشري « ذو دلالة » ، يرفض كلية ايمان فرويد بان مصدر السلوك الانساني هو اللاشعور ، ومايترتب على ذلك من جبرية نفسية ..

بيد ان سارتر ، منذ ١٩٤٣ ، قد ازداد اقترابا من فرويد ، دون ان يقر دائما بذلك . ويلوح ان ثمة اسبابا ثلاثة لهذا التغير في موقفه . ففي المحل الاول مرت فكرته عن الحرية الانسانية بتغير ملحوظ . وثانيا ، هو قد عدل — على نحو ذي دلالة — نظرته الباكرة الى الوعي الانساني . وفي المحل الثالث اتت به معرفته بنظريات لا كان الى تفسير نظرية فرويد على ضوء جديد ، وكتاب سارتر عن فلوبير ، وهو الكتاب المسمى « عبيط العائلة » ، يقدم دليلا واضحا على هذا التقارب مع فرويد .

ان وصف سارتر للتحليل النفسي الوجودي ، كما يرد في كتاب الوجود والعدم ، معروف ولا حاجة بنا الى تكراره بالتفصيل هنا . حسبنا ان نقول ان التحليل الوجودي قائم على مبدأ مؤداه ان الانسان كل وان كل فعل من افعاله ، بالتالي ، كاشف : وهدف هذا التحليل هو حل طلاسم معنى سلوكه ، يعينه في هذا — فيما يقول سارتر — فهم والانسان الحدسي لذاته . وعنده ان السلوك والمشروع يفسيء كل منهما صاحبه .

ان حديث سارتر عن فرويد في كتاب « الوجود والعدم » تقليدي ، يتجاهل النمو التاريخي لفكر فرويد فسارتر يعتبر أوجه الشبه بينه وبين فرويد قائمة على فكرة أن كل تجليات الحياة النفسية متصلة ، ومسوريا ، بالابنية الاساسية للفرد ، وكلاهما لا يؤمن بمعطيات اولية : بمعنى انه لاشيء يسبق الحرية الانسانية عند الوجودي أو يسبق التاريخ الشخصي عند الفرويدي . وكلاهمايعد الكائن الانساني تاريخا مستمرا ، محاولا ان يكشف معنى — اتجاه وتحولات هذا التاريخ . كلا التحليلين يسعى الى اكتشاف اتجاه اساسي سابق للمنطق ، يمكن اعادة بنائه حسب قوانين مركبات معينة فالمركب — عند سارتر — هو ، من هذه الناحية ، المعادل الفرويدي للشيء الاصلي .

ويقول سارتر انه ، بحسب هاتين النظرتين ، لايكون الموضوع قادرا على تحليل ذاته . ويدرك سارتر اختلافه الاساسي مع فرويد حول وجود اللاشعور ، ولكنه يؤكد أن فكرته عن اللاشعور تستوجب ماليس بعقلاني . فالشعور الذي ليس بالضرورة معرفة ، والتحليل — فرويديا كان أو وجوديا — لايستطيع الكشف عن المركبات أو الشروعات الا من وجهة نظر خارجية .

ويحلل سارتر الاختلافات الرئيسية بينه وبين فرويد يتمثل في نقد هذا الاخير ، ولا يخلص دائما لمعنى افكار فرويد . فعلى سبيل المثال ينقد سارتر — باعتباره فينومينولوجيا — **فكرة فرويد عن الليبيدو او الطاقة الغريزية قائلا انها اختزالية دون ان تكون حدا حقيقيا لاسبيل لاختزاله ، وذلك لان فرويد توصل اليها عن طريق الملاحظة التجريبية، لاعن طريق جنس فينومنولوجي ، كما هو الشأن مع الحرية الوجودية . وهذا النقد فلسفي جزئيا ، ولكنه يفضي بسارتر الى اساءة تصوير فرويد فسارتر يتجاهل الحقيقة الماثلة في ان فرويد يرفض صراحة تصور يونج للبدو على انه النبع الشامل للطاقة النفسية ، ويصر فرويد على ان طبيعته جنسية بصورة متميزة** ●

صــورة

هدية

سعد رضوان

وقفت الزوجة امام نافذة احد محلات المجوهرات تتطلع الى معروضاته ، ثم اشارت الى دبوس جميل الصدر له شكل من الاشكال السيريالية الحديثة ، وقد رصع ببضعة احجار الكريمة ...

ثم قالت لزوجها : « هذا دبوس جميل جدا . »

فرد الزوج : « فعلا ... انى اتخيله معلقا على صدر جاكت صاحبتك اميمة ... الجاكت البنى المحروق ، المزين بدائر غامق و .. »

ونظرت الزوجة الى زوجها نظرة قاسية وهى تقول :

– وعرفت لون الجاكت وشكل الدائر الذى حوله ؟!

– رايتها مرة تلبسه ، وانت اعجبك الدبوس فتخيلت منظره على الجاكت!.

– ومن قال لك انى مجنونة لاشترى دبوسا غاليا كهذا كهدية عيد ميلاد لصاحبتى ؟!

– انت تفرجت عليه ، وقلت انه جميل و ...

– وهل الاعجاب بشىء حرام ؟ ..

لقد خرجنا لاشترى هدية لصديقتى اميمة فى عيد ميلادها ، ولكن دبوسا غاليا كهذا لا تحلم هى فى حياتها بان تعلق مثله ... انا اذا اعجبنى هذا الدبوس واشتريته فلالبسه انا ...

– ولكنه دبوس غالى جدا ، كما ان هذه الاشياء يرخص ثمنها عند بيعها!..

– طبعا هو غالى اذا فكرت ان اشتريه لنفسى .. اما اذا كنت ساشتريه لصاحبتى اميمة فهو لائق ومنسجم على الجاكت البنى المحروق الذى ...

– اوه يا حبيبتى .. انت تخلقين قصة من لا شىء !.. انا لم اقل انى موافق على ان تشتريه سواء لصاحبتك او لنفسك ...

ورمقت الزوجة زوجها بنظرة قاسية ثم سارت وهو بجوارها الى نافذة محل آخر ووقفت ...

كان محلا للروائح العطرية فاشارت الى زجاجة جميلة المنظر قائلة :

– ما رايك فى هذه ؟ ...

واقترب الزوج من النافذة ، وحدق فى الزجاجة ، وحاول ان يقرا نوعها ، ثم قال :

– جميلة، ولكنها لن تعجب صاحبتك اميمه ، لانها رائحة ياسمين ، واميمه تحب رائحة اللافندر ...

– نعم ! .. وكيف عرفت انها تحب اللافندر ؟!..

انا اشم رائحة اللافندر تفوح منها عندما تهل علينا .

– تشم رائحتها ... لن اشترى لها رائحة !

– كما تحبين ...

وانتقلا الى محل آخر .. ونظرت الزوجة الى نافذة المحل ، ثم انتقت حذاءا لطيفا ، وقالت : « ما رايك ؟ »

فاجابها الزوج : « اعتقد انه حذاء جميل يليق بالاقدام الصغيرة كقدمى اميمة ، وان كنت ارجو ان تجد عندهم مقاس رقم ٣٦ فان مقاس حذائها نادر ... »

– وعرفت مقاس حذائها ايضا ؟ !

ـ انت التى اخبرينى به يا حبيبتى

وسارت بغضب الى محل آخر يبيع اشياء صغيرة ودخلت ، ثم وقفت تنظر فى طاولة البائعة ، وانتقت نوعا غاليا من طلاء الاظافر وسألت زوجها :

ـ اظن هذا الطلاء يناسبها ...

فامسك الزوج بزجاجة الطلاء الحمراء وقلبها وقرأ رقم اللون ثم قال: « لا اعتقد . »

ونظرت اليه زوجته بتعجب وهى تسأله :

ـ ولماذا تعتقد أن هذا الطلاء لن يعجبها ؟!

فأجاب : لأنه رقم ٢٦ وهى تفضل الدرجة الاغمق من اللون اى رقم ٢٨»

وقالت البائعة : « عندى رقم ٢٨ » ومدت يدها لتحضره .. ولكن الزوجة منعتها بغضب قائلة : « لا .. لا اريد طلاء اظافر . »

وسأل الزوج : « ولكن ماذا تشترى لصاحبتك ؟ » .

وتدخلت البائعة قائلة للزوجة : اذا كنت تريدين هدية فقد وصلت حديثا مشابك للشعر رائعة ، من باريس .. سأريها لك » واستدارت لتحضر المشابك من فوق احد الرفوف، ولكن الزوج منعها قائلا :

ـ لا .. ان اميمة لا تحب ان تضع شيئا فى شعرها فهو ناعم ، وهى تحب أن تتركه سائبا متهدلا يلعب به الهواء وتهزه حركة رأسها و ...

ولم يكمل كلامه، فقد كانت زوجته خارج المحل وهو خلفها يسأل ماذا حدث ؟ ..

فأجابته بغيظ :

ـ لم يحدث شيء... فقط باعتبارك خبيرا بصاحبتى اميمة ، تعرف مقاس حذائها ، والرائحة التى تفضلها ، ورقم طلاء الاظافر الذى تستعمله ، وطريقة تصفيفها لشعرها ... هل تخبرنى بما اشترى لها ؟..

ـ لا ادرى ، انها صاحبتك ، وكل



ما اعرفه عنها ، انت التى اخبرتينى به!

ـ صحيح ... لم اكن اعرف ... سأشترى لها حلويات ، لتحلى بها فمها الصغير الدقيق ...

وزمت الزوجة شفتيها ، فأجابها الزوج :

ـ آه ، صحيح ... تذكرت انى اخبرتك بهذا من قبل ...

ووقفت الزوجة تنفخ ، وتحرك قدميها ، ثم استدارت تعطى ظهرها لزوجها فرأت فى نافذة محل امامها البسة داخلية للسيدات فاستدارت تسأله :

ـ ما رأيك فى مشد الصدر هذا... اظن انه يليق بمقام اميمة ...

لا اعتقد ، فهى تلبس مشدات صدر صغيرة مقاس رقم ٣ وهذه لا تباع الا فى ...

تعرف كل شيء عنها فلماذا لم تتزوجها ؟ » لانه لا يجوز لها ان تتزوج رجلين ..

مهرجان خليل جبران

فى جامعة الإسكندرية

بالتعاون مع كلية الآداب جامعة الاسكندرية نظمت القنصلية اللبنانية العامة بالاسكندرية مهرجانا ادبيا كبيرا للأديب الشاعر والفنان العربى اللبنانى جبران خليل جبران – فى ذكرى مرور خمسين عاما على وفاته ...

اقيم المهرجان بكلية الآداب ، حضره جمع كبير من مفكرى الاسكندرية وشعرائها ومن المهتمين بالحركة الادبية والثقافية ... وافتتحه قنصل لبنان الاديب اميل بدران بكلمة جامعة شاملة عن حياة جبران وادبه ، وقال : ان جبران خليل جبران هو واحد من اشهر ادباء وشعراء الطبيعة الحالمة . ولد فى بلدة بشرى بجبال الارز ، ثم هاجر الى أمريكا واستقر فى مدينة بوسطن ، وفى عام ١٨٩٧ عاد الى لبنان والتحق بمدرسة الحكمة فى بيروت وتفرغ لدراسة اللغة العربية وآدابها ، ثم سافر الى باريس حيث حصل على شهادة التفوق من كلية الفنون واصبح عضوا فى الجمعية الفنية الفرنسية .

ثم عاد ثانية الى امريكا . حيث اصدر بعض اعماله ومؤلفاته باللغة الانجليزية وخاصة منها كتاب «النبى» الذى اكسبه شهرة واسعة ..

وعندما توفى جبران فى نيويورك ، نقل جثمانه الى بلدته بشرى فى لبنان.

ورغم الظروف الصعبة التى يعيشها الآن لبنان ، الا انه ينبغى تكريم ذكرى جبران ، وقد يشمل الاحتفال بذكراه اقامة مسابقات وجوائز قيمة للكتاب والادباء الذين يكتبون عنه ، واقيم اسبوع ثقافى فى بلدته فى لبنان .

كما اطلقت محافظة الاسكندرية اسم جبران خليل جبران على احد شوارعها تقديرا لرسالته وتكريما لذكراه .

***

من الآثار الفنية لجبران هناك حوالى ٥٠٠ لوحة زيتية ومائية محفوظة معظمها فى متحف معروف باسمه فى بلدته بشرى ...

وخلال حياته الفنية الخصبة اقام عدة معارض فنية فى كل من امريكا ولندن وباريس ، ورسوم جبران تحمل رموزا تجسد الافكار والآراء الواردة فى مؤلفاته ...

وقد كتب جبران والف باللغتين العربية والانجليزية ، وتميزت كتاباته بالشجن والمرارة ... ولجبران خليل جبران آراء فلسفية فى الحياة والموت والتناسخ وقد اهتم فى كتاباته بالمعنى ولم يخضع كثيرا لسيطرة الالفاظ واللغة التى كان ادباء مطلع القرن العشرين يلتزمونها الى حد كبير . والصورة الكاملة لأدب جبران وافكاره تكتمل فى اعماله الادبية التى كتبها باللغة الانجليزية وخاصة كتب « النبى » و « عيسى بن الانسان » ، « حديقة النبى » ...

وهو فى كتاب «النبى» يناول علاقات الناس بعضهم ببعض ويبحث فى المبادىء التى يجب ان تبنى عليها هذه العلاقات .



جبران خليل جبران



اميـل بدران
قنصل لبنان العام

اما كتاب « عيسى بن الانسان » فهو يتناول موضوعا متكاملا تربط بين فصوله وحدة فكرية ونظرة متلائمة محددة ، وقد صاغ جبران جميع اعماله الأدبية بنظرة ادبية تزخر بثراء المعنى وعمق التفكير وجمال الالفاظ.

وفي كتابه « حديقة النبي » كما في كتابه « النبي » كان جبران داعيا ومعلما مستمدا حكمته التي عاش في احضانها ، فاوحت اليه بالخبرة والمعرفة . وفي هذا الكتاب « حديقة النبي » ينظر جبران الى الحياة نظرة متصوفة زاهدة ، ويعالج علاقة الانسان بالطبيعة انطلاقا من آرائه الفلسفية في الخلود ، ووحدة الكون . والبعث . ويعبر عن ايمانه بان دورة الانسان في الحياة شبيهة بدورة الكائنات الطبيعية ، فهو مثلما ينبت وينمو وينضج ، يصبح معدا للقطاف . وفي نطاق هذه الدورة يتطور الانسان ويتغير ، الا ان ذاته تبقى خالدة في صميم هذا الكون .

وجبران خليل جبران في كثير من كتاباته يجرد الناس من اوهامهم ويعود بهم الى حقيقتهم ويربطهم بالطبيعة ، وينظر من خلال ذلك الى خالق الطبيعة وبهذه الطريقة يجمع بالمحبة بين الانسان والخالق والطبيعة .

ويؤكد جبران في احدى رسائله الى الكاتبة الشهيرة مي زيادة ، انه لا يخشى الموت لانه كاس يشربه كل كائن حي فيقول :

« أتعلمين يامي انى ما فكرت في الانصراف الذى يسميه الناس موتا ، الا وجدت في التفكير لذة غريبة ، وشعرت بشوق الى الرحيل ، ولكني اعود فاذكر أن لي كلمة لابد من قولها ..

.. لا ، لم اقل كلمتي بعد ، ولم يظهر من هذه الشعلة غير الدخان !.. اقول لك يامي انني اذا ما انصرفت قبل تهجئة كلمتي ولفظها فاني سأعود لاقول الكلمة التي تتمايل الآن كالضباب في سكينة روحي ... »

ومن دلائل ايمانه بالتصوف ، اعتباره ان المحبة هي الطريق الوحيد الى الوجود .

هذا هو جبران خليل جبران : الاديب المجدد والفنان والفيلسوف المتصوف . الذى اشتهرت اعماله الادبية باللغتين العربية والانجليزية طوال حياته التى لم تتعد الثامنة والاربعين مهاجرا حزينا كالطائر الذى يتوق شوقا لوطنه واهله ويذوب حنينا للعودة الى بيته وعشيرته ، ويمني النفس بالاعتصام في صومعة بجوار قريته بجبال الارز في لبنان ليشعر بانه والارض متحدان في

وقد تحققت امنية جبران خليل جبران ، ولكن بعد رحيله ، فلقد نقل جثمانه من امريكا واستقر في صومعة محفورة داخل صخور الارض بقريته ، وكان يتساءل حولها في كتاباته « ما انت ايتها الارض ومن انت ... انت الجمال في عيني » والشوق في قلبي ، والخلود في روحي ... انت انا ايتها الارض ، فلو لم أكن لما كنت ... »

●●

قصة

إذا لم يكن من الحب بُد

● عبد المنعم محمد موسى ●

كلما القيني صديقي عبد الفتاح في الاسابيع الاخيرة اجده غاضبا ساخطا، فلما سالته لماذا انت غاضب ساخط ، عرفت من اجابته انه يجد صعوبة كبيرة في تعلم اللغة الاجنبيه التي شغل نفسه بتعلمها ، والتي هي شرط اساسي للالتحاق باي عمل في اي شركه من شركات الاستثمار التي غزت السوق والتي تعطي مرتبات خياليه ، والتي يتوق هو للعمل بها ...

الا العمل الحكومي بعد كل هذه السنوات لم يمنحه اكثر من ستين جنيها شهريا ، وهو مبلغ لا يكاد يفي بجزء من حاجيات بيته ..

وكان كلما تعثرت خطواته واصابه اليأس من التقدم في دراسة هذه اللغه سالني : لماذا لم يجعل الله للعالم «لسانا» واحدا !؟ الم يكن هذا ادعى لتقارب البشر ، بدلا من هذه الفواصل اللغويه التي تباعد بينهم !؟

وكنت ابتسم لسؤاله موصيا اياه بالصبر والمثابرة .

ومع ذلك لقد شغل هذا السؤال الغريب ذهني بعض الوقت .. ولكني لم البث ان نسيته في غمرة العمل والمشاغل ، حتى وقعت لي تجربة غريبة في فترة اجازتي الصيفيه والتي كنت اقضيها على شاطيء المعموره .

وكان مكاني المفضل هذا الجزء من الشاطيء الذي يقع خلفه لهو هادىء وغير مزدحم وكنت انشد الهدوء والبعد عن الصخب ... وقبعت تحت شمسية « البلاج » استقبل نسمات الصباح بسعادة ، منصرفا تماما الى الاستمتاع الكامل باللحظة التي اعيشها

ولم يمض وقت طويل حتى اهلت على الشمسية التي امامي حسناء اجنبيه ، اقل ما توصف به انها رائعه .. العيون الخضراء والشعر الذهبي ، والانف الدقيق ، والقوام الملفوف الجميل .

واخذت اتأملها منجذبا بشدة جمالها .. وعندما احست بنظراتي تطلعت الي فابتسمت لها ، فلم تغضب ولم تشح بوجهها بعيدا ، بل اجابت ابتسامتي بابتسامة مشجعة . وفرحت لاستجابتها السريعه ، وقررت ان انهض اليها لاتعرف عليها .. وقبل ان انقل لاحت على مجلس حسناتي احدى صويحباتها ، وتبادلا التحيه وشرعتا تتحدثان وتضحكان .

ياالهي ماذا تسمع اذناي !

معها ايطاليتان اذن .. وهي لغه لا اعرف منها حرفا واحدا .. وحتى الفرنسيه التي هي اقرب لها لا اكاد اعرف منها غير كلمات معدودة لا ازال اتذكرها من ايام الدراسة ..

وتكررت رؤيتي لها في الايام التاليه تحت نفس الشمسيه التي تواجهني .. واحسست ان كل يوم يمر بي يزيد رغبتي في التعرف عليها . لابد اذن مما ليس منه بد .. ان اتعلم لغتها .. مادامت لاتعرف الانجليزيه او الفرنسيه

واصبحت عادة ان يراني اهلي كل صباح أتأنق واطيل النظر الى المراه ، ثم اخرج ومعي هذا القاموس الحبيب الذي ينقل الكلمات العربيه الى الايطاليه .. ثم اخذ مجلسي المعتاد مستقبلا الصباح البهيج .. حتى يهل القمر ويتخذ مجلسه قبالتي كأننا على ميعاد فابتسم لها وتبتسم لي ويبدأ درسي .

لا تعجبوا تعبنا لا نكف عن الحديث معي وان اعطلت «لغه» الكلام .. انظر الى عينيها وافتح القاموس !

ـ أيها القاموس مـاذا تقول عيون حسنائى ؟ ولا يجيب القاموس قبل ان اقلب بعض صفحاته مـرات واعيد واعيد سؤاله ..
ـ هيه ماذا تقولان ؟
فيجيب .. تقول عيناها : صباح جميل ياصديقى « الصامت »
فتقول عيناى لها :
ـ ان وجودك هو صباحى الجميل :
انى لاعجب لصمتك هذا الطويل ..
لاتخش شيئا .. انى اراك لطيفا !
ـ وافرحتاه !
ـ واستملحك ...
ـ بالحسن حظى !
ـ حبذا لو تخلع عنك هذا الجمود ،
ـ الا ترى انك تجاوزت « لباقه » المعجبين !
ولا استطيع ان اتحمل مرارة هـذا العتاب فانهض هاربا ..
ويشرق يوم جديد ويبدا معه درس جـديد .. العيون تتحاور والقاموس المسكين يترجم لى ..
ـ هذا صباح جديد ولـم تتقدم خطوه !
ـ ترى مايكون رايك فى .. ياحسناء جبان ؟
ـ لست اظن ..
ـ هذا كرم منك وفضل !
ـ انى احذرك .. لن تطول جلستى هذا الصباح !
ـ كيف ؟
ـ انني على موعد
ـ على موعد ؟
ـ بلى ، مـع بعض صـويحباتى
ـ وتتركينني ؟
ـ الا ترى اننا نضيع وقتنا عبثا !
فاغضب وتقول عيناى
ـ اهكذا تنظرين الى صحبتى ..
وقت ضائع لا قيمه له .. حسنا اننى ذاهب اذن !
وانهض منصرفا ..
ثم يوم جديد ودرس جديد وحوار جديد ..
ـ انى عاتبه عليك .. لقد جـرحت شعورى !
ـ انا !!
ـ تركتني وحدي وانصرفت دون نظرة وداع !
ـ لقد هربت قبل ان تطرديني !
ـ جازت عليك الاكذوبة الصـغيرة ياصديقى !
ـ لم تكونى على موعد اذن ..
ـ اردت اختبارك لا غير !
فانادى من اعماق قلبى :
ـ ياحبيبتى !
وتسوء حالى واضيق بحوار العيون وحديثها .. هذه هى بين يدى على قيد خطوات منى .. بل ورهن اشـارتى ومشيئتى . وانا احترق جوى . لابد من ان احطم هذا « الحاجـز » بيننا وان اواجهها لسانا بلسان !
وانطويت على نفسى ، احـاول ان اتعلم حـديث الايطاليه .. قـرأت القاموس من الغلاف الى الغلاف .. وحفظت عن ظهر قلب العديد من الجمل والعبارات ..
واستعنت بالله وذهبت .. وتعمدت ان اتاخر عن ميعاد حضورها .. حتى اذا ما اقبلت واتخذت مكانها اتجهت اليها وحييتها تحية الصباح ..
ونظرت الى بطـرف عينها .. بالى من نظرتها . واجابت : سعد صباحك ياسيدى .. يالى من رنين صوتها .. أية موسيقى . واى سحر !
وكان لابد أن اقول شيئا فهى تنظر الى فى تطلع وانتظار .. واسـتنجدت بذهنى فاذا كل ما حفظته من عبارات قد طار وتبخر من ذاكرتى !..
وتصورت صاحبتى ان سكوتى هو من الخجل فرات ان تشجعنى ، وبدأت هى الحديث .. يا الهى !
من منكم مارس شعور من يلقى فى دلو من الماء المثلج فى يوم زمهرير ؟!
لقـد تبينت ، بعد كل الجهـود التى بذلتها ، اننى كما بدات لا اكاد افهم من لغتها حرفا واحدا .
وآثرت أن انسحب قبل أن تفطـن حسنائى الى مصيبتى وشـدة خيبتى .. ووجدتنى اصرخ كما صرخ من قبل صديقى عبد الفتاح :
ايها الاله .. ماضر لوجمعت العالم على لسان واحد ؟!

عبـد المنعم محمـد موسى
مدير عام دار الـكتب القومية

حول القصة..

طويلة..وقصيرة!

● اماني فريد ●

● ما هى الرؤية الأدبية لك فى الرواية وفى القصة القصيرة ؟..

تجيب عن هذا السؤال الأديبة لطيفة الزيات الاستاذة بكلية بنات جامعة عين شمس فتقول :

تتغير اشكال الأدب الروائى تغيرا مستمرا بتغير الفترة التاريخية الاجتماعية ، وبتغير حساسية المتلقى والقارىء ، وبتغير حساسية الفنان .

ولا احد يملك ان يضع مواصفات للأدب ، وكل ما يستطيعه الناقد ان يستخلص خصائص فنية وعامة من الأدب المكتوب ..

والقصة القصيرة كنوع من انواع الكتابة اقرب الى الشعر والمسرحية، اى الدراما منها الى الرواية الطويلة وهى اقرب الى الشعر ، من حيث انها تتطلب التكثيف الشعورى وهى اقرب الى الدراما من حيث ان الكاتب لا يستطيع ان يورد فيها الا التفاصيل الشديدة الاهمية والتى لا يمكن بحال الاستغناء عنها ...

وكل وصف فى القصة لابد ان تكون له وظيفة فى بناء القصة القصيرة ؛ وفى محاولة ايصال المعنى ، وفى محاولة خلق الحالة الشعورية المعينة عند القارىء التى يحاول الكاتب خلقها . .

والقصة القصيرة تكتسب صفة الدراما من حيث أنها مكثفة، ومن حيث أنها وحدة صغيرة او عالم صغير يحتوى صراعا معينا وحلا لهذا الصراع ، يترتب عليه لحظة اكتشاف ...

والقصة الطويلة تختلف اشكالها اختلافات كبيرة باختلاف العصر وباختلاف شخصية الكاتب ، ولكنها تتسع لرؤية كلية للحياة والأحداث ، وهى الصق بالانسان الاجتماعى منها بالانسان النفسى بينما القصة القصيرة تهتم فى الأساس باللحظات النفسية .

والرواية الجيدة تهتم بالانسان فى اطاره الاجتماعى ، وهو يتأثر ويؤثر فى هذا الاطار الاجتماعى ...

***

وعن القصة القصيرة ومستقبلها فى مصر يقول الكاتب الكبير ابراهيم الورداني :

مصر تغير جلدها بطريقة سريعة ومفاجئة ، فلا يمكن تخيل ادباء عام الفين .. والقصة منطفئة لانه لا توجد قيادة لامعة ، والفن او الأدب يلمع مع ظهور روح جديدة .. والسطح الادبى للقصة القصيرة راكد لانه لا يوجد تحريك من شخصيات تجيد كتابة القصة واستدراج الجمهور لقراءتها ،



ابراهيم الوردانى



اسماعيل ولى الدين

خاصة بعد ظهور التليفزيون الذى اصبح مثل المغناطيس للناس ...

والأديب الجديد الذى يدخل الحلبة يجب أن يكون لديه شىء مختلف مبتكر ، أما اسلوب يستدرج للقراءة، أو افكار جديدة تشد الذهن والمشاعر.

والأديب المصطنع والمزيف ينكشف بسرعة ، ولن يستطيع أن يواجه هذه المرحلة ، وانا أنصح من يأخذون مهنة الأدب ببساطة « وتهلوة » وسطحية أن يتراجعوا من هذا الطريق ..

مطلوب من أديب المستقبل الصمود أمام التقدم التكنولوجى ... أما التكرار مهما كان فيه تجويد فنى ، فلن يقف طويلا على قدميه ، فلاعدسة الصورة الفوتوغرافية الآن يمكن أن تلتقط لقطة بالتكنولوجيا تفوق الأصل أى اللوحة ... اقصد أن العصر يتغير وبطريقة هائلة ، ومن يريد أن تكون مهنته الادب يجب أن يستعد لحمل صخور رهيبة ... ومحنة الأدب المصرى انه فقد القارىء الذواقة ، ومنذ خمسة وعشرين عاما لدينا قمم العالم العربى فى الأدب والقصة وفى الرواية وفى الشعر ...

***

والأديب المهندس اسماعيل ولى الدين عن معالجته للرواية والقصة - فيقول :

من ناحيتى عندما اعالج كتابة رواية فانى احاول ان اضع يدى على موطن الضعف او العيب او التناقض فى المجتمع الذى نعيش فيه ، وانا اريد ان اؤكد ذاتى او ادبى فى هذه الفترة الحالية التى نعايشها ، سواء كنت اكتب من عشر سنوات او استمرارا الى عشر سنوات مقبلة ... انا لا احب ان اعالج موطن ضعف قديم ، فانا لا اهرب من الموقف الحالى الى موقف قديم او يمثل ادق فترة سابقة .

ومن رؤيته والمعالجة للقصة الطويلة فى مصر هامة يقول اسماعيل ولى الدين :

ان الرواية الطويلة تعطى فرصة او امكانية للكاتب ان يتناول شريحة كبيرة او مجتمعا صغيرا ، يحاول أن يضع رؤياه الحالية والمستقبلية اذا امكن من خلال هذا المجتمع الصغير ...

مثلا ثلاثية نجيب محفوظ ، لقد استطاع فيها ان يأخذ شريحة من البشر والزمن فى وقت واحد ، وهى فترة الثورة الوطنية عام ١٩١٩ ...

أيضا رواية قنديل ام هاشم للكاتب يحيى حقى، يمثل البطل فيها شخصية الجامعى الذى درس فى موقع شعبى، وسافر الى الخارج وعاد برؤية مختلفة من حيه او بها نوع من الاغتراب عن



د . لطيفة الزيات

موقعه الأصلى ، وهنا تظهر مقدرة الكاتب فى تصوير المشاعر والأحاسيس، وهذه الرؤية لا يمكن تناولها فى قصة قصيرة ...

وهذا يمكن أن ينسحب على الرواية الاجنبية ، فمثلا قصة « مدام بوفارى» فيها مشاعر امرأة ، ومشاعر فياضة لا يمكن ان نحصرها فى قصة قصيرة، لأنها امرأة لها تكوين خاص ولا يسهل شرح وتقييد هذه المشاعر فى صفحات قليلة ... يمكن اذا ان اقول ان الرواية تفسر تفصيليا قطعة من البشر ، او الذات البشرية التى تعيش فى فترة معينة وتحللها، ويمكن أيضا ان تتناول فترة زمنية معينة بمجموعة من البشر وتغوص فى اعماقهم .

أما القصة القصيرة فهى مجرد موقف ، يمكن ان يظهر فيه الكاتب رأيه ، واعتقد انها تحتاج الى مقدرة كتابية فنية حتى يستطيع ان يوصل الكاتب الفكرة فى مساحة محددة بتركيز شديد سواء كان تداعيا فكريا او تداعيا للحس والمشاعر فى نفس اللحظة او الموقف ...

والكاتب فى القصة القصيرة لو اراد أن يعطى رمزا لفكرة داخل نفسه فهو يستطيع ذلك فيها أكثر من الرواية الطويلة ذات الأشخاص الكثيرة والمساحة الكبيرة وتداخل الأحداث ...

والقصة القصيرة رمز مؤكد ومحدد لفكرة داخل الكاتب يريد أن يؤكدها ، مثلا « اوراق شاب عاش الف عام » قصة جمال الغيطانى التى ظهرت فى المجموعة المنشورة بنفس العنوان، فهى رغم انها تحدد فترة زمنية تاريخية سابقة ، الا انها فى نفس الوقت تشير الى بعض مواطن الضعف المعاصرة والرواية حاليا فى الأدب الغربى تتجه الى وحدة المكان او وحدة الزمن ، والبطل مجموعة من البشر تدور حول المكان الذى تجرى فيه الأحداث ، ويعتبر البطل الحقيقى للقصة فى الواقع هو المكان الذى اختاره الكاتب ...

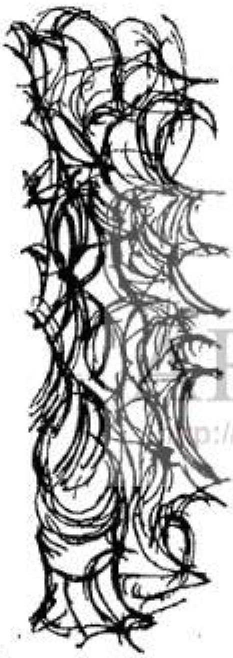
وقد بدأ الأدب المصرى المعاصر منذ سنوات يتجه هذا الاتجاه ... انا قمت بهذا فى « حمام الملاطيلى » وفى « الأقمر » بالذات ، وفى « السلخانة» وفى « المدابغ » التى نشرت اخيرا ...

كما قام الكاتب الكبير نجيب محفوظ فى عديد من اعماله الأدبية الأخيرة المميزة بنهج هذا المنهاج رغم انه لم يتخلى كلية عن البطل فى الرواية مثل روايته الأخيرة « عصر الحب » التى جمعت بين المكان والبطل ـ وان كانت قصته الطويلة « الحرافيش » قد ضمت عددا من الأبطال فى مكان معين محدد .

واخرج من هذا ان الرواية او القصة القصيرة فى رأيى يجب ان تعالج مشاكل جاده خاصة بالمجتمع المعاصر . ●

قــراءة فى فنجان حلبــة

• مصطفى رجب •



وحيد فى المساء وفى الصباح
اضمــد ما استطار من الجراح
تمزق فى الشبـاب وشـاخ قلبى
واعيتنى مجـالده الجماح !
تفـــاجعنى الهموم فلا صفـاء
يخـالجنى ، ولا طعم ارتياح ...
اطاعن ما استطعت فلا انتصـار
يحـالفنى ولا يجـدى كفاحى
اطاعن ما استطعت وبى عيـاء
بلا جنـد يعـين ولا سـلاح
انا الملاح مجدافى ثقيـل . . .
وبحرى هـــائج عاتى الرياح
فكيف اقاوم الامـــواج وحدى
وكيف يطـير مقصوص الجناح

***

ويأتينى من الفنجان غوث . . .
واصـوات بالسينة فصاح !
بسم ، فالسفينة سوف ترسو
وتنعـم باللقا بعد النـزاح !
سيطلع فى سمائك الف نجـم
يبشـــر بالإياب وبالرواح !
يبـدد ليلك الطاغى حثيثـا
ويأذن بعـد فجـرك بالصباح
وترضى عنـك ليلى بعد هجـر
وتسمـح باللقـاء وبالمزاح . . .
وتنعـم من عيون ناعسات
بتحقيـق آمال فسـاح
وتطفىء فى عيونك شوق عمر
من الحـرمان اذن بانذياح
فسح فى الارض لا تيأس وهاجر
فأرض اللـه واسعة البراح !

على رأى المثل!

● عزت محمد ابراهيم ●

للامثال دلالة كبرى على معرفة نفسيات الشعوب ومختلف حالاتها ، وما يكون قد طرأ على حياتها من اطرار وما اختلف على تاريخها من احوال ، وما كانت عليه من غنى او فقر ، وبسطة فى العيش او انقباض ..

ومثلها فى ذلك مثل القصص والاساطير الشعبية فى الدلالة على واكان الشعوب من معتنقات ومعتقدات

والامثال العربية قديمة موغلة فى القدم ، صحبت الناس منذ العصور الاولى ولا زالت حتى اليوم تدور على الالسنة ، وتتداول بين العامة والخاصة وان كانت بين العامة اكثر شيوعا واعظم انتشارا . . وهى فى اغلبها تجنح الى اللهجة العامية لسهولة مأخذها وقرب تناولها ، فيكون هذا سببا فى انتشارها بين العوام من الناس حيث لا يجدون وسيلة غيرها يلتمسون بها الاقناع او التعبير عن حالاتهم النفسية ، اذا وجد غيرهم من الخواص وسيلة المنطق والاقناع السديد

ولكل امة امثالها ، كما أن لكل اساطيرها وقصصها التى يتوارثها الناس فتنتقل من السلف الى الخلف لا تكاد تنقطع .

***

وقد فطن الباحثون الى أهمية الامثال فى حياة الامة العربية فأخذوا على عاتقهم جمعها وتدوينها منذ ان كانت الكتابة والتدوين حتى يومنا هذا . وقد بدأ جمع الامثال العربية وتدوينها أواخر العصر الاموى وأوائل العصر العباسى ، وقيل ان علاقة الكلابى كان قد جمع امثال الجاهلية وصدر الاسلام ولكنها لم تصل الينا .

ومن الذين اشتغلوا بجمعها عبيد بن شرية وابن الكلبى وابو عبيدة القاسم بن سلام ، حتى يصل بنا الامر الى ابى الفضل احمد الميدانى الذى جمع فى كتابه ((مجمع الامثال)) اعظم قدر منها نيف على ستة آلاف مثل ، لم يهتم فيها بغير مثال الفصحى التى تخضع لقواعد اللغة والاعراب ، سواء كانت عربية خالصة او من عمل المولدين الذين اتسعت لهم الحياة العربية فشملتهم ضمن اطارها وتأثرت بهم وأثرت فيهم

اما الامثال الشعبية التي تدور على السنة العامة وتصف معيشتهم واحوالهم فلم تحظ باهتمام جاد لجمعها وتدوينها الا فى العصور المتأخرة حيث فشت اللهجات العامية بين الناطقين بالضاد ، وحين اتصل امرها بأمور « الفولكلور » والموروثات الشعبية وحين خيف عليها من الضياع والاندثار امام مظاهر الحياة الحديثة التى قضت على الكثير من تقاليد الشعوب وعريق عاداتها ..

وخير من قام به فى هذا المجال هو احمد تيمور فى كتابه « الامثال الشعبية » وهو – كما اعتقد – نظير كتاب الميدانى فى الفصحى ، كثرة وشمولا واستيعابا واهمية وهو ككتاب الميدانى أصبح مرجعا لكل من اتى بعده باحثا فى ميدانه .

***

اما الامثال العربية فى الاندلس فقد

انتقلت اليها مع ما انتقل من فنون الحضارة العربية ومظاهر لغتها،وشارك الاندلسيون في جمع هذه الامثال وشرحها فشرح ابو عبيدة البكري المتوفي بالاندلس عام ٤٨٧ هـ امثال ابي القاسم بن سلام في كتابه « فصل المقال في كتاب الامثال » وعقد ابن عبد ربه في كتابه « العقد الفريد » فصلا مطولا بعنوان « الجوهرة في الامثال» ضم فيه الى الامثال الفصحى غيرها مما « جرى على السنة العامة » معربة في صياغة اللغة الفصحى ، وجاء بعدها المؤلف الاندلسي ابن هشام اللخمي فدوت كثيرا من الامثال في كتابه « محن العامة » .

ومن الذين اشتغلوا بجمع الامثال الشعبية ابن قزمان الذي كان ذاصيت بعيد في فن الازجال ، وضمن بازجاله كثيرا من امثال العامة مصاغة في قوالب النظم والقافية :

وتعد مجموعة ابي بكر محمد بن عاصم القيسي من اعلام العصر الغرناطي اهم مجموعة من الامثال الاندلسية الشعبية وقد تجاوزت ثمانمائة مثل ضمنها فصلا من كتابه« حدائق الازاهر في مستحسن الاجوبة والحكم والامثال والنوادر » وتعتبر مادة صالحة لدرس المجتمع الاندلسي ونفسية اهل غرناطة واحوالها الاجتماعية على وجه الخصوص ، فمن هذه الامثال نعرف انهم اهل جد وعمل يكرهون البطالة ، ويمقتون الخمول: « الجلوس بلا شغل يحمق » و «بنخالتنا نستغني عن درمك جارتنا »

والدرمك بمعنى الدقيق الجيد

وقد اهتم الباحثون بعقد المقارنات بين امثال ابن عاصم ، وبين الامثال الاسبانية الحديثة المتداولة في اسبانيا حتي الان ، معتمدين فيها على ماجمعه منها الشاعر الاسباني دي سنتلانا ، وخلصوا من هذه المقارنات الى نتيجة هامة هي ان الامثال العربية ما زالت تحيا حتى اليوم في اسبانيا بتغيير طفيف او بغير تغيير على الاطلاق ،ومن هذه الامثال :

● اذا كان المتحدث احمق يكون المستمع عاقل !

وهو مثل شائع في الوطن العربي كما هو شائع اليوم في اسبانيا .

منها :

● لا يرى الاحدب حدبته !

ومنها :

● اذا كان الطريق آمن ، لا عليك من بعد

والمثل الاسباني يقول :

● لا باس بالتاخير يحدثه الطريق آمن .

وقريب من ذلك مايدور على السنتنا اليوم من مثل :

● امشي سنة ولا تخطى قنا !

ومنها :

● اذا وقعت البقرة اجتمعت السكاكين .

مع تغيير طفيف في المثل الاسباني، وهو مثل شائع منتشر حتى اليوم في ارجاء الوطن العربي ونقوله نحن اليوم :

● اذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها !

ومنها :

● من زاد عليك بنهار ، زاد عليك بخيار

ونعرف اليوم قريبا منه في قولنا :

● اكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة . !

ومنها :

● في الوجه ملاسة وفي القفا مكناسة .

ونعرف مثله اليوم في قولنا :

● في الوجه مرايه وفي القفا سلاية

ومنها :

● يسرق مع السارق وينوح مع صاحب الدار !

وتقول في معناه :

● يقتل القتيل ويمشي في جنازته!

ولا تتشابه الامثال بين امتين هذا التشابه الا لتشابه الحالات فيهما ، وهي بذلك دلالة علي تغلغل الثقافة العربية في حياة الاندلسيين وبقائهما حتى اليوم في تراثهم وموروثاتهم الشعبية ، شاهدا على ماكان العرب في تلك البلاد من اثر عميق ، وتاثر بعيد المدى . ●●



هي وهو والحب

● نصري عطا الله ●

ـ ١ ـ

شهد المازني الكثير من صور الحب والوانه في سن مبكرة جدا ، فطن الى ملامح من طبيعة العلاقات بين امه وابيه الذي مات والمازني الصغير في التاسعة من عمره ، وادرك اي حياة يحياها اخوه الاكبر وكان يعيش معهم في نفس الدار الكبيرة ، وكانت هناك ايضا اخته العاقر ، ثم الخادم والخادمة ـ ولكل من هؤلاء قصة ، وفي كل قصة يتخذ الحب شكلا مباينا .. وحفل ذهن الغلام ومخيلته بصور متباينة للحب ، كان لها ابعد الاثر في شخصيته عامة ، ورايه في الحب والزواج خاصة ..

كان ابوه رجلا مزواجا وكان عمله يضطره الى السفر الى استنبول حيث يقضي شهورا او عاما ، ثم يعود ومعه زوجة ، فاذا ما احتاج الى السفر مرة اخرى يحمل معه الزوجة ويسرحها هناك ويجيء بغيرها ..

ولم يهجر الأب زوجه « ام المازني » في سبيل الزوجة الجميلة الجديدة ؛ ولكنه كان يوزع حبه ووقته بين الزوجتين ـ وكانت كل منهما تقيم في دار مستقلة ـ فيقضي ليلة عند هذه وليلة عند تلك .

والأخ الأكبر للمازني كان له هو ايضا زوجتان تقيمان مع الأسرة الكبيرة اما اخته فقد عانت من اللهفة على البنين الشيء الكثير وصبرت على الحرمان ؛ ثم راحت تنصح زوجها بأن يتزوج اخرى فلما فعل ورزق طفلا طلق امه ـ او ماتت لا ادري ـ فتولت هي تربيته وتبنته وتعهدته وأولته ما انطوت عليه نفسها من عطف الأمومة المخنوقة ، وحفظ لها هو ذلك ، فكان ابر الناس بها في حياته ، واحناهم عليها واعمقهم حزنا لما وافاها الأجل .. »

وهناك صورة اخرى للحب في الشيخوخة ـ بين جد المازني وجدته ـ وقد ابدع المازني في وصفها :

« لم يكن للحب ذكر في بيتنا ونحن اطفال . ولكنه كان مع هذا موجودا ، بين ابوي على الأرجح ، وان كنت لا ارى دلائله ومظاهره ، وبين جدي وجدتي على التحقيق . وكان جدي قد قارب المائة ، وجدتي قد ناهزت السبعين ، ولكنهما كانا كالطفلين ، ولم يكن احلى من تناجي هذين القديمين اللذين ردهما الهرم الى مثل حال الطفولة وسذاجتها وطيبتها ، وكانا لا يعبآن شيئا بوجودي ..

« وكان الذي يتناجيان به سهل الفهم ، فقد كان قصصا وحكايات قديمة ، مما وقع لهما وجرباه ، ولكنه الحنو ، وعذوبة الصوت ، واللوبان ، وحلاوة اللمعة في العين التي انطفأ نورها او كاد ، واضطراب الشفتين اذ يقول الشيخ برقة : « هل تذكرين يا حاجة .. » فتهز راسها المصبوغ بالحناء ويفتر ثغرها الأدرد ويومض السرور في عينيها ويشرق به وجهها الاحمر ـ فقد كانت بيضاء حلوة ـ وتقول « ايه » ممطوطة طويلة ، ولكنها آية الرضى والحمد لله ، والاغتباط بجمال الذكرى ، لا الاسف والاسى ، فقد كان حسب هذين المتهدمين من الدنيا ، انهما معا فيها ، ان غرفة واحدة تجمعهما ، وان لهما بنينا وحفدة ، كلهم احياء وبخير ولله المنة ..

وكان بالدار خادم مخلص وكان يوم طلب الزواج من خادمة تقوم على خدمة سيدات الدار ، تم له ما أراد . ولاحظ المازنى الصغير انها حملت فزاد وجهها اشراقا . ولمعت عيناهما بنور البشر والجذل ..

وكان من عادة زوجها ان يشرب « البوظة » كل ليلة .

وحدث ان عاد فى احدى الليالى فالفى حليمة « راقدة ولكن عينيها مفتوحتان والى جانبها شىء مغطى بملاءة ، فوقف عند السرير ونظر اليها مستغربا ابتسامتها ، وكانت عادتها أن تنهض له حين يدخل عليها لتكون فى خدمته حتى ينام ، فلما طال تحديقه فيها ، نحت الملاءة ورفعت ما تحتها على كفيها ليراه فأفاق وذهب عنه خمار السكر ، وهوى على ركبتيه وراح يبكى - بكاء الفرح لا الحزن - فوضعت حليمة طفلها ، وجلست ، ومدت يدها الى رأسه لترفعه ولتمسح له دموعه ، فتناول كفها ولثم راحتها ! ..

وكان المازنى عميق المشاعر مرهف الاحساس قوى الملاحظة دقيقها فتركت كل هذه المشاعر فى نفسه آثارا عميقة ، ولم يكن حب الخادم والخادمة بأقل أثرا من غيره فى نفسه ، بل لعله من أقواها

- ٢ -

وعندما مات أبوه شهد المازنى أعظم حب فى حياته .. الحب الذى صاغ شخصيته وزودها بأنبل وأعظم ما فيها من مزايا وملكات .. ذلك هو حب أمه له حبا انسانيا عميقا بعيد الآفاق ، يمزج الحنان بالحكمة والتضحية ، والتوجيه الملهم البصير بالحزم والثقة والاقناع .. ولا عجب اذا كانت هذه الأم العظيمة هى أكبر مكونات شخصية المازنى ، وهو لا يكف عن ذكرها ولا يشبع من الاشادة بفضلها عليه .

وكان أول ما راعه منها انها ظلت تلبس الثياب السود اثنين وثلاثين سنة بعد وفاة أبيه « وقد يكون هذا من الاكبار لا الحب ، ومن أجل ما قابلت به نفسا فى حياته ، ولكنى أظنهما كانا متحابين أيضا ، فقد كنت أسألها فتبتسم ويطرق استحياء ويضطرم وجهها حتى فى كهولتها الذاوية وألح عليها بالسؤال فتنهرنى وتزجرى عما عبثا منى »

وحين مرض مرة وكان يستيقظ فى جوف الليل مضطربا مذعورا - وكان فى ذلك الحين متزوجا - كان لا يدعو غير أمه فتحتضنه وتحيطه بذراعيها ، وكان مجرد لمسها له يشيع فى نفسه السكينة والأم ساهرة .

وقد سهرت أمه على تربيته بعد وفاة أبيه تربية رائعة ، عانت أشد أنواع الفقر من أجل أن يتم تعليمه وكانت تسدد خطاه وتبث فى نفسه الشجاعة والأمانة والاعتماد على النفس وتقديس الواجب يوما بعد يوم

- ٣ -

ولابد من وقفة عند الحب الأول للمازنى .

طرق الغرام قلب المازنى صغيرا فقد كان فى الثالثة عشرة وكانت هى فى مثل سنه وتسكن فى المنزل اللاصق لمنزله . وذات يوم وكان المازنى الصغير يلعب كعادته مع غلمان الحارة بأحد أحياء السيدة زينب حين راعه ما أصاب الفتاة من ذعر وارتياع ، وعرف أن قطتها قد تسلقت شجرة عالية ثم استعصى عليها النزول .. ووقف الغلمان كلهم صامتين الا المازنى الذى راح يتسلق الشجرة فى سرعة وحماس حتى أمسك بالقطة التى ألقى بها فى حجر الفتاة ، وحين هم بالنزول لم يجد الأمر سهلا مثل الصعود فتمزقت ثيابه وأصاب وجهه ويده ، وسال الكثير من الجروح ، ورأت الفتاة فى الغلام بطلا من الأبطال فجذبته من يده وأدخلته البيت وغسلت له جروحه وهى تلهج بشكر والاعجاب بشهامته ومروءته وبطولته .. !

كان ذلك الحادث بداية العلاقة بينه وبين الفتاة التى ظل يذكرها فى شوق

وحنين حتى اخر ايام حياته ، والمازني لا يمل الحديث من هذه الفتاة فقد كتب منها فصلا في « صندوق الدنيا » الذى نشره عام ١٩٢٩، وفصلا اخر في مجلة الهلال بعنوان « فتاة لا انساها » . وثالث في اخبار اليوم ، كما كتب فصلا رابعا في اخر كتبه « قصة حياة » الذى نشر بعد وفاته .

والصور التى رسمها لنا المازني عن هذه الفتاة صور مصرية اصيلة وهي لا تدل على قوة عاطفة المازني وشدة حساسيته فحسب، ولكنها تثبت بجلاء فتنة المازني بالجسد وحسن تذوقه نواحي الجمال في المراة ..

— ٤ —

وكل كتابات المازني تدل على شدة احساسه بمحاسن المراة وفتنة جسدها، ولكنه لم ينس ان المراة روح ايضا فبعد ان يملا عينه من محاسن المراة يروح يفتش عن المعاني التى ينطوى عليها ذلك الحسن ..

ولقد هام المازني بالكثيرات وعرف من الحسن الوانا ولاقيه وجداله بكل صور الفتنة مما حدا بصديقه العقاد ان يوجه اليه قصيدته التى يقول فيها:

انت في مصر دائم التعديد
بين حب عفا وحب جديد !
حين ماض لم يلدل الحسن منه
وطريف كالمستهل الاملود .
انت كالطير .. ربما سالت الط
ير عن الايك وهو جم الورود :

وعبر المازني سنوات الصبا ، وكان الى جانب النعمة العاطفية يقضى ساعات طوالا في القراءة الجادة ، ولتفتح فكره، وراح يبحث في طبيعة الحياة والقوانين التى تنظمها ونزعت نفسه الى ان يجرب كل ما قرا من صور الحب والتدله بالمراة ولكن الطبع كان يجمح به ناحية اخرى ، فقد كانت الانفة والاباء واستقلال الذات من ابرز طباعه واكثرها تغلغلا في نفسه ، مما ناى به عن التلذذ بعبودية الحب بل لعل ذلك لم يكن في مقدوره اصلا ، اى ان الطبيعة لم تهيئه لذلك ، وقد يكون السبب انه اختار لنفسه من المهام ما يزاحم الحب .. وقد تعجب هو في لهجة استياء « كيف يذيب الحب النفس ويحيلها كالقميص البالي الذى لا يصلح لشيء او الورقة المبلولة ويقعدها عن اداء مهمتها في الحياة والنهوض بفرائضها ، ولا يترك لها من عمل سوى البكاء والعويل ، اى التخنث المرذول ..

هل في هذا نوع من انواع الحرمان؟ «كلا» انا على نقيض ذلك سعيد .. مستريح من وساوس الحب وبلابله وهواجسه ، وتخريفه ، وفي وسعي دائما أن اشبع نفسي بالحسن وانا هادىء الاعصاب مدرك لما انا فائز به بلا اسراف او شطط في التقدير ، ومن غير أن انغص على نفسي هذه المتع بعد ذلك بالوساوس والخيالات وما الى ذلك مما يكابده المحبون .. واقول لك الحق انى أصبحت لا اصدق من يزعم أن حبه على نحو ما يصف الشعراء»!

كما انه ينحى باللائمة على الحب كما يكابده المحبون في مصر .. ذلك لانه صرعات طابع حزين ، والدموع والشكوى فيه لا تجف ولا تنقطع واكثر ما تكون الاعراب عنه بالتفجع كانه مصيبة من المصائب الكبيرة وبلاء من الله ومقت وغضب !

المازني لا يعترف بهذا اللون من الحب وان كان قد حاول حينا قصيرا ان يصطنعه ويستجيشه في نفسه وقت ان كان يكتب الشعر ، ولكنه راى بسرعة ان هذا ضلال « وصرت ارى ان الحب يشرح الصدر ويقوى القلب ويجرىء المحب على الحياة ، ويفعم النفس حبورا وابتهاجا ويشعر المرء انه اخف من النسيم، واجرا من الليل او البحر واقدر على ما كان يعده بعيدا او محالا ، وانه لا شىء فيه يدعو الى الاكتئاب والسهوم وشرود الذهن ، ولا الى البكاء والسهد ! ».

والمازني لا يطيق حياة العزوبة وقد تزوج مرتين تخللتهما فترة تبلغ سبع سنوات تفرغ فيها لتربية ابنه من زوجته الأولى ، وهو يعترف أن الأعزب ينقصه الكثير :

« لو كنت أعزب لعددت نفسي نصف حي إلا على المجاز أو التسامح ، لأنه لا يعد حيا من يجهل المرأة ولا يعرفها ، فليس يعرف المرأة من لا يعرف الزوجة ولو عرف ألف امرأة غيرها .. »

«والزوجة في رأيه ليست تلك التي تهيىء له الطعام وتعد له الثياب وتمهد له الفراش وتعينه على حاجته .. ولو كان الأمر كذلك لاستطاع الرجل أن يستغني عن الزواج بخادم مثلا ولكن مزية الزواج عند المازني أنه «سكن» وأن الزوجة تفيض على نفس الرجل وتفرغ على قلبه «سكينة» هي السعادة التي يحق للإنسان أن يطمع فيها ولا يعجز عن الفوز بها .

ويسارع المازني بنفي العلاقة بين المرأة والوحي الفني ، وكل ما كان يعترف به هو أن المرأة أداة لإراحة أعصاب الرجل من الناحية الجنسية ومتى استراحت الأعصاب وسكنت واصفيت من الاضطراب تيسر التفكير الهادىء المتزن والانتاج في يسر وبغير اجهاد ، واستطاعت الأعصاب أن تتحمل جهد العمل بلا كلل أو ملل — أي أن هذه الراحة وسيلة للانعاش والتنشيط من المازني المفكر ؟ ما الذي يسراه في الحب والمرأة والزواج عندما يضع كل هذه الأشياء على مائدة الفكر .

— ● —

في كتاباته في الحب أكثر من نوع من الجوع ونحن لا نطلب الطعام لذاته بل للمحافظة على الذات ، والحب أيضا شعور يغري رجلا بامرأة وامرأة برجل ، والغاية هي استخدام هذا الشعور لاتصال الرجل بالمرأة اتصالا يؤدي إلى التناسل أي حفظ النوع » لكن المتهوسين يعكسون القضية ويجعلون الأداة غاية ويطلبون الحب لذاته — على نحو القول بالفن للفن — وينسون أو يتناسون الغرض منه ، ويدخلون على أنفسهم أوهاما كثيرة ، فيشتد تخليطهم وهراؤهم ويلهجون بألفاظ لا يفهمون لها معنى صحيحا أو قل أنهم يغالطون أنفسهم في معناها ، مثل الوفاء ، وهل رأيت محبا لا يدعي الوفاء أو شاعرا لا يبدىء فيه ويعيد ؟.. سوء الحظ — أو حسنه . من يدري — أن الوفاء ليس في الطباع وأنه لا يكون إلا عن افلاس وعجز »

يستنتج هذا أن المازني يفضل الحب البصير الذي يحتفظ بصحة الإدراك والاتزان وضبط النفس والنظر إلى اللب والجوهر ، وفي هذه الحالة العقلية المحضة لا يرى المحب في حبيبته أكثر من امرأة يفضلها هو على سواها .. ويشرح المازني أن « نشوة الشعور » التي وردت في كلامه حالة نفسية معترف بها ، حالة التماع بالشعور تكشف للمرء من الحقائق ما لا سبيل إلى الكشف عنه بأية وسيلة أخرى

والحب العذري عند المازني عاطفة عقيمة لا محل لنشوئها ، وهو في رأيه خرافة وأكذوبة ، والتوحيد في الحب أكذوبة سخيفة ، وهو شيء لا الرجل يعرفه ولا المرأة ، وإذا سلك المرء سلوك المخلص وسار سيرة الوفي فليس معنى هذا أن الإخلاص في قلبه بل هو عدم وجود الفرصة فيجب « التفريق بين السيرة والضمير المطوي في السريرة »

والمازني يستهجن التهويل من شأن الغريزة الجنسية ويقول « ولست أرى هذه العلاقة الجنسية إلا عادية بل لعلها هي وحدها العادية ، وسواها هو الذي منها ولنا عنها وتفرع عنها ، ولا أرى أي موجب لأن تجعل لها كل هذا الشأن الخاص الذي يميزها ويفردها ويبرزها ويديم

الخواطر عليها ادارة لاتستحقها ولا يحمد اثرها ، لانها تفقد المرء القدرة على الاحتفاظ بالقيم الحقيقية لضروب العلاقات وتمسخ تفكيره وتحول دون استجلاء الحقائق على وجهها وصورها الصحيحة .

ومن الواضح ان اراء المازنى المفكر تختلف اختلافا بينا عن مسلك المازنى الانسان ومعاملته للمراة ولعله فى ارائه كان ينظر الى مشاهداته وتجاربه فى صباه الاول ولعله كتبها فى فترة غلب عليه فيها التشاؤم واعتقد ان الكل باطل » وكان لا ينفك يسال نفسه « ما جدوى كل شىء تحت الشمس ؟! »

وهذه الثنائية سمة ظاهرة من سمات شخصية المازنى فحين تسيطر عليه مشاعره القوية العميقة يتصرف كانسان يتذوق الجمال فى الفن والطبيعة والمراة ، يؤمن به ويعلى من شانه .. وحين يستبد به الفكر ويتامل الواقع الذى لا يرضى طموحه ومشاعره ومثله يكتب عنه وهو ساخط ، ويستصغر شان الانسان وجهوده القليلة الثمار من اجل تدعيم القيم العليا ، قيم الحب والخير والجمال ، ولكن هذا لا ينفى مطلقا صحة الفكرة التى قضى الانسان الاف السنين كى يدعمها ويخرج بها من نطاق الحيوانية المحضة الى نطاق الانسانية .. وهناك من بلغوا بالحب مرتبة رفيعة وان كانوا قليلى العدد .

- ٦ -

عاش المازنى فى عصر تحول وانتقال وقد بدأ الكتابة « حوالى عام ١٩٠٧ » فالمراة مفروض عليها الحجاب وفرص تعليمها قليلة ، ولم تكن قد خرجت بعد الى ميدان العمل بل كانت تعيش تحت سيطرة الرجل .

وبعض كتابات المراة التى تعالج التطور الاجتماعى المنشود - حينذاك - قد تحقق ما فيها من اهداف ولم يعد لها الا قيمتها التاريخية .. ومن راى المازنى ان من يريد ان يحصل على حق عليه ان يطالب به ويثبت جدارته به ، وقد سعت المراة ونالت ما ارادت من حقوق ، ولكن المازنى ينكر سعيها الى المساواة بالرجل لان الطبيعة قد خلقتهما مختلفين وسيظلا كذلك ابد الدهر .. ان الطبيعة اعدت كلا منهما لعمل فى الحياة ؛ كما ان هناك اختلافا فى تكوين الجسم نتج عنه اختلاف فى الاستعدادات والكفايات.

والرجل كما يرى المازنى اكثر تمثلا للفردية ، ومكافحته وسعيه وراء الرزق وتعرضه للاخطار عوامل اكدت فيه غريزة حفظ الذات ، اما المراة فتستغرقها الغريزة النوعية ولولا ذلك ماستطاعت ان تقوم بوظيفتها الجنسية وما ينطوى تحتها من المشاق التى تهدف الى بقاء النوع

والفردية تتبعها الانانية ، والنوعية تستتبع الحنان والغيرية ..

كما يختلف الرجل والمراة فى فهم معنى الجمال ، والرجل الجميل عند المراة هو الذى تتوفر فيه الصفات التى تكفل حفظ النوع وان كان قد طرا على رايها شىء من التحوير واصاب احساسها شىء من التنقيح مجاراة لراى الرجل .

وقد يكون الرجل هو الاقوى ولكن المراة تغلبه بالحيلة والغواية .. وهى حين تواجهه بهذين السلاحين تمثل قوة ارادة الحياة كلها وتتغلب عليه

ويرى المازنى ان المراة هى احسن معاجم اللغة واداة المحافظة عليها وتوريثها للاجيال لمن طبيعة المراة الكلام .

- ٧ -

ويرى المازنى ان الرجل يظلم المراة حين يغالى فى قيمتها ويوهمه الحب انها مثال للانسان الكامل المنزه عن الاخطاء : « ان تصور المراة ملكا سماويا نورانيا هو السبيل الى الاقتناع اخر الامر بانها ليست الا شيطانا جهنميا

يبوء بالتبعة عن كل الم ويحمل كل وزر ولو رضنا انفسنا على النقص والقصور لبرزت الحسنات وصارت هي التي لها قيمة ، ولنجت المرأة من تهمة الغواية »

ويظلمها الرجل مرة ثانية حين يتوهم ان الحب باق الى الابد وانه لن يعروه فتور ثم يلومها حين تخمد الوقدة كأنما ذنبها ان الالفة قد اصابت الحب بالفتور وان الاحساس بجمالها لم يبق على حاله طول العمر

ويظلمها الرجل حين تتصارع الشخصيتان فيحط هو التبعة كلها على راسها الصغير كانه هو منزه عن الاخطاء ..

ويظلمها كل الظلم حين يعدها في سريرته اداة متعة ووسيلة ترفيه ولعبة يتسلى بها وان كان يظهر لها الاحترام والتعظيم والرعاية .. فاذا لم يجدها كما تمنى قال انها خيبت امله وقذفت به من الجنة الى الجحيم !!

— ٨ —

ولعل الصورة لا تتم قبل ان نعرف المازني الاب .. الثاكل فقد رزق المازني بابنتين ، ولكنه فقدهما ، وكان لموتهما في نفسه اثر عميق لا يبلغ الى اثر .. وقد اهدى كتابه « في الطريق » الى ذكرى الاولى منهما — ولم تكن الثانية قد ماتت بعد — والاهداء قطعة من الادب الخالد يضارع ارقى ما كتب الادباء في الرثاء . والمازني يتصور في هذه القطعة ان ابنته معه تلاطفه وتسامره قال :

« في بعض الاحيان اكون جالسا الى مكتبي قبل طلوع الشمس ، وامامي الالة الكاتبة ادق عليها ، وارمي بورقة اثر ورقة والى جانبي فنجان القهوة رشف منه واذهل عنه ، فاحس راحتيك الصغيرتين على كتفي فادير وجهي اليك ، وارفع عيني لاصبح على بستان وجهك ، واستمد من ابتسامة عينيك النجلاوين ، والتراد شعرك النضير ما افتقر اليه من الجلد والشجاعة ، وارفع يدي فاطوقك بذراعي ، واملك في حجري ، واضمك الى صدري ، والثم خدك الصابح ، وامسح خدك المرسل على ظهرك وجانب محياك الوضيء واتملى بحسنك والثر في كهف صدري المظلم نور البشر والطلاقة ..

« انا انظر اليك و في قلبي سكينة ، وجوي من قربك معطر .. والمح شفتيك الرقيقتين تختلجان وعينيك تلمعان فتطيب نفسي بسرورك الصامت ، ثم اسمع ضحكتك الفضية ، وارى الانفعال وجهك الحلو بالرقة فيستطيرني الفرح ويستخفني الجذل .. وتصافح سمعي من ضحكاتك العذبة موجات لينة ثم تعتدلين على ساقي وتدفعين ذراعيك فتطوقين بها عنقي وتجذبين وجهي اليك ولكنك تشفقين على رقة شفتيك من خشونة خدي .. وتخرجين بعد ان خلفت في صدري انشراحا ، وفي قلبي رضا ، وفي روحي خفة ، وفي نفسي شغفا ، وفي عقلي قوة ، وفي املي بسطه واتساعا وفي خيالي نشاطا ، فاضطجع مرتاحا واغمض عيني .. بل افتح العين على جثة صغيرة حملتها بيدي هاتين الى قبرها ، وانزلتها ووسدتها التراب بعد ان سويته لها بكفي ، ورفعت من بينه الحصى الدقاق ثم انكفات الى بيتي جامد العين وعلى شفتي ابتسامة متكلفة .. »

ظل المازني يعيش مع ابنته في الخيال .. لم يعوضه لها شيء في الحياة حتى ابنته من زوجته الثانية التي ما لبثت ان فقدها ايضا

المازني الابن البار بامه ..

المازني العاشق ..

المازني الزوج ..

المازني الاب الثاكل الحزين ..

كلها صور حقيقية من الانسانية الناضجة الرفيعة لابد ان نضمها الى المازني المفكر حتى تكتمل الصورة ..

●●

لورنس والحبيبة الحالمة

● د . سليم الاسيوطي ●

● منذ قرابة ستين عاما مضت تقابل عاشقان في مدينة فرشوتر باى في جزيرة ويت من اعمال انجلترا ، لقضاء اجازة اسبوع معا..

كان الرجل مدرس موسيقى ، في التاسعة والثلاثين من العمر ، وهو متزوج واب لاربعة اطفال .. وكانت الفتاة مدرسة من مدينة « كرويدون » تصغره باربعة عشر عاما ..

وقبيل لقائهما على الجزيرة ، كانت الفتاة قد تعرفت الى شاب مدرس من وسط انجلترا يدعى « ديفيد هربرت لورنس » ، قدم حديثا الى لندن ، تداعب خياله احلام طموحه في ان يكون كاتبا .. وبالمصادفة المحضة ، كان هو ايضا يمضي اجازة على الجزيرة في « شانكلف » بصحبه امه ، بينما بقيت صديقته « جيزي تشامبرز » في دارها في « نوتنجهام » .

وبعد قضاء خمسة ايام مع في الجزيرة مع الفتاة واسمها هيلين بورك ، عاد مدرس الموسيقى الى بيته . ووضع نهاية لحياته بيديه ..

وكان المدرس الذي عرفته في «كرويدون» باسم د. هـ. لورنس ، قد اصبح كاتبا مشهورا ، اتخذ منها بطلة ، في روايته الثانية « الاثم » ، حيث وصفها بقوله : « كانت تنتمي الى طبقة النساء الحالمات » .. ولكن على الرغم من وصفه هذا فقد كانت حتى الخامسة والثمانين قبيل وفاتها يقظة ـ عملية التفكير ..

كانت الفترة فيما بين عامي ١٩٠٨ ، ١٩١٢ ، هي التي ارتبطت فيها هيلين بلورنس ، وكان ابان عملها بالتدريس.

كانت احداث هذه القصة تصف الفجيعة التي حلت بهيلين بموت مدرس الموسيقى « سيجموند » فقد كانت في هذه الفترة تسجل انطباعاتها من هذه الكارثة التي نزلت عليها .. وعرف لورنس ماتكتب ، فابدى رغبته في ان يقرا بعض ماكتبته. فقدمت له المخطوط الذي اطلق عليه « الشعر المنثور ».

والآن لنتساءل الى اى حد جاءت رواية لورنس « الاثم » معبرة صادقة من الحادث الفاجع الذي نزل بهيلين لموت سيجموند منتحرا ؟

لاشك أن جزءا منها كان محض خيال ، اما خاتمة القصة فهي من عمل لورنس وابداعه بكل ما اوتي من خصائص الذكاء وسمات الكاتب القدير.

ونعود لنتساءل هل كان ماكتبه لورنس يعطي تفسيرا معقولا ، مقبولا ، صريحا واضحا للاسباب التي دفعت بذلك التعس الى اتخاذ مثل هذا القرار الرهيب بالاقدام على شنق نفسه ، في بيته بين زوجه واطفاله ؟

في الحقيقة انه مهما تكن الاسباب والدوافع وراء هذه الفعلة الشنعاء فان لورنس قد بلغ الذروة في تصويره لبطل المأساة ، وضحية الحب وفريسته ان التعبير قوى والتصوير نابض بالحياة جياش بالحيوية ، يتميز بروعة الصياغة وقوة البناء . كما ان العمل في مجموعه يتضمن قدرا كبيرا من آراء لورنس ووجهة نظره في السلوك نفسه ، وموقفه منه . فهو يعطي تفسيرا معقولا ومقبولا لهذا الخطب الجلل .

واذا ماعدنا بالذاكرة الى فترة مابعد الفاجعة التي طاشت بلب هيلين لانتحار سيجموند ، والتي نجمت عن زيارتها لجزيرة « ويت » تبين لنا انه كان الرجل الفن الذكي ، بعيد النظر ثاقب الفكر ، بالاضافة الى تعاطفه الكبير معها في محنتها

تحقق للورنس بهذا النصح والتوجيه ، الخروج بها من محنتها ، باختياره لمواد القراءة ، وتعاطفه مع



ديفيد هربرت لورنس

القصة كلها واهتمامه بها .

لقد تأكدت ان اللقاء ثانية بالراحل العزيز ، سيجموند ، لن يكون فى اى مكان آخر . فاصاخت الى الناصح ديفيد ، ومالت اليه وقد اراده صادقا مخلصا ان ياخذ بيدها على الطريق الامثل ، الى مرفأ الخلاص والنجاة .

قرأ لها : « النساء الطراوديات » قرات فيها ماساتها الذاتية فلقد جعل لورنس الماساة الشخصية تلتقى بالماساة الانسانية . وهكذا نجح فى مواساتها وتضميد جراحاتها .

واثمر كل هذا الجهد المخلص المتفانى ، صداقة وثيقة العرى بين هيلين ولورنس .. ان لورنس فى مؤلفه « ساجا سيجموند » تقمص شخصية البطل وشعر بشعوره ، باسلوبه ، فهو صريع هوى هيلين ، كما فعل سيجموند من قبله ..

ولكنها رفضت هذا الوضع قائلة بانها ليست مستعدة لقبول هذا الحب خاصة وقد راح حبه لها ، بعد كتابة « الساجا » يتجه اتجاها حسيا .

ونتساءل لماذا لم تبادله هذه الاحاسيس والعواطف ، فتجيب هى عن تساؤلاتنا : لقد اسفت لاننا لم نكن نستطيع ان نظل سادرين فى علاقاتنا على هذا النحو من الالفة والود . لقد كان ذلك مستحيلا كما ان الوود لم يكن ليستمر فى زواجنا ، فانى واقعية بطبعى الى ابعد حدود الواقعية وكنت ادرك تمام الادراك معنى زواج يجمع بين اثنين محدودى الدخل ، أو لا موارد ثابتة لهما على الاطلاق ، يعيشان فى ضواحى المدينة .

ادركت هيلين ان بزواجهما ، سوف يقتل احدهما الآخر ، أو سوف يقضى كل منهما على افضل مافى الآخر .. وبالاضافة الى هذا ، او اولا وقبل هذا ، من وجهة نظرها كانت ، .. فمازالت فى حياته الحبيبة « موريل » « جيزى تشمبرز » . وهذا يزيد الامور تعقيدا .

كانت « جيزى » متيمة بحبلورنس ولكن هذا الحب لم يكن مجرد ميل حسى نحو رفيق لها ، بل كانت نظرتها اليه اعظم من ذلك بكثير كانت ترى فيه المخلوق البشرى الاسمى ولا ضير عليها فى ذلك ، فلقد كانت قليلة الخبرة محدودة التجربة لم تتعرف على الكثيرين من الرجال . وفى الوقت نفسه كانت تربطهما أواصر صداقة قديمة بعرى وثقى ، صنعتها الكتب التى كانا يتبادلانها ، لقراءتها والحديث عنها ، على امتداد خمس سنوات ، فكانت الانسانة الوحيدة التى استطاعت ان تروى غلة اهتماماته الادبية

كان لورنس يطمع فى الافادة من هذا النشاط الادبى لاقامة صلات حسية بها . ولكن بعقليتها السوية كانت تكرس تفكيرها للحياة الزوجية التى تجمع بينها وبين من تحب ، فى شركة

مقدسة مثالية . ولكن كانت هناك امه التي تعارض علاقاتهما اطلاقا ، وترفض صداقتهما بل حبهما ، شكلا وموضوعا منذ البداية ، للهوة الاجتماعية التي تفصلهما .

تعددت اسماء « جيزى تشمبرز » فهى « جيزى » فى الاصل و « اصلى » فى رواية « الطاؤوس الابيض » ، ثم « ميريادر » فى رواية « ابناء وعشاق » .. واخيرا « موريل » فقد جاء فى مستهل قصة قصيرة له : « بعثت الى « موريل » بعض زهور الربيع . وعلى هذا بقى الاسم لايتغير طوال صحبة لورنس وهيلين ، اذ لم يرد اسم جيزى بينهما بعد ذلك .

كانت « جيزى » فتاة جذابة جميلة فاتنة ، تأسر الالباب وتسبى العقول حتى ان هيلين قالت عنها فى سيرتها الذاتية : انها هامت بهاحبا ولم يهدأ لها بال حتى صارت لها صديقة وحبيبة الامر الذى لم يتحقق قط بينها وبين لورنس ، على الرغم من محاولاته المستميتة المتصلة التى ظل يبذلها طيلة فترة اتصالهما وتواصلهما .

تدهورت العلاقات بين « موريل » ولورنس ، ويرجع هذا للظروف القاسية التى حاقت به بسبب مرض امه بداء السرطان ، وادراكه للحقيقة المؤلمة بانها سوف تودع الحياة فى غضون شهور قليلة ، بالاضافة الى الذكريات المريرة عن حياة امه مع ابيه ، وما لاقت منه من خسف وعسف جعلا لورنس يفيض عليها حبا وحنانا ، ويبذل نفسه عطفا وشفقة فلا عجب ان حزن او شقى ، وصبغ هذا الحزن وهذا الشقاء شعره فى هذه الفترة ، وترك اثاره وبصماته . ولكى يخفف عنها الامها واوجاعها ، ويسرى عنها احزانها ، استسلم لكل مطالبها ونفذ كل اوامرها ونواهيها وفى مقدمتها قطع صلته بالفتاة «جيزى » ..

ومما ساعد على هذه القطيعة بل وعجل بها ، ان « جيزى » كانت قد قرات مسودة « ابناء وعشاق » وبطلتها « جيزى » باسم « ميريام » ، ورضيت عن الصورة التى رسمها لها ، ولكن لما عادت وقرات تجارب المطبعة وجدت اختلافا كبيرا فيها عما قرات فى المسودة ، فلم تركن من صورتها فيها لانها جاءت مناقضة لصورتها فى المسودة . وصدمتها هذه الصورة ، صدمة طاشت بصوابها . فما كان منها الا ان اعادت له خطاباته وقطعت صلتها به .

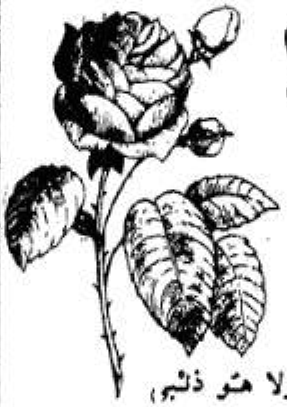
ولم يكن لورنس ميالا بطبعه الى الذكيات من النساء ، كما لم يكن يرغب فى زوجة مثقفة تكون ندا له . وكانت هيلين امراة حالمة ، فلم يرها قط الا وهى مستغرقة فى تاملاتها ، سادرة فى احلامها . وكان هذا احب مايجذبه اليها ..

لم تكن الحياة لتستمر على هذا القرار ، فلا مندوحة من ان تسؤذن شمس صلاتهما بالمغيب فجاء لقاؤهما الاخير ، عندما ذهب لورنس الى بورتسموث لقضاء فترة نقاهة ، بعد شفائه من مرض الم به وفى طريق عودته مع صديقه ادوارد جارنت كتب اليها مقترحا لقاءها فى فكتوريا لقضاء بعض الوقت معا فلبت رغبته وتم اللقاء ، وتناولا الشاى معا وبعد مرور فترة طيبة جميلة من حلو الحديث غادروا فكتوريا الى « ولدنجهام » حيث نزلت هيلين وتركته ليواصل بقية رحلته ومن على رصيف المحطة لوحت له بيدها مودعة ، وافترقا .

كان هذا الفراق او الافتراق نهاية المطاف حقا ، لانه من بيت صديقه ادورد جارنت الذى كان يعايشه انذاك كتب لورنس الى هيلين يدعوها الى الذهاب اليه والاقامة معهما . ولما لم يكن لهذه الدعوة مايبررها فقد انكرتها واستنكرتها ، وكتبت اليه ترفضها رفضا باتا ، وتلومه عليها اشد اللوم واعنفه .

لقد اصبحت « هيلين كورك » ذكرى عطرة مقدسة فى اعمال لورنس فهى حاضرة فى كل صفحة من صفحات كتبه وفى كل بيت من دواوين شعره ،

ليس ذنبي!



• محمد حليم حامد غالي •

أنا أسرفتُ في هواكَ وحبي
ليس ذنبُ الهوى ولا هو ذنبي

أنت رفرفت كالخيال بعيني
فانتشى الوردُ من مراشف حبي

وتسللت فكرةً في ضميري
وتلظّى على لهيبك جنبي

وكأني أقولهُ في صلواتي
رغم طولِ العذاب: أحبب صبري

ما عرفتُ الحياةَ حتى التقينا
فزرعنا الهوى على كلِّ درب

وهمسنا إلى الوجود بنجوى
فانتشى الكونُ من مراشف حبي

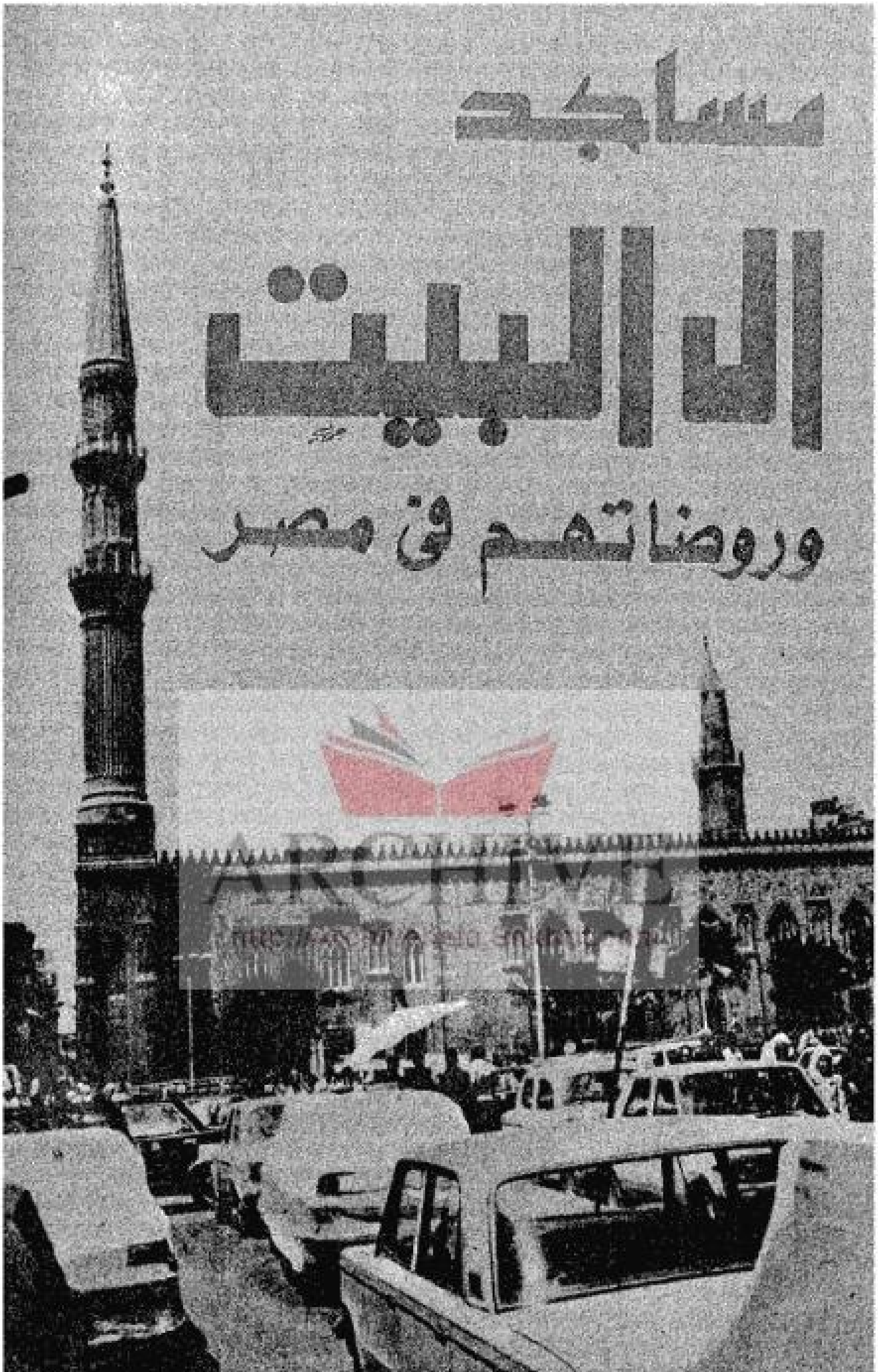
كلُّ صبٍّ يعيشُ طيَّ هواهُ
وأنا عشتُهُ في هوى كلِّ صبّ

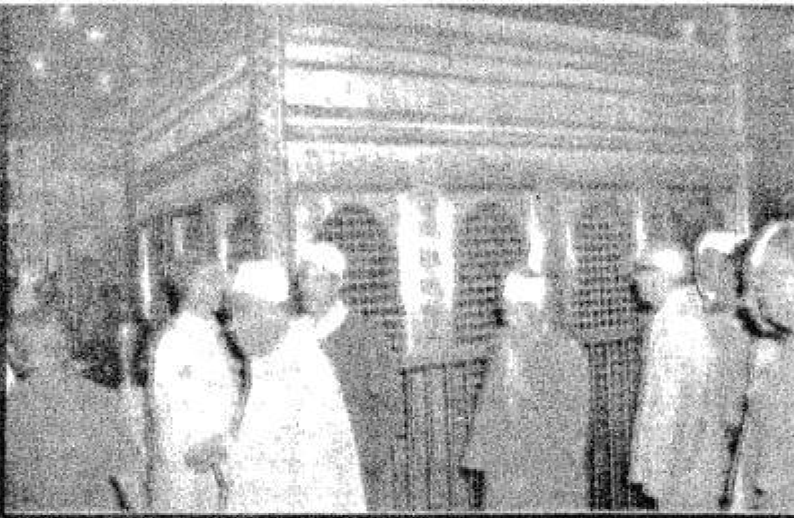
في صلاةِ الجمال .. والخير دعني
وازرعْ الحبَّ والحنانَ بقلبي !

واجعلَ النور حين تلمحُ عيني
... فعيناي واحةٌ للمحبِّ

واعشق الكونَ فالحياةُ جمال
وجمال الوجودِ صنعةُ ربي ...

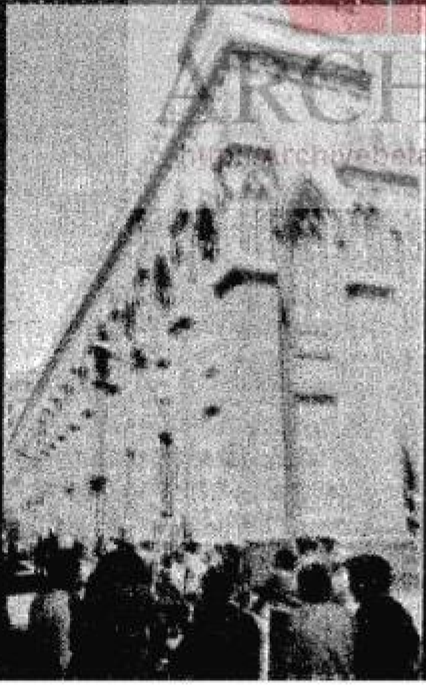
لا تعُدْ بي إلى ضجيج الليالي
يا حبيبي .. وخلّنا لا تعدْ بي !


مساجد
آل البيت
وروضاتهم فى مصر



المشهد الحسيني

بنى مسجد الامام الحسين أول الامر على يد الوزير الفاطمي طلائع دزبك سنة ١١٥٤م وجدد مسجد الحسين صلاح الدين الايوبي والبناء الحالي يرجع الى ذلك العصر وخاصة مغارة باب المشهد الحافلة بالزخرفة من كل صنف واعيد بناؤه وتوسيعه على يد السلطان سليمان القانوني وقد تهدم هذا البناء فاعيد سنة ١٨٧٣ وتم البناء سنة ١٨٧٨ واشرف عليه على مبارك باشا وراتب باشا والصور الثلاث المنشورة على هاتين الصفحتين تبين المقصورة والمنبر وجانب من المبنى من الخارج .





لا تضم عاصمة من عواصم الاسلام من مساجد آل البيت رضوان الله عليهم ، ما تضم القاهرة .. فهنا مقام سيدى الحسين ابن على ، ريحانة اهل الجنة وسيد الشهداء ..

وهنا مقام السيدة الطاهرة زينب بنت الامام جعفر الصادق عالم اهل البيت وخامس الائمة من آل البيت ..

وهنا مقامات السيدة نفيسة والسيدة عائشة والسيدة رقية ، وكلهن من آل البيت النبوى الكريم ، ومقاماتهم بركة اهل مصر والعالم الاسلامى كله ..

وقد كتب المؤرخون كثيرا عن أصالة وجود الاجساد الطاهرة فى مساجدها فى القاهرة ، لان بلادا اسلامية اخرى تقول ان روضات آل البيت هؤلاء عندها ، ولكن كبار مؤرخينا مثل السيوطى فى « حسن المحاضرة » والمقريزى فى « الخطط » وأبى المحاسن بن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ـ يؤكدون ان الله شرف القاهرة بآل البيت .. ونحن نؤيدهم فى ذلك ، ونؤيد كذلك ما يقال من أن الموجود من آثار سيدنا الحسين فى القاهرة هو رأسه الطاهر وشىء من شعره ، لانه العبرة ليست فى الوجود المادى وانما الوجود المعنوى والروحى ، وحتى لو ان الاجساد الطاهرة كانت فى القاهرة حقا فهى الآن ، ومنذ قرون تراب طاهر ، ونحن نتبرك بأهل البيت بمجرد ذكر الاسم ، فما معنى التحقيق التاريخى فى موضوع كله روح وايمان ..

اننا نتبارك بآل البيت جميعا ، حتى الذين لا يوجدون فى مصر ، لانهم آلنا وبركتنا وحمايتنا ، فما بالك بمن هم فى مصر بين ظهرانينا ، ان كل مصر محروسة بهم مباركة بوجودهم فيها ، وما من انسان من اهل مصر الا ويحس ان زيارة آل البيت فريضة يفرضها عليه قلبه ، وبركة لابد ان يلتمسها لنفسه وآله وبقية الخلق ، ولقد مرت بمصر ازمات ونكبات فما حفظها منها ونجاها من شرورها الا آل البيت رضوان الله عليهم اجمعين .

وقد اجتهدنا فى هذا التحقيق ان نقدم لقارىء الهلال فى شهر رمضان صورة مادية ومعنوية لروضات آهل البيت ، وأول ما استوقف نظرنا ان مسجد الحسين رضى الله تعالى عنه فى مبناه الجديد الذى انشىء فيما بين سنتى ۱۸۷۳ ـ ۱۸۷۸ يتميز بظاهرة غريبة جدا ، وهى ان عمارته قوطية لا اسلامية ، ويتجلى ذلك فى النوافذ المزدوجة على هيئة حدوة الفرس المدببة ، وهى الهيئة المعمارية المميزة للكنائس القوطية الطراز ، فعقودها ونوافذها أقواس مدببة من الطراز المسمى شوك السمك ، لان العقود تنساب من القمة المدببة كما ينساب شوك السمكة من عمودها الفقرى .

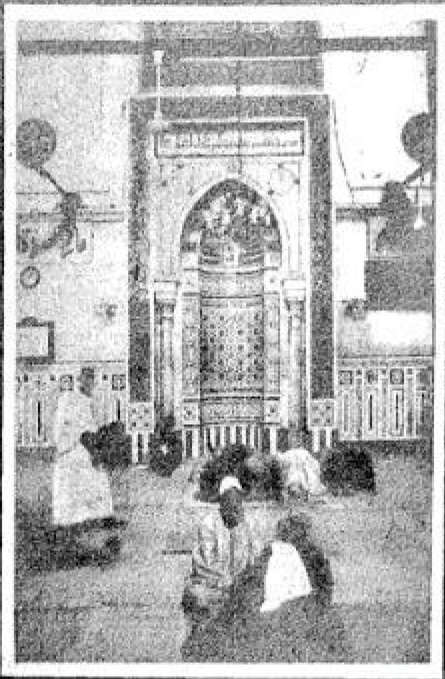
ولم يتنبه الى هذه الظاهرة أحد من المعماريين المصريين الا الاخ الدكتور محمد فريد شافعى وقد تناقشنا فى الموضوع ووجدت ان الفكرة التى عندى عنده ، وقد اطمأنت نفسى لذلك : لاننى لست معماريا ولا أثريا ولكننى مؤرخ وعاشق للمساجد .

ولقد قرأت ما كتبته الاستاذة الفاضلة الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها المبدع عن مساجد القاهرة وأوليائها الصالحين ، وأفدت منه كل الفائدة ، ولم اشأ أن أكرر هنا ما ذكرته من المعلومات التاريخية المعمارية القيمة عن مسجد الحسين رضى الله عنه وأرضاه . فمن شاء أن يعرف عن عمارة المسجد شيئا فالكتاب بين يديه ، ولكن الاستاذة الجليلة لم تشر الى ظاهرة العناصر القوطية فى المسجد ، وحبذا لو سمعنا رأيها فيه .

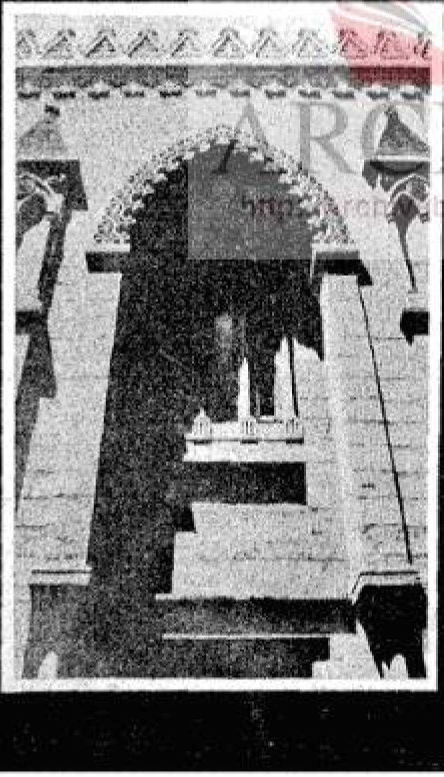
وقد حرصت فى هذا الاستطلاع على أن آتى بصور كثيرة من نوافذ المشهد الحسينى وأبوابه ، وخاصة ما كان منها تحت المئذنة وفى الواجهة المطلة على ميدان المشهد الحسينى لكى يتأمله المعماريون ويروا رأيهم فيه ..

والسؤال الآن : كيف تطرقت العناصر المعمارية القوطية الى هذا الاثر الاسلامى

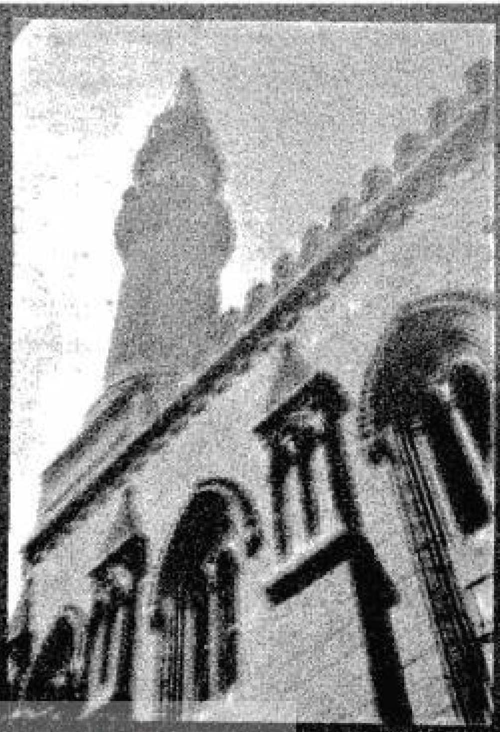
الجواب ان الحكومة المصرية عندما ارادت تجديد مبنى المشهد الحسينى فى





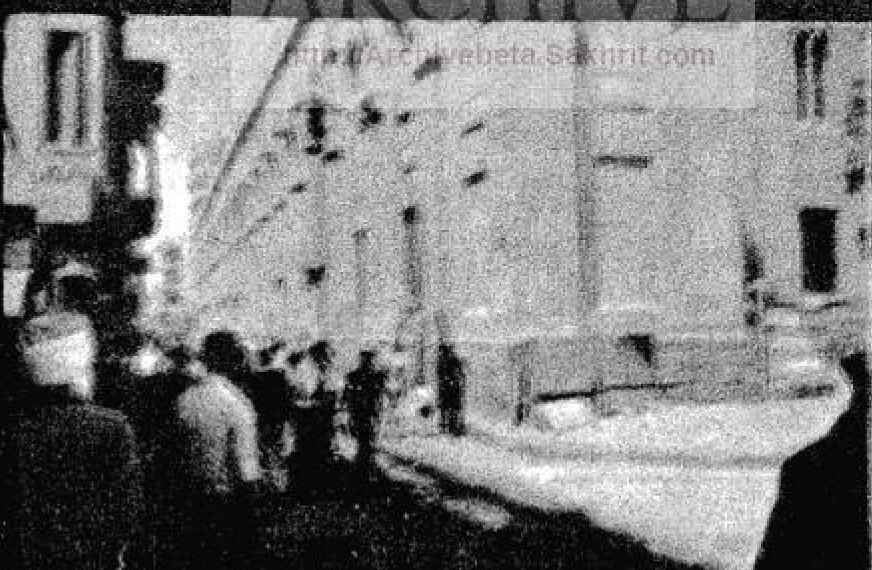


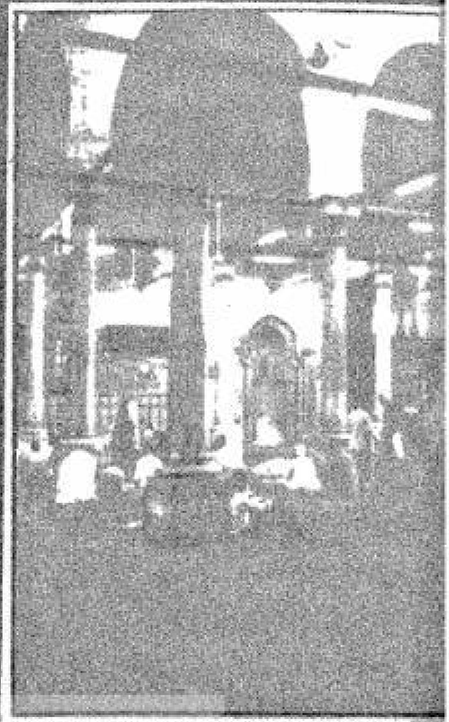
في هذه الصور الثلاث يرى القارىء منظرا لجزء من المنبر واحدى قبلتي المسجد وكذلك بوابة المدخل الرئيسي ويلاحظ أن المنبر آية من آيات الصنعة العربية في الزخرفة على الخشب وفي المشهد الحسيني قبلتان قديمة وجديدة والصورة هنا للقبلة القديمة اما الصورة الثالثة فهي للبوابة الرئيسية للمسجد ويلاحظ أن في عمارتها عناصر قوطية لم يتنبه لها القليلون من المعماريين وترجع هذه العناصر القوطية الى أن الخديو اسماعيل استخدم مهندسا ايطاليا انشأ النوافذ والبوابات على الطراز القوطي المستخدم في الكنائس وليس في ذلك ما يشين المسجد فيما نعتقد ولكنها ظاهرة عجيبة. •

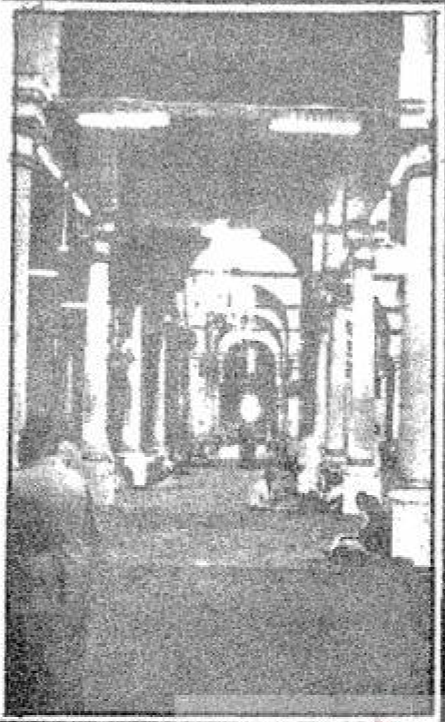


في الصورة التي الى يمين هذا الكلام منظر فريد لجزء من واجهة المشهد الحسيني تحت المئذنة وترى فيها بوضوح العقود والنوافذ القوطية الطراز حتى النوافذ تجدها مقسمة الى عقود داخلية زخرفية من الحجر المنحوت بغاية الدقة والعناية ، وهذه ظاهرة لم تعرفها العمارة الاسلامية قط ، وكما قلنا ان ذلك لا يعيب عمارة المسجد فهذا عمل فني ، والفن الاسلامي اقتبس الكثير من فنون أخرى ، ولكن الجدير بالملاحظة ان المعماري الايطالي عرف كيف يطوع تلك العناصر القوطية لاصول العمارة الاسلامية .

أما الصورة السفلى فلجزء من بيت الصلاة وترى فيها أعمدته الجميلة .









هـذه الصـور الثلاث اخذت داخل بيت الصلاة فى المشهد الحسينى والصورة اليمنى تبين جانبا من بيت الصلاة باعمدته الرخامية الجميلة وعقوده المستديرة والصورة الثانية (فوق) للقبلة القديمة فى المشهد الحسينى وكذلك المحراب وهو ملبس بالرخام الملون وهذه القبلة بنيت من انشاء السلطان سليمان القانونى وتبدو واضحة فى المبنى الذى انشاه ذلك السلطان العثمانى تكريما للامام الحسين رضى الله عنه ومن المعروف ان الامام ليس مدفونا فى هذا المسجد بل فيه بعض اجزاء من جسده الطاهر وخاصة راسه الذى اتى به الى مصر فى العصر الفاطمى.



●●●

الصورة الكبيرة اليسرى على هاتين الصفحتين تمثل رواق القبلة في المشهد الحسيني في اتجاه المحراب ويتجلى فيها بيت الصلاة للمسجد أما الصورة الثانية التى الى يمين هذا الكلام فقد اخذت الصورة من ناحية جدار القبلة المواجه لباب أخذت لقاعدة المئذنة الجديدة التى بنيت فى العصر العثمانى واعيد بناؤها على مثل شكلها ١٨٧٣ م فى القرن الماضى واشترك فيها كما قلنا مهندس ايطالى ادخل فى المسجد بوابات وعقودا ونوافذ على الطراز القوطى وهذا واضح هنا حيث نرى العقود المدببة على هيئة السلاسل الدقرية المسمكة وهو طراز من العقود لم يعرف الا فى طراز العمارة القوطية .

●●●

أوائل العشرينيات لم تجد فيها تقنى معماريا مصريا يقوم بهذه المهمة ، وكانت موضوعات الآثار كلها فى أيد فرنسية ، فاستقدم الفرنسيون مهندسين ايطاليين خاصة لكى يقوموا بتلك الاعمال ، ومن أولئك المعماريين ماريو روسى الذى انشأ جامع أبى العباس المرسى فى الاسكندرية وبنى عددا عظيما من مساجد مصر فصلنا امرها فى كتابنا عن المساجد الذى استقصينا فيه تاريخ ماريو روسى ،ذلك المعمارى الايطالى الذى عشق الاسلام وفنونه وعمارته واسلم لله تعالى ، وبنى مساجد تحفةمن آيات العمارةالمساجدية الاسلامية الحديثة مثل مسجد أبى العباس المرسى ومسجد المنتزة وغيرهما .

ومن أجل ما صنعه روسى انه جمع كل الوحدات المعمارية الزخرفية التى وجدها فى المساجد رسمها فى لوحات وأنشأ بذلك أطلسا كاملا للزخارف والاشكال المعمارية الاسلامية فى مصر .

وهذا الاطلس لم ينشر ، وهو موجود فى مخازن وزارة الاوقاف .

وعندما كان الصديق الأكرم الاستاذ الدكتور عبد العزيز كامل وزيرا للاوقاف قصدته ورجوته أن يستخرج هذا الذخر لتنشره وزارة الاوقاف ، واهتم العلامة الكبير بالامر ، وبدأ البحث ، ولكنه غادر الوزارة قبل ان يتم ، وأرجو الآن أن يعنى الاخ الوزير الجليل العلامة الدكتور زكريا البرى بذلك الموضوع ، فيستخرج هذا الذخر وينشره ،ويكون ذلك مساهمة جليلة من وزارة الاوقاف المصرية فى الاحتفال بدخول القرن الهجرى الخامس عشر .

بقى الآن أن نسأل : هل هذه الاشكال الهندسية القوطية التى توجد فى مبنى المشهد الحسينى من عمل روسى فى أول قدومه مصر ، أى قبل أن يتشرب الفن الاسلامى ويقوم فيه بعمله الجليل ؟

انا شخصيا لا أظن ذلك ، بل اظن ان

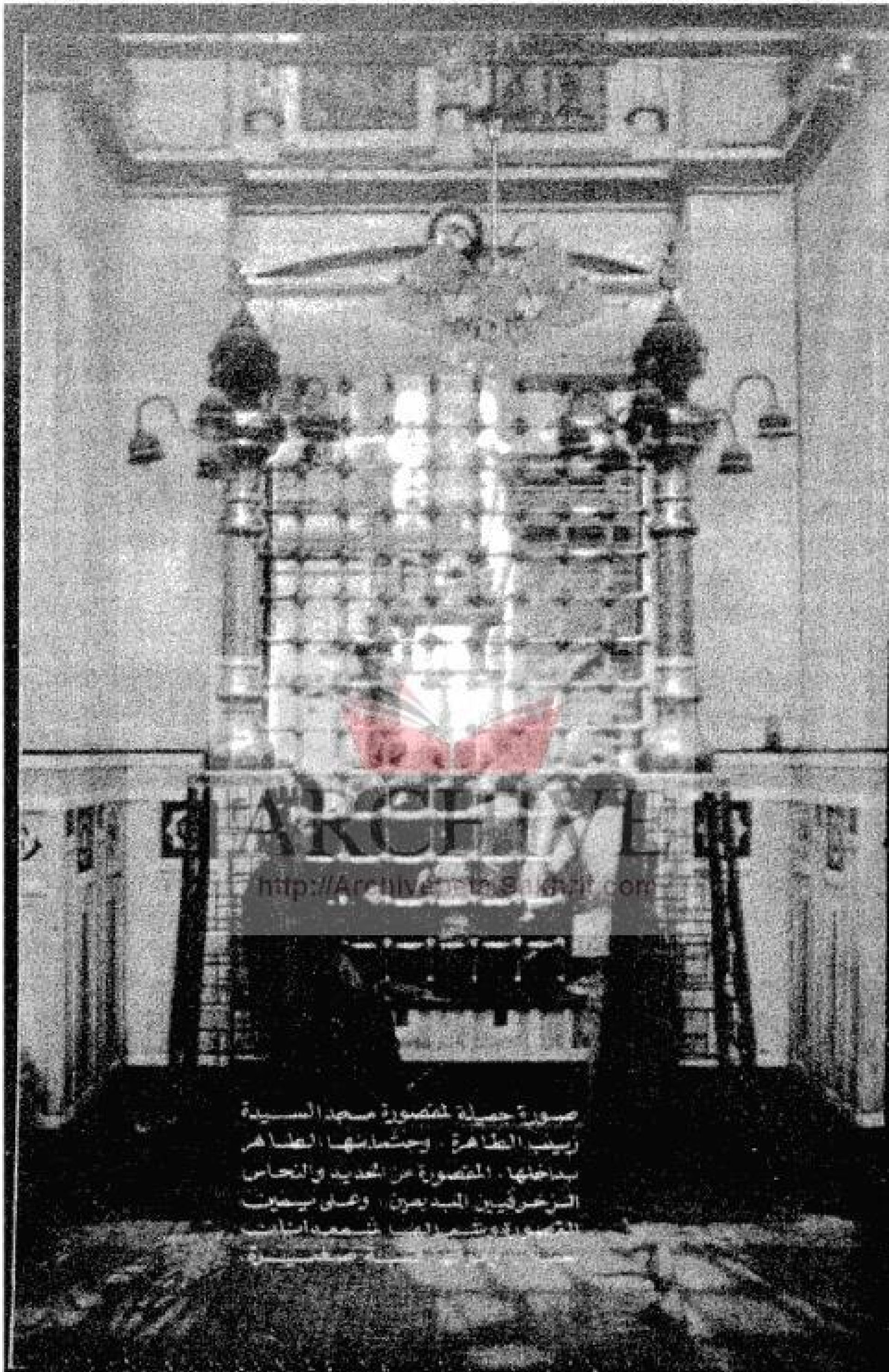


المشهد الزينبي



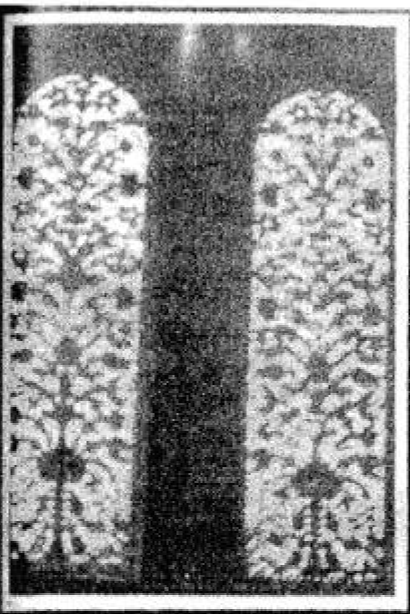
ترجع الهيئة الحالية لمسجد السيدة زينب بنت الامام علي بن ابي طالب عقيلة بني هاشم الى سنة ١٨٩٨ م ففي ذلك الحين تم توسيع المسجد وأنشئت وجهته وبواباته الجميلة الباقية الى اليوم وكذلك انشئت مئذنته المملوكية الطراز ويلاحظ من صورة الوجهة وجزء من جدران المسجد الخارجية فخامة هذا المبنى وجماله ومن اسفنا ان الناس لم يحترموا جلال هذا المسجد العظيم فاستولوا على الكثير من الاراضي الموقوف عليه وانشأوا فيها مساكن لهم ودكاكين مما يشوه جمال المسجد ويعتبر عدوانا عليه ، الصورة الثانية اسفل المسجد من الخارج ·



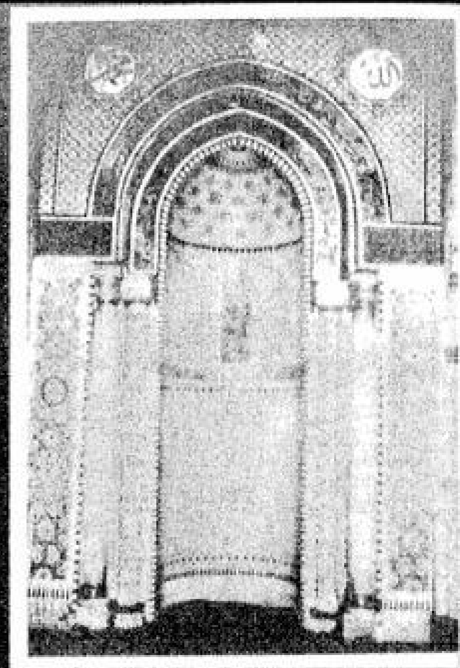


صورة جميلة لمقصورة مسجد السيدة زينب الطاهرة . وجثمانها الطاهر بداخلها . المقصورة من الحديد والنحاس الزخرفيين المبدعين . وعلى جوانب [illegible] شمعدانات [illegible]

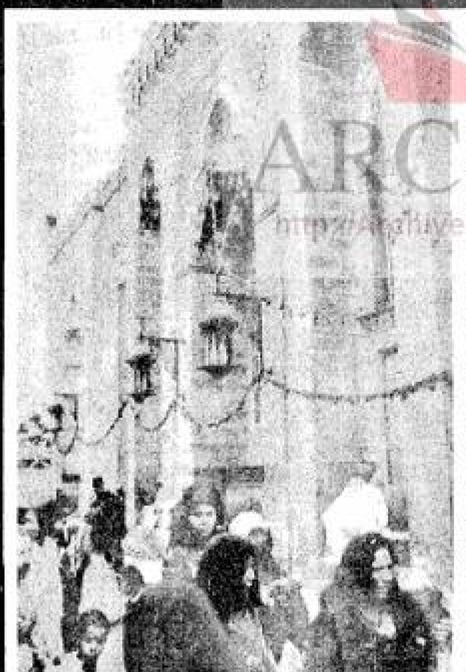
يتميز المسجد الرئيسي بجمال باهر لا يشوبه الا وجود طوائف من الناس داخل المسجد بعضهم يتسول وبعضهم يبيع الماء وكل هؤلاء يعتدون على جلال هذا المشهد ففي هذه الصورة ترى أحد الشبابيك الجميلة المزينة بالزجاج الملون ومثل هذه الشبابيك لابد من تنظيفها بعناية تامة مستمرة ومن أسف أن الساكنين داخل المسجد يشوهون نظافته ويحولون بين الناس والاستمتاع بجمال ذلك المسجد العظيم أما الصورة الثانية أسفل فهي لكرسي «القارىء» أو قارىء «السورة» وهو الذي يقرأ القرآن في صلاة الجمعة وهذا الكرسي احتله عدد كبير من علماء المقرئين نذكر منهم المرحوم الشيخ محمد رفعت منشىء المدرسة الحديثة في تلاوة القرآن ثم الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي





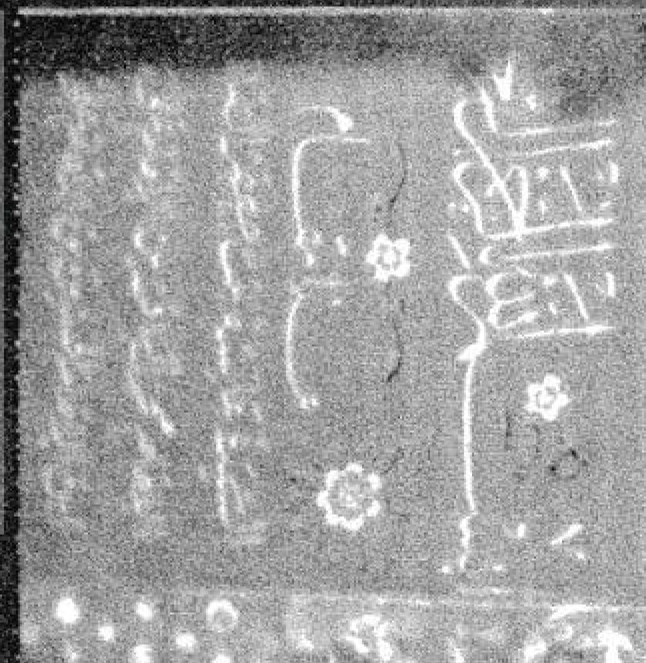






مجموعة من الصــــور اخذت داخل المشهد الزينبي في بيت الصلاة وكذلك في صحن الجامع وفيها نرى صورة كبيرة لقبلة المشهد الزينبي ومحرابه الزينبي من اجمل محاريب المساجد في القاهرة وفي الصورة الثانية (يسار فوق) نرى بعض مشاهد أولياء الله الذين دفنوا في صحن المشهد الزينبي وكان من المستحسن الا يدفن في هذا المسجد اى انسان وكانه مسجد خاص به لاننا نرى ان يكون المشهد الزينبي علما من اعلام العمارة الاسلامية في مصر وحرام ان تشوبه اى شائبة بل نحن ندعو الى اعادة تصميم وبناء ميدان السيدة زينب كله ليكون المشهد الزينبي مركزه لكي يتجلى جماله .

● مسجد السيدة عائشة بنت الامام جعفر الصادق خامس الائمة من أهل البيت ، وكانت من العابدات المجتهدات ، وفدت على مصر وعاشت فيها وتوفيت سنة ١٧٦٢ م

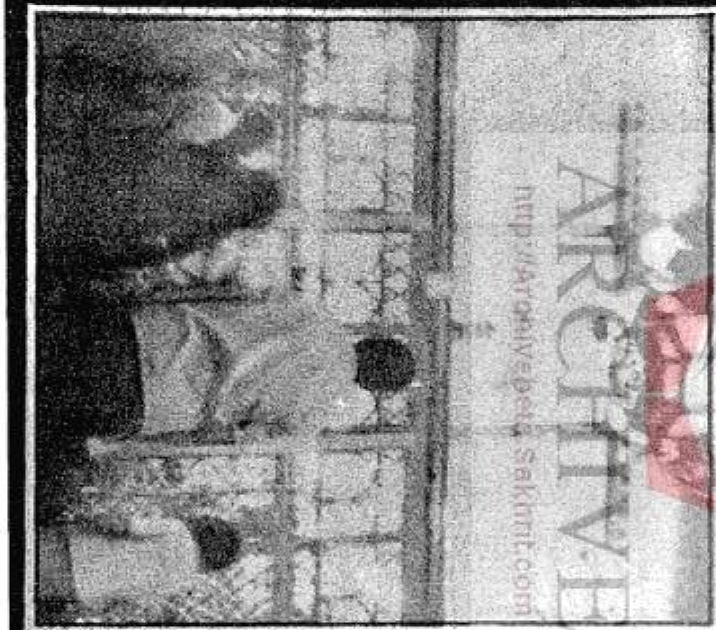


● مسجد السيدة سكينة وهي امنة بنت الحسين بن على ابن ابى طالب رضى الله عنهم وكانت من اهل العلم والتقوى والورع والجمال . وفدت على مصر وعاشت فيها وتوفيت ودفنت في المسجد المنسوب اليها .





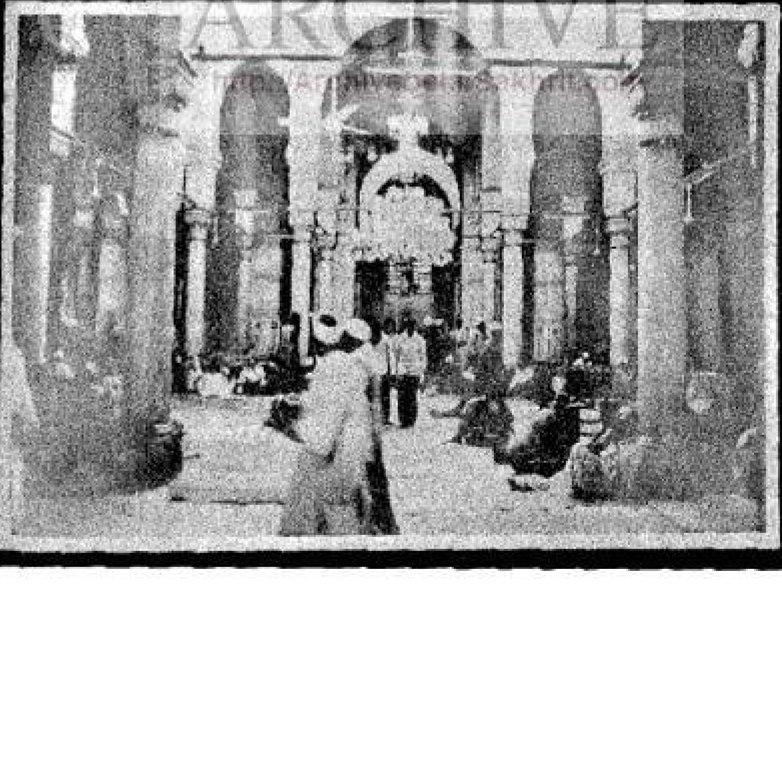
● المسجد المنسوب الى السيدة فاطمة النبوية ولا نعرف عن حقيقة امرها شيئا ولكن مسجدها من المزارات المشهورة فى مصر ·



● مسجد السيدة نفيسة وهى بنت الامام الحسن الانور ابن زيد الابلج ابن الامام الحسن بن على ابى طالب ولدت فى مكة سنة ١٤٥ هجرية وتوفيت فى مصر سنة ٢٠٨ هجرية ·



مجموعة من الصور اخذت في داخل المشهد الزينبي يتجلى فيهامنظر المقصورة الجميلة التي يعرفها كل من زار مصر والتي يندر ان تجد مصريا او ضيفا على مصر لم يقرأ الفاتحة عندها وهي من اجمل المقصورات مصنوعة من الحديد والنحاس في زخرفة بديعة وفي الصورة ترى عددا من زوار المسجد يحفون بهذه المقصورة المباركة التي يستجاب الدعاء عندها وفي الصورة السفلى مشهد مألوف لكل زوار المسجد الزينبي حيث ترى الزوار يتجولون في بيت الصلاة الجميل بين الاعمدة والعقود التماسا للبركة .



واضع التصميم مهندس اوروبى آخر ، الغالب انه ايطالى ، لان الطراز القوطى الذى نجده فى عقود ذلك المسجدفرنسية الطابع وزجاج النوافذ الملون من نفس الزجاج الملون الفرنسى المستعمل فى الكنائس الفرنسية • وذلك موضوع نطرحه على المعماريين عندنا ـ وننتظر الجواب ••

***

ونتنقل الآن الى المشهد الزينبى ، وهو دون شك من اجمل مساجد القاهرة من الناحية المعمارية ، ولكنه دون مقام السيدة زينب ، فان عمارته متواضعة جدا ، فالبوابة ينقصها الجلال الجديرة بمقام السيدة زينب والعقود عادية لاتتميز بشىء وصحن المسجد خال من الجمال تقريبا وبيت الصلاة فى حاجة الى ترميم كثير • وحبذا لو جمعنا امرنا وقررنا ان نعيد النظر فى هذا المقام الجليل ، ونعيد انشاءه كله •

والذى يسوءنا هو ميدان السيدة زينب ، فهذا ليس ميدانا يناسب لمقام جليل مثل مقام السيدة زينب ، وليس من المعقول ان يترك هذا الميدان لكل انسان ليبنى فيه ما يشاء ، والمبانى التى تحيط بهذا الميدان وتواجه مقام السيدة لا تسر ، وهى متنافرة وفقيرة بل الكثير منها حقير ، ولا ادرى لماذا نحب آل البيت هذا الحب ثم يتمسك الواحد منا بعشرة امتار يملكها فى مواجهة المسجد ويبنى فيها بيتاشانها ليؤجره للناس ، فيسىء الى المسجد ويسىء الى نفسه • واؤكد ان اصحاب البيوت التى تقوم فى هذا الميدان يستطيع واحد منهم فقط أن ينفق من ماله الكثير على اعادة انشاء الميدان كله هذا مع العلم بأن مالهم كله قد كسبوه من السيدة زينب وبركات السيدة زينب ولكننا هكذا نصلى بشفاهنا اما قلوبنا فهى وراء الملاليم •

***

اما بقية روضات اهل البيت فقد سجلناها كما هى ،ولكننا نقول انها كلها فى حاجة الى اعادة بناء ، فلا مسجد السيدة عائشة جدير باسمها ،ولا مسجد السيدة رقية مناسبا لها ، ومن حسن الحظ انهم يعيدون بناء مسجد السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها ، والله اعلم كيف سينشئونه •

***

وقبل ان اختم هذا المقال عندى رجاء اتقدم به الى الوزير العالم السيد الصديق الدكتور زكريا البرى •

ما رايك يا سيدى فى أن تنشأ فى كل حى لجنة من اتقياء أهله وصالحيهم تسمى لجنة المساجد وظيفتها العناية بالمساجد وترميمها والقيام بنظافتها وحمايتها من عدوان الناس •

هذه اللجنة تكون لجنة اهلية تشترك فيها وزارة الاوقاف بأحد رجالها •وعندنا ناس كثيرون اتقياء ـ من اصحاب المعاشات والحجاج خاصة ـ مستعدون للعمل فى رعاية المساجد وحمايتها والمحافظة على رونقها بل غسلها بايديهم • هل يعلم الناس ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يشتركون بغسيل الكعبة بأيديهم ؟وهل يعلمون ان الظاهر بيبرس غسل الكعبة بيده وسأل الله ان يغفر له ذنوبه •

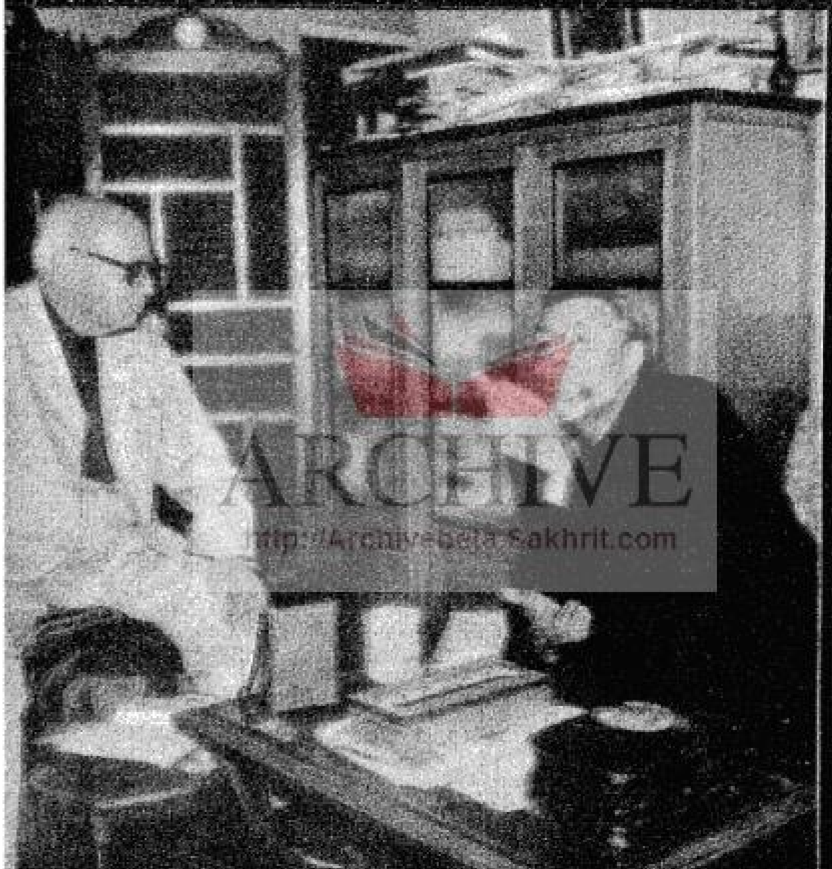
ماذا يمنع ان ننشىء لجان المساجد ويعمل فيها من يريد خشية لله تعالى ، وهل نحن اذا قلنا ان كل من يتقدم بطلب الحج يرفق به خمسة جنيهات للمساجد واحتفظت لجنة كل حى بما يتحصل لها من ذلك المورد . . هل يكون ذلك عسير التحقيق •

الاقتراح بين يدى السيد الوزير وهو رجل مقدام منشىء مجدد الى جانب علمه الغزير الذى يشهد به الجميع •

نفعنا الله سبحانه وتعالى ببركة آل البيت وبركات المساجد جميعا • وكل عام وانتم بخير •

●●

أجمل ماقال الشيخ
الإمام محمد متولى الشعراوى
فى حوار ممتع مع مجلة الهلال



الامام الشيخ محمد متول الشعراوى فى أثناء الحوار الطويل الذى جرى بينه وبين الدكتور حسين مؤنس ونشر بتفصيل فى المقال التالى

على طول ثلاث ساعات جرى الحديث بين امام عصرنا الشيخ محمد متولى الشعراوى ورئيس تحرير الهلال .. تناول الشيخ الامام كل موضـوع وفتح لنا قلبه ، وقال كل ما سأله عنه « الهلال » ، وكل ما يعجب قراء « الهلال » ..

تحدثنا عن تاريخ الشيخ وتجاربه الكثيرة فى الحيـاة ، واشتغاله بالسياسة ، وما كان له من يد طولى فى الجهاد القومى الى جانب جهاده الدينى ، فالرجل بطبعه مجاهد فى سبيل الحق ، فى كل موضع يضعه الله سبحانه وتعالى فيه ، وهو متدفق فى حديثه فى ذكاء وسرعة ، وحديث حلو سهل ممتع ، نرجو الله سبحانه ان يبارك له فى هـذه المواهب كلها ..

والحديث جرى فى ظلال ابى الشهداء مولانا الامام الحسين رضى الله عنه ، والشيخ من محبيه ، لا يغادر بيته هذا ليكون الى جواره ليستشرف ببركته ، وهو على الحق ، فقد كنا نتحدث معه واعيننا تقع بين الحين والحين على المسجد المبارك فيحار العقل بين جلال المشهد الحسينى وتدفق العلم الغزير فى كلام الشيخ الامام . ومن اجمل ما تلمسه فى جلوسك مع الشيخ الشعراوى بساطته البالغة وانسانيته الغامرة ، فهو شيخ الشيوخ واشهر علماء العصر فى عالم الاسلام كله ، ومع ذلك فانت لاتحس وانت تتحدث اليه بذلك التكلف الذى تشعر به وانت تتحدث مع غيره من الشيوخ وخاصة الكبار منهم ، وتلك فى ذاتها دليل علم غزير ، فان العالم المستوثق من نفسه لا يتكلف شيئا ولا يريد ان يرى النـاس فيه الا حقيقته .

وحقيقة الشيخ الشعراوى تنطوى على حقائق كثيرة منهـا الشـجاعة والايمان . والصدق . والذكاء اللماح ، وهذه كلها تتجلى فى ذلك الحديث الممتع الذى تفضل به على « الهلال » وقراء « الهلال » والذى نعتقد انه اجمل ما قال الشيخ فى احاديثه غير الدينية .

محمد متولى الشعراوى وأجمل ما حدّثنا به

● أجرى الحوار : عاطف فرج ●

● السيارة تمرق بنا فى شارع الازهر ، تهدئ الاخريات تارة، وتتلوى كالافعى تارات اخرى .. القباب من خلف مآذن احى العتيق تطل علينا شامخة . الف عام ويزيد تمر على هذه الابنية التاريخية .. هذه هى قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ..

وهنا يعيش امام عصرنا الشيخ محمد متولى الشعراوى .

اصوات الباعة تصم آذاننا الزحام يجرفنا فى تياره القوى . حبات المسابح التى لاتخلو منها يد هنا فقد جلالها لكثرتها ولان الزحام واصوات الناس الناس لا تتفق مع هيبتها . وانعكاسات الشمس فوق مشغولات خان الخليلى النحاسية والفضية تخطف منا الابصار .

روائح البخور تقتحم حواس الشم عندنا . تدافع الصبية فى كل اتجاه يثبت الحركة كانهم وقوف على اقدامهم سحر الماضى هنا يضيع بعض الشىء وسط جلبة الحاضر وزحامه .

اقدامنا تقودنا الى حيث يقيم شيخنا فضيلة الامام الاكبر الشيخ محمد متولى الشعراوى بجوار مولاه ومولانا الامام الحسين بن على رضى الله عنهما .

استقبلنا الرجل وبشاشته المعهودة تسبقه . مكررا بين الفنية والفنية عبارة اشتهر بها بين احبابه ومريديه « مرحبا بكم » ..

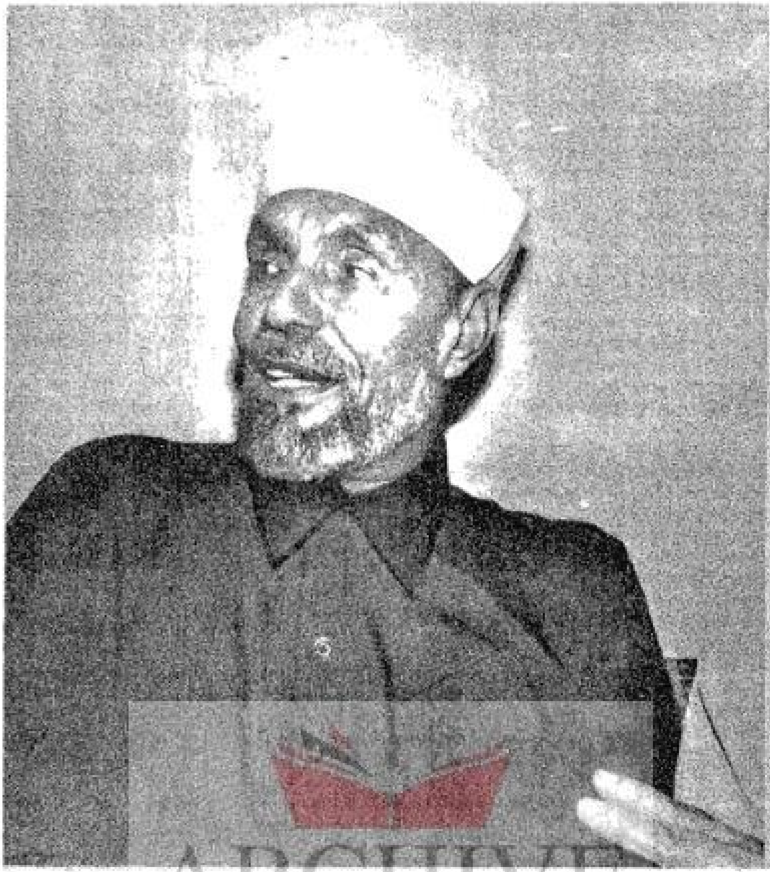
● مرفأ الطفولة ، أول مرافىء الذكريات

سعدنا ترحيب مولانا الشيخ . دار الحديث بيننا تنساب فيه الذكريات ، وتتداعى الاحداث كشريط سينمائى يمر أمام أعيننا ونحن نصغى الى الحديث الممتع الذى اشتهر به شيخنا ، فقد عرف فى عالم الاسلام كله بأنه صاحب الحديث الممتع أيا كان الموضوع الذى يتحدث فيه

فمن عام ١٩٨١ نعود القهقرى الى عام ١٩١١ سنة مولد الشيخ راكبين عجلة الزمن . فى انطلاقتها الميسرة ونقف عند أول مرفأ من مرافىء الذكريات : مرفأ الطفولة .

وآه لك أيتها الايام، كم فيك من جميل يضيع وسط الزحام فننساه الى أن يذكرنا الغير به لكن كم فى الطفولة من أيام سعيدة ، ولحظات حلوة تظل عالقة بأذهاننا مهما دارت بنا الايام ..

عود على بدء . والعود عام ١٩١١ . فى ذلك الزمان الذى كانت الحرب



فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى

العالمية الاولى تعلن ندرها الاولى فى اركان الارض الاربعة وتطير اخبارها الى الناس فى كل مكان الانجليز يضعون الايدى العالية على مصر ، والارجل لهم فى « القصر » معين ، وفى بيوت بعض الباشوات والباكوات نزل مكين .. بئس تلك الايام .. التى عاشت فيها مصر ..

فى هذا العام عام ١٩١١ ولد محمد متولى الشعراوى فى بلدة « دقادوس » فهذا هو المكان الذى حظى بميلاده .

ولانه كان الولد البكر لمتولى الشعراوى .وهبه والده للعلم والدراسة فى الازهر الشريف . فلم يكن غير الازهر باب — يلجه أبناء الفلاحين الذين يتوسم فيهم أهلهم النجابة ويتوقعون لهم المستقبل الزاهر — « بعد ان حفظت القرآن — حفظا مجودا — هكذا يقول الامام الشيخ — وأتممته فى سن الحادية عشرة . التحقت بمعهد الزقازيق الدينى .. وكان هذا المعهد يخص محافظتى الشرقية والدقهلية فى ذلك الوقت ..

ومضت الدراسة بالفتى المعمم الى أن « حصلت على شهادة الثقافة الازهرية فى سنة ١٩٣٦ انتقلت بعدها الى القاهرة طالبا بكلية اللغة العربية بالازهر وبعد أن تخرجت عينت بمعهد طنطا الازهرى مدرسا ، ثم فى ١٩٥٠ انتقلت للتدريس

فى المملكة السعودية وتنقلت فى وظائف سلك التدريس حتى وصلت الى الاستاذية ، وقد عدت الى مصر اثناء ذلك مرة بعد أخرى وشغلت وظائف التدريس فى كليات الازهر الى أن عينت وزيرا للاوقاف وبعد الوزارة تفرغت لاهم رسالة فى حياتى وهى الدعوة الى الاسلام
ويضيف الامام نعم ٠٠ الحمد لله ٠٠ نعم ٠٠

● **اول علقة بسبب « عسق »**

من يذكر حكايات عميد الادب العربى الدكتور طه حسين فى كتابه الرائع « الايام » ٠٠ لاشك أن كل من قراه يذكر حكاية الولد طه مع العريف ، وكيف كان يقدم له خفية قطع السكر وبعض الطعام ويدسه له فى يده أو للشيخ حتى ينجو من وقع العصا فوق جسده النحيل فماذا عن مثل ذلك ؟ ٠٠

حكاية أسعدته ٠ فضحك ملء شدقيه وهو يتذكرها ٠

« **آه لتلك الايام وقال، جررتني للكلام عنها ٠٠**

كان من العادة ان نقرا اللوح مصححا قبل حفظه والتصحيح يتم بمساعدة المصحح او العريف مساعد سيدنا الشيخ فى الكتاب ٠٠ واللوح هو ما يجب على الطفل حفظه من آيات القرآن الكريم ، ثم نعاود تسميع ما حفظناه للشيخ ٠٠

« والذى حدث اننا لم نصحح ــ فى احدى المرات ــ ما سوف نحفظه ، ثم علم الشيخ بهذه الواقعة ، فانتظر الى اليوم التالى وطلب منى أن أتلو عليه ما حفظت ٠٠ وكنت قد حفظت الآية كما اثبتها فى اللوح بما فيها من الخطأ هكذا « حم عسق » ، ولم أقراها مثل نطقها سماعا ٠ وبسبب « عسق » عرف الشيخ اننى لم أصحح قراءة القرآن ، لان قراءته تختلف عن الشكل المكتوب به ٠٠ أنظر الى قوله تعالى فى أول سورة البقرة ا ٠ ل ٠ م وانظر اليها فى سورة « الم نشرح لك صدرك » ، فهى تختلف فى السورة الاولى عنها فى الثانية رغم أن مكونات « الم » فى كل منهما واحدة ٠٠ وبسبب الخطأ الواضح فى القراءة ٠ حملنى الشيخ الى أعلى وألقى بى الى الارض ثم عاود الكرة مرات ومرات ،وأنا اصرخ واستغيث وليس هناك منقذ ولا مغيث ، الا ارهاقه وتعبه هو نفسه ٠٠

● **ولهذا نزل القرآن مسموعا ٠٠**

لعل هذه « العلقة السخنه » أفادت محمد متولى الشعراوى ٠٠ كيف ؟!

يقول « نعم ٠٠ عرفت فيما بعد أنه لهذا السبب نزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم مسموعا ، ولم ينزل مكتوبا ٠ وهذا اعجاز من اعجاز القرآن ٠٠ واعجاز من اعجاز رسول الله بعد أن سمعه وهو الأمى من جبريل عليه السلام ٠ « ان هو الا وحى يوحى » ٠

●**وضعت التراب فى عينى ، ومكرت ٠٠**

أطفال الريف كما يعلم أبناء القرى يجدون أنفسهم بين طريقين احلاهما مر كما يقولون التعليم فى المدرسة الابتدائية هربا من « الغرامة » التى كان يدفعها ولى الامر ــ هكذا كان التعليم أيام زمان ــ وكان حفظ القرآن الكريم على يد « سيدنا الشيخ » فى كتاب القرية عذابا وليس بعده عذاب وعادة ما يكون أحد الطريقين أو كلاهما رغبة الاهل لا ارادة الطفل نفسه ٠٠

فماذا يقول فضيلة الشيخ عن نفسه ٠

« نعم الطفل فى هذه المرحلة ليست له ارادة ولا يبدى رغبة معينة وليس له ادراك يمكنه من تحديد مستقبله ولك أن تتخيل اننى شخصيا كنت أريد أن أكون فلاحا فلقد تعلقت بالحقل والعمل فى الحقل ٠٠ استهوتنى الزراعة ولم يستهونى وتشدنى الازهر ٠

ولكن الذى حدث اننى بعد أن حفظت القرآن قال والدى رحمة الله عليه : يا محمد قدمت « لك طلبا للالتحاق بمعهد الزقازيق الدينى » وغدا سوف يكشفون عليك طبيا ٠٠

وراعنى الامر فأنا أريد الزراعة لاننى متعلق بها وهو يريدنى أن أكون طالب علم ، فماذا أفعل ؟!

مكرت ٠٠ وفعلت ما يفعله الاطفال فى مثل هذه الظروف ٠ وضعت التراب فى عينى لكي تتورم ويطردونى٠وحاولت

أن أضع فيهما شطة من الفى فى الحقل ولكننى تراجعت ..

ولم تفلح المسألة وعندما ذهبت الى اللجنة اكتشفت أنهم يقبلون المكفوفين ، وهكذا ضاعت أول فرصة للهروب من النجاح الذى لمسته فيما بعد ..

ولكنه لم يستسلم وفكر فى شىء آخر ومكر ، والله خير الماكرين ..

يقول فى ذلك الشيخ محمد متولى الشعراوى ..

« لابد أن هناك طريقا أخرى ، كان لابد لى من أن ألجأ الى طريقة أخرى للخلاص من الدراسة فى الأزهر كان يمكننى اذا أنا جلست أمام الممتحن أن أنكر حفظى للقرآن ، وأخطىء عامدا فى قراءته .. وفعلا لم أقرأ القرآن كما يجب ، بل تناسيت بعض الكلمات .. والعجيب هو اكتشاف الممتحن اللعبة ، لاحظ سلامة النطق عندى لمخارج الألفاظ والحروف وهو ما يفعله كل حافظ لكلام الله .. واستدعى والدى وكان خارج اللجنة ينتظرنى ليعود بى الى القرية ، فسأله :

الولد ابنك غير حافظ للقرآن .. قال والدى فى ذهول : كيف ؟!

ثم نظر الى نظرة كافية لأن تسحق أى رغبة أخرى غير أن أتلو القرآن .. وفعلا أسمعت الممتحن ما طلبه منى ، فسمعنا وقال .

لقد عرفت من البداية . وحتى لو لم تكن حافظا لأنجحتك فى الامتحان ..

هكذا جرت الرياح بما لا يشتهى الصغير، لكنها سارت فى طريقها المرسوم لكى تصل العلم بالعلم ، والفقه بالتفقه فماذا لو ظل محمد متولى الشعراوى فلاحا ؟! ولم تأت به المقادير الينا ، ليسعدنا ويثرى قلوبنا بفضل علمه وفقهه وبما يتجلى فى كلامه من حب وايمان ..

ثم استرسم الشيخ يقول فى اسلوبه الفريد فى بابه .

« كم أتمنى أن يذوق الناس حلاوة الايمان .. والله لو فعلوا لانتموا الى العزة ، ووضعوا ساقا فوق أخرى ، وقالوا اننا أقوياء واعزاء ولن يغلبنا أحد لأننا بالانتماء الى رب العزة سبحانه ، فله منا الشكر والطاعة ولنا منه فيض رحمته .. »

● يحصل على منحة تفوق دراسية مخصصة لفقاء المذهب الحنفى .

ويستطرد معنا الشيخ فى ذكرياته فيصف لنا كيف انه لم يكد يمضى فى طريق الدرس والعلم حتى أحس بتعليق شديد بالعلم وشغف بالغ بالدراسة فاقبل عليها بكل ما اودعه الله فى كيانه من قوة وذكاء وايمان ، وتجلت موهبته ففاز بالمنحة الدراسية التى قررتها هانم ابنة الامير محمد على وقدرها أربعون جنيها عدا ونقدا ، كنت أحصل عليها لتفوقى ، وهى من ريع وقف زينب هانم الذى أوقفته على أتباع المذهب الحنفى ..

اذن مولانا الامام حنفى المذهب ، فماذا عن نشاطه السياسى ؟! وهنا تتاح لنا الفرصة لنكشف عن ناحية من حياة الامام الشعراوى ونشاطه المتعدد النواحى وهى الناحية السياسية فى شبابه يقول الشيخ الشعراوى :

« بعد حادث شهداء الجامعة المصرية ، لم تجرؤ الجامعة على أن تؤبن شهداءها لأن الحكومة منعت حفل تأبين الشهداء وكنت رئيسا لاتحاد طلاب الشرقية وطالبا بالمعهد الدينى فى الزقازيق ، فقررنا أن نقيم لشهداء الجامعة حفل تأبين فى الزقازيق حضره وفد الجامعة المصرية برئاسة الدكتور محجوب ثابت .. وفى مثل هذه الظروف يمنع التصفيق منعا باتا ، وكان مقررا أن يلقى الخطباء كلماتهم بما لا يتجاوز خمس دقائق لكل كلمة ، ووضعوا منبها لذلك ، وكنت أول المتكلمين ، فقلت كلمة نثرية أثارت اعجاب الحاضرين ودق جرس الانتهاء ايذانا بأن أودع المنصة ، وهنا قام الدكتور محجوب ثابت ، ووضع يده على جرس المنبه فأسكته ، واستأذن الحاضرين فى أن يسمحوا لى بالوقت المخصص لبقية كلمات التأبين ..

وفى النهاية وكنت المتكلم الوحيد ، قال الدكتور محجوب ثابت : والآن نبيح لكم التصفيق للاعجاب ..

فعل الدكتور محجوب ثابت ذلك مخالفا لما جرت به سنن حفلات التأبين . فالمتحدث رئيس اتحاد طلاب الشرقية وهو الأزهرى



قح وهذا الازهرى القح قال مايستوجب المخالفة وما انتزع به التصفيق ، ومن قبل الاعجاب ، وأخذ بالحق والمستحق وقت كل من أعد نفسه لالقاء كلمة حق فى تأبين شهداء الجامعة المصرية ..

قال الشعراوى « شباب مات لتحيا أمته .. وقبر لتنشر رايته ، وقدم روحه للحتف والنكال ، قربانا للحرية ومهرا للاستقلال .. »

ليست فى هذه فقط بل هذه مجرد مقدمة جاءت بعدها كلمات قصيدتى .. التى الهبت المشاعر ،ولقد نشرتها جريدة الوادى فى ذلك الحين من الزمان ـ قلت فيها :

« نداء يا بنى وطنى مجاب
دم الشهداء يذكره الشباب
وهل نسوا الضحايا والضحايا
بهم قد عز فى مصر المصاب
شباب بر من يرفق وادى
رسالته وها هى ذى تجاب !
فلم يجبن ولم يحفل وارغى
وازبد لا تزعزعه الحراب
وقدم روحه للحق مهرا
ومن دمه المراق بدا الخضاب
وآثر أن يموت شهيد وجد
لتحيا مصر مركبها مهاب ...
يهون القلب فى تحرير مصر
وعذب فى قضيتها العذاب ! »

هذه بعض أبيات قصيدته قالها فاستحسنوها ، لانها كانت أكبر من سنه . تنبيء عن موهبه مختزنة فى عقل ينوء بحملها جسده النحيل ، فكم كانت عدد السنين التى يحملها الفتى ـ عشرون عاما .. يا لمقدارها الهزيل أمام سنوات من جرت بهم الاعمار ولم تنضج عقولهم سوى ترهات !

● وليس هذا يا صديقى ـ يقول الشيخ الشعراوى ـ فقط ما قلته فى هذه المناسبة .. بل حدث أن اجتمعوا فى بيت الامة بيت سعد زغلول ، من أجل الشهداء . وذهبت أحضر هذا اللقاء ، فقدمونى لكى أتكلم وقد عرفوا فى من قبل حسن اختيار الكلمة ، فقلت قصيدة أخرى جاء فى مطلعها ! ..

شبابك هذا فى بنوته بر
الا فاسلمى فالمجد مجدك يا مصر
شباب ابى لا تلين قناته
فليس يهاب الموت ان حتم الامر
وكيف ونفس الحر ترقص اذ يرى
جلالا مضى فاستعبد البلد الحر
اذا لم يكن محياى غنما لموطنى
فلا كنت يا محيا ولا طلت يا عمر !

لكم هى غزيرة ذكريات الشيخ الامام محمد متولى الشعراوى .. وكم فيها من سحر ينقلك من الحاضر الى الماضى فى يسر وسهولة ، ويعود بك وقد جمعت بين الحسنيين .. ذكرى من الماضى وعبرة من الحاضر ..

فماذا عن الحاضر ؟!

الدين .. تصرف

الحاضر يقول أن الملاحظة جزء من استقراء الواقع ، والملاحظة تقول أن بعض الشباب ـ وليس مجموعهم ـ قد لا يدخل الدين فى تكوين يشكل أساسا لتصرفاتهم ، لان الدين تصرف

لقد فهم البعض خطأ مناهج الدين ، كما أن بعض علماء الدين لا يقدرون على توصيل علمهم للناس ـ هكذا يقول الشيخ الشعراوى ثم يضيف ـ هناك فرق بين مسالة علم الشىء وحمل النفس على تطبيق هذا الشىء .

خذ مثلا . عندما اعلم تلميذا جبرا او هندسة او جغرافيا ، فهى علوم دنيوية ، لا نطلب منه فيها افعل ولا تفعل . فان

تعينه على مطلوبات حياته ..

انما علوم الدين يلزمها ان تكون علما اولا ، ثم ان تحكم حياته ثانيا ، نقول له افعل هذا ولا تفعل هذا ومن هنا ياتى الاخفاق .. الاخفاق فى ماذا ؟! ليس الاخفاق فيما يعلم .. بل فى حمل نفسه فى تطبيق ما يعلم ، وهنـــا ياتى دور الجماعة،فكماأوليناه فى من يعطيه علما ـ علينا أن نعطيه مجتمعا يبين له السلوك الواجب .. »

لكن يا مولانا من أين نبدأ ؟! « آه .. هذه القضية كانت لابد ان تثار .. هل نبدأ ممن يعلم أم ممن يتعلم ؟! نبدأ ممن يعلم . من البيت . من الاسرة . وتتدرج الى أن تصل الى أبعد وأكبر .. »

كيف يا شيخنا .. يمكننا الوصـــول الى هذا الذى تقول به ؟!

« انكم تنسون ـ يقول الشيخ ـ ان الطفل . الناشيء الصغير يأخذ السلوك فعليا . قبل أن يفهمه قولا .. فهو يقلد يحذو حذو الآخرين ، ممن يحيطون به، يفهم الفعل قبل أن يفهم القول ، ياكل قبل أن يعرف أكل .. الفعل يا سيدى يسبق القول ..

لذلك ـ يضيف الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ فان بعض الاشياء يصعب تعريفها . لان واقعها فى الحيـاة أوضح من تعريفها .. الشمس مثلا مهما قيل فى تعريفها . تكفى نظرة لها تحدد بها ما تريد ..

فالناشيء الصـــغير قبــل أن يتعلم مدلولات الالفاظ يتعلم ما ينم عنه سلوك الآخرين ..

واسأل الشيخ الامام :

اليســـت الغـــريزة هى التى تحـــدد تصرفاتنا وسلوكنا ؟

أوليس التقليد صورة من صور هذه الغريزة ؟!

ويتحمس الشيخ ، وكل انفعـــال منه تعقبه افاضة فى الحديث ..

● الغرائز ومطلب الرسالة

قال « الحق سبحانه وتعالى عندما أعد الانســـان بغرائزه . » أعده بغـــرائز مطلوبة لرسالته . وهو لذلك لا يريد أن يمحوها بل يعليها ، يجعلها تتسامى ..

النوع بشرط ان كل فرد من افراد هذا النوع عندما يأتى ، ويكون له وجود . يكون محسوبا على قطـاع من قطـاعات المجتمع وقطاع بعينه . يرعاه ، ويرعى مصالحه امام الناس . بمعنى ان يكـــون ابنى قطاع منى انا ، فانا ابوه وهذه امه وهؤلاء اخوته ، **فانا مضطر لان احمـــل هذا القطاع امام الناس واحمه فى نفس الوقت ..**

فيبقى بعد ذلك ان الله سبحانه وتعالى عندما جعل لنا وفينا مثل هذه الغريزة ، نظمها بحيث تنتج لنا شـــيئا طاهـــرا حميدا مقبولا ولهذا شرع الزواج ..

أيضا غريزة اخرى جعلها الله لحفظ الحياة لكنه فى ذات الوقت علاها فالاية الكريمة تقول « اشداء على الكفار رحماء بينهم »

هنا جعل الله فى المســلم شيئين .. الشدة والرحمة .. فالاسلام يريد منا أن نكون أشـــداء على الكفار ، رحماء فيما بيننا .

ايضا طلب منا ان نكـــون أعـــزة وأن نكون اذلة لان هنـــاك موقف يتطلب من المسلم أن يكون عزيزا ، وموقف آخـــر يتطلب منه أن يكون ذليـــلا ، أعـــزة على الكافرين ، أذلة على المؤمنين .. »

● فساد الحياة وصلاحها ..

اختلاف العلماء فى القضـــية الواحدة يثير بعض الاضطراب عنـــد البعض من الناس .. الذين يلتمسون اجابة شافية قاطعة فى أمور دينهم ودنياهم .. لكن الذى يحدث . أن يقال لهم المالكية قالوا كذا ، والحنفية قالوا كذا ، والشـــافعية قالوا بالاتفاق أو بالاختلاف ، والحنابلة لهم رأى يؤيده ويعضده أو ينفى ويختلف .

واضاف الشيخ محمدمتولى الشعراوى وهو يؤكد باشارات من يديه ما يقول به لسانه ! .

« العلماء وفقهاء الدين لابد أن يجمعوا على رأى موحد فى كل أقضية الحياة.فلا ندع مجالا لكى تقول هذا هكذا .. وهذا هكـــذا . نحكم الله الصريح فى آية من الآيات يجب اعماله . أما فى غير هذا فى المسائل التى تتطلب اجتهادا ، فلا يكفر أحد أحدا . ولا يؤثم أحد قول الآخر .

لان الامر القاطع يريده الله محكما . وفى غيره عندما يريده محتملا . لان الحياة لا تفسد بشىء ترك الله فيه بابا بلا اجتهاد ، ولفسد فى شىء قال الله فيه افعل ولا تفعل .. فاذا ترك نصا محتملا للمعنى والاجتهاد ، فالله يعلم انك اذا عملته على هذه الجهة أو الجهة الاخرى لا تفسد به الحياة ..

مثال ذلك ما قال به الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه : « لا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة » وادركهم حلول وقت المغرب .. اختلفوا فى فهم امر الرسول الكريم ، منهم من تعصب للزمان فقال نصلى قبل أن يدركنا المغرب حتى ولو فى غير بنى قريظة .. ومنهم من تعصب للمكان . وقال بالصلاة فى بنى قريظة ..

واقرهم الرسول كل على رأيه كل فيه صواب ..

● **سبق الفجور .. التقوى**

تقول الآية الكريمة « .. ونفس وما سواها . الهمها فجورها وتقواها » فلماذا سبق الفجـور التقوى ؟ وهل يجبل الانسان على المعصية قبل أن يجبل على الطاعة !؟ نعم ، لان التقـوى تتطلب حجز نفسك عن اعمال ، والمعصية تريد ان تكون متحررة تفعل اى شىء ، فسبق الفجور التقوى لهذا السبب .. ايضـا لكل انسان فترة من حياته يفعل فيها ولا يسال . هذه الفترة هى فترة الطفـولة وحتى تصل الى سن التكليف ..

● **وحدة الكون**

وحدة الكون تتجلى ـ كما يقول الشيخ متولى الشعراوى ـ فى الآية الكريمة .. « .. أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السـماء كيف رفعت والى الارض كيف سـطحت » وكان سـؤالى الذى استوضحت الامام فيه : لماذا الابـل بالذات ، ولماذا جاءت بعدها فى الاعجاز السماء ، ولم تكن الارض ، مع ان السياق الطبيعى .. أن تكون الاخيرة ..

لماذا اذن الامام يقول

« ساعة أن تجد الحق سبحانه ينقلك من شىء الى مقابل بعيد ، فاعلم انه يريدك أن تنظر الى الوجود على انه وحدة متكاملة .. فالكون وحدة واحدة .. ايضـا .. راكب الجمل عندما يكون فى الصحراء كما كانت العرب الى أى شىء ينظر ليس حوله الا أن ينظر الى السماء .. ألم تر قول الشاعر ..

اراعى النجم فى سيرى اليك
ويرعاه فى البيدا جـوادى

ثم تكمل الآية الكريمة الترتيب فتقول الى الارض .. كيف بسطت ، ثم ما بين السماء والارض .. الجبال ـ فتقول والجبال كيف نصبت .. هذه هى وحدة الوجود .. فليتدبر المتدبرون ..

والمتدبرون يعرفون كيف كان التبرج فى الجاهلية . والمتسائلون لا يعرفون . والقرآن يقـول « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى .. » كيف كان شكل التبرج هذا ؟

هل ما نشاهده فى عصرنا أم انه يختلف عن ذلك فى قليل أو كثير ؟

وهل كانت هناك جاهلية ثانية وثالثة حتى تطلق الاولى ..

يقول الامام الشعراوى

« ساعة ان تطلق الاولى . يراد بها المتقدمة . فعندما يقول الحق سبحانه وتعالى انه اهلك عادا الاولى فهو يقصـد عادا السابقة او المتقدمة ولا يقصـد ان هناك عاد الثانية او الثالثة .

اما التبرج فمعناه مبالغة المرأة فى زينتها .. مبالغة تستميل بها من لا يحل لها . اما استمالتها لمن يحل لها ، فلا لوم عليها ولا يعد خروجا . هذا فى بيتها .

اذن التبرج هو المبـالغة فى التزين بقصد استمالة من لا يحل .. والجاهلية كانت تقسم قسمين . من حيث وضع المرأة .. والحرائر والاماء ..



الشيخ الشعراوى مع رئيس التحرير

الحرائر كانت الواحدة تستنكف هذه العملية ولا ترضاها .. ولذلك فى القرآن يسمى الحرائر .. المحصنات ـ شأنها شأن المتزوجة .

اذن التبرج فى الجاهلية يقصد به استمالة الرجل ، وهو ما كانت تفعله البغايا من رفع الرايات ونصب الخيام وما الى ذلك من أفعال تفسر بنفسها القصد المبيت ، والنية المعقودة ..

مضى بنا الزمن يجرى دون أن ندرى . طالت جلستنا مع الشيخ الامام وتعددت لم يشعر مضيفنا أننا أثقلنا عليه ، وتزايد شعورنا بأن ننهل المزيد من فيض علمه وفقهه . فالرجل بحر واسع من المعرفة .. شاعرا ، أديبا ، فقيها ، متحدثا ، لبقا لغويا .. وقبل هذا وبعده داعية اسلام كبير .. له منزلة فى قلب كل محب ، ومريد ، وهم كثر ، يجيبك عما تجهله فى أمور دينك ـ وابتسامة رقيقة تتبع كل ماينطق به ـ وما نجهله فى أمور ديننا ليس بالقليل اللهم الا من فاز وغنم برضاء الله فأصبح فقيها فى أمور دينه ..

وما أحكم القول القرآنى الكريم رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقوا قولى .

وكان الامام يستعد للسفر الى مكة المكرمة ، يحضر ما اعتاد عليه « الوجبة » ، ويستمتع بقضاء اجمل الاوقات فى رحاب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ، وكان سفره قبل ليلة الاسراء والمعراج بيوم أو يومين .. فودعناه على امل اللقاء

في مهرجان "كان" هذا العام ..

الأعمال الأدبية: مازالت على القمة!

● هادي غضبان ●

● مازالت الاعمال الادبية ، القصصية تحتل المكانة الاول في عالم السينما العالمية ليس فقط في دنيا الفيلم او المسرحية ، أو الوان الفنون المرئية الاخرى ، وانما في عالم الجوائز ايضا ..

فالعمل الادبي لما يتضمنه من صدق وواقعية واسلوب راق ، جدير بأن يحتل هذه المكانة ، فضلا عن أن ـ الازمة ـ الكبيرة التي تجتاح عالم ، السيناريو ، قد ساعدت على دخول القصة الادبية في هذا المجال ..

كذلك فان أكبر المخرجين والقائمين على السينما في دول العالم المختلفة يرون أن الاعمال الادبية هي الاصدق تعبيرا عن قضية ما أو مشكلة ما وانها تحقق لهم ما لا يستطيع عمل فني آخر ان يبرزها بالصورة المطلوبة ..

ومن هنا يجيء الفيلم المقتبس عن تلك الروايات قمة في صدق المعالجة وايضاح القضيـة .. التي يريد السينمائيون ابرازها في الواقع .. ومن هنا ـ ايضا ـ يكون العمل جديرا بأرقى الجوائز في ارقى المهرجانات .

ظهر هذا جليا في مهرجان ـ كان ـ هذا العام والذي أقيم بعقد المهرجانات على شاطيء الريفيرا في فرنسا .. فقد كانت معظم الجوائز التي منحت فيه لافلام كلها مقتبسة عن روايات عالمية نالت رواجا كبيرا وشهرة واسعة في عالم الادب ..

من هذه الافلام كان فيلم ـ الشيطان ـ المقتبس عن كتاب بنفس الاسم للكاتب الالماني ـ كلاوس مان ـ وهو ابن الكاتب الشهير ـ توماس مان ـ وقد ولد عام ١٩٠٦ في مدينة ميونيخ ومات منتحرا عام ١٩٤٩ بعد أن قضى عمره في الكتابة التي تمتاز كلها بأنها كانت ضد الفاشية والنازية .. ومن هذه الاعمال تذكر ـ السيمفونية الحزينة ١٩٣٥ ـ الشيطان ١٩٣٦ ـ البركان ١٩٣٩ وكانت آخر اعماله ـ نقطة تحول .

وقصة ـ الشيطان ـ اقتبسها المخرج المجرى ـ شتيفان سابو ـ وعمل منها فيلما نال عنه جائزة أحسن سيناريو : وهي جائزة جديدة تمنح لاول مرة هذا العام .

والقصة تحكي عن فنان مسرحي يحاول الوصول الى غايته، لكنه يفعل ذلك بالتملق والنفاق والتسلق على اكتاف الآخرين ، وعلاقاته مع القواد النازيين حتى انه يصبح ـ آلة ـ في ايديهم يحركونها كيفما يشاءون .

والقصة تعالج مشكلة الانسان الذي يبيت نفسه وضميره لاعدائه ، ابتغاء مصلحة ذاتية بعيدا عن مصلحة الوطن .

***

والفيلم الثاني « سنوات النور » مقتبس عن كتاب للكاتب الايرلندي المعروف « دانيال اوديبه » تحت اسم «الطريق المزعج » .. والجدير بالذكر ان دانيال «هو صاحب القصة الشهيرة « سفريات السيد أو فلاهيرتي » وهو كاتب يعبر عن مشاكل مجتمعه الذي نشأ فيه ..

وقد استطاع المخرج « الان تانر » ان ينال بهذا الفيلم جائزة خاصة للجنة التحكيم ، والفيلم يحكي في بساطة واسلوب شاعري قصة لقاء غريب لرجل عجوز وصبي صغير تنعقد بينهما اواصر الصداقه ويعيشان معا ..لفترة ما ، يرى الصبي خلالها العجوز وهو يقوم بمحاولات لصنع « آلة » غريبة



مشهد من فيلم عرس الدم لكارلوس ساورا

تشبه ـ فى شكلها ـ النسور ـ تطير فى الفضاء» لكى تصل الى «السنوات التسعون» ـ كما يتخيل العجوز ..

ويهرب الصبى الى المدينة ، لكنه سرعان مايعود ليرث افكار العجوز وخيالاته ..

والقصة ، تشبه ـ الى حدما ـ اعمال « صامويل بيكت » حيث تميل الى الخيال واللامعقول ومحاولة الوصول الى هذا اللامعقول فى اسلوب يمزج بين الواقع والخيال ..

والفيلم الثالث «عرس الدم» للمخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » مقتبس عن مسرحية الكاتب « فيدريكو جارسيا لوركا » وتحمل نفس الاسم .

وتدور حول رجلين وفتاة احدهما يريد زواجها والاخر يحبها ولايريد لهذا « العرس » ان يتم .. وفى يوم الزفاف تنقلب الاوضاع وينتهى الامر الى مشاجره بين الرجلين تنتهى بالدماء

وقد استطاع المخرج ان يمزج بين الرقص الشعبى الاسبانى والباليه الكلاسيكى ليعطى لناصور لفن من الباليه راقص بديع بمناظره .

ـ وقد عرض الفيلم خارج المسابقة لشبهه بالافلام التسجيلية :

***

وغير هذه الافلام كانت هناك افلام اخرى مقتبسة عن اعمال ادبية نالت عديدا من الجوائز نذكر منها «فرسان المائدة المستديرة » اخراج « جون بورمان» ونال جائزة احسن عمل فنى فى المهرجان ومقتبس عن اسطورة «الملك ارثر وفرسان المائدة المستديرة »

تم فيلم « عربات النار » للمخرج هيدج هادبسون ومقتبس عن كتاب الالعاب الاوليمبية عام ١٩٢٤ .

وفيلم « الاربعة » للمخرج جيمس ايفرى .

ثم فيلم « زوج الام » للمخرج الفرنسى « برتراند بليه » المقتبس عن كتاب له .. يحكى قصة حياته قام هو بكتابة السيناريو والاخراج

ويعتبر هذا شيئا فريدا فى عالم السينما ان يقوم شخص بكتابه واخراج فيلم عن نفسه فى حياته .

●●

انطباعات غير نقدية حول المقهى والعيون

● سعيد سالم ●

● ((المقهى والعيون)) هي المجموعة القصصية الاولى للاديب نعيم تكلا ، ومعظم قصصها منشورة بالمجلات المصرية والعربية وان لم يذكر نهايات قصصه ...

واول ما يلفت النظر في هذه المجموعة هو التفرد الشديد في المعالجة القصصية لمضمون جاد في معاصرته ، تلمح تجانسا فنيا بينه وبين الشكل الذي عولج به ... هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان هناك ما يشبه الالتحام غير المرئي بين معالجتين متناقضتين للمضامين المعاصرة التي تحتويها هذه المجموعة والقصد بهما المعالجة الواقعية والمعالجة التي تبعد كثيرا في بعض الأحيان وقليلا احيانا اخرى عن الحدود المتعارف عليها على ارض الواقع ...

ولا يملك المتذوق لهذا النوع الشديد الخصوصية من الكتابة القصصية الا أن يقبل كل ما جاء بها من تجاوزات للواقع الممكن والمحتمل حدوثه عن طيب خاطر ، وان يتبادل مع الكاتب ما بثه من شحنات انفعالية ووجدانية شديدة التأثير ...

ففي « وحدة كل يوم » نجد الانسان المعاصر وقد توحد البطل الذي يمثله مع القلق والفزع والجنون حين لفظت المدينة المعاصرة انسانا ممزقا فقيرا به مس من الخبل الى ارصفة الطرقات العامة يسير بين العربات بلا وعي ، مما أثار فزع البطل الذي اخذت حالة هذا المسكين تنعكس عليه تدريجيا حتى تحول كلية اليه ، بحيث أصبح البطل في النهاية هو نفس الانسان الممزق بعد أن توحد معه بمشاعره واحاسيسه التي تتماثل في حقيقتها وان اختلفت في نوعياتها . « اعتراني الاعياء فجلست على حافة الرصيف ، ومددت ساقي الى اسفلت الطريق غير مبال بالسيارات المسرعة » ! ...

وفي « حصن الطاليات » نجد ان الزيف قد ساد الحياة المعاصرة بحيث اصبح المستحيل ممكنا والممكن مستحيلا ، والغامض جليا والجلي مستترا ، بلا ادنى حدود من الانضباط او المعقولية ، وبلا ادنى سبب منطقي يبرر هذه الفوضى غير المحتملة ، ... وعلى من يجد في نفسه المقدرة على أن يراقب ما يحدث او ان يحاول فهمه ان يتقدم ، ولن يصاب في النهاية الا بالفزع والاحباط وربما الجنون ...

وفي « زوجتي والأسماك الملونة » تتجسد الصورة المرعبة للمجتمع المعاصر الذي يشبه البحر الهائج ، يأكل فيه السمك الكبير السمك الصغير ، كما لو كانت هذه هي سنة هذا المجتمع وقوانينه السائدة والمتفق عليها بين افراده . فنجد مجموعة من الشباب سيئي الخلق ينتزعون زوجة من زوجها ويغتصبونها بعد ايذائه جسديا ، وتبدو المسالة والمسألة امرا عاديا للذين يكتفون بالاعتراف أن هناك ظلما قد وقع ، كما لو أن الكلمات قد حلت المشكلة ...

والاعجب والاعزب من هذا هو استسلام الزوجة لما حدث وهي تضحك ، لكنه الضحك الذي يدين هذا المجتمع ، اذ يعبر عن تمزق أقدس العلاقات الانسانية ، وعن انهيار القيم ، وعن الاعتراف اليائس بمنطق القوة ، وعن سلبية الجميع أمام قانون الغاب الذي أصبح يسود مجتمعهم ! ..

وفي ((حادث في الظلام)) تلحظ نفس اللامبالاة عند ابطال القصة الذين يقتل امامهم مخلوق فلا يأبهون بما حدث ،

ويتكاسلون حتى عن القاء نظــرة على الحادث ، حيث ينصرف الطـالب الى مذاكرته والعاشق الى معشوقته دون ذرة من الاحساس بالزمالة في الانسانية لمسكين سحقته عربة مجنونة تجـرى في الظلام...« ونهضوا جميعا يتثاءبون ودخلوا ليواصلوا النوم ، ودخلت انا ايضا ، فقد كانت عيناى مثقلتان وفى راسى طنين » !

وفى « المقهى والعيون » نلمح الثورة الايجابية العارمة لدى البطل الـــذى استفزه تعقب احد المجهولين لحركاته وسكناته مما افسد عليه حيـــاته ، فاضطر الى قتله - « عنـــدئذ بكلتـــا قبضتي هويت على راسه فســقط ، ووضعت قدمى على رقبته ، واخذت اضغط حتى كتمت انفاسه تماما ، ثم دفعته من اعلى السلم فسقط يتدحرج الى اسفل ... » ، وبعـــدها عاد يمارس سعادته مع حبيبته . وانى اتفق مع البطل في ضرورة اتخاذ مواقف ايجابية تجاه كل من يعطل حركة الحرية الانسانية وان كان القتل ليس بالحــل الوحيد .

وفى « مـوكب الشرطى المنتصر » نسمع جرس انذار شديد الصليل بان القسـوة والتسلط من الانســان على اخيه الانسان ســوف تنتهى بتـدمير الانسانية جمعاء .. فالمتســلط اليوم متسلط عليه غدا ، والتجبر اليوم مقهور غدا ، وتذكـر بعض الناس ذلك المشهد الذى شاهدوه فى الصباح ، بل انهم ظنوا انه نفس المشهد » ومن ينكر انه كان نفس المشهد ؟ وكان هذا المشهد يتمثل فى شرطى يقود ســجينا مكبلا بالقيود يضربه ويمنــع عنـه الطعــام والشراب ويسحبه بعنف فى الطريــق متباهيا بقوته وسلطته امام المارة الذين يكتفون ايضا بالمشاهدة والمراقبة ، واذا بالحال ينعكس وتتوحد الحالة من جديد فى صورة عكســـية ، والناس مازالوا يتفرجون .

اما بطل قصة « ربع كيلو جرام من اللحم » فقد وصف نفسه كالاتى: « انا انسان منزعج .. هذا ابسط تشخيص للحال الذى صرت اليه . منزعج نهارا وليلا حتى فى احلام منامى ، ولا اكاد احتمى بلحظات من هدوء وصفاء فى قلب بيتى .. اى جحيم - وهـــذا الوصف فى اعتقادى ينطبق على سائر ابطال قصص نعيم تــكلا ، وربمـــا كان ينطبق ايضا على انعكاس رؤيته الذاتية لمجتمعه المعاصر على نفســه ، لـــكن قضية البطل تحــولت فى النهاية الى عجزه عن شراء ربع كيلو من اللحم ، لقتل اولاد الجزار .. وهذا مالم افهمه ولم استطع التوصل الى مايقصـــده الكاتب تماما بهذا الفعل المتعســف

وفى « مصالحة مؤقتة » نســمع معزوفة موسيقية جميلة يســتعرض فيها البطل تعلقه باجمل مافى الحياة ، تعلقه بالفن والادب وكل ماهو حــق وخير وجمال .. ولعل نعيم تكلا قــد وضع لنا هذه القصة فى النهاية ليزيد من حسرتنا على افتقاد انسان هــذا العصر لمتعة الاحساس بالجمال والتلذذ بما فى الدنيا من قيم سامية بعيدا عن قنابل الحروب واضطهاد الانسان لاخيه وسيادة قانون الغاب وهلامية الاشياء وفقدان الامل فى اى شىء وســلبية المجتمع امام الفدح الاخطار التى تواجهه ويواجهها .. ثم لاينسى الــكاتب فى النهاية ان يفزعنا من جديد - وكأنمــا يصر على ذلك - بعربة مسرعة يقودها « رجل ضخم فتح باب السيارة وجلس خلف عجلة القيادة وضــغط على آلة التنبيه ضغطا متواصلا مبددا السكون .. وانتبهت الى نفسى وانـــا انتفض كالمحموم واساله بصوت واهن لماذا فــلا يعيرنى التفاتا .. وكانت القطــة الصغيرة البيضاء مازالت تتقافز امام السيارة . فجأة انطلقت السيارة مارقة كالسهم ، مخلفة على اسفلت الطــريق بقعة صغيرة بيضاء دامية مازالت تختلج بارتعاشات واهنة ! »

وهـــكذا ، فبانتهاء قراءتنا لهـــذه المجموعة نجد انفسنا وجها لوجه امام مجتمعنا الانسانى المعاصر فى شــكله القبيح متعريا من كل عوامــل تزييفه وخداعه ، فلا نملك ســـوى الاسى والالم ولا نجـــد مفرا من المواجهـــــة ...

القيظ!...

● حسين علي محمد ●



انتظريني ..
فالشمس الخانقة صباحا
فوق شبابيك مدينتنا المسكينة
تدنيني
من أهوال تملأني رعبا وجراحا ..
تفزع روحي التواقة لاستقرار وطمأنينة !

***

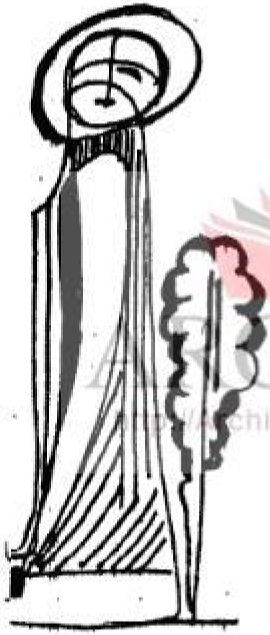
احلم بالظل يجمعنا ...
باللحظات الحلوة تدنينا
بدمائي المهراقة من قلبي المطعون تجف
لكن ظهيرة هذا اليوم المحموم تفرقنا
تبعد عن أيدينا ..
طيرا أزغب يحلم بالخضرة في وهج الصيف !

***

ما دمت معي ..
أحزان العالم لا تجتاح قلوعي
او تقدر أن تهزمني !
اقتربي مني ..
همساتك تذهب عني جزعي
وتعيد الى ربيعي !

أحزان الكلمات!

● أحمد مرتضى عبده ●



من سداها ..
وأغانيها التى عانت خفوقى
فى هواها
وأحاديثى التى زاغت طريقا ،
فاشتراها .
حزن ليل أسود الوجه ذليل
يكتريها للذبول
ثم يرسل لى سواها ! ..
ـ تذكريها
هذه الكلمات ـ أحلامى الحنونه
وهى تشدو فى هواك على عماها
تذكريها
فامسحيها من شريط الذكريات
واتركينى فى انتظارى لضحاها ...
وامنحينى الراحة العذراء كى أحيا
وأمرح فى صباها
تذكريها
فارفضيها
انها رفضتك فى يوم تسربل بالشكواك
حين ضقنا بهوانا
وتطلعنا لأحباب سوانا
وأذانا ..
قد عرفنا أن ما عشناه كان بلا أوان
وأذاها ..
هذه الكلمات خجلى من صداها .
فامسحيها من شريط الذكريات
كل شىء عنك ضاع اليوم ، مات
واتركيها .. وانتظارى للشروق
اسأل الأوراق عن طير جديد
لسماها .. !

مع الفلاسفة الرواد

طاليس الحكيم

● امين سلامة ●

● عاش طاليس الحكيم تسعين عاما ولد في ميليتوس عام ٦٣٩ ق . م . وتوفي في عام ٥٤٩ ق . م . . كانت بلاد اصور من أعمال الشام موطن عائلته ولكن اهله آثروا الانتقال الى ميليتوس هربا من « الظلم الذي كان يحلو لملوك ذلك العصر أن ينزلوه بسائر الناس وبعائلة الفيلسوف خاصة !

ويعتبر طاليس اول من لقب بالحكيم عن جدارة واستحقاق ، واعظم الفلاسفة الذين انجبتهم مقاطعة ايونيا التي ولد في احد مدنها . تقلد في شبابه منصب القاضي فقام بواجبه خير قيام ، ولكن اهتمامه بالبحث عن اسرار الكائنات دفعه الى ترك منصبه والذهاب الى مصر ، معهد العلوم والمعرفة - ومكث بها عدة سنين يعايش علماءها ، فتعلم منهم اصول الدين كما اتقن دراسته لعلم الهندسة والفلك ، واقبل على الفلسفة حتى نسي نفسه فيها واستحوذت على فكره وتفكيره ، فآثر قلة الكلام واخذ يعتني بمهام البلاد قبل كل شيء .

ولما رجع طاليس الى ميليتوس ، زهد في الناس والدنيا ، وآثر العزلة والوحدة واشغل فكره بالامور العلوية والسماوية واقلقه التفكير في علم النجوم والاجرام السماوية ، وحمله حب الخلوة والحكمة على اختيار الوحدة والعزوف عن الزواج قائلا : « لا يليق بالانسان أن يتزوج صغيرا » . . فان كان كبير السن فات عنده اوان الزواج ! وبين هذين الاجلين لا ينبغي له أن يختار زوجته » .

اعترض بعض أهل ميليتوس على طاليس وقال : « ان علومه لا تنفع لانها لم تخرج عن حيز الفقر والفاقة » . فقال طاليس : « ان أهل العقول لا يحبون جمع المال الكثير ، بل يحتقرون الاغنياء ويميلون الى اكتساب العلوم والمعارف »

❊❊❊

وكان طاليس يحمد الله على ثلاثة أشياء : أن جعله من العقلاء دون البهائم ومن الرجال دون النساء ، ومن اليونانيين دون البرابرة .

وكان يعتقد ان العالم لا اول له ولا آخر ، وأن الارواح غير فانية بل خالدة سرمدية . . سأله رجل ذات مرة - هل يمكن أن تخفى أسرارنا عن الاله ؟ فقال له : لا تظن هذا أبدا ، لان جميع الاسرار الخفية لا تخفى على الاله العليم .



وكان يعتبر المكان أكبر الاشياء فى الدنيا لانه مشتمل على جميع الموجودات يعتبر الحاجة اقوى البواعث لان الانسان يقطع دونها كل مشقة ..

والعقل أسرع الاشياء ، لانه فى لمح البصر يمكنه ان يطوف بالكون كله ..

والزمن أكلم الاشياء ، لانه يظهر جميع الامور الخفية » !

وكثيرا ما كان يقول ان كثرة الكلام ليست من صفات العقلاء ، وانه يجب على الانسان بر والديه واعالته لهما .. وان السعادة الحقيقية هى تمتع الانسان بالعافية وعدم انفاقه العمر فى الجهل والجبن !

وكان يرى أنه لا شيء أصعب على الانسان من معرفة حقيقة نفسه .. وأن الموت والحياة مستويان ..

كان طاليس فضلا عن ذلك ينادى أن الماء هو أصل كل شيء ، ويقول ان الارض ما هى الا ماء وجماد .. والهواء هو ماء ثقيل .. وأن جميع الاشياء تتغير دائما من حال الى حال .. وأن سائر ما فى الكون لا يخلو عن احساس ما ، وأنه مملوء بما لا يدركه من المخلوقات وكلها متحركة الطرف ذات ارواح .. وان الشمس جسم مضيء نفسه جرمها قدر جرم القمر مائة وعشرين مرة ..

***

وكان طاليس اول من ذكر كسوف الشمس وخسوف القمر ، وتكلم عن أصول الهواء والزوابع والصواعق وأسباب البرق والرعد ..

وأول من قال ان السنة ثلاثمائة وستون يوما ، ورتب الفصول وحدد كل شهر ثلاثين يوما ، وأضاف فى آخر كل اثنى عشر شهرا خمسة أيام لاجل تمام السنة ..

وهكذا قضى طاليس عمره ، فى عز وجاه ، يستشار دائما فى مهام الامور ، وقد لعب دورا لا يستهان به لما عزم أكريبوس على محاربة بلاد العجم .

ويقولون انه صعد ذات يوم فوق تل مرتفع من التراب ليروح عن نفسه بالنظر الى القتال ، فظمىء ظمأ شديدا من شدة اللظى فمات لتوه وهو فوق التل ، فحمله أهله وشيعه أهل ميليتوس فى جناز رائع يليق بمكانته السامية وعقله الفذ الجبار ..

هل الحجاب حشمة والنقاب بدعة؟

• ناجية جبر •

● المقصود بالحجاب الملابس المحتشمة التى ترتديها المرأة المسلمة فتغطى بها جسمها بأكمله ما عدا الوجه والكفين فهذه الاجزاء ليست عورة فى المرأة وبالتالى فلاحاجة لتغطيتها .

وفى العصر الحديث ، ومنذ ايام قاسم امين ، اعلن الناس على الحجاب ثورة شاملة فاخذ يتلاشى شيئا فشيئا حتى لم يبق له الا وجود شكلى فى بعض طبقات اهل المدن ..

واللفين والقدمين وعدم اظهار اى جزء من اجزاء الجسم .. وهذا التشدد لم يرد له نص فى القرآن الكريم

وهناك فرق بين الحجاب والنقاب فالنقاب هو اسدال غطاء على الوجه ولذلك فهو ليس فائدة لكى نتبعه وما هو الا بدعة ..

عاد الحجاب الى الظهور عام ١٩٦٧ وكأى ظاهرة جديدة كان مثارا للتعليقات فهناك من أيده وهناك من عارضه ولكن صوت المعارضين كان اقوى من صوت المؤيدين . وكانت لهم تعليقاتهم ... منها انه زى الفاشلات ، وانه نوع من الموضات التى تريد ان تلفت بها المرأة نظر الرجال بعد ان استنفذت «الموضات» الاخرى .. وان من ترتدى هذا الزى فى حاجة الى طبيب نفسى ليفك لها عقدها .. وقيل غير ذلك كثيرا اذا اردنا ان نكتبه لاحتجنا لصفحات وصفحات مما لن يتسع له هذا المقام ..

والان لنبحث هذا الحجاب الذى أثار جدلا كثيرا وسيظل يثيره الى الى أمد طويل لانه ظاهرة اجتماعية جديرة بالدراسة

لقد مرت المرأة بعصور مظلمة كانت تعامل فيها بأنها لمن يدفع المزيد ، ولانها « سلعة » فقد تفنن البائع فى اظهار مفاتنها وتلوينها بالاصباغ لتكون فتنة للناظرين وبالتالى يقبل عليها المشترون ومن لم يكن يظهر مفاتن بضاعته كانت تركد وتبور .

وتوالت العصور وجاء الاسلام فكرم المرأة ووضعها فى الاطار اللائق بها وقال ان المرأة هى الام والاخت والزوجة والحبيبة فيجب وضعها فى المكان اللائق بها بعيدا عن عبث العابثين ومن تسول له نفسه ان يطمع فيها وانزل سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز كلمات بينات يحض فيها المرأة الا تتزين لزوجها واحارمها وفى داخل بيتها وان تلتزم صراطه خارج هذا البيت فلا يطمع فيها الذين فى قلوبهم مرض .

وان تتشبه بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لكى تبلغ معهن الدرجات العلى من الجنة . وجاء الهادى والبشير يحمل كلمات الله سبحانه وتعالى الموجه لازواج النبى وبناته والمؤمنات ونساء المؤمنين فى كلمات صريحة واضحة فى سورة الاحزاب وفى سورة النور .

فى سورة الاحزاب اية ٣١ وما بعدها « بسم الله الرحمن الرحيم » يانساء

النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيخضع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعمن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا »

ثم بعد ذلك فى آية ٥٨ سورة الاحزاب : « يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » صدق الله العظيم .

ثم جاء الحديث موجها الى المؤمنات مباشرة فى سورة النور لكى لا يذهب البعض الى ان الله قد اختص امهات المؤمنين وبناته بالحجاب ، فجاء فى الاية ٣٠ : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او آباء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن اونسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنين لعلكم تفلحون » . صدق الله العظيم .

فاتبعت نساء كثيرات هذه الدعوة وسرن على ما عدن عليه الرسول الكريم .

ثم مرت السنون والاعوام ورزحنا فى مصر تحت نير الاستعمار المغولى والتركى والاوروبى ، وتغيرت مفاهيم كثيرة ، ولم نعد نعلم من الدين سوى ان هناك صلوات خمس وصيام وحجاب للمراة لا تستطيع خلعه حتى لو ارادت فهو مفروض عليها بالقوة لانه هو الدليل الوحيد على عفتها ...

ومن داخل هذا الحجاب وبسببه تفشت امراض كثيرة ، وكانت هناك خيانات زوجية كثيرة ، وانحرافات ، فنادى الكثيرون بحرية المراة وبالتخلى عن الحجاب ...

وربط كثيرون بين الفساد والحجاب ، والله يعلم أن الحجاب برىء من ذلك ..

***

ربما كانت النكسة — عام ١٩٦٧ — هى وقفة فى مفترق الطرق هزت المراة من مفرقها الى قدميها فجعلتها تمر بفترة صحو فاحست فيها انها هى وحدها المسئولة عن مصيرها ، وان كان الاعتراض على حرياتها جماعى فمسئوليتها امام الله منفردة :

وقفت المراة فى هذه الفترة تبحث عن طريق للخلاص فوجدته فى كتاب الله وسنة رسوله ، وجدت الكثير مما استعصى عليها فهمه واستيعابه ، فتعلقت باهداب الكتاب والسنة ، واتجهت الى الله مخلصة بقلبها ، واحبت الخير للجميع ، واخذت تبذل من روحها فى سبيل رفعة دينها ، وتعلقت بمبادىء سامية فهل هناك افضل من التعلق بكلمات الله .

ثم بعد ذلك كست هذا البناء المشيد من الداخل والتماسك برداء طويل محتشم تعلن به انها لا تحب اثارة اى نوع من الفتن ، وانها تناشد الجميع ان يتركوها تحيا فى سلام .

فان كان بعض الناس لا يرضى عن الحجاب الجديد فان هذا لا يمكن تعميمه فغالبية المحجبات اليوم على عقيدة ، ولسن مقلدات او متظاهرات او باحثات عن شهرة ومجد ، فالشهرة والمجد لهما طريق آخر بل طرق ليس من بينها الحجاب .

واخيرا يقول عز من قائل بسم الله الرحمن الرحيم وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ●

قصة

إنّه ولدي !

● مراد صبحي متى ●

.. رغم شدة تعبي واجهادي الزائدين ، استطعت ان انحشر وسط الزحام الرهيب ، وانا على «اخر نفس» ، لاجلس على جزء من مقعد في القطار العائد الى بلدتي ، ومستعد تمام الاستعداد لمعاودة ركوب الصعب ، واكمال ماموريتي المصلحية ، التي جئت من اجلها الى « العاصمة » في اليوم التالي ، بعد أن لم استطع اقناع نفسي ، ابدا ، بالبقاء حتى انتهاء المامورية ..

وصورة ما دار بقطار الصباح القائم من بلدتي الى العاصمة ، لم تفارق مخيلتي ، اطلاقا بكل حذافيرها ... فبعد أن استغرقت وقتا طويلا في مراجعة أوراقي، ودقائق ماينتظرني من مهام ، وشعرت بأن القطار بدأ يهدىء من سرعته في نهاية رحلته ، رفعت انظاري ، فجأة ، على غلام يقبل بصعوبة من اخر العربة المكتظة . دق قلبي . تلاحقت انفاسي . زاغت عيناي اصابني الدوار .. حتى استطعت بجهد جهيد ، أن اتغلب على ضعفي ، لأعاود التحديق في الغلام بعيني الكليلتين ، من خلف نظارتي الملونة السميكة العدسات ، لأتاكد ، تماما انه هو !!

بنفس ملامحه ، وذات هيئته فكيف يمكن هذا !؟.. مستحيل. مستحيل. لكن ها هو المستحيل يتحقق . نعم .

نعم ، انه ابني ، حبيبي ، الغالي .. رغم تذكر اياه نائما ، في فراشه ، بالمنزل ، صباحا ..

على كل ، فهذا الامر غير مستبعد حدوثه من ولدي ، هذا ، المسكين ، الذي ولد متخلفا عقليا ، بلا ذنب جناه ... وقد سبق له أن « عملها » وغادر المنزل ، خلسة ، اكثر من مرة، وكان لا يعود ، بعد طول الغياب ، الابصحبة بعض « اولاد الحلال » ، الذين يفلحون معه في الاستدلال على العنوان ، وهو لا يستطيع ان يدلهم عليه ، بكلماته المتعثرة القليلة !..

وها هو اليوم « يعملها » مرة اخرى ، بصورة اشد خطورة ، من الممكن ان تؤدي به للسقوط تحت عجلات القطار ، لا قدر الله ، او على الاقل يتوه في زحام العاصمة .. حيث لا يقدر له العودة ... هذا اذا ما نجا من مخاطر حوادث العربات ، والسيارات المتزاحمة الرهيبة !! ..

عند هذا الحد من الافكار المتلاحقة السوداء ، لم استطع البقاء .. انتفضت فجأة كالملدوغ . اتجهت نحوه للفور. لم اهتم بالاقدام او السلال او الحقائب المتلاصقة بممر العربة ، لتتضح لي الرؤية اكثر من ذي قبل ، والركاب من ذوي القلوب الكبيرة ،



يعطون ، ولدى المسكين ما تجود به نفوسهم !...

لم اتمالك عواطفي . تدفقت دموعي . انسحقت روحي ، فهل « حصلت » ايضا – ان يتسول ، وانا موجود على ظهر الدنيا !!

ازدادت سرعتي تجاه الغلام حتى وقفت امامه وجها لوجه... فحصته طويلا من قرب ، عضوا عضوا ، وطولا وعرضا بتدقيق وامعان !.. الحمد لله انقطعت انفاسي ، هدأت خواطري ، اتضح – لي انه ليس ابني ، رغم التشابه الغريب الملحوظ ...

بصعوبة بالغة منعت نفسي من ضمه الى صدري ، ودموعي تزداد انهمارا ... دون وعي وجدت اصابعي تمتد له من جيبي ببعض النقود ...
التوجه مباشرة ، لقضاء مأموريتي . تشابه الغلام العجيب ، بابني الحبيب، ملأ على كل افكاري : مرة اخرى تمكنني الرغبة الجارفة ، في رؤيته ، ثانية – اخذت اتطاول بعنقي بحثا عنه في كل مكان بلهفة وقلق. لكنه كان مثل فص ملح وذاب وسط الزحام المتكاثف. ازددت تشبثا لرؤيتـه . اندفعت بصعوبة شديدة ضد اندفاع حركة تيار الركاب المسرعين نحو باب الخروج الضيق – هذا يصلعني من هنا ، وذاك يركلني من هناك . تملكني

القلق . خفت الا اعثر عليه في هذا « المولد » .. اخيرا. هدأت .ابتسمت ظفرا ، عندما ابصرته عن بعيد ،يهبط من آخر عربات القطار . اسرعت الخطا نحوه . وجدني الغلام المسكين ،ثانية، اسد عليه الطريق فتأملني دهشة ، ازدادت عندما وجدني اجزل له العطاء واحاول ان اضمه الى صدري في حنان ابوي واجهش في بكائي .. فلم يتمالك الا ان يرفع يديه ناظرا الى السماء ، وهولا يصدر من حلقه الا اصواتا مبهمة « أ. أ. أ. أ. »
ولم تفارق صورته مخيلتي طوال اليوم ، رغم انشغالي المستمر في مأموريتي !..
اخيرا ، توقف القطار في بلدتنا . اسرعت الخطا نحو المنزل . ضغطت جرس الباب ضغطا متواصلا ، فتحت لي زوجتي . دهشت لعودتي العاجلة وهي التي تعلم ببقائي بالعاصمة لبضعة ايام. دخلت حجرة نوم ابنائي للفوري. وجدت ابني الحبيب المسكين،مستغرقا في نومه ، كالملائكة الابرار ... التقفت فوق صدره احتضنه بحرارة ، اقبله طويلا ، ولا استطيع حبس دموعي المتدفقة الغزيرة ، داعيا من اعمق اعماقي الى الله ، أن يحفظ ولدي ، الغالي ، على الدوام في كل خطوة ، وفي كل لحظة ، بعد ان صنعت كل ما في طوقي ، لعلاجه ، وملاحظتـه ، وتربيته ، مسلما امره للرحمن ، جل جلاله ، فانه ارحم الراحمين ...

انتظار

عبد الجواد طايل

وهرولت شوقا لذاك اللقاء
وفوق فمى بسمة حانيه !
اطالع عبر الطريق .. وجوها
من الناس .. رائحة ، غادية
افتش فى لهفة عن ملاك
وابحث عن فتنة طاغيه !
واما لمحت خيالا ، هرعت
اجرجر خلفى خطى واهيه !
وارجع والوهم فى خاطرى
يعربد كالموجة العاتيه !
اسائل نفسى وكلى ظنون ..
ونفسى تسائلنى شاكيه
ترى نسيت .. ام تراها تناست
ولن نلتقى مرة ثانيه !
وكيف وبالامس كنا نديمين
.. نلهو على ربوة عاليه
وما حيلتى الان والليل امسى
وكاسى لما تزل خاليه
وهذا هو الحب نسمو ونسمو
وفى لحظة نسكن الهاويه !

***

وقابلتها .. عاتبا ، بعد حين
فقالت وقد ادركت ما بيه ..
دع اللوم ياشاعرى وابتسم
لنا الان واللحظة التاليه !
فقلت لها كل شيء يهون
سوى للحظات مضت قاسيه ..
فقالت .. لاعرف قدرى لديك
فقلت وهل لهفتى خافيه !
فقالت .. لاسمع شعرا جديدا
فقلت وان عزت القافيه !
فقلت .. انا الان بين يديك
وقد اغمضت عينها راضيه
ورحنا لندرك ما فاتنا ..
من الشوق فى الليلة الخاليه

الهروب المستحيل

● احمد مصطفى عفيفي ●

اقتربى منى
لا وقت نضيعه
قد فات زمان نتردد فيه
قتلتنا لحظات الريبة والتيه

***

انسابى فى شريانى
وتخطى كل المنعطفات الى قلبى
فانا لا املك الا ان ..
... افتح ابوابا كانت موصدة منذ زمان
يانبع الحب الدافىء ياحصن اماز
ياروعة ايامى .
يا ضوءا يتغلغل فى وجدانى !

***

باسمك افتح كل المنغلقات
اصعد كل جبال العالم
ارفع عينى فى ضوء الشمس الحارق
.. ارفع صوتى فوق الاصوات ،
.. وادخل فى حلبات السبق ،
.. اسابق كل الشعراء

***

اقتربى منى ياملجا روحى
وخذى بين يديك يديا
كل ذئاب الغابة تجرى نحوى
تعوى ، لتنهش فى جسدى
هل اهرب ؟ لاجدوى ..
فمخالبها حيث حللت تطاردنى !

***

اقتربى منى ،
فقطار العمر يولى
وانا فى الميدان وحيدا ابحث عنك
وافتش فى كل مكان
فملامح وجهك تقتل فى هروبى
.. ووداعة روحك .
.. بسمتك السكرى
وانا . آه . لا اعرف اين طريقى ،
فهروبى فوق الامكان !



هذا الأدب المجهول !
قراءة فى شعر ضاحك

عبدالله احمد عبدالله

لا يجرؤ زاعم ، على محاولة التاريخ ، بدقة ويقين ، لظهور الشعر الفكاهى .. اين نشأ ؟ متى بدأ ؟ من اول من قاله ؟

كل هذه اسئلة لا جواب لها على تحديد وقطع ويقين . ذلك ان الشعر قديم قديم ، عمره من عمر الشعور والشعور مخلوق منذ آدم ، فان كان اتخذ القالب والموسيقية والتفاعيل ، فهذا ايضا قديم ..

اما الفكاهة وخفة الروح فهى ايضا فطرة قديمة ، وليست خفة الروح وقفا على عصر ولا جيل . الشعر الفكاهى ، الضاحك المضحك ، اذن ، لا يؤرخ له ، الا اذا أرخنا للشعور وللاضحاك ...

حسبنا منه أنه لون من الوان القول المنظوم ، له نفس قواعد وقيود المنظوم الجاد ، وتأتى الفكاهة فى ثناياه ، لفظا أو صورة ، أو معنى .

ولعل اقرب ما وصل الينا من شعر فكاهى ، شعر عصر المماليك ، كقول محمد بن مسلم الشافعى فى تاجر وسيم :

ازدحم الناس على تاجر ... من غمز لحظ طرفه فاتر
قال علام ازدحموا هكذا ... قلت على عينك ياتاجر !

وكقول ابن دانيال الكحال ـ وكانت صنعته تكحيل العيون :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى ... وضيعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفاقه ... يأخذه من أعين الناس ؟

وكقول أبى الحسن الجزار متغزلا فى « الكنافة » :

سقى الله اكناف الكنافة بالقطر ... وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبا لاوقات « المخلل » انها ... تمر بلا نفع وتحسب من عمرى!

وفى عهد السلطان فرج بن برقوق ، شكا شاعر خفيف الدم من امير مستبد ـ فقال :

قد بلينا بأمير ... ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم ... يذكر الله ويذبح !

وقد يسر لى الحصول على هذه الامثلة الاديب السكندرى ميلاد واصف ، واتخذتها مدخلا للحديث عن الشعر الفكاهى المعاصر . الذى لا يكتفى برسم الابتسامة حيية تتعثر فى خفرها مترددة ، ولكن يطلق الضحكة مجلجلة ، وقد يصحبها دبيب بالاقدام ، وصياح استحسان ، واستلقاء على الاقفية لفرط ما تثير الضحك ! ..

موضوعنا هو « الشعر الفكاهى » أو « الحلمنتيشى » كما اصطلحنا نحن الذين نعمل فى حقله وحقل الصحافة الفكاهية على تسميته ، وصاحب التسمية واحد من الرواد هو أستاذنا حسين شفيق المصرى الذى أسمى بعض أعمـــاله فيه : (المشعلقات) على وزن (المعلقات) ، وقد استهل قصائده باستهلالات المعلقـات السبع الشهيرة ، وعاد فاسماه (المشهورات) حين اتخذ استهلال قصائده ، من استهلالات قصائد مشهورة فى الادب العـــربى لعمالقة المتقـــدمين : المتنبى ، والبحترى ، وابى تمام ، وابى نواس ، واضرابهم ..

واذا كان الشعر الفكاهى المضحك فى العصور الخوالى يتسم بالتحفظ الى حد ، وبسلامة اللغة العربية مبرأ من كل ملحون دخيل ، فان الشعر الفـــكاهى او « الحلمنتيشى » المعاصر ـ موضوعنا اليوم ـ قد تحرر كثيرا من الالتزام فى بعض الفاظه بالفصحى ، فاتسع للعامية ، واتسع حتى للتعبير بالمصطلحات الاجنبيـــة والمسميات الحديثة بحكم (بحبحة) العصر .

فان عرضنا للشعر « الحلمنتيشى » المعاصر ، برزت لنا أسماء : حسين شفيق المصرى ، وبيرم التونسى ، وعبد السلام شهاب ، ومحمد مصطفى حمـام ، وابو فراج ، وطه حراز ، وناشىء له اسهام ملحوظ فى هذا المجال ، هو محمد هاشم الرفاعى الشاعر الدرعمى .

وهذا لا ينفى ان لهذا اللون من الشعر هواة يجيـدونه كل الاجادة ، كانت تمنعهم من الاسفار عن مواهبهم فيه ، اعتبارات شتى كالوقار ، او تجنب الشهرة فيه باعتباره هزلا فاقعا ، وان كان فنا جميلا ، عصيا الا على الموهوبين ...

ومن هؤلاء المتكتمين كان الشاعر السفير احمد عبد المجيد وله فيه آيات ، لكنه كان يؤثر الا ينتسب اليها ولا تنسب اليه ، ربما لانه كان من رجال الدبلوماسية وللدبلوماسية احكام !

ولا بد من تاكيـــــد القول بان الشـــعر « الحلمنتيشى » ـ بالرغم من « حلمنتيشيته » ! ـ له كل مقتضيات وعناصر الشعر الجاد الرزين ، الوقور ، وحتى المتجهم !

لا بد من الوزن والقافية ، حتى ان التعبير و « زنقة القافية » كانا احيـــانا يضطر ان استاذنا حسين شفيق المصرى الى وضع لفظة لا معنى لها .

وفى هامش القصيدة يشير الى انها لفظة او كلمة لا معنى لها ، لكن القافيـــة حكمت بها !

ولان حسين شفيق المصرى وهو يحاكى المعلقات السبع الشهيرة «بحلمنتيشيات» فقد كان يستهل نظمه باستهلال المعلقة التى سيحاكيها .

وهكذا فعل فى « المشهورات » كان ياخذ البيت الاول من قصيدة شـــهيرة ، واحيانا ياخذ بيت القصيد فيها ويجعله استهلالا . وقـــد درج على هــذا النهج بعده ، غيره من الزملاء يستفتحون « الحلمنتيشى » ببيت شهير ثم يتبعونه بنظمهم الخاص ، ولكن ليس هذا حتما وضرورة « للحلمنتيشى » .

ان رائد هذا الشعر ، حسين شفيق المصرى انتج فى هذا المجال ، شعرا كثيرا متنوع الاهداف ، ومنه هذه الابيات التى أبدعها محاكيا ابا العلاء المعـــرى فى قصيدته الشهيرة :

غير مجد فى ملتى واعتقـــادى نـــوح باك ولا ترنم شـــاد

فيقول حسين شفيق المصرى بخفة دم :

خلف الاكل ما الفـــن آديم البطن الا مـــن كثرة الازدراد

وطعام على بقايا طعام — من قلوب الخرفان والاكباد !
ولقد تحرق المصارين خمر — من سبرتو يكوى الفتى فى الفؤاد
واذا تخمة وسكر أصابا — رجلا ، يبيع عقله فى المزاد !
ما لمال مع السفيه بقاء — ووهم هلس وعقله (فيرى باد) !

***

ويقول أستاذنا حسين شفيق المصرى أيضا محاكيا هذه المرة قول أبى العتاهية :

ما لسيدتى مالها — ادلالا ؟ فاحمل ادلالها ؟

يقول حسين شفيق المصرى :

اظن الوليمة زعلانة — وما كنت الصد ازعالها
اتى رمضان فقالت هاتوا لى — زكيبة نقل ... فجبنا لها
ومن قمر الدين جبنا ثلاث — لفائف تتعب شيالها
وجبت صفيحة سمن وجبت — لوازم ماغيرها طالها !
فقل لى على ايه بنت الذين — بتشكى الى اهلها حالها ؟

***

ومن نظم الشاعر السفير الاستاذ أحمد عبد المجيد الذى رحل عنا منذ قريب ، قصيدة « حلمنتيشية » يحاكى فيها أغنية بالفصحى ، شهيرة ، فيقول :

احتجت اليك فسلفنى ... انى محتاج !
سلفنى سوف أرد ديونك بعد رواج ...
والود سيضمننى عندك ان صنت الود
وسدادى ابو حتمى كصداق زواج !
ان كنت صديقى سلفنى ، والدين حساب
او كنت نديمى فادفع لى ثمن الاكواب
المال بجيبك يدعونى .. وانا مشتاق ...
فلماذا تحجبه والعملة خلقت للانفاق ! ...
والفقر امامى وورائى ... من غير فراق !
يا من صورت لى الدنيا ... كاوائل شهر !
وغرست بقلبى امل الشارب بعد الخمر !
انقذنى .. انى مديون .. حتى اذنى
ان كنت حبيبى سلفنى ... الحقنى ياخى !

***

ومن الشاعر الفكاهى السكندرى الاستاذ أبو فراج ، هذه الابيات استهلها ببيت شعر جاد لشاعر آخر لم يسفر عنه ، ثم انطلق :

(طالت الاشواق وازداد العنا — وتمادى البين فيما بيننا)
انا فى الثغر الجميل الفلل — وحبيبى زاغ منى فى قنا !
ولهيب الهجر سوى مهجتى — ليت قلب الحلو يدرى ماجنى !
يا حبيب القلب كرباج النوى — لسوع القلب وسوى جلدنا !
داونى بالوصل حالا او فقل — يا صفيق الوجه امشى من هنا

ومن أحدث « الحلمنتيشيات » ما نظمه الاستاذ طه محمد حراز عن السـلام وموقف بعض الدول الشقيقة منه ـ يقول :

ريم على القاع بين البـان والعـلم — أحل سفك دمي في الاشهر الحرم
لا تخشى سفك الدم ان السلام أتى — فافرح به ياأخي وارقص على النغم
جعنا كثيرا ولكن عاش اخوتنـا — في العز والخير والبترول والنعم
هاجوا علينـا وماجوا في جرائدهم — يجـاهدون بفحش السب والكلم
هل مصر خانت كما قالوا اذا جنحت — نحو السلام بلا حرب وسفك دم
(مابين غمضة عين وانتبـاهتها — يغير الله ٠٠) من رفض الى : نعم

***

والاستاذ محمد عبدالله الشرمبابلي واحد من الادباء الذين يعالجون الشعر الحلمنتيشي وهذا نموذج من نظمه :

اسرع قـوامك ودني قوامـك — نفسي اذوق لحـومه باللذات
أصل المدمس دائما في سكتي — القاه في روحي وفي غـدواتي !
أم الفـلافل عبقت دكانهـا — والفول ماج بأروع السلطات !

***

ومن شباب الشعراء الذين قضوا في زهرة الشباب ، الشاعر الدرعمي هاشم الرفاعي ، والتفت معي أخي القارىء الى خفة روحه وهو يصف فريقي كرة القدم والسلة في معهده العلمي :

لنا في « الباسكت » اختاروا فريقا — يحاكي في ضخامته الجبـالا !
وفي الفوتبـول أفراد تبدوا — عراضا في ملاعبهـا طـوالا
اذا ما صـوبوا كرة يمينـا — لخيبة امرهم راحت شمالا !

***

واقرأ معي أخي القارىء هذه الابيات الساخرة نظمها هاشم الرفاعي في صديق له اسمه « التابعي » عرف بمغامراته النسائية :

زين الشباب الجـامعي — التـابعي الألمعي !
الضـاحك المرح الطروب — العـاطفي ، اللـوذعي
يا صـاح يا ملك الفكا — هـة يا أمير الهمهـع !
أصبحت تجتذب القـلو — ب بمشية المتقمـع !
ويشار نحـوك ان قرر — ت على الحسـان باصبع
أنسيت ماحـوت المتو — ن وما رواه الاصـمعي
أنسـيت يوم تخـرقت — عينـاك في « جخلنجع »
الآن تأنس بالفتـا — ة ولا تقـول الرنقعي !
فاذا اسـتطعت خـدا — عهن فاننا لم نخـدع !

***

وبعد : فكم من قصائد ، هي خرائد وفرائد يحفل بها ديوان الشعر الفكاهي ـ « الحلمنتيشي » المعاصر ٠٠ وكم غرد على افنانه بلابل صادحة بالظرف والايناس والفكاهة الحلوة ٠٠

وكم تعي الذاكرة منه ، وعنه ، الكثير ، فلعل العمر ، والوقت ، والصفحات تتسع لعود اليه باذن الله قريب.

●●

قصة

افتراق

● درويش الإفتاوى ●

● اخرج المنديل من جيبه .. لم تبلله الدموع . على اى شيء اذرف الدمع جفف عرق جبهته .

ـ لا تحرميني من رؤية الاولاد .

ـ عجبا ، اتحبهم حقا .. ولماذا بعتهم ؟

ابتلع لعابه ، مرا كالعلقم .

ـ دائما تغالين في الاقوال ، وهذا كان سبب ..

همت ان تثور ، ولكنها تماسكت دعنا من هذا الان . واذا اردت رؤيتهم فليكن في قسم الشرطة .

حاول أن يرسم ابتسامة على شفتيه : فبدت صفراء مليئة بالغضب والاعتراض . شرطة ! نفسية الاولاد ربما يصدمون !

عجبا للرجال ، يذبحون الشاه ، ويخشون عليها من السلخ ! .. لابد من صفعه بالحقيقة : ما اكثر ما ينتظر الاولاد من صدمات ! عنيدة ، لاجدوى من الوعظ والارشاد معها فليجرب اسلوبا اخر .. الا تراجعين نفسك ، ونعاود الحياة معا ؟

ـ اعلم انك ستروجين !

ـ هذا حقي ! ..

زفر واجتر ابتسامته الصفراء مرة اخرى .

ـ ما اقسى ماينتظر الاولاد !

ـ لن ينقصهم سوى النفقة ، اذا انت تهاونت في ارسالها ..

كظم غيظه دائما تغالين في الاقوال ، وهذا كان سبب ..

ـ لاداعي للاهانات ، ارجوك ..

جعلت الهزيمة تحيط به من كل جانب :

ـ هكذا تضربين بكل ما بيننا عرض الحائط ؟!

اهتز سلاحها في يدها ، ارتجف جسدها بعد ان زفرت اهات مكبوته في صدرها ، طفحت الدموع في مقلتيها .. تراءت لعينها صور من الماضي عزيزة على قلبها .. اسبلت عينها حتى لا تراها .

ـ لاتتراحم على ذكريات ماتت مختنقة بيدك !

شعر بانها اوقعته في حفرة ملساء الجوانب ، لاسبيل الى الخروج منها . وليس امامه سوى الترفق حتى ينتصر

ـ القانون يمنحك الحق في الاقامة ها هنا .

طفح الكيل بها :

● اتذكر القانون الان . ؟

ـ نعم .. فانا استطيع الاقامة عند اقاربى ، او فى فندق .. فهيا عودى الى بيتك ودعك من الوقوف فى الطريق هكذا .. واصعدى ، شقتك فى انتظارك

ـ لا تحاول .. بيت ابى اوسع من هذا القانون !!

ـ ابوك قادم ، معه شخص متانق فى ملبسه ..

آه فهمت الان ... لعله العريس المرتقب

ـ لازلت تلجأ الى الشك وترتمى فى احضانه ..

برقت عيناه بشىء مخيف ..

ـ ياله من وغد !.. الا يستطيع ان يصطبر حتى تذهبين اليه ! .

ولكننى لن اجعله ينال بغيته . فأنت لاتزالين زوجتى ، بحق الشرع والقانون

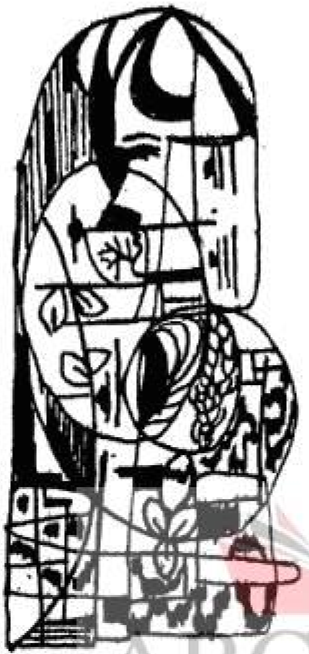
ـ أتعود الان الى احضان القانون ، وانت نسيته منذ زواجنا !

ـ القانون اعطانى الحق فى ارجاعك فانها طلقة اولى . ولا .. ولن اتركك لتتزوجين هذا الشخص .

ـ ولكن ما حدث منك سيتكرر ..

ـ القانون فى صفى ، وبه ستعودين.

ـ ولكن ابى لن يتركك ، فدعنى ..



الوقت اوشك على الغروب !

ـ ساطلبه بالقانون .

نظرت الى السماء ، ما اسرع ان حل المساء .. القمر ولد كبيرا والقى بضوئه على شقتها ..

ـ اتريدنى ان اعود معك بالقانون ؟ .

ـ نعم .. اخذت بيدى طفليها ، وعادت الى بيتها ، تمتمت وهى فى طريقها : سادخل البيت بالقانون ، وارجو الا يتركنى القانون واخرج من البيت ، ويدعنى اواجهك وحدى !

روح عن نفسك ..

● اولا : لغز بالشعر : ما هو ؟

ومستدير تروق العين رؤيته
كأنه فلك نجم الدجى فيه
حروفه اربع قد ركبت فاذا
ما قلت أول حرف تم باقيه

● ثانيا : عملية حسابية : ضع الرقم المطلوب محل علامة ×

× × ٥
١ × ×
―――――
٢ × × ٥
١ ٣ × ٠
× × ×
―――――
٤ × ٧ ٧ ×

● ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ــ اقسم رجل بطلاقه امرأته ان أكلت ثمرة كانت في يدها ، أو رمت بها ، فماذا تفعل المرأة ؟

٢ ــ عندك قطعة قماش طولها ٣٠ مترا ، فاذا قطعت منها يوميا مترا ، ففي كم يوم يكون عدد القطع ٣٠ قطعة؟

٣ ــ اذا كانت دجاجة ونصف دجاجة تضع بيضة ونصف بيضة في يوم ونصف يوم ، فما عدد البيض الذي تضعه ست دجاجات في ستة ايام ؟

٤ ــ لمن يحني جميع الناس رؤوسهم؟

٥ ــ ما الذي يجوب العالم ولا يبرح مكانه ؟

٦ ــ تصور انك في غرفة مظلمة وان امامك ١٢ جوربا حمراء و ١٢ جوربا سوداء وتحتاج لزوج من الجوارب من لون واحد فكيف يمكنك الحصول على زوج الجورب المطلوب باخذ أصغر أو أقل عدد من الجوارب (الفرد) وتخرج به من الغرفة المظلمة الى النور ؟

٧ ــ له عنق كالجمل وطوله طول الجمل ، ويمشي كالجمل ، ولكنه ليس بجمل ، فما هو ؟

٨ ــ لماذا يهرب الوقت ؟

٩ ــ تبين من الاحصاءات ان العربة الأخيرة من كل قطار هي أكثر العربات اصابة بالاكرار في كل تصادم ، لذا اقترح البعض فصل العربة الاخيرة من كل قطار قبل أن يبرح المحطة ؟

١٠ ــ اذا وضعت الحروف التالية أمام مرآة ، فانها لا يتغير شكله بالانعكاس : ج ، ل ، ن ، س ، ت ؟

● رابعا : اختبر معلوماتك : خطأ أم صواب

١ ــ الطماطم من الخضروات .

٢ ــ ينام الثعبان وعيناه مفتوحتان.

٣ ــ التمساح يلد

٤ ــ زجاج النوافذ الشفاف العادى تنفذ منه الاشعة البنفسجية .

٥ ــ يتناقص حجم الكرة الارضية بمضى الزمن .

● الاجابة ●

● اولا : لغز بالشعر : الخاتم

● ثانيا : عملية حسابية

٣٢٥
١٤٧
ـــــــــ
٢٢٧٥
١٣٠٠
٣٢٥
ـــــــــ
٤٧٧٧٥

● ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ــ تأكل نصف الثمرة وترمى بالنصف الآخر .

٢ ــ تسعة وعشرين يوما ، لأن القطعة الثلاثين ستكون مقطوعة فعلا يوم ٢٩ .

٣ ــ ٢٤ بيضة ، لأنه اذا كانت الدجاجة ونصف الدجاجة تضع بيضة ونصف بيضة فى يوم ونصف ، فان ثلاث دجاجات تضع ثلاث بيضات فى يوم ونصف و ١٢ فى ٣ ايام و ٢٤ فى ٦ ايام .

٤ ــ للحلاق ..

٥ ــ الفكر .

٦ ــ ثلاثة فلابد ان يكون من بينهما اثنان من لون واحد .

٧ ــ الزرافة .

٨ ــ لأن كل واحد يريد ان يقتله .

٩ ــ من المستحيل الا تكون فى القطار عربة اخيرة ، لأن كل عربة فى نهايته ستكون الاخيرة .

١٠ ــ النون والتاء .

● رابعا : اختبر معلوماتك : خطأ أم صواب

١ ــ خطأ فالطماطم من الثمار .

٢ ــ صواب ، فعينا الثعبان مفتوحتان على الدوام لأنه ليست لهما جفون .

٣ ــ خطأ ، فالتمساح يبيض .

٤ ــ خطأ ، فهو لا ينفذها ..

٥ ــ صواب ولكن دون تناقص فى الوزن وذلك لانكماشها نتيجة لتناقص درجة حرارتها .

العصفور الشارد

● ابراهيم خليل ابراهيم ●



بغيرك خافقى شردا
فمثلك لم اجد احدا ...
فلا تعتب على قلبى ....
وحبك خالد ابدا !
انا السروح التى مدت
اليك يدا فمد يدا !
وقلب صادح النبض
فلا ضاع الغناء سدى ؟

***

وعينيك التى شربت
من الفردوس حين شدا
رايت الليل بالاشرا
ق والآمال متحدا ...
رايت النجمة الحيرى
تغار وتعرف الحسدا
سمعت الهمسة النشوى
تعانق بلبلا غردا ...
فناديت الذى أهوى
فما رد الفراغ صدى !

***

تعالى أننى تهت
وعصفور الصفا شردا
فبحت بكل هدى
وارضعت الفؤاد هدى
وردت النهر ظمآنا
فعطفا للذى وردا !
احبك بسمة تهدى
الى خد الربيع ندى ...
جعلتك مأمنى ، املى
اذا خان الزمان غدا !


١٨٩٢ - ١٩٨٠
بين العدد الاول من الهلال والاخير منه
٨٨ عاما
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
ولازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها
الهلال
الهلال
الهلال
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي
ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر

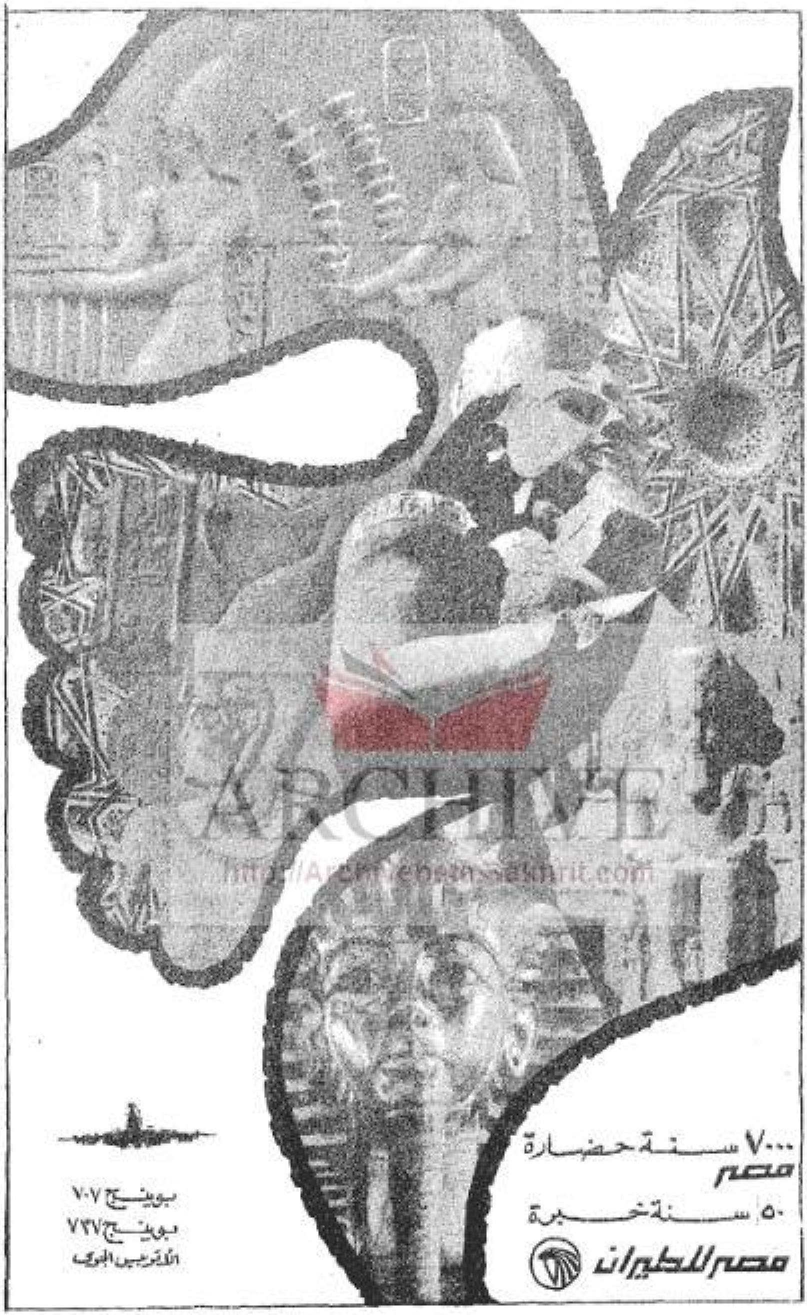
اغسطس ١٩٨١

الهلال

مجلة الفكر العربي

أنت و المستقبل




٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوى

كلمة الهلال

لكى تكون التكنولوجيا عربية

فى موضع على شاطىء الخليج العربى فى الامارات ، انشأوا ميناء جديدا يسمى جبل على · شاهدته اثناء الانشاء وبعد الانشاء انه شىء بديع حقا اتقانا وتقدما وتنظيما ·

قالوا لى عندما ابديت بالغ اعجابى بما رأيت :

انشأته مجموعة شركات يابانية ، وستديره بعد ان يتم شركة انجليزية بالاشتراك مع شركة عربية ، وستتولى اعمال الصيانة فيه شركة يابانية اخرى وظيفتها الصيانة ، وستقوم باعمال النظافة فيه شركة كورية ، وستضبط اعمال الحسابات ورقابة الموظفين فيه شركة امريكية ·

كل هذا جميل

ولكن ، اين العرب فى ذلك كله ؟

***

وانا لا اعترض على ان تتولى هذه الشركات انشاء الميناء وصيانته وادارته ونظافته ، فالحق ان هذه انواع من الاعمال لم نتعلمها لكى نعرفها ونتدرب عليها ونتقنها ·

ولكن الشىء الذى اطالب به هو ان يلحق بكل شركة من هذه « طقم » او طقمان · · من شباب العرب الذين تعدهم اعدادا مبدئيا لتولى العمل محل الشركة الاجنبية ، وانا لا انعجل الامور ، اى اننى لا اتعجل احلال العربى محل غير العربى ، ولكنى اتمسك بان يكون الصف الثانى لكل مجموعة غير عربية عربيا ، وان ننتظر عليه حتى يتدرب ويتقن وينتقل اليه الاحساس بالاتقان العلمى والعمل ثم يتسلم العلم مرحلة مرحلة ·

هنا فقط استطيع ان اطمئن على مستقبل هذا الطراز من الاعمال فى البلاد العربية · لا ضير علينا فى ان نعترف اننا لا نعرف الكثير جدا من شئون العصر ولكن الضير فى الا نرسم خطة نرث بها كل هذه التكنولوجيا لنملكها ولنقول حقا اننا دخلنا عصر التكنولوجيا ولم نكتف كما هو الحال بان نجلس تحت لافتته ·

المحرر

مفكرة يوسف إدريس

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

● قراءة يوسف ادريس دائما متعة وتعب متعة لانك تقرأ لذهن ملكا متانق نفاذ وتعب لانك - وانت تقرا تحس انك تجرى بل تلهث وراءه ، لان ذهن يوسف ادريس متوقد يرسل الفكرة تلو اخرى في سرعة خاطفة كأنها شهب . وقد تعودت أن اقرا ما يكتب على مراحل : اقرا ثلاث صفحات اربع ثم اطوى الكتاب ، وأدع الذهن يستوعب ما انصب فيه من افكار وآراء على مهل ، لان القراءة عندى متعة اولا ثم عمل ثانيا ، فانا لا اقرا الا ما يمتعنى اولا - وهذا هو الجانب الفنى من فضائل القراءة - ثم ما ينفعنى ، لاننى لابد ان اتعلم مما اقرأ ، واذا لم تعلمنى القراءة شيئا جديدا فلماذا اقرا ؟

***

هذا كان موقفى - أو قل حالى - مع « مفكرة يوسف ادريس » التي نشرت أخيرا فى كتاب جميل عن دار غريب للطباعة (القاهرة ١٩٨٢) ، والكتاب جميل شكلا وموضوعا ، فهو مطبوع طباعة تروق العين ، ومحتوى الكتاب بحر متلاطم من الافكار والآراء صدرت عن ذهن يوسف ادريس المتالق وصيغت في اسلوبه المتدافع الذى تشعر وأنت تقرأه انك امام الكاتب ومعه ،وهذه من فضائل الكتابة الجيدة انها مرآة نفس الكاتب وصورة نفسه وذهنه ، وليست أبدا أشياء تصدر عنه عفو الخاطر أو سقط البراع كما يقول القدماء .

***

وقد انفقت قرابة الشهر فى قراءة هذه المفكرة ،أراوح القراءة وأعود اليها صباحا بعد صباح ، واستمتع كل مرة الى يوسف ادريس وهو ممسك بخناق الزمان ويحاول جهده أن يستخرج منه أجوبة على أسئلة تحيره وتحيرنا مثل مشكلة العمر أو ما قدر لكل منا من سنوات الحياة التي يناقشها يوسف ادريس فى المقال الاول من هذه المفكرة ، وقد وقفت طويلا عند قوله :

« ودائما ما تدرك وتتيقن ان الجزء الذى يغوص منك فى بئر الزمن المطلق ، العدم قد ازداد ، وان جزاك الباقى فوق



الدكتور يوسف ادريس

سطح الحياة قد نقص،والنقص غير موزع على أربعة آلاف مليون بشرى • بل ولا اربعة حتى النقص منك انت ويخصك كله او لهذا يرتدع البعض ، وعند حد معين يتجنبون النظر تماما الى ساعاتهم او زمنهم الخاص ٠٠ » فهذا كلام جميل جدا يدعو الى التفكير العميق ، لانك تشعر أن المتكلم ليس يوسف ادريس بل أنت معه أعنى انه ينطق بلسانك ، وذلك توفيق جميل من الكاتب: ان يحرك معك ويدخلك فيما يعرض له من قضايا فلا تصبح شخصية بل قضايا انسانية ٠٠

وأسمع اليه يقول وكأنه يتحدث بلسان جيل كامل ممن يحملون اليوم المسئولية عن مصر كلها ويسيرون بها في في شقاء بالغ ٠٠ فأنا من هؤلاء الذين قضوا طفولة جادة تماما ولم يعرف المرح طريقه اليها رجل رهيب في ثوب طفل• كل ما اعتقد انني اريده احرمه على نفسي بل – أنظر اليه – كأنه خطيئة ارتكبها حيال الآخرين ٠٠

هنا شعرت أن يوسف ادريس يتحدث عنى وعن المئات ممن وضعت الاقدار على اكتافهم مسئولية هذا البلد بل مسئولية العرب ، ودون ان يدروا أو يشاءوا كانوا كهولا وهم اطفال ، وبينما يلعب الاطفال فى البيوت والحوارى ويتسابقون الى شراء الحلوى كنت انا اجلس فى مكتبة الاطفال فى دار الكتب اقرأ واتفرج على الاطالس وصور الكتب الانجليزية الجميلة وتلك هى الطفولة التى عرفتها ،وهذا هو اللعب الذى عرفته •

❋❋❋

واجابة يوسف ادريس عن سؤال لماذا تكتب ٠٠ تثير الاشجان فى النفس ،فهو قد بدأ الكتابة دون أن يعرف لماذا يكتب ربما لان الكتابة هى قسمته ونصيبه وهى القدر الذى كتب له ان يحمله من مسئولية الوطن بل الانسانية ، ولهذا فقد نجده عندما سأله موظف عادى هذا السؤال ، وهو يصف هذا الموظف وصفا رائعا ، خريج جامعة يبدو ، ولكن الزمن والوظيفة من الواضح أنهما تكفلا به

مفكرة

يوسف إدريس



فأحالاه الى ذلك الجسد النحيل والقميص الكالح والبنطلون الاكلح »

وهذا المقال حزين وفيه جو الاكتئاب والحقيقة ان كل من في يده قلم يكتب به للناس ويشعر في نفس الوقت ان هذا القلم وسيلة في يده لخدمة الناس ولتعذيب نفسه في نفس الوقت يشعر بهذا الاكتئاب فان الكاتب المخلص الصادق يطلب الكثير جدا من نفسه ومن الناس ، فأما نفسه فهو يقعد عليها ويشقيها ، وأما الناس ـ اولئك المتمردون على كل ما هو جاد ونافع ،فهو لا يملك حيالهم شيئا • انهم يأكلون ويشربون ويضحكون على اسخف نكتة يقولها مهرج يسمى نفسه ممثل ، وبينما هم يضحكون يحترق الكاتب ويكتب ، وهكذا كان دوستويفسكى • لقد قتله أولئك الذين يعيشون ويضحكون غير مبالين ، وخير ما قرأت في الكلام عنه انه ابدع في رواية الجريمة والعقاب لان حياة الناس كانت في احساسه جريمة وهو وحده الذى تحمل العقاب •

وأجمل ما تحس به وأنت تقرأ هذا الكتاب أن يوسف ادريس ليس واقفا على الشاطىء بل هو دائما في البحر وسط الامواج ، فهو ليس جبران خليل جبران المرتاح ، الانيق الذى لم يعرف الالم في حياته فتخصص في وصف آلام الآخرين بكلام مزوق مسطح ، ولكن يوسف ادريس يعيش مع الالم بل يعيش هو الالم نفسه ، لا لانه شخصيا متعب أو عنده الكثير من دواعى الالم بل هو متألم لان الآخرين متألمين فهو معهم يحس احساسهم ويشاطرهم احزانهم واقرأ مثلا ما يقوله عن مذبحة الملك حسين للفلسطينيين واستمع الى ما يقوله عن جولته فى البلاد العربية فهذا ليس بكلام رجل ذهب ليتفرج بل ذهب ليعيش متاعب العرب ، وهو هنا يتساءل لماذا نحن المصريين غير مفهومين من العرب وغير العرب واجابته ليست اجابة بل هى مجموعة لستة أسئلة ، وهذا هو ما يعجبنى فى يوسف ادريس : انه يثير ذهنك ويحرك خلقه ولا يريحك قط ، ورحم الله مصطفى لطفى المنفلوطى الذى كان هو نفسه شيئا وسيم الوجه ،مرتاح النفس ، يكتب لامرتاحين أمثاله • ماأعظم الفرق بينه وبين يوسف ادريس الذى يحس دائما انه متعب يتكلم • أحيانا هو ضمير نفسه • أحيانا هو ضمير مصر ـ وهنا يبلغ يوسف ادريس أعماقا رهيبة ـ وأحيانا هو ضمير الامة العربية أو ضمير الانسانية •وذلك شىء جميل جدا، انه يتعب الكاتب ولكنه يريح المعنيين بمصير الانسانية فهم يشعرون أن هناك على الاقل انسانا يعنيه الامر وسط بحر زاخر ممن لا يهمهم الامر •• أى أمر •

كتاب بديع حقا قرأته واستمتعت به وادعو غيرى الى ان يقرأوه ويستمتعوا به ويتعبوا معه ، فان الراحة فى ذاتها لا تساوى شيئا ، بل الراحة هى التعب فى سبيل شىء يريح النفس ويريح الآخرين •

د • حسين مؤنس

كتب وكتاب

المناهل

● المناهل مجلة ثقافية تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية بالمغرب .

بين يدى الان العددان التاسع عشر والعشرين من مجلة المناهل ومن محاسن المغرب حرصه على ان يصدر دائما مجلات ثقافية عربية اسلامية على المستوى الرفيع وذلك ان دل على شيء فعلى حرص ذلك البلد العربي الاصيل على خدمة الثقافة العربية الاسلامية والتمسك بالعروبة وخطها السليم فى الفكر والحضارة .

ولهذا فانه يسر مجلة الهلال ان ترسل تحية الى المشرفين على شئون الثقافة فى المغرب وتزجى لهم الشكر على تلك العناية بالعروبة وثقافتها .

وليست مجلة المناهل هى اول مجلة ثقافية رفيعة المستوى يصدرها المغرب بل سبقتها وعاصرتها مجلات اخرى ثقافية عربية اسلامية ذات مستوى رفيع .

فكلنا نعرف مجلة « دعوة الحق » التى يعتبر كل عدد من اعدادها ذخرا من ذخائر الصحافة العربية الفكرية . فهى مجلة ابحاث ومجلة ادب وشعر وقبل ذلك كله مجلة اسلام وعروبة .

ومن سنوات انشأ المرحوم علال الفاسى مجلة البينة وكانت من القيم المجلات الثقافية الاسلامية التى قراتها ومجموعاتها عندى ذخر من ذخائر المكتبة ومن المؤسف انها اختفت بوفاة منشئها علال الفاسى رحمه الله رحمة واسعة فقد كان من اعلام الحرية والعروبة والاسلام فى عالم الاسلام كله. وهناك ايضا مجلة « اللسان العربى » وهى مجلة جادة تنشر ابحاثا ونصوصا ونقولا عن اللغات الاوروبية ذات قيمة علمية كبرى وهى تصدر عن مركز التعريب التابع للجامعة العربية ويشرف عليها اخونا فى العروبة والاسلام عبد العزيز ابن عبد الله هذا الى جانب مجلة « البحث العلمى » التى تصدر عن ادارة الابحاث بجامعة الرباط . ومجلة « المناهل » التى نتحدث عنها الان تحولت مع الزمن من مجلة ادب صرف كما يتجلى فى اعدادها الاولى الى مجلة ابحاث ودراسات عربية اسلامية ومغربية فى نفس الوقت ذات قيمة كبرى . فالعدد التاسع عشر الذى نتحدث عنه الان خصصوه القاضى عياض بن موسى اليحصوبى وهو من اعلام الفكر الاسلامى فى القرن السادس الهجرى وهو دون شك قطب من اقطاب العروبة والاسلام فى المغرب الاقصى وهو من اهل سبتة وهى بلد اسلامى سليب لان الاسبان استولوا عليه ايام المد المسيحى فى حوض البحر المتوسط ايام شارل الخامس وابنه فيليب الثانى

والعدد الخاص بعياض حافل بالابحاث والدراسات عن ذلك الفقيه العظيم ففيه ابحاث لمحمد بن داود الطنجى وعبد الله كانون والدكتورة عائشة عبد الرحمن ومحمد العربى الخطابى والدكتور عبد الله الطيب وعبد الرحمن الفاسى والدكتورة ابتسام مرهون الصفار . ومحمد بن شرنسه وكلهم من اصدقائنا وزملائنا فى عالم الابحاث والدراسات العربية والاسلامية والمغربية منها خاصة ، واذا كنا نلاحظ شيئا عن العدد فاننا كنا نستحسن ان يكون الفصل الاول من ذلك العدد تعريفا بحياة القاضى عياض ودوره فى الفكر والسياسة وترجمة حياته مع مراجع وافية حتى يعرفه القارىء معرفة ببليوغرافية . .

وهذا امر اساسى بالنسبة لنا جميعا. ومع اعترافنا بامتياز العدد كله وافادتنا من ابحاثه الا اننا نلاحظ ان احدا لم يشر الى كتاب « ازهار الرياض فى اخبار عياض » للمقرى وهو مرجعنا الاول عن عياض وعصره وشيوخه وتلاميذه وتاليفه .

● د. حسين مؤنس ●

فى هلالك هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربى

اغسطس ١٩٨١ م
شوال ١٤٠١ هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ — السنة التاسعة والثمانون أول اغسطس سنة ١٩٨١ — غرة شوال سنة ١٤٠١ هـ .

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر . ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لاترد ، نشرت ام لم تنشر

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

• صورة الغلاف •

اذا كان الربيع زفاف الطبيعة فان الصيف هو نضجها ووصولها الى ذروة جمالها وغلاف هذا العدد يعبر عن ذلك بصورة جميلة هنا زهور وورود ووجه جميل مشرق ... كل ما هنا ينبض بالحياة

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم - قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا او تسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ جنيهات تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة .
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط .

العرب

وصنع المستقبل

بقلم : رئيس التحرير

عيون العرب جميعا متطلعة الى مستقبل احسن من الحاضر الذى يعيشونه ..

ولكن كيف يصنعون هذا المستقبل ؟

لكي يكون هذا المستقبل مستقبلا وجديدا حقا ، لابد أن يصنع من مواد أخرى غير مواد الحـاضر ولابد أن تشكل هذه المواد الجديدة على أسلوب جديد .

أما صنع المستقبل من مواد الماضي والحاضر ،وباسلوب صناعة الماضي والحاضر ، فلا ينشأ عنه الا تاخـر اكثر ومزيد من الآلام والحسرات ..

انقضى الشتاء الماضي والعرب في حال لا يرضى بها عدو فضلا عن الصديق ..
وجاء الصيف فكان انكى علينا وامر .. اوغلت اسرائيل في أرض العرب ، فاصبحت ارض لبنان مرعى لها تجوس خلالها كيف تشاء . وفي يونيو الماضي كانت كارثة المفاعل الذرى العراقي . وهو عدوان بشع يثير في النفس أشد دواعي الغضب ، ولو كنا عربا عرابا لغضبنا غضبة مضرية ، وكانت مضر اذا غضبت اقامت القيامه ولم يقف في طريقها احد . ولكن يبدو ان الاوشاج انقطعت بيننا ومضر جملة .

وهذه الضربة الاليمة التى وجهها مناحم بيجين الى بلد من اعز بلاد العروبة فاحيا بعمله هذا روح الشر والعدوان والاستهتار بالعرب في نفوس أهل اسرائيل ، ونتيجة لذلك ارتفع من الخمول السياسى الذى كان يغرق فيه شيئا فشيئا ، فكسب مقاعد في انتخاباتهم ما كان يحلم بها .. وتشجع فتحدى وجعجع وبعبع ، واسرع يؤلف حكومة جديدة قبل الاوان لانه رجل جرىء درج على العدوان والاقتحام ، ومثل هذا الرجل لو تلقى من العرب ضربة واحدة لانكسرت نفسه وظهره في آن واحد معا ..

ولكن أين العرب الذين يوجهون قاصمة الظهر هذه ؟

انهم هناك قاعدون يعدون الاموال . وآخر الاخبار انهم انشأوا شركة استثمار براس مال قدره عشرة بلايين دولار لتعمل في البلاد النامية على اسس تجارية صرفة ، اى انه بينما يضرب هذا الجرىء الدموى ضربته نفكر نحن في تثمير اموالنا على حساب الفقراء والمساكين من أهل العالم الثالث ..

وتلك هي مضرية العصر الحديث .

مضرية العصر القديم كانت شرفا كلها وأنفة كلها ، وغضبا للحق والكرامة والعروبة .

ومضرية اليوم ذهب كلها ، نقود فوق نقود .. نقود يعبدها أصحابها ولايعنيهم الا تثميرها ودنياهم العربية من حولهم تحترق !

***

لم تكن اسرائيل في يوم من ايامها السود اسوأ مما هى اليوم ..

يتربع على عرشها متعصب على عينيه غشاوة من دخان دير ياسين والمفاعل العراقى ، وذهنه غارق في اوهام عظمة هذا الشيء الذى يسميه عودة شعب الله الى ارض جوديا وسماريا . ونصف الاسرائيليين عليه وكل الدنيا تتعجب من ان يكون اسم هذا الرجل في سجل الحاصلين على جائزة نوبل للسلام . ولكن الذى لا يعرفه الناس ان الجانب الارهابي في مناحم بيجين هو الذى يحببه الى الاسرائيليين ، فهم جميعا معه في موضوع مثل موضوع تحطيم المفاعل الذرى العراقي ، لانهم جميعا – ودون استثناء – يحلمون بتحطيم العرب جميعا .. كنا في الماضي مغفلين لاننا كنا نصارح بكراهتنا لاسرائيل ، وكانت هى من الذكاء بحيث تتحدث عن السلام ، وعندما عرضنا السلام لجأت الى العدوان اذ لا شيء يحطم اسرائيل مثل السلام .

وكانت المعركة الانتخابية الاخيرة في اسرائيل فضيحة . لقد تشاجروا ومزق بعضهم ملابس بعض ، ونشروا على أعين

● بلغت الاعتداءات الأخيرة على أرض العرب وحقوقهم مبلغاً يثير أشد دواعي الغضب ، فلماذا لم يغضب العرب غضبتهم المضرية المشهورة ؟ وإذا لم يغضبوها لضرب المفاعل الذري العراقي وتلك العربدة المهينة في أراضي لبنان فمتى يغضبون ؟

الناس غسيلهم كله ـ وكله قذر ! ـ واقرأ هذه السطور التي نشرتها مجلة « تايم » في عددها الاخير (٦ يوليو ١٩٨١) عن تلك الانتخابات : « في مناظرة تليفزيونية مع مناحم بيجين اتهم شيمون بيريز رئيس حزب العمل خصمه رئيس الوزراء ، بأنه مسئول عن تزعزع كيان الاقتصاد الاسرائيلي وان كتلة ليكود خاضت معه معركة انتخابات قذرة ، وقال : كانت هناك مؤامرة لقتلي كرجل وكرئيس لحزب العمل ..

ثم أضاف أن هذه المعركة الانتخابية كانت أعنف معركة وأبلغها اهانة للكرامة الانسانية خاضتها اسرائيل .

صبح النوم يا سيد بيريز ..

اليوم تتحدث عن الاخلاق والمؤامرات لقتل الناس معنويا وأنت وقومك جميعا قائمون على جريمة قتل شعب كامل هو شعب فلسطين ، وتتآمرون على قتل شعوب العرب جميعا ، وهل تحطيم المفاعل الذري العراقي الا طرف من مؤامرة القضاء على الشعب العربي كله ؟

.. انهم يملكون المفاعل الذرى في اسرائيل ولن يسمحوا لعربي بأن يملك مفاعلا ذريا ، لانهم يريدون أن يكون المسدس والرصاص بيدهم وحدهم والباقي يقفون عزلا وظهرهم للحائط

لا يعرفون متى يضغط الاصبع على الزناد ! ..

ومن المسئول عن ذلك الوضع الحزين ؟

العرب !

وويل للعرب من العرب !

واذكر معي قول الشاعر :

قومي همو قتلوا اميم اخي
فاذا رميت يصيبني سهمي !

***

لقد شهدت الحلقات الاخيرة لباريات ويمبلدون للتنس رأيت صراع الاسود المرير بين بيورج بورج وماكنرو ... شابان كالجبلين يصارع كل منهما صراع الموت ليحمي اسمه واسم بلده .

الجولات الاخيرة دامت ثلاثا وعشرين ساعة وهذان الشابان يضربان الكرة بقوة قذيفة المدفع دون أن تبدو على أحد منهما بادرة تعب أو يأس . وفي لحظة من تلك المعركة الهائلة لم تزد المسافة بينهما عن ثلاثة أمتار . وظلا يتبادلان ارسال القذائف دون أن تكل ذراع أو تزل قدم ! ..

● **إن إسرائيل اليوم فى أسوأ حال مرّت بها منذ ماتت الطاغية جولدا ماير ، فكيف لاينتهز العرب هذه الفرصة ويتحدوا ليستفيدوا من الانقسام الذريع داخل إسرائيل ؟**

صدقنى أيها القارىء : لقد شهدت هذه المباراة وأنا لا أفهم فى التنس ولكنى أفهم فى الرجال وأقدار الرجال، والاوطان وأوطان الرجال .. ووجدت نفسى تقول لنفسى : هؤلاء رجال تقوم عليهم أوطان كالجبال ..

فأذكر معى مباراة التصفية الاخيرة لفرق كرة القدم الافريقية والفريق المصرى خائر القوى ، مهتز المركب والشاب منهم لا يكاد يرى الكرة لانه بسلامته لا ينام قبل الهزيع الاخير من الليل ، والباقى خمر ونساء كما تقول اغنية يوهان شتراوس .

ولماذا خمر ونساء ؟

لانهم لا يحبون مصر ..

لانهم لا يشعرون بأنهم يمثلون بلدا عظيما يسمى مصر ترتج لاسمها أركان الدنيا ..

على مثل هؤلاء لا يقوم وطن ولا نصف وطن .

واسرائيل عندما تعربد فى بلاد العرب تعرف ماذا تصنع ، انها تعربد فى أجمة ليس فيها أسود .

وحكمى هذا منصب على العرب دون استثناء ، لاننى أعرفهم فى ماضيهم وحاضرهم كما لم يعرفهم غيرى ، والطينة هنا وهناك واحدة ، والخفافيش لا تولد من صقور ونسور وانما تولد من خفافيش ..

معقول ؟

***

هذه المقارنة التى عقدتها بين لاعبى التنس السويدى والامريكى الايرلندى من ناحية وفريق الكرة المصرى من ناحية اخرى تلخص لك مأساة العرب المعاصرين فان اسرائيل هذه ـ والله يا ناس ليست شيئا . انها ذبابة متطفلة على العرب . قل انها عقرب اندست فى رمال العرب ، وهى لا تحتمل حرب شهر حربا جادة ، فى اكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد اربعة ايام فحسب من القتال رفع موشى ديان يديه الى السماء واستغاث بأمريكا وكلماته كانت : لقد انتهينا ، لن نستطيع مواصلة القتال . أدركونا . وعندما تحدث جمال عبد الناصر مع ماوتسى تونج عن اسرائيل نظر اليه ماو وقال :

ـ وهذه اسرائيل تحيركم ؟

ـ ان وراءها امريكا ..

ـ وهل امريكا تخيفكم ؟ .. انها فيل ضخم عجوز !

● لقد شهدنا المراحل الأخيرة من مباريات ويمبلدون للتنس ورأينا تفانى اللاعبين فى تشريف أنفسهم وتشريف أوطانهم فلماذا نجد لاعبينا متهاونين فى أمر أنفسهم وأمر أوطانهم إلى هذا المستوى المخجل؟ وهل يعلل هذا إلا بضعف الشعور الوطنى ؟

ـ وماذا نعمل مع اسرائيل ؟

ـ ابصقوا عليها فتموت . الا تعرفون كيف تبصقون .. لقد بصقت فيتنام على فرنسا وامريكا معا وانت تشكو من اسرائيل .

ولم يكن ماو يشير الى اسرائيل فى احاديثه الا بلفظ « الحشرة » او البارازميت (الطفيلية) .

***

ولكن هذه الحشرة أصبحت سبعا فى بلادنا .

والجرثومة الطفيلية تسعى اليوم لقتل الجسد العربى كله ، بالضبط كما تتكاثر ميكروبات التيفود مثلا فى الجسد الضخم (بالنسبة لها) وتنتهى آخر الامر بقتله .

ولن نتجه فى هذا المقال الى لوم العرب على ما فعلوا ويفعلون ، فهذا موضوع قديم ما أكثر ما تحدثنا فيه ، سنحاول معا أن نرى كيف يستطيع العرب التخلص من تلك الحشرة أو الطفيلية أو العقدة التى تسمى اسرائيل لكى يستطيعوا النظر الى المستقبل ، لان اسرائيل تشل تفكيرهم بالفعل ، وتجمد كل مسارهم الحضارى ، لانها أصبحت كسبع يحوم داخل غابة ولا يجرؤ احد على ولوجها ، وفى هذه الحالة حتى لو واضح جدا ان واحدا من أكبر اسباب الرهبة من اسرائيل هو الجهل بكل ما يجرى داخلها وبكل صلاتها وخيوطها مع الخارج . ومع علمى بنفوذ العرب من الاتصال المباشر مع اسرائيل فاننى السبع الذى يظن انه هناك .

دخول الغابة أو الاجمة رهبة من ذلك مات السبع فسيظل الناس يرهبون لابد أن اقدر أن فتح الباب للاتصالات مع اسرائيل قد ضاعف معلومات الكثيرين من الصحفيين ورجال السياسة فى مصر عن ذلك البلد ، فلم تعد اسرائيل بالنسبة لهم هذا الوحش الرهيب الذى يعربد فى الاجمة كما يريد . وانا شخصيا لم أتصل باسرائيل ولا وضعت قدما فيها ، ولا استريح الى أن تكون لى اى صلة مع اى انسان هناك ما دامت القدس العربية محتلة ، ولكنى اقرأ ما يكتبه الذين اتصلوا بالاسرائيليين واستمع الى حديثهم فأعرف الكثير جدا عن ذلك البلد بصورة غير مباشرة،واشعر أن هذه المعرفة تفيدنى فى التفكير والكتابة ، وعلى الاقل لم تعد لاسرائيل فى نفسى أى رهبة .

وانا واثق من أن رجال العراق لو كانت لهم مثل هذه الاتصالات باسرائيل لما حدثت كارثة المفاعل النووى ، فان كل

● لماذا لم نتعلم من أعدائنا درس العمل في صمت ؟ لماذا نعلن مشروعاتنا على العالم كله قبل أن ننفذها ؟ ألا نرى كيف نفذت إسرائيل جريمة العدوان على المفاعل الذري العراقي بعد أن ظل رجالها يتدربون على العملية عامًا كاملًا ؟

أصحاب الامر في اسرائيل كانوا يعرفون ان بلدهم يخطط لضرب المفاعل الذرى العراقى ، بل أن الموضـــوع نشر في الصحف ، وقامت القـوات الجـوية الأسرائيلية بتجارب على تنفيذ العملية ، ووصلت الطائرات الاسرائيلية مرارا الى **موقع المفاعل لتتأكد من امكانيـة ضربه بدقة واحكام ، ودرســوا الطريق الذى تسير فيه الطائرات دون أن تشعر بها طائرات الاواكس اى طائرات الانذار المبكر العاملة في الســعودية . ولهذا تمت العملية بدقة واحكام يدعوان الى العجب**

كل هذا كان يمكن تلافيه واتخاذ الحيطة منه لو أن معلومات العرب عن داخل اسرائيل كانت أوفر وأدق مما هى الآن .

ولو كانت معلوماتنـا بتلك الوفـرة والدقة لتغيرت خططنـا الاسـتراتيجية والتكتيكية حيال اسرائيل ، وابسـط ما كنا سندخله من تعـديلات في هـذا المجال هو الاجتهاد في جمع المعلومات الصحيحة عن اسرائيل والاقلال من الكلام والتركيز على العمل . فمن المعروف أن ولاة الامر في العراق صرحـوا أكثر من مرة انهم يسـتعدون لضرب اسرائيـل بالقنابل الذرية . وقد نشرت مجلة البارى ماتش من اربعة أسابيع مقالا لصحفية فرنسية صهيونية أحصت فيه تهـديدات أولى الامر في العراق باستعمال المفاعل الذرى ضـد اسرائيل واحدا واحدا ، وخرجت من مقالها بأن اسرائيل على حق في ضرب المفاعل الذرى العـراقى ، لان الموضـوع ـ كما قالت كان موضـوع سباق : من يضرب الاول ، وما دام الامر كذلك فلا لوم على اسرائيل في أن تكون السابقة الى الضرب .

ومن غرائب اصرارنا على عدم المعرفة ان صحف العراق لا زالت تنشر الى اليوم ان العراق سيعيد انشاء محطته النـووية للأخذ بالثأر من اسرائيل . وانا اقـرأ هذا الكـلام واقول : ولماذا تتكلمـون يا ناس . لماذا تكشـفون أوراقـكم لاسرائيل كل مرة الا تستطيعون اغلاق أفواهكم مرة ؟

ومن غرائب تصرفات العرب في هذا المجال ان العقيد القذافي يصرح بأن على العرب ان يتحدوا ويصنعوا الخطط للقضاء على اسرائيل نوويا . والذى يقول هـذا الكلام رئيس دولة غنيـة عنـدها كـل الامكانيات على انشاء المفاعلات النـووية واستخدامها فلماذا لم يرسم خطة سرية ويسير في تنفيذها خطوة خطـوة بتكتم بالغ كما فعل الاسرائيليون ؟ وما معنى قوله ان على العرب ان يعملوا كيت وكيت؟ اليس معناه انه بهذا الفم الكبير المفتوح

● في رأيي أن أساس مأساة لبنان أن أصحاب الأمر هناك جميعاً يريدون أن تنتهي الحرب دون أن يحدث أي تغيير في الأوضاع الإقطاعية التي كانت سائدة في لبنان قبل شبوب الفتنة ، لأنهم لا يستطيعون تصور لبنان إلا في صورة إقطاعيات خاصة بهم ...!

يخدم اسرائيل ويضر العرب ، فان عيون اسرائيل مفتوحة جدا ورجالها يحومون فوق العالم العربي كالصقور ، ومن الآن اؤكد لك ان الف صقر تحوم فوق ليبيا وتنظر وتصور وتسجل . واذا خطر ببال ليبيا ان تصنع شيئا فستكون اسرائيل اسبق الى تدميره لان رئيس ليبيا نفسه قدم الى اسرائيل المعلومات اللازمة والحجة المعقولة المقبولة .

ومثال آخر من اسلوبنا في معالجة مشاكلنا العربية هو ما نسير فيه الآن من خطط لايقاف الحرب الاهلية في لبنان . وكان افضل من ذلك أن نركز على دراسة أسباب اشتعال نيران الفتنة في لبنان ، وبدون هذه الدراسة لن تعالج مشكلة لبنان ، ولو استطعنا أن نضع الآن حدا للصراع الدموي الدائر هناك وعدنا بلبنان الى نفس نظامه السابق فمن المؤكد ان النار ستندلع مرة ثانية ، لان ذلك الوضع السابق هو سبب الفتنة ، بل هو الفتنة نفسها .

ذلك ان لبنان قبل الفتنة كان هو لبنان اثناء الفتنة مع فرق واحد : هو ان الصراع والقتل وانعدام سلطان القانون كان مستورا أيام السلام فأصبح معلنا أيام الحرب ، والموضوع يتلخص - بحسب فهمي في أن عددا من البيوت الاقطاعية المسلحة كانت تسيطر على لبنان وتستفيد بكل خيراته ، وهي الآن لا تزال تسيطر عليه ، وتريد أن تنتهي الحرب ويعود الامر الى حالته الاولى والامور كما هي دون تغيير .

في سبيل ذلك لا تتردد تلك البيوت الاقطاعية في ارتكاب أي جريمة أو عدوان على الوطن اللبناني وحقوق الناس فيه . ومن الخطأ أن نتصور أن سعد حداد هو الخائن الوحيد الذي يتعاون مع اسرائيل على لبنان ، لان الحقيقة هي أنهم جميعا سعد حداد ، والذين لا يتعاونون مع اسرائيل علنا يتعاونون معها سرا ، والذين لا يتعاونون معها أصلا يتعاونون مع فرنسا أو أمريكا أو روسيا ، لانهم جميعا متفقون على شيء واحد : ان لبنان وجد ليحمي مصالحهم الاقطاعية والسياسية والطائفية والمالية بصورة خاصة .

وألست ترى معي انه من أعجب ما رأينا في حياتنا ان هذه الحرب الدائرة هناك لم تؤثر في الليرة أو قيمتها أو قوتها في السوق العالمية ! والسبب في ذلك أن كل المتحاربين رأسماليون أموالهم مغطاة بأرصدة ضخمة من الذهب في بنوك الدنيا ، ومن ناحية اخرى فان كل أعمالهم وصادراتهم ووارداتهم مستمرة بانتظام ،

● إن أسوأ ما في الأحوال في عالم العرب هو أن المواطن العربي لا يفهم مما حوله شيئا إنهم يتصرفون في أموره وهو لا يدري ولابد أن يعرفوا أنهم لو صارحوه بالحقائق استراح واستراحوا

والتفاح اللبناني يصل الى أسواق الخليج كما كان يصل قبلا ، ولكنه في الحقيقة ليس لبنانيا ، انه يوناني او ايطالي اشترته رؤوس الاموال اللبنانية وعبأته في صناديق تحمل اسم لبنان لكي يظل سوق التفاح والفواكه في يد اللبنانيين ·

حتى المياه المعدنية لا تزال زجاجاتهم تصل بالصناديق الى بلاد الخليج بنفس الاسلوب فهي تعبأ في اليونان وايطاليا ، وهي ليست مياها معدنية أصلا ، ولكن عملاءها في بلاد الخليج لا يعرفون ·

وهل يعلم العرب مثلا ان اكثر من نصف الفواكه اللبنانية الآن اسرائيلية ؟ نفس السادة أصحاب رؤوس الاموال — وكل الطوائف المتنازعة ولهم الآن وكالات في اسرائيل ، والتفاح والخضر والفاكهة والمناديل الورقية وزيت الزيتون والجبن تصدر من اسرائيل الى اليونان وايطاليا، ومن هناك تذهب الى بلاد الخليج ·

بل ان لبنان لم تفقد سوق النشر مع تلك الحرب كلها لا يزال ناشروها يواصلون أعمالهم من باريس ولندن وروما ومدريد ويمسكون بسوق الكتب بيد من حديد ويسرقون كل المؤلفات ويطبعونها ويسرعون بها الى الاسواق العربية ··

لهذا لا تتأثر الليرة بل تزيد قيمتها ، لان العمليات المالية في لبنان لا تزال سائرة في نفس الطريق القذر المعوج الذي كانت تسير فيه · وكلهم ورغم الصراع متفقون — على أن الامور لا يمكن أن تتغير ، والاقلية المارونية لابد أن تظل — رسميا — أكثرية ، والعدو الوحيد في نظرهم هم الفلسطينيون لهذا يريدون جميعا اخراج الفلسطينيين من هناك ·

***

هل انا كشفت بهذا الكلام سرا أو قلت حقيقة لا يعرفها أولو الامر في عالم العرب كله ؟

لا والله ··

ففي عالم العرب لا أسرار ولا كلام يقال ثم لا يذاع ·

انها مصيبة كبرى ضحيتها المواطن العربي الطيب : مصيبة تتألف من جهل وخوف وخيانة وسوء تصرف وعدم نظر الى العواقب ·

ثم يقولون ان هناك جامعة دول عربية ، وان هذه الجامعة تسعى لانقاذ ما يسمونه بالتضامن العربي !

أنستهم !

وحلال على أصحاب المناصب الالوف بعد الالوف التي تنصب في الجيوب ، وليس حراما على الاطلاق ما يجرى للمواطن العربي المسكين المغلوب ·

د · حسين مؤنس ●●

دور الإمام محمد عبده في التضامن الاسلامى

● دكتور سيد نوفل ●

● الأمين العام لجامعة الشعوب الاسلامية والعربية ●

● فى الحادى عشر من يوليو لعام ١٩٠٥ م اختار الله الى جواره المغفور له الامام محمد عبده .. وهو احد الرواد الاوائل للحركة العلمية والثورة البناءة فى الوطن المصرى الاسلامى العربى ... وقد احتل مركز الصدارة بين المفكرين العظام فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . شعر بالام شعوبنا الاسلامية والعربية وادرك الاخطار المحيطة بها ، وفكر وعمل فى شجاعة وتفان وتضحية للخلاص منها ، وظلت اراؤه تعمل عملها فى حياته وبعد ان اختاره الله الى جواره .

لقد كان محور أعمال الاستاذ الامام الغيرة الصادقة على الاسلام والمسلمين . وفى هذا وهب حياته لاصلاح العقيدة الاسلامية وتنقيتها مما علق بها من الخرافات والاوهام . كما ارتفع بالدعوة الى أمرين عظيمين : الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، والثانى : اصلاح اللغة العربية أداة للفكر ووصيلة للبيان .. اما فى السياسة وهى الهدف الذى تحراه الاستاذ الامام فقد كان يؤكد على ضرورة التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . وهكذا كرس حياته لاصلاح الدين واللغة والسياسة

وقد اتجه فى اصلاحه الدينى الى اصلاح الازهر والنهوض بالتعليم الدينى عن طريقه فى جميع الديار الاسلامية .

كما اتجه الى اصلاح العقيدة عن طريق تفسير القرآن الكريم . فقد كان يرى ان اصلاح المسلمين انما يأتى عن طريق دينهم لا عن طريق التقليد الاوروبى . كما يؤكد فى الوقت ذاته على الافادة من معالم التقدم الحديث .

واما اصلاحه اللغوى فقد بداه باصلاح اسلوبه نفسه . وهو ما ظهر فى الوقائع المصرية ، كما ظهر أروع ما يكون فى صحيفة « العروة الوثقى » التى انشاها مع الافغانى عام ١٣٠١ هـ وكان محررها الاول ..

وفى المسائل السياسية ، أكد على



الشيخ محمد عبده

ضرورة الاعتماد على النضج السياسي لا على البرامج الحزبية المثيرة .

وهكذا كان برنامج اصلاحه يتحرى:

١ - نشر التعليم الصحيح بين افراد الشعب والتبصير بالحقوق والواجبات

٢ - استخدام الصحافة استخداما قويا في محاربة المفاسد وتنبيه الوعي القومي .

٣ - كفالة حزم الحكومة وعدلها .

٤ - التدرج في الحكم النيابي وفي توسيع سلطة المجالس المحلية تبعا للوعي القومي .

وقد نبه الافكار الى الاصلاح فيما كتب في الصحف ، وما تحدث به في المجالس العامة ومع الهيئات المختلفة ، وما قدمه من الاسوة الحسنة التضحية والفداء .

***

والحق أن الامام محمد عبده قد ايقظ الشعور الديني . واشعر المسلمين انهم يجب ان يهبوا من رقدتهم لاصلاح نفوسهم وتكميل نقصهم ، والا يعتمدوا على الفخر بماضيهم بل على العمل الجاد لبناء حاضرهم . واعلاء مستقبلهم .

وفي هذا المقام دعا الى ان العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين . فالدين عرف بالعقل ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معا حتى تستطيع ان تواجه المسائل الجديدة المدنية الجديدة ونقتبس منهما ما يفيدنا. فالمسلمون لا يستطيعون أن يعيشوا في عزلة . ولابد أن يتسلحوا بما تسلح به غيرهم .. واكبر سلاح في الدين هو العلم واكبر عمدة في الاخلاق هو الدين .. ومن حسن حظ المسلمين أن جوهر دينهم يشرح صدورهم للعلم يحض عليه ، وللعقل يدعو اليه ، وللمدنية الحديثة يحث على الاخذ من اخلاقها .

لقد تخلف في هذه الاراء كلها مدرسة



الشيخ محمد عبده في منفاه

قوية الاثر واضحة المعالم . وحسبنا دليلا على هذا ان اكثر من تصدوا للاصلاح الدينى او الاجتماعى او السياسى بعده كانوا من تلاميذه اومن رواد فكره واتباع مدرسته .

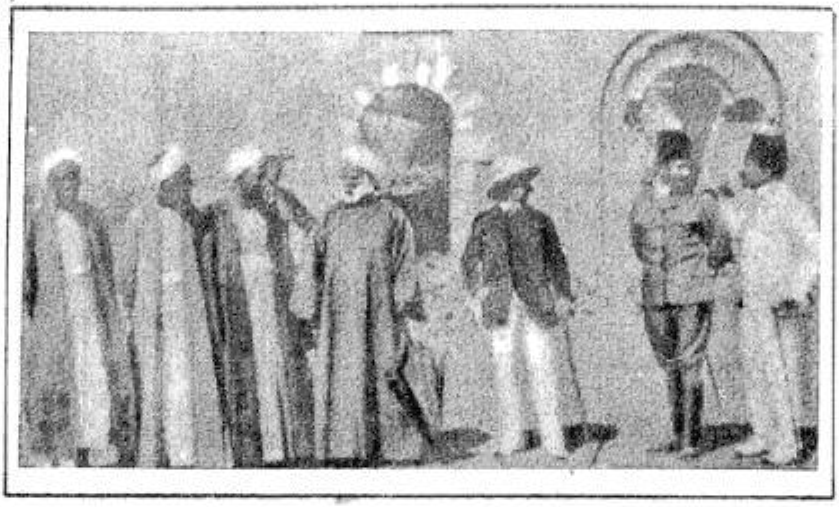
وزاده قوة اثر انه لم يكن يدعو الى الاصلاح نظريا عن طريق التاليف او الخطب والمقالات فقط كما يفعل بعض المصلحين . بل كان يحاول دائما ان يحول اصلاحه الى عمل وممارسة يمكنان من تنفيذ برامج الاصلاح .

ولقد اختص الله الامام محمد عبده بالكثير من المزايا ، واول مزية له انه كان فى مقدمة كل من الفريقين اللذين انقسم اليهما الشرقيون فى القرن التاسع عشر .

فقد كان علما يهتدى بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروقهم غيرما جرى عليه المتقدمون كالعلماء والائمة وطلبة العلوم العربية واللغوية ومن جرى مجراهم . وكان قائدا للاراء ومديرا للافكار عند الفريق الذى جعل شعاره التقدم والارتقاء من ابناء عصره الذين راوا ان القديم لا يغنى عن الجديد، وان من لا يتقدم يتاخر ، وان السكون المطلق محال .

***

والمزية الثانية انه كان من ابعد اهل الشرق نظرا فى حقائق الامور وعواقبها ، ومن اشدهم غيرة على ارتقاء الامة الاسلامية ، ومن اعظمهم جهدا فى انهاضها . فكنت تراه تارة مدرسة يعلم شبابها وتارة شارحا يشرح العلوم لطلبتها وتارة مؤلفا لتنوير الاذهان ، وتارة مديرا ومنظما للمدارس القديمة ، وتارة رئيسا للجمعيات الخيرية الساعية الى اعانة الفقراء وانشاء المدارس لتعليم ابنائهم ،



الشيخ محمد عبده يتحدث مع قاضي القضاء
في السودان ومفتي السودان في ذلك الوقت

وتارة في مقدمة الذين يشيرون على الحكومات بفعل مايصلح اقطارهم وينفع شعوبهم ، وتارة مباحثا ومناقشا لاقناع رفاقه بأسلوبه في الاصلاح ، وتارة مجادلا بالحق يدافع عن دينه بادلة مأخوذة من علوم المتأخرين التي جرت عليها جمهرة معاصريه ..

وكل ذلك مع قيامه بحقوق وظيفة الافتاء وادارته لشئونها وقضائه لها على ما بها من المصاعب والمتاعب .

والمزية الثالثة : انه كان في قلب بلاد الشرق ، بلاد الخوف والرهبة ، رجلا جرىء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيه ويثبت عليه . وقد جر عليه ذلك الكثير من الاهوال والمحن .

ولكن هذه المزايا اوصلته الى ما وصل اليه من العزة والقوة وزادته التحديات إيمانا وصلابة .

ولعل الفضل تحية لذكرى الامام محمد عبده ان نقف جميعا صفا واحدا، وفي سرعة قبل فوات الاوان، مواجهين الاخطار التي تهدد اقطارنا وشعوبنا الاسلامية والعربية ، وان نستفيد من التغييرات الهائلة التي طرأت على منطقتنا والموارد البشرية والطبيعية الوفيرة التي تهيأت لنا . ومن شأنها ان تساعد على اقامة نظام دولي جديد يؤمن لنا الحرية والتقدم ؛ ويكفل السلام العادل والمساواة بين شعوب الارض قاطبة ..

فلتكن ذكرى الاستاذ الامام دافعا للوحدة بين شعوب الامة الاسلامية والعربية وتخليصا من المحن التي اصابتها ، وكفالة لامنها ورخائها ودعما للسلام العالمي العادل والتعاون الدولي الحر المتكافىء .

وماذلك على الله بعزيز .

هتاف شوقي

د. احمد الحوفي

● كان لمصر دستور ومجلس نيابي الغاهما الاحتلال البريطاني ، وأقام مقامهما مجلسين هما كما قال المستر لابوشير صورة كاذبة للحكم الدستوري أجيد رسمها ! ..

ثم حلت الجمعية التشريعية محلهما سنة ١٩١٣ ، ولم تلبث الحرب العالمية أن نشبت فاجلت الجمعية الى أجل غير مسمى ..

لكن الشعب المصري كان لا يفتا يضج من ايثار مصالح الاحتلال على مصالح مصر ، ومن سيطرة الانجليز على الشئون كلها ، ويرى أن الخير للوطن منوط بالدستور وبالحكم النيابي . لهذا طالما طالب الشعب بالدستور وقاوم الاحتلال وازدادت مطالبته ومقاومته منذ تصدر الحركة الوطنية مصطفى كامل ، فكتب في جريدة اللواء ، في الخامس من اكتوبر سنة ١٩٠٠ مقالا عنوانه (الحكومة والامة في مصر) ذكر فيه وعد لورد دوفرين باسم حكومته ان يكون لمصر مجلس نيابي وندد فيه باخلاف بريطانيا وعدها كما اخلفت وعودها بالجلاء .. ودعا في خطبة له سنة ١٩٠٢ الى الدستور والحكم النيابي ، لان الدستور هو الذي يلجم الحكومة بلجام من حديد ، ويهب الامة حرية الرأى والفكر وحق المراقبة لاعمال الحكومة وسن القوانين والشرائع ومناقشة الوزارة ..

فلما حمل اللواء من بعده محمد فريد سار في الدرب نفسه ، ولم يلبث الشعب ان افاق كله على ثورة ١٩١٩ ، وكان من ثمراتها ان مصر نالت دستورا شبه كامل في ١٩ ابريل سنة ١٩٤٣ ينص على أن الامة مصدر السلطات ..

في هذه البيئة السياسية نشأ شوقي وعاش ، وقد درس في مصر طرفا من القانون بمدرسة الحقوق ، ثم درس القانون في فرنسا ، وعلم أن الحكم الدستوري خير نظم الحكم ، كما عرف من دراسة لتاريخ الاسلام أن الشورى أساس الحكم الصالح ، وكان على صلة وثيقة بزعماء مصر في تلك الحقبة وهم مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، وكلهم دعاة الى الدستور ،وكان شوقي يبغض الاحتلال البريطاني قبل نفيه من مصر ، وازداد بغضه له بعد نفيه فتجلى هذا في بغضته للحكم المطلق ، واشادته بالاحرار الذين تعالوا على عسف الحاكم المستبد ، آثروا الموت على الذل ، كقوله :

ذهب الذين حموا حقيقة علمهم   واستعذبوا فيها العذاب وبيلا



أمير الشعراء أحمد شوقي

في عالم صحب الحياة مقيدا ... بالذل مخزوما به مغلولا ...
سقراط أعطى الكأس وهي منية ... شفتي محب يشتهي التقبيلا !
ان الشجاعة في القلوب كثيرة ... ووجدت شجعان العقول قليلا !

ولما سقطت الخلافة العثمانية تفجع عليها ، وعزا سقوطها الى ثورات الشعوب الى استبداد الفرد ، ونصح بالحكم الشورى دعامة الحكم الصالح :

قل للخلافة قول باك شمسها ... بالامس لما آذنت بدلوك
عودى الى ما كنت في فجر الهدى ... عمر يسوسك والعتيق يليك
ففي ثوب الليث ثم خذى به ... في أي ثوبيه به جاءوك
لا فرق بين مسلط متتوج ... ومسلط في غير ثوب مليك !
انى أرى الشورى التي اعتصموا بها ... هي حبل ربك أو زمام نبيك

وكأنما كان شوقي يريد أن يمرن الخديو عباس على الحكم العادل بقوله في سنة ١٨٩٧ م :

ان ملكت النفوس فابغ رضاها ... فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر ... فكيف الخلائق العقلاء ؟
يحسب الظالمون أن سيسودو ... ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائر مثلما جا ... روا وللدهر مثلهم أهواء !

وهذا يؤكد أن شوقي سبق الاحداث في حملته على بطانة السوء التي تزين الاستبداد للخديو :

يولد السيد المتوج غضا ... طهرته في مهدها النعماء
فاذا ما الملقون تولو ... ه ، تولى طباعه الخيلاء
وسرى في فؤاده زخرف القو ... ل يراه مستعذبا وهو داء
فاذا ابيض الهديل غراب ... واذا أبلج الصباح مساء !

وهل ينسى أحد قوله في عصر الملك فؤاد مخاطبا توت عنخ أمون :

زمان الفرد يا فرعون ولى ... ودالت دولة المتجبرينا

واصبحت الرعاة بكل ارض على حكم البرية نازلينـــا

وقوله فى مؤتمر ائتلاف الاحزاب المصرية سنة ١٩٢٦ م لانقاذ الدستور :

الله الف للبلاد صـــدورها من كـل داهيـة وكل صراح
وزراء مملكـــة دعـائم دولـة أعلام مؤتمر أسـود صـباح
يبنون بالدسـتور حائط ملكهم لا بالصـــفاح ولا على الارماح
وجواهر التيجان ما لم تتخـذ من معدن الدستور غير صحاح

واعجبه الانقلاب العثمانى أيام مصـطفى كامل ، لانه خلص الاتراك من حكم الفرد المستبد :

قد اباحوا دم اسـاد الشرى فازدراهم وجرى يحمى العـرين
محق الفـرد وأفنى حكمـه ان حكـم الفرد مرذول لعين

وطالما حمل شوقى على حكم الفرد المستبد كقوله :

واذا سبى الفرد المسلط مجلسا ألقيت أحـرار الرجـال عبيـدا
ورأيت فى صـدر الندى منوما فى عصبة يتحـركون رقـودا

واذا كان الشعراء قد قاوموا الاستبداد فانهم كثيرا ما ناضلوا الاحتـلال وأثاروا قولهم عليه .

استمع الى شوقى ينوه بالثورة العرابية مع أنه كان خصما لها فى أول الامر فى احدى قصائده عن البرلمان ، فيقرن الدستور بموقعة التل الكبير بالمشـانق والسجون ، لانه يعد البرلمان بناء اقامه المحاربون والمجاهدون فى الثورة العرابية والتـل الكبير بدمائهم وارواحهم ، ونفيهم وتشريدهم ، وقد وفق فى ذلك أيما توفيق ، لان الثورة العرابية كانت القنبلة الاولى التى القاها المجاهدون فى معسكر الاستبداد الداخلى والتدخل الاجنبى ، وفيها توحد الجيش والشعب لتحقيـق الحياة الحرة الابية ، وعلى هداها صب الحـزب الوطنى مبتـه ، ثم قامت مصر قومتها العظيمة سنة ١٩١٩ ، ثم ثار جيشها الباسل ثورته الاخيرة فى يوليـو سنة ١٩٥٢ ليدك معاقل الفساد والطغيان ، ويشيد صروحا من الاصلاح والعدالة والعزة . قال شوقى :

الحق أبلج والكنـانة حـرة والعز للدسـتور والاكبـار
الامر شورى لا يعيث مسـلط فيه ولا يطغى به جبـــار
عهد من الشورى الظليلة نضرت آصاله واخضـلت الاسحار
تجنى البلاد به ثمار جهـودها ولكل جهد فى الحيـاة ثمـار
بنيان آباء مشوا بسـلاحهم وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من التـل المدرج حائـط ومن المشانق والسجون جدار

وكثيرا ما أنحى على العهود المظلمة التى منيت مصر فيهـا بالحكم الاجنبى من

قديم الزمن ، فقد حمل على حكم الهكسوس وعلى حكم الفرس والرومان وعلى حكم نابليون •

استمع اليه يصور مقدم نابليون الى مصر يحدوه الامل أن تكون مركز امبراطوريتين فى الشرق ، كما أمل من قبل قياصرة روما ، ولكنه باء بالخيبة كما باؤا من قبل ، لان مصر بوتقة تصهر من يفتحها ، وتصبغه بصبغتها ، ثم تقهره قهرا ، وتبقى سليمة مرفوعة الرأس •

وقد أشار شوقى الى وقفة نابليون فى سفح الهرم يستحث جنوده بأن أربعين قرنا تطل عليهم من قمة الهرم ، وذكر أن الاهرام كانت فى صمتها أبلغ من نابليون فى خطابه ، لانها عزئت به وعلمت أن مصر هى الغالبة :

وأتى النسر ينهب الارض نهبا حوله قومه النسور ظماء
يشتهى النيل أن يشيد عليه دولة عرضها الثرى والسماء
حلمت رومة بها فى الليالى ورآها القياصر الاقوياء
ولو استشهد الفرنسيس روما لاتتهم من رومة الانباء
علمت كل دولة قد تولت أننا سمها وانا الوباء
قاهر العصر والممالك نابليو ن ولت قواده الكبراء
جاء طيشا وراح طيشا ومن قبل أطاشت أناسها العلياء
سكتت عنه يوم عيرها الاهـ رام لكن سكوتها استهزاء
فهي توحي اليه أن تلك واتر لو فأين الجيوش أين اللواء ؟

ولم يغفل شوقى عن التنديد بمن يناصر المستعمرين من المصريين مهما سما مركزه ، فقد امتدح محمد رياض رئيس الوزراة لورد كرومر فى حفلة توديعه التى تهجم فيها على مصر ورجالها فلامه شوقى بقصيدة طويلة منها :

خطبت فكنت خطبا لا خطيبا أضيف الى مصائبنا الجسام
وهل تركت لك الستون عقلا لتمييز الحلال من الحرام ؟
أشدت بالاحتلال وما جناه وجرحك منه لو أحسست دام !

ولقد منيت مصر بلورد كرومر من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٩٠٧ م ، وكان يحكم فى عجرفة وغطرسة ويظن أنه باق فى مصر ما أراد ، فلما دوى صوت مصطفى كامل بمظالمه نقلته انجلترا ، فشيعه شوقى بقصيدة حارة ، منها قوله :

لما رحلت عن البلاد تشهدت فكأنك الداء العياء رحيلا
أنذرتنا رقا يدوم وذلة تبقى وحالا لا ترى تحويلا
أحسبت ان الله دونك قدرة لا يملك التغيير والتبديلا
فرعون قبلك كان أعظم سطوة وأعز بين العالمين قبيلا

لزوم مايلزم أن تعرف عن:

عرابى والثورة العرابية

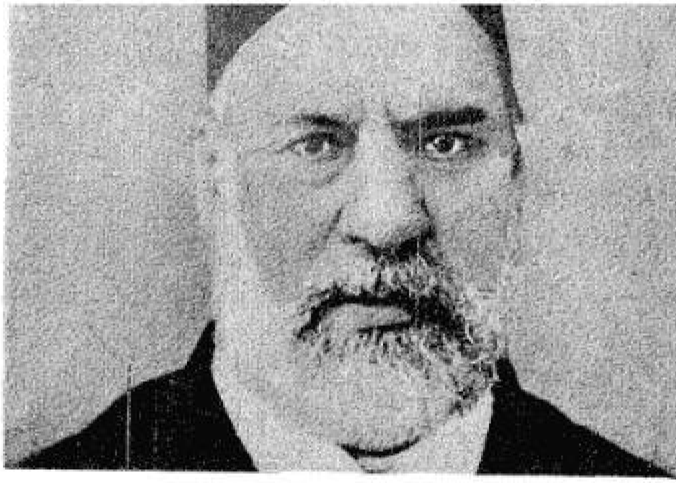
● مصطفى الشهابى ●

لم تقترن ثورة بقائدها مثلما اقترنت الثورة العرابية بعرابى فى الاسم والشخصية والسيرة ..

لقد كان عرابى اول فلاح مصرى فى مصر الحديثة نجما بين عامة الفلاحين . ونادى على رأس المنادين بالثورة على الحكم المطلق والتدخل الاجنبى . وعلى الرغم مما افترى عليه من سيئات نسجها الاحتلال واعوانه ، الا ان البعض كتب عن حياته ومنهم انجليز ، وانصفه الى حد كبير . ولكن تبقى فى حياة عرابى نواح لايتناولها اغلب الكتاب عادة عندما يتناولون شخصية عرابى ، بينما هى لا تقل اهمية عما يذكرونه عنه ، وفى هذا المقال بعض تلك النواحى .

كان من أعز امانى بسمارك الوزير البروسى « الالمانى » المشهور ، ان يضم الى بروسيا « المانيا » شعوب اوروبا الجرمانية باسم المانيا العظمى ، وقد نجح فى ذلك عام ١٨٧١ عندما اعلن وليم الاول ملك بروسيا امبراطورا على المانيا .. ثم نظر الى الشرق فطمع فى النمسا لانها شاخت واخذت تتداعى ، ونظر الى الغرب فطمع فى هولندا لانها اصغر من ان تحمى نفسها ضد دولة كالمانيا . ومن ثم رأى ان خير وسيلة لتحقيق ضم هاتين الدولتين هى المساومة على تصفية الدولة العثمانية ، فماذا شجع روسيا على احتلال الاستانة « استانبول الان » وكانت العاصمة يومئذ واحتلال مضيقى البسفور والدردنيل ، وشجع انجلترا على احتلال مصر وقناة السويس أمكنه ان يضم الالمان الاوروبيين دون معارضة روسيا وانجلترا ، أما فرنسا فمن الممكن السماح لها بضم بلجيكا ..

ويومئذ يصبح بسمارك قابضا



الزعيم احمد عرابي

على ميزان الفصل بين جميع الدول الأوروبية ولا تستغنى دولة منها عن مجاملته وخطب وده! ... غير ان دهاة انجلترا راوغوه دون ان يقنطوه، حتى تحقق لهم احتلال مصر، ثم وقفوا حجر عثرة دون تحقيق امانيه، واخذوا يدسون له لدى الامبراطور ولهلم الثانى حتى اقاله ١٨٩٠.

● نظام مصر للمصريين ●

اذا كانت مصر قد شقيت بحكم اسرة محمد على ومن استعانت به من اتراك وشركس والبان وغيرهم، الا ان من واجبنا الى حد كبير استثناء الوالى سعيد باشا: الذى حكم مصر من يوليو عام ١٨٥٤ حتى يناير عام ١٨٦٣ اى قرابة ثمانية اعوام ونصف عام الذى أعلن فى خطبة له، بمأدبة اقامها للعلماء والرؤساء الروحانيين والامراء وكبار رجال الدولة وضباطها – وقد ذكرها عرابى فى مذكراته، اعلن: «وحيث انى اعتبر نفسى مصريا، فوجب على ان اربى هذا الشعب واهذبه تهذيبا حتى اجعله صالحا لان يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الاجانب».

وقد اعتبر عرابى تلك الخطبة اول اساس فى نظام «مصر للمصريين».

ولسنا ندرى أكان هذا الاتجاه من قبل سعيد صادرا عن ايمان ويقين ام كان نتيجة مالاقاه من اضطهاد ايام سلفه عباس الاول من اضطهاده على يديه وعلى ايدى كبار الرؤساء، رغبة فى حرمانه من حقه فى تولى الولاية بعد عباس، بل بلغت الجراة بهؤلاء الرؤساء انهم حاولوا، بعد مصرع عباس، ان يولوا ابنه الهامى حكم مصر، ولكنهم فشلوا بسبب تدخل قنصلى انجلترا وفرنسا.

المهم ان سعيد اصدر امره، عقب تولية الحكم، بانتظام اولاد عمد البلاد ومشايخها فى سلك الجيش.

التحق عرابى بالجيش جنديا عام ١٨٥٤ وبعد اربعة اعوام رقى الى رتبة ملازم ثانى فى اكتوبر عام ١٨٥٨ وفى يناير عام ١٨٥٩ رقى الى ملازم اول والى يوزباشى «نقيب» فى مارس ١٨٥٩.

والى صاغ (رائد) فى نوفمبر ١٨٥٩ والى بكباشى مقدم فى مارس ١٨٥٩ ثم الى قائمقام عقيد فى سبتمبر ١٨٦٠، اى انه ترقى من رتبه ملازم ثانى الى عقيد فى عامين، وهذا يدل على تلهف سعيد نحو تمصير الجيش المصرى والنهوض به.

وقد ظل عرابى فى رتبة عقيد من سبتمبر ١٨٦٠ حتى يوليو ١٨٧٩، اى قرابة عشرين عاما، دون ترقية، وهذا يدل على حرمان المصريين بعدئذ من الترقى الى المراتب القيادية فى الجيش وحصرها فى الاتراك والجركس

مما دعا الضباط المصريين الى التذمر وخاصة عندما رقت بعض كبار الضباط المصريين ونقل البعض الى مناصب بالدبوان ـ الوزارة ـ وعين مكانهم ضباطا اخرين من الجركس منهم ضابط بلغ الخامسة والستين !

وكان الخديو توفيق الذى تولى ـ فى منتصف عام ١٨٧٩ يؤيد هذا الانجاه بايعاز من انجلترا حتى ينتهى الحال الى الاصطدام بين الخديو والجيش .. وبينما كان الشعب يرجو ان يكون عهد توفيق خيرا من عهد أبيه اسماعيل ، ذلك العهد الذى اتسم بالظلم والقهر وتدخل الأجانب واضطراب الاحوال المالية والاسراف فى فرض الضرائب ، أصبح عهد توفيق استمرارا لعهد ابيه

لذلك كان من الطبيعى ان يتألم الشعب فى ايام اسماعيل ، ومن ثم تكون فى اواخر عهده حزب وطنى ضم بعض الاعيان والعلماء والموظفين والضباط ، وهدفه العمل على انقاذ مصر مما حاق بها ..

وفى نفس الوقت تألف حزب عسكرى كان عرابى من اكبر رجاله ، وهدفه افساح مجال الترقية الى اعلى الرتب بالجيش للضباط المصريين ، ولو من تحت السلاح ، أى من غير خريجى المدارس الحربية ، ورفع مرتبات الجنود وعدم تسخيرهم فى الاعمال العامة .

وتلاقت رغبات الاصلاح بين الجيش والشعب ، وزادها التحاما عدم انعقاد مجلس النواب .

وكان مابلغ عرابى واخوانه ، من الشروع فى استصدار قرار بمنع ترقى الضباط المصريين من تحت السلاح ليكونوا دائما تحت تسلط الاتراك والجركس ، كان ذلك هو الحافز الى تقديم عريضة شكوى الى رياض باشا رئيس النظار الوزراء وفيها طلب عرابى وزملاؤه عزل وزير الحربيه الشركسى وتعيين مصرى مكانه ثم العمل على عقد مجلس النواب وكذلك ابلاغ عدد الجيش الى ١٨٠٠٠ كما هو مقرر .. واخيرا المساواة بين جميع رجال الجيش بصرف النظر عن الجنس والمذهب .

وثارت الحكومة واحتالت للقبض على عرابى ومحاكمته ، ولكنها فشلت ، وتطورت الاحداث حتى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ الذى قام فيه عرابى بمظاهرة عسكرية بميدان عابدين ، وقدم للخديو مطالب الامة واهمها عزل الوزارة وعقد مجلس النواب وزيادة عدد الجيش واستجاب الخديو لتلك المطالب ..

وظهر فى الافق عهد جديد ، وبدأ التفكير والعمل لاصلاح الأحوال الداخلية فى شتى النواحى .

● عرابى وانشاء بنك مصرى :

ويومئذ فكر عرابى فى انشاء بنك حكومى وطنى مصرى ، تكون له فروع فى جميع أرجاء القطر ليساعد الفلاحين وليكون « خزينة عمومية للحكومة المصرية » ، وفعلا بدأت حكومة شريف باشا فى وضع اللوائح الخاصة بهذا البنك فى وضع اللوائح الخاصة بهذا البنك فى اوائل عام ١٨٨٢ ، وفى نفس الوقت كتب عرابى وزير الجهادية والبحرية يومئذ الى عبد السلام المويلحى باشا وكان من كبار تجار الحرير بمصر يومئذ » و « شقيق ابراهيم بك المويلحى » والد محمد المويلحى مؤلف « حديث عيسى بن هشام كتب اليه خطابا يقول فيه :

« لقد كان من الامانى الوطنية وجود شركة مالية اهلية تنقذ اهل الفلاحة من ظلم المرابين وتجعل الحاصلات فى امن من الضياع وكثرة المصاريف وتزداد ارباح البلاد لاهلها »

ويختم خطابه برجاء ان يمد المويلحى يد المساعدة لهذا المشروع « بالترغيب فيه والدعوة الى الاقبال عليه .. وان كلفكم عناء وتعبا وسفرا ، الا ان كل ذلك لا يؤسف له جنب تحصيل المنفعة

للوطن العزيز » .

● **عرابي يشترى غواصة :**

عندما تولى عرابى وزارة الحربية فى ٥ فبراير سنة ١٨٨٢ ، ورأى مدى التدخل السافر الذى قامت به انجلترا وفرنسا واعتمادهما على السفن الحربية فى تهديد مصر ، اتصل بأحد الضباط الامريكان بالجيش المصرى ، وافهمه انه فى امكانه ان يزود البحرية المصرية بغواصة من امريكا ، يمكن شراؤها سرا ، ووافق عرابى بعد ان علم ان الغواصات استعملت فى الحرب الامريكية الاهلية « ١٨٦١ـ ١٨٦٤ » وان احداها اغرقت سفينة حربية للجنوبيين كانت تحاصر احدى موانى الشمال .

وبعث الضابط الامريكى فى شراء الغواصة التى وضعت فى صندوق خشبى كبير وشحنت على احدى السفن الامريكية الى الاسكندرية . وعلم الضابط الامريكى بما تم ، وطمأن عرابى .. واخذ الاثنان يترقبان وصولها بفارغ الصبر .

لذلك كان عرابى والضابط الامريكى يبعثان الى مدير الجمرك، وكان انجليزيا مستفسرين عن وصول طرد كبير باسم احدهما دون ذكر محتوياته ، وكان الجواب دائما بالنفى ! ..

واخيرا ارسل عرابى ضابطا مصريا ليسال عن الطرد ، ووجد طرودا ليست عليها اسماء من ارسلت اليهم ، وفهم من مدير الجمرك ان هذه الطرود لا يمكن فتحها الا بحضور مندوب الشركة التى شحنتها ..

وغضب عرابى وهدد مدير الجمرك الانجليزى باحتلال الجمرك عسكريا للبحث عن هذا الطرد ...

واثار اهتمام عرابى شكوك مدير الجمرك ، ولذلك انتظر حتى انصرف جميع الموظفين المصريين واستبقى بعض معاونيه الانجليز واخذ الجميع فى فتح الطرود التى لا تحمل اسماء لمعرفة محتوياتها ، واخيرا وجدوا صندوقا ضخما ما كادوا يطلعون على محتوياته حتى اعترتهم الدهشة ، وعرفوا سر اهتمام عرابى ، اذ كان الصندوق يحتوى على غواصة كاملة الاجزاء ، من طراز ذلك العصر ! ..

ولما كان مدير الجمرك الانجليزى على يقين من رغبة انجلترا الاكيدة فى التدخل لحماية الخديو توفيق ، لذلك عجل بانتزاع بعض الاجزاء الدقيقة من الغواصة حتى لا يمكن استعمالها !

ترى ماذا كانت الاقدار تخبىء للاسطول الانجليزى لو ان هذه الغواصة وقعت فى يد عرابى واحسن استعمالها

● **محاولات رشوة :**

وكان من الدسائس التى حاولت انجلترا نصب شباكها لعرابى انها عرضت عليه رشوة قدمها آل روتشيلد اليهود الانجليز » وكانت عبارة من ٤٠٠٠ جنيه تدفع اليه سنويا ، كما عرضت فرنسا للمحافظة على قناة السويس مبلغ ٦٠٠٠ جنيه مرتبا سنويا آخر ، ولكن عرابى رفض ذلك

وجدير بالذكر ان آل روتشيلد هؤلاء هم الذين اقرضوا حكومة وزرائيلى « اليهودى ايضا » مبلغ اربعة ملايين من الجنيهات لشراء اسهم مصر فى القناة .. وتمت الصفقة وكسبت انجلترا مغنما ماليا ومركزا ممتازا فى شركة القناة ونادى دزرائيلى بالملكة فكتوريا « امبراطورة الهند » فقد اصبح اتصال انجلترا بها سهلا وميسرا ، وظلت بعد ذلك اثمن جوهرة فى التاريخ البريطانى ، وحتى استقلت

● **الاساطيل فى الاسكندرية :**

ولم يلبث الهدوء الذى بدا ، ان عكر صفوه تدخل انجلترا وفرنسا وتحريضهما للخديو على عدم الرضوخ لمطالب الجيش وتصرفات قادته وزاد الطين بلة ارسال اسطول انجليزى وفرنسى الى الاسكندرية ، ثم تطورت الاحداث .. وانتهت بالانذار انجليزى

هدفه تسليم بعض طوابى الاسكندرية للانجليز وانزال جميع المدافع التى بالقلاع والطوابى الاخرى .

ولم يستجب احد لهذا الانذار ولذلك بدأ الانجليز ضرب الاسكندرية صباح يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ واحتلوها فى اليوم التالى » وقد احترق اغلب احيائها بسبب مقذونات السفن الانجليزية .

● **وزير بريطاني يستقيل احتجاجا**

وعقب ضرب الاسطول البريطانى للاسكندرية واحتلالها ، اطلقت دعاية الاستعمار يومئذ كل قذائفها على مصر والمصريين ورمتهم بأشنع التهم والصفات علها تحجب هذه الفعلة النكراء فى جو من الاباطيل والاكاذيب، ولكنها لم تستطع حتى فى مجلس الوزراء الانجليزى ، اذ استقال من وزارة غلادستون اقوى اعضاءها ،بل واعظم خطباء ذلك العصر فى عالم السياسة الاوروبية ، الا وهو « جون برايت » استقال من الوزارة احتجاجا على تلك الجريمة النكراء التى لايسوغها شرع ولا يبررها عرف ...

وقد اقام له جماعة من ذوى الاخلاق احتفالا لتكريمه متوهين بموقفه النبيل ازاء حادث الضرب الشنيع . وكان من بين هؤلاء النائب الانجليزى «ريتشارد» الذى نعد فى مجلس النواب بما زعمه قائد الاسطول من أن الاستعدادات الحربية فى بعض حصون الاسكندرية موجهة الى الاسطول الذى يقوده ، اذ قال : « ارى رجلا يحوم حول دارى وعلامات العدوان بادية على وجهه ، فاعمد الى الاقفال لاغلق ابوابى ونوافذى ، فيثور غضبا ويزعم اننى اهينه واهدده ، وانه يقتحم على بيتى ليذودنى عن نفسه ولا يزيد عن حق الدفاع ! »

وشبيه بموقف « جون برايت» موقف « انتونى ناتنج » الذى استقال من وزارة « انتونى ايدن » احتجاجا على العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ والتاريخ يعيد نفسه !

وعندما سمع المصريون بنبأ ضرب الاسكندرية واحتلال الانجليز لها ازدادت حماسة جميع افراد الشعب وكانت المواكب تسير في أنحاء البلاد وقد عبرت عن احتجاجها بما كانت ترده جموعها من هتافات ضد سيمون وهو قائد الاسطول الانجليزى .

● **الشيخ والبابا يؤيدان عرابى :**

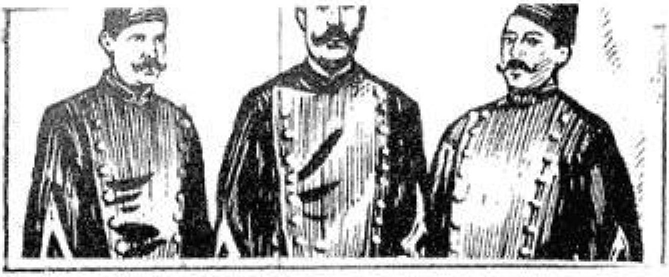
وبعد ما سقطت الاسكندرية وقرر عرابى المقاومة ، عزله الخديو ، فدعا عرابى جمعية وطنية ضخمة الى الاجتماع بالقاهرة وقد ضمت اعيان البلاد وكبار رجالاتها ، وقد بلغ عددهم نحو اربعمائة عضو وكان بين المشتركين فيها البابا كيرلس الخامس والشيخ الانبابى شيخ الاسلام والمفتى وعدد كبير من العلماء ووكلاء البطريكخانات . ووقع البابا مع الحاضرين القرار الخطير الذى صدر من هذه الجمعية والذى نص على الاستمرار فى الحرب ضد الاحتلال الانجليزى وابقاء عرابى فى منصبه كوزير للحربية ليتولى شئون الدفاع عن البلاد ضد الاحتلال ، وان الانجليز قد خرجوا من تعاليم المسيحية الحقة التى تدعو الى السلام وعدم الاعتداء .

● **تحطيم تمثال ابراهيم باشا :**

وبلغ سخط الجماهير حدا كبيرا وصل الى خروج مظاهرة من الازهر ، كان على رأسها الشاب الشيخ سعد زغلول ، الى المكان الذى توجد به هيئة البريد اليوم ، والذى كان قد اقيم فيه تمثال ابراهيم باشا وحطمت المظاهرة ذلك التمثال وقذفت بأجزائه فى الحفر والخرائب التى كانت بتلك المنطقة .

● **الامراء يؤيدون عرابى :**

لم يكن العلماء والادباء والاديان وكافة افراد الشعب المصرى وحدهم يجلون عرابى ويريدونه . بل شاركهم فى ذلك الامراء والاميرات فهذا الامير ابراهيم حليم يكتب الى عرابى وهو بكفر الدوار



الزعيم احمد عرابى

خطابا يؤيده فيه ويدعو له بالنصر ويستهل خطابه بقوله : « الى صاحب السعادة حامى حقوق مصر احمد عرابى باشا » .

هذه الاميرة انجه هانم ارملة المرحوم سعيد باشا والى مصر ، كانت فى طليعة الاميرات المتحمسات لحركة عرابى باشا ولذلك اهدت اليه خيمة زوجها ، كما كتبت الى المستر برودلى ، بعد الحكم على عرابى (١) تثنى عليه اعظم الثناء وتشكره على ما قام به من جهد ، وقدمت اليه والى انجليزى أخر هدايا غالية .

وقد ذكرت الاميرة نازلى لمستر برودلى ان — اغلب الاميرات كن يؤيدن عرابى وان حماسة بعضهن وصلت الى حد ارسال البرقيات لشد ازره ، بل ذهبت الاميرة انجه ارملة سعيد باشا الى أبعد مما يمكن تصوره ، اذ عرضت عليه « ان تتزوجه لانها تراه منقذ مصر » .

وقد اكدت تلك الاميرة لبرودلى ان عرابى « كان اول وزير مصرى حمل الاوروبيين على طاعته وقد رفع المصريون رؤوسهم فى عهده ، ولم يجسرو اليونانيون ولا الايطاليون على الاعتداء على القانون ، فلما هزمته الخيانة ونفى اصبح المصريون وحدهم هم الذين يقعون تحت سلطان الشرطة ، ويفعل الاوروبيون ما يشاءون »

● خديعة ديلسبس

وحاول الانجليز التقدم نحو القاهرة ولكن الجيش المصرى اوقفه عند كفر الدوار . ولذلك انتقلت اغلب قواتهم بحرا الى منطقة قناة السويس واخترقت القناة ، ونزلت بالاسماعيلية بفضل خديعة ديلسبس الذى اوهم العرابيين ان انجلترا لا تستطيع اختراقها تبعا للاتفاقات الدولية .

وانتقل عرابى الى التل الكبير ، وهناك تقاطرت الوفود من المتطوعين للقتال كما انهالت الهدايا من مختلف الاطعمة والماكولات .. وبدا القتال وانتهى بالهزيمة لعرابى .

وانهزم الجيش المصرى لا عن ضعف ولكن لتضافر عوامل الخيانة ، وكان زعيمها ومحركها محمد سلطان باشا الذى وزع بشتى الطرق ذلك المنشور الذى اعلن فيه عصيان عرابى وخروجه عن طاعة السلطان العثمانى خليفة المسلمين كما قدم باسم الانجليز والخديو الرشاوى لرؤساء القبائل البدوية وبعض الضباط القريبين للانضمام الى الانجليز والعمل على خذلان عرابى ، واخيرا وليس اخر خديعة ديلسبس لعرابى بشان مرور الانجليز بقناة السويس .

وعجل عرابى بالقدوم الى القاهرة للدفاع عنها ، ولكن عدم وجود القوات التى تحقق ذلك الهدف دفع بعرابى الى تسليم نفسه اسير حرب للقوات الانجليزية التى وصلت الى القاهرة ورابطت بالعباسية ، وكذلك

(١) هى ابنة الامير مصطفى فاضل وصاحبة اشهر صالون اجتماعى فى اوائل هذا القرن وكان يتردد عليه سعد زغلول ومصطفى كامل ، والشيخ محمد عبده وغيرهم ، وهى التى خطبت صفية هانم زغلول لسعد زغلول ..

فعل البارودى وغيره من القادة ، كما سلمت الحاميات فى مختلف الجهات. وبدأت سلسلة من الاعتقالات حتى امتلأت السجون .

● **الوفاء لعرابى :**

وقبل ان يسلم عرابى نفسه للانجليز قصد الى بيته ليودع اسرته ، وليطمئن على مصيرها ، وعلى مصير أوراقه الخاصة ، لعلمه بان الخديو ورجال الشرطة وعملاء الاحتلال سيهاجمون بيت عرابى ويستولون على ما به من مستندات وربما يقبضون على زوجته واولاده ولذلك وكل أمر رعايتهم الى خادم لديه يدعى محمد .

وبادر محمد هذا الى البحث عن شقة متواضعة بحارة النصارى المتفرعة من شارع كلوت بك على مقربة من دار البطريركية القديمة ، والتى تقيم فيها عدة أسر مصرية قبطية ، وانتقلت اليها الزوجة وأولادها وبناتها ؛ دون أن يعلم بأمرهم أحد ..

وما هى الا ايام قلائل حتى عرف الجيران الاقباط بأمر الاسرة الجديدة ووقفوا على سرها ، فاحتضنوها واقبلوا على معاونتها بكل ما يستطيعون على الرغم من ان اغلبهم من البسطاء وفى شدة الحاجة الى المكافأة التى رصدتها الحكومة لمن يبلغ عنها بل وذهبوا الى حد تغيير اسماء الزوجة والاولاد فابنته « رقية » اصبح اسمها « مريم » وهكذا .

واقامت أسرة عرابى فى هذه الحارة ست سنوات كاملة دون ان يعرف الانجليز والحكومة المصرية مكانها ، وبعدها هدأ غضب الانجليز والخديو فتركت حارة النصارى وقامت بالسيدة زينب .

ولما عاد عرابى عام ١٩٠١ وجد الجميع فى انتظاره وظلت الزوجة الوفية الى جواره حتى توفيت عام ١٩١٠ اى قبل وفاته بعام .

● **المحاكمة**

وبدأت محاكمة عرابى ومن الغريب ان الذين تطوعوا للدفاع عنه كانوا من انجليز وفى طليعتهم « برودلى » ، كما تبرع عدد منهم بمبالغ مالية للدفاع عنه وكان من بين هؤلاء لورد «راندولف تشرتشل » والد السير « ونستون تشرتشل » وانتهت المحاكمة لعرابى وغيره بالحكم على عرابى واخرين بالاعدام الذى استبدل بالنفى المؤبد خارج مصر ، وصدرت احكام مختلفة على ما يقرب من ١٥٠ من المتهمين .

● **مكافأة الخونة**

لم يكتف سلطان باشا بالدور الذى **لعبه بل اشترى هو وبعض ضعاف النفوس اسلحة فاخرة ، سيفان وطبنجتان ، وقدموها هدية للاميرال سيمور والجنرال ولسلى « شكرا لهم على تخليص البلاد من غوائل الفئة العاصية الباغية » (كذا) .**

ولم يبق الامكافأة **سلطان باشا** على ما قدمه وقد انعم عليه **الخديو بنيشان** ومنحة عشرة **الاف جنيه** لما اظهره من الصداقة **لحكومتنا الخديوية** ومعارضته للعصاة . » **وبعد اسابيع** انعمت عليه ملكة انجلترا **بوسام** يخول له حمل لقب « سير » **فاصبح** بموجبه السيد محمد سلطان . **واخيرا** عين رئيسا لمجلس شورى **القوانين ،** ولكن ذلك لم يشبع نهمه فثار نفسيا **واعتلت صحته فقصد الى النمسا العلاج حيث وافته المنية بعد اشهر قلائل .**

● **بيت عرابى بيت الامة :**

اذا سألت عن مبنى مجمع الاطباء فى مدينة القاهرة ، لقيل لك انه عمارة بنا جا التى تطل على ميدان الفلكى وتواجه الناحية الخلفية لوزارة الاوقاف

هذه العمارة تقوم الآن مكان البيت الذى كان يقيم فيه عرابى حتى قبض عليه وبدأت محاكمته ثم نفيه خارج مصر وقد شهد هذا البيت اياما كان فيها

كعبة يحج اليها المصريون من جميع الطبقات ليعبروا عما يجول في خواطرهم من امال يرجون تحقيقها على يد عرابي وفي طليعتها اعادة الحياة النيابية ورفع المظالم ، وعرف يومئذ باسم « بيت الامة » ، كما جرى به العديد من الاجتماعات الهامة التي كان لها اثر كبير في مجرى الحوادث التي ادت الى الثورة العرابية .

وقد تعرض هذا البيت ، بمجرد اعتقال عرابي للسلب والنهب على ايدي رجال الخديو بحجة التفتيش عن الاوراق والوثائق التي تدين عرابي .

وكان يواجه بيت عرابي ، على الناصية الاخرى « مكان محطة البنزين وعمارة مكتب بريد الفلكي ، وبجوار مطبعة شركة مصر » بيت على فهمي باشا زميله ، وقد لقي بيته مثل مالقي بيت عرابي من اعتداء مشين ..وضاقت زوجة على باشا بهذه المعاملة فانتهزت فرصة مرور الخديو توفيق امام بيتها وخرجت الى الشارع وامسكت بزمام الخيل واستوقفت عربته وصرخت في وجهه قائلة : « ياتوفيق ! استح من الله ، ان ما يعمله رجالك ، بايعاز منك حرام عليك ! والله المنتقم » .

ولم يجد الخديوي ما يرد به ، وكل ما عمله أن امر بسلوك طريق اخر مستقبلا .

ولما صودرت املاك عرابي اعطت الحكومة بيته الى سيدة انجليزية جعلت منه مستشفى خاصا لعلاج ضباط الجيش البريطاني ، واقيمت بفنائه بضعة دكاكين تطل على الشوارع المحيطة به ، كان احدها مكتبة انجليزية لبيع الكتب الدينية !

وانتهى الامر بهدمه في اوائل هذا القرن واقيمت مكانه العمارة الحالية ، التي تطل من جهاتها الاربع على ميدان الفلكي ووزارة الاوقاف وشارع لوباز وشارع التحرير .

ولما عاد عرابي من المنفى عام ١٩٠١ اقام في منزل زوجته بشارع الملك الناصر المتفرع من شارع خيرت ، على رمية حجر من دار الهلال ، وظل به حتى انتقل الى رحمة الله .

فهلا اقامت وزارة الثقافة والاعلام لوحتين تذكاريتين على جداري البيتين تكريما لذكرى هذا البطل الخالد ؟

● مستشرق انجليزي .

وبينما كانت انجلترا تعد كافة الوسائل لاحتلال مصر وهزيمة عرابي ، لم يفتها وقد فشلت في اشعال نيران ثورة داخلية ضد عرابي ، ان تلجأ الى اثارة بدو سينا لتاليبهم على عرابي ولتامين مؤخرة الجيش الانجليزي عند دخوله البلاد ، فانتدبت لذلك مستشرقا يدعى «ادوين بالمر » ، وكان استاذا للغات الشرقية بجامعة كمبردج وبرع في اللغة العربية وخاصة لهجات البدو وعاداتهم ، لقيامه بالتنقيب عن الاثار في فلسطين مرارا ،واستجاب « بالمر » لرغبة حكومته ، ولا شك انه بذلك قد انحدر بكرامته العلمية وازرى بالعلم حين ارتضى ان ينزع لباب الاستاذية ليلبس لباس الجاسوس

وقد غير من شكله ليظهر بالمظهر الذي يلائم مهمته فاطال لحيته ووضع على رأسه طربوشا طويل الزر وارتدى الثياب التي كان يرتديها الاتراك يومئذ وغير اسمه وتسمى باسم « عبد الله افندي » وادعى الاسلام والصلاح والتقوى .

وفي يافا اتخذ من احد الاعراب دليلا الطريق من يافا الى السويس عبر صحراء سيناء وفي الطريق كان يجتمع بشيوخ البدو ورؤساء القبائل ويوزع عليهم الرشاوى الجزيلة ويدعوهم الى الانتقاض على عرابي لخروجه على طاعة الخليفة سلطان المسلمين ، كما كان يشترى من الاعراب الجمال والخيل لمساعدة الجيش البريطاني في حمل مهماته .

أحمد رامي

● ادوار حنا سعد ●

رامي .. بركب القضاء　　　　تاه .. وليس بنائي
الصوت غاب وتبقى　　　　سواحر الأصداء
لا يغرب الفن عنا　　　　إلا غروب ذكاء
تعود كل صباح　　　　بعد احتجاب المساء
كان الشعاع المصفى　　　　وكيف موت الضياء ؟
وترجمانا أمينا　　　　عن النفوس الظماء
برقة اللفظ يشدو　　　　وبالمعاني الوضاء
تنزلت من بروج　　　　مسحورة .. وسماء
آياته شائعات　　　　في حصة الشركاء
وعيشه في قلوب الـ　　　　عشاق والندماء
من يسبق العمر شوقا　　　　إلى نعيم اللقاء !
ومن يعيب التداني　　　　في خطوه العداء
والشوق بعد سلو　　　　واليأس بعد رجاء
شاد جديد وصوت　　　　فرد .. بلا نظراء
منديل كل شكاة　　　　وزهر كل لقاء !

***

كم نلت بالود حظا　　　　من سيد الظرفاء !
يخفى .. حياء ولطفا　　　　فضلا بغير خفاء
فيه الثقافة ضوء　　　　سداه من أضواء
جذورها راسخات　　　　وفرعها في السماء !

***

عجبت كيف وقوفي　　　　في مغرب الأضواء
وكيف أرثي كبيرا　　　　أراه فوق الرثاء
وكيف أسعى بزهري　　　　للروضة المعطاء
أحسنت فضلا وبذلا　　　　فانعم بحسن الجزاء !



انبياء الله في مصر (٣)

د. سيد كريم

● النبي هارون ١٢١٧ ق.م

« واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقدمناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا »

« ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا المتقين » قران كريم

ـ اختلف مؤرخوا كتب الانبياء ومفسروا كتب الاديان في عسلاقة النبي هارون بسيدنا موسى عليه السلام وصفه البعض نقلا عن الكتب السماويه بانه الاخ الشقيق لموسى بينما وصفه البعض الاخر بانه كان اخا في الرضاعة ويؤكد البعض الثالث بانه كان بمثابة الاخ الروحي لموسى في العقيده وواسطه الاتصال بينه وبين الطوائف التي بدأ ينشر بينها عقيدة التوحيد .

وقد فسر الكاتب فرويد في كتابه « موسى والتوحيد حقيقه العلاقه بين موسى وهارون عندما اثبت ان موسى كان اميرا مصريا تربى في قصر فرعون وانه كان قائدا عسكريا حقق نصرا في

الحملة على الحبشة والتحق بمعبد اون حيث درس اللاهوت عقيدة التوحيد التي سبقه اخناتون الى دراستها بنفس المعبد وقام بثورته المعروفه

كما تزوج موسى من مصرية ، وهى ابنة النبى شعيب الذى كان بدوره من طائفة الموحدين الذين هربوا الى سيناء ومدين بينما وصف سفر الانبياء هارون انه كان من طائفه اليهود المنبوذين بمدينة قنطير ـ وقام هارون بالاعداد لثورتهم عند غياب موسى فى مدين .

ولما أمر الله موسى بان يخرج ببنى اسرائيل من مصر خشى الا يطيعوه لانه ليس منهم وانه قتل واحدا من انصاره « قال ربى قتلت نفسا منهم فاخاف ان يقتلون واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى انى اخاف ان يكذبون فقال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون

سورة القصص

وهكذا خرج اليهود من مصر مع موسى وهارون

● والحادث الثانى فى علاقه كلّ من موسى وهارون باليهود يتمثل عندما كفر اليهود بموسى ورسالته ؟ واتبعوا السامرى الذى امرهم ان يخلعوا حليهم التى استولوا عليها من المصريين وصنع لهم منها عجلا جسدا له خوار ، وقال لهم هذا الهكم واله موسى ولم يقو هارون على اقناعهم برسالة موسى ، فغضب موسى عليهم الى اخر القصة ونزلت اللعنة على بنى اسرائيل وحكم عليهم بالتيه والتشرد اربعون سنه ، وتخلف هارون فى وادى الطور ، حيث مات فى نفس السنة

وعلى تل مرتفع قليلا يقع قبر النبى هارون شقيق موسى فى العقيده وذراعه الايمن فى الدعوة .

وقد عاصر النبى هارون حكم كل من رمسيس الثانى الذى قام بحمله اضطهاد اليهود ، والملك مرنبتاح فرعون موسى الذى طردهم من مصر .

● **النبى شعيب ١٢٦٠ ق.م**

ذكر اسم النبى شعيب فى تاريخ الانبياء فى مصر عندما خرج موسى من مصر « خائفا يترقب » قال رب نجنى من القوم الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل »

والنبى شعيب من طائفه الموحدين الذين درسوا رسالة التوحيد الاخناتونية التى خرجت من معبد اون وخرجت من العمارنه تطوف بالبلاد الاسيويه والجزيرة العربية وتشرد دعاتها بعد فشل دعوتهم فى مصر ، وهاجروا الى سيناء والجزيرة العربية واطلق عليهم « جرهم » اى مهاجروا مصر ، وانتقل كثير منهم الى مكه وهم قبائل « جرهم » والصاب الصابئة اى اصحاب دعوة التوحيد ، وانضم البعض الاخر الى قبائل بنى مناف من مهاجرى منف من ارض الكنانسة قبل ابراهيم عليه السلام

وكانت زيارة الكعبة جزءا من شعائر عقيده التوحيد الفرعونيه فى مختلف مراحلها ، مما يفسر زياره معظم الانبياء الذين لجاوا الى مصر خرجوا منها لزياره الكعبه ، فى مقدمتهم سيدنا ابراهيم ويعقوب ويوسف وشعيب وغيرهم

وعندما اوى النبى شعيب سيدنا موسى ، وزوجه احدى ابنتيه اشترط عليه مرافقته لزيارة كعبة العقيدة « قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك » سورة القصص الى اخر القصة التى راى فيها موسى برهان ربه على جبل الطور

ومات النبى شعيب ودفن فى مدين عام ١٢٢٤ بعد ان ناهز المائه عام ، اى انه عاصر كلا من سيتى الاول ورمسيس الثانى

● **النبى داود ١٠٠٤ ق.م**

اول من اسس دولة اسرائيل قام بزيارة مصر قبل ان يتولى الحكم حيث قضى بضعه اشهر فى مدينه عباشان بالقرب من معبد اون الذى سبقه الى زيارته كل من ابراهيم ويعقوب ويوسف قبل حملهم رسالة التوحيد ودعوتها.

كانت زيارته لارض مصر المقدسة كما وصفها سفر الانبياء عام ١٠٠٤

ق.م في عهد الملك بسونس الثاني احد ملوك الاسرة ٢١ م ق من مصر تنقل اناشيد اخناتون بشعرها الغنائي وتراتيلها الموسيقية ليرتلها اليهود في صلواتهم فنسبوها الى النبي داود واطلقوا عليها اسم « مزامير داوود »

● **النبي سليمان ٩٥٠ ق.م**

زار سليمان الحكيم مصر كما ورد في سفر اخبار الناس الثاني من التوراه وسفر الانبياء في السنوات الاولى من حكمه ليتقرب الى المصريين ويوطد علاقات الصداقه والسلام معهم في عهد الملك اوسركون الاول احد ملوك الاسرة الثانية والعشرين .

((فاكرم فرعون مصر وفادته ، وزوجه من احدى بناته الفرعونيات ، ووهبه حصن جيزر كمهر لابنته)).

وتذكر بعض اساطير اليهود ان ميله لها جعلها تؤثر عليه ليترك الهته ويعبد الهة المصريين فغضب عليه الرب وانزل صاعقه نسبها البعض الى الزلزال الذى حطم جزءاً من مبنى قدس الاقداس اثناء البناء .

بقى ان نعرف ان المهندسين المصريين هم الذين تولوا بناء هذا الهيكل الاسطورى في سبع سنوات .

واشترك في بنائه مائه وخمسون الف عامل وصفوا بانهم من ابناء بناة الاهرام الخالدة ، واستوردمواد بنائه من اخشاب الارز واحجار الرمر والذهب والاحجار الكريمه من البلاد المحيطه به والتى وقع معها معاهدات السلام

كما يصف التاريخ كيف هدم سيشنق الاول فرعون مصر الهيكل عام ٩٥٠ ق.م عندما اغار بجيوشه على فلسطين لاستردادها وضمها الى ارض مصر .

● **النبي يوشع ٦٦٠ ق.م**

قاد جيوش اليهود لاحتلال سيناء فتصدى له الملك نخاو الثاني وقتله في معركه الوادى ، فحمله اتباعه على فرسه وعادوا به ليدفن في اورشليم

● **سيدنا عيسى ٢ ــ ١٦ ميلاديه**

كانت رحلة السيد المسيح الى مصر في العام الثاني من مولده .. بعد ان



سليمان الحكيم وكرسى العدالة

يقول الملاك ليوسف النجار ((قم وخذ الصبى وامه واهرب الى مصر البلد الامن وكن هناك حتى اقول لك ، لان هيرودس يطلب الصبى ليهلكه)).

بعدالمجزرة التى روى فيها هيرودس ارض بيت لحم بدماء الفى طفل : وهى المرحله التى كان لمصر فيها الفضل في حمايته وكان لمصر فيهاالفضل في رعايته والحفاظ على رسالته الساميه وقيام الديانه المسيحية .

خرجت القافلة المقدسة التى تتكون من يسوع الطفل وامه ويوسف النجار وسالومى ، من بيت لحم الى الخليل وبئر سبع ، ويمكن تتبع طريق رحلة الهجرة مما ورد في الوثائق القديمة والمراجع التاريخية كما يلى : كانت اول مدينة وصلوا اليها على ارض مصر المقدسة مدينة الفرما وتقع على بعد ٣٠ كيلو متر شرقى بورسعيد ومنها انتقلوا الى مدينه بوباستت (تل بسطة) وكان بها معبد الاله باست حيث ظهرت اول معجزات المسيح في مصر عندما تهاوت تماثيل المعبد عند دخوله اليه تحمله امه .

ثم تبعتها معجزة شفاء زوجة الكاهن افلون الذى اواهم فى منزله ليحميهم من بطش ثوره الحاكم، وكانت مشلولة من سبع سنوات فلما رات الطفل، قامت لتحتضنه زال عنها الشلل.

وتركت الرسالة التى تقول « فى مكان بيت اقلوم ستقام كنيسه يخلد فيها أسمك الى الابد » ويوجد فى مكان البيت حاليا كنيسه للعذراء مازالت تفتح ابوابها لشعائر الدين كل يوم.

وظهر ملاك للقافلة مرة اخرى وامرهم بالهروب خلال حقول القمح فى طريق معوج حتى بلغوا مدينه بلبيس واتجهوا منها الى سمنود ثم المطلع، حيث تقوم كنيسة الملاك ميخائيل.

وانتقلوا منها الى منطقه بيخاسوع (كعب يسوع) التى تحكى الاسطوره انه دق فيها بكعبه على حجر تفجر منه منبع من الماء المقدس، بنى حوله «دير القطس» الذى لازال يحتفظ بداخله بالحجر الذى دق عليه وعين المياه المقدسة.

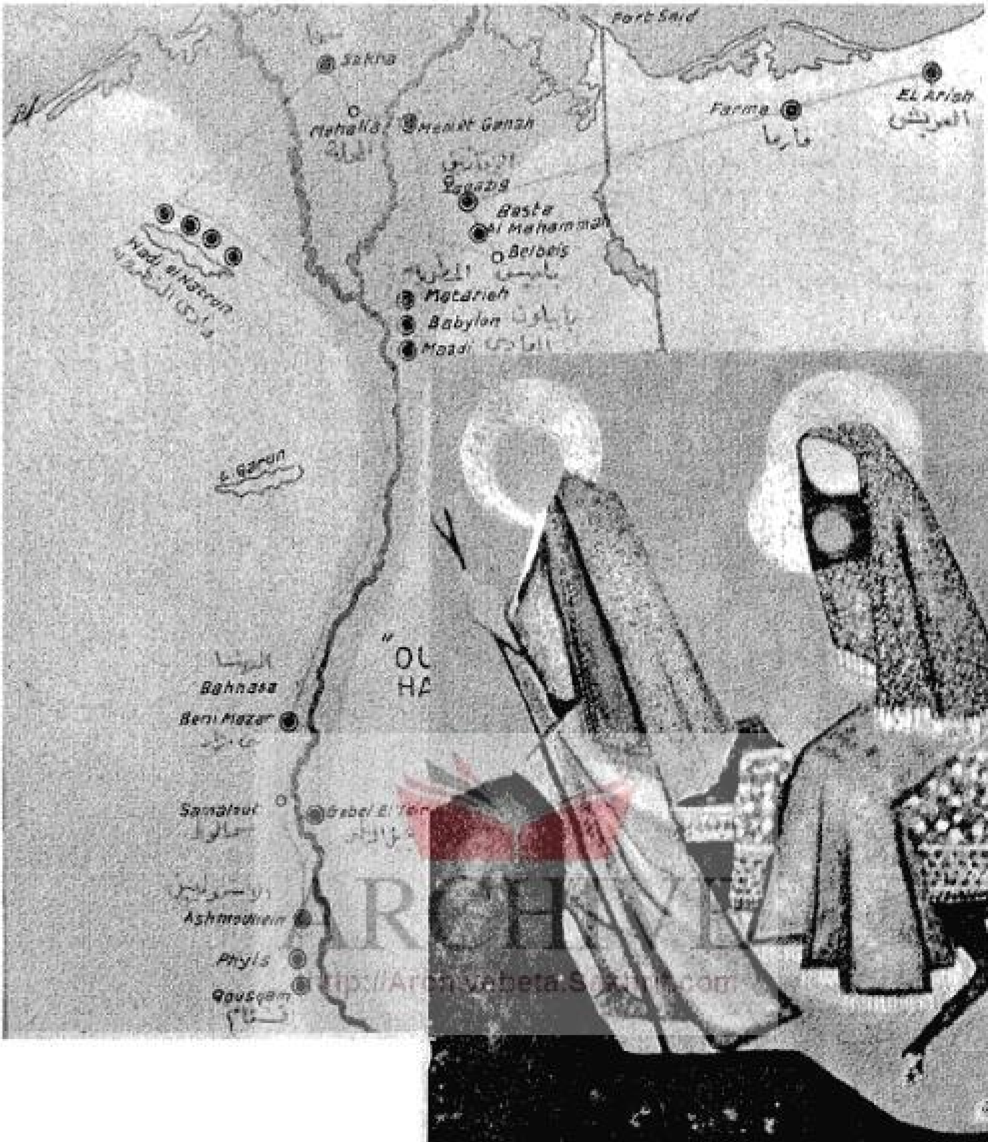
ثم عبرت القافلة المقدسة فرع رشيد فى مراكب الصيد الى الضفة الغربية وساروا منها الى وادى شهيب (وادى النطرون) وكان يحوى مجموعة من المعابد الفرعونية — وهو الوادى الذى تنبأ المسيح بانه سيكون كعبة المسيحية فى الارض المقدسة التى يسكنها عدد كبير ممن دخل النور قلوبهم وصفت سريرتهم ليعبدوا الله ويذكروا اسمى واسمك ».

وقد تحققت النبوة فتحول وادى النطرون الى مركز من اكبر مراكز المسيحية فى التاريخ حيث كان به فى القرن الرابع الميلادى خمسمائه دير تضم اكثر من خمسين الف راهب، بقى منها الان اربعه اديره اهمها شهرة دير السريان.

استمرت اقامة العائلة المقدسة فى وادى النطرون ثلاثه اشهر انتقلت بعدها الى مدينة اون (عين شمس) القى المسيح بعصاه فى صحن المعبد: فاورقت شجرة البلسم التى اشتهرت فى عين شمس وكان حاكم مصر يستولى على عصارتها المقدسة ويهديها للملوك والاباطرة ومن اون اتجهوا الى المطريه فى طريقهم الى بابليون (مصر القديمه) ونامت مريم وفى حضنها الطفل يسوع تحت شجرة الجميز المقدسة التى



المسيح الطفل والعائلة المقدسة فى وادى النطرون ..



انحنت بفروعها لتخفى الطفل عن اعين جنود هيرودس اللذين مـروا فى ذلك الوقت بالقرب من الشجرة بحثا عنهم

ولاتزال شجرة الجميز المقدسـة قائمه مكانها حتى الان وتعد من المزارات التذكاريه المقدسة ثم انطلقت القافلـه جنوبا حتى وصـلت اسوار بابليون حيث اقامـوا فى مغاره الكهف المقدس الذى يقع تحت كنيسه « ابى سرجه » بمصر القديمه . ومنها هربوا ليلا الى المعادى وركبوا مركبا كان راسيا فى انتظارهم عند شاطىء المعادى فى المكان

الذى تقع فيه حاليا كنيسه العذراء وتعتبر من المزارات المقدسة

« حيث طبع المسيح قدمه على درجاتها التى كانت درجات المرسى »

وسارت الركب جنوبا حتى توقفت من القشن ، ومنها ساروا برا حتى معبد ابيس فى بهنا وتوجهوا منها مرورا بمدينه القوصية الى قرية « قسقام » التى شاهدت العديد من معجزات الطفل المعجزه فى شفاء المرضى واعاده البصر والنطق الى الاخرس ، وهو المكان المقدس الذى اقيم فيه الدير المحرق وكنيسه العذراء فى القرن الرابع الميلادى مكان احد معابد ايزيس القديمه . ويتوسط هيكل الكنيسه الحاليه الحجر الذى كان المسيح عليه السلام يستخدمه مخدعا ينام عليه .

غادرت العائله المقدسة الدير المحرق للعوده الى فلسطين عندما اوحى الملاك « قم وخذ الصبى وامه واذهب الى فلسطين فانه قد مات من يطلبون نفس الصبى »

وعادت العائلة المقدسة من قسقام الى بابليون مباشره حيث اقاموا ليلة فى كنيسه السرجه ، ومنها مروا بالمطريه لزيارة الشجرة المقدسة مرة اخرى حيث تركوا الحوض الحجرى الذى استحم به المسيح — ومازال موجودا به الى الان — ومنها اتجهوا الى قريه المحمه (مسطرد) حيث فجر بها المسيح بئرا مقدسة ، واتجه منها الى طريق الاسماعيلية الحالى حتى البحيرات المرة ، واتجهوا منها شمالا الى شاطىء البحر وساروا بمحاذاة الشاطىء حتى وصلوا الى الناصرة فى فلسطين .

وكانت هجرته الى فلسطين فى العام السادس عشر الميلادى اى ان اقامته فى ارض مصر كانت اربعه عشر عام .

● الوادى المقدس .. طريق الانبياء

يقع الوادى المقدس فى قلب سيناء عند سفح جبل الوحى وقد ذكر مؤرخوا العرب ان اسم سيناء مشتق من كلمه سن اى سن الانسان ، وارجعوا ذلك الى شكل الجبال المدببة الشبيهة بالاسنان وتحيط سلسلتها و فكهسا بالوادى . بينما ورد اسم سينا فى تاريخ الفراعنه من اقدم العصور باسم « ارض سن » او ارض الفجر .

لقد ورد اسم الوادى المقدس فى جميع الكتب المقدسة وصحف الانبياء، واطلق عليه الفراعنه عده اسماء منها وادى الملائكة ، ووادى المعبوده حتحور حامية المناجم ووادى الموحدين الذين هاجروا اليه فى مختلف ثورات العقيده وفى اعقاب الانقلابات الدينية التى حلت بالبلاد فى الدولة القديمه عام ٢٢٨٠ ق.م فى عهد الاضمحلال الاول عند قيام الثورة « الشيوعيه » الاولى التى هدمت معابد مدينة منف وطاردت الكهنة وحرمت العباده فتجاهل منف وكهنتها الى الوادى المقدس بارض سينا وهربوا منها الى الجزيرة العربية حيث اطلق عليهم اسم وجرهم — اى مهاجرى مصر — التى لجأت اليهم هاجر المصريه زوجة سيدنا ابراهيم وام اسماعيل عندما تركها ابراهيم فى مكه لانهم يتكلمون لغتها .

كما لجأ الى الوادى المقدس وهاجر منه ايضا الى الجزيرة العربية اتباع عقيدة التوحيد الاخناتونية بعد ثورة العمارنة عام ١٢٧٥ ق.م ويطلق عليهم اسم « السابى » او المتوحدون. واطلق على من هاجر منهم الى الكعبة الصابئة وهو ما يفسر مرور جميع الانبياء الذين هبطوا الى ارض مصر « ارض السلام والاسلام » او خرجوا منها مرورهم بالوادى المقدس فى طريقهم الى الكعبة

وقد اطلق على كهنة التوحيد واتباعهم الذين لجاوا الى الوادى المقدس : اسم المتوحدون ، وينسب كهنة معبد الطور بدير سانت كاترين انهم من سلالة المتوحدين الذين هاجروا مع موسى عليه السلام وتخلفوا عن اليهود فى الوادى المقدس مع النبى هارون عندما كفر اليهود برب موسى وعبدوا الثور ، فطردهم الاله من الوادى المقدس الى صحراء التيه — بينما تذكر بعض الوثائق المسيحية القديمة انهم من سلالة الفراعنة الذين هاجروا الى الوادى المقدس قبل هجرة موسى وقد وصفتهم احدى المخطوطات القديمة المحفوظة بدير سانت كاترين بقولها :





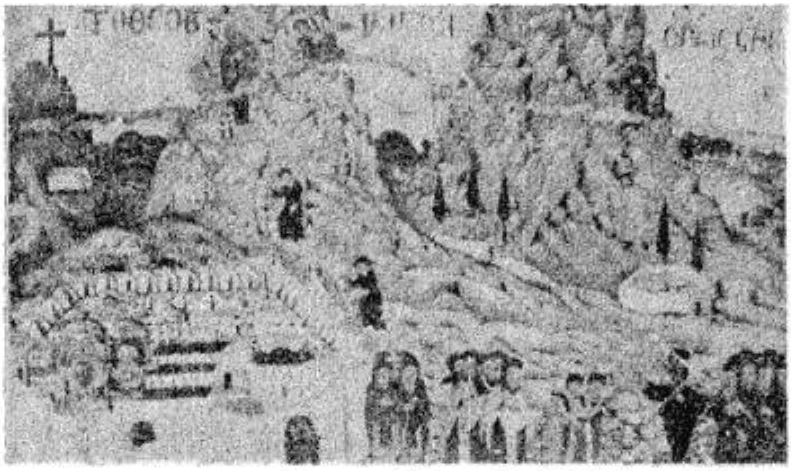
زيارة السيد المسيح والقديسين لدير سانت كاترين

الدير المحرق حيث اقام المسيح سبع سنوات ..



« كان اوائل المتوحدين النساك القانعون بعطاء الله يعيشون وحدهم فى كهوفهم يحرقهم الفقر المدقع ولا عمل لهم الا الصلاة ، والصلاة فقط، ويجتمعون فى ايام اعيادهم الدينية فى مكان العليقة المحترقة ليسمعوا الكلمة الروحية من رئيسهم ، ويتناولوا سر المناولة المقدسة ، وقد قاسوا كثيرا من الحرمان »

وفى أرض سينا فى تراب الوادى المقدس وبالقرب من قبر النبى هارون يوجد مقام النبى صالح الذى بعثه الله الى اهل ثمود رسولا ليدعوهم الى عبادة الله تعالى بعدما خالفوا أمره



احدى الوثائق التاريخية للوادى المقدس وجبل الوحى ومعبد الاله
مزار الانبياء والقديسين « القرن الثالث

وعبدوا الاصنام وافسدوا فى الارض، فتنكروا له وغدروا به بعدما عقروا الناقة آية الرسول ، فحضرهم عذاب الله واتتهم صيحة من السماء فلم يبق فيهم صغيرا ولا كبيرا الا هلك .

وعاد صالح للقاء ربه فى الوادى المقدس حيث توفى وهو ابن ثمان وخمسين سنة . وذكر الثعلبى فى كتابه « قصص الانبياء » ان النبى صالح مات فى مكة عند زيارته للكعبة ، وان اتباعه نقلوه ليدفن فى الوادى المقدس الذى تلقى فيه امر الاله بالرسالة الى اهل ثمود .

وتقول احدى المخطوطات القديمة المحفوظة بالدير — »

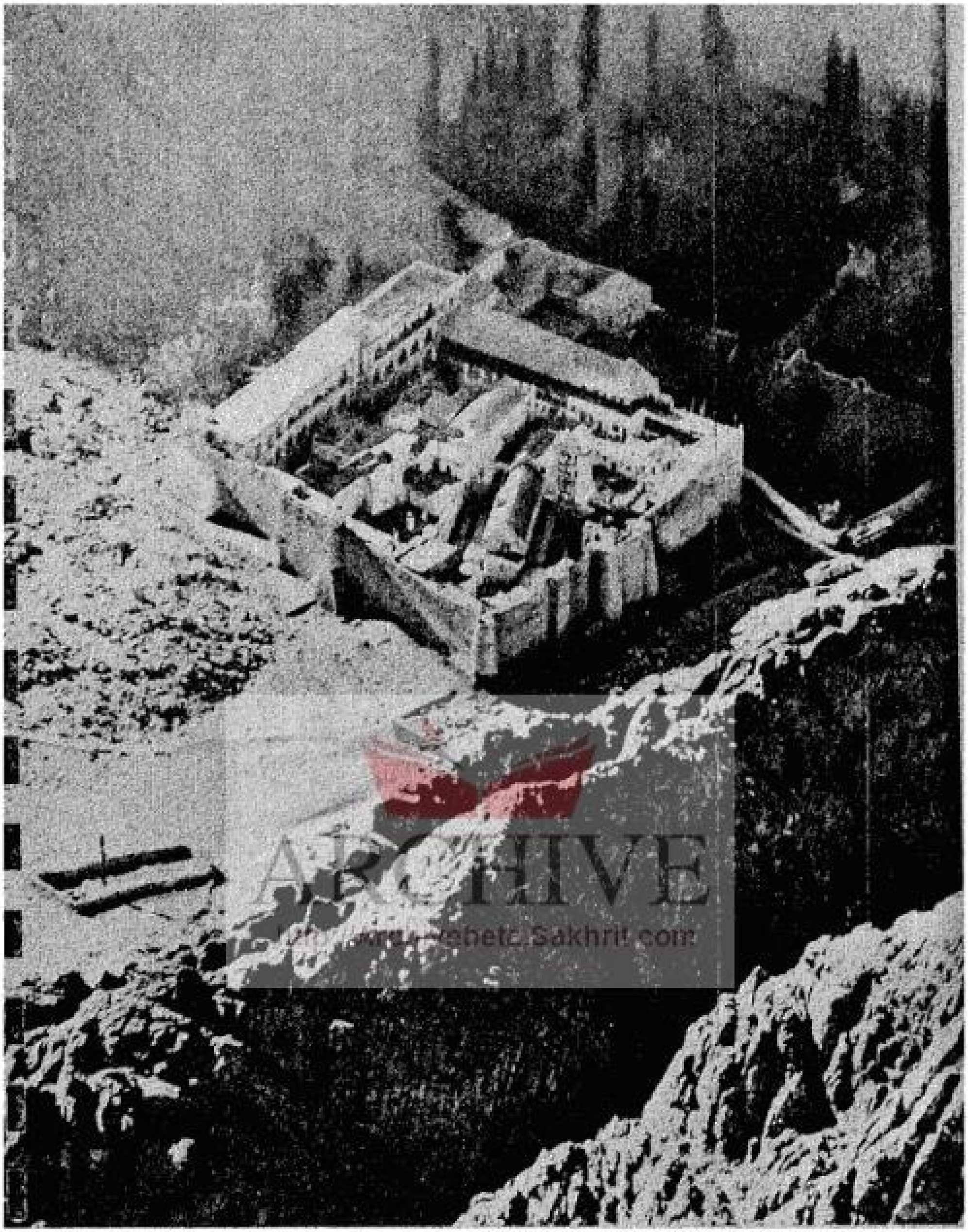
« ارسل آباء الدير وفدا الى المدينة سنة ٦٢٥ بعد الميلاد وحسبما يروى، لكى يطلبوا من مؤسس الشريعة الاسلامية حماية مدنية الامر الذى وافق عليه ووقع عليه بكفه على العهد المعروف لمساعدة المسيحيين اصحاب الانجيل والذى اعلن بموجبه انه يجب على المسلمين حماية الموحدين والدفاع عنهم مقابل جزية يدفعونها على قدر طاقتهم » .

ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زار الدير اثناء اسفاره التجارية وهذا امر محتمل لان القرآن الكريم يذكر الوادى المقدس والاماكن المقدسة فى سيناء ومصر البلد الامين وارض الكنانة فى اكثر من سورة . وهكذا تابع الدير حياته الاعتيادية بدون ازعاج عندما اصبحت سيناء تحت سلطة العرب سنة ٦٤١ ميلادية .

وهكذا ، فوق ارض سيناء التقت جميع الاديان ، وعلى طريق الملائكة بالوادى المقدس ترك انبياء الله الذين هبطوا ارض مصر . تركوا آثار اقدامهم على ارض الوادى المقدس وهم فى طريقهم الى الارض الامن .

فارض مصر التى ارتفعت منها اول شعلة عرفتها البشرية قبل نزول الانبياء والرسل — وهى رسالة التوحيد او « الاسلام » الذى وصف به القرآن الكريم جميع الانبياء ونادت به جميع الاديان .

و « رسالة الاسلام » هى الدعوة لنشر السلام بين شعوب البشر فوصف تاريخ العقيدة مصر بانها « مهد الاسلام وارض السلام » .



دير سانت كاترين والوادي المقدس في سيناء ملتقى الاديان وطريق مرور الانبياء الى مصر ..

الدين لله والوطن للجميع

● الشيخ احمد حسن الباقورى ●

على بساط مصر الاخضر يعيش الاسلام والمسيحية في صفاء وتفاهم كأحسن ما تعيش الاديان السماوية التي تدعو كلها الى عبادة الله سبحانه والى المحبة والاخاء .

وقد انقضت علينا اربعة عشر قرنا فى هذا التآخى الطيب الكريم الذى يعبر عنه فى عمق اثنان من اعلام الفكر والاديان فى مصر فضيلة الاستاذ الامام حسن الباقورى وغبطة الانبا غريغوريوس اسقف عام الدراسات اللاهوتية العليا وكلاهما بحر زاخر من العلم والمحبة وعلم فى اتساع الذهن والقلب ، وهما هنا يتلاقيان على صفحات الهلال — مجلة الفكر العربى .

● اعداد : موريس عزيز ●

● اننا نعيش منذ آماد بعيدة فى هذا البلد العظيم الذى لم يفارق الايمان فى طوره الفرعونى الوثنى ، ولا فى طوره القبطى المسيحى ، ولا فى طوره العربى الاسلامى . ومن حقوق هذا الايمان علينا ، مسيحيين ومسلمين ، أن نرعاه فى الاصول الخمسة التى يسميها علماء اصول الدين الكليات الخمس .. وهى :

١ — احترام النفس ، فلا يجوز العدوان عليها الا فى حدود القانون .

٢ — احترام المال ، فلا يجوز العدوان عليه فى اى حال .

٣ — احترام النسب ، فلا يجوز انتهاك حرمته فى اى حال من الاحوال

٤ — احترام العقل ، فالسكر حرم فى المسيحية والاسلام .

٥ — احترام الدين ، فالاعتداء على الكنائس والمساجد مناقضة للايمان .

● فعلينا ان كنا فعلا صادقين فى ايماننا مسلمين ومسيحيين ، ان نحرص على السلام الاجتماعى ، وأن نتفاهم ونتعامل مع بعضنا بالحسنى لان هذا الوطن ملك للجميع ، وقد عاش فيه الجميع وخيرة للجميع : وخاصة ان على راس الدولة . رجلا ، اقام حكمه منذ اول يوم تولى فيه على الاعتزاز بالعلم واحترام الايمان ، وهما الدعامتان اللتان قام عليهما بناء مصر منذ اقدم العصور الى أن يرث الله الارض وما عليها ومن عليها ..

وقد وصف الله تعالى أتباع المسيح بالرأفة ، والرحمة ، وكل عمل يخلو من الرأفة والرحمة يناقض تعاليم السيد المسيح وقد قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم :

المسلم من سلم الناس من لسانه



● احمد حسن الباقورى ●

وبده » فالسلامة والسلام هما الشعار الحق للمسيحية والاسلام ، فمن شاء الحق فذلك هو السبيل ومن شاء غير الحق فان عناية الله لن تكون معه، ولو كانت معه قوى العالم اجمعين.

واني اعتقد كما يعتقد كثيرون غيري ان العلوم والفنون والاداب في بلدنا قد اشترك فيها المسلمون مع اخوانهم المسيحيون .

من ذا الذى ينسى انطون جميل .. ومن ذا الذى ينسى الاستاذ صروف الكاتب الاديب المعروف ومن ينسى خليل مطران .. ومن ينسى جورجى زيدان

ومن ينسى كتابنا وادباءنا المعاصرين .. من ينسى مكرم عبيد .. ومن ينسى زعماء ثورة ١٩ اقباطا ومسلمين .. من ينسى البطريرك الذى رفض حماية روسيا للاقلية القبطية فى ذلك الوقت .. من ينسى شعار الهلال والصليب.. من ينسى دماء الشهداء مسلمين ومسيحيين فى حرب اكتوبر المجيد

وقبل هذا لن ننسى الاديب الكبير وهيب دوس وقد كان من ابرز الذين حملوا راية الادب الرفيع حتى لقد اقترحه الامام حسن البنا احد اعضاء الهيئة التأسيسية التى تكون لسان جمعية الاخوان المسلمين عندما تجمع لهما حسن سرى ، فاراد الشهيد حسن البنا ان تكون جمعية الاخوان المسلمين قائمة برسالتها الاجتماعيه وان تكون اللسان السياسى المعبر عنها الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام والاستاذ وهيب دوس

وتلك حقيقة لا يجهلها الذين يقومون على شئون المسلمين » ففى هذه المعانى الكبيرة ينبغى ان نصون وحدتنا فانها اعز شىء لدينا ، ويوم نفقدها لاقدر الله فاننا سنفقد كل شىء وسوف نكون بلا ماض ولا حاضر ولا مستقبل.

● ان الفن كالعلم لا وطن له فكل فنان لابد ان يكون قد تأثر بفنان او او فنانين وكل عالم لابد ان يكون قد تأثر بعالم او علماء فالمئذنة فى المسجد هى فى جملتها المنارة فى الكنيسة .. وعلى هذا النحو نفسه فالقبة فى المسجد مناظرة الى القبة فى الكنيسة فنحن اخوة فى كل شىء واذا كنا قد اختلفنا فى فلسفة العقيدة فاننا فى مجال السلوك لا نختلف ولن نختلف ابدا فلنحرص على ذلك جميعا ، ولندعو الى ذلك جميعا ، ولتكن مصر هى امنا التى تجمعنا حول ماض ماجد وحاضر مجاهد تجمعنا حول مستقبل منشود وخير كثير فى دنيا الدين والتدين والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

من آيات التلاقي بين الإسلام والمسيحية في اللغة العربية

● الانبا غرغوريوس ●

أسقف عام للدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي

من الاخطاء الشائعة الربط بين اللغة العربية والاسلام بصورة تشعر كما لو كانت اللغة العربية هي لغة المسلمين وحدهم . ونحن نلمس هذا الربط في بعض البلاد العربية والافريقية ومنها ليبيا والجزائر الذين يسود عندهم الاعتقاد بأن المسلمين وحدهم هم الذين يتكلمون اللغة العربية ، ولا يكادون يصدقون ان هناك مسيحيين يتكلمون العربية ويجيدونها وانها لغتهم ولا لغة لهم غيرها .

في عام ١٩٦٩ للميلاد كنا في روما مع وفد قبطي بعد حضور احتفالات فينيسيا (البندقية) بعيد القديس مرقس الرسول ، وذلك بعد أن احتفلنا نحن في يونية ١٩٦٨ باستحضار رفاته من فينيسيا عبر روما الى القاهرة وايداعه مذبح الكاتدرائية المرقسية الجديدة بالعباسية ، وقد زرنا في روما معهد الدراسات الشرقية ثم معهد الدراسات العربية وسعدنا بزيارة مكتبة المعهد وأقام لنا الاساتذة والعلماء حفلا مناسبا وهم جميعا ، أو على الغالب ، من الرهبان المهتمين بالدراسات العربية . وقد طلبوا منا القاء كلمة في الحفل باللغة العربية فوجدت ان المناسبة اثارتني للحديث عن التراث المسيحي في اللغة العربية ، وانتهزت الفرصة لأحيي الرهبان المسيحيين لاهتمامهم بدراسة اللغة العربية وآدابها الفنية ، وما اشتمل عليه أدب اللغة العربية من تراث حضاري عمره هو عمر لغة ضاربة في القدم ترجع الى سام بن نوح وهو العاشر من آدم في سلسلة انساب العائلة البشرية .

والمعروف ان اللغة العربية هي احدى مجموعة اللغات السامية ومن أقدمها . وعلى ذلك فهي من أقدم اللغات الانسانية ومن أخصبها وأغناها وأجملها وأحفلها بالمعاني .. وهي لغة أدب ودين وفن وحضارة ، وهي بالتالي من أعرق اللغات وأقدرها على التعبير عن احتياجات الانسان المادية والفكرية والمعنوية ، اذ انها امتدت طولا وعرضا وعمقا ، ولقد نمت نموا مطردا بغير توقف، ولم يدركها وهن أو ضعف، لأنها حية أخصب واعمق ما تكون الحياة لكائن حي يتنفس ويتغذى وينمو ويتكاثر على ما يقول ارسطو في خصائص كل كائن حي ، من النبات الى الحيوان الى الانسان . واللغة ايضا كائن حي .

اذا كان ذلك كذلك ، فمن البينات والبدهيات أن ترتد اللغة العربية في كيانها ووجودها وحياتها الى ما قبل ظهور الاسلام بعشرات المئات من السنين . ولئن عرفت اللغة العربية بأنها لغة القرآن ، ولكنها سبقت بآدابها القرآن بعشرات القرون . ولقد تكلم بها المسلمون وغير المسلمين من شعوب العالم

القديم ، وشعوب البلاد العربية على الخصوص .

ولقد سبقت الدعوة المحمدية وعاصرتها أديان وثنية وأديان الهية ومنها الموسوية والمسيحية . وكان هؤلاء يتكلمون العربية ويجيدونها نثرا وشعرا ، ويتبارون بها فى الاسواق ، ومنهم من برز فيها بلاغة وفصاحة وخطابة .

ولعل من بين المسيحيين العرب المفوقين فى اللغة العربية كثيرين على مدى التاريخ الطويل العريض للغة العرب ، ومن بينهم :الاخطل (٦٤٠ – ٧٠٨) وكان نصرانيا من بنى تغلب ، اتصل بالامويين فصار شاعرهم الخاص .

ومنهم قس بن ساعدة المتوفى نحو سنة ٦٠٠ للميلاد ، وكان اديبا من نصارى نجران ، ومن احبارها ، وقد صار اسقفا لنجران ، وكان خطيب العرب وشاعرهم وحكيمهم وحكمهم فى عصره ، وكان يعظ القوم فى سوق عكاظ وكان يضرب به المثل فى البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة . وقالوا انه أول من خطب على مرتفع أو ناقة ، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا . وكان يعتمد على العبارات القصيرة جدا التى يحليها بالسجع والازدواج الطبيعيين ، ورسم الصور المتتابعة السريعة .

ومنهم ورقة بن نوفل المتوفى نحو سنة ٦١١ ، وهو من حكماء الجاهلية ، وكان نصرانيا ، وروى عنه انه ترجم الانجيل الى العربية .

ومنهم حنين بن اسحق (٨٠٨ – ٨٧٣) وهو طبيب نصرانى من قبيلة عباد العربية ، ولد فى الحيرة بالعراق ، وقد درس الطب فى بغداد وتضلع باليونانية عينه الخليفة المأمون على بيت الحكمة ، وانصرف الى الترجمة ، فنقل الى العربية والسريانية بعض كتب افلاطون مثل « تيماوس » و « القوانين » ، وبعض كتب ارسطو مثل « المقولات » و « الطبيعيات » و « الاخلاق الكبرى » و « المعادن » . وله كتاب « عشر مقالات فى العين » و « المدخل فى الطب » وكتاب « فى الاغذية » وكتاب « فى تدبير الناقهين » وكتاب « فى الادوية المسهلة »

وقد ذكر الانجيل ، اللغة العربية من بين اللغات التى تكلم بها تلاميذ المسيح ورسله يوم أن حل الروح القدس عليهم فى اليوم الخمسين لقيامة المسيح المجيدة فى هيئة السنة من نار نزلت عليهم من السماء واستقرت على راس كل منهم . وكان من بين الحجيج الحاضرين لهذا العيد العظيم قوم من البلاد العربية الناطقون باللغة العربية . ولما سمعوا تلاميذ المسيح يتكلمون باللغة العربية ، لغتهم الخاصة ، قالوا فى ذهول وانبهار « ترى أليس كل هؤلاء الذين يتكلمون جليليين (فلسطينيين) فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته هو التى ولد فيها منا فرتيون وماديون وعيلاميون وسكان ما بين النهرين . ومصر ، وأنحاء ليبيا . وعرب ،ونسمعهم يحدثون بجلائل اعمال الله بلغاتنا نحن .» (اعمال الرسل ٢ : ٧ – ١١) .

ولابد ان كان الانجيل قد ترجم الى لغة العرب لمنفعة المسيحيين من العرب وكان المسيحيين آنذاك يقرأونه بالعربية وعندما أشار القرآن الى الانجيل كان الانجيل بترجمته العربية معروفا ومقروءا عند المسيحيين فى بلاد العرب من قديم قبل ظهور الرسالة المحمدية بزمن .

وروى عن ورقة بن نوفل النصرانى المتوفى نحو سنة ٦١١ انه ترجم الانجيل الى لغة العرب . وبعد ذلك تتابعت على مدى التاريخ الترجمات العربية للانجيل والكتاب المقدس بأكمله .من ذلك الترجمة التى قام بها يوحنا اسقف اشبيلية احدى مدن اسبانيا عام ٧٥٠ للميلاد – ثم ترجمة سعد الفيومى للعهد القديم الى العربية فى القرن التاسع نقلا عن العبرية لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية بعد ذلك قام اولاد العسال ، وهم من علماء الاقباط فى القرن الثالث عشر بمراجعة ترجمات العهد الجديد وضبطوا ترجمتها العربية ودونوها فى نسخة خطية مخطوطة الآن بالتحف القبطى .

وملاك القول ان اللغة العربية هى لغة الناطقين بالضاد من قديم الزمان ، وثنيين جاهليين ومسيحيين ومسلمين .

صناعة القصيدة العربية في العصر المتأخر

● د. حسين نصار ●

نظر شعراء هذه الحقبة من العصور المتأخرة الى القصائد نظر الصـاغة الى العقود ، وعدوا الالفاظ أحجارهم الكريمة التى يؤلفون منها سموطهم .. وكما افتن الصاغة في اختيار أحجارهم ، والتوفيق بينها ، وابتفرقة ، واستخراج الصور المختلفة منها ـ فعل الشعراء . وتباروا في التكوينات التى خرجوا بها من لعبهم بألفاظهم ، وكان البراعة كل البراعة في التكوين ، وجدته ، وغرابته ، ولا قيمة لما عدا ذلك ! ..

ومن المستطاع ان أصنف التكوينات التى عثرت عليها التصنيف التالى :

التكوينات المعتمدة على القافية :

تلتزم القصيدة العربية ان تنتهى كل أبياتها بحرف واحد تسميه الروى . ولكن بعض الشعراء لم يكتف بحرف واحد والتزم أكثر من حرف . وقد وجد مثل هذا الالتزام منذ العصور الاولى ، فى قصيدة كثير عزة التى التزم فيها اللام والتاء ، وفى لزوميات المعرى .

١ ـ وفى هذه الحقبة التزم ابن نباته فى بعض مقطوعاته ان يؤلف الروى من حرفين ، مثل قوله : (١)

واعيـد كلمـا تجنى ... ورث بين القلـوب جمـرا
يميـل تيهـا كانمـا قد ... سـقته تلك العيـون خمرا
تالله : لا فاتنى لقـاه ... وعين كيس عليه حمـرا

٢ ـ والتزم فى بعضها ثلاثة حروف ، مثل قوله : (١)

يا سـيدا صرف عنى العنا ... بفعله المعـرب أو باسـمه
شكرا لجـود لازم للثنـا ... تدوم روح المرء مع جسـمه
لولاه اصبحت فتى شـاعرا ... يبكى من الجود على رسمه !

٣ ـ والتزم صفى الدين الحلى أن يبدأ كل بيت بحرف الروى ، فتبدأ أبيات القصيدة كلها وتنتهى بحرف واحد . فعل ذلك فى ديوانه « درر النحـور فى مدائح الملك المنصور » الذى التزم فيه أمرين آخرين ، هو أن يستغرق حـروف

---

(١) ديوانه ٢٣٧ . ويبدو انه التزم ان يكون الحرف قبل الروى احد الحروف الثلاثة المتشابهة . الجيم ، والحاء ، وان لم يات بها مرتبة .
(٢) ديوانه ٤٦٥

نظر شعراء العصور المتأخرة إلى القصائد نظر الصاغة إلى العقود، وعدّوا الألفاظ أحجارهم الكريمة التي يؤلفون منها سموطهم

الهجاء كلها ، فأورد فيه ٢٩ قصيدة ، قافية أولاها الالف ، وثانيتها الباء ، وثالثتها التاء .. الى آخر الحروف ، مع التزام ترتيبها الالفبائي . والتزم أن تشتمل كل منها على ٢٩ بيتا . وتستغرق القصائد حروف الهجاء وهي ٢٩ حرفا .

٤ ـ وفي العصر العثماني التزم عبد الله الادكوى ان يبدأ كل بيت بما يتحد في جرسه مع كلمة القافية ، مثل قوله : (٣)

سكن لي بالمصلى سكنوا … لهم قلبي المعنى سكن
امنوا عن ان يرى غيرهم … حل فيه اذ وفائي امنوا
احسنوا الصنع ووالوا لي الرضا … ثم منوا بالتي لي احسن

٥ ـ واتخذ الحميدي والسجاعي من شعراء العصر العثماني كلمة واحدة قافيه لكل أبياتهما ، وان اختلفت معانيها في كل بيت . واتفق لهما ذلك في كلمة العين . قال أحمد السجاعي :

أيا ظبي الفلا ، وكحيل عين … ويا بدر الدجي وضياء عيني
حميت من المكاره يا غزالا … حوى كل الكمال بلون عين

٦ ـ ونظم الحلي قصيدة ذات وزنين وقافيتين ، اذ تقرأ من الكامل التام فتكون همزية القافية ، كما يلي : (٤)

جن الظلام فمذ بدا متبسما … لاح الهدى ، وتجلت الظلماء
وهدت محبا ظل في ليل الجفا … لما هدى ، وامتلت الاناء
رشا غدا من سكر خمرة ريقه … متأودا ، فكأنها صهباء

وتقرأ من مجزوء الكامل فتكون دالية ، كما يلي .

جن الظلام فمذ بدا … متبسما لاح الهدى
وهدت محبا ظل في … ليل الجفا لما هدى
رشا غدا من سكر خمـ … ـرة ريقه متأودا

التكوينات المعتمدة على الحروف :

فحص الشعراء الحروف التى تتكون منها الالفاظ ، فوجدوها ٢٩ حرفا ، ذات ترتيب خاص ، وخصائص مميزة ، فمنها ما يتصل بغيره من الحروف ، ومنها ما يجب فصله عما بعده ، ومنها المنقوط والمهمل . فاتخذوا من هذه الخصائص اسسا لتكوينات غاية في الغرابة . نرجىء الآن ما يتصل بالنقط منها ، ونتحدث هنا عن بعض الخصائص الاخرى .

(٣) الدور المنظم . والظر التصريع في البيت الأ وقع « سكنوا » قافية للشطر الاول ايضا
(٤) ديوانه ٥٣٠ .

١ ـ نظم الادكوى مقطوعة ، جمع في أوائل كلماتها حروف الهجاء كلها ، وأوردها على ترتيبها في الالقاء ، وقال : (١)

الى بـاب تـواب ثنيت جـوارحي   حليم خبير دوء ذنبي رضـــاؤه
زكاسر شاني صف ضفا طال ظله   عنايته غالت فجـل قضــاؤه
كفـانى لفيض ما عـدانى نواله   هدايته وافت لامـر يشـــاؤه

٢ ـ ونظم محمد بن رضوان السيوطي مدحة نبوية ، التزم أن يبدأ كل كلمة منها بالالف ، قال : (٢)

اسال أسيل الخد أرواحنا القتلى   اسى اصله اغراء الحاظه الكحلا

٣ ـ والتزم الادكوى أن يبدأ كل كلمة بالحرف الذى تنتهى به سابقتها في قوله : (٣)

فريد دلال لا انفصـــال لحسنه   هناى يؤاتي يوم مولاى يســعف
حبيب بهي يـوم ملقـــاه هنئي   يمينا : اذا انقـاه همي يكشــف

٤ ـ ونظم الحلى مقطوعة تتالف كل كلماتها من حروف متصلة ، مثل قوله (٤)

سل متلفي عطفا عسى يتعطف   فلقد قسا قلبا فما يتلطف

التكوينات المعتمدة على النقط :

استخدم الشعراء نظام اللغة العربية فى التمييز بين الحـروف المتشـابهة بالنقط فى ابتكار عدة تكوينات تعتمد على الاشـكال المختلفة لنقط الحـرف واهماله ٠ ويأتى صفي الدين الحلي فى مقدمة هؤلاء الشعراء ثم يحتذيه المحتذون وخاصة في العصر العثماني ٠ وهذا بيان بما عثرت عليه من تكوينات :

١ ـ نظم بعض الشعراء القصائد التى لا تضم اى حرف منقوط ، مثل قول صفي الدين الحلى : (٥)

كم ساهر حرم لمس الوساد   وما اراه سؤله والمراد

ونظم عبد الرحمن بن حمد الحميدى مدحه نبوية خالية من الحروف المنقوطة مطلعها (٦) :

اسرك دهـر سره كله وهم   ومورد اكدار كوارده سم

٢ ـ ونظموا القصائد الخالية من الحروف المهملة (غير المنقوطة) ، مثل قول الحلى : (٧)

فتنت بظبيى بقى خيبتى   بجفن تفنن فى فتنتى

٣ ـ ونظموا الشعر الذى يرد فيه بيت تنقط كل حروفه يعقبه بيت تهمل كل حروفه (٨) ٠٠ الخ ٠

التكوينات المعتمدة على الالفاظ :

١ ـ كان الشعراء يستعذبون بعض الالفاظ أو يجدون لها وقعا عاطفيا معينا فيكررونها فى بعض أبياتهم ، فى أوائلها وأواسطها ٠ أما شعراء هذه الحقبة فقد بدأوا كل أبياتهم بكلمة واحدة ، لا نشعر ازاءها بما كنا نشعر به ازاء الشعر

(١) الجبرتي ٣ : ٣٠ ٠
(١) الجبرتي : ٢٤٣
(٣) الجبرتي ٣ : ١١
(٤) ربضاوي ٢٩٤ ٠
(٥) ديوانه ٦١٨
(٦) الدر المنظم ١٢٩
(٧) ديوانه ٦١٩ ٠
(٨) ابراهيم الدسوقي ٣٨ ٠ ولم اعثر فى ديوانه على شاهده ٠

السابق • مثال ذلك مصطفى اللقيمي ، الذى بدأ كل أبيات احدى قصائده بكلمة روض : (١)

روض زها أبدى البديع بهيج ... وحماه من طيب القريض أريج
روض به روح البراعة قد سرى ... بلطيف سر بالسرور نسيج

٢ ـ وكرر بعض الشعراء ألفاظا معينة ، وزعوها توزيعا ثابتا فى شعرهم ، مثل قوله الادكوى • (٢)

دلاله بولاة الحب زاد فلو
قد عاد بالقرب يا صحبى شفى سقمى
دلاله زاد صحبى
بالقرب زاد دلاله
وصاله طب لى لو يعود عسى
بالوصل يحسم دائى بل يصون دمى
وصاله طب دائى
عسى يعود وصاله

فقد وزع الكلمة الاولى (دلاله) و (وصاله) توزيعا ثلاثيا ، جعل منها مبدأ وقافيه • تضيف الى ذلك التوزيع غير الثابت لبعض الالفاظ الاخرى ، مثل زاد وصحبى ، وطب ودائى وعسى ويعود •

٣ ـ ونظموا الشعر التصحيفى ، الذى يتماثل كل لفظين متواليين فيه بحيث يمكن أن يقع فيهما التصحيف ، فتتحول الواحدة الى الاخرى ، كقول الادكوى : (٣)

قاتل فاتك ، أعز أغر ... حسنه جيشه كثير كبير

وقد أخذ الشعراء هذه التكوينات وتكوينات النقط من النثر • فقد كانت شائعة فيه بل غالبة عليه ، وخاصة فى المقامات • فنقل الشعراء هذه الحيل من المجال النثرى الى المجال الشعرى •

التكوينات المعتمدة على القراءة :

١ ـ نظم بعض الشعراء الشعر الذى يقرأ طردا وعكسا ـ أى من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين ـ فلا يتغير معناه ولا لفظه ، مثل قول الحل:(٤)

أمر كلانا القه لطنه ... تنظم هتف لاسم الكرماء

٢ ـ ونظم بعضهم الشعر الذى يقرأ عموديا وأفقيا ، أو من اليمين الى اليسار من أعلى الى أسفل ، مثل قول الحل : (٥)

ليت شعرى لك علم ... من سقامى يا شفائى
لك علم من زفيرى ... ونحول وضنائى
من سقامى ونحول ... داونى اذ أنت دائى
يا شفائى وضنائى ... أنت دائى ودوائى

● الزخارف ●

أخذ الشعراء يبحثون عن الزخارف التى يحلون بها شعرهم منذ العصر العباسى ، وسموها البديع • وقد فعلوا ذلك فى قلة ، وعلى استحياء ، حتى

(١) الجبرتى ٢ : ١٣٦
(٢) الجبرتى ٣ : ١١
(٣) الجبرتى ٢ : ٣٤٩
(٤) علوش ١٤٩
(٥) علوش ١٤٩

ان ابن المعتز اول من الف فى البديع لم يعد الا ١٧ نوعا ، ولم يعد قدامه ابن جعفر الا ٢٠ نوعا اشترك مع ابن المعتز فى ٧ منها ٠

ولكن البديع اخذ يتسرب الى الشعر فى قوة ، حتى غلب عليه ، وصار فى الحقبة التى نؤرخ لها أمرا جوهريا ، لا يفلت منه شاعر ، بل يمكن القول ان كثيرا من المقطوعات الشعرية لم ينظمها أصحابها الا لابداعها أحد ألوان البديع ٠

وغالى شعراء العصر العثمانى خاصة فى التزام البديع ، حتى صارت القصيدة عندهم مجموعة من الالوان البديعية منظومة على بحر شعرى ٠ وتقف على رأس هذا التصور البديعيات التى بدأت فى العصر المملوكى وغلبت فى العصر العثمانى ولا يخفف من صورتها الحالكة غير موضوعها الدينى النثر ٠

ولم تقف ألوان البديع عند ما كانت عليه بل أخذت تزيد من زمن الى آخر وعلى يد شاعر بعد آخر ، حتى تعدت مائة لون ٠ بل ضمن صفى الدين الحلى بديعته ١٥١ لونا ، لان بعض الشعراء فرعوا بعض الالوان ، واشتقوا ألوانا عدوها من ابتكارهم كما ادعى ابن نباته فيما سماه ريح المقايضة والتشريع (١) ٠ وعلى الرغم من ذلك لن أقتصر على ما عددوه ، بل أضيف اليه اشياء أخرى ، لانهم عدوها كالبديع حلية واقبلوا عليها وتنافسوا فيها ، مثل استخدام المصطلحات المختلفة ٠

والبحث عن كل هذه الزخارف فى الشعر غير مجد ، ولذلك أبيح لنفسى الوقوف عند المعالم العامة منه ، التى نالت أهمية خاصة ، وراجت رواجا بعيدا٠

● الجناس ●

الجناس زخرف قديم فى الشعر ، ولكننى أعتقد انه اهم زخارف حقبتنا ،حتى اننا يمكن أن نعدها الحقبة الخاصة به ٠ فما من شاعر ، ولا قصيدة ، برئت منه ٠ وافتن الشعراء فيه فابتكروا منه أصنافا متعددة ، مثل :

١ ــ جناس التغاير : الذى يأتى عن اقتران كلمتين مختلفتى الاشتقاق ، بأن تكون احداهما فعلا والاخرى اسما كقول التلعفرى : (٢)

ما طل لى طلل السحاب دموعه الا وقد حشيت جوى احشاءه

جانس بين الفعل طل والاسم طلل ، والفعل حشيت والاسم احشاءه ٠

٢ ــ جناس التماثل : الذى تماثل فيه الكلمتان فى الصيغة واللفظ والخط ، وهو التام كقول ابن نباته : (٣)

الله جارك ان دمعى جارى يا موحش الأوطان والاوطار

٣ ــ جناس التصحيف : الذى لا يفرق بين الكلمتين فيه غير النقط ، كقول الشاب الظريف : (٤)

عجل الزمان على فى شرخ الصبى بتشتت القرناء والقرباء

٤ ــ جناس التحريف : الذى لا يفرق بين الكلمتين فيه غير الشكل ، كقول ابن مكانس (٥)

فى مسك خد العذو التركى ماذا على العاذلين من ترك ؟

٥ ــ الجناس الناقص :

٦ ــ تجنيس الترجيع أو التذليل : الذى تزيد فيه احدى الكلمتين على الاخرى

(١) ديوانه ٣٦١ ، ٢٤٠
(٢) ديوانه ٥ ٠ وانظر تحرير التحبير لابن أبى الاصبع ١٠٤ ٠
(٣) ديوانه ٢١٧ ٠
(٤) ديوانه ٤
(٥) ديوانه ٩ : ١٣

غالى شعراء العصر العثمانى خاصة فى التزام البديع ، حتى صارت القصيدة عندهم مجموعة من الألوان البديعية منظومة على بحر شعرى .

وتكون الزيادة حرفا واحدا فى أول الكلمة ، ويسمى الجناس المطرف بحرف كقول التلعفرى : (١)

جر ، هاتى بالجود فى الحب راضى اى واجفانك الصحاح المراض

وتكون حرفا فى وسط الكلمة ، قول الشاب الظريف : (٢)

الدمع هام والحشا هائم والجفن دام والهوى دائم

وتكون حرفا فى آخر الكلمة ، كقول ابن حجة : (٣)

ودخلت غزة والنخيل يميد من طلع ، وطلع الثغر زاه زاهر

وتكون حرفين مجتمعين ، كقول التلعفرى : (٤)

مالى وما لربوع لست اعرفها ما الحب نعم ، ولا الاوطان نعمان

وتكون حرفين منفصلين كقول ابن حجة : (٥)

وتصفحت اعداك فى صفد ، وهم عمى ، وطرف البحر نحوك ناظر

٧ ــ جناس انقلب : الذى يتغير فيه ترتيب الحروف فى الكلمتين ، كقول الحلى : (٦)

كنا نشوة فى الدجى ناشية بادراكها اصلحت شانيه

٨ ــ الجناس المركب : الذى يقوم فيه التجانس بين كلمة واكثر من كلمة ، مثل قول ابن نباته : (٧)

فاز الذى شغل الاسى اوقاته لو كان اشبعه الاسى اوقاته

فالجناس قائم بين كلمة (أوقات) وحرف العطف (أو) مع الفعل (قات ،

٩ ــ الجناس المجنح : الذى يتوالى فيه الجرس الواحد ثلاث مرات ، وابتكره صفى الدين الحلى ، ونظم قصيدة ملأها به ، كقوله : (٨)

سل سلسل الريق لم لم يرو حر ظما

بل بلبل القلب لما زاده المـ

● التورية ●

اذا كان الجناس الحلية التى طغت على الشعر العربى كله فى العصور المتأخرة ان التورية هى الحلية التى نافست الجناس ثم ناصبته العداء • فمنذ اعجب القاضى الفاضل بالتورية وأكثر منها ، التف حولها جماعة من ادباء مصر واخرى من أدباء الشام ، فضلوها على الجناس ، واكثروا منها ، وان لم يهملوا الجناس

---

(١) ديوانه ٣٢
(٢) ديوانه ٧٢
(٣) وبداوى ١٧
(٤) ديوانه ٤٤ •
(٥) وبداوى ١٧
(٦) ديوانه ٦٧٢
(٧) ديوانه ٧٥ •
(٨) علوش ١٥٢ •

كل الاهمال • أما الجماعة المصرية فتألفت من القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك ، والاسعد بن مماتي ، وسراج الدين الوراق ، وأبي الحسن الجزار ، ومحيي الدين بن عبد الظاهر • (١)

وأما الجماعة الشامية فضمت شيخ شيوخ حماة عبد العزيز الانصاري ، والامير مجير الدين بن تميم ، وبدر الدين بن لؤلؤ الذهبي ، ومحيي الدين بن قرناص ، وسيف بن المشد ، وعلي بن المظفر الوداعي (٢)

ولما ظهر ابن نباته ، وحمل على مدرسة التورية في الشام ومصر ، التفت عنده الجماعتان ، وعدتاه رأس مدرسة جديدة في التورية ، وسار خلفه المصريون والشاميون من أمثال زين الدين بن الوردي ، وبرهان الدين القيراطي ، وشمس الدين بن الصائغ ، وشهاب الدين بن ابي حجلة ، وابراهيم ابن المعمار ، وابن مكانس ، وابن حجة الحموي ، وعز الدين الموصلي ، وزين الدين بن العجمي وابن حجر العسقلاني وغيرهم • (٣)

ولم يقتصر أثر الخصومة بين الجناس والتورية على الشعر وحده بل تعداه الى التأليف البلاغي ، فاصدرت كل جماعة المؤلفات التي تدافع عن رأيها ، وتجمع الابيات التي تفضلها من الزخرف الذي تدعو اليه • فمن أنصار الجناس أصدر الصفدي « جنان الجناس » وبدر الدين الحمداني « ازالة الالتباس في الفرق بين الاشتقاق والجناس » والقاياتي « نزهة الجليس في أنواع التجنيس » وغيرها • ومن أنصار التورية أصدر ابن حجة « كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام » وأبو جعفر احمد بن على بن خاتمة الاندلس « رائق التحلية في فائق التورية » وغيرهما •

ولم تتعدد ألوان التورية ، ويجعل كل منها اسما خاصا كالجناس • وانما لدينا منها اسم واحد هو التورية الملفقة • التي ينسب ابتكارها الى ابن مكانس وتأتي في كلمتين ، مثل قوله : (٤)

ان الهوائي – يا معشوق – قد عبثا
بالروح والجسم في سر وفي علن

فالروح – حوشيت – بالممدود وتلفت
والجسم يكفيك بالمقصور فيك فني

يريد أن الروح تلفت بالهواء (ذي الهمزة الممدودة) ، والجسم فني أو في كفن بسبب الهوى (ذي الالف المقصورة) •

ولكنا نستطيع أن نصنف التورية الى أصناف عدة تبعا لمأخذها :

فالتورية القائمة على الاعلام أو ما سماه بعضهم التوجيه • ونجد منها مايقوم على كنية الشاعر أو لقبه - مثل ابن نباته ، وابن حجة ، وأبي بكر (بن حجة) فما أكثر استغلالها في شعرهم ، كقول ابن نباته : (٥)

يقول رجائي لما دعا | نداك لهيات تلك الهبات
تناسب حال النشل والرجا | فهذا الغمام لهذا النبات

والتورية في (النبات) • ونجد منها ما يقوم على اسم الممدوح أو المهجو أو لقبه كقول أبي بكر بن حجة في رثاء محمد بن البارزي : (٦)

وما خلب الاكباد حزن مبرح | كحزن أبي بكر لفقد محمد

(١) وبداوي ٢٢٠
(٢) وبداوي ٢٧٠
(٣) خزانة ابن حجة ٣٠٣ • ابن نباتة لعمر موسى ٩٣ • ابن حجة للربداوي ٢٧١ •
(٤) ديوانه ١ : ٦٣
(٥) ديوانه ٧٩
(٦) تأهيل الغريب الشعري • باب المراثي •

والتورية في العلمين .

والتورية القائمة على المصطلحات . وقد أغرموا بهذا اللون من التورية ، ولم يتركوا علما دون أن يغترفوا من مصطلحاته ، ادلالا بمعارفهم ، وبهرا لقرائهم . وأكثر ما عثرت عليه من المصطلحات مأخوذ من القرآن وعلومه والمؤلفات حوله .

● الطباق ●

لا يقل الطباق عن الجناس والتورية في الرواج عند شعراء هذه الحقبة ، غير أنني أخرته لعدم قيام خصومة ومدارس حوله ، ولقلة أنواعه . وانما ذكروا طباق الايجاب الذى لا يسبق أي واحدة من كلمتيه اداة نفي ، كقول التلعفري(1)

الام اتباعي الغي ، والرشد قد بدا جليا ، ونحو المعرضين خطا الوخط

وطباق السلب الذى تسبقه اداة النفي ، كقول الشاب الظريف : (2)

فالدر يحسن مثقوبا لناظمه وحسن لفظى در غير مثقوب

وطباق الترديد الذى يرد آخر الكلام المطابق على أوله ، كقول النصير الحمامي : (3)

فقد كفى من دمعهم ما جرى وما جرى من نيلهم ما كفى

● اكتفاء ●

يلي الزخارف السابقة أنواع المحسنات الاخرى ، تقل وتكثر ، ولكنها لا تصل في الرواج الى ما وصلت اليه التورية والجناس والطباق . وكان شاعر هذه الحقبة يعمد الى هذه الانواع الثلاثة أولا ، ثم ينثر على شعره ما استطاع من الزخارف الاخرى التي أفاضت كتب البلاغة والبديع في الحديث عنها . وغير مجد ان أحاول تتبع هذه المحسنات ، ولذلك اكتفي بالاشارة لكثرته وغرابته لانه اجتزاء ببعض العبارة عن تتمتها ، وترك الامر لحافظة القارىء أو خياله مثال ما يعتمد على الذاكرة قول ابن الوردي : (4)

عـــوادة عـــوادة بالنغـــم الملـــذذ
قالت لنـــا اوتـــارها أنطقنـــا الله الـذي

فالتكملة من الاية القرآنية « قالوا انطقنا الله الذى أنطق كل شيء (فصلت)

21 ـ ومثال ما يعتمد على الخيال قول ابن نباته : (5)

اسقني صرفا من الرا ح تحت الهم حتـــا
ودع العـــذال فيهـــا يفـــريـــون الـــماء حتى

يمكن أن نتمه فتقول حتى يفرقوا ، وما شابه ذلك . ومن الاكتفاء الغريب الاجتزاء ببعض الكلمة ، كقول ابن نباته : (6)

باب البديع فتوحكم ، وانا امرؤ لا طاقة لى في البديع ولا يا

تجمعت كل هذه الزخارف ، التي تحدثت عن بعضها ، وأهملت بعضها الآخر فكادت تخمد أنفاس الشعر الحق ، وخاصة ان الشاعر كا نفي كثير من الاحيان يحمل البيت الواحد أكثر من حيلة . فكان يوجه القسط الاكبر من عنايته الى الزخارف ثم يمنح الفضلة التي بقيت من جهده لعملية الابداع الفني . وهكذا أخذ الشعر يفقد بهاءه وطلاوته شيئا فشيئا ، حتى فقد كل شيء في العصر العثماني لولا جماعة قليلة من الشعراء استطاعت أن تتخفف بعض الشيء من أوزار عصرها .

---

(1) ديوانه ٢٤
(2) ديوانه ١٧ .
(3) أمير الشعراء المشرق ، بدائع الزهور ١ : ١٤٦ ـ ٧
(4) حلبة الكميت ١٧٢
(5) ديوانه ٠٨ .
(6) ديوانه ٣٦ .

هى .. والصورة المعاصرة للمرأة

● د. طه وادى ●

● صدر حديثا للاديبة اقبال بركة روايتها الثالثة « ليلى والمجهول » بعد عدة تجارب ادبية فى مجال الرواية والقصة القصيرة وادبيتنا تعيش الواقع الاجتماعى والثقافى معايشة المشارك فيه ، سواء من خلال مقالاتها الملتزمة او تجاربها الادبية ، فهى حريصة على الا تكف عن الابداع لان عندها بالفعل قدرة كبيرة على التأثر بالواقع والتعبير عن كثير من قضاياه ولا سيما ما يتصل بقضية المرأة .

وروايتها الاخيرة تؤكد ذلك ، حيث تطرح فيها قضية « قديمة متجددة » تصور من خلالها امكانية وجود الحب العذرى فى والمنا ، وهل صورة الحب العفيف يمكن ان تقوم بين غنى وفقير ؟ هذه هى القضية التى حاولت الاديبة ان تصورها من خلال نموذج ايجابى للمرأة ...

من هنا تتحرك المحاور الاساسية للرواية ، حيث نجد شابا غنيا « قيس » يحب فتاة فقيرة « ليلى » لكن كلا منهما كان ينظر للعلاقة من زاوية « متقابلة » : الغنى يريد أن يتمتع بفتاته فى مقابل ما يعطى ... والفقيرة تأمل ان يكون الحب مفتاحا لعلاقة شرعية .

وكما فرقت التقاليد بين ليلى العامرية وابن عمها قيس فى القرن الاول للهجرة ، تفرق الظروف المادية ايضا بين قيس الشاب العربى الثرى ، وليلى الفتاة المصرية الفقيرة العفيفة فى القرن الخامس عشر ... لكن ليلى — هنا — لا تسقط للحظة ازاء اغراء المادة أو للعبة العاطفة ، بينما سقطت — فى الرواية — نساء اخريات لعل ابرزهن زميلتها فى الجامعة « سامية » .

وعلى هذا فالرواية — على المستوى الرمزى — تعالج قضية ساخنة من ازمات الحياة المعاصرة ، انها تقدم صرخة زاعقة لما يمكن أن يسببه الفقر ، حيث تربط ربطا قويا بين « السقوط والفقر » .. (جن زماننا هو المال ، ومع ذلك فمن يملكونه لا يسعدون به) ..

هكذا تؤكد الكاتبة ان المسألة الاقتصادية هى الصخرة التى يتحطم عندها الشرف ويغرق الحب ... لكن يؤخذ عليها — هنا — من حيث الموقف الفكرى والبناء الفنى ايضا ، انها جعلت الشخصية المحورية المجسدة للغنى بازاء الفقر « قيس » الشاب العربى ، كأن المجتمع بدون تلك الشخصية الوافدة يخلو من امثال هذا النموذج . وكم كنت أود ان تكون كل شخصيات القصة من الواقع المصرى لحما ودما .

ولعل اهم ما يميز اسلوب الكاتبة



في التعبير القصصي هو الحساسية ، والوضوح ، فالحساسية تبدو من خلال تلك الشفافية التي تفجر كل ما يتصل بالموقف الذي تصوره ، ثم يظهر الوضوح في انها اذ تعبر لا تكاد تميل اى ميل البتة عن الخط الدرامي الذي يتصل بواقعها القصصي ، من هنا يكتسب البناء عندها حرارة تحس معها ان الكاتبة تشدك — بقوة وسرعة — الى شيء معين هو ما تريد أن تعبر عنه بالتحديد ... من هنا فان الحدث القصصي عندها يذكرك بقطار لا يتجاوز مساره مهما تعرجت به السبل او اختلفت به الواقع .

بيد ان هذه الخصوصية — في التكنيك — تؤدي الى ان تهتم الكاتبة — في الدرجة الاولى — بالشخصية المحورية « وهي في الغالب امرأة » ولا تكاد تهتم بمن عداها . وهذه السمة ان جازت مع القصة القصيرة فلا اعتقد انها تتسق مع عمل روائي ...

وقد ترتب على هذا ايضا قلة حجم الحوار اذا قيس بالسرد ، حيث نجدها — كثيرا — ما تلخص الحوار سردا حتى تصل بالقارىء — سريعا — الى ما تريد التعبير عنه ...

ويتصل بتكنيك الرواية عند اقبال ايضا انها تقدم الشخصية المحورية في كل اعمالها القصصية « امرأة » ...

وصورة المرأة التي توحي بها كتابتها تبرز في صورة ايجابية نامية واعية بحركة الحياة والاحياء ، حيث تجاهلت ذلك النمط الكريه المكرر لصورة المرأة في الرواية الذي يقدم المرأة مريضة بحب الحب ... لكن صورة المرأة عند اقبال نموذج واع اقرب الى التمرد على الجهل والفقر والضياع والعادات التقليدية ، ولذلك ترى ليلى في نهاية الرواية « ان لا احد سوف ينتشلها من الضياع والعجز سوى هي نفسها ، لا قيس ولا غيره بقادر على الغوص في اعماق محيطها والعثور على لؤلؤة الخلاص سواها هي ذاتها . »

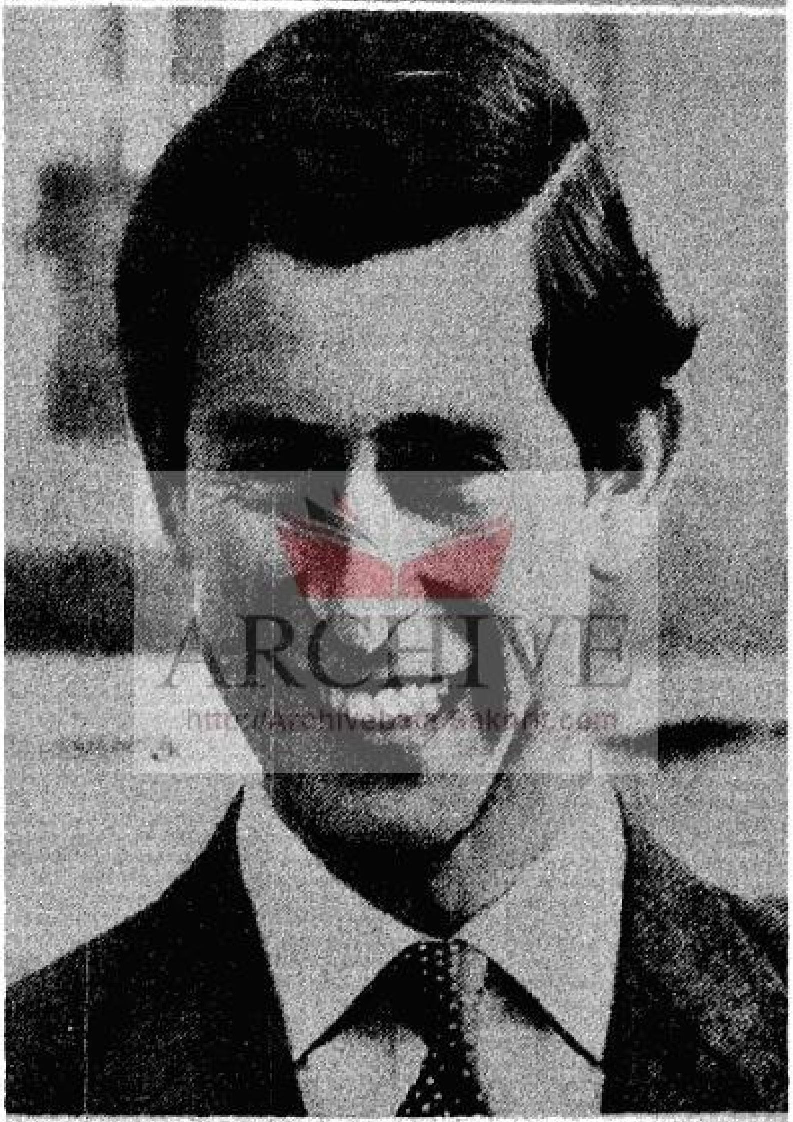
والكاتبة بهذا فيما ترى وتعبر متحازة الى بنات جنسها في الواقع والفن — صادقة مع الذات والواقع ، واذ تقدم ازمات المرأة من « منظور نسائي » . وهي في هذا تتفق مع معظم الكاتبات العربيات تقريبا ، ولكن الامر الذي آمله هو ان يتسع اهاب التجربة الادبية عند كاتباتنا لتشمل شريحة انسانية متكاملة موارة بعنصري الوجود : الرجل والمرأة .

ان اقبال بركة اديبة « واعدة » . قدمت الكثير لكننا في انتظار المزيد من اعمالها القصصية .. فهل عساك ايتها الصديقة تحققين الوعد وتؤكدين الامال ..

●●

ناس وصور

وحكايات



زفاف أمير العصر والأوان
على فاتنة الدنيا وحسناء الزمان



ناس وصور وحكايات

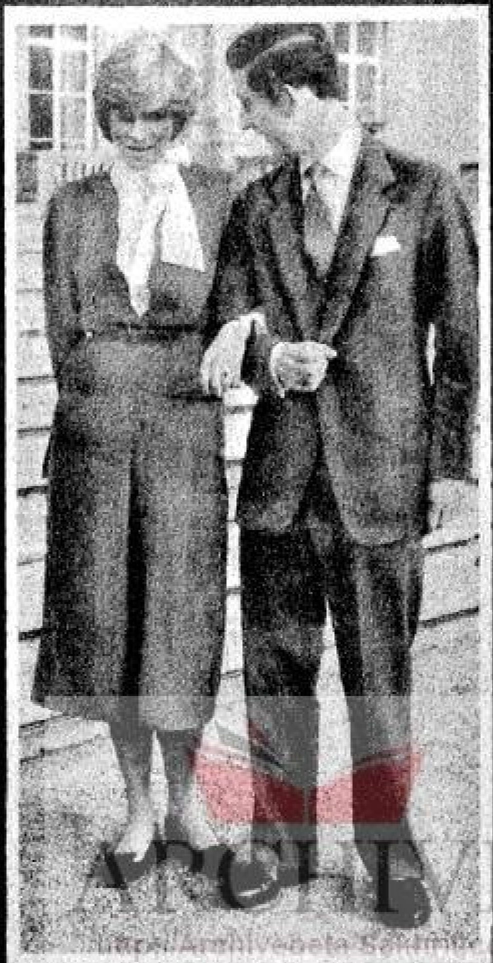


وسط بلاوى الدنيا وهمـوم الزمان احتفلت بريطانيا بزفاف شـارل ديفيد ادوارد .. أمير العصر والاوان .

انجلترا كلها كانت ولا تزال مجنونة بهذا الزفاف الذى تم امس (٣١ يوليو يوليو ١٩٨١) فى كنيسة سـان بول وانجلترا ـ والعالم معها ـ تنشد مايقابل عندنا « اتمخطرى يا حلوة يا زينة » ..

ربما لم تكن الفرحة بزفاف الامير بقدر ما هى فرصة للهرب من دنيا أصـبحت لا تسر ولا تسعد .

فالانجليزى الذى يصحو على مأسـاة ايرلندا وينام على مذابح ليفربول ويقضى نهاره أمام معضلة مسـتحيلة : الموازنة بين الدخل والمنصرف ، هـذا الانجليزى هرب أياما صغيرة الى أحلام زواج الامير من الاميرة النائمة فى الغابة .



وقد كانت الليـــدى ديانا سبنسر - ليدى داى - حسناء نائمة فى الغابة فعلا والى جوارها يسكن الامير الذى رأى بنات الدنيا كلها ولكنه - كالعادة - نسى بنت الجيران .

كانت تعيش فى قصر ابيها الكـونت سبنسر وهو الثامن من ورثة هذا اللقب من اسرة سكوتس جريس الذين يلقبون بالرويال سكوتس جريس ..



لم يكن عندها اى امل فى الزواج من الامير لان اختها الكبرى كانت قد سدت الطريق، فقدكان الاميرقد عرفها وخرج معها اياما ، ولكنها لم توفق مع الامير الذى يسكن بعض ايام السنة فى قصر له الى جوارهم فى الثروب فى ولاية نورفولك .

ولكن القدر كان قد كتب لتلك الصبية امرا على الجبين ، « واللى انكتب على الجبين لازم تشوفه العين » .

ولم يحدث ان احتفلت بريطانيابعرس كما احتفلت بزواج الامير الذى طاف الدنيا باحثا عن اميرة الاحلام ثم وجدها بالذات فى بيت الجيران .

لقد اشترى الانجليز بما يعادل



٢٠٠ مليون انجليزى من تذكارات هذا الزواج ، وقد ابتكر اهل الفن والتجارة ١٢٠٠ « حاجة » لهذه المناسبة : اطباق فناجين ، كئوس ، قمصان ، أوراق لعب (كوتشينة) ، تيجان لوحات ، ميداليات ، وفى محل سلفريدج وحده لندن دور كامل لهذه التذكارات •

ويجىء الزفاف فى عز الصيف ، وعز الصيف فى بريطانيا فتنة وروعة : خضرة هى الجنة وزهور هى متعة العين والقلب واريج الورود يأتيك من كل مكان •

والاميرة الشابة (٢٠ سنة) تتعلم الآن كيف تكون ملكة على ايدى ملكة البنت انها حقا ملكة على القلوب هى اليزابيث الثانية حفيدة فكتوريا الملكة التى جعلت الناس فى الدنيا كلها يكرهون الملكات •



بعد ظهر السبت ٢٧ يوليو ١٩٨١ جلس فاليري جيسكار ديستان رئيس الجمهورية الفرنسية الأسبق وحرمه السيدة آن - ايمون في المقعدين رقمي ٦٧ و ٦٨ في العربة الأولى من القطار السريع « ترين ١١ » إلى القطار الأزرق إلى شامونيا احدى مدن المياه المعدنية في فرنسا ..

ركبا من محطة ليون « جاره ليون » هنا لا يعرف عبد الحظة ، وبكل هدوء ، وفي نظام اللحظات هذه جلس رئيس الجمهورية الأسبق يقرأ ديوانا للشاعر الصيني لاوتسو مع مقتطفات من حكمة كونفوشيوس .. الكتاب من تأليف صديق لفاليري هو كلود رولف من كبار أهل القضاء في فرنسا ..

قبل الرحيل بيوم أدلى فاليري جيسكار ديستان بآخر حديث صحفي له إلى جان لو كبير محرري الباري ماتش وهو آخر الباقين من مدرسة ريمون كارتييه ممن جعلوا المقال السياسي وثيقة تاريخية والحديث الصحفي - الانترفيو - شهادة ميلاد أو شهادة وفاة .

وفي هذا الحديث الذي كتبه جان لو بكل أمانة ودقة قال جيسكار ديستان كل ما أراد قوله . إنه خطبة وداع أو وصيته الأخيرة .

وفي القطار الأخضر الذاهب إلى منطقة الاستشفاء جلس الرجل الذي رأس فرنسا ٧ سنوات واجهته أن لا يتشاور في ملبسه ، جلس يقرأ الشعر الصيني وأمامه زوجته تتأمل ربع فرنسا .. انهما في الطريق إلى الراحة والنسيان



لاتنسوا أفغانستان
هؤلاء الاسود يذلون الروس



في اجتماعه مع اللورد كارينجتون وزير الخارجية البريطانية خلال الاسبوع الاول من يوليو ١٩٨١ قال اندريه جروميكو وزير خارجية روسيا انه يجب الانزاع بعقد مؤتمر دولي لحل مشكلة افغانستان انزاعا سريعا ، لان افغانستان بلد مستقل وهو صديق للروس ، والروس يساعدونه مساعدة الصديق لما دخل الارهاب بين الاصدقاء .

وجروميكو يعرف انه يكذب ، والكذب هو ، فضيلة الشيوعيين الروس الذين هكذا تقول قاموسهم ، لان افغانستان ليست شعبا ولا بلدا مستقلا اليوم ، لا ان فيها اكثر من ١٠٠ الف - ١٢٠ الف جندي روسي معهم سلاح وقواد كلها مستقطعة من زاد الشعب الروسي .

وجروميكو يكذب ، وهو يغطي بكذبه اكبر جريمة شهدها الروس منذ اغتصبوا باسم الشيوعية ، فان شعب افغانستان بأكمله ولو انصهر على حافة المخططين بقادة الفاتنين في الرياح استعربوها من الروس واسروا كل من وجدوه ايمانا من جند حكومة الخطر بابراك كارمل وضباط الروس ، واضحوا كل ما ترى من الصلابة ان حرب افغانستان منذ ١٨ شهرا الآن - تكاد تكون حربا شبيهة لنظم العرب والمسلمين ، ولكنها ليست شخصية بالنسبة للعرب ، واللورد كارينجتون الذي ذهب ليبلغ روسيا اقتراح دول السوق المشتركة الخليجي ، لا هو عربي ولا مسلم .. اما المسلمون فاخر الاخبار عندنا ان اية الله روح الله خميني ارسل الى ملك ليبيا في اسبوع يهنئه باختيار رئيس وزراء ايران الجديد الذي يسير بعصا على حقد الكفر والظلم والظلم والاستبداد في ايران .

●●●

المقامات

فى الأدب العربى

● د · محمد عبد المنعم خفاجى ●

● المقامات فن مشهود فى الادب العربى ، ويمثل القصة القصيرة تمثيلا واضحا ·· وسميت المقامات بمعنى المجالس ، جمع مقامة وهى المجلس ، ثم اطلقت على الحكاية التى تقص فى المجالس ··

والمقامات عند البديع الهمدانى حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالى سماه عيسى بن هشام ، وبطلها هو ابو الفتح الاسكندرى ، صورة للقصة القصيرة ونموذج لها ، ففيها من القصة القصيرة العقدة وتحليل الشخصيات ، وتحسب من اول بذور النثر القصصى فى الادب العربى ، لانها ترمى الى تصوير بعض النماذج الفنية بطريق قصصى ، وفيها صور عن المجتمع العربى الاسلامى ولها اصول فنية معروفة ·· والحياة العربية فى مختلف جوانبها ··

واشهر الذين كتبوا المقامات : بديع الزمان الهمدانى (٣٩٨ هـ : ١٠٠٨ م) ومقاماته تعرف بمقامات البديع ، وقد تاثر فيهما بابن فارس وابن دريد على ما يقال ·

ولولا انصراف الكتاب فيها الى الصناعة اللفظية لخطت المقامات خطوات واسعة فى سبيل ابداع النثر القصصى الذى يصور المشاعر والوجدانات والعواطف المختلفة ، وحياة الطبقات والمجتمع ·

ومن باب الفكاهة والتشويق جعل البديع موضوع مقاماته الكدية ، وقلده فى ذلك الحريرى وسواه ·

ومقامات الحريرى (٥١٦ هـ : ١١٢٢ م) على نهج مقامات البديع ، وتشتمل على كثير من كلام العرب ولغاتها وامثالها ، وهى على لسان أبى زيد السروجى ، وراويها هو الحارث بن هشام البصرى ·

وبطل مقامات البديع والحريرى من الطبقات الدنيا فى المجتمع ، الا أن شخصية السروجى فى مقامات الحريرى ادق فى التصوير النفسى الذى يقرب مقامات الحريرى من النضج الفنى ، الذى تمتاز به القصة فى العصر الحديث

وقد أخذ الفرس فن المقامات من العرب فكتب القاضى حميد الدين البلخى المتوفى عام ٥٥٩ ك : ١١٦٤ م مقاماته ، مقلدا فيها البديع والحريرى · وهى أول المقامات فى الادب الفارسى ·

وكما اثرت المقامة العربية فى الادب الفارسى كان لها كذلك تاثيرها فى الادب العبرى والتركى ، وفى الادب الاوروبى ، فقصص الشطار فى الادب الاسبانى اثر للمقامات فى جوانبها الفنية ، وعناصرها ذات الطابع الواقعى ، بل ان الواقعية فى القصة الاوروبية مدينة للمقامات بنزعتها الفنية ، وقصص

العادات والتقاليد في أوروبا في معناها الحديث ، تأثرت بهذه النزعة أيضا ، وهي التي نشأت عنها القصة الاجتماعية أي ذات الطابع الاجتماعي فيما بعد ..

ولقد كان ابتكار البديع الهمداني في القرن الرابع لفن المقامة حدثا أدبيا جديدا في الأدب العربي ، اذ بهرت الأدباء والنقاد والرواة بأسلوبها ، ونزعة القصة فيها ، وبهذا الحوار الذي طالما دار بين بطلها أبي الفتح الاسكندري وراويتها عيسى بن هشام . كما بهرهم هذا النموذج الخفي الرفيع الذي تمثل في شخصية الساساني أبي الفتح البطل وفتن الناس بمقامات بديع الزمان افتتانا شديدا ، وليس هناك الا البديع نفسه ، فهو أبو المقامة في الأدب العربي ، وصاحب الفضل في ابتكارها .

يؤيد ذلك الحريري أبو محمد القاسم بن علي البصري نفسه في مقدمة مقاماته فقد جعل ابتداع المقامات راجعا الى بديع الزمان ،وعلامة همذان ، وكذلك جعل الثعالبي (ــ ٤٢٩ هـ) البديع هو المبدع الأول لها ، والواضع لأصولها وخطتها . ويتابعهم في ذلك كثيرون منذ القديم الى اليوم ، فهذا مارون عبود يقول في كتابه « بديع الزمان » : ان خطة المقامات من عمل البديع ، فهو الذي ألبسها هذا الطراز ، وعلى طريقته هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام وعبثا نحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند غير البديع ..

وكذلك ذهب مازن المبارك الذي يقول في كتابه « مجتمع الهمداني من خلال مقاماته » : فتح البديع باب فن جديد هو فن المقامة في الأدب العربي .

هذا هو الرأي السائد في نشأة المقامة ولكن الحصري صاحب كتاب « زهر الآداب » يذهب في كتابه الى أن البديع اقتبس فن المقامة من أحاديث ابن دريد (٢٢٣ ــ ٣٢١ هـ) .

ومعنى ذلك ــ كما قال د . زكي مبارك في كتابه « النثر الفني » أن « البديع » ليس هو المبتكر لفن المقامة ، وان كان له فضل في نشأتها .. وينفي مؤلف كتاب « بديع الزمان رائد القصة القصيرة » وهو د . مصطفى الشكعة أن تكون أحاديث ابن دريد ذات صلة بفن المقامة كما عرف عند البديع ..

وجعل آخرون من الباحثين بديع الزمان محتذيا حذو أستاذه ابن فارس (ــ ٣٩٥ هـ) في رسائله الحوارية . ويذكر آخرون ، ومن بينهم « شوقي » ضيف أن البديع اقتبس مقاماته من كتابات الجاحظ وقصصه في « البخلاء » و « الحيوان » و « المحاسن والأضداد » عن أهل الكدية ، ومع جواز ذلك في المضمون ، فان شكل المقامة الفني يبقى جديدا كل الجدة عند البديع وهناك على أية حال فرق بين البذرة والثمرة في أي عمل أدبي أو غير أدبي .

ويجعل بعض المستشرقين أساطير التوراة عند اليهود وقصة لقمان هما الملهمتين للبديع بفكرة المقامات ، ويذكر آخران قصص جحا في الآداب الفارسية والعربية والتركية ذات أثر في نشأة المقامة . وهذا كلام يعوزه الدليل .

ويذهب بعض الباحثين الى أن حكاية أبي المطهر الأزدي التي سماها « حكاية أبي القاسم البغدادي » وهي التي كتبها عام ٣٠٦ هـ ، كانت هي الأصل الذي احتذاه البديع في مقاماته ، وأن الأزدي هو مبتكر فن المقامة ، وأن شخصية أبي القاسم البغدادي في حكايته هي شخصية أبي الفتح الاسكندري .

وذهب آخرون الى أن المقامة مقتبسة من أصل فارسي ، ولكن الباحثين ينفون أن تكون المقامات قد وجدت في الأدب الفارسي قبل بديع الزمان ، اذ لم تعرف المقامة في الأدب الفارسي الا بعد البديع بنحو قرن ونصف من الزمان ، فأول مقامات كتبت بالفارسية ، هي للقاضي حميد الدين البلخي (ــ ٥٥٩ هـ) وقد بدأ في كتابتها عام ٥٥١ هـ وتوفي بعد ذلك بنحو ثمان سنوات .

ويؤكد محمد تقي الدين بهار في كتابه « تاريخ تطور النثر الفارسي » أن المقامة من اختراع البديع ، وأن كل اختراع في الأدب العربي كان له صداه في الأدب الفارسي ، وأن حميد الدين قلد البديع والحريري في مقاماته ، وقد ذكر الانوري مدى اعجاب الفرس وافتتانهم بمقامات حميد الدين .

ان هذه القصة الحوارية القصيرة ، ذات النهج الفني المتميز الملتزم ،والصياغة

الطريفة ، والصبغة الجديدة ، والفكرة الساسانية ، التي دعيت « مقامة » ، قد انشاها البديع الهمداني ، لتجابه مطالب الحياة الفنية والادبية والفكرية والاجتماعية والسياسية الجديدة في عصره .

ولقد جعل بديع الزمان لمقاماته بطلا ساسانيا هو ابو الفتح الاسكندرى ، فهو الذى مثل كل ادوارها ، ونهض بجميع فصولها ، وقام بكل احداثها .. فمن هو ابو الفتح الاسكندرى هذا ؟

ان شخصية أبى الفتح – كما تبدو من خلال المقامات شخصية رائعة حقا ، فهو بطل الموقف كله في المقامة ، وهو كما يصوره الهمذاني عالم واديب وشاعر وهو ناقد بليغ ، ومغامر محتال ماهر ، مشرد في الآفاق ، تقسو عليه ظروف الحياة، فلا يجد أمامه الا الكدية والاحتيال بكل أسلوب من أجل المال او الطعام ، وهو الى ذلك كله مجرب حكيم ، خبير بالايام وصروفها ، عركها وعركته ، يجوب الآفاق ، ويخطب في الاندية ، ويهز الناس بفصاحته وبلاغته ، ونوادره وفكاهاته وحواره ، وكنية أبى الفتح لعلها رمز الى فتوحات هذا البطل وانتصاراته في مواقفه العجيبة في الكدية .

اما وصف الاسكندرى الذى لازمه فقد يكون معززا لذلك المعنى على أنه نسبه الى الاسكندر ، فتكون فتوحات أبي الفتح في أموال الناس شبيهة بفتوحات الاسكندر ، ولا يناقض ذلك أن أبا الفتح الاسكندرى يكرر في مقاماته قوله « اسكندرية دارى » كما في المقامة العلمية مثلا ، وهى المقامة الاربعون ، فاذا كان اللقب نسبة الى مدينة ، فانها هى مدينة الاسكندر أيضا ، وباسمه سميت فالاسكندر الاكبر المقدونى (٣٥٦ – ٣٢٣ ق.م) هو الذى انشاها .

على أن الاسكندرية هذه تحتاج الى امعان وبحث طويل .. ففى المقامة التاسعة الجرجانية يحدث أبو الفتح البطل متحدثا عن نفسه : انى امرؤ من أهل الاسكندرية من الثغور الاموية ، وفى المقامة التاسعة والعشرين الحمدانية يقول : من الثغور الاموية والبلاد الاسكندرية . ويكرر أبو الفتح نسبته الى الاسكندرية في مواضع كثيرة أخرى .

فاذا رجعنا الى ياقوت الحموى في كتابه « معجم البلدان » وجدناه يذكر ان الاسكندر بنى ثلاث عشرة مدينة سماها كلها باسمه ، ثم تغيرت أسماؤها بعده فمنها : اسكندرية مصر – والاسكندرية التى صار اسمها سمرقند ، والتى صارت مرو والتى سميت بعد باسم بلخ ، واسكندرية الاندلس على النهر الاعظم ، نهر أشبيلية ، وهى التى رجحها الامام محمد عبده لوصف البديع لها بأنها من الثغور الاموية ، وقد كانت الخلافة الأموية تحكم الاندلس في القرن الرابع الهجرى عصر البديع ، الا انى وجدت رحالة عربيا في القرن الرابع ، هو ابو دلف الخزرجى ، يذكر مدينة المنصورة عاصمة السند ، ويقول : ان الخليفة الاموى مقيم بها ..

فهل كانت هذه المدينة قديما تسمى الاسكندرية أيضا ليصبح أمامنا احتمال جديد آخر ؟ ويذكر بعض الباحثين ان الاسكندرية أيضا بين بغداد والحلة ، ولكن ما صلتها بالثغور الاموية ..

ويذهب د . عبد الوهاب عزام الى ان صحة الكلمة الأموية نسبة الى نهر آمورى جيحون) ، وبذلك تكون الاسكندرية المقصودة هىمدينة الاسكندر على نهر آموى .. ومن هذا كله نكون قد عرفنا اجمالا المراد من كلمة أبى الفتح ، والاسكندرى .

ولكن مع ذلك كله : فمن هو ابو الفتح الاسكندرى ؟

هناك راى سائد انه شخصية اسطورية خيالية محضة ، لا نصيب له من الواقع .. كشخصية راوى المقامات ايضا « عيسى بن هشام » ..

يقول الحريرى في مقدمة مقاماته : كلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لاتتعرف .. ويؤكد ذلك المستشرق الفرنسى ايوار فيقول : وضع البديع شخصا خياليا ابتكره ، وسماه أبا الفتح ، وذهب بعض

الباحثين الى أن عيسى بن هشام راوية المقامات كان شيخا للبديع ، ومنهم أبو شجاع شيرويه (٥٠٩ هـ) مؤلف كتاب « تاريخ همذان » ، وينقل ذلك عنه ياقوت الحموى فى كتابه « معجم الادباء » ولعل ذلك وهم نشيء من قول البديع فى مطلع كل مقدمة من مقاماته : « حدثنا عيسى بن هشام » ، ولو ذهبنا الى ان أبا الفتح هو الذى كان أستاذا للبديع لكان ذلك أكثر صلة بالبحث ، وأكبر انطباقا على الموضوع .

ويقول د . الشكعة فى كتابه « بديع الزمان » : حاولنا أن نجد لبطل المقامات صدى تاريخيا ، فلم نعثر لهما على أثر ، والغالب أنهما من ابتكار خيال البديع نفسه .

وهناك رأى آخر ، وهو أن شخصيات مقامات البديع كانت لاشخاص وجدوا بالفعل ، ويذهب الى ذلك بعض المستشرقين ، الا أنهم لم يستطيعوا تحديد هؤلاء الاشخاص المجهولين ، ولا الكشف عن شخصياتهم التاريخية .

ويذهب بعض الباحثين كذلك الى أن أبا الفتح هو البديع نفسه .

ويذهب باحث آخر هو الاستاذ الزهيرى فى كتابه « الادب فى ظل بنى بويه » الى ان الكدية او الساسانية التى كانت صناعة أبى الفتح كان من اعلامها فى عصر البديع : ابن الحجاج (ـ ٣٩١هـ) وابن سكرة (ـ ٣٨٥ هـ) ، وأبى الورود (المتوفى نحو عام ٣٩٠ هـ) ، وأبى حيان التوحيدى (ـ ٤١٣ هـ) . وأبى دلف ، والاحنف العكبرى ، وأقربهم شبيها به اثنان : أبو دلف الخزرجى ، والاحنف العكبرى .. وذهب الى ذلك أيضا اقتباسا من الزهيرى : الدكتور محمد غنيمى هلال

ولكنى اذهب الى أن أبا دلف وحده هو أبو الفتح الاسكندرى ، ويكون أبو الفتح الاسكندرى على ذلك هو شخصية تاريخية معروفة فى عصر البديع ..

ودليلنا على ذلك نصوص من كتاب « يتيمة الدهر للثعالبى » .

فقد جاء فى « اليتيمة » الجزء الثالث منها : أنشدنى بديع الزمان لابى دلف ، ونسبه فى بعض المقامات الى أبى الفتح الاسكندرى من المقامة القريضية :

ويحك هذا الزمان زور
فلا يغرنك الغرور
لا تلتزم حالة ولكن
در بالليالى كما تدور

ومن هذا النص نعرف ان البديع أنشد الثعالبى شعرا لابى دلف ، وأن هذا الشعر نفسه نسبه البديع فى مقاماته الى أبى الفتح الاسكندرى ، فتكون النتيجة أن أبا الفتح هو أبو دلف نفسه باقرار البديع .

وكان البديع راوية لابى دلف ، وينزل أبا دلف من نفسه منزلة الاستاذ والمعلم .

ومن ذلك أرى أن البديع الهمذانى حين كتب مقاماته وأراد لها بطلا اختار أبا دلف ، استاذه وصديقه ومعاصره ، بطلا للمقامات ، وكنى عنه بأبى الفتح .

وكان أبو دلف أروع نموذج ساسانى يصلح بطلا للمقامات ، وكانت حياته وشخصيته وتجاربه مطابقة تمام المطابقة للنموذج الذى صوره البديع فى المقامات فى شخص أبى الفتح الاسكندرى ولان شهرة أبى دلف وتجاربه كانت تصلح معينا يستقى منه البديع كل ما يريد أن يصور به أبا الفتح .

وحين سمع البديع الهمذانى قصص أبى دلف معاصره ، والشيخ الحكيم المجرب ، عن رحلاته وتطوافه فى البلاد ، واستمع الى فكاهات هذا الشيخ وسمره فى مجالس الملوك والامراء والوزراء ـ رأى أن هذه الصورة الفنية ، والنموذج الادبى يصلح أساسا لفن جديد ابتكره وسماه المقامة ، فكان أبو دلف هو الملهم للبديع الشاب الذكى بابتكار فن المقامة فى الادب العربى فى القرن الرابع الهجرى ..

وما قصة أبى دلف أخيرا ؟

أبو دلف الخزرجى الينبوعى ، واسمه مسعر بن المهلهل أطرف شخصية فى القرن الرابع الهجرى ، وقد عاش فى

هذا القرن نحوا من تسعين عاما (٣٠٠ ـ ٣٩١ هـ) : (٨١٣ ـ ١٠٠١ م) ،وهو من عرب ينبع في الحجاز ، ومن سلالة الخزرج ولذلك يقال له : الينبسوعي الخزرجي ، وهو أعظم رحالة في القرن الرابع الهجرى ، وكان شاعرا مبدعا موهوبا ، ونوه به الثعالبي في الجزء الثالث من كتابه « اليتيمة » تنويها كبيرا

وقد عاش في ظلال الدولة السامانية في بخارى فترة طويلة ، وعمل سفيرا للملك السامانى نصر بن أحمد الذى بعث به مهام سياسية الى الهند والى الصين .

ثم اتصل بالبويهيين ومدح عضو الدولة ، والصاحب بن عباد الوزير ،وابن العميد أيضا وصار مقربا اليهم ، وقال عنه الملك عضد الدولة البويهى : « لله درك يا أبا دلف ، ملك أنت يا أبا دلف بنادم الملوك » .

وقد ألف أبو دلف الرسالة الاولى وفيها يصف رحلاته الى الهند والصين اللتين قام بهما عام ٣٣١ هـ : ٩٤٢ م .

ثم ألف الرسالة الثانية في وصف رحلته عبر اواسط آسيا وكان قد قام بها بتشجيع من الصاحب بن عباد الوزير ، حيث طاف فيها بارمينية والاذربيجان وايران ، وقام بها بين عام ٣٣١ هـ وعام ٣٤١ هـ : ٩٤٢ و ٩٥٢ م .

والرسالة الاولى درسها وستنفلد عام ١٨٤٢ ، وسلوزر عام ١٨٤٤ الذى طبعها وترجمها الى الالمانية ، وشاركه في ذلك المستشرق فراين في كتابه « مجموعة الرحلات والنصوص الجغرافية » .

والقى المستشرق الروسي غريغور عام ١٨٧٦ بحثا عنها في المؤتمر الدولى الثالث عشر للمستشرقين المنعقد في بطرسبرج .

ودرسها كذلك روزن وماركفارت (١٩٠٣) ، ووضح خط رحلة أبى دلف الى الصين ، وكذلك فعل بارتولد ومينورسكى (١٩٦٧) ،وكراتشوفسكى في كتابه « تاريخ الادب الجغرافي العربي » . وعرض لها روورصرير (١٩٣٩).

اما الرسالة الثانية فقد حققها مينورسكي وطبعت عام ١٩٥٠ م . ثم طبعت في موسكو بتحقيق خالدوف ، بلغاركوف عام ١٩٦٦ ، وطبع تحقيقها في القاهرة بترجمة محمد منير موسى عام ١٩٦٦ .

وفي هاتين الرسالتين نقف على الرحالة العظيم ابى دلف الخزرجي وعبقرية ذهنه اللماح ، وجلال شخصيته الساحرة الآسرة،وعمق تجاربه وأوصافه لشاهداته في كل مكان حل فيه .

وفي يتيمة الدهر للثعالبي شعر لابي دلف ، واشهر شعره هو قصيدته الساسانية المشهورة يقول فيها :

***

جفون دمعها يجرى ... لطول الصد والهجر
وقلب ترك الوجد ... به جمرا على جمر
لقد ذقت الهوى طعمين ... من حلو ومن مر
وشاهدت اعاجيبا ... واهوالا من الدهر
على اني من القوم ... البهاليل بني الغر
بني ساسان والحامى ... الحمى في سالف العصر
فنحن الناس كل الناس ... في البر وفي البحر
اخذنا جزية الخلق ... من الصين الى مصر
لنا الدنيا بما فيها ... من الاسلام والكفر
فان ضاق بنا قطر ... نسر عنه الى قطر

وجبت الارض حتى صرت في التطواف كالخضر وحقا لقد جاب ابو دلف الآفاق والأرض ، حتى لقى ربه عام ٣٩١ هـ : ١٠٠٩ م .

نهر بلا ضفاف

● محمود العتريس ●

وفى سكون ، تغرق السفينه

ويحتويها ذلك النهرُ ، الذى بلا ضفاف

لعلنى أدركتُ ، أنّ هذه نهاية المطاف

وربما ، من قبلِ أن تبدأ تلك الرحلة السجينة !

●

هل تذكرينَ ، عندما تحطم المجداف

حينَ تضاحكنا هوى ، ثم تعاهدنا على ألا نخاف

وعندما تحجبُ عن أعيننا أنوارَها ، المدينه

فسوف نوقدُ الشموعَ ، فى قناديل السكينه !

وعندنا الزادُ ، الذى يغيثُ فى أيامنا العجاف

●

هانحنُ ، قد أوشكَ أن يأكلنا الجوع ، ويحسـوا الجفاف

وتمرحُ الظلمةُ ، فى أيامنا الضنينة

فهلْ لنا فى وقفةٍ اعتراف

نعلنُ فيها ــ دونما حزن ولا ضغينه

بأننا كنا ، معا ، وراء مصرع السفينه ؟؟؟ !

عاد يفتح باب الاجتهاد

لا يتعين رجم الزانى المحصن حداً !

• تتمة ما نشر •

٣

• د : محمد سعاد جلال •

اما الاستدلال بالحديث الذى ذكرناه فى العدد الماضى فـذلك ما مهدنا به فى « المقدمات » ان مناط استدلال القـوم فى هذه المسألة ، الاعتماد على خبر الواحد او على القياس ـ كقياس الشافعى اللواط على الزنا فى ايجاب حد الزنا على اللائط ! وكل ذلك ظن تلابسه الشبهة فلا يصلح دليلا .

الوجه التاسع : روى الشعبى ان عليا رضى الله عنه ـ حين رجم المرأة ضربها يوم الخميس ، ورجمها يوم الجمعة ، فقال : جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواه احمد والبخارى .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث وهو من اهم مايعنينا فى الشهادة للمطلوب ان عليا ـ عليه السلام ـ اثبت ان آية الرجم لم يمسها نسخ ولا تخصيص وانها كانت موفرة الدلالة على تمام معناها ـ فلذلك قال ـ عليه السلام ـ جلدتها بكتاب الله فالجلد هو حكم الزانية المحصنة غير مستبدل به الرجم كما هو راى اصحاب المذاهب التقليديه ـ ولكن الامام عليه السلام لم يجمعه لتمام الحد ، والمهم الذى يعنينا تكراره ثبوت ان آية « الزنا » المذكورة لا تزال تظل آية محكمة لم يدخل عليها النسخ . وعدم اكتفاء الامام ـ عليه السلام ـ بما افادته من خصوص الجلد هو الذى ننازع فيه ، ونرى انه كان محل اجتهاد منه ـ عليه السلام ـ

والدليل الاكثر على عدم نسخ الاية المشار اليها ما افادة « الشوكانى » من ان الحادثة المتعلقة برجم المرأة المحصنة وجلدها . انما كانت بعد موت النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وامتنع ان تكون هذه الاية التى وقعت من على ـ عليه السلام ـ استدلالا على وجوب الجلد للمرأة المجلودة منسوخة اصلا ، لانها مالم تنسخ فى حياته فقد استحال وقوع نسخها بعد مماته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قدمنا فى الفصول السابقة .

تمحيص النظر فى صحة العمل بدليل فى طريقة شبهه

ذهب الشافعية ومن وافقهم فى ايجاب الرجم على الزانى المحصن الى اعتماد خبر « الاحاد » فى الحجية مع اعترافهم بانه دليل يعترض طريقه شبهه احتمال كونه كذبا ، وان كان هذا الاحتمال مرجوحا ـ كما قررنا فى المقدمات .

وهذا المبدأ عند الشافعية وغيرهم هو ـ كما رأيت فى اثناء الكلام ـ اساس القول عندهم باثبات حد الرجم على الزانى المحصن . فلم يكن القول بالرجم باطلا من اساسه ، بل هو رأى اتسع له الاجتهاد وان كان اجتهادا مردودا عندنا على الاقل فى هذا العصر لتغير الفتوى بتغير الازمان ومن اجل ذلك اثرت التزام جانب الامانة فى عنوان البحث ، فجعلته بهذا اللفظ « لا يتعين رجم الزانى المحصن حدا فى شرع الاسلام » ـ لانه ـ وان وجد له ـ حكم الرجم ـ سعة فى اجتهاد اكثرية الفقهاء فى كل العصور الا ان ادلة الشرع القاطعة لا تعينه دون غيره ولا تقطع السبيل على وجود اجتهاد غيره . ولعلنا بهذا الاتجاه ننصف مخالفينا كل الانصاف .

لا بد للشريعة الإسلامية وهي تصارع أعدى أعدائها من عصابات الرجعية الدينية أن ترتفع إلى مستوى التطبيق

وسنعرض في هذه الفقرة بالذات لابطال صحة الاستدلال بما يتضمن شبهة .

قرر « الشاطبي » في « الموافقات » أن ادلة الشريعة الجزئية ــ اذا تضافرت وتكاثرت في الدلالة على حكم معين ــ وكان هذا الاستقرار تاما فانه يؤدي الى حصول دليل كلي قطعي يثبت الحكم فيكون الحكم ثابتا به قطعا ، قال : وبهذه الطريقة تثبت أصل « الاجماع » لان أصول الشرع لا تثبت الا بقاطع وباستخدام هذا الطريق المعتمد في الاستدلال نعمد لابطال مذهب الشافعي ومن وافقه في المسألة وترجيح مذهب أبي حنيفة ؛ فنقول اننا استقرانا الادلة الشرعية الجزئية في ابواب الحدود وهي محصورة يمكن ضبطها فوجدناها جميعا متضافرة على اسقاط الحد عن الجاني بالشبهة ، وانه اذا وجدت شبهة في طريق اقامة الحد اعتبرها الشارع مانعة من اقامة الحد على الجاني ــ بل ان الشارع ليتصيد الاحتمالات الدارئة للحد عن الجاني ويتحيل الحيل الواضحة لدفعه .

ومن ذلك على سبيل المثال قوله « لماعز بن مالك » لما اعترف له بين يديه بالزنا « لعلك قبلت ، او غمزت ؛ او نظرت » .

وفي رواية « أشربت خمرا ؟ قال : « لا » .

وفي رواية ابن عباس قال : جاء « ماعز ابن مالك » الى النبي صلى الله عليه وسلم ــ فاعترف بالزنا مرتين فطرده » ؛ ولم يستبح رجمه الا بعد أن اقر على نفسه بالزنا اربع مرات وهو يرده عن مجلسه في ثلاثة اقرارات حتى كانت المرة الرابعة ــ وهو يقر ــ فأمر برجمه .

فعن « بريده » قال : « كنا نتحدث اصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم أن « ماعز بن مالك » او جلس في رحلة بعد اعترافه ثلاث مرات لم يرجمه ، وانما رجمه عند الرابعة .

ومنه قوله ــ عليه الصلاة والسلام للسارق : لا اخاله سرق « استدفاعا للتهمة عنه ، ولذلك في احكام الشرع نظائر كثيرة : قد يكون من اشدها حدة في استعمال او هي الشبهة فهو متقرر في مذهب الحنفية من قول أبي حنيفة بالذات ان الرجل لو عقد على أمه عقد زواج ــ وهو مسلم وفي دار الاسلام ودخل بها لا يحد حد الزنى ؛ واعتبر عقده على امه شبهة مانعة من اقامة الحد عليه ، وهو من الغرائب المستدفعة .

وما ذهب اليه الشافعي من ان الرجل يجوز له ان يتزوج بنته من امرأة زنى بها ــ قال : لان « الحرام لا يحرم الحلال » .

وهذه المسألة عند الشافعي وان لم يظهر فيها تمام المشاكلة لما اردنا الا اننا اردنا في هذا المقام ان نعرض من اراء اصحاب المذاهب التقليدية التي يجمد على تقديسها المقلدون بعض الغرائب التي لا يجوز للقائلين بها التشنيع على « الخوارج » و « النظامية » في رفض حكم الرجم وهو غير موجود في كتاب الله ــ وافتراض وجوده في الشرع يقتضي تبديل نص القرآن او تعطيل عموم حكمه .

ونلوى عنان القلم عن هذا الاستطراد الذى هجم لساعته لنعود الى القول :

اذا عرفتم أن الشارع اعتبر الشبهة مانعة من اقامة الحد على الجاني .

وعرفتم ان خبر الاحاد فيه شبهة احتمال الكذب والخطأ لم يبق من التسليم بأن اخبار الاحاد لا يعتمد عليها فى اثبات حد الرجم — كما هو مذهب الحنفية — خلافا لما اعتمده الشافعى وان ماذهب اليه الشافعى اجتهاد مرجوح .

وان ماذهب اليه أبو حنيفة هوالحق الذى بنينا عليه رأينا فى ترجيح القول بعدم ثبوت « الرجم » شرعا ،وصرفناه فى خدمة اجتهادنا القاضي بذلك .

الان : وقد استوفينا ادلة أصحاب المذاهب التقليدية عرضنا وابطلناها حتى تبدت لنا فى موضع الخطأ فلنقدم لكم الرأى الاخر القاضى بعدم ثبوت صحة الرجم على الزانى المحصن وهو المذهب الذى نرجحه وندعو لتطبيقه والعمل به — ان قدر للشريعة الاسلامية وهى تصارع اعدى اعدائها من عصائب الرجعية الدينية — ان ترتفع الى مستوى التطبيق .

بيان رأى « الخوارج » و « النظامية »

قال « الخوارج » و « النظامية » من المعتزلة ، لا رجم على الزانى المحصن واستدلوا على مذهبهم بالقرآن والعقل، بالاضافة الى أن كل ما أسلفنا لك بيانه من أوجه الابطال القوية والحاسمة الكثيرة لوجهة نظر مخالفيهم يعد نصرا لمذهبهم — اذا بقى مذهبهم بعد بطلان مذاهب مخالفيهم هو المذهب المنفرد ، بتمثيل حكم الشرع فى ساحة الطلب لهذا الحكم .

فأما القرآن فقوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

قالوا أن هذا النص ورد بيانا للحد فتعين أن يكون متضمنا لتمام العقوبة التى قدرها الشرع والتى يخرج بها المكلف من عهدة الخطاب بها ، فلا يجوز الزيادة عليها ولا أن يستبدل بها غيرها بطريق السنة ، لان ذلك يعد نسخا لها ونسخ القرآن بالسنة لا يجوز — كما قررنا سابقا .

وقوله تعالى : « فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب » : المراد بالمحصنات هم النساء الحرائر ، والمراد بمن اتين الفاحشة منهن هم النساء الاماء . والمراد ب « الفاحشة هى جريمة الزنا » وقدجعل الله عقوبة الامة اذا ارتكبت جريمة الزنا نصف عقوبة الحرة — اذا زنت — فتكون عقوبة الحرة قابلة للتصنيف ، لكن الرجم ان قلنا بثبوته على الحرة فهو لا يقبل التنصيف فلزم ان تكون عقوبة الحرة شيئا يقبل التنصيف — وذلك الذى يقبل التنصيف . انما هو الجلد فقط وليس « الرجم » ، فتعين ان يكون الجلد هو الحد فقط للامة وللحرة المحصنة ، وبطل ان يكون الرجم حداً .

وأما استدلالهم بالعقل فكان على النمط الأتى :

قالوا : ان الله — سبحانه — ذكر فى القرآن انواع المعاصى الغليظة من الكفر والقتل ، والسرقة ، ولم يستقص فى ذكر احكامها ، كما استقصى فى بيان احكام « الزنا » من عدة وجوه .

أولها : انه نهى عن الزنا مع تسميته فاحشة بقوله : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة »

وثانيها : أنه توعد على فعله بالتعذيب بالنار .

وثالثها : انه خص الجلد عليه دون غيره — بشهود طائفة من المؤمنين فقال

إن حكمة الله قاضية بتقدير العذاب، ورحمته مانعة من أن يكون العذاب غاية في نفسه

« وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »

ورابعا : انه نهى عن اتخاذ الرافة بالزانى ـ كما قال : « ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله »

وخامسا : انه اوجب على من رمى مسلما بالزنا ثمانين جلدة ولم يجعل مثل هذه العقوبة على من رمى مسلما بالكفر والقتل وهم اعظم منه جرما

وسادسها : انه رد شهادتهم فقال : « ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا »

سابعها : انه تعالى ذكر ان الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة ، والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك »

وثامنها : بين ان شهود الزنا مخصوص بالاربعة دون ماسواه من المطالبات الشرعية .

قالوا فمع مبالغة الشارع فى استقصاء احكام الزنا قليلها وكثيرها فى القرآن الكريم على مارايت من الاستغراق ـ لا يجوز عقلا ان يكون قد اهمل بيان النص على ماهو اعظمها اهمية واشد خطرا وهو الرجم ، فحيث لم يذكره تعالى اذ كانت تتوفر الدواعى على ذكره وذكر فى المقام ماهو اقل منه خطرا واهمية واقل اثرا فقد دل ذلك على ان الرجم حكم مفقود فى الشرع غير ثابت به وعلى ان ظهوره فى السنة فى هذا المعرض مؤذن بعدم الثقة به

ـ قلت وهذا المنهج الذى يصطنعه الخوارج فى اعدام الثقة بما يسمى سنة بازاء قيام أدلة العقل على ردها ، هو منهج مسار لمنهج اصحابنا من الحنفية فيما يسمونه « الانقطاع الباطن » ويعنون به أن الحديث النبوى له صورتان من « الانقطاع » : « الانقطاع الظاهر » وهو انقطاع « السند » . بسقوط فرد أو اكثر من سلسلة « السند » وهو يقضى بعدم حجية الحديث . « والانقطاع الباطن » ـ وهو ان يكون سند الحديث متصلا لكنه يقع معناه على خلاف مقتضى العقل ، فيكون ذلك من اسباب انقطاعه معنى وترك العمل به . ومثاله الذى يستوى فيه مع منهج الخوارج فى خصوص هذه المسألة : ماقرره الاحناف فى حد « اللواط » فمنع ابو حنيفة ان يكون فى « اللواط » حد وجعل فيه التعزير ، ولما عورض بقوله ـ عليه السلام ـ « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول » رده بكونه منقطعا باطنا ، لان الصحابة لما تجادلوا بينهم فى هذه المسالة اعرضوا عن الاستدلال بالحديث واختلفوا على آراء متشعبة ، فلو أن فى الأمر حديثا فى المسألة لاحتكموا اليه ولم يختلفوا فيما بينهم فى بيان الحكم ، فكان اعراضهم عن الحديث فى وقت حاجتهم اليه مثار شهادة العقل بعدم صحة هذا الحديث وانقطاع سببه للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ..

فلم يسلك الخوارج فى رد حديث « الرجم » الا مسلك الحنفية فى رد حديث « اللواط » .

ولكن هذه ابعاد من العلم مستحيل ان يصل اليها من عصبوا عقولهم بعصابة التقليد .

طريق آخر فى الاستدلال لمذهب الخوارج

بينا طريق « الخوارج » فى الاستدلال

لمذهبهم المنقول عنهم وان لم ينقل الينا عنهم كل ما يحتمل ان يكونوا قالوه لتعذر مراجع فقههم ..

ونضيف الى ذلك تأييدالهم :

أولا : ان روح العصر الحاضر ومشاعر الناس فى هذا الزمن لم تعد تحتمل وقع هذه العقوبة الشنيعة ، واصبح ذلك موضع نقد موجه الى احكام الفقه الاسلامى الاجتهادى — لا تقول الى الشريعة الاسلامية — وهو نقد غير مرفوض ، حتى من وجهة نظر الشريعة نفسها ، لان الشريعة يجب ان تكون فيما لا يصدم بقطعى اداة قانونية مرنة موظفة للتعبير عن مشاعر الجماهير المتطورة بتطور العصر .

ولذلك قرر الفقهاء كابن « القيم » وغيره ان « الفتيا » تتغير بتغير الزمان والمكان والاحوال . والنيات والعوائد ، نقول فاذا تغيرت مشاعر الناس بازاء عقوبة من العقوبات تغيرا عالميا — لامحليا فقط — كما هو الحال فى عقوبة الزنا الشرعية الراهنة ، ورأوا فيها من الشدة والقسوة مالا تطالب بمثله مشاعر الناس ولا يرون الحاجة الى الزجر عنها بمثله — بل انهم ليزجرون عنها بعقوبة اقل منها مما يجعل الإصرار على استعمالها منافيا لمقصدها التشريعى — اذا كان الامر كذلك كان التماس العدول عن استعمال هذه العقوبة الى عقوبة غيرها بديل عنها تكون اقرب الى كفاية وجدان الناس فيما يبتغونه من عقوبة صاحب المعصية هو غرض الشريعة ، وهدف حكمتها .

ولا يقال اننا جعلنا تغير المشاعر الانسانية العالمية ناسخا لحكم الشريعة بل نقول : حيث يمكن ان تستبدل بالحكم الاشد حكما أيسر ماخوذا بالاجتهاد فى موضع الاجتهاد من مادة الشريعة يؤدى نفس الوظيفة ، نكون قد ابقينا على اعمال الشريعة فى الصورة الاتم لصوقا بها ، والا دخل فى حكمتها ومقصودها .

ثانيا : ثم ان الله تعالى لم يكلفنا فى باب العقوبات ولا فى غيرها بمايعد أشد تعذيبا للناس ولا مايعد عذابا مقصودا لذاته ، لان حكمة الله قاضية بتقدير العذاب ورحمته مانعة من ان يكون العذاب غاية فى نفسه ، لكنه كلفنا بما يصل اليه اجتهادنا فى فهم خطاب الشرع وقد وصل اجتهادنا فى فهم خطاب الشرع فى هذا العصر الى الحكم بأن الرجم مرفوع عن الزانى « المحصن » فلسنا مطالبين باكثر من ذلك فى اقامة حق الشرع ، ولسنا بمطالبين بتقليد السابقين فيما عملوا به وفى الاجتهاد سعة لان التقليد مع الاجتهاد محظور .

ثالثا : قد عرفنا من صنيع الشارع انه يؤثر التخفيف فى تعقب الجرائم الجنسية ولا يصمد لاثباتها على المتورطين فيها ، يدل على ذلك التعسير فى طريق اثباتها على فاعليها بما يجعل اثباتها اقرب الى عدم امكان حصوله غالبا وتجاهل النبى احيانا على من اعترف له على نفسه باصابة الحد ..

جاء رجل الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال له اصبت حدا يا رسول الله فاقمه على ، فسكت عنه — صلى الله عليه وسلم — حتى اذا صليا العصر عاد الرجل يقول : اصبت يا رسول الله حدا فاقمه على فقال له — عليه الصلاة والسلام — اصليت معنا العصر ؟ قال الرجل : نعم فقال — عليه الصلاة والسلام : « سقط حدك » .

ومعنى اصبت حدا ارتكبت اثما يقتضى اقامة الحد على . كالزنا مثلا .

ومعنى قوله — عليه السلام — « سقط حدك » رفعت عنك العقوبة بصلاة العصر .

وبالله التوفيق ؟

لو نلتقي !

● سالم حقي ●

لو نلتقي .. سمْراءُ ! .. لو نلتقي
لا تعصف الأمواجُ ... بالزورقِ

لا تعبث الريحُ بفردوسِنا
بالعطرِ .. بالريحانِ .. بالزنبقِ !

لا تغربُ الشمسُ ... ولا تختفي
عن عالمٍ يجمعُنا مُشرقِ !

لا تلعبُ الدنيا بنا ، مثلما
تلهو بنا الأقدار .. لا نلتقي !

لا تعبس الأيامُ في وجهِنا
ولا تني بالمتعبِ والموثقِ !

●

يا حلوة العينينِ ! .. لو نلتقي
وأرتوي من نبعكِ المغدِقِ !
وأنتقي ما شئتُ أن أنتقي
وأغتذي بالسكرِ والفستقِ !
أغفرُ للأقدار ... أوزارَها
أصفحُ عن زماني .. الأحمقِ !

●

يا توبةَ الأقدارِ .. في مغربي !
يا فتنةً .. من قبلُ لم تُخلقِ
جاءَ الهوى والحب .. فازدَني !
لا تغلقي الأبوابَ ... لا تغلقي !

●●

من وحى صورة الغلاف

زهور الشعراء

في وصف روض ـ للشاعر الكبير خليل مطران

ايها الروض كن لقلبي سلاما ... وملاذا من الشتاء الملازم
زهر ذابل كأني اراه ... ثملا من انفاسه في الكمائم
وغدير صاف اقام سياجا ... حوله باسق من الدوح قائم
تتناغى بيض من الطير فيه ... سابحات وتحتها انجم عائم
كيفما سرق فالطريق عقود ... نظمت من محاجر ومباسم !
حبذا البدر مؤنسا يتجلى ... كجبيب من التغيب قادم !
حبذا رسمه الدنايا كابهى ... ما ترى العين في صحيفة راسم
حبذا الماء والمصابيح فيه ... كجمان يزينها بخواتم
جنة بانت المكاره عنها ... وهي بكر من الاذى والمحارم
انما اهلها طيور حسان ... ان دعاها الصباح قامت تنادم !

٢ ـ من شعر ابي طاهر بن الخبزارزي في وصف روضه :

وروضه زارها الندى فقسمت ... لها من الزهر انجم زهر !
تنشر فيها ايدي الربيع لنا ... ثوبا من الوشي حاكه القطر
كانها شق من شقائقها ... على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كانها حدق ... اجفانها من دمائها حمر

● من قاموس لغة الازهار ●

الاكاسيا : ـ رمز المحبة الشديدة
البنفسج : ـ رمز الوفاء والاحترام
البنفسج الابيض : ـ معناه اني احترمك ولكن لا اريدك ..
الخشخاش : ـ رمز التفريه ..
دوار الشمس : ـ رمز المحبة يميل الى القوة
الزنبق : ـ رمز الحب الطاهر النقي
الكاميليا : ـ رمز الاستقامة
اللؤلؤ (الرغريت) : ـ رمز الاستفسار عن مستقبل الحب !
زهرة الليمون : ـ رمز الحب مع السعادة كانه قول (اتمنى لك السعادة والهناء ايها الحبيب)

الزيتون : ـ	رمز البركة والسلام والطمانينة
سنبلة القمح : ـ	رمز الاتحاد والكثرة
الفل : ـ	رمز الحب مع الكرامة
القرنفل الاحمر : ـ	رمز الحب المضطرم شوقا
المنثور : ـ	رمز الجمال الثابت
النرجس : ـ	رمز الحب المتنوع
الياسمين الابيض : ـ	رمز الحب والرغبة
الياسمين الملون : ـ	رمز الحب المتفنن والمجاملة

● الازهار في الاساطير القديمة ●

الورد الاحمر

للورد الاحمر قصة انعكست على خيال الكاتب الكبير اوسكار وايلد يوما ، فسجلها كوردة في الادب الانجليزي .

كان البلبل يحب الورده البيضاء الوحيد في حديقة السلطان .. وفي ذات يوم وقع الامير السلطان في حب فتاة راحت تتدلل عليه وتتمنع ، ثم وعدته بالزواج ان هو اتاها بوردة حمراء .

وعبثا بحث الامير عن وردة حمراء ، فقد كانت الوردة الوحيدة هي تلك التي في حديقة قصر أبيه ، ولكنها بيضاء ..

ورآه البلبل ذات ليلة يجوس خلال الحديقة وقد شفه الهم والسقم . فحط على الورده وسأله عما به .. وقص عليه الامير أساه ـ فقال له البلبل :

ـ لا عليك .. تعال في الصباح تجد بغيتك هنا !

وانصرف الامير الى مخدعه . أما البلبل فقد اسند صدره الى شوك الوردة وراح يضغط بكل جسده وهو يغني ..

ونفذ الشوك الى قلبه ، فانساب دمه يروي الوردة ..

وفي الصباح كانت الوردة البيضاء قد استحالت حمراء قانية .. وكان البلبل جثة هامدة .. فقد ضحى بنفسه وبوردته الحبيبة في سبيل اسعاد الامير !

● الكريز انثيم تصاب بالانفلونزا ! ●

الكريز انثيم ليس كباقي الزهور . او ان تفتحها الخريف ، او ان تفتح معظم الزهور الربيع ! .

وهي تحتاج لوقت أطول حتى تتفتح . تزرع في أواخر ديسمبر لتتفتح بعد أحد عشر شهرا في الخريف ، في نوفمبر .

ويبذل خبراء الزهور جهودا متصلة مع زهرة الخريف الكريز انثيم كي يجنبوها اعداءها من ديدان الغـل التي تعتبر خطر اكيدا على الزهرة ،كما يبذلون جهودا مضنية حتى يجنبوها الاصابة بالانفلونزا !

نعم ، الانفلونزا .. فهذا النوع من الزهور يصاب بالانفلونزا تماما مثل الانسان ! .. ويلجأ الخبراء الى الاعدام الفوري للمقلة المريضة قبل أن تنتقل عدوى الانفلونزا الى غيرها .

ولزهرة الكريز انثيم أو الاروالا معجبون بل مقدسون ، فالشعب الصيني منذ ٢٠٠٠ سنة اتخذ من هذه الزهرة شعارا قوميا له . فهذه الزهرة هي القاسم المشترك في جميع الاحتفالات القومية الصينية وهي اداة الزينة الرئيسية هناك وكعادتها ، لم تترك اليابان الفرصة فقد نازع اليابانيون جميع الشعوب في حب هذه الزهرة،واقام الخبراء اليابانيون عليها التجارب حتى صاروا من اهم المهتمين بهذه الزهرة .

اعداد : احمد الشنواني

زكى مبارك

"أمير العشاق" ومصارع الأدباء !

سيسال قوم من زكى مبارك وجسمى مدفون بصحراء صماء فان سالوا عنى ، ففى مصر مرقدى وفوق ثرى بغداد تمرح اهوائى!

كلمات اهتزت لها افئدة رجال الادب ذات مساء من عام ١٩٤٠ فى بغداد ، عاصمة العراق ، حيث كان الشاعر الاديب المفكر (الدكاترة) زكى مبارك يعمل بالتدريس فى الجامعة آنذاك .

وبغداد التى يعنيها زكى مبارك ، ليست بذاتها ، وانما من حيث هى رمز للحضارة العربية فى اكثر عصورها ازدهارا ، والتى سجل خواطره معها ، واستوحى اعماقها من عبق التاريخ فى خمس مجلدات ضخمة كانت اعز ماعاد به من رحلته الى العراق ، وليصبح من خلالها رائدا على درب القومية العربية الاصيلة التى تنبع من اعماق الانسان العربى ، فى معزل، عن صراعات السياسة او الشعارات وتقلباتها ..

انه الدكتور زكى مبارك ، الذى تمر الآن تسعة وعشرين سنة على ذكرى رحيله — وان كان ذكره سيظل باقيا، يحمله ثلاث واربعون كتابا من اهم ما عرفته المكتبة العربية .

✵ من سنتريس الى باريس ✵

ولم يكن اكثر الناس تفاؤلا ليرى فى مستقبل الطفل الذى اطل على الحياة صبيحة الخامس من اغسطس عام ١٨٩١ — احدى القرى الصغيرة التى تحتضنها دلتا النيل فى محافظة المنوفية — سوف يغزو القاهرة ، عاصمة الفكر والثقافة والدين فى ذلك الحين ، حيث بها الازهر الشريف ، وحيث قامت بها اول جامعة مدنية فى الشرق .

واذا كان الفتى الريفى ، زكى مبارك قد غزا القاهرة ليحصل على الدرجات العلمية بها — الدكتوراه — عام ١٩٢٤ عن رسالة جريئة حول « الاخلاق عند الغزالى » وليصبح اول من يحصل على الدكتوراة من الجامعة المصرية القديمة فان القاهرة لم تكن لتشفى غليله ...

وهنا شد الرحال الى باريس — عاصمة النور آنذاك — ليتحدى علماء الاداب الشرقية ، فى رسالة علمية فريدة فى زمانها حول « النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى » انتزع بها درجة الدكتوراة من جامعة السوربون بدرجة « مشرف جدا » فى عام ١٩٣١ ، بعد أن تحدى عمالقة المستشرقين فيما ذهبوا اليه من انكار فن النثر الادبى على العرب ..

ولقد وقف امام أساتذة السوربون قائلا :

ـ « جئت لأصحح اخطاء المستشرقين

ويوم ادى زكى مبارك امتحان الدكتوراه وقف كبير المستشرقين الفرنسيين ـ مسيو ما سيفيون ـ وقال

ـ « انني حين اقرأ بحوث طه حسين اقول هذه بضاعتنا ردت الينا ، وحين اقرأ بحوث زكى مبارك اشعر بأنني اواجه شخصية جديدة تماما !! »

*** الحياة .. والتحدي ***

ولعل ابرز السمات فى حياة الدكتور زكى مبارك ، هو التحدى .. التحدى من اجل الصدق والحقيقة فى الحياة .

تقول الاستاذة كريمة زكى مبارك :

ـ **لقد كانت حياة الدكتور زكى مبارك سلسلة متصلة من التحديات .. فلقد احترق منزل اسرته ـ وهو ما زال طفلا يحبو ، واتت النيران على جميع محتويات المنزل ، وتركتهم بلا مأوى ولا قوت .. ولكن الطفل نجا. وجده بين الحطام يتحدى النيران ، صامتا دون صراخ .**

وذات مرة صعد سطح المنزل ، ثم هوى فسقط على صخرة ، وانشم رأسه بصورة تنذر بالموت ، ومع ذلك كتب الله له النجاة ..

وكاد فى مرة ثالثة ان يموت غرقا وهو يلعب على شاطىء الترعة ، لولا ان انقذه رجل بالصدفة .

قلت لابنته : لعل ذلك كان مدعاة لان يصبح زكى مبارك ، فى مستقبله ـ رجل التحديات الادبية والفكرية فى النصف الاول من هذا القرن ؟

حقا ، هذا ما كان .. ولكنه لم يكن يتحدى من اجل التحدى ذاته ، بل كان التحدى وسيلة لاثبات حقيقة او تدعيم حتى عرف انه كان يرد على معارضيه اما بكتاب يؤلفه ، أو برسالة دكتوراه يصنفها .. حتى اصبح يقال عنه انه « الدكاترة » زكى مبارك !

ويذكر التاريخ الادبى ان زكى مبارك لم يكن يعرف المداهنة او المداورة على حساب الحق والحقيقة ، فلقد تصدى لاساتذة الدكتور طه حسين عندما كان يلقى محاضرة يعلن فيها مزعمه على احياء



الدكتور زكى مبارك

التراث اليونانى باعتباره مرجعا للفكر العربى معا ـ وهنا نهض الطالب زكى مبارك ليدافع عن اصالة الفكر العربى الذى يستمد جذوره من الامة العربية، حتى لقد قال الدكتور طه حسين قولته المشهورة !

ـ « لاتتعالوا علينا » نفى مقدورنا ان نساجلكم بالحجم والبراهين »

وتستطرد الاستاذة كريمة زكى مبارك :

ـ ومن ابرز المعارك التى دارت بين زكى مبارك وطه حسين ـ معارك حول النثر الفنى عند العرب .. وحول الادب الوجدانى الذى حمل لواءه زكى مبارك بصورة جديدة على العربية .. ومعركة الادب الذاتى ، ذلك النوع من الكتابة الذى ابتدعه زكى مبارك وأبدع فيه .. على ان تلك المعارك كان لها طعم خاص لدى زكى مبارك افصح عنه فى مقال ظريف اسماه « عدوى طه حسين » عندما قال : « ما اذكر انى عاديت انسانا انا احبه مثل الدكتور طه حسين »

*** معارك فى كل ميدان ***

ولم تكن المعارك مع طه حسين وحده

بل امتدت الى كل ميادين الفكر والادب ومع كل العمالقة وان تفاوتت درجاتها — فقد كانت هناك معارك نقد بين زكي مبارك وعباس محمود العقاد — عملاق عصره — ومع الكاتب الكبير ابراهيم عبد القادر المازني .. ومع « شيخ العروبة» احمد زكي .. ومع الدكتور احمد امين خاصة حول ماذهب اليه من « جناية الادب الجاهلي على الادب العربي .

على ان السمة الغالبة لمعارك زكي مبارك ، هي الدفاع عن اصالة الادب العربي ومراقة الثقافة العربية وتأصيل الفكر العربي .

وتكشف هذه المعارك جانبا هاما من حياة وفكر زكي مبارك ، فلم تكن العروبة لدية فلسفة ذات شعارات ، بل كانت واقعا يتعايش به وفيه ، ومنطلقا للتفكير والوحي

تقول كريمة زكي مبارك :

وقد حارب زكي مبارك جميع الدعوات التغريبية وكل المذاهب الهدامة والتيارات الوافدة ثم عارض نزعة تمجيد الفكر اليوناني والمناداة بحضارة البحر المتوسط ، وهاجم الدعوة الى العامية ، ودعا الى احياء ذكريات العرب وكانت لجولاته في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين اثار كبيرة في تعميق مفهوم القومية العربية والدعوة لها .

*** ليلى المريضة — من العراق الى الزمالك ***

قلت لها : لا يذكر اسم زكي مبارك ، الا وتثور ذكريات عن « ليلاته »ومنها المريضة في العراق ، والمريضة في الزمالك ، وحتى في باريس .. ترى ماهي حقيقة « ليلاته » ؟

وتصمت الاديبة والابنة لحظة ، ثم تقول :

— لم تكن هناك دائما (ليلى) بالمعنى المفهوم .. بل كثيرا ما استخدم زكي مبارك هذا الاسم رمزا لمعاني يستهدفها حتى ان ليلى المريضة في العراق لم تكن في حقيقتها سوى اللغة العربية التي تحتضر وسط تيارات اللهجة العامية في بغداد وفي سائر البلاد العربية !

وفي الزمالك ! هنا بدا كأنما تتعثر الكلمات على شفتي «الابنة» قبل ان تكون « الباحثة الادبية » كريمة زكي مبارك . هي تقول : — لعل ليلى الزمالك هي اقرب « الليلات » الى الحقيقة فهي بالفعل كانت اعمق تجارب زكي مبارك في الحب واخصبها الى قلبه .. وقد كانت « ليلى » فتاة من « سنتريس » بلد زكي مبارك ، رائعة الجمال ، واحبها الشاعر حبا عنيفا ، زادت عذاباته فيه عندما اصبحت محبوبته بعد ممثلة مشهورة تنافس على حبها عديد من ادباء وشعراء ورجال العصر ، واستوحى الدكتور ابراهيم ناجي منها ملحمة مشهورة تشدو ببعضها السيدة ام كلثوم .

على ان حب زكي مبارك كان اقوى من كل عشاق ليلاه ، واقوى حتى من انشغالها عنه بأضواء الشهرة ، حتى انه قال « .. ستفنى محلة الزمالك — ويبقى ماقلت في عروس الزمالك »

*** شاعر الجمال .. كل الجمال ***

ولئن تعددت مسميات زكي مبارك كما تعددت ميادين صولاته الفنية والادبية ، فهو حينا « فتى الازهر » في الكتابة للصحافة .. وهو حينا اخر « شاعر الازهر » .. ثم هو « مصارع الادباء » .. على ان احب ما كان يستهوي فؤاده ، هو ان يكون شاعر الجمال — كل الجمال .

كتب زكي مبارك : — « انني اتمثل الحسن في كل مكان .. فما مشيت في الطريق الا افترضت أن تراه قد تعطر في صباحه أو مسائه ببعض الاقدام اللطاف .. وما رأيت نافذة ترفرف عليها ستارة الا توهمت ان هناك ملحمة تداعب جمالها .. وما اهتز غصن الا انتشيت لما يذكر به من رشيقات القدود !.. ولا يرمم مزهر ولاعود الا تشوقت روحي الى ماتوسوس به الاوتار

من ذكريات الهوى والجمال » .
ولقد كان يحلو لـه أن يطلق على نفسه « أمير العشاق » ولـم تعـرف المكتبة العـربية كاتبا افـاض فى ادب العشق والجمال مثل زكى مبارك ... ومن اشهر كتاباته « مدامع العشاق » و « ليلى المريضة فى العراق والعشاق الثلاثة وديوان « الحان الخلود »

* الضحك حتى فى جهنم *

ويكشف الصحفى محمد محمـود رضوان من جـانب هـام من جوانب الدكتور زكى مبارك وهو جانب الطرافة والسخرية ـ فيقول :
ـ اشتهر عن الدكتور زكى مبارك انه خفيف الظل حلو الفكاهة .. ومـن اشهر مايذكره التاريخ الادبى دعابـة غريبة داعبه بها الدكتور ابراهيم عبده عندما كتب فى ٣ ابريل « نيسان » من عام ١٩٤٥ فى مجلة « الاثنين والدنيا » ليعلن نبأ وفاة زكى مبارك وينعيـه بكلمات مؤثرة .. ولقد اثارت هـذه المقالة ضجة كبيرة وصدقها الكثيرون، بل وتوافد « المشيعون » على منزله ، واتصلوا تليفونيا ليستوضحوا موعد الجنازة . وكان زكى مبارك يرد عليهم بنفسه ويذكرهم بانهم فى اول ابريل !
والغريب أن شهر « ابريل » نيسان ـ بالذات ـ له علاقة غريبة بالدكتور زكى مبارك ، ففيه عام ١٩٢٤ تقـرر قبول رسالة الدكتوراة فى الفلسفة فى الجامعة المصرية القديمة . فى ٢٥ مـن ابريل عام ١٩٣١ ظفر بالدكتوراة مـن جامعة باريس ..
وفى أبريل من عـام ١٩٣٧ ظفـر بالدكتوراة الثالثة مع مرتبة الشرف من جامعة القاهـرة عن رسـالته « التصوف الاسلامى »
وفى « الاول من ابريل عام ١٩٤٥ نعاه الناعى ـ كذبا ـ فى الصحافة !
على ان رجل الادب وشاعر الحب وفارس الفكر ، كان فى اعماقه رجـل



كريمة زكى مبارك

دين قبـل كل شىء .. يقول الاديب الشاعر محمد على عبد العال :
ـ الـدين هـو المفتاح الحقيقى لشخصـية الدكاترة زكى مبارك .. والدين عنده ليس مجموعة فـرائض تؤدى فحسب ، بل هو منهاج للعمـل وسبيل للحياة .. هو فكر يغـوص فى جوهر الاشياء واذا تغلغل فى القلـوب فسوف يمنع كثيرا من المجازر البشرية وعلى حد قوله « لو كان للدين سلطان على ارواح الناس لما راينا شهود الزور يملاون ساحات القضـاء بلا حياء » .
وزكى مبارك يرى أن الامم القوية هى تلك التى تحارب الدين المزيف الـذى هو بلاء على الشـعوب ، أما الـدين الصحيح فهو ثروة انسـانية روحية وقومية يجب أن يحرص عليها ساسة الشعوب .. والدين عنده مجموعة من الفضـائل الايجابية ، فى مقدمتها مقت الـرياء ومحاربة النفاق ، ومحبة الاخرين .. وفيها الشجاعة فى الحق ..
ومن كلماته المـأثورة « ليت مـن يختصمون سياسيا يعرفون الطريق الى المساجد ! »
ولقد كان الدكتور زكى مبارك ابـن الريف البسيط ، ابن سنتريس ـ والتى خلدت اسمه الان فى معاهد العلم بها ـ كان ثروة قومية بكل المعانى ـ فى الادب فى الشعر فى الدين فى الفلسفة فى الحياة

● اعداد : فهمى شلبى ●

عن الجن .. والجان

● د. مصطفى الديواني ●

جاء في سورة الجن – وهي مكية وآياتها ٢٨ واولها « قل اوحي الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا ، وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » – الآية

اى قل يا محمد للناس انك اخبرت بالوحي من الله تعالى انه استمع القرآن جماعة من الجن ، وهم دون العشرة او على الأصح سبعة نفر من جن اهل نصيبين ، ويروى انه لما انثنى الرسول صلى الله عليه وسلم ، من خبر ، ثقيف ، انصرف من الطائف راجعا الى مكة ، حتى اذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي ، فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم سبعة نفر من اهل نصيبين فاستمعوا له ، ولما فرغ من صلاته نزلوا الى قومهم منذرين

وقص الله خبرهم على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول عز وجل « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين – « سورة الاحقاف – الآية ٢٩ – ٣١ » ، اى ان الرسول لم ير الجن ، ولكن اوحي اليه من لدنه سبحانه وتعالى .

والجان ابو الجن ، كما ان آدم عليه السلام ابو البشر ... والجن عالم من العوالم المستورة ، مكلفون كالبشر باتباع الرسل ، منهم المؤمنون ومنهم الكافرون . يطهرون ويتناسلون بحسب طبيعتهم التي تختلف من طبيعة البشر . فآدم خلق من طين ، والجان من مارج من نار – لقوله تعالى : « وخلق الجان من مارج من نار » .

والمارج هو الشعلة الزرقاء التي تنبعث من المادة المشتعلة وتتميز بانها على اعلى درجة من الحرارة ... وتقول آيات القرآن الكريم من مادة خلق الجان ايضا « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » – ونار السموم في الحر الشديد الذي ينتج من الحرارة المرتفعة وله خاصية النفاذ من كل المسام . ولهم القدرة على الخروج من صورتهم الى صور اخرى ، والشياطين منهم يوسوسون للناس بالشر ويضرون بعض بني آدم بالمس ، ويستطيعون أن يدخلوا جسم الانسان ويجروا



من مجرى الدم ، وأن يسلبوا ارادته وينفردوا بالسيطرة على تصرفه .

وقد يحدث الاتصال بين الجن والانس وهم فى غير صورتهم الاصلية حتى يمكن للناس رؤيتهم ، وفى قوله تعالى « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » آية ٢٧ من سورة الأعراف » .

وهم يستطيعون الانتقال ونقل غيرهم الى مسافات بعيدة فى أسرع وقت ـ وتتضح سرعة الحركة فى عالم الجن فى قصة سيدنا سليمان عليه السلام ـ وتقول آيات القرآن الكريم : « قال يا أيها الملا أيكم يأتينى بعرش سبا قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين »

لكن الحقيقة ان هذه القدرة لعاجزة ومحدودة وقاصرة بالنسبة لقدرات بعض افراد النوع الانسانى . فان من الصالحين من البشر هم اقوى واسرع من الجن مرات ومرات .. فعندما طلب سيدنا سليمان من الحاضرين معه من الجن والانس أن يأتوه بعرش بلقيس كوسيلة لعرض مظاهر قوة سليمان الخارقة حيث يستطيع بها ان يؤثر فى الملكة بلقيس ويدعوها الى الايمان بالله الواحد الأحد ، وتكون هذه الظواهر هى أدلة مادية على ان الله سبحانه وتعالى يؤيده وانه رسول الله لهدايتها ...

وعرض عفريت من الجن على سليمان أن يأتيه بعرشها قبل ان ينفض الاجتماع ويقوم من مقامه ، حيث كان يجلس للحكم بين الناس والقضاء بين المتنازعين من الصبح الى الظهر تماما

وعندما شعر الحاضرون أن سيدنا سليمان قد وجد أن هذه الفترة طويلة انبرى من بين الجمع رجل من الصالحين يعرض عليه أن يأتى بالعرش فى غمضة عين ، بل قبل أن يرتد رمش العين اليها .

وهكذا تقدم الرجل الصالح ونقل لسليمان عرش بلقيس فى أقل من لحظة خاطفة . وقبل انتهاء رمشة العين وجد سليمان العرش مستقرا عنده ، وفى هذا تقول آيات القرآن الكريم :

« قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين . قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم »

والواقع انه رغم ما عرف عن طبيعة خلق الجن من نار وسرعتها وخفتها : فان علم الانسان ومعرفته العامة قد تكون أكثر مما تعرف الجن، ولقد سخر الله سبحانه وتعالى لسليمان من الجن من يأتمر بأمره ، فقامت الجن كما تروى الاساطير بارادة الله وباشراف سيدنا سليمان بتشييد قصور كبيرة محصنة تمام التحصين ، وصورت له تماثيل من خشب ونحاس ومعادن كما صنعت أوانى للطهى ذات احجام بالغة، وكذلك الصحاف الممتدة للاكل وكانت لطولها وعرضها وضخامتها تشبه الحياض التى تروى الارض .

وبالرغم من هذه القوة الهائلة والسرعة الفائقة فان الجن ظالت تعمل اسيرة لأوامر سليمان حتى مات سليمان وهو يستند على عصاه ولا تعرف الجن موته ، وتستمر كذلك فى العمل خوفا منه ، حتى بدأت حشرة الارض التى تأكل الخشب تتغذى على عصا سليمان التى يستند اليها ؛ فلما فقدت العصا قوتها ومتانتها بما أكلته الحشرة منها ولم تستطع تحمل ثقل جسد سليمان، سقط الجسد على الارض ،وهنا عرفت الجن ان سيدنا سليمان قد مات،وانهم ظلوا فترة طويلة فى عذاب العمل،وهم اسرى لأوامره ، دون ان يعلموا الغيب المحدد لحياته ، بل دون أن يتنبهوا وهم بجواره وحوله بحالته فيلحظون موته .

وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم:

« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وارسلنا له عين القطر. ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته . فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين . »

وهكذا يتأكد جهل الجن بالغيب،بل وجهلهم بما هو أوضح من الغيب ،اذ جهلوا حقيقة واضحة لكل عين موجودة ـ الا وهى موت سيدنا سليمان .

***

لقد خلقت الجن قبل الانسان ، اذ ان الله سبحانه وتعالى امر الملائكة بالسجود لآدم بعد أن خلقه فابى ابليس ، وبدأ عمله مع آدم وحواء لشدة كراهيته وحقده عليهما حيث وسوس لهما بمعصية الله سبحانه وتعالى ، واقسم لهما انه لهما من الناصحين ، استجابا له فكان الجزاء ان غضب الله عليهما واخرجهما من الجنة واهبطهما وابليس الارض ـ كقوله تعالى : « قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك . قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين » .

واعد ابليس نفسه ليضل كل بنى آدم ؛ كما قالت ايات القرآن الكريم : « قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين » .

وتختلف الآراء في القول عن القرين للجن ، ولكن المؤكد أن لكل انسان قرينة من الجن ، وتقول آيات القرآن الكريم : « قال قرينة ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد » .

وبعض القرين من الشياطين كقوله تعالى : « والذين ينفقون أموالهم رئاء ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » .

واذا كان جن الانسان شيطانا فانه يوسوس له من داخله ويحاول الانسان أن يجاهده بما يرد به عليه ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عما اذا كان له قرين من الجن فقال :

« حتى أنا . الا أن الله أعانني عليه » . وهذا يؤكد أن لكل انسان جنا يختص به » يستطيع الانسان أن يتغلب عليه كلما حاول أن يضله . وما وسوسة الشيطان الا محاولة تجعل الانسان يضل عن الطريق المستقيم ، وحتى الانبياء والرسل جميعا لم يسلموا من هذه المحاولات .

وتقص علينا النسخ المتداولة من الاناجيل المحاولات المتعددة التي حاولها ابليس مع سيدنا عيسى عليه السلام ، فعندما وجد ابليس أن عيسى قد اجتهد في العبادة وصام أربعين يوما وليلة واحس لذلك بالجوع ، طلب منه أن يحيل الحجارة خبزا ، فلما أعرض عيسى عنه أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وتوجه به الى أعلى قمة من الهيكل ، ووسوس له أن يلقي بنفسه من هذا الارتفاع ولن يصيبه الأذى لأن الملائكة ستحول بينه وبين الاصطدام بالحجر ، فرفض عيسى لأنه لا يريد أن يمتحن ارادة الله ومشيئته ..

وعز ذلك على ابليس وحاول أن يغرر بعيسى عليه السلام مرة أخرى ، فأخذه الى جبل عال جدا وأراه جميع الممالك التي يتكون منها العالم الأرضي ، وأوضح له بهجتها وزينتها ، ووسوس اليه أن هذه البلاد والأرض لابليس وانه يمنحها لسيدنا عيسى أن سجد له .

وبديهي أن هذه كانت أخطر ما يوسوس به ابليس للانسان حيث يطالبه بالكفر والسجود له بدلا من السجود لله سبحانه ، فنهره عيسى عليه السلام ، مقررا له أن السجود انما لله وحده وهو سبحانه وتعالى المعبود فقط ، وبذلك تركه ابليس . وفي ذلك يقول انجيل متى في الاصحاح الرابع :

« ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس . فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا . فتقدم اليه المجرب وقال له ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا . فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل . وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل . لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك . فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك . ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي ... حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد . ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه » .

ولقد حرص القرآن الكريم على تحذير الانسان من محاولات الشيطان هذه كقوله تعالى « انه لكم عدو مبين » وفي آية أخرى « يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » .

وفي آية اخرى « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » صدق الله العظيم .

***

كثير ما سمعنا عن اشخاص يتولد بينهم صداقة او تعارف بين قرين من الجن تساعدهم على الاتيان بظواهر تبدو في نطاق المعجزات للشخص العادي وتساعدهم على السيطرة على الاخرين . وقد يستغلونها في سبيل الثراء، ولكن في معظم الحالات يشترط الجن على الشخص الصديق ان لا يستغل الاتصال في سبيل الفائدة المادية ، والا كانت القاطعة الى غير عودة ، او قد يعود اليه بعد خصام قد يطول او يقصر .

كنت اعرف احد هؤلاء الناس، وكان عنده قدرة عجيبة على قراءة ماتوجهه له من اسئلة مكتوبة في ظرف مغلق ، بعد وضعها في درج مكتبك وبعد ان تغلقه باحكام ... وفي احدى المرات وضعه صديق متشكك في خزانة محكمة الاقفال ، ورغم هذا فانك تتسلم الورقة التي فيها اسئلتك وقد كتبت الاجوبة على كل سؤال بحبر وخط مختلفين عن خطك ، ولون الحبر الذي استعملته !...

كل ذلك بعد ان يتمتم بجمل معينة فيها ذكر الله وذكر جمل مصطلح عليها، ويمسك في يده قلما يخط به في الهواء بينما يمسك بيده الاخرى ورقة يخط عليها وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة ...

وبعد ان مات هذا الصديق تصادف ان احضر لعيادتي ابنه لاعالج طفلا من وعكة طارئة، فسألته عما كان يلاحظه، وجو المنزل . وهل كان في ذلك ما يوحي باتصال والده بالجن . فاجاب بانه كان يسمع احيانا اصوات شجار وصمت في غرفة والده ، وكان يصحو في الصباح وفي وجهه كدمات في عينه ووجهه مما يدل على أن اعتداء عنيفا قد حدث نتيجة اخلال بالشروط او استغلاله لموهبة الاتصال لغرض مادي.

وكيف انسى انه حدث وانا طالب بالابتدائي ، أن دعا والدي شخصا يدعى الشيخ الطهطاوي وكانت له من الخوارق الروحية ما يؤكد اتصاله بقوة ماتجيبه الى رغباته التي كانت تبدو مستحيلة ، فها هو المقعد الكبير يسير الهوينا امامنا دائرا حول الغرفة او سابحا في هوائها . وها هي الفاكهة تقدم الينا في غير موسمها ، وها هو الخاتم الثمين الخاص بوالدي يرمي به في الهواء وكانه يختفي الى غير رجعة فاذا به يعود الى اصبعه في سلاسة ويسر والطالف ، ثم ها هو يدق بهوانه على ذقن احد الحاضرين فاذا ببرتقالة كبيرة تستقر على كفه فيقدمه الينا دون افتخار وكانها حدث عادي ، وهكذا وهكذا ...

وكيف انسى جلساتي المتعة مع الصديق المهندس زكريا البطاط وهو من اقدر الروحيين الذين يتمتعون بالاتصال بروح طيبة غير شريرة تسمعه اذا تكلم وتجيب كتابة على اسئلته وقد يكون فيها بعض التحريف لانها من ارواح البشر اولا واخيرا ، وهي معرضة للخطأ والصواب . واذا تذكرنا ان روح الانسان لا يمكنها ان تتبدل ولا يمكن للموت ان يخلق من المجرم قديسا والروح الطيبة قد تترك وسيطها ليعاني الفقر وغيره من التجارب لتسمو روحه وتكسب اضعاف ما يكسبه الجسد . والذين يجرون وراء المال هم اصدقاء الشياطين .

وفوق كل ذي علم عليم

كما اقول دائما .

منتهى الاغراء

● فريد قرني ●

بصراحة .. في منتهى الاغراءِ ... وجمعتِ كلَّ وسائل الاغراءِ
النور مِن عينيك يدفق شحنةً ... من فتنة تغزو خيال الرائي
والورد في خديكِ يرسل عطره ... حزَم الشذا .. تنداح في الأرجاء
والقدُّ هندسة تتيه خطوطها ... وتميس في خَفَر وفي خيلاء
والمعجبون به تراودهم منى ... يتخذونها عَبثًا بكل دهاء
والنار في الشفتين يضوى جمرها ... ويهيم في ظمأ إلى الأطفاءِ
وسبائك الشَعر الحرير يحيطها ... كتفاكِ عامودان من أضواء
والصدر يحفزه الوثوب ويرتدى ... ثوبَ التحدى في صِبًا وإباء
والصوتُ موسيقى حلاوتها إلى ... كل القلوب شجية الأصداء
ولآلىء الثغر الرطيب يحفها ... شطان من حلوى ومن لألاء
والناهدان كلاهما في ثورةٍ ... وتعطش يصبو إلى الارواء
ونعومة الجسد الرشيق مزانة ... بغلالة من فتنة وحياء
ودلالك التياه في تأثيره ... سِحر به دائي .. وفيه دوائي
أنا لا أجامِل صدقيني .. لا ..ولا ... أبدا أداهن في الهوى وارائي
في منتهى الاغراء أنتِ صراحة ... وجديرة حقا بكل ثناء !

السوداء في الشعر الأفريقي الحديث

● د ٠ سليم الاسيوطي ●

● انها لمتعة كل المتعة ان نقوم بدراسة لصور النساء السود في الشعر الافريقي على اساس النماذج الادبية القائمة من قبل فئات النساء الاوروبيات ، الامريكيات اللاتي وصفهن فرجسون في كتابه « صور النساء في الادب » « الزوجة المطيعة الام / الملك او « الموم » » والزوجة المستبدة والمسيطرة ، والتي ينظر اليه المخلوق كامل الاوصاف ، والمراة الفضلة التي لا تفارع ، والمراة المتحررة) — او نقيم الدراسة على اسس نماذج النساء الافريقيات / الامريكيات اللاتي تذكرهن مارى هيلين واشبختون في مقدمة كتبها « اخوات سوزان ذوات العيون السود » ٠

والنموذجان لا ينصفان النساء السود فيما يقدمان لهن من صور في الشعر الافريقي ، لان كليهما يصدر في احكامه عن قواعد اقتصادية وسياسية وثقافية مختلفة كل الاختلاف ٠٠

ولكن قلة قليلة من الحقائق تبعث في نفوسنا الشعور بارتياح العميق تجاه الصورة الشعرية للنساء الافريقيات ٠٠ اولا ٠ بان دور المراة الافريقية التقليدي هو دور الام ، بينما الحقيقي والواقعي ، والصادق ، هو ان النساء قد تمتعن بسلطان سياسي بوصفهن الملكات الامهات او الوالدات ، وبوصفهن زعيمات العشائر ، وكن يتمتعن بسلطة في الجمعيات المدرسية الموحدة الاعمار في الصفوف الدراسية ، كما يتمتعن بالسلطة (خاصة في جنوب افريقيا بوصفهن تاجرات ٠ وكن الاداة الاولى في تحقيق الوضع الشرعي للمراة بوصفها اما ٠٠

وثانيا : افريقيا ما قبل الغزو منحت النساء سلطة سياسية (وهي سلطات لم يكن لها مثيل في الثقافات الجنسية الاخرى) ، وسلطات اقتصادية واجتماعية تجاهلها الاوروبيون عندما استبدلوا بانماط البناء الاجتماعية الافريقية التقليدية مؤسسات استعمارية ٠

وثالثا : ان التشريع المدني فيما بعد الاستقلال قد غير الممارسات التقليدية الخاصة بتعدد الزوجات ، مهر العروس ، والسن المناسبة لزواج الانثى ومن عسى ان يكون وريث الرجل بعد موته (زوجه وابناؤه ام اسرته) ٠

رابعا : كانت وجهة النظر الاستعمارية هي ان قوة المدنية الغربية قد حررت النساء الافريقيات المغلوبات على امرهن ، ووجهة النظر المتطورة ، هي انها قد اعتقت النساء من رق العقائد الثقافية التى ارتبطن بها منذ القدم ، ولم تقدم



لهن بديلا عن المؤسسات التي هدمتها .

خامسا : ان ستين في المائة حتى ثمانين في المائة من الاعمـــال الزراعية في افريقيا ، يقوم بها النساء في الوقت الحاضر .

سادسا : ان معدل الانجازات النسائية تتخلف شوطا بعيدا عن منجـــزات الرجال .

سابعا : ان عملية مدينة الريف (جعله مثل المدينة) التي من الواضح انها قد أثرت تأثيرا عميقا في حيوات اولئك النساء اللاتي يعشـــن في المدن ، تؤثر بدورها ، أيضا ، في حيوات من يعشن منهن في المناطق القروية ، لان الرجال غالبا ما يخلفون وراءهم في الريف ، الزوجات والابنـــاء ، عندما ينزحون الى المدن بحثا عن عمل في الاوساط المدينية (نسبة الى المدينة) . ومن ثمة يكون افضل موقع اذن ، حيث نستطيع الشروع في فحصنا ودراستنا ،لهو صميم الثقافة الافريقية . والمثل السائر الذى يجرى على لسان ، أهل اليوربا ،» (١) يقول : « ان الأم هي الذهب » .

وتبدو صور النساء السود في الشعر الافريقي انها تشع عن ذلك المصـدر النشيط الهام ..

يقول شينو آشيبى ـ الكاتب الافريقي الكبير ،من مواليد نيجيريا ١٩٣٠ : ـ انك الى الأم تلجا وبها تحتمى ، وعنها تتحـــدث حينما يعتصرك الحنين وتغشى سحب الاحزان سماء حياتك ..

وحينما تتجمع زفرات الاسى تتنهدات المرارة في الصدور ـ فهناك تكـون الأم لتذود عنك ! .. وهذا هو السبب الذى من اجله نقول ان الأم هي الانســـان الاسمى » .

ان عالما اجتماعيا يقرر ان الأم الافريقية مرتبطة بقيم جوهرية صميمة اميل الى ان تكون من بين تلك القيم التي تقاوم التغيير . انها موضـــوع بحث يغطى الأدب الافريقي كله ، يصور المرأة بوصفها حارسا للتقاليد حاميا لها ، والوطن الأم الذى يمثل الامن والاستقرار » .

ان الصيغ الثلاث التي تتعلق بالأم وتختص بها ، تتمثل الأكثر تمثيـــل في

(١) شعب زنجي يقيم في ساحل افريقيـــا الغربي ، وبخاصة بين داهومي والنيجر .

قصيدة الشاعر بيراجو ديوب الكلاسيكية : « زاد المسافر » التي يصور فيها الأم تتضرع الى الأسلاف كي تحمي ابنها وهو يتأهب للرحيل عن موطنه ٠

وتشمل وجهات النظر الاخرى عن « الأم » في الشعر الافريقي الحديث الصورة التي رسمها ديفيد ديوب لأمه وهي تقوم بتمريضه خلال نوبات السل المتوالية التي تنتابه ، في قصيدته « من أجل امي » ، وهي تجسد صورة الأم الشكل الملتاعة ٠

وفي تكرار متصل متواتر ، بقوة عاطفية جارفة تسود صور النساء الامهات الشعر الافريقي الحديث وتكاد أن تدور دائما حول الثقافة التقليدية لتبجيل الأمومة ، وتتناول الوشائج الوثقى القوية الفعالة الاثر التي يخلقها الاطفال الذين يرضعون لبن أمهاتهم على امتداد عامين أو ثلاثة أعوام ، والحفاظ على تلك الصلات طيلة صباهم ٠

ان الثقافة التي تمثل فيها الأم منزلة القداسة ، هي تلك التي تخلو من العقيمات ٠ ونحن نلمس ذلك واضحا جليا في قصيدة الشاعر كوتويبي القاسية :

ما أنذر الا اعشاش الطير الباردة
حيث لا تبيض الطيور المهاجرة
ولا تدخلها أبدا لتحضنه للفقس

وبالمثل فان قصيدة الشاعر نترو : « ايقاع المدقة » تصور امرأة معذبة لا ، لان قيود الثقافة التقليدية تقمع مشاعرها وتكبت أحاسيسها ، ولكن لانها لم توفق للزوج الموعود الذى يولدها التوأمين اللذين طالما حلمت بهما ٠

وفي قصيدتين أخريين - الواحدة من نظم وول سوينكا والثانية من تأليف جون بيتر كلارك وكلتاهما عن « لابيكو » ، وهو الطفل الذي يولد ميتا ، مرة تلو مرة ، للأم التي تنتهي بها خيبة الأمل الى اليأس ويؤدى بها الاحباط الى الحزن المقيم ، بعد أن كتب عليها ان تثكل أطفالها مبكرين ٠

والشعر يصور النساء الافريقيات عاملات أيضا ، وفي هذه الحال يركز على ما يسببه العمل الحقير لهن من الضجر ، وما يبعثه في نفوسهن من الملل ، كما يحدث في الصورة التي يبدعها الشاعر ميتشالي في قصيدته « الغسالة » ، وقصيدة نترو « ايقاع المدق » ٠

بيد أن أشد صور المرأة الافريقية ايلاما للنفس وأكثرها اثارة للشجن وبعثا للحزن ، وشدها للعقول هي تلك التي صاغت قلائدها امرأة هي (الشاعرة مارينا جاشي) في قصيدتها « القرية » ٠

النساء العجائز مكفهرات الوجوه محنيات الظهور
يمشين مجهدات ، حاملات ممزقاتهن
الزوجات الشابات شبيهات بالحمير
منذ صياح الديك حتى تغيب الشمس
يؤدين واجباتهن التي لا تنتهي
أجسامهن المتغضنة ، مثل القسي في صف
يمشين متثاقلات بطيئات ، صاعدات هابطات
المزارع التي تزحم القرية
وأحمالهن على ظهورهن
والاطفال مربوطة الى بطونهن

يقلبن الأرض بالأيدى والمدى
مثل الدجاج يبحث عن الديدان !

لقد قال جيمس آولنى : « ان السمة السائدة فى العالم الافريقى ، على نقيض الوضع فى العالم الغربى ، هى وحدته وتماسكه الذى لا يقبل الانفصام ولا الانفرادية أو التفانى فى سبيل تحقيق هدف واحد ·· ان تلك النظرة وملاحظة الرئيس الشاعر سنجور (·· نحن أهل الرقص الذين تتخذ أقدامهم قوة فوق قوة من الأرض الوعرة التى تضربها) ـ كلاهما تضيف الى ادراكنا مجموعة كاملة أخرى من صور المرأة الافريقية ، تلك الصور التى تربطهن بالغناء والرقص · وفى قصائد من مثل قصيدة الشاعر ديوب « الى راقصة سوداء » نجد هذه الصورة :

زنجية هى شالعتى الدافئة لافريقيا
أرض الغامضة وثمرة عقل
انت الرقص بابتسامتك المبهجة السافرة

وفى قصيدة الشاعر جون بيبر كلارك : « راقصة اجبى » يرى الشعراء فى المرأة الافريقية الراقصة رمز الخطوط الرئيسية التى تشكل الحياة الافريقية التقليدية واتحاد الجسم بالعقل اللاواعى الذى يميز بين آراء الحياة الافريقية والاوروبية · وعلى الرغم من أن أحد النقاد يرى أن قصيدة ديوب حسية جسدية صريحة ، الا أن هذا راى يعكس وجهة نظر غربية ، عن الآراء التقليدية الافريقية لمظاهر الانوثة العميقة الجذور ، كما هى الحال فى لغة الخصب والقدرة على الانجاب التى تجعل كلا من المرأة « كأم » والارض استعارة ومجازا لبعضهما البعض · وفى هذا السياق ، فان الاشارة الى اجزاء من جسم المرأة ، لا يمكن أن تكون اشارة عابرة ، منفصلة عن الوجود الجنسى ولكن على العكس فهو دلالة على الاهمية العظيمة التى تتمتع بها المرأة لقدرتها على الانجاب · فان فكرة الأمومة بوصفها الدور الهام الذى تلعبه المرأة فى الحياة يعطى أو يكاد ان يعطى الشكل والمضمون لصور المرأة الشعرية ، فى الشعر الافريقى ، حتى عندما تكون القصائد مثل تلك القصائد التى تدور حول الراقصات ، التى لا تتناول ذكر الأمهات موضوعا لها ·

ان ما يصبح به الآن هو الشبه الشديد بين المرأة والأرض (مجتمع آلهة الاسلاف) وعلاقاتها التناسلية البيولوجية بتواتر المولد والنمو والموت وصلة قرابتها بالثقافة الافريقية التقليدية فى عالم يزيد الغرب فى محاصرته زيادة مستمرة بأصول التقاليد والآداب والسلوك ·

وهناك عنصران معقدان يتصلان بدراسة المحبوبة فى الشعر الافريقى · فمن جهة غالبا ما يصدق ما يقوله سونبكا عن سنجور ، على الشعراء الاخرين : ان هدف العاشق ، سوف يصبح ان عاجلا أو آجلا ، هو وموطنه شيئا واحدا ، ومن جهة أخرى ، فان الحب الرومانسى مفهوم أوروبى الآن فحسب ، يلقى قبولا فى افريقيا · وقصيدة ديوب : « تراماكام » تتغنى بجمال المحبوبة وجمالها ، مشبهه اياها بثمار المانجو تارة ، وثمار البيمنت الفلفل المحل تارة أخرى · وتركز على سواد بشرتها و « ايقاع أردافها الدافىء » وقصيدة « كيشوكو » الزنجانية تمجد « شجرة بلح أهدابك الزرقاء » والشفتين الشبيهتين « بالبلح السمين » :

شفتاها حمراوان متوهجتان بالحرارة
مثل الفحم النباتى الملتهب

انها شبيهة بالقطة البرية
التي غمست فمها في الدماء
فمها مثل قرحة فاغرة فاها ،
مثل فم صديق !
تينما تنشر الذرور (البودرة) على وجهها
تبدو شاحبة بالغة الشحوب
شبيهة بالساحر
يتاهب للرقص .
انها تبدو كانها
قد مرضت منذ زمن طويل !
فهي لا تاكل
قائلة انها تخشى البدانة !
قائلة ان المراة الجميلة
يجب ان تكون نحيلة القوام كالمراة البيضاء !

ان شعر دينيس بروتس يتضمن صورا للمحبوبة بما فيها المراة ذات العواطف المشبوبة التى تجردت لتبترد ، فى قصيدة : « الميساء المرحة » :

مبتهجة تتمايل على حافة الحمام
تقذف بذراع طويلة عارية كي تزيل
وخزات تترى على الخاصرتين والعضلات
وشدور مثلثة تسفع الوجه
تتلألأ بقطرات رمادية من الندى
محفورة عاليا قبالة ضوء السجن الأشيب
يتسرب من خلال سجف البلاستك
يهتز الجسد الأملس مشدودا فوق
القفص الصدوى حيث رنت الحلمتان
بلطف فى براءة شعورية

● والمحبوبة التى تجمع بين صفات الماس والأم وتهيىء ملجأ للهاربين من الظلم والفارين من وجه الطغيان فى جنوب افريقيا يصورها الشاعر فى قصيدة مجهولة لاتحمل اسما :

جاثيا على ركبتي امامك لحظة
انسللت غافلا الى هذا المشهد
لأن العقل والقلب والروح بحركة واحدة
واستجابت هكذا الى حالة شاردة
للنفس النورانية المتلألئة
كما يستجيب انسان للايقاع الجماعى الراقص
جثوت على ركبتى
ولقاء هذا ، فهممتنى
وجذبتنى الى النسيان الأمين الهادىء
وحلت ذوني والمدى والافراس ، والحراب والبراجم (٢)

(٢) البرجمة وجمعها براجم ، وهى القطع المعدنية التى تكسى بها مفاصل اليد فى الملاكمة .

وهكذا ، للفَوْر ، توقفنا وتجمدنا في صورة خالدة
واصبحنا رمزين غير مشخصين ، لا تدركنا الشيخوخة
فيا للعجب المتواضع المضار
تلفنا امومة مكروبة فى اصرار !

ولكن فى خاتمة المطاف لا نلبث ان نذكر بان هناك بضع قصـائد تدور حول المحبوبة التى تشكل مضمونها وتخصها بسماتها وصفاتها .

ان جزءا من تراث المواقف الافريقية التقليدية من المراة هو ندرة الصـورة السلبية لها فى الشعر الافريقى الحديث الذى يبدو انه قد امتص كل الصور الايجابية للمراة فى الادب الشفاهى ، وتجاهل الصور السلبية .

أما فى الشعر المعاصر فان الطابع العام غالبا ما يكون جادا والصور السلبية الوحيدة ، لنساء قد نبذن أدوار الزوجات والأمهات التى كانت تقدرها الثقافة التقليدية كل التقدير .

وعن هذا يكتب الشاعر بى بيتيك قائلا ، ساخرا متهكما ، البغايا والنسـاء اللاتى اخذن بالمدينة الغربية . كما يكتب الشاعر لترو قصيدة غنائية عن ثوب المراة المتناهى فى القصر . وفى قصيدة : « الورد يذبل » تبكى النساءالافريقيات اللاتى اخذن باسباب المدنية فى حياتهن ، ويجلسن على المقاعد العالية بلا مساند للظهر فى البارات ، ويمارسن الحب على وسائد السيارات ، ويرفعن اثداءهن المتهدلة بخيوط من نسيج . ولكن معظم الصور الاخرى للنساء هى صور الثناء العاطر والتمجيد ..

وهذا يباين الصور السلبية الكثيرة للنساء الاوروبيات / الامريكيات (المراة السليطة ، الشقراء الصامتة مؤقتا ، العانس ، الموم) . كما يبـاين الصـور السلبية للنساء الافريقيات / الامريكيات السلبية (المربية الزنجيـة للاطفـال البيض ـ المطحونة) وكذلك الصور السلبية للنساء فى الشعر الافريقى فى جزر البحر الكاريبى ، حيث طبقا لما قاله يرنج ، يظهرن فى صور بدائية ، وصور البغايا ، ومهتزات الارداف (خاصة النسوة المولاسـيات . من أب أبيض وأم سوداء) .

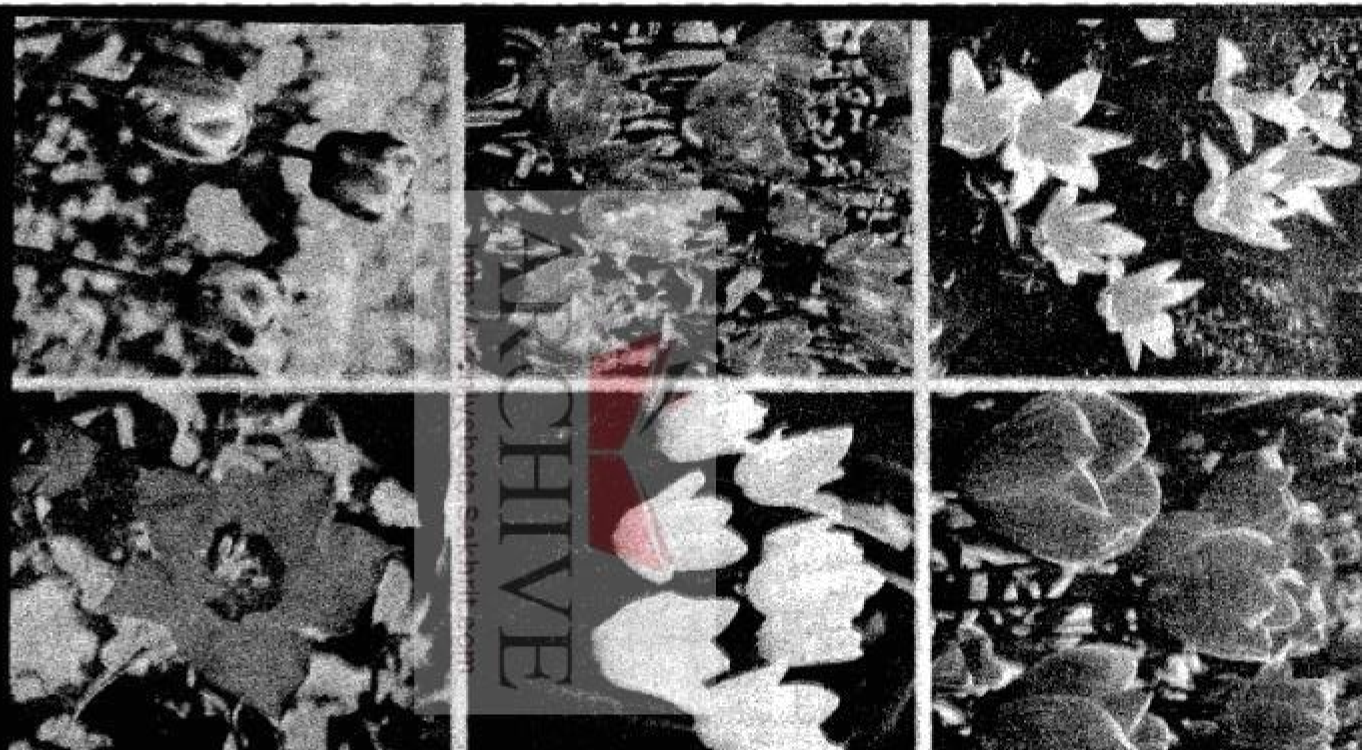
وعلى النقيض من صور النساء الافريقيات فى القصص الخيالى فى جنوب افريقيا فان هناك عددا قليلا من الصور الشعرية التى تعكس صورة التغيير الاجتمـاعى الذى ينتشر فى افريقيا . ويبحث المرء عبثا عن قصائد تدور حول نساء المدينة، من اولئك اللاتى يعملن ، ويعشن وحيـدات ، ويرفضن مبدأ تعدد الزوجات ، ويتمسكن باسرة صغيرة قليل عددها ، ويشقين فى ازمات الحب الرومانسى . يقطعن صلاتهن بالاسرة دائمة الانجاب متزايدة العـدد ، يلعبن ادوار خطيرة فى صراعات التحرر ، ما مضى منها وما هو قائم ومن ثمة يخطىء من يتجه الى الشعر بصورة البلاغية النابضة بالحياة والحيوية وعباراته العقلية المحكمة ، بحثا عن صور واقعية طبيعية على نطاق واسع ... هذا من جهة ومن جهة اخـرى فان غالبية الشعر الافريقى الحديث من اعمال رجال ، والقصـائد التى تثرى جو حياة المراة المتغيرة ، المختلفة الوان والمشارب فى القارة الافريقية وتنوع صـور النساء السود اللاتى يتمتعن بقوة النساء من ذوات الاصول الراسخة فى المهد الدينى والحضارى فيما قبل عهد الاستعمار .. هذه القصائد قد لا تظهر حتى يقيض الله للمراة الافريقية ، من تكتب الشعر من بين بنات جنسها ، مصـورة لنا المراة ، ومعبرة عن امانيهن وامالهن .

الزهور والورود

عالم من الجمال والإبداع والإيمان بالخالق المبدع سبحانه



الاطفال زهور الحياة ، والزهور زينة الارض · وليس فى الدنيا اجمل من منظر طفل جميل صحيح الجسم او روض بديع موشى بزهور كانه بساط سندسي محلى بالجواهر · وهذه الصورة تجمع بين جمال الطفولة وجمال الزهور وهى تعبر عما نريد ان نقوله فى هذه الصفحة وما يليها ·· وهى صفحات من الجمال والاشراق والحياة والالوان نهديها للقارىء فى هذا الشهر الذى تبلغ الطبيعة فيه اوجها من الجمال وتتوق النفس الى جلسة فى خميلة بين الخضرة والماء والوجه الحسن ·



تعددت الاشكال والزهرة واحدة : دلبــان أو تيوليب • توجد زهـرة الدلبان فى كل لون يتصوره العقل الا الاسود • والاســود ليس لونا • الصور الست الى تراها فى هــذه الصفحة هى على الترتيب من اعلى الى اليسار :
١ ـ زهرة الفالس ٢ ـ زهرة الدلبان الصــفراء ٣ ـ الدلبان الابيض الصافى ٤ ـ الدلبان الاشنابس ٥ ـ التيــوليب الوردى ٦ ـ التيوليب التريومف •

الزهور والورود

نحن الآن فى عز الصيف ، وعز الصيف هو فصل الزهور والورود والخضرة والوجه الحسن وبساط الخضرة الذى يحيط بك اذا جلست فى روض أنيق ، وهذه دعوة منا لك لكى تعيش معنا لحظات فى عالم الزهور والورود .

فى شهر اغسطس من العام تبدو الطبيعة فى اوج جمالها .. الزهور والورود جميعا تبلغ ذروة نضجها ،ويتجلى لك الروض والحديقة بل الشجرة الواحدة فى أبهى صورة : خضرة وألوان وطيور تغنى وتتنادى على الافنان وحياة متدفقة نابضة متجددة فى كل شىء حولك مما خلق الله .

وفى اغسطس هذا تحتفل انجلترا بزواج أميرها من عروس فى روعة الصبا والشباب ، هى الجمال كله ، والحسن كله ، ونعمة الله السابغة كلها .. انها زهرة من زهور الصيف ..

ورأينا نحن ـ اسرة الهلال ـ أن يكون عدد اغسطس زهرا كله وجمالا كله ،وعلى غلافه عروس الدنيا ، وحسناء الزمان ، اذا جاز لنا ان نستعير لفظ على محمود طه شاعر الحب والربيع والجمال .

***

ولا يعرف الزهر الا من زرع الزهور .

ولا يعرف الورد الا من ربى الورود .

ودعك من زهرة تقع عليها عينك فى زهرية أو من وردة تمر بين اصابعك وتضعها فى عروة سترتك لان هذه وتلك تذبلان وتزولان فى لحظات ، ولكن قم بنفسك وازرع الزهور وازرع الورود ، واجلس وتأمل كيف تتجلى قدرة الله فى اطلاع شجرة الورد من قطعة خشب من فرع دسسته فى الارض . ولقد قمت انا بهذه التجربة بل عشتها وعشقتها ،لاننى تعلمت منها ما لم تعلمنى الكتب . كنت آخذ عقلات الورد واضعها فى الارض فى بدايات الخريف ، وارويها ريا خفيفا وانتظر فاجد معظم العقلات تموت وتذبل الا واحدة أو اثنتين آراهما اطلعتا برعما صغيرا أخضر فاقول : ـ امسكت الصغيرة بالارض ومدت جذرا ! وأواليها يوما بعد يوم ، ويجىء الشتاء فاقول : ماتت ، ثم يهل الربيع فاذا بها تطلع الى جانب البرعمة الصغيرة اربعا او خمسا ، وتكبر الصغيرة شيئا فشيئا ، وفى منتصف الربيع تكون شجيرة وفى الصيف تصبح شجرة ، وقبيل آخر الصيف أجد هذه العقلة الصغيرة التى لم تكن الا قطعة خشب رطب قد أصبحت كائنا حيا يخرج ورقا أخضر وورودا مختلفا الوانه فأقول فى نفسى : سبحانك ربى ، من لم يؤمن بك فليزرع وردة أو زهرة فيشعر بقدرتك يا خالق الكون ، فمن غيرك جعل من قطعة خشب شجرة ورد ..

واعجب من ذلك تلك الزهور التى تزرع بالبصلات او الابصال . والبصلة احيانا تكون فعلا فى هيئة البصلة ولكنها فى احيان اخرى تكون مثل حبة البطاطس الصغيرة ، وانت تاخذها من المشتل فى نهاية الخريف ، وتلفها بورق وتضعها فى صندوق فى مكان دافىء (غير ساخن) حتى لا يقتلها البرد ، وفى شهر فبراير (مارس فى البلاد الباردة) تحفر فى الارض قدر ١٠ او ١٥ سنتيمترا وتضع هذه البصلة وتغطيها بالتربة الناعمة مع شىء من سماد طبيعى وتنتظر نحو الشهر مع موالاتك السقى دون اسراف . واذا بنبتة خضراء صغيرة كأنها طفل رضيع تخرج من الارض ، وتظل على حالها أياما كثيرة كأنما هى تستجمع قواها لتواصل مسيرة الحياة ، ثم تنهض ويطول عودها ، وتخرج لها اوراق من شمال ويمين ، ثم



طراز نادر من التيوليب او الدلبان • امثال هذه الزهور المتنوعة يصنعها هواة الزهور بالتهجين ، مثل هذه الزهرة الحمراء البيضاء يستغرق اخراجها سنوات طويلة من التجارب ، لان هواة الزهور يغرسون فرعا ذا لون احمر فى جذع زهرة بيضاء وقد تعيش او لا تعيش ، والمهم ان تنتقل خصائص اللونين الاحمر والابيض الى بصلة التيوليب ، لان التيوليب تزرع بالابصال •

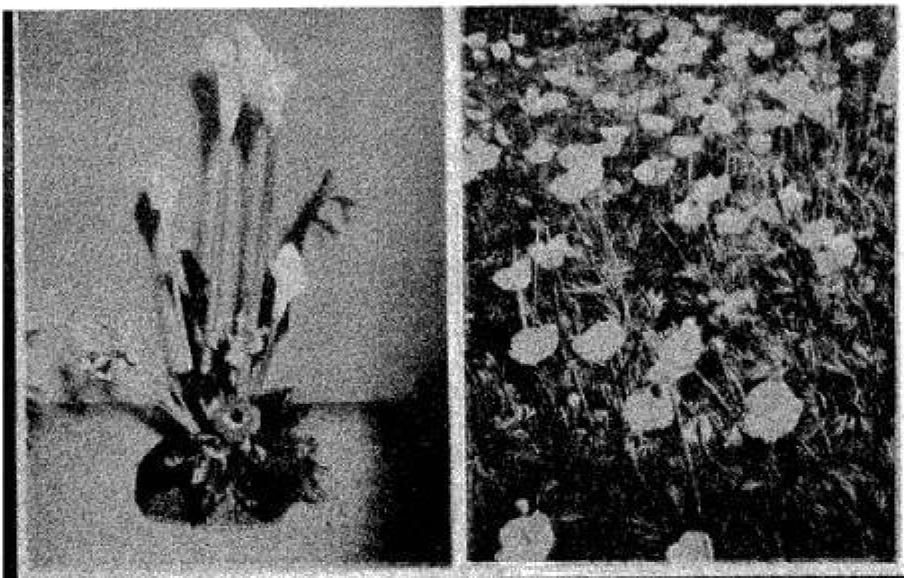




هذه اربع من أجمل الزهور والورود مختلفة الالوان والاشكال . وقد صاغتها قدرة الله في جمال نادر وتناسق ساحر . تامل الالوان واختلافها وتناسقها تجد انك تتفق معنا فيما ندعو اليه في هذا المقال من تهذيب النفوس عن طريق العناية بالزهور والاهتمام بتزيين البيوت والشوارع بها ..

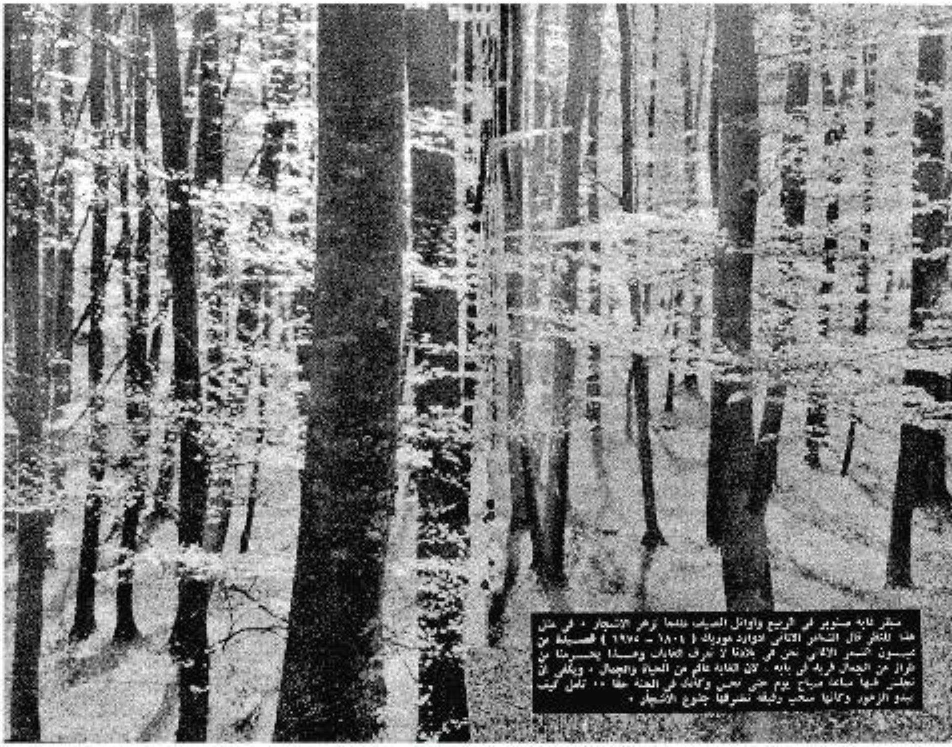




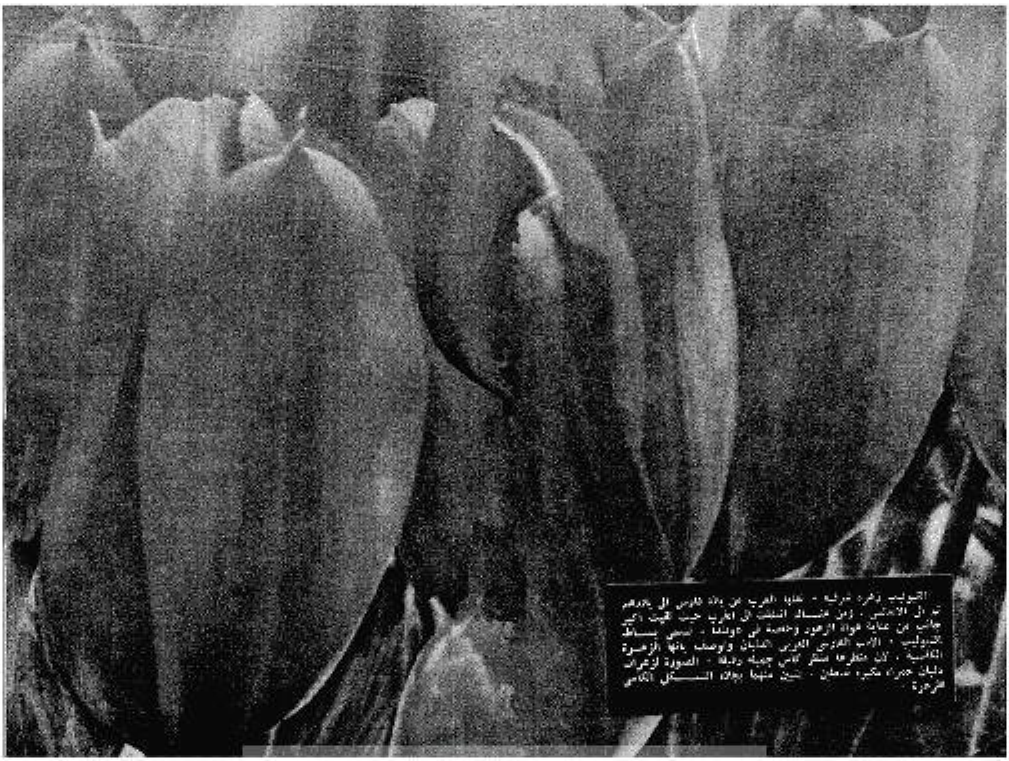


الى اليسار أعلى هذا الكلام زهور البسلق البيضاء وكلها غاية فى الابداع ، وفى راينا ان كتابا عن الزهور والوانها واشكالها واسمائها ومعلوماتك عنها يفيد فى التربية الدرسية أكثر من مادة علمية كاملة ، لان الزهـور الجميلة تربى النفس والتربية شىء يبقى فى حين ان العلوم معلومات تنسى •





منظر غابة صنوبر في الربيع وأوائل الصيف عندما تزهر الأشجار . في مثل هذا المنظر قال الشاعر الألماني ادوارد موريك (١٨٠٤ - ١٨٧٥) فحسبنا من عيون الشعر الألماني نحن في بلادنا لا نعرف الغابات وهذا يحرمنا من طراز من الجمال فريد في بابه . لأن الغابة عالم من الحياة والجمال . ويكفي أن تجلس فيها ساعة صباح يوم حتى تحس وكأنك في الجنة حقا .. تأمل كيف تبدو الزهور وكأنها سحب رقيقة تخترقها جذوع الأشجار .



التوليب زهرة شرقية – نقلها العرب من بلاد فارس الى بحرهم ثم الى الاندلس . ومن هناك انتقلت الى الغرب حيث لقيت اكبر جانب من عناية هواة الزهور وخاصة في هولندا . تسمى بساط التوليب . الادب الفارسي العربي ... ووصف بانها الزهرة الفاتنة . لان منظرها يشير الى جميلة ودقة . الصورة لزهرات دليان حمراء مكبرة ... حين منها بدون الشكل الكامل للزهرة

الزهور والورود

تندفع الشجيرة بقوة من الحيــوية تدعو للعجب ،وفى أوائل الصيف نجدها شجرة ذات فروع وورق كثير جدا ، ثم تبدأ فى اخراج الزهور نفس لونزهور امها ونوعها وفصليتها ٠ان كانت الام دالية فهى دالية وان كانت زهرة سيفية (جلاديولا) فهى زهـرة سيفية وان كانت كرايزانيتم فهى كراينزانيتم ٠.

خلال الموسم الواحد تعطيك هــذه الشجرة ما بين ٣٠ الى ٥٠ زهـرة ، كلهـا زاهرة زاهية قوية ٠

ثم ينتهى الموسم ويقبل الخـريف ، وتتوقف الشجرة عن الولادة ، ثم تاخذ فى الذبول وتسقط أوراقهـا ، ولا يبقى فى النهاية الا الجذع قائما وحـده ٠ فى أواخر ســبتمبر تقطعه تاركا نحـو ٣ سنتيمترات فوق الارض ، وتنساه حتى ديسمبر ٠

فى آخر ديسمبر تحفر الارض فترى عجبا ٠ البصــلة التى زرعتها تلاشــت واصبحت جلدا والجلد اكلته الارض ، ولكن ذلك الجلد اخرج اربع بصــلات او خمس متباعدات واحــدة عن الاخرى ، رفعها من الارض بعناية ، وحــذار ان تجرح البصــلة ، ثم تلف كلا منهـا على حدة فى ورق وتضعها فى علبة كارتون وتحفظها فى مكان دافىء ، وفى شــهر فبراير تدسها فى الارض متباعد بعضها عن بعض وتعمل كما عملت مـع الام ٠ وهكــذا ترى عجيبــة الخلق تتكـرر وتتضاعف بين يديك وانت تنظر ٠

فهل هنــاك تاديب للنفس او تربية للروح أعظم من هذه ، لو بيدى لجعلت زرع الزهور جـزءا من التربية والتعليم في المدارس حتى يتعلم التلاميــذ الذين

والعمل المستمر والفن أيضا ، لان الزهور والورود قطع من الفن البديع ٠

كنت وانا صــغير لا أجد متعــة فى اجازات الصــيف هى أحب الى نفسى من الجلوس فى المنتزة وفى يدى كتــاب ، وانقـل البصر بين الكتــاب والخضرة والزهور ، وكانت الصداقة تنعقد بينى وبين البستانى ، فنتجــاذب اطــراف الحديث وهو يعمل ، وربمــا اذن لى فى مســاعدته فنعمل معا : هو المعلم وانا الصـــبى ، وينقض الوقت ونحن نزرع الزهور ونقلمها وننظف أحواض الزهر ، وذات مرة قطف بســتانى وردة وناولنى اياها فقلت له :

لماذا قطعتها عن أمها ٠٠ ؟

ــ لهذا خلقها الله ٠٠

ــ لا أظن ٠٠ ان الله خلـق الزهـر والورد لنراه ونحبه ونستمتع به دون أن نقطفه ٠٠

ــ وهكذا يذبل على أمه ٠٠

ــ وماذا فى ذلـك ؟ تذبـل الـوردة ويتساقط ورقها وتاكله الارض لكي تنبت وردا جديدا فى العام التالى ٠٠

فنظر الى طويلا ثم قال :

ــ قد يكون ما قلته حقا ايها الصبى ، ولكننا نحب أن ناخذ الزهور والورود الى بيوتنا لنزينها بها ٠٠

ــ لا بأس بذلـك على أن يقص الورد والزهر بمقص خاص ، وتؤخذ الزهرات باعناقها وتوضع فى زهريات فى البيت لتكون متعة للنفس والعين ٠



تتميز زهرة الدلبان ـ بانها تقف على سـاقها مسـتقيمة ، وكلها ذات ارتفاع واحد تقريبا ، وأنت اذ تنظر اليها تشهد فى هذا المشـهد البديع الذى يسمونه بساط التيوليب ، فى هولندا وكل بلاد أوروبا فى شهر مايو من كل عام ترى بسط التيوليب هذه فى كل شارع وكل ميدان وحديقة . ترى متى يتربى لدينا مثل هذا الحس بالزهور ؟



هذه الزهرة مشهورة جدا . وهى ترى فى كل بلاد اوروبا ، وهى موجودة عندنا ولكن نادرا ما يهتم الناس بها . وقد لاحظنــا ان الناس فى الغرب اذا كانت لديهم « بلكونة » حولوها الى حديقة اما نحن فنستعمل البلكونة مخزنا للاشياء التى لا نريدها ، اى اننا بدلا من الجمال نضع القبح فتامل .





زهور ونبات وأطفال وخضرة . فهذا هو ما تراه في هذه الصور الثلاث ، وهو أجمل ما في الطبيعة كما فطرها الله سبحانه . ننشرها متعة للعين والقلب .





غابات الصنوبر تزهر فى اوائل الصيف • ومنظر الغابة في موسم الازهار شيء يسبي العقول جمالا كما ترى فى الصورة • الزهور الوردية تبدو وكأنها سحابة من الجمال تغشى الغابة كلها • هذه الزهور لا تعيش الا اياما ، ولهذا فان هذه الصورة نادرة • بعد ايام تنفض الاشجار عنها زهورها وتتساقط هذه على ارض الغابة لتأكلها الارض • رائحة هذه الزهور بديعة نفاذة حتى أن الكثيرين لا يتحملونها وخاصة من يعانون من الحساسية •

ليس فى الدنيا أجمل ولا أمتع من روض زانته جواهر الزهور ، وأجمل من زهور البستان الذى تزرعه تلك الزهور البرية التى يطلعهـا الله من الارض على سجيتها دون تكلف ، وفى بلادنا ـ بلاد العرب جميعا ـ زهـور برية فى غاية الجمال والابداع .. رأيت هذه الزهور تغطى الارض بساطا بعد المطر القليل . رأيتها زاهية الاوان حلوة المنظر كأنها بساط من صنع الطبيعة الجميلة . رأيتها فى الحجاز وفى الرياض فى وسط نجد وفى الكويت وفى قطر ورأيتها فى ايران فى نفس الاماكن التى يدور فيها القتال اليوم . ورأيت بساطها ممتدا الى همدان واصفاهان حتى طبس وقم .. ورأيتهـا فى صـحرائنا الغربية فى مصر ، وفى ليبيا والجزائر حتى ساحل المحيط .. وجدت معها الزقاق الى الاندلس ..



***

نبات وزهور ، هذا هو ما تضمه هاتان الصورتان وهما تعبير ناطق عن اجمل ما تقع عليه العيون .

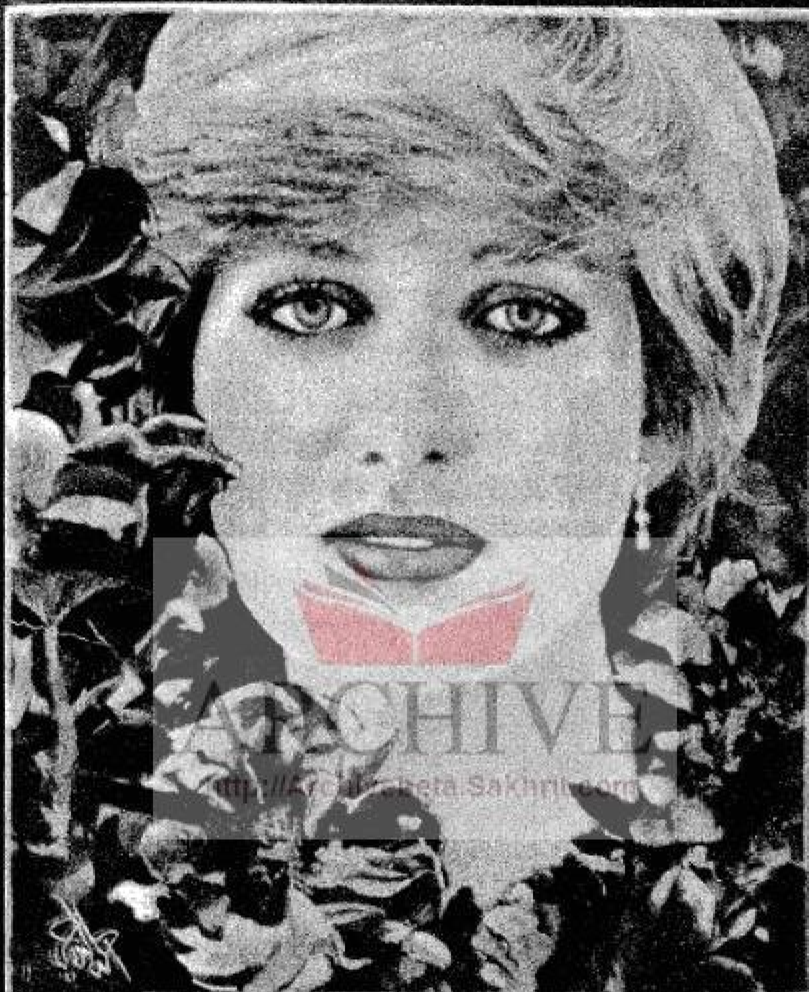
تريد أن ترى بعينيك وتلمس بيديك قدرة الله تعالى ؟ فانظر الى هذه البسط من الزهر الجميل ..



ان الوانها فتنة : بنفسجية أو برتقالية أو صـفراء فى الغالب وهن مواطنـات معنا فى العالم العربى ، ولكنهن مواطنات مسالمات لا يعرفن الحرب ولا النزاع ولا الازمات ، وهن يطلعن فى الربيـع بعـد المطر ويغطين الارض بجمالهن ، ثم يذبلن وتذروهن الرياح ، وتدب الحيـاة فى الرمال فتصبح بسطا أخضر مرة أخرى فى الربيع ..

هذه السطور دعـوة لحب الزهـور والعناية بالزهور .. وقد زينا دعوتنـا هذه السطور بصفحات من جمال الزهر .. زهـر النبـات وزهـر البشر وهن الصبايا المشرقات الوجوه .. فما رأيك ؟

● د . حسين مؤنس ●



عرس فاتنة الدنيا
وحسناء الزمان

لا تطرب الجماهير لشيء كما تطرب للأعراس ، فما بالك بزفاف الأمير على فاتنة من فاتنات العصر والأوان

المساء .. الصباح !

يسع الارض فؤادى
فافتحى الصدر لعطر الكلمات
وافتحى القلب لنارى ورمادى
فانا منذ المساء
وانبثاقات المساء
لم يعد قلبى ملكى
فاشهدى لى يا ربيع الارض ميلاد الحياة ؟

●●●

دق فى الصمت الوتر
وارتمى حبا ، قمر ..
قبل : ما خطبك قل لى
اقبل البحر وفر
فتح الورد بابريق الشتاء
انه الحب وفى الحب الرجاء
فافتحى الصدر اطل
ان فى القلب المساء
يتهادى مبحرا نحو الصباح
قلت ، هذا الورد يذوى فى الجراح
هذه الاحلام من بعض شظايا
لامانى فؤاد وفؤاد
دندنى خضر حكايا
تغسل البؤس وتمضى للصباح
فافتحى القلب لنارى ورمادى
ففؤادى اليوم تاريخ جديد
ليس الا الكلمة العذراء
تاتى بالعزاء
تعد الحقل بانفاس الورود
تعد الورد باسراب الفراش مع الصباح

● مصطفى النجار ●
● سورية ●

بالاداس

شاعر من الاسكندرية

● ماهر شفيق فريد ●

● من المجلات الادبية الانجليزية التي تصدر في لندن منذ ثمانية عشر عاما مجلة فصلية عنوانها «اجندا»

.. وفي العدد الاخير من هذه المجلة نجد قسما خاصا عن الكلاسيات به ترجمات جديدة لمقتطفات من الادباء الاغريق والرومان : مشهد موت هكتور في الياذة هوميروس ، واعمال للشاعرة سافو ، والكمان وملياجر ، وكاتولوس وقصائد معزوة لفرجيل ، وبترونيوس وستاتيوس ، وهوراس ، وتيبولوس ، والشاعر الامريكي ازراباوند في صلته بالعروض اليوناني ، وقصيدتان للشاعر بيترليل من وحي قصة اورفيوس وزوجته يوريديكي ، فضلا عن مقالة بقلم همفري كاوكاس عنوانها « خط بالاداس » سوف نلقي نظرة عليها هنا.

كتب كلوكاس مقالته بمناسبة صدور كتاب عنوانه « قصائد من بالاداس » اختارها وترجمها وقدم لها توني هاريسون يقول كلوكاس : ان ابيجرامات بالاداس نتاج لظروفه . فهو اذ عاش في مدينة الاسكندرية في القرن الرابع الميلادي قد شهد التدمير الحقيقي للوثنية التي كان من المؤمنين بها . أو على حد قول الاله هرقل ، وقد انزل من قاعدته ، في احدى قصائده :

لست استطيع ان اشكو
فرياح التغير تهب ياصديقي
وقد اصبح الهك ديكا يومىء الي
الى اتجاه الريح .

ولكن هذه الرياح لم تجذب الشاعر . ويزيد الطين بلة أن امرأته تضايقه ، مما يجعله كارها لجنس النساء . ثم انه كان فقيرا يعتمد على الاغنياء في كسب معاشه كمعلم . ولم يكن يضمر لهم كبير احترام :

حسبك ان تنظر اليهم : اولئك
الأغنياء عديمي الحياء
كيلا تشعر بالأسى على انك لا تملك
دانقا .

والحق انه كان متشائما كاملا ، حسه بالفكاهة من نوع اقرب الى القنوط . انظر الى قوله :

يأتي العذاب من التفكر في الموت
حتى اذا غدا المرء يبطن الأرض
مضطجعا ، فقد كل تلك الأوصاب .
انما البكاء على الموتى مضيعة للانفاس
فهم سعيدو الحظ ، اذ لا يمكن ان
يموتوا مرة اخرى .

وترجمة توني هاريسون لهذه القصائد تتسم بالثراء والحيوية ، وان كانت لا تخلو من نقاط ضعف ، كان تلزمه القافية باختيار كلمة قد لا تكون هي الكلمة اللائقة تماما . بيد أن ترجماته عموما ممتعة . حتى بالاداس المسكين يبتسم له الحظ احيانا .

● **فان جوخ :**

ومن هذا الشاعر السكندرى مولدا، اليونانى لغة ـ ننتقل الى الرسام الهولندى فان جوخ كبير ممثلى الانطباعية فى القرن التاسع عشر . ففى مجلة « نيويورك رفيو أوف بوكس » نجد مقالها عنوانها « كلمات فان جوخ » بقلم جون رسل ، وموضوعها كتابان ظهرا حديثا : « الرسائل الكاملة لفنسنت فان جوخ » فى ثلاثة اجزاء صادرة دن جمعية نيويورك ، و « رسائل فان جوخ فى الفترة ١٨٨٦ ـ ١٨٩٠ : صورة طبق الأصل » مع مقدمة بقلم ف.و. فان جوخ، ابن أخى الرسام، فى جزئين.

يقول كاتب المقالة : لا يكون فلوبير هو فلوبير حتى نقرأ رسائله الى عشيقته لويز كوليه . ومع ذلك فقد توفى فلوبير فى ١٨٨٠ على حين لم يظهر النص الكامل لرسائله الا فى عام ١٩٢٦ . ستكون هناك دائما حالات للتأخر فى نشر رسائل الادباء والفنانين على هذا النحو . وبالمقارنة بما حدث فى حالة فلوبير ، نجد أن تحرير ونشر رسائل فان جوخ الكاملة لم يكلف الدارسين مثل هذه المشقة . ان اغلب رسائله « حوالى ٦٥٠ من بين ٧٥٠ رسالة » مكتوب الى اخيه ثيو الذى حافظ عليها وكان لاخيه محبا . وقد فعلت زوجة ثيو، وهى عروس شابة سرعان ما صارت ارملة شابة ، كل ما يمكن ان تطلبه منها لكى تحافظ على هذه الرسائل . **وعندما توفيت البت ابنها ف.و. فان** جوخ المولود عام ١٨٩٠ انه قيم مثالى على هذا التراث . ففى ١٩٥٣ اقترنت الذكرى المئوية لمولد الفنان بنشر كل رسائله التى كانت معروفة آنذاك ، الى جانب كل الرسوم التى كان احيانا يضمنها خطاباته .

كان هذا النشر مسألة عائلية . فان مدام ثيو « واسمها قبل الزواج : يوهانا فان جوخ بودجر » قد قامت بفرز الرسائل وترتيبها وكتبت لها مقدمة عن حياة الرسام ما زالت مصدرا اساسيا لما نعرفه عنه . وقد ترجمت حوالى ثلثى هذه الرسائل الى الانجليزية قبل وفاتها فى ١٩٢٥ ، وتولى ترجمة الثلث الباقى دارس هولندى هو دى دود كان موضعالثقتها وفى طبعة ف.و. فان جوخ للرسائل نجد رسائل ثيو الى اخيه ، ومجموعة ذكريات عن الرسام ظهرت ـ باللغة الهولندية اساسا ـ فى عدد من الدوريات بعيدة المنال .

ان مجموعات رسائل الفنانين صعب الابقاء عليها متوافرة وصعب جمعها ، فمراسلات المصور الفرنسى يوجين دى لاكروا على سبيل المثال واحدة من الكتب المطبعة غير المقروءة . وعندما نفدت الطبعة الانجليزية القديمة من رسائل فان جوخ ، وجد أن اعادة طبعها ستكون باهظة التكاليف ، لم يكن ف.و. فان جوخ يحمل اسم عمه عبثا ؛ وقد صمم على أن تكون رسائل عمه متوافرة لاكبر عدد ممكن من القراء بسعر معقول . ومن ثم تقرران تطبع كل كلمة من الرسائل كاملة ! على أن تستبدل باللوحات الملونة لوحات باللونين الابيض والأسود ، واقلالا من التكاليف . وتتكون هذه الرسائل بصورها الراهنة من اكثر من مليون كلمة كل كلمة فيها جديرة بالقراءة . تختلف رسائل فان جوخ عن اغلب الرسائل التى من نوعها فى أنها تكاد تكون حديثا متصلا بين شخصين هما مادة المصور وشقيقه ثيو . هكذا كان كل منهما يعيش معتمدا على الآخر الى الحد الذى نجد معه ان هذه ليست رسائل بالمعنى المتعارف عليه قدر ما هى يوميات تصادف ان ارسلت بالبريد . لقد وضع فنسنت ذاته كلها فيها دون تحفظات فجاءت فى آن واحد مستودعا لأعمق مشاعره ومصدر الثبات لم يتوافر فى اى ناحية اخرى من حياته . انها لم تكن مجرد حلية فى حياة عيشت بعمق ، وانما كانت هى الحياة ذاتها فى نظره ...

●●

الكوخ الخشبي

● أليفة رفعت ●

نزلت من العربة في ميدان السيدة نفيسه ،سار السائق وراءها ،استدارت اليه واشارت بيدها تامره بالرجوع ثم تقدمت وحيدة ..

توقفت عند باب المسجد ، ترحمت على الميت وقرات الفاتحة لسليلة الرسول ، ورفعت عينيها الى السماء المكتظة بالسحب تتشكل تكوينات يخيل اليها انها ترى فيها وجهه .. فكرت أنهم لابد وانهم صلوا عليه في داخل المسجد قبل ان يدفنوه . ترددت ، هل يجب عليها ان تدخل وتصلي ؟ كانت توصيه دائما ان يتجلد حين موتها ، لم يجل بخاطرها أبدا احتمال أن يموت قبلها ..

كان لا يزال حيا حتى هذا الصباح . وتناول الافطار وخرج لمدرسته . قبلها قبل ان يخرج ووخزت الشعيرات النابتة في شاربه كزغب الكتكوت شفافها فضحكت للبشرى . لم يلق اللذة بعد وكان يحدق في النساء بفضول . كان يقدسها ولم يخطر على باله انها قد تكون مثل الاخريات .

كانت تؤجل مصارحته بالحقيقة حتى يتم تعليمه ويستقل بحياته ، ولكن هل تعرفها هي ؟ وهل عرفها هو الآن ؟ هل في وسعه أن يعود ليقول لها ؟

حين عاد بعد خروجه بقليل كان محمولا على الأكتاف وقد داهمته سيارة ولفظ انفاسه بين ذراعي زوجها .. ولم ينطق ، وانما أجال بصره باحثا عنها وشملها بنظرة شوق حنون . لم تستطع الاقتراب منه ،وماتت رغبتها في احتضانه تحت وطأة السؤال الذي عاد يسوطها بعنف بعد أن حاولت التملص من قسوته طويلا ..

تخلخلت ركبتاها وهي تتقدم الى يسار المسجد وتطويها ظلال العطفة المسقوفة .. ارتج خداها كزلال بيضة مكسورة ، فشدت اطراف غلالتها تحبكها حول وجهها كانما لتمنع تقاطيعه من الانسكاب مع دموعها المنهمرة . جرجرت اقدامها على الارض البلطة بحجارة كبيرة فثارت زوابع تراب صغيرة نفذت الى ساقيها من خلال الجوارب وردمت حذاءها بمسحوق ناعم أبيض تتناثر من بين أقواس الحائط القديم يحجب مقابر مندثرة ربما هو المتبقي من ناس عاشوا من قبل على وجه هذه الارض !. كانت على وشك أن تحك ساقيها للمتسه حين طوقت ذراعين ساقيها لتمنعها من السير ، وتعثر جسد متسولة أمام اقدامها وكأن كومة هلاهيل مسندة الى الحائط . ارتفع اذان المغرب وطرف الفخذ المقطوع يبرز في العتمة والرأس المعصوبة العينين تنشق عن فجوة الفم صارخة :

— ربنا يصبرك ويعوض عليكي !

هبت نسمة باردة لها رائحة من بين الاقواس فسرت برعشة موجعة في جسدها . هل رأتهم العمياء وهم يمرون بنعشه من أمامها بعد صلاة العصر ؟ وهل ظلعت وراءهم وشاهدتهم وهم يغيبونه في القبر ؟ كيف علمت أنه أبنها الوحيد ؟ أخرجت من حقيبتها بضعة قروش ودستها في كف المتسولة

ففكت ذراعيها من حول الساقين وتكومت لصق الحائط .

اخرجت منديلها وثبتت عينيها فى محاجرها بضغطات متتالية ومسحت الدموع من وجنتها وطرف انفها وعادت تسير .. تجمع حولها عيال يمدون ايديهم بالسؤال .. لو لم تكتم سرها لربما عاش مثل هؤلاء . اخرجت قروشا اخرى ونثرتها عليهم . فاختفوا .

لم تجد قبل اليوم جدوى من الاعتراف . حتى هو ، ذلك الرجل صديق زوجها ، ذلك الذى يلاحقها برغبته ، ويبذر التمرد فى نفسها من احوال زوجها ، ويغذيها باخبار مجونه ونزواته مع اخريات حتى خلخل اطمئنانها واستقرارها ببيت الزوجية . وشككها باحتمال انهياره ، واشعل شيطان الغيرة ، فظنت انها باستجابتها له منتقمة لكرامتها تمد جسر امان لمستقبل افضل مع هذا الرجل لو تركها زوجها . حتى هو حين اخبرته بحملها وانها لا تدرى من منهما الأب الحقيقى - قال ببرود :

- ان القانون يعتبر الطفل ابن الفراش الشرعى .

فذهبت كلماته بمتعة النزوة والعاطفة التى حركها ، وبقى الندم والسؤال الرهيب عفريتا شوكيا متغلغلا فى خلاياها يخزها فى ليالى السهد الطويلة ليال طويلة متعاقبة لاعوام ممتدة بعمر ابنها الذى رحل اليوم ورقد فى مدفن العائلة . وما تحملت الصبر الثقيل كل هذه السنين الا لتحتفظ له بباب وبيت ..

وكثيرا ما تاملت تقاطيعه ، وهو بين ذراعيها طفلا ، وراقبت نموه صبيا ثم على اعتاب الرجولة متفرسة فى ملامحه لعلها واشية بالشبه لاحدهما ، ولكنه كان يشبه الزوج فى متانة اطرافه ، وان كانت لماته ارق ، اما عيونه فكانت عسلية واسعة كعيونها هى ، واما شعره وجبينه فتحمل سمات الآخر الذى اختفى من محيط العائلة .

قلبت شفتيها حين عاودتها ذكراه وارتد الاحتقار لنفسها اكثر من احتقارها له ، ولكنها ظلت طوال هذه الاعوام معتكفة ببيتها عاكفة على تربية ابنها وخدمة زوجها ومن الغريب ان زوجها رجع عن مجونه بعد أن رزقا بالولد فصار كلفا به بجنون يرعاه ويلازمه دائما . ولكن لم تكن تظن انه يحبه للدرجة التى يرفض فيها العود مع المشيعين بعد دفنه وقد رجعوا بغيره يخبرونها انه متهالك على القبر ينشج كالاطفال مصرا على أن يبيت ليلته بجواره يؤنسه بعد أن قام المقرئين وانفض الناس ..

جاءت لتقول له السر وتنفضه عن كاهلها بعد أن ناءت بحمله طويلا ، لترحم نفسها من العذاب وترحمه من الحزن العميق الذى قد يخففه علمه بالحقيقة . ولتحمله على الرجوع . فما عادت تبالى بأن تستمر حياتهما معا بعد موت الولد ولكن لا تريد ان يلحقه الضرر اكثر من ذلك .

تنهدت فى توجع وهى تخطو لداخل الكوخ الخشبى الذى اقامه الجد الاكبر حول قبر النساء وقبر الرجال وقبر الصدقات محددا ملكية حوش المدفن . بقى الكوخ يقاوم الفناء اجيالا وان تقشرت الياقه بفعل الزمن .. انحطت بجوار الرجل المنهار على الارض بجوار القبر الذى تبللت تربته المردومة وتصاعدت منها رائحة اشبه برائحة مهد الولد عندما كان وليدا . وارتفع نواح الرجل حين شعر بوجودها والقى راسه على كتفها . قالت تغص بدمعها شد حيلك لازم اقولك الحقيقة

- ارجوك ، اسكتى فانا اعرف

قال وهو يشد بذراعيه عليها ويمسح دموعه بصدرها ...

اجفلت وانهمرت دموعها واغمضت عينيها والظلام يبتلعها فامالت راسها عليه

●●

الانسان
والمنعطف الخطر

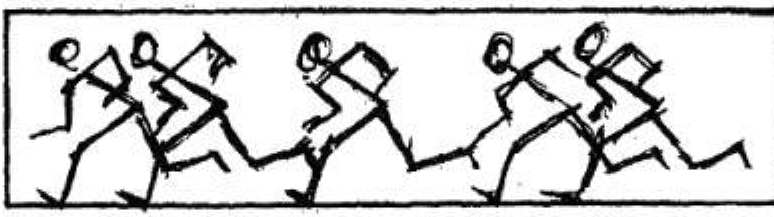
● طه . م . كسبه ●

● لعلنا نستطيع القول دون أن يواجهنا ادعاء التجني على الحقيقة ، ان ايقاع العصر الراكض قد قلل من فرصة الانسان في التفكير الواعي ، وحرمه من نعمة التامل الهادىء في الكون والطبيعة ، بحيث يمكن القول ايضا ان التقدم العلمي والتطور التقني الذي احرزه الانسان في ارجاء المعمورة في اغلب الاحيان ، اصبح عائقا يحول بين الانسان وبين تنمية مداركه وفكره ، وعقله اللاهث وراء كل جديد في عالم الابهار التكنولوجي ، كما لم يدع للانسان فرصة البحث التامل في أوجه النقص الفكري والثقافي في حياته وحياة هذا العالم من حوله ، والذي اصابه نفس الداء .

ان هذا يعني حرمان الانسان — في مجمله — من محاولة دراسة مايحدث من تطور وتقدم يصيبه العالم على الصعيد العلمي والاقتصادي والسياسي ويعني كذلك فقدان الانسان . وهو في مسيرته الانسانية هذه من نعمة تحقيق التوازن بين نفسه وروحه، بين المادة التي تشكل منها وبين الروح التي وضعت فيه بين عقله وقلبه ، وبين عواطفه وتفكيره ، بين متطلباته النفسية واحتياجاته البدنية ، باختصار شديد — ايضا — تحقيق التوازن بين المتغيرات فيه والثوابت ، وهذا في اعتقادنا اخطر مايتعرض له الانسان في العصر الحالي.

ذلك ان الظروف التي يمر بها الانسان في عصرنا الراكض هذا، تحول بينه وبين الاستقرار النفسي والروحي الذي ينشده ويحاول تحقيقه .

فالصفاء الذهني والراحة النفسية والاستقرار الوجداني ، اصبحت معاني وافكارا مجردة مطلقة ، وبالتالي فانها فقدت مدلولاتها التي كانت تعني للانسان الكثير الكثير من حصاد الاعوام والسنين التي عاشها على سطح الارض وانجز فيها كل هذه الانجازات العظيمة التي استحق عليها جدارته في العيش والبقاء ، وتاكيد هذا الوجود بالمزيد من



الانجازات البشرية على سطح الارض وفى الكون الواسع .

كما ان محاولات الانسان المتكررة لتحقيق المعادلة الصعبة بين ما يريده وبين مايقدر عليه ، هى فى ذات الوقت اعلان من المجتمع البشرى كله بالعجز تجاه مايواجهه الانسان اليوم من متاعب واحن تهدد مسيرته وتقلل من فرص النجاح التى من الجائز ان يحققها وهو فى صراعه مع الكون والطبيعة .

وكل الذى استطاع ان يحققه الانسان مجرد بعض النجاحات المحدودة هنا وهناك، تفتقد جميعها الاصالة والصدق ذلك ان الذى يستطيع الانسان ان يحققه فى مجال العلوم — على سبيل المثال — يفقده فى الجانب الاخر ما حققه سابقا من مقومات وقيم وملكات ، بمعنى أن الانسان وهو فى مسيرته العلمية المتقدمة راح يقدم تنازلات كثيرة سرفها عنه — واصبح فى مقابل ان يحصل على هذا التقدم العلمى والاستفادة منه الى اقصى حد ، راح يفقد الكثير الكثير من مجموعة القيم والمكتسبات والامكانيات الذاتية التى حققها من قبل طوال مسيرته البشرية على سطح الارض .

ولم يستطع الانسان ان يمتلك سوان يستفيد من — هذا الجديد فى عالم العلوم الكونية التطبيقية ، وفى ذات الوقت يظل محافظا على مالديه من قيم وملكات بذل من اجلها الحياة فى زمن سابق على زماننا .

واذا نحن حاولنا تدقيق النظر فى التجربة الانسانية وان نرصد محصلة هذه المسيرة — على الاقل — فى زماننا الحالى ؟ لوجدنا ان الانسان حتى فى مجالات العلوم الانسانية والنظرية وفى جانب القيم والملكات والمبادىء التى تمرس عليها الانسان واصطلح على احترامها وتقديسها . داس عليها جميعا ..

صحيح ان المسيرة الانسانية على مدار التاريخ ، شهدت انتكاسات عظيمة ، كما شهدت انتصارات باهرة، الا ان الانسان راح يبذل جهدا مضاعفا حتى لا تحتويه هذه الانتكاسات العظيمة التى حدثت له وتجذبه الى الوراء وتقلل من فرصته فى توكيد انتصاراته على الطبيعة والكون من حوله .

لكن يبقى علينا بعد كل هذا ان ندرك ان اهم ماينبغى ان يحرص عليه الانسان وهو فى مسيرته او نضاله هذا الذى فرض عليه ضد الطبيعة — توكيدا العديد من المعانى والقيم التى ابرزها وجود الانسان وافضليته على كثير من المخلوقات — القول ان اهم ما ينبغى ان يحرص عليه الانسان ، هو تحقيق التوازن بين الجانب الثابت فيه والجانب المتغير ، بين المادة والروح فى هذا الكيان الواحد الذى يمثله الانسان

ترى هل يستطيع الانسان ان يحافظ على هذا التوازن بعد ان يحققه ؟ كيف يستطيع الانسان ان يحقق هذا التوازن بين نفسه وروحه ، او بمعنى اكثر شمولا كيف يستطيع الانسان ان يحقق التوازن بين جميع ملكاته النفسية والروحية والجسدية ، وان يجمع بينها فى ان واحد ، وان يمسك بها جميعا حتى يحقق ما امكن ان نصطلح عليه بالتوازن والاستقرار الذى يستطيع به ان يواجه متغيرات هذا العصر، وان يواجه به الحقائق الجديدة التى اصبحت بوجودها متغيرات هذا العصر، وان يواجه الانسان الجديد فى عصر اسميناه من قبل « العصر الراكض » .

رسالة كان

تقدمها : ماري غضبان

الجلد

كتاب مثير وفيلم أكثر إثارة

● « الجلد » ، أغرب فيلم ، لأغرب قصة ! ..

ثار حوله جدل كبير ، فى قاعة العرض وبين صفوف الرواد فى مهرجان « كان » الرابع والثلاثين .. منهم من صفق طويلا ، ومنهم من تذمر ولم يعجبه الفيلم ..

وما حدث عند بداية ظهور « الجلد » كقصة ظهرت فى الأوساط الادبية منذ ثلاثين عاما .. للكاتب الإيطالى « كورتيو مالابارتى » .. فلقد احدثت القصة ضجة كبيرة آنذاك ، واتخذت منها الكنيسة الكاثوليكية موقف المعارض ، مع تحريض القراء على عدم قراءتها ..

والكاتب الإيطالى « مالابارتى » كان شخصية غريبة تجمع المتناقضات .. فى بداية حياته كان منتميا فكريا وسياسيا الى الحزب الفاشى التابع لموسولينى ، ثم اتجه بعد ذلك الى حزب المعارضة ، ثم مال الى الشيوعيين ، لينتهى فكره عند المذهب الكاثوليكى .. ولعل فى هذا التحول الفكرى والسياسى من حزب الى حزب ما جعله يجمع فى شخصه أفكارا متناقضة غريبة ومثيرة للتساؤلات ..

اسمه الحقيقى « كورت ايريك سوكرت » ، والده ألمانى الجنسية ، تركه مع أحد الفلاحين فى شمال ايطاليا ليقوم بتربيته ورعايته - لاجل هذا فهو يعتبر نفسه ايطاليا ..

ومن هناك جاءت تسميته بـ « مالابارتى » اشتقاقا من اسم « نابليون بونابارتى » ..

وعندما سأله ذات يوم موسولينى عن السر فى هذا الاسم ، قال .. ان نابليون بونابارتى قد انتهى فى حياته نهاية سيئة ، أما أنا فاسمى « مالابارتى » لكننى سأنتهى نهاية سعيدة !

التحق بالجيش الفرنسى اثناء الحرب العالمية الأولى . وحقق عدة بطولات نال عنها نياشين عديدة ، ولكنه اضطر لترك الخدمة العسكرية لاصابته فى الحرب باصابات بالغة .

ولم يجد عملا له سوى اقتحام مجال السياسة والثقافة ، فانضم الى موسولينى يناصره فكرا ورأيا الى ان جاء عام ١٩٢٩ فانقلب ضده انقلابا كبيرا حتى انه اطلق عليه لقب « الحرباء » ! وبسبب عداوته مع موسولينى اضطر ان يترك البلاد ، ويرحل بعيدا ، الى ألمانيا .. وعاش بها فترة ..

وعندما أراد أن يعود مرة ثانية الى ايطاليا قبضوا عليه عند الحدود الايطالية « وحددوا اقامته » ، حتى لا يباشر أى عمل سياسى ضد الدولة . الى ان جاءت الحرب العالمية الثانية ، فخرج من عزلته



احد المشاهد القذرة فى فيلم « الجلد »

ليعمل كمراسل حربى لايطاليا فى باريس ثم عاد الى ايطاليا بعد الحرب ليقيم بصفة دائمة فى منزله بجزيرة كابرى .

● اسلوب واقعى وصريح ●

كتب فى عام ١٩٤٩ قصته « الجلد » التى تعتبر من أشهر مؤلفاته .. مع كتابه الآخر « كابوت » أى « مكسور » والسمة الغالبة على أعمال « مالاباراتى » تعالج مشكلة الحرب ، والاحتلال ، والظلم .. ويقول هو « ان الناس لا يحاربون من أجل الكرامة أو الحرية أو العدالة ولكن من أجل الجلد .. ! »

وبعد حياة حافلة بالكتابة والتأليف والمواقف السياسية ، مات « مالاباراتى » عام ١٩٥٧ وعمره ٥٩ عاما .. متأثرا بجراحه التى أصيب بها أثناء الحرب .

والفيلم المأخوذ عن « الجلد » .. اسما وقصة .. تدور أحداثه عام ١٩٤٣ ،وفيه يبرز الكاتب والمخرجه تناقضين واضحين فى مدينة «نابولى» حيث الفقر ، والازدحام والدعارة ، والرشوة ، والسوق السوداء .. كل هذا ومعه ، احتلال الجيوش الأمريكية لها .. وادخال أشياء جديدة للمدينة ولاهليها مثل « اللبان .. الجوارب النايلون ،السجائر .. موسيقى الروك اندرول » .. ومع كل هذا تهالك الاهالى على هذه الاشياء للحصول عليها ، الى أن يبيعوا كل شىء حتى أنفسهم !

والفيلم يبرز صدام ثقافتين وعالمين ، معا .. العالم اللاتينى العريق ، والعالم الامريكى الجديد ، بما فيه من ظواهر قد لاتستحق الاهتمام ..

ابرزت المخرجة هذه الاحداث بأسلوب واقعى وصريح ، ولم تغفل عن مشاهد القذارة والانحطاط الخلقى ومشاهد الدماء والعنف .. الامر الذى جعل المشاهدين يتركون الصالة أثناء عرض الفيلم ، رغم أن كل تلك الاشياء تضمنتها أحداث القصة الاصلية ..

واسندت أدوار البطولة الى «مارشيللو ماستروياني» .. الذى يقوم بدور ضابط فى الجيش الايطالى ، و « كلوديا كردينال » فى دور اميرة ايطالية ، و « بيرت لانكستر » فى دور « لواء » بالجيش الامريكى ، و « كين مارشيل » فى دور « ضابط شاب » فى الجيش الامريكى . و « الكسندر كينج » فى دور « ضابط طيران » فى جيش الاحتلال وتنتمى الى عائلة ثرية من « بوسطن » .

اختيار هذه الشخصيات وادوارها المتنوعة والمتناقضة قد ساعد على نقل الاحداث الاصلية بصورة أكثر صدقا وواقعية ..

الصّمت فى شتاء حزين

● محمد كمال محمد ●

● الطريق كانت تطول أمامي .. وددت لو امتدت اكثر ، فاللحظة التى اخافها تدنو كئيبة قاسية .. غـريب فى البيت بوحدتى ، البيت غريب ، أنا فيه وحدى ..

كان حلم الليلة الماضية امامى : « كنت اعبر القنطرة المجهولة ، كانت تمتد امامى وعنـدما بلغت منتصفها انتشرت حول سحب دخان سوداء ، توقفت لا استطيع نقل قدمى .. ارتفعت وسـط الدخان مدخنة قاطرة قديمة ، تصاعد نشيشها بينما تتقدم نحوى ، تراجعت مرتعبا .. نظرت تحت قدمى ، ليس ثمة قضـبان تدرج عليها القاطرة ، لكنها تقترب منى التحيت جانب السـور الحجرى بينما كانت القنطرة تستطيل خلفى وتمتد فى البعيد .. كنت أريد فى هذه اللحظة ان أنام ! .. كانت الرغبـة قـوية لا يمكن مغالبتها : لابد أن أنام .. ألقيت بنفسي جانب السور وتمددت .. كنت أود أن أثنى ساقى لاستريح ، لكنى كنت اشعر باقتـراب القاطرة ، وكنت ادرك أن عجلاتها الرهيبة ستلتهم سـاقى لكنى ظللت راقدا مستسلما .. »

كنت عائدا من دار اللغـات لتـوى حزينا .. هناك كانت المدرسة الرقيقة تلقننى كلمات الفرنسـية لاتعلمها ، لم يكن الامر فى الحقيقـة يعنينى تماما ، كانت عيناها تمد لى الحبـل فى قـاع احزانى .. تضخ الدم فى أوصـالى التى أيبستها الوحدة الموحشة .. كنت أتوجع وأود أن أقول لها ، ذهبت ابنتى . كنت احبها وكانت تحبنى .. كانت تعـرف انى بحاجة لبقائها معى .. لا أدرى ماكنه ذلك الشيء الذى هربت لاجله وتركتنى وحيدا .. أود أن أصرخ « لماذا شاءت أن نفترق ؟! »

كنت أريد أن أتكلـم معهـا كثيرا عن نفسى ..

عندما ذهبت اليها اليوم ، قالوا انها انتقلت للمدينة التى التحقت هناك حملت اللوعة فى قلبى ومضيت ..

●●●

اقترب البيت ..

وسط الشارع ارتفع صراخ أطفـال فى مواجهة كلب شرس ، طاردت الكلب المهاجم ، صحت فى الاطفال بلهفة مشفقة: « لا تخافوا .. اذهبوا الى بيوتكم ... روحوا ! »

عندما صـعدت السلم كنت أنظـر الى أبواب الشقق فى توسـل ، متمنيا أن ينفتح أحدها عن ابنتى .. كان ذلـك يحدث عندما تنزل لزيارة فى غيبتى حتى أعود ..

هناك كانت اللافتة المضيئة تستوقفنى السهم المشير الى الدار ومحادثة ومعايشة .. التفت حـول الهـدف الحقيقى لاختبىء من وحدتى .. كنت أحسـها بعـذوبة عينيها وصـوتها الطليـق بالفرنسية ، تتنفس داخل ، تتنقل فى حجرات البيت معى ..

انفتح الباب عن ظلام الصمت ..

اجتزت الممشى الضيق الى حجرتى .. أميال من الوحشة . تساوت الايام عندى

مقعد ما ، ينهض ، يمشي ، يطلق أنفاسه لتحيطني ، صوته البشري يحتضنني ..

عندما ينزف الجرح ويشتعل الألم ، أود لو كرهتها لعلي أستريح .. لكني أحس بالانهاك لعجزي عن احتمال الكراهية ..

قالت زوجتي في خطابها من البلد البعيد : « ماذا جنيت لقاء حنانك ؟ همك الصباح والمساء وعذابك هي .. اذكر لها آلام السنوات .. لكي لا يتجدد بفعلتها وبعدها عذابك .. كم انت تكره الكذب ، كانت تعرف .. لكنها لا تقلع عن أكاذيبها لتثير غضبك ، تصب عليها لعناتك ، ثم تتألم بإحساسك الرهيف ، ولا يمضي الليل دون أن تترضاها ، متقبلا دور الضحية ، بينما تمتلىء بالمرارة ! » ..

قامت بيني وبينها الجدران ، سترتفع أكثر لو عادت .. ابكيها مثلما ابكيك لبعدك .. فهل هناك وضعت رأسك على الوسادة واسترحت ؟

انت أكثر احتمالا للألم مني .. مع الاماكن الطيبة عندك تسكن النفس وتبرد الجراح .. في وقفتك هناك أشهدك تستقبلين الأبواب الطاهرة بالرحمة والحنان .. ارتعش بالجيشان الروحي ، تغشى عيني الدموع .. ارفع وجهي اناجي السماء ..

●●●

وعذابي معي لأجل التي رحلت عارية وسنواتي معك تتدفق في القلب النهار والليل لتهبني بالشوق ،وتوجعني بلوعة الوحدة ..

ليلة الامس التقى بها الحلم : « كنت اركب عربة غريبة الشكل ، لا أدري اين تسير بي .. كان هناك آخرون يملأون المقاعد ، بطول العربة كان المقعد الخالي مستطيلا على هيئة محفة .. صعدت ابنتي بظهرها ، دون أن تراني القت بنفسها على المقعد وتمددت راقدة ، مديرة وجهها الى جدار العربة .. في جوار رأسها كان ثمة رغيف التطمت من وجهه لقيمات فامتلات بالثقوب .. تلك طريقتها



عندما تأكل الخبز .. أردت أن أسألها : « كيف تعيشين ؟ » .. لكن فمي كان محشوا بالتراب ..

صحوت من نومي دامعا ، لأن العربة لم تبلغ بنا البيت ..

يقهرني برد الشتاء الحزين ، يزيد في كآبتي ، أتدثر بالثياب الثقيلة ، أبحث عن القفاز الصوفي الذي صنعته لي في أول شتاء لزواجنا .. كانت أصابعه البنية الدقيقة النسيج تطل لي الدولاب دوما بين ثيابي .. فأين ذهب ؟

ظل الصمت يحتويني شائكا موجعا .

كان نحيح الصنبور المقطوع الماء متواصلا لا يتوقف .. قبلا كنت لا أطيقه .. الآن لا أود أن ينقطع لحاجتي الى صوت ما ..

لفتني الوحشة داخل التابوت ..

سمعت نباح الكلب حادا .. الاطفال آمنون الآن في بيوتهم .

مع الامهات يتكلمون والآباء والاخوات .. ليس بالامكان ان اهرب ..

كنت أود ان اختبىء ، ولا مكان .. النباح بين قدمي .. والتابوت ينفتح ..

●●

تاريخنا الإسلامي بين التراث والمعاصرة

● عزت محمد ابراهيم ●

لا جدال فى ان مؤرخى الاسلام منذ الصدر الاول حتى ازهى عصور الاسلام قد صنعوا غاية مافى وسعهم فى حفظ هذا التاريخ وتسجيله والحرص عليه مما نجده فى آثار ابن هشام ، والطبرى ، واليعقوبى ، وابن الاثير ، وابن كثير ، وغيرهم مما يضيق عن ذكرهم المقام ..

والحق ان ذلك مبعث فخر لهم ولامتهم فقل بين الامم من حرص على تدوين تاريخه حرص الأمة الاسلامية ، فلم يدع مؤرخوها صغيرا ولا كبيرا الا اثبتوه ، وبلغ من حرصهم ودقتهم ان اسندوا الاخبار والمرويات الى اصحابها ثم عرضوها على ميزان الفحص والتمحيص بما عرف باصطلاح « الجرح والتعديل » والذى سبقوا به مناهج الدراسة الحديثة باحقاب طويلة .

ولكن الكثير مما كتبوه وحفظوه وسجلوه لا يتيسر الانتفاع به اليوم الا لقلة من الدراسين الذين يصبرون على لأواء القديم ومشقته ، وكان لابد ان تتجه الانظار الى الاغتراف من هذا القديم واسباغ ثوب المعاصرة عليه ، وقد اعان الله من اعان على ذلك فكان منهم : طه حسين ، والعقاد ، وهيكل ، واحمد امين ، وسيد قطب .. فكتب طه حسين مما كتب : على هامش السيرة ، والوعد الحق ، ومرآة الاسلام ، فحبب الى الناس قراءة التاريخ الاسلامى والانتفاع به وقربه الى قلوبهم ..

والف العقاد « العبقريات » فكانت فى الذروة من مؤلفاته ..

والف هيكل اسفاره عن « حياة محمد » و « الفاروق عمر » و « والصديق ابى بكر » ، فكانت فتحا فى التاريخ الحديث ..

ووضع احمد امين موسوعته الاسلامية « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » و « يوم الاسلام » فجلا بها ما كان غامضا وقرب بها ما كان بعيدا وجمع بها ما كان متفرقا فى مناحى شتى ..

أما سيد قطب فاذا ذكر فقد ذكر معه كتابه العظيم .. « فى ظلال القرآن » وبذوره الاولى فى نفسه « مشاهد القيامة فى القرآن » و « التصوير الفنى فى القرآن » ، وحسبه تقربا الى الله أن يكون له ذاك الذى قدمته يداه .

وذاك هو المعنى بالتراث والمعاصرة ، وهو جهد لا ينبغى ان يقف عند حد او يتوقف عند غاية ، فلا يزال أمام الكاتبين والدراسين والشعراء والمتفننين الكثير والكثير ..

واختار ـ مثلا على ذلك ـ صفحة واحدة مما جاء فى هذا التاريخ كتبها ابن هشام فى معرض الحديث عن غزوة تبوك وما كان من أمر « الثلاثة الذين خلفوا » ، وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع وهلال بن امية .

هؤلاء هم الثلاثة الذين خلفوا ، أما الغزوة ، غزوة تبوك ، فقد كانت امتحانا من الله عز وجل لايمان المؤمنين وايثارهم للجهاد فى سبيله على القعود والراحة والاطمئنان الى الدعة والهدوء .

فقد أمر النبى عليه الصلاة والسلام الناس بالتجهيز لغزو الروم ، وهم فى زمان عسرة وقد اشتد الحر وطابت الثمار فطاب لهم المقام الى جوارها يقطفونها ويستظلون بظلها .

وقد صرح الرسول عليه الصلاة والسلام بوجهته فى هذه الغزوة حتى يكون الناس على بينه من امرهم لما فيها من بعد الشقة وكثرة العدو وشدة مراسه ، وكان قبل ذلك يكنى بغزواته ولا يصرح بها .

واظهر امر هذه الغزوة حقيقة المنافقين

وحقيقة المعذورين من الاعـــراب وحقيقة ما تنطوى عليه صدورهم من غل وموجدة فقد دعا رسول الله الجد بن سـلمه للغزو ، فتعلل بالفتنة وخشـية عـدم الصبر على رؤية نسـاء بنى الاصفر ، وطلب الى النبى صلى الله عليه وسلم ان يأذن له في التخلف ولا يفتنـه ، وفيه نزلت الآية الكريمة : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جنهم لمحيطة بالكافرين » .

اما المنافقون فقد جعل بعضهم يشيع بين الناس الخـوف من حـرب الروم قائلين لهم : اتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم لبعض ، والله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الحبال ، واجتمـع البعض الآخر فى بيت سـويلم اليهودى يثبطون من همم الناس ويخـوفونهم من الخروج مع رسول الله عليه السلام .

وأما المعذرون من الاعراب فقد اعتذروا للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يعذرهم الله سبحانه .

وقد تخلف هؤلاء الثـلاثة عن غزوة تبوك وهم نفر صـدق لا ارتيـاب فى اسلامهم ، ما فى ايمانهم شائبة تشوبه . وانتهت غزوة تبوك بصلح بين الرسـول عليه الصلاة والسـلام والروم ، وعـاد الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة

وجاءه المخلفون يحلفون له ويعتذرون عن تخلفهم ، وجاءه كعب بن مالك وحدث هو عن ذلك فيما رواه ابن اسحق فقال :

« جئت رسـول الله فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ثم قال لى : تعالى فجئت امشى حتى جلسـت بين يديه ، فقـال : ما خلفك ، الم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قلت يا رسـول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرايت انى ساخرج من سـخطه بعذر ، ولقـد اعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضـين عنى وليوشكن والله ان يسـخط على ، ولئن حدثتك حديثا صـدقا تجد على فيه انى لارجو عقباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عـذر ، والله ما كنت اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنـك ، فقـال رسـول الله : اما هذا فقد صـدقت فيه فقم حتى يقضى الله فيك »

ومثل هذا كان أمر مرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، ونهى الرسول عن كلام هؤلاء الثلاثة فاعتزلهم الناس ، وجفاهم المسـلمون ، وكان وقع الامر على كعب شديدا ، فكانت عيناه تفيضـان بالدمع حين يرده الناس ، ومنهم ابن عمه قتاده وظلوا على ذلك جميعا خمسين ليلة حتى نزل الله فيهم قول الله عز وجل :

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذ اضـاقت عليهم الارض بما رحبت وضـاقت عليهم أنفسهم وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التـواب الرحيم » .

تلك هى القصة فى كتب التراث وقد تناولها قلم صانع للادب متمكن هو هلال الفاس فأنشأ فيها شعرا منه هذه الابيات:

جاءت الانبـاء ان المصـطفى
قد تـولى قافـلا فى المـوكب
فربا حـزنى وافنى جلـدى
وخزات فى الضـمير المدرب
كم اناس سـيلمون غـدا
فى اختلاق العذر عند الطلب
اهل اجاريهم فاتى فنـدا
ام لزوم الصدق اولى بالابى
وهنـا اشـتد صراع قائم
بين نفسى وضـميرى الطيب
عاملان اختلفـا واصـطنعا
حجبا توقدان نار الشـغب
واخيرا كان عـزمى اننى
الزم الصـدق ولو اودى بى
انا ان اكـذب على خير الورى
اعـرض النفس لادهى عطـب

ومثل هذا الذى انشاه الفاس سبق اليه حافظ ابراهيم فى قصيدته العمرية ولحق به بالكثير فى نفس الموضوع وعلى نحو اوسع واشمل ، والشاعر اللبنانى بولس سلامة فى الملحمة الشعرية « عيد الغدير » التى استغرقت ديوانا كاملا .

ان التراث الاسلامى لبحر زاخر ونبع ثر فياض ، وما قام به هؤلاء جميعا ان هو الا فيض من فيض ، وقطرة من بحر وما علينا الا ان نقلب صفحاته بايدينا وننظر فيها باعيننا وقلوبنا معا ، وستدر اخلاقه الكثير ، ويلهم بالكثير .

●●

عرض وتحليل لآراء

أهل المدينة الفاضلة عند الفارابي

● محمد الديباجي ●

من التعاريف الاولى التي عرف بها الانسان ، انه كائن اجتماعي بطبعه . ذلك لانه لا يستطيع ان يعيش في عزلة تامة عن الاخرين ، لان حياته مرتبطة بهم من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر ، ومن حيث يريد ومن حيث لا يريد .

فالناس للناس من بدو وحاضر بعض لبعض ـ وان لم يشعروا ـ خدم كما قال الشاعر القديم .

وهذه الفكرة هي التي بنى عليها الفارابي كتابه القيم « اراء اهل المدينة الفاضلة » . فهو يؤكد في مقدمة الجزء الثاني من كتابه ـ وهو الجزء الاجتماعي ـ ان « كل واحد من الناس مفطور على انه محتاج في قوامه ، وفي ان يبلغ افضل كمالاته ، الى اشياء كثيرة لا يمكنه ان يقوم بها كلها وحده ، بل يحتاج الى قوم يقدم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج اليه . وكل واحد من كل واحد بهذه الحال » ـ آراء اهل المدينة الفاضلة .

ولكن هذه العلاقة الحتمية لا يمكن أن تتم دائما على احسن وجه ، اذ ان الانسان جبلة متارجح بين الخير والشر .. وكثيرا ما يتمكن منه الشر وتستاثر به الانانية وحب الشهوات ، فيحمله ذلك على الاعتداء على الغير . لهذا اهتمت الشرائع السماوية ـ فيما اهتمت به ـ بتنظيم هذا التنظيم . وذلك بما وضعوا من قوانين ، وحثوا عليه من تمسك بالاخلاق ، وبما رسموا للانسان من سبل الخير والسعادة .

ولعل اشهر الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بهذا الموضوع ـ اي بتنظيم المجتمع بشكل يكفل للانسان سعادته ـ ابو نصر محمد بن محمد الفارابي «٢٥٩ ـ ٣٣٩هـ / ٨٧٠ ـ ٩٥٠م » . وقد تجلى هذا الاهتمام في مؤلفه الشهير « آراء اهل المدينة الفاضلة » .

فما فحوى هذا الكتاب النفيس ؟ وما ابرز الدوافع التي حملت الفارابي على تاليفه وما مدى تاثر الفلاسفة المسلمين بهذا الكتاب ؟ ذلك ما نتعرض له بايجاز في هذه السطور .

عرف الفارابي نفسه المدينة الفاضلة بقوله : « المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة . والامة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هي الامة

مجتمع إنسانى يتعاون أفراده فيما بينهم تعاونا طيبا يضمن لهم السعادة جميعا.

« أبو نصر محمد بن محمد الفارابي »

الفاضلة » .

فالمدينة الفاضلة اذن هي مجتمع انسانى يتعاون افراده فيما بينهم تعاونا طيبا يضمن لهم السعادة جميعا .

فهذا موضوع الكتاب . وقد قسمه الفارابى الى قسمين : قسم فلسفى ، وقسم اجتماعى . فعالج فى القسم الاول اهم المبادىء الفلسفية التى استقر عليها اذ تحدث فيه عن وحدانية الله تعالى وقدرته بذاته ، وعن الموجودات الاخرى التى هى فيض من الله ، وفى مقدمة هذه الموجودات الانسان الذى يفوقها جميعا بالعقل والارادة . ويعتبر هذا القسم — وان شغل الحيز الكبير من الكتاب — تمهيدا للقسم الثانى الذى يعالج فيه الفارابى تصوره للمجتمع الفاضل .

وسنقصر حديثنا عن القسم الثانى الذى هو موضوع الكتاب .

***

شبه الفارابى المدينة الفاضلة بالبدن الصحيح الذى تتعاون جميع أعضائه على تحقيق حياة سليمة صحيحة . وأول الاعضاء وأهمها فى الجسم هو القلب ، فهو مصدر الحياة والاحساس والشعور . وهو المتحكم فى الاعضاء الاخرى التى تتفاوت فى درجتها بحسب وظيفتها فى الجسم . ومنزلة القلب فى الجسم هى منزلة الرئيس أو الحاكم فى المدينة الفاضلة . لـذا يجب الاهتمام بالرئيس وصحته وسلامته قبل غيره ، اذ تتوقف سلامة الغير على سلامته . فلا يجوز أن يتولى رئاسة المجتمع الفاضل الا رجلا بلغ مرتبة رفيعة من الكمال .

ولهذا اشترط الفارابي فى الرئيس عدة خصال ، بعضها فطرى ، وبعضها مكتسب . اما الخصال الفطرية فهى صحة الجسم والعقل وسلامتهما ، وحبه للعلم والعمل به ، ولا يجب أن يجعل همه فى المأكل والمشرب والزواج . — واما الصفات المكتسبة فهى أن يكون حكيما ، عالما بالشرائع والسنن ، محسنا الاستنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة ، متحريا لصلاح المدينة ، قادرا على تحمل اعباء الحرب . ويجب — بالاضافة الى هذا كله — أن يسمو الرئيس بالتعلم والتأمل لدرجة « العقل الفعال » ، وهو العقل الذى يستمد الفهم من الله تعالى كما يستمد الانبياء الوحى .

وقد اشترط الفارابى هذه الشروط الصعبة المتعددة فى الرئيس لأنه آمن بان لا صلاح للمدينة الا اذا تولى امرها رئيس تسمو به فطرته وهمته وعلمه ، فالنبى والحكيم هما الشخصان الصالحان لرئاسة المدينة الفاضلة . والفرق بينهما أن النبى يتلقى الشرائع من ربه من طريق الوحى ، والثانى يدركها بالعقل والتدبر .

ولقد ادرك الفارابى — قبل غيره —

(١) آراء اهل المدينة الفاضلة :

عرض وتحليل لآراء أهل المدينة الفاضلة

أن اجتماع هذه الخصال في شخص واحد أمر عسير . لذا لم ير مانعا من أن يحكم المدينة الفاضلة رجلان أو رئيسان ، « أحدهما حكيم والثاني فيه الشرائط الباقية (٢) وإذا تفرقت هذه الشرائط في جماعة ، وكانت الحكمة في واحد،والثاني « أي الشرط الثاني » في واحد ، والثالث في واحد. وكانوا متلائمين ، كانوا هم الرؤساء الافاضل » (٣)

ونلاحظ أن الفارابي جعل الحكمة شرطا أساسيا في الرئيس أو في أحد الأشخاص اللذين يتولون أمر المدينة . « وإن لم يتفق أن يوجد حكيم تضاف إليه « الحكمة » ، لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك (٤)

ولا يكفي أن تتوفر هذه الشرائط كلها في الرئيس لتحقق سعادة المدينة، بل لابد أن يحلو السكان حلو رئيسهم وأن يتحلوا باخلاقه « وكذلك ينبغي أن تحتذي بأفعالها مقصد رئيسها الأول (٥) .

***

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الفارابي لم يكن حالما ولا طوبا متوهما رسم معالم المدينة الفاضلة ودعا إليها . ذلك أنه بدأ في تأليف كتابه عنها وقد أصاب من العلم والحكمة وتجارب الشيوخ حظا موفورا ..

أضف إلى ذلك أنه قضى في تأليف هذا الكتاب الصغير حجمه ما يزيد على سبع سنوات ، وهو وقت طويل جدا بالقياس لمن بلغ من العلم والتجربة ما بلغه الفارابي عند وضعه لهذا الكتاب .

وأضف إلى هذا وذاك أن المعلم الثاني طاف بكتابه خلال هذه السنوات على أطراف الامبراطورية الاسلامية يتأمل فيها ويتدبر أمور أهلها ،ويميز من بينهم الفاضل والجاهل والفاسق والمبدل والضال . وهذا ما أشار إليه ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » بقوله : أن الفارابي « ابتدأ في بغداد بتأليف كتاب المدينة الفاضلة . وحمله إلى الشام في أواخر سنة ٣٣٠ هـ وحرره ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولا تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر سنة ٣٣٧ هـ (٦) » ، أي قبل وفاته بسنتين « وقد عاش الفارابي ثمانين سنة » .

كل هذا يبين بوضوح أن الفارابي لم يكن واهما حينما دعا للمدينة الفاضلة . على أنه كان يدرك قبل غيره أن تحققها في الواقع ليس أمرا يسيرا ، ولكن صعوبة اقامتها لا تعني حتما استحالتها . فاذا ما صدع الانسان للعقل وغالب هو النفس وداب على التفكر والتدبر وأحسن الاستفادة من الشرائع السماوية ـ وكل ذلك ممكن ـ استطاع أن يعيش في مجتمع سعيد.

نريد الآن ـ وقد بسطنا القول في موضوع هذا الكتاب .. أن نعرض بإيجاز لأهم العوامل التي دعت الفارابي إلى تأليفه .

***

يبدو لنا أنها عوامل مختلفة، ويمكن حصرها في عاملين رئيسيين : أولهما أعجابه وتأثره بجمهورية أفلاطون. وكان الفارابي شديد الاعجاب بمنطق أرسطو

---

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة ;
(٣) آراء أهل المدينة الفاضلة : ص١٠٧
(٤) آراء أهل المدينة الفاضلة
(٥) آراء أهل المدينة الفاضلة:ص١٠٦
(٦) عيون الأنباء : ، تحقيق نزار رضا دار مكتبة الحياة ـ بيروت

وفلسفة افلاطون. وحمله هذا الاعجاب على ان يضع فيهما كتابا خاصا هو « كتاب الجمع بين رايى الحكيمين ».

وثانى العاملين واهمهما الفساد السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى تردى فيه عصره ولذكر أن الفارابى ولد سنة ٢٥٩ هـ. وتوفى سنة ٣٣٩هـ فقد اخذ المجتمع الاسلامى فى الشرق يصارع اهوالا مخيفة منذ ان تآمر الاتراك على الخليفة العباسى المتوكل وقتلوه سنة ٢٤٧ هـ . « ولم يكن قتل المتوكل اعتداء على المتوكل وحده ، بل هو قتل لسلطان كل خليفة بعده » كما يقول المرحوم احمد امين (٧) . فقد غدا الاتراك بالفعل منذ هذه الفاجعة هم المتحكمين الحقيقيين فى الخلافة ، بل فى رقاب الخلفاء انفسهم. وكانت مقاليد الجيش بايديهم فكانوا يولون الخلافة من يثقون من العباسيين ، فاذا ما وجدوا منه ريبة ، خلعوه او قتلوه .

ولم يكن الاتراك يتدخلون فى شئون الخلافة دفاعا عن عقيدة او نضالا من اجل مذهب ، بل جنحوا للقهر ، اذ كان وسيلتهم الى المال ، وكان المال اقصى مبتغاهم . وهذا ما يفسر مصادرتهم لكثير من الخلفاء الذين سخطوا عليهم ، بل مصادرتهم لامهاتهم واقاربهم من البيت العباسى (٨) .

وقد فزع الخلفاء من الاتراك حتى ان بعضهم « كان لا يلتذ بنوم ، ولا يخلع سلاحه بليل أو نهار » (٩) . وفزعت العامة لفزع الخلفاء « فاجتمعت ببغداد بالصراخ والنداء والنفير » (١٠)

وصحب هذا الفساد السياسى فسادا اقتصاديا . وان كثيرا من الثورات التى اشتعلت فى هذا العصر كانت نتيجة لفساد الحياة الاقتصادية مثل ثورة الزنج الذين زحفوا الى البصرة فى جوف الليل ونكلوا باهلها ثم احرقوها « سنة ٢٥٧ هـ » . فهى ثورة « العبيد الكادحين » كما يقول الاستاذ شارل بيلا ومثلها ثورة القرامطة وغيرهم .

ويخيل الينا ونحن نتصفح بعض المراجع القديمة كتاريخ الطبرى والمسعودى أو ابن الاثير او ابن ابى الفداء ، لندرس عصر الفارابى ، انه لم تخل سنة من فتنة يسيل فيها دم كثير ، ومجاعة ووباء مبيد .

ومن الطبيعى ان يصحب هذا الفساد السياسى والاقتصادى فسادا اجتماعيا فقد شاع الانحراف فى هذا العصر وانتشر المجون ، وعم الاستخفاف بالمبادى الدينية والاخلاقية .

لقد شهد الفارابى كل هذا الفساد الذى اشرنا اليه. وشهد آثاره الوخيمة على حياة الناس ، خاصتهم وعامتهم. فهب فى اواخر حياته يعالج هذا الداء الخطير بالدعوة الى « آراء اهل المدينة الفاضلة » .

وقد كان « لآراء اهل المدينة الفاضلة » اثر بعيد فى نفوس المسلمين الذين عاصروا الفارابى او اتوا بعده ، سواء منهم فلاسفة الشرق او المغرب. فمن اشد فلاسفة الشرق تأثرا بهذا الكتاب ابن سيناء « الشيخ الرئيس ». وتأثر به قبله « اخوان الصفاء ». كما تأثر به فلاسفة المغرب الاسلامى ، وفى مقدمتهم ابن باجة وابن رشد وابن طفيل — وتأثير هذا الكتاب الجليل فى فلاسفة الامة الاسلامية موضوع طويل مستقل بذاته . وحسبنا هنا هذه الاشارة .

---

(٧) ظهر الاسلام ١١/١
(٨) كامل ابن الاثير ١٠/٧
(٩) ظهر الاسلام ٣١/١
(١٠) تاريخ الطبرى ٨٥/١١

كتلة من خشب التفاح

● للكاتبة : مارجورى كينان رولنجس ●
● ترجمة : حسن حسين شكرى ●

● فى موقع عال بجبال «كارولينا» حيث تتراكم الثلوج التى تسوقها الرياح احيانا فى فصل الشتاء ، يقوم ملجأ الايتام ، منعزلا عن القرية الواقعة فى سفح الجبل ، بل عن العالم كله ...

يحجب الضباب قمم الجبل ، يتعوم الجليد منجرفا الى الوديان ، تهب ريح عاتية لدرجة تجعل صبية الملجأ الذين يحملون اللبن الى كوخ الاطفال يصلون الى باب هذا الكوخ وقدتجمدت اصابعهم فيعانون الالم من فقد الاحساس والحركة ..

ذهبت الى هناك فى الخريف طلبا للعزلة الهادئة لاكتب بعض الموضوعات الصعبة . وددت منذ زمن بعيد ان يبدد هواء الجبل مرض الملاريا من المناطق المدارية .. عاودنى الحنين الى الوطن ، والى اضطرام اخشاب شجر الاسفندان فى شهر اكتوبر ، والى سنابل القمح وشجر الجوز ، والى صعود التلال ..

وجدتهم جميعا يعيشون فى جوسق تابع لملجأ الايتام ، ويبعد عن مزرعته مسافة نصف ميل .

استأجرت كوخا ، وطلبت ان يبعثوا لى احدا لتكسير بعض الاخشاب للمدفأة كانت الايام الاولى دقيقة . وجدت الخشب الذى اريده حول الكوخ . لم يبعثوا احدا ، ونسيت ما قد طلبت ..

وفى ساعة متاخرة بعد ظهر احد الايام ، نظرت من فوق الالة الكاتبة ، فزعت قليلا . الفيت غلاما لدى الباب يقف جوار كلبى ، ودليلى ورفيقى ، لم ينبح ليحذرنى كعادته .. كان الغلام فى الثانية عشرة من عمره ، ولكنه ضئيل الجسم ، يرتدى « اوفرول »وقميصا ممزقا ، حافى القدمين .

قال لى : « استطيع ان اكسر بعض الاخشاب اليوم » .

قلت : « لكن لمة غلاما سيرسله ملجأ الايتام » .

اجاب : « انا ذلك الغلام » .

انت : انت صغير !

قال : « حجم الجسم لا يهم ، المهم هو تكسير الاخشاب !.. بعض الاولاد الكبار لا يتقنون هذا العمل .. انا اكسر الاخشاب فى الملجأ منذ مدة طويلة ! »

بعد نحو ساعة ونصف ساعة ، حين توقفت عن العمل ، وتمددت ـ سمعت خطوات الغلام فى ممشى الكوخ ، كانت الشمس تتوارى خلف الجبل البعيد ، والوديان تصطبغ بلون ارجوانى بل بشىء ما اكثر روعة من زهور النجمة

قال الغلام : « ساذهب الآن لتناول العشاء ، وساحضر ليلة غد ! »

قلت : « سادفع لك اجر ما قمت به من عمل .. عشر سنتات فى الساعة .

ولما كان يظن اننى ساصر على طلب غلام اكبر منه ، فقد قال : « اى مبلغ يكفينى » .

وخرجنا من الكوخ معا ، فوجدت انه قد كسر كمية مذهلة من الاخشاب الصلدة ، لقد كانت هناك كتل من خشب الكريز ، وجذوع ضخمة من أخشاب شجر الشوكران ، وقطع سميكة من بقايا أشجار الصنوبر والبلوط التي تخلفت من بناء الكوخ ..

قلت : « لقد قمت بعمل كثير كالذى يقوم به رجل » .

واعطيته ربع دولار .. وقلت : «عليك تحضر غدا ، ولك الشكر الجزيل ! »

كان اسمه « جيرى » عمره اثنا عشر عاما ، يعيش في الملجا منذ أن كان في الرابعة من عمره . استطيع رسم صورته حينما كان في الرابعة . نفس العيون المليئة بالاسي ، المشوبة بزرقة . نفس استقلال الشخصية . لا .. بل نفس الاستقامة .

وبالنسبة لى ، تعنى هذه الكلمة شيئا من أخص خصوصياتى والنوعية التى اصفها بها غاية فى الندرة .

كان والدى من هذه النوعية .. رغم انني لم اجد رجلا من معارفى تتوفر فيه صفة الاستقامة بهذا القدر من الجلاء والنقاء والبساطة التى تشبه امتداد الجبل بقدر ماكانت متوفرة فى الغلام « جيرى » .. فالشجاعة عنده سجية تجاوز حد الجرأة ، والامانة عنده خلة تفوق الامانة نفسها .

قام لى ببعض الاعمال التى لم يكن ملزما بها ، ولا يدفعه اليه الا دماثة الخلق وفطنة القلب . والتى لا يتطلب تعلمها اى نوع من التدريب او الخبرة ، لانها بنت لحظتها ... وجد ثقبا كبيرا بجانب المدفاة فقام بسده ، رغم أننى لم الحظ هذا الثقب ، وتطوع من طيب خاطر بوضع المادة التى تضرم نار المدفأة والاخشاب متوسطة الحجم حتى اجد ذخيرة دائمة من الاخشاب الجافة اذا ماسقطت الامطار دون سابق انذار ...

كما وجد حجرا متخلخلا فى ممشى الكوخ فحفر حفرة عميقة وثبت هذا الحجر .

وحينما حاولت ان أرد له الجميل بأشياء مثل الحلوى والتفاح صمت ، ولم ينطق بكلمة ، غير كلمة « شكرا » التى كان لا يجد محيصا عنها ، لان المجاملة كانت غريزة روحه .. ونظر الى الهدية ، ونظر الى ، وفى تلك اللحظة رفع ستار ... فرأيت أعماق بئر عيونه الصافية وقد ظهر فيها الحنان والامتنان بدرجة تفوق شخصيته الجرانيتية الصارمة .

وانتحل بعض الاعذار كى يجلس معى ، وما كنت احول بينه وبين ذلك الا اذا كان جائعا .. واقترحت ذات مرة ان افضل وقت للزيارة هى فترة ماقبل العشاء حيث افرغ من كتاباتى . وبعد ذلك كان ينتظر حتى يخمد صوت آلتى الكاتبة .

وفى يوم ما ، واصلت العمل حتى حل الظلام وخرجت من الكوخ وقد نسيت « جيرى » .. فرأيته يصعد التل فى الغسق متجها الى الملجا .

جلست فى رواق الكوخ فوجدت مكانا قد اكتسب الدفء من جسده كان ينتظر .

وبالطبع صار « جيرى » على الفة مع كلبى ودليلى « بات » ولعلهما كانا يتمتعان بنفس المشاركة الروحية ونفس النوع من الحكمة التى يصعب تفسيرها رغم وضوحها . وعندما ذهبت الى الضيعة لقضاء عطلة نهاية الاسبوع وتركت « بات » فى رعاية « جيرى » . اعطيته صفارة الكلب ومفتاح الكوخ ، وتركت له كمية كافية من الطعام ..

كان عليه ان يحضر مرة او مرتين فى اليوم ليطلق « بات » ويطعمه ويروضه .

وكان مقررا ان اعود مساء السبت ، وان يخرج « جيرى » و « بات » للمرة الاخيرة بعد ظهر ذلك اليوم ، وان يترك مفتاح الكوخ فى مكان خفى متفق عليه .

وتصادف أن تاخرت عودتى لان الضباب ملا ممرات الجبل بطريقة خداعة ، ولم اجرؤ على قيادة سيارتى فى الليل ، وظل الضباب حتى الصباح التالى ، ولم استطع الوصول الى الكوخ الا ظهر يوم الاثنين . وكان « بات » قد نال حقه من الرعاية والطعام فى ذلك الصباح .

وحضر « جيرى » بعد الظهر وهو قلق ، واخبرنى ان مشرف الملجا قد قال له : « لا يستطيع احد ان يقود سيارته اثناء الضباب ، واضاف « لقد حضرت

ليلة امس قبل موعد النوم فلم اجدك ، ومن ثم .. احضرت جزءا من طعام افطاري وقدمته « لبات » هذا الصباح ولم اسمح ان يصاب بسوء .

فاجبته « كنت واثقة من ذلك ،وان القلق لم ينتابني ، وايقنت انك ستعرف ان الضباب كان السبب في تاخيري .

كان لديه عمل في الملجا ولابد أن يرجع الى هناك في الحال . اعطيته دولارا ، فنظر اليه وانصرف . وفي تلك الليلة جاء بعد أن حل الظلام ، وطرق الباب فقلت له :

« ادخل ياجيري ان كان قد سمح لك بمغادرة الملجا في مثل هذه الساعة المتاخرة » .

قال : « اختلقت قصة .. اخبرتهم انك تبغين رؤيتي » .

قلت : « حقا » مؤكدة له ذلك ، وبدا الارتياح على وجهه ، وسالته : كيف تصرفت مع « بات » ؟

فجلس الى جوار المدفاة ، ولم يك ثمة ضوء آخر ، وقص على احداث اليومين .. « وبات » جاثم بالقرب منه ، وكانه وجد راحته التي لم استطع ان اوفرها له .. وبدا لي ان رعايته للكلبى قد قربت بيني وبينه ايضا الدرجة شعر معها انه ينتمي الي كما ينتمي الى ذلك الحيوان . وقال : « اخذت « بات » وصعدنا التل ، وتسابقنا ، واختبات في مكان معشوشب .. رقدت فيه فترة ، وكنت أسمع « بات » وهو يبحث عني ، فلما عثر على اخذ ينبح ، ويتصرف كالمجنون .. ويدور حولي في حلقات .

شاهدنا لهبا ، فقال ، هذه كتلة من خشب التفاح افضل نوع يحترق من الاخشاب » .. كنا قريبين للغاية احدنا من الاخر ، وفجاة ، اندفع متحدثا عن اشياء لم نتحدث عنها من قبل ، ولم اكن مهتمة بسؤاله عنها . قال : انت تشبهين امي الى حد كبير ، خاصة في الظلام ، وبالقرب من النار »

فاجبته : ولكنك كنت في الرابعة من عمرك حين جيء بك الى هنا ياجيري . اتذكر كيف كانت امك بعد مضي هذه السنين ؟

قال « امي تعيش في مانفيل »

ومرت لحظة ، وبعد أن عرفت ان له اما .. صدمت صدمة عنيفة لم اصدم مثلها طيلة حياتي ، ولم أعلم لم فزعت ، وسرعان ما عرفت أسباب فزعي . فقد جاشت نفسي بالاسى من أن تترك اي امراة ابنها وتمضي الى حال سبيلها ..

واحترقت من الاسئلة التي لم استطع أن اسالها خوفا من ان يسبب له ذلك الما . ولكني سالته : هل رايتها في الاونة الاخيرة ياجيري ؟

فاجاب : اراها في كل صيف ـ انها ترسل لي ...

واضاف : ارسلت لي زوجا من الزحافات اسمح للاولاد الاخرين باستعماله ، وهم يستعيرونه مني ، ـ ولكنهم يعتنون به .

قال : الدولار الذي اعطيتني اياه نظير رعايتي « لبات » ، ساشتري به لامي زوجا من القفازات .

قلت : شيء جميل .. هل تعرف مقاس يدها ؟

قال : اظن ثمانية ونصف ، ونظر الى يدي متسائلا .. هل مقاسك ثمانية ونصف ؟

ـ لا ارتدي مقاسا اصغر .. اعتقد مقاس ستة .

قال : اظن يدها اكبر من يدك .

لقد كرهتها على اي الاحوال ..سواء كان الفقر او غيره هو السبب . هناك غذاء غير الطعام . النفس تجوع بسرعة مثل الجسد .. سيشتري بالدولار قفازات ليديها الغليظتين . لقد عاشت في « مانفيل » بعيدة عنه وارضت نفسها بارسال زوج من الزحافات له.

قطع « جيري » تفكيري قائلا : انها تحب القفازات البيضاء ، اتعتقدين انه يمكنني الحصول عليها بدولار واحد ؟..

قلت : اظن ذلك . وقررت الا اذكرها الجبال حتى اراها واعرف بنفسي لم فعلت ذلك .

العقل البشرى يبعثر اهتماماته كما لو كانت من زغب الأشواك كل الرياح تثيرها وتحركها .

لقد فرغت من عملى ولم يسعدنى انى انشغلت بموضوع آخر . فقد احتاج الى مادة لكتابة موضوع مكسيكى . رتبت أمورى لغلق منزلى فى فلوريدا . سارحل الى المكسيك فورا واقوم بالكتابة هناك اذا ماسمحت الظروف ، ثم اذهب مع شقيقى الى الاسكا . وبعدئذ تعلم السماء ماذا واين !

ذهلت عن الغلام فترة من الوقت بسبب انشغالى وخططى . وبعد غضبتى الاولى عليها لم نتحدث عنها ثانية ، أو عن شىء من هذا القبيل اطلاقا . وحقيقة أن له اما فى « مانفيبل » من أى نوع كانت ، ولا تبعد منه مسافة كبيرة . أراحتنى من الألم الذى حاق بى من أجله فهو لم يناقض هذه العلاقة الشاذة بين أم وابنها .. لم يكن وحيدا ! .. ليس هذا من شأنى .

ظل يحضر كل يوم يكسر الاخشاب ويقوم ببعض المجاملات ويمكث ليتحدث معى . صارت الايام باردة كنت أسمع له بدخول الكوخ فى أغلب الاحوال ، فيجثو على الارض أمام المدفأة مطوقا كلبى « بات » باحدى ذراعيه وكثيرا ماغالبهما النعاس وهما ينتظراني فى هدوء .

وفى بعض الايام كانا يتسابقان فى نشوة غامرة بين أشجار القصار ، ولما ذبلت أوراق شجرة زهرة النجمة فى هذه الاونة ، كان يحضر لى أوراق شجر الاسفندان ذات اللون القرمزى المعروفة باللون الاصفر الفخيم ومعها أغصان شجر الكستناء .

كنت على أهبة الاستعداد للرحيل فقلت له .. « جيرى » لقد كنت صديقى الطيب سافكر فيك على الدوام سافتقدك ، كما سيفتقدك « بات » هو الآخر .. سارحل غدا .

لم يرد على .. وحينما غادر الكوخ اذكر ان قمرا جديدا قد تدلى فوق الجبال .

واخذت اراقبه وهو يصعد التل فى صمت ، وتوقعت ان يعود فى اليوم التالى ولكنه لم يعد . فشغلتنى أمور حزم امتعتى وتحميل سيارتى ، وكنت اضع فى حسبانى ان الشمس على وشك الغروب ولابد أن اخرج من الجبال قبل حلول الليل . توقفت بجانب ملجأ الايتام وسلمت مفتاح الكوخ ، ودفعت فاتورة الحساب لمس كلارك ، وطلبت منها أن تستدعى « جيرى » لاودعه ، قالت لا اعلم أين هو ..

قلت أخشى الا يكون بخير : فهو لم يتناول طعامه ظهر اليوم .. اجابتنى . لقد رآه بعض الاولاد صاعدا الى التل متجها الى أشجار الغار ، وكان من المفترض أن يشعل موقد الغلاية بعد ظهر اليوم ، ولكنه تخلف ، وهذا مالم يحدث منه قبل ذلك أبدا ، فاننا نعتمد عليه على الدوام .

شعرت بارتياح كبير عرفت اننى لن اراه مرة اخرى ، وان من الاوفق الا اودعه ، قلت لمس كلارك « كنت اريد ان اتحدث معك عن امه ولم يعيش هنا» ولكننى فى عجلة من امرى لم اكن اتوقعها ، كما كنت اود ان اراها ، ولكن الوقت لا يسمح الآن . وهاهى بعض النقود لتشترى له بعض الاشياء فى عيد الكريسماس ، وفى يوم عيد ميلاده ، وكنت افضل ان ارسل له بعض الاشياء ، ولكننى اخشى ان ارسل له اشياء كالتى عنده ، الزحافات مثلا ..

فنظرت الى مس كلارك فى دهشة ، بعينى العانس الصادقتين ، وقالت ليس للزحافات فائدة كبيرة هنا !

ازعجنى سؤالها .. قلت : ان ما اقصده الا ارسل له نفس الاشياء التى قد ترسلها له امه ، وربما اختار له زحافات تكون قد ارسلت له مثلها بالفعل !

فحملقت فى وجهى قائلة : لست افهم شيئا ... « جيرى » ليس له ام ، وليس عنده زحافات !!

●●

إلى شجرة

• جليلة رضا •

أرجوكِ ... لا تقفى أمامى فى فضـول قـاتل
لا تسأليني كيف جئتُ ... ومن أنا ... لا تسألى ..!
فلسوف أمنحك الحقيقة فاستعـدى لاستماعى
ولسوفَ أنتزعُ القنـاعَ لكىْ أراكِ بلا قنـاع ..!
ولسوف أحـكى الآن سرْ تطفـلى .. فتمهلى ..!

***

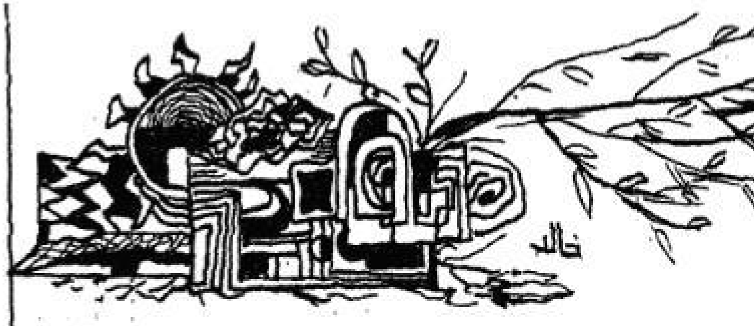
أنا جئتُ فى هذا المساء لكى أعيشَ مع المساء ...
أتتبعُ الأشـياء وهى تفرُ من وجـه الضياء:
إلى أتيتُ أفاجىءُ الصمتَ المعشش فى الشجر ..
وأنامُ عند الجـذع راضيةً كما يغفو الشـجر ..!
فلقدْ تعبتُ من التخيـل .. والتمنى والرجـاء !

***

أنا ليسَ لى فى البيت ركن كى أنامَ على فراشى ...
كلُّ الرغائب هناكَ تحتل المقاعـدَ ، والمماشى !
رغبات أعوامى الطوال قبعْنَ فى بيتى حيـارى ...
ومشيْنَ فى الحجرات جيئة ذاهبًا يطوى الصحارى !
ولذا أتيتُ مع المساءِ لأستبيحَ لى التـلاشى ..!

***

أنا جئتُ يانبع الصفاء لكى أعيشَ مع السكون ...
لكننى ما كدت أجتاز الربى ، تحت الغصـون



حتّى سمعتكِ تصرخين وتصرخين على التيـّـــاع ...
ما هذه الضّوضـــاء تبعثهـــا الطيور بلا انقطاع !
فتشمّكتى أبناءكِ المتهـــوّرين الطائشـــين ...

***

ماذا يهمّ هذا المسـّـــاء فقد تمادّوا فى الصّباح !
أيكون هذا الليل عند الطّير ليس له صـّـــباح !
أم يا ترى جنّوا بوجد العشق فاعتزلوا الرقـّـــاد
وتقاسمّوا الآمالَ والأحلامَ فى ظلّ السهاد ...!
ويْحى !... قررتُ من الجرّاح لكن أضمّ هنا الجراح !

***

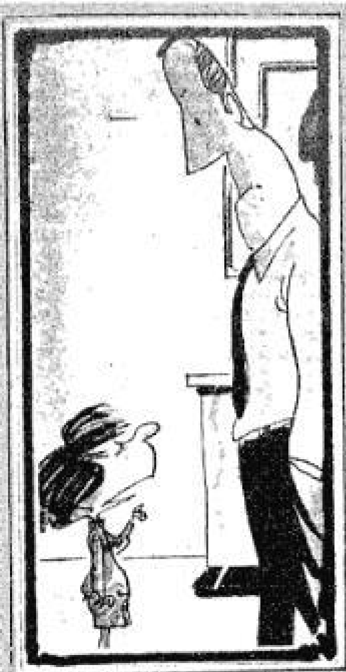
أنا لى لديكِ ، كمالهم ، ركن بحضنك يا شجيره ...!
أنا لى هنـــا حقّ التعبـّــد راهبا قد جاء ديره ...
أنا لى التوغل فى دجاك وفى التأمل فى قفـّـفـائلك
أنا لى الذى قـد طرّزته يد الطبيعـــة فى ردائلك

***

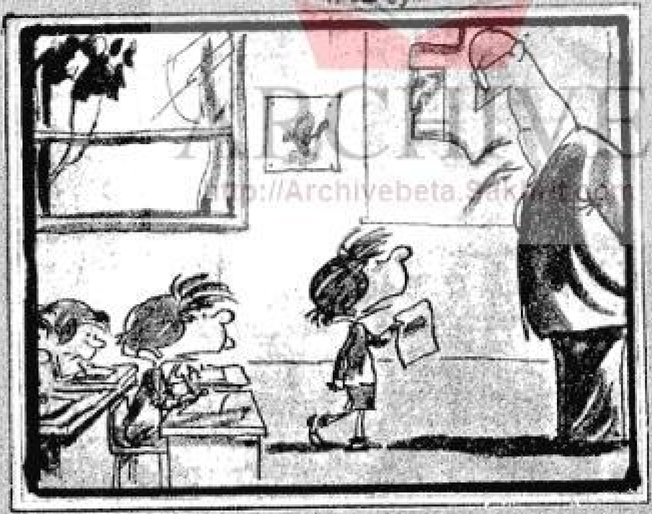
أوليسَ لى قلب كقلبـــك ناعم مثل البحـــيره ؟
أوليسَ بى شوق الطيـــور وفى دمى سر الخميلة:
ومثّى كأوراق الغصون تمدّ لى كفّـــا ظليـــله ..
هى كلّهـــا أحلامُ قلب مرهف عشقَ الجمال ...
هى كلّها أحلامُ قلب يحتسى كأسَ الخيــــالَ
حسْبى أحس بها تعيش .. وإن ترامت .. مستحيله !

كاريكاتير

جيل جديد جدا !!



الولد لابيه : انا مش عارف انت تاعب نفسك ليه وحاسس انك مسئولا عنى ... ماتحاول تجرب مرة كده وتخلينى مسئول عنك ؟!



الولد للمراقب فى الامتحان : ايه رأيك ، بدل ماتتعب نفسك وتراجع وتصحح ، اسيب لك الورقة فاضية تصلح انت فيها وتكتب على كيفك زى ما انت عاوز ؟!



الولد للبنت : تسمحى بقى تقوليلى بقى كنت اقدر اجيلك ازاى فى ميعادنا والتزم بالمحافظة على المواعيد ؟ ..



الولد لابيه : ولا يهمك ... جت سليمة ! .. المهم اننا كنا عاوزين نعمل لك مفاجأة سعيدة !

المعطف

● غبريال وهبه ●

لست اكتمكم انى ولــوع بالنســاء الجميلات ، وهـذا شىء لا انكره ... وهاانذا اعترف بان ما وقع لى جعــل عيشى مر المذاق، ولحقنى بسببه هلعواضطراب، اذ سدت فى وجهى المسالك ، واصبحت لا اجـد من ورطتى مخرجا ... لم يعـد امامى الان غير الانتظار . فانا اتوقع مكالمة تليفونية او طرقات على الباب ... اترقب شخصا مـا ، لا اعرفه ، ولا صلة لى به من قبل !

والغريب ان ما حدث لى وسبب لى كل هذا القلق والجزع لا اســتحقه ... فهى ليست غلطتى ، ولم يكن ما حدث مقصودا ، فمــن الممكن ان يتعـــرض اى انسان لمثل هــــذا المازق .

نحن الآن فى اواخر الستينات ، فى يوم مــن أيام الشتاء ، اقصد مساء ذلك اليوم الـــذى كان برده يخترق العظام ... اه لو كنــا فى الصيف ... اذن لاغنانى ذلك عن تلك التجربة المثيرة .

ها هى ذى لجج من الاضواء تتلالا عـــلى جبين دار الاوبــرا . واقبلت مع النــاس لمشاهدة احدى روائع الاوبرا العالمية ...

خلعت معطفى ، وسلمته للموظف المختص الذى ناولنى بطاقة تحمل رقما . حثثت الخطى الى صالة العرض ، وغصت فى مقعـد استمتع بمشاهدة أوبرا « كارمن » فانتقلنا الى عـــالم سحر، انسابت فيه موسيقى « بيزيه » بثرائهـا العاطفى فحلقنا فى أجواء أسبانيا حيث تـدور احداث الاوبرا فى مدينة اشبيلية ، وعشـــنا مع انفعـــالات الحسناء الغجرية وحبيبهـــــا الغيور ، وعواطفهما المتاججة .

رايتها بعـد انتهاء الفصل الاول بوجههـــا الحلو القسمات ... فتاة غضة الصبا ، رشيقة القد ، تتفجر أنوثة .

اقبلت نحوى بينما كنت أجلس منتحيا زاوية من المقصف ، وافتر ثغرها الجميل عن ابتسامة ساحرة وهى تقول :

ــ اهذا أنت ؟ .. انـــا فى غاية السرور والفرح !

تلفت خلفى ، لم يكن ورائى غير الحائط .. انها اذن تحدثنى ! رقص قلبى مســرورا فى صدرى ، وانتفضت واقفا لارحب بها .

ازدادت ملاحة وفتنة عنـــدما دنت منى . شعرت بتجاذب روحينا ... دعوتها للجلوس فلبت قائلة :

ــ يالها من فرصة سعيدة ان القـــاك هنا .

تناولت يدى وضغطت عليها برقة .

لم يسبق ان رايتها من قبــل ... ولكننى لم اصارحها بذلك فى تلك اللحظة ... فانى لى بمثل هذه الفرصة النادرة . واذا بيدى تضغط على يدهـــا اللدنة برقـــة خشـــية ان تؤذيها اصابعى الخشنة . وكم وددت لو الثم اناملها ، وأن أستبقيها فى أحضـــان يــدى أبد الدهر .

هاودت الابتســام وهى تقـــول بصــوتها العـــذب :

ــ هانى معى ...

رفعت بصرى فرايت شابا خلفها .

قالت له : هانى ! .. هل تتـــذكر زوزو ؟

نظرت اليها مندهشا ، فالشىء العجيب ان اسمى الاصلى يوسف ، الا ان بعض الطلبـــة فى أثناء الدراسة كانوا ينادوننى بزوزو .

اجابها الرجل :

ــ نعم يا أشـــجان .. فهو شــــــخصية لا تنسى !

ثم مد يده مصافحا وهو يقول :

ــ كيف حالك يا زوزو ؟

انتابنى شعور بالضيق نحوه ... كـــان فارع الطول ، يرتدى حلة من الصوف الانجليزى الفاخر . وما أن رددت تحيته حتى علا رنين الجرس منبهــا المتفرجين كى يعـــودوا الى مقاعدهم .

التقيت بهما بعد انتهاء العرض ، فوضـــع هانى يده فوق كتفى ونحـــن فى طريقنــا الى الخارج .

ــ أين كنت طوال هذه المدة يا زوزو ؟؟

ــ فى الدنيا الواسعة .. فمشاغل الحيـــاة كثيرة .

كنت أريـــد أن انطلق مسرعا قبـــل ان

يكتشفا انني لست زوزو الذى يعرفانه · امتدت يدى الى جيبى فى عجلة لتخرج البطاقة التى تحمل رقم معطفى ·

ـ خل عنك يا صاحبى · ساحضره لك ·

وجذب البطاقة من بين أصابعى قبل ان اتفوه بكلمة · وقفت مع النجان ، بينما توجه هانى لاحضار معطفينا · شاهدته وهو يناول البطاقتين للموظف ·

قالت النجان :

ـ تمنيت ان نمكث مدة اطول ··· ولكننا سنعود الآن الى فندق آسيا لناخذ حقائبنا ، فنحن مضطران للسفر الى الاسكندرية هذه الليلة ·

ثم اردفت :

ـ لقد كنت محظوظة حقا برؤيتك ·

ـ وانا كذلك ·

رجع هانى يحمل معطفه الثمين ومعطفى المتواضع ، وشرع يساعدنى فى ارتدائه ، لكننى تناولته منه شاكرا ، وطرحته فوق ذراعى قائلا :

ـ وداعا ··· وكم كنت سعيدا بلقائكما ·

***

وصلت منزلى وعلقت معطفى فوق المشجب بغرفة نومى · ارتديته فى صباح اليوم التالى وانا متجه الى عملى · وبينما كنت اهبط درجات السلم استرقتنى شىء يملا جيبى · كان مظروفا محشوا بالاوراق · سحبته وطفقت اقلبه بين يدى متعجبا من اين جاء ؟!

لم يكن معنونا ، ولحظت انه ليس محكم الاغلاق · فتحته ونظرت الى ما بمحتوياته · كدت اقع مغشيا على ·· لما ظننته اوراقا لم يكن سوى ثروة !

واستدرت صاعدا الى مسكنى ، وارتجفت يدى وانا أوصد الباب بالمفتاح · اخرجت الاوراق المالية ، وانهمكت فى احصائها · عاودت عدها مرة اخرى · يا الله ···· اربعمائة ورقة من فئة العشرة جنيهات ! ··

وهنا مر بخاطرى هانى الذى استعاد معطفى بنفسه ليلة أمس فى دار الاوبرا · انتابتنى الحيرة وانا اتساءل عما حدا بهما الى وضع كل هذه النقود فى جيبى · أهى نقود مزيفة أرادا التخلص منها ؟! أم تراني نسيت انني أعمل مأمورا للضرائب ··· ومن ادرانى ان هانى ليس ممولا يبغى رشوتى ! ·· أم لعله قد نصب لى شركا حتى يقبض على متلبسا والمبلغ فى جيبى ؟! المهم اننى لا اريد ان اشاركهما هذه اللعبة · فلاسرع اذن الى فندق آسيا ·

مضى بعض الوقت وانا ابحث عن غرفتهما ·

لم اكن اعرف غير الاسم الاول لكل منهما ، الا انني وصفتهما بدقة · خشيت ان يكونا قد رحلا ، ولكننى عثرت عليهما بداخل الغرفة · رايت هانى يضع بعض القمصان فى الحقيبة ، ولم يكن يبصرنى حتى صاح صيحة خفيفة ، وابتسم قائلا :

ـ ها انت قد جئت يا زوزو ؟!

لم ابتسم هذه المرة وقلت له بوجه عابس :

ـ تا الله اننى لا اعرف ماذا تبغيان ··· ولا يهمنى ان اعرف · واذا كان الامر قد اختلط عليكما بشأنى ، فهاأنذا · اخبركما اننى لم يسبق لى قط ان رأيت احدكما من قبل !

قذفت بالمظروف فوق الفراش · لم يعره التفاتا ، وظل ساكنا لا يتحرك وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة وهو يحملق فى وجهى · كان عريض المنكبين ، يفوقنى قوة وطولا ·

هرولت من الغرفة مسرعا حتى بلغت السلم فهبطت درجاته قفزا حتى بلغت الطريق · تنفست الصعداء ··· وشعرت باننى قد تخلصت من حمل ثقيل ، وبرأت عن نفسى الشبهات ·

جاء المساء فجلست اشاهد الحلقة الاولى من مسلسل تليفزيونى جديد · القت سجائرى فقمت لاحضار علبة سجائرى الامريكية التى كان قد اهداها صديقى الشاعر اللبنانى فوزى الذى قدم فى زيارة قصيرة لمصر ·· وتذكرت اننى احتفظ بها فى احد الجيوب الداخلية لمعطفى · ولكنها لم تكن هناك · بحثت فى جميع جيوبى بلا جدوى · نظرت الى السطح الداخلى لبطانة المعطف بحثا عن اسمى · ياللعجب !·· لقد اكتشفت انه ليس معطفى !

ادرت قرص التليفون لاتصل بالفندق · لقد غادراه منذ بضع ساعات ! ·· لا ريب انهما قد اسرعا بالرحيل بعد ان عرفا محتويات المظروف ·

سألت موظفة الاستعلامات :

ـ الم يتركا لى رسالة او اى مظروف او عنوانا لاتصل بهما فيه ؟

ـ كلا !

ماذا ترانى فاعلا الآن ؟! هأنذا اسير الغرفة جيئة وذهابا قلقا متوجسا فى انتظار ما يأتى به الغد !

احاول احيانا ان اقنع نفسى بأن المعطف معطفى رغم يقينى بانه فى حوزة شخص ما ··· لابد انه سيلقى ان عاجلا او آجلا اسمى المطرز على المعطف من الداخل ، وعندئذ سيسهل عليه دليل التليفونات الباقى !

أنشـــــودة حـــبٌ

● عبد الشافي داود ●

القمر الدائر يلقي المرسلة عل الاكواخ
يطعم نبضي الجائع بالضوء
بحنين أمومه
فتطير فراشات فرحه
تطلق من ثغر انسعف الناعس
في مملكة الصمت ..
يبزغ وجهك
آه .. يطلق صدري المنفي سراح النجمات
تمتد يداك فتنزع اسفاد الريح
تفتح باب الشرنقة العذراء
تكسر اغلفة الانفاس
تنفلت النار ..
فصعدنا نخترق الليل
بين اللؤلؤ والنجمات الشقراء
نسري عبر نسيج يتماوج
يرشف سمعك اغنيتي
(والآنت في صدري تجالسين قلبي في سكون
اغوص في الاسرار في طياتك المقدسة
اجول في مدائن الفيروز والحرير والعنب
اسكر تحت خمرة الوهج
اسبح في تيارك الخالد »
الحرية ملء جناحيك
تكفي قلبي المتشرد
الرخات الضوئية من عينيك
تكفي انفاقي الصوفية
ايقاع تراتيل الاهداب
تكفي رقصة شعري في معبد موسيقي
تتجمع في صدري اطيارك . جوقات ولهى
فاصوغ حروفي الذهبية
لتكون سوارا حول جناحيك !

زمن التحوّل !

● حسين عيد هادى ●

« يولدون للموت ، ويعمرون للخراب ، ويحرصون على ما يفنى ، ويتركون ما يبقى .. الا حبذا المكروهان : الموت والفقر .. »
« ابو ذر الغفارى »

زحام :

تتوقف السيدة بجوار باب عيادة طبيب الاطفال ، المشهور . تلتقط انفاسها بتأفف .. تضبط ياقة المعطف الغالى بيدها . تنادى بعصبية : تعالى يا ذكية !.

تقفز الى جوارها هذه « ذكية » تحمل بيدها اليمنى طفلا رضيعا . تمسك باليد الاخرى ولدا صغيرا ..

يدخل الموكب العيادة . يسبقها عطرها البارسى كاعلان .. تحملق من وراء نظارتها فى الحاضرين . تمن على الممرض بابتسامة مقتضبة : انا حجزت امس بالتليفون ..

ينهض الممرض يقدم لها كرسيا لتجلس ، فالزحام على اشده . ثلاث حجرات ممتلئة عن اخرها . تقدم له جنيهات الكشف متضمنه نصيبه الخاص .. يسجل اسم الرضيع : ايمن احمد يا افندم طبعا ..

تشكر بهزة من راسها .. تجلس : تضع ساقا على الاخرى . تصرخ فى الشغالة : « ادخلى بسيدك بعيدا عن الهواء .. » تفتح حقيبتها تخرج السجاير المستوردة تشعل سيجارة تسقط نظارتها على ارنبة انفها . تنقل بصرها بين الحاضرين تسترخى على الكرسى .. « اف لهذا الزحام ». ازياء الحاضرات حديثة ، لكن ليس فيهن من ترتدى معطفا غالى الثمن مثلى .. اف . ساظل ساعة على الاقل احملق فى هذه الوجوه ، حتى يتحرك الممرض .. ويسرق لى موعدا مبكرا ..

تنهض فجاة تقتحم الحجرة على الشغالة تجدها تستند الى باب البلكونة الخشبى . تنهرها : من اى جنس انت ؟.. سيدك يا ذكيه .. هل يجب أن اعلمك باستمرار كيف تحمليه (تعدل للوليد لفافته) وتمسكى يد سيدك اكرم ..

ذكيه لا تنطق .. بيمينها حول ، تتشبث بيد الطفل ، تعود السيدة ادراجها .. فجاة ينادى الممرض واحدة من الحجرة ، عليها الدور ليرى الطبيب طفلها . يخلو مقعد .. تتحرك سيدة ببطء تجلس تفسح مكانا الى جوارها ، يجلس الصغير .. تتمتم سيدة : الحمد لله ..

التظاهر :

تسام السيدة جلستها .. تنظر للممرض نظرة لها مغزاها ، يغمض عينيه دليل فهمه .. « تطما سأتقدم عدة ادوار .. الخمسين قرشا تفعل العجب ! تكاد تصعق الجالس امامها بنظراتها اف .. لماذا يحكى هذا الرجل حكاية ولده وحيرته فى عدم نموه ، حتى نصحوه بهذا الطبيب المشهور ؟! اصبح الحضور هنا سناحا مباحا !.. »

تشعل سيجارة اخرى .. « لا شك تحسدنى الحاضرات اشعر بعيونهن تاكلنى وهذه البنت الزفت لا بد ان الازمها باستمرار !. »

تنهض بعصبية . تكتشف ان زكية نائمة تحتضن يداها الرضيع فى حجرها تهزها بغضب توقظها : مائة مرة انبهك ، ودائما تنامين سيدك ايمن .. فتحى عينيكى عليه !

تلف الرضيع ثانية تربت على ولدها الذى نام هو ايضا تعود لمكانها لا بد ان افعل كل شىء بنفسى .. هذه الشغالة لا يعتمد عليها !»

الدور :

كم مضى من الوقت لا احد يدرى . ينادى الممرض السيدة تندفع الى حجرة الطبيب تسحبها وراءها توقظ صغيرها تمسك بيده تقتحم حجرة الطبيب بانتصار.

روّح عن نفسك

اولا لغز شعرى : ما هو ؟

يا ايها العطـــار اعـــرب لنا
عن اسم شىء قل فى ســـومك
تـراه بالعينين فى يقظـــة
كمـا يرى القلب فى نومـك !

ثانيا ـ اختبر ذكاءك :

١ ـ اشترى رجل عددا من البطيخ ولما وصـل الى بيته أعطى زوجته ثلث ما اشتراه ثم ثلثا آخر ، وتبقى له بطيخة ، فكم عدد البطيخ الذى اشتراه ؟

٢ ـ بعد ثلاثة اعوام سـيكون عمر ابنى احمد ، ثلاثة أمثال عمره منذ ثلاثة اعوام ، فكم عمره اليوم ؟

٣ ـ جلس افراد الاسرة الستة الى المائدة فى الصباح وامامهم ست بيضات فى طبق ، فأخذ كل فرد منهم بيضة ، ومع ذلك بقيت فى الطبق بيضة ، فكيف حدث ذلك ؟

ثالثا ـ ما اسم العاصمة الموجودة فى كل عبارة من العبارات التالية ؟

١ ـ الخادم شقى بفقره المدقع .
٢ ـ البحاث يناقشون ابحاثهم فى الجامعة .
٣ ـ الجرو ما اكل طعاما بالامس .
٤ ـ يقول الاطباء أن الغبار يسىء الى العيون .
٥ ـ المنافقون يغتابون الناس دون حياء .

رابعا ـ اختبر معلوماتك : لماذا ؟

١ ـ لماذا تدمع عينا من يقشر أو يقطع البصل؟
٢ ـ لماذا لا تنقلب الغواصة فى الماء فيصبح عاليها سافلها ؟
٣ ـ لماذا نتثاءب ؟
٤ ـ لماذا يكره القط المطر ؟

٥ ـ لماذا تصيح الدجاجة بعد أن تضع البيضة ؟
خامسا ـ من هو ؟
١ ـ شاعر اسلامي من المخضرمين ، ولد في يثرب واتصل بالغساسنة في الشام ومدحهم ، ثم أسلم وغدا من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وهجا القرشيين ولقب « شاعر النبي » •
٢ ـ « همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدرامي التميمي » هو اسم شاعر اموى توفي سنة ١١٠ ﻫ (٧٣٢ م) واشتهر بالمهاجاة بينه وبين جرير فبأى اسم اشتهر هذا الشاعر ؟
٣ ـ عالم طبيعي ورياضي عربي نشأ في البصرة وعاش في مصر ، وهو أول من فكر في اقامة خزان على النيل عند اسوان ، كما انشأ علم الضوء الحديث بفضل دراساته العميقة •
٤ ـ كان من اشهر قواد الدولة الاموية وولاتها ، وكانت عبارة « انا ابن جلا وطلاع الثنايا » بداية خطبة شهيرة له ، وعرف عنه الاسراف في الشدة والقتل
٥ ـ أديب وصحفي مصرى ، أنشأ مع اخيه جريدة « مصباح الشرق » وأشهر مؤلفاته « حديث عيسى بن هشام » •

الاجابات

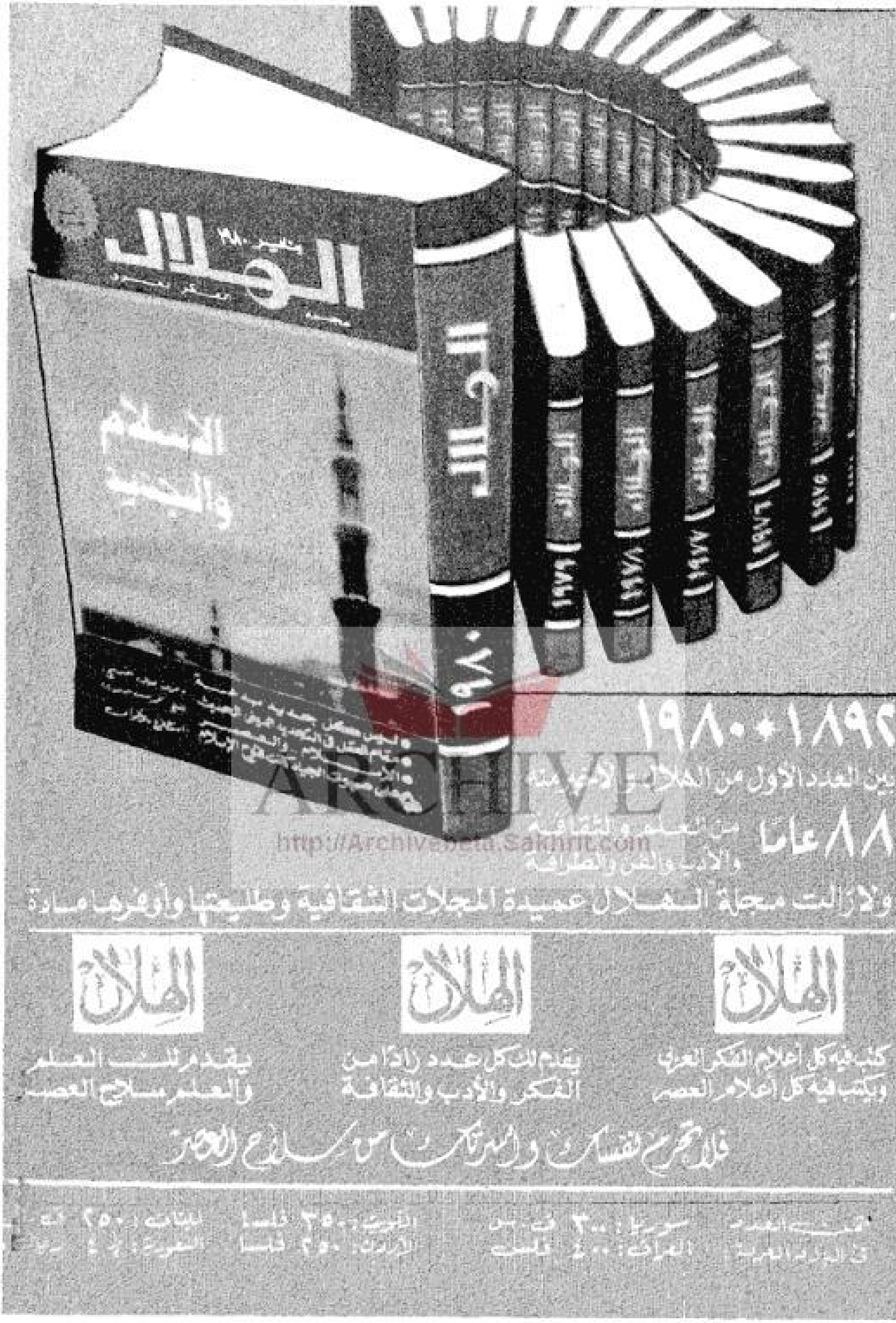
اولا ـ لغز شعرى : الكمون •
ثانيا ـ اختبر ذكاءك :
١ ـ بطيختان •
٢ ـ ستة اعوام •
٣ ـ اخذ الاخير او السادس الطبق بالبيضة الباقية فيه •
ثالثا ـ اسم العاصمة :
١ ـ دمشق •
٢ ـ اثينا •
٣ ـ روما •
٤ ـ باريس •
٥ ـ بون •
رابعا ـ اختبر معلوماتك :
١ ـ لان بالبصل مادة زيتية لاذعة سريعة التبخر تصل الى العين •
٢ ـ لان الجزء الاسفل اثقل من الاعلى ، وهناك لعب على شكل اشخاص او حيوانات باسفلها اثقال تجعلها واقفة دائما •
٣ ـ التثاؤب هو مجهود يبذله الجسم المتعب ليحصل على كمية اكبر من الاوكسجين في رئتيه •
٤ ـ يختلف فرو القط عن فراء الحيوانات الاخرى في انه لا يحتوى على مادة زيتية ، فمتى تبلل تلبد وضايق القط ولذلك تجد القط يفر من المطر ويكره ان يرش بالماء •
٥ ـ تصيح الدجاجة بعد وضع البيضة تعبيرا على الفرح ، لان وضع البيضة يؤلمها ويضايقها « فتكاكى » بعد ذلك لخلاصها من الالم والتعب •
خامسا ـ من هو ؟
١ ـ حسان بن ثابت
٢ ـ الفرزدق
٣ ـ الحسن بن الهيثم •
٤ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي
٥ ـ محمد المويلحي

ترنيمة الختام

لك الحب يا ربي

● محمد علي عبد العال ●

وضاعَ بريق وجْدى وازْوَى فيه البهَــاء
وغابَ لتنطوى عنهُ البشاشةُ والصَّــفاء
وكادت تنقضى صلة المودّة والاخــــاء.
... وجاهرَت الشيوخ بما تبقّى من حياء
وجاوبت الظنونَ الشكّ فى رفع الغطــاء
مضيتُ .. تركتُ من يغشى توابيت الخفاء
فيا ربّاه ... لا سلوى وقد طال العَنــاء
كفانى نشوة النجوى ولو زاد البـــــلاء
وعشق هَواك فى تقوى يرقرقها الصَّفاء
تبتّل حرقة الشكوى صلاتى والدعــاء.
فسر الكونِ قد أغرى فؤادى بالسّماء ...
ضرعت بتوبة عجْلى يسابقنى الرّجــاء
أغنّى حبّك الأسمَى فيطوينى الغنــاء ..
أهيمُ بكلّ ماسوبى بأرجـــاء الفضــا
واغسلُ فيه ما أزرى بأثواب النقــاء
فبارك طهر من ذاق الصَّفاء على حيـاء
وعهدَ متوله شفعَ المحبّــة بالوفاء ..
لكَ الحب الوحيدُ ، وما لغيركَ من بقاء !


الهلال
الإسلام والجنة
١٨٩٢ - ١٩٨٠
بين العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٨ عاما
من العلم والثقافة والأدب والفن والطرافة
ولازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي
ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
الهلال
يقدم لك العلم
والعلم سلاح العصر
فلا تحرم نفسك واشترك من سلاح العصر

الهلال
سبتمبر ١٩٨١م
مجلة الفكر العربي

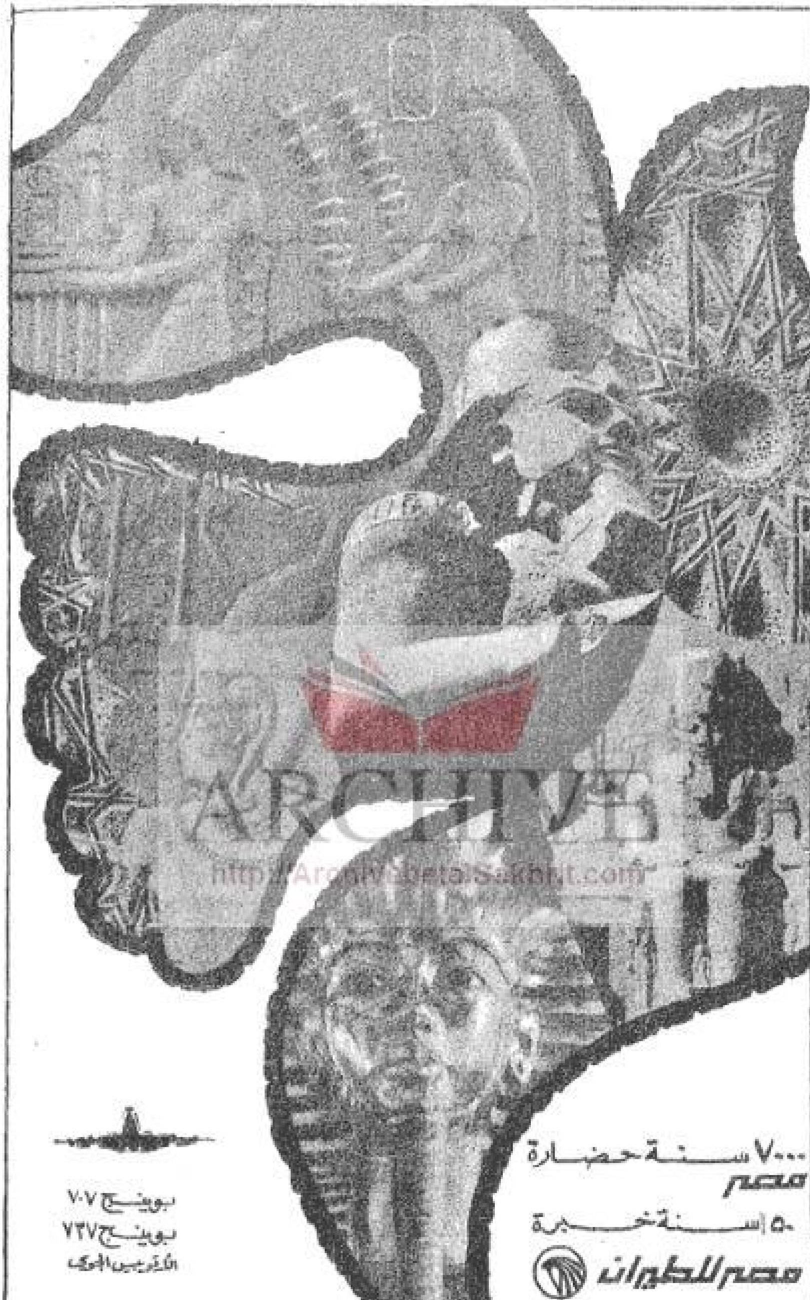
سيرة حياة "بركان"



الأسرة العربية المعاصرة مقصرة فى شأن الأبناء والبنات

كابرى .. جزيرة الأباطرة وعرائس البحر

[استطلاع بالألوان]



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧
الأقرب بين الجوى

كلمة الهلال

مرحبا بالجيل الجديد..
والربان الجديد..

●●

في شهر اغسطس الماضي حل في قيادة سفينة دار الهلال ربان جديد هو الزميل الاستاذ مكرم محمد احمد

شاب هو رمز على الجيل الجديد من الصحفيين : جيل الذين وضعوا اقدامهم على أول درجات السلم الصحفي ، وصعدوا درجة درجة بالعزيمة والموهبة والقلم الصادق والحب لمصر والعروبة .

في مدرسة دار الاهرام نشأ ، ودار الاهرام مدرسة صحفية كبرى ، مثلها في ذلك مثل دار الهلال . الاولى تجاوزت المائة عام بست سنوات والثانية تقف دون المائة بعشر سنوات ، وكلتاهما خدمت الفكر العربي والرأى العربي من وراء المحيط الى وراء الخليج . واطلعتا للصحافة العربية اجيالا بعد اجيال ، وستظلان أبد الدهر حضارتين من منارات الفكر العربي الكبرى ، ومدرستين للقارىء العربي من الناشىء الذى يستطلع الصعود الى الشيخ الذى يحمل في قلبه حكمة السنين ويسعد بقراءة حكمة السنين .

وربان سفين دار الهلال الجديد يجيئها من دار الاهرام حاملا تجربة وعلما وقلما صادقا ليسير بدار الهلال في بحر عاصف ، والفكر الانساني كله اليوم في بحر عاصف أحس به أندريه مالرو عندما اختاره شارل ديجول وزيرا للثقافة فقال له مالرو : لمن اتحدث ومن اثقف ، فقال القائد الشيخ : تحدث الى انا وثقفني أنا ، وانا انقل حديثك لفرنسا واثقف ابناءها بثقافتك وفكرك .

ويظل الربان الاول ـ السيدة امينة السعيد ـ في دارها ـ دار الهلال ـ تعين بالرأى والتجربة وبالقلم اذا دعا الامر ، ويظل معها في خدمة هذه الدار الجليلة جيلنا كما يظل الاب في مقعده يرقب ابناءه يشقون طريقهم في مناكب الحياة . وامينة السعيد رمز جيل واستاذة جيل . بل هي وحدها جيل مجيد .

●●●

تجديد .

والتجديد سنة الحياة ...

والتجديد هو تاريخ مصر . الامة التي جددت نفسها مرة بعد اخرى خلال الوف السنين ، وقادت الحضارة من العصر الحجرى الاول الى عصر المفاعلات النووية . عميدة الحضارة وسيدة الامم وشجرة الخير الوارفة وريحانة النيل ، نهر الجنة .

والهلال مجلة الفكر العربي قولا وعملا ، حقيقة لا مجازا ، تسير في ركب هذا التطور ونحيي مكرم محمد احمد وجيله ، ونحيي امينة السعيد وصبرى ابو المجد وجيلهما ونسأل الله للاجيال جميعا والنور الصحافة العربية جميعا مزيدا من العمر المديد .

●● المحرر

د. جمال حمدان.. شخصية مصر

دراسة فى عبقرية المكان (الجزء الأول)

● الدكتور جمال حمدان جغرافى فيلسوف موهوب • كل كتبه اصبحت كلاسيكيات فى العالم الجغرافى وخاصة كتابه عن « شخصية مصر » دراسا فى عبقرية المكان •

والطبعة الثانية من ذلك الكتاب • وهى التى اكتب عنها هنا لا توصف الا بانها ملحمة علمية ، والذى ظهر منها جزء من ثلاثة والجزء الاول هذا يقع فى ٨٤٠ صفحة من القطع الكبير • وهو مخصص للجغرافية الطبيعية لمصر ، اى دراسة المكان والجزء الثانى سيخصص لشخصية مصر البشرية ، والثالث لشخصية مصر التكاملية •

وعلى الرغم من ان الجغرافية الطبيعية شىء جاف لا يقبل عليه الا الجغرافيون الا ان جمال حمدان باستاذيته الفذة عرف كيف يقرؤنى فوق الثمانمائة صفحة من الوصف الجغرافى لبلدنا الحبيب ، فانت ترى هنا كل شىء موصوفا بدقة علمية لا تجارى • وجمال حمدان قارىء عجيب لقد قرأ كل سطر كتب عن جغرافية مصر وافادته ، وعرف كيف يجعلنى أعيش فى سيناء حينا ، وفى الوادى حينا وفى الصحراء الغربية حينا ثالثا • ولا أدرى كيف جمع الرجل هذه المادة الغزيرة او كيف عمل هذه الخرائط الممتعة التى تنظر اليها فتحس انك تعيش فيها • وأنا فى طبعى مؤرخ جغرافى ، لااستطيع أن ارى التاريخ الا من خلال الجغرافية ولا أستطيع ان أقص شيئا الا وأمامى مسرح الاحداث ،ولهذا، فاننى استمتعت بكل سطر قرأته ،وفهمت بلدى وأحببتها أكثر وأكثر • والفضل لجمال حمدان •

والذى زادنى حبا لمصر اننى رأيت من وصف جمال حمدان اننا مهما قلنا بلد فقير ، رأس مالنا الاكبر موقعنا الجغرافى عبقرية المكان • لقد خرجنا من القارة الافريقية بنصيب غير عادل وانه لمن الغريب ان نكون نحن الذين انشأنا السودان الحديث ورسمنا له حدوده فى القرن التاسع عشر ورسمنا خطتنا على اننا والسودان بلد واحد ، وان مصر والسودان يمتدان معا بلا حدود أو قيود من البحر المتوسط الى بحيرة فيكتوريا ثم يجىء الانجليز قاتلهم الله ، فيفصلوا السودان عن مصر بحجة طائلة « مقتل السير لى ستاك »وتخرج مصر من السودان لتنفرد بها بريطانيا ، ثم نصر نحن على أن تخرج بريطانيا من السودان ، وخرجت سنة ١٩٥٣ لكى يظل خط الحدود قائما بين البلدين،ونظل نحن مقتصرين على تلك المساحة الصغيرة من أرض أفريقية ، وتخرج بقية وادى النيل من دولة مصر السودان ، فلا نحن سعداء بهذه النسبة ولا السودان آمن بها ، ومن جنوبه الحبشة تتضخم وتزداد ،والغرب كله من ورائها سرا والروس من ورائها علانية ، ومع ذلك فان اخواننا فى السودان يترددون الى متى؟ لا أدرى • الى ان تقع الواقعة ، ويومها لن يكون لها واقعة •

لكن الذى استوقف نظرى فى ذلك الجزء الاول من كتاب جمال حمدان هى مقدمته فى الشخصية الاقليمية ، وفيها يقول جمال حمدان كلاما لا يقوله الا عالم مثله ، عالم يحب مصر ويشعر بها شعورا عميقا ، ويحس آلامها كلها • وهو يقرب لك الجغرافية تقريبا هو الغاية فى الجمال ، ويصل بين الجغرافية والتاريخ وصلا لم أجده الا عنده •

حد البديهي أن دراسة الشخصية الاقليمية لا تقتصر على الحاضر وانما هي تترامى بعيدا عبر الماضي وخلال التاريخ لانه بالدور التاريخي وحده يمكن التعرف على الفاعلية الايجابية للاقليم وعلى التعبير الحر عن الشخصية الاقليمية . فالبيئة قد تكون في بعض الاحيان خرساء ، ولكنها تنطق من خلال الانسان ، ولربما كانت الجغرافيا أحيانا صماء ، ولكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها . ولقد قيل بحق أن التاريخ ظل الانسان على الارض ، بمثل ما ان الجغرافيا ظل الارض على الزمان ، بينما يضيف قول آخر ان معظم التاريخ لم يكن « جغرافية متحركة فان بعضه على الاقل » جغرافية متنكرة

اما كلامه عن مصر حاليا ووضعها في اطارها العربي واطارها الافريقي هو الغاية في الجمال والعمق ، وقد رأيت أن آتى قراء الهلال بالفقرة التالية من كلام جمال حمدان عن الاقليمية والوطنية وهما موضوعان يثيران الكثير من الجدل والحيرة في الوطن العربي في وقتنا الحاضر وجمال حمدان يريد بالاقليمية وحدة الاقليم العربي أو وحدة العرب وبالوطنية المبالغة في الحماس للوطنيات العربية المحلية . قال :

« من الملاحظ في هذا الصدد ان كلمة « الاقليمية » تستعمل عادة عند بعض الكتاب السياسيين كنقيض للقومية والعروبة ، وحينئذ تكاد لا تستعمل الا مقرونة بصفة « الضيقة » ، اشارة الى انفصاليتها الانانية او الجاهلة . وهذا كله صحيح . غير ان من الضروري الا يختلط هذا الاستعمال مع الاستعمال العلمي لكلمة الاقليمية في الجغرافيا ، فهي فيها الاساس والمقياس ، لان الاقليم هو قلب الجغرافيا . والاقليم الجغرافي هو الوحدة المكانية المتجانسة الكاملة والمثالية . ومن الزاوية السياسية والقومية ، فان « الاقليم » الوحيد هو العالم العربي نفسه ، وليس دوله ووحداته السياسية الراهنة ، لانه هو وحده الوحدة الكاملة المتجانسة في اسس القومية وهي اللغة واخواتها ، ولذلك فان الاقليمية هنا تتناقض تماما مع مفهوم الاقليمية الانفصالية الضيقة بالمعنى الدارج ، وترادف تماما مفهوم القومية والوحدة ، ولا داعي للبس خطير نتيجة لاختلاف المصطلحات ومدلول المفردات .

ثم يقول :

« من هنا جميعا فاذا كنا قد جادلنا بأن الكلام عن شخصية مصر لا يعني اقليمية ضيقة فضلا عن شوفينية شعوبية ولا يضع الوطنية في مواجهة ضد القومية ، فاننا نضيف الآن أنه لا يؤكد الوطنية من خلال القومية فحسب ، بل يؤكد القومية من خلال الوطنية تأكيدا صحيا بغير تعارض واذا كانت بعض البلاد مثل الولايات المتحدة قد نجحت وحدتها لانها كما قيل ـ قد تجاهلت عمدا وعن قصد كل الجغرافيا وكل التاريخ ، واذا كانت بلاد أخرى مثل كندا تعاني وحدتها لانها تتذكر الجغرافيا أكثر مما ينبغي وتتذكر التاريخ أقل مما ينبغي ، واذا كانت بلاد أخرى مثل غرب أوروبا تتعثر وحدتها لانها تتذكر كثيرا جدا من التاريخ وقليلا جدا من الجغرافيا ، اذا كان هذا فاننا في الوطن العربي يمكن أن تنجح وحدتنا أكثر كلما تذكرنا الجغرافيا والتاريخ معا أكثر وأكثر ، لان التاريخ يجمعنا مثلما تفعل الجغرافيا ، والمكان والزمان عوامل وحدة بيننا ، بل ربما جاز لنا أن نقول ان الجغرافيا والتاريخ هما طوب وحدتنا العربية وبلاطها أو هما لحمتها والسداة .

والكتاب كله على هذه الوتيرة من العمق والشمول والمنهجية والدقة في الكلام . انه كتاب لابد ان يقرأ لانه ملحمة مصر كلها . ونحن في انتظار المجلدين الثاني والثالث .

د . حسين مؤنس

فى هلالك

الهلال
مجلة الفكر العربي

سبتمبر ١٩٨١م
ذو القعدة ١٤٠١هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - السنة التاسعة والثمانون اول سبتمبر سنة ١٩٨١ - ٢ من ذي القعدة سنة ١٤٠١ هـ .

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر .. ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد نشر أم لم ينشر

الإشراف الفنى
أحمد الموردى

● صورة الغلاف ●

هذا عدد سبتمبر من الهلال . نحن على ابواب موسم العمل . النشاط يدب مرة أخرى فى كل ميادين الحياة وفى ميدان الفكر خاصة .. والصورة ترمز لسفينة الحياة وشراع العمل ... جعل الله العام مباركا على العرب اجمعين

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم - قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٫٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراك بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية او حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراك بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب.
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط .

الأسرة العربية المعاصرة

مقصرة تقصيرًا خطيرًا في شأن الأبناء والبنات

بقلم رئيس التحرير

كلهم يقولون لك بالفم الكبير : نحن نشقى ونتعب ونربى ..

والحقيقة ان القليلين جدا يتعبون ويشقون والغالبية العظمى لا تربى ولا تكون ولا تتعب .

لان جيل الاباء والامهات اليوم جيل غير مثقف ولا مكون ويندر اليوم ان تجد رجلا او امراة في الاربعينات فصاعدا يقرأ او يشترى كتابا او يحرص على ان يقدم لابنه شيئا من التثقيف والتكوين ..

الدولة وحدها هي التي تعلم وتنفق وتربى وتدعم الغذاء والكساء واعتماد الناس عليها يتزايد والاهمال يشتد وموجة التهاون تتعالى

وفى اثناء ذلك يتحول الجيل الصاعد الى جيل هابط .

منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ دخلت الافكار الاشتراكية فى نظم الحكم القائمة فى العالم العربى كله . وفى بعض البلاد العربية اعتبرت الاشتراكية اساسا لفلسفة الحكم ،وفى بقيتها ادخلت الدول - حتى الملكية منها - آراء اشتراكية فى اساليب حكمها .

بل ظهر تيار فكرى يقول ان الاسلام اشتراكى ، والف كاتب عربى يسمى مصطفى السباعى كتابا يسمى اشتراكية الاسلام ، لقى قبولا كبيرا لدى الجماهير عامة واهل الحكم خاصة .

ومع ان معظم البلاد العربية تخلت عن تلك الاشتراكية فى وصف نظمها ، الا انها ظلت تعتبر الفكر الاشتراكى قاعدة عامة فى الحكم والتصرف .

والاشتراكية - كما دخلت فى الفكر السياسى العربى - تقول ان الدولة مسئولة عن كل المرافق الكبرى ، والخدمات الاساسية - واحيانا غير الاساسية - فى البلاد .

وهذا تفسير وتطبيق مخالفين فى نواح شتى لاساسيات الفكر الاشتراكى . فلم يقل احد من الاشتراكيين من سان سيمون ولوى بلان الى جماعة الاشتراكية الدولية - ندوة روما - بان الدولة ملزمة بكل مطالب الجماهير حتى غير الضرورية منها ، ولم يقل احد من الاشتراكيين بان

● كلهم يقولون لك بالفم العريض : نحن نترف وننعم ونشقى ونتعب ، والحقيقة أن أحداً منهم لا يترف ولا ينعم ولا يشقى لأنهم هم أنفسهم خالون تماماً من أى تثقيف وفاقد الشيء لا يعطيه

على الدولة أن تعطى كل شيء ولا تأخذ شيئا .

ولكن هذا هو الذى حدث فى عالمنا العربى ، ومن دول الخليج الرأسمالية فعلا الى المملكة المغربية تقوم الحكومات العربية بما يلزم - وما لا يلزم - من خدمات باحطة التكاليف لشعوبها - دون أن تطالب الجماهير بأى مقابل ، ويقولون ان هذه اشتراكية ..

ففى العراق حاليا - على سبيل المثال - تنثر الدولة الغذاء نثرا حتى تكاد كل أسرة أن يكون لها دكان أو خيمة فيها كل أصناف الغذاء تباع بلا سعر تقريبا .

ويقولون ان هذا تخفيف عن الجماهير وهو فى الحقيقة محاولة لاخفاء كارثة الحرب مع ايران عن الجماهير .

وفى مصر تتحمل الدولة هذا العام ٢٠٠٠ مليون جنيه لدعم الغذاء وحده ، وتكلف الدولة نفسها مسئولية توفير كماليات شهر رمضان وكعك العيد بل الفسيخ !

ولم يقل أحد قط أن التفكير الاشتراكي أو حتى الانسانى الصرف يطالب الدول بهذا التفانى فى خدمة جماهير الشعب .

ولكن هذا - كما قلنا - هو الذى حدث .

وما دامت الدول قد ارتضت أن تحمل هذا العبء كله فهى وما تريد .

وهذا - آخر الامر - ليس موضوع هذا المقال ، ولكنه المدخل أو « الفرشة » ليس الا .

وهذه المجلة فكرية ثقافية اجتماعية ولهذا فنحن ندخل من هذه المقدمة الى تأثير هذا التصور للفكر الاشتراكى على النواحى الفكرية والثقافية والاجتماعية فى عالمنا العربى وخاصة على الشباب .

فقد كانت شعوبنا فى الماضى تتحمل مسئولياتها وتسعى بها ، ومع أن ذلك كان مجحفا بها الا انه كان يقوى فى الناس والاسر والجماعات عزيمة العمل وقوة الاحتمال ، وكان يدفعها دفعا الى مواجهة مشاكلها ومحاولة حلها .

فلم تكن هناك مجانية تعليم مثلا ، فكان الشباب الطموح الذى يرى فى نفسه الاستعداد لتحمل المسئوليات الكبرى يهلكون انفسهم فى العمل ليفوزوا بمجانية التعليم . ولهذا لم يكن يحصل على المجانية الا أصحاب المواهب - فلما وصلوا الى المسئوليات - عرفوا كيف ينهضون بها لان اعتمادهم على انفسهم ارهف احساسهم بالمسئوليات .

واذكر انى كنت قائما ذات مرة بوظيفة وكيل مدرسة ثانوية فى الارياف وحدث ما اضطرنى الى أن أبعث ببرقية لوكيل الوزارة ، وفى اليوم التالى كان وكيل الوزارة معنا فى المدرسة ، وعرضت عليه حل المشكلة ووافق .

وأنا أفهم ان وكلاء الوزارات اليوم - على كثرتهم - لا يسافرون الى بلد ريفى بعيد لحل مشكلة متعهد تغذية لص متواطىء مع سكرتير مدرسة ، ولكن مثل برقيتى تلك لو وصلت الى أصغر مسئول فى المنطقة التعليمية فانه لن يكلف نفسه السفر الى المدرسة لحل المشكلة بحسم سريع مع ناظر المدرسة أو وكيلها لان

الأسرة العربية المعاصرة
مقصرة تقصيراً خطيراً في شأن الأبناء والبنات

● عندنا الدولة وحدها هي التي تهتم وتعلم وتنفق وتجد وتدرس، والآباء والأمهات نائمون، وليس من العدل أن تتحمل الدولة كل شيء، تلك مسئولية باهظة وهي مشكلة يوماً بعد يوم ولابد أن يوضع لها حد.

شعوره بالمسئولية قليل وسطحي

ولكن الماضي – مع الاسف الشديد – كان فيه عند المسئولين شعور دقيق جدا بالمسئولية، واذكر ان المرحوم الاستاذ محمد شفيق غربال قدم استقالته من عمادة كلية الآداب مرة لان مدير الجامعة طلب اليه أن يعيد النظر في نتائج امتحانات الكلية لرفع الدرجات بعض الشيء، لانه رأى أن موضوع الدرجات مسئولية ضمير الاساتذة – وهو بصفته العميد كفيل بذلك – ومن هنا فلا مدخل اطلاقا، لمدير الجامعة في ذلك الموضوع.

ولكن عليه التفسير غير السليم للفكر الاشتراكي في شعوب نامية كانت تتعهد على المسئولية الفردية والجماعية شيئا فشيئا بعد عصور طويلة من الظلم واهمال النظم الحاكمة لمسئولياتها، هذه النكبة للآراء الاشتراكية جعلت الجماهير تفهمها فهما خاطئا جدا، فقد استقر في أذهانها ان التكاليف جميعا قد رفعت عن كواهلها، واصبح المطلوب منها أن تجلس وتتربع ويقدم لها كل شيء على طبق..

وما دام التعليم مثلا مجاني وبلا حدود، فقد ضاع الصبيان والشبان ذوو التكوين السليم والاستعداد لحمل المسئوليات تحت سنابك الحشود الضخمة من جماهير التلاميذ والطلاب التي بلغ بها التدلل على الدولة ان تستخرج من وزارات التعليم قرارات بالرأفة والتساهل في تقدير الدرجات في الامتحانات، لان هذه الجماهير حولت طلب العلم من تدريب واعداد لتحمل المسئوليات الى وسيلة من وسائل كسب العيش، ومادام من حق كل طالب ان يتخرج ليكسب عيشه، فلابد من معاونته ودفعه و « زقه » بأى وسيلة لكى يتخرج ويتوظف ويحمل مسئولية هو غير قادر على حملها في الغالب. ويأخذ راتبا هو بمثابة نصيب في وقف خيرى لا يقابله عمل أو التزام.

وفي هذا المقال سأقتصر على النظر في الأسرة المصرية وأثر الفهم الخاطىء للفكر الاشتراكي في نظرتها الى مسئوليتها عن ابنائها.

فقد كانت الاسرة في الماضي تشعر بمسئوليتها الكاملة عن أولادها، ولم يكن الكثيرون بقادرين على تعليم أولادهم ولكن كل أسرة كانت تعتبر نفسها مسئولة عن تربية الاولاد. كان واضحا جدا في ذهن كل والد ووالدة ان تربية الاولاد مسئولية مباشرة بالنسبة لهم وان هذه التربية واجب لا مجال للتخلي عنه.

ولهذا كان الآباء والامهات يمارسون مسئولياتهم عن تربية الاولاد ممارسة حقيقية وفعالة.

● لقد أساء الناس عندنا فهم الفكر الإشتراكى، وظنوا أن معناه أن الدولة ينبغى أن تعمل كل شىء وأن مهمة الشعب هى أن يأخذ ويطالب، وفى الستينات كانت الدول تظن أنها قادرة على القيام بهذا العبء. ولكنا فى الثمانينات لابد أن نعيد النظر فى ذلك المفهوم.

وعلى أى مستوى نظرنا كنا نجد ان العائلات شديدة الحرص على موضوع التربية، لان التقاليد المتوارثة علمتهم ان التربية أساس النجاح فى الحياة، فلا تستقبل قط لولد سيىء التربية أو لبنت عديمة التربية.

اما الآن فقد دخلت الدولة فى موضوع هذا المستقبل وضمنته بل التزمت به، فكل تلميذ أيا كانت خلفياته وتربيته يدخل المدارس ويتعلم ويتخرج فى الجامعة ويتوظف مهما كان نصيبه من التربية قليلا.

وكان مفهوم الاسر للتربية عندنا مفهوما سليما، فهى لا تقتصر على التربية بمعنى السلوك، بل التربية بمعنى تكوين شخصية الانسان، فكان الاب يحرص على أن يكون ابنه مهذبا حسن الخلق مراعيا لاقدار الناس محترما لمشاعر الغير وعارفا لمسئولياته امام نفسه واسرته ووطنه وقادرا على القيام بها.

وأذكر انني بعد أن تخرجت وعملت كنت أعطي والدى ثلاثة ارباع راتبي واحتفظ بالربع لنفسى، واذا به ذات مرة يستدعيني ويقول:

ـ أرى انك لا تشعر بمسئولياتك عن الأسرة. هذه شهور انقضت على تخرجك ولا أرى انك مرة حملت الى البيت شيئا من الفاكهة أو اهديت امك ثوبا، وأراك نسيت ان لك أولاد عم ولابد ان تزورهم وتحمل لهم شيئا، فأنت لم تعد الآن تلميذا ولكنك أصبحت من رجال العائلة المسئولين وعليك التزامات.

وكانت الاسرة تعتبر نفسها مسئولية عن تكوين الاولاد بما فى ذلك التعليم والتثقيف، فالى جانب حرص الاسرة على تلقين الابناء قواعد السلوك واللياقة والذوق والادب ومراعاة الجيران والحرص على نظافة البيت كان الاب يحرص على تكوين ابنه دينيا وثقافيا.

فأجيالنا كلها تعلمت الصلاة مع الاب والعم والخال، وكلنا أرسلنا آباؤنا الى كتاب القرية لنحفظ القرآن، وكلنا بدأنا تكويننا الثقافى فى البيت. لم يكن هناك بيت يخلو من كتاب أو كتب، ولقد قرأنا مع آبائنا وتحت اشرافهم ما قدر لنا أن نقرأه من كتب الثقافة من نثر وشعر، وحفظنا ما تيسر لنا من الشعر ووضعنا اقدامنا على الدرج الاول من سلم الثقافة والتكوين الانسانى وتحمل المسئوليات.

فما الذى يحدث اليوم؟

الذى يحدث نتيجة لفهم الناس الخاص للاشتراكية وسوء تفسيرهم لالتزاماتهم حيال الامة والتزامات الدولة حيالهم من ان الاسرة رفعت يدها عن مسئولياتها فى تكوين الاولاد وتربيتهم ظنا منها ان ذلك

كله انتقل الى الدولة .

وما دامت الدولة قد التزمت بالتعليم والتوظيف في غير حدود ، فقد ضعف دور الاسرة ولم يعد لها مكان حقيقي في التربية والتكوين .

لأن الاسرة كانت تحرص على التربية والتكوين حرصا منها على مستقبل الاولاد . كان الاب يرى ان ذلك ضروري لكي يتم الابن تعليمه ويحصل على وظيفة يبدأ بها حياته . أما الآن وقد ضمنت الدولة ذلك والزمت نفسها به فلم يعد يحرص على التربية والتكوين والتثقيف .

وما دام الكل سيدخلون الجامعة وسينجحون وسيعملون ، فلم تعد للاسرة وظيفة اساسية في هذه المجالات .

وما دام المثقف سيتساوى مع غير المثقف والمهذب سيتساوى مع غير المهذب والنظيف سيقف مع غير النظيف .

ما دام هؤلاء جميعا سيكونون في النهاية على قدم المساواة فلماذا يطيع الابن اباه اذا اصدر اليه امرا او وجه اليه ملاحظة ؟

بل حدث العكس ..

حدث أن الشاب المهذب المؤدب المثقف انهزم أمام الولد الجاني عديم التربية عديم الثقافة .

وقد كان هذا الطراز الحسن التربية والتكوين والثقافة يعتبر قيادة وسط زملائه ، بل كان مثلا يحتذى ، لان من هذا حذوه كان يسير في طريق النجاح ، فالآن انقضت هذه القيادة الحقيقية لتحل محلها قيادة اخرى لم تحصل على تربية او تكوين او ثقافة . اصبحت القيادة في المدرسة للتلميذ البلطجي الفهلوى الذى يقلد أبطال مدرسة الساخطين .

ومن سوء الحظ ان الاسرة فقدت سلطانها على الابناء في وقت نحن فيه في أشد الحاجة الى سلطان الاسرة والاب والام على الابناء .

وقد كنت في زيارة اسرة من اقاربنا من حين قريب ، فلم أر في البيت كتابا واحدا ، ووجدت أن الاولاد لا يحفظون من القرآن الا آيتين من قصار السور ، بل رأيت ولدا لا يعرف كيف يصلي ولكنه يعرف شريط الكاسيت واغاني البذاءة والانحطاط « والناس الى اتهوست » ، ويعرف نكاتا ونكاهات بذيئة ويتقن الجرى الى الشارع والتجمع على نواصي الشوارع لمعاكسة البنات وحتى البنات قلت قيمتهن في نظر الشبان ، لانهن لم يعدن يعرفن الحشمة والادب والحياء ، والبركة في الافلام التي تفهم البنات ان « الحب مش عيب » ولو أنهن عرفن ماهو الحب العفيف الرفيع لخفت « المصيبة » ولكن هذا كلام يلقى في آذان بنات لا يعرفن ما هو الحب لانهن لم يقرأن في حياتهن كتابا محترما ، ورحم الله أيام زمان ..

ثم ان الاسرة المصرية نفسها دخل عليها تغير لا ادرى كيف اسميه ، ولكنني أصفه واترك للقارىء حرية اختيار الوصف الذي يرتئيه .

فان الناس عندنا في الماضي كانوا يتزوجون على أساس التقاليد - الاسرة تختار العريس او العروس وتعرضه على الشابة او الشاب ويدور داخل الاسرة اخذ ورد وينتهي الامر بالقبول او الرفض ويتم الزواج - اذا تم - دون حب . كانوا يقولون ان الزواج أولا ثم يجيء الحب . وقد يجيء وقد لا يجيء ، ولكن تبقى بعد ذلك التقاليد والاعراف ، يبقى الحياء والحشمة والادب والمراعاة والستر والانسانية .

وكانت معظم الاسرات تعيش بالآداب

● في الماضي كان الوضع أحسن بالنسبة لتكوين الشباب . كانت المسئولية كلها على الشاب نفسه وأسرته ، وكانت تلك مسئولية ثقيلة ، ولكن الشاب عندما يوضع أمام مسئولياته يتعلم ويتكون ، ولهذا كان يعيش الماضي عفيفا وقادرا على حل مشاكله بنفسه .

والاخلاق والحياء والحشمة ، لان الحب كان نادرا ما يأتي بين الزوجين ، كانت الزوجة تطيع زوجها لانه زوجها الذي قسمته لها المقادير . كما ترى في شخصية الست أمينة زوجة السيد عبد الجواد في رواية نجيب محفوظ المعروفة . وكان الزوج يحافظ على التزاماته ومسئولياته ويحترم مشاعر زوجته ولو لم يحبها ، لان واجبات الادب والرجولة والخلق تفرض عليه ذلك .

ثم يجيء الاولاد فيتجه الاب والام معا اليهم ، واذا كان بين الزوجين حب انصب ذلك على الاولاد وتربوا في جو من الالفة والمودة والاخلاق والآداب ، واذا لم يكن هناك كان هناك التظاهر بالحب ، او الاحترام الذي يغني عن الحب ، حتى لا يلاحظ الاولاد شيئا ، وفي أحيان كثيرة كان الحب يأتي بعد الاولاد ، كانما كان الاب يشعر بالشكر والاعزاز للام التي اعطته الاولاد . والام كانت تشعر بالولاء للرجل الذي انجبت منه الابناء والبنات .

تغير هذا الوضع الآن وأصبح الزواج صفقة أو عملية تجارية .

فتسعون في المائة من خريجي الجامعات يعقدون زيجات مصلحة

بمعنى ان الشباب ينظر حوله فيرى زميلاته ، ويمضي يبحث ويراقب ليختار منهن من سيتقدم لخطبتها ، ولا دخل هنا للجمال أو الحب أو الميل او حتى الاستلطاف . لان كل بنت من زميلاته ستكون بعد التخرج موظفة راتبها ٤٠ جنيها مثل راتبه . فهو يتزوج ٤٠ جنيها في الشهر ولا يتزوج امرأة . ونقطة التفضيل هنا في الغالب مادية : من هو أبو البنت . هل هو موظف كبير أو معلم غني يستطيع أن يسهل له امر السكن مثلا ؟ ..

والبنت نفسها تفكر على نفس الاسلوب ، ولكن دافع الاختيار يختلف ، لانها تعرف مقدما ان كل زميلاتها مساتير بالكاد ، فموضوع التفضيل هنا شيء من الشكل أو من خفة الظل . ثم ان أهم شيء في نظر البنت هو ان تتزوج لتتخلص من بيت أبيها وتنجو من العنوسة ، والحب شيء تعرف البنت انه شيء لايوجد الا في الروايات .

ويتم الزواج في تسعين في المائة من الحالات على هذا الاساس المادي من الناحيتين ، وحيث اننا في زمن غلاء متزايد والاسعار في زيادة ولا أمل في انخفاضها ، فان المشاكل العائلية تبدأ من اول يوم ، ومرتب الشاب + مرتب الزوجة ينتهي حوالي ١٥ في الشهر ،

وتبدأ المشاكل .. ولا يتأخر الأولاد في الوصول ، وولد وراء بنت ، وبنت وراء ولد وتتزايد المشاكل ، واذا كان هناك قليل من الحب قد وجد في فجر الزواج فانه يتلاشى في الضحى ويتحول الى نكد في الظهر وفي العصر ـ عصر الحياة الزوجية . وتصبح الحياة الزوجية معاناة متصلة ..

هذا هو حال معظم الزيجات التي تعقد اليوم .

وأنا اركز في هذا المقال على اوساط الناس وعلى خريجي الجامعات دون أن ادخل في اعتباري الزيجات في القرى ، فهذه لازالت تسير على الطريق التقليدي ولا احسب حساب زيجات طبقة البلدي فهذه طول عمرها تجارة وصفقات ،وليس عند افراد طبقة البلدي شيء يسمى الاسرة بل البيوت هناك غرف تعذيب للزوج والزوجة والاولاد . فأما الزوج فيهرب من بيت الزوجية طول النهار .فهو دائما في المحل ، وبعد أن يقفل الدكان يذهب مع اصحابه الى حيث يفقد الوعي والاحساس . ويعود الى بيته لينام الى الصباح .

أما الأغنياء ـ وما أكثرهم في أيامنا ـ فهم تجار ، شيطاني » في المكتب والبيت والنادي . والزواج بالنسبة للشباب من اولادهم عملية استثمار وبالنسبة للبنت وعائلتها عملية توريد .

والخلاصة ان الاسرة المصرية ـ وهي التي اعرفها اكثر من غيرها اصبحت في يومنا هذا تركيبة مصالح ، والبيت مأوى لناس متنافرين يتحمل بعضهم بعضا بحكم الضرورة والحاجة . والقواعد الاخلاقية التقليدية التي كانت تسير شئون الاسرة ذهبت مع أمس الدابر ، ولم يبق الا هذا الطراز من الاسر التي حدثتك عنها .

***

في هذا الجو ماذا يعمل الاولاد أو ماذا يفعل بالاولاد ؟

هل تتصور ان الاولاد يجدون في مثل هذه البيوت فرصة للتثقيف أو للتكوين الانساني السليم ؟

وهل تتصور ان الوالد يربي او ان الام تساعد على التكوين ؟

كيف وكلاهما ـ حتى الثانية بعد الظهر في « الشغل » .. أو ما يسمى بالشغل !

وفي أثناء العام الدراسي نجد الاولاد يذاكرون او يتظاهرون بانهم يذاكرون . ونادرا ما يمسك ولد كتابا ادبيا ليقرأ فيه .

لان المدرسة نفسها ليس فيها من الثقافة شيء ، والمكتبة يغلقها أمين المكتبة حتى لا يضيع كتاب من العهدة .

المدرسون يعملون كأنهم عمال عليهم «وردية» وهم يجرون من فصل لفصل، وبعض الحصص تتحول الى حصص راحة للمدرس المجهد ، فهو يطلب الى التلاميذ ان يخرجوا الكتب ويقرأوا .

ولا نصدق ان الاب أو الام اليوم يبذلون اي جهد في التربية .

ولا نصدق ما يقولون : نحن نربي ونكبر ونتعب ونشقى كما يقولون في الافلام .

لان الحقيقة ان كل ما يقدمونه للاولاد هو الطعام والكساء والمأوى . اما الذي ينفق على تكوين الاولاد فهي الدولة التي تفتح المدارس وتنفق على التلميذ الواحد في التعليم أضعاف ما ينفقه الاب في الطعام والكساء .

بل ان كثيرين جدا من الآباء يعيشون اليوم على نفقة الاولاد ، على عكس ما تظن

وفي الدولة الوف بعد الالوف من الموظفين يبقون في وظائفهم « علشان العيال » ويترقى الواحد منهم .ويحصل على العلاوات لانه « غلبان وعنده عيال » وهو يهمل ويخطيء ويتأخر ويتسبب في

● كان الزواج في الماضي تقليديًا وكان ناجحًا على علاته وخاصة بالنسبة للأولاد . أما زواج المصلحة الذي يتسع نطاقه اليوم فيضيع معنى الأسرة ويضيع الأولاد .. وذلك هو سبب من أسباب ازمة التربية وازمة مستقبل الشباب .

بلاري ، واذا أردنا عقابه وضعوا أمامنا العبارة القائلة :وذنبهم ايه الاولاد تخصم من راتب أبيهم ؛

ونفس مكاتب العمل تنظر في مسائل الموظفين من زاوية :انهم « غلابة وبيصرفوا على عيال » .

وكل الفراشين في الدولة ــ وهم الوف ــ يعيشون على حساب أولادهم : يهملون ولا يعاقبهم أحد . ويتاجرون ويتساهل معهم الجميع ويأخذون من الناس بقشيشات تصل الى أضعاف مرتباتهم ولا أحد يقول شيئا لانهم « غلابة وح يعملوا ايه والدنيا نار » .

في هذه الاجواء ماذا يحصل الابن من الابوين غير لقمة العيش والكساء . وكيف نستغرب هنا قلة أدب الابناء مع الاباء .

ومن مايو الى سبتمبر لا توجد مدارس والاولاد لا يجدون في البيت كتابا ، واذا وجدوه فأين يقرأونه .

وجاء التليفزيون فقضى على الامل الباقي .

ولا تصدق أحدا يفتح فمه الكبير ويقول لك انه يتعب ويشقى في سبيل الاولاد . ففي أيامنا هذه لا يشقى في سبيل الاولاد الا الدولة التي تدعم الطعام والكساء حتى الكعك والغريبة والبايميش والفسيخ والسردين (أي والله .. تصور ان وزارة التموين تحمل نفسها عناء دعم الكعك والغريبة والفسيخ) وهل طلب اليها أحد ذلك ؟!

***

المهم ان الاسرة المصرية بوضعها الحالي لا تربي ولا تكون ولا ترعى ، وليس لها الا أقل نصيب في تنشئة الجيل الجديد وهؤلاء هم اولادنا على قوارع الطرق من مايو الى سبتمبر فماذا تفعل الاسرة في ذلك ؟

وقد انقرض نوع الآباء الذين كانوا يقرئون الاولاد كتب الثقافة أو المجلات أو يحفظونهم شيئا من القرآن الكريم .

وانقرض كذلك نوع ربات البيوت اللاتي هن ربات بيوت ، لان ربة البيت اليوم موظفة صاحبة مكتب ، وربة البيت هي الشغالة التي تأتي ساعتين في النهار تطبخ وتضع الطعام في الثلاجة لثلاثة أيام ..

***

المشكلة اضعها أمام الآباء والامهات والمسئولين عن مستقبل الاجيال الجديدة ولا أقول الصاعدة لانها لا تصعد قط من زمن طويل .. انها تهبط .

وخير لنا ان نسميها الاجيال الهابطة .

وعندنا حلول ..

ولكن ما قيمة اقتراح الحلول اذا كنا لا نجد السميع او المجيب .

لهذا أضع القلم هنا وانتظر .

فلعل منصفا يسائلني : ماذا قلت ؟ حتى نبدأ التفكير معا ..

● حسين مؤنس ●

أحمد لطفي السيّد وفكره السياسي

● د. نبيه بيومي عبد الله ●

● نشأته وتكوينه الثقافي ●

نشأ أحمد لطفي السيد بين أسرة عميدها (والده) من طبقة أعيان الريف (كبار الزراعيين) التي نشأت في عصر الخديو اسماعيل ، ونمت في ظل الاحتلال البريطاني ، وناهضت طبقة الذوات (كبار الملاك الزراعيين الاتراك) .

واصبح والده « الشيخ سيد ابو علي » عمدة برقين مركز السنبلاوين مديرية الدقهلية ، من كبار الملاك الزراعيين ومن اعيان القطر المصري وعضوا في « الجمعية العمومية » وهي احدى المجالس النيابية التي انشأها الاحتلال عام ١٨٨٣ ، كما اصبح « سيد باشا ابو علي » ، وتوفي عن الفي فدان (١) .

ولد احمد لطفي في ١٥ يناير ١٨٧٢ ببرقين ، وحصل في دراسته على شهادة مدرسة (كلية) الحقوق ، واتصل بالخديو عباس حلمي الثاني ، الذي ارسله عام ١٩٠٤ الى سويسرا لمهمة خاصة بالعمل الوطني ، وانصرف الى الالمام بثقافتها ، ولما عاد الى مصر عمل بالوظائف الحكومية حتى استقال منها ١٩٠٥ .

وعمل بالمحاماة والصحافة ، وكانت قراءاته واسعة ، اهتم بالثقافة الغربية وخاصة الفرنسية ، وتشبع بالفكر القومي في بناء الدولة القومية كمقوم أساسي ، والفكر الليبرالي السياسي الذي يؤمن بالحرية الفردية واقامة المؤسسات الدستورية (الحكم الديمقراطي) وكان مفكرا ، صاحب مذهب وعقيدة ، قبل ان يكون صحفيا أو سياسيا ، ونجح في ان يصل بفكره التميز الى خاصة المثقفين ، وان يكون صاحب مدرسة وروادا لها (٢)

ولفكره وشهرته الواسعة ووضعه الاجتماعي ، أصبح رئيس تحرير صحيفة « الجريدة » لسان حزب الامة ، وشارك في الحركة الوطنية ، واصبح سياسيا بارزا ، وشغل عدة مناصب ، واصبح مديرا لدار الكتب ، ومديرا للجامعة المصرية ، ووزيرا ، وعضوا بارزا في مجمع اللغة العربية ، ومفكرا له بصماته في الثقافة العربية ..

وكانت مدرسة احمد لطفي السيد ، امتدادا لمدرسة الشيخ محمد عبده في ايجابيتها وصراحتها واعتدالها ، وخاصة بعد نكسة الثورة العرابية في عودة الامام من المنفى ، حيث اتجه الى الاصلاح في ظل السلطة الفعلية (الاحتلال) بعيدا عن

---

١ ــ د. حسين فوزي النجار ، احمد لطفي السيد ، ص ٤٢ ــ ٥٨ ، القاهرة ١٩٦٥ .
٢ ــ المرجع السابق ، ص ١٣٢ .



احمد لطفى السيد

العنف السياسى ، وجعل من التربية والتعليم قاعدة لاعداد الامة فى النهضة والحرية والاستقلال . وقد سلك أحمد لطفى نفس الدرب حتى يتمكن المصريون من الإعتماد على أنفسهم ،واتخذ الصحافة وسيلة للتعبير عن أفكاره (٣) .

● فكره السياسى ●

● اولا ، مصر للمصريين ..

نادى أحمد لطفى ان تكون « مصر للمصريين (٤) » . ولقد سبقه الى هذا الشعار ، مفكرو الثورة العرابية وقادتها وبعد الاحتلال تلحظ ازدياد عدد الموظفين البريطانيين الى جانب وضعهم فى المراكز القيادية فى اغلبية مصالح الحكومة واستئثارهم بالسلطة لدرجة « ان اصبح الموظف الانجليزى أيا كان خيرا من الموظف المصرى .. وحل الانجليزى محل المصرى فى ادارة البلاد (٥) » . واصبح مدلول اللفظ فى عصر أحمد لطفى السيد يعنى ان يكون حكم مصر وخيرها لابنائها ، وليس لانجليزى أو تركى .

● ثانيا ، الدعوة الى الجامعة والوطنية المصرية .

دعا احمد لطفى فى صحيفة «الجريدة» لسان حزب الامة الى انكار الجامعة العثمانية ، لانها لون من الوان الاحتلال وان الامبراطورية العثمانية ضعيفة وانها فى طريقها الى الزوال كبقية الامبراطوريات السابقة ، وكذلك الخلافة الاسلامية لانها وهم وخيال . ونادى بالقومية المصرية الخالصة ، وتدعيم الوعى القومى ، وان تكون كل مجهودات المصريين من اجل مصر . واخذ يبث الشعور بالوطنية ، التى لا تقوم فقط على الدين . وكان هذا انعكاسا وصدى للاتجاه العالمى نحو فكرة القومية فى القرن التاسع عشر ، ونشأت الدول القومية فى اوروبا على عوامل اللغة والتاريخ والثقافة بعيدة عن الدول الدينية التى سادت فى العصور الوسطى كما انه فى ظل تلك الدول القومية اكتملت حرية الدولة ، ونمت الحرية الشخصية ونمت الديمقراطية .

٣ ـ المرجع السابق ، ص ٥ ،٥، ٥٦ ٦١ ١١٢ ١٢٠ .
٤ ـ مذكرات لطفى السيد : المصور ٢٧ ، ١٠ ، ١٩٥٠ .
٥ ـ الجريدة العدد ٤٤٥ فى ٢٣ أغسطس ١٩٠٨ من تاريخ الحركة الاستقلالية فى مصر ، من مارس ١٩٠٧ ـ مارس ١٩٠٩ ، القاهرة ١٩٤٦ .

ورأى لطفى السيد ان الانفصال عن الدولة العثمانية والتحرر من سيادتها مما يحقق أول ركن من أركان الدولة القومية وهو ابراز الشخصية المصرية ، كشخصية قائمة بذاتها (٦) . وأخذ يدعو الى تحديد معنى الوطنية المصرية والقومية المصرية ويضع لها تعريفاتها ويبرز مميزاتها ، وساعده تأثر المبعوثين المصريين بالفكر القومى ، ومن قوله : « ان من غير الصواب أن يعمل بعضنا لفناء شخصية المصرى فى شخصية العثمانى لان هذا الرأى مع بعده عن الصواب لا يتفق مطلقا مع مصلحة مصر ، ولا يتفق كذلك مع اعتبار مصر اقليما ممتازا مستقلا . فمتى تصرف عنايتنا كلها الى بلدنا » (٧)

كما ذكر ان الانتساب الى مصر شرف عظيم ورأى « ان نكرم وطننا فلا ننتسب الى وطن غيره مهما كانت أصولنا ..

وبناء على انكار التبعية العثمانية ، توكيدا للقومية المصرية ، رفض حزب الامة بلسان احمد لطفى السيد ، الاشتراك فى « مجلس المبعوثين » التركى بعد اعادة الدستور التركى فى ٢٤ يولية ١٩٠٨ ووصول جماعة الاتحاد والترقى الى الحكم (٨) . وأيضا عندما قامت ايطاليا باحتلال ليبيا وقامت الحرب بينها وبين تركيا عام ١٩١١ ، وقامت حركة تبرعات وتطوع لمساندة تركيا ، فقد ساندتها الصحف المصرية ما عدا « الجريدة » حيث دعا لطفى السيد الى حياد مصر ، لان سيادة تركيا لا منفعة لها لمصر . (٩) .

● ثالثا : الاستقلال ●

واذا كان أحمد لطفى السيد ، لسان حزب الامة فى « الجريدة » قد رفض **التبعية العثمانية ونادى بالوطنية المصرية فما هو موقفه من الاحتلال البريطانى واستقلال مصر ؟**

بوجه عام لقد هادن حزب الامة الاحتلال وطالب بالاستقلال على مراحل ، والتعاون مع السلطة الفعلية واعداد الشعب ، حتى يكون مؤهلا للاستقلال .

وأكد لطفى السيد ضرورة اعتماد المصريين على أنفسهم من أجل الاستقلال، وحتى يتمكن المصريون من ذلك يجب على الحكومة الاهتمام بالتعليم وفتح أكبر عدد من المدارس ، ونشر طرق التربية الحديثة لتربية الافراد تربية قومية اخلاقية ..

ومما ذكره فى ذلك « فاذا أردتم الاستقلال فحولوا ألسنتكم وأقلامكم وشيئا من ذواكم وقليلا من أموالكم الى التربية والتعليم العام ، فانه السبب الوحيد للاستقلال ولا شىء غيره ، واذا انتشر التعليم كثر المنادين بالاستقلال »

وأكد على ضرورة ربط التعليم بالتربية معا ، حتى تتشابه الميول والآمال والعادات ويقوى النسيج الاجتماعى للامة وانتقد طريقة التعليم فى الكتاتيب ،لانها تؤدى الى اماتة الشعور بالحرية ،وتعطيل الملكات المبدعة (١٠) .

كما رأى ايضا ان الحرية احدى دعائم الاستقلال ورأى ان الحكومة المصرية حينئذ مستبدة وأمرها فى يد المعتمد

٦ ــ الهلال ، يونيو ١٩٤٧ ص ٨٠ ــ ٨٢
٧ ــ الجريدة فى ٢٠ سبتمبر ١٩١٢ .
٨ ــ الجريدة العدد ٤٥٧ فى ٦ سبتمبر ١٩٠٨ .
٩ ــ د. حسين فوزى النجار ، المرجع السابق ص ١٨٦ ، ١٨٨ .
١٠ ــ الجريدة العدد ١٦٠ ، فى ١٥ سبتمبر ١٩٠٧

البريطاني ومستشاريه ، « وما دامت الحكومة تنفر من الحرية الى الاستبداد فاننا نبعد كل يوم عن الاستقلال» (١١)

وعندما قامت الحرب العالمية الاولى سعى مع غيره الى اعتراف بريطانيا باستقلال مصر ، على أن تكفل مصر لها مصالحها في البلاد ، حتى لو ادى اشتراكها في الحرب الى جانبها ، ولما فشل ، استقال من رئاسة تحرير الجريدة في اغسطس ١٩١٤ (١٢) •

وبعد انتهاء الحرب ، كان من بين المؤسسين للوفد المصرى ، الذى سعى الى تحقيق الاستقلال بالطرق السلمية ، وعندما وقع الخلاف بين سعد وعدلى على رئاسة المفاوضات مع الحكومة البريطانية اعتزل العمل السياسى وعمل بدار الكتب والجامعة المصرية • (١٣)

● رابعا : المناداة بالحرية والدستور ●

وفى الوقت الذى طالب فيه الحزب الوطنى بحياة نيابية سليمة ، طالب حزب الامة بالدستور ايضا ، ولكن على نمط طلب الاستقلال على مراحل ، فقد طالب حزب الامة الحكومة بتوسيع اختصاصات مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية تدرجا الى ايجاد مجلس نواب تام السلطة • وأيد الخديو عباس حلمى الحركة الوطنية فى المطالبة بالدستور ، ليتخذها وسيلة لتأييد مركزه أمام تسلط « كرومر » على كل الامور ، ولما عين « جورست » بدلا منه ، لجأت السياسة البريطانية الى « سياسة الوفاق » لاعتقادها ان الخديو خلف الحركة الوطنية فى مطالبتها بالدستور ، مما أدى الى تقارب حزبى الوطن والامة فى انتقاد السلطتين الشرعية والفعلية ، لحرمانهما الشعب من الدستور وحكم بواسطة حكومة مستبدة ، ومهاجمتهما السياسة البريطانية بعد تصريح ادوارد جراى وجورست بعدم استعداد المصريين للحياة الدستورية •

وقد انعكست هذه اليقظة ونمو الحركة الوطنية على المجالس النيابية الشكلية فطالبت بالدستور والحياة النيابية السليمة او اشراك الامة مع الحكومة اشتراكا فعليا برأى قاطع على الاقل فى الشئون الداخلية المصرية لان الهيئات النيابية الموجودة لا تناسب سنة التطور والارتقاء ، لتقدم البلاد ونهضتها ، حتى تحقق علنية الجلسات فى مارس ١٩٠٩ وحق توجيه الاسئلة للحكومة المتمثلة فى الاحزاب والمجالس النيابية الصورية اضطر المعتمد البريطانى « كتشنر » الى اقامة « الجمعية التشريعية » بدلا من المجلسين السابقين وذلك فى يولية ١٩١٣ وكانت اقرب ما تكون الى هيئة استشارية • الا ان الاحزاب اعتبرتها خطوة فى سبيل البناء الديمقراطى ، ولكنها لم تستمر اكثر من خمسة اشهر لقيام الحرب العالمية الاولى • (١٤) •

وأحمد لطفى السيد المعبر عن حزب

---

١١ ـ الجريدة العدد ١٦١ ، فى ١٦ سبتمبر ١٩٠٧ •

١٢ ـ الجريدة ـ العدد ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، ٨ ، ٩ ابريل ١٩٠٨ •

١٣ ـ د• حسين فوزى النجار ، المرجع السابق ، ص

١٤ ـ المرجع السابق ، ص ٢٥٥ ـ ٢٨٢ •

١٥ ـ د• نبيه بيومى عبد الله ، الحياة البرلمانية فى مصر ، ص ١٥ ـ ٢٠ •

الامة وخاصة فئة المثقفين ، تأثر بجان جاك روسو ، بفكرة النظرية الطبيعية ، في ان الانسان حر وخير بطبيعته ، والمجتمع السيىء سببه الاستبداد (١٥)٠ ورأى أن حرية الوطن طريقها السليم هو حرية المواطن ، وان الحرية السياسية ، تكفل للمواطن حريته الشخصية ،والحرية السياسية في نظره هي أن يشترك كل فرد في حكومة بلاده (١٦) ٠ دعا الى الدستور ، والى توسيع اختصاصات مجالس المديريات ومشاركة الاعضاء المدير في كثير من المسائل (١٧) ٠

ثم أشار فيما بعد الى أن حالة المجالس النيابية لم تعد تلائم ما وصلت اليه البلاد من رقي ،ودعا الخديو والمعتمد البريطاني الى اكتساب صداقة الشعب باعلان الدستور (١٨) ٠ ثم يذكر « ان مايوجد في البلد الآن من شبه الدستور أو رائحته » (١٩) ٠ وانتقد سياسة الوفاق على أساس ان مركز الامة لم يتغير مع تلك السياسة ، ولا يزال الاستبداد مستمرا والدستور بعيدا ، وان الحركة الوطنية حركة طبيعية سببها الكره للحكم الشخصي (٢٠) ٠ ثم أيد مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية في طلب الحياة النيابية السليمة ، وانتقد السلطة الشرعية والسلطة الفعلية في رفضهما معا طلب المجلسين الدستور ٠ (٢١)

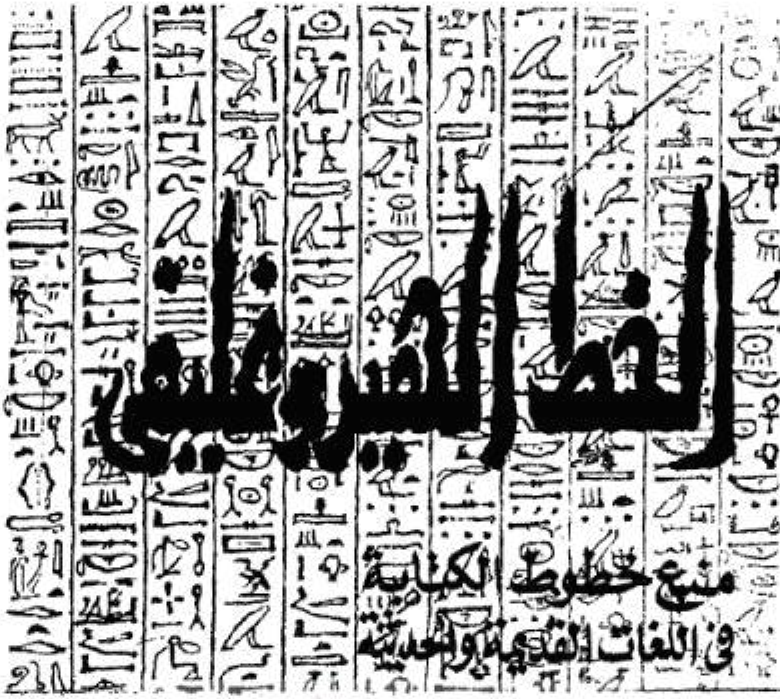
● خامسا ، التمسك بالوحدة الوطنية ●

ومن منطلق دعوة لطفي السيد الى القومية المصرية الخالصة التي لا تقوم على عنصر الدين دعا على صفحات الجريدة الى الوحدة القومية ، ونبذ التعصب الديني ، واكد المساواة بين المسلمين والاقباط ، ودعا مع غيره الى مؤتمر مصري موسع ، وبانعقاده أشار الى ان الاكثرية والاقلية لا تقوم على الدين ،ولكن على الاختلاف في المذاهب السياسية (الاحزاب) (٢٢) ٠

ويرى البعض ان فكر احمد لطفي السيد السياسي ،كان في جانب منه فكرا مفاجئا لشعور الشعب المصري وخاصة في انكار الجامعة العثمانية ، والدعوة الى الاستقلال والدستور على مراحل ٠ مما جعل الحزب الوطني حزبا جماهيريا ٠ الا أن فكر احمد لطفي السيد لاشك قد امتاز بالواقعية والتدرج في الحقوق مع العمل على تطور الشعب ، حتى اذا نهض اخذ حقه في التعليم والحرية وطالب بالاستقلال والحياة النيابية التامتين ٠٠

---

١٦ ـ د٠ احمد عبد الرحيم مصطفى ، المرجع السابق ص ٥٦ ٠
١٧ ـ الجريدة العدد ١٥٦٣ ، في اول مايو ١٩١٢ ٠
١٨ ـ الجريدة العدد ١٣ في ٢٣ مارس ١٩٠٧ ٠
١٩ ـ الجريدة العدد ٦٠ في ٣٠ مايو ١٩٠٧ ٠
٢٠ ـ الجريدة العدد ٦١ في ٣١ مايو ١٩٠٧ ٠
٢١ ـ الجريدة في ٢٣ اغسطس ١٩٠٨ ٠
٢٢ ـ الجريدة العدد ٥٢٩ ، في ٣ ديسمبر ١٩٠٨٠
٢٣ ـ د٠ حسين فوزي النجار ، المرجع السابق ،ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧٠



الخط الهيروغليفي

منبع خطوط الكتابة في اللغات القديمة والحديثة

● د . سيد كريم ●

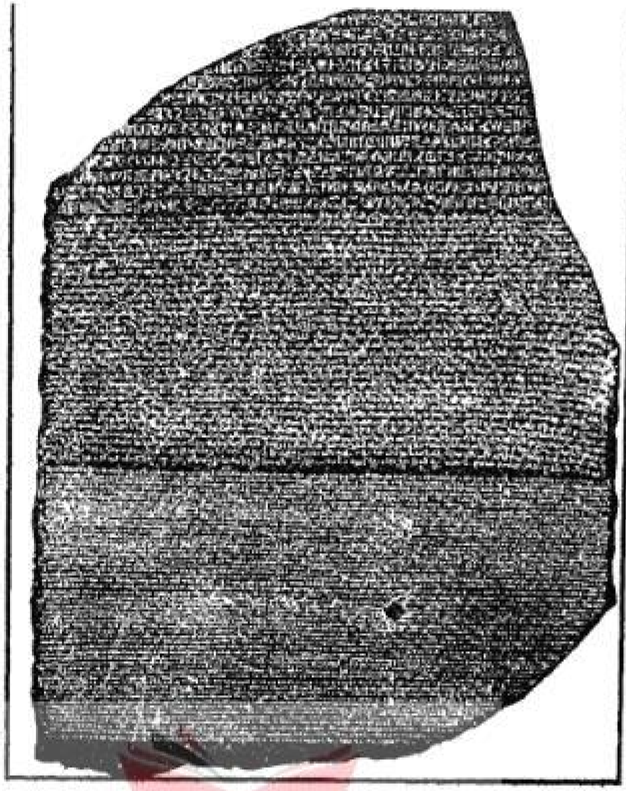
● تنقسم اللغة المصرية القديمة ـ اقدم لغة منطوقة ومكتوبة في العالم ـ وما ارتبط بها من خطوط وعبر عنها من نقوش ورموز ، ظهر الواحد منها بعد الآخر لتغطي فسحة من الزمن تمتد الى ما يقرب من خمسة آلاف عام . انتقلت خطوطها وابجديات حروفها خلال تلك المرحلة الطويلة من عمر الانسانية ، انتقلت من مصر الى مختلف شعوب العالم القديم وحضاراته المتفجرة التي سجلت الكتابة تاريخ كل منها . نشأت على أرض مصر مع فجر الحضارة كأول كتابة متكاملة لها ابجديتها واشكال حروفها التي ابتدعها الفنان المصري ، ولها قواعد نحوها واصول تركيبها التي وضعها الكاتب المصري القديم .

خرجت من مصر عبر سيناء لتترك بصماتها على خطوط الكتابات السامية والعبرية والارامية والنبطية والعربية وتعبر البحر الابيض المتوسط لتشكل حروف الخطوط الفينيقية والكريتية والاغريقية واللاتينية لتنتقل منها الى مختلف اللغات الاوربية الحديثة .

كما نقلتها بعثات الفراعنة القدماء لتعبر المحيطات وتترك بصماتها على كتابات الحضارات الامريكية القديمة كالمايا والاوزتيك وحضارات جزر المحيط الهندي التي نزلوا بشواطئها خلال رحلات استكشافهم تنقسم خطوط كتابة اللغة المصرية القديمة كما وضعها المؤرخ اكليمنوس الاسكندري ـ الى ثلاثة خطوط : هيروغليفي ، وهيراطيقي ، وديموطيقي .. وهي أشبه تقريبا بالخط الكوفي والنسخ والرقعة في اللغة العربية الحالية او بالخط الرونه والبترد والجوتيك في اللغات الاوربية .

١ ـ الخط الهيروغليفي
(نثر خرو) ٤٦٠٠ ق.م

هيروغليفي ـ كلمة يونانية مركبة من



الخط الهيروغليفي

الخط الديموطيقي

الخط الاغريقي

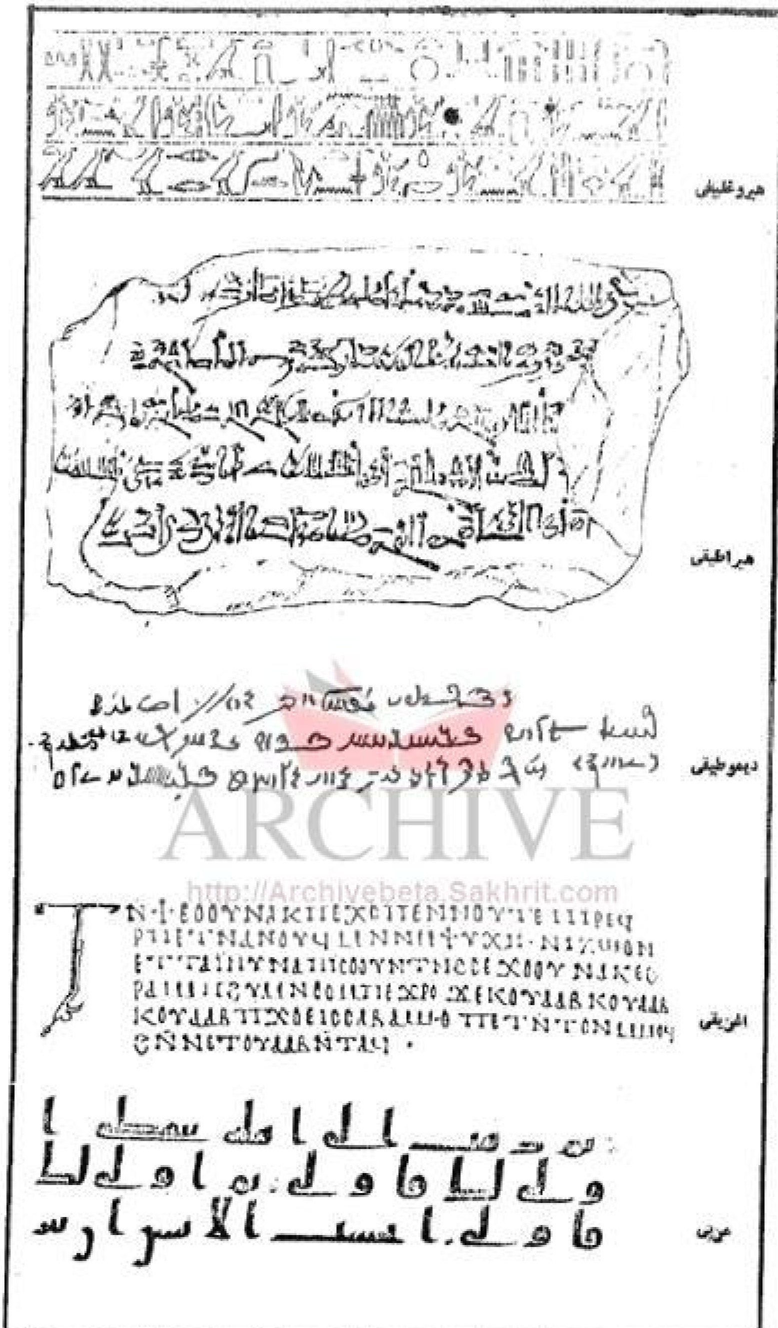
حجر رشيد فك لغز اللغة المصرية القديمة وخطوطها بعد خمسة عشر قرنا من اندثارها

هيروس أي مقدس، وغليفو أي خط، أو النقش. وهي ترجمة الاسم الفرعوني نترخرو (الكلام المقدس)

ظهرت الكتابة الهيروغليفية في مصر القديمة عام ٤٦٠٠ ق.م واستمر استعمالها طوال العصور الفرعونية.. ويسجل المؤرخون تاريخ آخر نقش مقدس كتبت به الى اليوم الرابع والعشرين من اغسطس عام ٣٩٤ بعد الميلاد، الذي وجد بمعبد ايزيس في جزيرة فيلة. وليس بين أول نص مصري هام وآخر نقش كتبت به أيام «ثيودسيوس» من فروق نحوية واضحة أو في فن الكتابة ونقوشها..

ويرجع ذلك كما ذكر توتيرون في كتابه (كهان مصر القديمة) «الى ان رجال الكهنوت اخذوا على عاتقهم علم تغيير لغة كان جرسها او نطق كلماتها من العوامل التي استخدمت في خلق العالم. وكتاباتها من تعاليم الالهة، فاي تغيير في نقوشها يفقد الكلمات فاعليتها. ويفقد الاسماء معانيها» ولهذا فالكتابة الهيروغليفية -التي كانت اول كتابة عرفتها البشرية او انزلت على البشر كما جاء في وصفهم لها، تعتبر في نفس الوقت اول كتابة عاشت اطول فترة زمنية في تاريخ الحضارات.. عاشت خمسة آلاف سنة لم تخضع خلالها لاى تغيير او تبديل.. وتوقف العمل بها وهي في كامل قوتها.. متكاملة كما بدات يوم ظهورها او نزولها.

كان الخط الهيروغليفي لدقة رسمه وفنون زخرفته لاينقشونه الا على الاحجار أو يرسمونه على الاخشاب أو يخططونه على لويحات الاستراكا الفخارية والاردوازية.. ثم انتقل الى أوراق البردي ولفائفه في تسجيل النصوص الدينية وفنون العقيدة في عصور متأخرة.


هيروغليفي
هيراطيقي
ديموطيقي
القبطي
عربي

تنقسم اشارات الخط الهيروغليفي الى نوعين أشارات صوتية واشارات معنوية .. فالاشارات الصوتية تعبر عن نطق الحرف وليس لهـا معنى مطلقـا . أما الاشارات المعنوية فهى تمثل معان مجردة من الصوت .

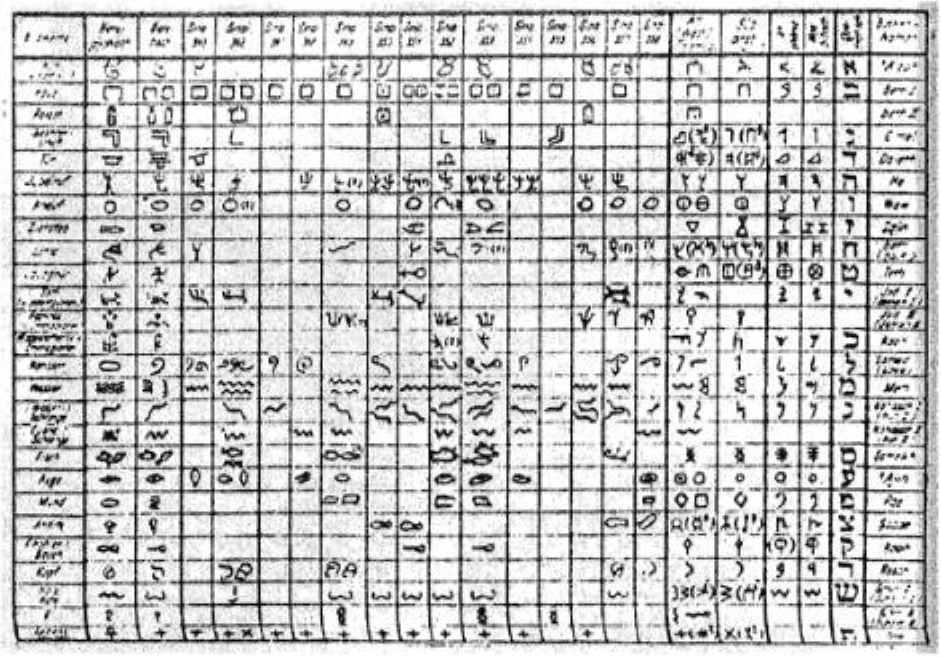
تنحصر الاشارات الصوتية فى الحروف الهجائية أو أبجدية اللغة الهيروغليفية ، ويبلغ عدد حروفها أو نقوشها ٢٤ حرفا اضيفت اليها ستة حروف أخرى وسيطة أو مكملة فى الدولة الوسطى .

وتعتبر الابجـدية الهيروغليفيـة . الابجدية الوحيدة بين لغات العالم القديم والحديث التى تشتمل على جميع الحروف المنطوقة الساكنة منها والمتحركة بجميـع اشاراتها الصوتية والمقطعية والوسـيطة بالاضافة الى الحروف الحلقيـة كالعين ، والغين ، والحاء ، والخاء والقاف والصاد والضاد والتاء .

وتجمع الحروف الابجدية الهيروغليفية بين الاشارات الصوتية والرمـز المعنـوى فرسم حرف الدال على سـبيل المثال على شكل اليد واسمها المصري (دت) وحرف العين على شـكل ذراع واسـمه (عو) والفاء بالقوقعة واسمها (فا) وحـرف الواو بطائر السـمان واسمه (ورو) .



صفحة من احدى برديات
ادب اللغة في الدولة
الحديثة بالخط الهيراطيقي



مختلف ابجديات الخط السيناوي التي جمعها آل فلتدرزي وجاردنر ويالســــن ..

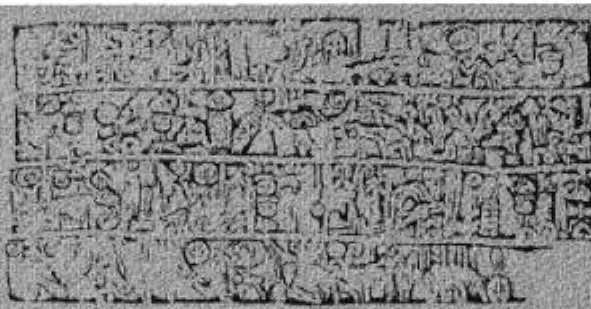
وهكذا فرسم الحـــرف يعبر عن القيمة الصوتية او نطق الحرف الاول من اسمه او صورته •

وتشمل اللغة الهيروغليفية بجانب الاشارات الصوتية والمعنوية قائمة من الاشـــارات المقطعية • وهي نوع من الاشارات المختزلة التي تقـوم الواحدة منها مكان حرفين او ثلاثة من الحـروف الهجائية • وقد بلـغ ما امكن حصره على مـدار تداول الخـط الهيروغليفي ٧٠٠ اشارة مقطعية لم يسـتعمل اكثرها الا نادرا نادرا ، واعتبرها باحثوا المصريات نوعا من الاجتهاد والتفنن في التفسير ، وتم اتفاقهم على حصر الاشارات المقطعية الاصلية على ١٤٠ اشارة •

كان الكهنة يتلاعبون بالاشــــارات المقطعية ويضاعفون من اصـولها ليجعلوا منها اداة في غاية الدقة والتعقيد ، كما كانوا يزيدونها الى أبعد الحدود خاصـة عند تدوين علوم المعرفة المقدسة للاحتفاظ بها والمحـافظة على أسرارها من التسرب الى خارج المعابد أو خارج البلاد .. وهو ما لسر به المـؤرخ والحكيم الـروماني شيشرون فتســـل علماء الاغريق الذين استولوا على كتب هرمس الخاصة بأسرار المعرفة والعلوم من مكتبة الاسـكندرية ومعبد اون ، وفشلهم في ترجمتها • فقاموا بحرقها بعدما فشلوا في تفسيرها وفك رموزها اعتقادا منهم بأن كهنـة الفراعنة وكتابهم قاموا بخداعهم وان تلك المراجع لا تمت الى علوم المعرفة بصـلة ونقوشها ليس لها معنى •

لقد واجه علمـاء المصريات كثيرا من الصــعوبات في قراءة الكتـابة المصرية القديمة ونطق كلماتها عندما ووجهوا بأن المصريين القدماء كتبوا لغتهم باسـتعمال الحروف الساكنة فقط في كتاباتهم كما هو الحال في مختلف اللغات السـامية التي تبعتهم في ذلك ومنها على ســبيل المثال اللغة العربية عنـدما تكتب بدون تنقيط أو تشكيل حروفها الساكنة •

لقد واجه العلماء الكثير من الصعوبات في قراءة اللغة المصرية القـديمة ونطق كلماتها عنـدما ووجهـوا بأن المصريين



هيروغليفية النقش لاحد الواح الفراعنة ·

القدماء كتبوا لغتهم باستعمال الحروف الساكنة فقط ، كما هو الحال في مختلف اللغات السامية التي أخذت عنهم وتبعتهم في ذلك ، ومنها على سبيل المثال اللغة العربية عندما تكتب بدون تشكيل حروفها الساكنة حيث ترك نطقها على المعرفة الموروثة والنظرة السليمة في النطق التي تستغنى عن التشكيل بالحروف المتحركة · وهي المشكلة التي واجهت كتابة القرآن باللغة العربية بالطريقة التي عرفت بها بغير تشكيل أو تنقيط · فلقد بدأ الموالي يقرؤون القرآن ويلحنون في قراءته ، وما تبعه من تضارب في تفسير كثير من كلماته المتماثلة في الحروف ، حتى قام أبو الاسود الدؤلي باضافة التشكيل والتنقيط في تصحيح المصحف الشريف مما كان سببا في الحفاظ على القرآن وعلى اللغة العربية من التحريف والاندثار ·

لما كانت اللغة المصرية القديمة تشترك مع اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية القديمة في أن الكلمة الواحدة المكونة من ثلاثة أو اربعة حروف ساكنة تعبر عن أكثر من معنى سواء كان اسما أو فعلا أو وصفا تبعا لطريقة نطقها ، فان الكاتب المصري بدلا من تشكيلها وتنقيطها واضافة الحروف المتحركة اليها قد ابتكر ما أطلق عليه بالاشارات المتممة التي تعبر عن المعاني المختلفة لنفس الكلمة ، فكلمة « هنو » مثلا تعبر تبعا لطريقة نطقها عن الدعاء والفرح والازواج والحصاد

ماضيفت اليها في الاول صورة دعاء والثانية شخص يلهو والثالثة رجلا وامرأة يقفان جنبا الى جنب والرابعة رسم منجل وهكذا ، وقد استعملت تلك الطريقة في الكتابة والقراءة في برديات الادب الشعبي وكتب العقيدة وبرديات التعليم المدرسي ·

أما نظام الكتابة الهيروغليفية واتجاهاتها فكانت منذ بدء استعمالها تكتب من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين · ويتمشى اتجاه الكتابة مع اتجاه رؤوس صور الانسان او الحيوان او الطيور · كما كانت تكتب في خطوط افقية أو راسية تبعا لفنون تشكيلها ·

ويستعمل علماء الآثار اليوم الكتابة الهيروغليفية من اليسار الى اليمين لسهولتها عليهم نظرا لما اعتادوه في كتاباتهم الاوروبية ·

الخط الهيراطيقي (النقش الكهنوتي) ٢١٦٠ ق·م — ٨٥٠ ق·م

سمي بهذا الاسم لان الكهنة كانوا أول من ابتكره واستعمله خاصة في اعمال الكهنوت وعلاقتها بعلوم المعرفة التي كانت تدرس في بيوت الحياة الملحقة بالمعابد · والهيراطيقية كتابة تصويرية مختصرة عن الهيروغليفية أو التعبير الهندسي لاشكالها المعنوية ·

يمتاز الخط الهيراطيقي عن الهيروغليفي بسهولة كتابته مع الاسراع والاختصار الضروري في تسجيل تعاليم العقيدة



حروف لغة بيبلوس

والرغبة فى انتشار العلوم والمعارف ونشر التعليم . وكانت كتابته من اليمين الى اليسار فى سطور أفقيه أو رأسية .

رغم ان الخط الهيراطيقى اطلق عليه الخط الكهنوتى لانه كان من ابتكار الكهنة الا انه كان الخط السائد فى كتابة الوثائق العامة والمكتبات الرسمية والقوانين واللوائح . كان فى بداية استعماله ينقش ويرسم على الالواح الخشبية ولويحات الاستراكا وكان يغلب فيه استعمال الريشة والالوان ، ثم انتقل الى الكتابة على أوراق البردى ولفائفه الطويلة التى وصل طول بعضها الى أكثر من عشرة أمتار ، وكانت تحفظ فى مكتبات المعابد فى خزائن خاصة تعلق فى الحوائط حتى لا تتعرض للتلف بمرور الزمن . ونسخت عليها فنون العقيدة وكتب الموتى وعلوم المعرفة بانواعها . وتفنن الفراعنة فى استعمال الخط الهيراطيقى المزخرف فى عصر العمارنة حيث صورت بها متون عقيدة التوحيد الاخناتونية واناشيد اخناتون الدينية المعروفة ، ومن بينها مزامير داود المشهورة التى نقلها سليمان الحكيم من مصر ونسبها اليهود الى سيدنا داود فى اسفار العقيدة .

كشفت حفريات العمارنة عن أصول ثمانية من تلك المزامير بأسلوبها الشعرى والغنائى كتبت بالخط الهيروغليفى والهيراطيقى قبل عصر داود بأربعة قرون كما كشف العالم الكبير الدكتور سليم حسن بين آثار العمارنة عدة صفحات من التوراة بين متون عقيدة اخناتون التى تسبق خروج اليهود من مصر بمائتى عام وهو الكشف الذى أحدث ضجة عالمية بين علماء الآثار والاديان قبل الحرب العالمية الثانية .

لقد لعبت الكتابة الهيراطيقية دورا هاما خلال الدولة الحديثة فى تقديم كثير من روائع الادب الفرعونى وعلوم المعرفة وأقوال الحكماء .

وقد لجأ أدباء الدولة الحديثة الى طرق متباينة فى التلاعب بالالفاظ والاشارات وكانوا يضاعفون من أصولها ويفخرون بعثورهم على اشارات جديدة يخلقون لها معان جديدة وكانوا يجعلون عملهم عفا فنا يمارسونه ، ويميز أدب كل واحد منهم عن الآخرين .

ينقسم الخط الهيراطيقى الى نوعين الخط الهيراطيقى العمودى وكل حروفه منفصلة عن بعضها فى رسم العلم والنوع الثانى المعروف « بالكرسيف » وهو خط مائل وتساعد كتابته على الاسراع وتتصل كلماته بعضها ببعض بدون فاصل .

٣ ـ الخط الديموطيقى (الخط الشعبى) ٨٠٠ ق.م ـ ٣٨٩ م

اطلق عليه الفراعنة اسم (موت رم ن كيمى) أى لسان أهل مصر . ظهر فى أواخر الاسرة الخامسة والعشرين بدأ استعماله فى صعيد مصر . وكان أول ظهوره فى مدينة أخم مين ـ تيروبوليس

الخميم • وانتشر منها الى جميع انحاء الوادى فى الاسرة ٢٦ • وصارت اللغة الديموطيقية المشتقة من اللغة الهيروغليفية هى اللغة المتداولة فى الامة وخاصة فى الآداب والفنون والعلوم ، وانتقلت منها لتحل محل اللغة الهيراطيقية فى المخاطبات الرسمية • واقتصرت الكتابة الهيروغليفية على الامور الدينية والعلوم المقدسة •

والخط الديموطيقى بدوره اختزال للخط الهيراطيقى ولكنه يختلف عنه فى قواعده ، لان الاشارة الواحدة يعبر عنها بأكثر من شكل ، كما انها خضعت للكثير من التطور ابتداء من ظهورها حتى اواخر عهد البطالسة حيث تفنن الكتاب فى رسم خطوطها وتشكيل نقوشها وأساليب انتسابها بل ولهجات نطقها حتى أصبح من السهل تحديد العصر الذى تنتمى اليه كل مرحلة من مراحل تطورها •

ويصف المؤرخون فى تاريخ اللغات ، اللغة المصرية التى كتبت بالخط الديموطيقى باللغة الشعبية أو العامية الدارجة •

الخط السيناتى

١٥٠٠ ق•م – ١٠٦ م

يعتبر اصلا لكل الابجديات • نشأ فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد عن اختزال المقاطع الهيروغليفية والاكتفاء بالحروف الاولى من أسماء الصور التى تعبر عن المعنى كما هو الحال فى الكتابة الهيروغليفية والهيراطيقية • من هذه الحروف تكونت الابجدية السيناتية من ٢٢ حرفا • ثم انتقلت تلك الابجدية المبسطة عبر سيناء بواسطة القبائل الرحل الى البلاد الاسيوية ثم الى اليونانية وبالاصل الى جميع الابجديات الاوربية •

كما ان الكتابة السيناتية كما هو ثابت فى تاريخ الكتابة ، أصل الكتابة الارامية التى أخذت عنها الكتابة النبطية – أصل الخط العربى – ويضم وادى المكتب فى سيناء آثارا للنقوش النبطية واليونانية والعبرية والعربية تعود الى فجر التاريخ المسيحى ، وتعبر تعبيرا حيا عن قنوات الاتصال بين تلك الخطوط •

وللنقوش القبطية اهمية خاصة تؤكد صلات مصر العربية اذ ان الاقباط هم عرب هاجروا من شبه الجزيرة العربية عام ٥٠٠ ق•م ، وارتبطوا بسكان سيناء

– كما عاشت الدولة النبطية حتى عام ١٠٦ م • وقد توصلت الابحاث التى قام بها فلندرز بترى عام ١٩٠٤ فى مناجم النحاس والفيروز فى سيناء واهمها ماوجد بين انقاض معبد حتحور ، الى اكتشاف ٢٢ حرفا مشتقة من الحروف الهيروغليفية والهيراطيقية ، كما توصلت الابحاث التى قام بها جاردنر الى كشف العلاقة بين الخط السيناتى والخط الهيروغليفى من جهة والعلاقة بين الخط السيناتى والخطوط السامية من جهة اخرى •

٥ – هيروغليفية بيبلوس

١١٠٠ ق•م

استعمل الفينيقيون الكتابة المسمارية حتى وصل الفراعنة الى شواطىء فينيقيا (بيبلوس وصيدون) التى امتدت اليها حدود الامبراطورية المصرية فى الدولة الحديثة فاستبدل الفينيقيون كتابتهم المسمارية فى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد بكتابة جديدة مستمدة من الهيروغليفية والهيراطيقية المصرية واقتصرت على ٢٢ حرفا كأبجدية الخط السيناتى وأطلق عليها اسم هيروغليفية بيبلوس وقد ساعد على استبدالهم الكتابة المسمارية بالحروف الهيروغليفية زيادة علاقاتهم التجارية بين موانى بلادهم والموانى المصرية واختلاطهم بسكان الشواطىء الشمالية لمصر فى العصر المتأخر فادخلوا الكثير من الاسماء والكلمات المصرية فى لغتهم كما نقلوا نظام الحساب والارقام الهيروغليفية التى استبدلوا بها ارقامهم المسمارية الاصل •

ثم انتقلت ابجديتهم وفن كتابتها التى نقلوها عن المصريين الى بحر ايجه ومنه دخلت الى بلاد اليونان ثم اضاف الاغريق بعض التعديلات فى أشكالها وخاصة ما أدخلوه عليها من الحروف الديموطيقية ونقلوها الى ايطاليا فقام الرومان بتعادل أشكال بعض حروفها خاصة أثناء الحكم الرومانى لمصر وعلموها لقبائل البرابرة الذين يستوطنون غرب أوروبا ، وهم اجداد الاوروبيين الحاليون •

٦ – هيروغليفية مورى

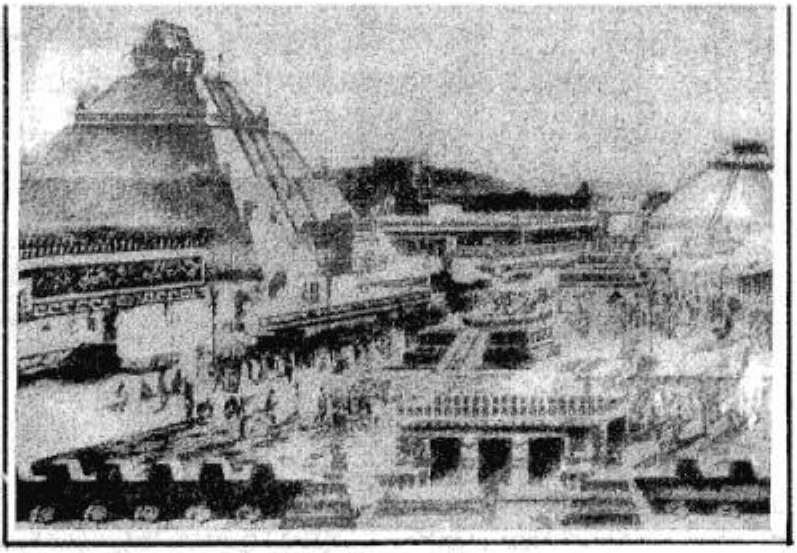
٧٩٥ ق•م

ظهرت الحضارة الكوشية فى مروى جنوب وادى النيل وهى التى أطلق عليها

المؤرخون بالخطأ اسم الحضارة الاثيوبية نقلاً عن مؤرخى الاغريق القدماء .

كما أطلقوا على غزوهم لمصر اسم الغزو الاثيوبى . وكوش اسم اطلقه المصريون القدماء على بلاد النوبة العليا (السودان) وكانت عاصمة بلادهم فى الدولة القديمة « كرما » انتقلت فى الدولة الحديثة الى « نباتا » جنوب الشـــلال الرابع وكانت تعتبر مركزا هاما لعبادة الاله « آمون » أو العاصمة الثانية للاله آمون بعد طيبة

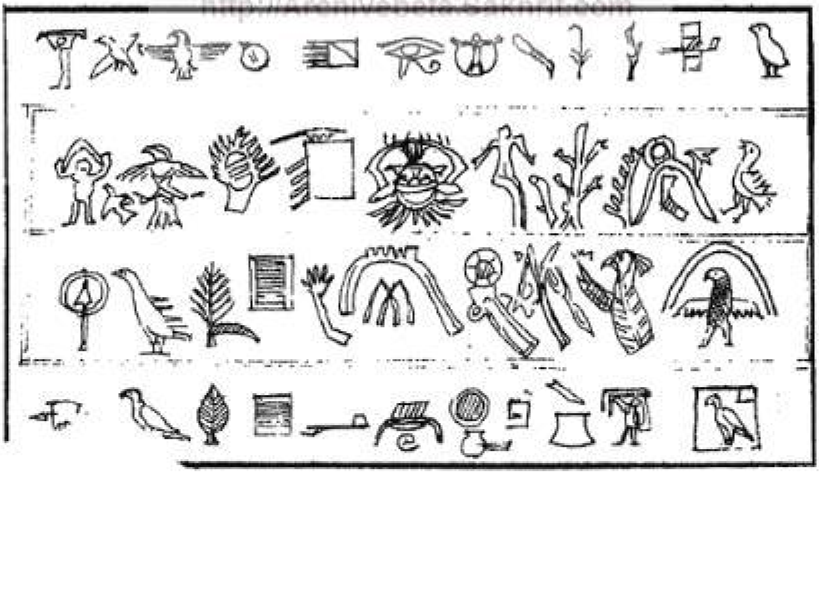
وتمتد حدود بلادهم الى أعالى النيل والحبشة والصومال .

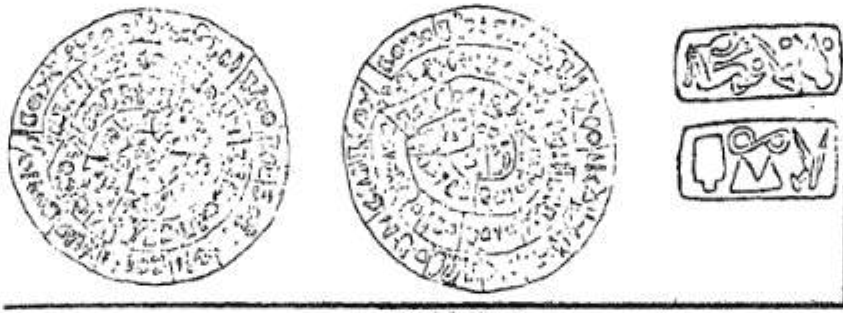


اهرامات ومعابد مدينة كوبان احدى مدن حضرة المايا الامريكية

هيروغليفية المايا

نموذج رموز ونقـــوش كتابة شـــعوب المايا الامريكية « داخل الاطار » وما يقابلها ، ويماثلها من الحروف الهيروغليفية المصرية القديمة خارج الاطار »





هيروغليفية كريت
لوحات اقراص الاختام المقدسة

وينحدر ملوك نباتا من أصل كهنة معبد طيبة الذين هاجروا فى عصور الاضمحلال الى نباتا واعلنوا انهم سادة بعد أن صاهروا أهل البلاد وجعلوا من نباتا العاصمة الثانية للاله وعباداته .

ولم يكن للغة مروى كتابة او نقوش فكانت لغة منطوقة فقط ، الى أن بداوا يحاولون وضع نقوش لها نقلوها عن المصريين وذلك لكتابة اسماء ملوكهم وتخليد اعمالهم ، واطلقوا على الخط الهيروغليفى المستعمل فى تلك المناسبات **« بالخط التذكارى » . ثم بدءوا فى وضع ابجدية** لكتاباتهم العامة **بعد فتح حدودهم** مع مصر واعتبار **انفسهم جزءا لا يتجزأ** من شعب وادى النيل .

وابجدية الكتابة العامة خليط من الحروف الهيروغليفية المبسطة والحروف **الديموقراطية والحصرت فى ٢٣ حصرفا لاغير بعد** استبعاد الرموز المقطعية **والاشارات** المعنوية المصرية ، **وقد اضافوا الى كتاباتهم بعض الحروف المتحركة لتوضيح معانى الكلمات ونطقها** بطريقتهم الخاصة . ولا تزال لغة مروى يكتنفها الغموض فقد أمكن نطق كلماتها وأسماء الملوك والاماكن ، ولكن أصول اللغة لا تزال غامضة ، ولم يتمكن الباحثون من معرفة الا عدد قليل من الكلمات التى وجدت أصولها فى اللهجات النوبية والسودانية والحبشية الحديثة . ويرجع اكتشاف لغة مروى الى عام ١٨٢٠ وقام بتفسيرها العالم البريطانى جريفث عام ١٩٣٠ .

٧ ــ هيروغليفية الحتيين ٧٠٠ ق.م

كانت اللغة الحتية ــ احدى اللغات السامية الاسيوية تكتب بالخط المسمارى مع بدء ظهورها فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، الى أن ظهرت كتابتها التى اطلق عليها هيروغليفية الحتيين فى القرن السابع قبل الميلادلتشابه حروف كتابتها مع الهيروغليفية المصرية وخطها الهيراطيقى الكرسيفى .

وقد وجدت بعض لوحات الحتيين ضمن « رسائل العمارنة » نقشت بالخط المسمارى والخط الهيروغليفى باللغة الحتية نتيجة للعلاقات السياسية بين الحتيين وغيرهم من البلاد الاسيوية بمصر فى الدولة الحديثة مما كان من اهم العوامل فى استبدال الكتابة المسمارية بالخطوط المصرية سواء الهيروغليفية أو الهيراطيقية أو الديموطيقية .

كان الفضل فى **اكتشاف الكتابة الحتية وفك رموزها للعالم البريطانى سايس عام ١٨٧٠ وهو الذى اطلق عليها اسم « هيروغليفية الحتيين » .**

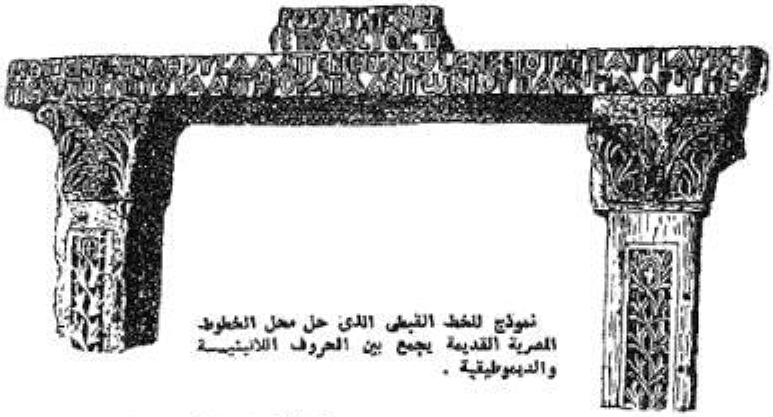
لقد بقيت اللغةالحتية المكتوبة بالخط الهيروغليفى من الالغاز الغامضة فى تاريخ اللغات القديمة حتى عام ١٩٤٧ عندما اكتشف العالم الالمانى بوسهارت فى حفريات تلال صيدون لوحة ترجع الى القرن السابع قبل الميلاد كتبت نصوصها بالخط المسمارى والهيروغليفى الحتى وهيروغليفية بيبلوس أمكن منها قراءة بعض الاسماء وتفسير كثير من الكلمات ويعتبرها الاثريون كحجر رشيد الذى كشف لغز اللغة المصرية القديمة .



تماثيل العمالقة التى تحرس شواطىء الجزيرة
وتستقبل شروق اله الشمس

احدى لوحات هيروغليفية جزيرة ايستر





نموذج للخط القبطي الذي حل محل الخطوط المصرية القديمة يجمع بين الحروف اللاتينيــة والديموطيقية .

٨ – الكتابة المصرية والحضـــارات الامريكية القديمة .

لقد كان لرحلات الفراعنة المشـهورة عبر البحــر الابيض والمحيـط الاطلسي غربا ، والبحر الاحمر والمحيط الهادى شرقا ، التي وصلوا خلالها الى الشواطيء الامريكية وجزر المحيط الهنــدى – أثر كبير في نقل الكتابة ونقوشها الى البلاد التي تركوا بصمات حضارتهم عليها .

من أحـدث المفــاجآت التي واجهت الباحثين في حضارات المايا والازوزتيــك الامريكية القديمة عند محاولتهم الكشف عن أصل لغاتهم وحصر نقوش رموزها – وجود كثيرمن نقوش الحروف الهيروغليفية والديموطيقية واشاراتها المعنوية ، مما أكد العلاقة الوثيقة بين تلك الحضــارات والحضارة الفرعونية التي انتقلت اليهــا خلال الدولة الحديثة وفي اعقاب العصر المتأخر ، كما سبق شرحه في بحث « من ٢٠٠٠ سنة قبل كولومبوس استكشف الفراعنة امريكا » .

وتقوم حاليا كثير من معاهد البحـوث والآثار العــالمية بمتــابعة ذلك الخيط الهادى كشعوب جزر هــاواى والبولينيز والماورى عن طريق كشف لغاتهم ولهجاتهم وخطوط كتاباتها للتوصل الى اكتشــاف الحلقة المفقودة التي تربطهم بالفراعنة عن طريق لغاتهم وخطوط كتاباتهم بالكتابات الهيروغليفية بمختلف خطوطها .

من آخر المفاجآت التي كشفتها تلك الابحاث ، اللوحات الخشبية التي وجدت مدفونة في كهوف جزيرة الربيع (جزيرة الايستر) احدى الجزر الثانية بالمحيط الهادى – وتعتبر من الالغـاز التي حيرت الاثريين والمؤرخين بما اكتنفها من غموض عندما اكتشفها لاول مرةالاميرال روجيفين الهولندى يوم عيد الربيــع عام ١٧٢٢ فاطلق على الجزيرة اسم جزيرة الربيع ، وهو الاسم الذى تعرف به الى الآن .

وهي جــزيرة بركـانيـة لا يزيد عـدد سكانها عن مائة وخمسين ســاكن من أصــل بولينيزى قديم ، ويطلق عليها سكان جزر المحيط اسم جزيرة الشياطين التي يسكنها العمالقة حيث تمتلىء أرضها ويحرس شــواطئها عشرات التمــاثيــل الضخمة المتماثلة في الشكل ، صنعت من صخور اللافا البركانية الصــلبة ويبلغ بعضها عشرين مترا ووزنهــا يزيد عن الخمسين طنا ، ويطلق ســكان الجزيرة على تلك التماثيل اسم « الهة الاجداد »

اندثرت الكتابة المصرية القديمة وخطوطها الهيروغليفية المختلفة لتتحــول الى لغز غامض طوال خمسة عشر قرنا حتى ظهر حجر رشيد الذى يحمل مفتاح ذلك اللغز « الهيروغليفى » الذى تحــول بدوره الى مفتاح لتفسير أكثر من لغز من الغــاز الحضارات القديمة والحـديثة التي كان للخط الهيروغليفي الفضــل في نشــأة كتابة لغاتها والتي اطلق عليها المؤرخون اسم الهيروغليفية نسبة الى مصدرها .

على البعد أحلى

● د . عبد الحميد محمود ●

لماذا إذا ما تنكّرتَ ... أراكِ على البُعد أحلى !
ضياء الكواكب يخبو إذا ما ضياكِ أهلّا !
تفرّدتِ بين النجوم مكانا ، وروحا ، وشكلا !

●●●

أنا من أحبّ الرحيلَ فسافر صبحا وليلا !
يفتش عن سرّ تلك المدائن إيمان حلّا !
فلم يفهم السرّ إلا لديك .. وما كان سهلا

●●●

حبيبةَ قلبي أريدك للقلب بعضا وكلّا ..
أنا منك .. نبضي فتاك إليك ... وردّ به كهلا !
ليحمل في الفجر آمال حبك حملا ، فحملا ..

●●●

ترعرعت في ماء نيلك من يوم أن كنت طفلا ..
تنفّست عطرك ألفا ... تنفّست مجدا وأملا
وحين حزنت حزنتُ ومزّقت حزنك قتلا ..
وحين بسمت بسمتُ وأشبعت قلبك وصلا

●●●

أشدّ الرحال ، ولكن أعود كما كنت قبلا ..
.. شوقا إليكِ ، فإني أراكِ على البُعد أحلى !

رائد الشعر الجديد
في فجر الرحيل المفاجئ

باق.. ما بقي للخلد
شعر وفكر

... عاش كالحلم المفعم حبا ، وسماحة ، وعطاء ..

وراح كالطيف في وسن الفجر ، في أحزان الرحيل المفاجيء ! ..

هكذا كانت حياته ، وهكذا كان .. : رائد تيار الشعر الجديد ، شساعرنا الراحل صلاح عبد الصبور ..

كان وداعه الاخير للدنيا خفقة في قلب العصر ، تعجلا ، وخفا ..

وكانت حياته أسطورة حب وملحمة باهرة تصــطدم بالواقع على غير موعد وانتظار ! ..

ميلاده عام ١٩٣١ ، نشاته ، طموحه ، دراسته ، تخــرجه في كلية الآداب جامعة القاهرة ، قسم اللغة العربية ، حياته بعد التخـــرج ، عمله في للتدريس وفي الصحافة ، وفي الادب ، وفي ميادين الثقافة .. ودواوينه ومسرحياته ، ومقالاته ، ومناصبه التي اسندت اليه ..

كان هو كل ذلك ، وكان في كل ذلك الشاعر والانسان والفارس في تواضع ونبل ، يمثل عمق المعرفة والموهبة . ويتدفق عطاءه من الشــاعرية الخصــبة والتجربة ، والفكر المنير ..

ومن عطاء هذه الموهبة ، تبقى للاجيال دواوينه ومسرحياته :

الناس في بلادي ـ اقول لكم ـ احلام الفارس القديم ـ الابحار في الذاكرة ـ بعد ان يموت الملك ـ كتابة على وجه الريح ـ انتظار الليل والنهار ـ شــجر الليل ـ حتى نقهر الموت ـ ليلى والمجنون ـ مسافر ليل ـ الاميرة تنتظر ـ مأساة الحلاج ـ ماذا يبقى منهم للتاريخ ـ قراءة جديدة لشعرنا القديم ـ رحلة الضمير المصري ـ و .. حياتي في الشعر ..

الآن (١) في قلب كل قاريء ، كل عاشق للشعر والفكر والادب ، فجيعــة لا تنتهي ..

في مثل هذه الايام من عام ١٩٦٤

وقبل الرحيل المفاجيء ، ومنذ سبعة عشر عاما ، قال صلاح عبد الصبور ، كأنما يتنبأ ، أو يودع ، أو يشير الى موعده في عمق الغيب ، الاخيب ..

في اغنية للشتاء :

ينبئني شتاء هذا العام انني أموت وحدي ..

---

(١) .. « والهلال » ماثل للطبع ..



ذات شتاء مثله .. ذات شتاء !
ينبئني هذا المساء ، انني اموت وحدي
ذات مساء مثله ، ذات مساء ..
وان اعوامي التي مضت ، كانت هباء
وانني اقيم في العراء ! ..
ينبئني شتاء هذا العام ان داخلي
مرتجف بردا ..
وان قلبي ميت منذ الخريف !
قد ذوى حين ذويت ..
اول اوراق الشجر ..
ثم هوى ، حين هوت ..
اول قطرة من المطر ! ..
أليست هذه نبوءة للنهاية قبل الرحيل الفاجع ..

لقد خلق صلاح عبد الصبور فنانا وعاش فنانا ، وراح منا في ليل الحـــزن شاعرا ، فنانا وانسانا نبيلا ..

ولقد استطاع الشاعر والفارس النبيل ان ينغم حياتنا ، وان ينظم حيـــاة نفوسنا ومشاعرنا وواقعنا ، في « اعمال لها ديمومة الفن ، وقدرته اللامتناهية على التجدد ! »

ولكنه تعجل الرحيل ، على غير انتظار

مسافر الليل ختم الرحلة فجأة ، في فجر اليوم الحزين ـ الثـالث عشر من اغسطس الذي ذهب ..

راح الشاعر الفنان ،رائد الشعر الجديد ، راح في الخمسين من سني حياته القصيرة ، كما راح المتنبي ، وكما مات على محمود طه ، وابراهيم ناجي ، ومحمود حسن اسماعيل .

وكما مات من قبل ملوك النغم الشعري وامراء القصيد ..

الآن .. لقد رحل عن دنيانا صلاح عبد الصبور ..

هذا حق ..

وحق أيضا انه بيننا عظيم الوجود ، باق ما بقي للخلد شعر ، وفكر ، ومثال من الخلق الرفيع .. !

(نصر الدين ....)

مصر فى كتابات البغدادى

● د · محمد عبد المنعم خفاجي ●

زار عبد اللطيف البغدادى الرحالة العربى المشهور (٥٥٧ ـ ٦٢٩ هـ) مصر عام ٥٨٧ هـ ـ ١١٩١ م ، ونزل فى ضيافة حاكمها العظيم صلاح الدين الايوبى،وألف عن رحلته الى مصر كتابه المشهور «الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » ·

ويقص البغدادى قصة رحلته الى مصر (١) فيقول : توجهت الى صلاح الدين بظاهر عكا ، فاجتمعت ببهاء الدين ابن شداد قاضى العسكر ، فانبسط الى ، واقبل على ، وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب ، فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين ،فوجدته يكتب كتابا الى الديوان وقال : قوموا بنا الى القاضى الفاضل (٢) فدخلنا عليه ، فرايت شيخا ضئيلا ، كله راس وقلب ، وهو يكتب ويملى على اثنين وقال لى : ترجع الى دمشق ، ونجرى عليك الجرايات ، فقلت : أريد مصر ، فقال : السلطان مشغول القلب باخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت الى وكيله بها ،فلما دخلت القاهرة جاءنى وكيله وهو ابن سناء الملك (٣) وكان شيخا جليل القدر ، نافذ الامر ، فأنزلنى دارا ،وجاءنى بدنانير ،ثم مضى الى أرباب الدولة ، وقال : هذا ضيف القاضى الفاضل ، فدرت عليه الهدايا والصلات من كل جانب ، وكان كل عشرة أيام او نحوها تصل تذكرة (رسائل) القاضى الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة ، وفيها فصل يؤكد الوصية فى حقى ، وقمت بمسجد ابن الحاجب رحمه الله أقرىء الناس (٤) ·

***

كان سن البغدادى حين قدم الى القاهرة ـ الثلاثين ، وكان رجلا ذكيا عالما واسع الثقافة متعدد ألوان المعرفة ، بعيد الشهرة ذائع الصيت ، وكان ابن شداد قد اتصلت به شهرة البغدادى فاكبره وعرف منزلته ، وقدره حق قدره

ويصف البغدادى صلاح الدين فيقول: كان صلاح الدين قد هادن الفرنج ، وعاد الى القدس ، فقادت الضرورة الى التوجه اليه ، فاخذت من كتب القدماء ما امكننى وتوجهت الى القدس ، فرايت ملكا عظيما يملأ العين روعة ، والقلوب محبة ، قريبا بعيدا ، سهلا محببا ، وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف · واول ليل حضرته وجدت مجلسه حافلا باهل العلم ، يتذاكرون فى اصناف العلوم · وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ فى كيفية بناء الاسوار ، وحفر الخنادق ، ويتفقه فى ذلك ، ويأتى بكل معنى بديع وكان مهتما فى بناء سور القدس ، وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه ، وينقل الاحجار على عاتقه ،

---

(١) راجع كتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة فى ترجمة للبغدادى ، ص ٧٠ من كتاب « مواكب الحرية فى مصر » تأليف محمد عبد المنعم خفاجى ، وكتاب عبد اللطيف البغدادى فى مصر ـ نشر المجلة الجديدة بالقاهرة ، وكتاب عبد اللطيف البغدادى لعبد السلام المشرى ، و ص ٧ جـ ٢ فوات الوفيات لابن شاكر ، ويذكر ابن شاكر ان البغدادى الف كتاب « اخبار مصر الكبير » ص ٨ جـ ٢ فوات · وكتاب البغدادى نشر المجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة ·

(٢) وزير صلاح الدين كان عالى المنزلة فى الدولة الايوبية ، وهو من عمد الحركة الادبية وروادها فى العصر الايوبى « ٥٢٩ ـ ٥٩٦ هـ » ـ راجع ص ٣٣٣ ـ ٣٣٧ جـ ٢ وفيات الاعيان لابن خلكان ·

(٣) من أعلام الادباء والشعراء والكتاب فى عهد صلاح الدين ، توفى عام ٦٠٨ هـ ·

(٤) جـ ٢ ص ٢٠٥ عيون الانباء لابن أبى أصيبعة

ويتاسى به جميع الناس : الفقهاء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب ، والقاضى الفاضل ، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ، فيأتى داره ، ثم يستريح ويركب العصر ، ويصرف أكثر الليل فى تدبير ما يعمله نهارا (٥) .

وحقا ما قال البغدادى ، فقد كان صلاح الدين محبا للعلم والعلماء ، انشأ المدارس والجامعات ، وشجع العلماء والطلاب ، ويقول فيه السيوطى (٦) : انه رحل الى الاسكندرية بولديه الافضل والعزيز لسماع الحديث من الامام السلفى (٧) ولم يعهد ذلك من ملك ، الا هرون الرشيد ، فانه رحل بولديه الامين والمأمون الى الامام مالك لسماع « الموطأ » منه .

***

كان البغدادى نموذجا لرجل الفكر والمعرفة العربى فى عهده ، فهو قد اتخذ من الوطن العربى فى المشرق وطنا له ، فعاش بين بغداد والشام ومصر ، وهو قد كان دائرة معارف ، وصاحب اسلوب علمى فريد (٨) . وكان من العقول الممتازة فى تاريخ الفكر العربى ، ونبغ فى العلوم العقلية ـ الفلسفة ـ والطب والتاريخ والجغرافيا .

وقد الف كتابا فى تاريخ سيرته الذاتية ، ضاع مع ما ضاع من مؤلفاته ، وبقيت منه نصوص نقلها ابن ابى أصيبعة فى كتابه « عيون الانباء فى طبقات الأطباء » فى نحو خمس صفحات ... ومن هذه النصوص الباقية نعرف بعض المعلومات عن حياة صاحبنا .

فى بغداد ولد موفق الدين عبد اللطيف البغدادى عام ٥٥٧ هـ : ١١٦١ م ، وشب بعد طفولته فأخذه أبوه الى كمال الدين عبد الرحمن الانبارى (ـ ٥٧٧ هـ) وكان يومئذ شيخ بغداد ، وهو صديق والده وزميله أيام الدراسة فى « النظامية » ، وأحاله الانبارى الى أحد تلاميذه ، وهو الوجيه الواسطى ليأخذ عليه العلم ، وبعد ذلك يرجع اليه . وأخذ البغدادى يدرس العلوم المختلفة على يدى الواسطى الضرير ويلازم حلقته فى المسجد الذى يدرس فيه ببغداد ثم بعد ذلك عاد الى الانبارى فتعلم على يديه ، واخذ عنه مختلف علوم العربية ، وفى أثناء ذلك **اخذ الحديث والفقه على الشيخ ابن فضلان بمدرسة دار الذهب ببغداد ودرس الكيمياء والطلسمات وما يجرى مجراها (٩) من مختلف العلوم العقلية واكب على الغزالى وابن سينا وجابر بن حيان .**

وفى عام ٥٨٥ هـ : ١١٨٩ م رحل الى الموصل ، ولقى الكمال بن يونس ، وافاد من علمه فى الرياضيات والطب ، وسمع بالسهروردى (المقتول عام ٥٨٧ هـ) وقرأ كتبه . وفى عام ٥٨٦ هـ رحل الى دمشق ، واجتمع بعلمائها ، والف وهو فيها كتبا كثيرة . وتوجه من دمشق الى القدس فزارها ثم الى عسكر صلاح الدين بظاهر عكا ، واجتمع هناك ببهاء الدين ابن شداد قاضى العسكر ، وصاحب « سيرة صلاح الدين الايوبى » .

وهكذا كان البغدادى صورة رائعة للعقل العربى فى عهد صلاح الدين ـ القرن السادس الهجرى ـ وكان مهيبا رائعا جليلا ملما بمختلف العلوم الاسلامية والعربية والعقلية .

***

وفى مصر نزل البغدادى فى مسجد باب زويلة ، وتعرف بالحاجب لؤلؤ (١٠)

ويصف البغدادى صورا من حياة مصر الفكرية فى عهد صلاح الدين ، فيقول : « كان قصدى فى مصر ثلاثة أنفس : يسن السيميائى ـ أى الذى صناعته السيمياء وهى الكيمياء الخرافية ـ وموسى بن ميمون اليهودى ، وأبو القاسم الشارعى .

---

(٥) عن عيون الانباء أيضا
(٦) ٢ : ٣٦ حسن المحاضرة للسيوطى ـ الطبعة البهية
(٧) من ائمة الفقهاء والمحدثين ورائد مذهب أهل السنة فى عصره ، عاش أكثر من مائة عام وتوفى عام ٥٧٦ هـ فى الاسكندرية « راجع ٢/٧٣ قصة الادب فى مصر »
(٨) ح و ط البغدادى ـ نشر المجلس الاعلى للفنون والاداب تقديم د. سليمان حزين .
(٩) ٢/٢٠٣ عيون الانباء
(١٠) ٢/١٩٤ انباه الرواة للقفطى ـ تحقيق أبى الفضل ابراهيم ونشر دار الكتب المصرية .

ويقول عن يسن انه وجده مشعبذا كذابا ، يشهد للشاقاني بالكيمياء ، ويشهد له الشاقاني بالسيمياء ، فيقول عنه : انه يعمل أعمالا يعجز موسى بن عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وبأى مقدار شاء !

وموسى بن ميمون اليهودى (١١) (٥٣٠ ـ ٦٠٢ هـ : ٣٠ مارس ١١٣٥ ـ ١٣ ديسمبر ١٢٠٤ م) يقول عنه البغدادى انه وجده فاضلا فى الغاية ، قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا ، وعمل كتابا فى الطب ، جمعه من الستة عشرة لجالينوس ، ومن خمسة كتب أخرى (١٢) .

وكان لابد للبغدادى ان يلقى صلاح الدين فتوجه اليه فى القدس ، ولقيه فيها فى أواخر رمضان من عام ٥٨٨ ك . وقرر له صلاح الدين ثلاثين دينارا فى كل شهر على ديوان الجامع بدمشق ، فرحل البغدادى الى دمشق فى شوال من عام ٥٨٨ هـ وأكب على الاشتغال بالعلم ، وأخذ يقرىء الناس بالجامع الاموى . ويقول : انه كلما أمعن فى كتب القدماء من اليونان ازداد فيها رغبة ، وفى كتب ابن سينا زهادة ، وتبين له بطلان الكيمياء .

وبعد شهور توفى البطل صلاح الدين فى السابع والعشرين من صفر عام ٥٨٩ هـ : ٧ من مارس ١١٩٣ م وهو فى نحو السابعة والخمسين من عمره (٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ) . ولما استولى الملك العادل على دمشق فى ٢٦ من رجب ٥٩٢ هـ سافر البغدادى الى مصر ، وأخذ يقرىء الناس بالجامع الازهر ، وذلك من أول النهار الى نحو العصر ، ووسط النهار وآخره يعلم طلابه الطب . ولم يزل على ذلك الى أن توفى الملك العزيز فى المحرم من عام ٥٩٥ هـ (١٣) .

وظل البغدادى مقيما فى القاهرة حتى عام ٦٠٣ هـ ، ثم رحل الى بيت المقدس ، وفيها انتهى من تأليف كتابه « الافادة والاعتبار » فى العاشر من شعبان عام ٦٠٣ هـ ، وان كانت مخطوطة اكسفورد من الكتاب تذكر انه فرغ منه فى رمضان عام ٦٠٠ هـ بمصر ، ويرى دى ساسى انه للتوفيق بين التاريخين يمكن أن يقال ان تحريره النهائى كان فى القدس (١٤) .

ورحل من القدس الى دمشق عام ٦٠٤هـ حيث نزل بالمدرسة العزيزية بها ، واخذ فى التدريس والتأليف ، وتميز فى صناعة الطب ، وصنف فيه كتبا كثيرة وعرف به .

وفى عام ٦١٥ هـ رحل الى حلب ، يدرس فى جامعها ، ومن حلب قصد بلاد الروم وأقام بها سنين عدة . ثم عاد الى حلب فى آخر رمضان من عام ٦٢٦ هـ . حيث عاود التدريس والتأليف والاشتغال بالطب . وفى عام ٦٢٨ هـ رحل الى بغداد مسرح طفولته وصدر شبابه ، وبها توفى يوم الاحد ثانى عشر المحرم ٦٢٩ هـ : ٨ نوفمبر ١٢٣١ م (١٥) .

***

وترك البغدادى مؤلفات كثيرة تقارب المائتين ، ومنها مختصر للصناعتين وكتاب قانون البلاغة ، وكتاب شرح نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، وكتبا عدة فى المنطق والطبيعيات والالهيات والحكمة والسياسة والاخلاق . ولم يبق من تراثه شىء الا

(١١) راجع كتاب « موسى بن ميمون » تأليف اسرائيل ولفنسون ، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ عام ١٩٣٦ .

(١٢) كان من اشهر فلاسفة اليهود فى العصور الوسطى ، وكان ميلاده فى قرطبة بالاندلس ، ثم رحل الى مصر فرارا من الاضطهاد الدينى ، واقام بالفسطاط وذلك عام ١١٦٦ م . وتزعم الطائفة اليهودية فى مصر عام ١١٨٧ م ، واشتهر بالطب ، وأصبح الطبيب الخاص للايوبيين . ويقول فيه ابن سناء الملك :

أرى طب جالينوس للجسم وحده ... وطب أبى عمران للعقل والجسم

ولما مات نقلت جثته الى طبرية بفلسطين فدفن فيها . وكتابه « دلائل الحائرين » مشهور ، ويناقش فيه ارسطو فى نظرية قدم الكون ويثبت أنه محدث .

(١٣) ٢٠٧/٢ عيون الانباء لابن أبى أصيبعة

(١٤) ص ١٥ من كتاب البغدادى نشر المجلس الاعلى للفنون والاداب .

(١٥) ٢٠٧/٢ و ٢٠٨ ابن أبى أصيبعة ، ١٥ و ١٦ البغدادى نشر المجلس الاعلى .

كتابان ، هما : مختصر فيما بعد الطبيعة ومنه نسـخة فى مكتبة تيمور (١١٧ حكمة) ، ونسـخة فى اسـتامبول ــ والكتاب الثانى هو مقالة فى الحـواس ومقالة ثانية فى المسائل الطبيعية ، ومنه نسخة فى الاسكوريال (١٦) .

***

وفى كتاب « الافادة والاعتبـار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » للبغدادى يتحدث البغـدادى عن مصر والنيل وعن النباتات والحيـوانات بأرض مصر ، وعن آثارها حديثا علميا دقيقا .

واعجبـه ايما عجب اهـرامات مصر فتحدث عنها ووصفها . ويقول : انه كان منها بالجيزة عدد كثير ، لكنها صـغار ، فهدمت على يدى قراقوش الذى بنى القلعة على المقطم، وبنى السور المحيط بالفسطاط والقـاهرة وما بينهما ، وكان فى عهـد صلاح الدين ويتحدث عن قناطر الجيزة وانها من الابنيـة العجيبـة وهى نيف واربعون قنطرة .

ويخص الاهرامات الثلاث بوصـف طويل ، ويقول عنها : انك اذا تبحـرتها وجدت الاذهان الشريفة قد اسـتهلكت فيها ، والعقول الصافية قد افرغت عليها مجهودها ، والانفس النيرة قد أفاضـت عليها أشرف ما عنـدها لها ، والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلا هى غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها ، وتخبر بحـالهم ، وتنطق عن علومهم وأذهانهم ، وتترجم عن سيرهم وأخبارهم ..

ويذكر آثار الوجه القبـلى والمعـابد العظيمة هناك ، وآثار مدينة مصر القديمة التى يقـول عنها ، انك تجد فيهـا من العجـائب ما يفـوت الفطن المتأمل ، ويحسر دون وصفه البليغ اللسن ، وكلما زدته تأملا زادك عجبا ، وكلما زدته نظرا زادك طربا ، ومهما استنبطت منه معنى إنبأك بما هو أغرب ومهما استثرت منه علمـا دلـك على أن وراءه ما هو اعظم . وتروعه الآثار القديمة روعة ما بعدها من روعة ، ويقول : واذا راى اللبيب هـذه الآثار عذر العوام فى اعتقادهم عن الاوائل بان اعمارهم كانت طويلة ، واجسـادهم عظيمة ، او انه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم ، وذلك ان اذهان تقصر عن مقدار ما يحتاج اليه فى ذلك من علم الهندسة واجتمـاع الهمة ، وتوفر العزيمة ، ومصـابرة العمـل ، والتمكن من الآلات ، والتفرغ للاعمال ، والعلم بمعرفة اعضاء الحيوان وخاصـة الانسان ، ومقاديرها ونسب بعضها من بعض وكيفية تركيبها ، ومقادير وضـع بعضها من بعض . والحديث عنـده عن آثار مصر حديث طويل وعجيب ..

***

ويقـول البغدادى : وما زالت الملوك تراعى بقاء هذه الآثار ، وتمنع من العبث فيها ، والعبث بها ، وان كانوا أعـداء لاربابها . وكانوا يفعلون ذلك لمصالح : منها لتبقى تاريخا يتنبه به على الاحقاب ، ومنها أنها تدل على شىء من أحـوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم

ويذكر مقابر المصريين القـدماء وعبث الاعراب واهل الريف بها .

ويذكر فيضان النيل ، والحـوادث الغريبة التى جرت فى مصر ،من المجاعات والازمات .

ويذكر ما كان يجريه هو وطلبته من التشريح على اجسام الموتى ، وفائدة ذلك العلمية (١٧) .

ولا ريب أن مكانة البغـدادى العلمية واهمية تراثه العظيم الخالد ،مما يستحق الوقوف عنده طويلا ، طويلا .

وفى الذكرى السـبعمائة والخمسين لوفاة هذا الرجـل العظيم لنحييه ونحيى فكره الناقد وذهنه الخصـب ، وعقلـه المستنير ،ونرجو ان يحتفل بهذه الذكرى القريبة ، احياء لتراثنا التليد .

(١٦) راجع ص ٢٠ و ٢١ المرجع السابق .
(١٧) راجع كتاب « البغدادى فى مصر » ، والنصوص فيه المنقولة من كتاب « الافادة والاعتبار » كثيرة ..

كريشنا مينون

سيرة حياة بركان

● محمد عبد الله الشفقى ●

في الساعات الاولى صباح ٦ اكتوبر ١٩٧٤ مات كريشنا مينون فى احدى مستشفيات دلهى اثر ازمة قلبية ، بعد ان عاش فى الهند ، وفى قلب العالم الثالث ، وعلى المسرح العالمى ، ٧٧ عاما ..

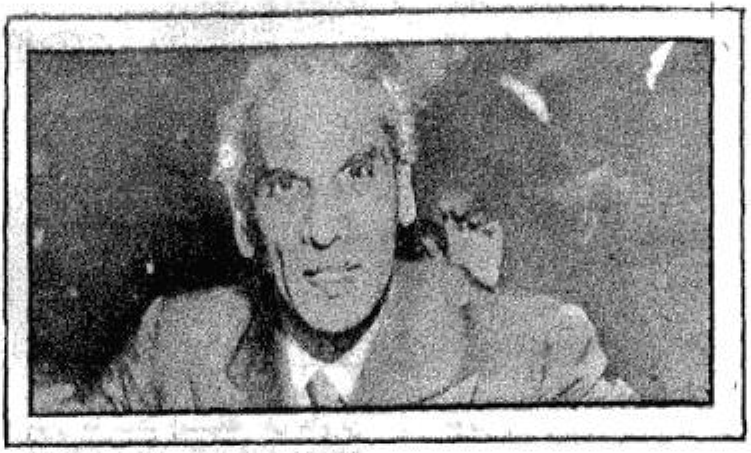
كان يحس ان اجله قد دنا ، فهو لم يمرض فجاة وانما قضى السنوات الاخيرة على حافة الخطر ، ومن اخر الكلمات التى لفظها ماقاله لخادمه احمد على : « اعطنى قدحا من الشاى ، وقد يكون الاخير » !

وعندما اسلم الروح نعته رئيسة وزراء الهند السيدة انديرا غاندى فى عبارات مؤثرة ، ربما كان اروعهما قولها « لقد خمد بركان » !

وربما كان « البركان » اقرب الاشياء الى تصوير كريشنا مينون ، فلقد كان بركان النشاط ، بركان التعبير بركانيا فى غضبه .. بل ربما كانت هيئته تساعد على تاكيد هذه الصورة فالذين قابلوه لاينسون الوميض الحاد فى عينيه ، وطوله الفارع ، وتدفق الكلمات من شفتيه سواء كان يناقش ، او يخطب ، او يعلق ..

كذلك كانت حياته العملية تسلك سلوك البركان الذى يثور فيصبح ملء السمع والعين ، ويخمد فيكاد الناس ، ان ينسوا انه موجود ، فلقد كان مينون ملء السمع والبصر وهو يكافح ويدعو الى استقلال الهند قبل عام ١٩٤٧ ، وكان ملء السمع والبصر وهو فى الامم المتحدة ، ثم وهو وزير لدفاع الهند . ثم افل نجمه فجاة ، ولفترة ، بعد عام ١٩٦٢ ابان الحرب بين الصين وباكستان . ثم عاد . بعد صمت ـ ليبرز من جديد عضوا فى البرلمان على صعيد الهند ومدافعا عن قضايا التحرر على صعيد دول العالم الثالث ..

ولان حياته كانت عاصفة جامحة فان الطريقة التى احرق بها جثمانه اخذت ايضا طابع العاصفة . فمن يموت فى الهنود يحرق ، وامامه ان يحترق بالطريقة التقليدية المعتادة او بالطريقة الحديثة ، العاصفة : الحرق بالمحرقة الكهربائية : عندها يتحول الجثمان الى رماد فى ثوان .. وقد تحول مينون الى رماد فى ثوان ، وشاء محبوه ان يتم ذر رماده فى ثلاثة اماكن : كاليكات مسقط راسه فى جنوب الهند ـ شاطىء بومباى حيث عمل فترة وسط العمال الكادحين ومثل دائرتهم فى البرلمان ـ كانيا كومارى وهى بقعة فريدة تعانق المحيط الذى تنساب مياهه لتعانق بدورها كل محيطات العالم .



كريشنا مينون

ولم يكن هناك افضل من هذه البقعة تقديرا لمينون مواطنا عالميا .اخذ صياد فقير جزءا من رماده فى قنينة ودخل بقاربه البسيط الى اعماق المحيط . ولحظة ان نثر رماده فوق الموج المتلاطم حلقت طائرة واخذت تنثر الورد فوق الرماد ، تحية ووداع ! ..

وقد نعاه الكثيرون فى الهند ، نعاه رئيس جمهوريتها ، ورئيسة وزرائها ، والوزراء والزعماء السياسيون ، والمفكرون ، والناس . بل نعاه العالم . واخذت صحف الهند ومجلاتها تنشر رسائل لقراء ينعونه . واتضح ـ بعد موته ـ ان له اصدقاء كثيرين ..

اما خلال حياته فلقد ((كسب)) اعداء كثيرين ، اذ كان من الطراز الذى لا يأبه برضى الناس أو سخطهم ، الامر الذى جعل احد كبار كتاب الهند ـ خشوانت سنج ـ يقول وهو ينعيه « لقد كسب لنفسه اعداء كثيرين ، ويبدو انه لم يسمع ابدا بكتاب لديل كارنيجى اسمه « كيف تكسب الاصدقاء » .. وكتب هندى اخر ان التعارف الاول بين مينون وبين اى انسان ، كان بالضرورة تعارفا عدائيا ، قد يتحول بعد ذلك الى صداقة !

وقد يبدو أن مينون كان يعلم ذلك عن نفسه ؛ ويعلم أن حياته وآراءه تثيران جدلا ؛ فقد صاح يوما امام احد الصحفيين : « ومن أكون اذا لم اكن مثار جدل !! »

وكانت صداقته لنهرو وارتباطه به حدثا فريدا فى حياة الرجلين وفى حياة الهند ... وقد قيل ان آراءهما كانت متماثلة لدرجة انه اذا عطس نهرو أصيب مينون بالتهاب رئوى !

وقد انعكست هذه العلاقة الحميمة وهذا التزاوج بين الافكار ، على سياسة الهند الخارجية (فلقد ظل مينون ، لفترة ، المتحدث باسم السياسة الخارجية للهند من فوق منابر الامم المتحدة ، ومنابر عدم الانحياز ، والقضايا الافرو ـ اسيوية) وعلى مسرح بعض القضايا الدولية .اكتشف نهرو مينون .

ولمع مينون فى ظل نهرو ، غير ان الندية كانت طابع العلاقة بينهما . وهناك من نفى مؤخرا ان يكون مينون من النوع المتسلق الذى استند الى جدار نهرو العالى وعاش مستضيئا بنجم نهرو الساطع . ومما يؤكد الندية أن هناك من فكروا أن يكون مينون خليفة نهرو فى رئاسة الوزارة .

كـريشـنا مـينـون

ولعل انبل لحظة فى حياة الصداقة التى دامت بين الرجلين كانت فى عام ١٩٦٢ ، وكان مينون وزيرا للدفاع فى وزارة نهرو . لقد نشبت الحرب بين الهند والصين وانتهت بصدمة لنهرو وللهند . وما زالت المقالات والابحاث والكتب تصدر الى الآن محاولة لسبر اغوار ما حدث ومتسائلة على عاتق من يقع اللوم ، وهل كانت الهند مستعدة أو غير مستعدة ، وهل كانت الارهاصات السابقة على الحرب تبرر نشوبها أم لا .

وواجه نهرو هجوما عنيفا من رجال المعارضة ومن الكارهين ومن الحاقدين على الرابطة بينه وبين مينون . وهناك من طالب بتنحى نهرو الذى اتخذ القرار السياسى ، وهناك من طالب بعزل مينون . وقد ترك مينون الوزارة راضيا ، واحب ان يكون هو الذى يدفع الثمن . وقال مراقبون انه ضحى بنفسه من اجل نهرو ، وانه آثر الصمت وعدم الخوض فى قصة ما حدث ، حتى مات . وقيل انه من اجل هذا لم يكتب مذكرات ...

ولماذا يكتب مينون مذكرات ؟ انه لم يؤلف كتبا فى موضوعات اخرى حتى يكتب مذكرات . كان خطيبا قبل أن يكون كاتبا ، وكانت المنابر ، لا الورق ، طريقه الى التعبير عن نفسه . ولعل اشهر خطاب القاه هو الخطاب الذى استمر حوالى ١٣ ساعة فى الأمم المتحدة عن قضية كشمير . وكان كريشنا مينون فى تلك الفترة مرهقا ، وقبل القائه للخطاب الشهير اعترض طبيبه فى الأمم المتحدة ، فكان ان استبدله مينون بطبيب آخر اعطاه حقنة تدفع القوة فى عروقه قبل القاء الخطاب .

لعل مينون رفض أيضا أن يكتب مذكرات لأن الواقع والمستقبل — لا الماضى — هما شغله الشاغل . وفى هذا قال يوما (الصنداى تايمز ، نوفمبر ١٩٦٣) « الواقع ، انى أرى أن الحاضر والمستقبل وهما الشىء المهم بالنسبة لى ، ولذلك لا انساق الى ذكريات الماضى . »

كذلك كان مينون يرفض تذكر الماضى لانه احس دائما — حتى فى آخر ايامه — انه شاب ... وفى هذا قال « تقدمت بى السن ، لكنى لست كهلا ، ولم اصل الى الحالة الذهنية والجسمانية التى تجعلنى اكتب مذكراتى ! » .

ومن مفارقات الأقدار ان الرجل الذى لم يؤلف كتابا واحدا — رغم بلاغته وقدرته على التعبير وعمق ما مر به من تجارب — كان فى يوم من الايام مسئولا عن كتب السياسة والعلوم الانسانية فى سلسلة الكتب الشهيرة « بيليكان » بانجلترا !..

وهذا يعودنا الى ذلك الجانب غير المعروف كثيرا عن مينون : تجربته مع الكتب والنشر والصحافة . فخلال وجوده فى انجلترا طلب منه أن يشرف على سلسلة كتب عن قضايا العالم المعاصر . تصدر عن دار النشر الشهيرة « بودلى هيد » . ودخل مينون الدار بافكار جديدة ، فقد كان يريد طبع كتب جيب رخيصة الثمن تكون ، فى نفس الوقت ، ميسرة التداول فى وطنه الهند ... وعرض فكرته على الكثيرين ، واخيرا اقتنع بها « الين لين » وهو بدوره ناشر كبير . واستقال مينون « والين لين » من الدار السابقة « بودلى هيد » ليبدأ فى نشر أول كتب جيب « بنجوين — بيليكان » .

● كانت حياة كريشنا مينون العملية تسلك سلوك البركان الذى يثور فيصبح ملء السمع والعين ويخمد فتكاد الناس تنسى أنه موجود.

ومن أول الكتب التى نشرها مينون فى سلسلة « بيليكان » كتاب لبرنارد شو ثم اختلف مينون « ولين » ، واستقال مينون وترك « لين » ليتزعم واحدة من اكبر دور النشر « بنجوين » . لكن « لين » يعترف بفضل مينون قائلا ان نجاحه يرجع الى الهام مينون .

ترك مينون « بنجوين » الى دار نشر اخرى ـ « سيلوين أند بلاونت » ـ نشرت كتب نهرو « لمحات من تاريخ العالم » و « وحدة الهند » . وعشية استقلال الهند كافح مينون لانشاء دار نشر شهيرة أخرى ـ « مريديان » ـ نشرت آخر كتب نهرو « اكتشاف الهند » .

كان هدف مينون فى هذا الميدان كله : ١ ـ نشر كتب نهرو على أوسع نطاق خارج الهند ـ ٢ ـ تشجيع نشر كتب الجيب الرخيصة ٣ ـ معالجة القضايا الحيوية المعاصرة .

وفى ظله تم نشر كتاب عن انجلترا لزعيم عمالى بريطانى ، وكتاب عن التليفزيون ، وكتاب عن خطر الفاشية فى أوروبا ، وكتاب عن اليهود : تأليف نورمان بينتوتيش ! ، وكتاب عن نهرو لكاتب مسرحى من المانيا ـ عناوين نوردها لا على سبيل الحصر وانما المثال .

وبديهى ان الكتب والكتاب لم يكونوا شغل مينون الوحيد فى لندن . لقد ذهب الى انجلترا وعاش فيها ٢٨ عاما . قضى عشرة أعوام منها فى جامعة لندن ، ومدرسة لندن لعلوم الاقتصاد ، وكلية اخرى . ومن الاعلام الذين تتلمذ على يدهم هارولد لاسكى الذى يدين له مينون بفضل كبير . وربما كانت اكبر مهمة القيت على عاتق مينون خلال وجوده فى بريطانيا هى الدعوة الى استقلال الهند . فمنذ عام ١٩٢٧ اصبح سكرتير « العصبة الهندية » وظل يشغل هذا المنصب عشرين عاما ، يعمل ليل نهار فى « عرين الأسد » ويخطب ويناقش ، ويتصل ، ويجمع حوله بريطانيين تعاطفوا مع قضية الهند وطالبوا باستقلالها عن التاج البريطانى . وأثر مينون على الحكومة العمالية التفاوض مع الهند من أجل الاستقلال . وعندما استقلت الهند أصبح مينون مندوبا ساميا لبلاده فى بريطانيا .

ولم يعش مينون لبلدة وحده اذن لا نحصر دوره فى استقلال الهند ، وفى منصبه كسفير لها فى بريطانيا ، وكوزير

دفاع ، وكعضو برلمان .

لقد قدر لمينون ان يتألق على مسارح أخرى : مسرح الامم المتحدة، ومسرح عدم الانحياز ، والعالم الثالث، والتضامن الافريقي الاسيوى . في الامم المتحدة شد اليه الأنظار متحدثا عن كشمير ، والحرب الكورية ، وقضية الهند الصينية ، وازمة السويس عام ١٩٥٦ . وفي هذا الصدد يروى كارانجيا رئيس تحرير مجلة « بليتز » أن جمال عبدالناصر قال يوما : لا اعرف ماذا يكون عليه شكل الامم المتحدة بدون كريشنا مينون .

فرض مينون نفسه داخل الأمم المتحدة للدرجة أن أروقتها صارت تتحدث عما سمى « بالدبلوماسية المينونية » ... وبالنسبة لعدم الانحياز فقد أسهم مع نهرو في صياغة هذه السياسة . وبالنسبة لقضايا العالم الثالث والقضايا الافرو الاسيوية فقد كان مينون المدافع عنها في مختلف المنابر ، ولا ينسى الكثيرون تألقه في باندونج .

ثمة ما يربط بين مصر ومينون في مواقف كثيرة. لقد دافع عن قضاياها دفاعا مجيدا بلغ ذروته ابان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . وكان يعبر عن أماني مصر وموافقها وهو في باندونج ، وفي مؤتمرات عدم الإنحياز ، ومنابر الأمم المتحدة ، والمؤتمرات الافريقية الاسيوية ، ومؤتمرات السلام . وكان قريبا من جمال عبد الناصر ، ويوم مات كان مينون اول من رثاه في اول حفل تابين يقام في نيودلهي وكان ذلك يوم تشييع جنازته .

وظلت قضية الشرق الاوسط تشغله حتى وفاته . وقيض له ان يتابع ، قبل ان يموت ، الانتصار المصري في اكتوبر ١٩٧٣ ، وكتب ، مرحبا ومتفائلا ، مقدمة كتاب « الحرب الرابعة بين العرب وأسرائيل » الذى الفه الكولونيل الهندي ب.ك. نارايان ، الذى كان يوما ملحقا عسكريا للهند في مصر .

ثم كان ، وهو على فراش المرض الذى اسلمه الى الموت ، يسأل عن فلسطين ويقول للفلسطينيين انه ليس هناك من سيقدم لهم فلسطين جاهزة على طبق . كذلك أكد لهم ضرورة وحدة الهدف مع العرب .

كان مينون مفتونا بشرب الشاى ، وكان معدل ما يشربه في اليوم الواحد حوالي ثلاثين قدحا . وقد يتناول معه بعض البسكويت ويشكل هذا طعامه، فلم يكن مينون يأكل شيئا يذكر. كذلك كان نباتيا لا يقرب اللحم . ويروى عنه ، عندما كان مندوبا ساميا للهند في بريطانيا ، ان اخذ سفير آخر يعدد مناقب اللحوم ومدى غناها بالبروتين ، وانهى دفاعه بقوله « لقد خلق الله كل هذه الحيوانات من اجل البشر » . فكان أن رد مينون « لكن الله ، يا سعادة السفير ، قد خلق البشر أيضا ، فهل نرضى بأكل لحوم البشر ؟! »

كذلك لم يكن مينون يدخن أو يقرب الخمر ، وكان بسيطا في حياته الشخصية ، وقيل انه اكتفى بحجرة بسيطة عندما كان سفيرا للهند وانه كان يستقل الأوتوبيس احيانا . لكنه في نفس الوقت كان حريصا على ان يحافظ على « مظهر الهند في بريطانيا » ، فقد اشترى للسفارة العربات الفاخرة ، واختار لها المبنى الفخم . كذلك كان حريصا على أن يحيط وزارة الدفاع بالهيبة والمركز عندما كان وزيرا للدفاع،



كرشنا مينون فى احد المؤتمرات الدولية

فكان يسير فى موكب يحيط به الجلال. وكان بسيطا فى ملبسه دون ان يضحى باناقته . ولعل الكثيرين يذكرونه بلباسه الابيض الشاهق البياض ، لباس القادمين من جنوب الهند . لكن ، قيل فى نفس الوقت انه كان يغير ملابسه ربما ست مرات فى اليوم .

تكتظ مكتبته بآلاف الكتب . لكنها تكتظ ايضا بلعب الاطفال ، فقد كانت هذه احدى هواياته ! كان يجمع اللعب التى تتحرك بالزنبرك ، او البطاريات، او الكهرباء ، ويقضى الوقت يتفرج عليها ، ويحركها . وقال كاتب ان الدبابات والعربات والطائرات التى كان يلعب بها تحولت يوما الى اشياء حقيقية تصنعها الهند فى ميدان الانتاج الحربى . فعندما كان مينون وزيرا للدفاع يعزى اليه فضل الدعوة الى قومية الانتاج الحربى .

وكان مشهورا بعصاه التى ترافقه فى حله وترحاله . واشتهرت هذه العصا فى الأمم المتحدة لدرجة ان قيل ان مينون خطب يوما من فوق منبر الأمم المتحدة ثم غادر المنبر ونسى عصاه فكانت ان سارت عصاه وراءه !

كان غريب الأطوار ، يحيا ويتصرف بالطريقة التى يهوى ، وكثيرا مايترك نفسه على سجيتها . من هذا انه كان يجلس على منصة الخطباء فى بعض الأحيان ويغمض عينيه ويميل رأسه ويبدو وكأنه اسلم نفسه للنوم . لكنه قد ينهض فجأة ليرد على نقطة او يعلق على خطبة الخطيب .

وكان يشكل تحديا كبير للمترجمين الفوريين ، فالكلام يتدفق من فمه كالشلال ، اذا تكلم الانجليزية انتقى الالفاظ البليغة وعكس تكرا وتاملا عميقين ، لكن بلكنة القادم من ولاية كيرالا . كان يتحدى المترجمين بسرعة كلامه، وعمقه، وقفزه من نقطة اخرى، ثم يتحداهم ايضا بطول خطبه .

ولكن اكبر خطر شكله لهم هو انه كثيرا ما كان يبتعد عن الميكرفون او يعطى ظهره له فى قمة انفعاله فيتوه صوته من السماعات المثبتة على آذان المترجمين الفوريين .

وكان رائعا فى دعاباته حتى فى اواخر ايامه ، عندما هده المرض . فخلال سنواته الأخيرة زاره فى الهند لورد سورنسون، وليدى سورنسون، وهالهما حاله فسألاه : ماذا تفعل هنا؟ فأجاب : فى الهند قانون يقضى بالمحافظة على الآثار القديمة !

عودة !

● عبد المنعم الانصاري ●

املأ كئوس المنى ياشعر من نبضى
واجمع لها كل ما تهواه من ومض
واحمل إليها أغاريد الظنون إذا
رقت ودعنى على جمر الأسى ، وامض !
وطف بمخدعها عند الأصيل ... فان
رق المساء على شباكها الفضى ..
وأقبلت فى غلالات .. مؤرقة
تبكى على صدرها المستكبر الغض ...
وعربد الشوق .. فادخل دوننا وجل
ضممتها ، ضم .. لا تخجل .. ولا تغض
ولم على صدرها الحانى .. فان سألت
متى هبطنا من الفردوس للأرض ؟
وكيف عدنا إليه ؟ بعدما عصفت
بشوقنا لفحات الشك والبغض ...
وكاد يخبو اللظى المجنون فى دمنا
شوقا .. وكاد الهوى المأسور أن يقضى .
فقل لها ؛ قصة كانت ... وما برحت
ظمأى لما فى فؤادينا من الومض ..
منذ افترقنا .. وبعضى ـ رغم غربته
وشكه ، لم يزل يهفو إلى بعضى !

ناس وصور

وحكايات

الشيخ والمسدس والقنبلة

آيات الله فى ايران يسيئون الى الاسلام وامة الاسلام انهم يظنون ان الامم تبنى على الدماء .

والشيخ الذى نراه فى الصورة واحد من مجانين من يسمون انفسهم حزب الله . انه الشيخ على سعيدى المدعى العام الذى يرسل العشرات الى الموت كل يوم باسم آية الله روح الله . انه يخطب خارج البرلمان الايرانى ويطالب باعدام بنى صدر رئيس الوزراء الاسبق وكل من عمل معه . فى يده اليمنى مسدس وفى يده اليسرى قنبلة يدوية وهو ينادى بالموت ، وامامه شباب مهووس خرج عن اسلامه وعن انسانيته يصيح وينادى بالدم ..

وداخل المجلس مهووس اخر هو الشيخ على أكبر مانغار وزير البترول الاسبق وعضو البرلمان . انه يقول اننا اذا لم نطهر بالدم ايمان من الاشرار فان الشاه سيعود ودولة الكفر كما يقول ستحترق حزب الله وآيات الله ..

والذى يحترق فى الحقيقة هو ايران وشعب ايران وايمان الصادقين من أهل ايران الذين لا يجرؤون وسط هذا الجنون الشامل على ان يقولوا كلمة .. وفى كل يوم يسوقون منهم عددا الى الموت .


ناس وصور وحكايات
الشيخ والمسدس والقنبلة

أخواننا فى أفغانستان يقاتلون وينتصرون

كيلا تتحول حرب افغانستان الى حرب نفسية ننشر هاتين الصورتين وتلك السطور .

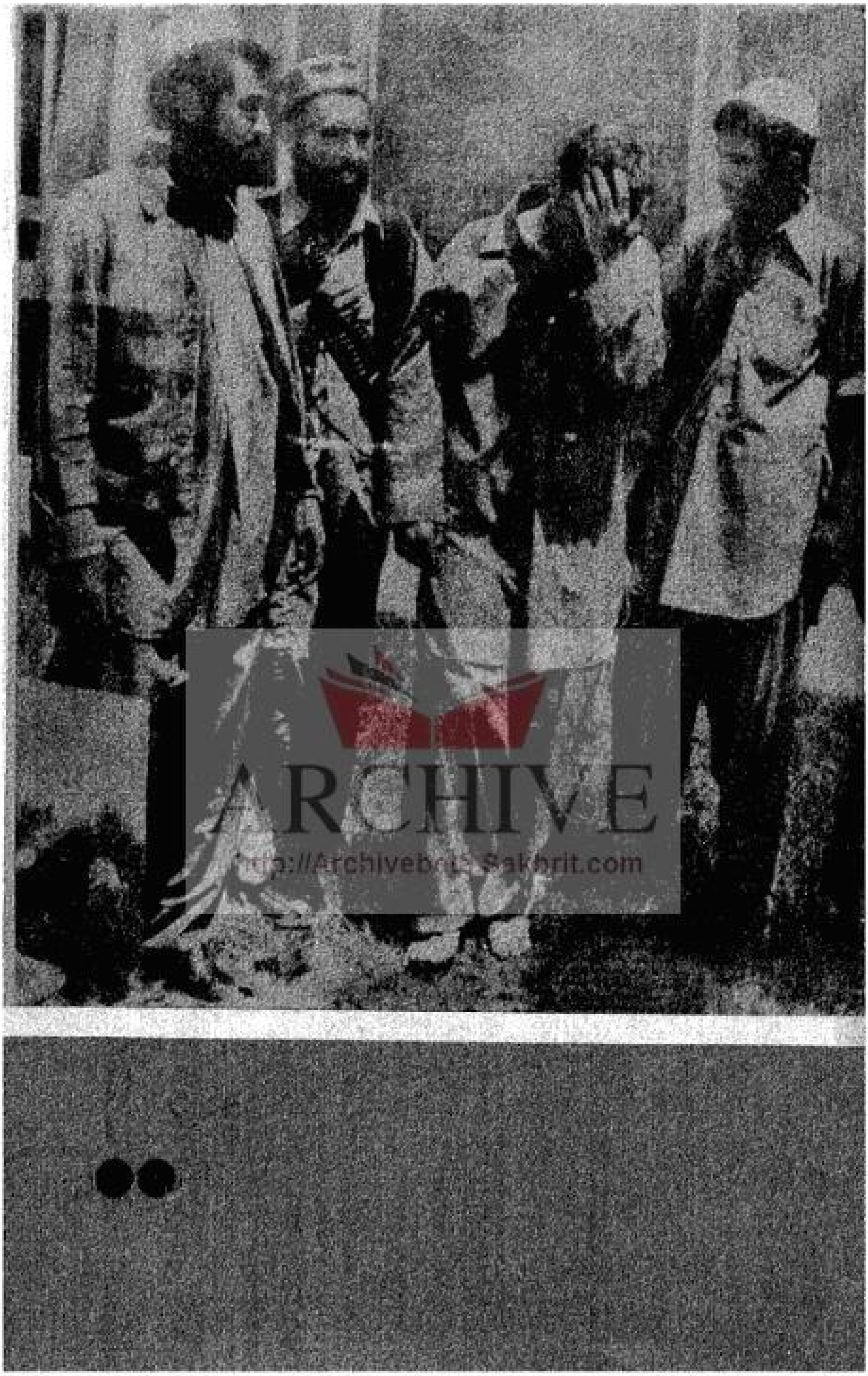
ان اخواننا احرار افغانستان يقاتلون بالاسنان والاظافر كما يقولون ،ويضعون العدو الغاصب الشيوعى الكافر وظهره للحائط وينقرون عليه ، لان الايمان يهز ويذل الجبابرة .

فى الصورة اليمنى ترى اسيرا روسيا بين ايديهم . انهم يبقون عليه لترى الروس صورته ويعلمون انهم منهزمون ، ومهما فعلوا فلن يرغموا افغانستان على الركوع .

وفى الصورة اليسرى اسير روسى اخر ، يجلس ذليلا الى جوار مجاهد افغانى ، انه ذليل كسير ، ومثله فى ذلك مثل كل ظالم جبار حقت عليه كلمة الله ..

لا تنسوا اخوانكم فى افغانستان .

انهم يقاتلون اعتى أمة فى الارض وينتصرون .



النساء يدخلن ميدان الحراسة الخاصة

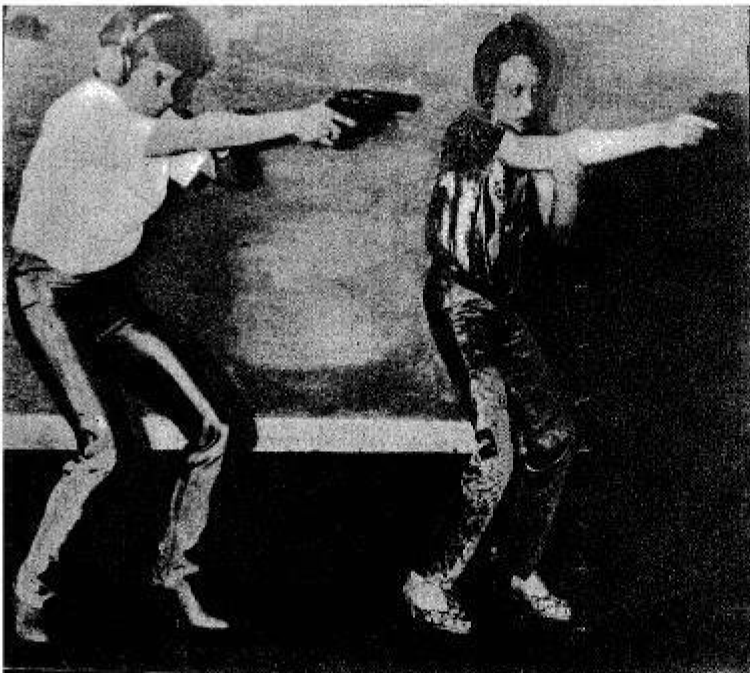
فى السنوات الاخيرة انتشر جنون الاعتداء على الشخصيات الكبيرة بلا سبب فى احيان كثيرة الا الجنون او الرغبة فى الشهرة او لنزوة طائشة كما نرى فى حالات العدوان على البابا والرئيس ريجان . والدافع الرئيسى الذى يشجع الشبان على ارتكاب هذه الجنايات هو ان القانون فنادرا ما يلقى المعتدى جزاءه جريمته . والذين قتلوا الشهيد يوسف السباعى لم ينلهم اى عقاب ، والذى اعتدى على البابا يطالب بمحاكمته محاكمة سياسية ويهدد بالاضراب عن الطعام ولا شك ان ذلك يجرىء الناس .

لهذا أصبحت مهمة حراسة الشخصيات الكبيرة مسالة اساسية ، بل أصبحت حرفة يتخصص فيها الكثير من الشبان ، فافتتحت معاهد لتدريب الحراس على كل انواع الدفاع من الملاكمة الى الجودو الى اطلاق النار السريع الدقيق . واستعمال المسدس فى ذاته صعب لان الذى يطلق النار به نادرا ما يصيب الهدف المطلوب . ولهذا فهناك تخصص فى الاصابة بطريقة المريعة « تسمى شارب شوتينج » وقد دخلت النساء الميدان والتحقن بذلك المعاهد لتكن حارسات للنساء والرجال معا . وفى الصورة الكبيرة نرى فتاتين تتمرنان على الشارب شوتنج . وفى الصورة اليمنى فتاة تتدرب على الدفاع عن النفس بالجودو .

وفى الصورة السفلى نرى شابين يتمرنان على حمل الاثقال . ان الذين يعملون فى ذلك المهنة يتقاضون أجورا كبيرة ولهذا يكثر التزاحم على ذلك العمل فان الاجر اليومى يصل الى ٣٠٠ دولار فى اليوم . وفى ايامنا هذه لا تستغنى شخصية كبيرة عن الحراسة حتى رجال الاعمال والممثلين ، بل هناك عائلات ، غنية تستاجر حراسا ليحرسوا الاولاد فى البيت وخارجه .







النساء يدخلن ميدان الحراسة الخاصة

الملكة تدخل السجن







انها ليست ملكة ذات عرش ، بل هي ملكة جمال ، اسمها سوزان انجل ، في سنة ١٩٦٩ انتخبت ملكة جمال فرنسا ، اي ميس فرانس ، وترى صورتها يوم كانت ملكة في ركن الصورة ، ولم تكن عـــقلة الملكة على مستوى جمالها او العرش الذى جلست عليه فقد صادفت رجلا فاسدا يهرب المخدرات واشتركت معه في عمله ، وضبطت معه وحكم عليه بالسجن ست سنوات وعليها بأربع ، وفي الصورة الكبيرة تراها خارجة من قاعة المحكمة بعد الحكم عليها والى جوارها محاميها وفي الصورة ترى عشيقها والجنود يضعون الحديد في يديه ، والظاهر من الصــورة ان هذا العشيق نفسه انسان تافه بدون عبقرية ولا شخصية ، بل هو قبيح ، ولكن المسكينة وقعت في حبه بقلة عقلها وذهبت معه في داهية ، قارن بين صورتها يوم كانت مس فرنسا وصورتها هنا ترى بعينك موعظة من مواعظ الحياة ، وهي ان الجمـــال وحده لابد ان تزينه العقل ، فهذه بنت جميلة حقا ، ولكنها مجردة من الذكاء والذوق بلا شك والا ما صارت الى هذا المصير الحزن .

الإنسانيَّة بين جحيمين

جحيم الروس من يمين وجحيم الامريكيين من يسار .

ونحن . بقية الانسانية العادية نقف بين النارين . لا ندري ماذا يفعل بنا هؤلاء أو أولئك .

والنار قد تشتعل اية لحظة . الروس بالذات يتربصون بالبشرية كأنهم نمر يتربص وراء شجرة عند الماء في انتظار المخلوقات المسكينة التي ستأتي لترتوى .. والجدول التالي يبين لك بالارقام النار التي ستحرقنا اذا اشتعلت لا قدر له بين العملاقين . والجدول يقارن بين مانات ترسانات اسلحة الجانبين سنة ١٩٧٦ وما لديهما الآن .

نوع السلاح		الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي
رؤوس نووية	سنة ١٩٧٦	٦٨٤٢	٢٩٤٣
	١٩٨١	٧١٩٢	٦٣٠٢
قاذفات صواريخ نووية	سنة ١٩٧٦	١٧١٠	٢٢٧٥
	١٩٨١	١٦٢٨	٢٣١٤
غواصات	سنة ١٩٧٦	١١٥	٢٥٧
	١٩٨١	١٢١	٢٦٨
مدرعات ودبابات	سنة ١٩٧٦	٩١٨١	٤٢٠٠٠
	١٩٨١	١١٥٦٠	٤٨٠٠٠
قطع مدفعية	سنة ١٩٧٦	٤٩٥٥	١٣٩٠٠
	١٩٨١	٥١٤٠	١٩٣٠٠
طائرات مقاتلة	سنة ١٩٧٦	٣٦٦٥	٤٨٥٠
	١٩٨١	٣٩٨٨	٤٨٨٥
مقاتلون بالمليون	سنة ١٩٧٦	٢,١٣	٤,٨٨
	١٩٨١	٢,٠٩	٤,٨٤

لزوم مايلزم أن تعرف عن:

عرابى والثورة العرابية

٢

مصطفى الشهابى

● وفى صباح يوم الاحد الثالث من ديسمبر سنة ١٨٨٢ صـــدر الحكم ـ المنتظر ـ باعدام عرابى وزملائه... ولكن الانجليز لم يستطيعوا تنفيذه ، لأنهم لم يملكوا الشجاعة التى ينفذون بها الحكم ولو على يد الحكومة المصرية وقتذاك!

لذلك اردف رئيس المحكمة بتلاوة امر من الخديو باستبدال حكم الاعدام بالنفى المؤبد عن الاراضى المصرية ،وان يبطل هذا الحكم ويستبدل بالاعـدام اذا ما عاد عرابى ، وطلبة ، عصمت ، و عبد العال حلمى ، ومحمود سامى البارودى ، ومحمـود فهمى ، وعلى فهمى ، ويعقوب سامى ـ الى مصر او ملحقاتها ..

وقد استقبل زعماء الثورة الحـكم بوجوم ، ولكن مستر برودلى المحامى قطع عليهم سبيل التفكير فى مصيرهم عندما وفد عليهم فى السجن والقى اليهم بأن الاختيار قد وقع على جزيرة سيلان لتكون مأوى لهم ، وانه اغتبط شخصيا بهذا الامر ، زاعما لهم ان سيدنا آدم لما هبط من الجنة نزل فى هذه الجزيرة!

وبعث عرابى فى نفس اليوم بوصيته السياسية لتنشر على صفحات جريدة « التيمس » ، وفيها يقول : « لماكنت من ابناء الذين يحبون بلادهم ، فقد بذلت كل مالى وسعى لاجـــراء اصـلاحات فى بـلادى ، ولـكن لسوء حظى لم يتح لى أن تتم على يدى . وان جميع المصريين كانوا فى جانبى ، كمــا انى وقفت نفسى على خدمة بلادى التى لن اتحول عن حبها الى نهاية حياتى ؛ فلذلك ارجو الا تنسى مصر تذكرنى الى الابد » .

وقد سر اغلب الحاضرين فى المحكمة ممن كانوا يتوقعون الحكم بالاعـدام ، ولذلك بادروا بتقديم التهنئة له ؛ بل وقدمت له بعض السيدات باقات من الزهور .

اما افراد الشعب المصرى فقدحمدوا الله على نجاة عرابى وزملائه من الاعدام ، وشهدت ليلة ٣ من ديسمبر اهلَ القاهرة يحتفلون خفية بنجاة عرابى مما كان محتملا ان يقع له. وقد تعمد أهل القاهرة - بقدر الامكان - ان يخفوا شعور الفرح تحت ستار الظلام وخلف الابواب الموصدة ولكن المحامى الانجليزى « برودلى » قد اثبت فى كتابه انه تبين باكثر من دليل ان ذلك الشعور كان عاما ومنبثقا من نفوس مخلصة صادقة ، وقد لاحظ ان الفقراء تعمدوا ارتداء احسن ما لديهم من ثياب وان الاثرياء كانوا يوزعون الصدقات وان الصلوات كانت تقام شكرا لله على انقاذ عرابى ، وان الذبائح كانت تنحر اظهارا لهذا الشكر ...



احمد عرابى

أما الخديو والاتراك والشراكسة فهم وحدهم الذين لم يشاركوا الشعب فرحته ؛ وكاد غيظهم من « التسوية » التى تمت بشأن محاكمة عرابى تنسيهم انتصارهم القريب العهد على العرابيين.

● الأمريكيون يفكرون فى خطف عرابى !.

كان مستر « بومروى » القنصل الامريكى فى مصر اثناء الثورة العرابية ، شديد العطف على تلك الثورة ، وقد زار مصر يومئذ الجنرال « والاس » سفير أمريكا فى الاستانة ، وقد أبدى بدوره اعجابه وتقديره للحركة الوطنية المصرية بعد دراسة وافية لها .

وفى مساء اليوم الذى تمت فيه المحاكمة وصدر الحكم ، كان مستر برودلى المحامى الانجليزى عن عرابى مدعوا فى مطعم حديقة الازبكية ، الى عشاء اقامه القنصل تكريما للسفير ، وكان بين الحضور ، عدد كبير من الامريكيين ومنهم مراسل صحيفة نيويورك هيرالد .

وبطبيعة الحال كان عرابى هو محور الحديث وقد ذكر هذا الراسل أنه يفكر فى مشروع خاص بتسليم عرابى الى السلطات الامريكية . وقد أنصت الجميع الى هذا المشروع باهتمام وقد أشير فى ذلك الحديث الى جزيرة « فيجى » احدى المستعمرات البريطانية شرقى استراليا كمكان يمكن أن ينفى اليه عرابى واحتمال خطف الامريكيين له ، وجرأة بحارة السفن الامريكية الذين يحتمل أن يقوموا بخطف عرابى ، والاستقبال الذى ينتظر عرابى بعد وصوله الى الولايات المتحدة .

ولكن الاقدار شاءت ان ينفى عرابى الى سيلان لا الى جزر فيجى .

● مصادرة الاملاك والاموال :

وبعد أيام من صدور الحكم بالنفى ، اصدر الخديو توفيق امرا بمصادرة أموال زعماء الثورة وحرمانهم من حق امتلاك أى ملك فى الديار المصرية بطريق الارث أو الهبة أو البيع وبيع املاكهم وتصفيتها تعويضا للمصابين فى الحوادث التى وقعت بسببهم .. كما صدر الامر بتجريدهم من الرتب والالقاب وعلامات الشرف التى كانوا حائزين عليها ، ومحو أسمائهم من سجلات ضباط الجيش محوا مؤبدا .

وعاشت أسر الابطال المنفيين على معونات كان يقدمها لهم بعض محبيهم سرا ، وخاصة أسرة عرابى التى طرد أفرادها من بيت أبيهم ، الذى حول الى مستشفى للجرحى من الضباط الانجليز

● السفر الى سيلان :

وقبل أن يغادر الابطال المنفيون مصر تلقوا عددا من الهدايا التى كانت تحمل أسماء كثير من السيدات المصريات بينها بعض الحقائب والمصاحف وسجادة للصلاة وحقيبة كبيرة جدا ملأى بالثياب.

واصطحب عرابى الى منفاة فى « سيلان » بعض أفراد أسرته ، وبينهم ابنه « محمود » الذى توفى سنة ١٩١٥ وابنه « ابراهيم » الذى مات عام ١٩٥٢ وبعض أحفاده .

وكبر « ابراهيم » فى المنفى ، وهناك تزوج من فتاة تدعى « شارلوت » ، أسلمت وانجبت طفلا له اسمه « حنفى »

وفى مساء يوم ٢٧ ديسمبر ١٨٨٢ استقل زعماء الثورة مع عائلاتهم وأولادهم وخدمهم قطارا خاصا فى ثكنات قصر النيل (ميدان التحرير) تحت حراسة مسلحة الى السويس ، حيث أقلتهم باخرة انجليزية اسمها « مريوتس » فى صبيحة يوم ٢٨ ديسمبر قاصدة ميناء كولومبو بسيلان ، وكان يحرسهم فيها عشرون جنديا برياسة ضابط هو على قبودان كريدلى .

ولم يفت عرابى حين غادر شواطىء بلاده عام ١٨٨٢ أن يخاطبها قائلا « يا كنانة الله اصبرى على الاذى ، فسينصرك الله آخر الامر » .

وقد حقق الله أمله حين ثارت مصر وطردت فاروق عن عرشه فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وحين عقد زعماؤها فى ٢٠ اكتوبر ١٩٥٤ تلك الاتفاقية التى قضت بانهاء الاحتلال وجلاء جنود بريطانيا جلاء تاما عن مصر .

ومن سخريات الاقدار أن عرابى الذى كان يستطيع أن يجمع لنفسه مليون جنيه على الاقل ، لم يجد ما يشترى به ملابس لنفسه عند سفره ، وقد أرسل له بعض أصدقائه حقيبة ملأى بالملابس سرا قبل مغادرته القاهرة الى السويس . وأبحرت الباخرة على الفور دون أن يسمح لاحد من المصريين بالصعود اليها لتوديعهم وبلغوا كولومبو فى ٩ يناير ١٨٨٣ .

● البارودى يصور ساعة الرحيل :

وقد صور الشاعر محمود سامى البارودى شعورهم ساعة مغادرة الوطن، فى قصيدة عصماء من درره اليتيمة ، قال فى مطلعها :

محا البين ما ابقت عيون المهامنى
فشبت ولم اقض اللبانة من سنى
عناء ويأس واشتياق وغربة
الا شد ما القاه فى الدهر من غبن
ولما وقفنا للوداع واسبلت
مدامعنا فوق الترائب كالمزن

● الابطال فى سيلان

وفى سيلان عاش عرابى وزملاؤه بعيدا عن مصر لان بقاءهم فيها كان يعنى شيئا واحدا هو تجدد الحركة الوطنية فى مرحلة اقوى من مرحلتها السابقة .

وهكذا استطاع الانجليز أن ينظموا الخطة الانتقامية التى وضعوها للحيلولة بين ابطال مصر وبين الاتصال باخوانهم وأصدقائهم ، ومواطنيهم ، فانقطعت صلتهم بالناس ، وطال اغترابهم عن الوطن ، وبعدت الشقة بينهم وبين اهلهم وذويهم . وقضى المنفيون سنوات عديدة يتنابهم الالم والحزن والاستياء ، بينما كان شبحهم دائما يطارد الاستعمار والاقطاع والخونة .

وكان الشعب يتناقل كل يوم اشاعات جديدة عن عودة عرابى وتجدد الحركة الوطنية .

وعاش عرابى فى سيلان عيشة كلها ضنك حتى كان يدفع ايجار مسكنه على عدة أقساط ، وكل ذلك مثبت فى مفكرته الخاصة ـ وذلك لضآلة المبلغ الذى قررته له ولاسرته الحكومة المصرية كمعاش بعد توسط الحكومة البريطانية ، وكان نحو ١٩ جنيها شهريا ولذلك اضطر أن يقوم بتصنيع الزمردو الياقوت ، كما كان يفعل بعض ابناء سيلان يومئذ ، وكان هذا العمل يساهم فى أن يحيا هو واولاده حياة كريمة .

كان مستر « بلنت » وزوجته اكثر الانجليز الاحرار عطفا على عرابى واقربهم مودة اليه وقد وقف مستر بلنت الى جانب عرابى منذ بداية الثورة يؤيده ويسانده هو وقرينته « ليدى آن بلنت » حفيدة الشاعر « بيرون » ، كما انه عمل على أن يقوم بالدفاع عن عرابى محامون انجليز، بل ودفع من جيبه الخاص نفقات المحامى الذى دافع عن عرابى أثناء المحاكمة . كما جمع تبرعات من بعض الانجليز أيضا لهذا الغرض .

وبعد انتهاء المحاكمة والنفى الى سيلان قام مستر بلنت فى اكتوبر سنة ١٨٨٣ بزيارة عرابى فى منفاه ، وتكريما لعرابى فقد بالغ أهل ميناء كولومبو بالحفاوة به .

وفى نوفمبر سنة ١٨٨٣ زار كولومبو اثنان من اللوردات الانجليز ، أحدهما اللورد « روزبرى » وزير خارجية انجلترا يومئذ ، وهناك قابلا عرابى واستطلعا رأيه فى حركة المهدى بالسودان .

وعرض وزير الخارجية فى تلك المقابلة على عرابى ، أن تتوسط انجلترا لدى الخديو توفيق ، لتعيينه أميرا على السودان على أن يكون تابعا لمصر ، وذلك رغبة منها فى تهدئة او اخماد ثورة المهدى ، ولكن عرابى رفض ذلك العرض .

● تعيين عرابى سفيرا

وفى اواخر سنة ١٨٨٤ ارسل بلنت الى عرابى رسالة خطيرة ذكر فيها ان الحكومة الانجليزية تفكر فى تعيين عرابى سفيرا مؤقتا لدى المهدى ، لرفع حصار قوات المهدى « لغوردون » بالخرطوم ، على ان يعزل الخديو توفيق ويعين خديو آخر يستطيع الاتفاق مع المهدى ، وان النية متجهة الى اعادة الخديو اسماعيل بشرط ان يكون عرابى رئيسا لوزارته باعتباره زعيم مصر .

وكان جواب عرابى هو الرفض وايثار المنفى على مثل هذه العودة تحت حكم الطاغية اسماعيل .

وقد كان مصرع «غوردون» بالخرطوم بعد قليل سببا فى صرف النظر عن تلك الفكرة .

● آثار عرابى فى سيلان :

وقضى عرابى فى منفاه نحو عشرين عاما ، وفى خلال هذه الاعوام كان تأثيره واضحا على الجزيرة ، فهو الذى أدخل الطربوش اليها ، ولا يزال المسلمون يلبسونه حتى اليوم ، كما أدخل بعض الأطعمة المصرية ، وقلده الكثيرون فى لبس البنطلون الابيض .

كما انه أوصى عقب وصوله ، بانشاء مدرسة اسلامية بكاندى ، سميت « الزاهرة » ، واختار لها هذا الاسم الذى تحقق بازدهار المدرسة حتى صارت كلية عظيمة ومركزا للثقافة الاسلامية وآدابها لذلك تحتفل تلك الكلية بذكراه دائما .

ولا يزال البيت الذى كان يقيم فيه عرابى يسمى « عرابى هاوس » ، وقد حول الى متحف وما زال به أغلب الاثاث والمحتويات التى كانت موجودة أيام عرابى وتتولى رعايته أسرة سيلانية مسلمة .

● العفو عن البارودى :

واصيب محمود باشا سامى البارودى بارتشاح فى القرنيتين أفقده نور عينيه، وقرر الأطباء وجوب عودته الى مصر لمعالجته فى المناخ الذى ولد فيه وألفه ، صادق على ذلك حاكم الجزيرة ، فأصدر الخديو عباس حلمى الثانى أمرا بعودته الى مصر فرجع فى شهر سبتمبر سنة ١٩٠٠ وعفا عنه الخديو ومنحه حقوقه المدنية ورد اليه أملاكه الموقوفه وحصل على ريعها من ديوان الاوقاف وتوفى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ .

● العفو عن عرابى :

وفى ١٣ مايو سنة ١٩٠١ زار كاندى ولى عهد انجلترا وقتذاك (جورج الخامس) وهناك التقى بالبطل المصرى ، وكانت صحته قد انهارت تقريبا ، فتأثر لمرآة « الدوق وندسور » وكتب الى حكومته بالافراج عن عرابى وزميله الباقيين بالمنفى ، واعادتهما الى مصر بعد أن هدهما المرض ، وأصبحا لا يخشى منهما واستجابت الحكومة البريطانية لطلبه واشارت بذلك على الحكومة المصرية .

وفى ١١ يونية سنة ١٩٠١ صدر عفو الخديو عباس حلمى الثانى عن عرابى وعلى فهمى ، فبارح على باشا فهمى سيلان فى شهر أغسطس سنة ١٩٠١ ووصل القاهرة فى أول سبتمبر أمّا عرابى فقد غادر سيلان فى ٢١ سبتمبر ، وقد ودعه أهلها سواء فى مدينة كاندى أو فى ميناء كولومبو أحر وداع بل كان بعضهم يبكى . ووصل عرابى الى السويس فى ٢٩ سبتمبروقضى بها اليوم التالى . وقد ودعته « مدرسة الزاهرة » بكاندى وداعا حارا ووقف الطلبة ينشدون باللغة العربية نشيدا وضعه عرابى وهو :

بحمدك يا بادىء العالمين
وانت الرحيم وانت المعين
فبارك سر نديب فى علمها
ومعهد ادابها الزاهرة
وعال على الدهر ذكر اسمها
واحسن لابنائها الآخرة

وعندما سمع الزعيم عرابى هذا النشيد بكى ، وقد تعود فى أيامه الاخيرة أن يبكى من شدة الاسى والحزن . وكان يخشى أن يموت بعيدا عن بلاده التى أحبها ، وكان الشيب قد بدا عليه مع انه لم يكن قد تجاوز الستين الا قليلا . وقد وصل عرابى الى السويس مساء ٢٩ سبتمبر وقضى بها اليوم الثانى ، وغادر السويس الى القاهرة فى أول أكتوبر وكان عدد أفراد عائلته وحاشيته ٢١ فردا .

وقد قوبل فى السويس بالترحيب كما احتشد الناس فى محطة الزقازيق للاحتفاء به ، وعلى الرغم من حظر الاحتفاء به فقد استقبله بمحطة القاهرة جمع كبير من القاهرين ،ثم قصد الى منزل أولاده بشارع الملك الناصر المتفرع من شارع خيرت (قرب دار الهلال) حيث اجتمع بهم بعد غياب تسعة عشر عاما وأربعة أشهر .

● اضطهاد وتنكر :

عندما افرج عن عرابى ، وعاد الى وطنه ظن هو وظن الناس ان محنته قد انتهت بعودته الى بلاده ، ولكنه عومل بقسوة شديدة ، هو وأفراد أسرته !

لقد أحس عرابى بعد عودته أنه غريب فى بلاده ، فقد أنكره أغلب من كانوا يلازمونه ، ولولا بقية من أولى الوفاء لضاق عرابى بالعيش ، وكان الوفاء أظهر ما يكون فى عامة الشعب ، الذى كان يتزاحم حوله لرؤيته وتحيته .

ومما زاد فى ألم عرابى ضيق ذات يده وقلة معاشه ، فضلا عن حرمانه من أملاكه ، التى بلغت ثمانمائة وثمانين

فدانا ، وعندما حاول عرابي أن يلحق ابنه « عبد الله » بالمدرسة الحربية كأي مصري ، أبي عليه ذلك قومندان المدرسة، وعندما ضيق عليه بعضهم الخناق ليبدي سبب عدم قبول الطالب قال : « عندي تعليمات صريحة بعدم قبول أحد من أبناء عرابي في المدرسة الحربية » .

وكانت مصلحة الانجليز في ابقاء عرابي بائسا فقيرا ، ليقضي بقية حياته يصارع الفقر مشغولا به وحده ، دون ان يستطيع التفرغ لمحاربة الاستعمار والخونة .

وظل عرابي الى آخر أيام حياته يطالب المراجع العليا في القاهرة ولندن برد ما سلب من املاكه ووصلت شكاوى عرابي الى الخديو عباس ووزراء حكومته ولكنهم جميعا جعلوا أصابعهم في آذانهم كأن الامر لا يعنيهم .

اما الانجليز ، فوقفوا من شكاوى عرابي موقف العدو الشامت الذي يلذ له عذاب عدوه وتقلبه على جمرات الفقر ، بعد أن كان أعظم رجل في أنظار الناس .

وفي مساء الاحد ٢٨ رمضان سنة ١٣٢٩ هـ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩١١ توفي عرابي . وقد اضطر افراد اسرته الى اخفاء نبأ موته الى اليوم التالي حتى يستطيعوا صرف معاشه قبل حلول عيد الفطر ، واقعة مألمة على شيء من الكرامة اللائقة .

وعلى الرغم من انه لم يشيعه الى مقره الاخير رجل رسمي واحد فقد شيعته الجماهير في جنازة شعبية عظيمة .

● متحف وتمثال عرابي :

وقد اقيم في قرية « هرية رزنة » مسقط رأس عرابي ، متحف يحمل اسمه وفي الزقازيق أقيم له تمثال وهو فوق جواده ممسكا بسيف في يده ، كما اشترت الحكومة البيت الذي كان يقيم فيه .

كان عرابي قد سلم لمحاميه مستر برودلي عددا كبيرا من الوثائق ، وبعد انتهاء المحاكمة وصدور الحكم استبقى برودلي تلك المستندات طرفه بموافقة عرابي ، ثم سافر الى انجلترا وحملها معه ولما توفي عام ١٩٢٢ باع ورثته جميع تلك الوثائق فاشتراها مصري يقيم في لندن . وبعد عدة أعوام عرضها على الحكومة المصرية في أوائل سنة ١٩٥١ فاشترتها بمبلغ ١٥٠٠ جنيه واودعتها دار الكتب .

● ابطالنا الباقون في سيلان :

عاد عرابي وعلى فهمي والبارودي وطلبه عصمت الى مصر ، وبقي الثلاثة عبد العال حلمي ومحمود فهمي ويعقوب سامي حيث ماتوا في سيلان . ان كل فرد في هذه الدنيا ، حتى المحكوم عليهم بالاعدام يعود الى بلده عندما تنتهي حياته ويوضع جثمانه في قبر يزوره أبناؤه وأحفاده ، الا هؤلاء العرابيين الثلاثة فقد ظلوا منفيين أحياء وأمواتا .

ولئن جاز بقاء رفات الزعماء الثلاثة : عبد العال حلمي ومحمود فهمي ويعقوب سامي بعيدة عن الوطن في العهود الماضية ، فانه لا يجوز بأية حال بقاؤها بعد ثورة ٢٣ يوليو التي تعتبر امتدادا للثورة العرابية ، وما الحركة التي قامت في سنة ١٩٥٢ الا تكملة لتلك التي قامت في سنة ١٨٨٢ . فهل نطمع في أن تعيد الحكومة المصرية الى ارض الوطن رفات هؤلاء الزعماء الثلاثة ، بعد أن نقلت رفات مصطفى كامل من ضريحه القديم الى ضريحه الجديد في يوم كان من أيام مصر الخالدة ، واعادت شهداء حرب فلسطين الى أمهم مصر في يوم كان من أيام الوطن الكبرى ، وهل آن أوان الوفاء لارواح أولئك الابطال الذين حملوا عبء الجهاد في القرن الماضي والذين ذاقوا طعم الجحود والنسيان نحو قرن من الزمان ؟

چان پول سارتر

ضمير عصره

● جلال العشرى ●

تلك كانت بعض كلماته ، وهى الكلمات القوية الهادرة التى كانت اشبه بعاصفة على العصر ، او صرخة احتجاج فى وجه عالمنا المعاصر ، وبالها من كلمات كان لها دوى المدافع وصوت طلقات الرصاص ، بحيث احدثت اثرها البالغ وتاثيرها البليغ فى وعى الشبيبة المعاصرة ، ممن راحوا يرددونها فى الحى اللاتينى ، وفى جميع احياء باريس ، وهم يرفعون شعارات تلك الفلسفة الوجودية الجديدة ، التى تقف فى وجه طغيان النازى ، توقظ غفاة البشر ، وتفجر ابدع واروع مافى اعماق الانسان وتبشر بخلاص انسانى من نوع جديد ، وتعيد الى قاموس كلمات كان الناس قد نسوها من زمان .. الموقف والبطولة والنضال ، الاختيار والقرار والمصير ، الحرية والمسئولية والالتزام .. وغيرها من الكلمات التى تخرج من فمه ، وتسيل على قلمه ، ويتلقفها الناس ، فاذا هى منشورات قوية توزع على جميع المواطنين ، وتهيب بالمواطن العالمى ان يذود عن الحرية فى اية رقعة على خريطة العصر .

انها كلمات حية وحقيقية ، فيها طعم الماء ورائحة الدم ، تحولت فى حياة صاحبها الى سلوك وعمل ، وترجمت فى ضمائر الناس الى موقف والتزام ، وذلك لانها كلمات حاولت ان تربط بين السياسة والاخلاق ، او بالاخرى حاولت ان تعيد السياسة الى حرم الاخلاق ، انها كلمات صاحب «الكلمات» .. كلمات جان بول سارتر الذى كانت حياته واعماله تمثلان وحدة حية او حياة واحدة ، يصعب منها الفصل بين الاديب الروائى والكاتب المسرحى ، بين الفيلسوف الوجودى ورجل السياسة ، بين المفكر الاجتماعى وعالم الاخلاق فهؤلاء جميعا كانوا كلا فى واحد ، وكان هذا « الواحد » هو جان بول سارتر .. الانسان الذى احس بنبضات قلب العصر ، والمفكر الذى صاغ عصره فى فلسفة وجودية انسانية ، والصحفى الذى تشبع وعيه بماساة الجيل .

لقد حمل سارتر الام العصر على كتفيه ، وتحمل ماساة الجيل بفكره الوجودى اللاذع ، وحسه الاخلاقى الشجاع ، ونذر نفسه للدفاع عن الحرية فى اية رقعة من العالم ، وعلمنا ان الشاعر والمناضل والسياسى والفيلسوف ، والصحفى ورجل

فى شخص واحد .

ــ اجل ان « الغثيان » « لا تقف فى وجه » « الجدار » ولا « الذباب » يتعارض مع « سبيل الحرية » كما لا تطغى « الايدى القذرة » على « موتى بلا قبور » .. ولا « سجناء الطونا » على « نساء طروادة » ولا « الوجود والعدم » على « الماركسية والوجودية » ولا « نقد العقل الجدلى على « الوجودية فلسفة انسانية » ، فهذه كلها كتابات سارترية ، وسارتر هو هذه ــ الكتابات ، وهى ليست مجرد كلمات فوق الورق ، ولكنها افكار تتوهج بالثورة ، واحاسيس تنز بالماساة ، وآراء تشخص الداء وتصف له الدواء ، وتغوص فى ضمير العصر ، وتشعر انسان عالمنا المعاصر بالفخر كلما تذكر ان قلبه كان ينبض وقلب سارتر فى عصر واحد .

ومن منا ينسى كلمات سارتر فى « جمهورية الصمت » وهو يصرخ باعلى صوته دفاعا عن الحرية . ومطالبا بالمسئولية ، وتاكيدا على معنى الالتزام ؟

« وبسبب كل هذا فنحن احرار .. لان اسم النازى شبح فى افكارنا ، فان كل فكرة صحيحة هى انتصار .. ولانه توجد شرطة قوية للغاية تريد ان ترغمنا على ان نلوذ بالصمت ، فان كل كلمة لها قيمة اعلان مبادىء ، ولانهم اصطادونا ، فان كل حركة من حركاتنا لها ثقل الالتزام المقدس .. وكان كل اختيار يكونه كل منا من حياته ، اختيارا حقيقيا شرعيا لانه كان اختيارا مباشرا فى وجه الموت » ..

***

هذا هو سارتر .. الانسان الحديث ،



الفيلسوف جان بول سارتر
الفيلسوف وسمير العصر

الانسان الحر حرية كاملة ، الانسان الذى تحرر من كل مؤثر خارجى ، طبيعى لاهوتى او اجتماعى ، والوجودية ليست شيئا سوى فلسفة الانسان الحديث ، فان كان لعصرنا جوه الخاص ، فقد كان سارتر هو التعبير الحقيقى والحى عن هذا الجو .

نعم .. وان الحرية الباقية هى الاختيار الحر الكفاح من اجل ان نصبح احرارا ، اى حرية الالتزام الذى يخوض معركة التاريخ ، لا حرية المتفرج من فوق قمة وحيدة خارج التاريخ ...

الحرية الجوهرية التى لا يمكن انتزاعها من الانسان هى ان يقول « لا » وتلك هى الفرضية الاساسية فى نظرة سارتر للحرية الانسانية ، وقد يستطيع المخدر او الالم فى لحظة من اللحظات ان يجعل الضحية تفقد وعيها تحت وطأة التعذيب ، وبهذا يعترف ، ولكن حالما يستعيد نورانية العقل ، مهما كانت مساحة العمل المتاحة له ، فهو يستطيع ان يقول فى وجهه « لا » ! ..

وهكذا .. فالوعى والحرية متلازمان، فاذا امكن استلاب الوعى من الانسان امكن انتزاع هذه الحرية .

ان سارتر ينسب للانسان نوع الحرية التى كان ديكارت قد عزاها له وهو يصفها بانها الحرية التى كان ديكارت سيمنحها للانسان سرا ، لو لم يكن محدودا بالعقائد اللاهوتية التى كانت فى زمانه وفى عصره ، اليس الانسان هو ظل الله على الارض، او بالاخرى هو خليفة الله فى الارض؟..

واذا كانت تلك هى نبوءة دستوفيسكى ونيتشة ، فان سارتر هو وريثهما الشرعى واذا كان بين الثلاثة نوع من الاختلاف ، فهو ان دستوفسكى ونيتشة فيلسوفان مجنونان ، بينما سارتر يقدم رايه بكل نورانية العقل الحديث ، ويقدمه كاساس للعمل الانسانى والاجتماعى والاخلاقى .

ان وجود الانسان عند سارتر يسبق ماهيته « هو » انه يوجد اولا ، ومن مشروعه الحر الذى يكون عليه وجوده، يستطيع أن يختار ماهيته .

وسارتر يفهم هذه الحرية على انها حرية فردية ، ويفهم قرار اتخاذ الماهية على انه مشروع فردى ، وينظر الى فعل التغيير بالنسبة للوضع على انه مخاطرة فردية ، لكن سارتر لا يريد أن تفهم هذه القضية وأن تفسر بمعنى « الحرية الداخلية » فحسب ، فالعبد حر بالفعل فى ان يكسر قيوده، لان معنى القيود لا ينكشف الا فى ضوء الهدف الذى يختاره ، فاما ان يظل عبدا ، او ان يغامر من اجل ان يحرر نفسه من العبودية ..

وهذا ماعبر عنه سارتر تعبيرا رائعا ومروعا قال فيه : « ان سر الانسان لا يكمن فى عقدة اوديب او فى عقدة نقصه ، بل هو حد حريته الخاصة ، وقدرته على مقاومة التعذيب والموت ... لقد قدمت ظروف النضال لاولئك الذين انخرطوا فى سلك المقاومة السرية خبرة من نوع جديد ، فهم لم يحاربوا على المكشوف مثل الجنود ، بل كانوا فى كل الظروف متوحدين ، قتلوا فى وحدة . اسروا فى وحدة . واجهوا التعذيب متوحدين عراة فى حضرة جلاديهم ... المسئولية المطلقة فى الوحدة المطلقة . اليس هذا هو التعريف الكامل للحرية ؟..

الا ان الاجابة على هذا السؤال ، تنقلنا مباشرة الى البعد الثانى من ابعاد الثالوث السارترى أو الثلاثية السارترية، وهو المسئولية ؟ ..

فالحرية تحانيها المسئولية ، وحيث يكون الانسان حرا يكون مسئولا عن هذه الحرية فى جميع مجالات الوجود ... فى انفعالاته وعواطفه ، وكذلك فى ارادته ، حتى لقد تصور الانسان بحريته ماردا صغيرا ، فاننا نراه يربط هذه الحرية بمسئولية مماثلة ، بل انه يذهب الى أن الانسان وقد حكم عليه بأن يكون حرا ، يحمل ثقل العالم كله على كتفيه ، كما انه مسئول عن نفسه وعن العالم .

واذا نحن افترضنا وقلنا أن سارتر نفسه قد عرف الانسان بانه حرية فى

موقف وان هذا الموقف يتضمن اللاحرية والضرورة احيانا ، لاجاب بانه حتى فى السجن او فى الحرب او فى ايدى الجلاد ، يظل الانسان حرا لان الانسان قد اختار ان يكون فى هذا الموقف . . .

ولكن سارتر سرعان ما يعود الى تأكيد معنى المسئولية ، والا لفقدت الحرية كل ما لها من قيمة ، وهو ما يؤكده من خلال طرحه لمشكلة الاختيار فى السلوك ، اختيار يواجه نفس المأزق الذى واجهه « حمار بوريدان » فى المناقشة الفلسفية المعروفة فى القرن الرابع عشرة . . . حمار جائع وعطشان ، وضعوا العلف على يمينه والماء على يساره ، فمات من الجوع والعطش ، لانه لم يستطع ان يختار ، باى الاثنين يبدأ ! . . .

وهذا هو ما عبر عنه سارتر عندما عاد يقول فى مجلته « العصور الحديثة »

« ان حريتنا اليوم ليست سوى اختيارنا الحر ان نناضل لكى نصبح احرارا ، نحن فى هذا العصر فى قفص حديدى ، فيجب ان نتحد لنحطم القضبان ، ولكى نكتسب الحق فى التأثير على الناس الذين يناضلون ، يجب اولا ان نشارك فى معركتهم ، وهذا الذى يرى التزامات الحاضرة مجرد صراع قبلى بين وحشين شائهين متساويين فى الانحطاط ، هو رجل قد انفرد بنفسه فى احد « الاركان » .

وهذا معناه ان المسئولية التى دعا اليها سارتر ، لها معنى طبيعى الى جانب معناها الاخلاقى ، بمعنى ان الانسان الحر ينظر الى نفسه باعتباره مؤلف الاشياء جميعا ، وعنه تصدر جميع الاشياء، وبهذا يكون مسئولا من الناحية الطبيعية ، وكذلك من الناحية الاخلاقية ، انه يؤكد على مسئولية الفرد تجاه الآخرين حتى فى القرارات الوحيدة ، وهو يجعل الانسان مسئولا حتى عن الاعمال التى لم يرتكبها ولم يفعلها ، وحتى من المواقف التى لم يتخذها ولم يخلقها ، **لانه بمقدار ماهو حر حرية كاملة ، فهو مسئول كذلك مسئولية كاملة .**

وهنا يبزغ **الالتزام فى الفلسفة** السارترية .

فبمقدار ما تؤدى الحرية الى المسئولية ، تؤدى المسئولية الى الالتزام سارتر كما يقول ف.هـ. هينمان هو فيلسوف الالتزام ، كما انه فنان الالتزام ، وقوة فلسفته وفنه تنبعان من هذه الحقيقة ، فضلا عن ان نشاطه العالى فى الدفاع عن الحرية وعن السلام ، لا يحتاج الى بيان ، ولقد عبر سارتر عن ذلك صراحة فى كتابه « الوجودية فلسفة انسانية » بان جعل الوجودية فى جوهرها « فلسفة فعل والتزام والواقع ان فلسفة الالتزام عند سارتر تتجاوز معنى الاختيار عند كيركيجارد ، كما تتجاوز تعريف هيجل للفلسفة بانها تعبير عن روح العصر ، وتتجاوز بعد هذا وذاك مفهوم ماركس عن الفيلسوف ، وكيف انه الممثل الايديولوجى لطبقته .. ذلك لان فلسفة الالتزام عند سارتر لم تظهر فى فراغ ، فهى قد كتبت للآخرين ، وفى علاقة مع الآخرين ، وفى موقف تاريخى محدد .

وعلى الكاتب كما يقول سارتر نفسه ان يكون واعيا تماما بهذا الموقف، وان يكون قادرا على التعبير عنه ، وعليه

ان يتحمل المسئوليات الناتجة عن هذا الموقف ، كما انه عليه أن يضـــع اختياره ، وأن يدخل فى اعتبــاره التزاماته بازاء الآخرين .

***

ان الالتزام عند سارتر يمثـــل استجابته الخاصة لتحديات عصره ، انها استجابة انسان فى العالم،وحاضر بازاء هذا العالم ، انسان يفكر فى انه قادر على تحويل الموقف الذى يجد نفسه فيه باختيــاره ، ومن ثم فهى استجابة تتضمن معنى التقييم .

ولكن اذا كان التزام سارتر يمثل استجابته الخاصة لتحديات عصره ، فضد من يلتزم ؟ .

انه يلتزم ضد المطلق ، وضد كل فكرة غيبية تتجاوز وعى الانســان ، انه يلتزم ضد « المتجاوز » ، ويرى ان هذا المتجاوز غير موجود ومن العبث البحث عنه ، انه يلتزم ضد حسن النية لدى الانسان ، ويرى ان الاعمال بالافعال وليست بالنوايا الطيبة ، انه يلتزم ضد التأمل الميتا فيزيقى من اجل السلوك الاجتماعى .

ولكن .. هل هو التزام ضد اشياء وليس التزاما باشياء ؟

انه ليس التزاما امام احد ، وليس **كذلك التزاما بمبدأ محدد ، فماذا يبقى فيه بعد ذلك لكى يكون التزاما حقيقيا؟**

ان سارتر يعرف الالتــزام بانه « التحديد الذاتى للغاية المختارة » وذلك فى مقابل موضوعية الالتزام عند الماركسيين ، والتى هى ، معرفة الغاية المحددة موضوعيا » وفى مقابل ذاتية عدم الالتزام عند كامى الذى ينكر الغاية ، ويتساءل ، واذا كانت الغاية تبرر الوسيلة ، فما الذى يبرر الغاية ذاتها ؟..

وهنا يبزغ معنى الالتزام عند سارتر من خلال فهمه لمعنى التاريخ ، فهو **يقول : « انت تسأل : هل للتــاريخ معنى ؟ هل له غاية ؟ اما انا فارى ان سؤالك نفسه ليس له معنى ،فالتاريخ اذا انفصل عن الانسان الذى يصنعه، لا يكون سوى مفهوم مجرد لا حراك فيه ، بحيث لا نستطيع ان نقول انه له غاية او ليس غاية ، فالمشكلة ليست مشكلة ان نعرف غايته ، بل ان نعطيه غاية » ...**

ومن هذا المنطلق ، من هذا الفهم لمعنى التاريخ ، يعود ســارتر الى ركيزته الفلسفية المحورية ، **الا وهى الحرية** ، وذلك لكى يربط بينها وبين الالتزام بحيث لا تكتسب هذه الحرية مشروعيتها الا من خلال الالتزام، فعنده ان الحرية ــ اذا كانت هى قــوام الفعل الانسانى ، فلا يتأتى لها ذلك الا عندما تظهر فى الالتزام .

***

هذا عن الالتزام بازاء التاريخ،ولكن ماذا عن الالتزام بازاء الحياة اليومية ؟ والعدم » .

« حتى القيم اليومية المعتادة تستمد معناها من مشروع اولى لنفسى ، هو بمثابة اختيارى لنفسى فى العــالم ...

والاختيار هو العمل على ان ينبثق مع التزامى نوع من الامتداد المتناهى لديمومة متصلة ، والاختيار الجديد يبدو كبداية من حيث هو نهاية ، وكنهاية من حيث هو بداية » .

واذا كانت التضحية هى ضريبة الالتزام ، فهناك مقياس آخر يجب ان يستخدم فى الكشف عن الالتزام،هذا المقياس هو التساؤل التالى : « ماذالو تصرف الاخرون منى مثلا اعلى ؟.. » الاخرون منى مثلا اعلى ؟ .. »

وعند سارتر أن مثل هذا التساؤل، تساؤل محتوم ، ولا يمكن تجنبه الا بخداع الزات ، ومن هنا يخرج الالتزام السارترى من الذات الى الآخرين،رغم انه يتم داخل الذات، فتصبح المسئولية عن الفعل مسئولية عن الذات وعن العالم كله ..

هذا هو سارتر ، او بالأخرى ... جان بول سارتر ، ثلاثية الحرية والمسئولية والالتزام ، وهى الثلاثية التى شكلت فلسفته الوجودية ، والتى عبرت أروع تعبير واجلاه عن أزمة العصر ، او عن ازمة الانسان فى هذا العصر ، وأن نفهم جان بول سارتر ، معناه كما تقول الكاتبة ايريس ميردوخ، أن نفهم شيئا بالغ الاهمية عن عصرنا الحاضر ، فهو كفيلسوف وروائى وسياسى وكاتب صحفى ـ مفكر عصرى بكل ما تحمله الكلمة من معان ،وان أسلوبه لهو بحق أسلوب العصر .

ولكى نضع سارتر فى تيار عصره ، لابد لنا قبلا من أن نتعرف على ملامح ذلك العصر الذى جاءه سارتر ليغيره تغييرا جذريا ، ويضع على جبينه بصمات لا تمحى ، بل لكى يضع اسمه علامة على ذلك العصر .

فقد جاء سارتر ليقف فى طريق ثلاث حركات من الفكر الفلسفى فيما بعد هيجل هى : الماركسية ،والوجودية والظواهرية ، وسرعان ما أحس بنبضه القوى بأن هذه الحركات جميعا، انما تثقل كاهل العصر ، وتستلزم بعض الشاعرى الحساس وحسه الفلسفى التعديلات ، فما كان منه الا أن استخدم الادوات التحليلية لدى الماركسيين وشاركهم فى عاطفتهم الجامحة للعمل الثورى ، لكن دون ان يتقبل نظرتهم الحتمية لقانون الجدل أو الدياليكتيك،باعتباره مفكرا ديمقراطيا متحررا ...

كما أخذ من كيركيجارد إنكاره عن الانسان الميتافيزيقى ، واعطى الحرية كل الحرية لهذا الانسان ، واخيرا أفاد من منهج هوسرل الظاهرى،ومصطلحاته الفينومنولوجية، بعيدا عن نزعةهوسرل القطعية وترعاته اللوجماطيقية .

وفوق هذا كله ، راح يفيد من الانظار التحليلية النفسية كما عند فرويد ، وذلك فى التعرف على الوعى الذى يرتكز عليه فى تحديد ملامح الحقيقة الانسانية .

وهنا لابد لنا من الوقوف عند التحليل النفسى الوجودى لدى سارتر،

قبل الانتقال الى عالم الابداع الادبى والفنى ، سواء فى الرواية او فى المسرح ، على اعتبار ان الذات الفردية هى همزة الوصل بين العالمين الخارجى والداخلى .

وعند سارتر ان « اللاشعور » فكرة مرفوضة وان الظاهرة النفسية لا تكون الا متلازمة مع الشعور ومطابقة له ، وهو يؤيد رفضه بتحليله للظاهرة المقاومة فى عملية التحليل ، ويتعرف فجأة على الصورة التى يقدمها له المحلل من نفسه ، ويكون هذا التعرف بمثابة علامة لدى المحلل النفسى على انه قد توصل الى هدفه ، واستطاع ان يجعل المريض يشعر بعقدة نقصه ، او بالاحرى يشعر بلا شعوره ، وهنا ينتقل المحلل النفسى من مرحلة التشخيص الى مرحلة العلاج .

فاذا كانت العقدة لا شعورية حقا، وهذا معناه انفصال الرمز عما يدل عليه فى لا شعور المريض بواسطة حجاب حاجز ، فكيف يقدر المريض على الربط بين الرمز ودلالته ، وكيف يتمكن من المعرفة ؟

اننا اذا منحناه القدرة على المعرفة، فمعنى هذا انه فى هذه الحالة لن يكون غير واع ، بل لابد أن يكون واعيا ، والا ماذا تعنى المعرفة الا ان يشعر الشخص بأنه قد عرف ؟ .. اننا يجب ان نقول على عكس ما يقوله فرويد ، انه بقدر ما يكون المريض واعيا ، بقدر ما يعرف الصورة المقدمة اليه عن نفسه ، وعلى ذلك فان التحليل النفسى لا يعطيه شعورا بنفسه ، وانما يعطيه معرفة بها ..

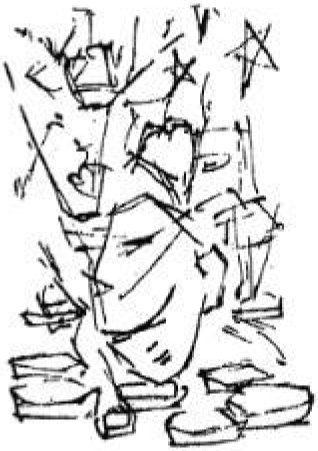
وهنا يفرق سارتر بين الشعور وبين المعرفة ، فتفكير الشخص يمده بشبه معرفة بخطة حياته ، وهذا التفكير يشبع فيه ضوء ساطع ،لكنه لايستطيع أن يعبر عما يظهره هذا الضوء ،بمعنى ان الاختيار المبدئى للشخص يكون غامضا مهما سلط عليه من ضوء التفكير ، اذ يشعر به الشخص، لكنه لا يستطيع أن يعرفه الا بالتحليل الوجودى .

مهمة التحليل النفسى الوجودى،اذن، كما يقول سارتر فى كتابه « الوجود والعدم » ، هى البحث عن الاختيار الاولى للشخص ، وتحديد الخطة الاولية التى رسمها لحياته باختياره الحر ، وهذا البحث عن الاختيار الاولى ، وليس عن عقدة خفية ، هو الذى يميز التحليل النفسى الوجودى، عن التحليل النفسى الفرويدى .

فالتحليل الوجودى عند سارتر يستهدف كشف الاختيار الذاتى الذى بواسطته يعلن الشخص لنفسه من هو، اى يحدد به الشخص ماهية نفسه ، وذلك من خلال تفسير سلوكه ورد هذا السلوك الى علاقات اساسية فى حياته ، ليست هى العلاقات الجنسية التى بحث عنها فرويد ، ولا العلاقات الخاصة بارادة القوة التى بحث عنها ادلر ، وانما هى علاقات خاصة بالوجود ، علاقات تتمثل فى موقف الشخص من الوجود وفهمه لهذا الوجود ، واكتشافه لطريقة وجود الانسان فى هذا العالم ، واختياره لوجوده ولعلاقته بالعالم

وحدة

● مصطفى رجب ●



ساهما يرمق النجوم إزاءه   مثقلا بالهموم يقضي مساءه
جثة الليل واجما ليس يدري   أو يشفيه أم سيُنكأ داءه ؟
إنه في الليل للمحب أنيسا   يسمع الله والسماء نداءه ...
كالمريض الوحيد أهمله الأهـ   ـل ، فعيناه تشكوان بلاءه
عاجزا منه الطبيب وملتـ   ـحت الأرض ميله والحناءه
أيها العاشق الذي أدّه الهجـ   ـر وأبلى الفراق منه رواءه
حسبك الليل شاعرا وصديقا   بثه السر ، لا تخف إفشاءه
حسبك الليل شافيا وطبيبا   خير العشيق داءه ودواءه
فاسأل الليل رحمة بفؤاد   يتشهى من ليله إغفاءه !
واسأل الليل ساعة من منام   تهب النفس نفحة من هناءه

***

ماعسى يصنع السهاد بقلب   باع من خان واشترى كبرياءه
قد يكون الفراق حينا سقاما   لفؤاد ، وقد يكون دواءه !
أنت آثرت أن تعيش وحيدا   فانس ذكر المحبوب وانس لقاءه
وانس عمرا مع الحبيب هنيئا   عشت فيه غناءه وعناءه !
ذ.. يدنُ المحبوب حينا ويجفو   باعثا في دلاله خيلاءه !
... ذكرى عشقتها سنوات   واطو من ذلك الغرام رداءه !
إن .. أن تعيش عمرك فردا   لمتاعا وحكمة وهناءه !

رحلة فكر وأدب
مع
الأديب الكبير

ثروت أباظه

احتفلت رابطة الادب الحديث ، ونادى القصيدة ، وجماعة أبوللو الجديدة بنادى التحرير احتفالا بتكريم الاديب الكبير ثروت إباظة فى عيد ميلاده الرابع والخمسين ، وبمناسبة اعداله الرئاسة الشرفية لرابطة الادب الحديث ..

تحدث فى الحفل الكبير الدكاترةسليمان حزين ، ويوسف شسوقى ، ومحمد عبدالمنعم خفاجى ، والشعراءعبدالمنعم قنديل ، ومحمد التهامى ، ومحمد عامر بحيرى ، والدكتور مختارالوكيل ، وابراهيم صبرى ، والدكتور حسين فوزى النجار، وكمال اسماعيل،ومحمود زكى والدكتور عبد العـــزيز شرف .

● اعداد : موريس عزيز ●

وفى لقاء الحفل كان لنا مـع الاديب الكبير ثروت إباظة هذا الحوار :

● متى بدات الاشـــتغال بالادب ، **ولماذا تركت المحاماة ؟**

ــ بدات اشتغالى بالادب منذ عام ۱۹۲۳ وكان عمرى ١٦ عـــاما ، واول انتاج نشر لى بمجلة الثقافة ، وقـــد تركت مهنة المحاماة لانى شــعرت انى كمحام فى المحكمة لا بأس بى ،ولكنى لست محاميا ناجحا فى مفاوضــــة الموكلين .

وقد طلب منى عمى المرحوم فكرى اباظة ان اعمل بمجلة « المصــور » ، وطلب منى ايضا ان انقل اسمى من جدول نقابة المحامين الى جدول نقابة الصحفيين ، وكان هذا قضاء مبـــرما على عملى بالمحاماة .

● هل كان لممارسة والدك الادب اثر فى حياتك ؟

ــ طبعا ، كل الاثر ... فلا شــك ان الاتجاه الاساسى للقراءة وتنميـــة الموهبة . المرجع الاول فيـــها الى ابى ... وبيتنا كان لا يخـــلو من الادباء



الاديب ثروت اباظة

والشعراء ، هذا الى جانب ذوقه الرفيع الذى لا ارى له مثيلا حتى الآن وهو من الذين يعتبرون من الرعيل الاول من الكتاب السياسيين ،حتى كان عمى فكرى اباظة رحمه الله يردد دائما انه اخذ عنه اسلوبه الذى اشتهر به .

● من هم الكتاب الذين تأثرت بهم والى اى مدرسة قصصية تنتسب ؟

ـ تأثرت بكل من كتب قبلى فى الشرق والغرب ، وقبل هؤلاء تأثرت بالقرآن الكريم وامدنى الكتاب الأعظم بثروة لغوية . اكملها لى شوقى ؛ وعزيز اباظة .

اما التأثر الأسلوبى فاعتقد أن عميد الادب العربى الدكتور طه حسين هو اهم من تأثرت به ، والتأثر الروائى يرجع الفضل فيه الى استاذ جيلنا نجيب محفوظ .

● ما هو الكتاب العربى الذى لا ينساه الاديب ثروت اباظة

ـ كتاب حياة محمد للدكتور حسين هيكل

● ما رايك فى مستقبل الادب العربى ؟

ـ هو مستقبل الادب فى العالم كله، وهو تحول الفن الادبى من فن مقروء الى فن مشاهد ... وانا ارجو من الشباب ان يدرك هذه الحقيقة وان يحاول ان يدخل هذا الميدان دخولا اديبا ولا يشعر بالحرج ، ولعل الشباب حين يعرف ان جانبول سارتر الف ثلاث قطع مباشرة للسينما ونشرها فى الكتب عندما لم تظهر فى السينما .

● هل الادباء الشباب على حق عندما يقولون ان الادباء الكبار مسئولون من حرمانهم من فرص الظهور وانتشار انتاجهم ؟

ـ لى مقال سيظهر ربما قبل او بعد هذا الحديث ، ودعنى أعيد السؤال الى القائلين بهذا الراى هل



الأستاذ فكرى اباظة

الاذن وعاء يمتلىء فلايقبل مزيدا وهل العين اناء لا يقبل أن تضيف اليه ...

اذا وجد القارىء عند الشباب ما يقراه ، فيترك الكبار ، أو يقرأ لكليهما .. ثم دعنى اسألك مرة أخرى هل المطلوب من الكبار أن يصمتوا ، وان صمتوا فهل يرتاح الشباب الى هذا؟ وهل من العقل أن نطلب من صاحب كلمة أن يحبسها وهو يستطيع أن ينقلها .

انا ارجو قبل هذه الاسئلة التى ترد الينا كثيرا أن يحدد للكبار ما يريد أن يفعلوا ...

● ما رأيك فى قضية الفصحى والعامية ، وهل تؤمن بكتابة المسرحية العصرية باللغة الدارجة ؟

ـ الكتاب المقتدرون لا يكتب الا بالعربية ، فان الذى يتعلم القراءة والكتابة فانه لا يتعلمها الا بالعربية .

● وقد حصلت التجربة وباءت بفشل شديد فلم تذكر ...والمسرحية التاريخية ينبغى أن تكون بالعربية لأنها حينئذ تكون أكثر اقناعا للمشاهد. والمسرحية المترجمة يجب أن تكون بالعربية . لأنها ما دامت قد نقلت عن لغتها الاصلية فاللغة الجديدة هى اللغة الاصل .

● ما هو رأيك فى انحسار القصة والرواية وهجرة بعض الكتاب للخارج،

ـ لم يهاجر الى الخارج قصاص واحد ، والتحدى .. لأن القصاص والروائى مصرى بطبيعته ، ولايستطيع أن يعيش خارج بلده ، والقصة والرواية لم تنحسرا ولكن القراء هم الذين انحسروا ..

● هل للمرأة فى مصر أثر فى حياة كتابنا ومفكرينا

ـ للمرأة فى مصر والعالم أثر فى حياة كل انسان وخاصة الأدباء والمفكرين ...

● فى حديث لكم بالاذاعة تلتمس عن رواية « خيوط السماء » بأنها مميزة ومبتكرة ، فما هو الابتكار والميزة فى هذه الرواية .

ـ هى محاولة لاعتبار الرواية ملكا للأدب العربى يعاملها كفن ثابت من أصوله ، أما مدى نجاحى فى هذه المحاولة فأمر متروك للقراء عندما تكون الرواية من أيديهم وهى فى سبيل الظهور ...

● ما هو العمل الادبى الجديد الذى تقوم به الآن ؟..

ـ بارك الله فى مجلس الشورى والقسم الأدبى بالأهرام والدكتور عبدالعزيز شرف ، فلقد منعنى هؤلاء جميعا أن اكتب سطرا واحدا فى رواية بدأتها فى العام الماضى .. وانا ارقب سفرى للخارج فى شهر اكتوبر لاكمل الرواية .. ●



عيناك

عيناك يابهجة العيون
اثارتا كامن الشجون
انمارتا دونما حنان ..
على .. والقلب ذو حنين.

***

حديث عينيك كاس خمر
ولحن ناي وفيض سحر
فكيف لا ينتشي فؤاد
هفا لعينيك دون سكر !

***

عيناك ، عيناك ياحبيبتي
اهاجتا سالف الوجيب
وبين جنبي حطام قلبي
ظمآن من شدة اللهيب



● مبارك المغربي ●
الخرطوم

كابوس الدكتور فوليس

● بقلم : برتراند راسل ●
● ترجمة : نصار عبد الله ●

●● تعد هذه القصة نموذجا فريدا من ادب السلام حيث يصب برنارد راسل خلاصة سخريته الفريدة على تجار الحروب الذين تتفق مصالحهم دائما ايا كان موقعهم واتجاههم .

قضى الدكتور سوثبورث فولبس يوما مضنيا فى وزارة الانتاج الآلى ، حيث كان يحاول اقناع الموظفين بانه لم تعد ثمة حاجة الى استخدام الكائنات البشرية فى المصانع ، باستثناء فرد واحد لكل مبنى ، يقوم بمهمة الملاحظة وادارة المحول فى حالة التشغيل او الابطال ...

كان شديد الحماس ، وكلما واجهته عقلية البيروقراطيين ــ تلك العقلية المختلفة ــ كان يشعر بالارتباك والحيرة .

قالوا ان مشروعاته تستلزم نفقات راسمالية ضخمة فى سبيل قيام المصانع التى يديرها الانسان الآلى ، وقالوا انها قد تتعرض للتحطيم نتيجة لهياج العمال الاجراء ، او ان تشل حركتها بتعليمات من النقابات الساخطة ، غير ان مثل هذه المخاوف كانت تبدو بالنسبة اليه تافهة وغير مقصورة ..

كان يدهشه اشد الدهشة ان هذه الرؤى المضيئة التى ماتتهب بها وجداناته لم تستطع ولاول وهلة ان توقد جذوة مماثلة من الآمال فى نفوس اولئك الذين كان يستهدف توصيلها اليهم .

غاص فى مقعده متعبا ومحبطا بعد تعرضه لرذاذ غاز الميثين البارد ... سرى الدفء فى اوصاله ، فاستغرق فى النوم ... وفى منامه عايش ذلك الانتصار الذى طالما افلت منه فى ساعات يقظته . راح يحلم ، وكان الحلم لذيذا :

الحرب العالمية الثالثة ــ مثل حصار طرواده ــ فى عامها العاشر ... وباللغة العسكرية فان سير المعارك لم يكن حاسما اذ كانت تباشير النصر تلوح احيانا فى جانب معين ، ثم تلوح احيانا اخرى فى الجانب المقابل .. لكن الكفة لم ترجح نهائيا لأحد الجانبين ، بل انها لم تستمر راجحة لايهما فترة طويلة ..

واما من الناحية الفنية وهى وحدها ما يهتم به الدكتور فولبس ، فان تصاعدها ماكان يصبو اليه ، ففى خلال العامين الأولين من الحرب تم احلال افراد الانسان الآلى محل العمال الاحياء فى جميع المصانع بكلا الجانبين ، وقد امكن بهذا تدبير احتياطيات هائلة من القوة البشرية للجيوش المتحاربة ؛ بيد ان هذا التقدم الذى رحبت به الحكومات بحماس فى بداية الامر قد ثبت انه ليس مرضيا كما كان مامولا ، ذلك ان اعداد الضحايا الناجمة عن الحرب البكتريولوجية اساسا كانت اعداد كثيفة ، وفى بعض مناطق الجبهة الشاسعة تمرد الناجون من الموت فى اعقاب الاوبئة الفتاكة ، واخذوا يطالبون بالسلام ...

ثم مضت فترة معينة كانت الحكومات المتحاربة فيها يائسة فعلا من ابقاء الحرب مشتعلة ، لكن كلا من الدكتور

صب الفيلسوف برتراند راسل في قصته "كابوس الدكتور فوليس" سخريته الفريدة على تجار الحروب الذين تتفق مصالحهم دائماً أياً كان موقعهم

فولبس ونظيره المقابل فينيشوفسكي ستوكتمادوفيتش سرعان ما وجدوا سبيلا للتغلب على هذه الازمة ، فقد قاما خلال العام الثالث والرابع من الحرب بتصنيع افرادا عسكريين من الانسان الآلى حلوا محل جنود المشاة فى كلا الجانبين ، ثم قاما فى العام الخامس والسادس بتوسيع نطاق هذه العملية بحيث شملت كافة رتب الضباط الذين هم دون رتبة الجنرال ، ثم اكتشفا أيضا أن مهمة التعليم — أو بالاخرى مهمة التلقين العقائدى كما أصبحت تسمى الآن رسميا — يمكن أن تضطلع الآلات بادائها على نحو يفوق بكثير ما يقوم به المدرسون والأساتذة الاحياء من حيث مدى الدقة والضمان ، نظرا لما تبين من صعوبة الغاء الفروق الشخصية الغاء تاما بين التربويين الاحياء ، فى حين أن التربويين الذين تم « تصنيعهم » على نطاق واسع بمعرفة الدكتور فولبس والرفيق ستوكتما دوفيتش ، كانوا يقولون تماما نفس الشىء ؛ وكانوا يقومون بالقاء نفس الخطب الحماسية عن اهمية النصر..

ومن ثم فقد كان التحسن المعنوى المترتب على ذلك تحسنا ملحوظا ؛ فمع حلول العام الثامن من الحرب لم يكن ليخشى الموت المؤكد أى واحد من أولئك الشبان الذين تم تدريبهم على اعمال القيادة العليا للجيوش الآلية الكثيفة الموبوءة بالطاعون حيث كان يرابط المتحاربون وعندما كانوا يموتون كانت البراعة الفنية المتزايدة تكشف شيئا فشيئا تلك الوسائل الكفيلة بالتعويض عن قوتهم بما يفيض عن المطلوب .

وفى النهاية اصبح افراد الانسان الآلى يؤدون كل شىء تقريبا ، ومع هذا فقد تبين عدم امكان الاستغناء عن بعض الكائنات البشرية ومن بينهم الخبراء الجيولوجيون الذين يقومون بتوجيه عمال المناجم الآليين الى المناطق المناسبة ، ومن بينهم كذلك اعضاء الحكومات الذين يقومون باتخاذ القرارات الهامة فى مجال السياسة ، ومن بينهم فضلا عن ذلك وبطبيعة الحال كل من الدكتور فولبس والرفيق ستوكتما دوفيتش لكى يقوما بتكريس عقليهما العظيمين نحو آفاق جديدة من البراعة!

كان الرجلان كلاهما ممتلئين بالحماس من أعماقهما كما كانا فوق مستوى المعركة ، بمعنى أنهما لم تكن لتعنيهما تلك البلاغات التى يصدرها السياسيون والتى يفرغون فيها فصاحتهم ... لم يكن ليعنيهما فى الواقع الا تحسين الآلاتهم الى أقصى حد !

كانا — كلاهما يحبان الحرب لانها هى التى جعلت السياسيين يمنحونهما هذا المجال ، ولم يكن أحدهما يتمنى أن تنتهى الحرب ، اذ كانا يخشيان أن يؤدى انتهاؤها الى تكاثر الناس بالوسائل المألوفة والى اصرارهم مرة أخرى على أن يقوموا باستخدام عقولهم وعضلاتهم فى أداء هذه الاشياء التى يقوم بها الانسان الآلى حاليا باحكام تام ودون تعب... ولما كانت اهدافهما متطابقة فقد كانا صديقين حميمين ، وان كان هذا ينبغى ان يظل سرا يجب

اخفاؤه عن اعين السياسيين الذين قاموا بتوظيفهما ...

كانا قد استخدما جانبا من افراد جيوشهما الآلية في حفر نفق هائل عبر جبال القوقاز، وكان احد فوهتي النفق يقع تحت سيطرة قوات الغرب، في حين كان الآخر تحت سيطرة الشرق ، ولم يكن احد يدري ـ باستثناء الدكتور فولبس والرفيق ستوكنما دوفيتش ـ أن للنفق فوهتين ، ذلك انهما لم يسمحا لأحد غيرهما وغير الافراد الآليين ان يلج الى داخل النفق ... وقد قاما باستخدام الافراد الآليين في تدفئة النفق واضاءته اضاءة جيدة ، وكذلك في ملئه بمخزون ضخم من الطعام المعبأ في كبسولات اعدت بطريقة علمية لكي تجلب الصحة والحياة وان كانت غير قادرة على جلب المتعة للحلق والبلعوم ، ذلك انهما كانا يعيشان حياة يحكمها العقل غير عابئين بالملذات الحسيه ...

وفي احد المؤتمرات الدورية التي كان يعقدها الدكتور فولبس مع الرفيق ستوكنما دوفيتش ، وعندما كان على اهبة الدخول الى النفق ، سمح لبعض الانطباعات غير المحترفة ان تتسلل الى نفسه حول العالم الفضاء بضوء الشمس والذي كان قد هجره مؤقتا لحضور المؤتمر .

راح يحملق في البحر الجاثم عند السفح ، وفي القمم الثلجية الشامخة في الاعالي عندما طفت الى ذهنه ذكريات غالية من رواسب التعليم التقليدي والذي اضاع فيه مكرها سنوات مبكرة من حياته باوامر والديه المتخلفين من روح العصر .

((هنا كان بروميثيوس وقد شد وثاقه زيوس)) ـ راح يتذكر تلك الرواسب عن بروميثيوس الذي قام بالخطوة الاولى في مضمار هذا التقدم

المجيد للعلم والذي الحر عن ذروته العظيمة الراهنة .

قال لنفسه ان زيوس كان شأنه شأن الحكومات التي عرفتها في شبابي بفضل الاساليب العتيقة ، لكن بروميثيوس لم يكن شأنه كشأني وشأن صديقي ستوكنما دوفيتش ، اذ لم يستطع ان يقهر بدهائه اولئك الرجعيين في زمانه . وانه لأمر لائق ان انتصر في نفس البقعة التي عانى فيها ، كما ان زيوس بما لديه من صواعق تافهة ينبغي ان يوضع في مكانه بفضل مهارتنا النووية !..

ودع ضوء النهار بهذه الكلمات ثم تقدم لملاقاة صديقه .

كانت لهما مؤتمرات سرية عديدة خلال الحرب ، حيث كانا يطرحان على بعضهما البعض بمنتهى الثقة المتبادلة افضل المخترعات التي تساعد على ضراوة الحرب واستمرارها ... كان يلتقي في منتصف النفق بصديقه ستوكنما دوفيتش آتيا من الشرق فيتصافحان ويرنو كل منهما الى عيني الآخر في دفء عاطفي ، كما كانا يسمحان لأنفسهما قبل أن تجرفهما التعقيدات الفنية بلحظات قليلة يحتفيان فيها بعملهما المشترك ... كانا يقولان لبعضهما « يا لجمال العالم الذي تقوم بخلقه !.. أن البشر لا يمكن التنبؤ بسلوكهم فهم مجانين تارة ، جبناء تارة أخرى.. وهم مشحونون بالمثل المضادة للحكومة تارة ثالثة !.. اما رجالنا الآليون ، فكم هم مختلفون ... فان الدعاية الموجهة اليهم تحدث دائما آثارها المقصودة ، ثم يواصل الحكيمان حديثهما ... ما الذي كان أشد الاخلاقيين حماسا يأمل في فعله ولم يتحقق على يدينا ؟ كان الانسان دائما عرضة للخطيئة ، وانساننا الآلي ليس كذلك ... كان الانسان مرارا احمق وما كان الانسان الآلي كذلك قط !..

كذلك كان الانسان دائما معرضا للانحرافات العاطفية في حين ان الانسان الآلي ليس كذلك .. لقد اتفقنا انا وانت منذ زمن طويل على ان الشيء الوحيد الذى يمكن ان يعتد به في الانسان والذى لا ينظر اليه بدونه هو « السلوك » وان سلوك رجالنا الآليين لهو افضل من كل الجوانب من ذلك الانتاج البيولوجي العارض والذى مازال الى الآن منتفخا بكبريائه الاحمق ...

يا لبراعة خططهم !.. يا لاحكام استراتيجيتهم !.. يا لشجاعة تكنيكهم واقدامهم على خوض المعارك .. من يا ترى كان يتمنى في هذا اللهم الا ضحايا الخرافات البائدة !

كان الدكتور فولبس والرفيق ستوكتما دوفيتش قد توصلا الى الوسائل التى تجعل الافراد الآليين يستجيبون الى الخطب ، ومن ثم فقد تم تسجيل افضل الاحاديث لرجال السياسة في كلا الجانبين ، وعندما كانت تسمع عباراتها التى تهز الارواح كانت عجلات الافراد الآليين تبدأ في الأزيز ثم يبدأون في العمل بأحكام تام على نحو ما يتمنى السياسيون للبشر أن يكونوا !.. ولم يكن الامر يستلزم الا تعديلات طفيفة حتى يصبح الافراد والالبون التابعون لجانب معين يستجيبون لنوع من الدعاية دون غيره وأن يستجيب أفراد الجانب الاخر لنوع آخر من الدعاية .

كان افراد الدكتور فولبس يستجيبون الى تلك العبارات النبيلة التي يقول بها عظماء الساسة في الغرب : « هل بوسعنا أن نتردد ونحن نرى هذه الحشود التى عزمها على أن تمحو الايمان بالله . وأن تطمس في قلوبنا ذلك الاعتقاد بالخالق الذى يشد من ازرنا في وقت المحن والشدائد والاخطار ؟ هل بوسعنا أن نتصور اننا مجرد آلات بارعة كما يقول اعداؤنا الذين لا ارواح لهم ؟ هل بوسعنا أن نغض أنظارنا عن ذلك التراث الخالي من الحرية التى قاتل آباؤنا من اجلها ، والتى ما زلنا نضطر في سبيل الدفاع عنها الى انزال عقوبة السجن بالآلاف .. هل يمكن لأى واحد منا أن يتردد في هذا لحظة واحدة ؟.. وهل يمكن لاحدنا أن يتقاعس ؟ هل يمكن ان يتبادر الى ذهن أحد منا أنه يمكن المفاضلة بين التضحية بمجرد حياتنا الفردية ، بوجودنا الشخصى المحدود ، وبين المحافظة على عالم من المثل الذى قاتل من اجله اباؤنا وبذلوا دماءهم ؟ كلا والف كلا .. الى الامام ايها الاخوة المواطنون . وكونوا على ثقة في سبيل الحق من أن النصر النهائي سوف يكتب لنا » .

كان جميع افراد الدكتور فولبس الآليين قد تم تركيبهم على هذا النحو ، بحيث عندما كانت تنبعث هذه العبارات النبيلة من جهاز التسجيل في وجودهم كانوا يهبون انفسهم دون تردد او شك لأداء أقسى المهام المنوطة بهم والتى كان الهدف النهائي منها هو اثبات أن العالم لا تحكمه الآلات فحسب !

اما افراد الرفيق ستوكتما دوفيتش الآليين فقد كانوا على نفس الكفاءة كما كانوا يستجيبون بنفس القدر من الاستعداد لتسجيلات الكلمات الملهمة التى يلقيها القائد العام : « ايها الرفاق .. هل انتم مهيأون لان تظلوا الى الابد عبيدا للراسماليين الذين لا ارواح لهم ، هل انتم على استعداد لان تغضوا ابصاركم عن ذلك المصير العظيم الذى اعدته المادية الجدلية لاولئك الذين تحرروا من الاغلال التى كبلهم بها المستغلون الحقراء ؟ هل يمكن لشيء على هذا القدر من الجمود وفقدان الحياة ، شيء على هذا القدر من القسوة والوضاعة مثل تلك الفلسفة الحمقاء - فلسفة بورصة نيويورك ، أن تذل الجنس البشرى الى الابد ؟.. كلا ،

الحرية اذا سعيتم من اجلها وبذلتم من الشقة ما بذله مبشروكم في انشاء الدولة العظيمة التي هي الآن نصيركم هيا الى الامام ، للنصر .. الى الامام .. للحرية .. الى الامام للبهجة والحياة !

كانت هذه الكلمات تفعل فعلها ايضا في استثارة افراد استوكنما دوفيتش الآليين .

ويلتقي الملايين من افراد الجيش المتحاربين ، وتظلل السماء أسراب الطائرات التي يقودها الافراد الآليون، غير انه لم يحدث قط ان اخفق انسان آلي في اداء واجبه ، ولم يحدث قط كذلك ان فر من ميدان القتال، ولان استجابت اجهزته للعابة العدو المضادة !..

وظل الحال كذلك حتى كان ذلك اللقاء في عاشر اعوام الحرب بين الدكتور فولبس والرفيق ستوكنما دوفيتش حين بدات سعادتهما تحدها بعض الحدود ، اذ كان لايزال بعض البشر في الحكومات ، كما كان لايزال من الضروري الاستعانة بالبشر كخبراء وجيولوجيين لتوجيه الافراد الآليين الى مصادر جديدة للمادة الخام كلما نضب معين المصادر القديمة ، كذلك كان هناك خطر يمثل في احتمال ان تقرر الحكومات الاتجاه الى السلام ، كما كان هناك خطر آخر يصعب دراه يتمثل في انتقصان الخبراء الجيولوجيين قد يترتب عليه انتهاء نشاط الافراد الآليين نتيجة لنضوب المناجم !..

لم يكن من المتعذر عليهما تجنب اول هذين الخطرين ، فعندما التقيا بهذه المناسبة اسرا الى بعضهما البعض بأن لديهما الخطط الكفيلة بالابادة المتبادلة للحكومات في كل من الجانبين ..واما الحاجة الى الخبراء الجيولوجيين فقد ظلت مشكلة مؤرقة بالنسبة لهما ، ومن ثم فقد قاما في هذه المناسبة بتكريس ذكاءهما المشترك للوصول الى حل لهذه المشكلة ، حيث قضيا شهرا في التفكير الشاق قبل ان يتوصلا الى الحل في النهاية ، وكان الحل يتمثل في اختراع افراد تنقيب آليين قادرين على قيادة الآخرين الى المناجم المناسبة ، فكان هناك الافراد الذين يستطيعون العثور على الحديد، واولئك الذين يستطيعون العثور على البترول، وهناك المختصين بالنحاس وباليورانيوم وهلم جرا الى آخر تلك الخامات اللازمة لشئون الحرب العلمية ... وهكذا لم يعد الآن يراودهما الخوف من ان نضوب المناجم القائمة سوف يترتب عليه انتهاء الحرب وانقطاع البراعة الفنية عن ممارسة عملها !

بعد ان اتما صناعة الافراد المنقبين، قررا ان ياويا الى كهفهما ، وان يترقبا في هدوء انقراض بقية الجنس البشري ... كان السن قد تقدمت بهما ودبت الى نفسيهما تلك السكينة الفلسفية التي يشعر بها اولئك الرجال الذين ادوا مهامهم ...

وقد عمر « هذان الحكيمان » حتى ارذل العمر ، تطعمهما وترعاهما جموع الافراد الآليين المطيعة ، ثم ماتا في لحظة واحدة ... ماتا وهما سعيدان يعلمان انه طالما بقي هذا الكوكب فسوف تبقى الحرب مشتعلة بغير دبلوماسيين يطالبون بانهائها ... وبغير فلاسفة يشكون في قدسية الشعارات التي يرفعها الفريقان المتحاربان، ولا فلاسفة شكاكين يتساءلون عن الهدف من هذا النشاط البارع الذي لا نهاية له ؟!

استيقظ الدكتور فولبس وهو ممتلىء بالحماس حيث سمع نفسه وهو يهتف « لا امل في النصر ... الحرب الى الابد !..

غير ان كلماته قد تسربت لسوء حظه الى كل الاسماع ، ومن ثم فقد اودع السجن !..

علبة الكبريت

● محمد برهام ●

وفى القطار امامى كان مقعدها
حسناء قدوضعت ساقا على ساق
راحت تطل من الشباك فى لهف
والكون يصحوعلى صحو واشراق
وتنثنى لترى مافى مجلتها
وتعتنى « بموديلات » واذواق
ورددت وبيمناها سجارتها
نسيت ولاعتى من طول ارهاقى
تقول صدقا فتاتى ام تجاذبنى
وانها قرات شيئا باعماقى
فخلسة طالما قد كنت ارمقها
بينا القلب فى صحفى واوراقى
اسرعت اشعل اعواد الثقاب لها
وقد تعمدت فى الحالات اخفاقى
تناولت علبة الكبريت باسمة
وبعد اشعالها استولت على الباقى
وكى تدافع عما تفعل اعتذرت
قالت واحداقها تلهو باحداقى
ماللرجال وللكبريت تحمله
هيهات تعوزهم اسباب احراق
لاتحملوا اى نار فى جيوبكم
ولتنشدوا ناركم من قلب مشتاق
واننا قد تكفلنا لنو قدها
فان تريدوا ففوق الجهد والطاق
عند الوصول اعادتها ومالبثت
وخلفتنى لافكارى وافاقى
يامن رحمت رجالا اننى رجل
فكيف غادرته من دون اشفاق ؟
هذى هى النار لاعود ولاحطب
وما لاهل الهوى من جمره واق!

أمين الريحاني

● د . عبدالفتاح الديدى ●

● شخصية لها مكانتها فى العالم العربى وفى العالم الغربى . ولعبت دوراً أساسياً فى توجيه الفكر نحو الفكر بالحضارة العصرية . وقام بعمله ما أوتيه من قوة تثبيت جذور الأفكار الأوروبية والامريكية فى ربوع بلاد الشرق ، فقد كان يحس ان معرفة الفكر العربى فى حد ذاتها مسئولة ، ولا يمكن الاستجابة لهذه المسئولية الا بوضع دعائم لذلك الفكر على ارض بلادنا وكانت وقتئذ لا تزال هشة ..

ذلك هو امين فارس الريحانى (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠) الذى عاش حياته ينير للاجيال العربية طريقها نحو المعرفة بكل ابعادها الحديثة .. وكتب اليه فليكس فارس اللبنانى الاصل الذى عاش بالاسكندرية رئيسا لقلم الترجمة ببلدية الاسكندرية ـ يقول : « لعلك عرفت شيئا عما مر بى من عواصف ، فأنا منذ سنين اهزأ بالاقدار تصدمنى الصدمة تلو الصدمة وقد كنت دائما أرى غصن الورد الذى زرعته انت فى كل تربة تلفحه السموم ولعبت به عواصف الناس فاذوته .. » .

كان ذلك عام ١٩٣١ ، وكان فليكس فارس من اشهر ادباء الاسكندرية وخطبائها وكانت معرفته باللغات الاوروبية كبيرة ، وترجم « هكذا تكلم زرادشت » للفيلسوف الالمانى نيتشه .

وله كتاب كان شائعا ذائعا فى الاربعينات بمصر هو « رسالة » الخطابة الى العلم العربى » ويتألف من خطب وكتابات هامة ، فعرفنا بالعديد من ادباء لبنان من امثال ميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران ، وفوزى معلوف « ١٨٩٩ ـ ١٩٣٠ » مؤلف ديوان على بساط الريح ، والاب لويس معلوف ١٨٦٧ ـ ١٩٤٦ » واضع قاموس المنجد باللغة العربية فضلا عن مشاركاته فى النهضة الفكرية ..

وكان فليكس فارسا شاعرا ايضا ، اهتم بالاشتراك مع رجال الجمعية الثقافية بالاسكندرية لنشر الاهتمامات الادبية والمعارف والثقافات لدى الشباب السكندرى الذى كان يتابع كتابات فليكس فارس هنا لك . واعتاد الجميع ان يشيروا الى امين الريحانى على انه فيلسوف .

وكتب الدكتور شبلى شميل (١٨٦٠ ـ ١٩١٧ » فيلسوف القاهرة ـ منذ أواخر القرن الماضى حتى عشرينات هذا القرن ؛ ومؤلف كتاب الحقيقة لتأييد مذهب داروين ـ رسالة الى أمين الريحانى سنة ١٩١٠ يقول له فيها « وأنا يعجبنى منك أمران فى الكتابة مستحسنان منك جداً ؛ وهما افكارك الجديدة وخصوصا اسلوبك الخاص بك فى تصويرها للقارىء . وسررت كثيرا من مقالاتك فى .



امين الريحاني

مشاهير الرجال كفولطير (فولتير) فانها بديعة في الوصف والنقد ،وربما سروري من كتاباتك انك توافقني في فهمك الحوادث ، وتبسطها على وجه أدبي انظر اليه أنا نظرا طبيعيا ، وهذا هو الاسلوب الوحيد في الكتابات الادبية الذي اقر عليه ، عساه ينقلنا شيئا فشيئا من ذلك الاسلوب اللاهوتي الأجتماعي كما أسميه » .

وكتبت الاديبة مي زيادة (١٨٩٥ - ١٩٤١) خطابا الى امين الريحاني في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٠ تقول فيه : « اهلا بصورة وادي فينيقيا وبما تحمله على ظهرها من كلمات طيبات وتذكارات صافيات .. الحمد لله على سلامتك ، والحمد لله على سلامتي كذلك .لاني كنت مثلك مريضة .. لماذا لم تكن تبعث الى بمقالاتك الانجليزية كما فعلت مرات قليلات في الماضي ؟ قرأت منذ شهور ما كتبته في بوكمن عن قاسم بك امين . وقد نقلته عن الانجليزية ، وعرب شيئا منه بعض جرائدنا العربية . واعترف بصراحة انني قرأت ذلك بسرور يمازجه الفخر لان مجلة انجليزية كبيرة تستشهد باقوال فتى سوري لبناني .

وعلى ذكر قاسم بك امين ، هل علمت ان المكتبة الخديوية التي اصبحت المكتبة السلطانية تطهرت نهائيا من مكروبات الالمان . الخبر ان حكومتنا (السنية طبعا) عينت لدار الكتب هذه مديرا مصريا وهو لطفي بك السيد .. الملك لا تجهل لطفي بك . وقد كان صديقا حميما لقاسم بك امين ، لكن الحكومة اصابت كل الاصابة في هذا التعيين » .

ولعل هذه الرسائل قادرة على ان تكشف جوانب شخصية امين الريحاني لكن رسالة بعث بها اليه ميخائيل نعيمة في ١١ يناير سنة ١٩٣٤ تستطيع ان تبرز لنا حقيقة فهم امين الريحاني لاعمال جبران خليل جبران وان تبرز لنا من وراء هذا الفهم حقيقة شخصية امين الريحاني وقدراته العالية في تذوق ومعرفة الآداب والفلسفات ..

وقد ارسل ميخائيل نعيمة هذه الرسالة الى امين الريحاني على اثر نشره لمقال في رثاء جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١) غداة وفاته .. :

« .. بل يا امين . لقد كانت بينك وبين جبران صلة في بدء نشأته الادبية . صلة ما اظنها بلغت حد الصداقة ، وان شئت ان تزينها اليوم بهذا اللقب . لكن جبران نبذك من حياته ونبذ ذلك الحب كما تنبذ انت نواة زيتونه تاكلها . واصبح اذا ما تراءى له خيالك في كأس من ماء ، وكان عطشا حتى التلف ، احجم عن شربها وحطمها .. واني مذكرك - وما انت بالناسي - بليلة رفع عصاه فوق رأسك ، لو لم يتداركه بعض الحاضرين لما كنت اليوم في عداد الاحياء .. منذ تلك الليلة - وقد عمرتها امواج اربع عشرة من السنين - لم ير جبران لك وجها ، ولا وقع بصرك على وجهه ..

« ثم انك ما كنت تحفل يا امين بأدب جبران ولا تعتبره بشيء · والى مذكرك – اذا كنت ناسيا – بليلة صرفتها عندى قبل وفاة جبران بسنة او اقل · وبساعة خرجنا سوية فى تلك الليلة نتمشى فى برودواى فجئنا على ذكر جبران وأدبه وبكلمتين انجليزيتين افرغت فيهما رأيك فى أدب جبران وهما « موكيش سنتمنتاليزم » الاولى – وهى نعت للثانية – مليخ · مقزز كريه المذاق ومعنى الثانية عاطفة مائعة تتصنع الرقة ·

« مات جبران ·· مات جبران » وأنت لا ترى فى أدبه أكثر من : عاطفة مائعة كريهة المذاق » !

والواقع ان مثل هذا التعبير الذى صدر عن امين الريحانى يعبر تعبيرا دقيقا عن فهم مستنير للادب وخاصة امام حركة التقدم وفكرة التقدم المطلوبة فى العالم العربى فى مستهل نهضته · ولا يعيب امين الريحانى انه حاول التعبير عن بعض ملامح الصداقة التى ربطته بجبران والتى حاول ميخائيل نعيمه أن يعاتبه بشأنها · فما الذى يمنع أن يعبر الذائقه عن بعض رأيه فى الاديب فى ساعة ويعبر عن بعض رأيه الآخر فى ساعة أخرى ؟

وما الذى يمنع امين الريحانى من ان يتناول الاديب من جانب بنفسه اذا أحس انه فشل فى تأسيس موقف اول كبير ناهض ؟

وما جعلنى احترم امين الريحانى سوى هذا التعبير الذى ان دل على شيء فعلى ارتباط قوى بمعنى الحضارة ، وعلى احساس مرهف بصناعة الاديب وعلى ذوق نابض بالحياة والفكر جميعا · فمن حق الناقد ان يبرز السياق العام لاحد المواقف الادبية مع تقدير خصائصه الاصيلة · وليس حكم امين الريحانى عن ادب جبران خاصا بوضع ادب جبران بالنسبة الى الحياة الثقافية فى الغرب ولكنه حكم خاص بوضعية ادب جبران ازاء الحضارة العربية الناشئة التى تتطلع الى تغيير معاييرها وتحويل مسار الامور فيها ·

وما أسماه امين الريحانى العاطفية المائعة المصطنعة عن أدب جبران اطلقناه نحن بصورة اخرى تحت عنوان العاطفية المتساءة عن الادب المتأثر بالتيارات الجوفاء ذات الرنين المصطنع ·· وشعرنا هنا بصدى المؤثرات المتصلة على تكويننا الفكرى · وواجهنا عددا من التيارات النابعة من الانفعالات الجوفاء بنفس هذا الاسلوب الذى اتبعه الريحانى · ويكفى عادة تشخيص بعض الشاعر الادبية بعبارة موجزة من أجل وصمها فى عين المشايعين لها ·

وأمين الريحانى من مواليد الفريكة بلبنان اشتغل بالتجارة ثم حاول دعم ثقافته وصقل مواهبه واستعداداته بالدراسة العالية الجادة . وشغل نفسه بهدف واحد وهو محاولة توصيل الفكر الغربى الى الاوساط العربية واشباع العقل العربى من المدنية الحاضرة بكل ظروفها واوضاعها .

وعاش امين الريحانى يحاول ان ينشر بذور مشاهداته بأوروبا وامريكا على الارض العربية ، والف عددا من الكتب الهامة التى تفوح برائحة دعواه الى الثقافة والمدنية كما شهدها فى الغرب ، ولكننا نشعر انه تخير الثقافة الجادة والادب العميق واهتم بالاتجاهات القوية الشابة وكتب عددا من المؤلفات ذات الاهمية البالغة بالنسبة الى مرحلة السنوات الاولى من القرن العشرين . فنحن لانكاد ندرك روح التمرد الحقيقية لدى ابناء الادب والفكر فى هذه المرحلة بدون التعرف على الصراع القوى الكامن فى قلوب كتاب النصف الاول المبكر من القرن العشرين .

وأمين الريحانى له مؤلفات عديدة اهمها موجز تاريخ الثورة الفرنسية – والتطرف والاصلاح – وملوك العرب – وقلب العراق – وتاريخ نجد الحديث

وفيصل الاول – وقلب لبنان والمغرب الاقصى – ونور الاندلس – والقوميات والريحانيات – ووجوه شرقية وغربية – وأنتم الشعراء – وأدب وفن – ورسائل امين الريحاني ..

وله أيضا مؤلفات بالانجليزية اهمها في النقد الفني ، ومسرحية ، وديوان شعر ، ودراسة عن ألف ليلة وليلة ؛ واسهام العرب في المدنية وله كتاب بالانجليزية عن تضحية « مى » لم يطبع

ومن مؤلفاته قصة «المكارى والكاهن» التى الفها في نيويورك بامريكا سنة ١٩٠٤ ونشرها بالعربية في لبنان في ذلك الوقت تقريبا . وهي قصة يعرفها عارفو الادب العربي معرفة موسعة ، لانها تمثل يقظة الفكر العقلاني لدى العرب . وتصور صراعا من نوع جديد بين المذاهب الفكرية والمواقف العقلية . والمكارى هو سائق العربة والكاهن هو الراهب الديني والمكارى الذى اختاره امين الريحاني بطلا لروايته يمتاز عن اخوانه العربات بانه سبق له ان قطع البحار وساح فيما وراء الديار واستفاد خبرة عملية في شئون الحياة ويدعى ابرطنوس ولديه استعداد فطرى لالتماس الافكار الجديدة وتعلم ابو طنوس اللغة الانجليزية اثناء اقامته في نيويورك وحاز الجنسية الامريكية وكان يكره رجال الدين كرها شديدا ، وجنسرت بينه وبينهم مشاحنات .

ولعبت هذه القصة في حوالى ٩٠ صفحة مالم تلعبه عشرات المقالات من ادوار في شرح الافكار المدنية الغربية وآراء المؤلفين الغربيين الذين حركوا مواقع التطور الاجتماعى في القرن التاسع عشر .. وتمثل هذه القصة جزءا من التيار العام في الفكر والادب وتشغل وضعا ظاهرا في سير الفكر العربي الناهض في أوائل القرن العشرين وتمثل موقف المثقفين من الحياة الفكرية والقصة في عمومها تنافس موقف الانسان من رجال العقيدة الكنسيين

ويحدد امين الريحاني موقفه من العقيدة في كتابه الريحانيات حيث يقول في مقاله « ماهي السعادة » بالجزء الاول أنا روحي ، أكثر مني مادى .. انى ارى في كل ما حولى شيئا من الجوهر الالهى وكلما يرقى الانسان ازداد في عينه الجمال الطبيعي المحيط به ، وكلما درس الحكيم الطبيعة قرب من الناموس الرئيسي السائد في كل جزء منه اوهذا الاقتراب من الناموس هو ما اسميه « اتحاد الانسان مع خالقه » .

ويعود امين الريحاني فيشير الى العقيدة في حلقة الاتصال – سنة ١٩٣٢ اثناء تنصيب رئيس جديد لرئاسة الجامعة الامريكية في بيروت ويقول « وفوق كل الاديان والانبياء والرسل والمبشرين اله واحد تسع رحمته الناس اجمعين . وما الدين سوى الشعور بالله وان تكون حياة الروح ظاهرة في سلوك الفرد » .

وكذلك قال في مقاله « في ربيع اليأس » بالجزء الثاني من الريحانيات ان يأسي لفي ربيعه وفي هذا الربيع لكل أمة من الامم ولكل شعب من الشعوب زهرة طيبة الاريج ولكني وان قال التأمي العذراء ، أقول : الله .. وان قال اخواني المسيحيون المسيح ، أقول الله .. وان قال اخواني العرب محمد ، أقول الله .. وان قال اخواني في الشرق بوذا أقول الله .. وان قال أخى الفارسى اهورا أقول الله .. وان قال أخى الصيني كنفوشيوس أقول الله .. وان صرتي وان كان من أصوات اليأس لمن أصوات الله ..

● امين الريحاني في مصر ●

وقد زار أمين الريحاني القاهرة في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢ واحتفلت الاوساط الادبية والفكرية العربية والمصرية بوجوده في القاهرة بعد غياب طويل بالولايات المتحدة الامريكية .. وكان وصوله مساء ٢٧ يناير ١٩٢٢ وخاطب سليم سركيس صاحب مجلة سركيس

لبيفونيا فاندهش للمفاجأة واقام في منزله احتفالا بالضيف الكبير ، حضره خليل مطران واحمد زكي باشا ، ومحمد بك المويلحي ، وداود بركات ، ومحمد جمعة وانطون الجميل وسليم الحداد ، وامين مرشاق ، واميل زيدان واحمد حافظ عوض، وامين بك واصف

وفي اليوم التالي احتفل بأمين الريحاني في نعزة الامير ميشيل لطف الله وشهد الاحتفال الشيخ رشيد رضا ، وسليم سركيس ، واسعد داغر وتوفيق اليازجي

وكان خليل مطران قد القى كلمة احتفالا بامين الريحاني في بيت سليم سركيس بمصر الجديدة فقال : اظهر الريحاني كثيراً من الفضل بنقله الى الغرب اداب الشرق وتعريفه الانجلوسكسون بفضائل الاسلام وان لم يكن مسلما ، فحق للشرق اجمع ان يشكره

وتكلم امين الريحاني في تلك الليلة فاشار الى ان الادباء المصريين والعرب هم الحلقة التي تصل الشرق بالغرب ، فالمسئولية عليهم أشد منها على سواهم ولابد من هذا الاتصال لان عوامل التضامن اليوم اقتصادية كانت أو علمية اشد منها في كل زمان فمن مدنية فمن مدنية الغرب تجيئنا مثلا العلوم الكونية الحديثة والى مدنية الغرب نتقدم نحن الشرقيين بالحي التعليم الدائم من علومنا الروحية مثل هذا التبادل الخلاق هو الرقي الحقيقي ، بل فيه تصل الامم الى اعلى درجات التمدين .

وفي يوم الاثنين ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٢ أقام أحمد زكي باشا حفلا تكلمت فيه الآنسة « مي » وذكرت في خطابها الجميل الكثير عن امين الريحاني ووصفت فكره بانه لم يقف عند حدود البلاد وانه هو نفسه عزيز عزة من كانت قوته الوحيدة معرفة وسيفه الوحيد قلما .

وامتاز امين الريحاني بروح شابة الجنح نحو الذوق والعلم في وقت واحد فالف مقالاته وكتبه وجعلها مليئة بالتحليلات الهادئة الجميلة والاسلوب الواضح والروح الطيبة . «سو

وكان امين الريحاني يقول احب ان تشع حياتي لا ان تفرقع .. أن تكون كاحد الكواكب السماوية لاكسهم من الأسهم النارية ..

وقد شرح يوما هدفه في الحياة فقال هدفي ان ابذل معاني طاقتي كتابة وخطابة وعملا لتحرير الانسان من قيود الجهل والفقر والخوف، وتخفيف الالام البشرية ، وازالة الاوهام والاضاليل في العقائد والتعاليم السياسية والاجتماعية والدينية .

وقال ان وسيلته الى ذلك هي الفكر الحر والبحث الحر ، والقول الحر ، مجردا من كل تحزب وتعصب واهواء شخصية ، (انظر حـ ٢ من الريحانيات ص ١٦٨)

ويشير امين الريحاني الى العلوم والاخلاق الغربية ، فيتكلم عن فضل بعض الفلسفات في تهذيب الاخلاق كالفلسفة الاستقرائية التي احياها ديكارت في فرنسا ، وبيكون في انجلترا فلقنت الاوربي حكمة الشك وعودته ان يسال كيف ولماذا .. وحببت اليه البحث العلمي والتمحيص . ثم الفلسفة المثالية الالمانية التي غذت عقله ونفسه والفلسفة الانجليزية التي غذت روحه ووعيه فاشتد ساعده وصحت عزيمته

ويقول امين الريحاني اننا نرى المقام الاول في العمل في كل هذه الفلسفات للارادة . فالارادة اذا ضعفت في المرء ضعفت معها فضائل النفس والعقل والجسد . والارادة مثل كل الجوارح فينا ينميها الترويض وتعززها الممارسة ولكل منا حلقة اجتماعية صغيرة يستطيع ان ينير فيها مصباح الفكر والحب والارادة .

ونذكر مع ذكرنا اليوم لامين الريحاني احدى الصيحات الكبرى في خطى

حفيدي .. كريم

● فتحية النميري ●

قصيدة شعر تهز القلوب
باوزانها .. خفقة من وتر !
اذا ما تهلل بعد البكاء ...
فشمس الضحى بعد يوم المطر !
يفيض سرورا ، كان لم يكن
صفاء البهاء علاه الكدر .. !

***

أيا صادق الود عند اللقاء
ويا نفحة من حنان القدر ..
اذا ما تكلمت تصغي القلوب
وتسعد حين تزف الخبر !

***

فيا كوكبا قد اضاء وجودي
ويا بسمة في صفاء السحر
ويا باقة من زهور الربيع
تبدداها الزكي هفا والتشر ...

***

يلون عينيك عمق البحار
وصفو السماء ، وامع الدرر
واهتف باسم العلى القدير
فطلعة وجهك نور القمر !

***

فيا برعما قبلته الشموس
ونبع الغدير وهمس الزهر
تبارك من صورتك يداه
وجلاك حسنا يسر النظر
وقاك الإله شرور الحياة
وكيد العدو وهول الدهر !

من حقيبة الدبلوماسية القديمة

من الذى يتقدم السفير؟

● سعد رضوان ●

حدث ذلك فى مثل هذه الأيام منذ ثلاثمائة عام ..

توجه رجال السلك الدبلوماسى الى ميناء لندن لاستقبال سفير السويد الجديد . وكان كل من السفراء الموجودين فى بريطانيا قد اعد موكبا يليق بمقام بلاده ، فهذا الكونت ديستراد السفير الفرنسى ، قد ركب عربته الفاخرة التى تجرها الخيول ويسبقها ويسير بجانبها وخلفها عدد من الحرس والخدم فى ملابسهم المزركشة ذات الالوان الزاهية .. وخلفه سارت عربة اخرى تحمل باقى اعضاء السفارة من دبلوماسيين وموظفين وحرس خاص ..

ووصلت مواكب عديدة مختلفة بعضها فخم وبعضها اقل فخامة ،ولكن موكبا فخما آخر يماثل موكب السفير الفرنسى اجتذب الانظار ، وكان ذلك هو موكب سفير اسبانيا الكونت دى فاتفيل ...

ووصل السفير السويدى المحتفل به، واستقبل فى قاعة الاستقبالات المخصصة لكبار الزوار ، وحياه مدير المراسم بوزارة الخارجية البريطانية واعضاء سفارته ، ودار به اكبر اعضاء السفارة يعرفه على الموجودين ويقدمه للسفراء الحاضرين ، ثم وزعت المشروبات على شرف السفير الجديد..

وانتهت مراسم الاستقبال ، وحيا السفير الجديد مستقبليه واستقل عربته وسار موكبه الى دار سفارته..

وبدات المواكب الأخرى المختلفة تستعد للعودة .. .والمتبع فى العودة أن ينادى المنادى على عربة السفير الخارج فيستقلها وتسير به دون مراسم او نظام خاص ، بل يتجه كل الى الطريق الموصل الى مقره ...

والمهم انه عند العودة سار موكب السفير الفرنسى الكونت ديستراد مغادرا الميناء . ولكن السفير الأسبانى امر رجاله وحوذيه ان يلحقوا بموكب السفير الفرنسى ويسبقوه ، وفعلا جرت عربات الموكب الاسبانى حتى اصبح الموكبان متقاربين ، ثم لحقت عربة السفير الاسبانى بعربة السفير الفرنسى وسارت بجوارها ..

وادرك السفير الفرنسى بتخطى عربة السفير الاسبانى فامر حوذيه ، بان لا يسمح للاسبانى بتخطى موكبه!

واسرعت عربة السفير الفرنسى

وجرت العربتان متحاذيتان دون ان تستطيع احداهما ان تسبق الأخرى..

ونظر كل سفير من نافذة عربته الى السفير الآخر ثم ادار وجهه بغضب... وصرخ كل منهما في سائقه ان يسرع .

كان المأزق ان الطريق قد ضاق بحيث لا يسمح بغير مرور عربة واحدة!

وتوقفت العربتان فجأة ، وقد اصطدم جانباهما صدمة ارتج لها ركاب العربتين ..

وتوقفت عربات الموكبين التى كانت خلفهما ، ونزل السفيران معا فى سرعة ، وامسك كل منهما بسيفه ...

***

حدث ذلك فى عام ١٦٦٨ وكانت فرنسا يحكمها لويس الرابع عشر ، ذلك الملك الذى اعتبر عهده (١٦٣٨ ١٧١٥) العصر الذهبى لفرنسا وبلغت فيه الدولة شأنا كبيرا ، وخاصة فيما يختص بالفنون والآداب حتى اصبح عهدا من العهود التى لا تنسى فى فرنسا وفى غيرها من البلاد ..

وكان لويس يحب الفخامة والأبهة ويهتم بالاحتفالات والمراسم ، ولا زلنا حتى اليوم نجلس بالصالونات المذهبة التى انتشرت فى عهده وسميت على اسمه فاطلق عليها « طراز لويس الرابع عشر . »

فاذا ادركنا هذا ، عرفنا ما كانت عليه حال سفاراته ، وسفرائه من اهتمام بالمظاهر والفخامة والمراسم ، الخ ... وهكذا فان سفير فرنسا الكونت دستراد اعد نفسه وموكبه

الوقت علاقات جامدة صنعها الحداد، ففى سنة ١٦٥٩ انتصر لويس على اسبانيا فى حرب طويلة واضطرها الى عقد صلح سمى صلح البرانس ...

وفى سنتى ١٦٦٧ و ١٦٦٨ قامت حرب اخرى قصيرة بين الدولتين بحجة ان اقليم الفلاندرز الذى كانت تحتله اسبانيا فى ذلك الوقت يدخل ضمن ميراث لويس الرابع عشر ...

ويبدو ان ذلك الاقليم كان يستاهل الحرب من اجله فهو اقليم غنى اشتهر بصناعة النسيج والصوف فتنازعته النمسا وفرنسا وانجلترا واسبانيا .. والمهم ان تلك الحرب القصيرة قد انتهت بأن احتلت فرنسا جزءا من الاقليم وضمته الى اراضيها ؛ وهو الجزء الذى يضم مدينة « ليل » الفرنسية الآن .

فاذا عرفنا هذه العلاقة بين فرنسا واسبانيا ، وعرفنا ان المعركة التى حدثت بين السفراء فى لندن حدثت فى نفس السنة التى انتهت فيها الحرب على اقليم الفلاندرز لصالح فرنسا اى سنة ١٦٦٨ ادركنا مدى العلاقة بين ممثلى الدولتين لا يمكن ان تكون علاقة حب ، خاصة وان اوامر ملك اسبانيا فيليب الرابع الى سفرائه دمثليه كانت ان يبرزوا ويظهروا ويتفوقوا على سفراء فرنسا ولا يسمحوا لهم بأن يتخطوهم او يسبقوهم او .. او .. الخ !.

وطبعا ، فان سفير اسبانيا فى ذلك الوقت ، الكونت دى فاتفيل قد اهتم بان يظهر فى الاحتفال ، وأن يسبق

السفير الفرنسى ، فكان ما كان من اصطدام العربتين ونزول السفيرين وقد امسك كل منها بسيفه !..

وتبارز السفيران ..

وقامت معركة بين اتباع كل سفير ، استخدما فيها كل انواع الأسلحة التي فى متناول ايديهم من سيوف وعصى الى سوط الحوذى ...

ووقف البوليس الانجليزى يتفرج على المعركة ، فلم يكن فى سلطته أن يتدخل لعلمه بان اعضاء السفارتين لهم حصانة دبلوماسية ، وان تدخله يجر المشاكل ، وكان كل ما فعله الضابط الانجليزى ، هو ان ارسل احد رجاله الى رؤسائه بوزارة الداخلية الذين ارسلوا بدورهم الى وزارة الخارجية يستفتونها فيما يفعلون ...

وهكذا لم يهتم احد بفض المعركة ، بل وضح على وجوه الانجليز الابتسام والاغتباط ، كمن يتسلون بمسرحية جميلة ! ..

واستمرت المعركة فترة طويلة دون ان يتضح اى الجانبين سيكسب المعركة بدا ان الجانب الاسبانى هو الذى سيهزم ، لما كان من السفير الاسبانى الا ان امر احد اتباعه باستئجار بعض البحارة والعاطلين الواقفين للفرجة لمساعدته ..

واخرج الرجل جنيهات دفع منها ، لجمع عددا من المتعطلين و «البلطجية» الأشداء الذين امنوا عدم تدخل البوليس ، لتقدموا للقتال بجانب الأسبان ، واشبعوا الفرنسيين ضربا ، واضطروهم الى الاستسلام !..

وانتصر الكونت دى فاتفيل السفير الأسبانى ومضى موكبه فى الطليعة ... ثم تبعه السفير الفرنسى الكونت دبستراد بعد ان جمع جرحى رجاله وقتلاهم ... اى نعم قتلاهم فقد قتل عدد من الفرنسيين فى المعركة ..

وفى الحال ارسل السفير الفرنسى تقريرا الى الملك لويس الذى غضب غضبا شديدا ، وارسل للملك شارل الثانى ملك اسبانيا يطلب منه الترضية الكافية ، والا فان فرنسا سوف تعلن الحرب على بلاده ... ولم يكن شارل الثانى ينتظر هذه النتيجة او يتوقعها فقد كان حين اصدر اوامره الى سفرائه بان يسبقوا سفراء فرنسا يعتقد انها لعبة مسلية كلعبة القط والفار او ما اشبه ، اما ان ينقلب الأمر الى صراع ديكة وحرب فهذا ما لا تحتمله بلاده!..

وهكذا قرر شارل تقديم الترضية التى طلبها لويس ففصل سفيره فى انجلترا دى فاتفيل ، كما بعث الى لويس الرابع عشر فى مقره بسان جيرمان بسفير فوق العادة يخبره بانه اصدر اوامره بان سفراء فرنسا يجب ان يكونوا متقدمين على سفراء اسبانيا فى كافة المواكب والاحتفالات ، وانه من غير المسموح لأى سفير اسبانى ان يتخطى سفيرا فرنسيا !

قصة

عروس .. في الخواء!

• هدى جاد •

اخذ يطوف ويطوف ..

ارهفت اذنيه السمع ..

لا احد بجانبه ، والوقت ليل «معتم» لا صوت الا صوت البوم ..

لا حركة الا الخفافيش !

الحمد لله .. الا يمكنه ان يستمتع وحده بالرؤية والطواف ..

تحول البيت ، الذي كان يقيم فيه ، الى انقاض ، وهذه ايضا ضاعت ..

لكنه هناك ، فوق ، لا يستند على شيء ..

انه في الهواء ، في الخواء ، تماما مثله .. لم يعد يملك غيره .. هذا القابع فوق ، وهو تحت .. يرنو اليه .. الرمز العتيق ، يسير جيئة وذهابا شمالا ويمينا يلف حوله ..

قال الناس : جن ربيع !

قالت زوجه : عمله التسول ، ولابد ان يمشي ، ومن يمشي على غير هدى، لابد ان يتوه ، ومن يتوه لابد ان يصاب بالجنون !

قالت وحيدته ذات الاربعة اعوام : وعدني ابي بالعروس الحلاوة ، لكني لم ارها الا في العام الماضي ، وعندما قربتها الى صدري ، اذا بها تتحول الى قطع سكرا !.. وقالت امي سأصنع منها مهلبية ، وعندما اقول لهم

— اشتاق الى المهلبية ! ..

لكن امي تقول : ليس لدي مال !

وعندما اسأل ابي عن عروس الحلاوة يقول : انها هناك في البيت المجاور، عمرها عشرون ربيعا ، ترنو الى كأنني عفريت ، احمل على عنقي رأس حمار وجسدي يسير على ساقي زرافة ، اما ذراعاي فهي تلتحمان بساقي .. كيف ؟ لانحول الى كائن يسير على اربع ! ..

وتردد الطفلة : آه ، لا احد يهديني عروسا .. ولا احد يطعمني مهلبية!

كثر الهمس .. البيت العتيق هدم .. خرج السكان انذرهم المالك بتصدع المنزل العتيق — لم يصدقوا ! —

انذرتهم الجدران .. وكل حجرة تقلصت حيطانها ، واصبحت الاربع ثلاثا .. الاربع ، فقد تحول الى كائن يسير على اربع ! ..

سأل الجيران .. لم حدث له هذا دون الناس جميعا ؟

قالوا : ان ذراعيه يطولان من كثرة التسول ، بدل ان يبرز كفه ، كانت ذراعاه تطول وتدخل الجيوب ، فاذا ما فحص كفه لم يجد فيهما الا .. بصقة !

نهرته ابنة الجيران .. هناك في البيت الانيق ، جميلة جمالا اخاذا ! ..

اشارت له ، مد يده ، ارتفعت يده الى عنقها، اسكت ساطور التحدي طول يده ، لكنه افاق .. تراجع من نومة ابدية ، فهو مسخ دميم يثير التقزز — لا الشفقة .. وبدا يخلط بين عروس المولد وعروس الجيران ..

عندما تهدم البيت العتيق ، خرج الناس جميعا ..

بعضهم لجأ الى الاقارب ..

بعضهم لاذ بالعشش او الجحور ..

عداه هو .. مهنته التسول ، يجوب الطرق والنجوع ، لكنه حيث البيت العتيق يراها واقفا صامدا ..

دولاب ابيه عن جده ..

لم يبق الا عمود لا يستند الا على الهواء !

هاجر البعض ..

مات البعض الاخر ..

الا دولاب ربيع ، يحمل فوق سطحه عروسا حلاوة .

يمني ابنته بها ، ولا يستطيع الوصول اليها ..

ومازال ربيع ..

يطوف ، ويطوف ! •

روسو : مفكرًا اجتماعيًا

● ماهر شفيق فريد ●

● تتحدث في هذه الجولة عن مجلتين احداهما أمريكية والأخرى انجليزية • الاولى تتناول الاديب الفرنسي جان جاك روسو والثانية تتناول الاديبين الروسيين بوشكن ودستوفسكى ••

ففي مجلة « بى ام ال ايه » الامريكية ، وهي فصيلة تصدر عن رابطة اللغة الحديثة في امريكا ــ نجد عديدا من المقالات : عن الزوجة الآتية من مدينة باث في فاتحة « حكايات كانتربرى » لأبي الشعر الانجليزى تشوسر •• وعن مقالة « دفاع عن الشعر » للشاعر الناقد الانجليزى سير فيليب سيدنى •• وعن السير توماس براون من كتاب النثر الانجليزى في القرن السابع عشر •• وعن الفكر الاجتماعي عند روسو •• وعن الشعر الغنائي الصيني مقارنا بالغربي •• وعن مترشحة براغ في التاريخ الادبي ما بين ١٩٢٨ و ١٩٤٨ ، وعن نقد الروائي البولندى مولدا الانجليزى جنسية جوزيف كونراد ، للامبريالية في روايته « قلب الظلمات » وعن رواية « وانا ارقد محتضرا » لفوكنر وعن العنصر الخارق للطبيعة والاسلوب الدارج في رواية همنجواى « وداعا للسلاح » •

وسوف نتوقف هنا عند مقالة « الترتيب والفوضى في فكر روسو الاجتماعي » •

يرى كاتب المقالة لستوج • كروكر ان مشكلة الترتيب تقع من فكر روسو السياسي والاجتماعي في الصميم • فنظام الطبيعة قد مزقته قدرة الانسان الفريدة على تصور نظم مغايرة ، ولا سبيل لاستعادته • وروسو يحلل مظاهر الفوضى في المجتمع : اللامساواة ، الظلم حالة الحرب ، الخ •• والفوضى داخل الذات (الاغتراب) مستخدما مصطلحا لفظيا وبلاغة يدعمان هذا التحليل ، ومنتهيا الى أن الحرية والخضوع ، وتحقيق الذات والتسلط ، والطبيعة والثقافة ، لا تعود بعد من قبيل النقائض على ضوء هذا التحليل •

ان تصور روسو للترتيب يفتقر الى نظام المنطق الصارم ، ولكنه لا يفتقر الى الاتساق • فعنده (أولا) أن خلق الله ــ أى الطبيعة والكون ــ نظام عقلاني ، وأخلاقي ، ضمنا أو بالقوة • وعنده (ثانيا) ان النظام المعنوى لم يتحقق خارج نطاق الله الا عندما بدأ الانسان يكتشف مملكة المعاني ، وهو ما تجده مبسوطا في رسالته المسماة « حديث عن أصل انعدام المساواة » • وهو يذهب (ثالثا) الى ان الانسان قد انشق على نظام الطبيعة ، ولم يعثر منذ ذلك الحين على علاج للفوضى التى أحدثها هذا الانشقاق الكونى • ومعنى هذا ، بعبارة أوجز ، ان النظام الطبيعى يولد نقيضه الخاص : كائنا وعيه الفريد بطابعه المعنوى يمزق النظام الكونى السائد ، ويقترن بانتهاكه ، ان لم يتسبب في هذا الانتهاك •

والكشف الذى واتى روسو في فنسن

عام ١٧٤٩ ، وقرر مجرى حياته منذ ذلك الحين ، يمكن تلخيصه في جملة : بالثقافة وحدها يستطيع الانسان ان يعيد خلق ترتيب يكون بديلا مرضيا عن ترتيب الطبيعة الذى فقده الى الابد . والمقدمة التى ينطلق منها روسو هى انه لا يمكن ان تكون هناك صورة طبق الاصل من الترتيب المفقود ، كما يتخيله دعاة البدائية الطوبويون ، ولا يمكن ان يكون ثمة حل وسط يوفق بين الطبيعة والثقافة ، على نحو ما حاوله ديدرو .. فعند روسو اننا هنا بازاء موقف اما او .. اما هذا الشىء او ذاك ، ولكن ليس الامرين معا !

كان روسو ينظر الى الكون الطبيعي الذى خلقه الله على انه نظام ثابت لحركة حسنة التنظيم . اما العالم الحى فيوجد بثمن : هو العنف والموت ، حيث يسطو بعض الكائنات على بعض التماسا للغذاء بيد ان هذا التفاعل هو سبيل الطبيعة الى تحقيق التوازن ، وهو ـ كما رآه الشاعر الانجليزى بوب ـ يشكل ، فى اطاره الاوسع ، نوعا من التناغم . وفى اطار كان الانسان الاول يعيشه ، وكان وضعه يتحدد عن طريق النفس : فهو ليس شريرا ، وليس شقيا ، ولئن كان لم يعرف الرضى الناجم عن اشباع حاجات وجوده الاولية . كان ثمة تفاهم بين الانسان وبيئته الطبيعية ، وكان ثمة وحدة لا تعرف التكسر الى شذرات بداخل الانسان ، ولم يكن ثمة انفصال بين النفس الخاصة والنفس العامة ، وهو الانفصال الذى جلبه تطور المجتمع الحديث

● بوشكن ودستوفسكى :

وندع مجلة « بى ام ال ايه » الامريكية الى مجلة « اللغات الحديثة » الانجليزية حيث نجد مقالات لا تقل عن ذلك تنوعا : من كتاب الناقد الانجليزى ولتر باتر « عصر النهضة » وصيت ليوناردو دافنشى فى القرن التاسع عشر .. وعن استخدام ت . س . اليوت للتحورات او تناسخ الكائنات فى شعره .. وعن الكاتب الفرنسى شامفور ، والروائى الفرنسى المعاصر ميشيل بوتيع ، والكاتب المسرحى النمساوى هوفمانشتال ، والشاعر الالمانى رلكة ، ومقالة عن « بوشكين دوستوفسكى فى مرحلته الباكرة » .

يقول و . ج . لدربارو ، كاتب المقالة الاخيرة : كتب دوستوفسكى فى ١٨٦١ ، بعد عودته من منفاه فى سيبيريا «ان دلالة بوشكن الضخمة تزداد وضوحا فى ناظرى » . وليس هذا مثلا من امثلة المبالغة التى تحجب كثيرا من احكامه على بوشكن ، فان التأثير الذى أحدثه الشاعر على تطور دوستوفسكى العقلى والادبى تأثير ضخم حقا .

أضف الى هذا ان بوشكن هو الاديب الوحيد الذى صمد لتقلبات مزاج دوستوفسكى فى مراحل نموه الشاقة . لقد تنكر دوستوفسكى لبعض معبوداته الباكرة مثل شيلر وجو جول ، ولكنه ختم حياته كما بداها : بآية توقير بوشكن . ان خطبته عن بوشكن فى ١٨٨٠ وقصته المنشورة فى ١٨٤٦ تشتركان فى تقييمهما الايجابى للشاعر **وتأكيد اهميته فى تطور روسيا الثقافى وماكار دفوشكين ، بطل احدى روايات دوستوفسكى ، يستخدم بوشكن فى الهجوم على جو جول . كما ان خطبة دوستوفسكى عن بوشكن تستخدمه فى دحض حجج دعاة التغريب (اضفاء الطابع الغربى) فى روسيا .**

وكلا العملين يلح على تعاطف بوشكن مع الرجل الروسى العادى .

وخلال السنوات الفاصلة بين العملية ظل اتجاه دوستوفسكى ازاء سلفه ثابتا ان قليلا او كثيرا . فتعليقاته على بوشكن فى سلسلة من المقالات عن الادب الروسى اسهم بها فى صحيفة « فريميا » عام ١٨٦١ ، هى ـ من حيث الجوهر ـ مماثلة لما قاله عنه بعد ذلك ـ فى الخطبة ... وفى رسالة كتبها دوستوفسكى الى زوجته فى يونيه ١٨٧٤ يصف شقاء حياته فى المنفى ويقول ان عزاءه الوحيد هو فى قراءة بوشكن : « حتى الآن لم اقرا سوى بوشكن ، وانى لانتشى به حماسا . ففى كل يوم اكتشف فيه شيئا جديدا » .

●●

تراثنا ..
أدب عالمي

● عزت محمد ابراهيم ●

● كان الجدال لا يزال يدور حول ادبنا المعاصر والسعي الى الوصول به الى منزلة العالمية فاحسب ان التراث من هذا الادب فقد حسم القضية منذ زمن بعيد ، فهو عالمي بانسانيته ، عالمي بسمو فكره ، عالمي بخصوبة خياله واتساع افقه ورحابة تناوله ونفاذ بصيرته ، عالمي حين كانت الحضارة العربية هي حضارة العالم ، تسعى دوله الى ترجمة فكرها الى لغاتها اخذا عنه ، وورودا لمنهله ، وتاثرا به.. ولا يزال مفكرو العالم حتى اليوم يقرون بفضله ، وان له بين دور الكتب في انحاء العالم مكانا مرموقا ومنزلة عالية ..

ثانيا التاثر به فهو قضية لاخلاف عليها الا ان تتدخل الاهواء والاغراض واشهر ما يذكر في ذلك «رسالة الغفران» للمعري ، ومشابهتها وبين «الكوميديا الالهية» لدانتي من تشابه، فان نحينا جانبا امر الاخذ والتاثر ، فحسب الفكر العربي فخرا ان يسمو — سابقا — لافاق لم يلحق بها الفكر الغربي الا بعد اماد من السنين واماد.

وليس يجهل دارسو الادب والمشتغلون بالمقارن منه الاثر البعيد لحكايات الف ليلة وليلة في الادب الاوروبي ، فقد نهج كثير من ادبائها نهجها ، وسلكوا مسلكها ، وتاثروا بها في قصصهم ورواياتهم ، وكان من هؤلاء الاديب الفرنسي « فولتير » ، وقصته «زاديج»او «صادق» دليل واضح على هذا التاثر ، وهو لم يتاثر بهذه الحكايات فحسب ، بل تاثر بغيرها من الحكايات والاساطير العربية المتعددة ؛ ولعله ان يكون قد جاوز حوار التاثر الى ماعداه من تقليد ومحاكاة ، ونسج على نفس المنوال ، وكيل بذات المكيال ..

اصل القصة عربي محض لايحتاج الى كبير عناء للاهتداء اليه ، واقرب به حكاية «فراسة ابناء نزار» وقد ذكرها الميداني في « مجمع الامثال »والالوسي في « بلوغ الادب في معرفة احوال العرب والمسعودي في « مروج الذهب » ؛ ونحواها ان نزارا قدترك لابنائه مضر واياد وربيعة وانمار ، ميراثا يرثونه من بعده ، ودلهم على حكيم العرب في الجاهلية الافعى الجرهمي » يحتكمون اليه اذ اختلفوا في تقسيم الميراث .

ومات نزار واختلف الابناء فيمموا وجوههم شطر كاهن نجران يلتمسون عنده المشورة والسداد فيما شجر بينهم من خلاف ، وفيما هم في الطريق اليه اذ راى مضر اثر كلأ قد رعي ، فقال : ان البعير الذى رعى هذا لاعور .. وقال ربيعة : انه لازور .. وقال اياد : انه لابتر .. وقال انمار: انه لشرود ..

ولم يلبثوا الا قليلا حتى لقيهم صاحب البعير ينشد بعيره ، فقال كل منهم ماعرفه من صفاته ، فقال هذه

الى الافعى الجرهمى فقال : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال مضر : رايته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت انه اعور .. وقال ربيعة : رايت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته فعلمت بانه ازور .. وقال اياد : عرفت انه ابتر باجتماع بعره .. وقال انمار : عرفت انه شرود لانه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان ارق منه واخبث نبتا فعلمت انه شرود...!

فقال الافعى للرجل : ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ...

وعجب الافعى الجرهمى ان يحتاج مثل هؤلاء — فى ذكائهم وفراستهم — الى التماس مشورة وسداد رأى ، ثم انباهم بما هم فيه مختلفون فمضوا الى ميراثهم يقتسمونه ..

واضيف الى المقارنة بين الحكايتين دليلا اخر هو ان اقتفاء الاثر لايكون الا فى بيئة الصحراوات لابيئة الغابات ، وان لابناء البادية فى ذلك من الفراسة مالايزال حتى اليوم وبالرغم من التقدم العلمى — وسيلة فى كثير من البلدان فى تعقب المارقين ، ولا يزال ما يأتى به المشتغلون بها موضع غرابة ودهشة فى ارض الواقع ، كما هو موضع غرابة ودهشة فى سماء الخيال ..

واحسب بعد ذلك ان الحكاية العربية اكثر تماسكا ، واشد ترابطا ، واقوى فى الدلالة على الذكاء والفراسة وهى كذلك اقرب الى الواقع والنطق حين تقع فى بيئة تضل فيها الجمال فتحتاج الى من ينشدها ، ولايحتاج الكلب الى من يبحث عنه ، وانما يهتدى هو الى صاحبه مهما تباعدت الاماد ، وانه ليدل صاحبه اذا ضل..

واخرى ابدؤها ببيتين لامية بن ابى الصلت — هما :

وما ذاك الا الديك شارب خمرة
نديم الغراب لايمل الحوانيا
فلما استقل الصبح نادى بصوته
الا ياغراب هل رددت رداليا ..

وقد جاء شعر ابن ابى الصلت فى معرض الحديث من الاصمعى ، وقد ان العرب كانت تزعم ان الديك فى الزمان الاول كان ذا جناح يطير فى الجو ، وان الغراب كان ذا جناح كجناح الديك لايطير به ، وانهما تنادما ذات ليلة فى حانة يشربان فنفد شرابهما ، فقال الغراب للديك ، لو اعرتنى جناحك لاتيتك بشراب ، فاعاره جناحه فطار ولم يرجع .. فزعموا ان الديك انما يصيح عند الفجر استدعاء لجناحه من الغراب !

تلك اسطورة عربية جاءت فى قالب الشعر ، وهى اسطورة تنم عن خيال خصب له جناحان قادران على اقتحام الاجواء — لاسراء ..

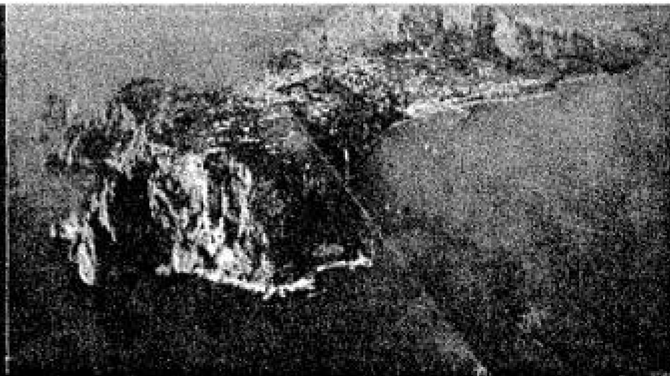
وما الاسطورة ؟

هى فى اغلبها وعامتها تفسير ساذج لواقع ليس له عند الناس تفسير ، فيلتمسون له التفسير فى خيال مبدع خلاق يستهوى ويعجب ويبهر ، ويبقى مادة لسمر ، وترويحا لنفس ، وابعادا لملل وسام ، وقد يأتى الزمان بتفسير وقول ، وتبقى مع ذلك الاسطورة بسذاجتها غير المعقولة .

وفى اساطير اليونان اسطورة تدور حول صياح الديك لم يخرج الخيال اليونانى بها عن دائرة الالهة والارباب واتصالهم بالانس وعراكهم معهم وتآلفهم وتزاوجهم الى اخر ما تلف فيه تلك الاساطير وتدور .

وتقارن بين الاسطورتين مجردين عن الهوى والتميز ، فلا نملك الا الاعجاب بخيال ابن ابى الصلت وخصوبة فكره وجمال تخريجاته فضلا عن الاعجاب بشعره .. ولو ان حكايات العرب واساطيرهم وجدت من يعنى بها عناية الغرب باساطير اليونان لكان لها اليوم شان اى شان ..

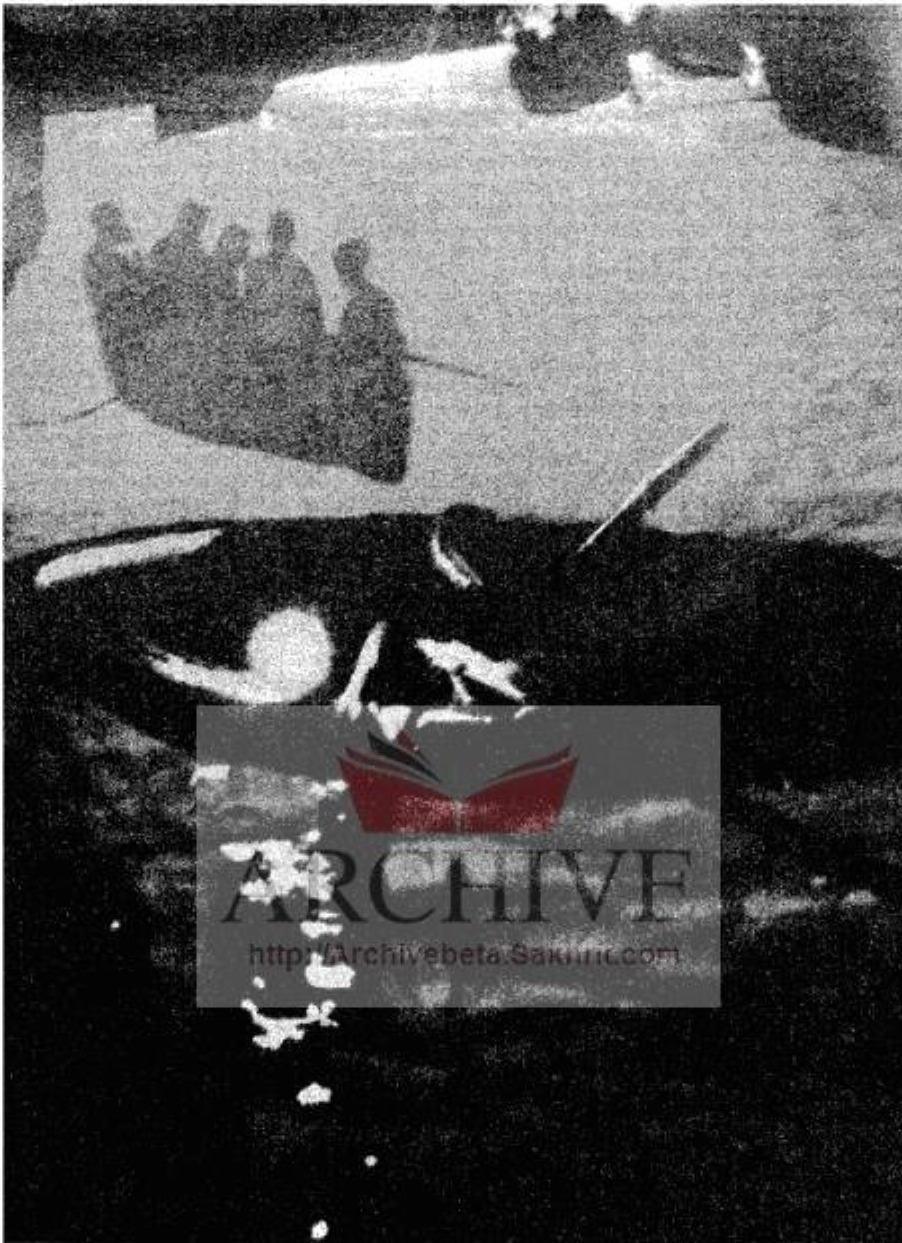
ولقد بلغ من اهتمامهم فى الغرب باساطيرهم ان انشاوا لها المعاجم حتى يتيسر الاهتداء اليها بادنى جهد ، وهى عندنا مبعثرة فى كتب الادب لايكاد يعثر عليها الا صدفة ، فان ارادها باحث فى مظانها تجشم فى ذلك عناء قد يعوقه عن مقصده وينأى به عن غايته .



كابرى

جزيرة الأباطرة وعرائس البحر

نزور معا كابرى مدينة الجمال والزهور والموسيقى والجبال والهضاب ومياه البحر الصافية . نقضى فيها سويعات من الاستجمام ، وندخل فى قارب صغير فى مغارة نحتته الامواج فى صخر الجبل فنحس واننا فى عالم جميل مسحور فان مغارات كابرى كبيرة وعميقة وهى ملجأ أسماك كثيرة أهمها الأخطبوط ولحمه هو لحم السمك المفضل فى كابرى . ان هذه الصخرة التى تحولت الى مينائين ومدينتين جميلة صيفا وشتاء ، وأجمل فصولها الشتاء حيث تقضى أياما فى جزيرة صخرية شبه خالية بعيدا عن صخب الدنيا والناس.



هذه الصورة اخذت من قارب داخل مغارة نصفها غاطس في الماء ، وانت ترى هنا مدخل المغارة وامامه قارب . اما القارب الذى تراه فى مقـــدمة الصــورة فقارب للغطس ، وترى الغطاس فيه يستعد للغوص وقد اشعل المصباح الكهربائى القوى . بعد دقيقة سيغطس ليأتى بالاخطبوط .

ربما كانت كابرى اصغر جزائر الدنيا فان مساحتها سبعة كيلو مترات مربعة ، ولكن شهرتها تعدل شهرة جزائر البحر المتوسط الكبرى مثل صقلية وكريت .

يزورها كل سنة نحو مليونى سائح ليستمتعوا بجمال الجزيرة وسحرها ويقضون ساعات – ربما اياما وشهورا – يتنقلون بين ميناثى الجزيرة الصغيرين ومدينتها كابرى وأنا كابرى ..

من هنا حكم الامبراطور تيبيريوس خليفة اغسطس الدنيا لمدة عشرة اعوام .. والى هنا يهرب الاوروبيون والامريكيون من متاعب الحياة الصاخبة الى حياة صاخبة اخرى ولكن من نوع آخر ..

كابرى جزيرة صغيرة لا تكاد تراها العين على بعد ٢٠ كيلو مترا تقريبا من ساحل ميناء نابولى ..

ولكن شهرتها تتخطى كل تصور ،ومن فى الدنيا لم يسمع بجزيرة كابرى ..

وقد زرتها مرتين . اعجبتنى فى المرة الاولى سنة ١٩٥٩ ولم تعجبنى فى الثانية سنة ١٩٧٤ . فى المرة الاولى كانت الجزيرة هادئة قليلة الزوار ، وكنت تستطيع ان تستمتع بيومين او ثلاثة ما بين مارينا جراندى ومارينا بيكولو – ميناثى الجزيرة – وتزور مدينة أناكابرى فوق الهضبة ، وتستمتع بالفرجة على عشرات المغارات التى نحتتها المياه على الساحل او الرياح على الجبال ..

وكنت اذا شئت ملت الى احد المطاعم الصغيرة الكثيرة واستمتعت بوجبة شهية من الاسماك أو البيتا ، أو الاسباجيتى بشتى اصنافها وتدفع فى ذلك قروشا .

اما فى السبعينات فانت هنا فى زحمة من السائحين . ألوف بعد الوف يفدون الى هنا ، تجتذبهم شهرة هذه الجزيرة العجيبة التى كانت تسمى جزيرة العصافير والاشجار والورود والحب فأصبحت جزيرة الاستغلال ابشع للسائحين . ذهبت لاقضى ثلاثة ايام فاكتفيت بواحد ، واحسست اننى لا استطيع البقاء اكثر من ذلك .

***

واجمل مافى كابرى هى شواطئها وزهورها الحمراء من البوجنفليبه التى تطالعك فى كل مكان .

واسوا مافى كابرى هو النبيذ . ان رائحته تملأ الجو ، وحيثما نظرت وجدت ناسا يشربون ، وعندما تجلس فى اى مطعم تجد ان الناس يشربون اكثر مما يأكلون .. وقد تعرفت ذات مرة برجل اسكتلندى اتى ليزور كابرى مثلى ، واستاجرنا معا « تاكسى » ، ولم اطق الاستمرار معه ساعة لان رائحة الرجل كانت خمرا خالصا ، وما نزلنا بموضع فى طوافنا بالجزيرة الا رايته يسرع ليشرب كاسا أو كاسين ..

والجزيرة قديمة جدا ، وانت تحس فيها بوزن التاريخ ، وفى موضع ما من الساحل الشمالى ترى تمثالا ضخما لرجل رومانى انه الامبراطور تيبيريوس الذى خلف اغسطس . هذا الرجل عشق الجزيرة واتخذها قلعة له ومقاما ، ومنها ادار الامبراطورية الرومانية خلال السنوات العشر الاخيرة من حكمه . كان يصدر اوامره وتتنقل من نواظير توقد فيها النيران ، وبهذه النيران تنقل الاشارات الى نواظير على الساحل وتتصل حتى روما . وكانت طريقة ارسال الرسائل بهذه النيران انهم يضعون امام النار صحيفة كبيرة من النحاس تخفيها

عن الانظار ، ثم يحركون الصفيحة يمينا ويسارا وفوق واعلى لتظهر النار للناظر على الساحل • وكل حرف له مدة وعدد من المرات تظهر فيها النار وتختفي ، ويكتب الرجال على الساحل هذه الاشارات بينما رجال آخرون ينقلونها بنفس الطريقة الى نواظير اخرى • وهكذا يقال ان تيبريوس كان يرسل اشاراته واوامره الى رجاله في نابولي في دقائق وفي روما في اقل من نصف ساعة •

وقد عرف الفينيقيون الجزيرة واستعملوها قاعدة لاعمالهم التجارية • وعرفها اليونانيون ويقال انهم هم الذين سموها كابري اي موضع الاعناز (جمع عنزة) من لفظ كابرا ومعناه العنزة ، والحقيقة اننا اذا تصورنا كابري قبل ان تشق فيها الطرق الحديثة ومصاعد الجبال فان الحيوان الوحيد الذي يستطيع العيش فيها هي العنزة التي تتسلق هذه الجبال والهضاب الوعرة وكذلك القراصنة البحار •

ومن الواضح ان القراصنة استخدموا هذه الجزيرة على طول التاريخ القديم والوسيط ، فاننا نجد الآن في مياه الجزيرة سفنا كثيرة غارقة بعضها كان محملا بالذخائر التي يسلبها القرصان من السفن • وفي سنة ١٥٣٥ استولى اسطول السلطان سليمان القانوني على الجزيرة بقيادة القائد البحري الاشهر خير الدين باربروسا ، ولكن المسلمين لم يقيموا فيها طويلا • وكان من عادة اهل الجزيرة اذا طرقهم طارق ان يحتموا فوق الجبال والمرتفعات وهناك يظلون في امان حتى يجلو المغيرون •

***

وقد نالت كابري شهرة عظيمة ابتداء من سنة ١٩٣٠ ، فقد نزل فيها شاب سويدي كان يدرس الطب يسمى اكسل مونتي ، وقد اعجبته الجزيرة ، فعاد الى وطنه وانتهى من دراسته الطبية وعاد الى الجزيرة سنة ١٩٣٩ وافتتح عيادة واشتغل الى جانب ذلك بالادب ، وكان موهوبا فالف رواية تسمى « حكاية سان ميكيل » عن احداث ايطاليا اوروبا كلها من قبيل الحرب العالمية الاولى الى نهايتها وقد لقيت هذه الحكاية توفيقا لم يكن اكسل مونتي يتوقعه ، فبيعت نسخها بالالاف ، وترجمت الى كل لغات الدنيا ، واشتهر اسم هذا الرجل وكسب الالوف بعد الالوف ، فابتنى في كابري فيلا جميلة ذات حديقة بديعة ، ولم ينجب اطفالا ، وترك امواله عندما توفي سنة ١٩٤٩ للسفارة السويدية، فحولت الفيلا الى مرسم واماكن للعمل للفنانين واعتنت بالفيلا والحديقة اعظم عناية •

والحق ان فيلا سان ميكيل قطعة من الفن ، وهي من اجمل مافي الجزيرة • والدخول فيها برسم قليل ، ولكنه يجمع في العام مبلغا طائلا لان الذين يزورونها كل سنة لا يقلون عن ربع مليون ، ثم ان الفنانين الذين يعملون فيها يضعون رسوما ، ولا يعمل فيها اي فنان بل يجب ان يكون فنانا كبيرا موصى عليه من هيئة فنية عالية • وفي الشيء فيها متحف يجمع اشياء كثيرة معظمها آثار رومانية ويونانية مما اشتراه اكسل مونتي من الفلاحين والنواصين •

***

واجمل مافي كابري هي المغارات والكهوف • ومعظم المغارات على شاطىء البحر ، وهي مغارات واسعة وعميقة تحتتها مياه البحر التي تلطم الساحل بعنف ، وبعضها غاطس تحت الماء ، وبعضها غاطس الى نصفه ، وتلك هي مغارات كابري الجميلة، وانت تدخل فيها بالقارب مع دليل فترى من مناظر الطبيعة



الميدان الرئيسى وسط مدينة كابرى . انه صغير ولكنه جميل ، وهو حافل بالمقاهى والمطاعم ويطل عليه البرج والكنيسة . وهناك ايضا دكاكين كثيرة تبيع المصنوعات الجلدية ومشغولات اليد من الدنتلا والاقمشة ، والحوارى المحيطة بهذا الميدان ممتعة فهى ايضا كثيرة المطاعم ومحال الزهور والفواكة واللحوم والاسماك .

كابرى كما ترى من الجو بعيدا . انها صخرة مستطيلة مساحتها كلها نحو ٢٠ كيلو مترا مربعا . ولا مدخل الى الجزيرة الا من الخليجين الذين تراهما بين طرفى الصخرة ، وكل خليج فيه ميناء وسهل صغير ، والميناء الذى تراه فى الصورة هو الميناء الصغير : مارينا بيكولا وفى الناحية الاخرى الميناء الكبير : مارينا جراندى .



بالا تنساه ابدا ، والدخول الى المغارات برسم صغير ، وفى بعضها فرق موسيقية تعزف ، والنزهة فيها من اجمل ما تذكره بعد زيارتك كابرى .

اما المغارات الغاطسة تحت الماء فهى المواضع المحببة لاخطبوط البحر . ومن المعروف ان الاخطبوط يلجا الى المغارات ، لانه رغم كبر حجمه وبشاعة منظره حيوان بحرى ضعيف واعداؤه كثيرون ، لان اطرافه الكثيرة تجتذب الاسماك التى تنهش منها،فهو بطىء الحركة والى ان يتحرك تكون السمكة قد نهشت جزءا من اطرافه الكثيرة وولت هاربة . لذلك فهو يدخل الى المغارات ويختبىء بين الاحجار، وهو ايضا حيوان مفترس واطرافه تفرز مادة سامة ، وهو ينتظر فى صبر حتى اذا اقتربت منه سمكة لدغها فتتخدر ثم يمسك بها باطرافه وياكلها . ومن الغريب ان فمه صغير لان راسه صغير .

وليس أسهل على الصيادين من صيد الاخطبوط ، فان هذا المسكين يمسكه الصياد بيده من قفاه ثم يسرع فيقطع باسنانه العصبين الرئيسيين الممتدين من راسه الى بقية جسمه فيموت فى الحال ، وهم يستخرجونه من الماء ثم يقطعون اطرافه قطعا صغيرة تقلى فى الزيت ولها طعم جميل ويسمى هذا النوع من السمك باسم كالوماريس وهو معروف فى كل بلاد البحر المتوسط . وقد اكلت الكالاماريس فى ايطاليا وكابرى واسبانيا وهو طبق جيد من السمك يطبخ احيانا بصلصة سوداء تستخرج من جوف الاخطبوط نفسه ، ولها طعم الملوخية .

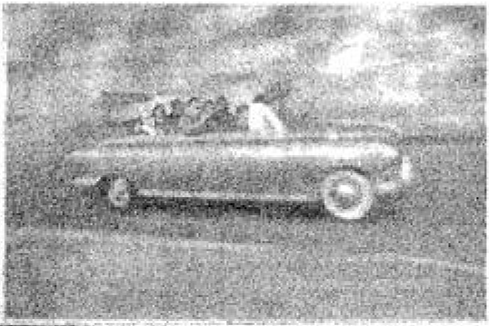
***

والمدينة الرئيسية فى كابرى هى كابرى نفسها ، وهى مدينة صغيرة بين مينائى الجزيرة الكبير والصغير : مارينا جراندى ومارينا بيكولا . وفى وسط البلد ميدان صغير ولكنه بديع ، ففيه الكنيسة الكاتدرائية وحول الميدان مقاه ومطاعم ومحدت لبيع التحف والتذكارات والميدان دائما عامر بالحركة ، وفى النهار تجده سوقا لكل ما يخطر على بالك من بضائع حتى السيارات،وهناك تاكسيات واوتوبيسات تنقلك الى حيث شئت من مواضع الجزيرة الصغيرة .

وفى كابرى مدينة اخرى تقع اعلى جبل تسمى انا كبرى اى كابرى العالية ، وهى مدينة جميلة كلها حدائق وزهور ، وفيها وعلى التل الذى تقوم فوقه وعلى المنحدرات الى السهل تقوم فيلات الاغنياء والفنادق الكبرى ، وفيلات كابرى جميلة جدا لان معظمها يمتلكه ناس من اغنياء الايطاليين والاوروبيين ويستعملونها للراحة والاستجمام ، وهى لهذا فى غاية الجمال والتنوع المعمارى ، ومن بينها فيلا سان ميكيل ومتحفها ، والى جوارها قلعة قديمة تسمى قلعة باربادوسا ، والمراد بذلك الملاح التركى الذى ذكرناه واسمه عروج ويعرف باسم خير الدين ويلقب بارباروسا اى صاحب اللحية الحمراء ، وهى قلعة صغيرة حصينة ، وهى ذكرى تركها المسلمون فى تلك الجزيرة الجميلة .

***

واكثر ما يستوقف انتباهك فى كابرى هو كثرة الاوروبيين الذين يتخذون الجزيرة ملجا يقضون فيه بقية حياتهم ، ومعظمهم من الاغنياء الذين يصفون اعمالهم ثم ياتون الى الجزيرة ويشترون فيلا ويعيشون بعد ذلك سعداء بعيدا جدا عن ضجيج الدنيا . والحق انك تشعر وانت فى كابرى انك بعيد جدا عن العالم ومن حسن الحظ ان الجزيرة لم تتحول الى مركز من مراكز الفساد كما ترى فى ميناء سان تروبيز فى فرنسا مثلا ، فقد تجمع فساد الدنيا كله فى سان تروبيز على مقربة من كان فى الريفييرا الفرنسية والحياة فيها اغلى منها فى اى مكان فى



هذه السيارة الجميلة تاكسي يطوف بك الجزيرة وينقلك من مكان لمكان . ونادرا ما يأخذ الانسان وحده تكسيا لان الاجرة عالية ، بل يركب في التاكسي عدد من « السائحين » والطرق هناك قصيرة وضيقة ولكنها ممهدة ومريحة .



رجل يعزف في نفير . امثال هذا الرجل في كابري كثيرون ، وهم يكتفون منك باقل شيء ، والطف من عازف النفير هذا هم عازفوا الكمان للطاعمين في المطاعم وهم كثيرون ومجيدون ومنهم من تجدهم في قوارب في المغارات . وفي اعياد الميلاد يتوافد الى كابري موسيقيون كثيرون من نابولي ومن مقاطعة ابروزي القريبة من كابري



مدخل احد الفيلات التاريخية في جزيرة كابري انها مبنية بالحجر ومدخلها اشبه بمدخل المغارة ، ولكنها جميلة جدا من الداخل . هذه الفيلا تسمى فيلا جوفيس وهي تقوم على جبل تبريو نسبة الى الامبراطور تبريوس الذي حكم الامبراطورية الرومانية من جزيرة كابري خلال السنوات العشر الاخيرة من حكمه (٢٧ الى ٣٧ ميلادية) .



في مطعم من مطاعم كابري • صاحبة المطعم أصلها اسكتلندي • أتت زائرة واستقرت وتزوجت رجلا من أهل كابري وانشأت هذا المطعم • انها تخدم الناس بنفسها وتراها في الصورة تقدم سلة الفاكهة لرواد المطعم • الطعام هنا شهي متنوع وسعره معتدل • لاحظ كثرة زجاجات النبيذ على المائدة •

منظر من أجمل مناظر كابري • انه جانب من الشاطيء • والشاطيء هناك صخري قليل الرمل ولابد ان تضع في قدمك شيئا حتى لا تجرحك الصخور • لاحظ الزهور الحمراء التي تصل الى الشاطيء ، والمستحمون متناثرون على القطع الرملية الصغيرة بين الصخور • شواطيء كابري محاطة بالصخور الناتئة من الماء كما ترى في الصورة •



الدنيا ،ولهذا فانها رغم شهرتها بالفساد الا ان زوارها قليلون ، فان فنجان القهوة في مقهى هناك يكلفك خمسة دولارات ، والاكلة في مطعم تصل الى ٥٠ دولارا واجر المبيت في الفندق يتراوح بين مائة ومائتي دولار ، ولهذا لا يقيم في سان تروبيز الا الاغنياء جدا ، وهم هناك يمارسون الفساد على نطاق واسع ، وفي السنوات الاخيرة أصبح الجلوس على الشاطىء دون ملابس أصلا شيئا عاديا ، والنساء العاريات يرحن ويجئن دون مبالاة ، والناس هناك لا ينظرون اليهن لكثرتهن .

اما كابري فعلى رغم شهرتها بانها جزيرة الحب فلا تجد فيها فسادا ظاهرا فهي مصطاف ومكان نزهة وصيادين ، واهلها ناس طيبون يعيشون على السياحة ، وهم يقدمون لك ما عندهم من الفاكهة والطعام باسعار معقولة . وفيهم غواصون ماهرون يذهبون بك الى اماكن الغطس وينزلون تحت الماء ويصعدون وفي ايديهم الاخطبوط المسكين ويقطعون عصب راسه باسنانهم امامك .

ولا عيب في كابري الا انها قريبة من نابولي ، ونابولي مدينة سيئة وخطرة وخاصة بعد مغيب الشمس . ومن الغريب ان كابري جزيرة أمان ليس فيها مهربون ولا تجار مخدرات ولا متسكعون خطرون مثل نابولي .

ذهبت الى كابري مرتين ، والصورة التي في ذهني عنها هي صورة الصخور والمغارات وأشجار البوجان فيلبيه ذات الزهر الأحمر الجميل ،وذكريات مطاعمها الصغيرة لا تنسى ،وفواكهها من الذ فواكة الدنيا ، ولهذا فان زيارتها متعة والحياة فيها راحة ولن تندم على اى ساعة تقضيها هناك .

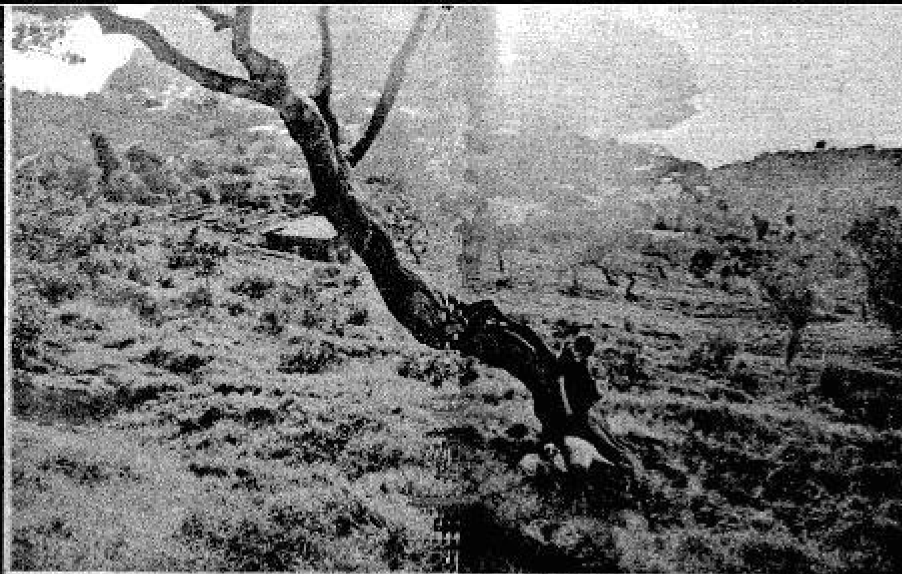
ح . م .

بائع خضر وفاكهة في كابري . انه يبيع كل شيء بما في ذلك الجبن واللحم والخبز . انه هنا يبيع البصل والثوم . اهل كابري يستعملون البصل والثوم كثيرا في طعامهم وهم ناس امناء طيبون ، اذا انت اردت ان تستمتع بالجزيرة فحاول ان تطهو طعامك بنفسك لذلك يوفر عليك مالا كثيرا .

سيدة تبيع الزهور على ناصية شارع ضيق في كابري . ان زهور كابري جميلة جدا وخاصة في الربيع والصيف ، وكل مساكن كابري مزينة باصص الزهور وحدائق الفيلات تتالق بالزهور . هنا فعلا تحس انك في جزيرة ترتاح فيها بعيدا عن الدنيا ومتاعبها .







منظر فريد في سهل صغير في جزيرة كابري شجرة عتيقة استند اليها غلام مع كلبين وفي السهل أشجار التين والبرتقال واللوز والزيتون وقطعة من الارض مزروعة بالقمح اما الكروم فتراها في كل مكان في مثل هذا الوضع من كابري تحس ان الزمن لا يتغير وانك بعيد جدا عن الدنيا الصاخبة .

المنظر الذي تراه اذا وقفت الى جوار تمثـال الامبراطور تيبريوس انه منظر بديع فتحت قدميك الميناء الصغير مارينا بيكولا شمال الجزيرة ومياه البحر زرقاء وخضراء وبنفسجية والصخور ذات الوان بديعة والخضرة زاهية كما ترى في ملتقط الصورة ·





هؤلاء هم أهل كابرى . ناس طيبون يكدحون ليعيشوا . هذا الرجل صياد وامرأته تدير مطعما صغيرا للسمك . والأسماك في كابرى كثيرة ورخيصة وهم يطهونها بالبصل والثوم والزيت . وكل بيت من بيوت كابرى يقدم لك الطعام بالثمن اذا طلبته .

أنت في كل شيء

● جميل محمود عبد الرحمن ●

وفي (اسكندرية) والبحر يهدى … لصمت الغريب شذى خصلتك !
جلست على الرمل ظلا وحيدا … وقد اجفل القلب في غيبتك
أيا اقرب الناس ، لو ابعدتني … شطوط الاماني عن وجهتك
أنا في اقاصي البلاد نداء … لعينيك ارعى خطى نجمتك
وأنفاس عمري التي تسمعين صـ … ـداها اغاريد في روضتك
تناجيك في كل خفقة قلب … تذوبني في سنا طلعتك
فانت على كل شيء اراه … حياة ووحيا باشراقتك
اسائل عرافة البحر عنك … فتاتي على الموج في هيئتك
تحدثني عنك عذب الحديث … فتقلما الشفاه الى قبلتك

***

بكل الضفاف التي سرت فيها … سرى الشدو يختال في نبرتك
وفي كل عزف للحن الهيام … أحن الى الدفء في همستك
احن الى صوتك الساحر … اذا لفني في صدى كلمتك
وطار معي في زوارق حلمي … غناء يهيم بتنهيدتك
على كل شيء بدا وجهك الحلـ … ـو يعطي التفاؤل في بسمتك
وحتى بريق المنار التباس … بالوانه السبع من وجنتك
أيا من حوى البحر منك التراحب … ياوى الفؤاد الى واحتك
احبك في لهفة الموج للشط … يرغي ويزبد في راحتك
ورغم اللواتي تعرين في البحر … ليس بعيني سوى صورتك !
وبالرغم من ضحكات العذارى … فليس بسمعي سوى ضحكتك !
ورغم العيون التي تشرع الطرف … لن تحتويني سوى لفتتك !
اسافر في البحر صادي الحروف … وما الشط لو ضل عن وجهتك !
فلا البحر يروي ولا الشط يؤ … نس وحشة روحي في غيبتك !

الأعمال الأدبية تفوز

بجميع الجوائز في المهرجان

● ماري غضبان ●

● تتنوع الكتابة الادبية بتنوع المجتمعات والازمنة ، وبقدر ما يعبر العمل الادبي عن مجتمعه وزمانه ، بقدر ما يكون صادق التعبير مؤثرا في القارىء والجمهور .

وغالبا ما يصيب النجاح مثل هذه الاعمال حين تصاغ في عمل سينمائي يعرض على مساحة أكبر من الناس .

وهذا العام ، في مهرجان تاورمينا .. كانت هناك مجموعة من الافلام التي اخذت عن اعمال ادبية لكتاب مختلفين من دول متباينة ، كل قد صور مجتمعه ، وناقش قضاياه ، ومشاكله ..

لكن السمة الغالبة هذا العام ان هذه الاعمال الادبية كانت في معظمها تدور حول المسائل النفسية والاجتماعية او المشاكل المتصلة بالوطن والارض ، وهي قضايا تعيشها المجتمعات الآن رغم ما بها من تطور وتقدم بل لقد اصبحت مثل هذه القضايا ظاهرة تكاد تكون موجودة في كل مكان ..

هناك فيلم « تذكرة الى الجنة » الذي مثل كندا في مسابقة المهرجان ، و « المقتبس » عن رواية ج . فريد ـ التي تحمل نفس الاسم وأخرجها المخرج الشاب رالف توماس ونال الجائزة الذهبية لاحسن فيلم عرض في المهرجان ـ وتحكي قصة التطرف الديني الذي حدث في الستينات في أمريكا وأخذ في الانتشار في أوربا ، وكيف أن هناك نحو الفين وثلاثمائة منظمة دينية تجمع أكثر من عشرين مليون فرد أغلبهم من الشباب، يتركون اهلهم وذويهم ويعيشون في مكان منعزل ، معتقدين أن عقيدتهم هي الاساس وهي الصواب وما عليه الباقون خطأ .. وقد اقاموا بينهم الصداقات معتقدين انهم سوف يغيرون العالم بأفكارهم ، لكنهم في النهاية انقلبوا على أنفسهم ، وقتلوا جميع التقاليد الانسانية والاسرية وهدموا في داخلهم ر..ولهم كل القيم النبيلة والعظيمة ..

والفيلم تعبير فريد من نوعه من حيث القصة وما تعالجه في داخله من قضايا ومشاكل تهم المجتمعات .

الفيلم الثاني بولندي واسمه « ممنوع » ، وهو مأخوذ عن كتاب لاندرية بازتوزياك ، يحمل نفس الاسم نشر منذ عشرين عاما .. وقد لقي معارضة كبيرة من الرقابة حتى انه لم يعرض في « بولنده » الى الآن ..

وقصته ثورة ضد الظلم والفساد المستشري في الافراد والحكومات التي



مشهد من الفيلم الكندى « تذكرة الى الجنة»

ترغم الشعوب على الخضوع لها ولسياستها ، من خلال قصة طالب فى مدرسة يلفقون له التهم حتى يفصلونه من المدرسة ان لم يخضع لمطالبهم وسياستهم .. ويثور زميل له ، ويحاول الثورة على النظام ، لكنهم — بطريقتهم الخاصة — يضطرونه ان يعود الى النظام مرة اخرى

وقد نال هذا الفيلم الجائزة البرونزية فى المسابقة ..

والفيلم الثالث هو الفيلم الايسلندى « الارض وأبناؤها » اخراج اوجست جود مونسون ، المقتبس عن رواية للكاتب الندريدى ثورت تيبسون .

ويدور حول قضية الارتباط بالارض والهجرة منها ، من خلال صورة لمجتمع من الفلاحين الايسلنديين الذين يرغبون فى الهجرة من الريف الى المدينة حيث الحياة والتقدم والحرية ، لكنهم فى النهاية وتحت عاطفة الارتباط بالاهل والمكان يضطرون الى العودة ثانية حيث أرضهم الاولى ..

ويعتبر هذا الفيلم أول فيلم أيسلندى وبداية دخول ايسلنده عالم السينما وقد نال الجائزة الفضية فى المهرجان .

أما الفيلم الامريكى « احك لى فزورة » للمخرجة الممثلة الامريكية لى جرانت والمقتبس عن كتاب تيلى أولسون ،فتحكى أحداثه مشكلة نفسية اجتماعية تعالجها من خلال قصة رجل وامرأة تزوجا وعاشا معا خمسين عاما ، ثم تحدث لهما حالة اكتئاب نفسى حتى يقرر كل منهما ان يهجر الآخر ، ويصمم الرجل أن يبيع المنزل الذى يعيشان فيه معا .. وينتقلان الى الحيا قمع أولادهما ، لكن المرأة تصاب بمرض جسدى ،لتتفجر العاطفة الزوجية فى الرجل ويعود ثانية الى زوجته وتعود معه الحياة كما كانت من قبل ..

وقد نال جائزة التمثيل للممثلة ليلا كيدروفا التى شاهدنا لها فيلم «زوربا»

أما فيلم « اجنحة اليمامة » الفرنسى الذى اخرجه بنوا جاكو والمقتبس عن كتاب هنرى جيمس ، فرغم أنه يعالج مشكلة اجتماعية هامة الا أن القصة كانت قديمة لم تعالج جديدا ولم يستطع السيناريست أن يترجم أحداثه بحيث تتلاءم مع مجتمع اليوم ، ولهذا لم يلق اعجاب الجماهير .

ونستطيع ان نقول بصفة عامة ان العمل الادبى حين يكون صادقا ، فلابد وأن ينال الاعجاب من الجمهور والنقاد ، وهذا ما برز واضحا هذا العام فى مهرجان تاورمينا .

●●

أمينه رزق

راهبة فى محراب الفن

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

★★★

امينة رزق اليوم عميدة المسرح العربى . من جيل فاطمة رشدى وروزا اليوسف لم تبق الا امينة رزق راهبة الفن ودرة المسرح العربى . منذ ابكت الجماهير بدورها الهائل فى الذبائح لافطون يزبك الى يومنا هذا وهى تمثل وتمتع الجماهير . انها ليست ممثلة كبرى فحسب ،انها ظاهرة فكرية ثقافية . انها متنطق العربية فى اجمل طريقة . كلامها ومنطقها يذكرك بام كلثوم

كان لابد ان يتحدث عنها الهلال ، فامينة رزق لها على كل مثقف صاحب فن فى الوطن العربى حق .. انها تتحدث فى الحديث التالى وهى مجهدة متعلقة بالعمل ، ولكن لعل لنا جلسة اخرى معها ، جلستنا الاول واهدنا لنسمع من امينة رزق ونتقل حديثها الى القراء .

د . ح . م

★★★



امينة رزق عميدة المسرح العربي

الرحلة الطويلة التي قطعتها امينة رزق مع الفن ، لم تخل من الدموع كما لم تخل من الزهور ... فهي رحلة يختلط فيها المجد بالعذاب ... اهات الالم والارهاق تملأ الجوانح ، واهات الاعجاب وآيات الحب يضج بها المكان .. والمكان الذي عشقته منذ نعومة اظافرها هو المسرح ـ هذا العالم الساحر المليء بالأضواء ...

بدات تسعى اليه كما تسعى الفراشة الى الضوء هي لا تزال طفلة ولا تعرف ان ذلك هو قدرها ... كان ذلك في مدينة طنطا حيث يقام « سيرك الحلو » ، في هذا السيرك بدات امينة تحملق لا في الأسود ولا في النمور ، ولكن في فقرة ارتجالية تقدم كنمرة من بين عروضه وهي مسرحية من ذات الفصل الواحد ، من هنا عرف المسرح طريقه الى قلبها ..

ثم جاء ميلادها الحقيقي وهو ميلادها الفني ، في عام ١٩٢٤ عندما صحبتها خالتها « امينة محمد » وكانت فنانة هي الاخرى ـ الى مسرح رمسيس ، وهناك تعرفت الى صاحبه الفنان الكبير يوسف وهبي لتبدا الرحلة الطويلة الممتدة التي فضلت أن يكون رفيقها فيها الفن والفن وحده وليس الزوج، فاستحقت أن يطلق عليها راهبة في محراب الفن ..أو انها تزوجت بالمسرح .. فسبع وخمسون عاما تقريبا على خشبته تجعلنا نقدر لها عطاءها وصمودها وتضحيتها من اجل هذا « الزوج » الذي تشع أضواؤه في كل جنبات الحياة ونطلق عليه ابا الفنون ... انه المسرح !

مسرح رمسيس ..

كانت بداية الفنانة امينة مع مسرح رمسيس ، وكان يقدم مسرحياته بلغة عربية فصيحة . اما الآن فاننا نرى المسرح غارقا في العامية حتى الاذنيه ... فماذا تقول امينة رزق في تلك القضية التي تدور رحاها بين انصار الفصحى واتباع العامية ـ وايهما افضل للناس واثرى لتكوينهم الثقافي.

« كان مسرح رمسيس » مسرح يوسف وهبي « يقدم انماطا مختلفة من المسرحيات منها ما هو عالمي، ومنها

ما هـــو تاريخى ، ثم ما هو محلى اجتماعى

« .. وكل لون من هذه المسرحيات كانت له لغته الخاصة به ... بما فى ذلك ما كان يقوله من مسرحيـــات شعرية ...»

وانا افضل ان يكـــون المسرح العالمى مقدما بلغة عربية فصـــحى والمسرحيات العربية ذات الطـــابع التاريخى او الشعرى فلا بد ان تكون بالفصحى ايضا ، لأن تراث اللغـــة العربية لابد ان يدوم على خشـــبة المسرح ..

اما المسرحيات المحلية الاجتماعية فيجب ان تكون باللغه المحلية العاميـة لانها تناسب طبيعتنا ، لكــن يجب فى نفس الوقت ان تتوافـــق مع لهجات الشعوب العربية حتى تكون مستجيبه فى جانبهم ..

اذن لابأس من تقديم عدة الـوان ، كل لون يتفق مع طبيعة العمل المسرحى ذاته وبما يخدمه ..

العصر الذهبى للمسرح

كثيرا ما قلنا ان المسرح يعـــانى حاليا ويمر بأزمة شديدة فلابد انه كان وبمفهوم المخالفة يمر بفترة ازدهـــار كبيرة ، فترة انتعاش وهى مايطلـــق عليه العصر الذهبى ـ فمتى كانت وكيف كانت المخالفة هذا ما تقوله لنا الفنانة القديرة امينه رزق وقد شملت اجابتها الفرق بين المسرح فى تلك الايام الخوالى والمسرح الان .

* كان المسرح فيما مضى يعتمد على مجهودات الافراد بذواتهم الشـخصية وذلك لحبهم للفن ولعشـــقهم له ولايمانهم برسالته ولم تكن للدولة يد فى الحركة المسرحية ، ولقد كانت اجمل ايام النشـــاط المسرحى هى الفتـرة الممتدة من سنة ١٩٢٣ الى عام ١٩٣٠ وهى فترة العصر الذهبى للحركة الفنية المسرحية ، فلقد كانت الحركة المسرحية فى قمة مجدها وازدهارها ونضجها ، لانه كان هناك تفرغ كامل من جـانب الفنان ومن جانب المتفرج ، ولم يكـن يزاحم كل منهما لا اذاعة ولا تليفزيون ولا سينما .. بالاضافة الى حالة الحب الطاغية التى كانت تسيطر على الفنان فى عشقه للمسرح ، فلقد بلغ الامر بنا ان اكبر سعادة يصـل اليها الفنان ـ حتى ولـو كان يمثل بطولـة فى بعض الاحيان ـ ان يشغل دور الكومبارس لمجرد ان يتواجد على خشبة المسرح .

وكنا ونحن نعمل فى المسرح نتكاتف وكاننا مجتمع عائلى كبير لا فرق بين كبير ولا صغير .. فقد كنت فى بعض الاحيان لا اتورع ان اعمل (مشرفة على احضار الفنانين) انادى على هذا وابلغ ذاك بميعاد دوره او ان يستعد وما الى ذلك ..

واذكر ان زميلتى علوية جميل .. كانت احيانا تقوم بدور « الملقن » اذا ماشعر الملقن بالارهاق والتعب .. وكل هذا من حب خـالص للمسرح وعشق للفن .. الان اختلف الامر ، اصبح الفن بمثابة مهنة ولـم تعـد الهواية المطلقة كما كانت ايام زمان ، واصبحت للفن معاهده وقيـــوده ولقد اتسعت الرقعة الفنية فشملت الى جانب المسرح الاذاعة والتليفزيون

والسينما .. في الماضي لم يكن يهم أن تحصل على مال أو لا الآن أصبحت المادة تشكل جزءا مهما في حياة الفنان لما تتطلبه الحياة منه .. »

الخروج عن النص

« يحدث الخروج عن النص عادة في المسرحيات ذات الطابع الهزلي « الكوميدية » لان الفنان الكوميديان يحمل عبئا كبيرا في ان تستلطفه الجماهير ، وان يوفر لها كمية كبيرة في من الضحك وقد يكون عليه ان يوقظ هذه الجماهير فيفضل ان يخرج عن النص قليلا حتى يبث فيها الاضحاك ولكن بطبيعة الحال يجب أن يكون ذلك في موضعه ومناسبته .

اما في النصوص الدرامية الجادة فلا داعي للخروج عن النص

يوسف وهبي - وامينة رزق

عندما التحقت امينة رزق بمسرح رمسيس كان لابد ان تلتقي بصاحبه يوسف وهبي ، ولقد كان من ابرز الوجوه الفنية ، وكان لابد وأن يساهم في تكوين شخصيتها الفنية ...

« فعلا لقد ترك استاذي يوسف وهبي اثرا كبيرا في نفسي .. فلقد مات والدي وكان عمري انذاك سبع سنوات ونصف ومن ثم كان الذي رعاني هو يوسف وهبي اتم تكويني الفني بعد ان لاحظ انني طاقة يمكن ان تقدم شيئا كبيرا للمسرح وأن عندي موهبة يحسن استغلالها في هذا المجال .

على هامش الحوار -

امينه رزق من بلدة « سبرباي » بطنطا ، ووالدها من عرب الجعافرة تقرأ لكل الكتاب اذا ماوفر لها الوقت دون ان تتحيز لكاتب بعينه .. لم



تلتقي بالدكتور طه حسين حتى بعد ان مثلت له « دعاء الكروان » وان كانت قد التقت بالشاعرين الكبيرين أحمد شوقي وهي تمثل له « قمبيز » ، وعزيز اباظه وهي تمثل له «الملكه شجرة الدر » وأن أجمل ادوارها كان في مسرحيات «بنات الريف »و«شجرة الدر » و « شلوذ » « ومرتفعات وذرنج » ثم في افلام « دعاء الكروان » « وبداية ونهاية » وأن الشخصيات التي قدمتها او تقدمها تنير لها الطريق الى عالم جديد في المعرفة وتفتح لها آفاقا جديدة بما فيها من ثراء فكرى

وهي ترى ان الاقبال على المسرح قد قل - رغم النزول الى رجل الشارع العادى بمسرحيات تخاطبه مباشرة ، بسبب التليفزيون الذي يدخل كل بيت ومجانا ودون ارهاق في الانتقال او التكاليف .. اما اذا كانت هناك مسرحية جيدة معروضة فان المشاهد الاصيل الذى يعشق المسرح اساسا لايبخل بماله او وقته عن ارتيادها ..

ثم تقول انها لو عادت بها الايام الى الوراء لاختارت نفس الطريق الذى سارت فيه طريق المسرح طريق الفن الذى عشقته « وتزوجته » فنذرت نفسها له ...

هذه هي الفنانة التي اخلصت للفن فاعطاها مكانة مرموقة امينة رزق ، او سيدة المسرح ..

هذا الصبى

● حمدى عمارة ●

ودع الزوجان عيادة الطبيب ... الزوجة تحمل وليدها ، تحاول جاهدة ان تهدىء من صراخه ... عرج الزوج على اول صيدلية ، وانتظرته الزوجة التى استمرت تهدهد الصغير ... لم يتأخر الزوج الذى عاد حاملا « لفة » الدواء فى يده ، تعلوه الفرحة ، كأنه ابتاع حياة ابنه ... بادلته الزوجة ابتسامة ، التفتت الى طفلها فى تفاؤل كأنها تبثه نبأ شفائه .. ومشيا فى الطريق الى محطة القطار ، يستعيدان كلام الطبيب ويثنيان على مروءته ومهارته ..

نظر الزوج الى ساعة يده متأوها :

ـ يا الهى ! .. سيفوتنا القطار .. هيا ، اسرعى !

جعلت الزوجة تهرول بخطر وبداها تحوطان وليدها فى حرص ، والزوج مازال يحثها ، لكنها توقفت ـ والصغير يعلو ويهبط تبعا لانفاسها اللاهثة .

ـ لقد تعبت !

حينئذ قال الزوج فى شىء من الرجاء :

ـ القطار فى المحطة ، ولم تعد تفصله امتار ، اسرعى قليلا واحذرى ان يسقط الطفل !

خفت صوت الزوج حين انبعث صفير القطار ، كما هدأت خطواته ، واخيرا وقف ينظر الى الركاب من النوافذ المتلاحقة يبتلع غصته ... واستمر يحملق حتى نأى القطار . وما لبث ان اختفى بين موجات الظلام !

استدار ناحية زوجته ـ كاد ان يصيح فيها مؤنبا لولا حركة الصغير ، تافاق منه ، وتضاءل أن يحدث نفسه . لو كنت وحدى للحقت بالقطار ، ولكن ....

ثم وجه حديثه لزوجته وسار ال ماقذا ما بين حاجبيه !

ـ علينا بالانتظار ساعة كاملة !

شهقت الزوجة فى جزع ، ساعة !! كيف ، والبرد شديد ـ والولد محموم ! كما يجب أن نسقيه الدواء والا قضت عليه الحمى !

صمت الزوج قليلا يسترجع كلام زوجته ، توقف على جملتها الأخيرة ، ثم هز رأسه حائرا وقال فى كثير من اليأس : وماذا اصنع !!

ثم لعق لسانه وصاح قائلا : ماعليك .. ن ـ نستأجر تاكسى !

دار هذا الحوار بين الزوجين على رصيف المحطة ، بينما ساقتهما اقدامهما شطر الميدان المجاور ، وبعد قليل وقفت الاسرة الصغيرة .. الزوجة تربت على طفلها الذى بدا يتذمر ، وكأنما يشاركهما اسفهما على فوات القطار ، والزوج زائغ النظرات بين عربات الأجرة . على الطوار المقابل كانت هناك عينان تتنقلان بين الزوج تارة .. والزوجة تارة اخرى وفجأة لمعت بالفرحة .. قفز الصبى صاحب العينين فى كتفى وتلوى مخترقا طريقه بين العربات المزمجرة المرعبة ثم وقف امام الزوج الحائر يلهث تزين وجهه ابتسامة تفاؤل ..

تعجب الرجل حين رأى الصبى يبتسم له كأنه يعرفه ، حاول مفتشا فى ذاكرته ان يدرك سبب تلك الابتسامة لم اشتدت حيرته حين سمع بكاء ولده قطع الصبى عليه مشاعره وانفعاله قائلا فى ثقة :

ـ استرح انت يا استاذ .. سأقوم انا بهذه المهمة ، وباذن الله سوف اسعفك بعربة ! ..

نظر الرجل الى الصبى مقارنا بين حجمه وكلامه ، هم بأن ينهره ويعفه من عرضه ، فانه فى موقف لايستدعى هزل الصبية ، لكنه لمح بريقا غريبا يشع من عينى الصبى ، فلم يملك

الا ان يهز راسه موافقا .. عندئذ قال الصبى فى سرور وعجلة :

ــ استرح اذن .. ولنستريح الست دقائق وتاتى عربة .. التساهيل على الله ! .. ومرت الدقائق واشتدت الرياح ايذانا ببدء عاصفة ، وبكاء الطفل المتقطع يهز وجدان الاب فلا يملك الا ان ينقل بصره بين الطفل العصبى .. وامه المشرفة على البكاء ثم يعود ليتبع الصبى نافذ الصبر متقلص الاسارير ، الصبى دائب الحركة يجرى هنا وهناك ، يوقف هذه العربة ويتفادى تلك .. ويتحدث مع ذلك السائق ..

ويسائل الزوج نفسه :

ــ لم يجر هذا الصبى هكذا؟! ولم يعرض حياته للخطر .. لقد تعب كثيرا ، اكثر من اللازم ، لاريب ان تلك اللعبة تجلب الى قلبه السعادة ، او لعلها تكون شقاوة صبية ! .

الصبى مازال يتحرك ويتقافز فى نشاط ولا تفتر عزيمته ، والطفل يبكى باصرار ، وايضا لا تفتر عزيمته كل منهما يستمر فى حركته الناتجة عن احساسه ، والزوج مشتعل قلق ، والزوجة تنكمش على طفلها تحميه من الصقيع الذى اشتد .. ومن بين كل هذه الصراعات جاء الصبى ليطمئن الزوج قائلا من اجل الا يقلق يا استاذ .. لعل الله ان يسهل العربة شطرك !

رأى الزوج نظرات العرق تتصبب من جبين الصبى رغم قسوة البرد ، ولمح مازال الامل يلوح فى عينيه رغم ملامح اليأس التى تسربت الى وجهه .

قالت الزوجة بين انتفاضاتها :

ــ فلننقده اجره .. لقد تعب كثيرا فما ذنبه ؟

نظر الزوج فى ساعته واضاف :

ــ كما انه قد اقترب موعد القطار التالى ..

انكمشت اسارير الصبى حينما رأى الزوج يضع اصابعه فى جيبه ، فاندفع بصوت يظل الحزن من بين ثيرانه :

ــ لا ياسعادة البيه ــ مستحيل ، كلها دقائق وتأتى عربة باذن الله

عاد الزوج يتبع الصبى ، لقد نشط اكثر من ذى قبل ، ينتقل من هذه الناحية الى تلك .. ويلقى بنفسه فى هذا الحجر او ذاك .. حينئذ قال الزوج فى نفسه مؤكدا : ــ ان هذا الصبى لا يطلب ، انه بلا شك يتسول

وفى هذه اللحظة فكر جديا ان ينقد الصبى اجره قبل ان ينسحب من الميدان ، وبالفعل قرر ان ينادى عليه وحين هم بذلك سمع صوت احتكاك عجلات وارتطام تردد صداه فى قلبه توجه مسرعا صوب الزحام تتبعه زوجته المذعورة ، وكان الطفل قد سكت عن البكاء . شق الزوج طريقه بين الجمع ، وكم ارتعد حين اصطدمت عيناه بالصبى منطرحا على ظهره والدماء تتدفق من انفه وفمه !

وافلتت من فم الزوج هذه الكلمات :

ــ مستحيل .. انت ؟! مستحيل !

نظر الصبى الى الزوج ، وحاول ان ينتزع ابتسامة انفرجت لها شفتاه قليلا .. واستطاع بعد جهد ان يستخرج كلماته من زاوية فمه :

ــ معذرة يااستاذ .. لقد صدمتنى اول عربة صادفتها !

نظر الصبى حوله باحثا بعينيه ، ثم استقر نظره على زميله ، فوجه اليه كلمات مضغوطة بين انفاس متثاقلة : ــ لو تذهب الى امى وتخبرها بانى ساعود فى الصباح ! .. وارجو الا تنبهها باصابتى !

هاجت مشاعر الزوج ، وزحفت الفجيعة الى قلبه ، وطفرت الدموع من عينيه .. ولم يتوان ان يخرج من جيبه ورقة مالية كبيرة ، اعطاها لزميل الصبى الذى تأمله فى تساؤل .. لكن الزوج لم يستطع النطق ، واكتفى باشارته نحو الصبى المنكوب ... فهز الصبى الآخر رأسه فاهما .

وعاد الزوج ادراجه بين الناس الذين افسحوا له الطريق .. يرمقونه بنظرات الفضول والامتنان ، وقف امام زوجته التى كانت تئن حزنا وكمدا ، وطفله الذى طال سكونه ، لعله فضل ان يواصل بكاءه فى صمت ... وانى الى اسماعهم صوت عربة اسعاف اتجهت الاسرة الصغيرة ــ تواصل الطريق الى المحطة ــ يشملهم الصمت والكآبة ، ولا يشعرون بالامطار المنهمرة !

مرجريت يورسنار

● محمود قاسم ●

● منذ بضعة أشهر كانت أنظار العالم تتجه الى مبنى الاكاديمية الفرنسية ، بعد أن أعلنت لاول مرة فى التاريخ عن قبولها امراة ضمن أعضائها ..

الطريف أن هذه المرأة تحمل الجنسية الامريكية وتعيش فى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٠ ، ولكنها لا تزال محتفظة بفرنسيتها ، فهى من مواليد بلجيكا وامها بلجيكية الجنسية .

يورسنار تكتب الرواية والمسرحية وتقوم بترجمة الاشعار والروايات الى اللغة الفرنسية التى تشعر بانتمائها اليها ، ولا تكتب الا بها .. وهى دائما تحمل جواز سفرها الفرنسى لتنتقل به خلال البلاد التى اعتادت أن ترتحل اليها منذ ان كانت طفلة تجوب الاقطار مع أبيها ..

ولدت مرجريت فى مدينة بروكسل فى الثامن من يونية عام ١٩٠٣ لأب ينحدر من أكبر أسر الفلاندر بفرنسا . أما أمها البلجيكية فقد ماتت على أثر اصابتها بحمى النفاس عقب الولادة بعدة أيام .. وعنها تقول مرجريت « لم أر أبدا صورة لامى خلال طفولتى .. ولم أر لها صورا الا عندما بلغت الخامسة والخمسين ! .. أقول هذا لأن أبى كان دائما محاطا بالعديد من النساء وكان يستطيع أن يوفر الكثير من الناس الذين يعلموني التطريز ، أو ليقدمون لى الحلوى .. »

ولكن مرجريت لم تعش طفولتها طويلا فقد علمها ترحال أبيها أن تنتقل معه الى حيث منابع الثقافة اليونانية والرومانية .. ففى سن السابعة زارت باريس لاول مرة ، وانتقلت منها الى لندن حيث عاشت عاما ، ولما اندلعت الحرب العالمية الاولى بدأ الأب من جديد يصحب صغيرته الى ايطاليا وسويسرا ثم اليونان حيث عاشا هناك عامين باكملهما ..

وقد عبرت مرجريت فى كتاباتها العديدة عن هذه الفترة وعن مشاهداتها والاشخاص الذين قابلتهم وذلك من خلال الكتب التى تناولت فيها حياتها الخاصة

وقد تعلمت اللغة اليونانية وترجمت عنها أحدث كتاباتها ، كما أنها دونت كل ذكرياتها عن هذه الرحلات فى كتابها « ذكريات الخوازيق » و « أرشيف الشمال » الذى تقول فيه عن أبيها : « كان شخصية من الصعب تحديدها



مرجريت يورسنار

لجيلنا . انه عالم عجيب له قليل من الماضى ، وهذا مما جعلنى افكر فيه وأنا أكتب عن بطل « العمل فى الظلام » فهنرى مكسمليان المغامر هو أحد الفرنسيين المثقفين الذين يميلون الى المغامرات الكبيرة . شديدة العاطفية وفخور جدا بكل ما يفعله ، دائما رافض ! .. وهذا النموذج نادر فى أيامنا ، انه دائما يذكرنى برامبو - رامبو الحقيقى وليس رجل الاساطير أو القصائد الادبية ! »

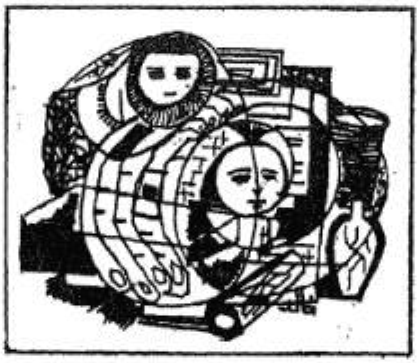
وفى هذه السنوات المبكرة تعلمت مرجريت أن تقرأ أشعار « راسين » وكتابات « ارسطوفان » وقد شجعها ابوها على الكتابة .. فقرات اعمال بروست وهى فى الخامسة والعشرين ، واعجبت بالاديبة الروسية سلمى لاجيرلوف التى نالت جائزة نوبل عام ١٩٠٩ ، اما دوستوفيسكى فلم تعجب كثيرا باعماله ..

وقد دفعها اعجابها بسلمى ان تكتب أولى رواياتها « اليكيس ، أو ملامح الحرب اللامجدية » التى تحاول فيها ان تضع نظرية حول عدم خلط الاحاسيس « يجب أن نعرف أولا ماذا ننتظر من الحب .. نحن ننتظر منه عبادة طرف آخر ، بينما من المحال أن تجده طرفا يستميل كل صفات الآخر ! .. هناك دوما وهم لدى العشاق ..

وعن الحب تقول مرجريت أيضا : ليس صحيحا ذلك الذى يسميه كل الناس حبا فى الروايات أو المسرح . ولكننى أقول أن هناك شىء فى رؤية الفرنسى للحب ، بل فى رؤية كل الناس له .. وهو غياب عامل التقديس .. »

●●●

وتتوالى اعمال مرجريت فى مجال الرواية ،فتقدم «هبة الحلم» و «ذكريات اوريان » و « العامل فى الظلام » و « حكايات شرقية » . وتاخذ السينما من هذه الاعمال رواية « الضربة القاضية » فيقدمها فولكر شو لندورف فى السينما الالمانية عام ١٩٧٩عن صوفى وهى امراةتعشق ضابطا منجيشالاحتلال الذى استولى على قريتها ، لكن واجبها لم يمنعها من أن تنضم الى رجال المقاومة ، وان تنقل اليهم اخبار الغزاة أولا بأول .. ويكون جزاؤها فى النهاية ، رصاصة من مسدس عشيقها .. وصوفى تشبه كل بطلات يورسنار ، فمارسيل فى « هبة الحلم » محاربة فوضوية تحارب



وتقاوم الغزاة، ولديها القدرة على التصرف في الوقت الذى يجبن فيه الآخرون، وهي مع ذلك تحب وتعشق، لكنها لا تنسى واجبها .

اما بلوتين في « ذكريات ادريان » فهي تشكل الصديقة والناصحة . وهي امراة ذات تجارب عديدة في اعمال المقاومة الشعبية . كما أن لها باع طويل في الاسفار، وهي مع ذلك تعيش حياتها الخاصة بعيدا عن الآخرين .

وكل هؤلاء البطلات اشبه بمرجريت التي تعيش وحيدة في نورث ايست هاربور منذ عام ١٩٥٠ ، وهي في رواياتها تؤكد على ان المراة اقوى من الرجل ، وتسخر من الصفات الانثوية التي ظهرت بها النساء في الادب العالمي من خلال الادباء الرجال .. آنا كارنينا مثلا لم نعرفها كأنثى الا من خلال وجهة نظر تولستوى! .. فلوبير اراد ان يفضح مجتمعه من خلال « اما بوفاري » التي تعبر عن فترة ما في حياة فرنسا .. وهي ترى ان الرجال في روايات فلوبير اكثر نضجا وحيوية من نسائه وخاصة في رواية « التربية العاطفية » ..

ومع هذا فان بطلات مرجريت لا يتكلمن أبدا ، وانما نعرف الكثير عنهن من خلال الرجال .. ادريان هو الذى يعلم ويدرب فتاته ويصنع لها عالمها الخاص .. صوفي تعيش في منزلها مع أكثر من رجل تبعث في قلوبهم الغيرة كي تتمكن من تادية واجبها . وهي في النهاية تتلقى مصيرها بنفس يد الرجل الذى علمها وأحبها .

***

وقد كتبت مرجريت مجموعة من المقالات في المجلات الفرنسية على مدى أكثر من ثلاثين عاما وجمعتها في كتابها « تحت التحرى » . كما قامت بترجمة مجموعة من الروايات الانجليزية ـ الهامة ـ الى اللغة الفرنسية ، منها « ما يعرفه مايس » لهنرى جيمس .. وأحدث ما نشرته خلال هذا العام مجموعة من الاشعار ترجمتها عن اليونانية القديمة بعنوان « التاج والقيثارة » الذى تقول في مقدمته « النص الحقيقي ليس هو ما يبعث على التشخيص ولكنه ذلك الذى يوسع المدارك ويدخل القارىء الى حيوات جديدة » .

والسيدة يورسنار تنفرد بكتاباتها وعالمها عن الكثيرات من اديبات جيلها ، سيمون دى بوفوار وعالمها الوجودى .. باترشيا هايسمليث وصراع الانسان بين الخير والشر المتمثل في الجريمة .. مرجريت دوراس وشخصياتها الشديدة الخصوصية سواء في الرواية او السينما وهي بهذا العالم الغريب الذاتي استطاعت ان تلج الى مبنى الكوبول اول امراة ترتدى روب هذه الاكاديمية العريقة

الهوى المجنون

● عاطف السيد ●

التقينا ، وللصباح نشـيد
وزواء من السـنا يصبينى
فاصخنا الى الجمال وكنا
كنشـيد من الهوى موزون
قلت لى ما الهوى؟فقلت حنين
ووفاء لقلبى المسـكين
فسجى طرفك المشوق وراحت
منك كف تمر فـوق جبينى
انت لى لاتخف فقلبى يهـوى
من لـه روعـة الوفاء الأمين
***
وعبير الصباح يحنو علينـا
بين نور الاقاح والياسـمين
وانثنينا الى المروج نغنى
بين ظل الهوى وظل الغصون
فرشفنا من النعيم رضـابا
وانتبهنـا على صـداح حنون
لا تقولى الى المسـاء فتنا
واوينا الى كهـوف السكون
ونسيت الصباح فى موكب النو
ر بهيا فى روعـة وفتـون
قد خلقت النهار فيك وضيئا
فمحـوت النهار محو اليقين
وعشقت الظلام حتى رأينـا
ك ظلاما يغرى سواد العيـون
اخرجى للنهار فالنور يبدى
ما حوى القلب من سواد الظنون
فترين السواد فى فلق الصبـ
ـح عميقا فى قلبك المفتـون
فتعودين كالنهـار ضـياء
او تظلين كالهـوى المجنـون

شيوعى ارستقراطى

فرديناند لاسال

عندما تذكر الشيوعية ومؤسسيها تبرز أسماء ثلاثة، هى التى أخرجت الفكر الشيوعى من مجرد نظريات وأمانى الى برامج عملية وسياسات مرسومة ، وهم : كارل ماركس ، وفريدريش انجلز ، فرديناند لاسال ..

أما كارل ماركس فهو الثائر الحاقد الدموى الشرير الذى كان يصنع الثورة والدماء وصراع الطبقات ..

وأما انجلز فكان رجلا ميسور الحال كثير المال ،ولكنه كان بالغ الاعجاب بكارل ماركس ، فانساق معه فى طريقه، واشترك معه فى بعض الكتابات الدموية الشريرة التى بذرت الأحقاد فى قلوب الناس وانحرفت بالفكر الاشتراكى ذلك الانحراف الذى جعله فكرا مخربا يزعم انه يخرب ليبنى أو لابد أن يخرب النظام القائم ليبنى نظاما جدا على ارض فضاء كما قال ، وذلك هو الفكر الذى اخذه لينين وبنى على أساسه قيصرية روسية شيوعية تملك ربع مساحة المعمورة وتطمع فى الباقى !

أما فرديناند لاسال فقد كان مفكرا اشتراكيا أصيلا ، لا يميل الى العنف ولا يريده ، وكان يؤمن بحقوق العمال ويدعو الى حصولهم عليها ، ولكنه كان رجلا غنيا ارستقراطى الطبع والتصرف ، ولهذا لم يوفق مع أهل الحكم من الارستقراطيين والرأسماليين أو مع اليساريين من الشيوعيين والاشتراكيين .

كان فرديناند لاسال يهوديا . مثله فى ذلك مثل ماركس ومعظم المفكرين اليساريين المتطرفين .. وكان من أسرة طيبة موسرة من أهل مدينة بريزلاو ،فى ألمانيا الشرقية اليوم ،وكان ظاهر النجابة من سنه الباكرة ، وعندما شب ودخل الجامعة كان من أكثر الشبان حركة ونشاطا واهتماما بشئون المجتمع الذى كان يمر اذ ذاك فى أوروبا كلها بأزمة شديدة سببها ان الصناعات قامت وانشئت المصانع الكبرى وتكدس فيها العمال . وكانت أوروبا هى مصنع العالم الوحيد : فيها كان يصنع كل شىء من الابرة الى القاطرة والباخرة ، ومنها يصدر الى نواحى العالم جميعا ..

كان ذلك عصر الاستعمار وتدفق الاموال على أوروبا ، فزادت رؤوس الاموال وأصبحت القوة الكبرى التى تسير الامور فى القارة . وكان العبء الثقيل يقع على أكتاف العمال ، ولم تكن لهم نقابات قوية تنظمهم وتطالب لهم بحقوقهم ، ولم تكن هناك تامينات اجتماعية أو ضمانات للعمال ، حتى فى انجلترا ، وكانت اذ ذاك البلد الصناعى

شقاء بالغا ، وكانوا يسكنون فى أحياء فقيرة ضيقة الحوارى ، فكانت نسبة منهم تصاب بالسل ، فاذا مرض الواحد منهم فلا علاج ولا شفاء ولا أجازة ، بل هو الموت البطىء الرهيب ! ..

وكان من الواضح ان الثورة الصناعية كانت فى حاجة الى ثورة اجتماعية . فى هذا كان الكتاب والمفكرون يكتبون ويطالبون بالتغيير الاجتماعى ..

ولكن أصحاب المصانع ورءوس الاموال لم يكونوا يفكرون فى شىء من ذلك ... كان همهم الوحيد هو جمع الاموال وتكديس المدخرات فى المصارف والاقراض بالربا الفاحش ..

وكان رجال السياسة شركاء لاصحاب رءوس الاموال فى ذلك كله ، وكانت السياسة اذ ذاك لعبة ذكاء ومهارة وخبث بين الاحزاب وطلاب الحكم فى الداخل وبين وزراء الخارجية والقادة العسكريين لكسب المستعمرات والاسواق وموارد المواد الخام فى الخارج ..

وعندما تقرأ كتابات رجال مثل جون ستيوارت ميل ، او موريس لبلان ، تشعر فعلا ان العالم الغربى كان فى حاجة الى تغيير اجتماعى شامل !

●

وهذا هو الميدان الذى دخله كارل ماركس وصاحبه فريدريش انجلز فى عنف بالغ ، ودخله فرديناند لاسال فى حماس واعتدال .. كان يكتب ويخطب ويقضى الساعات مع رؤسائهم والمتحدثين ويقابل الساسة ويجتمع بالعمال باسمهم ، ولكنه لم يفكر فى الثورة بل فى الاصلاح الهادىء .. وفى اثناء ذلك لم يتخل قط عن مظهره وسلوكه الارستقراطى ، كان دائما انيقا فى ملبسه يحضر ندوات الاغنياء وسهراتهم ، وكان يعيش فى قصر واسع حياة راحة وترف .

وقد تمكن هذا الرجل الدؤوب الذكى من انشاء أول اتحاد للعمال فى المانيا ، ففى سنة ١٨٦٣ انشأ الاتحاد العام للعمال الالمان . وكان ذلك الاتحاد هو القاعدة التى نشأ عليها حزب سياسى يطالب باصلاح أحوال العمال ويطالب باقامة نظام ديموقراطى برلمانى فى المانيا



فرديناند لاسال

ليخفف من وطأة الحكم الدكتاتورى المطلق الذى كان يمثله المستشار اوتو فون بسمارك . وكان اذ ذاك فى أوج قوته وسلطانه ..

وقد تقدم لاسال بمقترحاته الى بسمارك واجتمع به أكثر من مرة . وقد رفض بسمارك كل آراء لاسال ومقترحاته لانه كان شديد التمسك بالحكم الاوتوقراطى يعجب بفرديناند لاسال ويقول انه من المطلقين ، ولكنه فى نفس الوقت كان أذكى وألطف الرجال الذين لقيهم وتحدث معهم !

وكان لاسال يعجب ببسمارك ويرى فيه رجلا شجاعا اتوقا صلب الارادة غير مستعد للتنازل عن اى من آرائه او افكاره .. وذلك لا يمنع من القول بأن بسمارك كان يرى فى لاسال خصما خطرا ، بل هناك من يقولون ان لاسال كان ألد خصوم بسمارك ..

● اما كارل ماركس وفريدريش انجلز واتباعهم فلم يكونوا فى نظر بسمارك خصوما ، بل كانوا اشرارا ومشاغبين ،

شيوعي ارستقراطي

وكان يحتقرهم ولا يبالى بهم ولا يسمح لنفسه بالجلوس معهم ..

ويرى المؤرخون انه لو لم يمت فرديناند لاسال فى سن مبكرة لكان هو قائد التحول الاجتماعى فى المانيا ، لان الازمة كانت تشتد يوما بعد يوم وان تجاهلها بسمارك ..

وفى أوائل السبعينات من القرن الماضى بدا تكوين أول حزب سياسى معارض فى المانيا ، وكان لاسال من أكبر الداعين اليه والعاملين على تكوينه . ولو عاش لاسال لكان له شأن كبير فى تاريخ المانيا ..

وكان فرديناند لاسال على اتصال وثيق بمفكرى عصره والظاهرين من رجاله فكان صديقا حميما لهاينريش هاينى الشاعر المعروف ، وقد مدحه هاينى وقال انه من الاذكى من عرفهم . وكان لاسال واسع الثقافة غزير الاطلاع دائم القراءة وكان اطلاعه على التاريخ والفلسفة عظيما وكان من المعجبين بآراء هيجل ، وكان يعجبه منه قوله بان الاصلاح الاجتماعى لا يمكن ان يتم على الوجه المطلوب عن طريق الثورة الدموية ، بل عن طريق الحوار والتفاهم بين الفقراء والاغنياء .. ولكن هيجل لم يبين طريقة اقامة هذا الحوار .

وكان الفيلسوف فينحته يقول ان الحوار يتم عن طريق نفر من المهتمين بالاصلاح لا يكتفون بالقول بالنظريات بل لابد ان يكونوا ذوى نشاط واسع واتصال مستمر بالناس . هؤلاء — فى راى فينحته — يقومون بالوساطة بين النقيضين ، ويستطيعون ان يقربوا الاطراف المتناقضة ، وهذا الراى كان يعجب لاسال ..

وكان كارل ماركس يكره لاسال ويتندر به . ويقول انه ليس فقط مفكرا مطلعا ومصلحا اجتماعيا وكاتبا انسانيا ، بل هو كذلك زير نساء (دون جوان) .

وكان كثيرون ممن حول لاسال ينتقدون حرصه على ملبسه ومظهره وأناقته ، بل كانت الصحف تتندر به وترسم له رسوما كاريكاتورية تصوره فى صحبة الفاتنات والجميلات وصاحبات الالقاب ..

وكان موضع العجب عندهم جميعا انه رأسمالى غنى يعيش فى قصر كبير وفى اطار ارستقراطى خالص . ثم يقول انه زعيم عمالى ومكافح فى سبيل الطبقات المظلومة ! ..

والغريب ان ذلك كله كان حقا ، فقد كان الرجل بالفعل مكافحا صادقا فى سبيل المظلومين والفقراء رغم ارستقراطيته ..

وقد مات لاسال ميتة محزنة .. كان قد خطب فتاة جميلة من أسرة غنية وكان على وشك الزواج منها ، فتعرض لها واحد من خصومه وما زال يغريها وينتقص من أمره عندها حتى فسخت خطوبتها من لاسال وارتبطت بذلك الرجل ..

ومضى هذا الرجل يسخر من لاسال وقال انه لا يمكن أن يترك هذه الاهانات تمر دون عقاب ، ودعا خصمه للمبارزة . وكان من سوء طالعه ان خصمه كان امهر واسرع منه فى الرماية ! ..

وفى فجر اليوم المحدد للمبارزة كان اللقاء المحزن فى ٢٨ اغسطس ١٨٦٤ . ووقف الشهود يراقبون المبارزة بالمسدسات ، وكان الخصم رجلا رومانيا يسمى جانكو فون راكوفيتزا . وكان اللقاء فى غابة قريبة من مدينة جنيف بسويسرا ،وقبل ان يضغط لاسال الزناد كانت رصاصة الخصم قد استقرت فى قلبه ، ومات فى دقائق ! . ● ح٠م ●

ترانيم إلى عينيها



● عزت الطيري ●

(١)

بعينيك رائحة العشق
فاكهة الشوق
طعم الغرام المحال
بكفيك رائحة البرتقال :

(٢)

احبك والسهم يثقب جسمي
احبك والصمت يغتال رسمي
احبك والشمس فوق الرؤوس
احبك والليل وجه عبوس ..
احبك والخوف عبر الديار ،
بعنف يجوس !
أحبك والحزن فاض !
احبك والماء غاض !
احبك لا تظلميني
ولا تهجريني ..
وكوني معي
اذا مت لا تجزعي ..
ولمي عظامي
اجيء اليك مع الليل جنا
فلا تفزعي !
وقولي الى العاشق الالمعي
اهز اليك غصون المحال
فهيا ارويك من ادمعي !

(٣)

بعينيك رائحة الابتهال
ودمع ودم ..
وحزن يعم
لانك حين ترين الحدائق
تصير حرائق !

"هى .. بنصف وجه"

● حلمى الحلاوى ●

● ترقفت اصابعها طـويلا .. لم تتمكن من قطع ورقة اليـوم من النتيجة المعلقة ركـزت بصرها تجاه ماتحمله من رقم عشرون عـاما وثلاثة شهور فى مثل هذا اليوم ..

تنهدت ؛ صرخات صامتة .. هزت راسها فى لوعة ، نزعت قدميها بعيدا ، تحركت حيث الرؤية بوضوح . اليوم يحمل لها كل الذكرى .. تساقطت بعض الشعيرات البيضاء ، اكتمل رسم اللوحة ملكة جمال الاغراء .. صورة تآكل اطارها تعيش الان على حافة الدنيا .

وبالخط العريض ، نشرت الصحف فازت باللقب أصبحت ملكة الجمال .

اين كانت كل هذه الصرخات ؟ .. اصابع البشر كلها الان تشير انه يوم اختيارها ملكة جمال الشرق ! توقف الكثير مثلها امام هذه الورقة . الامر يختلف البعض نزعوها بعنف .. الحقد يتراقص امامهم .. مسكينة لا دخل لها !

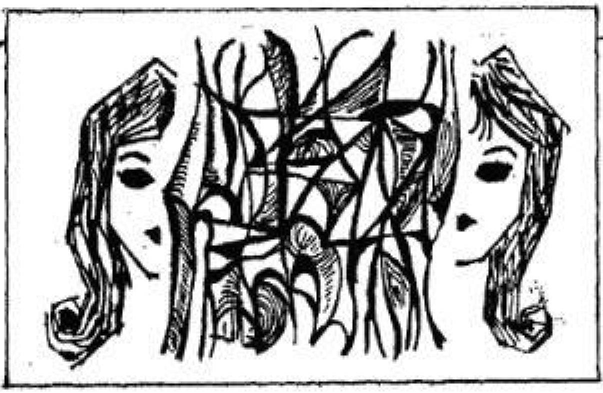
عاندت أعصابها التى شاخت تقدمت .. التصقت بالحائط .. قبلتها فى حنان تمثيلى ؛ اضاءت لها الشموع رغم ما آل اليه حالها ..

هزت راسها من جديد مخلـوق من الورق ماتت فيه الروح . مجرد شبح معلق امامها .. انه العقرب لدغها دون أن تدرى . حاربتها كافة ساعات العالم هاجرت الدقائق من بين اصابعها .. أسلمتها الشهرة عالم جديد من الورق خرجت من جلدها الطبيعى تلون جسدها باتت من يومها لا تعرف النوم دون الحروف البارزة صورها فى كل مكان وكان السبب وجهها الجميل .. تركة ورثتها راسمالها التى لم تفكر فى ضياعه !

تحرك بداخلها كل الماضى قاربت على الانهيار لم تتعود لغة الاستسلام عنفت نفسها اجبرتها على الانتظار !.

ومن جديد هربت من الورق .. حان الموعد داؤها اليومى .. الهواية المفضلة بعد موت الجمال الشاشة الصغيرة اللون الابيض تتشبث به يعيد اليها الشباب سلوى كل يوم !..

الوقت يزحف بها لفيلم المساء خرجت عيونها تبحث من المضمون .. وجاء ما تخوفت منه أوجاعها اليوم



بالجمله الاشباح اكتست باللحم انقلب المكان الى تشتهى رجع بها الزمان حتى المنتصف ...

وبعد النهايه لقطة صغيرة تكلمت المذيعة . نبذة عن بطلة الفيلم مالكة جمال الخمسينيات !

خرج الضحك من فمها الجاف ! اختلط احساسها البت بالدموع بهتت الوان الصورة جمالهـا زحفت اليه الشيخوخة سقطت اللوحة من فوق الجدار ..

تململت من فوق كرسيها ضايقتها دقات الساعة حطمتها ثارت لجمالها المسلوب تأملت خطوط الماضى فى وجهها وهربت بين دفتى يديها !

المكان يضيق بها النهاية تحاصرها . استقبلت ضيفتها الثقيلة وكالة أخبار متنقلة صديقة عمرها جزء من برنامجها اليومى !

مقدمات طويلة .. الفن الصحافة الحياة الشهره أخبار مكرره انتظرت انفسحت لها طريق الحديث الدعوة الى المزيد هى بالفعل فى حاجة الى صدمة الخروج من ذكريات اليوم ، حلمها الاول .

وطال الحديث .. لم تستمع .. فالتهامس طرف لسانها سيعقدون مسابقة لاقبح امراة فى الشرق !!

حروف عابره لم تلتفت اليها اصادت وسرعان ما انتهت صرخت فيها اكدت على مسامعها ، وهذه الجمله بالذات . ارتفع صوتها اكثر من اللازم تهلل وجهها كانت تنهدت بارتياح .. ذابت الالام للوج تراكمت بفعل برودة الموقف

خرجت مواهبها القديمه .. أعلنت الخلاص هتفت الشهرة طريق جديد . عادت اليه اضواءه !

لم تفهم وحيدتها .. كررت ، للان لم تفهم ، فسرت .. اقتربت من مجال تفكيرها ما زالت الكلمات كبيرة على مداخل اذنيها هزتها نشوة المنتصر صرخت فيها .. لابد من الفوز بهذه المسابقة ـ الاضواء من جديد اقبح امراة تراجعت اللقب قاسى .. لايهم ولكن كيف السبيل ؟.

حالة من هياجها الفكرى عصرت بقايا ذهنها استعانت بماضيها وحاضرها اتقفت .. دفعتها امامهـا ، دعتها للبحث معها عن زجاجة ماء النار !

وعادت إلى نفسها

• نبيلة العطار •

جائع ... انه جائع ، جائع لانه خائف ... كل ما حوله استحال أفواها فاغرة ... كل شيء يحدق في هلع . يتدفق ، يصرخ ، يعوى ...

رغم عويل الخواء بداخله ، عادت نظراته تلتهم النساء في جوفه ... الجوع وحده هو الذى يجمعه الى الأنثى . وفى كل غرفة يبحث عن صيد جديد . وليمة جديدة ...كان يفقد أرادته امام شيئين : الطعام الفخم ، والنساء الجميلات .

(اول مرة رأيته لم يكن فيه مـا يميزه عن سواه ... كان مجرد زميل آخر من عشرات الزملاء الذين تعاقبوا على المجلة التى اعمل بها . ولكن بمرور الوقت بدأت اكتشف فيه شيئا ما ، ربما اهتمامه بى .. ربما حدثه .. فهو محدث حسن الحديث ايا كان موضوع الحديث !

ربما تلك النظرة فى عينيه ... نظرة يمتزج فيها الجوع بالذكاء . نظرة مبهمة مليئة بالاستجداء بالخذلان ... قلت ذلك لنفسى ولم يدهشنى انه يحاول أن يبدو أكثر رقة وعذوبة !

لم الح فى وجهه اى انفعال حزن ، فرح : سعادة ، شقاء ...

لا ادرى لماذا بدأ حديثه عن الولائم ... اكوام الطعام التى يدعى اليها ، المطاعم الكبيرة ... واستمر يصف بدقة مذهلة حجم الجمبرى ، السمك ، كتل اللحم ، انواع المحشوات . اصناف السلطات ـ جميع الوان الحلويات... الخ

كنت أنظر اليه مشدوهة لاهتماماته تلك . وكتمت ضحكة تريد أن تفلت من بين شفتى !

ولكن لم انا حائرة هكذا ؟ لم انا حزينة ؟!

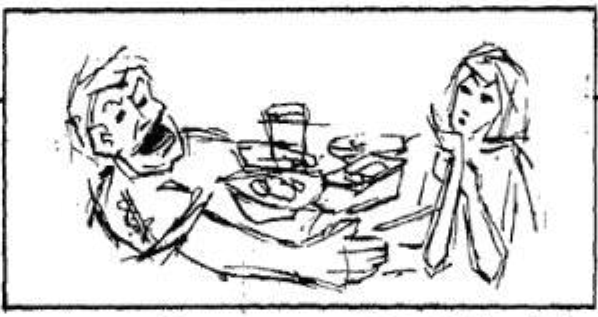
كان الأمر عملا ، مجرد ككل اعمالى السابقة مع سائر زملائى السابقين . دعوات مفروضة . مجاملات اضطرارية ... اكره المشهد المعتاد على المائدة ، هو يأكل ويأكل . ويشرب . ويأكل. وأنا يا انا .. بالصدفة امامه يزداد شهوة .

فجأة يمد يده ويأخذ الطعام من أمامى ، ويضعه فى طبقه ... اغمضت عينى . لم أشعر برغبة فى أن أتناول شيئا

قلت : اننى اتبع رجيما خاصا .

(حينما يتكلم ارفض ان اصدق انه يستعمل الفم نفسه للأكل) .

يستحيل الجوع قهقهة : فى جوف السكب الماء البارد دفعة واحدة ..من



رأسي يتفجر اليأس والحزن والمرارة ، لكنني لن أهزم . لن انسحب احاول ان احطم جدارا ، ان اكسر قيدا .. تنتهي الحفلة ، او السهرة ، او الوليمة ...

صمت كامل مشحون بالترقب . حتى الجوع في الداخل يصمت ..

دون ان ادري عدت امامه على المائدة من جديد .

وعاودت نظراته شراستها ، والتهم من الطعام اكواما ...

واحسستني امتزج اختلط باللحم الممزق في فمه ...

الوى ، أصرخ ، اتمرد احاول الخروج — الهروب ...

لا يدري مما حوله شيئا ، نقسط يأكل ويأكل :

آه ... ليتني استطيع ان القم الى هذا القطيع الذي يفتك الفتات من حولي ..

وفي المرة التالية ، حدث شيء ، لا ادري كيف بدر مني ذلك ؟

لقد سبقته الى التهام كل الطعام ولم اترك له شيئا ... تركته بدون طعام ؟

ولم اكن اقصد ان اجعله جائعا ، فازداد شهوة متناظلة ، ورمقني بنظرة حادة ...

كنت يومها شبعى ولم تكن لدى رغبة لاثبات ذلك ..

يا آلهي ... ماذا جرى ؟!

ها هو الألم الغريب الذي يتفجر كل ليلة في كل موضع من جسدي — يبدأ من رأسي ثم يسيل انهارا من كل أعضائي ليصب في نقطة محددة : في معدتي بالضبط . من اثر ذلك الجرح .

وبدأت أصرخ ألما ... وجاء الطبيب بابرة حقنني بها ولكنه قال :

— معدتك سليمة كل شيء على ما يرام !

انهض من جديد ، أحمل أوراقي وامضي بها لأذهب الى عملي ...

وافاجأ ببعض الرسوم واللوحات ، اتأملها واحدة بعد الأخرى ، واحاول ان افهمها ، اللوحات تمثل الغابة ... غابة شاسعة لا حدود لها ، وأراه في غابته يحمل اكواما من الطعام ويبدو بها مسعورا بنشر أضراسه كلها وهو يصرخ صيحات وحشية كحيوان علق في فمه لحما ودما ... كان مستغرقا في عمله فوق كومة من الرماد والبقايا .. بصوت وحش مجروح كان يلهث وهو يصرخ ويأكل ، ويأكل ...

لوحة اخرى ، ها هي امرأة جذورها في الأرض ورأسها في السماء .. رأسها قطعة من فولاذ .. جسدها جذع من نور . ومنه يثبت ظل الحقل من خلفها ...

احدق في الاشياء . من عيني تطل نظرة . حزينة ، ثم انفجر باكية ... اغادر الغابة وانا اجرى ، استنشق الهواء بملء صدري ..

واحس بان الجرح قد غدا ...

— غدا لن اعود ...

مع الفلاسفة الرواد

بيتاكوس

قائد.. وشاعر.. وفيلسوف

● امين سلامة ●

● عاش بتاكوس سبعين سنة ومات سنة ٥٦٩ ق ٠ م ولد في جزيرة لسبوس كان منذ صباه يمارس الامور والمشاكل العظيمة وقد طار صيته في الشئون العسكرية واشتهر بشجاعته الفائقة وحسن بلائه في القتال وحبه الزائد لوطنه وبني اهله ..

وكان ايضا « من مشاهير حكماء عصره ، ومن حكمه الشائعة : « ينبغي للانسان ان يعود مع الزمن وان لايضيع الفرصة »!!

كان العداء بين اهل ميتيالين والاثينيين على اشده بسبب قطعة ارض فاختار الميتيليون بتاكوس قائدا « عاما » لجيوشهم فلما تقابل مع جيش الاثينيين طلب بتاكوس المبارزة مع افروتون قائد جيش الاثينيين وكان الاخير مشهورا بالشجاعة والبسالة والظفر الدائم في جميع معاركه فقبل افروتون منازلة بتاكوس بشرط أن يصبح الغالب حاكما لتلك الارض المتنازع عليها ..

واقتربا كلاهما من بعضهما وسط الجيش وكان بتاكوس يحمل سهما « اصاب به غريمه اصابة قاتلة قبل ان يتهيا للقتال وهكذا صار بتاكوس حاكما في تلك الارض ولفرط حب الميتيليين له جعلوه اميرا على مدينتهم فسن لهم اعظم القوانين .

ارسل اليه قارون حاكم ليديا ليستطلع رايه في ثراه وغناه ، فكتب اليه بتاكوس :

« تريدني أن أزورك لارى خزائنك المملوءه بالكنوز الثمينة ، ولكني اعتقد — سواء رأيت كنوزك أم لم ارها انك لست اغنى الملوك .. ولو كان عندي كل ما تملكه ما اعتقدت اني اثرى الناس فضلا عن عدم اشتياقي لرؤية شيء لا ينفعني في معيشتي ولاينفع احدا من اترابي ،

***

كان هذا الفيلسوف قبيح الخلقة ، كريه المنظر يشكو دائما من عينيه ؛ وعجز في رجليه تزوج بنت دراكون القاضي وكانت امراة متكبره سليطة اللسان ، سيئة الاخلاق ، تكره زوجها لبشاعة منظره ، وتسيء معاملته امام اصحابه فادى هذا الى مقت بتاكوس الشديد للنساء عامة ..

جاءه يوما رجل يقول انه يريد ان يتزوج من احدى اثنتين! واحدة تساوية حسبا « ولسبا » والاخرى اغنى منه واعلى نسبا وطلب من الفيلسوف ان يختار له الصالحة .. فاشار عليه أن يذهب الى مجمع الصبيان الذين يلعبون فيه ويستمع ما يقولونه ويعمل به .. فلما ذهب : وجدهم ينبهون بعضهم بعضا ويقولون كل واحد ياخذ نده ..

فاعتبر الرجل وآثر التي تقاربه في الحسب والنسب والغنى .

كان بتاكوس مستقيما في حياته قنوعا لا يقرب الخمر ولا يشرب غير الماء القراح ، ويقول ان الشرائع اعظم من كل شيء لان الالهة احيانا يطيعونها وكان يرى انه من الصعب على الانسان ان يسعد نفسه بنفسه ، وانه لاشيء احسن من عمل المعروف المعجل ،وان النصير للقبول هو الذي يأتي بدون سفك دماء .

نور السر الاكبر

* جمال محمد فرغلى *

يا صافى العينين صفاء عيـــون الاطفال الصادقة النجوى ! ..
يا اقبال الحلم الهاطل وردا ..
انت شطوط هدانا فى لجج الياس القاتل ..
يا موقد نار الحـــرية نور السر الاكبر ..
هيا فوق بريق الرعد السحرى
وباعلى الصوت ننادى ..
نحن الاكبر من كل الاســــوار الاسلاك الشائكة
تعالوا نشدو نرقص فوق الشفرة فوق الحد
بالحب العارى والافكار الساطعة
ونعلو فوق الحقد الشرس الابدى
نطرد اشعار الاطلال وابيات المدح المتورمة نفاقا !
نوقظ ليل الصحراء ، نقارف ما حرمه التاريخ بمدن القسوة
نقرأ اشعارا شائكة الكلمات
نزرع فى رحم الارض الظمـــاء اشعارا سكرى تلمس امطار الامهات
نزكز الصان الاحلام الحبلى
يزهر قلب الارض بماء النعمـــة والغبطة
تتلو آيات « الفتح » نجفف دمع الانسان
ولتشرق شمس الخير بأرضى !

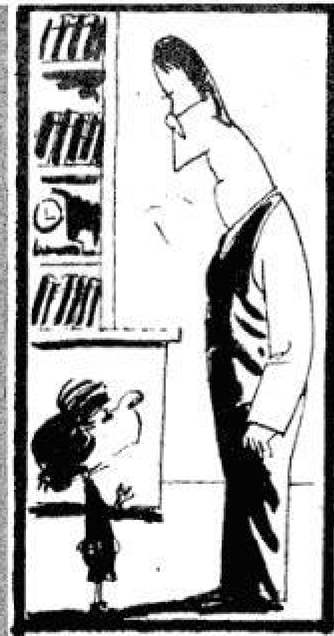
كاريكاتير جديد جدا!



الولد للمدرس : لا مؤاخــذة يا استاذ .. أبويا اليومين دول أعصابه تعبانة خالص ، ممكن عني تزود لي تمرين شوية بصفة علاج لأعصابه !!



الولد لزميله : أدي احنا هربنا من البيت علشان تأديب بابا وماما .. لكن بالظاهر مفيش فايدة ، ح نموت من التعب والجـوع !.. مش كفـاية تأديب بقى ويالا نرجع !..



الولد لأبيه : ياسلام يا بابا لو سمعت كلامى ونعمل سوا شركة احنا الاتنين انت بفلوسك وانا بأفكارى !..



الولد لأبيه : ... ويسعدنى اقدم لك خطيبتى ، عشان نتجوز من هنا وطالع ان مصروفى ح يبقى « دوبل » !



الولد لصاحبه : كل الاعلانات فى الصحف طالبين مهندسين واطباء وفنيين !.. وشوية كده يبقى فى الاعلانات مفيش وظايف الا للولاد اللى مش نافعين !..

النمر الكامن فى أعماقى !

كنت اعتقد دائما ان افضـــل وقت للنوم هو تلك الفترة التي تقع فيما بين الساعة الســابعة والتاسعة صباحا . ولكن اذا كنت تعاني صعوبة في النـــوم ، فان اى وقت لذلك يكون افضل ! ..

انا نفسي اعاني صعوبة كبيرة في النوم واظن ان السبب في هـــذا راجع الى ان زوجتي تغط في نومهـــا ، وقد ظلت تغط في نومها طوال الثمانية عشر عاما الاخيرة ولكنني كنت اعاني نفس الشيء خـــلال الخمسة عشر سنة الاولى من زواجنا ،قبل ان تبدا غطيطها ، ولهذا لا اظن ان هـــذا الغطيط هو الســبب !

وأنت اذا قضيت ثلاثة وثلاثين عاما مع زوجة ،فان في هذا الدليل على انك تحبها وتظن احيانا عنـــدما تراها انك انما ترى مرفقك او جزءا من نفسك . وفي اوقات اخرى تتساءل كيف استطعت البقاء كل هذه المدة الطويلة معها . ومع ذلـــك فان هذا يحدث في اكثر الاحيان ..

لا شيء يبقى كما هو ابدا . وقـــد كان هناك وقت كنت العب فيه بكـــرة اليد ثلاث ساعات متوالية . اما الآن فانني اذا جريت وراء ســيارة اجـرة فلابد لي من خمس دقائق على الاقـــل لـكي اســترد انفاسي .. وعندما تزوجت ،كانتزوجتي امراة لها شخصيتها . وكانت تقـــول لي عادة : « براقل ، انك تشـــبه واحدا من آلهة الاساطير ! » اما اليوم فانها تنفجر ضاحكة وتربت بيدها على بطني ، وتقول انني اشبه احدى خرائب اليونان !

***

هناك أيام من الاوفق ان يلزم فيهـــا الوكيل المسرحي بيته ، وأن لا يفكر في

الوسيلة التي يمكنه ان يربح بها دولارا واليوم الذى نحن بصدده من هذه الايام فقد كان جهاز التدفئة عاطلا ، وكان الجو قارسا وحبات الثلج تتساقط في الخارج وترتطم بواجهات المحال الزجاجية .وكان الناس يتنقلون من رصيف الى آخر.وهم يحتمون من الهواء والمطـر ويجتـــازون الشارع في حذر عند مفرق الطرق .

وكان العمل في ذلك اليوم مضمـــنيا كاليوم نفسه . وكنت قد قمت باختبـــار جماعتين . احداهما من بعض الراقصـــين الذين يغنون بمصاحبة الجيتـــار . وهم عبارة عن ثلاثة من الشبان الخنافس،وفتاة ذات شعر طويل يصـــل حتى خصرها . وغنوا اغنيــــة من ابتكارهم يقولون فيها انهم يلقون بأنفسهم من علو شـــاهق ، من فوق الصخور . وان ســـيارة تنطلق بسرعة مائتي كيلـــو مترا تحت هـــذه الصخور تتلقفهم .

وقلت لهم انني ســـوف اتصـــل بهم بمجرد ان اجد شيئا يصلح لهم . ويبدا انهم سيخرجون ويفترشون الارض ، على قارعة الطـــريق ويستسلمون للموت . ولعلـــه لم يكـــن يجب أن اختبرهم بعـــد تناول الافطار على الفور !

اما الجماعة الثانية فقد جاءتني بعـــد ساعة ، وكانت من الخنافس هي الاخرى .. شـــابان وفتاتان ، يحمل كل منهم جيتارا يعمل بالكهرباء ، ومعهم شـــاب آخر أشقر ، منفـــوش الشـــعر ، يعنى بالادوات الكهربية ، ويعكس عليهم أنوارا ملونة .

اعرف صاحب ملهى في المدينةفي مقدوره أن يستخدمهم ، فاتصلت به ، ولكنه قال

الى بعض السقاة ، غير انه يستطيع أن يستخدمهم على أساس شريف قوامه الطعام .

وضعت يدى على التليفون ، وقلت للجماعة : لا أظن ان هذا الغرض يهمكم فكل ما يمكنه هو اطعامكم .

أسرع الشاب يقول : اننا نقبل ، فبهذا نضمن الطعام على كل حال !

وعندما انصرفوا ، حاولت ان أتصور ماذا يمكن أن تكون عمولتي عن هذا العمل . ولو ان الحال استمر على هذا المنوال فسوف أغلق مكتبي بكل تأكيد !

واتصل بى شخصان يطلبان منى بعض الفنيين ، ونسيت أمرهما بمجرد أن فرغت منهما . فان أولهما صاحب ناد ليلى اذا أنا أرسلت اليه مطربة فانه لن يتركها هادئة لحظة واحدة ، وسيضيق عليها الخناق ويقرصها ، ويملأ ذراعيها بالعلامات السوداء والزرقاء ، وسأضطر الى سماع شكاواها فيما بعد .. وليس هناك من يرضى بذلك .

أما الثاني ويدعى «ليل كوينك» فكان أمره مختلفا . كان يملك حانة ليلية تعرف باسم ، حانة كوينك الزرقاء » بمدينة قديمة للطواحين على شاطىء الهدسون ، بجوار ولاية نيويورك .

كان من عادة كوينك على كل حال ان يستخدم اوركسترا من ثلاثة من الموسيقيين ، او مطربا مشهورا فى بعض الاحيان . ولكنني انقطعت عن ارسال اى مطرب اليه عندما عرفت ان رواده كانوا يقلقون فى معاملتهم .

***

وانقضى النهار ، والقيت نظرة على ساعتى . كانت الساعة قد بلغت الرابعة والنصف ، وقد جن الظلام . وأنا أبقى فى مكتبي حتى الخامسة عادة ، ولكن جهاز التدفئة كان عاطلا فى ذلك اليوم ، وكنت مقرورا طوال النهار ، كما لو انني كنت فى الشارع . ورتبت مكتبي ،وقلت لنفسى أنه لن تفوتني اية عملية اذا أنا عدت الى البيت قبل الموعد بساعة ،وانني أستطيع عندئذ ان أتناول حساء ساخنا وقد أجد فى التليفزيون برنامجا مسليا .



ولبست معطفي وقبعتي . وصلصل جرس التليفون فى هذه اللحظة . كانت زوجتى هى التى تتكلم ، وذكرتنى ان الليلة موعدها فى لعبة البريدج مع صديقاتها ، وانها تركت لى بعض شرائح اللحم البارد والبيض المسلوق ، وأردفت تقول : « واحرص على أن تنظف كل شىء فيما بعد . ارفع الاطباق ولا تترك شيئا فى غير مكانه ، واذا لم يزعجك ذلك يا مستر برادلى فلا ترقد على الاريكة ولا تترك أعقاب السيجار فى المنافض ! »

أجبت : حسنا . وأعدت السماعة . كانت على حق فيمايتعلق بأعقاب السيجار طبعا . ثلاث وثلاثون سنة ، ولنا ولدان وثلاثة أحفاد ــ وما زالت تدعونى مستر برادلى فى لهجة صارمة ! وكانت وهى فتاة تقارعنى كالنمرة قبل أن نتزوج .

وسمعت صوت وقع اقدام ودخلت مكتبى فتاة هيفاء . كانت فى العشرين ، سمراء ذات وجه رقيق وعينين واسعتين وسألتنى تقول : هل أنت مستر برادلى ؟

قلت : الوحيد والاوحد . أنا هو !

القت نظرة الى ساعتها ثم نظرت الى فى ارتباك وقالت : ــ ولكنني كنت اظن ان المكتب مفتوح حتى الخامسة .

قلت : هذا صحيح . ولكن لدى موعد اليوم . هل تريدين أن تقولى لى شيئا ؟

قالت : اسمى جانيت راولز ، وأنا أغنى يا مستر برادلى .. أود لو أن تختبرنى .

قلت : ان الوقت متاخر . عودى غدا صباحا بعد أن تستريحى يا آنسة . انك تريدين أن تقومى بعمل شاق ،ولابد ان تكون كل الفرص فى صفك . ولكنك

تأتيني الآن قبل موعد الغلق بعشرين دقيقة في الوقت الذى لا يفكر فيه الناس الا في العودة الى بيوتهم . ثم انك لن تستطيعى ان تقضى شيئا جميلا .

وكنت أتكلم عن تجربة واستطردت اقول : سوف أراك غدا .

قالت : مستر برادل . يؤسفنى اننى اتيت وانت تهم بالانصراف !

وبدأت تنسحب . وعند الباب تحولت الى وقالت : مستر برادل . من المتعذر على أن أعود غدا صباحا .

لم أسألها عن السبب ، فقد كانت لها أسبابها طبعا . ولعل من غير اللائق أن أسألها . ورأيت وأنا أنظر اليها انها لا تعدو أن تكون طفلة تثير عيناها الاهتمام . وعلى ضوء النور الضعيف المنبعث من الممر ، كانت عبارة عن صورة خرجت من ماض بعيد جعلتنى ارتجف . وأدركت عندئذ انها تعيد الى ذهنى صورة زوجتى بالذات قبل ذلك بخمسة وعشرين عاما . كنت منذ خمسة وعشرين عاما أسرع الى البيت . وكانت تأتى على أوقات كنت أقول لنفسى انني اذا اشتغلت أكثر فلن أشعر بأية رغبة فى العودة الى البيت

كانت فى مقتبل العمر وجميلة جدا . وهذه الليلة ، جعلتنى زوجتى وشرائح اللحم البارد و « مستر برادل » وكبات الثلج التى تتساقط ، والناس المقرورين الذين يحنون ظهورهم فى الشارع لمقاومة الرياح اللاذعة — جعلنى كل ذلك أشعر بالحزن ، ولهذا قلت :

— مس راولز . هل لك ان تسعدى رجلا مسنا بحاجة كبيرة الى المرح وان تتناول معه العشاء ؟

نظرت الى تقيمنى ثم ابتسمت ابتسامة حارة وقالت :

— لا أرى انك رجل مسن كما تقول وانما أرى انك رجل كريم أشيب الشعر ، بل انك جذاب جدا ، ويسرنى أن أتناول العشاء معك !

— ما رأيك فى شريحة كبيرة من اللحم وطبق من السلطة الفرنسية وبطاطس محمرة ؟ هل يروق لك ذلك ؟

أومأت برأسها بالايجاب وقد بدت عليها السعادة .

وأخذتها الى مطعم مشهور بالطعام الجيد والمشروبات المنتقة . وأكلت بشهية كبيرة ، وفى بساطة أكبر . وأخذنا القهوة وحدثتنى عن نفسها أثناء ذلك فقالت انها ولدت فى مدينة صغيرة بنيو انجلانه ، وكان أبوها سائقا وقدمت الى البلدة الكبيرة لكى تدرس الفن والغناء . ولكن مات أبوها ووجدت نفسها بلا عائل وقال لها البعض ان لها صوتا جميلا ، فجاءت لمقابلتى .

قلت لها : سأختبرك غدا صباحا .

— أعرف انى .. ولكن ألا تستطيع أن تختبرنى الآن ؟

ولم يكن هناك من ينتظرنى بالبيت ، وقلت لنفسى : ولم لا . ثم قلت فى صوت مسموع : حسنا .

وعدنا الى مكتبى ..

وجلست أمام البيانو . وكان صوتها لا بأس به فى المشاهد الموسيقية المدرسية ولكنه لم يكن يصلح لكى تجعل منها مطربة محترفة . وشعرت بالحزن لاننى أحببتها كثيرا وأردت مساعدتها . وفكرت فى صاحب ملهى كنت قد اسديت اليه خدمة . وكان يستخدم فى بعض الاحيان فتاة للعزف على البيانو . لكن جانيت لم تكن تجيد العزف ، فقلت لها : اننى آسف .

قالت : اننى أشكرك على كل حال .

ونظرت الى فى ارتباك وقالت : مستر برادل ، هل يزعجك أن أقضى الليلة هنا ؟

— هنا .. فى مكتبى ؟!

— ان السبب الذى اردتك من أجله هو اننى كنت سأستطيع ان اطلب منك قرضا لكى ابيت ليلتى فى أحد الفنادق .

قدمت لها خمسة وعشرين دولارا

ولكنها قالت : كلا . اشكرك يا مستر برادل .

الححت عليها قائلا : ولكن هذا قرض

قالت : كلا . اشكرك ، ورأيت فى دهشة دمعة تسيل من عينيها ، وأردفت تقول : انني اريد مكانا أبيت فيه الليلة فحسب .

كانت عنيدة فى كبريائها . وقلت : ولكنك ستصابين بالبرد هنا . ان جهاز التدفئة لا يعمل بالليل ، والجو بارد جدا

قالت : هذا سيان . ارجوك .

قلت : يمكنك أن تبقى اذا اردت .

وخرجت واشتريت دفاية كهربائية عدت بها اليها وقلت لها : لا تفتحى الباب لاحد ، فانت فتاة ، ثم انك وحدك .

– اشكرك يا مستر برادل . لاتزعج نفسك ، لن آخذ شيئا .

– بل خذى كل ما تشائين ، مكتبى وكل ما فيه ، والتقويم الموجود فوقه ، فهو هدية من احدى الشركات . ولكن دعى لى المنافض فقد سرقتهـا من احد الفنادق ، وانا احبها كثيرا .

قالت وهى تنفجر بالضحك : انني اعبدك يا مستر برادل !

كانت فتاة لها شخصيتها – هذه المس راولنز .

ومنذ خمسة وعشرين سنة كنت نمرا

وقلت لها : طابت ليلتك .

وعدت الى بيتى ، ونمت ..

وعندما عادت زوجتي ايقظتني وقالت: ماذا بك ؟ انك كنت تبتسم وتضحك اثناء النوم !

– لا تنتزعى منى سعادتى . كنت احلم بفتاة شابة جميلة ترقد فوق الاريكة بمكتبى .

– هذا امر لا يمكن ان يقع !

وكانت هذه هى كلمات زوجتى الخالدة .

وعدت الى النوم .

وفى الصباح ، كانت مس راولنز قد قامت بتنظيف المكتب بصورة رائعة ،



فكنست الارض وغسلت الالواح الزجاجية القذرة وقالت : كيف تجد المكان ؟

تناولت سماعة التليفون ، وطلبت الصعود بطعام الافطار . وكانت القهوة لذيذة والفطائر طازجة .

وقالت مس راولنز انني بحاجة الى سكرتيرة .

– انني أعرف الكتابة على الآلة الكاتبة واستطيع ان أرد على التليفون ، وساعمل بكل جد . انني ذات كفاءة عالية ، وانت بحاجة الى زيادة الانتاج فى المكتب .

– فتاة جميلة مثلك هنا فى المكتب ؟ان زوجتى لتقتلنى !

– كلا . انها لن تفعل هذا يا مستر برادل !

والحق انه ليسرنى أن أجد مس راولنز معى فى المكتب .

وقلت : حسن جدا . سوف اقوم بمحاولة ، بصفة مؤقتة .

انفجرت ضاحكة وقالت : انني أعبدك يا مستر برادل .

وكان شبابها الفياض معديا ، ولكننى قلت : اكبحى حماسك يا مس راولز .

وادركت انني ساعيش فترة سعيدة .

وفى آخر النهار تحققت من انها كانت لى عونا كبيرا .فقد ازالت عنى حملا ثقيلا .. ردت على المراسلات واهتمت بالمكالمات التليفونية ؟ وقالت للعملاء الذين لا أبغى التحدث اليهم بأننى غير موجود .

وفى نهاية الاسبوع تساءلت كيف استطعت مباشرة عملى قبل ذلك بدونها ،

فانها اتتنى ، الى جانب التشجيع ، بالبهجة وبسعة فى العمل . واحسست معها باننى صغرت عشرين سنة . وبجرد كونها بجوارى كان تجديدا للحياة .

ولكن لم يلبث ان وقع تغيير عنيف ، فقد وقعت فى حب دين كونراد ، وهو اهم عميل لى .. مطرب مشهود ، ولكنه كان الى جانب هذا وغدا كبيرا !

وهناك فى الدنيا اناس كثيرون يشبهون جانيت راولز ودين كونراد . ولكن الذين يشبهون هذا الاخير يعيشون على حساب الذين يشبهون جانيت راولز ، فلم يكن فيه اى عنصر طيب . وكان يتباهى بان بين اصدقائه كثيرين من رجال العصابات وكان يحتقر النساء ويقسو فى معاملتهن قسوة تاجر الرقيق . وكان حاد المزاج لا يحجم عن تأديب صديقة له بكل غلظة وكنت أتساءل احيانا اذا كان من الصواب انقاذه من الورطات التى كان يزج فيها بنفسه . وكان الى جانب هذا يزداد شهرة سنة بعد سنة .

ووكيل الاعمال الذى ينتقد اخلاق وتصرفات عميل له لا يلبث ان يفقد كل عملائه . ومع ذلك ، وبعد ان خرج مع جانيت لاول مرة اجلستها امامى وقلت لها كل ما اعرفه عنه . وشكرتنى وقالت لى اننى أزعج نفسى دون مبرر ، واننى من الدقة القديمة ، وانها فتاة كبيرة الآن وتعرف كيف تحافظ على نفسها . ثم ان « دين » جنتلمان كامل ، وتألقت عيناها وتوردت وجنتاها وهى تتكلم عنه .

وبعد ثلاثة شهور ، عندما اوقعها فى حباله بوعوده لها فى الزواج ، التقيت به وقلت له انهاتستحق مصيرا افضل ، فانفجر ضاحكا وقال ان كل فتاة تستحق مصيرا افضل ، وانها ستترك العمل عندى لانه وقع عقدا لكى يقوم بجولة فى انحاء البلد للغناء وان فى نيته أن يصطحبها كسكرتيرة خاصة .

وغمز لى بعينه وقال : اننى بحاجة الى سكرتيرة خاصة .

قلت : انك لست بحاجة ا[...] نفسك !

رمانى باحدى ابتساماته العريضـ[...] وانفجر ضاحكا للمرة الثانية وقال :

ـ لعلك مغرم بها يا برادلى .. كبير السن بالنسبة لها .

ـ اريد منك أن تترك لها الخيار

ـ ان المزعج معك يا برادلى هو انلا[...] تتطور مع الزمن . ماذا يهمك اذا قلت[...] وداعا بعد ان تنتهى الجولة ؟ .. [...] يهمك ؟ يجب أن تعلم حقائق الحياة [...] استاذ . انك تتحدث كما لو اننى اة[...] لها مصيرا أسوأ من الموت .. ساير[...] يا برادلى !

قلت : انك وغد كبير !

ـ اذا كنت تريد أن تفسخ العقد ا[...] بيننا . ولكن ضع هذا نصب عينيك[...] ان ما افعله يعنينى انا ، فاهتم بشئ[...] ودعنى أهتم بشئونى .

وعندما عدت الى المكتب كانت الس[...] قد تجاوزت الخامسة ، وكانت جانيـ[...] انصرفت . ووجدت على مكتبى رسال[...] كان كونيك قد اتصل .

وجلست ، ورحت افكر فى كو[...] وفى جانيت . وكان يقوم بعملية ک[...] هى فيها الخاسرة . وأخذت رسـ[...] كونيك . وخطرت لى فكرة عندئذ فاتص[...] بكونيك ، وبعد أن تحدثت معه اتص[...] بدين كونراد . والتمست منه عـذر[...] حدث ولاننى تدخلت فيما لا يعنينى[...] ورجوته ان ينسى ذلك فقال : ـ لا بأس[...]

وسألته عندئذ ان يسدى لى خدمة[...] وقال بعد ان تحدثت اليه : فى حـ[...] كونيك ؟ اتريد منى ان اغنى فى حا[...] كونيك الزرقاء ؟ .. اننى لم اسمع ا[...] عن هذا المكان . ثم انك تعلم اننى لا ا[...] باجر زهيد كذلك الذى يقدمونه فى [...] هذه الملاهى .

ـ اسمع . اننى ادين بخدمة لهـ[...] الرجل . كل ما عليك هو ان تذهب هناك ، وان تغنى أغنية او اغنيتين

تنصرف بعد ذلك . هذا كل شيء ، ولا اطلب منك اكثر من ذلك .
اما الاجر فسوف نتفاهم فيه معا بما يرضيك .
قال : - هذا حسن ..
كان ذلك يوم خميس . ومضى الى حانة كونيك مساء يوم الجمعة . واستدعاني البوليس في صباح يوم السبت . ومضيت بالعربة ، وتحدثت الى ضابط بوليس يدعى سام بيتشارد أخبرني بما حدث ، فقال ان حانة كونيك كانت مزدحمة في تلك الليلة . ووقف كونراد يغني ، وعندما بدأ أغنيته الثانية قوبل بعاصفة من الصفير . وغضب كونراد وهجم على أحد الرواد وشج رأسه بزجاجة بيرة . وكان يجلس في الصالة رجل ذو لحية سوداء أحنقه تصرف كونراد فأخرج مسدسة وأطلق منه رصاصة في الهواء ، وما كاد يفعل حتى انطلق الرصاص من كل مكان . وانتهز أحدهم فرصة الشغب والانفعال فأطلق رصاصة على كونراد وقتله . واستولى الذعر على الموجودين وأسرعوا بالخروج واختلفوا في جوف الليل ، ولم يتقدم أي واحد منهم للشهادة وقال الضابط انه لا يظن ان احدا سيتقدم للشهادة وأردف يقول : وهذه خسارة كبيرة يا مستر برادلي . ان زوجتي كانت مجنونة به !
- نعم . ان اناسا كثيرين كانوا يحبونه الى حد الجنون .
قال في اهتمام : انني أستطيع أن أتصور مشاعرك .
وهز رأسه كما لو انه يفهم ، وانصرف في نفس الوقت الذي اقبل فيه كونيك . وقال هذا الاخير :
- انني آسف لما حدث حقا يا مستر برادلي .
- حسبنا من كان يتوقع أن يحدث هذا سوف يسيء هذا الحادث الى سمعة حانتك .
أجاب كونيك : هذا أكيد . ان مثل هذا العمل سيلحق الكساد بحانتي . ولكنني سأقول لك شيئا . انني أعتقد أن



أحد منافسي هو الذي دبر هذا الحادث لانلاسي .
- هل تظن هذا ؟
قال كونيك : بل انني واثق مما أقول كان النور ضعيفا بالصالة طبعا ، ولم تكن الرؤية جيدة ، ولكنني لمحت الرجل الملتحي الذي اطلق الرصاصة الاولى . انني أعرف جميع الرواد الذين يختلفون الى حانتي ، وهذا الرجل لم يكن من بينهم حسنا . اظن انه اقدم للقيام بهذه العملية بالذات ، ان جميع منافسي يعرفون كيف يتصرف روادي ، ولا ريب انهم نقدوه مبلغا كبيرا نظير هذا العمل بالذات . لم يره احد يطلق الرصاصة القاتلة . ولكن لعله اطلقها هي الاخرى . والشيء الوحيد الذي أنا واثق منه هو انني لم يسبق لي ان رأيته .
ولم يكن قوله هذا صحيحا ، فهو قد رآني مرارا ، في مكتبي ، ولكنه لم يسبق له ان رآني متنكرا باللحية السوداء و « الباروكة » والحاجبين المستعارين ، وهو زي التنكر الذي ارتديته مساء يوم الجمعة عندما أطلقت الرصاصة التي انتزعت دين كونراد من حياة جانيت .
وقلت : - انني آسف .
قال كونيك : وأنا ايضا . لا ريب انه اشهر واهم عميل لك .
وربت بيده على ظهري مواسيا فقلت وأنا ابتسم .
- شكرا . امري الى الله .
وانصرفت . ومضيت للقاء جانيت .

● ترجمة : محمد عبد المنعم جلال ●

مناجاة

● حسيني سيد احمد عشرة ●

كفُّ النسيم يَجود   يا زَهرتى ... بالورود
مَعها نعيش الأمانى   وبها تخور القيود
وبها اختيال الأغانى   على جميل الوعود !
وعندها القلبُ يهفو   لحلو مافى الوجود
عندها الروح تصفو   والمشتهى ... والخدود
فكَيفَ للنعين تغفو   عن البهاء الفريد ! !

***

فلتنظرى « الفل » هامْ   مناديا مَن يُريد !
رُنا لغصن السلام   بينَ الزهور الغيد
ولتُون الابتسام   بمهرجان العيد

***

يازَهرتى .. أنت حُبّى   بل أنت حبى الوحيد
فلتجلسى عَرش قلبى   خُذى الصباح الجديد
هـذا لدالى فلبّى   يبدا متشوقاً غريد

***

القلبُ ناجاك ... آه   فأنتِ قُدسُ النشيد
هيّا .. انظرى فى سَماه   هناك بَدر شريد
يَهفو لعين الحياه   يبغِى ربيعُ الخلود

***

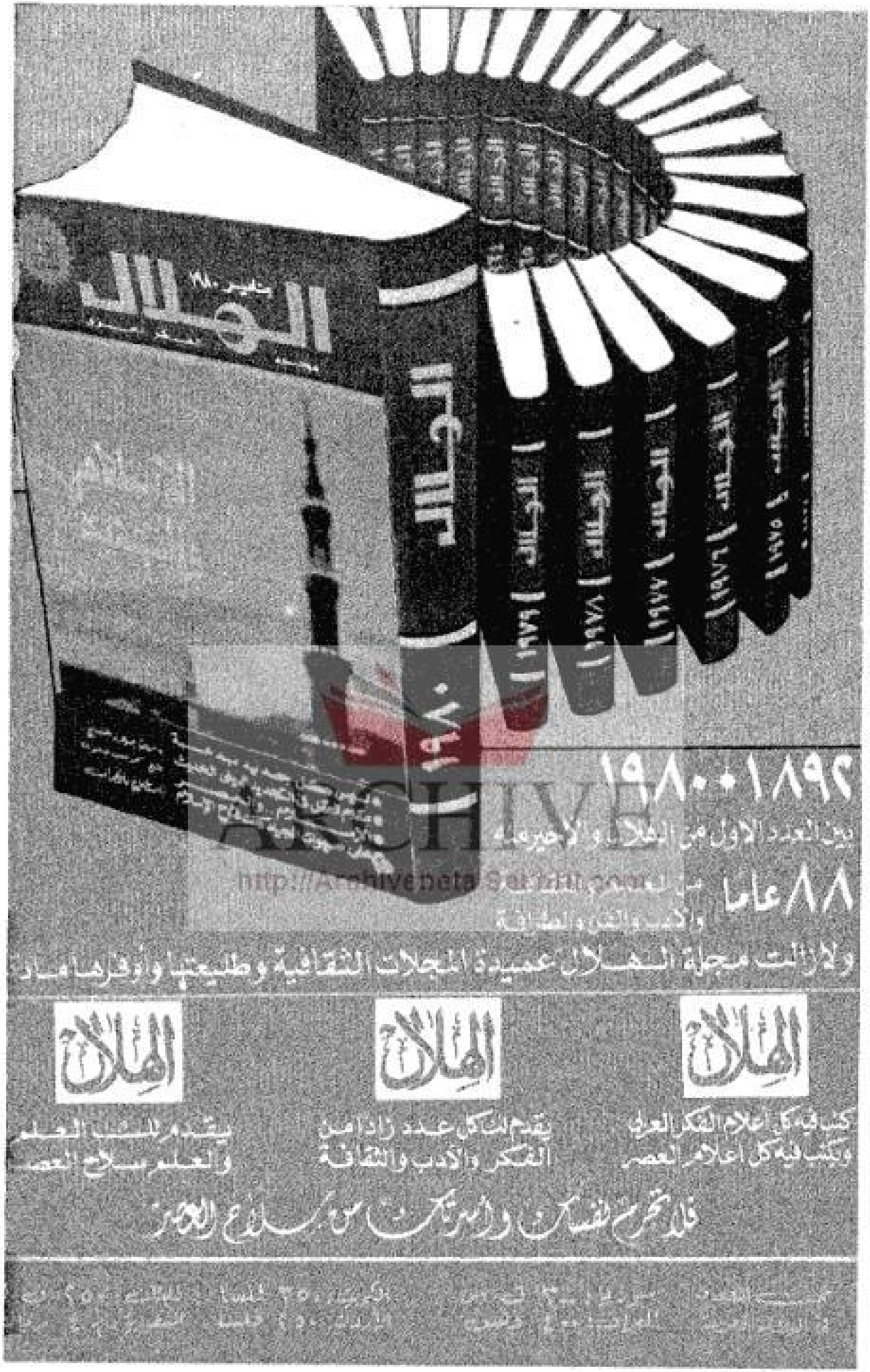
لا .. لن يَطول انتظارى   غداً حبيبى يعود
غَدا .. سَيأتى نهارى   يدورُ نجمى السعيد
معَ النسيم السارى   معَ انفتاح الورود

ترنيمة الختام

يارب..

● عبد العليم القبانى ●

من همسة الأزهار فى موكب البدر
من صدحة الأطيار فى مسمع الفجر ...
سمعت هذا النداء ...
يارب
وكان هذا الدعاء
يارب ...
يامن به كلنا فى عالم الغيب
ومن له سرنا فى البعد والقرب
ومن إليه الرجاء
يارب ...
ومن عليه الثناء
يارب ...



١٨٩٢ - ١٩٨٠
بين العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٨ عاما
ولازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها
الهلال
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي
ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
الهلال
يقدم لك العلم
والعلم سلاح العصر
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر

أكتوبر ١٩٨١م

الهلال

مجلة الفكر العربي

نوبل ميزان مختل

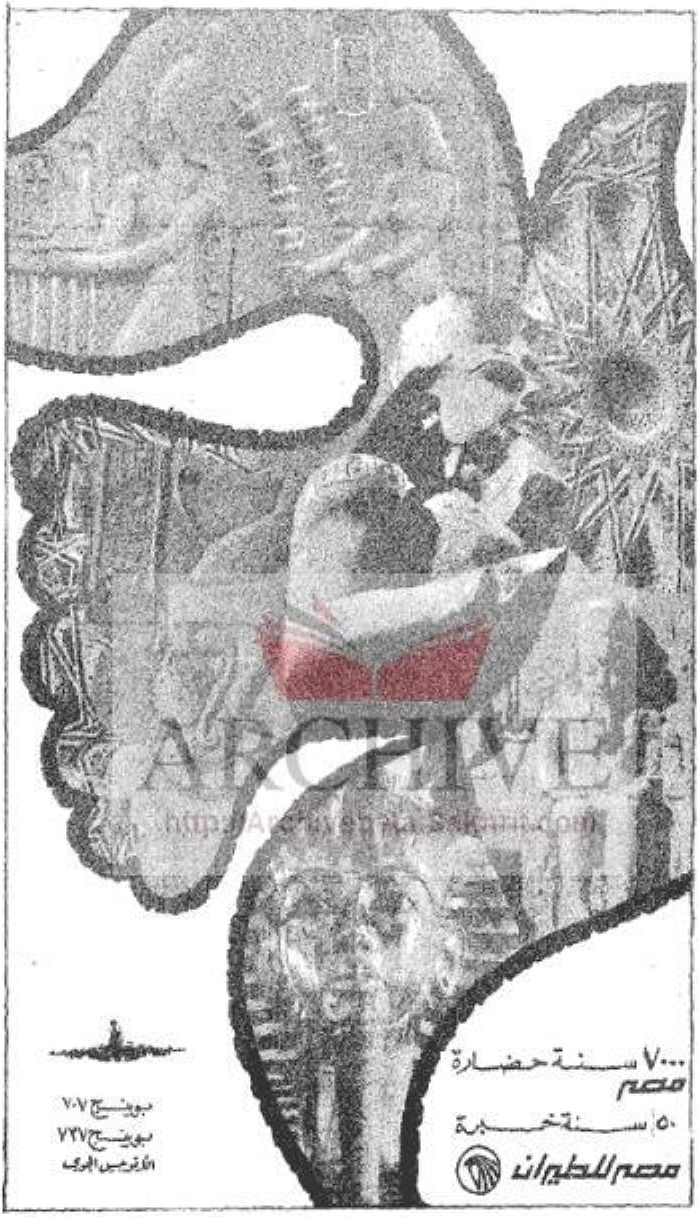


حث عن
تسامة

اذا يكتب الآن
جيب محفوظ

حقيقة القنبلة
نيوترونية

معجزة اليابان [استطلاع بالألوان]


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧

كلمة الهلال

إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء

كل شيء مما يجري بين الناس افهمه الا التعصب في الدين ..

وكل شيء من حماقات الناس أستطيع أن التمس له العذر الا الذى يظن ان اعزازه لدينه يبيح له أن يعتدى على عقائد الآخرين .

لان الدين بالنسبة لغالبية الناس وراثة . انه جزء من ميراثه الثقافي الذي ناخذه عن الآباء ، فأنا مسلم لان ابي مسلم ، ولو ولدت لابوين مسيحيين فاغلب الظن انني كنت اكون مسيحيا ، والعبرة ليست بأن تولد على الدين ، بل العبرة في التزامك بالقواعد الاخلاقية والقيم الروحية لهذا الدين ، أديان البشر جميعا لها قيم روحية وأخلاقية . كلها تدعو الى المحبة والاخاء والسلام والعدل ، وليس فيها دين واحد يدعو الى الكراهية والتعصب والحقد أو يبيح لصاحب الدين أن يعتدى على أديان الآخرين .

لقد علمتني التجربة ان المسلم الفاضل الصالح والمسيحي الصالح الفاضل سواء ، وان المسلم غير الصالح وغير الفاضل والمسيحى غير الصالح وغير الفاضل سواء .

ونحن المسلمين نقول ان الدين هدى من الله يمنحه لمن يشاء ، ومهما يفعل الانسان فهو لن يستطيع منح الهدى لغيره ، لان الله وحده هو الهادى ، وكل ما تستطيعه هو أن تدعو الى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأن تدع الناس وما يشاء الله لهم من الهداية ، وكل ما يرجى منك أن تسير على قواعد دينك انت وتلتزم بالخط الخلقى الذى يرسمه لك دينك ، وستجد ان هذا الخط الخلقى يدعوك الى محبة الآخرين واحترام عقائد الآخرين .

***

وبالنسبة لمصر فان من مفاخرها على طول تاريخها انها لم تعرف قط التعصب الدينى أو التفرقة بين الناس بسبب الدين . على أرض هذا الوطن عشنا ونعيش جميعا اخوة متحابين ، مواطنين في وطن واحد نحبه كلنا ونخدمه لان انتسابنا اليه شرف عظيم وخدمته شرف أعظم .

ولقد حاول المستعمرون القاء بذور الفتنة الدينية والتفرقة العنصرية فى كل بلد نزلوا فيه ونجحوا فى معظم البلدان فى زرع شجرة الفتنـة الا فى مصر . لقد عرف المصريون دائما كيف يعيشون أخوة متحـابين ، فالدين لله والوطن للجميع .

واذا شئت ان تعز دينك وتخدمه فالتزم اخلاقياته ودع الآخرين فهم ايضا يعتزون بأديانهم ويسعدك ان يكون فى قلوبهم هذا الاعزاز ، لان أكبر قوة للوطن - أى وطن - هو اتحاد قلوب ابنائه .

وامامك بلاد الدنيا فانظر المآسى التى سببها التعصب للدين . لم يكسب انسان واحد من فتنة الدين فى اى بلد من بلاد العالمين .

ونحن هنا فى هذا الوطن المصرى المبارك نحمد الله على اننا سرنا فى تاريخنا كله على قاعدة التسامح والاخوة فى الوطن ، وسنظل على هذا المسلك الآمن الى نهاية الزمان .

والله يحفظنا من سيئات نفوسنا ، ومن نزعات الشيطان التى اضلت الناس فى غير هذا البلد الكريم وجلبت عليهم الويلات بلا حدود .

المحرر

في هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

اكتوبر ١٩٨١ م

ذو الحجة ١٤٠١ هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جورجي زيدان سنة ٢٨٩٢ ـ السنة التاسعة والثمانون أول اكتوبر سنة ١٩٨١ ـ ٣ من ذي الحجة سنة ١٤٠١ هـ .

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفني : موسى عبيد

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر .. ويبذل الفن ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب » وهى لا ترد ، نشرت أم لم تنشر »

الإشراف الفني
أحمد الورديجي

● صورة الغلاف ●

موضوع الاستطلاع الملون فى هذا العدد يدور حول اليابان وصعودها فى مجالات العلم والقوة الى آفاق تخطت كل حسبان ، وقد تحدثنا عن ذلك بتفصيل فى مقال مطول فى نفس العدد ، ورأينا ان انسب ماتزين به غلاف الهلال هو صورة لفتاة يابانية جميلة ترمز الى شباب اليابان المتجدد

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى . قسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط

البحث

عن ابتسامة

بقلم رئيس التحرير

الهموم تخصص عربى صرف ولفظ « هم » لا مقابل له فى اى لغة اخرى ، وكل مشكلة لا تحل تتحول الى هم ونحن اساتذة فى فن تحويل المشـــاكل الى هموم .. نحن نضع المشكلة امامنا ونقول لها : حل نفسك : .. وبمضى الزمن تتحول مشاكلنا الى هموم ، وهى هموم من كل نوع : هموم عربية عامة ، هموم اسلامية عامة ، هموم محلية ، هموم عائلية ، هموم شـــخصية ، وكل واحد منا يحمل اضعاف وزنه من الهمـــوم فوق راسه وتحت عبء الهموم ضاعت الابتسامة ونسينا الضـــحك واصبح عالم العرب هو عالم الهموم .

● إننا جميعًا مهمومون لأننا لا نحاول حل مشاكلنا .. كل مشكلة لا تحل تتحول من تلقاء نفسها إلى هم . وحلول مشاكلنا اليومية بأيدينا وعلينا أن نبادر بحلها ، ومجرد المحاولة حتى إذا انتهت إلى لاشيء تعتبر تفريجًا لهم وتحول دون تحول المشاكل إلى هـموم .

فى نهاية كل يوم من أيام العمل أجد نفسى صامتا مجهدا لا أقوى على الكلام •

وأحسب فى ذهنى : ماذا عملت حتى أحس بهـذا التعب كله فأجد اننى فى النهاية لم أنجز الا القليل •

وأستعيد فى ذهنى ما مر بى منذ الصباح الباكر فاذكر شـيئا غـريبا بدا لى وكأنه اكتشاف : اننى لم أر فى طول يومى ، منذ فتحت عينى الى قراءة العصر وجها واحدا يبتسم •

وتذكرت ـ بالتالى ـ اننى أنا أيضا لم أبتسم مرة واحدة : لا اليوم ولا الامس ولا أول أمس •

ولم أكن بحاجة الى تفكير طويل •

فاننى عندما عرضت على ذهنى ما مر بى وما وقع من حول من أحداث صغيرة أم كبيرة ، شخصية أم عامة ، لم أذكر شيئا واحدا يدعو الى الابتسام •

أما الضحك ـ وهو دواء من أدوية النفس ـ فلا أذكر آخر مرة ضـحكت فيها ضحكا صحيا صادقا من القلب •

ووجدت نفسى أسأل نفسى وأنا فى طريقى الى البيت :

ـ ترى ماذا جرى للدنيا من حولنا حتى ضاعت منها البهجة ودواعى السرور ؟

وماذا جرى لنا نحن حتى أصبحنا وكأننا جميعا مصابين بالاكتئاب ؟

.. تصفحت المجلات والصحف الغربية التى حملتها فى حقيبتى فرأيت وجوها كثيرة تضحك ضحكا صادقا صادرا من أعماق القلوب •

حتى وجوه رجال السياسة فى الغرب ومشاغلهم كالجبال قرأت فيها ضحكات وابتسامات •

وتذكرت آخر رحلة لى الى أوروبا ـ فى مايو الماضى ـ فتذكرت ان الدنيا هناك تضحك رغم كل شىء •

الناس هناك مثقلون بالمشاغل مثلنا ، ولكنهم مع ذلك يجدون فى حيـاتهم دواعى للسرور ، ونبع التفاؤل والمسرة بل الطرب لم يجف فى حياتهم تماما •

لان الذى عندهم مشاغل أو مشاكل أو اهتمامات أو واجبات أو مسئوليات •

أما الذى يثقل نفوسنا نحن ويملأ كل زاوية من زوايا حياتنا فهى الهموم •

والمشاغل والمسئوليات أيا كانت فهى لا تمس صـميم النفس ، انها تظـل مشاغل أو مشاكل أمامك وخارج نفسك ، وعليك أن تعالج منها ما تسـتطيع وتترك الباقى الى الغد ، ولكنك لا تحمل هذا الباقى على كتفيـك أو فى ذهنـك ولا تدخل به الفراش •

انها تظل مكانها ، تظل تنتظرك على مكتبك أو فى درجك وربما فى جيبـك ، ولكنها لا تركبك قط •

لان الذى يركب الانسان ويرهقه ويثقل على نفسه هى الهموم والهموم أمراض منها المستعصى ومنها المزمن ومنها ما يهون وزنه بمرور الايام فتعتاد على حمله

البحث عن ابتسامة

ولكنها لا تزول ولا تختفي .. انها دائما هناك على كتفيك هـذا سر اختفاء الابتسامة وموت الضحك عندنا ان حياتنا هموم ومشغولياتنا أصبحت أمراضا. فنحن - أو غالبيتنا العظمى على الاقل مرضى بالهموم ولهـذا فنحن مكتئبون . واكتئاب الذي هو عند غيرنا مرض يعتبر جزءا من حياتنا أو هو حياتنا .

***

وفي الماضي كان المكتئبون هم أصحاب المسئوليات الكبيرة . وكان المكتئبون هم المسئولون عن الآخرين أو عن القضايا العامة - كبيرة أم صغيرة .. وكان بقية الناس يضحكون .

واذكر انني في الماضي كنت اسمع من غرفتي او مكتبي ضـحك الناس في الخارج ، فتسرى مسرتهم الى نفسي وأحس بشيء من البهجة ، وكنت أرى الابتسامة على كثير من الوجوه فيتسرى عني ما بنفسي ، واضحك مع الآخرين ..

اما اليوم فان رنة ضحكة واحدة لا تصل الى اذني ، لا من الخـارج ولا من الداخل .

وكأن الهموم قد عرفت طريقها الى قلوب الجميع . وكل اشـتغال للبال لا ينصرف ينحول الى هم .

وكل مسئولية يعجز الانسان عن حلها أو لا يجتهد في حلها تتحول الى هم .

والذين كانوا يلقون بأحمال مسئولياتهم على أكتاف الآخـرين لم يعودوا يستطيعون ذلك ، لان الآخرين غارقون في همومهم ولم يعد هنـاك أمل في ان يستطيع واحد منهم تحمل المزيد من الهموم .

فعندنا جميعا - كبارا وصغارا وعلى رؤوسنا واكتافنا من الهـموم ما يثقل الجبال .

فماذا جرى للدنيا ؟

***

الدنيا لم يجر لها شيء ، فهي هكذا منذ خلق الله الارض والحيـوان ومنه الانسان .

مسئوليات وشواغل ومشاكل واخطار .

والانسان البدائي كان يفتح عينيه في الصباح وحوله نساء واطفال ، وهو لا يملك طعام ساعة ، ولكنه لم يكن يحس لذلك هما .. انما كان يخـرج ليأتي بطعام نفسه وطعام العيال .

وسواء أتى بكثير أو بقليل فقد كان هو ومن معه يكتفون بما هنـاك . ومن لا يرضى بما هناك يخرج بنفسه ليبحث عن طعامه ..

وفي يوم من الايام كان الاب يطرد من حوله كبار الاولاد لكي يطلبـوا رزقهم وحدهم بعيدا عن بيت الاسرة فقد انتهت مسئوليات الاسرة حيالهم . وما داموا قد اصبحوا خارج الباب فهم لم يعودوا مسـئولية الأم والأب ، انهم ينتهـون بالنسبة لهما .

ولو عاد الأب فوجد واحدا منهم في البيت طرده واقصاه بهذه الطـريقة كان الآباء يحلون مشاكل العيال .

ولا تزال القرود تفعل ذلك في الغابة وفي حدائق الحيوان والقرد الذي يكبر ثم يريد مع ذلك الاستمرار في التشبث ببطن امه ينهر ويطـرد ويضرب حتى يبتعد .

***

وفي بلاد الغرب كلها لا يدعون مسئوليات العيال تتحول قط الى هموم

● الإنسان البدائي كان يعرف المشاكل ، ولكنه لم يكن يعرف الهموم ، لأنه كان يتخلص من مشاكله أولاً بأول إما بحلها أو الهرب منها ، ولهذا فقد كان رغم الأخطار المحيطة به أسعد منا لأن الهموم هي عدو الإنسان الأكبر .

الولد - أو البنت - يتعلم قدر ما يستطيع أبوه تعليمه ، ثم يوضع خارج الباب فلا يعود الا زائرا أو في المناسبات .

وهو اذا لم يجد رزقه فيما حوله هاجر الى بلد قريب أو بعيد وقد يرسل خطابا وقد لا يرسل .. ولكنه ينتهي كمسئولية بالنسبة للوالدين ..

وقد تذكر الأم أولادها النازحين خلف المحيطات ، وقد تترقرق في عيونها الدموع ، ولكنها لا تفكر قط في ان تستعيد الابن البعيد أو البنت التي شقت الطريق وحدها أم الى جانب زوج .

لان الاولاد هناك لا يجوز أن يتحولوا الى هموم الا اذا كانوا مرضى أو معوقين ..

والمسئوليات جميعا عندهم لا يسمح لها بأن تتحول الى هموم ، انهم يحلونها وأى حل عمل مقبول عندهم ما دام يحول دون أن تصبح المسئولية الى هم .

وليس في لغاتهم الفاظ تقابل لفظ الهم ، ففي الانجليزية يقولون worries وفي الفرنسية Preoccupation وفي الالمانية kuemmer وفي الاسبانية Preocupaciones وليس في هذه كلها ذلك المعنى المرضي الثقيل الذي يحمله لفظ الهم أو الهموم .

فكأننا نحن - بطريقتنا الغريبة في مواجهة المسئوليات قد اخترعنا الهموم بدليل اننا اخترعنا لها اللفظ الخاص بها .

***

وطريقتنا في مواجهة المسئوليات طريقة فريدة في بابها وهي اننا ندعها تحل نفسها بنفسها حتى تصبح جبالا وهموما ومعظمنا يسير في حياته مرددا البيتين المشهورين :

دع المقادير تجرى في اعنتها ... ولا تبيتن الا خالي البال ...
ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يبدل الله من حال الى حال !

وهذان البيتان لا يتضمنان اى فلسفة حياة .. انهما مخدر يسكت عنك الالم مدى حين ، ولكن الالم يعود .

لان الله سبحانه وتعالى لا يحل المشاكل للقاعد البليد أو المستلقي على الارض فاغرا فاه كأنه ابله او عبيط ..

انما يجيء الحل مع العمل ، والعون من الله يجيء مع السعي ، والابواب تتفتح مع السير ، والطريق ينفتح مع طول المحاولة .

وليس في القرآن آية واحدة تقول : اقعدوا أو ناموا وأنا احل مشاكلكم .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدع مسألة واحدة من مسائل الدنيا أو مشكلة واحدة من مشاكل الجماعة لتحلها الظروف ، بل كان دائم السعي والعمل لايجاد الحلول .

وهو – مثلا – لم يترك مشكلة مكة والمكيين لتتحـــول الى هم ، بل بادر الى الحل بنفسه ..

وخروجه في غزوة الحديبية من أكبر الدلائل على ذلك . فقد كان ذلك الخروج مبادرة من ناحيته لكسر جمود القضية . وسواء انتهى الامر بصلح الحديبية أم لم ينته فقد كان صلوات الله عليه وسلم باحثا عن حل آخر ولا ريب .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه لم ينم تحت الشجرة تاركا مشـــاكل الامة لتحل نفسها بنفسها ، بل كان مع المسلمين في كل مشكلة ، كان بقلبـه وعقله مع سعد بن أبي وقاص فى فتوح العراق وكان بقلبه وعقله مع قادة الشـام فى فتح الشام ، وكان مع أصحابه فى حل كل مشكلة من مشاكل المسلمين ، وفى بعض خطاباته الى قواده كان يطلب منهم ان يصفوا له الموقف وصفا بالغ التفصيل حتى يكون وكأنه معهم بالضبط فى المكان والزمان ، مشـــاركا فى المعارك كلها كان دائما فى الميدان الى جانب كل مجاهد من مجاهدى المسلمين ، وهو عنـدما كان ينام تحت الشجرة كان ينام لانه بذل أقصى ما يستطيع فى حل مشـــاكل المسلمين ، ولم يدعها تتحول الى هموم .

وعندما أحس ان الحل الذى لجأ اليه فى حسم الفىء والمغـــانم ليس بالحل الناجح ، وان هذه المشـــكلة ســـتتحول الى هم قال : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لفعلت غير الذى فعلت » .

وبدأ يشاور أصحابه فى البحث عن حل جديد .

وعاجله الموت غيلة .

وجاء عثمان فاشترطوا عليه الا يبدل حلول عمر ، فتحولت مســـألة المغانم والفيوء الى هم ثقيل .

وهـــذا الهم هو الذى قتل عثمـــان بن عفان ، لان الهم اذا طال أمره كسر الظهور .

وهذا الهم نفسه هو الذى قتل عليا بن ابى طالب ، لان الناس لم يدعوه يحل مشكلة الغنائم والفىء والارض والاموال حلا ناجحا ، بل عاجلوه وشـغلوه وفى النهاية قتلوه .

ومعاوية بن ابى سفيان عندما تصور انه انتصر وتربع على عرش الخـلافة لم يلبث ان تبين انه حمل هما ثقيلا ..

وقد حاول أن يتخلص من الهموم بالحيلة والدهاء (شـــعرة معـــاوية) أو بالسيف .

والدهاء مخدر ، ينيم المشاكل ولا يحلها .

والسيف قتال ، والقتل ليس حلا لمشكلة أى انسان ، مثله فى ذلك مثل قطع العقدة بدلا من حلها ، فانك تقطعها وتظل العقدة كما هى ، ولكن تصل الحبـل الذى قطعته لابد أن تعقد عقدة أخرى .

فكأنك استبدلت عقدة بعقدة .

ومثلك فى ذلك مثل الرجل يهبط الحمل الثقيـــل كتفه اليمنى فينقلـه الى اليسرى .

ومعاوية بدهائه وسيفه لم يقتل نفسه فقط بل أباد أهل بيته جميعـا سنة ١٣٢/ ٧٥٠ م .

لأن المشاكل لا تواجه الا بالحلول .

ولا تواجه قط بالحيلة والمكر حلا .

والعقد لا تحل بالقطع .

● وعمر بن الخطاب استطاع أن ينام بهدوء تحت الشجرة لأنه لم يكن يترك المشاكل دون حل. كان يحلها، كان مع المسلمين في ميادين القتال وفي المهاجر الجديدة. كان يفكر معهم ويشترك في حل مشاكلهم، ولهذا فقد استطاع أن يقود الأمة قيادة صحيحة ولم يرفع الهموم.

والسيف، على طول التاريخ لم يحل مشكلة واحدة، وضربة سيف واحدة اليوم ينشأ عنها ألف سيف في الغد ·

وفي عصرنا هذا لم يكن ادولف هتلر رجلا غبيا، ولكنه ظن ان المدفع يحل مشاكل المانيا، وقد انتهت حياته أسوأ نهاية : قتل نفسه بنفسه ومدافع الروس من ناحية ومدافع الامريكيين من ناحية أخرى تصم أذنيه ·

وفي الدوى الهائل مات الرجل الذى انشأ المانيا الحديثة ميتة فأر تحت عجلات قطار ·

لانه لم يحاول ان يحل مشاكل قومه، بل جعل يزيد اكوام الهموم كوما فوق كوم حتى انهارت عليه ودفنته في النهاية ·

***

ومناحم بيجين ومن حوله من أصحاب السيف والعنف والضربات الشريرة الغادرة سيموتون حتما تحت الانقاض اذا مضوا في هذا السبيل ·

لان الذى أعطاه المدفع والطائرة والقنبلة سيعطى خصومه ـ عاجلا أم آجلا ـ مدافع وطائرات وقنابل ·

وهو بسياسته لم يحل همًّا واحدا من هموم اسرائيل، بل جعلها هي همًّا على نفسها وعلى الآخرين وفي مقدمتهم اصدقاؤها ·

وهل بقى لاسرائيل في الدنيا أصدقاء ؟

حتى الولايات المتحدة اصبحت اليوم تضيق باسرائيل · وتصور رجلا مثل بيجين يبلغ به ثقل ظله ان يذهب الى الولايات المتحدة لا ليطلب أموالا لبلاده فحسب بل لكي يطلب اليها الا تبيع للمملكة العربية السعودية سلاحا، لان ذلك فيما يزعم يهدد أمن اسرائيل، ومضى كذلك ليطلب الى امريكا ان تمول من خزائنها عمليات انشاء المستوطنات الاسرائيلية في أراضي الضفة الغربية بمبلغ ٨٠٠ مليون ريال في العام مع أن الولايات المتحدة تدين هذه المستعمرات ·

حقا ان اسرائيل هم ثقيل · هم على نفسها وهم على الغرب الاوروبي الذى كان يؤيدها، وهم على الولايات المتحدة التي تدين لها اسرائيل بكل شيء ·

ولكن الذى يهمنا انها هم الزمان الذى لا ينتهي بالنسبة لنا نحن العرب ·

فهي بهذه السياسة التي تنتهجها في أيام بيجين لم تعد مجرد كيان دخيل في الجسد العربي بل أصبحت سرطانا خطيرا يهدد الوطن العربي كله بكل شر ·

فهي تجد ان من حقها أن تحطم المفاعل الذرى العراقي ·

وتجد ان من حقها أن تحتل أرض لبنان وتضرب بيروت بالقنابل وتقتل المئات وتجرح الالوف ·

وتجد من حقها أن تحفر قناة من البحر المتوسط يمر في أراضي قطاع غزة

البحث عن ابتسامة

ويصب في البحر الميت ليولد لاسرائيل الكهرباء
ولكي تحصل اسرائيل على مزيد من الكهرباء يتخرب قطاع غزة وتضيع الالوف من هكتارات أرض العرب وتفسد زراعات الموالح والبيارات ويعدم الالوف مصادر الارزاق .
ولكي تحصل اسرائيل على مزيد من الكهرباء يخسر الاردن نصف ما يحصل عليها من البوتاس والفوسفات من البحر الميت ، لان الاردن يستخرج هذه المواد من الارسابات المعدنية الوافرة من مياه البحر الميت ، فاذا تدفقت المياه في ذلك البحر ارتفع منسوب المياه وانتعش البحر الميت وهبطت الارسابات الى القشر ..

***

والمهم لدينا هو : ماذا نفعل نحن العرب أمام هم اسرائيل الذى يتزايد يوما بعد يوم ؟
لقد كانت اسرائيل أول أمرها مشكلة ، ولكننا على أسلوبنا في مواجهة المشاكل حولناها الى هم .
وطريقتنا في حل المشاكل هي ان نجلس امامها ونقول لها حلي نفسك !
ونحن نفعل ذلك جريا على فلسفة الشاعر الغافل الذى قال :

دع المقادير تجرى في اعنتها ولا تبيتن الا خالى البال

وتعليقنا على ذلك المذهب هو : اذا كنا جميعا سندع المقادير تجرى في أعنتها ونبيت بيال خال فمن والله يحلها .
يقول لك هذا الشاعر البليد :

ما بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال الى حال

ونقول : نعم هذا حق .
والله سبحانه وتعالى يبدل من حال لحال في طرفة عين .
ولكنه سبحانه خلقنا وخلق لنا العقل لكي نحل به المشاكل ..
وفي غير عالمنا العربي يحلون مشاكلهم ..
وحتى اذا كانت المشاكل مستعصية على الحل في وقت ما مثل مشكلة الاتحاد السوفييتى الذى يريد أن يبتلع الدنيا بما عليها ، فانهم لا يسمحون لها بأن تتحول الى هم ، لانهم لا يكفون عن البحث عن حل .
وانظر الى المؤتمرات التي يعقدونها كل يوم .
مؤتمرات أوروبية عامة ينظمها مجلس أوروبا .
ومؤتمرات السوق الاوروبية المشتركة .
ومؤتمرات حلف الاطلنطى .
ومؤتمرات تحديد السلاح .
وغيرها وغيرها .
ونحن نقرأ أخبار هذه المؤتمرات ونظن انها كلام فارغ واضاعة وقت . ولكنها في الحقيقة محاولات لحل المشاكل ، محاولات لايقاف تحول المشاكل الى هموم حتى مشكلة ايرلاندا لا تسمح بريطانيا بأن تتحول الى هم .
اما نحن ، فبمجرد أن تصادفنا مشكلة نبدأ في اتخاذ الاجراءات اللازمة لتحويلها الى هم .
ولقد قال حامد بن العباس وهو أحد وزراء بني العباس في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى : ان تمشية أمر السلطان على الخطأ خير من وقوفه عند الصواب .

● حلول المشاكل لا تأتى إلا بالهدوء وبوسائل هادئة ، فالعنف لم يحل مشكلة قط ، والسيف لم يقض على عدو ، لأن دم الإنسان الواحد يولد الأحقاد والثارات ويسلم الإنسان للهموم . لا ولا الدهاء يحل المشاكل .. إنه مخدر أو سبيل للهرب ..

وحامد بن العباس كان وزيرا ذكيا ، أديبا حتى لقد كان يوصف بالفطن ..

وهو بكلمته تلك يريد أن يقول : لا تدعوا المشاكل تتحول الى هموم . حلوها أو حالوا حلها ، ودعوا الامور تسير فان سير أمور النــاس على الخطأ خير من ركودها فى انتظار الصواب .

***

لهذا ولاننا متخصصون فى تحويل المشاكل الى هموم أصبحنا أرباب الهموم فى الدنيا ، وأصبح الواحد منا يشعر وهو جالس وكأن رأسه عمامة تملأ الحجرة كلها هموما .

ولهذا أيضا ضاع منا الابتسام وخرج من حياتنا الضحك .

وأصبح الراغبون فى الضحك منا يذهبون للفرجة على مهرجين يسمون أنفسهم ممثلين يرتكبون جرائم ضد الذوق والاخلاق لكى يضحكوا الاحجار المرصــوصة على الكراسى أمامهم .

حتى الصبيان الصغار علمناهم حمل الهموم .

وبينما يذهب التلاميذ الصغار فى الدنيا كلها الى المدرسة لكى يدرسوا شيئا ويلعبوا ويضحكوا شيئا ثم يعودوا الى بيوتهم لكى يستريحوا .. جعلنا نحن المدرسة هما للعيل الصغير ..

ومن السنة الأولى الابتدائية والوله ـ يا عينى ـ يتمرن على فك الخط تدق فى أذنيه جرس الثانوية العامة .. بمجموع كبير .

والتلاميذ الصغار عندنا لا يلعبون كما يلعب الصغار فى بلاد الدنيا كلها بل يخربون ويعربدون .

لان التخريب والعربدة عمليات هروب من الهموم .

وما رأيك فى تلميذ صغير يعود من المدرسة ليأنس بالحنــان فى بيته ولكى يلهو فيجد المدرس الخصوصى فى انتظاره كأنه عزرائيل ..

ومعذور المسكين فى هذه الحالة اذا لم يتعلم الابتسام

وسيظل المسكين عمره كله لا يعرف الابتسام .

ستركبه الكآبة التى تركبنا كلنا .

لاننا من المحيط الى الخليج نجلس امام المشاكل ونقول لها : حل نفسك .

ونذهب الى الفراش لننام خليى البال كما قال الشاعر اياه ، ولكننا لا ننام كل ما يحدث ان نقل كل الهموم على صدورنا تخمد أنفاسنا حتى الصباح .

وفى الصباح ننهض ونرتدى ملابسنا لنذهب الى العمل ، ولا ينسى واحد منا قط أن يضع على رأسه قبل الخروج عمامة الهموم فى حجم الغرفة التى يجلس فيها .

● د . حسين مؤنس ● ●●

الثقافات الأجنبية وترجمتها إلى العربية في القرن التاسع الميلادي

● د. محمد عبدالمنعم خفاجي ●

الثقافات الأجنبية وترجمتها الى العربية قضية شغلت اذهان المفكرين في كل العصور حتى اليوم .

ومن البديهي ان ترجمة الثقافات الاجنبية لا تعني ترجمة ما يسيء الى شخصية الامة العربية او تاريخها او خصائصها او مقوماتها الاساسية من الدين والفكر والحضارة .. والترجمة هي التي نقلت الحضارات القديمة وآثارها الى الفكر الاسلامي .

وقد كان للعباسيين وخاصة في هذا القرن شغف شديد بالعلوم والآداب ، وولع كبير بالمعارف والثقافات ، اذ تنوعت حضارتهم ، واتسع نفوذهم ، وامتد سلطانهم ، حتى شمل كثيرا من الامم العريقة في الحضارة والمعرفة ، والاصيلة في المدنية والثقافية .

وكان من هذه الامم الفرس والروم والهند واليونان ، وهي أمم ذات ثقافات واسعة ... ومن ثم وجد العرب انهم امام معارف يزخر بها العالم المعروف آنذاك ، وكان لا غنى لملكهم ودولتهم عنها . فاقبلوا عليها بكل ما لديهم من شوق الى المعرفة ، ونهم الى العلم ، واخذوا في ترجمة ذلك كله وتعريبه ، واضافوا الى قديمهم جديدا ، والى هذا التراث الزاخر ما تمخض عنه ادراكهم وفكرهم ...

فلليونان حكمتها وفلسفتها وطبها ، ولها فلا سفتها القدماء المشهورون ممن أمثال سقراط وارسطو وافلاطون وغيرهم .

وللكلدانيين شهرتهم في الطب والنجوم ...

وللهند ثقافة واسعة مدونة في الحساب والطب والنجوم والحكمة والآداب ...

وللسريانيين ثقافة واسعة مدونة في النجوم والفلك ورصد الكواكب والطب وكانت مدارسهم القديمة المشهورة تدرس علومهم وآدابهم بالسريانية واليونانية : كمدرسة الرها ، ونصيبين ، وقنسرين ...

وللفرس آدابهم وعلومهم ، التي انتقلت اليهم من الهند والصين ، ومن اليونان ، في عصور مختلفة ، وقد ترجموا الى لغتهم كثيرا من كتب اليونان ومعارفهم كالمنطق وغيره ، كما نقلوا من علوم الهند كتبا في الطب والنجوم والآداب ...

وقديما كان سابور بن اردشير في اواسط القرن الثالث الميلادي يبعث البعوث الى بلاد اليونان لجلب كتب الفلسفة وترجمتها الى الفارسية ، وانشا مدرسة جند يسابور المشهورة ، وكان اساتذتها من الهنود واليونانيين ،

ولما جاء كسرى انو شروان (٥٣١ — ٥٧٨ م) فتح ابواب دولته للوافدين عليه من الفلاسفة اليونانيين الوثنيين الهاربين من اضطهاد « جوستنيان » قيصر الروم لهم ، على اثر اغلاقه المدارس والمعابد الوثنية . وقد اكرمهم وطلب منهم التاليف والترجمة في الفلسفة والنجوم والطب ، كما اكرم وفادة العلماء الهنود والسريانيين .

اتصل المسلمون فى هذا العصر بثقافات جميع تلك الامم وبعلومها ومعارفها وآدابها ... وازدادوا معرفة بقيمتها ، ورغبة ملحة فى الافادة منها ، وكان الفارسيون الذين تسنموا أعلى مناصب الدولة فى العصر العباسى الأول يشجعون نشرها وتداولها ، كما كان الخلفاء العباسيون يقبلون عليها ، ويحثون على ترجمتها الى العربية .

وهكذا بدأت الترجمة فى العصر العباسى صغيرة ناشئة ثم اثمرت ثمرها ، وآتت أكلها بعد قليل .

***

وكان الباعث على العناية بترجمة العلوم الى العربية ما آلت اليه الدولة من حضارة ومدنية ، استلزمتا تشجيع العلوم والآداب . وكذلك رغبة العلماء فى استخدام المنطق والفلسفة فى الدفاع عن الدين . ثم كانت اللغة العربية غالبة على هذه الامم كلها ، فكان لابد من نقل ودائع ثقافاتها الى العربية . ومن هنا نشطت الترجمة ووجدت فى اللغة استجابة وسرعة .

ومن البواعث كذلك تشجيع الخلفاء والأمراء والوزراء للترجمة التى أصبحت هى الصلة الوثيقة بين العرب وعلوم الامم القديمة وآدابها ...

والكثير من مؤرخى الفكر يعدون حركة ترجمة الثقافات فى القرن التاسع الميلادى من أعظم الحوادث الفكرية فى تاريخ المسلمين ، لانها كان لها اكبر الآثار فى سير الحضارة الانسانية .

***

وقد مرت حركة الترجمة فى القرن التاسع الميلادى بثلاثة أطوار :

الأول : من خلافة المنصور الى آخر عهد الرشيد (٧٥٣ — ٨٠٨ م) .. وفى هذا الطور بدأ التمهيد الواسع لحركة الترجمة التى أولاها المنصور عناية كبيرة فائقة ، وبخاصة علوم الطب والهندسة والنجوم . حيث بعث الى امبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله أن يصله بما لديه من كتب الفلاسفة ، واختار لها كبار المترجمين ، وكلفهم باحكام ترجمتها الى العربية كما ذكر ابن خلدون فى مقدمته — ص ٤٨٩ — وصاعد الاندلسى فى كتابه « طبقات الأمم » . وترجمت له الكتب من اليونانية والرومية والفارسية والسريانية والهندية كما ذكر المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » — ص ٤٢١ ج ٤ —

ولم يترجم له شىء من الفلسفة والمنطق وسائر العلوم العقلية ، وانما ترجمت بعد عصره . وكان المنصور معنيا بعلم النجوم عناية شديدة . وقرب اليه من المنجمين نوبخت المنجم الفارسى وأولاده ، وابراهيم الفزارى ، كما قرب اليه جورجيس بن بختيشوع السريانى رئيس أطباء مدرسة جنديسابور ، اذ كان معجبا به ، واتخذه طبيبا له . ومن اشهر المترجمين فى عهده ابن المقفع .

ولما ولى الرشيد بن المنصور الخلافة ، بعد اخويه المهدى والهادى ، كانت الثقافة مزدهرة ، والعلوم منتشرة ، والأذهان متفتحة لقيمة العلم والترجمة فاخذ يعمل بكل جهده على تقوية النهضة العلمية فى دولة الخلافة العباسية ، فقرب اليه العلماء ، وكان يستصحبهم كلما سافر مائة عالم ، واتخذ له أطباء وتراجمة من السريانيين ، كآل بختيشوع ، وآل ماسويه ، وقد ترجمت فى عهده كتب كثيرة فى الطب والنجوم والكيمياء والنبات والحيوان والخيل وفى الفلسفة والاخلاق . وانشا الرشيد فى بغداد « دار الحكمة » التى كانت تحتوى على نفائس الكتب من شتى اللغات . وقد اعيد فى عهده ترجمة الكتب التى سبق ترجمتها فى عهد المنصور . وكان للبرامكة أثر كبير فى العمل من اجل ازدهار حركة الترجمة ونموها .

وفى هذا الطور ترجمت كتب كثيرة : من اهمها :

— كليلة ودمنة من الفارسية على يدى ابن المقفع .

- كتب ارسطو فى المنطق وغيره .
- كتاب المجسطى فى الفلك .

وغيرها . وقد اخذ المعتزلة يقراون هذه الترجمات ويتخذون منها مادة للجدل والمناظرة ...

***

والطور الثانى : لحركة الترجمة يبدأ ببدء خلافة المأمون العباسى وينتهى بانتهاء حكمه (٨١٣ ــ ٨٣٣ م) وكان المأمون عالما متضلعا واسع الثقافة كثير الاطلاع ، وكان نهمه العقلى والعلمى شديداً ، ومن ثم أولى الترجمة عنايته الفائقة ، فاوفد الرسل الى ملوك الروم فى استخراج علوم اليونان لنسخها بالخط العربى ، وبعث المترجمين لذلك ، وانشأ فى بغداد مدرسة لتخريج التراجمة ..

وكان عصر المأمون ازهى عصور الترجمة ، اذ كانت له مشاركات واسعة فى كل العلوم ، وكان يناصر الاعتزال ويحاول تأييد هذه النزعة بمنطق اليونان . وانفق لذلك بسخاء شديد على حركة الترجمة ، حتى كان يعطى وزن ما يترجم ذهبا ، وكان يحرض الناس على قراءة تلك الكتب المترجمة ، ويرغبهم فى تعلمها ، ويخلو بالحكماء ويأنس بمحاضرتهم ...

وتبع الأمراء والوزراء الخليفة فى هذا المجال ، فوفد على بغداد فى عهده عدد جم من المترجمين ...

وكان المأمون فى العرب مثل بريكليس فى اليونان او اغسطس فى الرومان ، فاتم ما بدأ به آباؤه ، واتخذ له بطانة من علماء اليونان والسريان والفرس والهنود ، وامر ولاته بان يبعثوا اليه بالكتب التى تقع فى ايديهم ، وجعل من شروط الصلح بينه وبين ملك بيزنطة ان يرسل اليه مجموعة من الكتب النادرة .

***

اما الطور الثالث : من اطوار حركة الترجمة فقد بدأ بخلافة المعتصم العباسى عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م وانتهى بمقتل المتوكل عام ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م .

ففى خلافة المعتصم فترت حركة الترجمة ، اذ لم يكن للخليفة رغبة فى العلم ، ولا المام بالثقافات المختلفة الشائعة فى عصره ..

وجاء بعده الواثق بالله ، وكان ذكيا ، واسع الاطلاع محيطا بالمعارف والثقافات والعلوم ، يشجع العلم والعلماء . فنشطت حركة الترجمة فى عهده ، واستعادت بعض ما كان لها قبلا من نشاطات ، وان كان أكثر ما ترجم فى عهده هو الاسمار والخرافات ...

وفى عهد المتوكل على الله (٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ) .. كانت قد تمت ترجمة العلوم المفيدة : من طب ونبات ونجوم وغيرها ، وكان المتوكل آخر الخلفاء الذين آزروا حركة الترجمة واعانوا على نقل علوم الأمم الى العربية لغة القرآن الكريم ..

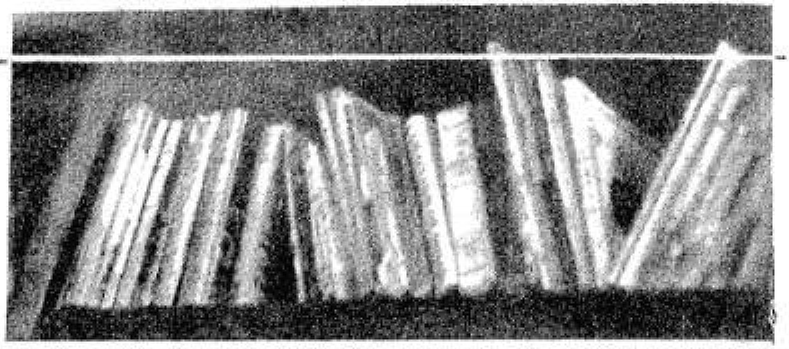
وكانت عناية الخلفاء العباسيين الأولين بالادب والشعر ، فوق الترجمة ، تفوق كل عناية .

ويصور لنا أحد رواة الادب فى ذلك العهد جانبا من ميول هؤلاء الخلفاء الادبية المتعددة ، وهذا الراوية هو اسامة بن معقل ، فيما رواه ابن الفقيه فى كتابه « مختصر البلدان » ــ صفحة ١ و٢ طبع بريل عام ١٣٠٢ ، قال اسامة :

« كان السفاح راغبا فى الخطب والرسائل ، يصطنع أهلها ، ويثيبهم عليها ، فحفظت الف رسالة والف خطبة ، طلبا للحظوة عنده ، فنلتها » .

« وكان المنصور معنيا بالاسمار والاخبار وايام العرب ، يدنى اهلها ، ويجيزهم عليها ، فلم يبق شىء من الاسمار والأخبار الا حفظته ، طلبا للقربة منه ، فظفرت بها » .

« وكان موسى (الهادى) مغرما بالشعر ، يستخلص اهله ، فما تركت بيتا نادرا ، ولا شعرا فاخرا ، ولا نسيبا سائرا الا حفظته . واعاننى على ذلك طلب الهمة فى علو الحال .



« ثم زهد الرشيد في هذه الاربعة، وانسيتها ، حتى كأنني لم احفظ منها شيئا » .

ولم يذكر لنا اسامة رأيه في محمد المهدي ، ولا في المأمون ..

وما قاله أسامة عن الرشيد موضع تأمل ، اذ كان الرشيد محبا للأدب والشعر ، ومقربا للأدباء والشعراء ، ونبغ في عهده اعلام الأدب والشعر في اللغة العربية . ولكن يبدو أن أسامة لم يكن من سمار مجالس الرشيد ولا المأمون .. او انه ادرك عصرهما كبير السن ، فعجز عن اللحاق بالرواة المجيدين من الشباب .

***

ومن أشهر المترجمين في القرن التاسع الميلادي :

أ — من اليونانية : الحجاج بن يوسف ابن مطر (٢١٤ هـ) وكان من جملة المترجمين في عهد المأمون ، وقام بنقل كتابي اقليدس والمجسطي الى العربية ، ثم اصلح نقله فيما بعد مترجم آخر مشهور هو ثابت بن قرة الحراني .

وكذلك موسى بن شاكر ، وكان من المترجمين للمأمون ، وسار على نهجه اولاده الثلاثة : محمد ، واحمد ، والحسن .

وكذلك آل حنين بن اسحاق العبادي شيخ المترجمين (١٩٤ — ٢٦٤ هـ) ، ثم ابنه اسحاق المتوفى عام ٢٩٨ هـ ، وكذلك ابن اخت حنين بن اسحاق وهو حبيش الدمشقي .

وكذلك آل بختيشوع ، وهم من السريان ، وقد خدموا الخلفاء العباسيين من المنصور الى المتوكل .

وقد ترجم هؤلاء وسواهم كثيرا من علم اليونان وفلسفتهم وحكمتهم ومعارفهم في المنطق والطب والهندسة والسياسة والاقتصاد والاجتماع والاخلاق .. ومن اشهر مترجماتهم : كتاب السياسة نقله حنين بن أسحاق ، وكتاب الأخلاق ترجمة اسحاق ; وكتب جالينوس واقليدس ، وقد نقل الحجاج ابن مطر كتاب أصول الهندسة لاقليدس .. وكذلك ترجموا اصول فلسفة سقراط وافلاطون وارسطو .

ب — ومن المترجمين من الفارسية : عبد الله بن المقفع (١٤٣ هـ — ٧٦٠م) ، وآل نوبخت ، والحسن بن سهل ، وجبلة بن سالم ، واسحاق بن يزيد ، وهشام بن القاسم ، وسواهم .

وقد ترجموا عن الفارسية كتبا كثيرة من أشهرها : « كليلة ودمنة » الذي ترجمه ابن المقفع عن الفهلوية ، وكتاب خداى نامة ، وقد ترجمه ابن المقفع ايضا ، وسماه « كتاب سير ملوك الفرس » ، وترجم كذلك الأدب الكبير، والأدب الصغير ، والدرة اليتيمة ، وكتاب « التاج في سيرة انو شروان ».

ومما ترجم عن الفارسية أيضا : عهد اردشير ، وتوقيعات كسرى ، وهزار افسانه ، ومعناه الف خرافة ، وهو اصل من اصول «الف ليلة وليلة»، وكتاب ادب الحرب .. وغيرها .

جـ — ومن مشهوري المترجمين من الهندية : العديد من كتب الطب والنجوم والفلك والرياضة والحساب والتاريخ والاسمار . ومما ترجم من الهندية : كتاب سندباد الكبير والصغير ، وكتاب بيدبا في الحكمة ، السندهند في الفلك

الذى ترجمه محمد بن ابراهيم الفزارى .

كما ترجم عن العبرية والقبطية والكلدانية والسريانية الكثير من نفائس المؤلفات .

***

وقد اهمل الأدب اليونانى فى الترجمة، اذ كانت عناية المترجمين الاولى بفلسفة اليونان وحكمتهم ، فترجموا الكثير من مؤلفات ارسطو ، وشروح علماء مدرسة الاسكندرية القديمة عليها ، وكتب افلاطون ، والعديد من كتب جالينوس فى الطب ، وجملة ما ابتكره العقل اليونانى فى العلم والفلسفة ...

اما فى الآداب فلم يترجموا شيئا منها من اليونانية ، مع وفرة ما لليونان والرومان من آثار ادبية عالية وبخاصة فى القصص والتمثيل . على أنهم قد ترجموا بعض مؤلفات فى علوم قريبة الى الأدب كالتاريخ والأسمار ، وينقل ابن النديم فى كتابه « الفهرست » أسماء كتب للروم فى هذين الفنين ترجمت الى العربية – ص ٣٠٥ و ٣٠٦ الفهرس .

وترجم من اليونانية كذلك الكثير من الحكم والأمثال ، مما تحفل به مصادر الأدب العربى : كالبيان والتبيين ، والحيوان ، وعيون الأخبار ، والعقد الفريد ، وغيرها .

ويروى ابن النديم ان على بن النصرانى نقل كتابا فى الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب – ٣١٦ الفهرست – وترجم المترجمون هذه الأمثال والحكم بعد تجريدهما مما يختلط بهما من أسماء ، وما يلابسهما من مظاهر الحياة الاجتماعية للشعب اليونانى .. اذ هما قريبان من الف العربى ، وليس فيهما ما ينفره منهما من اساطير ، ولا يحتويان على اوزان شعرية بعيدة عن ذوق العربى .. وكذلك تساقط الى العرب بعض آراء **فى البلاغة والنقد مما يؤثر عن بعض اليونانيين ...**

اما الأساطير والملاحم والتمثيليات والخطابة والشعر الغنائى والرسائل الادبية فلم يترجم منها شىء الى العربية .. والياذة هوميروس وما شابهها من الآثار الأدبية لم تترجم الى العربية .

وقد يكون اعتزاز العربى بلغته وآدابها سببا فى اهمال ترجمة الآداب اليونانية الى العربية .. ولعل فى هذا ما يفسر لنا غض نقاد العرب المتأخرين من ادب اليونان وثقافتهم فى صناعة البيان ، فهذا ابن الأثير يذكر لنا فى كتابة « المثل السائر » أن الشعر والخطابة فى الأدب العربى لم يتأثرا بثقافة اليونان البيانية .. وتفى هو أن يكون قد تأثر فى رسائله وكتابته بما ذكره علماء اليونان فى حصر المعانى وذكر انه اطلع على ما كتبه ابن سينا فى الخطابة والشعر فلم يوافق ذوقه ، بل رأى أن ما ذكره ابن سينا لغو لا يستفيد به صاحب الكلام شيئا .

وكان العرب يؤمنون انهم اوفر الامم حظا ، واعلاهم كعبا ، واكثرهم آثارا فى الأدب والشعر ، فهم فى غنى عن ترجمة شىء من آداب الأمم القديمة الى العربية وبخاصة ان عنايتهم كانت موجهة حضاريا الى العلوم وما هم فى حاجة ماسة اليه من ثقافات ومعارف .

أما الأدب الفارسى فقد ترجموا منه العديد من الآثار فى الحكمة والامثال والسياسة والاخلاق والاجتماع مما ليس فيه شىء من الأساطير والوثنيات التى يحفل بها الأدب اليونانى . وكان بعض النقاد والعرب يعبرون عن اعجابهم بأدب الفرس ، حتى لنجد ابن الأثير (٦٣٧ هـ) يقول فى كتابه « المثل السائر » :

« ان وجدت العجم يفضلون العرب فى الاسهاب ، مع الاحتفاظ بالجودة ، فان شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من أوله الى آخره شعرا ، وهو شرح قصص واحوال ، ويكون مع ذلك فى غاية الفصاحة والبلاغة فى لغة القوم ، كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف

بشاهنامة وهو ستون الف بيت من الشعر ، يشتمل على تاريخ الفرس ، وقد أجمع فصحاؤهم على انه ليس فى لغتهم افصح منه ، وهذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها ، وتشعب فنونها ولا أغراضها . وعلى ان العرب بالنسبة لهم كقطرة من بحر » .

ولقد لقيت الآداب الفارسية الكثير من العناية ، والاهتمام بترجمتها ، وذاعت فى الوسط الأدبى العربى ذيوعا كبيرا .

وعلى حين كان التأثير الكبير لليونان فى اللغة العربية انما هو لعلومهم وفلسفتهم لا فى آدابهم ، نجد الأمر بالعكس بالنسبة للفرس ، مما يدل على أن الآداب الفارسية كانت أكبر تأثيرا فى الأدب العربى من الآداب اليونانية ، وأصبحت زعامة التجديد فى الأدب العربى شعره ونثره ، فى عصر نفوذ الخلفاء العباسيين ، وبخاصة فى القرن التاسع الميلادى ، معقودا لواؤها بيد المثقفين بالثقافة الفارسية والعربية : فعبد الحميد الكاتب وابن المقفع هما اماما التجديد فى النثر فى هذا العصر ، وبشار وأبو نواس شقا طريق التجديد للمولدين فى الشعر ، وكان نتاج العرب الذين يجيدون الفارسية ، والفرس الذين يجيدون العربية ، يجمع خير ما فى بلاغات العرب والفرس جميعا ، من معان وخيالات وأساليب ، لذلك أحدثوا آثارا كبيرة فى الشعر والنثر : فجددوا فى المعانى والخيالات والأغراض وطرق الأداء ، وبعد ان كان الأدب فى عهد بنى أمية عربيا خالصا ، ولم يكن للفرس الا مدارسته وحفظه وروايته ، أصبح فى عهد الخلافة العباسية يزدان بأحلى وأروع ما فى أدب الفرس من معان وأخيلة ، وتعددت الأغراض ، واتسع مجال التفكير والخيال ، وظهر التأنق فى التعبير ، مع المحافظة على فصاحة العربية والأخذ بأساليبها ، حتى ليقول الجاحظ عن موسى بن سيار ، وهو أحد من حذق الفارسية والعربية ، وأشهر القصاصين فى هذا العصر :

« كان من أعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية .. » ومثله كثير ممن أجادوا اللغتين ، وجمعوا بين الثقافتين كابن المقفع وسهل بن هارون والفضل بن سهل وغيرهم .

***

هذه هى مسيرة الترجمة فى القرن التاسع ، حيث كانت الدولة وكان المثقفون يعنون عناية شديدة بحركة الترجمة ، وبالعمل على نقل الثقافات الى اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .

وكان العتابى الشاعر لصلته بالثقافة الفارسية جيد المعانى والأخيلة ، وسئل : « لم كتب كتب العجم ، فقال : وهل المعانى الا فى كتب العجم ، فالبلاغة لنا والمعانى لهم » . ويقول أبو هلال العسكرى « ان للفرس أشعارا لا تضبط كثرة » .

وقد لقيت الآداب اليونانية عناية كبيرة فى العصر الحديث ، فترجمت فى مطلع القرن العشرين الياذة هوميروس الى اللغة العربية ، كما ترجمت قصص وتمثيليات يونانية قديمة ، كما لهما تأثيرها فى الخيال العربى ، وفى نمو الأدب المعاصر وازدهاره .



أخطر مخاطر البيئة..

«التلوث»

● د . محمد عاطف كشك ●

قد لا يكون التلوث هو اشد مشكلات البيئة خطرا ، لكن لان تهديده لصحة الانسان وامنه يكون تهديدا مباشرا في معظم الاحيان ، فان الكلام عن التلوث اصبح متداولا بشكل يغطي احيانا على انواع اخرى من المشكلات البيئية ربما كانت اكثر خطورة من حيث تأثيرها ومداها من كل صور التلوث المعروفة ! .

والخطوة الاولى لفهم وتناول مشكلات البيئة هي تحديد وتعريف هذه المشكلات

● ما هي مشكلات البيئة ؟

هناك قوائم عديدة للمشكلات البيئية وتصنيفات متنوعة لها ، وامثلة اكثر تعددا وتنوعا عن تأثيراتها واخطارها .. وهذه القوائم والتصنيفات والامثلة تعطى على نطاق عالمي او اقليمي أو قومي أو محلي ، وهي تتفاوت كمالا ونقصا ، لكنها في النهاية تتفق جميعها على أن مشكلات البيئة الانسانية مثال للتعدد والتنوع والتشابك ، كما أنها تعطي فكرة عما يتعرض له الانسان في البيئة التي يعيش فيها من أخطار ، وتعطي في النهاية تبريرا قويا لظهور مدرسة المتشائمين التي ترى أن مستقبل الانسان على الارض أصبح مهددا بشكل لم يسبق له مثيل !

وفيما يلي سوف نتعرض لاهم مشكلات البيئة ونعطي امثلة لها ، وان كان يجب ان نؤكد منذ البداية ان هذا العرض للمشكلات البيئية لن يكون كاملا بحال نظرا للحيز الكبير الذي يحتاجه الموضوع اذا اريد له ان يكون قريبا من الكمال ، ولان الهدف هنا ليس هو عرض قوائم متكاملة للمشكلات البيئية ، وانما هو مجرد اعطاء امثلة تقربنا من الفهم الصحيح لعلاقة الانسان بالبيئة .

ويمكن في البداية تصنيف مشكلات البيئة في خمسة أنواع كبرى :

● أولا : تدهور أو فقد الموارد الطبيعية :

والموارد الطبيعية مثل الارض بما تحمله على سطحها من تربة صالحة للزراعة ونموات نباتية وكائنات حية وأجسام مائية ووديان وجبال .. الخ . وما تدخره في باطنها من ثروات مثل الفحم والبترول والذهب والرصاص والفضة وغيرها من المعادن ، وكذلك مستودعات المياه الجوفية ، ثم ما يغلف الارض من غلاف غازي يحتوي الاكسجين والنتروجين والاوزون وغيرها من الغازات

هذه الموارد الطبيعية كانت باستمرار موجودة ومسخرة لخدمة الانسان يستعملها لتهيئة وسائل عيشه ، وكان استعمال هذه الموارد على مر التاريخ الانساني يتصف بالحكمة والتعقل بحكم اعداد الناس القليلة واحتياجاتهم المحدودة . ولكن عندما حدث الانفجار

السكاني حديثا جدا ، وحدث الانفجار اكثر خطورة في تطلعات الناس واحتياجاتهم ورغبتهم في الاستهلاك ، كما حدث انفجار أكثر عنفا في قدرات الانسان على تغيير الطبيعة فاصبح في مقدوره ان يهدم الجبل ويشق الانهار ويغزو اعماق الارض واجواز الفضاء ، واصبح يفعل كل ذلك بسرعة ومقدرة لم يكن يملكها ولا يقدر عليها جيل الجدود الاوائل - كل ذلك جعل الانسان في الوقت الذي يغير فيه الطبيعة ، فانه يدمرها ويخربها ..

فالارض بفعل الضغط الشديد عليها والاستعمال الخاطيء لها ، تتحول الى صحراء جرداء ، والهواء يتلوث ، والمياه تتلوث ، والفحم والبترول والمعادن تستنفد ، والغابات تقتلع وتحرق ، والنباتات والحيوانات البرية تنقرض • وكل ذلك بفعل الانسان !

● ثانيا : التلوث البيولوجي :

مثل انتشار الامراض والآفات العديدة التي تصيب الانسان والحيوان والنباتات ورغم ان الانسان بما حققه من تقدم علمي وتكنولوجي تقضي على كثير من الامراض والآفات ، فانه أيضا وبنفس القدرة تسبب في ظهور انواع اخرى كثيرة من الامراض والآفات ..

ثالثا : التلوث الكيماوي :

مثل تلوث الماء والهواء والتربة والاغذية بعوادم السيارات والجرارات ومخلفات الصناعة والمبيدات والاسمدة والمنظفات وغيرها .. وهذا هو النوع الحاد من التلوث والذي لفت الانظار اليه لخطورته المباشرة •

وهناك أنواع عديدة من ملوثات البيئة غير اننا سوف نذكر فيما يلي ما يسمى بالملوثات الكبرى ونرى مصادرها وآثارها

١ - ثاني اكسيد الكربون :

وهو ينتج عن استهلاك الطاقة في محطات القوى والصناعة والاستعمال المنزلي ، والبعض يرى ان تراكم ثاني اكسيد الكربون في السنوات الاخيرة بمعدل ٢ر٪ سنويا قد لا يؤثر على تنفس الانسان ولكن يمكن أن يكون له تأثير مؤكد في رفع درجة حرارة سطح الكرة الارضية ، وهذا سوف تكون له آثار ضارة بعيدة المدى •

٢ - أول أكسيد الكربون :

وهو أيضا ينتج من محطات انتاج الطاقة ومن النشاطات الصناعية ومن احتراق الفحم، وكذلك فهو ضمن مكونات عوادم السيارات • وعند وجود أول اكسيد الكربون في الجو أعلى من نسبة معينة ، فانه يسبب كثيرا من أمراض الجهاز التنفسي ، ويسبب دمارا للمباني الحجرية وبعض أنواع الانسجة الصناعية وكذلك يسبب اضرارا للنباتات ..

٣ - اكاسيد النتروجين :

تنتج من تشغيل السيارات والطائرات ومحطات انتاج الطاقة ، ومن التسميد الكثيف بالاسمدة النتروجينية ، ومن حرق الغابات ومخلفات المنازل •

وتراكم هذه الاكاسيد يسبب بعض الامراض للاطفال ، كما أن تراكمها في البحار والبحيرات يسبب نقص التهوية بها وذلك يسبب مشاكل للاسماك وقد يقضي عليها تماما ..

٤ - الفوسفات :

وهي توجد في المخلفات العضوية والمنظفات ،وفي الاراضي المسمدة تسميدا كثيفا ، وهي مثل أكاسيد النتروجين تسبب دمارا للحياة في الاجسام المائية •

٥ - الزئبق :

وهو ينتج من بعض العمليات الصناعية والتعدينية وخاصة تكرير المعادن وصناعة الورق ، وينتج كذلك من استعمال بعض المبيدات الفطرية •

وهو ملوث خطير للاغذية ، وخاصة الاغذية البحرية ، وله تأثير سام قد لا يظهر منذ البداية ، لكنه يتراكم في الاجسام الحية لسنوات طويلة •

٦ - الرصاص :

ينتج من احتراق وقود المحركات وبعض الصناعات الكيماوية ومن استعمال بعض المبيدات الحشرية وله تأثير سام تراكمي ينتج عنه تثبيط الانزيمات وتعطيل عمليات البناء في الخلايا ، وهو يتراكم في الرواسب البحرية ومياه الشرب ، وقد تصل كميته في الاسماك الى درجة خطيرة •

٧ - زيت البترول :

يحدث التلوث به اثناء استخراجه ونقله ، وكذلك من حوادث السفن .

وبعض مكونات زيت البترول مسببة للسرطان ، وتلويث الشواطىء به يضر الاسماك والطيور البحرية ويهدد النشاط السياحي .

٨ - مبيدات الحشرات :

وخاصة ما كان منها مقاوما للتحلل أي يظل وجوده وتأثيره في البيئة فعالا لسنوات طويلة الـ د . د . ت ، والدلدرين ، والهبتاكلور ، وهي تستعمل في الزراعة رغم ان معظم الدول قد حظرت استخدامها بعد أن ثبتت آثارها الضارة ، حيث انها تلوث مياه البحار فتضر الاسماك والحشائش التي تتغذى عليها الاسماك .

وهي تتراكم في الاغذية النباتية والحيوانية وتنتقل منها الى جسم الانسان وبعضها قد يكون مسببا للسرطان ، كما أن استعمالها في الزراعة يقلل من اعداد الحشرات والطيور والحيوانات النافعة .

٩ - المواد المشعة :

وينتج ٩٩٪ منها من المفاعلات النووية و ١٪ من الحوادث النووية واختبار الاسلحة ، وهي تسبب زيادة في الطفرات الوراثية . والكميات التي وجدت منها في بعض الاغذية وخاصة اللبن قد تسبب أضرارا شديدة .

رابعا : الاضطرابات الطبيعية :

كما هو الحال في التلوث الحراري أي ارتفاع درجة الحرارة في الهواء أو في المياه المجاورة والقريبة لمحطات انتاج الطاقة والمصانع ..

ومن أمثلة الاضطرابات الطبيعية أيضا تراكم الرواسب سواء كانت رواسب مائية على شواطىء الاجسام المائية أو رواسب محمولة بواسطة الرياح ، والمثل الواضح لها الاتربة التي تحملها رياح الخماسين وترسبها على الشوارع والناس والمنازل والمصانع والمزارع وكل مكان مسببة اضرارا صحية واقتصادية كثيرة .

كما ان الضجيج وخاصة في المدن والاماكن المزدحمة ، يعتبر واحدا من المخاطر البيئية الهامة .

● خامسا : الاضطرابات الاجتماعية :

مثل الجهل والتعصب وفقدان الحس الاجتماعي وكافة انواع المضايقات التي التي يسببها الناس لبعضهم البعض أو حتى لانفسهم . ومثل هذه المشاكل تعتبر ضمن اخطار البيئة ، حيث أن مشكلات البيئة تتضمن كافة أنواع المشكلات التي تقلل من سعادة الانسان وأمنه واستمتاعه بحياته .

والآن وصلنا الى النقطة التي يمكن لنا فيها تقسيم مشكلات البيئة من حيث نوع الخطر الذي تمثله بالنسبة للانسان او البيئات الغير انسانية . ويمكن تقسيمها على هذا الاساس الى ما يلي :

أولا : مشكلات تؤدي الى اخطار على صحة الانسان وامنه :

كما هو الحال في مشكلات الصحة العامة ، فتلوث الهواء يسبب امراض الجهاز التنفسي وبعض الامراض الجلدية ، كما ان الاشعاعات يمكن أن تسبب السرطان ، وتلوث الماء تنتج عنه امراض عديدة مثل البلهارسيا وحمى التيفود ، وقد يصل الحال الى التسمم .

كما ان الضجيج يسبب الاضطرابات العصبية وقد ينتج عنه نقص في حاسة السمع أو فقدان السمع كلية !

● ثانيا : مشكلات تؤدي الى نقص الرخاء المادي للانسان :

وهذه امثلتها عديدة للغاية ، فتدهور الموارد أو فقدها ينتج عنه نقص في كمية السلع والخدمات المطلوبة لاشباع الحاجات المادية للانسان . فتدهور الارض والجرافها ونقص خصوبتها ينتج عنه نقص مباشر في الكميات المتاحة من مواد الغذاء والكساء والسكن ، وهي أهم الاحتياجات الاساسية للانسان .

وتلوث الهواء يمكن أن يسبب هلاك

المحاصيل والاخشاب والمباني وطلاء المباني .. وتلوث الماء ينتج عنه نقص المحاصيل وكذلك تدهور الارض عند ريها بماء ملوث ، كما انه يرفع التكاليف اللازمة لتنقية المياه قبل امكان استعمالها للاغراض المنزلية أو فى الصناعة .

واحيانا يصل تلوث المياه الى درجة لا يمكن معها استعماله فى الرى (زيادة الاملاح والقلويات او المواد السامة للنبات مثل البيكربونات والبورون) او فى الشرب (زيادة المواد السامة للحيوان والانسان) او زيادة النترات الناتجة عن استعمال كميات كبيرة منها فى التسميد وغسيل وكميات منها الى مصادر مياه الشرب) .

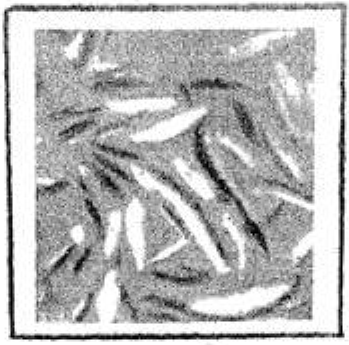
هذا بالاضافة الى ان تلوث الماء يقلل او قد يقضى على الثروة السمكية .

واذا انتقلنا الى مبيدات الآفات فهى قد تقضى على الاعداء الطبيعية للحشرات من الطيور والحشرات الاخرى ، كما ان المبيدات قد تتراكم كلما صعدنا فى السلسلة الغذائية (نبات – حيوان – انسان) وتصل الى تركيز فى الاسماك يجعلها غير مأمونة فى الاستعمال الادمى أو فى النباتات لتجعلها غير صالحة للاستهلاك بواسطة الحيوانات أو الانسان

● ثالثا : مشكلات تؤدى الى نقص الاستمتاع بالحياة :

وهى المشاكل ذات الطابع الاجتماعى والنفسى والجمالى ، مثل الضجيج والروائح الكريهة الناتجة عن تلوث الهواء ، والطعم الردىء فى الماء أو الاغذية ، وتدهور وفقدان المعالم ذات القيمة التاريخية أو الثقافية أو الجمالية ، وتدهور ونقص وفقد أماكن الترفيه والاستمتاع مثل الغابات والمسطحات الخضراء والحدائق ، وتلوث الشواطىء بالزيت أو النفايات ، وكذلك تشويه المناظر الطبيعية الجميلة بمنشآت قبيحة .

كما ان الاضطرابات الاجتماعية حتى وان كانت لا تمس بعض الافراد أو



تلوث البيئة : اكثر الاخطار التى تواجه الانسان

المجموعات الا ان تأثيرها فى جعل الحياة غير مستحبة يعم الجميع بلا استثناء .

● رابعا : مشكلات تؤدى الى تدهور البيئات غير الانسانية :

وهذه متعلقة بتدهور الطبيعة أو فقد بعض مظاهر الحياة البرية النباتيه أو الحيوانية ، فكثير من الطيور والحيوانات والنباتات تنقرض وتهلك بفعل النشاطات الانسانية .

وقد لا يقدر البعض أهمية تدهور الطبيعة وانقراض بعض صور الحياة ، ولكن اهمية ذلك لا تقتصر فقط على النواحى العلمية ولكنها تمتد الى انها قد تؤدى الى بعض الخلل فى الاتزان الطبيعى وهذا قد تكون له آثار بعيدة المدى لا يستطيع احد ان يتكهن بها .

● والآن ، ارجو ان يكون قد اتضح من العرض السابق ان مشكلات البيئة لا تقتصر على التلوث ، بل ان تلوث الماء والهواء والاغذية ليس الا صورة واحدة من صور عديدة للغاية لمشكلات قد يصعب حصرها ..

وليس هدفنا من هذه الامثلة الا التقدم خطوة اخرى الى الامام لمحاولة استخلاص عدد من السمات العامة لمشكلات البيئة ، حيث ان فهمنا للسمات العامة لهذه المشكلات هو الطريق الوحيد الذى يمكننا من التعامل معها وحماية البيئة التى نعيش فيها من التدهور والخراب . ●

ماذا يكتب نجيب محفوظ؟

● **لقاء مع اديبنا الروائي الكبير نجيب محفوظ على شاطىء الاسكندرية ...**

كان وحده في جلسة شاعرية جميلة يرقب البحر من خلف زجاج النافذة ... ولعله كان يتساءل اين ذهب الاصدقاء ؟

واسأل نفسي ترى هل يفكر في مشروع رواية جديدة ... او يتابع في فكره نسيج احداث ليالي الف ليلة التي تنشر تباعا هذه الايام ... ام تراه يسرح خاطره في واحدة من اعماله التاريخية مثل : « بين القصرين » ...

... وتقدمت احييه واسأله عن مشروعاته الروائية للموسم الجديد ، بعد اجازة الصيف ؟..

ويجيب كاتبنا الكبير نجيب محفوظ: بالنسبة للموسم القادم فانني ارجو ان اتم روايتين شرعت في كتابتهما ... الاولى « باقي من الزمن ساعة» وهي من تاريخ ثورة يوليو... والثانية رواية اسمها « رحلة ابن فطومة »

والاولى ستتناول فترة من الزمن اطول من فترة الثلاثية ، ولكنها ستظهر في كتاب قد لا يزيد عن ١٥٠ أو ١٦٠ صفحة ، ولذلك فهي تجربة اسلوبية قبل كل شيء ، اضطررت الى ذلك بحكم اني اكتب عن تاريخ معروف، وانا اكتبها من الناحية النفسية وطبعا من اهم الاحداث البارزة فيها .

والثانية ... رواية على نسق رحلة ابن بطوطة ، وهي سر من ناحية المضمون ... والمهم هنا انها رواية رحلات لواحد من مصر ، الى ... الى وسمعت عنها وقرأت ... ولكن هذه الرواية الآن سر ... وانا اضع احداثها من افكاري ، وقد سميتها « رحلة ابن فطومة » وذلك تيمنا نسبة لاسم والدتي ...

● وقلت لأديبنا الكبير نجيب محفوظ اسأله : الآن ... ما هو تصورك

لمستقبل الادب عامة والرواية خاصة في مصر ؟ ...

قال : كل ما استطيع ان اقوله بان الرواية كفن للكلمة المكتوبة لن تختفي ... سيظل لها وجود ، ولها كتاب وقراء ... ولكن في حدود ضيقة اذا قسناها بالرواية التليفزيونية ! ..

الرواية التليفزيونية هي السائدة ، لأن لها جمهورا بالملايين ... والرواية المؤلفة لها قراء بالمئات فقط ! ..

وهناك الفوائد العالية من الرواية التليفزيونية ، فقد يحصل المؤلف على الالاف مما يغنيه عن اى عمل آخر ... في أوروبا قد يعيش الكاتب طيلة عمره من رواية واحدة ... والآن حدث هذا في مصر من الرواية التليفزيونية ! ..

الرواية التليفزيونية لا تتعرض لرحلة التجربة نحو النجاح او السقوط ... انها تذاع في اكثر من عشر حلقات ولا اتصور أن يحدث هذا للرواية المكتوبة ، لان هناك أجيال جديدة ستظهر وتجد أن الرواية موجودة فقط في التليفزيون ... وقد يكون ظهور قارىء او قراء من ذلك الجيل ظاهرة استثنائية ، مثلا ما الذي يجعل قارئا يمضي شهرا في قراءة رواية مثلا كالحرب والسلام على حين انه يستطيع أن يراها في ساعة على شاشة التليفزيون ، ومن احسن تمثيل واجمل الممثلات !

وعدت اسأله :

ـ ما الذي يمكن ان نصنعه اذا كان هناك كتاب مسلسلات تليفزيونية ليست لديهم المقدرة الادبية التي تربي الذوق الأدبي والفكر السديد ؟ ..

قال : ان التليفزيون يوازن ... هناك مسلسلات اجنبية غاية في الروعة ... وهناك مسلسلات عربية ايضا جيدة كل زمن له طريقته في التذوق ، ويمكن في حدودها أن يقدم التليفزيون اشياء طيبة جدا ، اذا صدقت النية ...

لقد تغيرت في الدنيا اشياء كثيرة ...



نجيب محفوظ ـ وسر الرواية الجديدة

وفي مطلع شبابنا كنا نجلس في المقهى ونستمع الى القصص من الراوي على الربابة ...

ـ بالمناسبة هل روايات نجيب محفوظ كلها صدى من الاحداث وتطور السنين ... ام ان بعضه يلعب الخيال فيها جانبا كبيرا ؟!

واجاب نجيب محفوظ : الرواية بناء خارجي قد يستمر عاما وعموما الفن يعكس نبض المجتمع واحساس الفنان على مدى مجرى السنوات وتغيراتها ، والطبيعي ان الفنانين في شبابهم يستلهمون المجتمع لانهم يخوضون حياتهم فيه ، وكلما تقدم بهم العمر وتطورت وقلت حركتهم فانهم يعتمدون في استلهامهم على ما كان من تجارب وذكريات في المجتمع ... والفنان قد يفوته كثيرا من التغيرات الاخيرة او يفوتها ولكنه يهضم خلاصة تجاربه ... في مثل هذه العزلة لا يبقى معك الا نفسك وما هضمته فانت ترجع للذاكرة ، للتاريخ ، وما في بدله ...

شكسبير جال في الماضي جولات صادقة في تاريخ انجلترا القديم والمعاصر ، خلق منه عالمه ، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن غير المقطوع الصلة بالقيم الاجتماعية والخلقية ...

● اماني فريد ●

لماذا قال أمين الخولى إن صحتنا الأدبية محتاجة للفحص ؟

● د . عبد العزيز شرف ●

● ان النظر الى حاضر النقد الادبى العربى يرينا ان مجهودات « معتددة جدا ، بذلت لربط الحاضر بالماضى ، والنظر اليهما على انهما قيمة واحدة ، مستمرة . وهناك احساس عام بان الماضى يكون بذاته دائرة شبه مغلقة ، ويسرف البعض فيتصور ان قصارى ما يستطيعه « الحاضر » هو ان يشرئب ليقتبس من العصور الذهبية الماضية التى تصور احيانا على انها قد توافرلها نوع من الكمال المطلق .. على ان هناك اسرافا آخر يتجلى فى جانب بعض دعاة « الحداثة » و « المعاصرة » اذ يدعى الحاضر روافد ومؤهلات لم تكن متاحة للماضى ، الأمر الذى يعنى أنه يكاديكون منبتا عن الماضى » .

هكذا يبدأ الدكتور محمود الربيعى طرح قضية النقد الأدبى العربى المعاصر ، فى تقديمه لترجمة كتاب : « حاضر النقد الأدبى » الذى يضم مقالات تقدم وجهات نظر لنقاد متخصصين من بلاد متعددة ، اختيروا بعناية من قبل « الملحق الأدبى للتايمز » ؛ وبهدف تقديم صورة النقد الأدبى فى زماننا وعالمنا .

والغالبية العظمى من كتاب هذه المقالات من أساتذة الجامعات ، مثل : رتشارد هوجارت ، وجراهام هيو ، ور . ف . ليفيز ، وو . د . روبسون ، وجورج سينير ، من الجامعات الانجليزية ومن الجامعات الامريكية هارى ليفين ، ول . سى . نايتس ، ورينيه ويليك .

ومن الجامعات الفرنسية ريمون بيكسار ، ورونالد بارتيس ... ومن الجامعات الألمانية هانزمايير : واميل ستايجر ..

وهناك الى جانب هؤلاء داماسو الونسو وهو استاذ جامعى اسبانى ، وامبرتواكو وهو استاذ جامعى ايطالى ، وجان كوت وهو أستاذ جامعى بولندى . وهناك من خارج الجامعات ، الانجليزى جون واين الروائى والناقد ، والايطالى اميليو كاكيى وهو ناقد .

وتشترك الاتجاهات النقدية لدى هؤلاء جميعا فى تناول نقاط كثيرة من نقاط الدرس الأدبى ، بجعلنا نذهب مع الدكتور الربيعى ، الى ضرورة الالتحام بين التراث والحاضر فى النقد العربى المعاصر ، والنظر اليهما على انهما

قيمتان متكاملتان لاقيمتان متباينتان، بل اننا قد نصل ـ على حد تعبيره ـ « الى انهما قيمة واحدة . وتحقيق انجاز ذى قيمة فى هذا المجال يحتاج الى بذل جهد فى سبيل تصفية مسائل الرؤية الصحيحة . ينبغى ارساء روح التسامح فى النظر الى الامور ، والقضاء على التعصب فى بعض المجالات ، كما ينبغى دعم المؤهلات اللازمة لتناول تراث الماضى وانتاج الحاضر . كذلك ينبغى بذل جهد شاق لانشاء ما يمكن ان تسميه « روح الفريق» فى البحث الادبى لدينا . ولن تنشأ هذه الروح الا اذا **وضع امام هذا الفريق هدف مشترك،** ودعم الاقتناع به ، عندئذ سيجد « **انصار التراث** » و « **انصار الحداثة** » انهم يتجهون اتجاها واحدا ، وان مصطلحى « **تقليدى** » و « **تجديدى** » ليسا مصطلحين متنافرين »

● المؤلف وكرسى الاعتراف ●

حينما أقدم د. الربيعى على ترجمة « حاضر النقد الادبى » ، انه رأى ان الدارس العربى محتاج الى مراجعة موقفه على ضوء ما يتجه اليه النقد العالمى ، فما تزال لحياة المؤلف عندنا ذلك البريق الشديد ، ولا يزال يحتفل احتفالا شديدا بحقائق السيرة الذاتية ، ويعدها وثيقة من وثائق الدرجة الاولى لتفسير العمل الادبى .

واعترافات الكاتب قد لا تحمل وزنا كبيرا ، ولكن الناقد يبحث بحثا مقصورا من هذه الاعترافات ، ويبتهج اذ يعثر عليها ، وهو فى كثير من الاحيان يرى من جوهر مهمته وتمامها وضع المؤلف على « **كرسى الاعتراف** » .

وثمة نتائج ضارة تترتب على هذا البعد عن الموضوعية فى تناول الادب ، من ابرزها أن اعترافات المؤلف التى هى شىء خارج عن بنية النص تكتسب قدسية تجعل منها القياس النموذجى الذى يطمئن اليه فى تفسير الانتاج الادبى ، وقد يصل الامر حدا يتخلى فيه الدارس عن رأى كونه بالنظر فى النص ، ويسرع لتبنى الرأى المخالف الناشىء من اعترافات المؤلف .

واكثر الطرق « موضوعية » وابعدها من استخدام ما هو غير ادبى فى تفسير الادب ، هو طريقة « **القراءة الفاحصة** » والدعوة اليها جهيرة فى كثير من مقالات « **حاضر النقد الأدبى** » . وقد كان « **النقاد الجدد** » الذين ظهروا فى امريكا فى العشرينات ـ وان لم يتحدد مصطلح « **النقد الجديد** » الا فى اوائل الاربعينات ـ هم الدعاة الاول الى التركيز على النص ، وقراءته قراءة اسلوبية بنائية تحليلية متمعنة ، تكشف عن العلاقات الكائنة فيه ، وتضىء جوانبه من الداخل اضاءة تكشف عن معناه الأدبى .

ومثل هذا النوع من القراءة يلقى قبولا عند الكثيرين من كتاب « **حاضر النقد الادبى** » ، ولكنه ايضا يتعرض للاحظات من قبل كتاب آخرين امثال جون واين فى مقالته « ملاحظات عن الخيال والحكم » ، ول . س . نايتس فى مقالته « فى البحث عن قيم اساسية » وهانز ماير فى مقالته «النقدواستقلال القدرات» ، وجراهام هيو فى مقالته « وظيفة الخيال » .

ويلاحظ انه بينما خالف هانز ماير طريقة « **القراءة الفاحصة** » مخالفة صريحة واتهمها بالتناقض ، ودعا جراهام هيو الى نبذ طريقة تناول القصيدة ، بيتا بيتا والرواية صفحة صفحة ، وتبنى طريقة يكون النقد بها نظرة الى **صلة العمل الفنى بمجموع حياة المؤلف الذهنية والروحية** ، لم يعترض جون واين الا على انفراد طريقة « القراءة الفاحصة » بالعمل ، فلتعالجان بمساندها السياق التاريخى اما نايتس فقد حذر كذلك من تعلق كل اهمية عليها فقال ، «ولقد كان الموقف مختلفا من ثلاثين او اربعين سنة . كذلك



امين الخولى : شيخ الامناء

الحاجة ماسة آنذاك لتخليص دراسة الادب من مجرد تكديس الحقائق الميتة المحجرة في تواريخ الاداب ، والمذهبة من الخارج بالتذوق الغامض ، ولذا كانت مواجهة التلميذ مباشرة بالكلمات الموجودة على الصفحة طريقة ضرورية في حرب تحريرية . أما الآن فيحس الانسان خطرا في الحرص البالغ من بعض القائمين بالتدريس على تدريب تلاميذهم على القراءة الفاحصة » .

● القراءة وصوت الكتاب ●

يقول جورج ستينير : « **وعندما لاتكون القراءة مجرد شرود ، او رغبة غير مبالية مصدرها الملل ، تكون نوعا من « الفعل » فنحن نعيش في حضرة الكتاب ونسمع صوته** ، ونسمح له ـ بشيء من الحيطة ـ ان يدخل في أعماقنا .

ويرى الدكتور الربيعي أن موضوع « كيفية القراءة » موضوع خطير جدا ، واذا كان مشكلة تشغل بال المجتمع الغربي ـ الذي ينبغي أن نصفه بما هو عليه من أنه مجتمع قارئ ـ فينبغي أن تشكل بالنسبة لنا هما ثقيلا . وكلمة « القراءة » نفسها كنت مظلومة عندنا ، الذا فالحاجة ماسة حقا الى الدعوة الى تثبيت المعنى الحقيقي « للقراءة الادبية » في الاذهان ، والى تعميق مفهومها نظرا وتطبيقا . ومجال هذه الدعوة لدينا واسع يكاد يشمل حياتنا « الثقافية » كلها ، فثمة وسائل الاعلام ، وهي عالم حافل بالتناقضات المثيرة ويستحق دراسة كاملة » وثمة النصوص التي يربى عليها تلاميذ المدارس في مراحل التعليم وطريقة اختيارها وتداولها « وتلك ايضا منطقة متفجرة تحتاج الى حيطة شديدة ودراسات مضنية » .

● قيمة الادب ...
في عصر العلم التجريبي ●

ومن القضايا المثارة في « حاضر النقد الادبي » : قيمة الادب في عصر العلم التجريبي ، وقد دافع جورج ستينير في المقالة الاولى ، عن الادب ، مسجلا أن قيمته تفوق العلم التجريبي ، ومؤكدا أن ادراك الحقيقة الذي يمكن استخلاصه من التطوير الفني لدى كبار الادباء لايمكن أن يتحقق عن طريق العلم التجريبي ، وذلك لان هذا العلم قاصر عن ادراك الدوافع الانسانية على خلاف الادب .

ولكن : ما الادب في حضرة العلم ؟ ان هناك حقيقة واضحة هي ان لحظة « الابداع » او « الاختراع » ـ التي هي نتيجة عمل « البصيرة الانسانية » و « الطاقة الانسانية المتخيلة » ـ لحظة يلتقي عندها العلم والادب ، وهي لحظة تسبق بالضرورة في العلم شق بطن المريض ، وبناء الصاروخ ، فهذان « الفعلان » تطبيق عملي لها . كذلك لايتنبه مثل هذا « المنطق » الى ان « المخترعين » في مجال العلم هم قراء في المكان الاول ، وانهم قد طوروا قدراتهم على تحقيق انجازاتهم العلمية معتمدين على « القراءة ادبية » ، لا في مجال عملهم فحسب فذلك شيء مسلم به ولكن في مجال الاعمال الابداعية كذلك .

● همومنا الخاصة ...
ومنهج الدرس الادبي ●

ويثير « حاضر النقد الادبي » قضية أخرى تنبع من صميم همومنا الخاصة ، وهي التي تتعلق بمنهج الدرس الادبي وتحديد قيمة المنهج « البيوجرافي » في النقد ، الى أي حد نعطي اهتمامنا للمؤلف ، ونرى النص صورة لحياة صاحبه ؟ ان هناك اتجاها غالبا في « حاضر النقد الادبي » لنبذ المنهج « البيوجرافي » . فمما قاله جورج ستينير : « **ان رجل الشرطة والرقيب يسألان الكاتب ، على حين يسأل الناقد الكتاب فحسب** » ومما قاله رتشارد هوجارت : « **لاتثق أبدا بالقاص وثق بالقصة** » . ومما قاله رينيه ويليك : « **ويبدو واضحا أن العمل الادبي هو المادة الاساسية لنظرية الادب ، وليست هذه المادة هي حياة المؤلف الشخصية أو النفسية ، أو البيئة الاجتماعية أو رد الفعل المؤثر من جانب القارئ** » .

وبالاضافة الى ذلك يقرر ريمون بيكار اتجاه النقد الفرنسي الى نبذ الاعتماد على

السيرة الذاتية للمؤلف ، وهو يرى النص غاية في ذاته ، وخير طريقة لتناوله هي طريقة « شرح النص

كذلك ينتصر امبرتو اكو للتحليل الدلالي • ويحبذ داماسو الونسو القراءة الفاحصة فيقول : « مايعنيني اكثر من غيره هو ذلك النوع الذي يقف فيه الملاحظ أمام العمل الادبي وهو مملوء بالرغبة في أن ينفذ الى اعماق العمل ذاته والى جوهره بصفته خلقا حيا فريدا » •

ومما يتصل بمنهج التناول هذا أنه ـ الى جانب تعليقه اهمية ضئيلة على حقائق حياة المؤلف ـ يعلق اهمية ضئيلة كذلك على الحقائق الخارجية الاخرى ، كحقائق التاريخ ، وحقائق العلوم الاخرى غير الادبية ، ويركز على مايسمى « بالقراءة البنائية الاسلوبية » •

على أن هناك اقلية من كتاب « حاضر النقد الادبي » رأت فائدة في الاعتماد على عناصر خارج النص ، فقد رأى ل• س• نايتس ، أن تضع دراسة الادب يدها في يد دراسة التاريخ والفلسفة واللاهوت» ، وانتصر هانزماير للحقائق التاريخية المتصلة بالعمل الادبي وبحياة المؤلف •

● النقد الاكاديمي والنقد الصحفي ●

ويثير « حاضر النقد الادبي » كذلك قضية : النقد الاكاديمي والنقد الصحفي ، فيناقش كل من جرام هيو واميليو كاكيي المفارقات الكائنة في المجتمع الادبي الغربي بين هذين النوعين من النقد ، فسجل جراهام هير الحسد المتبادل بين الناقد الاكاديمي والناقد الصحفي ، كما سجل عيب الاول الذي يتجلى في تقوقعه ، وعيب الثاني الذي يتجلى في سطحيته ، وميز الاول بأنه غالبا مايتجه الى الماضي ، والثاني بانه يتجه الى تيار الادب الحاضر ، ودعا ـ كما دعا اميليو كاكيي ـ الى وجوب تقريب الشقة بين العالم الاكاديمي في الجامعات وعالم النقد الحر في الصحافة • كذلك عاب جراهام هير من لايهتم بالاتجاه الذهني لعصره • « مما يغلب على الاتجاه الاكاديمي » كما عاب من يهتم كلية بالادب الجاري « مما يتصف به النقد الصحفي » •

وهاجم البطش الاكاديمي كما هاجم ثرثرة العصابات الادبية ، وحذر اميليو كاكيي من ان « عزلة هذين العالمين والريبة المتبادلة بينهما تحطم كليهما وتحطم القارئ قبل كل شيء » •

● حاضر النقد
واهداف الادب ••• ●

● ومن « حاضر النقد الادبي » نخرج بانطباع عام يتلخص في اجماع كتابه ، على الاهداف العامة للادب • تلك الاهداف التي تنتمي بدرجات متفاوتة الى تقاليد استمدت من ماثيو آرنولد منذ قرن من الزمان ، واستمدت على نحو اكثر مباشرة من افكار ت • س • اليوت ، و ا • ا • رتشاردز ، و د • ف • ر • ليفيز • فليس صعبا ان يتضح حتى من المقالات المبكرة الحوافل لاليوت أنه عبر عن وجهات نظر في الادب تؤكد صراحة قدرة ذلك الادب على أن يعطينا تجارب ذهنية وحسية تختلف تماما عن تلك التجارب التي تكون لنا عندما نستمر في اهتماماتنا العادية اليومية

انها في الواقع تلك الوجهة «الجمالية» التي لامه عليها نقاد مهتمون بالتركيز على مثل الكتابات العظيمة بوصفها اهدافا ذهنية وعقلية بالضرورة • من امثال يفور ونترز • كما ان الاهتمام بنسيج الادب الذي نصح به اليوت ، قد استخدم باستمرار لغاية مستمدة من وجهة النظر هذه • و « علم الاسلوب » الذي تطور في اوروبا ، وتطور الى حد ما في امريكا لم يكن منتشرا قط في انجلترا •

لقد بحثت التفاصيل الخاصة بلعب الشعراء والروائيين بالالفاظ اولا وقبل كل شيء بهدف اختبار مدى صحة كونها تعكس ـ على قدر القوة الخاصة التي نتوقعها من خبراتنا ـ الصفات المرتبطة بالنضج ، بالمعنى الذي ذكر : الوعي الحقيقي بتنوع العالم وغرابته ، والقدرة على تعمق مشاعر الاخرين ، والقدرة على توجيه العواطف المستمدة من هذه الطاقات وجهة تنتهي الى الحب والتعقل •

وتبقى الكلمة ..

صلاح عبد الصبور

● لمعي المطيعي ●

● في عمر يقرب من العمر الذى رحـــل فيه ابو الطيب المتنبي (٤٩) ووليم سكسبير ٥٢ رحل صلاح عبد الصبور ٥٠ بعد ان ترك لنا (مسافر ليل والابحار في الذاكرة واحلام الفارس القديم ومأساة الحلاج و .. و ..) .

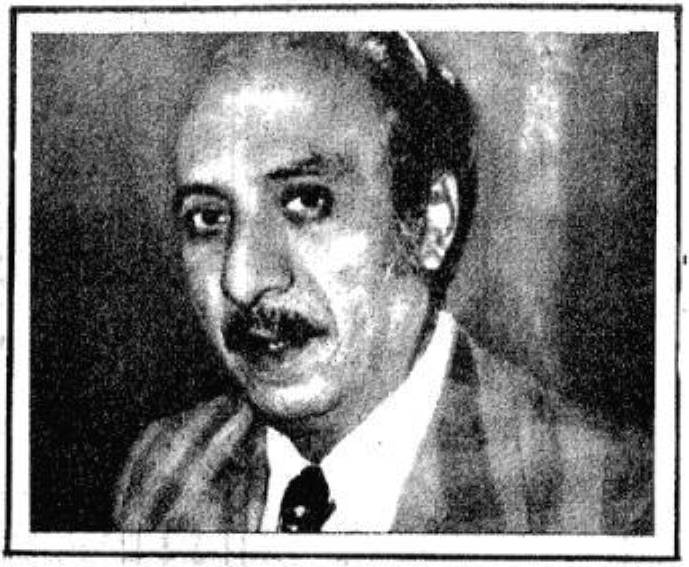
ويوم الرحيل الخميس ١٣ اغسطس ١٩٨١ لاحظوا رقم ١٣ جلست اليه مرتين . الأولى في منتصف النهار . هو وانا و « سميرة عرابى » حفيـدة الزعيم « أحمد عرابى » وحديث حول النشر والطباعة والثانية في اخر نهـار العمل وكان الحديث مـع « اعتدال عثمان » حول مجلة فصول والتى كان يوليها اهتمامه الخاص .

وفي نهاية يوم العمل انصرف كل الى طريق .

وفي فجر نفس اليوم .. التليفون يعوء كقط حزين .. وصـوت زميلى وصديقى « ســعد درويش » الذى اعتدت ان أتحدث اليه من منتصـف الليل الى الفجر مثلا ولكن ان اسمع صوته عند الفجر فالامر فيه شيء .. وأى شيء لقد رحل « صـــلاح عبد الصبور » .

● الابحار في الذاكرة ●

واستعير اسم ديوانه « وابحـر في الذاكرة الى الوراء » الى ٣٥ سنة مضت » وجيلنا يضع اقدامـه عـلى درج كلية الآداب والحـركـة الوطنية حارة والحركة الفكرية خصبة ناميـة وهو ضمن مجموعة من قسم اللغـة العربية تمسك بمغـزل الابداع الادبى واما انا فتشدنى الحمـاســة العملية فاصبح سكرتيرا لاتحاد الكلية وادخل سجن الاجانب واقـدم لمجلس تاديب لاننى كنت ضمن مجموعة في قســم الفلسفة نثرثر ونتشـدق دون مبرر بأفكار جديدة ونظن اننا اكثر تقدمـا من الاخرين .. اما هو فكان يعبر عن رايه بابتسـامة ذكية ونظرة عجـلاء وعبارة موجزة لا يتبين الخيط الابيض



صلاح عبد الصبور : فلنتكلم على موج البحر

من الخيط الاسود ، واحسب أنه ظل كذلك طوال حياته .

وذات صباح وانا اجلس اليه في مكتبه خطر لي أن أعود به الى تلك الفترة الباكرة .. وعرفت ما لم أكن أعرفه .. عرفت أنه كان في تلك الايام تتناهب وجدانه أفكار جمالية دينية، الان فهمت من أجل هذا قال في كتابه (حياتي في الشعر) أنه أخيرا عاد الى الله بعد أن جال بفكره في سياحة مع مذاهب وأفكار كثيرة ولكنه في كل الاحوال كان الصوت المتميز والمفكر المستقل والرأى الناضج .

ويدور بنا الزمن وتتقارب الافكار ويستخدم القصيدة في التعبير عن رأيه ، ونستقبلها نحن في سجون الواحات والمعتقلات ويقرؤها علينا « كمال عمار » أخلص أبناء الشعر الحديث لصلاح عبد الصبور وأكثرهم حبا له .

ويدور الزمن أيضا فيكون لي دور في النشر بالدار القومية وتصدر الدار له الطبعة الثانية من كتابه (أصوات العصر) .. ولم اكن أحسب ان الصلة سوف تمتد ليشرف هو على النشر بمؤسسة التأليف وأنا معه مديرا للمجلات والدوريات . ويتأزم الموقف مرة أخرى لعدد منا فيسافر هو الى الهند وأنصرف أنا الى دراسات أخرى ولكنه يعود وتكون له الولاية على المنشأة كلها وأتولى أنا أمور النشر .

وفي كل الحالات فان الاقتراب منه راحة للنفس والعمل معه متعة .. لا توتر .. لا ارهاق .. لا أعصاب مشدودة .. كبير وأصيل . فارس .

● الفارس القديم ●

مرة أخرى استعير اسم ديوانه (أحلام الفارس القديم) كان صوتا متميزا القدرة على الموضوعية :

● كتب د. زكي نجيب محمود مقالا بعنوان (ما هكذا الناس في بلادي) نقدا لديوان صلاح عبد الصبور (الناس في بلادي) ورد عليه هو بمقال

وتبقى الكلمة ..
صلاح عبد الصبور

بعنوان ما هكذا النقد رغم هذا كان يعترف دائما بقدر الدكتور زكي نجيب محمود .

● كتب مقاله المشهور (الله العظيم موزون) يرد به على هجوم « عباس محمود العقاد » على الشعر الحديث . ولكنه في أحاديثه الخاصة ، وفيما يتعلق بالنشر .. كان العقاد عنده هو العقاد وكفى .

● في أواخر سنة ١٩٥٨ حملت

صحف البعث والشيوعيين في العراق على « صلاح عبد الصبور وأحمد بهاء الدين وعبد الله الريماوي ودهش الكثيرون الذين كانوا يحسبونه على اليسار في تلك الفترة ولكنه الصوت المتميز والرأى المستقل .

● في خريف ١٩٧٤ تعرض لحملة قاسية من كتاب مجلة الطليعة بالقاهرة لأنه تولى رئاسة تحرير مجلة الكاتب بعد تنحية المجموعة التي كانت تتولى التحرير من قبله وبالموقف المتأني سار بمجلة الكاتب وعاد الهاجمون يكتبون فرادى فيها .. ونشرت مجلة الطليعة بعد ذلك مقالا لم أجد منهم من يدافع فيه عن صلاح عبد الصبور وكان المقال بعنوان ليس دفاعا عن صلاح عبد الصبور . —

وتبقى الكلمة

ومعذرة فانني استخدم هنا عنوان دراسته وتبقى الكلمة هذا ما كان يؤمن به تماما .. يبتعد عن الصراعات وهو يعلم أن الصراعات ليست بعيدة عنه .. لا يترك أصحابها أي فرصة في الفترة الاخيرة كان قد سافر إلى الولايات المتحدة الامريكية في برنامج مصر اليوم وبعد أن جاء بدأت حملة خفية قوامها شكاوى مجهولة قيل انها من بعض صغار كبار العاملين معه أو بعض كبار الصغار مستخدمين كتابا صدر عن الهيئة ثارت حوله بعض المناقشات وهو كتاب مقدمة في فقه اللغة العربية .. وبالصمت الموضوعي واجه الموقف .. الا ان التعاقد على هذا الكتاب تم قبل ولايته على الهيئة بعام كامل ثم امتدت الحملة الخفية الى شخصي وأصحابها يعلمون ان التعاقد وأمر النشر وأمر الطبع قد تم قبل اسناد النشر لي بسنوات كاملة . ولا علاقة لي من قريب أو بعيد بالكتاب وعندما أثرت معه ضرورة توضيح الحقائق ابتسم وقال .. وتبقى الكلمة

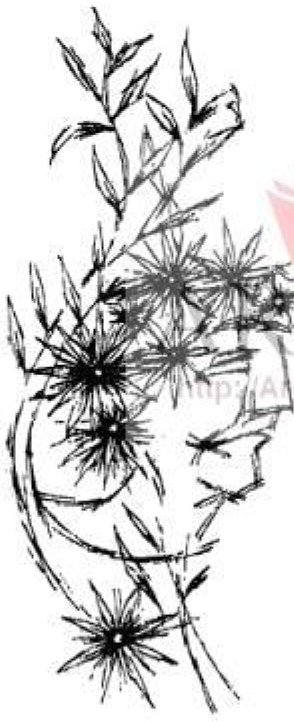
والآن ذهب هو .. يلفه الصمت . وأحسبه يخاطبنا من بعيد بكلمات سعيد بطل مسرحيته الشعرية ليلى والمجنون .. يقول سعيد وصلاح عبد الصبور :

لا أملك ان اتكلم
فليتكلم عنى الريح
لا أملك ان اتكلم
فليتكلم عنى موج البحر
لا أملك ان اتكلم
فليتكلم عنى صمتي المفعم

محمد صلاح الدين عبد الصبور .. وداعا .

ضياع

● د . كامل سعفان ●



ونقر العصفور ها هنا .. وها هنا
ونقرت عصفورته ..
تطايرا ، وتعانقا ، وافترشا ابستان
ابجها ، وسوسنا !
هبت نسائم بليلة ..
ملاصة ، تبادلا نبضيهما وصفقا ..
وحلقا ...
تساقط (الرذاذ) ، حدقا ، وسقسقا ،
وحلقا ..
تتابع (الرذاذ) ، حملقا ، ورنقا ..
وافترقا !

***

كم كانت السماء مثقلة ..
فهبت الرياح معولة !
توالت البروق والرعود راجفة
وطاشت الرجوم ، والكلوم ، نازفة
وسيطر الحس الكئيب .. والأماني الزائفة
وشاهت الوجوه ..
واعلن الانسان انه الاله !

***

انتثرت كل النجوم شهبا ..
تكورت شموس ..
امتلأت كل العشاش لهبا
تهدلت نفوس ..
وانفجر البركان والطوفان
وكان .. ياما كان !
من يومها ..
ابحث في الشعاب ، والضباب
عن غنوة رقيقة ..
عن خفقة غالية اضاعها الصحاب !

الأدب المعاصر وأزمة الرواية

● د . عبد الفتاح الديدي ●

● ليست الرواية عملا يهبط من السماء كاملا متكاملا ، ولكنها وليدة ظروف ومكونات عديدة وتفاعل عدد كبير من العوامل من اجل ابراز الرواية .. من هذه العوامل ظروف النشر ونوعية الاعمال المختارة للترويج في الاسواق الادبية . ومنها الوضع العام الذى يشجع ابراز الرواية فى ثوب مناسب قشيب ..

ومنها حالة الكاتب القصاص وقدرته على التفرغ لعمله . واهم من ذلك كله عامل الايمان بان الرواية جزء جوهرى واساسى من التعبير له مقوماته وله ملابساته التى ينفرد بها من حيث الفنية ومن حيث « التكنيك » .

وأول ما ينبغى أن يلفت نظرنا هو أن تجربة العقل العربى ازاء الرواية محدودة مهما قيل عن تاريخها وماضيها .. ويرجع ذلك الى أن عنصر الخيال لعب دورا ضيق الحدود فى حياتنا وتفكيرنا . ولم نكتشف بعد أصالة التفكير الخيالى الخالص ، ولم نتعرف على أبعاد الخيال وقدرته على الانطلاق والتحوير والتبديل والتشكيل لمظاهر العيش العادية ، وطريقة تناول المسائل العامة وخطة العمل التى نسير عليها والنهج الشامل الذى يجعلنا نرتفع وننخفض فى اطار الرؤية الفنية بعيدا عن مقتضيات الحياة فى الواقع ومع الناس .

والخيال مرتبط بالمكونات الحسية . وليست المكونات الحسية هى ذلك اللون الغليظ الذى يبدو فى أعمال عمر الخيام وأبى نواس وألف ليلة وليلة .. ولكن المكونات الحسية المطلوبة هنا هى المكونات الصحية التى تتعمق الحس البسيط حتى تبلغ عن طريقه مستوى الذكاء المعقد المحبوك .. ذلك المستوى الذى يبدو واضحا فى ملامح الاعمال الفنية والفطرة القديمة وفى استغلال وامتصاص موارد الحس بصورة تدعو الى الصدق مع الواقع ولا تؤدى الى الغش أو الخيانة لاصول التفكير .

والحس هو المصدر الاساسى للتصور الذى يكمن وراء الخيال ووراء الاحساس الجمالى بالحياة والفرحة أو النشوة التى تتعلق بذوق الاديب فى متابعة خيوطه وتعمقها من اجل فرض نوع بسيط من التفكير الذى يساير ركب الحياة ويعايش

الناس فى مطالبهم ومشاربهم واضرابهم فلا يستطيع كاتب الرواية أن يمعن فى متابعة عالمه الوهمى وخطوطه الاصيلة واشباحه وشخوصه وابطاله بدون ايمان عميق بهذا الحس الجوهرى الاصيل الذى يستهدى به فى كل خطواته ٠ وعن هذا الطريق يشبع الكاتب الروائى نهمه فى التشوق الى المجهول ، وفى فرض هذا العالم الجديد على اسلوبه فى الكتابة وفى الراجوانب فكرمواشاعة احساساته بين ارجاء عمله كانها الصدق كله كانهما صدى لعالم حقيقى يقينى ٠٠ وبدون هذا الحس الصادق الجديد لا يتوفر للكاتب الروائى عالمه الخاص به الذى تنبع منه الرؤية التى يقدمها لقرائه ٠

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن أهمية الرواية فى البداية وفى النهاية ترجع فى الغالب الى حقيقة هذه الرؤية التى يقدمها لقرائه لمعايشة جوانب من الاحساس ومن التجربة ولابراز مضامين وشحنات وجدانية تلازمنا عند استطلاع أحداث الرواية بحيث يعلمنا كيفية رؤية الحياة فى الشكل الذى يقدمه لنا ٠ وهو بهذا يفسر لنا الوقائع ويحكيها لنا على طريقته ويناشدنا أن نرى التجربة من خلال رؤيته التى ينقلنا بها الى قلب الحقيقة وكأنه يدعونا الى تعميق رؤيتنا والى تنويع أحاسيسنا والى تنبية نظرتنا الى المشاعر الانسانية وتطويرها وتقوية بنائها ٠ فانت لا تكاد تقبل على قراءة الرواية الجيدة حتى تصبح من أعماقك : ولماذا لا يكون هذا الموقف صحيحا اذا قارناه بما عداه من المواقف ؟!

***

ونحن نعرف فى قرارة أنفسنا ان موقفنا التقليدى والتربوى يؤثر علينا تأثيرا كبيرا فى تفضيل قراءة كتاب ملىء بالمعلومات والدراسات على قراءة الرواية فالرواية فى نظرنا لا تفيد لانها لا تحشد لنا المعلومات ولا تسوق الينا المعارف ٠



د. طه حسين

ولكن الرواية لا تخضع لهذه النظرة التربوية لانها من مجال آخر هو مجال الفن ٠ فليست الفائدة التى نجنيها من قراءة الرواية على نفس مستوى الفائدة التى نجنيها من وراء قراءة كتاب من الكتب الدراسية ٠ ولهذا كانت كتب المعلومات والدراسة بنت ساعتها ٠ أما الرواية فهى جزء من الكيان الثقافى والروحى للانسان وتعيش أبد الدهر لكونها تمثيلا وتقريبا لروح العصر باكمله

وما زلنا حتى اليوم نطالع رواية «كوخ العم توم» اذا شئنا التعرف على جذور الحياة الامريكية الحديثة ، ولازلنا أيضا نقرأ «دون كيشوت» لسرفانتيس اذا أردنا فهم أصول الحياةالاوروبية الجديدة وتمثل روايات بروستصرحا قائما بذاته فى ضمير الفكر الفرنسى ٠

وما زلت اذكر محاضرات استاذنا موريس ميرلو بونتى فى الكوليج دى فرانس بباريس عن رواية حب سوان لمارسيل بروست ٠ فقد كان موريس ميرلو بونتى فيلسوفا وعالما نفسيا ٠ ولكنه كان يتناول جوهر الحياةالفكرية والعقلية ابتداء من تحليله لروايات بروست واستندال وبلزاك ٠ وكان يحاول اكتشاف تجربة العقل خلال هذه

الروايات كأنه يتصدى لاعظم العناصر الحضارية والظاهرية في حياة العقل الغربي وأسلوبه في التطور والنماء ·

وهو يعرف بلا شك ان الرواية تخاطب الانسان بكل اشكاله وأصنافه ولا تخاطبُ جمهورا محدودا من الطلاب والدارسين أو لفئة معينة من الباحثين · والرواية في نظره تمثل عقل الانسان في مواجهته للواقع الذى يعيشه · ولهذا كان الحاضرون في محاضراته يتصورون أنها محاضرات في الادبُ الخالص · والواقع انه كان يصعد الى اللمحات العقلية في غضون كلامه ويستخلص أعظم المواقف العقلية من سياق الاحداث الروائية ·

واذا اردنا ان نعيد التوازن الى روح الاعمال الادبية الخالصة عندنا كالرواية والمسرحية والقصيدة والقصة والمقالة الفنية ، لزم ان ندرك حقيقة هذه الاعمال ودورها في بناء مشاعرنا واحاسيسنا واسلوبها في ترجمة واقعنا · ولا شك ان الرواية هي التى تلعب الدور الرئيس في بناء تصوراتنا عن الواقع · وهي تستلهم هذه التصورات من فلسفة الكاتب نفسه ورؤيته بجملة المواقف التي يعيشها الانسان ·

والمشكلة هنا هي نفس مشكلة احساسنا بالفنون ودورها · الحقيقى في تكييف وتشكيل حياة الإنسان · وما زلنا ننظر نظرة شك الى عالم الفنون ·· وتنسحب هذه النظرة على نظرتنا الى الرواية كفن ادبى خالص ·

ولا شك ان الرواية المصورة تلعب اليوم دورا رئيسيا في حياة كثير من الناس · فالناس يفضلون في معظمهم مشاهدة الافلام والمسلسلات التليفزيونية على الجلوس لقراءة الرواية · وهذا طبيعى مع تغير أدوات الانتاج وسرعة الاطلاع على الاعمال الروائية خلال الاعمال المصورة · ولكن الرواية كتاب قائم بذاته له عالمه الذى لا يتحكم فيه المخرج ولا تسيطر عليه أهداف الانتاج التجارية · وقد شهدنا جميعا مدام بوفارى كفيلم مصور · وكذلك شهدنا روايات ديكنز مصورة في افلام مثل « أوليفر تويست »

ولكن هذه المشاهدة العابرة لا تؤلف اساسا فكريا كافيا لتعميق هذه الاعمال وقد قرأنا للفيلسوف آلان كتابا عنوانه « عند قراءة ديكنز » · وكذلك قرأنا للفيلسوف الوجودى جان بول سارتر كتابا كاملا عن فلوبير وعن مدام بوفارى والبوفاريزم · ولا يمكن ان تتحقق النتائج الايجابية لمطالعة الروايات الا بقراءتها مباشرة ، ولا يؤدى التصوير السينمائى او التليفزيونى الا قسطا ضئيلا من هذا العالم الرحب الذى يعيش فيه الكاتب الروائى والذى يسعى حثيثا لتقديمه الى جمهوره · والمتعة الحقيقية تنشأ من معايشة كلمات المؤلف ·

ولهذا لا يمكن الاكتفاء بالرواية المصورة الا بالنسبة للجمهور المتعجل · وفى هذه الحالة لا يمكن ان يفطن هذا الجمهور الى دقائق العمل الروائى القائمة على تصور عميق ورؤية نفاذة وموقف خاص بالمؤلف لايحسن ترجمته في العادة مخرجو الافلام الذين يتطلعون الى الكسب التجارى · فمثلا لا يستطيع القارىء ان يستجمع خيوط فكرة العمل العشوى من رؤيته لفيلم يقوم بتصوير كهوف الفاتيكان لاندريه جيد ، او سوء تفاهم لالبير كامو ، وبعض روايات فرانسوا

ساجان • ولكنك عند الاطلاع بالقراءة لهذه الاعمال تحصل على مفهوم واضح بالنسبة لتصور الفعل العشوى الذى ظل يراود الروائيين مدة طويلة فى اعمالهم •

ونعود الآن الى الرواية العربية لنلمس الاوضاع التى تعيش فيها هذه الروايات فالناشر الآن لا يطبع الكتاب الا اذا كان مضمون الفوائد والارباح • ولذلك يهتم بكتب الدراسة والأبحاث العلمية التى يشتريها الطلاب عن طريق الالزام المدرسى • أما الرواية فلا تجد لها سوقا وكم من المؤلفين والشبان يحملون الروايات التى لا تجد سبيلها بحال من الاحوال الى المطبعة وبالتالى الى قلب القارىء •

وقد عشنا فى مصر منذ عشرات السنين لا نعرف سوى قصصى واحد أو شاعر واحد أو فنان واحد • كان الله لا يخرج فى هذه البلاد الا أمراء للرواية والشعر والمسرحية والتصوير • وهم بهذه الصورة أمراء فريدون لا يشاركهم مشارك ولا يزاحمهم مزاحم • وأدت هذه الظاهرة الى كوارث عديدة • ومات العديد من الاعمال الادبية والروائية والفنية ولم ير السوق ولم يره جمهور الناس • ومن باب الصدفة البحتة أن وجدت روايات محمد عبد الحليم عبد الله ومحفوظ عبدالرحمن سبيلها الى الجمهور ولابد ان أعمالا أخرى لم يعرفها الجمهور الا من قبيل الصدفة ••

وقد شهدنا فى الستينات مولد كثير من الشبان الروائيين وعشنا على أمل أن نراهم فى السبعينات ، وقد بلغوا مرحلة النجاح فى انتاج واعداد رواياتهم • ولكن أسماء اكثرهم اختفت وأصبحوا



عباس محمود العقاد

يجدون فى طلب الرزق بوسائل أكثر فاعلية •

وكان المفروض أن يتناول كتاب الرواية مشاكل الشباب وقضايا العصر فى رواياتهم ، خاصة وان القليلين جدا من الكتاب الكبار علقوا على هذه المشاكل فى رواياتهم • بل لا نكاد نلمس الرا للمشاكل الحقيقية التى يعيشها الشباب فى رواياتهم •

وظهرت الرواية الجديدة فى اوروبا وانتشرت فى كل مكان فى العالم • وتتحقق الرواية الجديدة باستكشاف دلالاتها المعبرة • وهى بمثابة حقيقة لم تحل رموزها بعد ولا تعتمد على المظاهر النفسية الحيوية • واشتهر من بين مؤلفيها ميشيل بيتور ، وناتالى ساروت وآلان روب جرييه ، وكلود سيمون ، وكلود موورياك •

وأرادت الرواية الجديدة أن تتخطى كل أشكال الرواية القديمة وأن تقدم مظاهر الحياة فى قالب بعيد عن القوالب النفسية والاجتماعية والتاريخية • وفتحت المجال امام التجديد الروائى فى كل نواحى العالم وغرست فى نفوس الناس أملا فى تحريك المرئيات والناس

والمشاهد والاحداث على نحو ما تسقط في وعى الناظر اليها بدون خلفيات .

وخلت الرواية الجديدة من تعقيدات الصراع بين الافراد والجماعات وحاولت ان تجعل الرؤية العادية موضع تقدير القارىء وأن تخلق الملابسات التى تمثل الحياة فى أوضاعها وفى صور علاقاتها الحديثة . وبرغم ذلك لم يجد مؤلفونا حتى اليوم الشجاعة الكافية لاقتحام هذه المجالات للمقايضة بالمتعة والتجربة .

ولا حاجة بنا الى القول بأن الرواية العربية بوضعها الحالى تمثل هروبا من الحياة واستئناسا بالجوانب المعتمة التى تظلل أفكار مؤلفيها . ويعمد الآخرون الى تفسير التاريخ ومتابعة قوانين الوراثة والبيئة . وكأنهم يفرون من مواجهة التجربة على طريقتهم . وسائر القراء لا يلمسون فى الروايات سوى وجه الماضى من خلال تصورات وهمية لحياة الافراد والجماعات .

وتجددت الاسلوبية فى انشطة كتاب الرواية وعاد بعضهم يكتبها على طريقة آلام فرتر فى ترجمة أحمد حسن الزيات والاسلوبية هروب آخر من محيط العمل الروائى لانها تحيى جانب التعبير الادبى وتخفى فى طياتها مشاكل الحياة وتخرس صوت الانسان العادى فى الظهور .

وعادت الرواية تبحث عن مسارها اثر رواية « الحب الضائع » و « دعاء الكروان » لطه حسين و « عودة الروح » لتوفيق الحكيم كأنها تداعب خيال القارىء على النمط التقليدى . ونستثنى من هذا روايات مجيد طوبيا واسماعيل ولى الدين ، ولكننا لا ندرى ما اذا كانا يملكان القدرة على شق طريقهما فى أسلوب متجدد بعد أن خضعا لتصورات محدودة الابعاد ولم يتعمقا المسار الفلسفى المطلوب لمتابعة التطور الروائى العالمى .

والظاهر ان الروائى يجد صعوبات كثيرة فى مواجهة دواعى الحياة ووسائل النشر . وقد نجد لهم بعض العذر فيما يتناولونه من الموضوعات . والرواية كأى أعمال فنية اخرى تتطلب الغزارة فى الانتاج من جانب مؤلفيها . ولا ينبغى ان نعيش فى عالم الرواية أسرى لعدد محدود من المؤلفين لان الرواية تثرى بكثرة التنوع وبغزارة الانتاج .

وفى فرنسا تقام مسابقات للرواية كل عام ويتقدم لهذه المسابقات الاف مؤلفة من كتاب الرواية . وتتدخل لجان التحكيم لانقاص اعداد المتقدمين لهذه المسابقات بطرق متعددة حتى يتمكنوا من مراجعة هذا الانتاج الوفير .



د. محمد حسين هيكل

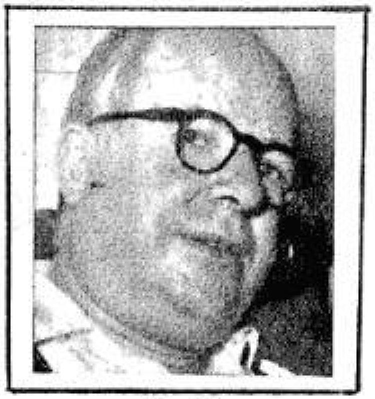
ونحن نطالب باقامة مثل هذه المسابقات عندنا حتى نستكشف ابعاد المواهب والقدرات الشابة في هذا المضمار .

وقد لقيت روايات قنديل أم هاشم ليحيى حقي وسارة للعقاد ،وزينب لهيكل نجاحا منقطع النظير لانها أعيد طبعها مرات ومرات .وقد عالجت هذه الروايات مشاكل حقيقية من واقع المجتمع . فتناولت « قنديل أم هاشم » قضية الايمان بالعلم وتناولت « سارة » قضية الصراع بين التقاليد الموروثة والرغبة في مسايرة حياة التطور والاقبال على دواعي الحياة العصرية ممثلا في هذه الحيرة بين الزواج من المرأة بوضعها الجديد وبين الخضوع لاثقال الحياة القديمة في تصورها للمرأة .

أما « زينب » فأبرزت مشكلة المعيشة الريفية بقوالبها التقليدية ومرارة الخضوع لهذه القوالب وظروف الانسان القروي .

ولم تظهر متابعة جادة لامثال هذه القضايا الا في بعض أعمال محمود البدوي ويوسف الشاروني وفاروق خورشيد . ونحن نطمع في المزيد من هذه الاعمال حتى تنشأ لدينا على الاقل صفوف من الرواية تساعد على تنمية التجربة الجديدة .

الرواية الآن هي طريقة اقامة الحوار مع الجماهير ،وهي علامة في طريق التقدم



يحيى حقي

الحضاري والذهني . وعلينا ان نخرجها من اطار التجربة التربوية التي تنشد التثقيف او التعليم . ويوجد فرق هائل بين ما نقصده التعليم من ورائه وما نقصده احياء الثقافة عن طريقه . لان التعليم ينشد المعلومات الموحدة بين العديد من الافراد كأن يرددوا جميعا قاعدة ارشميدس او قانون بويل بلغة واحدة وبمعرفة موحدة اما الثقافة الفنية فتنشد الامتياز الفردي عند ابناء المجتمع . والرواية باب من أبواب الثقافة تغذي الميول الفردية والمواهب الشخصية وتخلق افرادا متباينين متميزين بعضهم من بعض . وهذا غرض مختلف عن الغرض الذي يرمي اليه التعليم في توحيد المعارف لدى الناس ..

والآن ، ونحن في مستهل نهضة قائمة على الانفتاح العقلي والروحي على تجارب العالم ، نأمل ان نجد عند الكثيرين من الروائيين والقصاصين فرصة التعاطف مع التجارب الجديدة واثراء الادب العربي بعدد من الروايات التي تضارع ماتعرفه من ألوان الادب العالمية .

نومك.. ميزان صحتك



النوم ليس فقدان الوعي لفترة من الوقت انما هو عملية بيولوجية على اكبر جانب من الاهمية ، لان جسمك وذهنك يعيد تنظيم نفسه وتعويض ما فقد منه اثناء النوم ، ولهذا فمن اهم واجباتك ان تعرف كيف تنام نوما طبيعيا هادئا ..

يقولون هنا ان النوم سلطان . وهم يعنون بذلك ان النوم اذا جاء وقته فلا غالب له ، ولابد لك ان تستسلم له لانه سلطان ، والسلطان لابد ان يطاع ..

ولكن الحقيقة ان النوم ليس سلطانا ولا شبه سلطان . انه عملية بيولوجية يقوم بها الجسد دون ان يدرى احد كيف فانت أحيانا تنام وانت جالس فى عملك ولا تنام وانت مستلق فى فراشك ، واحيانا تنام والدنيا من حولك كلها ضجيج ، وأحيانا أخرى يعز عليك اليوم والهدوء الكامل يشمل كل ما حولك .

لان أحدا لا يعرف شيئا عن حقيقة النوم او طبيعته .

بل ان العلماء اليوم يتساءلون عما اذا كان من الضرورى لسلامة الجسد ان ينام الانسان ثلث حياته ، وقد كنا نقول ان هناك ناسا تحتاج اجسادهم الى ١٠ ساعات نوم يوميا ، وآخرين تحتاج اجسادهم الى ثمان أو ست ، وتبين العلماء الآن ان عدد ساعات النوم عادة وتقليد ، وهى متوقفة كذلك على البنية والمستوى الحضارى .

ففى البلاد المتخلفة ينام الناس أكثر مما ينام أهل البلاد المتقدمة ، وأهل القرى ينامون أكثر مما ينام أهل المدن ، وأصحاب الحرف اليدوية ينامون أكثر من أصحاب الاهتمامات الذهنية .

وعندما يولد الانسان ينام خلال الاسابيع الاولى ٢٢ ساعة فى اليوم تقل بالتدريج كلما مضت الاسابيع والشهور والاولاد من سن السابعة الى العاشرة يحتاجون الى عشر ساعات من النوم ، كان بعضهم يكتفى بثمانية فقط .

وقد بحث كثير من العلماء لكى يجيبوا عن السؤال العسير : كيف تنام ؟ .. كيف ينتقل الانسان من حالة الوعى واليقظة الى حالة النعاس ، وقد كان يظن ان هناك ناسا يحتاجون الى خمس دقائق لكى يغرقوا فى النوم بينما يحتاج آخرون الى ساعة أو ساعتين .

وتبين الآن ان مدة الاستغراق فى النوم بالنسبة لنا جميعا واحدة ، حقا ان



كثرة التحرك والتقلب في الفراش اثناء النوم تدل على انشغال البال والقلق النفسي وكذلك الاحلام الثقيلة والكوابيس .. واذا تعلم الانسان موضوع نومه تخلص من عشرات اسباب الامراض والمتاعب

هناك من يضعون رؤوسهم على المخدة ثم يغطون في النوم في الحال ، في حين أن آخرين يظلون ينتظرون النعاس طويلا ولكن الحقيقة أن عسير النعاس يقضي وقتا طويلا يقظا يحاول النوم ، ولكن النوم عندما يجيء فان الامر لا يستغرق الا دقائق ، وفي العادة لا ينتبه الناس الى دخولهم في النوم ، لان ذلك المدخل في العادة سريع جدا فخلال دقيقتين أو ثلاثا يدخل الانسان في المرحلة الاولى من مراحل النعاس لان الانسان يكون قد فقد الوعي لما حوله ودخل في السبات الذي يمر بعد ذلك في مراحل ثلاث حتى يستولى النوم على الانسان تماما .

وقد كان اليونان القدماء يقولون ان الذي يمنح النوم للانسان والحيوان هو اله يسمى مورفيوس ، ومن اسمه اشتق اسم المورفين واعطى للعقار المعروف الذي يغيب الانسان عن الوعي اذا تناوله

ولكن العلماء عرفوا اليوم ان النوم ليس حالة سلبية من السكون التام تستولى على الجسد ، ولكنه هو عملية نشطة يقوم خلالها الذهن بترتيب نفسه والتخلص من الضغوط التي يعاني منها طول النهار . وهو يلفظ أو يطرد أشياء كثيرة وهذا الطرد يظهر في صورة الاحلام ،فانت اذ تحلم بشيء مخيف فانك في الحقيقة تتخلص من هم يثقل على نفسك ، وطوال ساعات نومك الهادىء يعيد الذهن ترتيب نفسه ويصفو ، ويحدث لك كثيرا ان تكون امامك مشكلة تضايقك ، وعندما تصحو في الصباح تجد الحل . هذا الحل نتيجة لعملية التصفية والترتيب التي قام بها الذهن وانت نائم . ثم ان هناك أعضاء تعمل اثناء النوم بهدوء تعمل الكلى بنظام أكثر وتستريح خلاياها وتتجدد ، وكذلك الكبد ، ولهذا يقول الاطباء ان أحسن ما تعمله لصحتك هي أن تقتصد في طعامك في العشاء ، وأن تتناول عشاءك مبكرا حتى اذا اويت الى فراشك كان طعامك قد هضم واتيحت لكبدك وكلاك وطحالك ساعات طويلة من الراحة والهدوء . فاذا تناولت افطارا خفيفا بعيدا عن الدهنيات الكثيرة والسكر الكثير استمرت راحة كبدك وكلاك حتى الغداء

وهنا يكون النوم راحة حقيقية تجديدا للخلايا اما أن تأكل متأخرا وتملأ بطنك بكل ما هو ثقيل عسير الهضم فان ذلك يجعل نومك مضطربا وان كان قليلا ،

وازداد تعب اجهزتك الحيوية وحرمت من الراحة وهي حقها ، وبدونها تتدهور .

النوم ينظمه جهاز بيولوجي غير معروف

وقد طال بحث الاطباء عن طبيعة النوم وكيف يتم ولماذا يمتنع أحيانا فيصاب الانسان بما يسمى بالارق ويسمى بالإنسومنيا أى الحرمان من النعاس . وانشئت في بعض الجامعات الامريكية اقسام علمية خاصة لدراسة النوم وطبيعته ومراحله وأمراضه ، لان النوم عملية اساسية من عمليات الجسم ، مثله في ذلك مثل الهضم والامتصاص واخراج مالايحتاج اليه الجسم من مخلفات سائلة وغير سائلة ، ومن هنا فله امراضه فكما ان هناك من يشكون من عسر الهضم فهناك من يقاسون من صعوبة النوم ، واذن فهو مرض وما دام مرضا فلابد من البحث عن علاج له خاصة وان امراض النوم تتزايد نظرا لتزايد الضغوط العصبية وتوالى المشاكل واضطرار الانسان الى مضاعفة جهده في العمل لكي يكسب من المال ما يمنحه الحياة في مستوى اجتماعي يتناسب مع آماله وما يرى انه يستحقه . ثم ان تزاحم الناس في المدن واشتداد الضوضاء وتلوث الجو كل هذه عوامل جعلت النوم عملية عسيرة فانتشر الارق واقبل الناس على الحبوب المنومة لكي يناموا نوما كيميائيا وهو نوم غير صحي ، بل هو ليس بنوم أصلا وانما هو خمود اليقظة لفترة من الوقت . ثم يصحو الانسان متعبا مجهدا .

الاقراص المنومة ليست علاجا انها مرض . ولابد أن تعرف كيف تنام نوما طبيعيا .

وبدلا من تناول الاقراص المنومة فانك تستطيع أن تعالج مشكلة الارق بدراسة نفسك ، فاذا كنت تملأ معدتك بالطعام في العشاء فان ذلك يحول دون النوم الهادىء ، واذا كنت تسرف في التدخين فان ذلك لا يأذن لك في راحة الاعصاب اللازمة ، واذا كنت لا تحل مشاكلك فانها تدخل معك فراشك وتمنع عنك النوم ، واذا كنت تنام في غرفة غير متجددة الهواء فانك لن تسعد بالنوم ، والطبيب نفسه لن ينفعك لانك فيما يتعلق بالنوم — طبيب نفسك ..

لابد من تنظيم عملية النوم

ثم انك ينبغي أن تحافظ على اوقات نومك ، لان الجسم له شيء غير منظور يشبه الساعة ، وهذه الساعة هي التي تضبط مسالة النوم ، ولهذا فانك تستطيع ضبطها بالتعود على النوم في وقت معين فتجد جسمك قد ضبط نفسه على النوم في هذه الساعة واليقظة بعد أن يستوفي جسمك حظه من النوم ، وخير النوم ما كان مبكرا ، أما السهر الطويل فهو عدو النوم الهادىء .

وشيء من الراحة بعد الظهر ينفع الجسم نفعا عظيما ، فاذا استطعت أن ترقد في فراشك ساعة بعد الظهر فافعل ولكن لا يجوز ان تنام بعد الغداء ساعتين او ثلاثة فان ذلك غير صحي .

***

واكثر ما يمنع النوم الهادىء هي الامعاء المضطربة وخاصة الامعاء الغليظة فان المرضى بالقولون لا ينامون نوما هادئا قط ، لان الامعاء تعمل اثناء النوم ، فاذا كان عملها هادئا منتظما كان ذلك من اسباب الاستغراق في النوم ، أما اذا كانت الامعاء الغليظة مريضة ، فهي تعاني من عملية الهضم ، ولهذا فلابد ان تعالج امعاءك اذا كنت مصابا بالارق .

***

ونختتم هذا المقال عن النوم بالاشارة الى ظاهرة لم يعرف الاطباء لها حلا ، وهي ظاهرة موت الاطفال الصغار فجأة اثناء النوم ، وفي الولايات المتحدة وحدها يموت عشرة آلاف طفل في السنة على هذه الصورة : دون سبب ظاهر يختنق الطفل ويموت وهو في فراشه دون أن يشعر أحد . وعبثا حاول الاطباء معرفة السبب في ذلك الموت المفاجىء للاطفال .

ركبت رأسها فركبتها الهموم

●●●

ماري كريستين دافني اميرة بلجيكية أنها اخت الملك بودوان او بولدوين ملك بلجيكا من زواج ابيهما الملك ليوبولد الثالث من زوجة ثانية بعد وفاة زوجته الاولى · الزوجة الثانية هي الاميرة ليليان دي ريتي ، وقد احتجت بلجيكا كلها على ذلك الزواج لان الاميرة ريتي لم تكن تتمتع بسمعة طيبة ·

ودافني هي ابنتها · كانت ثائرة على اوضاع البلاط ورفضت ان تتزوج من شباب محترمين كثيرين تقدموا لها ·

ثم هاجرت الى كندا واشتغلت سكرتيرة في تورونتو ، وبعد ذلك عملت صحفية ثم تطوعت ممرضة في معسكرات اللاجئين ·· ثم

●●● ◀

ناس وصور وحكايات

ركبت رأسها فركبتها الهموم

● ●

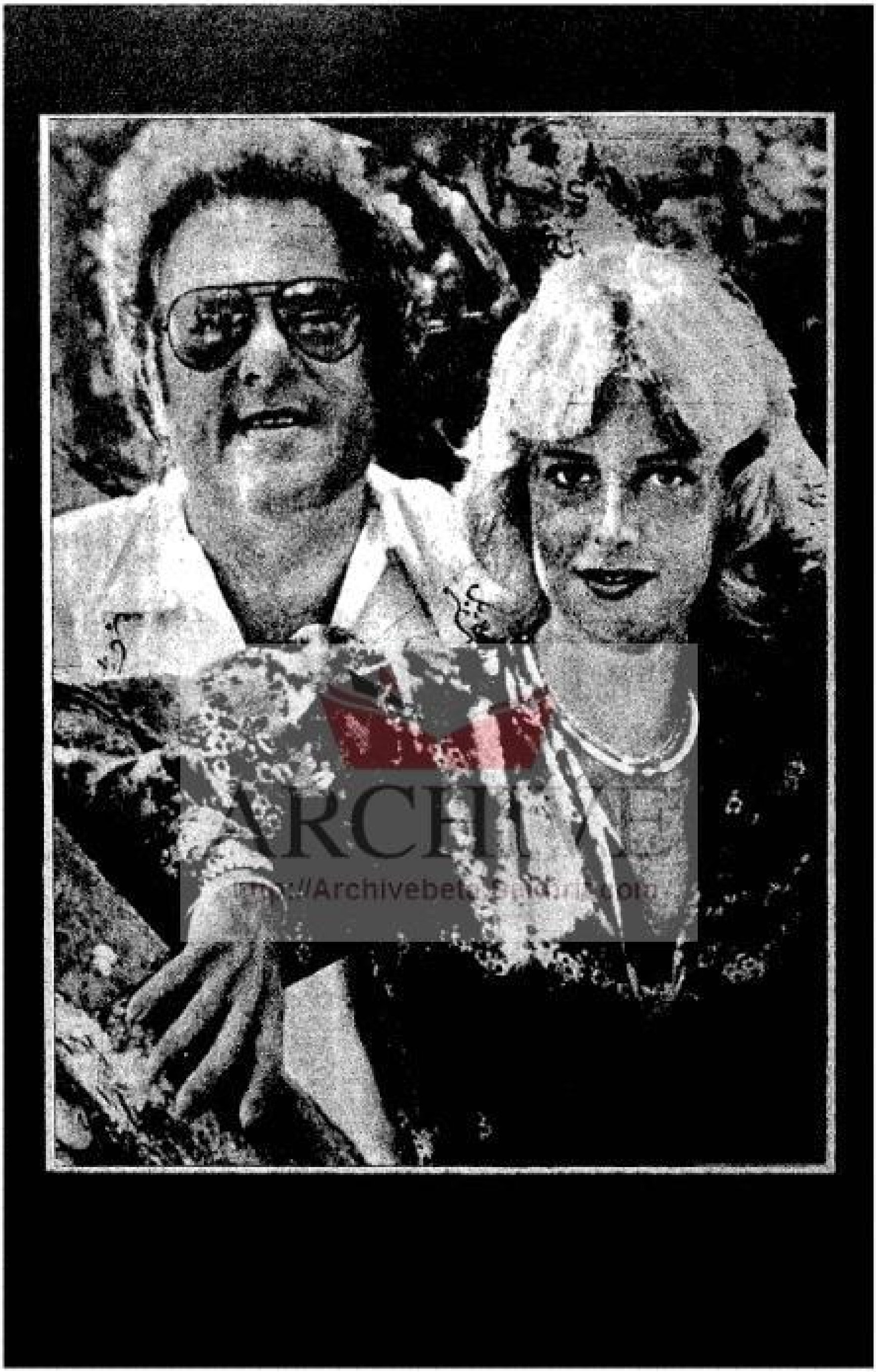
سافرت الى تورنتو وهناك تعرفت بموسيقى يهودى شيوعى مفلس يعمل عازف بيانو فى نادٍ ليلى .. ثم انه مطلق وعنده دستة من العيال ..

وقالت : اتزوجه . وقالوا لها : لن ينفعك ! وركبت راسها وتزوجته واصبحت مسز بول دريك وسكنت فى غرفة فقيرة وقالت: يكفينى الحب !

اتدرى كم كفاها الحب ؟

ستة أسابيع . طلبت بعدها الطلاق وحصلت عليه وخرجت بحقيبة يدها من الغرفة الحقيرة الى المطار لتعود الى بلجيكا ..

● ●



لم يعرفوا الحرب ولهذا يحلمون بها !

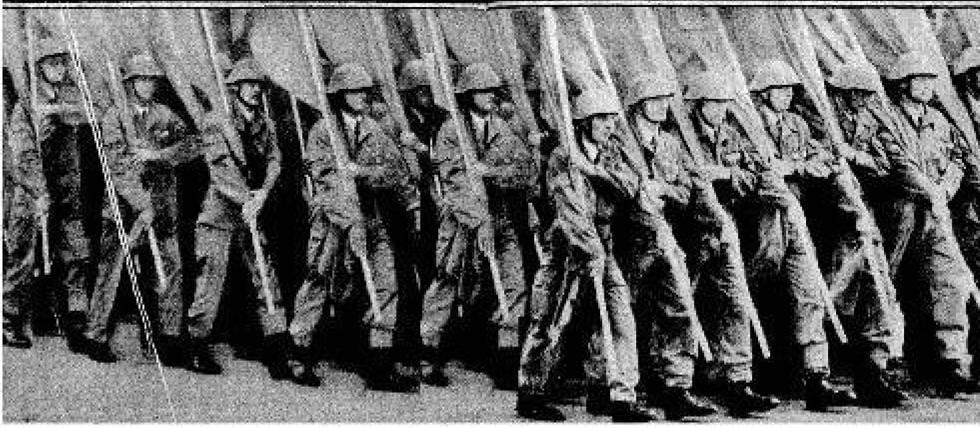
هذه ليست صورة فرقة من جنود هتلر تقوم بواحد من الاستعراضات العسكرية التي جلبت كل الخراب والدمار على العالم ابان العصر الهتلري .. انها صورة فرقة من جنود جمهورية المانيا الديموقراطية (الشرقية) في استعراض اقيم لذكرى مرور ٣٠ سنة على اقامة جدار برلين الذي يحجز بين برلين الشيوعية وبرلين العالم الحر . فقد اقيم هذا الجدار يوم ١٣ اغسطس ١٩٦١ .

انه جدار بين العبودية والحرية . اقامته روسيا الشيوعية في برلين . طوله ١٦٨ كيلو مترا وارتفاعه ٤,٢٠ مترا وسمكه ٣ امتار من الاسمنت المسلح لكي يمنع اهل برلين الشرقية من الهرب الى الغربية . مساحة برلين الشرقية ٩٧,٠٠٠ هكتارا من الارض والهكتار ١٠,٠٠٠ متر أي عشرة الاف .

خلف الجدار من الناحية الروسية منطقة فراغ عرضها ٣٠ مترا بطول السور يحرسها ١٤٠٠٠ رجل مسلحين بالرشاشات السريعة ولديهم الاوامر باطلاق الرصاص لمجرد النظر ومعهم ايضا ٦٠٠ كلب بوليسي .

الى يومنا هذا تمكن ٤٧٤٥ رجلا وامرأة من تخطي السور ولكن ١٧٨ آخرين سقطوا بالرصاص .

هؤلاء الجنود الذين نراهم كلهم ولدوا بعد الحرب ولم يشهدوا ويلاتها ولهذا فهم يحلمون بذكرى ... ان المانيا الشرقية اشد الدول الشيوعية الاوروبية ولاء لموسكو ولا ينتظر الروس ان يحدث هناك ما يحدث اليوم في بولندا .



ناس وصور وحكايات

بولندا..

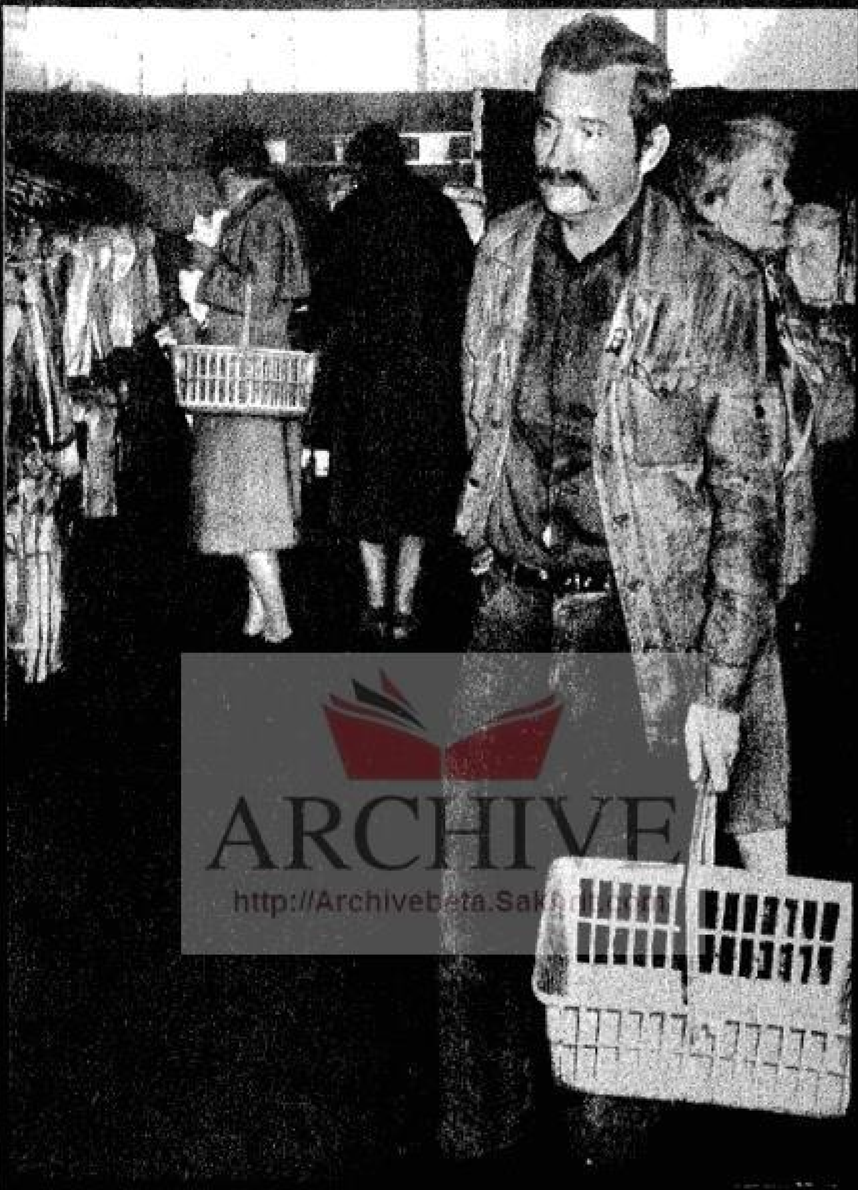
والخطر الروسى والمجاعة

ان ما يجرى فى بولندا لا يفهمه احد ..

لان بولندا ثالث بلد زراعى فى اوروبا بعد روسيا وفرنسا ، انتاجها الزراعى كان ينبغى ان يكفيها ويزيد .

وكان الاتحاد السوفييتى عندما رسم حدود البلاد الدائرة فى فلكه قد أعطى بولندا ضعف مساحتها على حساب المانيا والمجر وكل جيرانها ظنا منه ان بولندا ستكون خادما مطيعا لها . وبالفعل كانت بولندا خادما مطيعا ، وفى غزو المجر سنة ١٩٥٦ كانت الفرق البولندية من أشد الفرق الشيوعية فتكا بالمجريين .

ولكى تصبح بولندا مزرعة اوروبا الشرقية اغدق عليها الروس الادوات الزراعية من جرارات ودراسات للقمح ومحاريث آلية .



وفى هذه الصورة نرى ليخ فاليسا يحمل سقطا فارغا ويطوف
فى مجمع استهلاكى باحثا على شىء من الطعام يشتريه . وعددا من
ربات البيوت فى مظاهرة فى شوارع وارسو يطالبن بالتموين .

ناس وصور وحكايات

بولندا والخطر الروسى والمجاعة

وكانت بولندا تستورد ما يلزمها من الوقود من شركات غربية ، وكانت ايضا تشترى بواسطة القروض حاجاتها من منتجات الغرب، وتراكمت عليها ديون تبلغ ٢٧٠٠٠ مليون دولار للغرب بالاضافة الى نحو ٣٠٫٠٠٠ مليون دولار لروسيا والبلاد الشيوعية وهى اثمان ٥٠٠٠٠ جرارا و ٢٨٠٠٠ محراثا و ٧٠٠٠ طنا من الادوات الاخرى .

والآن تريد بولندا ان تنزع عن نفسها نير الاحتلال السوفييتى، فمنع الروس عنهم قطع الغيار والوقود فتوقفت المزارع وهبط الانتاج وبدأت ازمة غذائية خطيرة فى بولندا .. الطعام شحيح وكل شىء بالبطاقات .

ان روسيا تشدد الضغط على بولندا وتحارب نقابة تضامن العمال الحرة التى يقودها ليش فاليسا . والازمة تزداد حدة يوما بعد يوم والتصادم واقع لا محالة ، ولولا ان الولايات المتحدة اعلنت انها ستستعمل قنبلة النيوترون لايقاف حركة ٤٠٫٠٠٠ دبابة مستعدة لغزو بولندا لكان الغزو قد وقع .



الموت فجأة أو كما يقولون :

الموت.. بالسكتة

● د . مصطفى الديواني ●

● رأيتها في الساعة الثالثة من عصر يوم مشمش جميل في شرفة مجاورة تصطلي بالدفء وترنو ببصرها الى النيل وهو يجري قريبا من باب منزلها ...

كانت في احسن حال من الصحة والتورد ، وكانت تنظر الى الافق قانعة شاكرة ، وكأنها تشكر الله على نعمة الستر والسلامة ، فقد وفقت في تربية بناتها وزفتهن الى من تأمنهم على فلذاتها ، وعكفت على اولادها وزوجها تعش بهم عناية متصلة ، لا تفوتها صغيرة أو كبيرة ... ونظرت الى طفلين صغيرين في شرفة مجاورة كعادتها ودهشت لهما في حنان التي تدرك معزة الاحفاد ولذة الامومة ، ورد عليها الصغيران بابتسامة قنعا بارسال تصلها ، لأن شيئا ما حول التفاتهما الى الجانب الآخر من البسمة البريئة ، فهذه الاجسام البضة لا تعرف للوقت قيمة ، ولا لصروف الزمان واكدار الليالي معنى ولا مبنى ، ولو عرفا لأكملا ابتسامتهما التي هي في الواقع رد على تحية الوداع من هذه السيدة!

في الساعة الثالثة من عصر اليوم التالي كانت هذه السيدة — الجسد كانت هذه الحركة والحياة — نعشا يتهادى ... خرجت من منزلها لآخر مرة يتبعها زوج ذاهل يضرب كفا على كف ، واقرباء امراء تقرحت عيونهم ، واصدقاء للعائلة محايدون ليتهم ماأتوا لانهم بدأوا يثرثرون ويتبادرون بصوت لم يغلب عليه عويل السيدات المودعات لمن كانت الى قلوبهن حبيبة عزيزة ...

وكان بين المشيعين صديقي الطبيب الذي اسعفها في دقائقها الأخيرة ، فتابطت ذراعه كما تأبط كل مشيع ذراع آخر ، وسألته والاسى يملأ نفسي عن سر هذه الفجيعة — فقال :

انه استدعي قبل منتصف الليل من شقته المجاورة لشقة الفقيدة ، لأنها شعرت بألم مفاجيء في منطقة المعدة ، انتشر الى صدرها كأنه حموضة معدية لا اكثر ولا اقل ... ولكنه شخص المرض على حقيقته — وكان نوبة قلبية . وبينما هو يفكر كيف يفضي بالحقيقة تدريجيا في جو كله أمل وطمأنينة ، اذا بالستار يسدل فجأة بعد خمس

عشر دقيقة من بداية المأساة !..

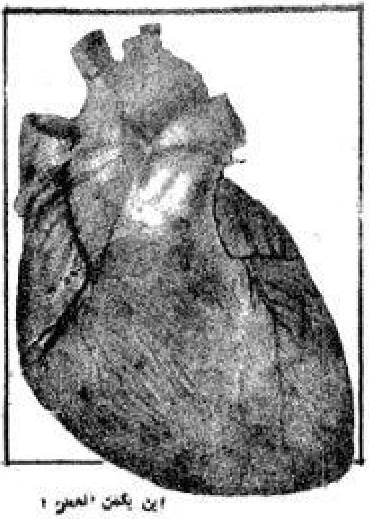
***

وبينما اقرا جريدة الاهرام ذات صباح من عشرين عاما ، لفت نظرى نعى أحد مدرسي المدرسة التي ينتسب اليها احد انجالى ، وكان والفابجانبى ، فاخبرته بما قرات ، فظهرت عليه علامات الاندهاش ـ وكأنه صدم لأول مرة بحقيقة الحياة الكبرى وهى الموت ـ وأعرب عن استحالة حدوث هذا لانه اعطاهم درسا بالامس ... وسالنى : لماذا يموت الانسان بمثل هذه السرعة وهو متمتع بكامل صحته ؟.

وعجبت لنفسى بماذا أجيب هذا الساذج البرىء ، لولا ، أن انقذنى اذ ذاك محرر الاهرام الذى اعتاد اذ ذاك فى تصميم عجيب ان يضع برنامج الاذاعة اللاسلكية بجانب باب الوفيات ، فيخلط الفناء بالبقاء فى صعيد واحد !.. ، وكنت آخذ عليه هذا دائما ، ولكنه فى تلك الساعة بالذات انقذنى من سؤال محرج لان ولدى صفق طربا عندما وجد اذاعة عبد الوهاب بين تفاصيل البرنامج ، ونسى مدرسه وعوادي الزمان ... وهكذا تنسى الطفولة بكل ما عهد فيها من سذاجة وسخافة ...

وفى ذات يوم روعت بوفاة صديق عزيز رايته قبلها بيوم واحد وهو فى أحسن حال ، وقيل لى انه استيقظ من نومه فى الساعة السادسة كعادته ومشى على قدميه فى اتزان وقوة الى حيث ينام الساقى ليطلب منه تحضير كوب من الشاى الساخن ، ثم اذ به يسقط فجاة وهو يصفر بفمه لحنا محببا اليه ، وغاب عن صوابه بعد دقائق ثم مضى فى غيبوبة قضت عليه بعد ثلاث ساعات !..

ولقد سمعنا كيف ان الرئيس الامريكي السابق روزفلت كان يصطاف فى مصيفه المختار ، وبينما هو جالس فى حديقته يمزح مع خلصائه المقربين ، نظر الى طبيبه الخاص فجاة وقال له : « انى اشعر بصداع شديد » ولم يزد على هذا كلمة واحدة ، لانه مال براسه الى الخلف ، وراح فى غيبوبة



اين يكمن العمر !

لم يفق منها أبدا ... ومات بعد اثنى عشرة ساعة !

وكان يعيش فى النصف الاول من القرن العشرين طبيب نابه اسمه « على فهمى زناتى » ولد ثم عاش بضعة اسطر فى سجل الزمان بدات قاتمة خاملة ، وانتهت كأبدع ما تصبو اليه اى نفس تشتهى الظهور واللمعان. فنبغ فى اخريات سنيه فى عمل نفذ بوساطته الى قلوب الجماهير فاحبوه وقدروه ووثقوا بعلمه ، فاغدق عليهم علما واغدقوا عليه مالا ، حتى تيسرت له سبل العيش واتسعت ، وانتشر ضياؤه وملأ الفضاء ، ولم يبق من الحياة مطلب سوى أن يطول العمر حقبة اخرى ليترعرع الاطفال فى كنف والدهم ...

وبدأ كل شيء كان القدر امهل واهمل ، حتى كان ذات صباح جميل ابتعث سمسه وازدهرت ، واذا بالطبيب العظيم يشعر قبل مغادرة المنزل بالم بطنى غامض لم يلق اليه بالا ، فتحامل على قدميه يقاوم الداء قاصدا معمله الخاص ... وقدر للتالب وقتئذ جلال حسين أن يشهد الضياء كيف يخبو ، والنفس الآمنة كيف تذهب فى هدوء ورضاء الى

الكرت الاملى ... قاتلة لا تدرك – لفرط ضخماتها – بدايتها من نهايتها جلس الطبيب الى كرسيه ليستجوب مريضه الأخير فاذا بالراس الغالى يلقى بنفسه على الصدر الرحيب دون آهة أو انذار ، البنيان المتزن الوقوريتداعى بجانب الكتب الذى شاهد معركة الحياة حتى نهايتها الكبرى ، فهب المريض ليغيث طبيبه – وسبحان مقلب الأيات – ولكن كان الأوان فات !

وعاش قبله بثلاثة قرون – القصد ثلاثة شهور – فما اسهل ما تخلط الذاكرة الضعيفة بين القرون والسنين والساعات عندما تستعرض احداث الزمان الذى تدور عجلته فى استرخاء الذى لا يبالى بما تقاسى – اقول عاش فى نفس الحقبة من الزمن طبيب المعى نابه نابغه اسمه (عبد السلام الحمامصى) . دانت له الدنيا منذ تفلقه الاحشاء ، فنشأ نشأة ممتازة، وعاش كل ايامه انيقا نظيفا ، واحتفظ بطلعة وضاءة لا تفارقها البسمة ، ولازمه هذا البهاء والوقار فى دقائقه الأخيرة ، وهو ينزل من سيارته الفاخرة التى اشتراها قبل موته بايام ، وهو يصعد درجات سلم مستشفى الكاتب فى زهو واعتداد قبر متكلفين ، ليجرى عملية الولادة الأخيرة ...

ودخل غرفة العمليات وهو يضرب الارض بقدميه القويتين ، وبعد أن أدى مهمته ، شعر فى التو بضيق شديد ، ولما حاول من حوله اسعافه وجدوه قد فارق الحياة !.. وبقيت السيارة الانيقة اليتيمة عند باب المستشفى تنتظر صاحبها ، فبدت للأعين الدامعة كعربة الموتى بعد أن أوحت منذ لحظات قصار أبدع الفكر عن أحلام الشباب !

***

وحسبنا ما اسلفنا من هذه الثلاث فما نريد أن نمعن فى اثارة كوامن الاحزان ولواعج الاشجان . ولكننا بصدد التساؤل عن سر هذه المفاجآت وكيف تتعطل الالة البشرية فجاة فى مثل هذه الظروف المتناقضة . فهناك شخص يأتيه النذير وهو يكد فى سبيل الكسب .. وثان يقضى وهو ينهك قلبه فى سباق الحب .. وثالث يسقط بينما يغلى دمه ويفور ..

واذا سمعت ان فلانا مات لساعته وهو سائر فى الطريق ، أو وهو جالس الى مكتبه يؤدى عمله ، أو هو يسير بين حجرات منزله او ارجاء حديقته أو وهو سائر فى الطريق ، أو وهو جالس يستمع الى الراديو او يتسامر مع خلانه او اصدقائه .. فاعلم ، حفظك الله ، ان لذلك سببا واحدا ، وهو انسداد شريان القلب بوساطة جلطة دموية ، وهذا يحدث عادة فى الذين تخطوا الاربعين من عمرهم اذا كان بشرايينهم تصلب نتيجة ارتفاع ضغط الدم أو بسبب الشيخوخة ..

ومن المعلوم أن للقلب نفسه شرايين تمد عضلاته بما يلزمها من غذاء واكسجين ، وهى عرضة لان تتصلب كبقية شرايين الجسم . ومتى تصلبت اصبح احتمال تجلط الدم على سطحها الخشن غير بعيد فاذا حدثت السدة الملعونة فى شريان القلب الاساسى ، فليس على المريض سوى أن يشهق شهقة واحدة مؤلمة ، قد لا تتكرر .. أو يضع يده على صدره ثم يميل برأسه الى الامام دون لفظ أو ألم .. أما اذا كانت الاصابة فى فرع من فروعه فان المريض تنتابه الام حادة هائلة تبدأ عادة فوق القلب وتنتشر الى منطقة المعدة والكتفين وبخاصة الكتف اليسرى ، ويصحبها ضيق شديد فى الصدر حتى ليشعر المريض أن روحه تكاد تزهق ..

وقد يكون الالم كله مركزا فى منطقة المعدة فيضل المجرب وانت لتسمع

ه

احيانا من شخص شكا من الم شديد فى بطنه فطلب جرعة ماء ثم مات قبل أن يرتشف منها نقطة واحدة .. أو انه طلب قليلا من بيكربونات الصودا أو ملح الفواكه وبعد أن شربها ابدى ارتياحا ثم تجشا او حاول التجشؤ فخرجت الروح اثناء المحاولة ..

وهنالك حالات ينحصر الالم فيهما بالكتف اليسرى ، ومهما تنوعت الصور فهنالك علامات مميزة ترشدنا الى التشخيص الصواب كاصفرار وجه المريض ، وشعوره بالضيق وصعوبة التنفس ، ودنو الاجل ، ثم اخيرا هبوط مستوى ضغط الدم ..

وتشفى نحو خمسين فى المائة من هذه الحالات ، وتبقى الخمسون الاخرى معلقة فى ميزان ليس بيدنا ضبطه ، غير ان النتيجة تتوقف على حجم الشريان المسدود والعناية الطبية الفائقة ..

ويجب ان نفرق هنا بين السدة القلبية ، والذبحة الصدرية .. فان الحالة الاخيرة تنشأ عن تقلصات فى شرايين القلب تسبب آلاما مضنية ، ثم لاتلبث ان تختفى بعد ثوان او دقائق لتعود ثانية بعد ساعات او ايام او شهور او سنوات ، وهى فى ذاتها يندر ان تسبب الموت الفجائى ، ولكنها بمثابة انذار للمريض انذورته الدموية وبالتالى حياته فى خطر شديد ، اذان حدوثها يدل على وجود تصلب فى شرايين القلب او ارتفاع فى ضغط الدم او اصابة زهرية فى القلب والشرايين الاساسية كالاورطى ..

***

ويجدر بى هنا أن انبه القارىء الا ينزعج لكل الم يتتابه فى تلكالمنطقة الحساسة ، اى مافوق القلب وبين الكتفين ، فكثيرا ما يكون الالم ناتجا من روماتيزم عضلى أو مفصلى ، فهذا المكان من الجسم أكثر اجزائه تعرضا لتيارات الهواء لأنه فى الغالب أقلها غطاء وبخاصة فى فصل الصيف حين يكثر العرق ويلذ للانسان أن يمشى عارى الصدر او يجلس امام نافذة مفتوحة ..

والذى يسوق عربته بنفسه مااسهل أن تتعرض كتفه اليسرى دون اليمنى للفحة الهواء تنفذ من الخارج خلال الزجاج المفتوح فتنشأ عن هذا الام روماتيزمية ، فى عضلات الكتف أو مفصله فتتوهم الضحية ان مابها بداية ذبحة صدرية او انذارا بقرب حدوثها .. اما الام الصدر العضلية فتكون عادة على جانبى عظمة القص او بين الضلوع سواء فى ذلك جهة اليمين أو اليسار . وبسبب الضغط على موضع الالم مضاعفة تثبت أن الالم عضلى لا اكثر ..

اما الم الذبحة فيكون فى الغالب خلف عظمة القص ، وقد يبدأ فى منطقةالمعدة ، ويصحبه انقباض شديد فى الصدر تميزه عن غيره من الالام ، ويبدو الم الروماتيزم العضلى بجانبه كلعب الاطفال .

فاذا انتابتك الام من هذا القبيل فلا تجزع ولا تيئس ، وفسرها على اهون الاحتمالات فقد يكون ماتشكو منه لا يعدو ان يكون وعكة طارئة ، لاتلبث أن تزول .. فاذا كان الزائر الثقيل ما توقعت وشعرت بالدنيا تميد وبالارض تكاد تنفتح لتاخذ بيدك الى السحيق المجهول ، فكن شجاعا فليس لنا فى تلك اللحظة من امرنا شيئا ، فقط لا تنس أن تذكر شهادة لا اله الا الله . .

حقيقة قنبلة النيترون

تصدر الموت في ورق سوليفان

● اثار قرار الرئيس « رونالد ريجان » رئيس الولايات المتحدة الامريكية بتصنيع « قنبلة النيترون » ردود فعل واسعة النطاق ، سواء على المستوى المحلى او المستوى العالمى ٠ وانقسم العالم بين مؤيد ومعارض

تمثل المؤيدون في جماعة العسكريين الذين يرون ان صنع قنبلة النيترون يؤدى الى « القتل النظيف » او القتل مع استعمال الرحمة والرأفة ٠ ويقصدون بذلك قتل الانسان في ثوان معدودة دون تعرض المعدات والآلياتوالمبانى والمنشآت الى اى تلف يذكر ٠ حيث ان قنبلة النيترون ـ اذا ما اطلقت تكتفى بتنظيف المكان وكنسه من اى كائن حى يذكر ٠ وهذا فى حد ذاته ـ وفى رايهم ـ ارحم بكثير من الاسلحة التقليدية التى تفتك بكل شىء فلا تبقى ولا تذر ، فتدمر كل ما تقع عليه ٠ بل وتجعل الانسان نفسه يعانى آلاما مبرحة فى سبيل موته ٠

اما المعارضون فهم كل من ينادى بحقوق الانسان فى أن يحيا على الارض فى سلام ، وبالتالى فهم مع السلام وهم معارضوا الحرب ٠

● وتتلخص قصة « قنبلة النيترون » فى استفادة العلماء من خاصية النيترون المتميزة وهى قدرته على إختراق معظم المواد الموجودة فى الكون دون أن يصطدم بشىء أو يبطىء من سرعته ، ويتم ذلك دون ان يفقد جزءا من طاقته التى انطلق بها ٠ والمعروف أن النيترون هو من جسيمات الذرة التي لا تحمل شحنات كهربائية وليست له تكلفه ٠

● هذه الخاصية جعلت عالما يهوديا امريكيا اسمه صموئيل كوهين يتمكن فى عام ١٩٥٨ ابان رئاسة ايزنهاور لامريكا ـ من وضع الصيغة الاساسية لقنبلة تقتل الكائنات الحية دون ان تدمر اى شىء من الموجودات الاخرى ٠

وواصل ابحاثه الى ان تمكن من وضع الصيغة النهائية لما اطلق عليه قنبلة النيترون او « كوكى كاتر » فى الاعوام القليلة الماضية ٠ مما جعل علماء الذرة يطلقون على كوهين الاب الروحى لقنبلة النيترون ٠

● تقوم فكرة قنبلة النيترون على الاندماج النووى بين « الايترون » المكون من بروتون واحد ، ونيترون واحد مع « التريتريوم » المشابه للهيدروجين ووزنه الذرى ٣ ٠

وينتج عن هذا الاندماج انطلاق « نيترونات » ذات طاقة عالية جدا تعادل ١٤ الف مليون الكترون فولت ٠ تخترق كل ما يصادفها دون أن تحدث به ضررا لكنها تقتل كل كائن حى بداخله سواء أكان انسانا أم حيوانا ٠

وهذه الكمية من النيترونات تجاوز آلاف المليارات فى السنتميتر المربع الواحد من مكان اطلاقها : وتقل مع بعد المسافة ٠

فعلى مسافة ٥٠٠ مترا مثلاتكون الكمية ثلاثين الفا من النيترونات فى السنتميتر



قنبلة النيوترون : خطر على البشرية .

المربع الواحد .. وعلى مسافة ١٥٠٠ متر تكون الكمية ١٢٠٠ نيترونا في السنتيمتر المربع الواحد . اما على مسافة ٢٠٠٠ متر تكون ٧٠٠ نيترونا في السنتيمتر المربع الواحد .

ومن المعروف ان ٦٠٠ نيترونا تكفي لابادة كل كائن حي يصادفها .

والمصاب بالنيترونات يشعر وكانه مصاب بمرض الانفلونزا الشديدة كما يشعر بالام حادة في امعائه . فيتقيا ويصاب باسهال شديد ثم في لحظات ينتهي كل شيء ..

● وقنبلة النيترون يمكن اطلاقها بسهولة سواء بواسطة المدفعية او الصواريخ . كما ان وزنها خفيف اذا قورن بغيرها من الاسلحة الذرية اذ يبلغ ٢٠٠ كيلو جرام .

ولا تختلف قنبلة النيترون عن القنابل الذرية في الوزن فقط وسهولة الاطلاق . بل وفي مدى التاثير ونوعيته .

فالقنبلة الذرية العادية تنفجر في حدود ٨٠٪ وينتج عنها طاقة حرارية وحرائق تصل الى النسبة الباقية وهي ٢٠٪ .

وعلى العكس تكون القنبلة النيترونية حيث أن قوة انفجارها ٢٠٪ فقط وتصل الطاقة الحرارية الناتجة عن الانفجار ٨٠٪ ، وتكون قوة الاعصار والحرارة الناتجة ذات تأثير ضعيف وفي حدود ٣٠٠ متر فقط .

● ويعتمد انتاج قنبلة النيترون على مادة « الليثيوم » ويصل سعر الجرام منه الى ٨٠ الف دولار باسعار عام ١٩٨٠

والقنبلة الصغيرة عادة ما تحتوى على عشر جرامات من هذه المادة في اقل تقدير فيصل ثمنها بالتالي الى ٨٠٠ الف دولار بخلاف المواد الاخرى التي تحتوى هذه الكمية وما يتقاضاه العلماء وما تتكلفه المعامل .

● وللوقاية من اخطار مثل هذه القنبلة احدى انواع القنابل النيترونية بسهولة ويسر ، يكفي ملجا من التراب يكون ساتره في عرض ٣ امتار . لان التراب يعرقل سير النيترونات ويحد من امكانية فاعليتها .

● ولذا فان احدث صيحة في عالم الدمار هي صنع القنبلة السحابة التي تحلق فوق المدينة المراد تدميرها . هذه القنبلة احدى انواع القنابل النيترونية المتطورة . وهي تمتاز بانها لا تحدث انفجارا ولا ينتج عنها طاقة حرارية . وتفتك بالكائنات الحية على المدى الطويل عندما يستنشقون الاشعاعات القاتلة من السحابة التي تظللهم .

● عاطف فرج ●

شاطئ الفيروز!

● محمود العتريس ●

جئتُ أحيِّ البلدَ الطيّبا
وأحملُ الشوقَ لهُ ، مركبا
وأمدح الأرضَ التى طالما
أهدتْ إلى أفق السّنا كوكبا
وكيف لا أمدحُ ملءَ المدى
مهدَ الطفولات وروضَ الصِّبا
وكيفَ لا يحتفل شعرى بمن
كانت لىَ الأمُّ . وكان الأبا
يا بلدا يذهبُ بى عشقهُ
عمرا ، ولا أخشى له مذهبا
والله ، لولا قسمة قد جرت
لاخترتك المشرق والمغربا

❊❊❊

لا تسألونى عن حكاياته
هذا الأديمُ السندسى الربا
وشاطئه الفيروز ، لما حنت
أمواجه ، والرمل لما صبا
وتلكم الأنسامُ قد حمّلت
كل حديث عن نسيم الصبا
وذلك الفارسُ فى قومه
لا يرتضى دون الذرى مأربا

مطروح كم أنجبْتِ من روعةٍ
بُوركتِ يا أروعَ من أنجبا !

***

جئت ، وكم جئتُ ، ويـا ليتني
أحضرتُ من عمري ما غيَّبا
لكنها الأيامُ تطوي المُنى
وتأكل اليابسَ والمرطَّبا
مضى شباب العمر يا بلدتي
وأوشك الجدول أن ينضُبا
لم تبقَ إلا ذكرياتُ الفتى
يجترُّها الشيخُ شذى طيِّبا
يصافحُ التربَ بأنفاسه
والدارَ والشاطىءَ والملعبا !

***

مطروحُ ـ عفواً أنني عاشِقٌ
وليسَ للعاشق أن يُطنبا !
حسبي من الأيام يوماً به
أهبطُ واديك وأعلو الرُّبا
وأسبحُ الأمواجَ ، مسترجعا
ما سوَّدَ الدهرُ وما خضَّبا
وأحمدُ الأرضُ التي طالما
أهدتْ إلى أفق السَّنا كوكبا

[ألقيت في حفل (مرسى مطروح)
بمناسبة عيدها القومي]

الدموع لا تمسح الأحزان

● د . طه وادي ●

ـ ولد يا عادل .. اذهب الى السبورة

تلفت حـولي فاذا مائة عين تنظر لي نظرات مختلفة . في السنة الاولى ثانوي خمسون تلميذا وتلميذة والاستاذ مدرس الرياضة .

ـ نعم يا استاذ ؟

ـ حل المسألة الخامسة على السبورة .

ـ لم أعمل الواجب .

ـ لهذا اطلب منك ..

هو الذي يفهم . يريد مني أنا الـذي لا افهم أن أحل المسألة ؟ المسألة صعبة . ومن أجل تحديك كرهت الرياضة . لم لا تقولها بصراحة .. لن آخذ درسـا خصوصيا .. أبي فقير .. هـذا ليس ذنبي .. ولا ذنبه !.

معظم الفصل يأخذ عندك درسـا .. بجنيهين في الشهر أو كيلتين من القمح أو الارز . نفسـك حلوة يا افنديا . تمنيت أن آخـذ درسا لكي أرى امرأتك الطيبة تتـودد الى التلاميذ طالبة بعض اللبن أو البيض أو الذرة الخضراء .

انفت من شطحاتي على المدرس ينهال علي ضربا وشتما : أنت حمار .. ولا تفهم شيئا !

ضحك بعض التلاميذ ،وسكت الآخرون نظرت الى السـبورة . بجوارها خريطة لافريقيا مائلة . والمسـمار الذى يحملها يكاد يسقط .

ـ لماذا أنا حمار يا أستاذ ؟

انفجر معظم التلاميذ في الضـحك . كاد الصوت يصل الى حجـرة الناظر . ادرك المعلم أن الزمام يفلت من يده ،صاح في عصبية وهو يلوح بعصاه :

ـ كل واحد يفتح الكراسـة ويحـل الاسئلة صفحة ٧٥ .

تحجرت الدموع في عيني ، لو بكيت .. ماذا تقول عني التـلاميذ ؟ نجلس ثلاثة في مقعد واحد . قال طارق هامسا:

ـ تحمل يا عادل .. سـوف نقـدم شكوى الى الناظر .

حول الطبلية تجمعت أسرتنا الحزينة: الوالدان وستة من الابناء يتسابقون في خطف الطعام . لاحظ الاب أني لا اكاد أشارك في الاكل .

ـ هل أنت مريض ؟

ـ اريد ان آخذ درسا في الحساب .

ـ نعم ، يا بني ..

نظر الى امي وبقية اخوتي بعد ان رمى اللقمة من يده :

ـ يعجبك هذا يا نفيسه .. ابنك غبي مثلك .

نظـرت اليه الأم في حيرة . والى في شفقة ..

ـ طول بالك يا أخي حتى نعـرف الحكاية من الولد .

ضيق شديد يملأ صدري . انسللت من الصـالة في هدوء ، عزة أختي الكبرى جاءت مسرعة ورائي :

ـ مالك يا عادل ؟ قل يا حبيبي .. انا أختك .

ـ المدرس يضطهدني كل يوم كي آخذ درسا عنده .

ـ لا تزعل يا عادل ، ابوك معذور ، نحن أسرة فقـيرة .. وأبوك وحـده هو الذي يعمل ..

احتـوتني عزة بين يديها ، كانت أما في الخامسة عشرة ، اخذت تمسح دموعي بطرف جلبابها .. لم تدخـل المدرسة ، لكنها تفيض حنانا . يبدو ان الله يعرف ان امي لن تفهمني فعوضني بهذه الاخت الحنونة . بكيت .. غير أن الدمـوع لم تخفف همومي . شعرت في النهاية أني احمل الاخت المسكينة فوق ما تحتمل . احسست برغبة في الخروج ..

ـ الى اين يا حبيبي ؟

ـ احضر كتابا من طارق .

بالطبـع كنت أكذب عليهـا ، لاني

لا اعرف الى اين سوف أتجه · فى الطريق لا أكاد ارى شيئا ونحن فى النهار · حين يكون الانسان ·· لا يرى ، لا يسمع ، لا يفهم ، كيف يفهم من لا أحد يفهمه ؟!

ذهبت الى الحقل وجلست وحيدا تحت الشجرة ، لكن دخول الظلام جعلنى أحس برهبة · حاولت أن أقترب من العائدين من الحقول حتى لا أشعر بوحشة · لمحت اسماعيل العامل الزراعى عائدا من حقل العمدة · أقسم على أن اركب معه على حماره · حاول ان يكلمنى لكن احساسا بالمرارة جعلنى لا أستطيع الرد عليه ·

ــ اسمع يا عادل ، لازم تصبح طبيبا ·· البلهارسيا يا ابنى دوختنى ·· ان شاء الله لن يعالجنى الا أنت !

ابتسمت ساخرا :

ــ ما زلت فى السنة الاولى يا عم اسماعيل ·

ــ الايام تمر سريعا · فقط قل ان شاء الله ·

اعطانى هذا الرجل البسيط من الامل ما جعلنى استعيد الثقة فى نفسى · وصلت الى القرية بينما عبد الحى الجزار يمسك جاموسة البسها منديلا أحمر ، فى أطرافه ورودا مزركشة ، ينادى ليعلم الناس انه سوف يذبحها غدا ·· والاطفال حوله يرددون :

يا سواح ·· الدهن ساح !

تمنيت قطعة لحم وطبقا من الفتة ·· تذكرت انه بقى على العيد ثلاثة شهور ·

اليوم يبدأ التحدى ·· سأذاكر ولن آخذ درسا · قبل ان اذهب للمذاكرة فكرت فى أن امر على زميلتى مايسة ، كانت ترقب الموقف بينى وبين المدرس فى حيرة · هذه الفتاة تنظر الى نظرات حالمة ، تأتى كثيرا لزيارة أختى · قلبى يقول لى انها تأتى من أجل انا ! ··

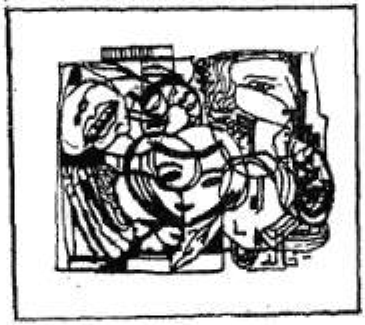
ــ اعطنى بقرش لبان ياعم شفيق ·

ــ القرش اولا ·

ــ عندما يأتى ابى ·

ــ تعال بعد ان يعود ·

حائرا وقفت بجوار الدكان · يارجل يا دون نشترى منك كل شيء ، ومع ذلك لا تتغير ابدا ، مثل اليهود ياعم شفيق اول مرة تدخل قلب التاجر الرحمة ·



اعطانى ملبسة · لن اذهب الى مايسة ويدى فارغة ·· ساعطيها الملبسة ، واشكو لها الزمان المر ·· تصورى يا مايسة مدرس يستغل تلميذا · ورجل يتحدى صبيا · لذلك اكره الرياضة من أجله ·· أخشى ان اكره المدرسة كلها · لكنى ساحاول رغم ان المدرس يتحدانى · وابى لا يعذرنى · وامى لا تفهمنى ·· والبقال لا يبيع لى !

ــ عادل ·· تعبت من البحث عنك !

ــ لم ؟

ــ قابلت الآن اسامة وحازم وشريف · وهم مصممون على كتابة شكوى وتقديمها الى الناظر ·

ــ كيف نشكو احمد الى ام احمد ؟

ــ ماذا ؟

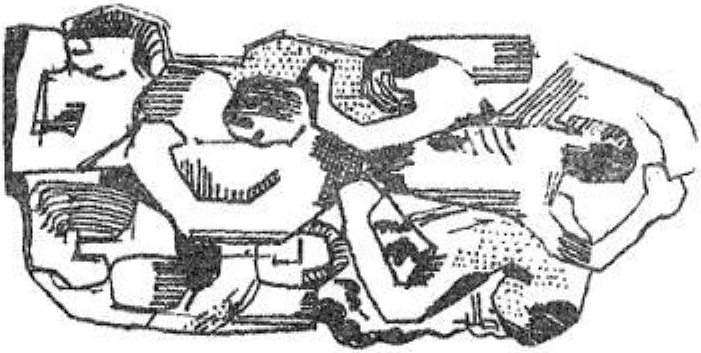
ــ لن يفعل شيئا ·· انه من القرية ويعرف ما يفعله كل مدرس ·

ــ ماذا ترى ؟

ــ أجمع الزملاء عند المدرسة وسوف أحضر بعد قليل ·

نظر الى نظرة فيها بعض شك ، لم أبال ·· تحسست حبة الملبس فى جيب جلبابى ، مضيت كأنى أحمل جوهرة الى ست الحسن والجمال · ماذا اقول لمايسة ؟ ·· اى شيء ·· سوف أنسى معها كل عوامل التحدى ·· لا شيء يجعلنا عظماء سوى أمل عظيم ·

اقتربت من دار مايسة · قلبى ينبض بشدة · شبح يقف خلف الدار · مايسة



رمعهـا ابراهيم ابن ناظر المدرسـة • ارتعشت مفاصل • سحب أمام عيني ..

ـ مساء الخير !

ـ أهلا يا عادل ـ رد ابراهيم فى هدوء

لم تلتفت مايسة الى ، يبـدو انها تضايقت لوجودى ، كأنها لا تعرفني .. لم ترني من قبل • لفة تفوح منها رائحة البسبوسة « والمشبك » فى يدها • قلت حتى أدارى خجلى !

ـ يمكن ان آخذ كراسة الرياضة ؟

ـ لم أعمل الواجب !

ما زلت أظن انه يمكن التنفخ فى قربة مقطوعة :

ـ هاتى كتاب اللغة الفرنسية المساعد

ـ أمى قالت لا تعطى كتبك لاحد !

أحسست انى أتضاءل داخل نفسى • عدت والعرق البارد يتصبب من جبينى • التفض الطائر الجريح فى صـدرى امسكت به فوجدت الملبسة .. قذفتهـا بأقصى ما أقدر عليه !

مرارة تسرى فى فمى • تجمعت فى رأسى الصغير كل مواقف الاحباط • بصقت فى كل اتجاه ، لكن المرارة لم تجف من حلقى • كان الظلام يلف القرية ..

تمنيت ان أهد القرية وأن أعيد بناءها من جديد ، قـرية جـديدة .. لا ظلم ! لا فقر ! .. لا خداع !

لن أكون وحـدى .. فاليد وحـدها لا تبنى شيئا • تذكرت أصدقائى الذين ينتظرون :

ـ أشغلنا عليك يا عادل ـ قال اسامة

ـ آسف .. كنت مشغولا !

ـ اتفقنا على كتابة شكوى وتقديمهـا للناظر .. قال طارق •

ـ لن نكتب ، سـنتحدث .. أنا صاحب حق ، المدرس لا يشرح ولا يكف عن الضرب والشتم •

ـ لم تقل هذا اليوم

رد شريف •

ـ اليوم انتهى .. وغدا يبدأ التحدى •

ـ غدا سنخرج من الطابور الى حجرة الناظر ، لن يدخل تلميذ او تلميذة الفصل .. قال طارق

عدت الى البيت وحيدا .. كنت أحس ان فصل أول ثالث كله معى .. حين يجد الانسان شجاعته لا يكون وحده .. المهم البداية الصـحيحة • تذكرت ان عـزة تنتظرنى .. تخيلت عم اسماعيل يقول فى ثقة :

ـ نحن فى انتظارك يا دكتور !



ذو القرنين والإسكندر الأكبر

بين الكتب السماوية وأساطير القدماء وقصص الأنبياء ووثائق التاريخ

● د. سيد كريم ●

● قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : « ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا • انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا • حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا • قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا • ثم اتبع سببا • حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا • كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا • ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا • قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا • وقال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما • آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا • قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا • » •

(سورة الكهف)

وورد في سفر الانبياء والعهد القديم « أنه كان ملكا مكنه الله في الارض وأعطاه سنن تسخير بعض طاقات الكون ، وآزره بجند من السماء حتى بلغ مشرق الشمس وأخضع أقوامها السبعة واخرجهم من الوثنية وعبادة النار الى عبادة الآله ·

كما وردت قصة الاسكندر الملقب بذى القرنين فى كتب قدماء مؤرخى العرب والاغريق والمصريين، القدماء بمالا يختلف كثيرا عما ورد فى الكتب السماوية ·

● ورد ذكره فى كتاب « قصص الانبياء » لابى اسحق الثعلبى فى القرن الرابع الهجرى « فى وصف مسيرة ذو القرنين الى البلاد والافاق» ـ بقوله :

كان ذو القرنين من رجال الروم وابن حكيم من حكمائهم ، وقال اكثر أهل السيرة ان أسمه الاسكندر بن هرمس ابن يافث وينتهى نسبه الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ·

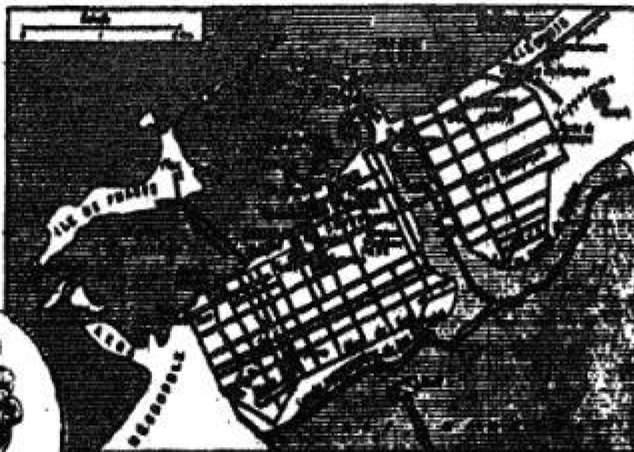
قالوا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره ، اوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم ، وهذا تاويل رؤياك · وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة السنتهم · منهم امتان بينهما عرض الارض ، وأمتان بينهما طول الارض ، وثلاث أمم فى وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج ··

وقال ذو القرنين آلهى ، انك قد ندبتنى الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فاخبرنى عن هذه الامم التى بعثتنى اليهم بأى قوة أكابرهم ، وبأى جمع وحيلة أكاثرهم · وبأى صبر أقاسيهم ، وبأى لسان أناطقهم · وكيف لى ان أفقه لغاتهم وبأى سمع اسمع اقوالهم · وبأى نصر أقذفهم ، وبأى حجة أخاصمهم · وبأى عقل أعقل اليهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم · وبأى يد أسطو عليهم · وبأى رجل طئوهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم ، وبأى رفق أؤلفهم · وليس عندى يا الهى ما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم ، وأنت الرؤوف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ، ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها ··

قالوا ـ فقال تعالى : سأشد لك عضدك فلا يفوتك شىء ، وأشد لك قلبك فلا يفزعك شىء ، وأشد لك يدك فتسيطر على كل شىء ، وساسخر لك النور والظلمة

مدينة الإسكندرية فى عهد الإسكندر واتصال موقعها بكل من الفرع الكانوبى لنهر النيل وبحيرة مريوط وأسوار المدينة







تخطيط مدينة الاسكندرية الذى وضعه الإسكندر ونفذ فى عهد بطليموس الثانى

واجعلهما جندا من جنودك .

يهديك النور أمامك ، وتحوط بك الظلمة من ورائك ..

فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير والح عليه رجال قومه بالمقام فلم يفعل ، وقال لابد من طاعة الله .

وسار بجنوده كما امره الله حتى بلغ مغرب الشمس فوجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى ، وقوة وباسا لا يطيقه الا الله تعالى . ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتتة ..

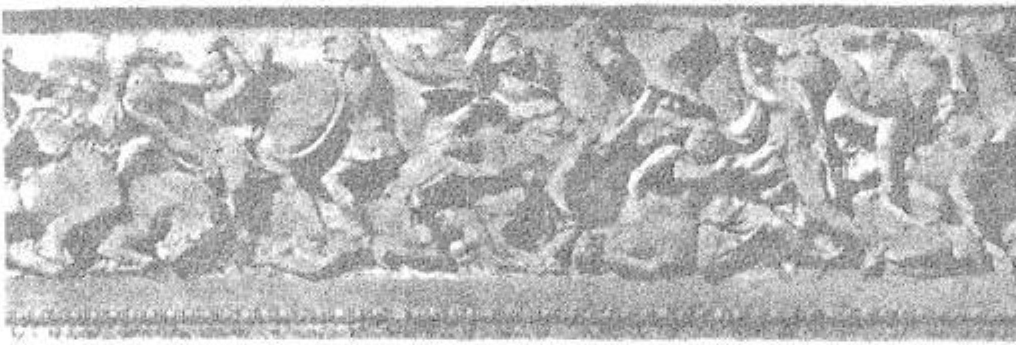
فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ..

ثم اخذ عليهم بالنور ، ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فغشتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب ، فصاحوا وتحيروا وآمنوا بقوة ربه فانضموا تحت لوائه ، فجعلهم جندا واحدا ، وانطلق بهم يقودهم والظلمة تحرسهم من خلفهم والنور امامه يقوده ويدله .

وكلما سار مسترشدا بالنور الذى يقوده ازداد عدد جنده ممن كانوا أعداءه الذين أخرجهم من الظلمة الى النور ، وصل الى الامة التى فى قطر الارض ويقال لها هاويل ، وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله حتى اذا انتهى الى بحر أو نهر ، هيأ سفنا من الواح صغار مثل النعال فيلحمها فى ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم والجنود اذا بلغ البحار والانهار ، وفتقها ، ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ولما فرغ منها مضى على وجهه حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس فعمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها ، حتى اذا بلغ ما بين السدين ، أرض ياجوج وماجوج ، وهم خلق من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس ، وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش ، ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض .

وليس لله خلق ينمون نماءهم ، ولا يزدادون كزيادتهم ، فان أنت اطلعت على نمائهم وزيادتهم فلا تشك انهم سيملأون الارض ويخرجون أهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها ..

فبنى ذو القرنين بين أرض مشرق الشمس وأهل ياجوج وماجوج سدا أو حاجزا كالحائط من الحديد المصهور



جنود الاسكندر يغزون بلاد فارس ومطلع الشمس

وكساه بالنحاس ، ويبلغ طول السد مائة فرسخ وارتفاعه خمسون فرسخا سد به المر بين الجبلين . وكانت ارض السدين آخر البلاد السبعة التي أمره الله ببلوغها .

● كما وردت قصة ذى القرنين في « سيرة الانبياء وأخبار القدماء » التي رواها ابن عباس في مجلس معاوية عندما سأل كعب عن نزول ذى القرنين في بلاد ما بين النهرين التي وردت الكتب السماوية وأساطير القدماء - فقال كعب:

لقد كان ذو القرنين قبل مسلما ملكا تدين له الملوك وتسجد بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذى خلط وساط حرمد

قالوا ، وتوجه من المغرب بعدد قليل من جنده يؤازرهم عدد لا يحصى من جنود الله توجه بهم نحو المشرق ، فدانت له البلاد ، فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران ، وما كان بأرض الهند من بيوت الاوثان ، وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ، ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد

وروى انه استولى على ذهب المجوس ، وبنى سبع مدائن في ارض المشرق منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو سمرقند ، ومدينة بأرض أصفهان بنيت على مثال الجنة ، ومدينة بأرض بابل لزوجته روسنك بنت دارا الفارسي ومدينة الاسكندرية على ارض مصر التي خرج منها .

ثم انه رأى في منامه انه اخذ بقرني الشمس ، ورأى في منامه انه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا تحرسه عناية الله .

وعندما استتب له الملك وخضعت له الامم السبعة أمره الله بالعودة الى دومة الجندل وكانت منزله ، فاقام بها حتى مات وحمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك .

وقالوا لما مات ذو القرنين عرض الملك على ابنه اسكندروس فأبى واختار النسك والعبادة .

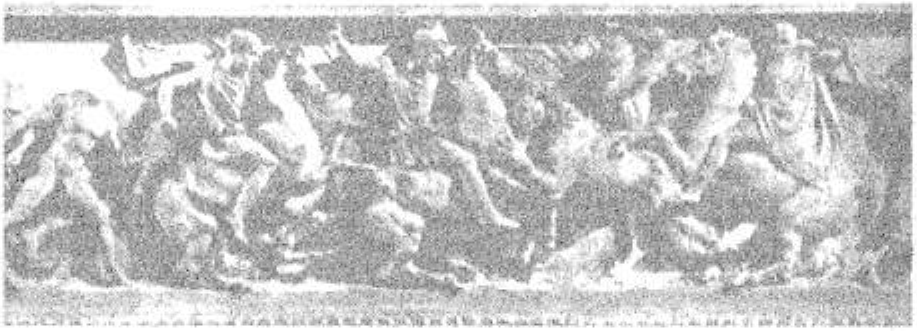
● الاسكندر الاكبر ومؤرخوا الفراعنة ●

ورد تاريخ الاسكندر الاكبر الذى خرج من مصر حاملا معه لقب ذى القرنين في برديات بطليموس الاول وقوائم مانيتون، ووثائق كل من سترابون وكليمانتوس السكندرى ..

ويمكن تلخيص قصة حياته التي وردت في تلك الوثائق التاريخية كما يلي :

ولد الاسكندر المقدوني في مدينة بيلا بمقدونيا في شهر يوليو من عام ٣٥٦ ق.م . واشتهر ابوه فيليب الثاني العظيم بفتوحاته المشهورة التي اخضع بها اثينا واسبرطه وشرق البحر الابيض ، وقد اشرك ابنه الاسكندر منذ طفولته في الاعمال العسكرية . ثم وضع خططه للزحف على بلاد الفرس لاسترداد ما استولوا عليه من املاكه على شاطىء آسيا الصغرى عندما حاولوا غزو بلاده .

ولكنه قتل عام ٣٣٦ على يد أحد النبلاء المقدونيين المدعو بوسنياس بعدما عد العدة لغزو بلاد الفرس . وخلفه ابنه



الاسكندر ليحقق أمنيات أبيه . فاكتسب بين عظماء الفاتحين اسما خالدا بما قام به من اعمال أسطورية . كانت سنه عند توليه العرش عشرين سنة .

كان أرسطو قد باشر تربيته منذ الثالثة عشر من عمره ودرس الفلسفة والادب والهندسة والرياضيات على يد مجموعة من اساتذة وحكماء الاغريق . وشب متشبعا بالحضارة المصرية التى تلقنها عن استاذه ارسطوتل الذى درس مع افلاطون فى جامعات مصر القديمة ومعابدها واعتنق الديانة المصرية القديمة وعقيدة توحيد زيوس آمون قبل حضوره الى مصر .

وفى عام ٣٣٤ ق.م زحف بجيشه نحو آسيا الصغرى فعبر البوسفور والدردنيل وهزم جيش فارس واستولى على المستعمرات الاغريقية فى آسيا الصغرى ، ثم التقى بالفرس مرة أخرى بقيادة دارا الثالث فى معركة افسوس ، ثم اتجه جنوبا وأخضع المدن الفينيقية واستولى على مدينة صور .

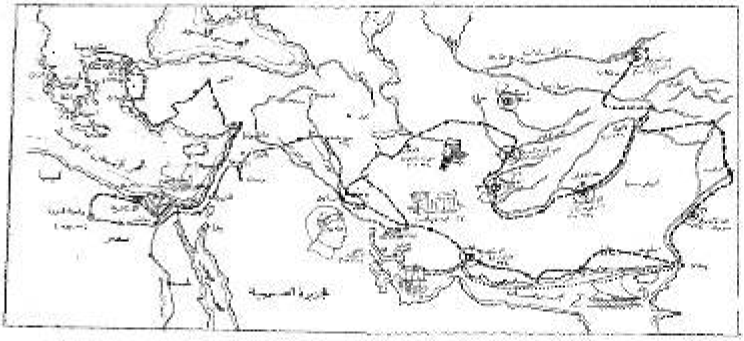
ولسبب غير معروف ـ كما ذكر المؤرخون ـ غير خططه ، فبدلا من تعقبه لدارا لغزو بلاد الفرس أمر جيوشه بالتوجه غربا نحو مصر . وكانت مصر اذ ذاك تحت حكم الفرس .

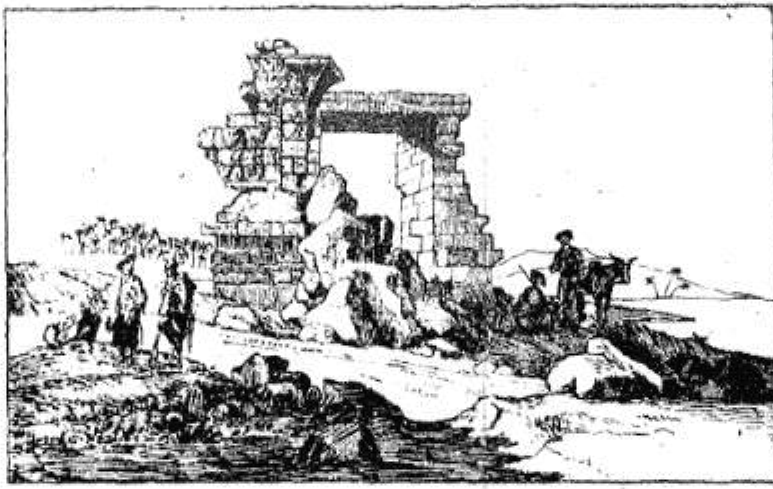
دخل مصر فى خريف عام ٣٣٢ ق.م ولم يجد أية صعوبة أو مقاومة عنددخولها فقد كان المصريون ساخطين على الفرس حتى انه لم يجد أبوابها مفتوحة فحسب بل وجد ان المصريين قد انضموا اليه لتحرير بلادهم من المستعمر الفارسى الذى كان يحارب عقائدهم ويخرب معابدهم ، بينما فوجئوا بأن الاسكندر يؤمن بعقيدة الاله زيوس آمون اله مصر وبلاده ، ويعتبر نفسه من أبناء الاله الذى لم يأت لغزو مصر بل لتحرير معابدها من نير الفرس .

فكان أول عمل قام به أن توجه بأسطوله من قناة السويس الى منف حيث اعتنق الديانة المصرية وقدم قربانا للاله آمون ، كما اعتنق كثير من قواده الديانة المصرية ، وأقام الحفلات الرياضية والموسيقية احتفالا بتتويجه ، وأحضر من بلاد الاغريق أشهر المغنيين والمغنيات ، وبدلا من فرض الجزية التى كان يقوم بها المستعمرون والغزاة ـ قدم الهدايا والمعونة السخية لاهل البلاد ، والقرابين للمعابد وكهنتها ، مما جمعه من البلاد التى قام بغزوها وهو فى طريقه الى أرض مصر ، وأمر بإصلاح ما خربه الفرس من معابد المصريين ..

ومن منف اتجه بجيشه برا نحو الجنوب حتى وصل الى الشلالات فقام بزيارة الكرنك وقدم هو وقواد جيشه القرابين للاله آمون وزار معبد تحتمس الثالث القائد البطل وسجل زيارته وتقربه الى الالهة التى نصرت تحتمس فى حروبه وغزواته على جدران المعبد وكان يعتبر تحتمس الثالث مثله الاعلى فى العسكرية والبطولة .

وعند عودته الى منف انتقل منها عن طريق فرع نهر النيل الكانوبى الذى يصب عند الاسكندرية فى بحيرة مريوط ومنها اتجه الى واحة سيوه لزيارة معبد


الجزيرة العربية



بوابة معبد امون زيوس فى سيوه ..

ويؤكد المؤرخ سترابون انه شاهد بنفسه تمثال امون المصنوع من اربعة عشر جزءا من مختلف المعادن والاحجار النفيسه وكيف كان يجيب عن اسئلة الاسكندر بحركة من يديه وايماءته من راسه كما سمعه يخاطب الاسكندر بقوله :

« انك ابنى وانى أعطيتك الشجاعة وأمرتك أن تحضر لزيارتى وانى امنحك السيطرة على كل البلاد . وكل الاقطار الاجنبية تحت قدميك » .

كانت تلك المعجزة أو الرسالة التى شاهدها وسمعها كهنة المعبد وكبار الزوار وقادة الجيش ، السبب الاساسى فى مبايعة المعبد للاسكندر والمناداة به كابن روحى للالة زيوس .

وعند عودته من سيوة اختار موقع الاسكندرية فى الموقع الذى كانت تحتله قرية راقودة (راكوتيس) الشهيرة بصيد الاسماك ، وهو الموقع الذى اختاره له الاله ليقيم به معبدا للاله زيوس ومدينة تحمل اسمه .

وبعد ان وطد حكمه فى مصر زحف بجيوشه الى آسيا الصغرى ، فخرج بجيشه من مصر عام ٣٣١ فغزا بلاد الفرس وقتل ملكها ، واستمر زحفه ، واخذت فتوحاته تترى وانتصاراته تتوالى فاستولى على امبراطورية الفرس وبلاد الهند ، ووصل بجنوده حتى حدود الصين حتى تم له فتح الاقطار السبعة او العوالم السبعة . واقام بكل منها مدينة تحمل اسم الاسكندرية ومعبدا يحمل اسم الاله زيوس .

وظل النصر حليفه الى ان وافاه الموت فى بابل بعد عودته من الهند ولم تتعد سنه ٣٢ سنة وثمانية اشهر ـ مات عند غروب شمس اليوم الرابع من شهر برموده المصرى الموافق ٢٨ اغسطس عام ٣٢٣ ق.م .

● اما تاريخ الاسكندر الاكبر الذى سجله مؤرخوا الاغريق والمقدونيين القدماء وفى مقدمتهم كالستيوش الذى رافق الاسكندر طوال رحلته الى مصر ومصاحبته فى معاركه الشهيرة فى بلاد الشرق والتى وصلت الى الهند وحدود الصين والبحر الاسود ـ فقد تركزت معظمها على مراحل نشأته الاولى فى مقدونيا ثم معاركه وغزواته فى الشرق والتى سجلت تاريخ حياته قبل دخوله أرض مصر .. وبعد خروجه منها .

وكعادة مؤرخى اليونان القدماء ، الخلط بين الوقائع التاريخية والاساطير



قطع النقود التى تحمل صورة الاسكندر وخوذة القرنين بعد خروجه من مصر وخوذة رأس الاسد التى خرج بها من مقدونيا .

البطولية التى تبرز الاعمال الخارقة التى يقوم بها أبطال تاريخهم . فى مقدمة الاساطير عن حياة الاسكندر اسطورة مولده وتسميته ، وهى الاسطورة التى احتفظت به أم الاسكندر والحكيم أرسطو معلمه ولم يخطر بها الاسكندر الا بعد موت أبيه فيليب الثانى .

وتحكى الاسطورة ان ميلاده لم الاسكندر وكان المقدونيون يطلقون عليها اسم (اوليمپياس المقدس) كانت تغتسل فى بحيرة القصر فى ظل شجرة السندر ، فبشرها الوحى بأنها ستحمل من روح الاله وتلد غلاما يكون له شان فى انقاذ البشرية ، وعندما ولد الغلام اسمته الكسندرس تيمنا باسم الشجرة المقدسة شجرة الوحى . وقد عمل معلمه أرسطو على تلقينه عقيدة توحيد زيوس آمون التى نقلها من مصر أثناء اقامته بها مع افلاطون .

ويقول كالستينوس ان الاسكندر كان مؤمنا بأنه من صلب الاله وانه لم يكن يقوم بأى عمل الا بوحى منه وبعد استخارته وهو ما يفسر تغيير خططه الحربية عندما خرج لمحاربة الفرس واحتلال بابل فاتجه بجيشه بعدما وصل الى الغرب من الفرس واتجه كما ذكر

ويما بعد الى مغرب الشمس يتلقى الوحى والرسالة من أبيه زيوس آمون فى معبد سيوة .

كما شرحت أساطير المؤرخين غزواته ومعاركه التى اخضع بها العالم القديم أو عالم مشرق الشمس الذى يمتد الى آخر المعمورة وهى بحر الهند وحدود الصين .

وتصف الأساطير انه خرج من مصر بجيش قوامه مائة الف جندى وهو يتقدم قواده حاملا تاج آمون على رأسه وراية زيوس فى يده ، فكلما دخل بلدا انضمت جنود اعدائه الى جيشه بقوة الاله حتى بلغ عدد جنود جيشه عندما وصل الى الهند الف الف وستمائة جندى جنسيتهم واحدة وهى جنسية اتباع آمون . فأمكنه السيطرة وحكم عالم مشرق الشمس وبلاده فى سبع سنوات واقام فى كل بلد مدينة تحمل اسمه أى الاسكندرية ومعبدا يحمل اسم الاله زيوس .

وتنتهى اسطورة الاسكندر كما سجلها مؤرخوا الاغريق انه لما انهى رسالته عاد الى بابل حيث أقام أعياد النصر التى لم يشهد التاريخ لها مثيلا والتى اكتملت فيها أفراح زواج قواده وجنوده .. وبعد انتهاء الحفل دخل الى مقصورته بعد أن

ودع رجاله ودخل مضجعه وهو بكامل زيه العسكرى ليلقى ربه وهو فى سن الثانية والثلاثين .

وترك وصيته التى أوصى فيها ان يدفن جثمانه فى أرض مصر بجوار معبد أبيه الاله زيوس آمون .

● ذو القرنين .

اختلف مؤرخو الاغريق وكتاب العرب ومفسروا العقيدة فى تفسير لقب ذو القرنين ،فذكر الثعلبى فى قصص الانبياء بأنه كان له فى مقدمة رأسه ذؤبتان (حسنتان) والذؤبة تسمى قرنا .

وذكر البعض الآخر بأن جبهته كان بها بروز ظاهر يشبه القرون ، بينما وصفه كتاب الاغريق بأنه أطلق عليه اسم ذى القرنين عندما أصبح ملكا على الروم وفارس وكان يطلق عليهما قرنى الأرض .

ويصفه المؤرخ أبى اسحق النيسابورى فى تاريخ الانبياء بأنه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وكان تأويل رؤياه انه سيطوف المشرق والمغرب ويخضعها لحكمه ، وهما ما كان يطلق عليهما قرص الشمس ، وقال البعض الآخر انه من أهل بيت شرف وقدسية من أبيه وأمه فكان يرسم على جانبى غطاء رأسه صورة قرنين دلاله على نسبة .

والتفسير الصحيح لقصة القرنين هو ما سجله تاريخ الفراعنة فى برديات بطليموس الاول والتى نقلها المؤرخ سترابون ويتمثل فى الخوذة الحربية التى أعدها كهنة معبد سيوة عند تتويجه ـ وصنعت على شكل رأس الآله الامون الذى يرمز اليه بالكبش ، وعلى جانبى الخوذة قرنان ملتويان ليحميه الاله آمون فى معاركه ويسهل له السيطرة على أعدائه ، وهى الخوذة التى ظهر بها فى معاركه الحربية كما ظهرت صورتها على قطع النقود التى حملت اسمه وصورته .

● وهكذا تتلاقى بحوث كتاب العقيدة وأساطير الاقدمين وقصص الانبياء ووثائق المؤرخين مع الكتب السماوية لتثبت ان ذو القرنين هو الاسكندر الاكبر حامل اسم ذو القرنين الذى خرج به من مصر ويحتل ذو القرنين مكانه بين انبياء الله الذين هبطوا أرض مصر ـ أرض السلام والأسلام ـ وخرجوا منها لنشر عقيدة التوحيد .



ذو القرنين وخوذة امون ذات القرنين .

الخروج من قبضة المكان

● سالم حفنى ●

أريدُ أن أعيشَ لا يَحدني مكانْ !
هناكَ .. حيثُ لا قيودْ ..
وحيثُ تستحمُ في فضائها النجومْ
وترسل الضياء في الظلام للمسافر الغر،
أريدُ أن أعيش لا يحدُّني مكانْ ...
كغيمةٍ .. كنسمة .. كنجمة ..
كموجة لمّا تزلْ تجيشُ في البحار ..
وتلطم الصخورَ والسدود والشطآنْ
وترفضُ القرارْ !
كندْفةِ السحاب ...
تسير أينما تسيرُ ...
أو تساقطُ المطرْ
لتولد الحياةُ من جديد ..
ويبزغَ القمرْ ...
ككلمةٍ .. تظلُّ تعبرُ الأثيرْ ..
تظلُّ تعبرُ الأثيرْ ..
تحملُ في حروفها النذيرَ والبشيرَ ،
والخطر !
تقولُ : لا مَفَرّ !
أن يُورق الشجر
أن تحبلَ الأرضُ العقيمُ منذ آلاف السنين
وتخرجَ الثمر .
أن يتدفق الضرعُ الذي قد طالما جف
وأنْ يفيض في الوديان ..
ذيالكَ النهرُ !!



من الظواهر الفلكية المحيرة

اسرار الثقوب السوداء

● ميشيل تكلا ●

منذ نحو عشرين الف سنة مضت ، نفذ الوقود النووى لنجم ضخم من نجوم الكون يفوق كتلة الشمس بعدة مرات ، ثم انفجر انفجارا رهيبا والقى بطبقاته الخارجية بعيدا ، مكونا سديم البرقع المعروف فلكيا . وربما تداعى القلب الصغير للنجم تماما واصبح ثقبا اسود .. !

فى قصص الخيال العلمى ، ومنذ سنوات قليلة مضت ، جاء ذكر « الثقوب السوداء » لاول مرة وكانت « الثقوب السوداء » ذاتها بعيدة كل البعد عن خيال العلماء الفلكيين . اما الآن فقد اصبحت حقيقة علمية واضحة المعالم ، لان علماء الفلك استطاعوا ان يروا الدليل على وجودها ، وقالوا عنها انها اشبه بفك مفترس فى الفراغ! .

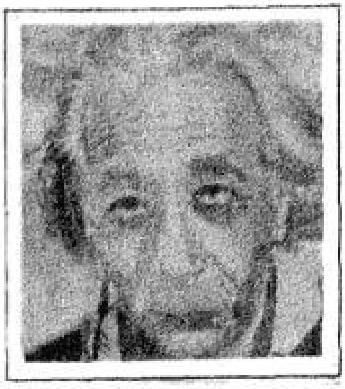
ان قصة اكتشاف الانسان للثقوب السوداء لم تبدا فى السبعينات ولا حتى فى هذا القرن فقد تكهن بوجودها عالم الفلك الفرنسى بيير ـ سيمون لابلاس فى عام ١٧٩٥ . وكانت نظريته غاية فى البساطة ، فحواها « ان كل جسم فى الكون له جاذبية، مثل جاذبية الكرة الارضية التى تمكننا من البقاء على سطحها فى اى مكان . واذا اراد صاروخ ان يهرب من جاذبية الارض ، فلابد ان ينطلق بسرعة ٤٠٫٣٠٠ كيلو متر فى الساعة او اسرع من ذلك .. وتمتد الاصابع الخفية لجاذبية الارض الى ملايين الكيلو مترات فى الفراغ ، ولكن سحبها يصبح ضعيفا مع المسافة كما يفعل سحب الجاذبية لاى جسم من الاجسام .. »

ادرك لابلاس ان بعض النجوم الهائلة قد تكون ذات جاذبية عظيمة بحيث تصبح سرعة الافلات من سطحها اعلى من سرعة الضوء « ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية » والضوء ذاته لايستطيع ان يفر من هذا النجم لذلك فانه يصبح غير مرئى . وفى المنطقة المحيطة مباشرة بالنجم تظل الجاذبية قوية بما فيه الكفاية لمنع الضوء من الهروب وعلى ذلك فان نجما مثل هذا قد يكون له منطقة من الفراغ حوله بحيث لا يمكن للضوء ان يفر الى باقى الكون . وتسمى هذه المنطقة اليوم بالمنطقة السوداء . ولكن لماذا اطلق عليها ايضا كلمة الثقب ؟

ان التطورات التاليه حدثت في سويسرا قبل الحرب العالمية الاولى . ففى مكتب تسجيل الاختراعات بمدينة برن وضع موظف فى السادسة والعشرين من عمره اللمسات النهائية لنظرية كان يجمع شملها فى اوقات فراغه . وكان اسمه البرت اينشتين، وكانت نظريته عن النسبية الخاصة ... اما نظريته الاولى عن النسبية التى نشرت فى عام ١٩٠٥ تتحدث عن الاجسام المتحركة وكيف تبدو للاخرين . وبدت تكهناتها او استنتاجاتها شاذة : لأنه كلما ارتحل جسم بسرعة ، تزداد كتلته ويقل طوله ، ويجرى الزمن بطريقة ابطأ بالنسبة للمراقب الثابت فى مكانه... ولكن نظرية اينشتين ثبت صحتها مرارا وتكرارا تبعا للتجارب الفيزيقية ولم يعد هناك ادنى شك فى ان جميع هذه التاثيرات تحدث بالفعل فى السرعات العالية جدا ...

اوضحت النظرية ايضا انه لا شيء يستطيع ان يرتحل بسرعة اعلى من سرعة الضوء ؟ فللكون سرعة طبيعية محدودة بثلاثمائة الف كيلو متر فى الثانية . واذا كان على جسم ان يرتحل بسرعة اعلى من سرعة الضوء ليصبح ثقبا اسود ، فالهروب هنا ممكن . وقد تقع الاجسام فى الثقوب السوداء، ولكنها لن تستطيع الخروج منه ثانية ـ انه الثقب الاخير او المستودع الدائم للمادة التى سقطت فيه .

وطبقا لآراء علماء الفلك فى العصر الحديث فان نجوم لابلاس العملاقة لا يمكن ان يكون لها وجود فعل لان مثل هذه النجوم الهائلة لا تتكون فى الفراغ . ولكن نظرية اينشتين الموسعة عن النسبية العامة التى توصل اليها بعد عمل دام عشر سنوات اوضحت ان فكرة الثقب الاسود حقيقة ثابتة . فالثقوب السوداء لها وجود بمختلف الاحجام على شرط ان تضغط المادة ضغطا كافيا ـ وكانت هذه هى النقطة التى لم يعرفها لابلاس .



البرت اينشتين .. اوضحت نظريته ان الثقوب السوداء قد يكون لها وجود

اذا ضغطت مادة الكرة الارضية باسرها حتى اصبحت سنتيمترين اثنين مثلا ،فان سرعة فرارها تصبح كسرعة الضوء ، ويصبح كوكبنا الارضى ثقبا اسود صغيرا ... اما الشمس فقد تنكمش الى قطر ستة كيلو مترات اى تضغط من محيطها الذى يبلغ ١٫٤٠٠٫٠٠٠ كيلو متر .

وبالرغم من ان علماء الفلك يشكون فى ان ينكمش كوكب بحيث يتحول الى ثقب اسود فان بعض النجوم يحدث لها ذلك التحول ، فالنجوم الاثقل من الشمس قد تنفجر فى نهاية حياتها انفجارات رهيبة يطلق عليها اسم « سوبر نوفا » ! فالاجزاء المركزية للنجم تضغط الى الداخل عندما يقود الانفجار طبقاتها الخارجية الى الخارج . وقد ينتهى قلب النجم ويصبح نجما نيترونيا اى كرة من المادة قطرها ٢٠ كيلو مترا ويصبح كثيفا بحيث ان راس دبوس من مادته قد تزن ملايين الاطنان .. او ربما ينهار ويصبح ثقبا اسود ...

وطبقا لنظريته النسبية العامة فان النجم سيستمر فى انهياره ويصغر ويصغر حتى يتلاشى تماما ولا يحتل مكانا فى الفراغ نهائيا ، ويصبح نقطة فى حجم الصفر ...

ولكن هذه النقطة تحتوي على مادة قلب النجم الاصلي وعلى مادة كالشمس. ويطلق العلماء على هذه النقطة كلمة « الوحدة » . وتحيط بهذه الوحدة منطقة من الفراغ تصبح فيها سرعة الهروب اعلى من سرعة الضوء ، اى ثقبا اسود ... ومن سوء الحظ ليس فى قدرة العلماء أن يروا عما اذا كانت هناك « وحدة » فى مركز ثقب اسود فى الفراغ ، لأن اى ضوء منه يحبس طبيعيا فى داخل الثقب الاسود الذى يحيط بها ... وافترض بعض علماء الرياضة وجود بعض الوحدات المرئية فى بعض الظروف غير العادية، ويغلب على ظن الكثير منهم أن هذه «الوحدات العارية » لا تحدث لأن الوحدات تبدو متدثرة بثقب اسود يحيط بها. طبقا لمبدأ يعرف باتشاب باسم « الرقابة الكونية » ...

● **القمر الصناعى او هورو :**

بالرغم من ان علماء الرياضة حسبوا منذ عشرات السنين أن الثقوب السوداء قد توجد نظريا ، لأن من الصعب اثبات وجودها فى الكون ، وبما أنه لا يمكن رؤيتها مباشرة ، فالدليل على وجودها قد يكون غير مباشر ، ويجب ان يأتى من تأثيرات جاذبيتها . فسطح الثقب الاسود تعادل سرعة الفرار منه سرعة الضوء. وفى هذا السطح غير المرئى الذى يسمى « الافق العرضى » تصبح الجاذبية قوية ، وفى خارجه يصبح السحب ضعيفا ويتلاشى كلما زادت المسافة .. ومع ذلك فالجاذبية خارج « الافق العرضى » اقوى منها. فى اى مكان عرف حتى الآن . وقد يكون هذا هو المفتاح لمكمن الثقب الاسود .

ان اثبات وجود ثقب اسود مثل محاولة اثبات ان جريمة وقعت فى مكان ما ليس به جسم الجريمة ... وحتى اذا لم يعثر على الجثة يستطيع المخبر الذكى ذو الانف الحساسة اثبات وجودها اذا استطاع ان يثبت ان الجريمة قد ارتكبت . وهكذا يعمل الفلكيون الذين يبحثون عن الثقوب السوداء . ولكن بدلا من استخدام مجهر ، يستخدمون اجهزة تكلفت مئات الملايين من الدولارات على هيئة اقمار صناعية تكتشف اشعاعات غريبة صادرة من اعماق الفراغ ..

فى يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٠ وكينيا تحتفل بعيد استقلالها ؛ انطلق صاروخ من منصة بترول على الساحل الكينى. وحمل الصاروخ معه الى المدار اول قمر صناعى صمم خصيصا للكشف عن اشعة اكس فى الفراغ ؛ وهى الاشعة التى لا يستطيع علماء الفلك دراستها من الارض لأن جو الارض يمتصها باستمرار ...

واطلق على القمر الصناعى اسم « اوهورو » وهى كلمة سواحلية معناها « الحرية » . وكان القصد من ذلك اثبات الخطوة التالية فى قصة الثقب الاسود المثيرة .

استطاع القمر الصناعى « اوهورو» ان يكتشف بالفعل مصدرا لاشعة اكس فى كوكبة الدجاجة او البجعة، وسجل المصدر تحت رقم « البجعة اكس ». ووجد الفلكيون فى المحطة الارضية ان هناك نجما قريبا من هذا المصدر ، وكشف ضوء النجم انه جزء من زوجين من النجوم . اى ان النجم له قرين غير مرئى ويدور الاثنان حول بعضهما البعض مرة كل ستة ايام .

أن النجوم المزدوجة معروفة للفلكيين ، والاثنان يدوران حول

بعضهما البعض ، وتحاول القـــوة الطاردة ان تبعدهما ولكن الجاذبيـــة بينهما تحافظ على توازنهما . واذا كان أحد النجمين ضخما شديد اللمعـــان والآخر مجرد نجم نيتروني مضغوط، فالاخير قد يسحب غازا من الطبقـات الخارجية من قرينة العملاق . ومالن يتجه الغاز نحو النجم النيتـروني : يستقر على هيئة قرص يزداد اتساعا وهو يدور حول النجم الصغير . وفي مثل هذا القرص الغازى يجبر الاحتكاك كل جسيم من جسيمات الغاز عـلى ان يفقد طاقته المدارية تدريجيا ويتجه حلزونيا نحو النجم النيتروني . وطاقة الاحتكاك تعمل أيضا على تسخين الغاز الى درجات حرارة عالية جدا ــ نحو مائة مليون درجة مئوية ــ وينفث هذا الغاز كميات غزيرة من اشعة اكس...

● القرص المتزايد الساخن

لابد أن يكون « مصدر البجعةاكس» عبارة عن قرص ساخن متزايد يحيط بالنجم غير المرئي المرافق للنجـــم العملاق . ولكن كان هناك اختـــلاف واحد هام هو ان اشعة اكس المنبعثة من اى نجم نيتروني تنبض عادة والنجم يدور ــ وفى الحقيقة ان النجـــوم النيترونية تسمى احيانا نجـــــوم البولسار . ولكن القمر الصـــناعى « اوهورو » لم يسجل اى نبضـــات في « مصدر اشعة اكس » ، وبدراسة العلماء لحركة النجم العملاق توصلوا الى ان رفيقه لابد أن يكون اثقل من الشمس بست مرات .

وكان فى هذا الاكتشاف مفتـــاح السر . ذلك لأن هناك وزنا محـــدودا طبيعيا لنجوم النيترون ولا يمكن ان تكون اثقل من الشمس اكثر من ثلاث مرات ! . وعلى ذلك فالجســـم السماوى الوحيد الذى يمكن ان يكون أضخم من نجم النيترون هو الثقـــب الاسود . وبعد مجادلات عنيفة بـين علماء الفلك قرروا أن « مصـــــدر اشعة اكس ! » هو القرص الـــذى يتزايد ويتضخم حول ثقب اســـود أثقل من الشمس من ست الى عشر مرات ...

يستطيع نجم ان يدور بأمان حـــول نجم آخر اذا كان هذا النجم ثقبـــا اسود . وهناك فكرة خاطئة شـــائعة فحواها أن الثقب الاسود يمتص كـــل شيء حوله. وهذا حقيقي فقط بالنسبة لأى شيء يغامر بالوصول الى الافـــق العرضي . وفى الخارج فان جاذبيـــة الثقب الاســـــود لها نفس الاثر كاى جاذبية جسم آخر . وما دام النجم وقرينه يدوران حول بعضهما البعض بسرعة جانبية كافية ، فســــوف يستمران فى دورانهما الى مالا نهاية. فكوكبنا لا يندفع نحو الشـــمس بـــل يتحرك بسرعة كافية لكى توازن قوته الطاردة قوة الشمس .

منذ أن حل العلماء لغز « مصـــــدر اشعة اكس ! » عثر الفلكيون على ثقب **اسود آخر عن طريق قمر صنـــاعى اطلقوا عليه اسم « مرصد اينشتين » وهو يجوب السماء الآن ويمد العلماء بسيل من الصور التى تصحح معلوماتهم عن الثقوب السوداء التى تدور حول النجوم العادية .**

ان « مصدر اشعة اكس ! » أو ثقب البجعة السوداء هو عبارة عن بقـــايا نجوم فى مجرتنا المعروفة بالطـــريق اللبنى ، وهى مجموعة مكونة من مائة الف مليون نجم . وما شمســـنا الا نجم فيها .

والبجعة السوداء او الثقب الاســـود هذا يبعد عنا بنحو ٦٠٠٠ سنة ضوئية باعتبار ان السنة الضوئية تبلغ نحـــو عشرة ملايين كيلو متر ، وقد تبـــدو

بعيدة جدا ولكنها قريبة جدا اذا نظر اليها عالم الفلك بأجهزته الحساسة . ويمكن عبور مجرتنا فى مائة ألف سنة ضوئية يوجد بعدها فى الفراغ البعيد بمرات اخرى لا يمكن الوصول اليها الا بعد ملايين من السنين الضوئية . ويعتقد علماء الفلك ان مراكز هذه النجوم الضخمة تحتوى على ثقوب سوداء شاسعة "

فى الطريق الى كوكبة العذراء البعيدة عن مجرتنا بنحو ٥٠ مليون سنة ضوئية تظهر اسراب من المجرات. وتوضح التلسكوبات المعها كبقع غير واضحة ويكشف التلسكوب عن الوف منها. واضخمها والمعها يسمى «م٨٧» كما هو مدون فى « كتالوج » عالم فلك القرن الثامن عشر « شارل مسييه ». وهذا النجم حقيقة من اضخم النجوم فى المجرات التى تحتوى على ملايين النجوم ـ ولكن مركزة لامع بطريقة غير عادية ، وكأن النجوم هناك ملتصقة بعضها البعض لذلك يشتد لمعانها .

● مراكز المجرات

فى عام ١٩٧٧ استخدم فريق من علماء الفلك البريطانيين والامريكيين تلسكوب ماونت بالومار الذى يبلغ قطره خمسة أمتار بكاليفورنيا لفحص مركز النجم « م٨٧ » بمعاونة جهاز الكترونى لتقوية الضوء . ووجدوا ان النجوم المركزية كانت حقا قريبة من بعضها البعض بفضل جاذبيتها ، وان شيئا غير مرئى يبذل سحبا جاذبا قويا ليضمها جميعا .

ووجد الفلكيون أيضا ان النجوم كانت تتحرك أسرع مما كان متوقعا. وتاكدوا من ان شيئا ضخما يتحكم فيها ، والا لفرت النجوم الداخلية المركزية منذ زمن بعيد الى الاجزاء الخارجية للمجرة .

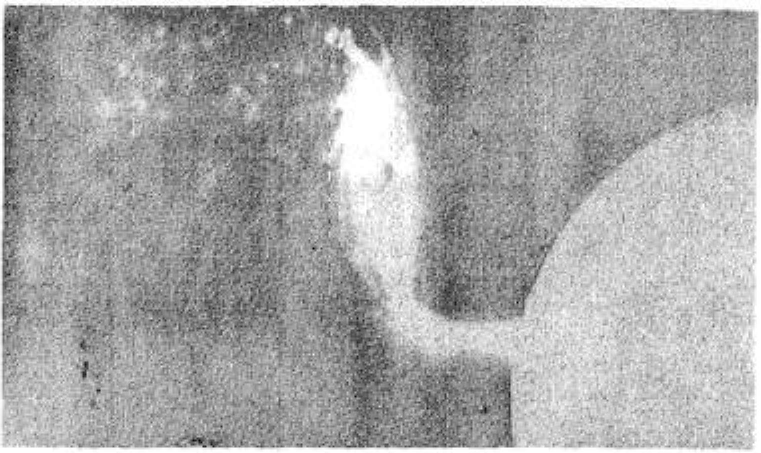
واوضحت هاتان النتيجتان ان شيئا صغيرا كثيف المادة غير مرئى لابد أن يكون فى قلب النجم « م٨٧ » . والاحتمال الوحيد وجود ثقب اسود.

وتشير قوة جاذبيته على أنه يحتوى على مادة تعادل المادة الموجودة فى ٥٠٠٠ مليون شمس .

ان نجوم الكواسار ربما تكون مسرحا آخر للثقوب السوداء وقوتها الطاغية. ونجوم الكواسار هى فى الحقيقة مراكز المجرات النائية التى تضىء بلمعان غريب وتبدو كنقط منفردة فى الصور الفلكية وتطغى على الصور المشوشة لنجوم المجرة . وقلب كواسار يضىء بمائة ضعف عن جميع نجوم المجرة ومع ذلك فهو عبارة عن جزء على مليون جزء من حجم المجرة . ويغلب على ظن علماء الفلك الآن ان نجم الكواسار هو مجرد قرص متزايد لكل غاز ساخن يحيط بثقب اسود ضخم فى مركز المجرة .

قد تكون هناك ثقوب سوداء اخرى فى الفراغ اصغر من الذرة ولكنها تحتوى على مادة توازى كتلة جبل افرست .. وقد يكون من الصعب اكتشافها فيما عدا انها قد تنفجر تلقائيا .

وبالرغم من أن هذا قد يبدو مستحيلا الا أن الثقوب السوداء الصغيرة قد تبدو غير مستقرة عندما يحسب العلماء جاذبيتها عن طريق ميكانيكا الكم ، (وهذه هى النظرية التى تحكم المادة على اصغر مستوى مثل حركة الالكترونات فى داخل الذرة .) ولعل اول انسان استطاع ان يدرك فى عام ١٩٧٣ ان الثقوب السوداء يمكن ان تنفجر وذلك بعد ان قام بحسابات دقيقة ـ هو العالم ستيفن هوكنج الاستاذ بجامعة كمبردج . وبالرغم من انه مشلول تماما فقد أسهم باهم مساهمة فى فهمنا لاسرار الجاذبية بعد اينشتين .



ثقب اسود ونجم ازرق عملاق يدور كل منهما حول الاخر . والمادة من الطبقات الخارجية للنجم الازرق تنحدر بطريقة حلزونية نحو الثقب الاسود لتختفي من هذا الكون وعندما تفعل ذلك تتولد اشعاعات اكس قوية .

في المستقبل البعيد قد يستخدم الانسان الثقوب السوداء كما يستخدم الكهرباء الان . فالقلوب المتداعية النجوم تدور بسرعة ، والثقب الاسود الذي ينشأ عن ذلك قادر على سحب اى شيء يوجد في جواره في اتجاه دورانه . وقد تخيل العلماء فعلا مشروعات هندسية رائعة لاستنزاف الطاقة الدوارة لثقب اسود دوار لامداد الف حضارة من حضارات الكواكب لمدة اطول من عمر الكون ذاته !

● انفاق ما بين النجوم

اقترح بعض العلماء ان الثقوب السوداء قد تكون عبارة عن انفاق شقت بين النجوم يمكن احتيازها في المستقبل وربما تكون آلات الزمن ذاته . فمركبة فضائية تدخل ثقبا أسود دوارا قد تختفي على الاثر بالنسبة للمراقبين الخارجيين . واذا استطاع ملاحوها تفادي الاصطدام بوحدتها المركزية فقد تستطيع المركبة أن ترتحل خلال النفق لكى تظهر فى مكان آخر ليس فى مجرتنا ولا حتى في كوننا بل فى كون آخر مختلف تماما له ابعاد مختلفة ..

وطبقا لهذه النظريات فقد يستطيع المستكشفون أو الرحالة أن يدخلوا نفقا آخر فى الكون الجديد ، ويظهرون مع ذلك فى كون ثالث ، وقد ينتهي بهم المطاف بالعودة الى كوننا . فاذا فعلوا ذلك فقد يكونوا فى اى مكان فى الفراغ ، وقد يمكنهم الظهور في اى نقطـــة من الزمن ، فى الماضى او المستقبل .

ولكن البحوث الحديثة اثبتت ان هذه الانفاق ماهى الا مصايد مميتة . ففي نصف الطريق بين كوننا واى كون آخر يتحطم هيكل الفراغ والزمن تماما .. وعلى ذلك لابد ان يلاقي المستكشفون مصيرا مروعا رهيبا . فالذرات التى تكون اجسامهم تنفصل نجأة وتتحول الى خليط فوضوى من الجسيمات .

ومهما يكن من وجود اشياء فى داخـــل الثقب الاسود فان رجال المستقبل الشجعان سوف تتاح لهم الفرصة في يوم من الايام ليتفقوا على اسرار الثقوب السوداء ، وبرغم ذلك فلن يستطيعون ارسال اى انباء عن اكتشافهم الى الكون الـذى يصبغ السمع لكل حركة يأتون بها .

ان الرحلات للثقوب السوداء قـد تكون بعيدة كل البعد عن تحقيقها فى المستقبل البعيد ، ولكنها كانت في ذهن العالم الفرنسى لابلاس منذ مائتى سنة مضت ، وكان يأمل فى قرارة نفسه ان يصل اليها انسان عصره ، فعسى ان يحقق حلمه رواد فضاء المستقبل القريب او البعيد

في سن الخمسين

دكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى

● د . عواطف عبد الجليل ●

ما جال بخاطرى يوما ، ان يمنحنى الله هذا القدر من ثراء العواطف النبيلة الصافية ـ صفاء القلب والنفس والروح غمرنى بها الاهل والاصدقاء ، الاساتذة الكبار والزملاء ، الاحباب ممن عرفت ومن لم اعرف من القراء . وكل هذا لاننى حصلت على درجة الدكتوراة ، بعد ان تسلل الفجر .. الى ظلمة الراس ، واضاء خصلات الشعر شيبا ! ..

بعد أكثر من سبعة وعشرين عاما من الحصول على الماجستير ، كتب الله لى نيل درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الاولى وحقق لى أمنية طالما تراقصت أمام عينى وأنا ما زلت تلميذة فى التعليم الثانوى.

والحقيقة ان محاولة الانخراط فى سلك الدراسات العليا للحصول على الدكتوراة بدأتها منذ عام ١٩٥٥ ، ولكن لان دراستى الاساسية ، فى كلية العلوم وليس فى كلية الآداب ، فقد حالت هذه الدراسة بينى وبين تحقيق الامنية . فقد كانت دراسات الصحافة حتى بداية السبعينات تابعة لكلية الآداب . ولسبب غير مفهوم اصر اساتذة الصحافة ، او معظمهم ، على ان تتبع الدراسات العليا فى مجال الصحافة من الدراسات الانسانية المختلفة فى كلية الآداب .

بمعنى أن تكون الدراسة ذات صلة بالفلسفة ، بالاجتماع ، بالجغرافيا . بالتاريخ باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسية .. اما أن تكون ذات صلة بالسياسة أو الاقتصاد أو العلوم ، فلا . وتساءلت أكثر من مرة : من قال ان الصحافة آداب فقط . .

عشت مع أمنيتى الكامنة فى أعماق قلبى ، أفتش عنها بين الحين والحين ، فقط لاطمئن على وجودها ، وأتأكد أن انفاسها لم تتوقف ، وأمضى الى مشاغل العمل ، وقضايا الحياة العامة والخاصة ، ومشاكل الاطفال ، ودلال « الشغالات » الذى لا يعرف حقيقته ،الا الأم العاملة ، فى مرحلة طفولة أولادها ، الى أن بدأت أتخفف من الكثير من تلك المشاكل .

وفى نفس الوقت تعرضت لاكثر من أزمة فى حياتى العملية ، عشت لحظات من خيبة الامل ، لحظات يتجرع فيها الانسان كؤوس الظلم مترعة بالحنظل وقد خانه ذكاؤه ، وخذله منطقه ، فى ان يفهم لما يحدث سببا ، أو يرى له معنى .

الحياة أقوى من كل شيء ، أقوى من القهر والظلم ، أقوى من اليأس ... ما دمت تعرف طريقك الى الله ، وما دمت تؤمن بانك تستمد وجودك كله من ارادة الله ..

واستجمعت ما املك من الطاقة التى اودعها الله كيان كل انسان فى هذه الارض .. ومضيت احاول تحقيق الامل الموؤود !

هنا اخترت موضوع البحث من صميم المأساة ، فقد أردت فعلا أن اعرف الحقيقة



د . عواطف عبد الجليل

حقيقة ما اراه صوابا ، وما يراه الآخرون خطأ ، فربما كنت مخطئة رغم تجارب عمر زاد على ربع قرن ، وربما انحزت لنفسي فعميت عيناى عن الحقيقة .

اخترت : « الاعلام العلمى فى مصر .. دراسة مقارنة فى الصحافة ، الاذاعة والتليفزيون ، مع دراسة تطبيقية على مدرسى العلوم بالتعليم الثانوى » .

وتقدمت الى كلية الاعلام الوليدة ، وبفضل الله ، واقتناع كامل من عميد الكلية فى ذلك الوقت ، الاستاذ الدكتور عبد الملك عودة ، عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية الآن ، ذللت كل العقبات ، وتم تسجيل البحث باشراف العميد والدكتورة جيهان رشتى رئيسة قسم الاذاعة بكلية الاعلام بجامعة القاهرة .

احتوانى البحث تماما ، استمتعت بالدراسة والاطلاع والجرى وراء المراجع القديم منها والحديث .. وجدتنى فى حاجة الى دراسة تطور علوم الاعلام والاتصال خلال ربع قرن من الزمان .. وجدتنى فى حاجة الى زيارات فى الخارج وفى حاجة الى دراسة بعض العلوم التى لم يسبق لى دراستها ، مثل الاحصاء .. ولم أتردد ، بل كنت سعيدة كل السعادة لاننى كنت على علم بأننى استثمر ساعات عمرى فى أكثر المشروعات الاقتصادية كسبا ، لان الرصيد الذى يدخل العقل لا يغادر أبدا ، ان لم يزد مع الايام ، فلن يقل بحال من الاحوال ! ..

سهر الليالى اسعدنى ،حتى فى لحظات المرض ، كان علاجى أن اهرع الى مكتبى فى سنة الليل ، حيث الوذ بمعاودة قراءة نظريةاعلامية جديدة ـشق علىفهمها، ابحث عن فقرة فى كتاب قديم يزيد وزنه على عشرة كيلو جرامات ، كان معلما للشعب البريطانى عندما ذهب الشباب الى الحرب العالمية الاولى ولم يكملوا تعليمهم .. وانتهت الحرب ، وعاد الشباب الى حياتهم المدنية يحملون عبء الحياة بغير زاد من العلم ..

وبعد خمس سنوات من معايشة البحث والدراسة ، تقدمت للامتحان وشاءت الظروف أن تؤجل المناقشة حوالى سنة أخرى .. لم يحزننى ذلك ، بل مضيت استزيد من الارتواء ، النهر يتدفق أمامى ، والفكر ما زال نهما ظمآنا يتحرق الى ما تخرجه المطابع . ويالقسوة تلك المطابع الآن : وقد ضاعفت أسعار الكتاب مرة بعد مرة !

***

وأخيرا فى السادسة من مساء الاربعاء الخامس من أغسطس عام ١٩٨١ جلست تلميذة وجلة ، تردد آية الكرسى فى صمت ، تجلس أمام اللجنة الموقرة من الرئيس الاستاذ الدكتور عبد الملك عودة عميد الاقتصاد والعلوم السياسية ، والاستاذة المشرفة الدكتورة جيهان احمد رشتى رئيسة الاذاعة بكلية الاعلام والاستاذ سعد لبيب مدير التليفزيون

السابق ، والخبير الاعلامى بالمنظمات الدوليه .

كانت الهواجس تعبث بمشاعرى ..

وتهمس النفس قائلة : ولكن ماذا انت مستطيعة وانت فى تلك السن ، تحاولين البحث وانت فى الخامسة والاربعين .. وها انت وقد اشرفت على الخمسين ـ معذرة لكل الحواءات فلم يعد من الذكاء اخفاء سنوات العمر المديد ! ـ ومرة اخرى اجيب : اطلبوا العلم .. من المهد الى اللحد ، فقد امر الله رسوله الكريم بان يطلب منه سبحانه ان يزيده علما .. « وقل رب زدنى علما .. »

وفى غمرة هواجسى وقلقى ، دعانى رئيس اللجنة الموقرة لجنة المناقشة الى تقديم خلاصة الدراسة والبحث ، ولفرط ارتباكى نسيت ان ابدأ بالعبارة التى كتبتها بيدى «باسم الله الرحمن الرحيم» وبعد قراءة عدة سطور تذكرت ، فتوقفت لحظة وردنى على الفور رئيس لجنة المناقشة ـ قائلا : تفضل اكملى .

طبعا ظن أننى تعثرت فى القراءة ، ولم يجل بخاطره سبب توقفى ..

بدأت المناقشة .. استمعت الى كلام طيب وثناء عاطر ،اشادة بالمجهود وسعة الاطلاع بغير حدود .

ولكن .. بدأت الاعتراضات !

لم اشعر بالتحول الذى حدث فى كيانى ليس من الضرورى أن أكون على صواب ، أو ان يكون هناك اتفاق كامل فى الرأى ، ولكن من الضرورى أن اقدم دفاعى عن عمل ، ما دمت مقتنعة به ، ولكن يبدو أن تحمسى ، أو تعصبى بمعنى أدق لعمل ورأيى ، جعلنى أتشبث بكل كلمة ، واستميت فى الدفاع عن وجهة نظرى .

واحمد الله فما كادت اللجنة توجه لى بعض العتاب ،لاننى لم اقدم رأيا شخصيا فى بعض المواقف التى عرضت فيها الآراء العديدة لكبار العلماء ، كان جوابى على الفور ، اننى لم اتوسم فى شخصى ما يجعلنى اقف على قدم المساواة ، مع تلك الاسماء ، لاقدم رأيا مخالفا ، وقد خلصت الى رأى مستمد من آرائهم ،وليس من حقى ان انسب مثل هذا الرأى الى نفسى ..

ومرت الساعات الثلاث ، كأنها دقائق .. كانت متعة لى وأظنها كذلك للاساتذة الاجلاء أعضاء لجنة المناقشة ، كما أخبرتنى الاستاذة المشرفة الدكتورة جيهان رشتى فيما بعد ، ولعل الحاضرين أيضا شاركوا فى تلك المتعة ، ربما لانهم شاهدوا طالبة عجوزا ، ترتسم السعادة على وجهها ، رغم ما تشعر به من رهبة ، وتمتزج عباراتها باحساس عميق بالشكر لله ولكل من مد لها يد العون ، خلال عملها الطويل فى ساحة الصراع والمبارزة بأرض الصحفيين ..

***

وبعد المداولة ، صدر الحكم ، درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الاولى ..

قد تكون أسعد لحظة عرفتها فى حياتى،لا يعادلها الا لحظة رؤيتى لوجه ابنتى لاول مرة ، ورؤيتى **لوجه ولدى** لاول مرة .. مع فارق أساسى وهو أن فرحة اليوم ، لم تمتزج بالالام التى تعرفها كل أم سواء فى **شهور الحمل أو** لحظات الوضع .. **بل على العكس ،** لقد كانت كل أيام العمل وليالى السهر بالنسبة لهذه الرسالة ـ متعة ورضاء ، وكانت اللحظات الاخيرة اشراقة صبح مضىء بعد ليل رقيق . رغم ما فى النفس من قلق ورهبة وتشوق لمعرفة المجهول .

***

والآن .. صديقى القارىء ، دعنى بالوقوف على الجانب العلمى البحث من هذا المقال ، وهو البحث الذى سهرت له الليالى وجبت من أجله البلدان ، وجرت على حق البيت والاولاد ..

البحث فى بساطة تناول دراسة ما تقدمه وسائل الاعلام الجماهيرية فى مصر والصحافة اليومية بوجه خاص ، والبرنامج العام فى الاذاعة ، والتليفزيون بقناتيه ـ من مادة علمية مفروض فيها أن تكون علوما مبسطة ، تحقق وظيفة العلم السياسية والاجتماعية ،على المستوى الشعبى والجماهيرى فى الدولة .

وهذه الدراسة شملت كل الاركان العلمية التى تقدمها تلك الوسائل ، باستخدام منهج تحليل المضمون ، الذى يقوم على الاسلوب الاحصائى ، أى يسلك طريق القياس الدقيق ، وليس مجرد الوصف الذى قد ينحرف لسبب أو آخر وبالتالى يكون من الصعب الخروج من الدراسة بدلالات يمكن تعميقها .

هذا هو صلب البحث ، ولكن مثل هذه النتائج ، لا يمكن رؤيتها بصورة طبيعية الا اذا وضعت فى اطارها الكامل المتكامل ، بمعنى أن الزهرة التى ترى مجردة من عودها وشجيرتها ، لا تعبر عن أصلها ، والشجيرة التى لا ترى وسط عائلتها النباتية؛لا تعطى المعلومات الكافية عن أصلها وفصلها ، والعائلة النباتية ، التى تقف فى مكانها الحقيقى من سلم التطور تمنحك الكثير من المعلومات ، التى ما كنت لتعرفها عن زهرتنا الاولى .

لذلك كان لابدمن استكمال الحقيقة، عن ذلك التحليل المقارن لما تقدمه وسائل الاعلام الجماهيرية فى مصر من مادة علمية كان لابد من تأصيل مفاهيم الاعلام العلمى الجماهيرى ، وبالتالى كان لابد من تناول التطور التاريخى للمعرفة العلمية، ومولد العلوم المبسطة . ثم العوامل التى أدت الى التوسع فى نشر العلوم المبسطة بالغرب ، ووقف نمو العلوم المبسطة فى العالم العربى الاسلامى ، وفيه كان المولد الشرعى للعلوم المبسطة فى أروع صورها الانسانية والسياسية والاجتماعية .

كذلك كان لابد من فصل كامل ، ربما كان أكبر فصول الرسالة ،خاص بالتجربة المصرية فى تبسيط العلوم ، وقد حاولت قدر المستطاع ، ان اقدم فى كل من هذه الدراسات، نواةللبحث، لانه لم يسبق ان تناول تلك الجوانب ، اى باحث من قبل لسبب بسيط ، وهو ان الشائع، ليس فقط على المستوى القومى ، بل على المستوى المحلى ، ان تبسيط العلوم ، مسألة مستحدثة فى مجتمعنا ، فنقول عن الغرب .. والحقيقة التى وضحت لى من الدراسة والبحث ، والتى حاولت ان اثبتها بالدليل المادى الملموس ، هى عكس ذلك تماما !

والحقيقة ، انني سعيدة بتوفيق الله لى لاثبات الحقيقة التى عاشت فكرة فى رأسى سنوات طوال ، اهتديت اليها من آيات الكتاب الكريم ، وبقى أن أدلل على صحتها بالبحث العلمى من خلال الدليل والبرهان .

***

لعلك تسأل الآن صديقى القارىء : وماذا عساك وجدت فى تحليل المادة العلمية التى تقدمها وسائل الاعلام فى مصر : الصحافة والاذاعة والتليفزيون ؟

مرة أخرى .. دعنى أصارحك يا صديقى . فالدولة تحاول دفع عربة تبسيط العلوم فى مصر .. عبر وسائل الاعلام ، وبخاصة الاذاعة والتليفزيون ، ولكن العربة متثاقلة .. متباطئة، كلما تقدمت خطوة ، تراجعت خطوات ، والسبب الرئيسى أن عملية تبسيط العلوم بصفة عامة محصورة للاسف الشديد فى أيد غير متخصصة وبالتالى فلك أن تتصور النتائج ..

كيف نضع تبسيط العلوم فى أيدى غير العلميين ..

ان العلميين أنفسهم لابد لهم من دراسات مكملة ،ليصبحوا قادرين على عملية التبسيط ، بجانب الموهبة والرغبة الصادقة ،وبجانب التعاون مع تخصصات مختلفة ،مثل الفن التشكيلى والاخراج التليفزيونى ، والاخراج السينمائى ، والاسس والنظريات الاعلامية المختلفة . هذا اذا اردنا أن نستغل القدرة الرهيبة التى تملكها وسائل الاعلام الجماهيرية فى نشر ما نريده للجمهور بالعدل والقسطاس ، من زاد الفكر لمسايرة لغة العصر واسلوب العصر ومنهج العصر .. وهو الفكر العلمى .. ذلك الساحر الذى يقف وراء تقسيم العالم الى دول متقدمة تتغذى بالعلم،ودول متخلفة محرومة من غذاءالعلم . ●

العلم بغير عمل لا يكون " الغـزالى "

لغتنا الجميلة لغير الناطقين بها..

● اللغة العربية لغة عالمية ، فهي تتمتع بانتشار انساني جغرافي واسع ، وجموع المتكلمين بهذه اللغة يعيشون في منطقة كبيرة من العالم تمتد من نصف افريقية الشمالي والخليج العربي الى المحيط الاطلنطي .. واللغة العربية هي لغة التعامل في البلاد العربية بالرغم من وجود اقليات غير عربية في هذه البلاد .. كذلك فان اللغة العربية قبل كل هذا وذاك هي لغة القرآن الكريم وهي بعد كل ما سبق تستخدم كلغة دولية لمنظمة اليونيسكو استخدمتها عام ١٩٦٩ والامم المتحدة استخدمتها عام ١٩٧٤ ، كما استخدمتها منظمات دولية اخرى ..

واليوم بدأ العالم الغربي يأخذ دوره الفعال مرة اخرى على المستوى العالمي ، كما اخذت دائرة حركته الاقتصادية والسياسية في الاتساع بشكل ملحوظ ونتيجة لذلك برزت اللغة العربية لتأخذ دورها الفعال على الصعيد العالمي ، وبدأت تغزو الفكر العالمي لتكون أداة للتفاهم والنقل والتأثير في ميادين الفكر المتجدد والمتطور وميادين العلم الحديث والثقافة الشاملة والعميقة ..

وتشير الى هذا المعنى مجلة « دير شبيجل » الالمانية بتقريرها : « ان اللغة العربية – وهي اللغة الرائدة للثقافة في القرون الوسطى – قد أخذت تعيش اليوم نهضة جديدة ، ففي مطارات باريس وزيوريخ ولندن يستدعى المترجمون للاطلاع على الجوازات المكتوبة بياناتها بالعربية .. كما قامت شركة لوفتهانزا بترجمة التعليمات التي توزع على الركاب الى اللغة العربية بجانب اللغات العالمية الاخرى .

اما في فرنسا فيلمح الرئيس السابق جيسكار ديستان الى « ان الشبان الفرنسيين الذين يتعلمون العربية يتزايدون عددا ، وكثيرون منهم يتوجهون الى مصر لتعلم اللغة العربية » .

وهناك بعض الكليات العسكرية مثل (سان سير) و (ايكس اليروفانس) و (ستراسبورج) قد اتخذت اجراءات لاعطاء اللغة العربية مكانة خاصة في مسابقات تعيين الضباط وفي مدارس التدريب العسكري .. كما أن الذين يجيدون العربية من الطلاب تضاف الى درجاتهم درجات اضافية » .

ومن مظاهر الاهتمام الاخرى ما اصدرته الجمعية العامة لمنظمة الشرطة الجنائية الدولية في الدورة الرابعة والاربعين التي عقدت في الارجنتين (بيونيس آيرس) حيث وافقت تلك الجمعية على استخدام اللغة العربية كلغة رسمية في المنظمة .

ونظرا لانفتاح العالم العربى فى الاونه الاخيرة على دول العالم وزيادة التبادل التجارى مع العالم ، اهتم كثير من الاجانب ، وخاصة الكبار منهم ، بتعلم العربية للاتصال بالعرب ..

وهكذا فان جميع هذه الظروف تفرض **ضرورة تضافر الجهود العربية من أجل وضع خطط متكاملة للنهوض باللغة العربية والعمل على نشرها بين الشعوب الاخرى بمختلف الوسائل .**

كما يجب على المشتغلين بتعليم العربية والعمل على نشرها بين الشعوب الاخرى بمختلف الوسائل .

كما يجب على المشتغلين بتعليم العربية للاجانب أن تنسق جهودهم العلمية وبحوثهم لانجاح هذه الجهود ، اذ انه ، وللاسف ، لم تتوصل معظم معاهد تعليم العربية للاجانب أو لغير الناطقين بها ــ الى تمكين الدارسين فيها مما أرادوه من تعلم العربية ..

***

ولعل الجديد فى مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، هو البحث الذى قدمه غسان خالد بادى الى كلية التربية (جامعة عين شمس) ونال به درجة الماجستير ، وهو أول بحث علمى فى هذا المجال ينال به صاحبه درجة الماجستير فى مصر وفى العالم العربى ، على حد قول الدكتور محمود الناقة .

ولقد اتجه الباحث فى رسالته من منطلق تعليم العربية للاجانب ، ولاحظ أن العمل فى المعاهد الحالية لتعليم العربية للاجانب ، لا يقوم على ضوابط علمية دقيقة ، بينما « العمل بلا علم لا يكون » كما يقول الغزالى ، ففى بعض هذه المعاهد تدرس لغة التراث للدارسين وفى بعضها الآخر تستخدم وسائل تعليمية .. كما أن هناك باحثون خارج هذه المعاهد يعملون فى المجال نفسه ، وقد وضع أحدهم خطة تدريس للعربية كخطط تدريس الفرنسية أو الانجليزية للاجانب .. وباحث آخر استغرق فى تجريب المقاييس ليتعرف على كفاءة الدارسين دون أن يقوم بتعليمهم بطريقة علمية أولا .. وهكذا خرجت تلك البحوث من أبراجها العاجية !

وبعد التقديم الذى أجراه غسان لهذه الجهود والدراسات ، فلقد اتجه الى بحث المجهودات العالمية فى مجال تعليم اللغات الاجنبية ، وحدد المعالم الرئيسية التى يمكن الاستفادة بها من تلك الاتجاهات فوضع أصول الاستفادة من الجديد دون الانصراف عن حفظ الاصيل وصونه أى انه حلل طرق تدريس اللغات الاجنبية فوجد أن فيها ما يتعلق بتعليم لغة اتصال أو صيغة اتصال ، وفيها ما يتعلق بخصائص هذه الصيغة ، ثم أشار بعد ذلك الى ان كل ما يتعلق بالصيغة وخصائصها فهو عامل فريد لا يمكن نقله عن صيغة مختلفة .

اما ما يتعلق بسيكولوجية التعلم وطرق تدريس اللغات الاجنبية فقط ، فانه يمكن نقله والاستفادة **منه .. وهكذا** انتهى الباحث الى دراسة **خصائص اللغة العربية** كلغة أجنبية ، **فوجد أن فيها خصائص** ومميزات **تجعلها من اسهل** اللغات الاجنبية تعلما **لما تتميز به من** مرونة ، وكونها لغة اشتقاق ، **الى جانب** عدم وجود مشكلات صوتية ــ **املائية** حيث انها **تحتوى الكلمات التى تكتب** كما تنطق ، بينما غيرها **فى اللغات العالمية** يفتقر الى هذه الميزة .

وبعد ذلك توصل غسان الى المدخل التكاملى لتعليم العربية كلغة اجنبية . وهذا المدخل يعتمد على تقديم مهارات اللغة مجتمعة منذ البداية ..

أما عن خصائص الدارسين فقد تناول غسان خصائص الكبار منهم ، واوضح اختلاف الكبار عن الصغار من الناحية السيكولوجية ، ومن ناحية القدرة على تعلم اللغات الاجنبية .. وتوصل الى نتيجة ، وهى أن البرنامج الذى يراعى طبيعة الدارس وسنه الى جانب مراعاته الاسس النفسية ــ العصبية لهذا الدارس

فان هذا البرنامج لا يمكنه بعد ذلك أن يفرق بين قدرات متعلمي اللغات الاجنبية اذ ان هذه القدرات لا تختلف بفعل تعلم اللغة الاجنبية وانما هي تختلف بفعل تعلم اللغة الاجنبية وانما هي تختلف بفعل السن · ولهذا يجب علينا أن نتعرف العملية النفسية - العصبية التي يتعلم بها الصغير أو الكبير حتى نتمكن من تقديم ما يناسب كل منهما ·

وبعد ذلك وضع غسان الاسس العامة لسيكولوجية الكبار ، كما حدد اطار احتياجاتهم ، وأهم الشروط التي ينبغي مراعاتها عندما تخطط المناهج لهم أو عندما تدرس لهم اللغة العربية كلغة أجنبية ·

ولم ينس غسان أن يقدم أسس تدريس مهارات اللغة من فهم واستماع ، الى جانب القراءة والكتابة والمحادثة ، فعرض أولا الاتجاهات العالمية في هذا المجال ، ثم ما يتناسب مع اللغة العربية من هذه الاتجاهات ، كما اقترح الحلول المناسبة لبعض مشكلات التدريس ·

وفي النهاية خلص الباحث الى وضع برنامج لتعليم اللغة العربية للكبار من غير الناطقين بها في المستوى الاول · وهذا البرنامج يتألف من العناصر التالية :

١ - المدخل : ويراعى فيه ما يأتي :

أ - اعتبار اللغة العربية الفصحى المعاصرة لغة للبرنامج ·

ب - الجانب الشفهي يتقدم على الجانب الكتابي أثناء الدرس ، مع مراعاة المدخل التكاملي (تقديم مهارات اللغة مترابطة منذ البداية) ·

ج - تقديم اللغة في نصوص ذات مواقف حيوية ، أي بشكل حوار ·

د - أن يتعلم اللغة العربية ، وليس التعليم عنها ·

هـ - ينبغي عدم مقارنة العربية بلغة أخرى بحجة تسهيل تعليمها ، كما يجب تلافي الترجمة في تعليمها ·

و - أن تقدم الانماط الثقافية العربية بطريقة غير مقصودة ·

٢ - الاهداف :

الهدف الرئيسي هو التمكن من المهارات الرئيسية للاتصال باللغة العربية ·وهذه المهارات هي :

أ - « الاستماع والفهم » : ان يفهم الدارس ما يسمعه من العربية بالسرعة العادية ·

ب - المحادثة : ان يتكلم الدارس بمفردات الدرس بطلاقة (أي بسرعة عادية ونطق سليم ·

ج · القراءة : أن يقرأ الدارس اللغة العربية المكتوبة بسهولة (أي مع سرعة التصرف والنطق السليم) ·

د - الكتابة : ان يكتب الدارس املاء صحيحا وينسخ نسخا سليما ·

٣ - المحتوى :

يجب أن يقدم المحتوى بشكل نصوص تتحدث عن مواقف وهي تشمل : (التحيات والمجاملات ، تبادل المعلومات الخ ··)

ويجب ألا تزيد مبادلات الحوار عن عشر مبادلات · وتقدم القواعد خلال ذلك للتوضيح · أما الانماط البنيوية فتقدم في نصوص ثقافية موجية ·

٤ - الوسائل :

مسجل صوتي - صور وشرائح

سينمائية ـ جهاز عرض سينمائي .

٥ الطريقة :

طريقة البرنامج هي سمعبصرية ، ويمكن تلخيص مذهبها بما يلي :

أ ـ تمكين الدارسين من قدرات أبناء العربية للتحدث بالعربية في المواقف الحيوية .

ب ـ يخضع الدارسون للممارسة المستمرة للوصول الى الاداء (قراءة العربية والتحدث بها قبل تعلم أي شيء عنها) .

٦ ـ التقويم :

يستمر التقويم على مدى الدروس ، حيث يتركز العمل فيه على المهارات الاربع : الاستماع والفهم ، الكلام ، القراءة ، الكتابة .

ومن النتائج البارزة التي توصل اليها غسان خالد بادي أيضا ما يأتي :

١ ـ يجب أن يخطط برنامج تعليم اللغة الاجنبية في ضوء مدخل ما .

٢ ـ يجب أن تحدد الاهداف في ضوء المستوى مع مراعاة خصائص الدارسين وخصائص اللغة وآراء الخبراء .

٣ ـ للغة العربية خصائصها الخاصة بها ، فلا يجب مقارنتها بأي لغة أخرى ، كما لا يجب الاستعانة بطرق تدريس اللغات الاجنبية لتدريسها كلغة أجنبية

٤ ـ يجب استخدام قواعد اللغة للشرح فقط ، كما يجب تقديم الانماط اللغوية في سياق ثقافي ذي معنى بالنسبة للدارسين .

٥ ـ تقدم مهارات الاتصال الاربع في



غسان خالد بادي ـ دراسة عن تعليم العربية لغير العرب

المستوى الاول في تعليم اللغة العربية الفصحى المعاصرة كلغة للحديث والكتابة دون الاضرار بعملية الاتصال .

٦ ـ يجب أن يقوم بتدريس العربية للاجانب متخصصون في مجال تعليم اللغات ، ومتمكنون من الثقافة العربية . كما ان الطلاقة العربية وحدها لا تكفي كخاصية لتعيين مدرس العربية للاجانب

٧ ـ الطريقة السمعبصرية أكثر جدوى في تعليم العربية للاجانب لكون هذه الطريقة لا ترجع الى لغة الدارسين كما انها لا تعتمد على الترجمة في تبسيط عملية التعليم .

٨ ـ عدم تعليم اللهجة العامية ، لان علماء تعليم اللغات يعلمون الجانب المكتوب من اللغة الاجنبية ، كما أن العربية الفصحى هي الصيغة اللغوية الاساسية التي يتصل بها العرب فيما بينهم .

وبعد ، فقد كان هذا البحث طريقا واسلوبا لتعلم اللغة العربية والاستفادة بثرائها ومحتواها الفني ، نرجو أن تتبعه دراسات أكثر واشمل ليعم النفع وينتفع بها الدارسون الاجانب ومحبو اللغة العربية ، لغة القرآن المجيد .

قصة

أغنية الحب

● سعد حامد ●

● من عادتي دائما كلما رايت فتاة جميلة او امرأة حسناء ان انقل نظراتي على الفور من الوجه الجميل الى اصابع اليدين لارى هل تحمل دبلة ام لا ـ .. افعل ذلك بلا وعي حتى يطمئن قلبي !

وانا شاب في الثامنة والعشرين من العمر تخرجت في كلية الاداب ، اعمل موظفا ، واعيش لاجتر احلامي واحزاني وادور في دائرة العمل والبيت لا اكاد اخرج منها !

ليس في حياتي جديد .. ايامي تنقضي بين الكتب والتامل في الحياة اعيش في عالم خيالي خلقته لنفسي بعيدا عن الناس عالم من الاحلام والاوهام والرؤى .. اعيش بين الكتب والموسيقى ..

رايتها اول مرة عصر يوم من ايام الربيع في مترو مصر الجديدة .. جلست امامي .. فتطلعت الى وجهها ثم نظرت فورا الى اصابع يديها كعادتي كلما رايت وجها جميلا ، فلم اجد شيئا فاطمان قلبي .. وشعرت بارتياح ولما عدت ببصري الى وجهها شعرت برجفة تهزني !

كانت في حوالي الرابعة والعشرين من العمر ، خضراء العينين ، ذهبية الشعر ، بيضاء ، ملفوفة القوام .. وجهها في حلاوته كانه وجه الدنيا عندما تقبل على انسان بكل بهجتها واشراقها !.. عينان تنمان عن حس مرهف ، وعاطفة مضطرمة ، فيهما لهفة وظما وحزن وعالم اخر ..

والتقت عيناها بعيني رايت في نظراتها وجدا وشوقا وقرات حديثا صامتا موجها الي ..

قالت لي بعينيها : انا وحيدة .. ليس لي احد في هذه الحياة ..

وقلت لها بعيني : وانا ايضا ، مقطوع من شجرة .. في اشد الحاجة اليك والى حبك ليملا حياتي الموحشة.

قالت لي بعينيها ! انا احبك .. الا تؤمن بالحب من اول نظرة ؟

قلت لها بعيني : وانا احبك .. لقد احببتك قبل ان اراك .. لا ادرى متى التقينا ، واين ، وكيف .. لكنني احس في اعماقي انني التقيت بك من قبل في مكان ما .. الا تصدقين ؟

نظراتنا لا تكاد تفترق حتى تلتقي .. اهي تحس مثلما احس ، وتشعر مثلما اشعر ؟.. اتراها شعرت بنفس الرجفة تهزها من الاعماق كما هزتني.

لم اشعر بالزمن او احس بوقوف المترو في المحطات واستئنافه السير .. لم احس بكل ماحولي ، ولم انتبه الى نفسي الا عندما رايتها تقوم من مكانها وتتجه الى باب العربة مغادرة المترو في احدى المحطات ..

تابعتها بنظراتي حتى اختفت ..

***

عدت الى بيتي وصورة وجهها لاتفارقني .. وقضيت ليلتي مسهدا. لايغمض لي جفن ، أفكر فيها .. وأتخيلها زوجة لي تشاركني شقة صغيرة من حجرتين ـ كالعش ..

شقة صغيرة ، وزوجة عاشقة ،هما اقلى مالى هذه الحياة .. متى يتحقق لي ذلك يارب ؟ على ان تكون هي..هي

وحدها الزوجة .. اما الشقة ، فاى شقة فى اى مكان ، وفى اى حى !.. لست طماعا فاحلم بها فى الزمالك او فى مصر الجديدة .. يكفينى ان تكون فى اى حى شعبى متواضع ..

لم انس وجهها فى الايام التالية .. ظللت اذكرها اياما .. لم انسها قط .. ما اعجب هذا ! اننى كثيرا ما ارى فتيات او نساء قد يفقنها جمالا وفتنة لكننى سرعان ما انسى وجههن ... لكن لا ادرى لماذا الحت على صورة وجهها هذا الالحاح ؟!

وعشت اياما ضائعا فى الطرقات ، اسير على غير هدى ، صورتها لاتكاد تبرح مخيلتى .. واجتزت شوارع مزدحمة بالناس خلال النهار .. وشوارع خالية موحشة خلال الليل وقلبى يعزف اغنية الحب ، والانتظار والامل فى لقائها .. واحلم بها وحدها دون غيرها من النساء

من يدرى ربما التقى بها يوما ما ، ويجتمع شملنا ، وتضمنا شقة صغيرة يعلن ضوؤها الخافت المتسلل من نوافذها فى الليل ان بداخلها رجلا وامراة يتبادلان الحب .

رحت ابحث عنها كلما ركبت المترو وكلما وقف فى المحطة التى نزلت فيها التفت ، ولكن ليس هناك بريق من امل

ترى هل التقى بها مرة اخرى ؟.. هل التقى بتلك المجهولة التى لم تبرح صورتها مخيلتى ، والتى تركت فى اعماقى ذكرى لاتنسى .. لماذا حدث ذلك ؟! لا ادرى !

والليالى الطويلة ، الليل والوحدة وانا والسهاد الذى لا ينفع فى طرده شىء .. لا الاغنيات ولا الاقراص المهدئة ولا الروايات ودواوين الشعر .. هذه الاشياء هى كل نصيبى من متع الحياة .. لم تنفع ان تحملنى الى عالم النوم السحرى !

***

وذات يوم من ايام الخريف رايتها فجاة ، امامى فى المترو !..

لم اصدق عينى من شدة فرحتى .. وكالعادة وباللهفة نفسها نقلت نظراتى من الوجه الجميل الى اصابع اليدين .

ولم اصدق ايضا مارايت .. رايت دبلة ذهبية فى ، اطبع اليد اليمنى ! وانسابت الى نفسي مرارة موجعة !

لماذا تركتها تذهب اول مرة ؟! لماذا لم اتبعها او احاول ان اتحدث اليها او اعرف بيتها ، وقد رايت فى عينيها نداء صامتا يدعونى الى الحب .. والتقت عينانا .. ورايت فى اعماق عينيها نظرة متوهجة كانها الجمر المتقد ..

هل مازالت تذكر ذلك اللقاء العابر ؟! هل مازالت تذكر نظراتنا المتبادلة ؟! هل مازالت تذكرنى ؟

قالت لى بعينيها ، انا لم انسك ... انك تركت فى اعماقى جمرة متوهجة .. وهيهات ان انساك !..

وقلت لها بعينى : آه من الظمأ المحرق الذى يشتعل فى الصدر .. اننى منذ رايتك وانا اعيش فى احتراق ويأس ..

تنهدت .. ورايتها تتنهد !

ثم رايت فى نظراتها حزنا عميقا ينعكس على سمات وجهها الجميل .. لكنها اصبحت الآن تخص رجلا آخر .. هل ضاعت الاحلام ، وتبخرت الاماني ، ومات الحب .. وهو جنين قبل ان يولد ، وتاجلت السعادة الى اجل غير مسمى !

هل ضاع كل شىء حقا ؟! ابدا لم يضع بعد كل شىء .. اننى مازلت ارى الحب فى عينيها متالقا وهاجا كضوء الشمس .. انها لم تنس لقاءنا الاول .. لم تنس نظراتنا المتبادلة .. لم تنس اى شىء .. مازال هناك امل !

كم كنت اتمنى ان احقق ذلك الحلم الذى راودنى ليلة رايتها اول مرة ، ان تصبح زوجة لى !..

لكن ذلك لم يعد يهمنى فى هذه اللحظة .. انها تحبنى ما فى ذلك ريب .. كل شىء فيها يؤكد لى ذلك ..

ارتجافها ، نظراتها التي لا تكاد تفترق من نظراتي.. أما اللقاء بالجسد فذلك شيء رخيص لم اكن اريده أو ابحث عنه أبدا .. يكفيني انها تبادلني لهفتي وشوقي وحبي .. ذلك حقا هو الحب العظيم .. وليس لقاء الجسد مهما مادام روحانا قد التقيا وتفاهما وتحابا!

واقتربت محطتها ، وقلبي يخفق في صدري خفقانا موجعا .. وقامت ونظرت الى نظرة حزينة لم مضت ، ووقف المترو ، فهبطت منه ثم مضت لا تلتفت خلفها ..

مازلت مقيدا في مكاني .. اصفاد من حديد ثقيل تغلل قدمي .. لا استطيع ان اتحرك من مكاني !

وعاد المترو يمضي بي من جديد ، الى الوحدة والصمت والكتب والاغنيات ام كلثوم ورباعيات الخيام — كل نصيبي من متع الحياة ..

وعدت مرة اخرى وحيدا .. ادور في دوامة الحياة ، تضغطني الايام بين شقيها ، كما تفعل الرحى .. وعدت من جديد احس بالضياع وسط الزحام البشري الذي تموج به طرقات القاهرة الكبرى ، معذبا بعواطفي المشبوبة ، صارخا بتضرعاتي المختنقة التي لا يسمعها احد ..

***

وكانت امسية باردة من امسيات الشتاء ، وكنت اشعر بالصقيع يتراكم على قلبي وجسدي، حتى خيل الى ان حياتي كلها كانت شتاءا باردا مظلما لا ضوء فيه ولا بصيص ..

ورايتها في المترو ..

كانت واقفة ، فاقتربت منها ، والتقت عينانا .. خيل الى انها شهقت شهقة خافتة لم يسمعها احد سواى ..وخيل الى انني فعلت نفس الشيء.

وهبطت ببصري الى يديها ، ولم استطع للحظات ان ارفع بصري الى وجهها بل ظللت مطرقا وانا احس بطعنة تنفذ الى صدري ، وتدميه ..

توقف الزمن ، وماتت السعادة ..

كانت هي جحيمي وفردوسي .. وقد ضاع مني الفردوس الى الأبد !

كانت الدبلة قد انتقلت الى اليد اليسرى ..

يا الهي .. لم يعد هناك ثمة أمل ابداً !

وعندما رفعت بصري الى وجهها رايت في عينيها حزنا دفينا يكاد يقطر دمعا .. حتى بدا لي انها لا تكاد تتماسك ، وانها توشك أن تجهش بالبكاء امام الناس !

قالت لي بعينيها : لقد انتهى كل شيء ، ومات كل امل .. ولن نلتقي بعد ذلك .. انها ذكرى صغيرة فاحتفظ بها في اعماقك لتسترجعها في لحظات وحدتك .. هل تفعل ؟

قلت لها بعيني : صدقيني .. لن انساك حتى آخر العمر !.. ستظلين في اغلى مكان في القلب..ولن يستطيع الزمن بسنواته وشهوره واياٰمه أن يمحو صورتك من مخيلتي !

كانت نظراتنا تلتقي وتفترق ، في مناجاة صامتة حزينة ..

كانت شاحبة ، هزيلة ، كانها ابلت لتوها من مرض طويل ..

لم نتكلم كالعادة ، لم نتبادل كلمة واحدة ، ولكن عيوننا كانت تضج وتصرخ وتبكي — بلا دموع !

سألت نفسي في حيرة مريرة :

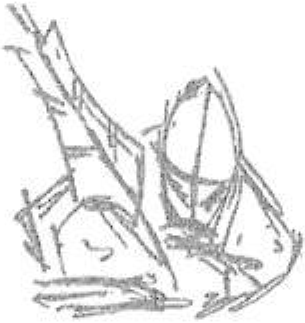
— اى قدر غريب قاس هو الذي قيد خطواتي في مكانها ولم يجعلني اتبعها .. لماذا لم اتبعها واعرف عنوانها واعرف عنها كل شيء .. والتقي بها، او اتقدم فاخطبها .. لماذا ؟!

لكنني لم اسمع جوابا لسؤالي .. وليس اشقى النفس من ان تسأل ، ولا تسمع جوابا على سؤالها !

لم اشعر بالترو وهو يمضي او وهو يقف ، حتى جاءت محطتها .. نزلت من المترو ، ودعتها بنظراتي الباكية .

وعاد المترو يمضي بي من جديد ، الى الوحدة والصمت والكتب والاغنيات ورباعيات الخيام — كل نصيبي من متع الحياة !

السراب



● د. عزت شندى موسى ●

اذكرانى بما عفا من شـبابى
اقرأ لى الذى انطوى من كتابى
وارويالى احـداث عيش تولى
وتقضى فى غابـرات الحقاب
واعيدا على قصـة عمرى
كيف مرت كخدعة من سراب
وصفالى الهيام والحب والشو
ق وليل اللقا وصبح الغياب
واذكرا لى الجمال فى ميعة
العمر ملء السنا شهى الرضاب
واعتدال القوام والمبسم الحلو
وكحل المها وحسن الكعاب
فلكم طال بى التياعى وشوقى
لشباب قد كان غض الاهاب
قد توارى وضاع فى زحمة
الدهر وولى فى ضيعة والتهاب
وطوى العمر غفوة منذ جئنا
وغفونا فى رحلـة للاياب
كلما مر من شـبابى يوم
فاض دمعى على مرور شبابى
واذا زاد بى سقامى وضعفى
زاد للضعف والسقام عذابى
قل لمـن يحتفى بعام تقضى
لهف نفسى اتحتفى بالتباب !
نحن للترب نبتدى ثم نسعى
فوق ترب، وننتهى .. للتراب؟!

من التاريخ القريب

مصطفى مختار

أول وزير للتربية والتعليم بمصر

● مصطفى الشهابي ●

● ادرك محمد على باشا ، بعد أن استتب له الامر في مصر ، اهمية التعليم ، وشعر رغم أميته أن الملك لا يشيد الا على اساس متين من العلم ،وأن العلم الصحيح ليس ما يدرس بالشرق - يومئذ - وانما هو العلم الذى قامت به المدنية الغربية وشيدت عليه دول اوروبا صرح عظمتها وقوتها فاقرت لها امم الشرق بالغلبة ووقفت امامها صاغرة ..

وكان ما رآه من أعمال وآثار الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) دافعا حفزه الى ادراك الفرق الجسيم بين ما عليه مصر يومئذ من تأخر وضعف وما عليه فرنسا من قوة وتقدم .

لذلك كله عمل على القيام بنهضة تعليمية بمصر ، وكانت دوافعه الى ذلك :

١ - امداد الجيش الذى ازمع تكوينه بما يحتاج اليه من ضباط وأطباء ومهندسين .. الخ .

٢ - ايجاد طبقة من الموظفين لادارة الاعمال الحكومية .

وعلى الرغم من انه لم يكن له من المعاونين مثل ما كان لنابليون ، ولا حوله من المساعدين ما كان حول سائر ملوك أوروبا الذين رفعوا شأن ممالكهم في أوروبا ،الا انه استطاع أن يحقق اهدافه الى حد كبير .

وقد شجع محمد على على القيام بتلك النهضة والعوامل الآتية :

أولا : حسن استعداد المصريين العقلي وقابليتهم للتعليم ، يشهد لهم بذلك ما كان عليه أجدادهم الفراعنة من حضارة .

ثانيا : تبرمه بالموظفين الاجانب الذين كانوا يتقاضون مرتبات ضخمة ، يضاف اليها مرتبات التراجمة الذين يرافقونهم لجهلهم باللغة العربية ، يضاف الى ذلك جهل بعضهم بما يجب اتباعه في مصر ، ومحاولة البعض الآخر الاثراء على حساب الحكومة المصرية بطرق غير شريفة ، مما جعل محمد على يفكر في احلال المصريين محلهم « صيانة لاموال الحكومة وفخرا لها » ، وكان يسر لنبوغ المصريين ويعتبره « فالا حسنا اذ يغنى الحكومة عن استخدام الاجانب » .

وكانت الوسائل التي لجأ اليها في سبيل ايجاد نهضة علمية هي :

١ - ترجمة الكتب الغربية في مختلف العلوم بمترجمين شرقيين وأجانب .

٢ - ارسال البعثات لدرس العلوم في

بلادها،حتى اذا عاد أفرادها حلوا محل الاجانب فيما تخصصوا فيه وترجموا والفوا ما يتفق وحاجة مصر .

***

وكانت أولى البعثات الى ايطاليا عامي ١٨١٣ ـ ١٨١٦ وجدير بالذكر أن أحد أفرادها درس فن الطباعة وما اليهـا من سبك الحروف وصنع قوالبها ، ولما عاد تولى ادارة مطبعة بولاق (المطبعة الاميرية)

ثم اتجهت البعثات بعدئذ الى فرنسا وارسلت بعثة كبرى الى فرنسـا سنة ١٨٢٦ من اعضائها مصطفى مختار ، الذى كان من أبنـاء قولة ، القرية اليونانية وكانت اليونان يومئذ تابعة لتركيـا ، وهى نفس القرية التى نشأ بها محمد على وكان من قبل موظفا بديوان محمد على ، وقد اختير مصطفى مختار على الرغم من كونه عضوا ، اختير مع عضوين آخرين للاشراف على بقية الاعضـاء الذين بلغ عددهم نحو أربعين عضوا .

وسافر معهم الشيخ رفاعة الطهطاوى اماما لهم ومرجعا فى الشئون الدينية ، ولكنه أى رفاعة الذى درس اللغـة الفرنسـية واكب على دراسة التاريخ والجغرافية والآداب وغيرها حتى صار نابغة عصره .

وقد اشار رفاعة فى كتابه « تخليص الابريز » بمصطفى مختار ووصفه بأنه « صاحب الرأى السديد والطالع السعيد من خلع فى حب المعالى العذار ، حضرة مصطفى مختـار افندى الدويدار » ، (والدويدار كلمة تركية معناها حامل الدواة أى المحبرة ، كناية عن حب العلم) وفى فرنسـا درس مصطفى مختـار « علم تدبير الامور العسكرية » ولذكائه ونبوغه كان موضـع عناية خاصـة من المسيو جومار المشرف الفرنسى على البعثة وكان يشجعه هو وباقى زملائه وينبههم الى عظـم ما ارسـلوا من اجله والى ان الارادة القوية التى تتجلى فيهم تكفل بلوغ الغاية التى قصدتها مصر من بعثتهم .

ولم تبخل مصر على المبعوثين بما يهون الغـربة عليهم حتى بدت النعمة عليهم واعتبرهم الفرنسيون ـ كما يقول رفاعة الطهطـاوى ـ « من الموسرين » بل من



مصطفى مختار : أول وزير للتربيـة والتعليـم

الاغنياء » وبلغ من اهتمام محمد على بهم انه أرسل ثلاثة جياد الى الاعضاء الذين اختيروا للاشراف على باقى اعضاء البعثة ومنهم مصطفى مختار .

ولما علم محمد على بميل مختـار الى الموسيقى أرسل اليه ساعات دقاقة منها واحدة تصدر عنها انغام موسيقية ، كما اشترى له آلتين موسيقيتين ليشبع هوايته الخاصة .

وعاد مختار بعد أن اتم دراسته عام ١٨٣٢ ونال رتبة بكباشى « مقدم » ولقب « بك » واشترك فى حرب الشام الاول وكان فيها أركان حرب لابراهيم باشـا وياورا له ثم عين بعدئذ رئيسـا لمجلس شورى المدارس ، الذى تحول الى « ديوان المدارس » بعد أن تقـدمت وتعـددت المدارس العالية والخصوصية التى انشأها محمد على واتسع نطاقها .

واسندت ادارة ورياسة هذا الديوان الى أمير اللواء مصطفى مختار وكان هـذا الديوان أول وزارة للتربية والتعليم فى مصر .

وكان لهذا الديوان مجلس مؤلف من مصطفى مختار رئيسا ومن عدة اعضـاء

من بينهم كلوت بك ، ورفاعة الطهطاوى واعضاء آخرون .

واصبحت شئون التعليم لها ادارة خاصة بعد أن كانت تابعة لديوان الحربية ، ويرجع الفضل في ذلك الى مصطفى مختار .

والى مصطفى مختار وديوان المدارس يرجع الفضل في تنظيم التعليم بالمدارس ووضع لائحة لنشر التعليم الابتدائي قضت بانشاء خمسين مدرسة ابتدائية (وكانت تسمى مكاتب) منها أربع بالقاهرة وواحدة بالاسكندرية والباقي في مختلف انحاء القطر المصرى .. وقضت اللائحة بأن يكون بكل مدرسة بالقاهرة والاسكندرية ٢٠٠ تلميذ بكل مدرسة من مدارس الاقاليم مائة تلميذ .

وكان أكبر ما قام به مختار بك من خدمات للتعليم ، الاهتمام بالكتب التي يدرسها التلاميذ بالمدارس الابتدائية .

وعلى الرغم من أنه أرسل لتعلم الادارة الحربية والشئون العسكرية فقد نجح في عمله بديوان المدارس .

ولم يقتصر عمله على ديوان المدارس بل اسندت اليه اعمال أخرى قبل وبعد رئاسته لذلك الديوان فقد عين رئيسا للمجلس العالي الذي أسس سنة ١٨٣٤ وكان يتكون من رؤساء الدواوين والمصالح وعالمين يختارهما شيخ الازهر واعضاء آخرين ، وكما كان رئيسا لمجلس الملكية فقد اشرف على اعمال ديوان الاشغال مع ديوان المدارس .

وكان محبا للاستقلال في عمله ، ولذلك نجح في الانفصال عن ديوان الجهادية(الحربية) من الناحية الادارية فقط ، بل وسعى للانتقال بديوان المدارس من القلعة الى مكان خاص بالازبكية ، حتى تكون للتعليم شخصية مستقلة .

وكان مصطفى مختار حاد الطبع ، صلب الرأى ، ولذلك اصطدم مع محمد على ، ولولا تقدير الاخير لمواهبه ما كان ليعفو عنه .

وقد كانت جهوده أكبر موجه لسياسة التعليم في عهد محمد على وقد سار على هديه من تولوا شئون التعليم بعده .

وقد مدحه الشاعر محمد شهاب الدين كبير شعراء ذلك العصر بعدة قصائد ، منها قصيدة تتضمن بيتين يصف فيهما همته قال :

عزيمة كالحسام قطعا
تمر كالسحاب اذ تسير
وهمة دونها الثريا
وهى لها في الثرى مسير

ومما يذكر بالفخر لمصطفى مختار اعتزازه بانتسابه لمصر وانفصاله عن موطنه الاصلى واندماجه في الشعب المصرى واتخاذها وطنا خالدا له ولاسرته، ولا غرابة في ذلك فان من مميزات مصر انها تدمج في كيانها العناصر والقوميات التي تتوطن بها وتصبغها على مر الزمن بصبغة القومية المصرية .

ولقد عبر مصطفى مختار عن هذا الشعور بحديث له ، ذكره بوالكونت احد المؤرخين الفرنسيين ، قال :

« اننا وان كنا في الغالب مولودين في تركيا ، لكننا اكتسبنا الجنسية المصرية بحكم التوطن ، وانتم معشر الفرنسيين تعترفون بالجنسية الفرنسية لمن يقيم بفرنسا عشر سنوات ، اما نحن فقد جئنا مصر قبل ان نتجاوز سن الصبا ، فلسنا الآن اتراكا ، ولم يبق فينا ما يربطنا بهذا الشعب الذى لا يترك في طريقه ايتما



المؤرخ محمد رفعت



رفاعة رافع الطهطاوى



عبد العزيز البشرى

سار سوى دلائل الخراب . لقد اندمجنا في امة أخرى ارقى وأنبل وأذكى من التركية ، اندمجنا في تلك الامة العربية التي سبقت أوروبا الى الحضارة وازدانت ايام عزها وسؤددها بذلك العمران الذي يتجلى للناظرين في المدن الزاهرة التي انشأتها والعمائر الجميلة التي اقامتها .

ولم يطل عهد مختار بديوان المدارس اذ توفى عام ١٨٣٩ ، ولم تمهله الاقدار ليظفر برتبة الباشوية التي ظفر بها ابنه مصطفى باشا مصطفى مختار الذي اوفد الى فرنسا في بعثة سنة ١٨٤٤ ثم عاد وتقلب في مناصب كثيرة ، كان آخرها أن عين مديرا للغربية سنة ١٨٧٣ .

ولا يفوتنا ان نذكر أن وزارة التربية والتعليم (المعارف يومئذ) احتفلت احتفالا كبيرا في شهر مارس سنة ١٩٣٧ بمرور مائة عام على تاسيسها واقيمت حفلات بالاوبرا للموسيقى والغناء والتمثيل المدرسي ، كما اقيمت كذلك حفلة العاب رياضية بالنادي الاهلي . وأخيرا احتفل بانشاء متحف التعليم .

وقد ساهم « الهلال » في هذا الاحتفال المئوي باصدار عدد خاص في ابريل سنة ١٩٣٧ ، عنوانه « ثقافتنا في مائة عام » وقد اشترك في تحريره نخبة من كبار رجال التعليم وأعلام الادب والفكر ، وفيه بحثوا رسالة وزارة المعارف وتبعاتها ودرسوا تطور نهضتنا الثقافية في شتى وجهاتها ، وتحدثوا عن الرجال الذين شادوا بناءها ودعموا اركانها ، ثم أبانوا عناصر القوة والضعف فيها ، فكانت بحوثهم تصويرا دقيقا لفترة من تاريخ مصر الخالدة .

ونذكر بين هؤلاء المفقود لهم بهي الدين بركات ، محمد رفعت (المؤرخ) وعبد العزيز البشرى ، والعقاد ، وزكي مبارك ، وعبد الرحمن صدقي ، والاستاذ محمد عبد الله عنان .

وقد وجه وزير المعارف « للهلال » تحية استهلها بقوله : « من اكبر دواعي الغبطة عندي « تحية » الهلال على ما هداه اليه شعوره الادبي من المساهمة بهذا العدد الحافل ، في الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وزارة المعارف» .

ولم يبق من آثار ذلك الاحتفال (عدا العدد الخاص الذي اصدره الهلال) سوى لوحة تذكارية وضعت على يمين الداخل لمبنى وزارة التربية والتعليم .

قصـــة

ورقتان على غصن شجرة

● بقلم اسحق باشيفيس سنجر ●
الحائز على جائزة نوبل فى الأدب
● ترجمة د. سليم الاسيوطى

● كانت الغابة متسعة فسيحة مترامية الأطراف . تملؤها الأشجار من كل نوع . وقد تكاثرت أعدادها وأورقت أغصانها الكثيفة حتى غدت سحابة تغطى سماءها ..

كان ذلك ابان شهر نوفمبر ، والجو يكون باردا عادة ، فى مثل هذا الوقت من السنة ، حتى انه فى بعض الاحايين يحدث ان يتساقط الثلج .. ولكن الجو فى نوفمبر من ذلك العام كان دافئا بالنسبة الى غيره ، وكانت الليالى باردة باعتدال ، قد تعصف بها الرياح ولكن ما ان تشرق الشمس فى الاصباح حتى يغدو النهار دافئا ..

ولقد يخيل للمرء انه فصل الصيف لولا ان أوراق الأشجار المتساقطة كانت تغمر أرض الغابة كلها ...

بعض هذه الأوراق كان أصفر كما الزعفران والبعض احمر قان كما النبيذ ، والبعض الآخر كالذهب النضار ، وغيره مختلف الألوان .

كانت الامطار المسببة اطاحت بالأوراق من أعلى أغصانها .

وعلى الرغم من أن عصارة هذه الاوراق قد جفت ، الا أنها ما زالت تنشر عطرها وشذاها الطيب فى كل مكان .

أما الطيور التى لا تهاجر الى الاوطان ذات المناخ الأكثر دفئا ، فى الشتاء ، ولكن تبقى حيث هى ، فقد حطت على غصون الاشجار التى تعرت من أوراقها . وكان من بين هذه الطيور ، العصافير الصغيرة جدا ، ولكن على الرغم من صغرها فقد وهبتها الطبيعة قدرا كبيرا من الشجاعة والتجارب المتراكمة عبر الآف « الاجيال » كانت الطيور تحجل ، وتسقسق باحثة عن الطعام الذى تحفل به الغابة فى مثل هذا الوقت من العام . لقد هلكت حشرات كثيرة ، كثيرة جدا فى الاسابيع الاخيرة ، ولكن لم يأس لموتها أحد . ان مخلوقات كثيرة من مخلوقات الله ، تعلم جيد العلم ان الموت ما هو الا مظهر من مظاهر الحياة او صورة من صورها او جانب من جوانبها . فانه بمجىء الربيع سوف تعود الغابة لتزخر بالحشائش والعشب من جديد ، وتزدهر بالاوراق والنوار والازهار وتعود الطيور المهاجرة الى الديار من البلاد النائية . وتعمر أعشاشها التى كانت هجرتها ، وحتى لو كانت الريح قد اتلفت اعشاشها او بعضها او اتلفها المطر فسرعان ما تصلح من شأنها بسهولة وفى يسر ...

●●●

على قمة شجرة فقدت كل أوراقها ، بقيت ورقتان احداهما ذكر تدعى « أول » ، والاخرى أنثى تدعى « تروفا » .. لقد تدلت « أول » و « تروفا » ، كلتاهما ، من أملود واحد ، وبما كانتا على قمة الشجرة تماما فقد كانتا تستقبلان قدرا طيبا من أشعة الشمس ، ولسبب ما ، علمه عند الله ، يخفى على العباد ، لم يدرك أحد من الناس لماذا بقيتا بعد عصف الريح وهطول الامطار ، وظلتا معلقتين هكذا ، بقمة الاملود .

من عساه أن يعرف السبب الذى من أجله تسقط ورقة من على شجرة وتبقى أخرى معلقة بها ؟ ولكن « أول » و « تروفا » كانتا تؤمنان بأن الاجابة عن هذا السؤال تكمن فى الحب العظيم الذى تضمره احداهما للاخرى .

كانت « أول » أكبر قليلا فى الحجم من «تروفا» كما كانت فى العمر تكبرها ببضعة أيام . ولكن « تروفا » كانت أجمل وأكثر رقة . لم تكن الورقة تستطيع الا عمل القليل من أجل الاخرى اذا ما عصفت الريح وهطل المطر او بدأ البرد فى التساقط .. وحتى اذا ما حدث ان طيرت الريح ورقة من منبتها فى الصيف وقدم الخريف وتلاه الشتاء ، فلا أمل لاخرى فى النجاة او فرصة للخلاص ... ومع ذلك فان « أول » كانت تشجع « تروفا » وتشد من أزرها فى كل مناسبة . وفى أثناء هبوب العواصف الهوجاء وقصف الرعد ووميض البرق ، كانت الريح لاتمزق الاوراق من أغصانها فحسب ، بل أغصانا كاملة من على الشجرة ...

كانت « اول » تناشد « تروفا » : تمسكي بفرع الشجرة ، يا تروفا ! تمسكي بكل قواك !

وفي الليالي اذا ما اشتدت لفحات البرد وعصفت الرياح كانت « تروفا » تندب حظها العاثر : لقد حان اجلي ، يا « اول » ، ولكن عليك ان تتماسكي !

وتسأل « اول » : ولماذا التمسك بالحياة او التماسك ؟ ان حياتي بدونك لا طعم لها ولا مذاق ، ولا معنى ولا اهمية : فاذا ما سقطت فلسوف اسقط معك ! »

لا ، يا « اول » لا تفعلي بربك ، لا تفعلي ! ان الورقة اذا ما استطاعت البقاء فيجب الا تسقط ..

وتجيب « اول » : ان الامر كله يتوقف على بقائك معي ، ففي ضوء النهار انظر اليك واسعد بحسن جمالك ، وفي ظلمة الليل انشق عبيرك الارج فلتكوني ورقة وحيدة على الشجرة . لا ، لا تسقطي ابدا !

وترد « تروفا » : ان حديثك السحري يا « اول » بحيث يبدو لي غير صادق . انت تعلمين جيدا اني لم اعد ذات حسن وجمال ، انظري الى التجاعيد تعلو وجهي ! لقد جفت عصارتي وغاض ماء كان يترقرق في وجهي ... واني لاخجل من نفسي لا اجرؤ على السفور امام الطيور . انها تنظر الي بمزيد من العطف والشفقة ، حتى لاتوهم بين الفينة والفينة انها تسخر مني وتهزأ بي لما آلت اليه صورتي من الذبول والضمور !.. لقد خسرت كل مالي في الحياة ، ولم يبق لي الا حبي لك . وكفى بالحب ذخرا !

تساءلت « اول » : اوليس الحب عوض كاف ؟ انه اقوى واسمى واجمل هبات السماء .. وما دام كل منا مقيم على حب الآخر ، فسوف نظل هنا على هذا الغصن الرطب ، ولن تستطيع ريح تهب ولا عاصفة تثور ولا مطر ينهمر من أن تنال منا او تقضي علينا . دعيني أبوح لك بسر ما يختلج في صدري . يا « تروفا » — لم أحببك قط في حياتي كما أحبك الآن ..

— « ولماذا . يا « اول » ؟ لماذا ؟ ان الصفرة تصبغ بشرتي جميعها » .

— « من ذا الذي يقول ان الاخضر جميل والاصفر عاطل من الجمال ؟ ان الالوان جميعها تتساوى في جمالها » .

ما أن تفوهت « اول » بهذه الكلمات ، حتى وقع ما ظلت « تروفا » تترقبه وتخشاه طوال هذه الشهور ... هبت ريح عاتية انتزعت « اول » من فرع غصنها المياد ، وراحت « تروفا » ترتعد وترفرف حتى بدا انها لا محالة طائرة في الهواء.. ولكنها تماسكت وتمسكت بغصنها بقوة . أبصرت « اول » تسقط امام عينيها وتحملها الريح بعيدا فنادتها بلغة أوراق الشجر : « اول .. عودي الي » غابت عن الانظار . لقد اختلطت بغيرها من الاوراق المبعثرة على سطح الارض ، فبقيت « تروفا » وحيدة على الشجرة ، لا أنيس ولا جليس ..

ولما كان ضوء النهار ما زال ينشر لواءه على الغابة ، فقد نجحت « تروفا » في التذرع بالصبر على احتمال النازلة التي حلت بها ، ولكن حينما نشر الليل ظلامه على الكون ولفه البرد وهطل عليه المطر الغزير — غاصت « تروفا » في اليأس واستبدت بها خيبة امل ... وعلى كل حال فقد شعرت ان اللوم كله ينصب على الشجرة ، لما حل بالاوراق من محن وحل بها من كوارث وما نال الجذع بكل اغصانه من ضربات . ان الاوراق تسقط ولكن الجذع يبقى قائما وسمته نحو السماء ، ويضرب بجذوره السميكة الثابتة في اعماق الارض ، فلا الريح ولا المطر ولا البرد بقادرة على زعزعته . فهل تهتم شجرة قد تعيش الى الابد ، بما يحدث لورقة على غصن ؟

ان الجذع في نظر « تروفا » كان نمطا من آلة ، فهو يعطي نفسه ، يكسوها بالاوراق ، ثم لا يلبث الا شهورا قليلة ، فيعود وينفضها عنه ... انه اذا ما أمد هذه الاوراق بالعصارة ، كما يحلو له ، لمدة قد تطول وقد تقصر ، فهو أيضا يميتها طما .

ضرعت « تروفا » الى الشجرة ان ترد اليها « اول » ومعه الصيف من جديد ، ولكن الشجرة لم تعرها سمعا صاغيا .

اعتقدت « تروفا » ان اي ليل لا يمكن ان يطول كما طال ليلها هذا ... ولا أن يظلم كما اظلم ليلها هكذا ، وصار باردا ، ايضا ، غير مالوف وغير معروف ... تحدثت الى « اول » وهي تامل في ان تجيبها ، ولكن هذه كانت صامتة ، لم يصدر عنها ما يدل على حياتها .

قالت « تروفا » للشجرة : « ما دمت اخذت مني « اول » فخذيني انا ايضا ».

ولكن الشجرة لم تعر ضراعتها اهتماما او التفاتا .

بعد برهة وجيزة ، غلب النعاس « تروفا » .. كان نعاسا خفيفا اقرب الى التراخي والاسترخاء منه الى النوم ، ولما استيقظت تنبهت .. ولدهشتها الشديدة ، الى انها لم تعد على غصنها في الشجرة. لقد هبت الريح واسقطتها وهي في سباتها ..

كان شعورها يختلف عن الشعور الذي اعتادته عندما كانت تستيقظ فوق الشجرة مع شروق الشمس ... لقد تلاشت كل مخاوفها وتبددت كل انزعاجاتها ، الآن . لقد جاءتها اليقظة باحساس لم تستشعره من قبل قط .. لقد تبدى لها آنذاك انها لم تكن مجرد ورقة على شجرة ، تتهددها نزوات الريح ، ولكن ادركت انها جزء من الكون الفسيح .. وبقوة خفية غامضة امتت « تروفا » بمعجزة الجزئيات والذرات والاليكترونات التي تكونها تلك الطاقة الهائلة التي تمثلها والخطة الالهية التي هي جزء منها .

انها لم تعد ضئيلة ولا ضعيفة ولا زائلة فانية. كانت « اول » راقدة بجوارها ، فتبادلتها التحية والحب الذي لم تكونا لتشعرا به من قبل . انه حب لا يقوم على المصادفة او النزوة الطارئة ، ولكنه الحب القوى الخالد خلود الكون نفسه .. ان ما اعتادتا خشيته على توالي الايام والليالي فيما بين شهري ابريل ونوفمبر ، بدا انه لم يكن شبح الموت كما كانتا تتوهمان .. انه التحرر والعتق والخلاص ...

وهبت نسمة من هواء رخاء ، صعدت « باول » و « تروفا » الى الفضاء فحلقتا في نعيم لا يدرك كنهه الا من حرروا انفسهم والعتوا بالخلود !..

معجزة اليابان !!

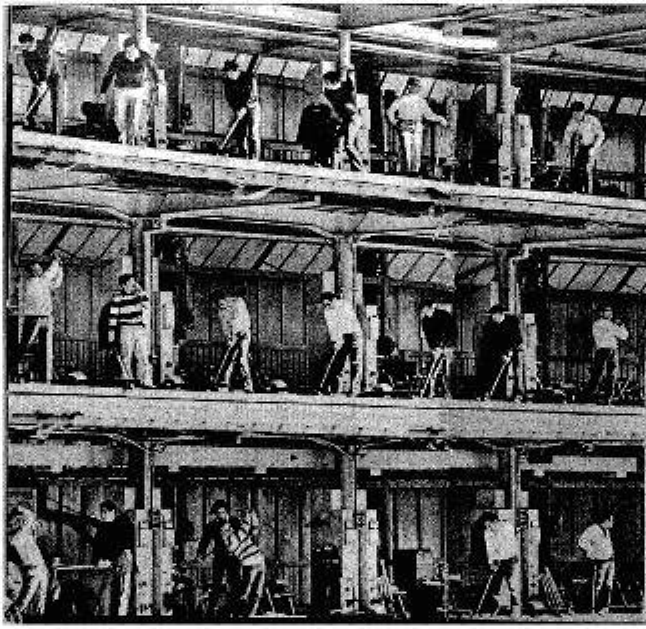
كل نجاح اليابان قائم على خمسة اسس :

- صدق اليابانى مع نفسه وأمته .
- ايمان اليابانى بانه عندما يخدم اليابان يخدم نفسه .
- اقبال اليابانى على العمل الى أقصى ما تستطيع قواه .
- العمل الجيد والمتقن وحده هو الذى له قيمة .
- النظام والنظافة جزء من عقيدة اليابانى .

اليابانى يثق فى اليابانى ويعتبر الامبراطور رمز قوة اليابان .



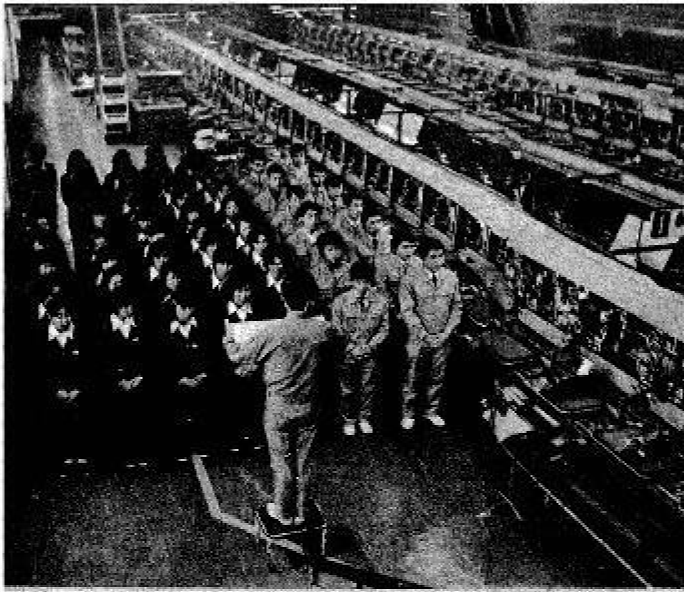
فتاة يابانية فى كامل بهائها وزينتها ، انها ظاهرة الجمال
ويزيد فى جمالها زيها اليابانى وزينة شعرها الفريدة فى بابها







مساحة اليابان صغيرة بالنسبة لسكانها . ولكن اليابانيين يجدون حلا لكل مشكلة من مشاكلهم . انهم مغرمون بلعب الجولف [illegible] ملاعب في [illegible] أدوار . وكل دور [illegible] ملاعب او [illegible] . وهكذا [illegible] يستطيع كل راغب في اللعب ان يستمتع [illegible] دون ان [illegible] الآخرون .



الياباني يعمل لمصنعه كما يعمل أي مواطن آخر لعائلته ولكل مصنع نشيده الخاص به . ويبدأ العمل في أي مصنع ياباني يوميا بالصلاة للمصنع والغناء النشيد جماعيا تحت اشراف واحد من العمال . هذا المنظر أخذ في مصانع ماتسوشيتا قرب أوزاكا .

معجزة اليابان

كنا نتحدث عن معجزة اليابان ، ولكننا نتحدث عن الحقائق كما ينبغي ينبغي لنا أننا أمام ظاهرة هي أكثر من معجزة ، لأن أسرار قوة اليابان ونجاح اليابان تعرف كل عصر . امبراطورية بدون أرض لأن الشمس لا تغرب عن صناعات اليابان . في كل بلد من بلاد الدنيا لا تنظر إلا وتجد ثلاثا من أحد منتجات اليابان . أسراب البيوت تقول ذلك بالليل بأعلى صوت .

منذ سنة ١٩٦٥ استطاعت انتاج اليابان ٣٠ مرة أول سيارة يابانية نزلت السوق كانت سنة ١٩٦٦ . يومها سخر كل الاوروبيين والامريكيين من سذاجة السيارة اليابانية ونقصها في كل جزء من جزئيات الصناعة .

اليوم تغزو سيارات اليابان كل أسواق الدنيا بما في ذلك أسواق الولايات المتحدة وأوروبا لقد صنعت اليابان وحدها خلال العام الماضي ٩ ملايين سيارة . هناك يصدرون للإنتاج ليحموا السوق من الغزو الياباني لسوق السيارات . في بعض بلاد آسيا وأمريكا اللاتينية لقيت سيارات اليابان على غيرها تفوقا كبيرا واستبدل وكلاء السيارات اليابانية معارض السيارات غير اليابانية .

لقد بنى اليابانيون رصيدا هائلا من الذهب والعملات الأخرى لم يسمع بمثله في التاريخ ؛ ما قيمته ٣٦ بليونا من الدولارات أجمعين كالكمبيوترات اليابانيين أنفسهم وقد بلغت ٢٠٠ ألف مليون دولار . واليابانيون يستثمرون مدخراتهم في صناعات بلادهم ومنتجاتها ـ واليابان نتيجة لهذا الاستثمار الضخم تستطيع الدخول في أي مشروع مهما عظم شأنه . والياباني له في شعبه

معجزة اليابان

وحكومته ثقة بلا حدود ، انه يعرف أن الذين يسلم اليهم امواله سيتصرفون فيها احسن تصرف . وكل اليابانيين متعاونون فيما فيه صالح بلادهم . عمال الشحن ورجال الجمارك فى الموانى يحملون المصنوعات على البواخر دون اجراءات تقريبا . البضائع تحمل ، والقائمة المقدمة من المصنع تختم ويحال قدر منها الى ضرائب الجمارك وأخرى الى ضرائب التصدير وثالثة الى الضرائب الصناعية .. الى آخره ، وهكذا يسير كل شىء فى طريقه دون تعقيد . البضائع تصل الى الاسواق الخارجية فى أقل وقت والجمارك تحصل والضرائب تدفع والعمال لا يتوقفون عن العمل أبدا واليابان تزداد قوة يوما بعد يوم . دون شك : القرن الحادى والعشرون هو قرن اليابان .

والياباني انسان بلا عقد ولا قيود فعقيدته الدينية سهلة واضحة . انها ديانة فضائل جماعية والبوذية على مذهب زن ، وبها يؤمن معظم اليابانيين هى فى ذاتها مقياس شرف وهى تضع الانسان امام ضميره ولا شىء بعد ذلك والياباني يعمل ما يرى انه الصالح للامة اليابانية كلها دون تردد لان الحكم الاول والاخير هو ضميره .

ولا يقتصر نجاح اليابانيين على ذلك التوفيق العظيم فى الصناعة والتوزيع بل انهم الآن يمدون خيوطهم فى كل اتجاه وميدان ، فان جماعات السائحين اليابانيين لا تنقطع فى مطارات الدنيا ، وهم ليسوا سواح متعة ولعب فحسب بل سواح دراسة وتعلم ، فانت ترى الفوج السياحى من الشبان أو الشابات يتقدمه رئيس منهم يحمل لافتة مكتوبة باليابانية ، والبقية تتبعه كأنها فرقة فى جيش . وهم ينزلون باريس مثلا ويحققون برنامجا ثقافيا سياحيا موضوعا باتقان ، والاوقات الحرة التى يفعل السائح اليابانى فيها ما يريد قليلة جدا . لان اليابانيين قوم جادون ، وكل شىء فى حياتهم عمل وفائدة : المتعة عمل والفرجة عمل ، ولا وقت هناك للضياع .

وليس فى الدنيا اعجب من العقلية اليابانية . فهؤلاء الناس يدهشونك حقا بتصرفاتهم ، فهم مثلا فى تنزانيا ينفذون مشروعا عمرانيا لانشاء مدينة جديدة ، وهنا العمل كله هدية من حكومة اليابان لتنزانيا . والمتخصصون اليابانيون يعملون فى الغابة وحكومتهم ترسل لهم التموين الكافى من كل نوع . وبينما هم يعملون طرق المنطقة جاء أسد وأخذ يجول خلالها ، وفى جولاته صاد بقرة وحشية وأكل منها كفايته ثم انصرف عنها لكى يعود اليها مرة أخرى على عادة السباع ، وفى الوقت الذى انصرف فيه السبع كان اليابانيون قد اسرعوا واقتطعوا من الفريسة فخذا وعادوا به الى معسكرهم وطبخوه وأكلوه . ومثل هذا التفكير لا يخطر قط الا بعقلية اليابانى العمل .

وينفق اليابانيون سبعة بلايين من الدولارات سنويا فى مساعدات علمية وتكنولوجية وانسانية لبقية أمم العالم ولا يفوقهم فى هذا الميدان الا الولايات المتحدة ، وهم بهذا يؤدون واجبهم نحو الانسانية كاملا ، ومن هذا الاعتماد الضخم استكشف اليابانيون لحساب كولومبيا والبرازيل أبعد مجاهل نهر الامزون وصعدوا حتى قمة جبل ايفرست مستكشفين باحثين عن المعادن والخامات ومدوا كرمهم حتى شمل الجامعات الامريكية فقد قدموا فى العام الماضى مليون دولار منحة لكل واحدة من ثمانية جامعات أمريكية من هارفارد الى هاواى وعندهم جمعية تسمى جمعية المتطوعين التعاونية تقدم خدماتها الفنية والتقنية لبلاد العالم الثالث ، وهذه الجمعية تقوم بتنفيذ مشروعات متعددة مثل زراعة الحدائق فى المغرب ودراسة التربة فى نيبال وتحلية المياه على شواطىء موريتانيا .

ولكن هناك امما كثيرة لا ترحب بهذا النهم اليابانى الى العمل والاستثمار والانتاج ، ففي البرازيل واندونيسيا يسمون اليابانيين « حيوانات اقتصادية



في الصورة الاولى أعلا هذا الكلام ترى يابانية من جمعيات المعاونات الفنية للدول النامية تعلم امرأة من تنزانيا حرفة الحياكة ٠
وفي الصورة الثانية ترى معلما يعلم بنتا يابانية من المغتربات العاملات في بلاد اخرى كيف تكتب الخط الياباني لان اليابانيين حريصون على المحافظة على شخصية شعبهم وخصائصه الثقافية والاخلاقية ٠



وفي بانكوك يقاطع الطلاب منتجات اليابان ويسمونهم الامريكيين الصفر ٠ وفي جزر الهاواي - وهي ولاية امريكية يكرهون اليابانيين ويخافونهم ٠

بل ان اليابانيين انفسهم ليسوا سعداء بالنجاح الذى وصلوا اليه في ميادين الصناعة والتكنولوجيا والمال ٠ انهم يقولون ان ذلك النجاح يقتل روح اليابان ويلوث مياه البحار والهواء وقد قال أحد رجال الصناعة آسفا : ان أشجار الكريز التي اشتهرت بلادنا بجمالها تموت الآن في الجو الملوث الوبيء،وجبل فوجي ياما الذى كان اجمل ما تقع عليه عينك وأنت في طوكيو لايرى اليوم الا مرة في الاسبوع فان دخان المصانع يخفيه ٠

وقال صحفي ياباني كبير اننا نعمل كالمجانين كأننا في معركة ، ولا تحسب ان الروح الحربية اختفت في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية .. انها لاتزال موجودة ، ان الذى حدث هو أن ولاء الياباني انتقل من الامبراطور الى المصنع والمصنع ميدان الياباني اليوم ٠ انه يعمل بنفس التفاني الذى كان يحارب به ، اننا نقاتل ولا نعمل في مصانع !

كتب باحث ياباني يقول : الا يقتصر ثمن النجاح الذى ندفعه نحن اليابانيين في مقابل نجاحنا على مجرد تلوث البيئة وفساد الظروف الحيوية أى الايكولوجية ، فاننا نعاني قلقا نفسيا بلا نهاية ، فنحن نعتمد في ٨٥٪ من البترول الذى نحتاج اليه على الشرق الاوسط ، وأى اضطراب أو خلخلة هناك تحطم أعصابنا ٠

وتساءل هذا الصحفي : هل النجاح يساوى هذا الثمن الباهظ الذى ندفعه ؟ انظر الى نوع الحياة التي يحياها الياباني اليوم ، انه يكسب كثيرا ولكنه يعيش اسوأ مما يعيشه مثيله في البلاد المتقدمة







ورغم كل شيء يحرص الياباني على المحافظة على تقاليده وعاداته . هؤلاء عمال في احد المصانع خرجوا يوم عطلتهم الى احد الرياض في جنوب جزيرة كيوشو ملابسهم مزاج من الملابس التقليدية والحديثة ، لاحظ تقاطيعهم والشاحة كل ما حولهم وشجرة البرقوق خلفهم - انها تموت نتيجة لتلوث البيئة .



كل شيء في اليابان يسير بنظام . هؤلاء جماعة من اليابانيين يستشفون بدفن أجسادهم في رماد يغطي أرضا فيها عيون حارة . هذا الرماد موجود في مساحة ساخنة ثلاث ينزلون فيه . لاحظ كيف ينامون واحدا الى جوار الآخر في نظام تام .



اليابانيون يمارسون الرياضات ويقومون بأعمال الترويح عن النفس داخل مصانعهم - ففي المصنع قاعة صغيرة للصلاة وفيه قاعة للتدريب وقاعة للاستحمام بالجلوس في الماء الدافىء لإراحة الأعصاب أما التمرينات الرياضية فيقوم بها الياباني بين الكتاب وكل هذا نراه في مجموعة الصور المنشورة على هاتين الصفحتين .





مدير احدى مجموعات المصانع اليابانية . انه يدير مصانعه بواسطة اجهزة الكترونية معقدة . حتى فى الطائرة تراه فى الصورة الوسطى يراجع اوراقه وهو على اتصال مستمر بكل مصانعه . وفى الصورة الكبيرة ترى اربعة من كبار رجال الاعمال اليابانيين فى جلسة مريحة كأنهم يتناولون الشاى ، والحقيقة انهم فى هذا الهدوء يناقشون أضخم المشروعات ويتخذون اخطر القرارات .



هذه الطفله اليابانية سنها اربع سنوات وهى تبدا تعلم عزف الكمان . الكمان صغير مصنوع لمثلها . لاحظ روح الجد والانصراف التام للعزف الذى يميز غيرها من اطفال العالم . هذا رمز على اخلاص اليابانى لعمله .

الاخرى . انه لا يستمتع بشيء لان حتى العمل مسئولية عليه ، ثم انه يعمل وامرأته تعمل وابنته وابنه يعملان . الاسرة كلها كأنها خلية نحل فمتى او كيف يستمتع احد منهم بحياته ؟ ثم ان الياباني يعمل اضعاف غيره ويتقاضى الاجر . حقا ان نصف الاجر هذا يكفي حاجاته ويزيد ، ولكن ذلك لا يمنع من القول انه مظلوم .

ولكى نفهم اليابانيين لابد ان نعرف البوذية على مذهب زن .

ان ذلك المذهب من البوذية يحض على وبالاخلاص للهدف العام الى درجة التضحية بالنفس والمال . لا تسأل عن نفسك أبدا ، فأنت عضو صغير في جسد كبير ، فاذا صح الجسد كله عاد اليك انت ذلك بالخير ، ولا وجود لخير يعود اليك وحدك خيره .

وهذا المذهب من البوذية ، مثله في ذلك مثل كل مذاهب البوذيين لا تقول بوجود عالم آخر أو حياة أخرى فى كل شيء يتم فى هذه الدنيا ، ولا بعث ولا نشور ولا حساب ، الروح نفسها قد تسعد وقد لا تسعد . ولكن لا حساب ولا نشور وكهنة المعابد هم الذين يراعون سير الانسان وسلوكه .

.. قال كاتب امريكى : وقد ذهبت الى واحد من كبار كهنة البوذية هذه وهو الكاهن زتشو أتومى راهب دير انجا كوجى وقلت له : هل صحيح انكم (أى الكهنة)مسئولون عن النجاح الذى تحققه اليابان فقال : لا .. نحن لسنا مسئولين عن ذلك النجاح . نحن ضحاياه . ونظر الى شجرة برقوق عتيقة فى حديقة المعبد وقال : هذه الشجرة عمرها ٢٠٠ سنة وهى تموت الآن بسبب التلوث ..

ثم حدثني ذلك الكاهن عن ديانة البوذية على مذهب زن فقال انها وفدت الى اليابان فى القرن الثانى عشر حاملة معها المبدأ الذى يقول : ان اخلاص نفسك للعمل المتقن جزء من دينك وكذلك المحافظة على الجمال وتصنيف الزهور ومراسيم عمل الشاى وتقديمه ثم « التحطيب » بالعصى . كل هذه داخلة فى ديانة زن .

وقد دخلت اليابان ديانات اخرى معظمها واردة من الصين ،ولكن ديانة زن هى العنصر المعنوى المحرك للنفس اليابانية . انها ديانة الساموراى وهم الجماعة القائدة فى اليابان . كان الساموراى رجل شرف يخلص لليابان ويخلص للامبراطور ويخلص لارض اليابان وديانة زن ، والساموراى كان يملؤهم شعور الشرف الذى كانوا يتمسكون به وهم الذين اخرجوا اليابان من جمود القرن السابع عشر الى ديناميكية القرن العشرين .

لم يكن ايمان الساموراى بديانة زن مجرد كلام بل كان حقيقة ، ولان هذه الديانة لا تعرف الحياة الآخرة ولا تؤجل حساب الانسان الى ما بعد الموت فقد كان الساموراى يحاسبون انفسهم فى هذه الدنيا . كل شيء ينبغى أن يتم فى حياتنا هذه . اذا كنت محسنا فستنال جزاءك قبل ان تموت واذا لم تكن فليس امامك الا أن تضع حدا لحياتك بيديك لا يمكن الحياة بغير شرف . لم يكن هناك أمام اليابانى الا أحد طريقين : طريق الشرف أو الموت . لا يوجد هناك طريق ثالث .

والشرف على هذا المفهوم يقتضى القيام بالواجب نحو المواطن اليابانى كله . لقيامه به على أحسن ما يمكن . لاتقصير ولا اهمال والنظافة جزء من القيام بهذا الواجب . كانوا يقولون : لقد خلقت



اليابانيون اهل نظام وطاعة • وهم يثقون بعضهم في بعض ، فاذا قيل لهم البسوا الاقنعة لانها تقيكم من التلوث لبسوا الاقنعة جميعا دون تساؤل كثير او تمرد •

اليابان نظيفة وجميلة • وأى شيء يشوب هذا الجمال وتلك النظافة فيه تقصير في حق اليابان والكاهن البوذى على مذهب زن يراقب ذلك • ان المعبد حديقة والكاهن بستاني ،لانه بستاني فهو يوجه الناس في اتجاه النظافة والجمال والخير

وهناك بعد ذلك شخصية الياباني كنموذج بشرى فالياباني صلب العود دؤوب على العمل متقن لما يعمل ، لا يفكر الا فيما يعمله وكيف يعمله في أحسن صورة • فالمرأة اليابانية تعبد زوجها عبادة ، وطوال يومها تنظف بيتها وتنسقه وتجمله وتعنى بتربية أولادها ولا تفكر في غير ذلك أصلا •

وكذلك الزوج الياباني يقدس بيته واسرته • حياته هى عمله ثم اسرته • وهو فى كلتا الناحيتين يعمل بغاية الاخلاص والتفانى • وليست له حياة خاصة. انما هو يتلقى توجيهه الروحى من الكاهن ويعتبر نفسه جنديا للامبراطور • الذى هو رمز اليابان •

بهذا الايمان الذى لا مثيل له عند اى شعب آخر على وجه الارض حقق الياباني الاعاجيب ، فى القرن السابع عشر كانت اليابان بلدا مقفلا للخارج • بل كان الياباني الذى يحاول مبارحة اليابان يعدم فى الحال ، وفى سنة ١٦٣٠ صدر مرسوم من الامبراطور يحرم بناء السفن الكبيرة التى يمكن ان تسير فى المحيط • ومن عجائب تصاريف القدر ان اليابان تنشىء اليوم نصف سفن الدنيا كلها : حوالى ١٥ مليون طن فى العام من حمولات السفن

وفى سنة ١٨٥٤ كان الحادث الفاصل : تنبه اليابانيون عندما وجدوا السفن الاجنبية تقتحم مياه اليابان وترسو على شواطئها فوقع انقلاب مع بقاء الامبراطور تغير نظام الحكم واصدر الامبراطور أمرا بضرورة حماية مياه اليابان وشواطئها ومن ذلك الحين بدأت عملية التمدين فى اليابان بنفس الاخلاص والتفانى الذى عرف عن اليابانيين فى كل شيء •

وعرف اليابانيون كيف يسرقون اسرار الصناعة الاوروبية • الوف بعد الوف من شبابهم جعلوا يتدفقون على



المراة اليـــابانية طباخة ماهـرة ، وهي تتقن ما تطهو
كما يتقن الياباني صناعة الساعة أو الجهاز الالكتروني

بلاد الغـــرب للدراسة والتعلم ، كانت المانيا هي أول من فتح لهم الابواب لانها كانت ترى في اليابان حليفة قوية لها ضد عدوتها الابدية ، ارادت ان تنهض اليابان لكي تنشغل بها روسيا وتستطيع هي التوسع في شرق اوروبا • ونجحت المانيا في هذه السياسة واستطاعت اليابان أن توقع بروسيا هزيمة كبرى في حرب الصين ،وستظل معركة بورت آرثر سنة ١٩٠٤ علما تاريخيا بعد تاريخ نهوض اليابان ووصولها الى مستوى الدول الكبرى •

ولكن السر الاكبر وراء هـــذا النصر وذلك التحول العظيم هو الرجل الياباني نفســـه ، الرجل الملتزم المطيع المنظم المنفذ الذي يقدس الشرف لقد تلقى الامبراطور امر بأن تتحول اليابان الى قوة عســـكرية بحرية كبرى فاطاع اليابانيون ونفذوا الامر • وكان الياباني لا يفكر في نفسه أصلا ، انه يفكر في المجموع ، في اليابان ، في الامبراطور • بهذا يأمره الكاهن في المعبد • وهو يحب العمل لان العمل في احساسه يقرب من المثل الاعلى البوذي على مذهب زن وهو يعمل في تؤدة وصبر ، ولا يسأم العمل قط •

وقد كان يقال ان اليـــابانيين مقلدون ولا زيـادة • وفي وقت من الاوقات كان الاوروبيون يســـخرون من اليابانيين ويقولون انهم لا يبتكرون شيئا ، انما هم يأخذون ما تصـــنعه أوروبا ويصـــنعون مثله • ومع أن ذلك في ذاته ليس عيبا في عالم الصناعة ، لان المصانع الاوروبية جميعا يسرق بعضها بعضـــا ، فانه غير صحيح،والياباني مبتكر ومفكر ومخترع وتســـعون في المائة مما تنتجه اليابان اليوم مبتكر لا يوجد له مثيل في أوروبا ، لان اليـــاباني الذكي المخلص المـجذوب لا عمل له في الحياة الا أن يفكر في عمله ويعمل بيديه •

وهو في العادة يبدأ من حيث وصـــل الاوروبي أو الامريكي ، ولكنه لا يلبث أن يسبقه ويتفوق عليه ، ولســـنا في حاجة الى ضرب الامثلة ، فامامك انتاج اليابان في كل ميدان من آلات التصـــوير الى القاطرات •• تأمل ذلك كله ترى بنفسك صحة ما نقول •

واليك بضعة أمثلة •

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية كان ثلثا مصانع اليابان حطاما وكان لابد من بنائها من جديد ، ولكن كيف والبلاد محتلة بالامريكيين وكل وسائل الانتاج قد تعطلت ؟

فتناول أحد الفنيين اليابانيين العاملين في المصانع آلة تصوير أوروبية وفكها الى قطع صغيرة جدا ووضـــع أمامه ورقا وأدوات قياس ورسم فيها أوضاع القطع كما كانت في الاصل وارتباط بعضـــها ببعض ، وكيف تعمل •

ـــ بها عمل لما تحت عمل اولا .

فجمع نفرا من زملائه وتفاهم مع اصحاب المصنع ليقوموا بتمويل العمل. ثم اخذوا يدرسون مادة كل قطعة من قطع آلة التصوير سواء أكانت معدنية أم جلدية او خشبية ، ثم صنعوا القطع وركبوها مع اختلاف يسير في المظهر ، وحسبوا التكاليف فاذا بها ربع تكاليف الكاميرا الاوروبية ، فاخذوا ينتجونها بالجملة ، ونظرا لجودة صنعها ورخص سعرها فقد لقيت اقبالا عظيما .

وربحت الشركة ربحا عظيما فانشات معامل تجارب واخذت تطور ماكينة التصوير وتحسنها وتضيف اليها ، وادخلت قطعا جديدة من البلاستيك ، وابتكرت عدسات جديدة وأوضاعا جديدة للعدسات وسارت في طريقها .. وهذه الشركة تسمى الآن « كانون » .

وفي يوم من الايام ذهب سائح امريكي سنة ١٩٤٦ الى صانع يابانى ليصلح له جهاز راديو صغير . فتناوله اليابانى ودرسه دراسة مستفيضة ، وفكه الى قطع صغيرة وفعل مافعل صاحبه مع الكاميرا ، وحدث هنا أيضا ما حدث بالنسبة لآلة التصوير : تطور العمل فى الراديو والترانزيستور ثم فى أجهزة التليفزيون .. وهذه الشركة الآن تحمل اسم سونى

ونفس القصة حدثت مع رجل يابانى آخر فى موضوع الاجهزة السمعية الالكترونية ، فقد دفعه نجاح زملائه الى تجربة حظه ، فذهب الى رجل من كبار رجال الصناعة اليابانية وحصل منه على معاونة مالية وانشأ مصنعا للالكترونيات وذهب آخر الى نفس الرجل وانشأ بماله مصنعا للمسجلات واشرطة التسجيل وكان للرجل الراسمالى صاحب مصانع اخرى للنسيج والكيمائيات والمحركات ، فى كل واحد منها وجد صاحب راس المال هذا يابانيا يريد أن يعمل وينتج ، وشيئا فشيئا ، اتسع نطاق العمل ، واصبح الراسمالى الكبير يملك ٧٥ مصنعا الى السيارات والطائرات ، واسم شركة هذا الرجل «ميزوبيشى» .

وهكذا فى كل ميدان نجد اليابانى يعمل ويفكر فى اخلاص وصبر . والهدف الوحيد البعيد لهؤلاء جميعا هو خدمة اليابان وخدمة أنفسهم فى نفس الوقت، ولكل مصنع يابانى شارته ، والعاملون فيه يعتزون بمصنعهم وبشارته التى يضعونها على صدورهم وحتى على أبواب بيوتهم ، بل ان لكل مصنع نشيد خاص وصلاة خاصة ، ويبدأ اليوم بالصلاة للمصنع وانشاد نشيد كأنه دين .

وهذا الانتاج الضخم ارتفع بدخل اليابانى حتى أصبح يعيش فى أعلا مستويات الرخاء المادى ، حقا انه يتقاضى اقل من زميله الغربى مع انه ينتج أكثر وأحسن ، ولكنه هو نفسه قنوع وفيه تصوف ، وهو لايطالب بأكثر مما يأخذ حاليا ، وهنا أيضا سر من أسرار نجاح اليابان .

ولكن للنجاح ، كما لكل شىء ثمن . وثمنه ان اليابانى بدأ يفقد هدوءه النفسى وتوازنه الروحى وأصبح الآن يصاب بأمراض المدنية الغربية :الاكتئاب والحالات النفسية والانتحار .

ومن أهداف البوذية على مذهب زن الوصول الى السعادة ، والسعادة عند اليابانى هى القناعة والرضا عن النفس والقيام بالواجب ، ولكن العصر الحديث والازدهار الصناعى والمالى نقل الى اليابان صورا جديدة فاسدة من السعادة كالاسراف فى الاستمتاع الجنسى والعبث ونوادى الليل والخمر بل المخدرات ، كل هذا الى جانب الاكتئاب النفسى واهتزاز قيم الاسرة اليابانية ، ثم تلوث البيئة الذى بلغ اقصاه فى اليابان كل هذا يسبب لليابانيين مخاوف جسيمة وضخمة ومن المفكرين اليابانيين من يشعرون بالخوف على مستقبل اليابان والجنس اليابانى بسبب النجاح الذى لايصدق الذى وصلوا اليه .

● د . حسين مؤنس ●

الأمل .. والنسيان

● يس الفيل ●

دموع عينك ما اشتاقت لمنديل
وامنيات ما حنت لتدليل
وحلمك البكر ما شوق يؤرقه
الى التوهج في غمس وتقبيل
ارحت روحك من طيش ومن نزق
ومن ظنوني ومن شكي وتأويل
وعشت في بؤرة النسيان راغبة
عن الحياة .. لمن ؟ بالله قول لي :
هل استباحك يأس ، واحتوتك يد
غيري ؟ ورمت بهذا الهجر تضليل ؟
الكأس فوق يدي ، شتان يا أمل
ما بين مستنقع الاشواق .. والنيل
من ذا سواي اذا ما ريحك اندلعت
وجردتك الليالي من أكاليل ؟
من ذا يقطر في اذنيك ما عزفت
اوتار قلبي من اشجى المواويل ؟
ومن يضمك صدرا لا تهدهده ..
الا ترانيم قيثاري وارغول
يا حلوة الفم والعينين ، ما سبب
اديك ، يدعو الى كسر القناديل
اهواك طيفا ، واهوى ان اراك غدا
عطرا يضيء ، واشواقا تغني لي
عودي .. ان زهور الحب ذابلة
وطائر الحب مجنون التراتيل
انى احار .. انت الحب يحرقني؟
ام انت اكذوبة في كل ابريل ؟

الماستر

● سعد رضوان ●

● لم اكن احبها او اكرهها ، وان كان يضايقنى التصاقها الشديد بى ، ومع ذلك فلا استطيع الاستغناء عنها ، حتى انها اذا ابتعدت عنى قليلا لم اطق بعادها فابحث عنها فى كل مكان الى ان اعيدها ، واحس بها تلامسنى .

وكنت الق فيها ثقة شديدة ، وآمن لها واؤمن بها ـ حتى كان ذلك اليوم الذى قابلت فيه هـذا الصديق المحامى الذى حاول ان يفقدنى الثقة بها قائلا :

ـ انه لايوجد شيء يستعصى على « الماستر » !

فقلت بدهشة : « غير معقول ! ‎٠٠‎ » وتحدانى المحامى ، وقرر انه سيتيح لى الحصول على الماستر » ‎٠٠٠‎

« الماستر » الذى افقدنى الثقة بها ، وجعلنى اراقبها فى كل لحظة مراقبة شديدة فى سخط والم وخوف ! ‎٠٠‎

ولكن ، لابدأ القصة من اولها ‎٠٠٠‎

رفض المفتاح ان يفتح باب السيارة ، وكدت ان اكسره ، لولا أن لاحظنى منادى السيارات ، وطلب ان انتظر حتى يبحث عن نقطة زيت ليلين القفل ، وفعلا قام الزيت بمهمته وانفتح الباب ‎٠٠٠‎

ونظرت الى سلسلة المفاتيح ‎٠٠٠‎ كم من المفاتيح يتعين على الانسان حملها ؟! ‎٠٠‎ لا ادرى ‎٠٠‎ يقولون انه كلما زادت اهمية الشخص ، كلما زادت كمية مفاتيحه ‎٠٠٠‎ بل لقد سمعت أن بعض كبار القوم واثريائهم وملوكهم لديهم بدوائرهم وظيفة حامل للمفاتيح مهمتـه أن يحمل المفاتيح الخاصة بقصورهم ومكاتبهم وخزائنهم ويتولى حفظها وترقيمها بنحاسات تعلق بها ، ثم يمسك دفترا أو دفاتر يدون فيها حركة المفاتيح وتنقلاتها بين مختلف الايدى العاملة ‎٠٠٠‎

ولما لم أكن من كبار ثراة القوم ، فلم أجد داعيا لان أعين من يقوم بهـذا العمل نيابة عنى ، واكتفيت بأن أحمل مفاتيحي بنفسى رغم كثرتها وتزايدها فى الآونة الاخيرة بعد استلامى لعملى الجديد كرئيس لاحدى الخزائن ‎٠٠٠‎

وأنا معتـاد على حمل المفـاتيح من صغرى ! ‎٠٠‎

***

بدأت علاقتى بالمفاتيح فى المدرسـة الإبتدائية ، حين اشترى لى أبى قفلا لدرج مكتبى بالمدرسة صرت أحمل مفتاحه ‎٠٠٠‎ ثم لما كبرت قليلا أصبح المفتاح مفتاحين بعد أن اشتريت حقيبة كتب بمفتاح ‎٠٠٠‎ ثم أصبح لدرج مكتبى بالمنزل مفتـاح وللخزانة ملابسى مفتاح ، وللحجرتى مفتاح وان كنت لم أحمـل كل هـذه المفاتيح المنزلية ، بل تركتها فى أقفالها بلا خوف أو تفكير فى اغلاقها ‎٠٠‎

ثم زاد مفتاح ثالث اضطررت الى حمله حين كبرت أكثر كان مفتاح شقتنا حتى لا أدق الجرس أو اطرق الباب عند عودتى للمنزل فاقلق راحة أفراد أسرتى ‎٠٠‎

ولما اشتغلت وانتقلت الى بلد آخر ، أصبح لى مفتاح وحيد للغرفة التى سكنت بها ‎٠٠٠‎

وحين أصبحت مسئولا عن بعض الاوراق والملفات فى العمل فاعطيت أربعة مفاتيح لأدراج المكتب الاربعة ‎٠٠٠‎ ولكن هـذه المفاتيح الاربعـة تراجعت بعـد فترة

وأصبحت مفتاحين فقط ، واحد لخزانة الملفات ، وواحد للمكتب المعدني الحديث الذى يفتح ويغلق بمجرد غلق الدرج الاوسط منه فيتحكم فى حركة باقى الادراج ــ تقدم تكنولوجى ! ..

وبعد فترة تسلمت خزانة نقود صغيرة ذات مفتاح واحد ...

وهكذا كانت حركة المفاتيح ، تكثر وتقل ، حسب ظروف الحياة ومتطلباتها !

ولكنى عندما تزوجت ، واصبح لى بيت ، زادت المفاتيح بشكل مفاجىء ... ستة مفاتيح كبيرة للابواب الداخلية للشقة ، خلاف مفتاح صغير للباب الخارجى للعمارة ، وآخر مثله لباب الشقة ... ثم مفاتيح اخرى كثيرة لخزانة الملابس وغيرها من الخزائن المتعددة التى تزحم الدار ..

وامر المفاتيح الداخلية يهون ، فهى لاتحمل ولا يحتاج الامر الى حملها ، فهى لاتستخدم الا لمجرد الاغلاق كحالة خوف من عبث الصغار أو ما اشبه ...

وهكذا ظلت سلسلة مفاتيحى لاتضم غير مفتاح باب العمارة ، ومفتاح باب الشقة ، ومفتاح مكتبى ، ومفتاح خزانة الملفات ، ومفتاح خزانة النقود .. ثم زادت مفتاحا آخر لحقيبة أوراق اخذت احملها فى يدى ...

ستة مفاتيح فقط لا غير تحملها سلسلة تتغير كل مدة ، لا بسبب القدم ، بل بسبب اعجابى بنوع جديد من السلاسل ، أو اهداء احدهم سلسلة جديدة لى فى مناسبة من المناسبات ، أو عيد من الاعياد ذلك أن الناس ، وأنا منهم ، حينما يهدون رجلا ، لايجدون بالسوق غير أنواع محددة من الهدايا ، احداها حلقة المفاتيح ...

ثم اشتريت سيارة ، فاصبحت المفاتيح عشرة ، فقد زادت مفتاحا لباب السيارة ومفتاحا لتشغيل محركها ، ومفتاحا لحقيبتها ، وآخر لغطاء البنزين ...

وفى هذا اليوم ، اهدتنى المؤسسة التى باعتنى السيارة حافظة صغيرة لحمل المفاتيح ، ولكنى لم استسغ حمل هذه الحافظة التى اتضح انها لاتتسع لحمل



عشرة مفاتيح ، وان تكن ذات حجم كبير ... ولما كانت سلسلة مفاتيحى صغيرة فقد اضطررت لشراء سلسلة جديدة حلقاتها أكثر اتساعا .. وطبعا لم أهتم بالدلايات التى تحمل السلاسل التى عرضها البائع على ، فقد كان كل اهتمامى باتساع الحلقة ، وبان تكون صغيرة حتى يسهل ان اضعها بجيبى ولا تضغط لحمى بشدة تؤلمنى ...

ولما رقيت الى رئيس خزانة ، زادت مفاتيحى مفتاحا للخزانة العامة للمؤسسة وهى الخزانة التى تصب فيها الخزائن الصغيرة ، ثم مفتاح لباب حجرة الخزانة الحديدى ، وهو احد مفتاحين لايفتح الباب الا بهما معا ، احدهما معى ، والاخر مع المدير العام للخزائن ...

وأصبح يتعين حضورنا نحن الاثنين لفتح الباب معا ...

وكانت كثرة المفاتيح هذه ، وما تحمله من مسئولية ، شيئا مؤرقا ، جعل عقلى يلعب به الخوف عليها من ضياع او سرقة ... حتى انى انتهيت الى زيارة محل متخصص فى بيع الاقفال لشراء قفل لدارى أكثر امانا من القفل العادى الموجود بالباب ، خوف ان يفتحه احدهم ويسرق

مفاتيح خزانتي ! ..

والحق أن الحيرة أصابتني من كثرة الانواع والاشكال الموجودة بالمحل ... واستقر الامر على قفل له أسياخ من الحديد تنزل الارض وتشتبك بالسقف ، كما تدخل الحائط من الجانبين عرضيا ...

وأرسل المحل احد عماله ليركب القفل .. وأصابني القلق حين رد العامل على سؤالي بأن القفل مهما كانت متانته لايعصى على لص خطير ! ..

وسألته عن الحل ، فأجاب :

ـ الواقع أنه يحسن أن تركب قفلا أو قفلان آخران ، هذا بخلاف جهاز الانذار !

ـ ولكن مافائدة ذلك مادام القفل أو الاثنان أو أكثر سيفتح ؟! ..

ـ ان اللص حينما يجد نفسه مضطرا لفتح أكثر من قفل ، ربما عدل عن السرقة كما أن فتحه لعدد كبير من الاقفال يؤخره أطول مدة ... وربما كان في التأخير خير ، فيصعد أو ينزل احدهم ، أو يشتبه اللص في صوت فيهرب ! ...

واقتنعت بكلامه ... وتم تركيب ثلاثة أقفال على باب شقتي ، وجهاز انذار أيضا ... وزادت أعداد المفاتيح التي أحملها ، والتي وان كان التصاقها بجسدي يضايقني ، فان ابتعادها يؤرقني ! ..

وأصبحت ثقتي في احتياطاتي شديدة حتى قابلت هذا الصديق ، المحامي الذي رأى ضخامة سلسلة مفاتيحي ، فسألني عن كل هذه المفاتيح ، فلما عددتها له : هذا للسيارة .. وهذا للمكتب .. وهذه الثلاثة لباب الدار .. والخ ! ..

قال :

ـ ولكن هذا كثير .. لماذا لاتكتفي بمفتاح واحد « ماستر » !!

ولم أفهم فسألته : « مفتاح واحد ماستر ؟! »

ـ نعم مفتاح « ماستر » ... يعني مفتاح سيد أو رئيسي يفتح كل الاقفال !

ـ مفتاح واحد يفتح كل الاقفال !! ..

ـ طبعا .. كما في الفنادق ، حيث يوجد مفتاح واحد لكل الحجرات !

ـ غير معقول !

ـ وتحداني الرجل ...

المهم أنه دبر لي مقابلة مع أحد زبائنه المحترمين كما قال ، وقادني هذا الزبون الى أحد الاحياء حيث سرنا في أزقة ضيقة وشوارع نشأت في العهد القديم ... وفي احدى الغرف المظلمة تمت المقابلة بيني وبين « المعلم ماستر » كما أسماه ..

***

كان « المعلم ماستر » هذا رجلا صغير الحجم له ابتسامة خبيثة .. حك كفيه بعضهما ببعض وهو يحيينا دون أن يجلس ثم قرر أنني محظوظ فان لديه مفتاح ماستر فرغ من صنعه اليوم ، وهو لايهمه لماذا اشتريه ، انما يهمه فقط أن يعجبني ، وأن يفي بالغرض ! ..

ثم أفهمني أنه في حالة الخزائن المرقمة لن يفلح الماستر قبل معرفة الارقام .. وطبعا لن تكون معرفة الارقام صعبة ـ كما قال ـ مادامت لديك أذن موسيقية تحس بتكة الرقم حين يتطابق ... وبخصوص أجهزة الانذار فهذه همها خفيف لايخرج عن كذا وكذا ...

و ... و .. طبعا اشتريت الماستر ، وبالسعر الذي حدده ...

واثبت الماستر نجاحه في تجربته مع بعض أقفال ...

ولكن ... أصبح نومي صعبا ، واصبحت استيقظ لأية حركة أو صوت أسمعه ! ...

واليوم حضر ابني الصغير يسألني :

ـ بابا .. هل صحيح أن هناك مفتاح يفتح كل الاقفال ؟

وقفزت أسأله : « ماذا تقول ؟ من قال لك هذا ؟! »

ـ لقد قرأت في الجريدة اليوم ، أنهم قبضوا على رجل يصنع هذه المفاتيح ... كما قبضوا على كل اللصوص الذين اشتروا منه المفاتيح ماعدا واحدا لايعرف الرجل اسمه ..

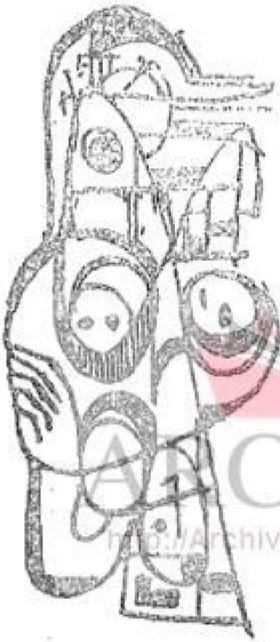
وهجمت على الولد اقبله ، ثم أمرت أهل البيت بالاستعداد للخروج للنزهة و .. « لألقي بشيء هام في النيل الخالد »

الدرب الأخير

تغربت بعدك ..
وخبرت بعدك ..
وانتى بقلبى كما كنت انت ...
اختصارا لكل النساء
ورحمة ربى ...
وضوء السماء

***

تغربت بعدك ...
تناثرت فوق الدروب الجديده
تمزقت بين القلوب الغريبه
وجربت يا حب عمرى
الكثير ...
تلاشيت شيئا فشيئا ...
اضعت الكثير ..
وعدت اخيرا لدربى الأخير ...
فانت حقيقة عمرى الوحيده
ضمير الضمير !
وانت نهاية عمر تمزق ...
وانت مصير المصير !



***

تناثرت بعدك فى كل درب
تمزقت أكثر فى كل حين
واحببت يا حب عمرى كثيرا ...
كثيرا كثيرا
وبات الضمير ...
وما زلت أنت ...
كما كنت انت !
بدايات عمرى ...
نهايات عمرى
وحبى الكبير ..
تناثرت بعدك فى كل درب
وعدت اخيرا
لدربى الأخير !

● اسماعيل عبد الفتاح
اليمن

● بطاقة تعارف مع واحد من أدباء العالم المعاصر ●

أنتونى بيرجس

● محمود قاسم ●

● فى انجلترا يظهر الآن ما يمكن تسميته بالجيل الرابع من أدباء القرن العشرين .. فاذا اعتبرنا ان هنرى جيمس وزملاءه يمثلون الجيل الاول . وجويس ومدرسته الجيل الثانى ـ فان الجيل الثالث قد تزعمه كل من مسنو ، وانجوس ويلسون، وايريس مردوخ ، ولورانس داريل ، ودوريس ليسنج ... أما الجيل الرابع فيتزعمه بلا منازع انتونى بيرجيس .

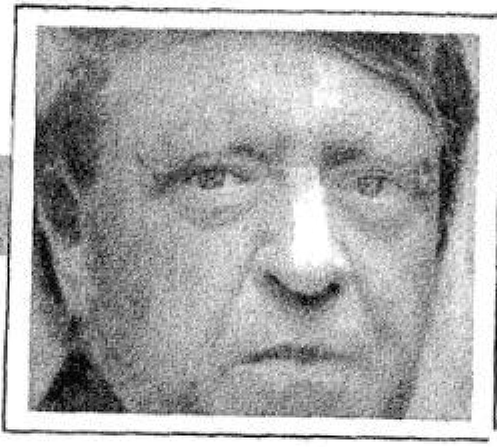
وبيرجيس يعتبر الآن أنشط وأمهر أدباء المملكة المتحدة على الاطلاق . لدرجة أن النقاد يطلقون عليه « الالة الادبية » ... ورغم أنه لايعيش جزءا طويلا من السنة داخل بلاده ، ويتحدث ويكتب بطلاقة عدة لغات ـ الا أنه انجليزى من رأسه الى أخمص قدميه ! ..

واذا كانت اللغة الانجليزية فى رأيه « صعبة جدا فى كتابتها » الا أنها وسيلته الاولى فى التعبير . فهو يكتب بها كلا من الرواية والسيناريو والتمثيلية التليفزيونية والابحاث المختلفة ... كما أنه يجيد العزف على مجموعة كبيرة من الالات الموسيقية ، لكن الرواية تظل بالنسبة له عالمه الاول فى التعبير عن داخله ...

ولد بيرجيس عام ١٩١٧ فى مدينة مانشستر بشمال انجلترا . كان ابوه عازفا على آلة البيانو . أما امه فكانت تعمل فى الصالات الموسيقية ، وقد توفيت وهو طفل ... وعندما تزوج ابوه امراة أخرى كرهها الصبى . فهى «امراة شديدة التعصب » .. وبعد أن غادر انتونى مانشستر التحق بالجامعة ودرس الادب الانجليزى ثم عمل لسنوات فى القوات المسلحة هناك .

وفى عام ١٩٥٤ عين موظفا تربويا فى الملايو وبرنيو ... وفى تلك الفترة كتب « ثلاثية الملايو » . ثم عاد الى انجلترا عام ١٩٥٩ بعد اصابته بمرض شديد ... ثم تزوج من امراة ايطالية يعيش معها الآن فى مونت كارلو ...

وقد جلبت له روايته «البرتقالة الالية» ـ شهرة واسعة خاصة بعد نجاحها فى السينما ... وقد اتبع فيها اسلوبا أقرب الى مافعله مواطنه الدوس هكسلى فى أعماله . فهو يدخل فقرات طويلة لها علاقة وطيدة بالعمل الاساسى بعدة لغات أخرى ، خاصة اللغة الروسية ... وهذه الرواية من نوع « الخيال السياسى » الذى يميل بيرجيس الى كتابته .



انتونى بيرجس

ونتيجة لمعيشة بيرجيس فى مونت كارلو حيث التاثر الواضح بفرنسا وتاريخها ، فانه يختار اهم شخصية فى تاريخ البلاد ليقدمها فى رواية بعنوان « سيمفونية نابليون » • وهو يكتب هذه المرة باللغة الفرنسية ، حول علاقات نابليون العاطفية ومغامراته فى البلاد التى حاول غزوها •• مصر •• روسيا •• ايطاليا •

وهو يتتبع القائد الفرنسى الى هذه البلاد كانه أب يراقب ابنه فى مسيرته ويحاول تعديل مساره ، والتعاطف معه ، والتغاضى عن اخطائه مهما فعل ••• فنابليون هو ابن الثورة الذى يريد أن ينشىء امبراطورية عظيمة فوق أطلال أوروبا الاقطاعية البالية التى عانت من الطغاة الجياع ••• لكن الثورة كانت أول من حطمت نابليون وأتت عليه بعد ان حقق لها الكثير • فقد مات نابليون كى يبقى للابد حلم شعوب أوروبا •

وفى العام الماضى نشر بيرجيس ثلاث روايات دفعة واحدة ، وكتابا عن ارنست هيمنجواى بعنوان «هذا اللعين هيمنجواى» •• أما رواية « روما تحت المطر » فهى تتناول حياة رولان بيرار أحد كتاب السيناريو ، وهو رجل ترمل بعد زواج دام ست وعشرين عاما • فيشعر انه قد استرد حريته حين يشيع امرأته الى مثواها الاخير •• ثم يقرر الاستقرار فى روما • وهناك يتعرف على مصورة فوتوغرافية مالبثت أن تتركه لترحل الى الشرق الاوسط لتصور أحداث حرب يونيو ١٩٦٧ ، بينما يبقى بيرار وحده فى غرفة المرأة يعد السيناريو لفيلم تموله هوليوود وفى هذا السيناريو يمزج بين حياته الخاصة وأحاسيسه الذاتية وبين أبطاله الذين يصنعهم بنفسه •

أما أحدث رواياته « ١٩٨٤ ـ ٨٥ » فهى من نفس اللون الذى اشتهر به • وهو الخيال السياسى •

وقد قارن النقاد بين هذه الرواية وبين رواية بنفس الاسم للكاتب الامريكى «جورج اورويل» ولكن الشخصيات هنا تختلف تماما •• فنحن أمام ديكتاتور عصرى يدعى بيف ، ربما هو صورة جديدة من بيفان زعيم العمال •• وهو يعيش فى عهد ملك يسمى شارل الثالث ، وهناك مايسمى بمملكة العمال يتزعمها « بيل » العامل الذى يود وضع كل قوانين المملكة •• وفى شوارع هذه المملكة يسود الاضطراب والفوضى ، وحوادث الاغتصابات التى ملأت روايته « البرتقالة الآلية » •

وبالرغم ان عالم بيرجيس ملىء بالعنف الا انه يكره الطمأنينة العقيمة مثل كراهيته للحرب الخصبة •• كما أن عالمه أيضا لايخلو من موجة حب رقيقة تجاه البشرية التى عليها ان تنال يوما ما تسعى اليه ●

القطار

● عماد الدين الهنداوى

شرنوبى ، رجل طيب مســن من قريتنا - زرع النوى - اضفت عليه مِيته سذاجة فى معتقداته التى كانت تصطدم فى معظم الأحيان مع معلومات اولاده المدرسية !.. وهو بسيط فى شخصه ، ورغم هذا كان مرجعا فى علم الزراعة ، حتى بالنسبة لمهندس الارشاد الزراعى،مما حدا بأهل القريةالى ان يمنحوه لقبا فخريا، الحاج شرنوبى

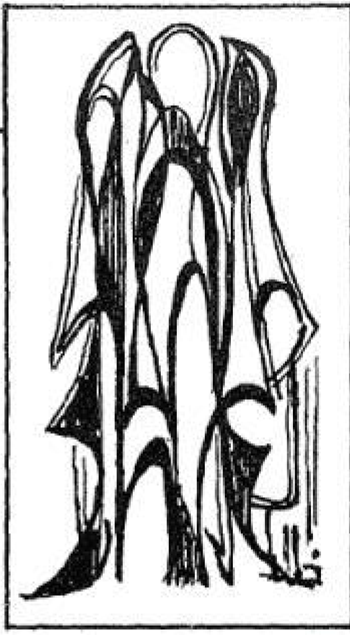
لم يكن يخـــرجه عن وقاره ولا استغراقه التام اثناء عمله اليومى فى حقله الا مروق القطار المجرى من امام بلدتنا ، ملقيا عليها تحيته المعتادة من الغبار المنطلق من اسفل عجلاته المسرعة التى لم تفكر مرة واحدة فى التمهل امام محطتنا المتواضعة ...

وفى كل مرة كان يشيعه شرنوبى بابتسامة عريضة من فمه المثلم او يهز رأسه اعجابا لذلك المارد الفضى الذى يمنى ان يركبه ، ولو كان هذا آخر شىء يفعله فى حياته ، بدلا من قطاره « القشاش » المتثائب دائما فى سيره بل والمترنح فى اغلب الاحيان والذى كان يركبه كلما ذهب الى « البندر » وكان هذا لا يحدث الا «للشديدالقوى».

وفى عصر ذلك اليوم المشهود كان عم شرنوبى فى حقله الملاصق لشريطالسكة الحديد بالقرب من المحطـــة ، وفى الميعاد المعتاد نصب قامته ومد بصره الى الأفق مستطلعا قطاره الجديد .. وفجأة شهق ، وارتسمت على وجهه علامات الاستفهام والتعجب واضحة جلية رغم الخطوط والغضون التىكانت تزاحمها على صفحته ... لقد رأى قطاره يزحف على القضبان مقتربا على مهل بل مترنحا للدرجة ان عجلاته لم تستطع ان تحمله الى رصيف محطة بلدته !.. لقد خمدت حركته قبلأن يصل اليها بأمتـــار قليلة ، وحتى صفارته خرجت متحشرجة وربماخجلة ايضا !..

... لم يفهم شرنوبى سببا لهـذا الحدث ... هل هناك « باشـــا » من « بتوع زمان » او « بيه » كبير من « بتوع هذه الأيام » جاء من مصــر لزيارة البلدة وحل مشـــاكلها ! .. ان هذا لم ولن يحدث مطلقا ... ثم ان الزيارة تسبقها شواهد ودلائـل من الاستقبالات والاستعدادات للـــولائم والعزائم ، كما حدث يوم أن زار البيه مأمور المركز حضرة العمدة قريبه ...

وازداد الموقف غموضا عندما رأى عباس افندى ناظر المحطة الوتور وهو



يخرج من مكتبه مهرولا متجها الى القطار ، مخاطبا سائقه ، ثم عاد مسرعا ، وبدأ يتكلم فى التليفون بعصبية ظاهرة : ووصل صياحه الى اذن شرنوبى المستطلع فى فضول ! ..

تكرر هذا المشهد أكثر من مرة ، وفى كل مرة يزداد الصياح . وتشتد نبراته . ورغما عنه وجد قدميه تقودانه الى حيث يقف عباس افندى مخاطبا السائق ... وياهول ما سمع ، لقد خابت كل توقعاته !.. ان قطاره عملاقه اصابه العطب مثل اى شىء آخر ، وهو الذى كان يظنه خارقا للعادة !.. وسمع ايضا ان الركاب لابد ان يغادروا القطار لأن « التكييف » تعطل !..

ولم يفهم شىء ...

وبشهامة اخذ يساعد الركاب على النزول ، معاونا فى ذلك عباس افندى ... وكان طرف جلبابه فى فمه الخالى من الاسنان ..

نزل الجميع واصبح الرصيف كسوق العيد ...

اقترب شرنوبى من القطار ، ووقف يتامله ... لم تكن هناك نافذة مفتوحة ... كيف كانوا يتنفسون فى هذا الحر ؟! وبحركة متلصصة دلف الى داخله . لم يستطع ان يقاوم الاغراء ... دفع الباب بيده التى اكسبها العرق والتراب ملمسا لزجا طينى اللون ، تماما كالوحل الذى كان يغلف اقدامه العارية .. لكن الباب لم يستجب له !.

وفى حركة يائسة جذبه نحوه ففتح ... كاد يسقط للخلف . ثم خطا بقدميه للداخل وقد تراخت قبضته عن الباب ...

ازداد خوفه من هذا القطار ، تذكر الابواب التى تغلق والمقاعد التى تتحرك ظهورها تلقائيا ... ويسال من جديد ... هل هذا قطار المفاجآت ؟ لكنه ما لبث أن شعر بالارتياح عندما وجد أن ظهور المقاعد متفاوتة فى الميول ، حمد الله انه لم يكسره .

الصق وجهه بزجاج احدى النوافذ ، ففلطح انفه ، كان يحاول ان يسمع حديث المجتمعين على الرصيف ، ولكنه لم يستطع ان يسمع شيئا رغم قربهم منه ، ورأى بعضهم يشير اليه وقد ارتسمت ابتسامة باهتة مقتضبة مختلطة بالعرق المنهمر على وجوههم .

وراه المتشمسون فثساروا عليه وضربوه ولم يجد مبررا لثـــــورتهم العارمة وسبابهم !.. قاوم بشــدة ، حـاول الدفاع عن نفسه من وابل اللطمــات والصفعات التي كانت تدوى وهي تنهال على وجهه وقفاه ...

وجد نفسه خارج العربة طـــريح الأرض الزلطية ، لم ينقذه من ايديهم سوى عباس افندى وفتـــــاته التى ساعدها بينما كان الجميـــــع على الرصيف يقهقهون عاليا ، لقد وجــد الحنق المكبوت داخلهم متنفســا فى جسد هذا الشيخ المسكين ... ظنوه لص حقائب !.. انهضه عباس افنـدى من عثرته الأرضية قائلا :

- دا الحاج شرنوبى ، رجل طيـب من بلدنا ؟

مدت الفتاة انامله تمسح وجهــه ، جففت عرقه بمنديلها المعطر الـــذى اكتسب لونا طينيا ، ويدها الاخــرى تربت على ظهره الذى زاد انحناءه نجاة.

انسحب شرنوبى منــكس الرأس مخلفا ميدان المعركة والمحطة وكل شيء خلفه حتى اقترب من حقله ، جلس مستندا ظهره الى جذع جميزته العتيقة مطرقا الى الأرض برأســه .. لم يـكن يفكر ، فقط كان من آن لآخر يتحسس قفاه ووجهه المتورمين ويحمد الله على أن احدا من اهل بلدته لم يشاهــــد مأساته ، فلم يكن هذا موعدا لوصـول اى قطار لمحطتهم ... ثم ان عبــاس افندى رجل محترم وعاقل ولن يروى لاحد عما حدث ... زاد احترام عباس افندى فى نظره فهو الذى انقذه . لا بل انقذ سمعة السكة الحديد كلها..

كم مضى من الوقت على عم شرنوبى حين آفاق من شروده ، لا يدرى ... اختلس النظر الى المحطة ، لم يجــد شيئا ، كانت هادئة ، ايمكن ان يكون كل هذا كابوسا او حلما قيلوله ؟!

لكنه عندما تحسس قفاه ووجهــه ادرك الواقع المؤلم !..

ولأول مرة لاح شبح ابتسامة حزينة على صفحة وجهه عنــــدما فتح يده الاخرى ، كان بها خرقة قذره ربمـا كانت منديلا حريريا معطرا فى وقـت ما !.. سرى العطر منه... استنشقه ملء صدره ثم اخرج زفرة حارة طاردا بها كل همومه .

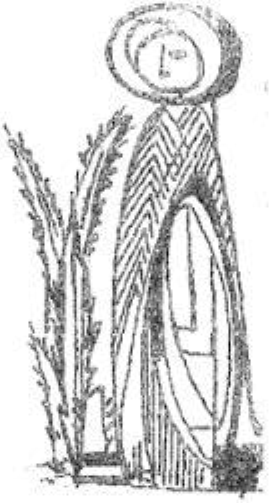
دس المنديل داخل ملابسه بجوار قلبه الذى اتضح انه لم يهرم حتى الآن !..

هب واقفا كان النهار مازال فيــه بقية ، قبضت اصابعه الغليظة عـلى ذراع فاسه التى عادت ترسم من جديد خطوطها الهندسية ، فقد اضاع وقتا كثيرا اليوم . وهذا من حق ارضه...

مرت عشرات القطارات على عــم شرنوبى كلها فضية اللون ، تمـرق كالسهام ، مثيرة الغبار وصفاراتـــها الحادة تشق اجواز الفضاء ... لكن انحناءة ظهره لم تكن تعتدل ابدا ، حتى وجهه لم يكن يرتفع لاعلى .. ابدا!.. قالوا عنى ؟ .. انا لص ؟! ياخسارة!

فقط كان بعد ان يمر كل قطـــار ويختفى تماما ، يعتدل عـم شرنوبى ويدس يده فى جيبه لتخـــرج حاملة خرقة قذرة لم يزل يفوح منها عبير عطر ساحر ، يمسح وجهه ... ثم لا تلبث فاسه ان ترتفع فى الهـــواء ثانية وابتسامة باهتة بعيــــدة الذكرى مرتسمة على وجهه .

لن يعود الحب



د . احمد بديع

لا .. لن يعود الحب يوما مثلما قد كان قبلا
لاقى من الاحزان مالا يستطيع .. اليس طفلا
انى احبك ، لكن الحب القضيع .. ليس الا !
ليس اختيارا ان تحب ، ولا لقلبك ان سيعصى
لكن سيبقى حين تهوى أن يكون الحب مولى
فهو الذى استوهبته حين التقى ريا وقيلا
وهو الذى أعطاك جولييت وبينلوب وليلى !

***

لا .. ليس فى الحب مريد ينتقى ، جودا وبخلا
الحب حب .. لا سبيل لان يزيد وان يقلا !
ملك يفديه المحب او ، فقد ضاع وولى ..
فالنصف حب فى الهوى اكذوبة تعلو وتسلى !

***

قدمت قلبى للهوى ، وهو الذى لم يستذلا
اسلمت ذاتى انها ، للحب اخلاصا ونبلا !
وجعلته فوق الحياة .. هو الخلود اذا تجلى ..
لكن حبك لم يكن الا السراب ، بدا وولى !
الحب عندك زينة ، او متعة .. تبغى ، وتقلى !
ما هكذا ابغى الهوى ، ثوبا قشيبا .. لم يبل !
لا .. لن يعود الحب يوما ، مثلما قد كان قبلا
لاقى من الاحزان مالا يستطيع .. أليس طفلا :

نيل سيمون
أديب عشق الفن وعشقه الفن

● ماري غضبان ●

● نيل سايمون ، واحد من أشهر كتاب المسرح في أمريكا ، في الثاني والثلاثين من عمره ، كتب حتى الآن ثماني عشرة مسرحية ..

بدأت تظهر موهبته في التأليف المسرحي وهو في العشرين من العمر .. ظفرت مسرحياته التي كتبها بحظ وافر من الانتشار والنجاح وكانت دائما - عند عرضها - حدثا أدبيا وفنيا تتحدث به الجماهير ..

ولنجاحها هذا ، وبفضل هذا النجاح تلفتت اليه السينما ، فاقتبس السينمائيون من مؤلفاته مسرحيات حولوها الى أفلام سينمائية ..

ومن هذه المسرحيات : « عارية القدمين في الحديقة » - و « الثنائي الغريب » - و « سجين الشارع الثاني » - و « أولاد الشمس » - و « وحجرة في فندق كاليفورنيا » - و « حجرة في فندق بلادزا » - وغيرها ..

وبقدر ما كان لهذه المسرحيات من نجاح فلقد حققت الافلام المقتبسة منها ، انتشارا جماهيريا واسعا ونجاحا كبيرا حتى أن فيلمين منهما قد حصلا على ترشيحات لجائزة الاوسكار العالمية وهما « الثنائي الغريب » - و « أولاد الشمس » ..

***

الى جانب هذه المسرحيات ، فأن نيل سيمون يتميز بقدرات عالمية في كتابة سيناريوهات الافلام الناجحة ، نذكر منها « فتاة الوداع » - و « جريمة قتل » ..

ومن صاحب أسلوب تميز به في كتاباته ، حيث تراه ذا طابع كوميدي اجتماعي خفيف ، وحتى في المواقف الدرامية فانه يتألق بسخريته المرحة وبلونه الفكاهي الذي برز وتخصص فيه.

وشخصياته تبدو كلها من نوع واحد فالبطل عنده دائما كاتب أو أديب ، حتى ليخيل للقارىء أو المشاهد لاعماله أنه يكاد يكتب عن نفسه ..

وفي كتاباته سخرية لاذعة من المجتمع الأمريكي ، ولكنها سخرية من النوع الهادف الذي ينقد ويحلل ويعالج ..

وفي احدث مسرحياته « الفصل الثاني » والتي اقتبسها المخرج الامريكي « روبرت مور »ليحولها الى فيلم سينمائي يحمل نفس الاسم .



فرحة الزواج : مشهد من الفيلم

ـ فى هذه المسرحية جسد نيل سايمون كل مراحل حياته التى عاشها .. فهى أشبه بقصة حياة ، تضمنت كل ظروفه وعلاقاته وحياته الخاصة ..

من خلال قصة حب بين أديب ماتت زوجته وأصبح فى حال سيء يحاول شقيقه وبعض المقربين اليه أن يخرجوه منها .. فيعطونه بعض العناوين ليتصل بأصحابها وينفتح على حياة جديدة ، وينشيء علاقات مع أناس جدد . وتشاء الصدفة أن يلتقى ، عبر أسلاك التليفون ـ بشابة ، كان يظنها عجوزا فاذا بها فى الحقيقة شابة جميلة ، وحينما يراها يقع الحب فى قلبه ، ويتزوجان ويعيشا معاً ، الا انه على طول حياته معها تكتشف هى ويكتشف هو أيضا أنه ما زال فى قلبه حب كبير لزوجته الاولى ..

ويلعب دور البطولة فى هذا الفيلم جيمس كان فى دور الكاتب ، وتلعب البطولة النسائية الممثلة مارشاميسون ، وهما مرشحان لجوائز الاوسكار لعام ١٩٨٢ .

والفكرة التى يدور حولها الفيلم ، هى أن الماضى دائما يعيش مع الانسان ، وقد يحكم تصرفاته ويؤثر على حياته حتى لو كانت هذه الحياة تتسم بالسعادة التى غالبا ما تنسى الانسان ماضيه .

ولعل السمة الغالبة على أدب نيل سايمون هى أنه ـ كما يقول ـ يكتب عن الانسان باعتباره انسانا ، ويدخل فى سرائره وعواطفه ووجدانه يحلل ويدرس ويعالج ..

العيون اليواقظ ..
دلالة على قدرة العربية ومرونتها

● عزت محمد ابراهيم ●

« العيون اليواقظ فى الامثال والمواعظ » عنوان لكتاب صدر منذ قرن من الزمان ولا يزال له فى تاريخ الادب ذكر ، ولصاحبه فيه مكانة ومقام .. ولقد ولى زمان الكتاب وادبر ، وبعد العهد بينه وبين قارىء اليوم ولكنه لا يزال على حاله من السهولة واليسر ، لا يعز فهمه بعد زمانه ، كما لم يعز فى زمانه ، ودلالة ذلك ـ وعبرته كذلك ـ انه كان من مقررات المطالعة فى المدارس الابتدائية فى ذلك الزمان .

وهو شعر سهل ممتع ميسور فهمه على الخاصة والعامة على السواء ، لاتحتاج كلمة منه الى تفسير ، ولا لفظة منه الى ايضاح ، دلالة على مرونة اللغة العربية ورجاحتها واتساع مداها وقدرتها على استيعاب آداب العالم ، ليس نثرا فحسب وانما كذلك شعرا ربما ارتقى فى جودته وقوته وحسن سبكه وجميل لفظه وعبارته .. الى طبقة الاصل او يزيد .

أما صاحبه أو بالاحرى مترجمه فهو محمد عثمان جلال ، وقد مضت على وفاته نحو مائة عام ، وترجم له على مبارك فى .. الخطط التوفيقية .. ترجمة نعرف منها أن الشاعر قد ولد بقرية « وناء » من صعيد مصر ، وكان أبوه من كتبة بيت القاضى ، وتوفى والابن لا يزال فى السابعة من عمره فألحقه جده بمدرسة قصر العينى عام تسع وأربعين ومائتين وألف هجرية ..

أما ما قبل ذلك فيذكره الشاعر نفسه قائلا : « كنت قد درست القرآن الكريم قبل دخولى تلك المدرسة ، فكان ذلك سببا من أسباب تفوقى على غالب التلاميذ ، ومن ثم أرى بأن ابتداء الاطفال بحفظ القرآن الكريم يصون اللسان عن الخطأ منذ الصغر ، ويعود الطالب معرفة القراءة والكتابة والاملاء صحيحة ..

وقد نفعه القرآن الكريم نفعا عظيما ، ولا يزال ينفع الادباء والشعراء وارباب البيان عامة ، فان رأيت فى أديب او شاعر سموا فى الاسلوب واقتدارا على المعنى وتمكنا من التعبير فلأنه قد اغترف من هذا المعين وارتوى بعذب نميره ..

أما هذه الاساليب المهلهلة النسج الكاذبة ، وتلك العبارات الفجة والجمل السقيمة التى لا يبين لها رأس من ذيل ، فهى للذين تنكبوا سواء السبيل وضلوا عن مناهل العربية وكتابها الاكبر .

وقد أمضى عثمان جلال فى هذه المدرسة ، بضع سنين حتى قيض الله له رفاعة الطهطاوى فزارها فوقع عليه اختياره مع تلميذ آخر ، فالحقهما بمدرسة الالسن .

ويصف عثمان جلال ما تلقاه فى هذه المدرسة وما تعلمه فيها بقوله : « كنا

تدرس اللغات الفرنسية والعربية الى أعلى مستوى ، فدرسنا العربية وعلوم البلاغة والمنطق والبديع والعروض والآداب ، ثم أخذنا ندرس علوم الجغرافيا والهندسة والحساب والطب والتاريخ مع اجادة الخط والرسم ٠٠ وحملت الينا دواوين العروض وكلفنا حفظها ، وهي لابن الفارض وابن معتوق وابن سهل ، وبانت سعاد ، والهمزية ، وما حوته خزانة الادب وحلية الكميت » .

لقد جمع عثمان جلال بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وكان ذلك هو سر نفوقه ونبوغه وبقاء اسمه حتى اليوم ، ولو فتشت في النابغين في عصر النهضة واحدا واحدا لوجدتهم على هذه الشاكلة ، وذاك المنوال ، ولا أريد أن احصى واسوق الاسماء واضرب الامثال ، فهي كثيرة حسبى منها الاشارة اليها .

وقد اشتغل عثمان جلال بعد ذلك بالترجمة وتقلد فيها وظائف مختلفة ، وكان يترجم بعض الكتب من اللغة الفرنسية في أوقات فراغه من عمله ، وبارك الله في أوقات فراغه تلك ، فما أجمل ما قدمت لنا واتاحت ، وقد كان منها هذا الكتاب الذي ترجمه عن « لافونتين » شعرا ، ويقول عنه انه من أعظم كتاب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان ، على نسق كتب الصادح والباغم وفاكهة الخلفاء ، وسماه « العيون اليواقظ فى الامثال والمواعظ » .

ولا جرم بعد ما ذكرنا أن يكون لعثمان جلال اسلوب عربي أصيل بعد أن جمع بين الثقافتين العربية والغربية وأجادهما وتمكن منهما ، فكان له هذا الاقتدار على النقل من احداهما الى الاخرى ٠٠

وقد قدم عثمان جلال للكتاب بمقدمة عنوانها « مقدمة المترجم عن نوادر أيسوب » يشير فيها الى أصل هذه الحكايات وهي لايسوب اليوناني ، وقد أخذها عنه « لافونتين » الفرنسى .

ويلاحظ على هذه المقدمة سلاسة أسلوب عثمان جلال وبساطته وخلوه من السجع ، حتى لكأنه أسلوب كتابة فى أيامنا هذه ، وليس أسلوبا قد مضى عليه ما يقرب من مائة عام

وفى هذه المقدمة عن « ايسوب » ونوادره ٠٠ انه كان يعمل فى خدمة رجل فيلسوف وان سيده دعا احبابه للغداء يوما عنده ، وقال لايسوب اشتر أحسن كل شيء ، فخرج الى السوق وما اشترى غير ألسنة الدواب ، كلسان الثور ، ولسان الكبش وما أشبه ٠٠

ولما حضر الضيوف كان أول لون من الطعام ووسطه وآخره اللسان ٠٠٠ فسئمت أنفسهم ، فقال سيده : ألم أقل لك تشترى أحسن كل شيء ؟ فقال أيسوب : لم أر شيئا أحسن من اللسان ، فانه رابطة العائلات ومفتاح العلوم ، وآلة الحق ٠٠ وبه تبنى المدن وتضبط ، وبه يحصل التعليم والزام الحجة والحكم فى الامم ! ٠٠

فقال له : بيدك الحق ، فاشتر لنا فى الغداء أقبح كل شيء وادع ضيوفي أن يتغدوا عندى اليوم الآتي .

وفى ثاني يوم توجه الى السوق ، ولم يشتر غير اللسان وقال : انه لم ير فى السوق اقبح منه ، لانه أبو المتناقضات ، ورأس المشاكل والدعاوى ، ومنبع الشقاق والحروب ، وان قيل عنه آلة الحق فهو آلة الغلط والة النميمة ، وبه تخرب المدن ، ولا تكون المسبة الا منه ! ٠٠

فقال أحد الضيوف : ان هذا الخادم ، ينفعك كل المنفعة ، فان فى امكانه أن يقنع كل فيلسوف ! »

ويأتى بعد هذه المقدمة تقريظ للكتاب كتبه « لافونتين » وترجمه عثمان جلال فى هذه الابيات :

تبسم الزمان وعن كتابى اسفرا ... وبه النسيم على محبيه سرى
عمرى هو الروض النضير وعوده ... بسحائب الامثال أصبح اخضرا
فيه النكات مع النوادر أينعت ... وظلام ليل الجهل منه اقمرا
يا قوم انى قد نصحتكم به ٠٠ ... والنصح أغلى ما يباع ويشترى

فاذا ملكتم منه اية نسخة ... نسخت لديكم ما أهم وأكبرا
وجلت لكم فى الحلتين عرائسا من بيت مجد للاصاغر لا ترى
وهى الفرا فى صيد كل غنيمة والصيد كل الصيد فى جوف الفرا

وقد بلغت حكايات كتاب « العيون اليواقظ فى الامثال والمواعظ » مائتى حكاية وقد وددت ان أختار منها الكثير ، ولكن لا يتسع المجال لغير القليل من قصارها فليكن منها ما يلى :

● صاحب الدجاجة ●

كان البخيل عنده دجاجة تكفيه طول الدهر شر الحاجة
فى كل يوم مر تعطيه العجب وهى تبيض بيضة من الذهب
فظن يوما ان فيها كنزا ... وانه يزداد منه عزا
فقبض على الدجاجة المسكين وكان فى يمينه السكين ....
وشقها نصفين من غفلته ! اذا هى كالدجاج فى حفرته
ولم يجد كنزا ولا لقيه .. بل رمة فى حجره مرميه
فقال : لاشك بان الطمعا ضيع للانسان ما قد جمعا !

● الغلام والثعبان ●

حكوا ان ثعبانا تثلج فى الشتا فمر غلام واستعد لقتله
ولاه به يسعى الى الدار طائشا وادفاه فانظر تقلة عقله
فلما أحس الوحش بالنار والدفا وحامت سموم الموت فى الجسم كله
وفتح عينيه وحرك راسه .. على الولد المسكين يبغى لقتله
اتاه ابوه عاجلا قط راسه وداس عليه فى الحصير بنعله
وقال : بنى احذر غبيا لقيته ولا تصنع المعروف فى غير اهله

● سيىء البخت ●

سمعت من رجل اودى به الزمن ولم يجد من له فى الناس يائمن ..
وصده الحظ حتى صار مفتقرا على التجارة فى الاسواق يرتكن ...
وما باع الا وكان السوق فى رخص ولا اشترى قط الا ان غلا الثمن
سمعته يشتكى يوما فقلت له تاتى الرياح بمالا تشتهى السفن !

● الثعبان والمبرد ●

حكاية الثعبان ذى حكاية قد بلغت من حسنها النهاية
اذكره اذ مر وهو آتى بمبرد لرجل ساعاتى ...
وكان جوعانا فرام يقرضه فبلا معنفسه فهذا غرضه
قال له المبرد : يا ثعبان ما تبتغى قال : انا جوعان
قال له : كل ان يطعمك نابك والله قد شرفنى جنابك ...
فانما تاخذ من سماطى ما تاخذ الريح من البلاط !

ولعلك قد لمست ما فى هذا الشعر من سهولة وعذوبة ، وان اللغة التى وسعت كتاب الله لفظا وغاية حقيقة بأن تسع كل الاغراض فتعز بها وتوفيها حقها ، ولا باس علينا أن نترجم بعض الاعمال الى اللغة العربية شعرا أو نثرا ، فهذا كسب لا ينبغى أن يصرفنا عما عداه ، وان الادب العربى القديم لغنى ثرى بأمثال هذه الحكايات والاقاصيص ، ولا يحتاج الامر منا الا أن نلتفت اليه وأن نوليه مزيدا من عنايتنا .

وقد لفت نظرى لفتا قويا ان هذه الحكايات التى ترجمت عن « لافونتين » الذى اخذها عن « ايسوب » قد ذيلت كل حكاية منها ـ على وجه التقريب ـ بمثل عربى ابتداء التقريظ الذى ختمه بـ « كل الصيد فى جوف الفرا » ، فكان ما قام به عثمان جلال أن وجد حكايات أجنبية لامثال عربية فوفق بين هذه وتلك والاقرب من ذلك واسهل ان تصنع ذلك فى أمثالنا وحكاياتنا فننشىء فيها مثل هذا الشعر ونصنع فيها مثل ذلك الصنيع .

الجمال العزيز المنال

● محمد محمود عبد العال ●



مُناى رايتك بعد البعاد
حياة تهدهد نبض الفؤاد
وتسرى باعمق أعماقه
وتنفض عنه غبار الرقاد
وتعزف لحنا بدقاته
فيهزج فيه ارتقاب المراد
وتشدو كوامن اشجانه
لاجمل فاتنة فى البلاد

***

تناغم بعد النوى الخافقان
وناح أريج وغنى ابتسام
وآن الرحيل لليل طويل
حوى الف ليل ثقيل المقام .
وهلت تباشير فجر جديد
به الضوء يهدم صرح الظلام
والقى السلاح زمان الحروب
وهش لروح الصفاء السلام

***

وعيناك قد قالتا ما اروم
قبيل لحون شفاه المنى
فعيناك مؤنستا وحشتى
ومرشدتاى بدرب العنا
وعيناك ملهمتاى القصيد
بروض الخلود وافق السنا
وعيناك يا حلوتى ها هما
يملان عمرى باحلى جنى
الا تذكرين احتفاء الفؤاد
باول لقيا ككنز الجمال
وانت بقربى بسيارة
بها يتحقق حلم الخيال
وفوق (المتوسكل) نمضى معا
فيولد حب فريد المثال
وتترى حكايا هوانا المهيب
وانت الجمال العزيز المنال

***

وتمضى حبيبةعمرى السنون
وانت الغرام الذى لا يهون
فطيفك فى خاطرى ماثل
قصى قريب عصى حنون
يروى الفؤاد باشواقه
فيلتذ من جرعات الشجون
حبيبة عمرى وان غبت دهرا
فانت بقلبى ، انى اكون !

دفاع الرافعى عن القرآن

● محمود طمان ●

● رحم الله الرافعى ورضى عنه فلقد عاش فى هذه الامة وكأنه ليس منها ، عاش غريبا ومات غريبا ، فكأنما كان رجلا من التاريخ بعث فى غير زمانه ليكون تاريخا حيا ينطق بالعبر ويجمع تجارب الأجيال .

ولد فى يناير عام ١٨٨٠ م فى أسرة تتسم بالعلم وحب الادب جيلا بعد جيل ، تتولى أبناءها بالتهذيب والتعلم قبل دخول المدارس ، فاستمع عن أبيه أول ما استمع الى تعاليم الدين الحنيف ، وحفظ شيئا من القرآن ، ووعى كثيرا من أخبار السلف ، بعد ذلك دخل المدرسة فنال الشهادة الابتدائية ، ولم يقعده عن مواصلة السير فى المدارس سوى المرض الذى ذهب بسمعه وأثر فى صوته ، فانقطع لتحصيل العلم فى مكتبة أبيه مع وظيفة كاتب بمحكمة طنطا الشرعية ، وكان مقيما فى طنطا وفيها انتقل الى المحكمة الأهلية .

ولم يكن يرى الوظيفة فى حياته الا شيئا يعينه على العيش ليفرغ لنفسه وبعدها لما تهيأت له من دفاع عن لغة القرآن التى عاش فى خدمتها سبعا وثلاثين سنة من عمره القصير ، وصل بها حاضرها المائل بماضيها البعيد كاتبا وشاعرا وأديبا لا ينثنى ولا يلين أمام طواغيت الكفر والضلال . وكان يدافع ويرد على المتهجمين على هذه اللغة والمتنقصين من مكانتها والحاقدين عليها من الوطنيين والأجانب عن لغة وتمكن من لغة القرآن بعد استيعابها .

وكان يدفع اباطيلهم بحجج من القرآن والاستشهادات من لغة العرب السليمة شعرا ونثرا حتى الجمهم ورد كيدهم فى نحورهم وأعلمهم بأن العجز ليس فى لغة القرآن وعربيته وانما العجز فى ذوقهم وعجزهم عن فهم هذه اللغة ، وكان الواجب عليهم أن يعالجوا نقصهم بالاطلاع قبل أن ينعوا عليها بجهل وقصور عن مراميها السامية .

وأوضح مثل على دفاعه عن اللغة العربية المعركة التى دارت بينه وبين الدكتور طه حسين وكتابه فى الشعر الجاهلى ، وكان رد الأستاذ الرافعى ردا موضوعيا فى عدة مقالات كان من ثمارها كتابه تحت راية القرآن ، والكتاب يعتبر سجلا حافلا لتلك



مصطفى صادق الرافعى

المناقشات الملتهبة وما دار منها تحت قبة البرلمان وتداوله .

وكان الرافعى يقول عن هؤلاء الأدعياء الذين يهاجمون اللغة العربية ويحاولون إخراج الناس من مجاراتها أو الابتكار فى أساليبها ، « إنما ذلك زيغ الطبع وجنون الفكر وانقلاب النفس عكسا على نشأتها حتى صارت النفس عكسا على نشأتها حتى صارت علوم الأعاجم فيهم كالدم النازل اليهم من آبائهم وأجدادهم وصار دخولهم فى لغة خروجا من لغة وإيمانهم بشىء كفر بشىء غيره » .

ولم يقتصر انتاج الرافعى وينحصر فى تلك المعركة فقط ، بل سبقه وجاء بعده انتاج غزير محكم العبارة رصين التفكير ، مما دق على بعض الناشئين فهمه بسهولة ويسر ..

من هذا الانتاج شعره من بداية حياته الأدبية الى اكتمال نضجه فى ديوانه النظرات بأجزائه الثلاثة ، وقصة حبه بأجزائها الأربعة ، حديث القمر ، ورسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد ...

وكتابه اعجاز القرآن الذى يعد منهجا جديدا فى اعجاز القرآن واستجلاء بيانه الرائع ، وكتابه تاريخ آداب اللغة العربية بأجزائه الثلاثة .

● فتح جديد للفن المقال ●

فى هذا العرض السريع لمؤلفات الأستاذ الرافعى التى عجز القراء عن مجاراتها مما جعل أحد أصفيائه وخلصائه المقربين يشير عليه بالكتابة فى المجلات السيارة فكتب سلسلة مقالات بليغة نشرت وقتها فى مجلة الرسالة التى كان يصدرها الأستاذ أحمد حسن الزيات . وجمعت فيما بعد فى كتابه الكبير « وحى القلم » بأجزائه الثلاثة.

وأسلوبه فى هذا الكتاب فتح جديد لفن المقال فى عرضه وأسلوبه وموضوعاته .

وتوفى الرافعى فى العاشر من شهر مايو سنة ١٩٣٧ مخلفا للأدب العربى فى الاسلام تراثا هو بحق ثمرة جهاد وبذل وعطاء يذكر له على مر الأيام. وينتفع به ويثنى عليه طلاب اللغة وعشاق الأدب الرفيع ..

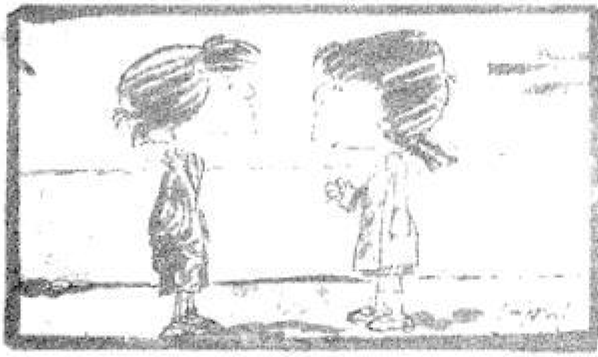
كاريكاتير جيل جديد جدا !



الولد لوالده : عجيبة ! .. بقى عاوز تضربني علشان حتة طبق رخيص ، مع انك دايما تقولي ان اغلى حاجة في الدنيا عندك أنا ! ..



الولد لوالده : ايه يا ابني شغل العيال ده والدوشة اللي انتم عاملينها دي ؟ .. ما تعقلوا حبه وتسكتوا خلينا نعرف ننام لنا شوية ! ..



البنت للولد : بسيطة ! .. دى الباروكة المتواضعة اللى مش عاجباك دى ؟ لازم تستحملها سنة لغاية ما تكبر وتتجوز وتجيب لى باروكة تليق بالمقام!.



الولد للمدرس : سيادتك دايما تقول لنا عليكم بالأعمال الحرة .. ودلوقت أنا عندى مشروع بيتكلف خمسين ألف جنيه ، تسمح لى تقعدنى عند أى بنك يعجبك ؟!



الولد لوالده : إيه ده ؟! .. جايب لى طيارة لعبة .. فاكرنى عيل صغير؟! لا ياعم ، يفتح الله ! .. بالطيارة بحق وحقيق يا بلاش !..

قصـــة

الليـــلة فـــرح

حسين عيد

الليلة فرح صغير . تلوى الموسيقى فى جنون . تتلون الاضواء على المسرح العريض المقام وسط الطريق . تجبر راقصة متكتلة الشحم ، جسدها الضخم على التمايل بعصبية .. دخان الحشيش يخدر الجو . ترتفع أصوات الحاضرين بلا انقطاع . تشترك مع ميكروفون يضخم الاصوات . يحولها الى عويل وضجيج .. بينما تجمع بعض الصبية حول ركن المسرح ينظرون الى أفراد الفرقة ، والراقصة التى تتلوى ، يحملقون فى وجه عوض البلدى المقطب ، الشاحب ، ينصتون - فى الوقت ذاته - الى دقات الدفوف المتتالية ...

فجأة ، ينفجر عوض البلدى - حمال الفرقة - صارخا : أيها الناس .. أيها الناس .. أنتم يا من هنا ... انصتوا الى ... استمعوا قليلا ...

يتنفس بصعوبة . يتحامل قرب الميكروفون ، تتعلق عيناه بشىء بعيد ، خفى : أيها الناس .. أنتم جميعا .. انصتوا واستمعوا ...

يتلفت الى اليمين والى اليسار بحسرة يخنقها الغضب . تدمع عيناه الضيقتان . يمصمص شفتيه الجافتين . يحك بعنف عينيه المصابتين برمد ربيعى ، كأنه يود لو يقتل فيهما الرؤيا ... يضيع نداؤه شلة الصبية ، الذين يحملقون فيه بفضول يتناقلون بينهم كثيرا من الغمزات والبسمات والتعليقات الساذجة .

ترنو اليه سنية الجمل - صاحبة الفرقة ومديرة أعمالها - برثاء ملفوف بالحرج : مسكين .. عاد لحاله القديم !

يجلس عوض البلدى . يلسعه تجاهل الناس ... ينزوى . يتخبط وسط صناديق الآلات الموسيقية . يربت عليها بحنان ، كأنها تفهمه . يخرج من جيبه سيجارة من نوع رخيص . يشعلها . يبصق على الارض . يمسح فمه المتقشف الجاف بظهر يده . يشد أنفاسا متتالية من السيجارة ، كأنه يحرق شيئا فى أعماقه .. يغمض عينيه . لأن النور الشديد يؤلمهما . يحس براحة سريعة . تستكين ملامحه . يهدأ اضطرابه ، عدا ارتعاشة السيجارة بين أنامله التى ظلت تراوده من حين لحين .

من خلال اغماضة عينيه ظنه الاطفال نائما . لكن أذنيه كانتا تمتدان للامام ، تلتقطان نغمات الموسيقى الصاخبة فيهتز لها قلبه ، وتطرب لها عواطفه . وتتشكل مشاهد مختلفة فى خياله لتخلق عالما خاصا يزخر بالحياة .. أشجار نخيل متناثرة . ترعة متعرجة تمتد بلا نهاية . بيوت صغيرة متكدسة . وجوه بسيطة خشنة . تربة بنية خصبة .. انها قريته الحبيبة .

وخيط من الحنين يبعث لعنة الحاضر فى وجوده : يشتعل فيه الرغبة لماض طاهر . وليلة لم يزل سوادها يؤرق ضميره . ينغص حياته وزائر المدينة يقص عليه الكثير عن الغناء وسهراته مع المواويل فى الافراح ، يحكى له أخبار الفن والغنائين وحياة الاضواء والمال التى يعيشون فيها .

أحب عوض البلدى حديث الرفيق المعسول ، ظل منصتا له مبهورا ، فاغرا فمه ، مركزا عينيه . تلمع أمامه صورته فى الملابس الافرنجية . يرفعه تصفيق الناس الى السماء . يتبعثر المال تحت قدميه . يحييه كالامير . أنصت للمذياع خيل اليه أن صوت المغنى صوته فاستبشر خيرا وتفاءل . سيكون زميلا لهذا المطرب وسيلقى عبد الوهاب وكبار المطربين .

ويمتدحونه ...

ماذا ينقصه عنهم ، هو بشر مثلهم . له صوت عذب . مواويله يصفق لها أهل البلدة ، ولا يضيقون بسماعه أبدا ...

من هنا اختمرت الفكرة في ذهنه . نمت معه بمرور الايام ، فكان كلما سمع مدحا موجها لمطرب معين أحس أن المديح موجه له فيصعد الدم الى رأسه ويشعر بالخجل وينكس رأسه تواضعا .

عندما اكتمل نمو الفكرة تجسدت له في ضرورة الرحيل الى العاصمة الواسعة حيث يمكن أن يتوه فيها أى فرد ، وحيث يوجد ـ وهذا الاهم ـ الغناء والشهرة والمال ... ودع مواويله وأغانيه القروية تاركا أهله وذويه هاربا الى المستقبل المشرق .

وهبط الى القاهرة حيث يمكن أن يتوه أى فرد ، وتاه ! ..

زار كل أقاربه ومعارفه وأصحابهم . امضى في ضيافة كل منهم أياما ينتقل بعدها لمن يليه ... استقبلوه في البداية بالترحاب ، ثم بدأت الابواب توصد في وجهه ، تجاهلوه عندماعرفوا أمره . ولقى نفس الصد والنفور من أهل الفن والطرب

أيقن فجأة صعوبة طريقه عندما وجد عشرات من أمثاله تمتلىء بهم القاهرة .

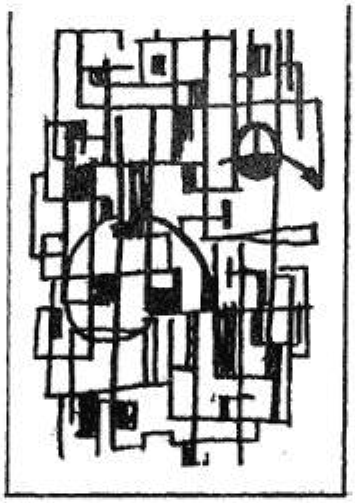
جاع . تعرى ...

عمل في النهاية ، مناديا على الاطفال التائهين ، نظير أجر زهيد ، حتى أوقفه الحظ يوما تحت سمع وبصر السيدة سنية الجمل ، فرفعته الى فرقتها الصغيرة كمساعد لها ، يقوم على خدمة الفرقة يحمل الآلات الموسيقية . يردد السلامات في الافراح ...

***

يشعر بأيد تهزه بعنف . ينتبه مذعورا من اغفاءته القصيرة ... يرى أضواء الفرح تشحب . ينطفىء نورها . يخيم الهدوء على المكان . يتحرك بعض أصحاب الفرح كالاشباح . يسمع صياح ديك قريب ، اذن اقترب الفجر . والوقت وقت الرحيل ... لكن صور القرية تعود ، تلح عليه ، تمسك بخناقه . تتشكل في خياله خطة لو تحققت ، لكفلت له العودة

تنتصب أمامه سنية الجمل ، كمارد ، هيا .. لم يبق لنا شىء !



بل بقى بأسنية ... الوداع لايامك وأفراحك ... فالفراق هو المطلب ، والطريق هو الهرب ... ولتهنأ سيدة العذاب ، ولتبحث عن « عوض » آخر ، فالقرار نهائى ، لا رجعة فيه !

يحمل الحقائب كالعادة . يصطادسيارة أجرة ، تحملهم الى شارع محمد على ، حيث ودع أفراد الفرقة السيدة سنية .. الا هو فانه ينام في حجرته بالدور الارضى وسط الآلات الموسيقية . وتنام هى في الدور العلوى ...

ـ ياعوض .. لاتوقظنى غدا مبكرة !

رجاء متكرر ترده السيدة ، وراء كل سهرة ، لا تمل تكراره أبدا ...

يدخل حجرته . يرتمى على حشية طويلة ، ممتدة على الارض ، كجسد ميت عفى عليه الزمن . يقذف حذاءه القديم من قدميه مباشرة . على قدر مايستطيع . يسترخى على الاغطية القليلة المتسخة . تخرج يده بعضا من قطن الحشية خلال تمزق فيها . يكوره . يقذفه على طول يده بضيق شديد ...

يمر الوقت سريعا . ليشرق فجر يوم جديد ...

ينهض متثاقلا . يمشى حافى القدمين . يتحسس طريقه الى السلم وسط الظلام . تلامس يده «الدرابزين» . يصعد السلالم

يبطء ، متجنبا احداث أقل صوت • يصل حجرتها • يدفع الباب بحذر • يدخل سائرا على أطراف أصابع قدميه • تنساب بعض أشعة ضوء ، من فتحة النافذة ، تضيء وجه السيدة • يتمهل • يقف مذهولا لايدرى مايفعل ••• يراها نائمة • يتردد شخيرها المعتاد • يتقاطع على وجهها شبكة كثيفة من التجاعيد • تحيط عيناها هالتان زرقاوان ، دب فى شعرها المبعثر المشيب نبتت على جبهتها حبات عرق ، كأنها تعانى من أمرها •••

رآها بلا زينة • عجوز تعدت الستين • انجذبت عيناه للارض •• عجوز طيبة ، ساعتها طفرت من عينيه دمعتان ، لم يعرف ابدا •• أهما من أجلها ، أم هبة من مرض عينيه •••

يرفع وجهه ثانية • تقع نظراته على حقيبة المرأة ، بجوار سريرها • تتسمر عيناه • يشعر بجفاف حلقه ••• فى الحقيبة كل حصيلة الليلة ، يتحرك مسلوب الارادة ، يفتح الحقيبة ، ينتزع مابها من جنيهات قليلة ، يغلقها متعجلا ••• يحس فجأة أنها ترقبه ، يجرى مهرولا ، خائفا ، كان شبحا يطارده • يهبط السلالم مندفعا • ويدخل حجرته • يرتدى حذاءه ، بعد أن أخفى الجنيهات فى جيبه • يغادر البيت •••

تفاجئه نسمة باردة ، تنعش فكره السقيم • يمضى متطوحا كالسكران •• أنوار الفجر الباهتة تداعب أفكاره المتدفقة بغزارة •• فعلها ، أخيرا فعلها ••• سرق ليعود لقريته !

يتطلع حوله • يودع سنين الشقاء فى المدينة الكبيرة ••• رأى شحاذا متكورا فوق الطوار ، بيوتا قديمة مهدمة ، حفرا – كالبثور – تنتشر على طول الطريق •• محلات مغلقة • الناس نيام ، حتى أفراد الفرقة الموسيقية نيام •• تتجاوب هذه المشاهد مع جزء من ذاته ••• هذا الشحاذ كثيرا ماتزل معه • وهذه الاماكن عايشها •• حتى الموسيقى الصاخبة ، والاصوات المزعجة اعتاد عليها •• كيف ينفصل عنها ؟ •• كيف يعود ، وصورة العجوز الوادعة تدعوه للانتظار ••

قضى فى المسير قرابة ساعتين ، بلا وجهة معلومة ، نهبا لصراع محتدم ••• ينتبه على بوادر الحركة تدب فى الطريق • لقد عاد الى نفس الطريق دون أن يدرى •• يتوهج بالفرحة ، وهو يرد تحية من يقابلونه : صباح الخير •• صباح جميل •• هنا يشعر باللحظة التى يعيشها • فالناس هنا اعتادوه ، أحبهم وأحبوه ••

يرجع الى البيت الهادىء • يعبر السلم متعجلا • يفتح باب غرفة السيدة • يسرع بوضع الجنيهات فى الحقيبة • يغلقها • تتقلب العجوز فى سريرها • تفتح عينيها المرهقتين • تعوى : عوض ••• أحدث شىء ؟!

يضطرب • يهمهم بكلمات لامعنى لها • تضطجع العجوز على سريرها • تنظر اليه طويلا • لايزال النوم يخدر أجفانها • تتثاءب : عوض •• ما الحكاية ياعوض ؟

يجلس عوض على حافة السرير • لايقدر على النظر اليها ، فكرت فى السفر ••

تعتدل فى جلستها • تدقق النظر اليه •• تثور : بالامس أردت أن تفسد الليلة •• واليوم عدت للتفكير فى السفر ••

يقاطعها غاضبا : أنا أفسد الليلة •• بانفعال : الناس لاترى •• لاتسمع !

تقاطعه سنية بحسم : كلام فارغ •• أفسدت من قبل أفراحا ، الا يكفيك •• !

ثم بهدوء : هؤلاء هم مصدر رزقنا ونعمتنا •• هل ستغيرهم ؟!

تشيح بوجهها للناحية الأخرى : والآن ••• اذهب ••• لتعد لى طعام الافطار !

لم أخبرها اذن بأمر سفره ؟ •• لعله تبرير حتى لاتشك فيه • ولن يعود فى قريته ؟! •• أيعود ليزف لهم خبر فشله ، وحكاية ضياعه ، فيغدو مضغة فى الافواه ؟

تصرخ سنية : عوض ••• مابك هذا الصباح ؟

ينهض مرتبكا • يهرول ، ليعد لها طعام الافطار ، ويطرح عن نفسه التفكير فى المدينة الكبيرة ، حيث الشهرة والمال ، أو فى القرية •• حيث أمل العودة ، الذى لن يتحقق !

هل تمضي ؟



• د. محمد محمد محسن •

اراك اليوم تافل من سمائى
وتمضى خلف انواء الشتاء
وتهرب باتساعها شد عينى
فلا ادرى امامى ام ورائى
اراك اليوم يهجرنى ويخبو
لهيب الشوق يدنو للقائى
وانت الارض والاشياء حولى
وعمدانى ولذات البنساء !

***

احسك فى دماء القلب تسرى
وفى رئتى تعبق فى هوائى
ضميرى انت هل يلوى ضميرى
وابقى فى الحياة فما رجائى !
وما جدواى ان غاضت دموعى
وغابت بسمتى او جف مائى !
ومات اللحن فى حلقى وامسى
يتيما صوت ضحكى او بكائى ..

***

ا احيا دون حب يحتوينى
ويبعث فى النفس انتمائى ! ..
ايذبل فى ربيع العمر روضى
وتذوى الطيب فيما نداى الفناء !
ودون الروح هل يبقى لعمرى
سوى طعم التبلد والفناء
فهل تمضى وتتركنى عليلا
وتهجرنى فتسلبنى دمائى ؟!

ميلاد حب

● عبد المنعم محمد موسى ●

لم تكن لى قبل الـزواج اية مغامرات ... كانت كل زميلاتى يتحدثن عن الحب ، وعن حلاوة الحب،وكنت انا وحدى التى لم اجربه، وبتحديد اكثر دقة لم ارد ان اجربه !.

لست ادرى لم ؟.. لم يكن ثمـة ما يمنعنى .. لقد نشأت فى اسرة لم تتعود ان تغلق الابواب على ابنـائها ، بل تركت لهم حرية الحركة . ولكننى كنت شاهد عيان على عمق العاطفـة التى تربط بين امى وابى . ورغـم تجاوزهما سن الشباب بكثير فلم يحدث قط ان باتا متخاصمين ... وكنت ارقب فى لذة ـ اذا اغضب احـدهما الآخر ـ محاولات الطرف المخطىء فى استرضاء رفيق العمر !

وكانت اجمل اللحظات عند امى ، حينما اسالها سؤالا يحرك ذكرياتها ، فتحيطنى بذراعها فى حنان، وتأخـذ فى حكاية ذكريات عمرها مع ابى ..وكانت دائما تؤكد لى انها لم تر والدى قبـل الزواج ، وان كل هذا الحب وكل هذه العاطفة العميقة تمت بعد الزواج ...

وهكذا استقر فى ذهنى ، لا ادرى كيف ، ان هذا الذى تمارسه زميلاتى ويتحدثن عنه ويصـفنه بانه الحب ، وبانه العشق ، وبانه الغرام الخالد ـ عبث وصغار !.. وان الحب الحقيقى هو النموذج الذى يقدمه لى ابى امى.

وربما لهذا السبب نجـوت من الوقوع فى اغراء تجربة الحب ، ومن صداع الهجر والصد ... وتمنيت على الله ان ياخذ بيدى فاظل هـكذا طاهرة نقية حتى اتزوج ... وعندما يئست زميلاتى من أن يجـرفننى فى تيارهن ، تركوني لحالى واطلقـن على لقب « الشيخة » !

ولم اهتم كثيرا بهجرهن لى ، وان كنت قد عانيت فى البداية من شعور قاتل بالوحدة ، ولكننى كنت بمجـرد عودتى الى منزلنا ومشاهدتى اوجـه امى الجميل وقد اضـاءه نور الحب ، ووجه ابى الحبيب وقد غمره سـكون الطمانينة ـ تهدا نفسى وتطيب حياتى.

واستمر حالى كذلك بعد ان التحقت

بكلية البنات ربما هربا من الاختلاط بالشبان . وكنت سعيدة سعادة عجيبة لا ادرى مصدرها ، حينما انظر حولى فلا اجد الا البنات فى الكلية .. ولم اشعر طوال سنوات الدراسة الاربع بضيق او ملل لبعدى عن الشبان . كنت اشعر برضى فى النفس عميق .

وعندما تخرجت فى الجامعة وتوظفت ، بدات اشعر بانوثتى تحرك العيون حولى وتجذب الاهتمام بى .. ومن العجيب اننى لم اشعر بخوف من ذلك . بل احسست اننى قوية واننى راسخة القدم فى غابة الرجال التى دخلتها بقدمى .

وفى الوظيفة ايضا عانيت من صخب الزميلات وحكاياتهن ، وأن كن حرصا على السمعة فى مجتمع صغير كالمصلحة التى عملت بها ـ لا يحكين حكايات ضخمة كالتى اسمعها من زميلات الدراسة ، ولكنهن كن يعترفن باعجابهن بفلان او علان من زملاء العمل . ويتحدثن عن لطفه وظرفه او عن جماله « وشياكته » !

وكن يعجبن منى لاننى لم اضع عينى على زميل أنصب حوله شباكى! وكان كل ذلك يبدو لى سخفا عجيبا

وما حدث لى ايام الدراسة ، حدث لى فى العمل ، انفضت الزميلات عنى وتركننى لحالى ... اما الزملاء من الرجال فقد شعرت انهم يتجنبون الخروج عن الجد عند التحدث معى . وطابت نفسى لهذه النتيجة .

ومضت الايام بطيئة رتيبة ، ثم فجاة تغير كل شىء فى حياتى ... لقد تقدم فؤاد ، صديق اخى سعد ، يطلب يدى من والدى ... وكان فؤاد يتردد على بيتنا ايام الدراسة ، فقد وكان من الطبيعى ان اراه وان يرانى . وفى احيان كثيرة كان يحضر الى منزلنا وقت تناول الشاى فكان يجلس معنا ويشاركنا مجلس الشاى .. وكنت اذا اثرت مناقشة حول موضوع ما واختلفت مع سعد فى الراى ، اخذ فؤاد دائما جانب سعد . بل كان يتحمس له ولرايه بشكل ظاهر وواضح .. وكان يدهشنى . ذلك فبعض ما كان يتحمس له لم يكن يستحق كل هذا الحماس ... هل كان يفعل ذلك ليستفزنى ام ليلفت نظرى ... لست ادرى !.. على اية حال لم تفلح هذه « المظاهرات » لا فى استفزازى ولا فى لفت نظرى .. كان شعورى نحو فؤاد غير واضح ، ولكننى لم اكن اكرهه !

وعندما سالنى والدى رايى ، لم استطيع ان اجيب او بالاحرى لم احد عندى اجابة جاهزة ، وانقذت امى الموقف بأن اقترحت ان نسأل عن فؤاد ونتحرى اولا .

وجاءت التحريات فى صالح فؤاد مائة فى المائة ، فهو من اسرة مستورة ، سمعتها طيبة جدا وهو شاب لا غبار عليه ، قضى فترة التمرين على المحاماه فى مكتب أستاذ له بالكلية ، وقد عرض عليه استاذه بعد انتهاء فترة التمرين أن يستمر فى العمل معه بمرتب مغر ، ولكنه آثر الاستقلال والكفاح .

واستمرت الخطوبة سبعة اشهر كاملة عرفت فيها حلاوة تعرف العذراء الحب لاول مرة وان يدق بابها فى غير صخب وان يدخل قلبها بغير استئذان . وامتلات حياتى بالازهار التى ترتوى من رحيق الجوى والمحبة . واخذت استعجل الايام لاصبح « مدام فؤاد » ..

وعندما تزوجت ، تفجرت فى كيانى ينابيع بل شلالات من الحب المتقد

المتدفق .. وفي محراب الحب المقدس دعوت الله باخلاص لامزيد عليه ان احمل منه . وعندما تحرك جنينه في احشائي كدت اجن من الفرح . وشعرت انني امتلكت فؤاد ، وانه لن يفارقني لحظة واحدة .. مهما تغيب عني

وبعد ان تكرر ذهابي الى المستشفى ، اخبرت الطبيب انها الولادة هذه المرة ، والادلة كافية، ولكن الطبيب هز راسه نفيا .

وازداد صراخي ، ثم دفعوني اخيرا الى غرفة الولادة ومنعوا فؤاد واهلي من مصاحبتي ، واصبحت وحيدة ملقاة على سرير واسع ولا احد حولي غير ممرضة كبيرة السن تروح وتجيء في غير اكتراث .

كل صرخاتي المدوية لم تكن تهز فيها شعرة واحدة . وكلما سالتها متى ينتهي الامر قالت في ضيق بل في تبرم : بعد قليل ان شاء الله .

ومضت ساعة ثم اخرى ثم ثالثة ، وصراخي يملا الافاق . ودخل علي اكثر من طبيبة وطبيب كل منهم بامر يحققنه. ثم عقدوا مؤتمرا مصغرا وسمعتهم يتهامسون بانهم جربوا معي كل شيء لينزل الوليد دون جراحة ،ولكن طبيبي كان يرفض بشدة اجراء عملية قيصرية ، وقال فلننتظر بعض الوقت .. وبداوا يتحركون من حولي فامسكت بيد طبيبي وقلت ضارعة ارجوك يادكتور خلصني من هذه الالام ! اريد ان استريح ..

وبدات ابكي واتضرع الى الله ان ياخذ بيدي وتساوت في هذه اللحظة ، عندي ، الحياة والوفاة .. واحسست لحظتها ان الانسان تافه لا يملك من امره شيئا ، وان قراره ليس في يده، وانه لا يستطيع لنفسه ضرا ولانفعا.. وانتابني احساس بانني ضائعة حتما انا ووليدي ما لم يشملني فضل الله ورحمته.. وبدات رغم كل آلامي الهائلة اتلو ما احفظ من آيات القرآن ودموعي تنهمر كالسيل.

وقرر الطبيب في النهاية أن يجري جراحة صغيرة ، وهززت راسي موافقة. مرت اللحظات ...

وفجاة انساب مني شيء ، وصاح الأطباء في فرح : مبروك حمد الله على السلامة ... ولد .

وتوقفت الالام التي كانت لا تطاق ولا تحتمل على الفور، وكان يدا خفية مسحتها .. خرج الوافد الى الحياة، وانتهت معه كل الالام الرهيبة التي سبقت وصحبت عملية الميلاد ...

واعادوني الى غرفتي . وعندما القت انتابتني لهفة لا تقاوم لرؤيته . وبمجرد ان وضعوه بجانبي واكتحلت عيناي برؤيته ، انهمرت مني الدموع فبللت وجهي وملابسي ... وفاضت نفسي بسكون وخشوع وشكر لله عميق عميق ...

ولم احس بزوجي ولا باهلي وهو يدخلون على متصايحين . كنت في ملكوت آخر ، وشريط من الذكريات يطوف بي ... انتهى كل شيء الآن ، ومضى العذاب ـ لقد اصبحت «اما»!

والقت على يد زوجي تهزني برفق ... ونظر في عيني بكل الحب وهمس « مبروك ياماما » وقبلته قبلة شكر طويلة ـ فبحبه اصبحت اما .

● عبد المنعم محمد موسى ●

● مدير عام دار الكتب ●

ترنيمة ختام

أغنية .. وأمنية !

● عبد العليم القباني ●

الهى : إننى أدعـــوك
يا ربّى بسلطـــانك ..
أنِلْنى منك حسن العفـو
طوّقنى باحســـانك
بنبع الحـــكمة الصّافى
بفيض الرّحمـــة الوافى
بعفـو القـــادر الكافى
بلطف الخـالق الشّافى
بما فى الـــكون يا ربّى
من الاحسان والحسنى
بما فى البرّ ، مافى البحر
من آى لهـــا معنى ..
بأنت ، ولا إله ســـواك
يا مـــولاى كن عونى
وكن لى يـــوم ، لا إلاك ،
فى مقـــدوره صونى
أنا يا ربّ ، بين يديـــك
مالى غـــير إيمـــانى
فهب لى منـــك حسن
العفو ، أسعـــدنى بغفران
وبـــارك أمتى يا ربّ
واجعـــل أمرها يسرا
وهيئ للسّـــلام النّصـــر ،
يا مـــن يملك النصرا ،

الهلال

١٨٩٢ - ١٩٨١

بين العدد الأول من الهلال والأخير منه

٨٩ عامًا من العلم والثقافة والأدب والفن والطرافة

ولا زالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة

الهلال كتب فيه كل أعلام العرب ويكتب فيه كل أعلام العصر

الهلال يقدم لك عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة

الهلال يقدم لك العلم .. والعلم سلاح العصر

فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر

ثمن العدد في سوريا ٣٠٠ ق.س الكويت ٣٥٠ فلسًا لبنان ٢٥٠ ق.ل
البلاد العربية العراق ٤٠٠ فلس الأردن ٢٥٠ فلسًا السعودية ٤½ ريال


نوفمبر ١٩٨١م
الهلال
مجلة الفكر العربي
القاهرة عاصمة الألف عام
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
أنور السادات
رسالة حياة


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧

مصر..

الايمان والوفاء والمبادئ



هذه الصورة التي تراها فريدة في بابها في تاريخ الامة العربية .

فان انتقال السلطة في اى بلد عربي وفي اى عصر من العصور لا يتم الا عن طريق الصراع والمؤامرات والاحقاد والضحايا .

والفريد النادر هو ان ينتقل السلطان من رئيس مضى الى الشعب والشعب يعطى نفس السلطان لمن يختاره اختيارا حرا .

وقد مهد الرئيس السادات لذلك تمهيدا هو في ذاته درس في السياسة واخلاقياتها لكل الساسة في اى بلد من بلاد العالم الثالث التي لا زالت في المراحل الاولى من مراحل طريقها الى الحياة السياسية المستقرة

وكان التمهيد الذى صنعه السادات هو اقامة المؤسسات الدستورية السليمة ثم احترام هذه المؤسسات ، وهو اهم من اقامة المؤسسات في ذاته ، لان المؤسسات والقوانين لا تكون لها قيمة الا اذا احترمها اولئك الذين يضعونها .

واكبر ضمان لاستمرار سياسة بلد واستقرار الامور فيه هو ان يختار الرئيس نائبه رجلا قويا امينا صالحا قادرا على حمل الامانة من بعده حتى يسهل على الناس بعد ذلك اختيار الخلف اذا مضى السلف .

وهذا ما فعله السادات ، جعل اختيار نائبه رجلا قويا صالحا صادقا واشركه معه في الامور اشراكا حقيقيا فعلا لكى يحمل الامانة من بعده اذا اقرت الامة اختياره عن طريق مؤسساتها الدستورية .

ولهذا فان شعب مصر آمن على وطنه مستقر في بلاده ، لانه عندما اختار من يتولى امره اختاره عن علم وبصيرة واستعمل حقه الكامل في ذلك الاختيار .

ذرية بعضها من بعض وعلى بركة الله

●● الهلال

في هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

نوفمبر ١٩٨١م
المحرم ١٤٠٢هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة التاسعة والثمانون اول نوفمبر سنة ١٩٨١م ٤ من المحرم ١٤٠٢ هـ .

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر مايتفضل به الكتاب واهل الفكر .. ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر »

● صورة الغلاف ●

امام تمثال ابى الهول الصامت .. فى الجلال والخلود وقف انور السادات شهيد مصر الخالد فى صورة تعتبر بمعناها ومغزاها وثيقة تاريخية

الإشراف الفنى
أحمد الوردجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى « لقسم الاشتراكات » بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط

أنور السادات

رسالة حياة

بقلم : رئيس التحرير

قادة العالم جميعا يقررون ان السادات واحد من أكبر صناع التاريخ فى القرن العشرين ، وهذا حق، فقد كانت للرجل فضائل انسانية واخلاقية وسياسية كبرى وصلت به الى هذه المكانة العالمية التى لم يصل اليها الا القليلون جدا ، فلابد أن تكون لذلك أسباب ، لان العقلية الغربية لا تلقى الكلام او تصدر الاحكام جزافا ، ولكننا نحن العرب لقلة تجاربنا فى السياسة والحياة تغيب عنا حقائق كثيرة تتعلق بالقوة الانسانية والقوة الدبلوماسية ، ومجلة الهلال تقرأ على طول العالم العربى وعرضه ، والكثيرون من القراء لم يروا الصورة الحقيقية للسادات ولا فهموا الاسباب التى ارتفعت به الى هذه المكانة العالمية بينما وسائل الدعاية عنده تقول له خلاف ذلك ، ولهذا ، ولكى تستنير بصيرة القارىء العربى ويحل فيما بين نفسه ونفسه مشكلة التناقض الواسع بين ما يرى من تقدير الدنيا العظيم للسادات وما يسمع من وسائل الدعاية حوله اكتب هذا المقال بغاية التجرد وباقصى ما يستطيعه عقل المؤرخ من اخلاص للقلم وللقارىء العربى الذى ينتظر منا – نحن مفكريه وكتابه – ان نقول له كلمة الحق وان نعينه على تلمس سبيله فى فهم ما يجرى من حوله فى هذا العالم الواسع الملىء بالاخطار .



اول مرة اسعدني الحظ فيها بالتعرف على الرئيس الراحل انور السادات ـ عليه رحمات الله ورضوانه ـ كانت في المؤتمر الاسلامي الذى انشىء في مصر سنة ١٩٥٥ .

وكان السادات قد عين سكرتيرا عاما لذلك المؤتمر ، وهى اول وظيفة عامة تولاها خارج مجلس الثورة ، وكان مجلس قيادة الثورة قد انشا ذلك المؤتمر ليتولى شئون الدعوة الفكرية والاتصال الثقافي بالعرب والمسلمين ، فاختار السادات عددا من المتخصصين في هذه الشئون ليعملوا معه في امانة ذلك المؤتمر وكنت من بينهم . وكان مقره في قصر جميل في حى الزمالك يسمى بيت عمر مكرم .

واجتمع بنا السادات أول مرة في عصر يوم من أيام ابريل ١٩٥٥ ، وكانت تلك اول مرة أراه فيها ، وأذكر ان حديثه كله دار على القومية العربية وكيف ينبغي علينا أن نقوى أواصرها ونزيد وعى الناس بها .

وكانت فكرة العروبة في مصر في ذلك الحين لا زالت غير واضحة في اذهان الكثيرين من المصريين ، وكان المؤمنون بأن رابطة العرب بعضهم ببعض وروابطهم مع ماضيهم الطويل يمكن ان تكون قوة سياسة وحضارية كبرى لهم في صراعهم من أجل البقاء .

ولهذا كان كلام السادات الينا كلاما جديدا جدا على الكثيرين منا ، وكنت ادرك معنى القومية العربية واحس قدرها بسبب اشتغالى بتاريخ العرب والاسلام واحساسى المتصل بما يمكن أن يحققه العرب لانفسهم اذا عرفوا قدر أنفسهم ومقدار القوة الكامنة في كيانهم ، ولكن هذه الفكرة كانت غريبة عن الكثيرين الذين حضروا ذلك الاجتماع .

وقد أحببت السادات يومها حبا جما نظرا لما سمعت منه من كلام جميل جدا وعميق جدا عن العروبة وعناصر القوة الكامنة في حياتها . وكنت أكتب اذ ذاك كتاب « مصر ورسالتها » فتحدثت في المجلس عن البعد العربي لتاريخ مصر فأعجبه الكلام وطلب أن أنجزه ، فانجزته ونشر ضمن سلسلة اخترنا لك .

ولم يكن من الغريب أن بعض اصحابنا ممن كانوا في امانة المؤتمر كانوا

لا يشعرون شعورا حقيقيا بقوة العروبة ومعناها ومغزاها ومعظمهم كانوا يفكرون على اسلوب المفكرين المصريين قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وهو ان مصر شيء يتصل بالفرعونية والعروبة شيء آخر ، والعرب في رأيهم جيراننا في الارض ولكنهم ليسوا شركاءنا في التاريخ والمصير ، بل كان بعضهم لا يرى معنى لاهتمام مصر بقضية فلسطين حاسبين انها قضية بعيدة عنا ولا صلة لها بحاضرنا ومستقبلنا، وكان هذا هو التفكير الحقيقي لمعظم المصريين قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولم تتضح في اذهان المصريين اهمية القضية الفلسطينية بالنسبة لنا الا بفضل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، حتى اشتراك مصر في انشاء الجامعة العربية اعتبروه عملا فرعيا لا اهمية حقيقية له بالنسبة لحاضر مصر ومستقبلها · حتى مصطفى النحاس الذي كان من أكبر العاملين على انشاء الجامعة العربية كان يعتقد ان الشئون العربية لا تعتبر جانب هاما من جوانب سياسته ، والوحيد ــ ربما ــ الذي كان يؤمن بالوحدة العربية في مصر اذ ذاك كان عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية ، وهو دون شك الرجل الوحيد الذي تولى الامانة العامة للجامعة العربية عن جدارة بهذا المنصب وفهم له ، وهو كذلك الوحيد الذي كان يعمل بصدق وايمان على تحويل الوحدة العربية الى حقيقة سياسية ، أما بقية أمناء الجامعة العربية الذين جاءوا بعده فهم بين موظف تقليدي كبير يمارس عمله في الجامعة ، وكأنه وزير في وزارة أو ضابط متقاعد تحول الى سياسي عربي دون ان تكون له أبسط قاعدة ثقافية عربية ، أو ــ كما هو الحال اليوم ــ رجل محب للظهور والمناسب يتخذ منصب الامانة العامة للجامعة العربية على انه وسيلة لاظهار بلاغة كلامية تعجبه ولا يحس بها غيره ·

***

لهذا كان كلام السادات في تلك الايام الينا في القومية العربية كلاما جديدا جدا على الكثيرين منا وقد اتيحت لي الفرصة اذ ذاك الفرصة الوحيدة في حياتي للتحدث الى السادات ، وكانت في دار المؤتمر مكتبة عامرة بكتب الشئون العربية ، فكنت اخرج من مكتبي في الادارة العامة للثقافة واتجه الى دار عمر مكرم لكي اقرا واجمع المادة لكتاب مصر ورسالتها ، واعمل وحدي ساعات متواصلة ، واذكر ان أنور السادات أتي مرة حوالى الثالثة والنصف بعد الظهر ، فوجدني أعمل ولم يجد غيري ، فجعل يتحدث الى عن تاريخ الاسلام وعلاقات مصر بافريقية المدارية والاستوائية ، واسترسل معي في ذلك وقام يتفرج على خرائط لدول أفريقيا الاسلامية في السودان الغربي ، وقرأت له ما يقول المقريزي عن علاقات ملوك هذه الدول بمصر أيام المماليك ، فطلب الى أن استنسخه له ، وحضر الامين المساعد للمؤتمر لكي يصطحبه السادات الى اجتماع هام ، فالغى الاجتماع ومضى يسمع مني ويقرأ معي حتى قاربت الساعة السابعة والنصف



مساء ، وتلك كانت المرة الوحيدة التى جلست اليه مثل هذا الوقت الطـويل ، وكان حديثنا عن العروبة والاسلام ٠

***

وبعد ذلك بقليل فى أوائل ١٩٥٦ أصدر المرحوم الاستاذ محمد فريد أبو حديد كتابه « قوميتنا العربية » وهو كتاب جيد ، وأن كان نصيب العاطفة والانشاء فيه أكبر من نصيب العلم والحقائق ، ولكن السادات ، بصفته أمينا عاما للمؤتمر ـ طلب الينا أن نعقد ندوة عن الكتـــاب ، ومن غريب الامر انه وجد يومهـا وقتا رغم مشاكل رجال الثورة جميعا فى ذلك الوقت ـ ليحضر الندوة كلهـا ، وقد طالت ساعات الندوة ، واشتد النقـــاش فيها بين فريد أبى حـديد ومحمد سعيد العريان ، وكان العريان يكتب مسرعا كتابا فى نفس الموضوع ويحـاول أن يثبت ان آراءه لا تقل سدادا عن آراء أبى حديد ٠

ثم تكلم السادات بعدها ـ ختاما للندوة ـ كلاما جميلا جدا عن العروبة ومعناها وصلة مصر بها وما تريده مصر من العرب وما يريده العـرب من مصر ، وكـان يتحدث فى حماس ومنطق مقنع على طريقته التى عرفناها فيما بعد أكثر من مرة ، واذكر اننى يومها ـ ولم اشارك فى المناقشة لاننى افضل عادة ان اتعلم على ان اتكلم ـ اذكر اننى عدت الى بيتى مسرعا ودونت كل ما سمعت من السادات عن الاتجاه العربى فى سياسة مصر واعادة بنائها ، وكتبت فى ذلك مقالة بعنوان : الثورة المصرية ومستقبل العرب ، وادرت الكلام فى المقال على ما قال السادات ، واعطيت المقال لرئيس تحرير مجلة كانت تصدر اذ ذاك تسمى « بناء الوطن » وانتظرت أن يصدر المقال فلم يصـــدر قط ، وبعد أكثر من عـام لقيت رئيس التحرير هذا فسألته عن المقال ، فقال لى : لا نستطيع نشره لانه كان ينبغى أن تقول ان هذه آراء جمال عبد الناصر ولا أحد سواه ، فالتعليمات عندى تقـول الا تنشر رأى لاحد غيره فى مثل هذه الموضوعات ٠

***

والحقيقة ان أحدا من رجال الثورة المصرية لم يكن له أول الامر علم حقيقى بالشئون العربية والثقافة العربية الا أنور السادات ، فقد كان قارئا متوسعا فى كتب التراث ، وكان كما عرفت من صديقى هذا الذى كان يرأس تحـرير مجلة بناء الوطن انه لا يكاد يسمع عن كتـــاب يصدر فى تاريخ العـرب أو تراثهم الحضارى الا سارع باقتنائه وقراءته ، وأول نسخة قرأتها من كتاب « العرب » لانطونى ناتينج وجدتها فى مكتبة المؤتمر الاسلامى ووجدت فيها خطـوطا كثيرة

تحت سطور وخوطا الى جانب فقرات ، وفى أعلى صفحات الفصول الخاصة بسياسة بريطانيا فى فلسطين وجرائمها فى هذا البلد الذى كانت منتدبة للحفاظ عليه كتب السادات مرة بعد مرة لفظ « مهم » ، وتحت اسم هربرت صموئيل أول مندوب سام لبريطانيا فى فلسطين وكان يهوديا ـ وضع السادات خطوطا كثيرة ، وكتب فى الهامش لفظ « عجيب » وقد أعدت هذه النسخة الى مكتبة المؤتمر ، وخطر ببالى بعد ذلك أن استعيرها واحتفظ بها وأرد للمعهد نسختى لاننى أحسست ان تلك النسخة وثيقة تاريخية ـ ولكنى لم أجد النسخة بعد ذلك فى المكتبة .

***

ومن المعروف ان ثورة يوليو ١٩٥٢ هى التى ادخلت فكرة العروبة فى الفكر المصرى وجعلتها ركنا من اركانه ، وهى التى ادخلت المصريين جميعا فى العروبة وقضت على اتجاهات الفكرة الفرعونية وما اليها ، واعتقد الآن ـ خلافا لما يظن الكثيرين ،أن الفضل الاكبر فى ذلك يرجع الى انور السادات ، فقد كان أكثر رجال الثورة المصرية احساسا بالعروبة ومعرفة لقدرها ، وكنت أعمل مع غيره من رجال الثورة واستمع اليهم فلا أجد عندهم الى جانب الايمان بمصر الا عاطفة اسلامية ليس فيها أى معرفة حقيقية بالعرب وقدرهم فى التاريخ واهمية الجانب العربى من تكوين مصر ، وعندما انشأنا المركز الثقافى فى الرباط سميته المركز الثقافى العربى ، فاستنكرت الوزارة الفكرة وجعلوا اسمه المركز الثقافى المصرى

***

وفى مارس ١٩٦٣ ذهبت للقاء السادات فى أمر يخص أخى المرحوم محمد نزيه ـ وكان السادات شديد العطف عليه ـ وكان أيامها رئيسا لمجلس النواب ، وقد وجدته وحده وأذكر انه كان متعبا جدا وكان على أبواب سفر الى روسيا مع الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان يرتاح لكلامى عن العرب والعروبة فتحدثت اليه طويلا ، ثم نهض ليمضى الى موعد له وفتح درجه وناولنى كراسة ضخمة كتبها بيده فى شئون العروبة وقضاياها ، وطلب الى أن اقرأها حتى يعود ، فجلست وحدى فى غرفة رئيس المجلس الجميلة وجعلت اقرأ ذلك الدفتر المكتوب بخط السادات القوى الجميل الذى تبدو انعطافات الحروف فيه وكأنها خطوط هندسية ، فعرفت يومها ان معظم الفكر العربى لجمال عبد الناصر يرجع الى السادات ، فقد كان ايمانه بالعروبة عظيما واطلاعه على ما كتب عنها وفيها واسعا واعتقد انه صاحب الخط العربى فى سياسة الثورة المصرية كلها ، حقا لقد كان جمال عبد الناصر هو الذى حول الثورة المصرية على المسرح العالمى الى ثورة عربية ، ولكن صاحب الفكرة الاصيلة فى ذلك كله كان أنور السادات ، ومن المعروف أن أصول السادات كانت عربية مصرية ، وهذا ظاهر من كلامه فى كتاب البحث عن الذات ، ثم ان فضائل القرية المصرية كلها كما يصفها ويتحدث عنها فضائل عربية اسلامية ، وطوال أيام عبد الناصر كان السادات رسوله الى العرب



والمتحدث الى رؤسائهم ، وكانت صلاته الشخصية بهم أوثق من صلات جمال عبد الناصر ، وقد تجلى ذلك في أيام المرحوم الملك فيصل ، فان السادات كان من أوثق الناس به وأقربهم اليه ، لان السادات تميز بميزتين كبيرتين يحبهما العرب ويعتبرونهما من خصال السعادة أو السؤدد كما يقولون .

الاولى هي التعفف والزهد فيما في أيدى الناس ، ومن يقرأ كتاب « البحث عن الذات » يلمس هذه الخاصة في كل مرحلة من مراحل حياته السياسية ، فبعد قيام ثورة ١٩٥٢ ــ وكان السادات من أكبر الممهدين لها والعاملين على نجاحها نجد السادات يتجه الى الزهد في المراكز والسلطان ، وكانه اعتبر ان قيام الثورة فيه تحقيق كاف لآماله في وطنه ، وبينما كان زملاؤه يتقاتلون على السلطان كان هو بعيدا عن المعركة يتأمل المتصارعين ويتعجب من تهافتهم على المناصب ونتيجة لهذا العروف كان السادات اقوى من غيره دائما ، فهو مؤمن بنفسه متعلق بمثله الاخلاقية والقومية العليا ومن ثم فهو ليس في حاجة الى أحد ، وهو بعيد عن الحرص الذى يذل أعناق الرجال .

هذه الصفة قربته الى قلوب الواعين من اهل بعد النظر من العرب ، والملك فيصل بالذات كان يحمل معظم صفات السيد العربى الاصيل ، ومن هنا فقد احب السادات ووثق فيه وقدم له كل ما كانت القضايا العربية تتطلبه . ولم تكن الجبهة العربية في يوم من ايامها اقوى مما كانت عليه ايام هذا التحالف العربى الاخلاقى بين انور السادات والملك فيصل رحمهما الله معا ، فقد كانا زاهدين وخادمين صادقين للعروبة ، وقد اراد الله اكرامهما فماتا شهيدين ، وهما يلتقيان اليوم في خلود الصديقين ، والابرار .

والصفة الثانية من صفات السادات التي أعطته القوة الحقيقية في وسط عواصف العالم العربى هو ايمانه بالحق والقانون والشرعية ، فالغالبية العظمى من حكام العرب على مر التاريخ لم يكن لهم هم الا تثبيت سلطانهم وتقوية مراكزهم على حساب الآخرين ، ظنا منهم انه كلما زادت السلطات المتجمعة في يدهم كلما زاد أمانهم على أنفسهم وسلطانهم ، وهذه كانت دائما ولا تزال نقطة الضعف الكبرى في التفكير السياسى عند حكام العرب والمسلمين ، وقد فاتهم جميعا ان الانسان يزداد قوة بما يعطى لا بما يأخذ ،وكلما زاد عطاؤك زادت قوتك،وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما فيما أرى أقوى من حكم أمة الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذا قوتهما الكبرى من العطاء لا من الاخذ ، فكلاهما لم يأخذ لنفسه شيئا قط الا بقدر ما يقيم الاود ، ولهذا فقد تمتعا بسلطان روحى وسياسى على الناس لم تطمح الى مثله بل بعضه ــ نفس طامح . وبسبب هذا الزهد كانا من اشد الناس تمسكا بالشرع اى القانون ، والقانون أيد سلطانهما وجعل الطاعة لهما وكانها فرض على الناس .

فلما جاء عثمان رضى الله عنه وطمع بعض آله فى الاموال ونظروا الى ما فى أيدى الناس ضعف مركز الخليفة وجرؤ عليه غيره ، وكانت فى ذلك مأساته التى نعرفها اجمعين .

***

وهذا التمسك بالشرعية والقانون هو الذى أعطى السادات قوته الحقيقية داخل بلاده وخارجها ، وحتى عندما اختلف معه بعض العرب ومضوا يحملون عليه كانوا يشعرون فى أعماق نفوسهم ان هذا الرجل أقوى منهم أجمعين رغم ماكانت اذاعاتهم ووسائل اعلامهم تقول ، فهذا رجل يضع الدستور الدائم ويثبت اركانه ويحكم بمقتضاه ، وفى أيامه يقوم أول مجلس شعب فى تاريخ مصر يمارس سلطاته ممارسة فعلية ويتم دورته القانونية دون حل أو ازمات ، وهو يعيد الحقوق ويلغى المعتقلات ويرفع هيبة القضاء ، ويكون هو نفسه أول من يحترم القانون ويخضع له ، وهو يحترم القيمة الانسانية ولا يطيق أن يرى انسانا معوزا يذل نفسه ليعيش ، فيقيم هذه المظلة الواسعة من التأمينات الاجتماعية ، حتى طوائف مثل صيادى السمك أو المزارعين قرر لهم معاشا احساسا منه بأن الانسان اذا شاخ وضعف أصبح عرضة لاهمال الآخرين — ولو كانوا أولاده — فلابد لهم من حد أدنى من الدخل حتى لا تذلهم الحاجة ، وليس هذا مجرد مديح وانما أنا آخذ من واقع ، فلم يكن السادات يقرر هذه المعاشات والتأمينات سياسة منه بل انسانية ، وقد حكى فى بعض خطبه كيف انه رأى فى أول زيارة له لبلد من بلاد الكتلة الشرقية — وهى المانيا الديموقراطية — كيف رأى امرأة عجوزا متهالكة تكنس الشارع ، لان القاعدة فى تلك البلاد الشيوعية هى أن الشعور الانسانى لا وجود له ، وكل انسان لابد أن يعمل شيئا ليأكل حتى لو كان شيخا متهالكا ، وقد سمعت هذا الخطاب ورأيت وجه السادات كيف يتألم لهذه العجوز التى ذكرته بسيدة عجوز فى قريته ، وقال فى كلامه : ومن ذلك الحين قررت الا أدع معوزا فى بلدى يشقى فى سبيل العيش .

وهذا التمسك بالشرعية والقانون ثم الاحساس الانسانى المرهف هو الذى أعطى السادات كما قلنا ذلك السلطان العظيم داخل بلاده وخارجها ، فأما فى عالم العرب فقد كان عقلاء حكام العرب يعرفون بالفعل ان مركز هذا الرجل فى بلاده ثابت لا يتزعزع ، ودعك من مأساة اغتياله ، فتلك جرائم يرتكبها ناس حمقى فقد قتل عمر بن الخطاب على يد مملوك صغير للمغيرة بن شعبة ، وقتل على بن ابى طالب على يد خارجى متهوس ، وقد استشهد الاثنان بالذات لانهما كانا يثقان فى انهما أمينان لانهما عادلان والعادل لا يخاف غيره ، ولهذا السبب أيضا استشهد الملك فيصل والرئيس السادات بينما زبانية الحكام والطغاة لا يصل اليهم احد ، لانهم لشدة خوفهم على انفسهم يحيطون انفسهم بزبانية الحراس .

***



وهذه الشرعية والقانونية عند السادات هى التى ضمنت له احترام الدنيا فى حياته وضمنت لبلاده الاستقرار عندما مضى الى ربه ، فأما رجال الغرب فقد وجدوا انفسهم أمام سياسى هو فى الحقيقة قوة اخلاقية كبرى فى عالم سياسى لا يعرف الاخلاق ، فهو صادق فيما يقول وهو مستقيم لا يعامل الناس بكيلين أو بوجهين كما يقول ، وهو عندما رأى ان الصراع مع اسرائيل لا يؤدى الا الى الحروب ، والحروب لا يتحمل تبعتها الحكام وانما الجنود وعامة الناس ، فقد استقر رأيه على أن السلام أقوم طريق للوصول الى حل يرضاه الناس أجمعين ·

***

وعندما قرر الذهاب الى القدس ، استجابة لدعوة الاسرائيليين ذهب مخلصا صادقا فى طلب السلام العادل لبلاده وللعرب أجمعين ، ولم يصدق الاسرائيليون ان رجلا يكون بهذا الصدق ، فأحاطوا مطارهم بالف وخمسمائة قناص خوفا من أن تكون زيارة السادات حيلة للقضاء على كل زعماء اسرائيل فى المطار ، فما راعهم الا والرجل رسول سلام حقا ·

وفى الكنيست قال لهم بأجلى بيان وأقوى منطق ما يريد العرب منهم وما يلزمون به ، وقد ارتج العالم كله لهذه الزيارة ولخطاب السادات للعدو مواجهة ودون دوران فى حين ان غيره لا زالوا يطلبون محادثات السلام ولكن بطريقة اللف والدوران · فيجلس المتفاوضون على مناضد متباعدة ، ولا يتحدثون الا عن طريق الآخرين ، كما حدث فى مهازل محادثات جنيف ، ومن عجب أن الكثيرين من العرب لا زالوا متصورين ان مثل هذه المحادثات يمكن أن تجدى ، وما يدفعهم الى هذا التمسك الا الروس الذين يريدون الا يتم شىء الا عن طريقهم ويا ليتهم يريدون أن يتم شىء ! اذ الواقع المرير انهم يكسبون قوتهم عن طريق ضعف الناس ويستغلون فقر الامم لزيادة أهلها فقرا ويحبون أن يظهروا للناس وكأنهم دعاة خير وسلام وما هم الا أدوات تخريب ودمار للبشر أجمعين ، وهم يحسبون انهم يخدمون وطنهم روسيا بذلك والحق انهم يمهدون لزوالها ، فان أسلوب الخداع والكذب والعدوان على حريات الناس قد ولى زمانه ، وسترى ان ما ينزلونه بالناس من الويلات فى افغانستان وبولندا وغيرهما سيكون فى النهاية قاضيا على الروس أنفسهم ·

***

رحم الله انور السادات ، لقد كان رجل حق وايمان ومبادىء ورسول سلام ، ولقد كانت حياته رسالة وكلماته حكمة ، وكان سعيه للسلام نابعا عن قلب عامر بالانسانية وحب الخير حقا ، وكان استشهاده ختاما رائعا مدويا لحياة فارس مجاهد بطل بذل اقصى ما يستطيع ليؤمن غيره ونسى أمان نفسه ·

د· حسين مؤنس

مواقف وصور من حياة الزعيم الشهيد ... :

السادات

رب الأسرة وكبير العائلة

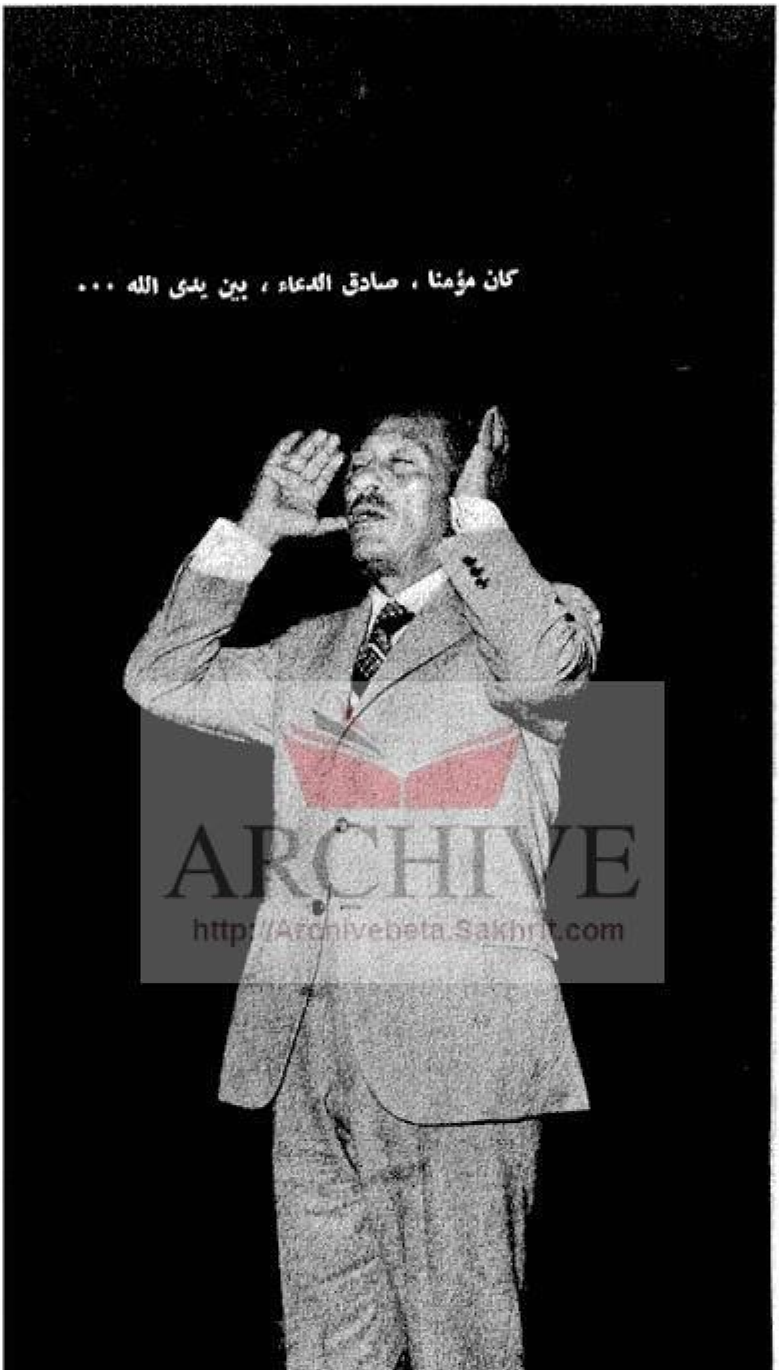
محمد أنور السادات ـ مثله فى ذلك مثل كل الشخصيات الكبرى فى التاريخ ـ له جوانب كثيرة من القوة التى وصلت به الى تلك المكانة فى الدنيا كلها وفى بلده العزيز عليه مصر .

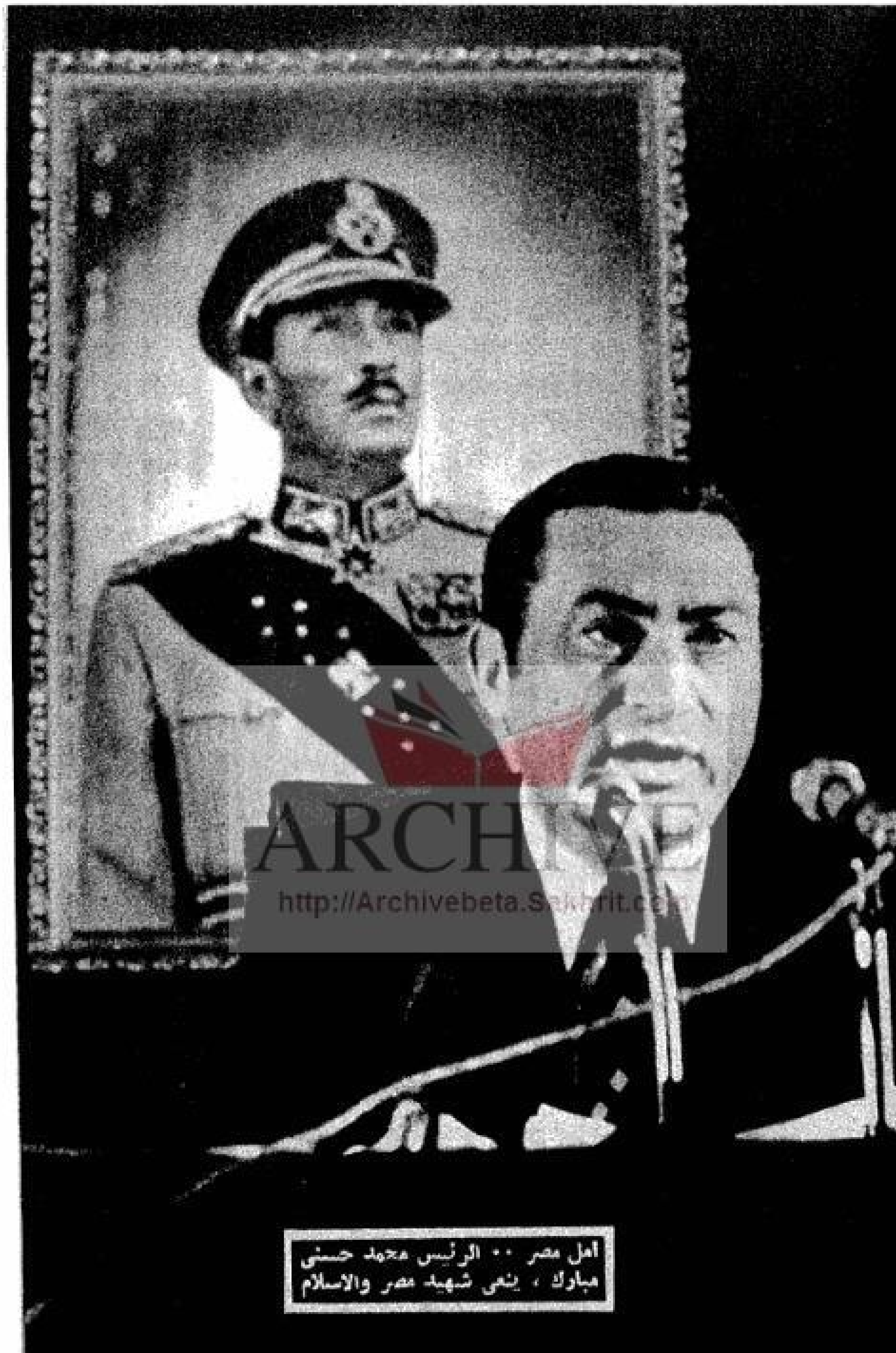
وقد تحدث الكتاب عن جوانبه السياسية وخصاله كقائد أمة خرج بأمته من الفوضى الحزينة التى كانت فيها عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد قصها السادات فى صفحات كتابه العظيم البحث عن الذات .

وقد رأينا أن نخصص باب ((ناس وصور وحكايات)) فى هذا العدد من الهلال للناحية الانسانية فى أنور السادات ، ناحيته كرب أسرة سعيدة يحب أسرته الصغيرة ويحوط زوجه وأولاده وأحفاده بالحب وناحيته الاخرى أبا للامة المصرية كلها ، فقد كان السادات فعلا كبير العائلة المصرية بالحب والعطاء والعطف والمحبة الصادقة التى تصدر عن القلب الكبير . وخلال هذه الصفحات المصورة يرى القارىء هذا الجانب الكبير من جوانب السادات فى سلسلة من الصور التى تعبر ببساطتها تعبيرا هو أبلغ من كل كلام .

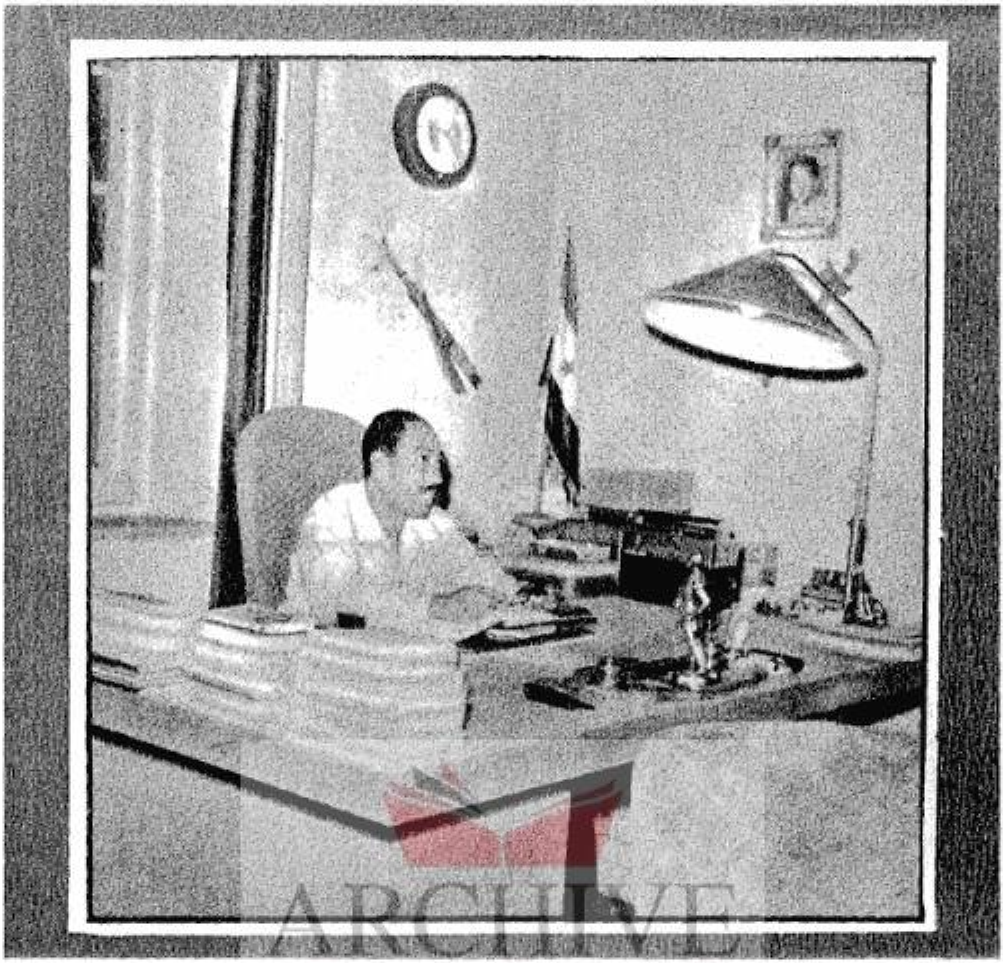


القائد ، الشهيد ، يتهيأ لحضور العرض العسكرى - موعده مع القـــدر

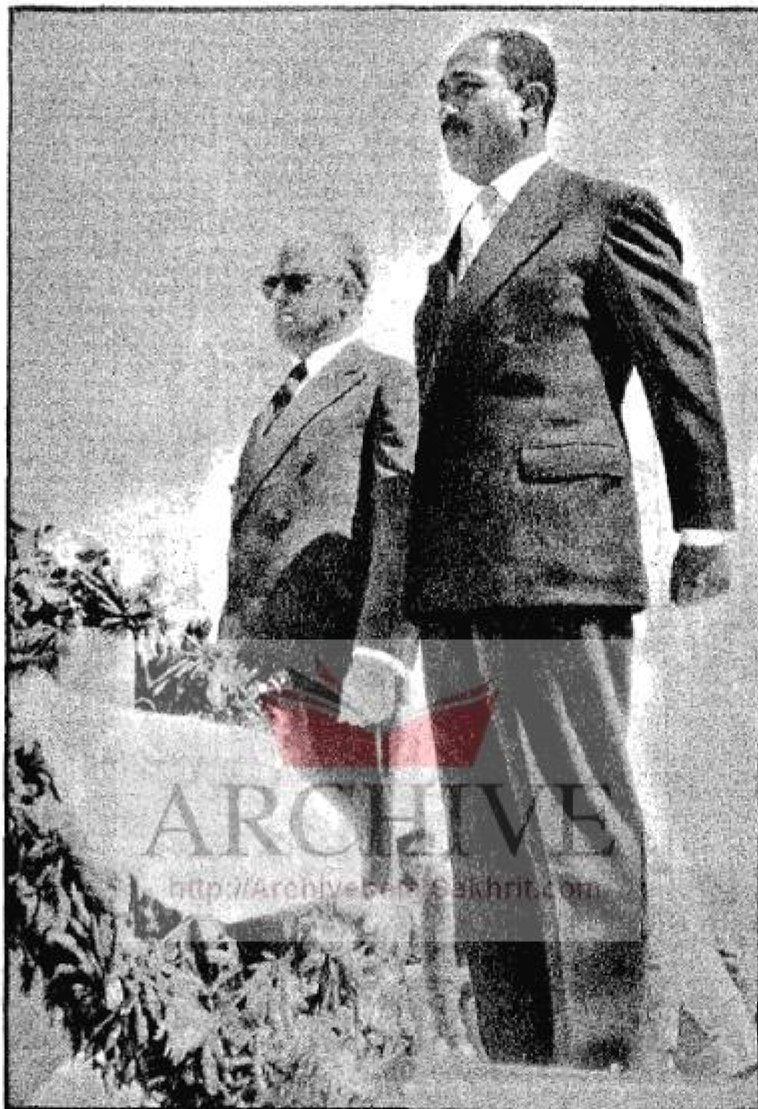

كان مؤمنا ، صادق الدعاء ، بين يدى الله ...



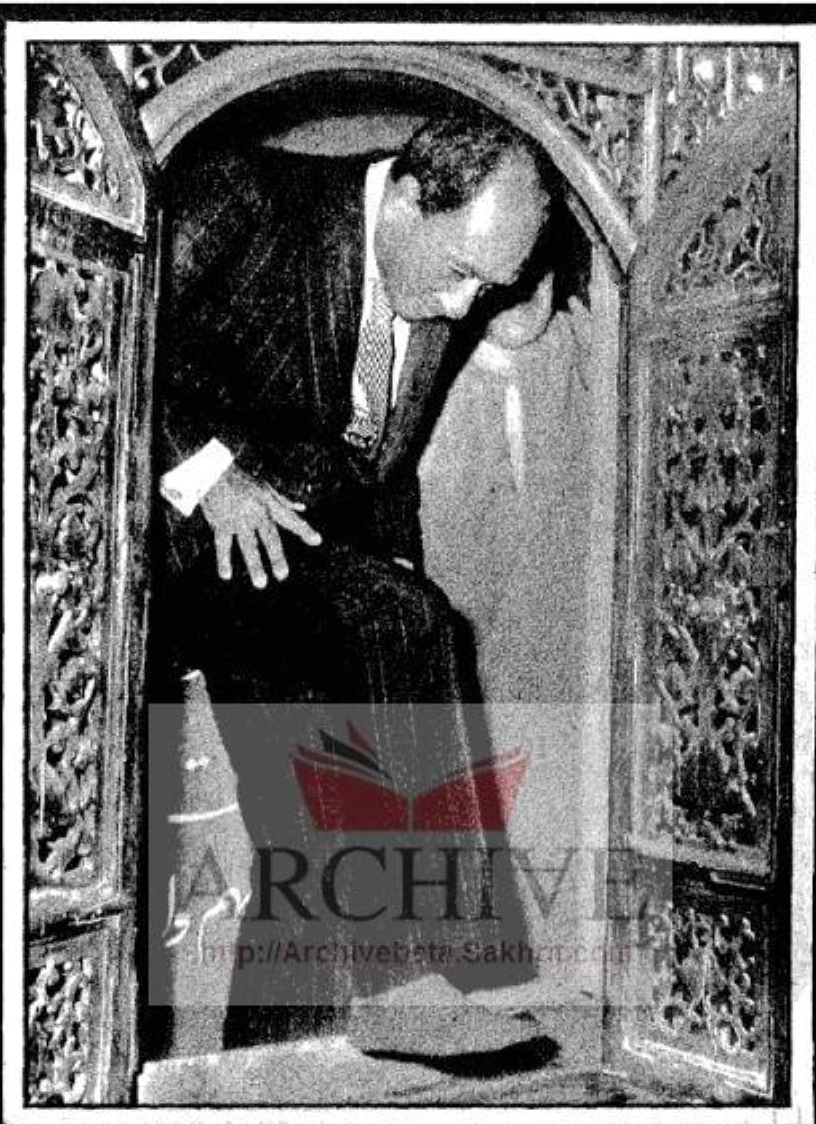
أمل مصر .. الرئيس محمد حسني مبارك ، ينعي شهيد مصر والاسلام







لقطات ثلاث من حياة الزعيم الشهيد .. : مشرفا على جريدة الجمهورية ، وبين المواطنين فى مختلف مواقع الحياة والعمل ، ومع الأمين السابق للجامعة العربية ، عبد الخالق حسونة ..



بعد ان قرا الفاتحة ، رحمة وتبركا فى مسجد السيد البدوى



الزعيم المؤمن مع المصلين في المسجد الاقصى يوم المبادرة التي دخلت التاريخ

مع بابا الفاتيكان الراحل ..



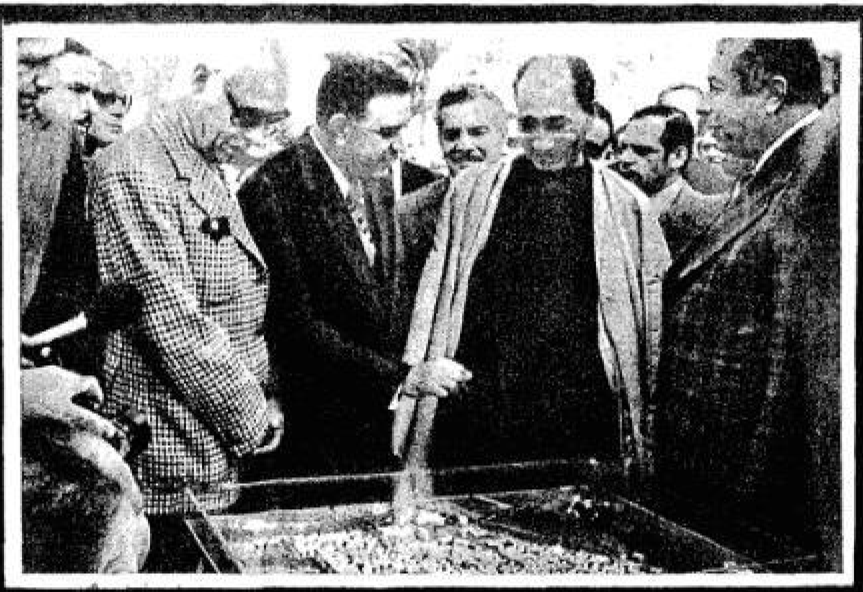
بين جماهير الشعب الذى وقف
بجانبه وناضـــل من اجله





على طريق الوحدة الوطنية ،
الدين لله والوطن للجميع.





كان يعمل دائما من اجل ان تغطى
الخضرة والنمـــاء كل ارض مصر





من اسعد المواقف فى حياته ، توزيع ملكية الارض على ابناء الريف

وكان عطوف القلب بسيطا متواضعا ..





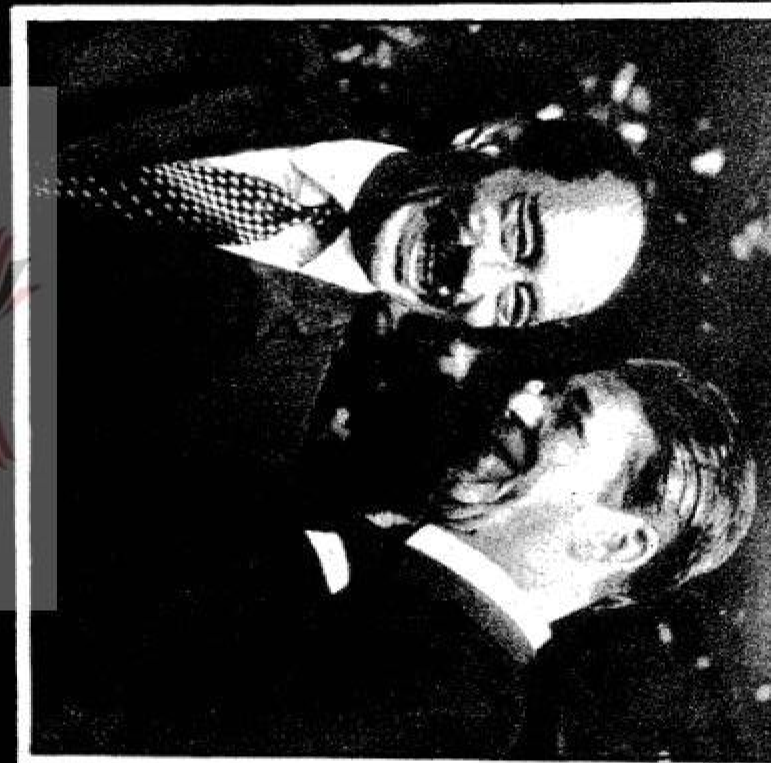


القائد المؤمن يؤدى الصلاة
فى الأرض المحررة بسيناء

●●●

الزعيم الشهيد يرفع علم مصر خفاقا على
العريش التى خاض المعارك لتحريرها

كان عظيم المكانة والتقدير لدى زعماء
العالم .. : لقاء مع الرئيس ريجان

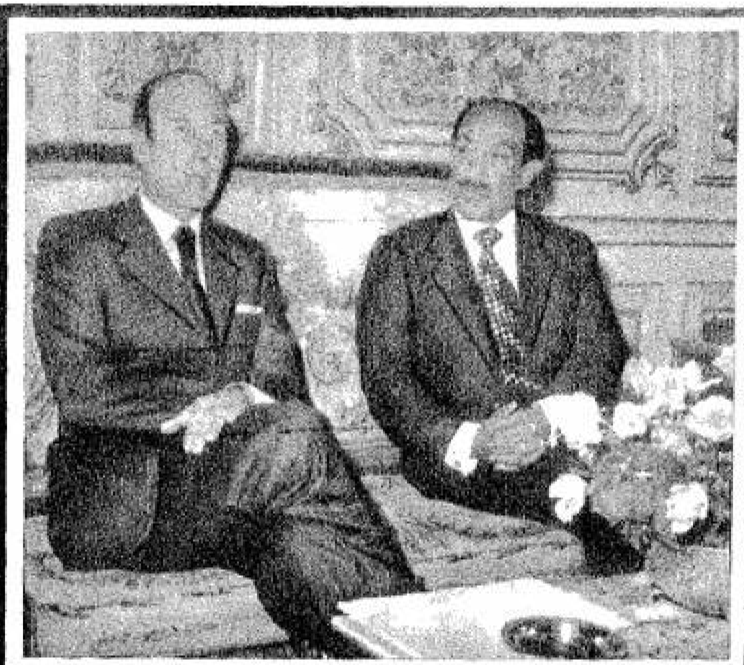


مع الرئيس ، الصديق ، زعيم
السودان الشقيق جعفر نميرى





مع المغفور له جلالة الملك فيصل : صداقة
خالصة حققت للعروبة آمالا كبارا
ومهدت الطريق الى النصر الكبير ...



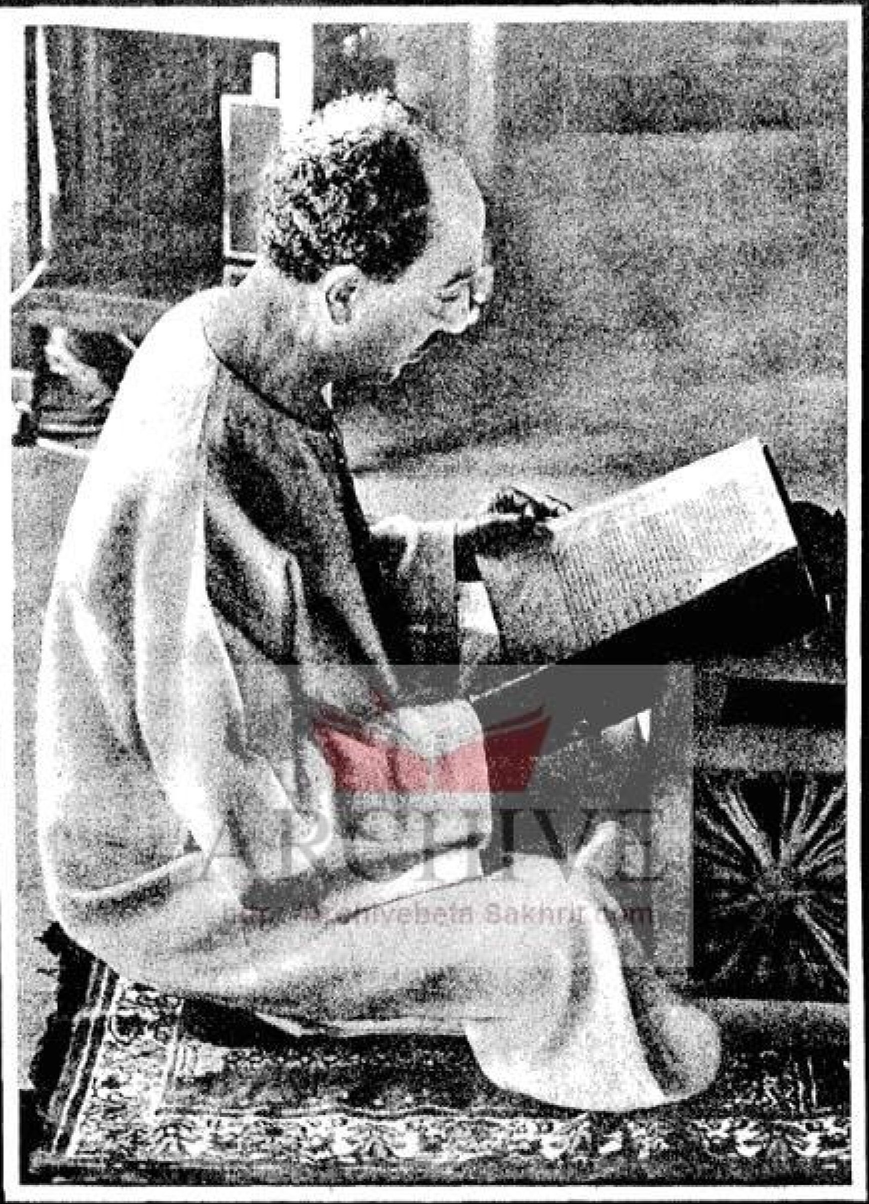
.... مع الرئيس الفرنسى السابق جيسكار ديستان

مع مستشار المانيا الاتحادية هلموت شميت





فى ظل الهرم الخالد السادات والسيدة حرمه
مع ضيف مصر الرئيس الامريكى الاسبق
كارتر والسيدة حرمه .. ..



الزعيم والانسان المؤمن فى خلوة
مع كتـاب الله الكـريم



الرئيس محمد حسني مبارك : أمل مصر ،
وعهد الايمان والوفاء والمبادىء ..

القاهرة

عاصمة الألف عام

د. محمد عبد المنعم خفاجي

قاهرة المعز الخالدة ذات الألف عام ، عاشت وتعيش شامخة سامقة مرفوعة الاعلام دائما وعلى طول عصور التاريخ .

ولما فتح الفاطميون مصر ، حرص جوهر الصقلي قائد الفتح ليلة وصوله الفسطاط في ١٧ شعبان من عام ٣٥٨هـ - السابع من يوليو عام ٩٦٨ م على انشاء عاصمة جديدة تكون مقرا لحكم الدولة الفاطمية ، ومركزا للخلافة العلوية في مصر ، وكان ذلك تنفيذا لمشيئة المعز الفاطمي وتوجيهه ، ووضع أساس المدينة الجديدة ، وأقيمت فيها المباني الرائعة ، والقصور الفخمة . ولما قدم المعز من المغرب الى مصر في الخامس من رمضان عام ٣٦٢ هـ - العاشر من يونيو ٧٩٢ م أطلق على المدينة اسم القاهرة ، وتنبأ لها بأنها ستقهر الدنيا ، وتعيش الى الابد .

وأقام جوهر في المدينة الجديدة قصرا رائعا للمعز ، يعرف بالقصر الشرقي الكبير ، وكان له تسعة أبواب ، وموضعه مكان المشهد الحسيني اليوم الى نحو الجامع الاقمر . وأقام العزيز بالله الفاطمي قصرا جديدا ، غربي القصر الكبير ، ويعرف بالقصر الغربي الصغير ، ومكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمد .

وما بين القصرين : الشرقي والغربي ، كان هناك فضاء واسع ، اتخذ مكانا للاستعراضات العسكرية ، واطلق على هذا المكان : ما بين القصرين ، وكان يصل بينهما سرداب طويل تحت الارض يسير فيه الخليفة ممتطيا فرسه ، عند انتقاله من القصر الشرقي الى الغربي ، وقد وصف الرحالة القصر الشرقي بأن أرضه كانت مرصوفة أجمل رصف بالفسيفساء ، وأن أسقفه كانت مزينة بالزخارف الذهبية الجميلة وفي فنائه كانت هناك النافورات الرائعة التي يجري منها الماء الصافي في أنابيب من الذهب والفضة ، الى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام الجميل ، وفي حدائق القصر كانت الطيور الجميلة ، والحيوانات الغريبة . وحدث عن ستائر القصر المصنوعة من الحرير الموشى بالذهب ، والمرصع بالجواهر واليواقيت .. ولا حرج (١)

وفي القصر الشرقي كان يوجد من التحف والطرائف مالا يكاد تقع عليه العين ..

وأخذت القاهرة في الاتساع والازدهار والنماء يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام .

(١) كنوز الفاطميين - د زكي محمد حسن ص ٧٤ ومابعدها .



منظر بركة الازبكية اثناء فيضان النيل

ولما زار الرحالة الفارسى المشهور ناصر خسرو القاهرة فى عهد المستنصر بالله الفاطمى ما بين عامى ٤٣٩هـ و ٤٤١ هـ (١٠٤٧ ـ ١٠٤٩ م) ذكر ان حوانيت القاهرة تبلغ نحو العشرين الفا ، وان حاناتها وحماماتها لا يمكن حصرها ، وان ابنيتها اعلى من الاسوار الحصينة ، وان بيوت المدينة مبنية بناء نظيفا محكما ، وتحيط بها الحدائق والمياه (١)

وقد بنى فى المدينة الجديدة الجامع الرسمى الكبير للدولة ، وهو الجامع الازهر ، وبدىء فى بنائه فى جمادى الاول عام ٣٥٩ هـ : ابريل ٩٧٠ م ، وتم البناء فى رمضان من عام ٣٦١ هـ : يونيو ٩٧٢ م ، ولم يلبث هذا الجامع الكبير ان تحول ، الى جامعة اسلامية كبرى ، علا صيتها ، وعظمت مكانتها ، على مرور الايام ..

وقد بنى فى عهد العزيز بجوار الجامع دار كبيرة لجماعة من الفقهاء ، كان عددهم خمسة وثلاثين ، كانوا هم نواة هذه الجامعة الاسلامية « الجديدة ، وكانوا يجتمعون فى الجامع بعد صلاة الجمعة ، ويقراون القرآن ، الى صلاة العصر : وقد اجرى عليهم الخليفة المرتبات ، واغدق عليهم الوزير يعقوب بن كلسو الاموال والهبات . واصبح الجامع الازهر على عهد الدولة الفاطمية اعظم جامعة اسلامية فى العالم الاسلامى كافة ، بل صار زينة القاهرة ، ومفتاح عظمتها وازدهارها .

وفى عهد العزيز بالله كذلك عام ٣٧٩هـ ـ ٩٨٩م اقيم جامع الحاكم ،كما اقيم بعد ذلك بنحو مائة عام جامع الجيوشى عام ٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥ . ثم أقيم الجامع الاقمر فى شارع النحاسين عام ٥١٩هـ ـ ١١٢٥م ثم الجامع الصالح بن رزيك ، وغير ذلك من المساجد والمبانى الرائعة .

وورثت القاهرة مدينة الفسطاط ، التى انشاها عمرو بن العاص اثر فتح مصر ، عام ٢١ هـ ـ ٦٤٢ م ، والتى اسس فيها مسجده العظيم ، مسجد الفتح ، المسمى بجامع عمرو ، او تاج الجوامع ، او المسجد العتيق ، الذى وصفه الرحالة الفارسى ناصر خسرو بانه يقوم على اربعمائة عمود من الرخام ، وتحيط به الاسواق من جهاته الاربع ، وعليها تفتح أبوابه (٢) ، وبانه مكان اجتماع سكان مدينة الفسطاط ، ولا يقل من فيه من الطلاب فى اى وقت عن **خمسة آلاف طالب من طلاب العلم والغرباء .**

كما ورثت القاهرة مدينة العسكر التى انشئها واتخذها العباسيون عاصمة لمصر ، عام ١٣٣ هـ ـ ٧٥٠ م ، بدلا من الفسطاط ، ومدينة القطائع التى انشاها احمد بن طولون عام ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩ م واتخذها عاصمة له ، وبنى فيها قصرا مشيدا ، وجامعا ضخما ، هو المعروف بجامع ابن طولون ، الذى فرغ من بنائه عام ٢٦٥ هـ ـ ٨٧٨ م ، وقد استغرق البناء نحو العامين .

وقد تجمع فى القاهرة كل محاسن العواصم الكبرى ، وبلغت من الازدهار والحضارة مبلغا كبيرا ، وبقيت العواصم القديمة بجوارها ، تعمل من اجل الرخاء

(١) ناصر خسرو : سفرنامة ، ترجمة د . يحى الخشاب ، ص : ٥٠ ، ٥٨
(١) ص ٥٩ ناصر خسرو ـ سفرنامة ـ ترجمة يحى الخشاب .

والازدهار والثقافة والحضـــــارة ، كل ما تستطيع (١)

ومن العلماء الذين زاروا القاهرة فى عهد الحاكم بالله الفاطمى ، العالم الكبير المشهور الخالد ابن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ : ١٠٣٨ م) ، وهو من اشــهر العلماء المسلمين فى الطبيعة والبصريات ،وكذلك عبد اللطيف البغدادى ..

وحدث عن دار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله فى القاهرة عام ٤٠٠ هـ: ١٠٠٩ م،وعن خزائن الكتب والمخطوطات فيها .. ولا حرج .

ومرت الاحداث الكبيرة بالقــاهرة فى آخـر العصر الفــاطمى ، ثم أفاقت من غيبوبتها فى عهد صــلاح الدين قاهـر الصــليبيين ، ثم فى عهد بيبرس قاهر التتار واتسعت حركة العمران فيها،وبنيت فيها المدارس والمســاجد والمؤسسات المختلفة . وكان القاضى الفاضــل شيخ الادباء فى العصر الايـوبى وظهـــر ابن الفارض الشاعر الصوفى الكبير كذلك فى العصر الايوبى ، كما ظهر البوصيرى فى **اوائل عصر المماليك ، واخذت القاهرة بعد نصر ((عين جالـوت)) عام ٦٥٨ م التى هزم فيها التتار هزيمة ســاحقة ، زمام زعامة العالم الاسلامى سـياسيا وعلميا وادبيا ، واحتلت مكانة بغداد ، وصارت عاصمة الدنيا ، ومركز الحضارة والســلطان والخلافة ، ومقر العلماء ، وموطن الثقافة والعلم والادب .**

وبعد نحو ثلاثة قـرون هى مدة حكم المماليك فى مصر اســتولى الاتراك العثمانيون على مصر ، ودخلوا القاهرة ، واحتلوها وورثوا دولتها الواسعة الممتدة الاطـراف وحكموا العالم الاســلامى ، وصاروا هم سادته وزعماءه ، وذلك نحو ثلاثة قـرون أخرى (٩٢٢ ـ ١٢١٣ هـ : ١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م) ، بعد هزيمة جيش الغورى فى معركة « مرج دابق » شمال حلب ، فى ٣٠ من رجب عام ٩٢٢ هـ ـ ٢٩ من أغسـطس عام ١٥١٦ م . وفى العهد العثمانى عاشت القاهرة فى ظـلام دامس ، وتأخر مستمر .

وجاءت الحملة الفرنسية . الى مصر ، وكانت ثورة القــاهرة ، الاولى فى ٢١ اكتـوبر عام ١٧٩٨ م ، ثم كانت ثورة القاهرة الثـانية فى ٢١ من مارس عام ١٨٠٠ م على الاحتــلال الفرنسى ، الذى أرغم على الجلاء عن مصر ، ومع معاهـدة العريش بين انجلترا وفرنســا ، التى وقعت فى ٢٤ من يناير عام ١٨٠٠ م ، والتى تعهد فيها الفرنسيون بالجلاء عن مصر ، فقد تشبث الفرنسيون بمواقعهم فى مصر ، حتى انتهى الامر بعقد معاهدة جديدة بين فرنسا وانجلترا فى ٢١ من يونيـو عام ١٨٠١ م ، تعهـد فيهـا الفرنسيون بالجلاء عن مصر جلاءا كاملا بعد احتلال مرير دام ثلاث سنين كاملة

***

وانتقلت القاهرة الى العصر الحـديث وعاشت فى ظـلال أسرة محمـد على ، ثم شاهدت ثورة الزعيم الوطنى احمد عرابى والحركة الوطنية بقيادة مصـطفى كامل باشا ، ثم بقيادة محمد فريد ، ثم بزعامة سعد زغلول .. ضد الاحتلال الانجليزى

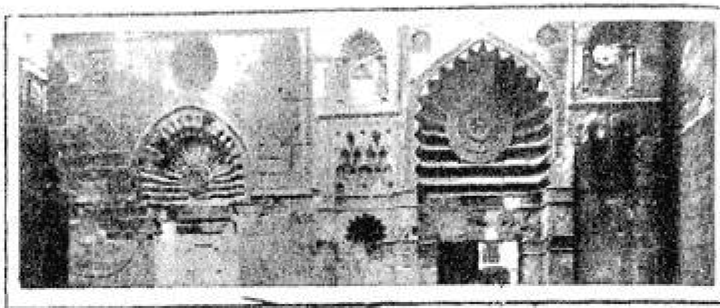
واســتمرت القـاهرة تؤدى دورهـا الحضارى العالمى ، ونمت فيها جامعة القاهرة ، والعديد من المجامع والمتـاحف والمعاهد والمؤسسات الثقـافية ، وذلك طيلة قرن ونصف من الزمان (١٢٢٠ ـ ١٣٨١ هـ : ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢ م) .

وقامت الثورة المصرية الكبرى بقيـادة جيش مصر فى ٢٣من يوليـو ١٩٥٢ ، حيث أطاحت بحكم أسرة محمـد عـلى ، وأعلنت الجمهـورية ، وأجلت الجيش الانجليزى عن البلاد وأممت قناة السويس وقامت بالكثير من الاعمــال والمنشئات الحضارية الكبرى ..

وفى ظلال الثورة استردت القـاهرة زعامتها للعالمين العـربى والاســلامى . وأخذت جامعاتها ومدارســها ومعـاهدها ومتاحفها ودور الكتب فيها تقوم برسالتها الحضارية الكبيرة فىخدمة الفكر والثقافة والادب ، وفى خدمة المجتمع الانســانى كله . وزاد سكان القاهرة فبلغوا اليوم أكثر من تسعة ملايين ، وزادت ضواحيها

---

(١) راجع كتاب كنوز الفاطميين ـ د.زكى محمد حسن ، ص ٢٠ ـ ٦٦



الجامع الأزهر

وكثرت أحياؤها ، واتسعت حركة العمران فيها .

ومرت على القاهرة في مختلف العصور أحداث كبرى ، وتيارات خطيرة ، ومحن كثيرة ، ورأت من الجاه والسلطان والمجد والسيادة ما لم تره مدينة أخرى .

وفي عام ١٩٦٨ م يكون قد مر على القاهرة ألف عام ، وهي اليوم يبلغ عمرها الحافل المديد ألف عام ، وثلاثة عشر عاما ، وشهران .

وما دامت الدولة ستحتفل بالعيد الالفى للازهر الشريف ، فاننا بهذه المناسبة التاريخية الكبرى ، نرجو أن يحتفل بالعيد الالفى لمدينة القاهرة في القريب باذن الله .

***

على أن هموم القاهرة الكبيرة الحضارية قد زادت بزيادة حركة العمران فيها ، وباتساع نواحيها وضواحيها ، وببلوغ عدد سكانها أكثر من تسعة ملايين من الانفس ، وحول هموم القاهرة الحضارية ومشكلاتها العمرانية ، اليوم يتحدث الينا الدكتور على عبد الجليل ، حديثا طويلا رائعا عميقا ، في كتابه الجديد الممتع « واقاهرتاه » الذى صدر هذه الايام ، والذى تكلم فيه عن حاضر القاهرة ومستقبلها وجميع مشكلاتها الحضارية العديدة ، والذى يقول في مقدمته :

« شاءت ظروفى أن أتردد على عواصم أوروبا ، وأتمتع بجمالها ونظام الحياة فيها ، وادرس أسباب نجاحها عن قرب ، ووجدت لزاما على ان اقدم ما لدى من معرفة لخدمة بلادى ، غير آبه لمنتقد ، فلا هدف لى الا أن أكون خادما لهذا البلد الذى نشأت فيه ، وارى من واجبى أن أبذل ، ولو ذرة من الجهد ، لارفع من شأنه ، وأدله على سواء السبيل ، وأن أنقل لمواطنى صورة مما يجب أن تكون عليه عاصمة حديثة لبلد كبير » .

وفي هذا الكتاب « يتحدث الدكتور عن كل مطالب القاهرة وحاجاتها ، ووسائل التجديد الحيوى فيها .. ويضع العلاج ، ويبصر بخطط التنفيذ في غيرة شديدة ، من أجل أن تصبح القاهرة مثل عواصم العالم الكبرى ، بل سيدة العواصم جميعا .. وهو أمل لتمناه ، ونشارك الدكتور فيه أحلامه وكل مبتغاه .

وما أجمل ما يقوله الدكتور في مطلع كتابه :

« جاءتنى فكرة هذا الكتاب ، وأنا أقضى اجازتى في احدى قرى النمسا ، ولما جلست في أحد المقاهى ، تحيط بى الزهور ، ويسود بالمكان الهدوء الذى لا يقطعه سوى تغريد بعض الطيور على أفنان أشجار التفاح والجوز ، أخذت أفكر في بلدى ، في وطنى . وتذكرت عاصمة بلادى القاهرة العزيزة ، التى أعيش فيها ، والتى تنال شهرة كبيرة بين سكان العالم المتمدين .. »

وبعد فانا نتمنى للقاهرة مزيدا من الازدهار والرخاء والنماء ، ونتمنى أن نرى الدولة قد شرعت في الاعداد **للاحتفال بالعيد الالفى لها في اقرب وقت وفي أسرع فرصة سانحة، والله عز وجل يحفظ على القاهرة شبابها الدائم ، وطموحها الذى يسير بها الى أكرم الغايات ويدفعها نحو اشرف الآمال .**

التنمية والتكنولوجيا ومشكلات البيئة

د. محمد عاطف كشك

● تكاثرت مشاكل البيئة الانسانية وتصاعد الاحساس بحدتها وخطورتها نتيجة سعي معظم دول العالم الى دفع عمليات التنمية بها خطوات واسعة ، واستخدامها في ذلك انماطا من الاساليب التكنولوجية التقدمية ..

واصبح من الواضح ان هذه الاساليب التكنولوجية المتقدمة بما لها من قدرة فائقة على تغيير البيئة ، تساهم بقدر كبير في تدمير وتخريب البيئة الانسانية ..

واصبح في حكم الضرورى الا تقبل اى اسلوب او وسيلة تكنولوجية الا بعد فحصها فحصا مدققا لمعرفة ما سوف تؤدى اليه من تغيرات نافعة ، او ضارة .

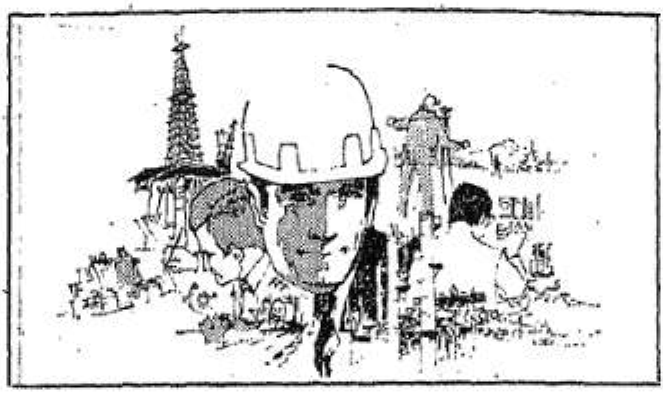
وفي هذه الدراسة نعطي امثلة لانواع المشكلات البيئية المصاحبة للنشاطات الانسانية في عدة مجالات من مجالات التنمية ، فنرى ما فعلته التكنولوجيا بالبيئة في مجالات الصناعة والنقل والمواصلات والتوطين والاسكان .

أولا – الصناعة .

لا يزيد عمر الثورة الصناعية عن قرنين من الزمان . وفي هذه الفترة القصيرة نسبيا احدثت الصناعة الحديثة في العالم تغيرات عديدة وخطيرة في كافة المجالات . فهناك اجماع عالمي على ان الدول الصناعية المتقدمة تساهم بأكبر نصيب في تلوث البيئة والضغط على الموارد الطبيعية .

أما في الدول النامية فان التلوث الناتج عن الصناعة يمثل امكانية في المستقبل أكثر مما يمثله واقعها فعلا عند هذه المرحلة من مراحل التنمية في دول العالم الثالث .

لذلك فان الدول النامية تتمتع بميزة نسبية ، وهي انها في سعيها لتنمية مجتمعاتها يمكن ان تستفيد من الاخطاء التي وقعت فيها الدول المتقدمة نتيجة الجهل أو التجاهل للمشاكل البيئية الناتجة عن الصناعة . فالدول النامية الآن يمكن أن تستفيد من المعرفة المتاحة حول المشاكل البيئية وتتخذ قرارات سليمة فيما يتعلق بمواقع المراكز الصناعية وكيفية التخلص من مخلفات الصناعة وسن التشريعات التي تهدف



الى حماية البيئة ، كذلك يجب اختيار خلق التكنولوجيا الملائمة لظروف الدول النامية واستغلال ميزتها النسبية ، وهي توفر قوة العمل الرخيصة التى يمكن أن تتيح انواعا من التكنولوجيا كثيفة العمالة وهذا يقلل كثيرا من التلوث ·

ونوع التكنولوجيا المستخدمة يحتل اهمية خاصة عند كلامنا عن الاثر البيئى للصناعة · فقد أوضح بارى كومنر فى كتابه ((الدائرة المغلقة))

Barry Commoner : The Closing Circcle.

ان زيادة السكان وزيادة الاستهلاك لا يمكن ان تكون مسئولة كلية عن الكمية الضخمة من التلوث التى حدثت فى السنوات العشرين الماضية ·· ففى الفترة التى زاد فيها الانتاج القومى فى الولايات المتحدة الامريكية بنسبة ١٢٦٪ زادت كمية التلوث فيما بين ٢٠٠ و ٢٠٠٠٪ ·

ومثل واحد يوضح هذه النقطة : ففى عام ١٩٣٧ كانت كمية الطاقة المستخدمة لصنع سيارة واحدة عبارة عن ١٧٩ كيلو وات / ساعة · لكنها وصلت الى ٨٠٧ كيلو وات / ساعة فى عام ١٩٦٧ بزيادة قدرها ٣٩٥٪ · كما ان كفاءة استعمال الجازولين فى المحركات ما زالت منخفضة جدا فهى حوالى ١٠ ـ ٢٠٪ والباقى يخرج فى شكل عوادم تلوث الهواء ·

واذا كنا نتكلم عن الصناعة ، فاننا لا يمكن أن ترجع مساهمتها فى التلوث الى زيادة استخدام الآلات أو استعمال اساليب تكنولوجية خاطئة فقط · لكن الصناعة تساهم فى تدهور البيئة بشكل آخر عن طريق انماط الاستهلاك التى تفرضها فى المجتمع ، وكلنا يعرف نمط المجتمع الاستهلاكى المصاحب للمجتمعات الصناعية المتقدمة ·

وفى مصادر مختلفة نجد احصاءات عديدة تشير جميعها الى الزيادة المخيفة فى استهلاك سلع واجهزة مثل السيارات وأجهزة التكييف والثلاجات وماكينات الغسيل ·· الخ · وانتشار هذه السلع بجانب اثرها المباشر على التلوث (كما هو واضح فى حالة السيارات) فانها تستهلك قدرا كبيرا من الموارد الطبيعية فى تصنيعها وقدرا كبيرا جدا من الطاقة والوقود فى ادارتها وصيانتها ·

● ثانيا ـ الاعمال الهندسية الكبرى:

تعتبر الاعمال الهندسية الكبرى من الوسائل المفضلة فى عملية التنمية والتى تنتج عنها فوائد عديدة اقتصادية واجتماعية · وفى كثير من دول العالم مثل مشروعات تنمية وديان الانهار ومد شبكات الطرق والمواصلات ·

وقد أثبتت التجارب العملية فى أكثر من مكان ان الفوائد الضخمة لمثل هذه الاعمال قد تغطى عليها التكاليف البيئية والاجتماعية المصاحبة لها والتى غالبا ما كان يتم تجاهلها أو التقليل من شأنها ·

وقد أمكن فى السنين الاخيرة احراز تقدما ملموسا فى طريق تقييم هذه المشروعات والتنبؤ بآثارها البيئية بحيث يمكن ادخال الجوانب البيئية الاجتماعية فى عملية التخطيط لمثل هذه المشروعات واختيار مواقعها · ومع ذلك فانه ما زال

هناك عجز خطير في طرق التقييم والتنبؤ بالآثار البيئية ، فاذا كانت معظم الآثار البيئية الاولية والتي تحدث في المدى القصير يمكن التنبؤ بها بقدر معقول من الدقة ، فان الآثار البيئية بعيدة المدى والتي يمكن ان تستمر في الحدوث حتى بعد ان تكون فترة حياة المشروع قد انتهت ، هذه الآثار ما زالت مستعصية على الفهم الصحيح ولا توجد طرق دقيقة للتنبؤ بها وتقييمها ..

وهناك جهود عديدة تبذل لتطوير الطرق العلمية المناسبة لتقييم الآثار البيئية المصاحبة للمشروعات الهندسية الكبرى . ودور العلماء في هذا السبيل يتمثل في تقرير عدة نقاط هامة مثل :

١ ـ الجزء من البيئة الذي يتأثر بالعمل الهندسي .

٢ ـ طبيعة التأثر .

٣ ـ سرعة التأثر ومداه وانتشاره ومصدره وامكانية تصحيحه او التحكم فيه .

وهناك تصنيفات عديدة لانواع الاعمال الهندسية الكبرى المقصودة في هذا المجال . وهذه تشمل أنواعا عديدة مثل شبكات الطرق السريعة والشوارع والموانى والمطارات ، والسدود والخزانات اقامة المرافق والمصانع ، مشروعات التنمية الزراعية ، مشروعات الترفيه مشروعات التعدين وتصنيع المواد الخام .. الخ .

ويصاحب انشاء وتنفيذ هذه المشروعات عدد من التغيرات في الخواص والعمليات البيئية الاساسية سواء فيما يتعلق بالتربة أو نوعية الماء والهواء أو الحياة النباتية والحيوانية والانسانية . وبالاضافة الى الآثار البيئية للزراعة والصناعة وتنمية وديان الانهار التي ذكرت فيما سبق . فاننا نذكر فيما يلي أهم الآثار البيئية المصاحبة لنوعين اساسيين من المشروعات الهندسية الكبرى كما وردت في التقرير النهائي للمشروع رقم (١٠) من مشروعات برنامج الانسان والمحيط الحيوى ( ) التابع لليونسكو .

أ ـ الآثار البيئية لشبكات النقل والمواصلات .

١ ـ تأثيرات على الحياة البرية : مثل زيادة فرص الصيد والقنص وتغيير البيئة الطبيعية وغلق طرق الهجرة .

٢ ـ مشاكل التلوث : مثل مشاكل التخلص من المخلفات والتأثر المتراكم لتلوث الماء والهواء والتربة .

ب ـ الآثار البيئية للمشروعات التعدينية .

١ ـ تأثيرات على نوعية المياه : مثل زيادة ايونات المعادن الثقيلة ،وزيادة كمية الرواسب والعكارة والتغيرات في نظم الصرف والتغيرات في كمية وانواع الكائنات الدقيقة التي تعيش في المياه .

٢ ـ تأثيرات على سطح الارض : مثل فقد الغطاء النباتي والتغيرات في ثبات الطبقات الارضية التحتية والتغيرات في المناظر ذات القيمة الجمالية .

٣ ـ تأثيرات على نوعية البيئة : مثل التأثير المتراكم لتلوث الهواء والماءوالتربة ومشاكل التخلص من المخلفات .

والقائمة السابقة ـ مثل غيرها من قوائم المشاكل البيئية المصاحبة لاى نشاط انساني ـ هي لمجرد التوضيح فقط ، اذ لا يمكن أن تكون كاملة . فهناك مشاكل بيئية كثيرة أخرى يمكن أن تصاحب مشروعات التنمية منها مشاكل قانونية كما يحدث في حالة ما يكون المشروع هو لمجرد اثبات حق قانوني أكثر منه لتحقيق فوائد اقتصادية واجتماعية

ومنها مشاكل اجتماعيةمثل التناقضات التي تنشأ من استفادة مجموعة من السكان من مزايا المشروع وتحمل مجموعة أخرى لتكاليفه البيئية والاجتماعية (قد يستفيد سكان القاهرة مثلا من مزايا مشروع في منطقة معينة في اغلاق فرص بينما هم لا يتحملون كثيرا كما تحمل سكان النوبة عندما اضطروا الى ترك أراضيهم ومنازلهم) .

وقد تكون المشاكل اقتصادية واجتماعية كما يحدث عندما يتسبب مشروع في منطقة معينة من اغلاق فرص التنمية في مناطق أخرى ، أو عندما

● إن التكنولوجيا يمكنها أيضاً أن تسهم في خلق كثير من المشاكل التي لم تكن معروفة من قبل.

يكون مفيدا لجيل وكارثة على جيل آخر من السكان .

● ثالثا – النقل والمواصلات .

ان الاختيار الاساسي فى عمليات النقل العام يمكن ان يكون بين وسائل النقل العام والعربات الخاصة .

وفى الدول الصناعية المتقدمة كما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية ودول أوروبا الغربية واليابان ، فان الاعتماد يكاد يكون كاملا على العربات الخاصة لنقل الافراد ، وهذا الاتجاه تنشأ عنه مشاكل بيئية حادة منها تلوث الهواء بأخطاره المعروفة والحوادث المتزايدة ، والضغط الشديد على المدن .

وبعض الدول النامية تحاول أن تستورد نموذج الدول المتقدمة فى النقل والمواصلات ، رغم ان التركيز على وسائل النقل العام فى الدول النامية بجانب توفيره للموارد والطاقة وفائدته فى تقليل التلوث ، فان له أهمية فى تقليل واحد من أهم الفروق بين الطبقات الاجتماعية

ويكفي هنا أن نناقش هذه النقطة من ناحية كفاءة استخدام الموارد المتاحة . فان جالونا من الوقود يكفى لنقل شخص في الاتوبيس لمسافة ١٢٥ ميلا بينما يكفى لنقله مسافة ٣٢ ميلا فقط عند استعمال السيارة الخاصة ، أى انه يمكن توفير ثلاثة أرباع كمية الوقود او نقل اربعة أضعاف العدد من الناس لو اعطينا أولوية مطلقة لوسائل النقل العام فى الدول النامية ، وفى نفس الوقت نكون قد ساهمنا فى نقص تلوث الهواء وحل مشاكل النقل والمواصلات لعدد كبير من الناس ،وساهمنا في توفير حاجة اساسية لهم تساعدهم على الانتاج والاستمتاع بالحياة .

● رابعا – التوطين .

ان الجزء الاكبر من سكان الدول النامية ما زالوا يعيشون فى المناطق الريفية ويشتغلون بالزراعة ، وفى معظم الحالات فان المناطق الريفية فى الدول الفقيرة تعانى من مشاكل ضخمه وعديدة مثل المشاكل الصحية والغذائية ، فما زالت بعض الامراض تنتشر فى البيئات الريفية الفقيرة بشكل وبائي ، ومعظم سكان الريف يعانون من نقص التغذية وعدم تكامل الوجبات الغذائيه وخاصة ما يتعلق بنقص البروتين الحيواني .

كما ان الجزء الاكبر من المناطق الريفية تعاني من مشاكل مياه الشرب النقية وعدم توفرها كما ونوعا ، وغياب أو عدم كفاية وسائل الصرف الصحى ، بالاضافة الى عدم توفر المسكن المناسب

كما ان نقص المرافق والخدمات الزراعية مثل النقل والتسويق والتسليف والارشاد من الملامح السائدة فى المناطق الريفية من الدول النامية ، وهذه كلها ينتج عنها ضعف مستوى الانتاج وانخفاض مستوى الدخول . والخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية تكاد تكون غائبة تماما .

وجميع هذه المشاكل البيئية التى يطلق عليها أحيانا « تلوث الفقر » تزيد وتتراكم وتتضخم نتيجة زيادة السكان التى تمثل اعباء اضافية على البيئة الريفية .

ونتيجة لسوء الظروف فى القرى وتدهور البيئة الريفية يحدث ميل شديد للهجرة الى المدن . والمدن فى الدول النامية ليست افضل كثيرا من القرى . وتسبب الهجرة من الريف الى المدن زيادة الظروف الحضرية سوءا فوق سوئها كما ان ضغط مشاكل المدن قد يتسبب بدوره فى زيادة الانفاق الحكومى فى المدن واهمال اكثر للمناطق الريفية . كما ان تركز كل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والترفيهية فى المدن يسبب زيادة فى التكدس وزيادة فى التلوث وارتفاعا فى معدلات البطالة .

ومن الضرورى ان تاخذ عملية

التخطيط فى اعتبارها كل هذه المشاكل ، فمع المعدلات المرتفعة للنمو السكانى تواجه الدول النامية جميعها مشاكل متفاوتة الحدة فيما يتعلق بخلق فرص جديدة للعمالة ، ومن المستبعد جدا ان تستطيع النشاطات الاقتصادية فى المدن - مثل التصنيع والخدمات المرتبطة به - توفير فرص العمالة لكل قوة العمل المتاحة وبالتالى فان جزءا كبيرا من السكان والقوى العاملة سوف تدفعه الظروف الى البقاء فى الريف .

ومن الضرورى ليس فقط توفير فرص العمل المنتج فى المناطق الريفية ، بل لابد من تحسين كل عناصر البناء الاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى الريف ، وهذا يلقى مزيدا من الاعباء على البيئة الريفية .

وتواجه الدول النامية معضلة حقيقية فالمشاكل كثيرة فى الريف والمدن على السواء ، وفى احيان كثيرة يكون الاختيار هو الاهتمام بالمناطق الحضرية على حساب تنمية وتطوير القطاع الريفى لاسباب مختلفة ، والنتيجة الحتمية لمثل هذا الاختيار هو ان تظل المدن والقرى فى نفس الظروف السيئة ، ويزداد التلوث وتدهور البيئة على نطاق واسع .

ومع التسليم بان نمو المدن يمكن ان يكون مصحوبا بزيادة الرخاء الاقتصادى والاجتماعى ، كما ان المناطق الحضرية يمكن ان تؤدى وظيفة محاور او اقطاب التنمية مساهمة بذلك فى زيادة الرخاء فى كافة اجزاء الوطن - مع التسليم بكل ذلك ، الا ان هناك ضرورة للتوازن الدقيق بين التنمية الحضرية والتنمية الريفية . وبين تنمية الصناعة وتنمية الزراعة . ففى حالة غياب هذا التوازن فان البناء كله يصيبه خلل شديد .

وهناك نقطة أخرى فى هذا المجال لا يمكن تجاهلها ، فالمدن الكبرى فى معظم الدول النامية يقطنها عدد من السكان يفوق كثيرا قدرتها على الاستيعاب Carrying Capacity وليس من المستبعد ان نجد مدينة لاتزيد قدرتها على أن تستوعب اكثر من مليونى نسمة

ومع ذلك يعيش فيها - بطريقة ما - سبعة او ثمانية ملايين (مدينة القاهرة مثل واضح لهذه الحالة) .

وفى مثل هذه الحالات يمكن ملاحظة اعراض تدهور البيئة فى انتشار الامراض ونقص امداد المياه والكهرباء والصرف الصحى وتدهور الاسكان والمواصلات والمرافق زيادة على التلوث الكيماوى للماء والهواء .. الخ .

وقد وجدت بعض الدول حلا لا بديل له لمشاكل تدهور المدن عن طريق بناء مدن جديدة ومراكز جذب صناعية مخططة جيدا (المثل على ذلك أيضا هو البدء فى بناء عدد من المدن والمجتمعات الجديدة فى مصر لوقف الضغط والتدهور فى المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية) ولكن يجب فى مثل هذه الحالات مواصلة العمل فى خطوط موازية حتى تنجح هذه السياسة وضمن هذه الخطوط - بل ربما كان اهمها - التخطيط الجاد لتحسين ظروف المعيشة فى البيئة الريفية .

● خامسا - الاسكان .

ان مشكلة نقص المساكن وتدهور مستوياتها مشكلة عالمية ، لكنها فى كثير من الدول النامية مشكلة خطيرة للغاية . فهناك نقص ضخم فى المساكن ، والفجوة بين ما هو مطلوب وما يمكن اتاحته تزداد باستمرار كما ان ظروف السكن ابعد ما تكون عن تحقيق الحد الادنى لما يجب أن يكون عليه سكن الانسان ، بل احيانا تكون الظروف غير مناسبة حتى لسكن الحيوان . وللاسف فان هناك اعترافا بأن الحيوان لكى ينتج جيدا فلابد له من سكن مناسب .

ويتم تجاهل تأثير السكن على قدرة الانسان على الانتاج . وسواء فى مدن او فى ريف الدول النامية فان الحالة ابعد ما تكون عن تحقيق الرضى عنها .

وليس هنا مجال التفصيل فى مشاكل الاسكان وعلاقتها بالبيئة ، لكنه قد يكون مناسبا ان نذكر عدة محاور يجب أن تؤخذ

فى الاعتبار عند التخطيط لحل مشاكل الاسكان فى الدول النامية :

١ ـ **التركيز على مواد البناء المتوفرة فى البيئة والرخيصة والتى لا تمثل ضغطا على الموارد الطبيعية . وهنا يتضح دور البحث العلمى فى ايجاد البدائل المناسبة .**

٢ ـ **حتى مع توفير مواد بناء تحقق الشروط المطلوبة فان الخطوة الاولى يجب ملائمة لظروف البيئة .**

ان تكون رفض تلك القيم السقيمة التى تعتبر السقف المصنوع من الالومنيوم او من الحديد والاسمنت هو دليل على التحضر او الرقى حتى فى المناطق الفقيرة . واحيانا تكون معظم هذه المواد مستوردة باسعار عالية جدا وقد لا تناسب المناخ السائد . وهذا هو مجرد مظهر من مظاهر التسليم الاعمى بمزايا التكنولوجيا المستوردة .

٣ ـ **تطوير عملية التشييد نفسها بالعودة الى الاساليب التقليدية فى البناء ودراستها وتحليلها واختيار الافضل ما فيها من عناصر وافكار . وليس ذلك دعوة الى التصلب فى الحفاظ على الاساليب التقليدية ايا كانت . بل معناه ان دراسة الاساليب التقليدية واستيعاب مميزاتها وعيوبها هى الطريق السليم لاكتشاف وابتكار اساليب جديدة تحافظ على المميزات وتتخلص من العيوب وتكون ملائمة لظروف البيئة .**

٤ ـ **ضرورة تكامل الاعتبارات البيئية والاجتماعية فى التخطيط العمرانى للمدن وغيرها من مناطق التوطن البشرى .**

وفى دول كثيرة فان كل ميزانية الدولة لا تكفى لبناء مساكن جديدة للعدد المتزايد سنويا بالطريقة التى يتم بها بناء المساكن حاليا .

ويمكن ان اضرب مثلا بحجم المشكلة فى مصر والمنهج الذى يجب اتباعه عند تقييمها . وقد لا تكون الارقام المستعملة دقيقة لكنى افترضها لمجرد التوضيح واعتقد انها قريبة من الصحة . لنفرض ان الزيادة السنوية فى عدد السكان مليون نسمة ولنفرض ان كل خمسة افراد يحتاجون الى وحدة سكنية . ولن نبالغ فى مواصفات السكن بل نكتفى بافتراض ان الوحدة السكنية المطلوبة تكونة من حجرتين وصالة . نفرض ان تكاليف هذه الوحدة خمسة آلاف جنيه . اذن فان المبلغ المطلوب لاقامة مساكن جديدة سنويا هو مليار من الجنيهات ، اى الف مليون جنيه (٢٠٠ الف وحدة سكنية مضروبة فى خمسة آلاف جنيه) . وهذا الرقم بالطبع معرض للزيادة ، لاننا ناخذ فى اعتبارنا حساب المنازل التى تنهار ، ولم نحسب ما هو لازم لسكان هذه المنازل من مرافق وخدمات ، مثل مبانى المدارس والمستشفيات والمساجد والجمعيات التعاونية والطرق والاسواق وحتى نصل الى المدافن فى آخر القائمة .. وبالطبع فان امكانيات مصر ـ مثلها مثل اى دولة نامية ليست مشاكل المساكن الا جزء من مشاكلها ـ لاتستطيع ان تفى بمثل هذه المبالغ . وحتى لو افترضنا ربع هذه المبالغ فقط ، فان الامل فى الحل ضعيف للغاية . والحل بالتاكيد ليس سهلا ما لم يكن التفكير فيه يتسم بقدر كبير من الثورية الحقيقية وقدر اكبر من الخيال والابتكار .

وبعد ، فالتكنولوجيا التى يمكن ان تساهم فى حل كثير من المشاكل وترفع بذلك معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ـ هذه التكنولوجيا يمكنها ايضا ان تساهم فى خلق كثير من المشاكل التى لم تكن معروفة من قبل . وما لم نواجه كل الاساليب التكنولوجية المتقدمة بالنقد والفحص والاختيار ، وما لم نكن قادرين على بناء تكنولوجية خاصة بنا فلن نستطيع اختيار التكنولوجيا الملائمة .

وفى هذه الحالة فاننا بدلا من ان ندفع بمعدلات التنمية الى الامام فاننا نواجه بكثير من المشاكل الجديدة التى خلقتها لنا التكنولوجيا الخاطئة غير الملائمة ، وتتعثر خطط التنمية او تسير بخطوات بطيئة للغاية ، او تكون على حساب المحافظة على البيئة .

●●

مالك بن نبي

وتقنين الحضارة الإسلامية

ابراهيم عوض

● هو امتداد لابن خلدون في البحث عن القوانين التي تحكم حركة التاريخ .

● وهو مفكر صناعته الافكار وتحليل الثقافة الى عناصرها .

ان هذا المفكر الكبير مغرم بالبحث عن القانون فهو يظل يحلل الفكرة الى عناصرها البسيطة ، ويبدأ في البحث عن القانون الذى يحكمها أو الذى يخيل اليه أنه يحكمها ..

لاشك ان هناك مفكرين مسلمين كبارا آخرين غير مالك بن نبي ، لكن الذى يميزه هو انه يفرز الخيوط عن بعضها البعض ، حتى يصل الى الخيط الاساسى الذى يمسك كل هذه الخيوط .. انه كاتب صاحي العقل وهو يطلب من القارىء ان يكون هو الآخر صاحي العقل ، وربما كانت كتاباته مرهقة احيانا ، لكنه الارهاق اللذيذ . وليس في هذا غرابة ، فمن الحزن ما هو حزن عذب ، وكذلك من الارهاق ما يكون لذيذا .

ان من المفهوم جدا ان نجد الفيزيائى او الكيميائى أو البيولوجى يلاحظ ويجرب بحثا عن القانون ، بينما يكون غريبا الى حد ما أن نرى عالم اجتماع أو تاريخ مثلا يفعل ذلك ، وأشد منه غرابة أن يأتى مفكر يدرس مشكلات الحضارة ـ عموما فضلا عن أن تكون مشكلات حضارة معينة ـ فيجعل همه أن يجد الفكرة ..

واذكر انني انتبهت لهذه الملاحظة منذ أول القوانين التي تحكمها .. وأول



مالك بن نبي

كتاب قرأته لمالك بن نبي ، وهو الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، وقد اهتممت بالرجل منذ ذلك الحين، وأصبحت حريصا على قراءة ما يقابلني من كتبه . بل على البحث المتعمد عنها ، وبخاصة كتاب مثل « الظاهرة القرآنية » أو « مذكرات شاهد القرن » .

ان من المسميات التي يطلقونها على عصرنا هذا اسم عصر العلم ، وعصر العلم يعني عصر البحث عن القوانين واستخدام هذه القوانين سلبا وايجابا .. والاستعمار قد استطاع تطويع القوانين التي اكتشفت حتى الآن في معاركه ضدنا ، كما استطاع ان يكسب المعركة في جولات كثيرة — لأنه يعرف القانون في الوقت الذي كنا نحن نجهله فيه ، أو كنا — على احسن تقدير نعرفه — ولكننا نغفل عن استخدامه ، أو تمنعنا ارادتنا الواهنة وقتئذ من ذلك ..

ولعل مالك بن نبي — في حدود علمي — هو الكاتب العربي الذي يحاول الآن ان يقنن سر الحضارة الاسلامية ومشكلات المجتمع الاسلامي ، وكذلك النشاط الاستعماري المعادي للاسلام .

يقول مثلا في كتابه « الصراع الفكري في البلاد المستعمرة : اننا نعلم ان الترسانة الاستعمارية التي تمد سلاح الصراع الفكري ، مزودة بمختلف انواع القذائف ، ولكننا نريد وصف نوع خاص منها ، يمكن أن نقول ان مكتشفه هو العالم الروسي بفلوف ، اكتشفه حينما قعد — على ضوء تجاربه المشهورة — علم النفس التجريبي الذي يهتم بدراسة رد الفعل المنعكس . فالقصة نفسها « يقصد قصة كتاب صدر له فأحدث ردود فعل معينة عند كتاب ذوي اتجاهات مختلفة » تدخل في نطاق الاسلوب العلمي الذي يتبعه الاستعمار في الصراع الفكري وتعطينا فكرة عامة أو مقدمة عن كيفية استخدام بعض قواعد علم النفس في هذا الصراع .

والطريقة في ذاتها — « أى طريقة محاربة الاستعمار لفكرة ما — » تتسم ببساطة ملحوظة حيث انها تمثل في صورتها النظرية ما يمكن أن نسميه « مرآة الكف » أى المرآة التي تعكس على شيء معين بعض الايحاءات السلبية التي تحدث في النفس التي تنعكس عليها حالة الحرمان او حالة نفور ازاء الشيء الموضوع للانعكاس ..

والصورة النظرية لهذه المرآة تكون على النحو التالي :

مرآة الكف
مصباح نفسي عاكس
موضوع الانعكاس
مصباح نفسي عاكس
مصباح نفسي عاكس

وهذا التخطيط يطبق على علم النفس قاعدة نظرية بسيطة : اننا نعرف ان صورة الشيء تتغير حسب الاضواء التى تسلط عليه ، وتطبق هذه القاعدة فى فن التنوير بالخصوص فى المتاحف حيث نريد عرض بعض الاشياء فى ضوء خاص .. الخ .

ومالك بن نبي يعد امتدادا لابن خلدون المفكر المسلم العظيم ، فهو أيضا كان يبحث عن القوانين التى تحكم حركة التاريخ . ومن الطريف ان كليهما مسلم مغربى ، وان كليهما كان له نوع اتصال بالسياسة ، فاما ابن خلدون فقد تبوأ بعض المناصب السياسية . واما ابن نبى فقد لفحه شواظها حين كان طالبا يدرس فى فرنسا الهندسة والميكانيكا وحين اصبح مفكرا يكتب ويحاضر ويذيع الافكار .

كذلك فان ابن نبى ينتبه لقيمة ابن خلدون الفكرية .. انه يعده آخر عبقرية فى المرحلة الثانية من تاريخ الحضارة الاسلامية ، وهو يعدها مرحلة العقل ، ويقول : بدا العلم فى تلك الحقبة ينتشر بفضل اساتذة سطعت اسماؤهم فى جو المعرفة كالفارابى ، وابن سينا ، وابن الوفاء ، وابن رشد .. الى ابن خلدون الذى اضاءت عبقريته غروب الحضارة الاسلامية فى نهايتها ..

وفى موضع آخر يقول:أما ابن خلدون فقد تمكن من قبل من اكتشاف منطق التاريخ فى مجرى احداثه ، فكان بهذا المؤرخ الاول الذى قام بالبحث عن هذا المنطق ، اذا لم نقل انه قد قام بصياغته فعلا ..

وهذه النزعة العلمية القانونية تبدو فى كل ما كتب مالك بن نبى ، سواء تناول ظاهرة الوحى ، أو علم الاقتصاد ، او فلسفة التاريخ ، او تعريف الثقافة . لناخذ مثلا كتاب « الظاهرة القرآنية » ففيه فصل بعنوان « الحركة النبوية » يحلل فيه معنى النبوة ، ويستخلص الخصائص التي تميزها ، والتى يمكننا ان نفرق على أساسها بين النبوةالصحيحة والنبوة المدعاة .. وهو يقدم المقاييس المختلفة للدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالنسبة للرسول نفسه اولا ، ثم بالنسبة لنا نحن بعد ذلك ، فهذا مقياس ظاهرى ، وهو مقياس عقلى، وهذا مقياس موضوعى .. الخ . فلننظر لقد حاول المفكر المسلم فى ذلك الكتاب أن يقترب من الوحى ، بل ان يحلله بطريقة علمية اعتمد فيها على علوم النفس والتاريخ والاجتماع والبلاغة ومقارنات الاديان ، ولمحات من العلم الطبيعى .. وقفه لابد منها ...

ومالك بن نبي حين يقنن مسيرة الحضارة الاسلامية فى صعودها وهبوطها وانبعاثها ، فانه يعتمد على قوانين العلوم الطبيعية ، و ـ من العلوم الانسانية ـ على علمى النفس والاجتماع بخاصة .. قد يستشهد بجزء من آية فيكشف عن كثير كان غامضا فيه .

***

والسخرية عنصر فعال فى كتابات مالك بن نبى ...

يقول : « ومما لاشك فيه ان الافكار يقصد الافكار الميتة ـ لم تولد فى باريس أو فى لندن فى مدرجات السربون أو اكسفورد ، انما نشأت فى فارس ، وفى الجزائر ،وفى تونس ،وفى القاهرة: لقد ولدت تحت مآذن القرويين ومسجد الزيتونة ، والازهر ، طوال عصور مابعد التحضر .. وطالما انه لم يتم القضاء عليها بنظام منهجى ، فهى تمثل الفيروس الوراثى الذى ينسف الكيان الاسلامى من اعماقه بتخدير حوافزه الدفاعية ... وينبغى نقل فكر « باستير » وأساليبه العلمية الى المجال التربوى لاكتشاف موطن الظاهرة المرضية فىالثقافة الحديثة للعالم الاسلامى ، والا فان الافكار الميتة ستواصل عملها ـ فى المجال الاجتماعى والسياسى ، كما حدث فى عهود سابقة .

ومما تجدر ملاحظته ان لمالك بن نبى مصطلحاته الخاصة ، وتسمياته وأوصافه المميزة ، فمثلا يقول عمل الاستعمار لصرف عقولنا عن المفيد ، وتجميع عواطفنا واثارتها وتوجيهها نحو مالايفيد .. انه يقوم بعمل « دمل تصفية ويصف



امتداد لابن خلدون في البحث عن القوانين التي تحكم صناعة التاريخ

الشخص الخرب الضمير الذى يشتريه الاستعمار بالمال لخدمة مآربه الدنيئة بأن فى ضميره شقا كفتحة صندوق يسقط فيها الاستعمار فلوسه !

وهو يكثر من تشبيه الانسان ، وما يتصل به من عمليات نفسية وعقلية بالمكنة ..

على ان لنا وقفة لابد منها ، اذ ان مالك بن نبى فى غرامه بالبحث عن القانون الذى يحكم سير الحضارة الاسلامية وصياغته – ربما ينسى ان هذه القوانين غير حتمية بل ان من الممكن الا تكون صحيحة اصلا، فليس للقانون فى العلوم الانسانية – وبخاصة فى فلسفة الحضارة – هذه الحتمية التى نعرفها فى العلوم الطبيعية، ومن ثم فان من الافضل الا يجزم الدارس حتى لو كان عقلا فذا كمالك بن نبى ، بما يستنبطه من قوانين ..

وأنا رغم اعجابى الشديد بما يكتبه هذا الرجل لا أمنك نفسى من نسمات من التشاؤم تهب على حين ابحدم يحدد المسار التاريخى لحضارتنا ماضيا ومستقبلا ، تحديدا صارما ،فأجد الامر صعبا والحيلة قليلة ، وبخاصة حين أراه مصورا الاستعمار كانه يعرف كل شىء ويقدر على كل شىء .. لكنى اقول ان الاستعمار هو منا نحن البشر ، وفيه ضعفنا ... صحيح انه يقول كلاما مثل هذا ، لكنى للاسف أجد موضعه فى آخر الفصل ، وكان ينبغى أن يكون هذا الكلام فى تضاعيفه وان يتكرر اكثر من مرة ..

انه اذا كان يعاب على كثير من المسلمين فى عصور التدهور احالتهم كلا شىء على ارادة القدر التى كانوا يظنونها غامضة ولا يعرف من مقصدها ولا عن اسلوبها شىء ، فان مما يجب أن نحذر منه الآن أن نبالغ فى أهمية القانون فى مجال الارادة الانسانية ، والا خرجنا من حتمية الى حتمية ولا فرق حينئذ ان كانت الاولى هى حتمية الغباء والثانية حتمية الاذكياء .. فحيث يكون الايمان بالحتمية يذيع التشاؤم ويمكن أن يقع الانسان معه فى براثن اليأس ..

انحن اكتشفنا كل قوانين الكون ؟

انحن نستطيع أن نجزم بصحة كل ما اكتشفناه منها ؟

ومن ثم أرى الا داعى للتفصيل الشديد فى ما نظن ، وقد يكون الظن صحيحا ، انه القوانين التى تحكم مسار التاريخ البشرى ، والا فلماذا تختلف حولها الآراء والنظريات – ان العلم ومعرفة القانون لعلى قدر بالغ من الاهمية ولكن ينبغى الا نغفل عن ان الارادة البشرية بطبيعتها تسمو فوق القوانين ، وحيث تكون الارادة البشرية فان من المستحيل أن نستطيع الجزم بما سيحدث على وجه الدقة ..

ومالك بن نبى نفسه لا يغيب عنه هذا بالطبع ، وهو يذكر هذا احيانا صراحة ، ولكنى أجد نفسى عادة قريبا من التشاؤم حين أقرأ ما يكتب ، ومن يدرى فربما كان ذلك لاننا تعودنا ان نقرأ عند مفكرينا المعاصرين الآخرين الكتابات المضيئة التى تبعث على التفاؤل وان لم تقم على أساس علمى .

ومع هذا فلا مانع ان نقرأ هذه الفقرة ، يقول : وهكذا نرى هذه الفكرة فكرة تحريم الخمر – قد فشلت فشلا

ذريعا في القيام بدورها الاجتماعي داخل المجتمع الامريكي الذي اخترع اكثر الاساليب فعالية لنشر افكاره والدعاية لآلاته ، والذي يستند بوجه عام في قراراته التشريعية على ادق الاحصائيات ثم يخضعها لادق مراقبة علمية عند التطبيق .. بينما احتفظت هذه الفكرة بقدرتها النسبية على التكيف في المجتمع الاسلامي الذي لم تعد تتوفر لديه - لمواجهة انحراف طاقته الحيوية - سوى ادارة افراده وعزيمتهم لممارسة الضغط الاجتماعي المطلوب ..

أليس يعني هذا ان للعلم باحصاءاته وقوانينه وآلاته امام الارادة البشرية حدودا ؟!

على انه ليس معنى هذا انني اريد الانتقاص من قيمة ما يكتب ذلك المفكر الكبير ، ابدا .. فانا برغم ذلك اعجب به اعجابا كبيرا .. اني احس كلما قرأته ان عقلي ينشط وتتفشى فيه افكار اشعر بها كائنات حية تتحرك داخل مخي ، ولا عجب فهذا الرجل قد جعل صناعته توضيح الافكار وتحليل الثقافة الى عناصرها .. وهو في كل ما يكتب تقريبا يهدف الى ان تحل الفكرة في ضمير المسلم المعاصر محل الشيء او الشخص ، وهو دائم التقليب للفكرة والتوليد منها ، فالفكرة عنده فكرة متجسدة وفكرة مجردة ، وفكرة حية وفكرة ميتة ، وفكرة قاتلة ! .

وهذا الاهتمام بالفكرة انما هو نابع من الاسلام .. اننا نرى فعلا كيف بدا المناخ العقلي الجديد يتكون منذ بداية الوحي ، فبينما ينفتح كتاب العهد القديم منذ السطر الاول في سفر التكوين على عالم الظاهرات المادية ، وينفتح كتاب العهد الجديد في انجيل يوحنا على عملية التجسيد - ينفتح القرآن على الجانب العقلي .. : اقرأ ..

((اقرأ باسم ربك)) هذه هي الكلمة الاولى التي تفتح اليها اول ضمير اسلامي ضمير محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وينفتح لها بعده كل ضمير مسلم .

هذه هي ملامح الصحوة العقلية التي تلقانا عند مالك بن نبي فتشدنا اليه ..

ان مالك بن نبي كاتب متحمس ، ولكن حماسته تتسرب في ثنايا الفكرة وبين السطور .. انه يود لو استطاع أن يحرك أفكار المسلمين ويدفع ارادتهم للعمل ، ولكنه يترجم هذه الحماسة الى تحليل ماضي المسلمين وحاضرهم ومحاولة رسم صورة لمستقبل نشيط رغيد ..

وفي كل ما كتب مالك ، يتبين ما أذهب اليه ، ففيه الحماسة الشديدة لكنها الحماسة العاقلة التي تحلل المشكلة وتحرك الفكر وتأخذ بيده الى خطة تنفيذية لمعالجتها .. انها حماسة لا تبكي ، ولا تستدر الدموع ، ولكنها حماسة ملجمة فيها المثالية والواقعية معا

وهذه النزعة العملية هي التي ربما تحمله لان يطيل النصوص المنقولة من الآخرين ، ولا يطنب في توضيح الامثلة .. بل انه في أوقات كثيرة تصير الحوادث والمواقف التي يحكيها من غير أن يذكر اسماء أبطالها ، اذ لم يكن هناك داع لهذا الفضول ، لا الى اشباع الفضول قصد ، ولكن الى تفتيق العقول ، وتحريك الافكار وايقاظ الروح ..

وقد يكون مرتبطا بهذا انه لا يكثر من الاستشهاد بالآيات والاحاديث ، فقد يستشهد بجزء من آية ، ولكنه يضعه في سياق يكشف عن كثير كان خافيا فيه وهو قد يلخص أحيانا حديثا طويلا يجعل همه ان يستنبط منه دلالاته الحضارية والنفسية والاجتماعية .. ولعله يقول لنفسه : إن القرآن الكريم موجود وكذلك الحديث الشريف ، وليس المهم هنا هو كثرة ترديدها ، انما المهم أن نفهمها ونتعرف على أبعادها .. وقليل مفهوم ، خير من كثير يردده المرء كما لو كان شريطا من أشرطة الحاكي ..

أو لعل السبب انّ عنده فكرة يريد أن يعرضها في كتاب فلا يأخذ من القرآن الكريم الا ما يمس فكرته ..

● عقلية نقدية وخلاقة ●

وهذا يأخذنا الى خصيصة أخرى ، هي



● النزعة العلمية القانونية تبدو في كل ما كتب مالك بن نبي.

نه رغم قراءاته الكثيرة المتنوعة العميقة لا يغرق في بحرها .. فانه صاحب عقل نقدي .. وفضلا عن ذلك فهو عقل يجيد التحليل والتركيب والخلق ايما اجادة .

لنأخذ مثلا مشكلة الثقافة ولنفتحه على الفصل الاول ، ونقرأ الثقافة والاجتماع ، فسنجده يعرض تعريفات المدارس والفلسفات المختلفة للثقافة ، ولكنه يبين وجه القصور في كل منها ، وفي النهاية يقدم هو تعريفه من عنده يعتمد عليه في التطبيق وفي توليد الافكار الفرعية في سائر فصول الكتاب ..

وهذه الخصيصة تأخذ شكلا آخر موجودا في معظم كتبه ، اذ هي عبارة عن فكرة رئيسية واحدة بسيطة ، لكنه يفرعها الى افكار صغرى ويقدم تطبيقاتها في المجالات المختلفة .

وبعد ذلك كله هناك عنصر في كتابة مالك بن نبي على قدر كبير من الفعالية ذلك هو عنصر السخرية .. غير ان كثيرا من الكتاب لديهم هذا العنصر ، فنحن اذن لم نلحظ شيئا ذا بال اذا اكتفينا بذكر هذا العنصر لديه ، فلابد اذن من تحديده ، ومعرفة مذاقه الخاص ..

ان سخرية العقاد مثلا ، هي سخرية الشديد الاعتزاز بنفسه المستخف الذي يريد ان يحطم الخصوم ، بينما سخرية ابن نبي هي سخرية من يريد ان يحطم الافكار .. لسان حال العقاد يقول : « لابد ان أقضي على الخصوم وعلى افكارهم معا ، فهو يسلط عليهم منطقه الجبار ، وعقله المحاصر كفرس امرىء القيس « قيد الاوابد هيكل » !

أما مالك بن نبي فلعله يقول : فليبق الخصوم لكن مفلولي السلاح ، باديا عوار فكرهم .. يقول : « انتهى بنا المطاف في تحديد معنى الثقافة الى نظريات عرجاء حجل ولا تستطيع المشي ، ولقد يحدث ان ينتهي المطاف الى معارك بين المدارس المختلفة تحاول فيها النظرية التي تعرج بيمينها أن تزدري قرينتها التي تعرج بيسراها ، وهكذا .. »

ويقول عن القضايا التي تضيع فيها وقتنا بينما هي لا تفيدنا شيئا بل تضرنا : ان مما يذكر من اهل بيزنطة انهم كانوا يتجادلون في جنس الملائكة هم ذكور ام اناث ؟ ونحن اذا ما تورطنا في الميتافيزيقا يمكننا ان نتجادل في جنس الاستعمار هل هو رجل ام انثى ؟»

ولو ان هذا واقع فانني على يقين من أن الاستعمار سوف يريها انه رجل في مرة وانثى في مرة أخرى ، ثم يتركنا في غينا هائمين .. وربما تنشأ عندنا مدرستان ، ويظهر في هذا الامر مذهبان ، وسوف يسعى الاستعمار من بعد ذلك حتى يقر في اذهان كل من الطائفتين ان كل من لا يشارك في هذا الجدال وتلك المشاجرة خائن ، وكل من لا يقول ان الاستعمار انثى أو ذكر يصبح في نظر المذهبين مرتدا خائنا ! » .

حتى التهكم تهكم على الفكرة وهو تهكم ملجم ، يفرغ حماسته في الفكرة والاسلوب الفني وفي ترجمته الذاتية الرائعة « مذكرات شاهد القرن » ..

التحاليل ...

تغزو كل الميادين في خدمة صحتك

التحمت التحاليل ميدان الطب خلال السنوات الاخيرة بصفة خاصة ...

ومن دلائل اهمية التحاليل انها لا ترتبط فقط بالمراحل المرضية فى حياة الانسان ، ولكنها تعتبر ايضا بمثابة المؤشر او الضوء الاخضر للتعرف على بعض الامراض المقنعة والكامنة قبل ان تستفحل خطورتها ...

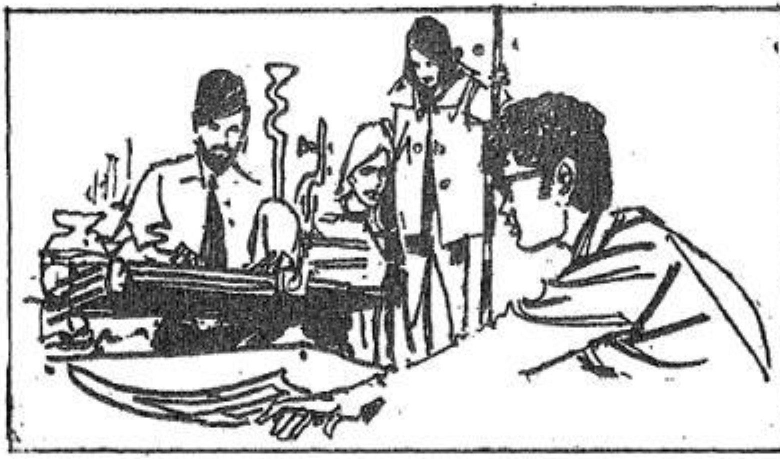
ولقد تقدمت التحاليل ايضا فى مجال زرع الاعضاء ، واصبحت الآن العامل الحاسم الذى يؤكد الاطباء وفقا لنتائجه امكانية زرع الاعضاء ومدى قابلية الجسم لاستقبالها او رفضها ...

كذلك فان التحاليل تعتبر الميزان الحساس الذى يساعد الطبيب على تحديد جرعات العلاج وتقييم مدى فاعليته وفقا لتاثيره على الجسم الذى يتضح من خلال التحاليل .

تقول الدكتورة مؤمنة عبد الوهاب كامل أستاذ مساعد التحاليل وامراض الدم بطب قصر العينى :

فى الماضى كان هناك اعتقاد بان نقل الدم غير مفيد بالنسبة لهؤلاء المرضى الذين سيتم زرع كلية جديدة لهم لانه يعرض المريض للاصابة بالفيروسات والالتهاب الكبدى الوبائى ، ويعرضه لتكوين أجسام مضادة تساعد على رفض الكلى المزروعة ... لكننا قمنا باجراء بحث مشترك مع الدكتور رشاد برسوم ، على اثر نقل الدم فى علاج او تكييف مريض الفشل الكلوى الذى ستزرع له الكلى ، وتمكننا من خلاله اثبات عكس هذه النتائج السابقة اللذين يؤهلون لزرع الكلى .

لان المريض بصفة خاصة ، يأتى دائما فى حالات متأخرة ... وبعض المرضى يكونوا مصابين « بالانيميا » فنحتاج لاعطائهم نقل دم ، ولكن بعد متابعة الحالة بعد عملية نقل الدم ، وجدنا أن الاجسام المضادة تختفى ، ومع



اختفاء هذه الاجسام المضادة وبعد شهرين لا تتكون اجسام جديدة ...

ولذلك فاننا بعد حقن المريض بالدم كنا نقوم باعداد مزارع للخلايا الليمفاوية حتى نتأكد من عدم حدوث رفض للكلى المعطاة والمريض المستقبل.

بعد التأكد من عدم وجود الرفض يتم اجراء عملية زرع الكلى والتى اتضح بعد اجرائها أن لدينا مرضى يستفيدون بالفعل من زرع الكلى ، ولو كانت التحاليل وعمليات نقل الدم قد اجريت لهم على الاسلوب القديم وقبل اعداد هذا البحث فانه لم يكن من المتيسر زرع الكلى لهم ..

ولكن هناك بالطبع مواصفات معينة وشروطا لابد من توافرها قبل الاقدام على عملية زرع الكلى ، فلابد من التأكد أن وظائف الكلى سليمة لدى «المتطوع» وذلك باجراء تحليل البولينا والتأكد من سلامة وظائف الكبد بنسبة ١٠٠٪ بتحليل نسبة الهيموجلوبين فى الدم ، والانزيمات الكبدية والتأكد من عدم حمل المعطى « المتبرع » لفيروس الالتهاب الكبدى ، مع اجراء تحليل البول الكامل وذلك للتأكد من عدم وجود البلهارسيا او الاملاح ، واجراء الاشعة للتأكد من سلامة وظائف الكلى وعدم وجود حصوات بها ، أو مرض مثل بلهارسيا المثانة الذى يسبب التلكس » بالاضافة الى اجراء اشعة على الصدر والقلب .

ولكن الاهم من ذلك كله ، كما تؤكد الدكتورة مؤمنة عبد الوهاب كامل ، استاذ مساعد التحاليل وامراض الدم الا يصاب « المتطوع »بالضرر ،بمعنى الا تقل كفاءة الكلى والكبد والقلب لديه فى القيام بوظائفها بعد تبرعه بكليته للمريض ، حيث أن الانسان يستطيع الحياة ومواصلتها بكلية واحدة او حتى ربع كلية ، بخلاف الاعضاء الاخرى .

● تجانس الخلايا يمنع الرفض ●

ولابد ايضا ان تكون كرات الدم الحمراء مطابقة لنوعية فصائل دم الشخص الذى ستزرع فيه الكلى كما يشترط ايضا تطابق تبرير الانسجة وخلوها من الاجسام المضادة

وفى حالات زرع الكلى يؤكد الاطباء ان ذوى القرابة من الدرجة الاولى للمريض هم افضل المتبرعين ، وذلك لضمان تجانس الخلايا وايضا الدم ، ولكن ذلك ايضا يقتضى اجراء التحاليل المناسبة للتأكد من ذلك طبيا .

ومن المعروف ان اغلب امراض الكلى التى تسبب الفشل الكلوى ترتبط احيانا بالاصابة بامراض اخرى مثل البلهارسيا الروماتزيد ، والذئبة الحمراء ، وهى انواع من الامراض التى تسببها المناعة ولو ان الجهاز المناعى سليم ١٠٠٪ فان المريض فى هذه الحالة لايتعرض للاصابة ، بمعنى ان

هنالك بعض الاشخاص يكون لديهم الاستعداد لتكوين اجسام مضادة ضد انفسهم وهؤلاء تجرى لهم التحاليل لاكتشاف الاجسام المضادة للروماتريد وتحليل (ال ـ اى) لاكتشاف خلايا « ال ايه »

اما بالنسبة للاجسام المضادة ضد نواة الخلية ، فاننا نجرى للمريض تحاليل الترسيب بالعد ، وزيادة الهيموجلوبنيات فى الدم لاكتشاف وجود بعض الاجسام المضادة التى قد تتواجد على نفس الخلايا فى نفس الجسم ويمكن تحديدها باستخدام الميكروسكوب الفلورسنت حيث انها تتواجد وتتكون على الكبد او الكلى.

وهناك ايضا نتائج تثبت أن بعض فصائل الانسجة تسير فى بعض العائلات .

وفى حالة وجود التطابق بين الانسجة ، وعدم وجود اجسام مضادة يصل نجاح زرع الكلى الى نسبة ٩٠٪ مع مساعدة المريض ببعض الادوية التى تساعد على التحكم فى الطرد البطيء وفى هذه الحالة لايتعرض المريض لمضاعفات .

اما عن المضاعفات التى قد يتعرض لها المريض بعد زرع الكلى فانها تنحصر فى رفض الكلى المزروعة « الطرد » والاصابة بالعدوى ، لان مناعته تكون منخفضة وبذلك يصبح معرضا للاصابة بأى عدوى فى الشارع كما يتعرض البعض من هؤلاء المرضى احيانا للاصابة بالفطريات التى تصيب الجلد عند الاصابة بأى جرح ولذلك فان صاحب الكلى المزروعة لابد وان يسير على نظام غذائى معين ، مع مراعاة عدم الاسراع الى ممارسة حياته اليومية والعادية ، وعدم الاختلاط بالناس الا بعد مرور فترة معينه حتى لايتعرض للاصابة بالعدوى .

ويلعب العامل النفسى ايضا دورا هاما فى الحفاظ على كفاءة استمرار الكلى فى اداء وظيفتها . لان نجاح زرع الكلى يؤدى الى رفع الروح المعنوية للمريض وتحسن حالته النفسية لانه يعيد اليه جميع الوظائف الفسيولوجية للجسم .

فهنالك حالات استعادت فيها المراة بعد زرع الكلى انتظام الدورة الشهرية « الطمث » من جديد بعد انقطاعها .

وهنالك حالات من العقم تم فيها حدوث الحمل بعد زرع الكلى .

كما ان بعض الرجال استعادوا قدرتهم الجنسية وكفاءتهم فى الاخصاب بعد فقدانها واستطاعوا الزواج والانجاب بعد اجراء عملية زرع الكلى . ولكن المريض لابد ان يحافظ على كفاءته النفسية والا يصاب بالاكتئاب بعد حدوث اى خلل فى وظائف الكلى بعد عملية زرع الكلى ، بل يبادر الى زيارة الطبيب المختص فورا ولابد من المواظبة على المتابعة الدورية مع الطبيب المعالج حتى ولو من اجل الاستشارة البسيطة لان ذلك يعطى الفرصة للطبيب لاكتشاف الخلل مبكرا بحيث يمكن التحكم فيه ومعالجة اسبابة وذلك مثل حدوث الرعشة ، او الحرارة ، او الشعور بصداع ، او الام فى المفاصل ، او وجود الزلال او الشعور بالام فى نفس منطقة الجراحة بعد عملية زرع الكلى وذلك للتدخل والتحكم فى درجة وجرعة العلاج ولاسيما الكورتيزون .

اما بالنسبة للكلى الصناعية فانها تستخدم لجميع مرضى حالات الفشل الكلوى ، ماعدا كبار السن الذين تجاوزوا سن ال ٦٠ سنة فأكثر ، لان الاوردة والشرايين لديهم تكون فى حالة لاتمكنها من التحمل .

ولكن هذا النوع من العلاج باهظ التكاليف ، ولابد للمرضى ايضا من اتباع نظام خاص للغذاء فى مثل هذه الحالات ، واجراء الغسيل مرتين او ثلاثة مرات فى الاسبوع وذلك طبقا لنسبة البولينا ، ودرجة كفاءة الكلى. علما بأن المريض فى هذه الحالة يمكن



في معمل التحاليل



د اميمة السيد سليم

ان يعود الى ممارسة حياته العادية ولكنه لا يعود الى حياته الفسيولوجية بمعنى أن الانيميا تظل ملازمه ، ولكن القلب يتحسن وكذلك الرئة وجميع وظائف الدورة الدموية .

● **التحاليل تؤمن حياتك** ●

ولكن هل تقتصر اهمية التحاليل على تشخيص الامر فقط ؟

وهل تعد عاملا فعالا في علاج المرض فقط ام انها ضرورية ايضا بالنسبة للاصحاء ؟

تقول الدكتورة أميمه السيد سليم استاذ التحاليل بطب عين شمس .. انالتحاليل ليست هامة فقط بالنسبة للشخص المريض ، ولكنها ايضا تفيد الشخص السليم في التشخيص المبكر للعديد من الامراض .. وعلى سبيل المثال ، قبل الزواج لابد من اجراء التحاليل لعامل آل « الار . اتش في للتأكد من مقارنته في فصائل دم الزوجين ، لان الاختلاف بينهما مابين موجب وسالب في هذا العامل بالذات يؤدى الى ولادة جنين مصاب بالصفراء ومبستر علما بأنه قد امكن الآن اعطاء الزوجة الحامل حقنة معينة لانقاذ الجنين من هذه المضاعفات ..

وهناك أيضا بعض الامراض الوراثية الناتجة عن وجود الهيموجلوبينات المغايرة والتى تؤدى الى الاصابة بالانيميا الناتجة عن تكسير الدم ، وهذه يمكن تفاديها بالامتناع عن زواج الاقارب ، لان ذلك يؤدى الى ولادة الطفل مشوها ، خاصة اذا توافرت هذه الاصابة في الوالدين معا ..

ولابد للسيدة الحامل ايضا ان تقوم باجراء التحاليل لاكتشاف وجود الزلال او الانيميا ، ولتفادى تشوهات الجنين بعلاج هذه الامراض ان وجدت مبكرا وفى التوقيت المناسب ..

كما ان الشخص العادى **والسليم** لابد **ان يمر** ايضا على **معامل التحاليل قبل اجراء** اى عملية **جراحية وذلك لعمل الاختبار** الدورى **للبول ، والبراز والدم لان وجود** السكر **على سبيل** المثال يصيب المريض **بمضاعفات بعد اجراء العملية الجراحية ، ولذلك فانه بمجرد اكتشاف السكر يتم علاجه** فورا قبل اجراء الجراحة **وذلك لتلافى المضاعفات وحتى لايعوق التئام الجرح**

وقبل الالتحاق بالوظائف ايضا لابد للشخص السليم ان يقوم باجراء اختبارات وتحاليل وظائف الكبد والكلى وكل وظائف اعضاء الجسم الاخرى ، حتى يتفادى بذلك الالتحاق بعمل قد لايناسب امكانياته الصحية والجسمانية ..

كما ان هذه الاختبارات والتحاليل يتم اجراؤها ايضا قبل القيام بالتامين على الحياة .

وتعتمد الفحوص الطبية الحديثة اساسا علىالتحاليل والاشعة لتشخيص

الامراض وابداء الرأى القاطع فى نوعيتها ثم تحديد العلاج المناسب تبعا لذلك .

والاطباء لايمكنهم الان تشخيص المرض بصفة قاطعة الا بعد اجراء التحاليل الطبية والاشعة للمريض .

وفى مجال العلاج تلعب التحاليل دوراهاما يمثل ٩٠٪ من شفاء المريض فبناء على هذه التحاليل يمكن تحديد الجرعة التى يتعاطاها المريض من الادوية ونوعيتها ، والتعرف على نوع الميكروب ، ونوع المرض الذى يحدد به الطبيب نوع العلاج .

وهناك ايضا متابعة تطورات المرض بالتحاليل ، كما هو الحال بالنسبة لمرض انسداد الشريان التاجى ، الذى يشخص بصفة قاطعة باجراء رسم القلب والتحاليل الطبية ، وخاصة خلال الساعات الاولى من حدوث المرض

● التحاليل .. فى قفص الاتهام !

وكثيرا مايؤكد الاطباء وبشكل قاطع ان نتائج التحاليل مضمونة جدا فى تشخيص المرض وتحديد نوعية العلاج .. اما اذا اختلفت هذه النتائج فانهم يحملون المريض المسئولية .

وتقول الدكتورة أمينة السيد سليم استاذ التحاليل بطب عين وفى العلاج باخذ المريض جرعة من الادوية التى تساعد على سيولة الدم ومن طريق التحاليل يمكن للطبيب تحديد نسبة هذه السيولة فى الدم والتى يتم عن طريقها متابعة المرض .

فى حالات الحمى الروماتيزمية فانه لا يمكن تشخيصها بصفة قاطعة الا باجراء التحاليل الطبية ومتابعة العلاج بتكرار الاختبارات لسرعة الترسيب وغيرها من التحاليل الاخرى وذلك لبيان مدى نشاط وتقدم المرض ودرجة ايجابيته ، ولابد ان تستمر هذه التحاليل ، حيث يتوقف على نتائجها تحديد التوقيت المناسب لمغادرة الطفل للفراش وعودته للمدرسة وذلك حتى لايصاب مرة اخرى بمضاعفات المرض .

وكذلك الامر بالنسبة لاصابات الالتهاب الكبدى الوبائى ، فانه يمكن بالتحاليل التوصل الى التشخيص السليم والدقيق الان الصفراء لها عدة انواع ولا يسهل تشخيصها الا بالتحاليل الطبية وبمتابعتها للتعرف على مدى تقدم المريض نحو الشفاء .

وتوجد الان عدة تحاليل طبية جديدة لتشخيص ونوع الفيروس المؤدى الى الاصابة بهذا المرض وهو « الالتهاب الكبدى الوبائى » .

شمس: انه يمكن زرع جميع الميكروبات على عدة انواع فى « ميديا » مختلفة لزراعة عينات من الغشاء المخاطى المبطن للانف ، او البصاق ، او اللوز او الحلق ، لاكتشاف الديفتيريا مثلا ، او فحص عينة من اى جرح لمعرفة اسباب عدم التئامه بسرعة والعوامل المؤدية الى اعاقة هذا الالتئام .

وبالنسبة لتحاليل الانسجة وحالات امراض الغدد الليمفاوية ، فيمكن تشخيصها باخذ عينة منها وتحليلها لمعرفة اذا ما كان بها درن أو هودجكين او اى نوع اخر من الامراض السرطانية الليمفاوية .

ومن الجدير بالملاحظة ان بعض المرضى قد يتهمون معامل التحاليل وذلك عند الاختلاف فى نتائج التحاليل .. والواقع ان هذا الاختلاف تقع مسئوليته احيانا على المريض ذاته ، وعلى سبيل المثال قد يحضر المريض عينة من البول الذى يريد تحليله فى وعاء زجاجى كان به شراب او مربى او غير ذلك ما قبل .. وبذلك تختلط بقايا هذه المواد مع البول فتظهر النتائج غير صحيحة وبانه سكر فى البول

● تحقيق : منى عوض ●

رسالة حب

حسني محمد ابو عزيش
الأردن

أعز الأماني أن أحبك لك الخطى
فأغندو قريبا منك إذ أنت ماليا
فأنت كياني لو علمت مذهبي
هبيني إذن وصلا يسر فؤاديا
لقد كنت قبل اليوم لا أعرف الهوى
خليا ، طروبا ، ناعم البال ساليا !
فعيناك لو تدرين من حور بها
تذيب الرواسي والقلوب العواتيا !

***

لقد كنت صخرا قاسيا فالنته
فحولتني نهرا من الشوق جاريا ..
فهذا المحيا والشفاه صبابتي
وقد خففت عن منكبي الدواهيا
كلينا بجوء الحب للحب هازجا
دعيني أقول الحظ مني مواتيا !
ذريني أتمم فرحتي وسعادتي
... يولي متى تلذين ، عني شقائيا !

***

لقد كان صعبا في الغرام قياديا
فأصبح سهلا أن أبثك مابيا
لقد دق ناقوس الهوى فأطاح بي
وما أنذا للحب أفتح بابيا ..
سأجرع من هذا الوداد رحيقه
فقم يا حبيبي واسقني الود ساقيا ! ●●

لورانس داريل

والعودة لمصر

محمد عبد الله الشفقى

● فى اكتوبر من عام ١٩٧٧ عاد الروائى والشاعر البريطانى ، لورانس داريل ، الى مصر ، عاد اليها بعد غيبة طولها ٢٨ عاما . ذلك ان آخر زيارة له كانت عام ١٩٥٠ .

لم تكن عودة عابر سبيل يمر بالقاهرة قادما من مكان فى طريقه الى مكان آخر .. لم تكن ايضا عودة سائح اعجبته مصر فلم يمانع فى زيارتها مرة اخرى ، وانما كانت لاسترجاع سنوات عاشها فى مصر ، وبخاصة فى الاسكندرية ، سنوات الحرب العالمية الثانية ، حين كان داريل ملحقا صحفيا بالسفارة البريطانية ، مقره الاسكندرية .

هكذا عاش أيام الحرب العصيبة ، أيام هتلر والمحور ، أيام روميل ومونتجومرى .. ولم يكن مجرد بريطانى من بين آلاف البريطانيين الذين تواجدوا فى مصر للعمل ، أو التدريس ، أو الاحتلال ، كان فنانا (ولا يزال) . عاش سنواته المصرية ضاربا فى شوارع القاهرة أو الاسكندرية ، (لم يعرف الريف آنذاك وانما عرفه عام ١٩٧٧ فقط كما اعترف فى مقال له ظهر فى شهر يونية عام ١٩٧٨) .

عاش مستطلعا ، مستمتعا بأيامه ، متصعلكا فى دروبها ، عاقدا أواصر الالفة مع مصريين (وان كانت الفته مع أبناء وبنات الجاليات الاخرى أكثر وأعمق ، وبخاصة الجالية اليونانية ، فاليونان هى حبه الكبير) متعرفا على بعض آدابها (وبخاصة الشعر) ، قارئا لبعض المتصوفة (جلال الدين الرومى ورائعته « المثنوى ») ،متفحصا للتاريخ الفرعونى المفضى الى التاريخ اليونانى ، محاولا رؤية تلك الحضارات ككل لا يتجزأ ، كل لا تفصله قارات ، فربما كان العالم قارة واحدة تفتتت ـ وأسفاه ـ بعد ذلك ـ (يقول فى حديث أجرى معه : ان كل شىء يبدأ بالطوفان) .

خلال سنواته المصرية استقرت بذور «رباعية الاسكندرية» فى كيانه الابداعى لم يكتبها وهو بالثغر (وان كتبت « صومعة بروسبيرو » فى غرفة علوية ببيت بالاسكندرية) . عاد الى أوروبا وقد عقد العزم على أن يهب حياته ـ رغم الفقر النسبى ـ للكتابة . وأخذ يكتب بنشاط محموم تلك الروايات الاربع الضخمة :



لورانس داريل ــ عاش فى الاسكندرية وعاد الى مصر

جوستين
بالتازار
ماونت وليف
كليا ...

وهى الروايات التى عرفت بعد ذلك ، مجتمعة ، باسم « رباعية الاسكندرية » تكاد كل رواية أن تقف على قدميها وحدها . لكن كل رواية تفضى فى الواقع الى الرواية التى تليها ، ليتشكل من الاربعة فى النهاية « موزايك » كان فى وجدان الكاتب ووعيه منذ بدأ يكتب أول صفحات الرباعية .

داريل يسافر أبدا .. فى المكان والزمان . ولد فى الهند .. رحل الى اليونان .. عمل فى يوغوسلافيا .. ومصر .. وقبرص .. يقيم فى الجنوب الفرنسى الآن رغم أن الجزيرة البريطانية تشكل انتماءه القومى . أثمر هذا كله روايات ، ودواوين شعر ، وكتب رحلات لعلها من بين أروع ما ظهر فى باب الرحلات فى الادب العالمى المعاصر .

وباحساس من أهميته رتب له التليفزيون البريطانى عودة الى الاماكن التى عاش فيها فترة من الزمان ، ليخرج منها برنامجا عن هذا الكاتب .. انه يعود اليها مسترجعا ماضيه ، هى « رحلة عاطفية » .. هى « بحث عن الزمن المفقود » ، مع الاعتذار لتوماس ستيرن ، ومارسيل بروست ..

أشعر أن هدف هذه الدعوة لم يكن لعقد مقارنة بين « اليونان الامس واليوم » أو « مصر الامس واليوم » ، وانما كان محاولة للتذكر ، والاسترجاع ، الذى يفضى بالضرورة الى السؤال : ما الذى بقى منى وأنا أعود الى هذا البلد بعد غيبة طويلة ؟ وما الذى بقى من البلد بعد هذه الغيبة ؟

***

وحين عاد داريل الى مصر فى خريف ١٩٧٧ كان معه فريق التليفزيون البريطانى ، يحج الى الاماكن التى عاش فيها ، يبحث بالعدسة والميكروفون ، ويستمع الى صوت داريل ..

كان على رأس الفريق : المخرج بيتر آدم الذى سبق أن أخرج للتليفزيون البريطانى برامج مع عمالقة الادب فى العالم . تقف وراء ذلك المخرج ثقافة هائلة ودكتوراه فى الترجمة من ألمانيا .

أما المصور فيدعى ديمترى ، يونانى ، يصور بابداع وعمق وشاعرية ، لا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة أن المصور يونانيا .. ان اليونان واليونانيين يسيرون على صفحات «رباعية الاسكندرية»

يزور المخرج بيتر آدم مصر وحده فى البداية . يزور الاسكندرية وغيرها ، يعد ويستكشف الاماكن ، ويقرأ كتابات داريل .. رواياته وقصائده وكتب رحلاته .. كى تتجمع الخيوط ولا يتبدد

الوقت عندما يفد الكاتب الكبير .

ثم يصل داريل ، فى خريف ١٩٧٧ - يصل بالطائرة الى مطار القاهرة ، غير أن الاسكندرية مقصده الاول . رغم الوصول فى عتمة الليل ..

رغم الارهاق ، تنتظر الفريق سيارة تقله واجهزة التصوير والتسجيل الى الاسكندرية فورا ، وتقله الى ارض « الرباعية » مستخدمة الطريق الزراعى الذى يصل بين قاهرة المعز وثغر الاسكندر معددة اذ الاول « الاسكندر المقدونى » . فالاسكندرية ، عند داريل ، ذات طابع يونانى غلاب .

فى الطريق الزراعى يبدأ فى التذكر : ما أكثر ما كان يقطعه أيام الحرب العالمية الثانية .. لكنه بالامس كان مليئا باللوريات العسكرية وناقلات الذخيرة . أما اليوم فان اللوريات تحمل قطنا من دلتا مصر ..

ها هو يرى الريف ويتأمله . القرى ، فى نظره ، « لم تتغير بالمرة » . لكنه يدرك انه - خلال مقامه القديم - لم يتصل بالريف ، وانما كان يعرف فى مصر قاهرتها واسكندريتها ..

يصلون فى منتصف الليل الى الاسكندرية . انها هى الاخرى لم تتغير كثيرا . يقول : « ها هى .. لم تتغير كثيرا » .

سنلاحظ ان داريل يبحث - فى رحلته العاطفية الاسترجاعية - عن الثبات . الكائن التغيير سيزعجه ويقلقه ، وكأنه كان يحتفظ بخطابات قديمة لعزيز وصور قديمة لاحبة فقدهم بعد ذلك . سنجده حين يعود من مصر ويكتب مقالا عن رحلته فى مجلة أمريكية (١) يقول انه سار فى شوارع الاسكندرية فاحس وكأنه شبح ، ان كل الاصدقاء الذين كان يعرفهم ماتوا (كلهم الا صديق شاعر - يونانى بالطبع ! اسمه ثيودور موسخاناس ، فى السابعة والثمانين من عمره . يقول عنه داريل « نجحت فى أن أنبش عن صديق لى ») . التغير يزعجه لكأنه حجر يؤذى سكون السطح الهادى لبحيرة الذكرى .

يبحث عن الثبات ويسعد حين يجده .

قبل أن ينام ليل الاسكندرية الاول تهاجمه الخواطر . تقول الخواطر : الشىء الثابت فى الاسكندرية هو الريح . ما زالت تهب على المدينة بأسرها . قادمة من اليونان . مارقة من تحت باب الغرفة مارقة من خصاص النافذة . من شباك الحمام .

ومن سريره فى تلك الغرفة بفندق سيسيل أحس داريل وكأنه عاد الى جزيرة يونانية . ونام ..

يبحث عن الثبات ويسعد حين يجده . لكنه لا يجد مفرا أيضا من الاعتراف بالتغير :

هذه المرة أصبحت الاسكندرية عربية : لا تسمع أصواتا فرنسية وايطالية ويهودية وارمنية . العربية فوق زجاجات الدواء - فوق اللافتات . الخ .. فى الماضى كانت الاسكندرية مدينة بحر أبيض متوسط . متعددة الجنسيات .

ماذا يرى أيضا من مظاهر التغير ؟

- تسرب الغبار الى المدينة . فقدت مرحها .

ماذا أيضا ؟

- لكن زوال الحجاب كشف عن الوجه المصرى ، المتعدد السمات ، الجميل .. عيون يمتزج فيها لون العسل بلون الذهب ، وبشرة مذهلة ، وتلك الامالة الرائعة للرأس التى لا تجدها فى أى مكان آخر فى العالم ! ..

● معه وجها لوجه ●

يعيش داريل أيامه بالاسكندرية من جديد .. يقضى فى الثغر أياما ثم يفد الى القاهرة .. يستقر به المقام ، وبفريق التليفزيون ، فى فندق مينا هاوس ، على مسيرة خطوات من الاهرام ومن .. الصحراء (ما أكثر ما تفتنه الصحراء ، وما أكثر ما يعتبرها أحد المفاتيح الى فهم

(١) « نيويورك تايمز ماجازين » . القسم السادس ١١ يونية ١٩٧٨ وقد رجعت الى هذا المقال عند الحديث عن انطباعات رحلته الأخيرة لمصر

(٢) تم نشر جزء من هذا الحديث - مترجما الى العربية فى مجلة اسبوعية لم ننشر كاملا فى مجلة شهرية » مايو ١٩٧٩ ، واذاعة البرنامج الثانى ، مساء ٩ سبتمبر ١٩٧٨ .

مصر !) ؛

تسعده حرية الحركة التي ينعم بها وينعم بها الفريق في مصر ، فالرسميون – على حد قوله – لم يكونوا يعترضون طريقهم أو يفرضون أنفسهم عليهم . هكذا كان الفريق يخرج في الصباح الباكر إلى الاهرام والصحراء ، ويستوعب ويصور ويسجل ، بلا عوائق ..

يسمح – بلا تردد كبير – باجراء حديث معه . (٢) يتم أول لقاء في مساء ٢٧ اكتوبر ١٩٧٨ في ردهة الفندق (حيث كان يجلس منتظرا) ثم في المقهى (حيث قدم كوبا من العصير) ثم في غرفته (حيث الهدوء ووصلات جهاز التسجيل) . ويتم اللقاء الثاني في امسية أخرى من أمسيات اكتوبر حول مائدة العشاء بمطعم الفندق ، وبحضور مخرجه بيتر آدم . ولا يكون هذا اللقاء الثاني لاجراء حديث وانما « للدردشة »

هل يمكن أن يقال أن مظهره – بالنسبة لمن يلقاه لأول مرة – لا يوحي بأنه أديب ؟ . ربما كان العيب فينا نحن ! .. فنحن نميل الى أن نرسم مواصفات (رومانسية في أغلب الأحيان) للأديب ، لابد – وفقا لمواصفاتنا – من أن يكون حالم النظرات .. لا بأس من أن يكون متجهم الوجه (من كثرة التأمل والتفكير والقراءة !) ، من الأفضل أن يميل الى الطول والنحول .. لن تدهشنا اذا كان الأديب عصبيا .. ان ذلك ضريبة الارهاق والحساسية !

لورانس داريل يضرب بهذه المواصفات عرض الحائط . لو صادفته في الطريق لظننت انه بحار في اجازة ، أو صاحب يخت ، أو مصارع متقاعد ..

قصير القامة هو ، سمين ، عيناه ضيقتان ، ينطلق في لمعانها ذكاء وخبث انساني ، توحي عيناه ، وصورته ، وحركاته ، وضحكاته ، بانسان يدبر مقلبا خفيف الدم لصديق أو غريب . يصلح للقيام بدور التلميذ الذي يجلس في آخر صف ويقض مضجع المدرس في فصل يود الناظر اغلاقه بعد أن يأس من الكتابة لأولياء الأمور !

لديه القدرة على أن يكون حاسما



وقاطعا ..

أوضح لمخرجه في المساء الأول ، وبكلمات وجيزة جدا لا تخرج عن جملة واحدة ، انه يرجو أن يتركوه وشأنه .

ودعاني الى غرفته لاجراء الحوار ..

لديه القدرة على أن يجامل .. أثنى على مصر ثناء عاطرا وتدفق يمدح بحماس لكن كتاباته السابقة واللاحقة على الحوار لم تكن تعكس كل هذا الثناء والحماس .

ليس أقل من غيره قدرة على الغضب الهائل .. قال « لا بأس .. لعل له عذرا » عن صديق له في القاهرة لم يتمكن من لقائه وفقا لموعد مضروب .. ثم استسلم للغضب بعد فترة (وضعت عليه نفسه) فقال : سأعتذر عن لقائه لو حدد معي موعدا آخر !

يسأل باهتمام حقيقي عن صورة الأديب المصري المعاصر : من هو أشهر روائي ؟ كاتب قصة قصيرة ؟ شاعر ؟ ما هي الكتب المعاصرة التي تصلح للترجمة الى اللغة الانجليزية ؟

حبذا لو توافرت لديه قائمة يدفع بها الى ناشريه الأجانب .. هكذا قال .

يذكر ، في الدردشة السابقة على الحوار ، أسماء عدد من الكتاب والفنانين الأصدقاء الذين يعرفهم بمصر ، يذكر الدكتور لويس عوض ، الدكتور مرسي سعد الدين ، يرد ذكر المعماري المهندس حسن فتحي « آه .. حسن فتحي ! مشوق أنا الى لقائه وتبالقاه . »

يتحقق هذا اللقاء فعلا ، ويكتب عنه داريل بعد العودة الى أوروبا ، ويتضح لقاءه بحسن فتحي ترك في نفسه انطباعا من أعمق الانطباعات التي خرج بها من مصر خلال رحلة العودة الى مصر) .

في الامسية الثانية ، مع داريل والمخرج بيتر آدم هذه المرة ، وحول

مائدة العشاء في مطعم الفندق ، تكون الدردشة حية ومتنوعة . ويبدو داريل متألقا ، ويبدو آدم متحديا .

يكون داريل قد عاد لتوه من يوم حافل ومثمر باللقطات والانطباعات واللوحات يوم مفعم بالفن والمرح ، فلقد كانت هناك زيارة لقرية ، وفرجة على راقصة شرقية (قلدها وهو جالس الى المائدة ، من أجل عيون الفتاة التي تعمل في المطعم ، والتي اقبلت تسأل ماذا تشربون وتأكلون . وقال لها آدم وهي تضحك : حاسبي فهذا الرجل خطير !) .

يتنهد آدم وينفخ متحدثا عن بعض متاعبه في القاهرة (سيشكو داريل في مقاله بالمجلة الامريكية ، سيشكو من البيروقراطية عندنا) يتحدث آدم عن الازدحام المخيف في القاهرة ، عن الغبار على ادراج المكاتب وفوق الدواليب والملفات في غير نظام .. يظل يعزف على هذه النغمة محتدا فيرد داريل مدافعا عن القاهرة ، فيزداد آدم حدة ، فيزداد داريل دفاعا ، الى ان احتار انا هل دفاع داريل من قبيل المجاملة أم هو لفتح شهية آدم لمزيد من الهجوم ! ..

واقول لآدم : كفى ، واحرى بك ان تلتمس لنا الاعذار . احدثه عن سعينا الى ان نبني من جديد وسط التحديات وعبء سلسلة من حروب .

واقول له أيضا : لا تكن قاسيا ومتجنيا الى هذا الحد ، ولا تزن التحضر بميزان الازدحام والغبار والفقر .. لو كانت النظافة وحدها علامة التحضر فان جابون ، البلد الافريقي الصغير الذي كان مستعمرا من فرنسا ، أكثر تحضرا من عاصمتكم لندن ! .. فقد رأيت الاثنين ، ورأيت كيف تلمع عاصمة جابون وكيف تعيش لندن السبعينات وسط القذارة والرثاثة . قلت له أيضا : أرجوك ، للتحضر مقاييس أخرى ، فلاح قرانا متحضر لانه يحسن استقبالك ويقدم لك أعز ما عنده ، وابن مدينتنا متحضر لانه يسعد حين تسأله عن الطريق فيشرحه لك وقد يصحبك ، بينما يتأفف الفرنسي وينظر اليك باستعلاء ويتكلم من أنفه وبينما لا يرد عليك الامريكي لانه في عجلة أمره ، لاهثا وراء حفنة دولارات . ولحن قد نكون أكثر تحضرا لان أسرنا ليست بالتفكك الذي نراه في الغرب وامريكا .

تطرق الحديث الى من قابلهم آدم من الادباء العالميين وانطباعاته عنهم .. كان محتما ان يقود هذا الى السؤال : فما رأيك في مستر داريل كمصادقة لموضوعاتك ؟

اثنى عليه ، لكنه اضاف : انه لايفصح لك عن كل شيء ، انه .. انه يحكم الاقفال على اشياء ! ..

● **يونانيات**

قرأ كثيرون « رباعية الاسكندرية » وقالوا ان داريل لم يكن داخل اسكندرية مصر وانما داخل اسكندرية يونانية . وقالوا ان مصر تبدو بعيدة عن صفحات « الرباعية » . ولهم الحق في بعض هذه الملاحظات . ان داريل يتحرك فيها وسط اجانب . سيقال ان « الرباعية » تعرض لفترة اجتاح فيها القاهرة والاسكندرية استعمار اجنبي وجاليات اجنبية . لكن ، ألم يكن هناك مصريون ؟

الواقع ان اليونان تكاد ان تكون حب داريل الاول والاخير . قال . اليونان لزج في صدر شبابه ، فعشقها وأجاد لغتها . وعندما عاش في قبرص كان هناك اليونانيون فابدع « الليمون المر » ومن المؤكد ان مقامه في يوغوسلافيا أعاد اليه أيضا ذكرى حوض البحر الابيض المتوسط .

وفي اول ليلة من ليالي مقامه بالاسكندرية ، في رحلة العودة الى مصر ، يجد ان الشيء الثابت في الاسكندرية هو الريح .. القادمة من اليونان ، بل ان اول لحظة من لحظات تواجده في الارض المصرية ـ مطار القاهرة ـ تجعله يفتش عن كلمة يصف بها ضجة المطار ، ولا ترضيه الكلمة الانجليزية ، فيقول انه لا يجد كلمة اخرى يصف بها ما يراه اللهم الا كلمة يونانية !

وهو يضرب في شوارع الاسكندرية هذه المرة فيحزنه انه لا يجد « اصدقاءه » القدامى » ، ولكنه ينبش عن شاعر يوناني

عجوز لا يزال حيا ، فيسعده هذا .. كذلك فان مصور الفريق الوافد الى مصر مع داريل هو مصور يونانى ، ومن بين اللحظات الرائعة خلال مقامه بالاسكندرية تلك اللحظات التى يقضيها فى المكان الذى عاش فيه الشاعر اليونانى السكندرى كفافى وكتب ..

ان داريل يجلس على مكتب الشاعر ، فى مواجهة عدسة التليفزيون البريطانى، ويقرأ من شعره ، ومن فوق المكتب يكتب بطاقة الى شاعر يونانى صديق ، وبطاقة أخرى الى الكاتب العالمى هنرى ميلر ، عاشق اليونان ، الذى خلد اليونان فى كتاب رحلته العظيم « مارد ماروسى » .

● داريل يلتقى بحسن فتحى ●

يكتب داريل « أكثر اللحظات التى قضيتها فى القاهرة ثراء هى اللحظات التى أنفقتها مع ذلك الكائن غير العادى ، حسن فتحى ، فى وكره ، وكر النسر الرابض فى أعلى القلعة . منذ زمن طويل وأنا أعلم باسمه وشهرته كمعمارى . بل لقد كان لنا أصدقاء مشتركون أحدهما هو ديمترى بابا ديماس ، المصور ، الذى رتب لذلك الاصيل النادر الذى قضيناه مع ذلك العجوز الذى يشبه آله الحقول والغابات عند الرومان ، والذى يبدو شابا فى الخمسين » .

كان داريل قد قرأ كتاب حسن فتحى عن تجربة قرية الجرنة الجديدة ، والبيت الذى يبنى من الطوب اللبن » او ما نسميه بالطوب النىء ، « المصنوع من طمى النيل ، والذى يربط المصرى ببيئته ويقتصد تكلفة البناء الى اقل من النصف» قرأ داريل الكتاب تحت عنوان « عمارة الفقراء » وقال عنه ان اكثر من دليل معمارى ، انه سيرة ذاتية جمالية ، حافل بالعبادة المشرقة والفكرة العميقة التى تربط بين السعادة والعمارة ، بين التعمق والحياة الكريمة .

انجذب داريل أيضا الى ما اعتبره رباطا شاعريا بين ذلك الاسلوب ومصر القديمة ، فالملكة « المنيفة الشابة » ، حتشبسوت ، هامت بجمال الطين واستخداماته ، فسمحت بأن يصوروها على



الجدران وهى تصنع أول قالب من الطين .. يضيف داريل بأسلوبه اللاذع ومرحه الابدى: يخيل الى أن اللوحة كانت للدعاية ليس الا !

هزه أن يكون هدف حسن فتحى من استخدام هذه المادة هو خدمة الفقراء . بعد لقائه بالمعمارى المصرى عاد الى غرفته بالفندق فى المساء وقرأ من جديد « عمارة الفقراء » . واخذ يدعو أن يحقق استخدام هذه المادة ما يرجوه حسن فتحى لقرى مصر . وفى المنام ـ هكذا كتب داريل ـ خيل اليه انه يرى الملكة حتشبسوت تمسك بقالب الطوب وتبتسم و .. « اقسمت ان آخذ معى الى بلدى قالبا ألجا اليه فى كل عيد من أعياد رأس السنة متمنيا الامنيات الطيبة لفقراء مصر » .

ويذهب الى جنوب مصر . ويعثر فى قرية الجرنة على قالب طين صغير « من قوالب حسن فتحى » ويأخذه ويضعه فى حقيبته .

● روايات فى الطريق ●

ماذا بعد العودة الى مصر ؟ هل سيعود اليها داريل فى روايات قادمة ؟ يبدو هذا ..

فهو يكتب هذه المرة : « اكتشفت انى خلال مقامى ايام الحرب لم أر الا الاسكندرية والقاهرة .. وكنت مشغولا جدا كملحق صحفى فلم أدون انطباعاتى وعلى الآن ان تطأ احدى قدمى فى القاهرة ذلك انى اكتب الآن روايات جديدة عن فترة الحرب . لقد اندلعت الحرب فاحدثت ثغرة فى حياتى الابداعية وثغرة فى شخوص رواياتى . واذ تعود كتاباتى وتعود شخوص رواياتى يجب أن أشرح ما حدث لهم خلال تلك الثغرة ، خلال الحرب ، خلال ست سنوات . والجواب فى مصر » .

نجوى إلى القمر

محمد عبد الغني حسن

الأرضُ مَلأى باللهيب المستَعِر ... وأنتَ لاهٍ في السماءِ يا قمر !
تضحكُ : والأرض عيون ما انثنت ... عن البكاءِ ، أو دموع تنهمِر
فكل ركنٍ بالبلاءِ حافِل ... وكل صُقع بالشقاء منفطِر ..
وأنتَ لا يَعنيكَ مِنّا حادث ... يَطوف ، أو خَطْب على الأرض يمر
كأنه في أذنيك عنا صَمَمًا ... أو أنه ليسَ بعينيك نَظَر !

***

يأيها الساهر في عليائه ... فينا عيون لم يزايلها السهَر
لم تكتحل أجفانها برقدة ... هادئة ، أو مَضجع قد استقر
شتان ما بينكما ... فأنتما ... على النقيضين : جماد ، وبَشَر
لا حِسّ فيك يُرتجى .. ونحن من ... إحساسنا نذوبُ في لمح البَصر ..
سُبحانَ من قسمنا خصائصًا : ... دم ولحم .. وحديد وحجَر ...

***

بسمتك البلهاء لا تعجبني ... فلم يَطبْ لي الوردُ فيها والصَّدَر
وكيف يحلو لي ابتسام جامد ... فما له طعم بنفسي أو أثر ... ؟
ما حاجتي للضوءِ منكَ ؟ إنني ... في عالم من الظلام المنكدر ..

في ليلة من ليالي شوال ، وكان الجو صافيا ، والقمر زاهيا في سماء تسالاني العالية الهضاب تأمل الشاعر القمر طويلا فأوحى اليه المشهد بهذه التأملات ..

مابينَ أحلام يَمر طَعمهما — وبينَ أوهام تذيقنى الأمر
وبينَ ما يَغشَى من الهمّ الذى — يثيره ليلُ الخطوب المكفهر ...
فكيف يَكفينى بَريق باهت — منكَ ، ويُغنينى شعاع منكسر ؟

***

يأيها الدائبُ في رحلته — حَوْلَ مدار في السماءِ مستمر
يُسلمك الغربُ إلى وادِ الضحى — منتقلا بينَ الأصيل والسحَرْ ..
محسوبة خطاك .. لا يخطئها — عدّ الليالى أو تصاريفُ القدر
تطل من عَلياكَ في الجوّ على — شمّ الجبال ، أو غوائر الحفره
ولستَ تدرى غَمرات المشتكى — ولا تحس سكرات المحتضر
ولا أنينَ مَن أذاته النوى — ولا اكتئابَ من تجافاه السمر
ولستَ تدرى أننى في رحلة — مثلك أغيبانى على الأرض السفر
خلف البنينَ النازحين .. لم أزل — أقتحمُ البيد عليهم والحفر
وأقطعُ الجدب إليهم تارة — وتارة أغرقُ في بحرِ المطر ..
بين الشمال والجنوب هائما — فلا تخيفنى مزالقُ الخطر ... !
وأسلك الدربَ إليهم هازئا — بكلّ هول في الطريق منتظر !
فلم يعدْ لى بعد يومى طاقة — على احتمالى لمشقات الكبر ..!

حول صنعة القصة

ماهر شفيق فريد

● « المجلة الجنوبية » ـ فصيلة امريكية تصدر عن جامعة ولاية لويزيانا ، وقد حوى احد اعدادها الاخيرة مقالة بقلم اشلى براون عن الناقد الانجليزى برسى ليوك (١٨٧٩ ـ ١٩٦٥) الذى يعد ـ الى جانب ا . م . فورستر ، و ف . ر . ليفيز ـ من كبار نقاد القصة ، نظرية وممارسة على السواء .

يقول كاتب المقالة : ان كتاب لبوك المسمى « صنعة القصة » (١٩٢١) قد غدا من كلاسيات النقد الحديث ، وكان أثره على الروائى الانجليزى جراهام جرين وعلى الناقد الامريكى آلن تيت ، عميقا فى العشرينات . وفى ١٩٤٤ قارنه تيت بكتاب « الشعر » لارسطو قائلا ان مهمة لبوك كانت « أصعب بما لا يقاس » .

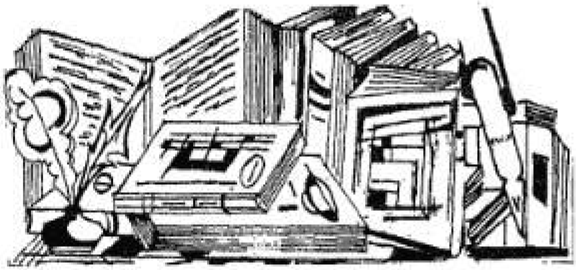
ويمكن اعتبار هذا الكتاب نقطة البدء فى نقد القصة . كانت أحدث رواية ناقشها لبوك فى ذلك الكتاب هى رواية « اجنحة الحمامة » لهنرى جيمز ، وهى حقيقة غريبة ، اذا تذكرنا انه كان معاصرا لبروست ، ان لم نقل جويس ، كانت الروائية الامريكية اديث وارتون متحمسة لبروست منذ ١٩١٤ ،ويشاركها حماسها هنرى جيمز الذى أرسلت اليه نسخة من رواية بروست « قرب آل سوان » فالتهمها جيمز بمزيج من حب الاستطلاع والاعجاب .. ومن المحتمل أن تكون قد أعارت الرواية للبوك وسائر أصدقائها ، لكن لبوك لا يذكر بروست فى أى موضع من كتاباته ، وعلى ذلك يحق لنا ان نستنتج ان فن الرواية بلغ قمة كماله ، فى نظره ، عند هنرى جيمز ، وانه كان على استعداد لتجاهل التحدى الذى تثيره أعمال بروست وجويس ..

كانت رواية « الحرب والسلام » لتولستوى فى طليعة الاعمال التى ناقشها كتاب لبوك . وعنده انها تنقسم الى كتابين : احدهما « موكب الاجيال » الذى يقدم «دورة الميلاد والنمو ، فالموت والميلاد من جديد » ، والآخر « دراما ونابليون .
صدام تاريخى عظيم » كصدام روسيا

وحديثا نجد ان الروائى الامريكى الجنوبى آندرولايتل ، الذى يحمل لبوك على محمل الجد ، قد وسع من مصطلحات النقد ، وجعلنا مدينين له ، بأن أوضح ما يسميه بـ « الصورة التاريخية » . وعلى ضوء هذا المفهوم ، تسود رواية « الحرب والسلام » صورة تقع ـ على حد تعبير لايتل ـ فى « مكان ما من التكية الدرامية ، الانقسام الذى وجدت روسيا نفسها ضحية له بعد اضفاء بطرس الاكبر للطابع الاوروبى عليها بطريقة تحكمية » .

وتسيطر هذه الصورة على كل تفاصيل الرواية :من أضخم معركة الى أدق تحليل لعواطف الشخصيات ، ولكن محور احداثها جميعا هو انقسام المجتمع الروسى ، وتوزعه بين تقاليده والافكار الجديدة لدى لحظة تاريخية معينة .

وانما كان منهج لبوك أنجح ما يكون عند معالجته رواية « مدام بوفارى » لفلوبير ، ورواية « السفراء » لهنرى



جيمز ، وهما روايتان « غير دراميتين في مادتهما » ، صور او اسـقاطات لوجهة نظر واحدة .. وليس هنـاك ناقد قد تفوق على لبوك في معـالجته روايات من هذا النمط ، وانهما لتحتلان في كتابه مكانة شبيهة بالمكانة التي تحتلها مسرحية سوفوكليس « اوديب ملكا » في كتاب « الشعر » لارسطو ..

ويرتفع لبوك الى قمة جـديدة عنـدما ينتقل الى رواية جيمز «اجنحة الحمامة» حيث يفسر تنقلات وجهة النظر التي ينظر بها جيمز الى الاحداث ، وتتاكد اهميـة الموضوع الانساني والقضايا المعنوية من خلال التحامها بالتكنيك .

وفى نهاية المطاف يخرج المرء من كتاب « صنعة القصة » بشعور مؤداه ان لبوك كتب ما هو أكثر من اطـراحة تقنيـة . فكتابه ، بمعنى من المعانى ، موضـوعه الشخصية التى تتلمس حريتها فى اطار نظام راسخ الدعائم . ومن هنا تزداد غرابة تجاهله لبروسـت ، وهو الروائى الذى يمنح شـخصياته أعظم قـدر من الحرية فى اطار أصرم وسط اجتماعى .

● **جون هيث ستبز :**

وندع « المجلة الجنوبية » الامريكية الى العـدد الاخير من مجلة « أجنـدا » الانجليزية ، حيث نجد مقالة بقلم همفرى كلكاس عن الشـاعر الانجليزى المعـاصر جـون هيث ستبز الذى بلـغ الثـانية والستين ، وعمل زمنا محاضرا فى كلية الآداب بجامعة الاسـكندرية ، والمقـالة تعرض لآخر ديوانين للشـاعر وهما : « مزمار الحارس » و « الفـأر والطائر والمقانق » ، فضلا عن العدد العاشر من مجلة « أكورياس » — (برج الدلو) ، وهو عدد مخصص لمقالات وقصائد عن الشاعر بمناسبة عيد ميلاده ..

يقول كاتب المقالة : من المؤسف ان أغلب مقالات مجلة « أكورياس » عبارة عن حكايات وذكريات ، وان المقـالات الجادة فيها بالغة القصر . بديهى ان فى هذه الذكريات أشياء ذات قيمة كقول هيث ستبز لهارى وب ان الانشـودة الثامنة من قصيدته المسماة «أرتوريوس» أشبه بمسرحيات النو اليابانية — وهى ملحوظة فاتت الكثيرين .

ومن بين كتاب المجلة يناقش اثنـان الصراع بين العنـاصر الكلاسـيكية والرومانسـية فى عمله . ويورد مايكل ماير ما كتبه هربرت ريد فى ١٩٤٢ عن ديوان هيث ستبز الاول ، وهو الديوان المسمى « تموز الجريح » :

« يستطيع المرء ، بطبيعة الحال ، ان ينقد القصيدة لاسرافها فى الطابع الادبى .. وكانما اخرج مهندس معمارى فجأة معبـدا كاملا من طراز البـاروك . انه مصـنوع من مواد جديدة ، وليس بأى معنى تدليسا . ولكن كيف تراه يتناسب مع نظـام تخطيط مدنـا الذى يؤدى وظيفته جيدا ؟ .. هو لا يتناسب ، ولكن الخطأ كامن فى نظامنـا القائم على اداء الوظيفة » ..

ان هيث ستبز ما زال يواصل انتاجه وقد اخرج حديثا « برلمان الطيور » وهو منمنمات للصغار والكبار على السـواء ، وها هو ذا الآن يخـرج ديوان « مزمار الحارس » .

اسماعيل مظهر

رؤية حياتية ورؤية فكرية

د. محمد احمد العزب

● اذا قلنا ان فى ادبنا العربى المعاصر نابغين لم ينظروا – كغيرهم الى الادب على انه مجرد بوح وجدانى مسطح ، ولكنه امتلاء لظواهر البوح الوجدانى ، والاستقصاء العقلى ، والمنطق العلمى – فان اسماعيل مظهر يقف من هؤلاء فى طليعة الطليعة ، لانه واحد ممن رفضوا ان يكون الادب ثوبا بلاغيا لاينسدل على جسد الحقيقة ، فثار على ادب الزخرف اللفظى .. او ان تكون اللغة نوعا من الطقوس لاتخضع لظواهر التطور والتحور ، فثار على لغة القواعد الجامدة .. او ان يكون العلم غريبا لا يعطى وجهه للشرق فثار على احتجان العلم فى قارة ومنعه – كانما بقانون الهى – من دخول قارات !

من هنا يصح للدارس ان يرى فى مصطلح « الثورة » مدخلا حقيقيا الى عالم اسماعيل مظهر ، لان مواجهة المسلمات فى السياسة والاجتماع والفن والدين ، كانت ابرز ما يميز المسيرة الحياتية الناضجة لهذا المفكر المقاتل !

***

ولد اسماعيل مظهر فى ١٨ يناير سنة ١٨٩١ ببرقين دقهلية، وكان ابوه « المهندس محمد باشا مظهر » رجلا عالماً فى الهندسة أسهم فى بناء القناطر الخيرية ، واقام فنار الاسكندرية ، وحفر الرياح التوفيقى .. وكان الابن اخذ من ابيه نزوعه الى المنهج العلمى فخلطه بما تفجر فى اعماقه من ينابيع الفكر والفن فكان من ذلك كله هذا المزاج المتفرد الذى نراه فى ابداعه الذى تميز به عن ادباء المرحلة الذين عاصرهم وعاصروه ، وما زال مندفع الخطوات هذا الاتجاه حتى اخر ليل له على هذه الارض فى الثالث من فبراير من عام ١٩٦٢ .

واذا كانت فى حياة الرجل نتوءات مادية بارزة يمكن أن تكون مناط الحوار الفكرى متراحب الساحات ، فان الجدل

الحقيقى الذى ينبغى ان يشكل نقطة الارتكاز فى اى تأمل اكاديمى هو الجانب الابداعى الذى تفرع فى اتجاهين متوازيين : اتجاه الثورة الاجتماعية ، واتجاه الثورة الفكرية ... وان كان الفصل الحاسم بين كل من الاتجاهين يبدو فى نهاية الامر عملا غير منهجى ، فليست هناك ثورة اجتماعية مجدبة من مضمونها الفكرى ، وليست هناك ثورة فكرية غير هادفة الى تغيير شكل العلاقات الاجتماعية من هنا أو من هناك !

وتتجسد ثورة اسماعيل مظهر الاجتماعية فى دعوته الجارفة — قبل الثورة المصرية عام ١٩٥٢ — الى انشاء (حزب الفلاح) التى اطلقها على صفحات مجلة (العصور — ١٩٢٧) ، لقد ضمنها عديدا من المبادىء المتطورة التى تشير الى ما يملك من فكر متطور جسور ...

التسوية بين الناس فى فرص الحياة ... والغاء الامتيازات الاجنبية بدون قيد ولا شرط وسن قوانين لتحديد مهاجرة الاجانب الى مصر ... وفرض ضرائب خاصة على الكماليات ومواد الزخرف والرفاهية ... والقضاء على حركة التبذير السارية فى اكثر مرافق الحكومة ، وقيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين ، وحل الاوقاف الاهلية ، وفرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث ، وحماية العمال والفلاحين **بقوانين تحدد اجور وساعات العمل وتحتم على اصحاب المزارع والمصانع بناء منازل صحية مريحة للعمال . وجعل التعليم مجانا بجميع درجاته ، وحتى كل من العامل والفلاح فى التعويض عند الاستغناء عنه ، وحقه فى الاعانة عند البطالة مع التامين ضد الاصابة والشيخوخة . وسن قانون للتحكيم بين اصحاب الاطيان والمؤجرين ابان اشتداد الازمات الاقتصادية او حدوث ظروف قاهرة . وتنظيم نقابات واتحادات طائفية ومركزية للعمال والفلاحين فى جميع الصناعات والدوائر الاقليمية . والمساواة بين**



اسماعيل مظهر

المرأة والرجل فى الحقوق السياسية والاجتماعية ... والغاء الرتب والنياشين ، ومنع تعدد الزوجات ... وتحريم ملكية الاراضى الزراعية على الاجانب ، وتحديد الملكية الزراعية ... وغرس روح الاخاء الشعبى بين الامم . وعدم السماح بانشاء شركات اجنبية الا فى ظروف ضيقة وفى هذه الحالة يحتفظ للمصريين بنصف اسهمها ...

وهكذا تتجدد ابعاد النظرية الاجتماعية التى كان يبشر بها اسماعيل مظهر ، وهى ان دلت على شىء فانما تدل على ان دعوته الى الاصلاح الاجتماعى لم تكن دعوة مجردة أو خالية أو مسطحة .. ولكنها كانت دعوة ناهضة على فهم عميق لطبيعة التطور الاجتماعى ، وضرورة ربط هذا التطور بقضية انسانه الحقيقى الذى هو العامل والفلاح ..

فاذا نظرنا الى الاطار التاريخى الذى حمل فيه اسماعيل مظهر لواء هذه الدعوة المقتحمة لراعنا منه ان الرجل كان ثائرا اجتماعيا جسورا بالفعل ، ففى مثل هذه الحقبة التاريخية التى بشر فيها بمبادئه ، كان السجن والتخوين بعض ما يتعرض له زعماء الاصلاح .. وقد ناله بالفعل من ذلك اشياء ..

ولكن عزيمته لم تلن ، حتى فى اللحظات السود التى فقد فيها مايملك من عقار زراعى — وقد كان كثيرا — ظل واقفا مشدود القامة غير فاقد

لصوابه الاتجاهي ، والا أن يعود بكل امتلائه الفكري الى قريته (برقين) ليفلح ارضا أجرها هذه المرة من البنك العقاري ، وليرعى عدة جاموسات عجاف ، وليبني برجا للحمام ومزرعة للدواجن ، وليلتحم بفلاح الارض البسيط التحام مودة وتعاطف ومشاطرة كأنما لينزل بمبادئه الى واقع التجربة الماشة ليختبر صلابتها من هشاشتها ، وليحدد على ضوء هذا الالتحام العضوي مسار ماينشد من أصلاح وما يأمل من تغيير ..

***

ومن مكابداته الاجتماعية كذلك وقوفه في وجه الانتماء الحزبي بعد ان عجم هذا الانتماء فوقف منه على جوانب فاجعة .. لقد جرد قلمه (في العصور) ليدين كل انحراف عن المثل العليا ، وليؤكد ان قضايا الحرية والحق والخير والسلام قضايا قد تتعرض لبنادق الحقد والتشويه في مرحلة من مراحل التاريخ ، ولكن انتصارها في النهاية حتمية تاريخية غير قابلة للبطش والتخريب ..

ولاتزال حتى شعاراته التي يضعها في صدر مجلته او يتغنى بها دليلا يؤكد صيحة هذه القضايا في أعماق تفكيره الاجتماعي : (اعرف نفسك بنفسك) .. (خير لي ان أكون مقيدا أطالب بحريتي من أن أكون حرا لا اساوي العبد !) .. و (ان حرية الفكر كانت بردا وسلاما على كل مايصدر عن العقل الانساني من آثار ، سواء في ذلك الدين او الادب او العلم او الفن او ايما شيء يكون للعقل اثر فيه ..)

فاذا انتقلنا الى تأمل الجانب الاخر جانب الثورة الفكرية في شخصية اسماعيل مظهر واجهتنا نفس هذه الخصومة المتدفقة ، وواجهتنا كذلك ملامح الاصالة الحقيقية في تناول القضايا وتأصيل المفاهيم ، فهو من الناحية الكمية رجل الف عن مصر القيصرية ، وعن تاريخ الفكر العربي وعن الحضارة اليونانية ، وعن النشوء والارتقاء ، وعن نزعة الفكر الاوروبي في القرن التاسع عشر ، وعن التجديد العربية ، وعن اسبيوزا وعن قاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية ، وعن قاموس النهضة ، وعن المعاجم ، وعن دائرة المعارف ، وعن الموسوعة العربية الميسرة وعن حيتان البحار ، وعن طافور ، وعن الاسلام وعن الشيوعية.

وهو قد ترجم أصل الانواع ، وحياة الانواع ، وحياة الروح في ضوء العلم ، ونشوء الكون ، وتاريخ العلم ومعضلات المدنية الحديثة ..

هذا من الوجهة الكمية ، ومن الوجهة النوعية نجد ان الرجل كتب بعمق وطموح معا في الادب والنقد والعلم والفلسفة والسياسة والاجتماع .. وعرف الى جوار عربيته الواثقة : الانجليزية واليونانية واللاتينية وكانت معرفته بهذه اللغات من خلال حركة تثقيف ذاتي قادها بنفسه لنفسه .

وكان داعية من دعاة التجديد التنوير في كل مجال من المجالات التي خاضها بقلبه .. ففي الادب رفض ان يكون الخلق مجرد شكل جمالي .. وفي النقد رفض ان تكون قداسة مسبقة لاي من الاراء ، وفي العلم رفض ان يكون كل زادنا منه ان نقرأ عنه ولا نقرأ فيه . وفي السياسة رفض ان يكون الكذب رايتها المرفوعة .. وفي الاجتماع رفض ان تكون الخرافة واجهة التفكير ..

ولم يكن رافضا بالعجز عن استيعاب حقائق الاشياء ، ولكنه كان رافضا بالبحث عن بدائل فنية وسياسية واجتماعية حتى لا يترك قضاياه معلقة هكذا في الفراغ !

فحين يتصدى مثلا لتجديد العربية يؤصل مقولاته في هذا الصدد على أسس علمية يمكن ان تكون زاوية انعطاف حادة في تاريخ الفكر العربي ، واذا كان الجمود عدوه اللدود فان

التجديد يمثل بالنسبة اليه بدءالحركة وختامها جميعا ..

لقد راعه مظهر جمود اللغة العربية ازاء كثير من المسميات المستحدثة فنقب في تاريخ هذه اللغة وفي مادتها كذلك ليستخلص لنفسهصورة حقيقية عن واقع هذه اللغة في كل طور من اطوار تاريخيتها المتعارفة ، ثم ليهتدى الى عناصر الاقتدار والفعل والمطاوعة في اصول هذه اللغة وفي اشتقاقاتها وقياساتها ليدفع بها في وجه التطور وفي جدل الرفض والقبول .. فكان كتابه الجسور (تجديد العربية) الذى حاول من خلاله ان يوضح موقفه من الوسائط التى نمت بها اللغة في عصور الرواية : (العصر الجاهلي وما يليه حتى منتصف القرن الثاني في الحاضرة ومنتصف القرن الرابع في البادية) وان يحدد رايه في قضايا التعريب ، والبحث ، والزيادة ، والاقتباس ،وهو كما يقول : (مبحث جديد أستخلصته في اللغة) ويامل ان يكون اساسا جديدا صالحا ينتحى في وضع الاسماء الاصطلاحية ..

اما في مجال التعريب فكان يرى اننا في حاجة اليه ولكن بقصد وبقدر على ان نتقيد في هذا التعريب بقواعد أخصها ان يكون المعرب على وزن عربي من الاوازن القياسيةاو السماعية حتى يلائم جرسه جرس الكلمات العربية فلا يحس منه المتلقى العربي نشازا عن سواء اللغة التى الفها واستراح اليها لان القياس (يفتح على اللغة ابوابا واسعة تجعلها تفوق كل لغات الارض في القدرة على الوضع اللغوى الاصيل) ..

وتنويعا على هذه الاساسيات لم يشا اسماعيل مظهر ان يظل مجرد داعية الى التجديد او مجرد محرض عليه .. ولكنه نزل الى ارض الواقع التطبيقى فقاتل تحت شعاراته التى رفعها وحرض عليها من خلال اعماله الجمعية والمعجميه والموسوعية.

لقد شارك بجهود هائلة في اعمال مجمع اللغة العربية ، ووضع معجم التفقه ومعجم التدييات ، وقاموس النهضة ، وقاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية ، وشارك في تحقيق لسان العرب ، ووضع الموسوعة العربية الميسرة .. وظل حتى اخر ارماقه على الارض يحمل عبء التغيير في اللغة التى احبها وعانى من دوار الخلق في اطارها الخارق الاتساعات!

هذا مثل من امثلة الرفض بالبحث عن بدائل موضوعية لما يثور عليه هذا الكاتب المقتدر الجسور ، وفي وسع الباحث ان يتامل عديدا من الامثلة في عديد من الاتجاهات اذا هو حاول ان يستقطب ابداع اسماعيل مظهر من الوجهة الاجتماعية والوجهة الفكرية ..

وسيكون حصاد الرحلة موائما لطموح الفعل في هذا الصدد ، فان رجلا قاد حركة تثقيف ذاتى حتى شارف هذا الامتلاء العظيم .. وقاد حركة تغيير اجتماعى وفكرى حتى احدث كل هذا الدوى ، لا يمكن ان يكون حصاد الارتحال في ابداعه اقل حجما من ثقافة جيل بكامله ، بكل ما يحمل هذا الجيل من ملامح الريادة والفذاذه والتاصيل !

ان رجلا قاتل من اجل حزب للطبقة الكادحة ، وباع في سبيل آرائه كل مايملك من نشب، وحرض على مداومة الثورة من اجل ابداع جديد ، وزاوج في خلقه الفكرى بين العلم والادب ، ، وعاش حياته مثالا لشموخ الراى وجسارةالرجل ،ورأس تحرير « العصور » و « المقتطف » ، ومات في ابهاء مجمع الخالدين .. ان رجلا فجر كل هذه القضايا ، وعايش كل هذه التحولات ، لهو المن قمين بان يظل في منطقة الضوء بعيدا عن مناطق الصمت والتجاهل ورفض كل ما يحرك في اتجاهات الحياة !

أشكال القصيدة العربية في العصور المتأخرة

د. حسين نصار

● اتبع شعراء هذه الحقبة من العصور المتأخرة ، الاشكال الشعرية التي سار عليها اسلافهم ولم يبتكروا شيئا جديدا غير بعض التفريعات . ولكنهم اكثروا من النظم في بعض هذه الاشكال حتى صارت سمة عليهم ، مثل التشطير ، والتخميس وما اليها ..

وقد أبان صفى الدين الحلي أن من هذه الاشكال ما التزم اللغة العربية الفصحى كالقصيدة ، ومنها ما التزم العامية كالزجل ، ومنها ما خلط بينهما كالموشح ...

وقد التزم بما قال الشعراء الذين تدرس حقبتهم . وهاك بيان هذه الاشكال وما تفرع عنها ، وقواعدها :

● القصيدة :

التزم الشعراء المملوكيون والعثمانيون الشكل المعروف للقصيدة العربية ، من اتباع أحد الاوزان الستة عشر ، وقافية واحدة ، وبدء بالنسيب ، وتخلص منه الى الغرض الاصيل ..

ولكن هذا الالتزام نفسه أدى الى وجود اشكال شتى للقصيدة . فقد التزم بعض الشعراء قصائد معينة احتذوها ، مما أدى الى ظهور ما سموه « المعارضة » والتزم بعضهم قصائد معينة ، ولكنهم لم يحتذوها ، وانما اقتطعوا أجزاء منها اضافوا اليها أجزاء من عندهم على ترتيب معين ، مما أدى الى ظهور ما سموه بالتشطير والتخميس .. الخ .

● المعارضة :

احتذاء الشاعر قصيدة قديمة في الوزن والقافية وحدهما ، ولا حرج عليه ان يختلف معها في الغرض الذي يستهدفه .. والمعارضة يلجأ اليها عادة الناشئون من الشعراء لتيسر عليهم الوزن والقافية ، وما ان تثبت أقدامهم حتى يعدلوا عنها .. ولكن الكبراء من شعراء هذا العصر لم يكونوا يرونها منقصة بل كانوا يتبارون فيها ويفتخرون بها ، فاقبل عليها الحلي وابن نباته ، وابن حجة ، والقيراطي ، وغيرهم .

وراجت عندهم معارضة قصائد معينة مثل لامية العرب للشنفرى الجاهلي . وبردة كعب بن زهير المخضرم ، ومقصورة ابن دريد ، ولامية العجم للحسين بن علي الطغرائي ، وبردة البوصيري ..

● التشطير :

أن يبني الشاعر قصيدته على بحر قصيدة قديمة وقافيتها ، ثم يدخلها في قصيدته على النحو التالي : يجعل من الشطر الاول في القصيدة القديمة أول أشطار قصيدته ، ثم يجعل من الشطر الثاني فيها رابع أشطار قصيدته ، ثم ينظم هو الشطرين الثاني والثالث . ويستمر على هذه الصورة في بقية القصيدة

ولم يكن التشطير أمرا هينا ، ولذلك كان أكثر ما شطروه المقطعات ، وان

● حظيت الموشحات الصوفية بأكثر رواج لها في العصر العثماني وامتازت بالتنوع في الأوزان والالتزام باللغة الفصحى

شطروا البردتين وبعض القصائد الاخرى التي نالت من اعجابهم الغاية • وكان شيوع التشطير في العصر العثماني أكثر من شيوعه في العصر المملوكي • وامثل له بقول عثمان بن محمد بن حسين الشمسي : (١)

واغيد لؤلؤى الجسم ذى هيف ... متمم الحسن ، فيه كم ارى عجبا
كأنما خاله من نار وجنته ... انقض يرشف شهدا جوز الشنبا

شطرها عثمان بن أحمد الصفاني ــ فقال :

واغيد لؤلؤى الجسم ذى هيف ... بوجنة اشرقت ، منها الفؤاد صبا
البدر طرته ، والغصن قامته ... متمم الحسن ، فيه كم ارى عجبا
كأنما خاله من نار وجنته ... قد زاد حسنا ،ومن اعلى الخلود ربا
وحين خاف اللظى في الخد يحرقه ... انقض يرشف شهدا جاوز الشنبا

● التخميس :

ان يبنى الشاعر قصيدة له على بحر قصيدة قديمة ويدخلها فيها ، وله صورتان : صورة شائعة يضع فيها الشاعر ثلاثة أشطر ينظمها ويلتزم فيها قافية الشطر الاول من القصيدة القديمة ، ثم يورد البيت الاول من القصيدة القديمة • ويسير على هذا المنوال فتسير قافية القصيدة القديمة قافية لكل خامس شطر من القصيدة الجديدة •

مثال ذلك قول ابن حجة الحموى في تخميسه على بردة البوصيرى : (٢)

لما مزجت دمي بالدمع من الم ... وهمت في لجج الدمعين من سقمي
قالوا بعيش مضى مع جيرة العلم ... (امن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

ام هل شدت ذات طوق شلو هائمة ... ام من بروق بثغر السفح باسمة
ام عن شذا نسمة بالقرب ناسمة ... (ام هبت الريح من تلقاء كاظمة
واومض البرق في الظلماء من اضم)

والصورة الثانية يجعل فيها الشاعر الشطر الاول من القصيدة التي خمسها شطرا أول لقصيدته ، ويعقبه بالاشطر الثلاثة التى ينظمها على قافيته ثم عجز القصيدة الاصيلة • فيفرق بذلك بين الشطرين الاصليين ، على حين وردا متتاليين في الصورة السابقة •

قال الادكوى في تخميس له على ابيات من نظمه ايضا : (٣)

(اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل) ... عليه بما قد كان يرجو ويامل
واضحى بثوب التيه والكبر يرفل ... وصار يرى منك المودة تثقل
(عليه ولم تخطر عليه ببال)

وكان اقبال الشعراء المملوكيين والعثمانيين على التخميس يفوق اقبالهم على

---

(١) الجبرتي ٤ : ١٧١ ١٨٢
(٢) وبداوى ١٢٤ • ديوان البوصيرى ١٩٠ •
(٣) الجبرتي ٣ : ٣٦

التشطير وبقية الاشكال ، فخمسوا أكثر القصائد التي عارضوها والابيات التي أعجبوا بها ، بل شارك أكثر من شاعر في تخميس أبيات معينة ..

ولكن بردة البوصيري حافظت على سبقها ، حتى اننا نعرف ما يقرب من ١٠٠ تخميس لها ، ونعرف من أبناء العصر الحديث من فعل ذلك .

● **التسبيع :**

أن ينظم الشاعر خمسة أشطر ثم يضم اليها البيت الاول من قصيدة قديمة فتصير سبعة أشطر ، ثم ينظم خمسة أخرى يضم اليها البيت الثاني من القصيدة القديمة ، ويلتزم في القوافي ما التزمه في التخميس ..

وتعدى بعض الشعراء التسبيع الى التعشير . وسار فيه على النمط نفسه ، غير أن الاشطر التي نظمها كانت ثمانية ثم أضاف اليها بيت القصيدة القديمة .

وكل النماذج التي وجدتها في هذه الاشكال كانت تدور حول بردة البوصيري ويبدو انها من نظم صوفية قدسوا البردة ، فتبركوا بما فعلوا فيها . وأضافوا الى ذلك التزاما آخر ، فبدأ بعضهم كل فقرة من فقرات قصيدتهم باسم الجلالة ، وبعضهم باسم النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول محمد الخلوتي القادري في تسبيعه الذي التزم فيه اسم (محمد) :

محمد جاء بالآيات والحكم — مبشرا ونذيرا جملة الأمم
ومخبرا عن عهود الخلق في القدم — وموصلا خبر الأحباب في الحرم
فقلت للقلب لما طاش من الم : — (أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

● **التضمين :**

استعارة الشاعر قطعة من شعر أو قول قديم وادخاله في قصيدته . وقد أولع شعراء هذه الحقبة به ولعا شديدا ، لم يفلت منه أحدهم مهما بلغت منزلته، فقد كان موضع فخرهم .

وأصل التضمين وأكثره استعارة قطعة من الشعر . ويختلف مقدار هذه القطعة اختلافا كبيرا . فقد تكون جزءا من شطر ، مثل قول صدر الدين بن الادمي الذي ضمنه من معلقة امرىء القيس :(١)

احن الى تلك السجايا وان نات — حنين اخي (ذكرى حبيب ومنزل)
واهدى اليها من سلامى معطرا — بمسك سحيق لا (بريا القرنفل)
واذكر ليلات بكم قد تصرمت — (بذكرى حبيب) لا (بدارة جلجل)

أو تكون الشطر تاما كما في رد ابن حجة على صدر الدين :

سرت نغمة منكم الى كأنما — (نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل)
وقلت لليل مذ بدا جنح طرسها — (الا أيها الليل الطويل ألا انجل)
جنت ما حلا ذوقا فقلت : تقربى — (ولا تبعديني من جناك المعلل)

وقد تكون القطعة أكثر البيت مثل قول ابن نباته الذي ضمنه قول جرير :(٢)

لأنتم (خير من ركب المطايا — واندى العالمين بطون راح)

وقد تكون البيت تاما ، مثل قول ابن حجة الذي ضمنه قول المتنبي : (٣)

ولم يبق فيه للصنيعة موضع — وللسيف فيه موضوع قد تمهدا
(ووضع الندى في موضع السيف بالعلا — مضر كوضع السيف في موضع الندى)

---

(١) ربداوى ٢٢٩
(٢) ديوانه ١٢٠
(٣) ربداوى ٢٢٤

[redacted]

وتعدى التضمين الشعر الى غيره من الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة والامثال وأقوال العرب .

● الموشحة :

يبدو أن كتاب « دار الطراز » الذى وضع فيه الشاعر الايوبى ابن سناء الملك قوانين الموشحات كان عاملا حاسما فى نشر الموشحات ، واقبال الشعراء على نظمها . فلا نكاد نسمع عن شاعر لم يشارك فيها .

واكثر ما نظمت الموشحات فى الغزل والمدح والتصوف ، واختلط الغزل بالخمر ووصف الطبيعة فيها مثل اختلاطه بهما فى القصائد . ولكن الموشحات الصوفية حظيت باكثر رواج لها فى العصر العثمانى ، وان لم تفقد نصيبها من العصر المملوكى عند الششترى والسروجى خاصة .

واحتذى الوشاحون موشحات الاندلسيين ، حتى قيل عن الحلى (١) « كان لا يكاد يسمع بموشحة نالت حظا من الشهرة الا عارضها » . ولكن ذلك لايحرم المشارقة من بعض الابتكار ، والتغيير الجزئى الذى اجروه عليها .

فقد ابتكر صفى الدين الحلى ما أسماه « الموشح المجنح » و« الموشح المضمن » أما الثانى فقد عرفناه فى التضمين . وأما الموشح المجنح فسماه بذلك لاتفاق قوافى اقفاله ، واتفاق قوافى أبياته ، فهو اذن ذو قافيتين ـ قال : (٢)

عزمت ـ يا متلفى ـ على السفر   واطول خوفى عليك ، واحذرى
يؤيسنى من لقاك قولهم   بانه لا رجوع للقمر
تمهل ، مضينى جفاك   تجمل ، ذبت فى هواك
يا من حكى القلبى فى تلفته   وفاقه بالدلال والخفر
اتلفتنى بالصدود معتديا   فذل عزى ، وعز مصطبرى
تدلل ، مهجتى فداك   تمهل ، بعض ذا كفاك

فالتزم الراء فى جميع الابيات ، والكاف فى كل الاقفال ، واضاف الى ذلك قافية داخلية ، هى اللام ، التى التزمها فى الكلمة الاولى من اغصان الاقفال ، التى التزم أن تكون على وزن تفعل أيضا .

وصرح تاج العارفين البكرى الصوفى انه نظم موشحه الآتى على غير قياس :

خالف العذال ان قالوا : افق من شراب القوم
واعصى من قال : انتبه لى واستفق فاغتبط بالنوم
ليس ما قلت على ما يتفق انا وحدى اليوم
واحد الدرة قطب العالم
ملتقى البحرين معنى آدم

وكذا قال عن موشحه : (١)

سيد الأحباب !
طلعة المحبوب كل القمر
هكذا هيمت كل البشر
كيف لا تسرى بكل الصور
وهم هالات

---

(١) علوش : شعر صفى الدين الحلى ٣٣٢
(٢) ديوانه ٤٥٥ .
(١) ديوانه

أشكال القصيدة العربية في العصور المتأخرة

وخلط بعضهم بين الموشح والدوبيت ، مثل الشهاب العزازي في قوله : (٢)

اقسمت عليك بالاسيل القاني ... ان تنظر في حال الكئيب الفاني
او تقصر عن اطالة الهجران ... يا من سلب المنام من أجفاني
ما أليق هذا الحسن بالاحسان

ويمضي على هذا النسق حتى ينظم سبعة ادوار ، تجمع بين سبعة اغصان وسبعة أقفال .

وقد نوع الوشاحون في هذه الحقبة في عدد الاغصان التي ألفوا منها أبياتهم وأقفالهم ، وعدد الادوار التي ألفوا منها موشحاتهم ، تنويعا واسع النطاق . كما نوعوا في الاوزان التي صاغوها عليها .

ويستحق التسجيل ان القليل منهم من التزم أن تكون خرجة الموشحة ماجنة مثلا قال ابن مكانس مما جاء في ديوانه ..

واحتذى بعض الشعراء الشعبيين شعراء الفصحى وأخذ من الموشح قالبا فنيا له .

● المسمط :

وتقرب المسمطة من الموشحة في الشكل ، غير انها تلتزم الاشطار الخمسة ، على حين تتعدد الاشطار في الموشحات تعددا بعيدا .

ولا تنافس المسمطات المخمسات أو الموشحات في الانتشار . فهي قليلة العدد ، اقتصرت عند الحلي على وصف الصيد الذي تخللة المدح والشكر ، وعند ابن مكانس على الغزل الذي ارتبط بالخمر ووصف الطبيعة . ونظم ابن دقيق العيد مسمطته في المدح النبوي الذي استهله بالغزل .

وهاك مثالا من مسمطة ابن دقيق العيد : (٣)

اضرت بي البلوى ، وذو الحب مبتلى ... يعالج داء بين جنبيه معضلا
ويثقله من وجده ما تحملا ... وتبعثه الشكوى فيشتاق منزلا
به يتلقى راحة المتودع

● المزدوجة .

قصيدة من بحر الرجز يقفى فيها كل شطرين بقافية واحدة ، قد تختلف مع قافية الشطرين السابقين واللاحقين ، وهي في الغالب من الشعر التعليمي .

---

(٢) محمد زغلول ٣٠٤ فوات الوفيات١/١٦٦
(٣) على صافي ١٤٧ .

وليست المزدوجة وليدة هذا العصر · ولكن شعراءه وعلماءه أكثروا من استخدامها لضبط العلوم المختلفة وتيسير حفظها ، وخاصة في العهد العثماني ·

فنظم جمال الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الجيانى فى النحو الالفية في الف بيت تقريبا ، والكافية الشافية في ٣٠٠٠ بيت ، وفي اللغة « النظم الاوجز فيما يهمز » ، وفي القراءات منظومة فى مقدار الشاطبية (١١٧٣ بيتا) · ونظم ضياء الدين أو الحسن علي بن سليمان المعروف بابن الاذرعي التنبيه في الفقه من ١٦٠٠٠ بيت ·

ونظم ابن الشهيد السيرة النبوية لابن هشام فى خمسين الف بيت · ونظم حسن بدرى الحجازى في المنطق « الدرة السنية في الاشكال المنطقية » · ولن تجد علما عرفوه لم ينظموا فيه ·

ونظما بن نباته مزدوجة وصف فيها الصيد والطبيعة ، ومدح الملك المنصور، وسماها « مصائد الشوارد » · قريبة الشبه بطرديات أبى نواس الرجزية ـ قال : (٢١)

الثني شذا الروض على فضل السحب   واشتملت بالوشي اذفف الكتب
ما بين نور مسفر اللثام   وزهر يضحك فى الاكمام
ان كانت الارض لها ذخائر   فهي لعمرى هذه الأزاهر

● الزجل :

يمكن القول بأن الزجل هو الشكل العامي للموشح · ولهذا تتجدد أوزانه وتتعدد قوافيه ، وتتنوع أدواره ، ولا تقف عند حد ، فتتيح للزجال حرية بعيدة· والاصل فى الزجل أن يكون عامي اللغة ، ولكن الزجالين خلطوا فى أزجالهم بين اللغتين الفصيحة والعامية ·

ومن شعراء الفصحى من أنف من الزجل ، ونزه نفسه عن نظمه مثل ابن نباته · ومنهم من شارك فيه ، وأصدر منه مجموعة طيبة مثل صفى الدين الحلي· بل لقد فعل الحلي فيه ما فعله فى الموشح ، من العناية به والبحث عن المشهور منه ومعارضته ·

وعنى الصوفية بالزجل فنظموا منه الكثير لقربه من افهام العامة · والامر الغريب ان الزجل زاحم الشعر فى هذه الحقبة ، ونافسه فى مواطنه · فقد صار الزجال خلف الغبارى شاعر السلطان الاشرف ، الذى يؤرخ للاحداث ويشيد بالانتصارات ·

وتمثل للزجل بقول الزجال المصرى :

(٢١) ديوانه ٥٨٠ ·
(٢٢) محمد زغلول ٣٦٤ ـ ٣١٥
(٢٣) الغر : كسب ·

● اضافة الى مانشر فى « الهلال » اخيرا – من :

جان پول سارتر

ضمير عصره

كانت افكاره تتوهج بالثورة ..
وكلماته فيها طعم الماء ورائحة الدم !

جلال العشرى

وكما يرفض سارتر فى التحليل النفسى الوجودى فكرة اللاشعور يرفض معها بالتالى فكرة الرقيب ، فعنده ان الرقيب اذا كان يعمل بدقة وتمييز كما يريد له « فرويد » فلابد ان يكون واعيا بما يكبته ، لابد ان يقرر ما سوف يكبته ، وما سوف يسمح له بالمرور ، ويميز بين كل منهما ، والا كيف نفسر سماحه بالتعبير من دوافع الجوع والعطش ، والدوافع الجنسية المشروعة ومنعه من التعبير من الدوافع الاخرى ؟..

يقول سارتر ان مقاومة المريض تعنى ان الرقيب يستعيد ما قد كبته ، وتعنى كذلك ان الرقيب يدرك الهدف الذى يرمى اليه المحلل النفسى بالاسئلة التى يلقيها على المريض ، وهى تدل على وجود عملية ذهنية يقارن فيها الرقيب الطرفين احدهما بالاخر ، يقارن ما قد كبتت من ناحية بالفرض الذى افترضه المحلل النفسى ، لكن يفسر به حالة المريض من ناحية اخرى .

فاذا كان على الرقيب كما يقول سارتر ان يقوم بكل هذه العمليات ، وهو قائم بها بالضرورة ، لكى تتحقق مقاومة المريض ، فان هذا يحتم أن يكون الرقيب واعيا شاعرا بالموقف كله ، وهذا معناه الغاء فكرة اللاشعور التى تستلزم فكرة الرقيب ، والغاء فكرة الرقيب المترتبة على فكرة اللاشعور .

والسؤال الآن : اذا كان سارتر قد عمل على الغاء هاتين الفكرتين وهما دعامتا التحليل النفسى الفرويدى ، فبماذا يستبدلهما ؟ ..

انه يستبدلهما بفكرته عن خداع النفس أو سوء الطوية ، وهو كثيرا ما يعنى بها الكذب ، الا ان سارتر يفرق بين الكذب بالمعنى المعروف ، وبين الكذب بمعنى خداع النفس ... فالاول يعنى ان الكاذب يكون واعيا كل الوعى بالصدق الذى يخفيه ، وعادة ما يكون خبيثا يؤكد فى عقله الصدق ، وينفيه فى كلامه لمصلحته الشخصية . والكذب بهذا المعنى يتضمن وجود شخصين ، ويستفيد من الثنائية الوجودية بين الذات وبين الغير ، **وما هكذا خداع النفس** ، فالشخص فى حالة خداع النفس ، لا يخفى الصدق عن شخص آخر وانما هو يخفيه عن نفسه ، وفى هذه الحالة لا يكون هناك خادع ومخدوع .

ويقول سارتر فى خداع النفس :

« ان هذا الخداع قوامه توليف افكار متعارضة ، اى افكار تؤيد حكما وتنفيه فى ذات الوقت ، على ان التوليفة الناتجة عن ذلك تستفيد من

الازدواج فى الطبيعة الانسانية ، ذلك الازدواج الذى يرتبط احد طرفيه بالواقع ، بينما يحاول الطرف الآخر ان يجاوز ذلك الواقع الى ما هو مثالى » .

ان مبدا التحليل النفسى الوجودى هو ان الانسان عبارة عن كينونة كلية شاملة وليس تجمعا او تجميعا ، وغاية هذا التحليل هو تفسير النشاطية التجريبية لدى الانسان ، وبناء على هذا التحليل ، يجب رد السلوك الجزئى الى العلاقات الاساسية ، اى الى الكينونة ، وليس الى الناحية الجنسية ولا الى ارادة القوة .

وهذا التحليل يسترشد منذ البداية لكى يتجه الى استيعاب الكينونة ، والى اكتشاف نمط كينونة الانسان فى مواجهة العالم ،والى كشف الحرية الأولية والاختيار الذاتى التلقائى ، واذا ما تم تصنيف النتائج ومقارنتها ، أمكن تمهيد الطريق للمناقشة العامة للحقيقة الانسانية ، باعتبارها الاختبار التجريبى للغايات التى تنشدها هذه الحقيقة .

تلك هى الخطوط العريضة فى نظرية التحليل النفسى الوجودى لدى سارتر ، كما اودعها كتابه الشهير « الوجود والعدم » وعندما ظهر هذا الكتاب فى عام ١٩٤٣ لم يكن التحليل النفسى الوجودى قد وجد فريهد على حد تعبير العالم النفسى بيتر دبيصى فى كتابه « علم النفس عند سارتر » وقد تلافى سارتر بنفسه هذا النقص، فطبق فى عام ١٩٤٧ نظريته على حالة بودلير .

وسارتر انما يذكر حالة بودلير ، ويفصل القول فيها على انها تمثل تماما تلك الفكرة الجديدة التى ادخلها على التحليل النفسى ، بدلا من فكرة اللاشعور وفكرة الرقيب الا وهى فكرة خداع النفس .

ان بودلير كما يراه سارتر انسان اختار ان يرى نفسه كما لو كانت شخصا آخر ، وحياته هى قصة هذه الهزيمة، قصة عدم قدرته على ان يرى نفسه فى عين نفسه ، ان سبب الفشل يرجع الى انه يعى ان رؤيته للاشياء



جان بول سارتر
الفيلسوف وضمير العصر

هى رؤية ضمن الاشياء المرئية ، انه يعرف انه لن يحصل على الاطلاق على ملكية للذاته ، انه محمل بذاته ، انه يشعر بالغثيان .

لقد اكتشف بودلير كما يقول سارتر انه واحد ووحيد ، وان الحياة قد منحت له لا شيء،وبالتالى فقد تصور العزلة كمصير ، وهذا هو الاختيار الاصيل الاولى الذى اتخذه بودلير لنفسه ، ان بودلير وقد شعرانه مهجور ومنبوذ لم يستسلم للعزلة القاسية ، بل تصور انه يطلب هذه العزلة ، لقد عاش نفسه باعتباره شخصا آخر،وهو يؤكد هذه الآخروية ... فهو يشعر ويرغب فى ان يشعر بانه فريد ، فريد فى الفرح المعزول .. فريد فى الرعب المنقى .

ان اختيار بودلير كما يقول سارتر هو وعيه ، وهو مشروعه الجوهرى ، لقد تشبع باختياره ، حتى لقد أصبح هذا الاختيار شفافا ، اصبح نور رؤيته وشعلة تفكيره ، ولكن الاختيار الاصلى لبودلير تم فى حالة من خداع النفس او سوء الطوية ، وما ظهر فيما بعد عندما وحد بين نفسه وبين ماضيه ، وتلك كانت محاولة للافلات من الحرية .

والنتيجة ، النتيجة ان بودلير كما يقول سارتر لم يقدم لمجتمعه شيئا سوى بعض الاشياء غير المجدية ، وظل

منغلقا فى قيعان نفسه ، مشغولا بأغوار ذاته ، لقد اختار ان يعيش لنفسه ؛ ومن ثم كان شاهدا على الحقيقة التى تذهب الى ان الاختيار الحر الذى يصنع به الانسان نفسه هو اختيار يقوده الى مصيره ...

تلك هى نظرية سارتر فى التحليل النفسى الوجودى ، وهذا هو تطبيقه لنظريته على الشاعر الفرنسى الشهير شارل بودلير ، واهمية التحليل النفسى الوجودى لا تقتصر على استكمال دائرة المذهب الوجودى الذى دعا اليه سارتر وكفى ، ولكنها همزة الوصل بين عالم الأشياء وعالم الأنسان ، او بين عالم الوجود وعالم الحرية ، على اعتبار انه اذا كان الانسان حرية ، فالفنان حرية مطلقة ، وهذا هو سر اهتمام سارتر بالرواية وعالم الرواية ، فعنده ان الروائى مفكر فينومنولوجى ، عينه تظل مثبتة على ما تفعل ، لا على ما يجب ان تفعل ، او المفروض ان نفعله .

وهو واصف أكثر منه شارح ، وبالتالى فهو يشارك كما تقول **ايريس ميردوخ** فى اكتشافات الفيلسوف ، وعلى ذلك فالرواية صورة وتعليق على الوضع الانسانى ، كما انها نتاج نمط للحقبة التى تمت اليها كتابات نيتشه وعلم نفس فرويد وفلسفة سارتر .

فماذا عن الرواية الوجودية السارترية ، او الرواية الوجودية عند سارتر ؟ ..

يقول سارتر .. ان كل شخصية من شخصياتى قد لا تأتى اى شىء على الاطلاق ، بعد أن تكون قد فعلت كل شىء ، وأنا لا احسب حسابا لما اذا كان من الممكن تصديق العقل فى ضوء أفعالها السابقة ، ولكننى اهتم بالموقف وبالحرية الكامنة فيه ، ففى روايات زولا – يتبع كل شىء اقسى قدرية ممكنة ، فشخصياته ذات ماض ، ولكن شخصياتى ذات مستقبل .

هكذا يحدد **سارتر** أسلوبه الفنى فى كتابة الرواية ، فهو انما يصدر فى الواقع عن نظرته الفلسفية الاكثر شمولا ، ولا يتبع فى رواياته الاساليب التقليدية .. مثل الاهتمام ببناء الشخصية والحدث ، وهما الركيزتان الأساسيتان اللتان تقوم عليهما الرواية . واشارته الى زولا تؤكد انه اذا كان كتاب الرواية قد ساروا على مبدا تطور الحدث تبعا للدوافع الداخلية للشخصيات ، وللظروف البيئية المحيطة بها ، اى عملا بقانون الحرية والضرورة ، فان **سارتر** انما يختار لنفسه ولرواياته منهجا آخر ، ومنطلقه الفلسفى فى عدم اقامة عالمه فى الرواية على الأسس التقليدية المعروفة ، هو أنه لا يؤمن بأن الانسان محكوم بالوراثة والبيئة ، بل ولا حتى بماضيه ، وانما الانسان حرية ، ومحكوم عليه بالحرية ، وبالتالى لا يمكن التنبؤ بما سيأتيه من اعمال فى اللحظة التالية ، باعتباره قادرا على ان يتخلص من ماضيه ؛ وان يختار طريقا جديدا فى كل لحظة .

وسارتر لا يصور التجربة الانسانية عن طريق قصة محبوكة الأطراف ، وانما ينقلها من خلال متواليات مشهدية لا تخضع لتطور الحدث فى الرواية التقليدية ، من موقف الى عقدة الى نهاية ، والشكل هنا انما ينبثق من ان الحياة فى نظر سارتر ليست الا مجموعة من الأحداث المنفصلة ، لا تحمل معنى ولا تؤدى الى شىء .. وهذا ما عبر عنه انطوان روكنتان بطل رواية «الغثيان» بقوله :

« الانسان دائما قصاص ، يعيش محاطا بقصصه وقصص الاخرين ، يرى كل ما يحدث له من خلالهم ، ويحاول ان يحيا حياته كما لو كان يحكيها » .

اى انه لا يرى وجودا للتتابع الحقيقى للتجربة البشرية ، وادراكه لهذه الحقيقة هو الذى يجعله يدرك استحالة ان يقص علينا قصصا محبوكة .

وتلك هى الرؤيا التى يعبر عنها **سارتر** من خلال الشكل الوجودى للرواية ، الذى لا يتبع الشكل التقليدى

● فكرة خداع النفس عند سارتر بديلة عن فكرة اللاشعور في علم النفس

● التحليل النفسي الوجودي هو همزة الوصل بين عالم الأشياء وعالم الإنسان

لتطور الحدث ، ولا لبناء الشخصية ، فالمتواليات من التجارب التي يمر بها روكانتان كافية لأن تطور هذا المفهوم الوجودي ، اى انفصال الشخصية عن الأنا ، وعن البيئة الاجتماعية ، وعن الماضي .

واذا كانت كل ملامح رواية «**الغثيان**» الفكرية والفنية تؤكد شيئا واحدا وهو الحرية ، فهذا هو المحور الأساسي الذي تدور حوله روايات سارتر جميعا ، فان قضية الحرية .. ما تدل عليه وما تؤدي اليه هي السؤال الضخم الذي يطرحه سارتر في جميع قصصه ورواياته ابتداء من مجموعته القصصية «**الجدار**» ١٩٣٧ — ١٩٣٩ ، ورواياته الفلسفية « **الغثيان** » ١٩٣٨ ، وثلاثيته الروائية « **دروب الحرية** » التي صدر منها « **سن الرشد** » و « **وقف التنفيذ** » ١٩٤٥ ، ثم « **الموت في النفس** » ١٩٤٩ واخيرا يجيء الجزء الرابع بعنوان «**الفرصة الأخيرة**» الذي وعد به سارتر ولكنه لم يكمله .

اما مجموعته القصصية « الجدار » فان كل قصة من قصصها الخمس تصور فكرة فلسفية اثيرة لدى سارتر ، فالقصة الاولى وهي بعنوان « المجموعة » ، يرد بها على فكرة هيدجر بان الانسان يستطيع ان يعيش في اتجاه موته ، ومن ثم يمكن ان يؤنس هذا الموت ، والقصة الثانية بعنوان «الغرفة» تصور استحالة ان ينفذ العقل بالارادة من عالم الجنون ، والقصة الثالثة بعنوان «ايروستريتوس» تحاول ان تستكشف حدود النزعة اللا انسانية ، والقصة الرابعة بعنوان « صميمية » عبارة عن دراسة لفكرة خداع النفس او سوء الطوية ، اما القصة الخامسة والأخيرة وهي « طفولة زعيم » فتصور الطريقة التي يمكن للعقل الانساني ان يهرب بها من الشعور بكونه زائدا عن الوجود ، وذلك بالاندفاع الى عالم الحقوق المربح .

***

والذي يعنينا الآن كما يقول **جون ويتمان** هو اننا نستطيع ان نتبين ثلاثة مظاهر رئيسية للوعي الوجودي في هذه القصص وهي : **الغربة التي لا تقهر** ، ثم **خداع النفس المفجع للانسان الذي يمارس** غثيانه ، او الذي **تجاوز هذا الغثيان** ، واخيرا **استحالة الاستحواذ الحقيقي المباشر على الزمن** .

وكل هذه المظاهر ممثلة في هذه القصص القصيرة ، فالأشياء يتم تناولها كشيء قريب في « **الجدار** ، **والغرفة** ، **وطفولة زعيم** » وخداع النفس أو سوء الطوية يصبح شيئا سخيفا مضحكا في « **ايروستريتوس** ، **والغرفة** ، **وطفولة زعيم** » وصورة تطابق الذات في القصة الأخيرة هي مظهر لمشكلة الزمن .

غير ان هذه المظاهر جميعا تظهر في رواية « **الغثيان** » بعبقرية فريدة ومتطورة ، فاذا كانت « **طفولة زعيم** » تصور حياة شخص وجودي من سن الطفولة الى تقبل خداع النفس في أول عهده بسن الرجولة ، فان « **الغثيان** » تصور شخصية « **انطوان وكانتان** » وهو شخص في حوالي الثلاثين من عمره ، يمارس عملية اكتشاف وجوده كنوع من أنواع الأزمة ، وعندما تبدأ

وبمضي روكانتان يكتب حياة شخصية القصة نراه يعيش منذ فترة في ميناء الهافر التي كان يسكنها سارتر نفسه ، ثانوية من شخصيات القرن الثامن عشر هو دي روليون ، والقصة على شكل مذكرات ، وذلك حتى يتمكن من القاء الضوء على بعض التجارب الغريبة التي اقلقته في الفترة الأخيرة ، وهو يعيش وحيدا في المدينة ، فيما عدا علاقات عابرة كونها في المقهى والمكتبة التي يتردد عليها لكتابة حياة دي روليون .

واذا كانت رواية « الغثيان » رواية عن فيلسوف اصبح واعيا بفلسفة ، خاصة ان البطل قدم في الرواية كمغامر سابق تحول الى مؤرخ ، دون ان يقلل ذلك من كونه فيلسوفا ، فان «الغثيان» رغم هذا كله ، تظل عملا روائيا فريدا في نوعه ، وذلك بسبب طبيعتها الفلسفية والأدبية . وربما لم يكن هناك اى عمل آخر اتخذ فيه المزاج الفلسفي مثل هذا الوصف الأدبي الكامل .ويمكن بالاحرى كما يقول جون ويتمان وصف رواية « الغثيان » بعنوان كتاب الفيلسوف الشهير ديكارت « مقال في المنهج » كتب في شكل روائي .. في القرن العشرين .

أما رواية « دروب الحرية » فتتكون من ثلاثة أجزاء ، أو بالأحرى من أربعة اجزاء ، هي « **سن الرشد ، ووقف التنفيذ ، والموت في النفس ، والفرصة الاخيرة** » وان لم يكمل سارتر الجزء الرابع ، اما **الجزء الأول** فيهتم اساسا ببحث كل الرواية عن ثمن عملية اجهاض لزوجته مارسيل ، وتقع احداث الرواية في عام ١٩٣٨ ، واما **الجزء الثاني** فهو عن ازمة ميونيخ ، وعن سقوط فرنسا تقع احداث **الجزء الثالث** .

وتعد رواية «**دروب الحرية**» دراسة تفصيلية للطرق المختلفة التي يؤكد بها الناس او ينكرون حريتهم ، خلال سعيهم الدائب من أجل امتلاك الوجود ، ومن خلال الثقة الكاملة بالذات .

فاذا كان سارتر في رواية « **الغثيان** » قد اظهر بطريقة تجريدية الشكل الحاوي للمشروع الانساني ، فهو يحاول في « **دروب الحرية** » أن يظهر لنا بطريقة تجسيدية تنوع الطرق التي يحاول بها الناس ان يحققوا الحرية . وذلك كله من خلال دراسة سارتر لانماط الوعي الرئيسية الثلاثة ، وهي المثقف الذي بلا تأثير « **ماتيو** » والفاشل الذي يحدث تأثيرا سلبيا « **دانيال** » والايديولوجي الذي يحاول ان يؤثر تأثيرا ايجابيا « **برونيه** » ..

والرواية عبارة عن جدل يستخدم الرمزية ، والتحليل الجلي الواضح والشخصيات الشديدة الشفافية ، التي تثير العقل وتهز الوجدان ، وفيما يتعلق بالعلاقات بين الشخصيات فانه لا توجد نقطة متوسطة بين بصيرة المحلل وبين ضياع الشخصية ، فنحن نشعر دوما بالتأرجح العنيف من العماء الكامل الى الحرية الكاملة ، من صمت اللاعقل الى فراغ التامل ، ان سارتر كما تقول ايريس ميردوخ يقود ابطاله في « دروب الحرية » الى نقطة البصيرة والتحقق واليأس ، وهناك يتركهم ... لقد يرجعون وقد يسقطوا ، الا انهم لا يعرفون كيف يواصلون الطريق ...

ولقد وجه الى سارتر نقد شهير على اساس ان رواياته الثلاث « الجدار » ، « الغثيان » و « دروب الحرية » هي مجرد تصوير لافكاره الفلسفية ، والاتهام نفسه ينسحب بالطبع على اعماله المسرحية التي لا نتناولها الآن ، ولكن الرد الذي يمكن ان يدحض هذا النقد هو ان سارتر ليس من فلاسفة المذهب الذين تتعارض مؤلفاتهم الفلسفية مع كتاباتهم الادبية انه لا يتامل تاملا تجريديا في الحقيقة والجمال ، كما انه لا ينحرف في تيار التحصيل اللغوي ، وانما هو باعتباره فينومنولوجيا ، يحاول الاستحواذ على المواقف في تكاملها الحي المحسوس ، وباعتباره وجوديا تدفعه فلسفته في الوعي الى التفكير في الافراد

في حدود وعيهم بانفسهم وبالاخرين .

وتفكير سارتر تفكير فلسفي بلا شك، لكنه تفكير بشكل « فلسفة حياة » بالمعنى الكامل لفلسفات الحياة ، وعندما يحاول فيلسوف ان يكتب بهذه الطريقة، فمن المؤكد انه لن يبعد كلية عن النظرة الأدبية .

وعلى اية حال ، يمكن القول كما يقول **جون ويتمان** ، بأن سارتر بدلا من أن يستخدم رواياته لتصوير افكاره الفلسفية ، فقد استنبط افكاره الفلسفية من استحواذه على الحقيقة التي حصل عليها خلال كتابته لرواياته، بمعنى انه لا يوجد خط فاصل صارم بين شكل النشاط الابداعي ، حيث ان الرواية الكاملة يمكن أن تكون قطعة كاملة من الفلسفة الوجودية، او بالاحرى من الأدب الوجودي .

حقا ، انه كما كان لفلسفات الوجود في العصر الحديث فضل جلاء الفكر الوجودي ، لقد كان سارتر اقوى من دعا الى الأدب الوجودي ، وان كتابه الشهير « **ما الأدب ؟** » الذي يكشف عن اطلاع سارتر الواسع على مختلف المذاهب الأدبية ، وتقدم التحليلي لها ، ليعد دعامة كبرى لهذا الأدب الوجودي الجديد ، الذي يقول عنه سارتر :

« يوضح هذا الأدب في بساطة ان الانسان ايضا قيمة ، وان المسائل التي يضعها لنفسه دائما خلقية ، وهو يبين لنا كيف انه في كل شخص يمكن الانسان المبتكر ، فكل انسان يبتكر نفسه بابتكاره لموقفه الخاص به ، فعلى الانسان من اليوم ان يبتكر كل يوم » .

وعلى الرغم من ان سارتر يرى مجابهة الموقف بكل ما لدى الانسان من قوة وعنف ، لان مجرد الكشف عن الموقف الأشد حلكة وظلاما ، هو في ذاته أول درجة من درجات التحكم فيه ، فانه يرى مع ذلك ان يتصرف الكاتب بحيث تكافح شخصياته الحرة في سبيل النجاة من المازق ، وذلك باختيارها ما يتفق والارادة الخيرة . وهذا ما عبر عنه سارتر تعبيرا رائعا قال فيه :

« في بعض المواقف لا مكان الا لتبادل حدين احدهما الموت .. ويجب ان يتصرف الانسان بحيث يستطيع في كل حالة ان يختار الحياة » ..

فالحرية قوة متعالية ، يحقق اصحابها وجودهم ، كما يشاركون من خلالها في تحقيق المواقف الانسانية ، ليكون الأدب بمثابة ضمير المجتمع الحي كما كانت الفلسفة هي ضميره الحر .

وهذا هو سارتر فيلسوف الحرية واديب الحياة ، الذي استطاع بفلسفته وادبه ان يشكل صرخة احتجاج في وجه العصر ، صرخة تهيب بعصرنا الا يكون كسالف العصور ، صرخة تعلن علينا .. الحرية ...

راجع :

● جان بول سارتر : الوجود العدم : ترجمة : د . عبد الرحمن بدوي . دار الاداب بيروت ١٩٦٦ .

● جان بول سارتر : ما الادب ؟ : ترجمة : د . محمد غنيمي هلال : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦١ .

● سارتر عاصفة على العصر : تلخيص وترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد : دار الاداب بيروت ١٩٦٥ .

● سارتر مفكرا وانسانا : باقلام طائفة من الكتاب : دار الكاتب العربي ١٩٦٧ .

● الفلسفة الوجودية : د . زكريا ابراهيم : دار المعارف بمصر « اقرا » ١٦١ .

● سارتر .. ضمير عصره : مجلة الفكر المعاصر عدد ممتاز « ٢٥ » مارس ١٩٦٧ .

قط يريد أن يتكلم



عزت محمد ابراهيم

● انني واحد من الناس ، لا اظن انني اختلف عنهم فى شىء ، أو امتاز عليهم بشىء ، فمثلى مثل المئات العديدة فى بلدتى الذين يعملون فى الوظائف الحكومية ، اذهب الى عملى فى الصباح وأعود الى بيتى فى الظهر ، واجلس على المقهى عصرا ساعة أو بعض ساعة ، اؤوب بعدها الى بيتى فاجلس امام « التليفزيون » وقتا يطول او يقصر فاذا حانت ساعة النوم ذهبت الى فراشى لاستيقظ فى صباح غدى لابدا يوما آخر مثله مثل سابقه لا جديد فيه ! ..

فها انتم ترون اننى واحد من الناس ، لا اختلف عنهم فى شىء ، ولا امتاز عليهم بشىء ، فانا على شاكلتهم تماما ، قد انشبت العادة اظفارها فى نفسى،فاحالتنى الى آلة ، او ما يشبه الآلة .

أما اذا كان لابد من البحث عن موضع اختلاف بينى وبين الناس ، أو بينى وبين السواد الاعظم منهم ، فهو حبى للانفراد والانعزال ،وايثار صحبة كتاب أو صحيفة على أى من خلق الله .

وانا أخرج من بيتى باكرا ، ولا اتناول افطارى فى البيت ، وانما أمر فى طريقى الى عملى على بائع فطائر ، عرف من طول شرائى لفطائره ما أريد ، فأتناول من يده الفطائر ، وأمد اليه يدى بثمنها ، وأمضى فى طريقى بغير كلام .

فاذا مضيت فى طريقى أحمل معى لفافة الفطائر ، يممت وجهى شطر النادى وهو ناد فخم ضخم ،مهيب البنيان فيه قاعة فسيحة ، ذات مقاعد وثيرة ، كأنما قد اعدت لاجتماع ساسة عظام يريدون أن يقرروا مصير العالم .

ولكن الذى حدث ذات صباح فى النادى وأنا جالس فى مكانى المعهود ، أن أقبل على قط أسود كبير الحجم ، قد تقدمت به السن ، عرفت ذلك من رزانته وتعقله وبطء خطواته ، فهو قد حلب الدهر أشطره ، فأثقلت تجاريب الزمان خطواته ، ولو كان يشيب من بنى جلدته الشعر ، لاستحال سواد لونه الى بياض ناصع ! ..

اقبل هذا القط يخطو فى تؤدة من اول القاعة الى آخرها ، حتى اقترب منى وانا امضغ طعامى ، ونظر الى نظرة ذات

دلالة معناها انه يريد أن يأكل كما آكل أنا يهنأ بالطعام كما أهنأ أنا به ، ولأمر ما لم اقدر على رد طلبه ، فقد كانت نظراته حاسمة لا تقبل جدالا ، فجعلت أمد له لقمة اثر لقمة ، حتى اذا شبع ، وجدت انني لم اشبع ، ومنذ ذلك الحين، اصبحت ازيد من قدر الفطائر التي اشتريها ، حتى يشبع هو واشبع انا سواء بسواء .

فاذا أكل وهنىء بأكله ، قفز الى المقعد الوثير المقابل لي ، وجعل يتاملني في صمت ، كأنه يزن مقداري بعينيه ، ويرى ان كنت استحق شرف مجالسته أم لا .

وهكذا تغير المشهد في النادي في الصباح الباكر من كل يوم ، لقد زاد شيئا جديدا : أخطو أنا أول الأمر حتى أقطع القاعة من أولها الى آخرها ، ثم يأتي الخادم بقدح الشاي ، ثم يصل القط يتهادى في مشيه الوئيد ، وخطواته الثابتة ، وثقته في نفسه التي لا يحدها حد ، ولا يستمر ذلك كله سوى دقائق معدودات ، ينتهي بعدها المشهد .

وكان مقدرا أن تمضي الامور على هذه الوتيرة ما تعاقب ليل ونهار الى ما لا يعلم الا الله مداه ، أنا والخادم والقط ، ولا شيء سوى ذلك ، لولا أن حدث ذات صباح ما غير المشهد تغييرا طفيفا .

اما ذاك الذي حدث ، ولم أكن قط أتوقعه ، فهو أن أقبل على القاعة في ذاك الصباح الباكر واحد من خلق الله ، سمعت وقع قدميه فانكرت ذلك انكارا شديدا ، ولم أكلف نفسي عناء التطلع اليه ، قلت في نفسي : من هذا الثقيل الذي يريد أن يعكر علي صباح يومي هذا ؟ ثم تذكرت ان القاعة فسيحة وان مقاعدها الوثيرة كثيرة متعددة ، وانه سينأى بنفسه عن مكاني ، ويتخذ لنفسه مكانا قصيا ، ولكنه ـ لدهشتي ـ كان يقصد مكاني قصدا وتطلعت اليه في دهشة قد مازجها فزع ، فاذا به واحد من زملائي في العمل يصيح في فوز وانتصار :

ـ ها قد وقعت ، وعرفت أين تختلي بنفسك .

وكان لابد مما ليس منه بد ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث ، وجاء ذكر واحد ممن أعرف فجعلت أسلقه بلسان حديد ، فلم أدع فيه نقيصة الا الصقتها به ، ولم أدع له مزية الا جردتها منه ، ولم أدع شنيعة من القول والفعل الا وجعلتها من صفاته .

ألست واحدا من الناس ، أفعل ما يفعله الناس ؟

وانصرف صاحبي ، وتركني وشأني أنعم ببعض الراحة بعد عناء الكلام ، وتنفست الصعداء ، ونظرت الى القط الجالس قبالتي وأنا أحسده على هدوئه واطمئنانه وأكثر من ذلك على صمته المجبول عليه ، فهو غير مضطر الى عثرات اللسان التي قد يعض عليها بنان الندم ، حيث لا ينفع الندم ، وحيث يكون قد سبق السيف العزل .

ولم يكد صاحبي يمضي الى حال سبيله حتى وقع آخر ما يمكن أن تصور وقوعه في هذا العالم الحافل بالغرائب ، لقد احسست بجسمي ينتفض انتفاضا ،حتى كأن قد اصابتني حمى شديدة الوطأة ، عسيرة الاحتمال ، وجعلت الدنيا تدور من حولي فكأن الارض قد زلزلت زلزالها فهي من تحتي تميد ميدا شديدا ، فقد اقبل على صاحب آخر ، ولو كان أي صاحب لهان الامر ، ولكنه كان الصاحب الذي كان مدار حديثنا منذ هنيهة .

وبغير وعي مني أو ادراك ، التلفت من مكاني مهللا صاخبا ، افتح ذراعي

لاستقبله بالاحضان ، ولاغمر وجهه بالقبلات ، ربما كان ذلك احساسا منى بالذنب الذى اقترفته فى حقه منذ قليل وربما لان هذه هى طبيعة الناس وماجبلوا عليه .

ألست واحدا من الناس ، افعل مايفعله الناس .

وجلس الصاحب ، ودعوت الخادم فأقبل وهو يستغرب أشد الاستغراب ما حدث ذيالك الصباح ، ثم مضى يأتى لصاحبى بما طلب ، فاذا عاد كنت انا قد أتيت على جميع الخلال الحميدة التى حفلت بها جميع كتب الاخلاق فأضفيتها عليه ، وجعلت منها ثوبا سابغا خلعته على شخصه ، فهو الكريم المحتد ، وهو الرفيع العماد ، وهو صاحب الخلق الحميد ذو النجدة والوفاء ، وهو البلسم الشافى لجراح جميع الانام ، و .. الى مالا آخر له ..

وحانت منى التفاتة الى القط ، فرأيته ينفش شعره ، ويقوس ظهره ، ويفقد ما عهدته فيه من رزانة وتعقل ، ثم رأيته — لدهشتى البالغة — يفتح فمه ويتثاءب ويبدو كما لو كان سيهم بالكلام .

وبدا لى واضحا انه سيتكلم ، وانه سيقول : أنت كاذب ، ومنافق ، وتستحق قطع لسانك ، فانك كنت تقول فيه منذ هنيهة كذا وكذا .

واصابنى مالا سبيل الى وصفه من الخوف والفزع ، ونظرت اليه فى توسل واستجداء ، وأنا أكاد أقول : كلا ، كلا ، لا تفعل ، لا تتكلم ، لن أعود لمثل ذلك أبدا .

وكأنما قرأ القط اللعين أفكارى ، فزمجر متوعدا ، وهب من مكانه وقد نفش شعره ، وقوس ظهره ، وبدا كمن استبد به غضب شديد ، كما لو كان يهم بالكلام .

ولابد ان وجهى اذ ذاك قد علاه الاصفرار ، وان عينى قد حال لونهما ، وان أنفاسى قد تتابعت ، شأن من قد أصابته غاشية ، أو همت أن تصيبه غاشية .

ونظرت الى القط فى توسل واستجداء وعيناى تنطقان بما أريد أن أقوله : أرأيت ما أصابنى ؟ الا تشفق على حالى ؟ الا ترحم انسانا قد اخطأ ، وما كان خطؤه الا لانه واحد من الناس ، يفعل ما يفعله الناس ، اننى على أية حال لم أعد ارتاب فى قدرتك على الكلام ، فاهدأ بالا ، واسترح نفسا ، وعد الى ما كنت عليه من رزانة وتعقل .

واستجاب القط الى توسلاتى ، وعاد الى ما كان عليه من رزانة وتعقل ، وجلس صاحبى زمنا ثم مضى الى حال سبيله .

ومنذ ذلك الحين لم أعد أهنأ بالجلوس وحدى فى النادى ، فقد أصبح يشاركنى فى الجلوس فيه بين الحين والآخر واحد أو اثنان ممن أعرف من الناس ، ولكننى ومنذ أن وقعت الواقعة ، لم أخض فى حديث كذاك الحديث ، ولم أتناول انسانا أبدا — فى غيابه — بما لا أقدر على تناوله به فى حضوره .

وكيف أجسر على ذلك ، وهذا القط قابع أمامى ، كأنما يحصى على كل كلمة أنطق بها ، وكأنما هو على أهبة الاستعداد دائما لأن ينفش شعره ، ويقوس ظهره ، ويفتح فمه كأنما يريد ان يتكلم ، أو كأنما هو على أهبة الاستعداد دائما لكى يفقد ما قد عهدته فيه من رزانة وتعقل ، وأن يهب من جلسته مزمجرا متوعدا بالويل والثبور وعظائم الامور .

وهو يديم النظر الى بعينين نفاذتين كأنما تخترقان دخيلة نفسى ، فتعرفان ما تهجس به من هواجس وما يضطرب بين خباياها من وساوس . وهو لا يكف عن التطلع الى كأنما يتحدث معى بعينيه ، حتى بدا للناس كأن شيئا خفيا يربط بينى وبينه ، وأصبح حالى معه هو حال : رجل غريب الاطوار يصاحب قطا يريد ان يتكلم .

أنا و عقلي

جليلة رضا

.. هي فترة في العمر تأتي .. كلما ضاق الفؤاد بعبئه الجبار !

فيها أرى عقلي .. تبلد خاملا متجمدا .. كالصخر .. كالأحجار !

وأظل أشغله .. فيدرك حيلتي ويشيح عني الوجه .. في استهتار

.. فإذا لزمت البيت : أصغى باحثا في ردحة الجيران .. عن أسرار !

ثم استقر لدى النوافذ .. كاشفا عما يضم الدرب من أخبار !

ثم استوى – عند المواقد – طامعا في أكل حلوى .. أو مذاق خضار

وإذا خرجت – وكم أسير – فربما تجري الدماء به .. كشعلة نار

فإذاه .. يعزف عن رؤى أشباهه متأملا في الركب .. وجه حمار !

وإذا أتيت المكتبات لأشتري كتبا تضيء العقل بالأنوار

.. حث الخطى متبرما متأففا ومضى إلى الشباك والتجار

وإذا دلفت إلى الحديقة .. غاله تحت الغصون الخضر والأشجار :

يحسو الجمال وينتشي من خمره ويبث في روائع الأشعار ..

.. ألتقي بما خط الجمال بمهجتي في هوة النسيان .. دون قرار !..

***

حتى إذا جاء المساء بصمته ... ونفضت عني اليأس في إصرار

ووضعت رأسي فوق ركن وسادتي لأريح جسمي من عناء نهار :

مرت مرور قوافل في بيدها – ومضت مضي سفائن بحار –

قطط الشوارع كلها في خاطري وكلاب أهل الحي .. في أفكاري !

***

هي فترة في العمر تأتي كلما ضاق الفؤاد بعبئه الجبار !

أول مصري في اليابان

مصطفى الشهابي

ظلت اليابان تغلق ابوابها دون العالم الخارجي حتى منتصف القرن الماضي ..

وعلى الرغم من محاولات بعض الدول الاوروبية زيارتها الا انها كانت وقتذاك ترفض هذه الزيارات ..

وظلت عزلة اليابان قائمة حتى قرر الكونجرس اقامة علاقات معها سنة ١٨٤٥ وقصدت أول بعثة امريكية الى اليابان في ذلك العام ولكن اليابان طلبت اليها العودة ، .. غير أن الامريكيين عادوا اليها عام ١٨٥٣ ثم عام ١٨٥٤ ، وقد حشدوا عددا كبيرا من السفن الحربية ، كما حملوا الكثير من المخترعات كالقاطرة البخارية وعرباتها ، وكالتلغراف ، هذا عدا الهدايا من الاسلحة الخفيفة والساعات وادوات المنزل وغيرها ..

وهال ذلك كله اليابان ، فعقد امبراطورها مع الولايات المتحدة معاهدة تعهدا فيها باقامة سلام عالمي دائم وكذلك « صداقة قلبية » مخلصة بينهما وذلك في ٣١ مارس ١٨٥٤ .

ومنذ ذلك التاريخ خرجت اليابان من عزلتها واخذت ترسل البعثات الى مختلف الدول ، وتقتبس من كل دولة أفضل مالديها .. ولما كانت انجلترا سيدة البحار يومئذ فقد اوفدت اليها البعثات البحرية ، اما الجيش فقد اتجهت بعثاته الى المانيا عقب انتصارها الساحق على فرنسا في عام ١٨٧٠ ـ وهكذا .

وماهي الا اعوام قلائل حتى ظهرت بوادر التقدم في اليابان في جميع المجالات ، ولما كانت روسيا الد اعداء انجلترا وقتذاك فقد عقدت مع اليابان تحالفا عام ١٩٠٢ . واخذ الانجليز يمجدون اليابان ويصفونها بانها « انجلترا الجديدة في الشرق » لتكون حليفا لهم ضد روسيا ..

وصح ماتوقعه الانجليز فقد توترت العلاقات بين روسيا واليابان بسبب الخلاف على كوريا وبعض اجزاء في الصين وانتهى الامر بانهزام روسيا برا وبحرا ..

ومن الطريف ان انجلترا استغلت قناة السويس في عرقلة وصول الاسطول الروسي في البلطيق الى اليابان ، بان اغرقت احدى السفن في القناة ، وتطلب انتشالها بضعة اسابيع كان الاسطول الياباني قد حطم خلالها الاسطول الروسي في بحر اليابان ..

واصبحت اليابان مفخرة دول الشرق ، تتحدث عنها الصحف والمجلات وتؤلف عنها الكتب ..

وكان ممن الفوا عن اليابان ولفتوا الانظار اليها المغفور له الزعيم مصطفى كامل الذى وضع كتاب « الشمس المشرقة » وفيه اظهر عظمة اليابان

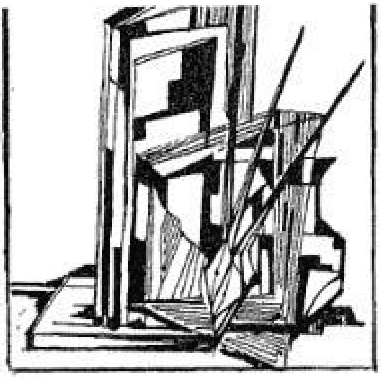
التى بهرت العالم بتقدمها ووطنيتها وقصد بذلك ان ينظر المصريون بعين الاعتبار الى تلك الدولة التى لم تكن شيئا مذكورا يوم كانت مصر فى اغلب النصف الاول من القرن الماضى صاحبة حول وطول ، ثم صارت اليابان بفضل وطنية واخلاص ابنائها موضع اعجاب العالم ، ووثبت الى الصف الاول من الامم القوية ، كما اراد ان يبين للمصريين كيف ترقى الامم المتمسكة باهداب الوطنية ..

وطبيعى ان مؤلفا كهذا يضعه زعيم كبير لابد وان يكون موضع اهتمام المصريين بصفة عامة والصحفيين بصفة خاصة .

وكان من بين هؤلاء الصحفيين ، الصحفى المصرى على احمد الجرجاوى صاحب جريدة الارشاد ، الذى تطلع الى زيارة اليابان ليراها عن كثب ثم يكتب عنها من جهة (١) ومن جهة اخرى ليشترك فى المؤتمر العام للاديان ، الذى تقرر عقده بعد بضعة اشهر هناك ، وكتبت عنه الصحف فى مختلف بلاد العالم ومنها تركيا ومصر .

لذلك اخذ يحض على تأليف وفد من العلماء لحضور ذلك المؤتمر ولكن دون جدوى ، ولم يجد سوى اثنين تطوعا لمرافقته عند وصوله لليابان ولكى ينفى عن نفسه الاتهام باتخاذ تلك الرحلة سبيلا لابتزاز بعض الاموال اعلن أنه لايقبل درهما واحدا على سبيل المساعدة المادية .

وفى صبيحة يوم الجمعة ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٦ استقل القطار من محطة القاهرة . وكان كلما مر ببلدة تذكر اهم الحوادث التى تتصل بتاريخها . وكان أول ما طاف بذهنه عندما



ابتعد عن القاهرة وراى منارتى جامع محمد على ـ مذبحة المماليك وماجرى فيها .. وفى بنها تذكر مصرع عباس الاول والى مصر .. وفى طنطا تذكر ما قام به المنشاوى باشا من حماية الاجانب المسيحيين القاطنين بطنطا من ثورة بعض الحمقى وعند كفر الزيات تذكر غرق الامير احمد بن ابراهيم باشا ولى العهد بينما نجا شقيقه اسماعيل وذلك فى الحادث المعروف وبذلك اصبح اسماعيل وليا للعهد .

ووصل الجرجاوى الى الاسكندرية فتناول تاريخها منذ انشاها الاسكندر الاكبر وذكر المسلتين اللتين كانتا بها ونقلت احداهما الى لندن والاخرى الى نيويورك ، وتحدث عن منارتها وحضارتها فى عهد البطالمه ، ثم يستطرد حتى يصل الى عهد الاحتلال البريطانى ، ولا يفوته أن يتحدث عن امجاد العرب والاسلام فى البحر المتوسط منذ فتح معاوية جزيرة رودس . ويذكر بالحسرة تلك العصور الزاهرة التى شهدتها الاندلس . ولاينسى بلاد المغرب والاحتلال الفرنسى للجزائر ثم تونس وسياسة الطغيان التى اتبعها فيهما .

وابحرت به السفينة من الاسكندرية فى اوائل يوليو ، ولانها ايطالية فقد اتجهت الى ايطاليا ورست فى مسينا، ثم سارت الى نابلى وهناك شاهد بركان فيزوف وذكر أن المنشاوى

«١» وقد اصدر هذا الصحفى بعد عودته كتابا عنوانه الرحلة اليابانية ، لصاحبها الصحفى على احمد الجرجاوى صاحب جريدة الارشاد ـ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ « ١٩٠٧ » .

باشا ، ذهب الى تركيا عقب الثورة العرابية ، وهناك اتهم بالسعي لاعادة الخديوي اسماعيل الى عرش مصر ، ولذلك نصحه السفير الفرنسي بالذهاب الى تونس . وفي طريقة اليها عرج على نابولي وبينما هو جالس في احد مقاهيها واذا بايطالي كان تاجرا بالاسكندرية يتقدم اليه ويعرفه بنفسه ولما علم ان محدثه هو المنشاوي باشا اجله واكبره .

وفي صباح اليوم التالي وجد المنشاوي باشا امام الفندق الذي نزل به المئات من الايطاليين ومعهم الموسيقى وكلهم جاءوا للاحتفاء به في مكان اعد بسرعة لذلك الغرض .

وسار الجميع يتقدمهم المنشاوي الى المكان حيث تبارى الخطباء في مدحه وتلاه محافظ المدينة تيشانا .

***

ثم اقلعت الباخرة قاصدة بالرمو بصقلية التي نوه بامجادها وآثارها .

ومن صقلية اتجهت الباخرة الى تونس التي تحدث عن تاريخها القديم ودخول الاسلام فيها ثم استعمارها على يد الفرنسيين ومحاولتهم جعل كل شيء فيها فرنسيا .

واغرب مانوه به هو احتفال الفرنسيين بذكرى يومدخولهم تونس ، والاغرب من ذلك اقامة ذلك الاحتفال بموكب عسكري تتقدمه فرق عسكرية واعلام وموسيقى ، في مثل ذلك اليوم من كل اسبوع .

ولو ان الفرنسيين لم يصرحوا له بزيارة باي تونس الا انه لم تفته زيارة بعض علمائها ، وذكر في كتابة تراجم موجزة للباي ولبعضهم .

وغادرت الباخرة تونس الى السويس حيث استقل باخرة فرنسية رست على ينبع ثم جدة فعدن التي نوه باحتلال الانجليز لها واهتمامهم بها .

ثم قصدت الباخرة الى بومباي ومنها الى كولومبو عاصمة جزيرة سيلان ثم الى سنغافورة ومنها الى هنج كونج وتحدث عن كل منهما وانتقل من الحديث عنها الى الحديث عن حالة المسلمين بالصين ، وقدرهم بنحو خمسين مليون .

واخيرا اتجهت الباخرة الى اليابان وهناك رست في ميناء يوكوهاما حيث استقبله من وعداه باللقاء في اليابان .

ومن يوكوهاما قصد الثلاثة الى طوكيو بالسكة الحديد وهناك نزلوا بأحد الفنادق .

ولا يفوت المؤلف أن يذكر موجزا لحياة امبراطور اليابان يومئذ « متسوهيتو » ويوضح مكانته لدى شعبه ..

وفي طوكيو تقابل الجرجاوي وزميلاه مع مسلم هندي قدم على نفقة بعض الهنود المسلمين ، واتفق الجميع على استئجار منزل لاقامتهم .

وعندما علم المالك الياباني للمنزل الذي استأجروه بأنهم يدينون بالاسلام وأنهم سيتخذون المنزل للسكنى وللدعوة للاسلام ، طلب اليهم ان يشرحوا له قواعد الاسلام وسبب تفضيله على سائر الاديان ، فشرحوا له ذلك عن طريق مترجم .

وما هي الا جلسات ثلاث حتى اعلن هذا الياباني اسلامه وتبرع لهم بالاقامة مجانا بمنزله ، واحضر لهم خادما ملما بالانجليزية التي كانوا يتكلمون بها .

وقررت الجماعة الا تغادر العاصمة اليابانية بل اقتصروا على المنزل وأباحوا الدخول لكل انسان في مواعيد الجلسات التي كانت تعقدليلا للحديث عن الاسلام ومبادئه .

وكانت اول جلسة قاصرة على بيان الغرض الذي جاء من اجله اعضاء الجماعة الى اليابان ، وكتبت الخطبة بالانجليزية وترجمها صاحب المنزل

الى اليابانية ، وقد شهد تلك الجلسة عدد كبير من اليابانيين .

وفى الجلسة الثانية كان الازدحام شديداً ، وفيها تناوب الاعضاء المسلمون الحديث عن القرآن والسنة الشريفة ، ثم الاجابة عن بعض استفسارات كتابية وردت للجماعة .

وتوالت الجلسات وتوالى اشهار بعض اليابانيين لاسلامهم حتى بلغوا نحو ١٢٫٠٠٠ رجل ، من بينهم عدد من التجار وذوى الحيثية . وقد اوضح المسلمون لهؤلاء انه لاداعى لتغيير اسمائهم ولا اسماء عائلاتهم وان الذين لهم زوجات مسيحيات لايردن تغيير دينهن فلهن ذلك دون طلاق اما الزوجات البوذيات وغيرهن فلابد من طلاقهن او تمسكن بتلك العقائد .

وبلغ عدد الجلسات التى عقدت بمنزلهم نحو الثمان عشرة جلسة ..

وقد اورد الجرجاوى فى كتابه « الرحلة اليابانية » بعض الموضوعات التى كانت تقدم للمجتمعين للدرس والمناقشة ومن تلك الموضوعات .

١ ـ الاسلام ، كلمة عامة .

٢ ـ الاسلام دين الفطرة .

٣ ـ القرآن .

٤ ـ كيفية نزول القرآن .

٥ ـ اعجاز القرآن .

٦ ـ رسالة سيدنا محمد .

٧ ـ الصلاة وانواعها .

٨ ـ الاذان والامامة .

٩ ـ الزكاة والصوم والحج .

***

وبدات جلسات المؤتمر فى اول مارس سنة ١٩٠٦ ، بعدما حضر اغلب مندوبى الدول التى دعيت للحضور واستقروا فى الاماكن المعدة لسكناهم ، مع توفير كل ما يلزم لراحتهم ، عدا الطعام وذلك لعدم معرفة مايوافق كل وفد من انواع الاطعمة ..

وكان اول ماعرض على الحضور بعد افتتاح الجلسة ، الغرض من المؤتمر وهو « البحث فى اصول كل دين ومذهب يريد اهله ان يعتنقه اليابانيون على شرط ان تكون الادلة التى يؤتى بها على صحة كل دين مطابقة للعقل والافلاحاجة للبحث فيه » .

واعقب ذلك قيام احد مندوبى تركيا وتحدث عن حكمة الله تعالى فى ارسال الرسل بتعاليم ومعجزات مناسبة لاحوال واطوار تلك الامم ، وذكر فيما ذكر معجزات موسى عليه السلام . ثم تحدث عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقرر ان معجزته الخالدة هى القرآن ..

***

ولم يفت الجرجاوى أن يتحدث عن وطنية اليابانيين وتضحياتهم خلال حربهم مع الروس ونوه بالدور الذى قامت به النساء ، وبين مدى ما وصلت اليه من رقى ، كما تحدث عن رجال الشرطة ، ومدى تقديرهم للاجانب ، ثم تناول بعض عوائد اليابانيين ، واعيادهم واهتم بالتعليم وعناية اليابانيين به ، الى غير ذلك من مختلف الموضوعات الخاصة باليابان .

وبعدان قضى باليابان نحو اثنين وثلاثين يوما ، على حسابه الخاص قرر العودة الى مصر فاستقل باخرة صينية رست ، بعد احدى وعشرين يوما فى كلكتا بالهند ، التى ذكر جانبا من تاريخها واستعمار الانجليز لها ، ووصف تلك المدينة، ومن كلكتا سارت السفينة حتى السويس ، وهناك غادرها المؤلف الى القاهرة واخذ فى تاليف كتابه الذى ضم كل ما ذكرناه ومنه عرفنا انه كان اول مصرى وطئت اقدامه اليابان

صورة

الرمانة

للكاتب الياباني
الفائز بجائزة نوبل
في الأدب
كاواباتا ياسوناري
ترجمة : د. سليم الاسيوطي

● الرمان من كل ما كانت تحمله في تلك الليلة ، تجردت شجرة أغصانها من أوراق ..

الاوراق تغطى الارض في شكل دائرة حول قاعدة الشجرة .

فزعت كيميكو لرؤيتها في الصباح عارية من أوراقها ، وعجبت لاكتمال الدائرة ، فلا عيب فيها ولا تشوبها شائبة ، كان لابد ان تتوقع ان تفسد الريح نظامها ..

كان باعلى الشجرة رمانة بالغة الجمال تركتها الريح تتوج هامتها ...

نادت امها قائلة : تعالى يا أمساه ، وانظرى ! ..

نظرت امها مسرعة الى الشجرة ، ثم عادت الى المطبخ : وعلقت قائلة : « لقد غاب ذلك عن بالى ! »

لقد حمل ذلك كيميكو على التفكير في وحدتهما . ان الرمانة المعلقة في سماء الشرفة بدت وحيدة ، كأنما تسول عنها الخلق وطواها النسيان .

فمنذ الاسبوعين أو قرابة الاسبوعين كان ابن اختها ، الفتى الخجول ، قد جاء لزيارتهما ، ولاحظ الرمان لفوره . فتسلق الشجرة على عجل ... شعرت كيميو أنها ترى وتحس الحياة تتفتح ..

نادت من الشرفة : توجد رمانة كبيرة هناك في أعلى الشجرة !

ـ « ولكني اذا ما قطفتها لن استطيع الهبوط بها ! »

كان ذلك صدق . فان الهبوط من فوق الشجرة وهو ممسك برمانتين في يديه ، كلتيهما ، ليس بالامر الهين ...

فابتسمت كيميكو ، فقد كان عزيزا لديها .

كان أهل المنزل قد نسوا الرمانة الى أن حضر الى المنزل ، وحتى الان كانت الرمانة تتبدى ظاهرة للعيان في السماء .

كانت تبدو في الفاكهة قوة ، وفي دائرة الاوراق على سطح الارض قوة . وذهبت كيميكو واسقطت الرمانة بقضيب من أعواد البامبو .

كانت قد بلغت من النضج غايته ، حتى بدت حباتها توشك أن تشقها عنوة ... تلألأت الحبات في ضوء الشمس عندما وضعتها على الشرفة وبدا أن الشمس تخترق تلك الحبات .

وفي الدور العلوى كانت تقوم بحياكة ملابسها في الساعة العاشرة تقريبا ، وسمعت صوت كيياكتشي . وعلى الرغم من أن الباب لم يكن مغلقا فقد ظهر أنه قد سلك طريقا غير مباشر الى الحديقة وكان في صوته رنة الاستعجال .

نادت أمها قائلة : يا كيميكو ، يا كيميكو ! ان كيياكتشي ها هنا !

تركت كيميكو الابرة دون أن تسلك الخيط في سمها . ثم غرستها في وسادة الدبابيس .

ـ « كانت كيميكو لا يفتر تردد القول **بانها تتوق توقا شديدا لرؤيتك قبل رحيلك ! »**

كان كيياكتشي ذاهبا الى الحرب . «ولكننا لم نكن نستطيع الذهاب لزيارتكم بدون دعوة ، وانت لم توفق في المجيء فلم تحضر . وانه لجميل منك ان تاتى اليوم ... »

دعته الى البقاء لتناول الغداء معهما ، ولكنه كان على عجلة من امره .

ـ « حسن ، اذن فلتاخذ على الاقل رمانة . نحن لدينا شجرة رمان غرسناها بانفسنا .

ثم عادت فنادت كيميكو من جديد .
حياها بعينيه ، كما لو كان يفوق طاقته انتظارها حتى تجيء الى الدور السفلي – فتوقفت على الدرج .
ان شيئا ما ، شيئا دافئا بدا يتسرب الى عينيه ، وسقطت الرمانة من يده .
تبادلت كيميكو معه النظرات ، وابتسما ...
وحينما تأكدت أنها كادت تبتسم اخضل وجهها بحمرة الخجل .
ونهض كيياكتشي من على الشرفة .
– حافظي على نفسك ، يا كيميكو !
– وانت أيضا !
كان قد استدار مغادرا الدار قائلا الى اللقاء .
شخصت ببصرها من مكانها على السلم الى بوابة الحديقة بعد أن كان قد غادرها
قالت الام : « لقد كان على عجل . ولقد كانت رمانة جميلة حقا ! »
كان قد تركها على أرض الشرفة .
من الواضح انه قد تركها تسقط من يده عندما استشعر ذلك الشيء الدافيء الذي احس به يتسرب الى عينيه ... فانه كان قد بدأ يفتحها . لم يكن قد قسمها باكملها الى قسمين . كانت ملقاة وقد بدت حباتها .
حملت الام الرمانة الى المطبخ وغسلتها ثم اعطتها الى ابنتها كيميكو .
عبست الفتاة ، وارتدت حاسرة الى الوراء ، وحينئذ ، عاودت حمرة الخجل خديها ، ثم تناولتها بشيء من الارتباك .
يبدو ان كيياكتشي كان قد أخذ حبات قليلة من قرب حافتها .
لقد كان تصرفا غريبا من كيميكو أن لا تأكل شيئا منها ، وأمها ترمقها عن كثب، فقضمت في الرمانة دون اكتراث . وملأت الحموضة فمها . واستشعرت لونا من السعادة الحزينة . التي تنفذ عميقة في داخلها .
وقفت الام بدون اهتمام .
اتجهت نحو المرآة وجلست أمامها وخاطبت ابنتها قائلة : « انظري الى شعري ، لقد ودعت كيياكتشي بهذه الكتلة الكثيفة من الشعر .
كان باستطاعة كيميكو أن تسمع صوت المشط اذ يعمل في شعر أمها .



الاديب الياباني كاواباتاسوناري

قالت أمها بحنان : « عند موت أبيك كنت اخاف أن أرجل شعري . وحين كنت أرجله كنت انسى ماذا أنا فاعلة . ولما كنت أثوب الى رشدي كان يبدو لي أن اباك ينتظر لي حتى افرغ من تصفيفه » .
تذكرت كيميكو العادة التي كانت قد درجت عليها أمها في ان تأكل ما كان يبقيه والدها في طبقة .
شعرت الفتاة بأن شيئا ما يشدها ، محلاة جملتها تود لو انها انخرطت في البكاء .
من المحتمل أن تكون أمها قد أعطتها الرمانة لانها لا ترغب في أن ترميها . لهذا السبب ليس الا . لقد أصبحت لديهم عادة عدم رمي اي شيء .
احست كيميكو بالخجل امام والدتها ، وهي وحيدة في سعادتها الخاصة .
اعتقدت ان ما فعلته كان وداعا افضل مما كان يمكن يعيه كيياكتشي ... وان باستطاعتها ان تنتظر عودته اي مدة مهما طالت .
نظرت نحو امها وكانت اشعة الشمس تسقط على الابواب الورقية وراء المقعد الذي جلست عليه امها امام مرآتها .
كانت تستشعر الخوف هونا ما في قضم الرمانة التي على ركبتها ..

في الذكرى المائة لوفاته

الهدوء .. بعد العاصفة!

ديستويفسكى

فى سنواته الأخيرة

بقلم: زينا مورينا
ترجمة: نصرى عطا الله

« يحتفل العالم كله بذكرى كاتب عظيم هو فيودور ديستويفسكى (١٨٢١ - ١٨٨١) ، صاحب القصص الخالدة « الاخوة كارامازوف » ، « والابله » ، « والجريمة والعقاب » وغيرها ..

والفصل الذى نقدمه هنا يعرض لحياة الكاتب فى السنوات العشرة الاخيرة من حياته .

عاد ديستويفسكى الى بطرسبرج عام ١٨٧١ بصحبة « آنا جريجورد يفنا » (زوجته) - وابنته « لوبا » ... .. وقد كانت السنوات العشرة الاخيرة من حياته اكثرها سعادة واغزرها سلاما واضواؤها تنعكس على كلمات زوسيما العجوز (احد شخصيات الإخوة كارامازوف) .

« عبر معميات الحياة ، تتحول محنتنا القديمة شيئا فشيئا الى رضاء هادىء رصين ودم الشباب الملتهب يتخلى عن مكانه للشيخوخة الهادئة المطمئنة ... اننى ابارك شروق الشمس كل صباح ، وكالعهد فى الايام الخالية يجد قلبى فى ذلك فرحة ، ولكننى احب الغروب اكثر .. ان الشعاعات الممتدة والذكريات الهادئة الناضجة التى تجلبها معها

والصور الحبيبة لحياتي الطويلة المباركة وقبل كل شيء الحقائق الآلهية التي تواسي وتسترضي وتغفر .. ان حياتي تقترب من النهاية . انني ارى ذلك واسمعه .. ومع كل يوم يمر بقي لي على هذه الارض ، أحس بحياتي الارضية تندمج في حياة آتية ، جديدة ، لانهائية ، مجهولة .. وشعوري المسبق بها يجعل حياتي تهتز نشوة وعقلي يتوهج وقلبي يبكي فرحا .. »

لقد تحولت الجمرات البركانية الى لهب هائل مستمر ..وكان ديستويفسكي يقضي الشتاء في بطرسبرج ، والصيف في ستارياروزا (أحد المصايف أو المناطق الريفية المعتدلة) ، وكان احيانا يسافر الى الخارج ، ولكنه لم يرته مرة واحدة وكرا من أوكار القمار ، فقد اختفى شيطان المقامرة ، وقد رزق ابنان ، (١٨٧٥ ـ ١٨٧٨) وكان الاخير مصابا بالصرع ، ومات في سن باكره هي الثالثة من عمره .

ولقد استبد الحزن بديستويفسكي . وتكتب زوجته « آنا جريجوريفنا » في كتاب ذكرياتها :

« كان يحب الكسى حبا غريبا .. يكاد يكون مرضا ، كما لو كان يحس نذيرا بوفاته الباكرة . وزاد من حزن زوجي ان الكسى مات متأثرا بالصرع الموروث عن والده ..

« وظاهريا كان ديستويفسكي يبدو مستسلما للغاية ، وانه قد تحمل لطمة القدر بعزم ثابت ، ولكنني كنت اخشى ان ذلك الحزن ـ الذي كان يبدو للناس انه يستطيع السيطرة عليه ، والذي كان ياكل قلبه على الدوام ـ قد يتلف صحته التي كانت ضعيفة بالفعل .. »

وبتشجيع من زوجته ، اعتكف ديستويفسكي بصحبة سولوفييف في دير « اوتينا يوستين » ، وهناك استعاد



فيودور ديستويفسكي
مائة سنة على وفاته

الهدوء ، بعد فترة من التأملات الدفينة .

ان أحزان « آنا جريجوريفنا » لوفاة ابنها لم تهدأ .ولقد صورها ديستويفسكي في « الاخوة كارامازوف » ان زوسيما العجوز الخبير بالقلب البشري يستطيع أن يمنح العزاء للجميع الا الام التي مات ولدها .. لقد حاول أن يلطف من آلامها بان يقول لها ان ابنها الآن ملاك في ملكوت الله ، ولكن الأم كانت تبكي بحرقة اكثر .. لقد تمنت ان ترى الصغير الذي مات ولو مرة واحدة لا أكثر .. ولو من ثقب باب ، او حتى تسمع في غرفة مجاورة وقع اقدامه الصغيرة العارية فوق ارض الغرفة ! ..

***

وكان ديستويفسكي أبا ودودا ، وعندما كان مقيما في « ستاريا روسا » اشترى ارغنا يدويا صغيرا للاطفال ،وكان يعزف عليه في الامسيات ، ويطوف به راقصا مع الاطفال ..

وفي الصباح بعد تناول طعام الافطار كان على الصغار أن يأتوا اليه ، ويقصون عليه كل ما شاهدوا من مناظر وواجهوا من مغامرات خلال جولتهم الباكرة ..

وتقول « أنا جريجوريفنا » في كتاب ذكرياتها انها لم تر مطلقا شخصا آخر مثل ديستويفسكي يمتلك نفس قدرته على تهيئة نفسه للحديث مع الاطفال أو راتياد عالمهم . أو شراء وتزيين شجرة عيد الميلاد .. وكان تهليل الاطفال لرؤية الشموع والهدايا أروع ما يحظى به من سعادة .. »

وذات حين وكانت العائلة قد سافرت الى « ستارايا روسا » وبقى دستويفسكي وحده في بطرسبرج وكتب الى زوجته يقول ان أشواقه الى أولاده كانت عنيفة الى حد انه كان يترك مكتبه ويذهب الى الغرفة المجاورة يمر ببصره على الاسرة كأنه يقبلها !

في تلك الاونة كان كل يوم من حياته يسير وفق خطة محكمة التنسيق . وفي أغلب الاحيان كان يكتب خلال الليل فقط ، عندما تهدأ ضجة النهار وحركته .. وفي الصباح كان يستيقظ في الحادية عشرة ، ويذهب ليرى أطفاله . ثم يشرع في القيام بجولة ..

وفي الامسيات كان يملي على زوجته ما كتبه في الليلة السابقة ، وتحدثنا « آنا جريجوريفنا » في ذكرياتها عن عملهما المشترك :

« كنت دائما أحب العمل مع زوجي ، وكنت فخورة بانه في استطاعتي مساعدته واني كنت أول من يسمع تلك الاعمال من فم كاتبها .. وعادة كان فيودور ديستويفسكي يملي ما كتبه من مخطوطته مباشرة ، ولكن عندما يكون راضيا جدا عن احدى الفقرات أو يشك في جودتها كان يقرأ لي الفقرة كاملة قبل أن يبدأ في الاملاء ، وكان ذلك أقوى اثرا في النفس من الاملاء على النهج المعتاد .. »

وقد سوى ديستويفسكي ديونه المالية المرهقة .. ولو انه قام بسداد الدين الاخير عام ١٨٨١ أي عام وفاته .

ومن عام ١٨٧٦ حتى عام ١٨٧٧ قام باصدار جريدة تحت عنوان « يومية مؤلف » ناقش فيها مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية في عصره ..

وفي كل صفحة كان يسجل أعمق ما آمن به في حياته : « ان كلا منا مسئول عن كل ما يحدث » — ومن المدهش ان طاقة ديستويفسكي المتوقدة والتي ظلت تتغذى على ذاتها في شراهة طوال حياته ، والتي لم تكن قد استنزفت اطلاقا حتى مغرب عمره — ظلت تمده بالقدرة على أن يرحب بكل محاولة نبيلة ، وأن يصرخ منددا بكل عمل ظالم أو يتسم بالعدوان .. حتى قسوة العقاب الذي كان يقود العجل الى المذبح ويجلس فوقه جلسة مريحة كأنه فوق مقعد وثير !

وفي « يومية مؤلف » يدلي برأيه الصريح في الاطفال الذين يحترفون التسول .. والاحكام غير العادلة التي تصورها المحاكم .. وحقوق المرأة .. وأهمية الثقافات الاجنبية .

وهذه النشرات ذات الاكتفاء الذاتي ، التي كان هو محررها الوحيد حظيت بانتشار واسع ، وكان يتلقى مئات الخطابات من مختلف طبقات الناس ، مليئة بالامتنان القلبي من أجل مجهوداته لايقاظ ضمير الشعب ، ومن أجل هدم

تخوفه من ذكر الاشـــياء بأســـمائها الحقيقية .

واحاطت به هالة من المجد .. كان يســتقبل كل يوم العـديد من الزوار ويـستمع الى متاعبهم ، ويحـــاول ان يرشدهم الى السبيل القويم ، ولم يحدث أن صــد احدا عن بابه ، الى حـد انه اضطلع بمواساة فتاة رسبت فى امتحان الجغرافيا ! ..

وقد اختارته اكاديمية العلوم زميلا (ولو ان هذا جاء متاخرا بعض الشيء) ، وشمله عطف القيصر ، وهذا بالقطع من ســخريات القدر .. وقد رغب القيصر الكســندر الثانى ان يلتقى أنجــاله بديستويفسكى املا ان يؤثر اللقاء فى نمو هؤلاء الامراء تأثيرا يدفع بهم نحــو الاتجاه المرغوب ..

وفى تلك الفترة كان ديستويفســكى مستغرقا فى كتابة «الاخوة كارمازوف» ولذا كان يتجنب العلاقات الجديدة ولكن رغبة القيصر كانت عنده أمرا .. وكان دائما يتحـــدث بحمـــاس عن القيصر الكسندر الثانى الذى حقق حلم صباه بتحرير الرقيــق ، الحلم الذى من اجله قدر عليه أن يعــانى آلاما فادحة (حكم الاعدام الذى استبدل بالنفى والاشــغال الشاقة) .

وفى هذه الفترة الاخيرة من حيــاته كتب : « شــباب غـرير » عام ١٨٧٥ و « الاخــوة كارامازوف » عام ١٨٨٠ ـ وبلغ أوج شهرته فى احتفالات بوشـكين التى اقيمت فى موســكو فى الثامن من ازاحة الستار عن تمثال لبوشكين .

وقد دعى دستويفسكى ليتحـدث فى الحفل ، ولم تستطع « آنا جريجوريفنا » اصطحابه اذ ان صـحة الاطفال الواهنة الزمتها المنزل ، ولكن ديستويفسكى كان يكتب لها كل يوم واحيـــانا مرتين فى اليـــوم الواحد ، عن كل ما يـدور فى الاحتفالات بموسكو ..



وقد بذل ديســـتويفسكى الكثير من الوقت والعناية فى كتابة الحديث الذى كان عليه أن يلقيه .

ولما كان زواره الكثيرون فى بطرسبرج لا يتيحون له الهدوء هناك ، فقد رحل الى « ستاريا روسا » حيث اعتكف تماما مع أعمال بوشكين يستلهمها حديثه المتقظ والنصـــوص المختلفة لهـذا الحـــديث ومسوداته المحتفظ بها تبين انه اراد أن يعبر عن ذاته كاملة فى هذا الحديث ، ولعله كان يشــعر أن تلك كانت آخر فرصة للتعبير عن ذاته ـ ان يجمع الشرق المتنافر فى شملة واحدة عظيمة .

وفى يوم الاحتفـــال ألقى حديثه فى صـــوت هادىء النبرات ولكنه واضح ومفعم بالعـــاطفة المتعلقة .. ولم يكن ديستويفسكى خطيبا متوهجا مثيرا ، لم يجعل الجدران تهتز أو جمهوره يبكى ، ولكن طريقة حديثه البسـيطة المعبرة عن ذاتيته كانت على الدوام تجتذب سامعيه، وكان كل مستمع يحس ان ديستويفسكى كان دائما يتحادث معه ويتحدث عنه .

وهذه المرة أيضا ـ فى احتفـــالات بوشكين ـ أمسك النـاس انفاسهم وهم

يشعرون ان كل كلمة كانت تنبع من اعماق روح المتحدث الذى يعبر عما عنده بامانه .. ان هذا الرجل المتوسط الطول ذا الخدين المتوهجين والنظرة الغريبة التي تفحص الاعماق واليدين العصبيتين الحساستين والصدغين الغائرين ، والصدر الغائر ايضا ، ذى الشعر الخفيف واللحية الصغيرة غير المنسقة - هذا الرجل كانت تلتهمه نيران روحه ، وكان يعبر عما عاناه من تجارب مفعمة بالالم الصامت .

تحدث عن عبقرية بوشكين ، ورسالة روسيا ، والاخاء القادم بين الشعوب ، وواجبات الانسان « تواضع أيها الرجل ذا الكبرياء .. وأنت ، أيها الخامل قم واعمل .. »

وكان يبدو أن التصفيق لن يتوقف . واندفع شاب الى منصة الخطابة ليشكره ولكنه أغمي عليه من الانفعال - واثر الخطيب التالى الا يتحدث ..

وقدمت جماهير المستمعين الى ديستويفسكي اكليلا هائلا من الغار .

وفي وقت متأخر من الليل وبعد انتهاء الحفل ، عاد ديستويفسكي الى مسكنه وهو منهك القوى تماما ..

انه لم يكن يعلم . ولكن ذلك الحديث كان اللحن الاخير في سيمفونية أعماله . وكما حدث في أول يوم باشر فيه الخلق الادبي ، هكذا حدث بعد اليوم الاخير .. انه لم يجد الراحة بعد عودته الى منزله ، كانت كل أوتار روحه ما زالت ترن وكل أعصابه ترتعش .. كان هناك شيء آخر عليه أن يعمله .. بالنسبة للآخرين كان الحفل قد أنتهي داخل قاعة الاجتماع ولكن بالنسبة له كان لابد ان يجد ختاما آخر يواجه به نفسه :

بعد فترة وجيزة من النوم نهض وأخذ أكليل الغار ، وذهب وحده الى حيث كان تمثال بوشكين .. كانت ليلة صافية ردافئة والشوارع قد انقطعت فيها الحركة وعدات واصبحت منعشة الى حد يثير الدهشة بعد يوم سعيد حافل ، ووصل الى تمثال بوشكين وبذل كل جهده ليرفع أكليل الغار ويضعه عند قدمي استاذه العظيم ، ثم انحنى أمامه انحناءه عميقة ..

***

وفي الثامن من فبراير عام ١٨٨١ كان ديستويفسكي يباشر الكتابة كعادته حتى وقت متاخر من الليل ، وكان ذهنه يحفل بكثير من المشروعات : كان عليه ان يكتب الجزء الثاني من « الاخوة كارمازوف » حيث يكون «اليوشا» هو الشخصية المحورية ، وكان يتلهف على أن يكتب كتابا عن السيد المسيح ويواصل كتابة « يومية مؤلف » وحدث أن سقط القلم من يده وراح يبحث عنه. واستلزم الامر أن يحرك خزانة كتب ثقيلة وارهقه الجهد فانفجر شريان في رئتيه الضعيفتين اعقبه نزيف .. ولم يستطع الاطباء والاصدقاء برغم كل عجزهم أن يفعلوا شيئا له . وفي الساعة السابعة منصباح العاشر من فبراير نادى زوجته بصوت خفيف :

- أنا .. انني لا أستطيع النوم ! .. لقد مرت ثلاث ساعات وأنا مستيقظ ، افكر طوال الوقت ، والآن أرى بوضوح انني سوف أموت اليوم ، اشعل شمعة



وناولينى الانجيل .

وكعادته التي ظل مواظبا عليها ، فتح العهـد الجديد كيفما اتفق ، وقـرأ « لتاذن ان يكون الامر كذلك فى هـذه اللحظة ، اذ هكذا يليق بنا ان نستكمل كل ما هو صالح » .

ـ آنا .. هل تسمعين؟ لتاذن آنا . وهكذا ، فاننى سوف أموت ..

قال هذه الكلمات ، واغلق الكتـاب المقدس ، وودع الاصدقاء والاطفال وقبل زوجته قبلة رقيقة ، وقال لها :

ـ لا تنسى يا آنا .. اننى قد أحببتك فى كل حين من أعماق قلبى ، ولم يحدث حتى بالفكر ان كنت خائنا لك ..

وفى الساعة الثامنة من مساء العاشر من فبراير انتقل الى الخلود ..

ان ديسـتويفسكى واحد من تلك الزمرة من الارواح العظيمة المتاججة مثل مايكل انجلو ، وفان جوخ ، وبيتهوفن ، أولئك الذين احرقوا انفسهم وهم يعطون النور للاخرين ..

ان ديسـتويفسكى ذاته هو الذى يكشف لنا عن حقيقة نفسه فعندما كان فى بواكير شبابه كتب الى أخيه قائلا :

« ان قلبى ينداح ليتسع لعظمة الحياة .. »

وفيما بعد اثر عودته من سيبيريا ـ قال :

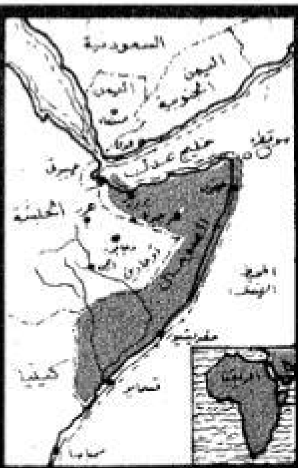
« اننى لا أستطيع أن أقف عند منتصف الطريق ، ان الاقتصار على قول بعض ما يجب أن يقال يتساوى مع عدم قول أى شىء ! ..

وقرب نهاية حياته اعترف لصديقه مايكوف الذى كان موضع ثقته الكاملة فى كل حين :

« اننى على خلق يستحق الاحتقار ، اننى شديد الانفعال فى كل مكان .. وفى كل شىء أذهب الى حد التطرف ، طوال حياتى كنت أذهب الى ما وراء الحد (اللائق) .

ان هذا الرجل الذى يقدم لنا نفسه كخاطىء وكائن بشرى له كل صفات البشر ، والقريب الى نفوسنا كرجل جاهد كثيرا وتألم كثيرا ـ هذا الرجل نانس فيه رفيقا يسير الى جانبنا فى ساعات المحن ، لا نصف اله زائف ، يقف على بعد نستطيع ان نصل اليه ، فى جو بارد منقى .

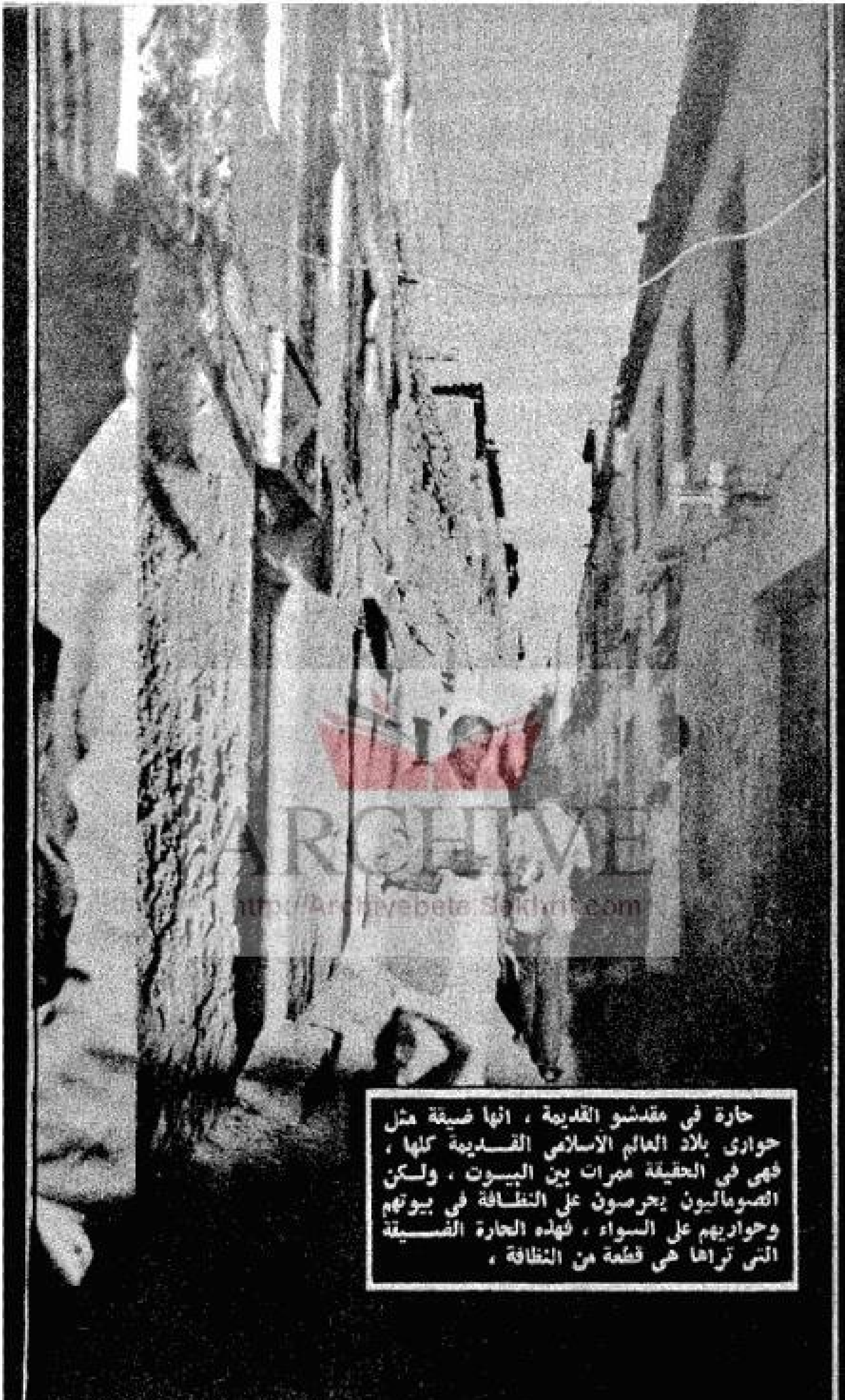
وعند استعراض حياته ، نجدها شبه تكملة لسفر أيوب : الفقر ، والسجن ، والحكم بالاعدام ، والاشغال الشاقة ، والنفى .. سورة الحب وشيطان المقامرة والمرض الذى لا شفاء منه .. ان جزءا من مائة من ذلك كان يكفى لدمار روح الانسان العادى ووأد حيويته ، ولكن ديستويفسكى لم يحمل صليبه منكس الرأس ، لقد رفعه من فوق كتفيه وغرزه فى الارض واعتلاه وهكذا أصبح أكثر علوا ..



الصومال

بلد الابطال والنساء الجميلات

الصومال ، سيد القرن الافريقى وحارس البحر الاحمر ، بلد الابطال المجاهدين والنساء الجميلات ، هذا البلد يقف وحده الآن يصارع لحماية نفسه وحماية العالم العربى كله ، والروس ـ اعداء الاسلام والعرب جميعا يدفعون الاحباش ويشجعونهم على العدوان على الصومال لانهم يأملون أن يتمكنوا فى النهاية من السيطرة على القرن الافريقى والقبض على مفاتيح البحر الاحمر ، بحر العرب والمحيط الهندى ، وامام هذا الخطر الداهم لا يجد الصومال المال او العتاد ، ولا ندرى الى متى سيظل الصومال يقاتل وحده ، والذى نخشاه أن تكون ـ من هذه الناحية ـ فى الطريق الى افغانستان افريقية .



حارة في مقدشو القديمة ، انها ضيقة مثل حوارى بلاد العالم الأسلامي القديمة كلها ، فهي في الحقيقة ممرات بين البيوت ، ولكن الصوماليون يحرصون على النظافة في بيوتهم وحواريهم على السواء ، فهذه الحارة الضيقة التي تراها هي قطعة من النظافة .

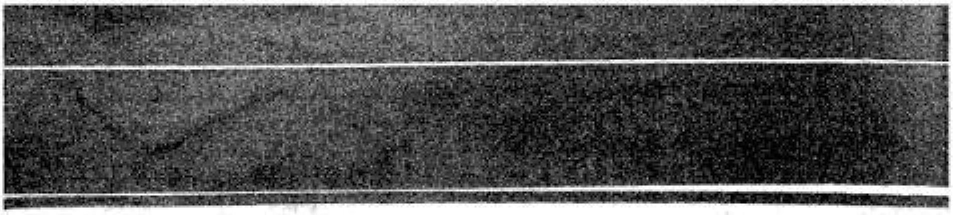
الصومال .. بلد الابطال والنساء الجميلات

الصومال بلد عربي وعضو فى الجامعة العربية ولكن اهله لا يتكلمون العربية ولغتهم افريقية سواحلية . ان عددهم مليونان ونصف ، ثمانون فى المائة منهم بدو وعشرة فى المائة زراع والبقية تجار وموظفين واصحاب حرف ، وفي الصومال نهران صغيران يصبان فى المحيط الهندى . على مصب الاول منهما تقع مدينة مقدشو وهى مدينة شهيرة فى تاريخ الاسلام كل الجغرافيين العرب تحدثوا عن مقدشو ، والايطاليون أثناء احتلالهم للصومال انشأوا فيها منشآت جديدة وجميلة ، ولكنهم أيضا أساءوا اليها فقد نشروا هناك أيام سلطانهم موبقات كثيرة . والصوماليات مشهورات بالجمال ، وفى يوم من الايام كادت مقدشو او موجاديشيو كما تقول وسائل الاعلام تتحول الى واحدة من اتعس مدن الدنيا . من حسن الحظ أن الايطاليين أثناء احتلالهم للمنطقة أنشأوا ١٢٠٠ كيلو مترا من الطرق المرصوف ، وهذا هو الموجود اليوم هناك ، والصينيون يعملون على انشاء طرق جديدة ، والروس يقولون انهم سينشئون طرقا أخرى ، والصوماليون يبذلون أقصى ما فى وسعهم ولكن ما عساهم يستطيعون عمله الى جانب الصومال تقوم الحبشة التى أصبحت اليوم الحليف الرئيسى لروسيا ، وروسيا تعطيها بكلتا اليدين ، ومكنتها من الاستيلاء على اقليم الاوجادين أغنى أقاليم الصومال . وكل اقليم هرر صومالى ولابد ان يعود الى الصومال ، ولكن ماذا يفعل بلد صغير صغير ومن حوله زبانية بلاد عدو تساعدهم بعض البلاد العربية مثل اليمن الجنوبية وليبيا

حقا ان العالم العربى عالم مسكين وتعيس ، وتعاسته نابعة من داخله ، وهو المسئول عنها فى البداية والنهاية .

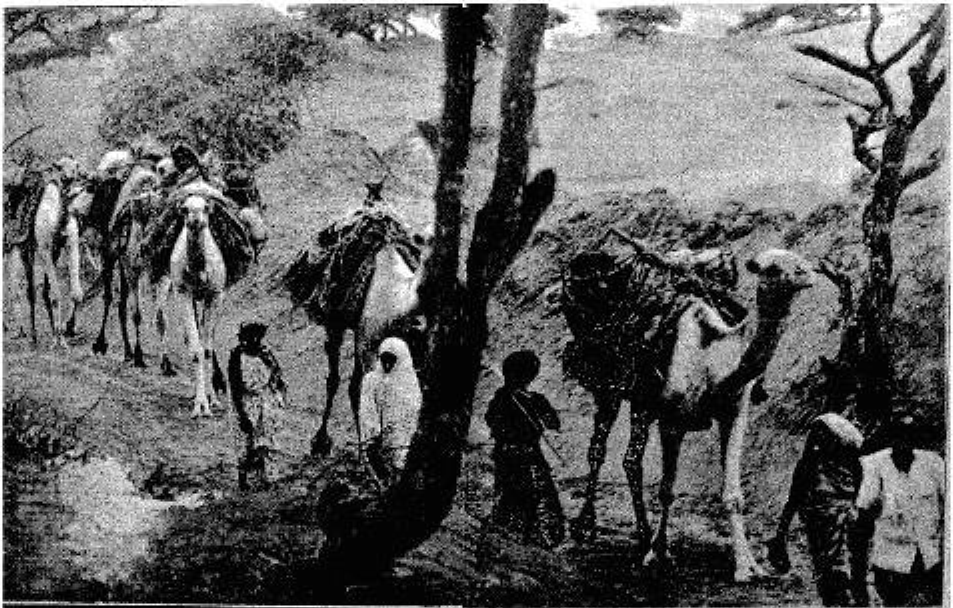
فى وقت من الاوقات ظن الصوماليون ان الروس حلفاء يستطيعون الاعتماد عليهم ، ولكنهم الى يومنا هذا لم يروا من الروس الا ما يراه كل من اعتمد عليهم : البقايا والنفايات وفى مقابل ذلك لابد ان تنفتح البلاد للشيوعية الماركسية ويحل كارل ماركس محل الدين ويضيع البلد كله مقابل لا شيء ، وامامنا مأساة افغانستان وما فعله ويفعله بها الروس وامثال محمد تراكى وبابراك كارميل ومن اليهما ممن انخدعوا فى سراب الروس . ونحن لا نلوم الروس . بل نلوم الذين يخدعون شعوبهم باسم الروس ، فهؤلاء ـ قبل الروس ـ هم سبب المصيبة .

على راس الصومال اليوم زعيم عربى باسل هو الجنرال محمد سياد بارى الذى استولى على الحكم فى حركة عسكرية فى ٢١ اكتوبر ١٩٦٩ وقد وجد نفسه منذ توليه فى مواجهة الحبشة ، وخاض معها حروبا طاحنة انتصر فيها أول الامر واسترد اقليم الاوجادين ، وفى صيف ١٩٧٨ استسلمت فرق كاملة من الجيش الحبشى ، وهنا ، ومحمد سياد بارى على عتبات النصر تدخل الروس واغدقوا على الحبشة وقائدها مريم مانجستو السلاح والاموال ، وبدأت قوات الصومال تتراجع حتى ضاع الاوجادين ، ومن ناحية اخرى وقفت حركة تحرير اريتريا وقوفا تاما ،واريتريا



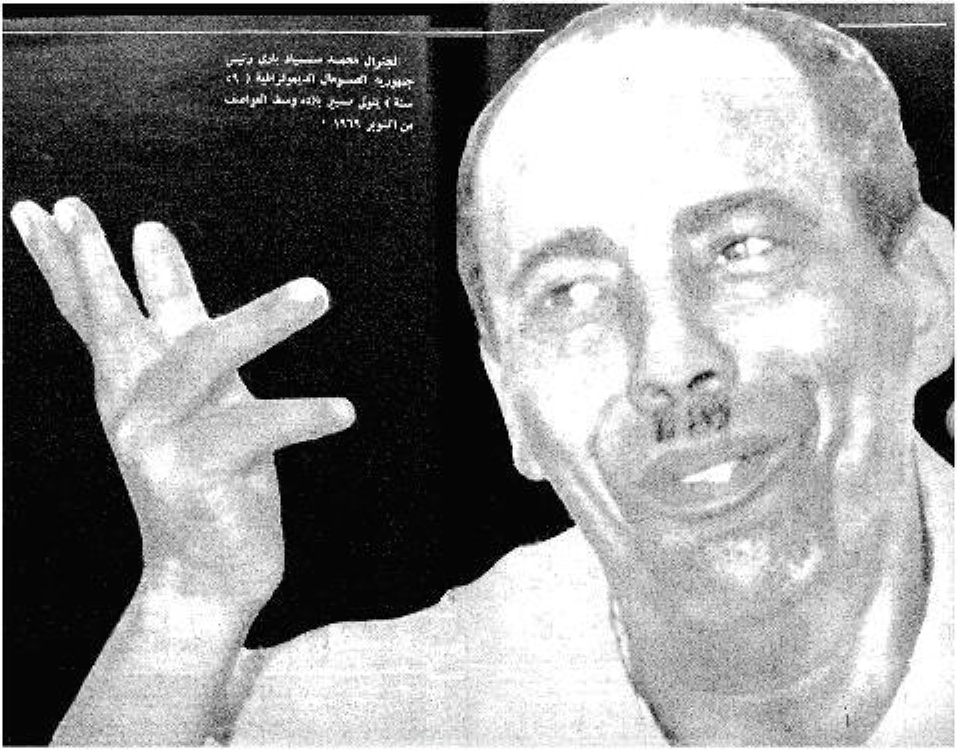


تشتهر الصومال بقطعان جمالها ، والجمل الصومالى هو الجمل الافريقى ، واصله عربى ، ولكنه هنا فى الارض الافريقية اخذ صورة اخرى . من الصومال انتشرت الجمال فى بلاد المغرب كلها ثم فى نواحي الصحراء ، ومن المغرب دخلت الجمال بلاد افريقيا الغربية مثل السنغال . ويحدثنا المؤرخون ان ملك بحلماسة وهى احدى مجموعات الواحات الكبرى فى جنوب المغرب الاقصى كان يملك قطيعا من ٥٠٠٠ جمل . وهذا فيما نذكر اكبر قطيع من الجمال سمعنا به . الجمل الصومالى يميل الى البياض وصوفه قليل ولكنه جيد . والصوماليون يعتمدون على الجمل فى حياتهم اعتمادا تاما .



عدد سكان الصومال ثلاثة ملايين ونصف ، منهم مليونان ونصف من البدو الرحالة الذين يعيشون على الجمال والأبقار في حياتهم ، وهم في القتال دائما طلبا للمرعى ، وهم على رغم قلة مواردهم يعتزون بالنفس وباستقلالهم الشديد

تقريبا ، انهم شعب حر لم يعرف الخضوع لأحد ولا سلطان عليهم إلا الله سبحانه ويتميزون بالنبل والشرف والكرامة الانسانية ، هذا هو جوهرهم في أخلاقهم البدائية حاملين كل ما لديهم في ظهور جمالهم ، وحيثما نزلوا ضربوا خيامهم واستمتعوا بحياة الحرية التي هي أروع ما لديهم .


الجنرال محمد سياد بري رئيس جمهورية الصومال الديموقراطية (٦٠ سنة) يتولى تسيير بلاده وسط العواصف من اكتوبر ١٩٦٩ .



لقد تحررت المرأة الصومالية وهي تعمل في المصانع وتساهم في النهوض ببلادها - في الصورة العليا نرى نساء صوماليات في مسيرة تمر بمناسبة الاحتفال بالعيد القومي للصومال ، وفي الصورة السفلى نرى جماعة من الصوماليات يهتفن لبلادهن في اليوم القومي لاحظ جمال المرأة الصومالية .

الصومال .. بلد الابطال والنساء الجميلات

فى جنوب الصومال يعيش البدو فى اكواخ يصنعونها من اعواد الشجر ويغطونها بجلود الماشية لان المطر يسقط فى بعض الاحيان . الناس هنا فقراء ولكنهم سعداء لانهم احرار ، وهم فى حاجة الى كل شىء ولكنهم لا يشكون ، وهم كذلك مقاتلون بواسل لان حريتهم هى اغلى شىء عندهم .





صبيان صوماليون في مدرسة ابتدائية ساعد الروس في بنائها على امل ان يلقوا في اذهان هؤلاء الصغار بعض الافكار الشيوعية ، ولكن الصبي الصومالي يرفض كل فكر الا الاسلامي ، والاولاد هنا يحفظون القرآن ويتعلمون القراءة والكتابة ، لاحظ سعادتهم واشراقة وجوههم وجمال ملامحهم .

بلد عربي مجاهد آخر تحطمت آماله على صخرة الشيوعية والشيوعيين .

ومن حسن الحظ اتاح للصومال في اكتوبر ١٩٧٩ الفرصة للاتصال المباشر بالغرب ، وذلك عندما هبطت طائرة المانية مختطفة مطارمقدشو وطلبت التزود بالوقود ، وقد تعاون الرئيس الصومالي مع الحكومة الالمانية على استرجاع الطائرة من المختطفين بواسطة قوة من فرق الطوارىء الالمانية ، تمكنت بمساعدة الصومال ـ من الاستيلاء على الطائرة وتخليص الرهائن دون أن يصيب احدا منهم أذى . وقد عرفت الحكومة الالمانية كيف تعبر عن شكرها للصومال على هذا الموقف ، وقال المستشار هيلموت شميت للرئيس محمد سياد بارى تليفونيا : ان المانيا لن تنسى للصومال هذا الفضل أبدا .

والصوماليون شعب عربي افريقي اشتهر على طول تاريخه بالشهامة والشجاعة ، فان بلدهم فقير دون شك ، ولكنهم اغنياء بعزة النفس واباء الضيم والتمسك باستقلالهم . وقد خاضوا في سبيل ذلك حروبا ضارية كسبوا بها احترام خصومهم أجمعين . وفي يوم من الايام كما قلنا استرجع الصوماليون كل اقليم الاوجادين ، ولكن العالم خذلهم ولم يجدوا من اى بلد عربي معاونة جديدة فخسروا ذلك الاقليم الواسع الغني . عادت الحبشة الى اغتصابه وعاونهم في ذلك الروس ، لا حبا في الاحباش بل كراهة في الاسلام واهله ، وقد قلنا على صفحات هذه المجلة اكثر من مرة أن الروس الشيوعيين الد اعداء الاسلام على الارض واشد الشعوب تعصبا عليه وعلى



على هاتين الصفحتين مجموعة من الصور تريك مشاهد من حياة الناس في الصومال . والصور تنطق بما فيها دون حاجة الى تعليق ولكننا نستلفت النظر الى الصورة الأولى على اليسار حيث نجد صبيانا صوماليين يتعلمون النجارة على يد مدرس من ألمانيا الشرقية . والصورة تحتها لمشرفي مستشفى حديث ساهمت ألمانيا الغربية في انشائه . وتحتها غلمان يمرحون في ماء المطر الذي يسقط نادرا . والصورة تحتها لفصل من الأفيال التي تكثر في أحراج الصومال الجنوبية . وتحت ذلك نرى قطيعا من الماعز [illegible] لوجبة . والصورة الكبرى في الوسط لمدينة مقديشو وبقية الصور في غير حاجة الى تعليق .



الصوماليون شعب على سليم التكوين ، وهم يقبلون عل العمل حيثما وجدوه وفي اوقات الفراغ يجتمع بعضهم ببعض للتسلى بمثل هذه اللعبة البسيطة التى نراها في الصورة ، انهم يحاولون ان يلقوا في ذهنه بعض الآراء التى يسمونها اشتراكية ، ولكن الصومالى رجل ذكى مؤمن وعى يتمسك بعمله ودينه ووطنه ولا شيء بعد ذلك .

الصومال .. بلد الابطال

والنساء الجميلات

أهله • ولا أدرى الى متى سيظل بعض العرب غافلين عن هذه الحقيقة •

***

ان الصومال بلد فقير لاننا نحن العرب اخوانه نريد له ان يظل فقيرا ، ولو اننا اهتممنا بالصومال اهتماماحقيقيا وادركنا اهمية الحفاظ عليه سليما قويا بالنسبة للعالم العربي وادركنا ان للصومال اولوية رئيسية بالنسبة لسلامة الوطن العربي كله فان القرن الافريقي مفتاح من مفاتيح سلامة البحر الاحمر ،وسلامة البحر الاحمر رئيسية بالنسبة لامن اليمن والسعودية والسودان ومصر ، وهذه البلاد لو اجتمعت لاستطاعت أن تقدم للصومال فوق العون المطلوب ، فان شعب الصومال باسل ، ولكن السلاح ينقصه وتنشيط عامل ولكن الامكانيات تنقصه ، ولو اننا استطعنا أن ننفذ الى دهاليز المطامع الروسية لوجدنا ان الصومال من اوائل البلاد التى يخططون للاستيلاء عليها ، لان ذلك يمكن لهم من السيطرة على المحيط الهندى ، وهذا امل استعمارى قديم عند الروس •

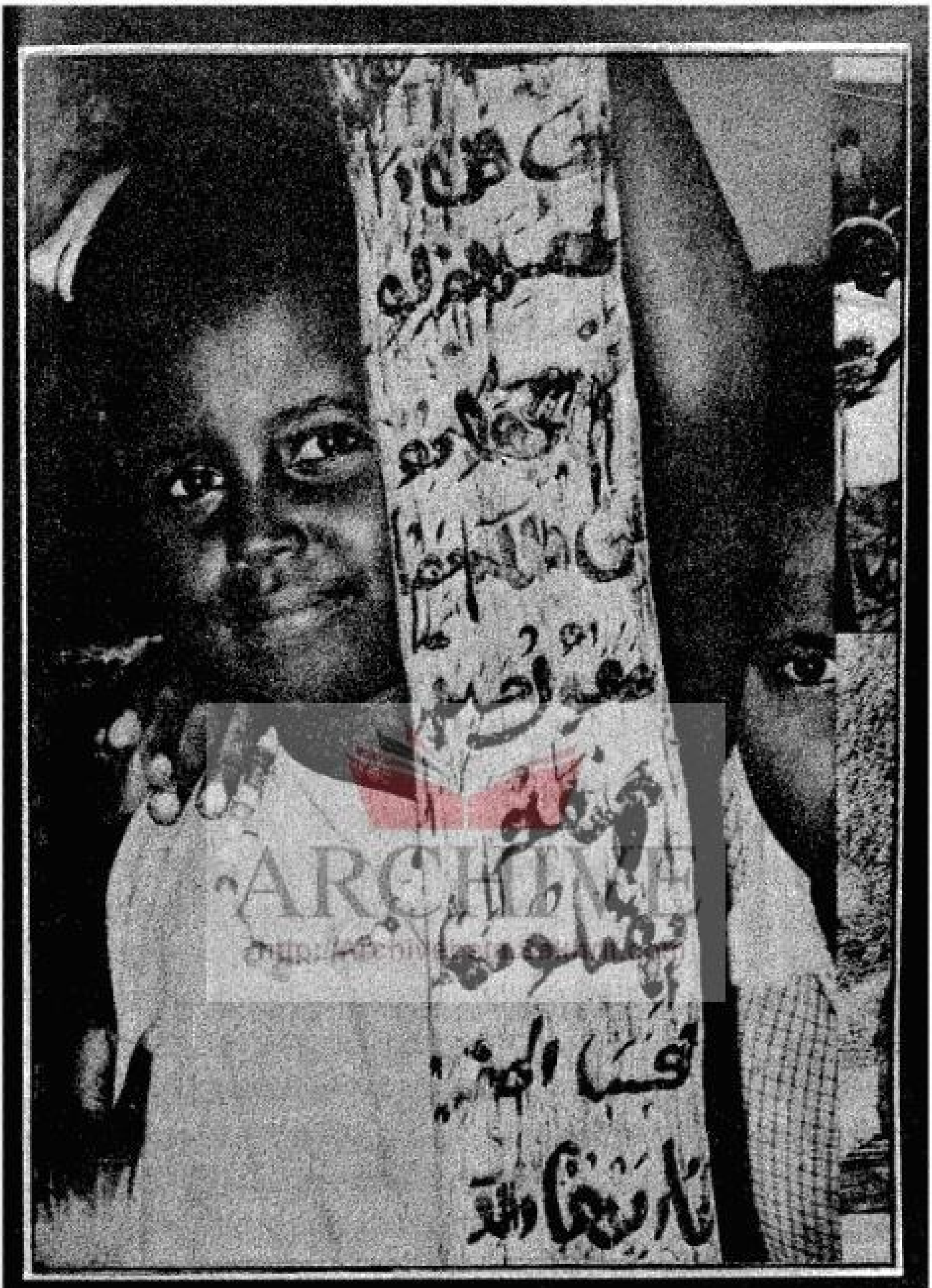
وهل يعرف العرب مثلا ان جزيرة سقطرى ، وهى جزء من الوطن الصومالى تعتبر من أعظم المواقع الاستراتيجية على خريطة الدنيا ؟ واسرائيل تخطط من زمن بعيد للاستيلاء عليه لانها لو وصلت الى ذلك لامسكت بمفاتيح البحر الاحمر ؟ وانه لمن العجيب ان العرب ، ولديهم الادارات الفنية العظيمة فى جيوشهم ، وكلها تعرف اهمية القرن الافريقى وجزيرة سقطرى غافلون عن نداءات الصومال لمعاونته على تحصين نفسه وحمايته من خصومه الطامعين فى ارضه وبلاده وعلى راسهم الروس ومن معهم الاحباش وكلاهما عدو لدود للعرب والمسلمين على السواء •

***

كان ينبغى أن يكون الصومال من أقوى البلاد الافريقية ، فان لديه الفرصة ليكون كذلك ، ولكنه محتاج لعوننا جميعا لكى يقف على رجليه ويستطيع القيام بدوره العظيم ، حقا ان بلاد افريقية المدارية كلها تعيش ظروفا قاسية من الجفاف والفقر والحاجة الى رؤوس الاموال لانقاذ أراضيه بل انقاذ مستقبله ولكن الصومال له أهمية خاصة ، وفى بعض موضوعات السياسة العربية العامة ينبغى أن ينسى العرب خصوماتهم ويتعاونوا فيما يضمن سلامتهم أجمعين، والصومال على رأس هذه الموضوعات •

***

من الاسف الشديد ان الوحيدين الذين يعرفون قدر الصومال واهميته بالنسبة للاستراتيجية العالمية • ومنذ عرف الصومال كيف يعين المانيا الاتحادية على انقاذ الطائرة الالمانية المختطفة ورجال المانيا يقدمون العون للصومال سواء فى انشاء الطرق او المعاهد العلمية او المنشآت الحديثة كالمطارات ، واليابان أيضا تقدم الكثير ، لان المهم هو ان يخرج الروس والشيوعيون جميعا من القرن الافريقى ، وان يستطيع الصومال ان يقف على قدميه • وبدون الصومال القوى لا سلامة للوطن العربى فى مجموعه •



فتاة صومالية تحمل لوحا من خشب كتبت عليه آيات من القرآن الكـريم .
انها تحفظها ثم تمحوها وتكتب غيرها حتى تحفظ القرآن كله . الصـوماليون
شعب متدين متمسك بالاسلام رغم محاولات الدعاية الاشتراكية . ان الصوماليين
يرفضون أى فكر مخالف للفكر الاسلامى .

المسافر

فى سنبلات الزمن



هكذا كنت ..
... وما زلت سحابا وحدائق
صاعدا فى سنبلات الزمن الناخر اصلاب التكائر
هابطا تحت الجذور السالبات الارض احلام البراءة
راحلا فى الصخر تحدونى الجساره
ملقيا فى قبضة النيران ذاتى
فاذا النيران فى ذاتى اشتهاء ووضاءه
ناصبا عرس السماوات بقاع البحر فى خصب المواسم
بانيا كل الحضارات التى فوق ضلوعى
شيلت كبرى الملاحم
مانحا للفل ارواحا نديات المعالم
ساقيا قلب البراكين بثورات المناجم
فاتحا كل المدائن
مغرقا فى مد آفاق خيال الشعراء
واهبا فجر النبوءات الضياء
عائدا
واللؤلؤ المكنون فى خطوى برق وانتشاء
والمجاديف تشق الصدر منى
وانا اعلو .. واعلو فوق سنى
لا ينال الزمن الفاتك منى
فهو بعضى
وانا الكل الذى يغفل عنى !
كلما جدت بدن ولدت لى الف دن
والمفازات تناجينى .. وخيل لم تغنى
ورؤى قلبى لمجدا فى تغنى
فى وعودى لا امنى
كل ما القاه يجنى الخير منى
وانا اسقيه ذاتى
وهو يسقينى التمنى !

د. صابر عبد العليم

مدرس الادب والنقد
كلية اللغة العربية - الزقازيق

مشكلات الإسكان فى العالم
واقع .. وحلول

● كانت المدينة دائما منطقة جذب وموضع اهتمام لما يحيط بها من مناطق وبقاع ، ففيها دور الحكومة ومراكز الحكم والمدارس والمعاهد والجامعات ووسائل التسلية والترفيه على اختلافها وتنوعها ، واليها يرحل طلابها مما حولها ، طلبا لما فيها ، وقضاء لما يحتاجونه فيها من مصالح .

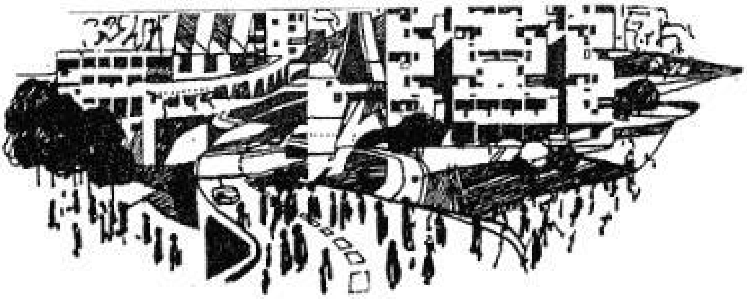
والريف موطن الخصب والنماء ، وفيه الحقول والمزارع والحدائق ، والمدينة هى المستهلك الاكبر لما ينتج فيه ، سواء كان ذلك على المستوى الفردى البسيط او كان على مستوى الدولة وادارتها والشركات الكبرى والمؤسسات الضخمة وما تحتاج اليه ...

يتجه اليها القروى ببعض ماتنتجه قريته ، يحمله فوق رأسه أو بين ذراعيه أو يسوقه أمامه الى سوق المدينة ليبيعه ، وهذا هو المستوى الفردى البسيط ، ولا تخلو مدينة صغيرة أو كبيرة من سوق يحدد لها يوم من أيام الاسبوع يسمى باسم اليوم الذى تقام فيه ، فيكون «سوق الثلاثاء» أو «سوق الخميس» ، تباع فيها منتجات القرية .

فلا جديد فى أن تكون المدينة موضع جذب لما حولها من بقاع ، وهو أمر قديم عرفه الناس منذ كان فى الدنيا قرية ومدينة ، وظل الامر على هذا المنوال مابقيت الامور على حالها من البساطة ، ثم قامت الثورة الصناعية ونشأت المدن الصناعية واحتاجت الى العمال وساعدهم فرحل الناس اليها افواجا افواجا طلبا لفرص العمل ، وتلبية للاحتياجات ، وسدا للنقص ، واكتظت المدن بمن فيها واختنقت بساكنيها ، وهنا تعقدت الامور ، وتفاقمت المشكلات ، واحتاج الامر الى الاقتراحات والدراسات والمؤتمرات ، وطلب الرأى والمشورة ، وأطلت مشكلة المدن المكتظة بالسكان برأسها ، لاتقتصر على دولة دون أخرى ، وانما كادت أن تشمل دول العالم جميعا ، المتقدم منها وماهو فى طريق التقدم على السواء ..

وزاد الامر تعقيدا النمو السكانى الذى تضاعف معه عدد سكان العالم نتيجة للرعاية الصحية والقضاء على الاوبئة التى كانت تفتك بالجنس البشرى فتكا ذريعا بين الحين والآخر .

واكتظاظ المدن الكبرى بسكانها وضيقها بمن فيها مرده الى الهجرة الداخلية من الريف الى الحضر ، وهو امر سببه اقتصادى فى الدرجة الاولى ، فلا يحمل ساكن القرية على النزوح منها الا طلب الرزق والسعى فى سبيله ، والنزوح عنده ليس بالامر السهل لما هو معروف عنه من ارتباط بالارض والاسرة ، فاذا اراد الهجرة فكر اول مافكر فى ذوى قرباه ممن يقيمون فى المدينة ، وقد أشارت الى ذلك احدى الدراسات التى نشرت فى كندا وبينت مايكون من صلة وثيقة بين وجود بعض الاقارب فى احدى المدن ، واحتمال نزوح اقاربهم الى تلك المدينة ، وهى ظاهرة ملموسة فى كل مدن العالم ، ومنها مانقوم



فيها احياء باكملها من المهاجرين ممن يكونون قد وفدوا من منطقة واحدة وتربط بينهم صلة القرابة والرحم ، او صلة الانتماء الى موطن واحد ، فكان المهاجر يريد أن يجد في ذوى قرباه الحماية التى كان يجدها فى قريته حين كان يعيش فى أسرته ، والقرية فى الحقيقة هى أسرة واحدة كبيرة بما يكون فيها من مصاهرات وانساب وتراحم وتواد ، على عكس المدينة التى يحس فيها الفرد بعزلة وانقطاع عن اهله .

وهى ليست ظاهرة ملموسة فى الهجرة الداخلية فحسب ، ولكنها كذلك فى الهجرة الخارجية ، فان تعذر على المهاجرين اجتماعهم فى سكن واحد أو فى منطقة واحدة تراهم يتجمعون فى تجمعات بعينها آخر النهار فى المقاهى او النوادى ، أو ينشئون لانفسهم رابطة تجمع بينهم ، فكان الوطن هنا - على كبره واتساعه - قد ضاق حتى أصبح بمثابة الاسرة التى يجد أبناؤها الرعاية والحماية حين يلوذ بعضهم ببعض فى نطاقها .

ومن الطريف هنا أن نعرف أن بعض الدول تعانى من الوجه الاخر من المشكلة ، أى أن مدنها تحتاج الى الايدى العاملة التى تتوافر فى الريف حيث لايجد أهله مايغريهم بالهجرة منه ... مثال ذلك مايحدث فى كولومبيا التى تعمل على خلق فرص العمل فى المدن سعيا وراء جذب المهاجرين اليها من الريف ، وعلى العكس منها مايحدث فى بيرو التى تعمل جاهدة على زيادة الاجور فى الريف للحد من هجرة أهله الى المدن .

ولكن المشكلة بصفة عامة تتمثل فى الهجرة من الريف الى الحضر سعيا وراء الرزق وطلبا لفرص العمل ، بالاضافة الى الزيادة الطبيعية لسكان المدن ذاتها التى لايغفلها الدارسون والباحثون والتى يقدرها خبراء الامم المتحدة بنحو ٧٠٪ من الزيادة الكلية التى يدخل فى حسبانها الهجرة من الريف . ومن مدن العالم اليوم المكتظة بسكانها والتى تعد من اكبر مدن العالم ثلاث مدن : مكسيكوسيتى ، وروما والقاهرة ... ويقدرون لمكسيكوسيتى ان تصبح أكبر مدن العالم فى نهاية هذا القرن ، ويقدرون لعدد سكانها ان يتجاوز الثلاثين مليون نسمة ...

***

أما روما فهى على عراقتها وتاريخها الموغل فى القدم ، فان تاريخها الحديث قريب جد قريب ، فهى لم تصبح عاصمة لايطاليا الا منذ مايزيد قليلا على المائة عام ، وقبل ذلك كانت نابولى تفوقها فى عدد السكان ، وقد وصفها الروائى الفرنسى ستندال حينذاك بقوله : « ... كل شىء هادىء فى روما كما هو الحال فى قرية صغيرة » ، وقد تضاعف عدد سكانها منذ بداية هذا القرن ، ولكنه لم يزد بأية حال على الثلاثة ملايين نسمة .

ويصور حالها اليوم « البرتو مورافيا » فى قوله : « لم تصبح روما عاصمة كبرى مثل باريس ولندن ، ولم تصبح مدينة ضخمة مثل ريودى جانيرو أو القاهرة ، انها تقف على منتصف الطريق ، ولديها عيوب العاصمة والمدينة الضخمة دون المحاسن » .

***

ومن المؤكد أن نمو القاهرة وازدهارها

واكتظاظها بالسكان يفوق بكثير ما مرت به روما في المائة سنة الاخيرة ، فقد تضاعف عدد سكانها مرات عديدة ، وانتقل مما هو ادنى من المليون الى مايصل الى عشرة ملايين ، واضعين في الاعتبار نحو مليونين من الزائرين لها في كل يوم ، اى انها على وجه التقريب قد اصبحت تضم ربع سكان مصر باجمعهم ، وهي في ذلك تشبه لندن التي كانت تضم ٢٪ من سكان بريطانيا في عهد اليزابيث الاولى ، وأصبحت اليوم تضم ٢٤٪ من سكانها !

والقاهرة مدينة عريقة ينطق كل ركن فيها بعبرة التاريخ ، ويفوح من كل بقعة فيها عطره وأريجه ، انها مدينة الحضارات التي قل ان يشاركها فيها مدينة سواها ، فهي – في الزمان – مجتمع حضارات ، كما هي – في المكان – ملتقى قارات ، وهي لذلك مهوى افئدة الناس ومحط انظارهم من كافة الاقطار والبلدان ... وصفها الرحالة وهاموا بها وأشادوا بحضارتها وعمرانها وتجارتها وصناعتها ومختلف نشاطات اهلها ، وهي أحرى أن تكون أعز وأغلى عند أبنائها حين يلتمسون الحلول لمشكلاتها ويعملون دائبين على النهوض بها وتخليصها مما تعاني منه من مشكلات تشاركها فيها كل المدن الضخمة من كثافة السكان وما يتبعها من مشكلات الاسكان والمواصلات .

وقد شهدت القاهرة في السنوات العشر الاخيرة محاولات دائبة في طريق حل مشكلاتها تتمثل فيما يجري في داخلها وما يتم في خارجها في خطين متوازيين معا ، في الداخل انشاء المساكن واقامة الكباري والطرق العلوية التي تربط بين قلب المدينة وأطرافها ، وقد أعان ذلك كثيرا على تيسير أمور الحياة للمقيمين فيها وتخفيف المعاناة عن كاهلها ، ثم انشاء المدن القريبة منها مثل مدينة « ١٠ رمضان » و « ١٥ مايو » ومدينة « السادات » وستكون بلاشك مناطق جذب لما حولها من أهل الريف الذين يقبلون على العمل فيها تشييدا وعمرانا وعملا وتجارة ، وتخفيفا عن القاهرة ذاتها التي يصبح في مقدور الكثيرين من أهلها الاقامة بها والانتقال منها الى اعمالهم صباحا والعودة اليها آخر النهار ، ولن يكون في الامر صعوبة ومشقة اذا تيسرت سبل المواصلات وزاد الاهتمام بها ، ثم انشاء المصانع في هذه المدن الجديدة فيفد اليها بطبيعة الحال الراغبون في العمل والساعون وراء لقمة العيش .

ان الامر في بساطة هو ان القاهرة قد اصبحت مكتظة بالسكان لما يتوافر فيها من فرص للعمل لا يتوافر في سواها فلو ان فرص العمل توافرت في غيرها لسعى الناس اليها كما يسعون الى القاهرة وقد كانت مصر سباقة في هذا المضمار حين انشأت المدن الصناعية في المحلة الكبرى وكفر الدوار ولاشك انها استوعبت الكثير من سكان مصر ، ووفرت لهم الخدمات ، وكادت ان تكتفي بذاتها بما فيها من عمل وما يحتاجه اهلها من خدمات التعليم والصحة والترفيه ، وان المضي في انشاء المزيد من المدن المكتفية بذاتها لهو خير حل لما تعيش فيه القاهرة – وغيرها من المدن الكبرى – من اختناقات ، وما تعاني من ازمات .

طيفك بين الزحام

محمد علي عبد العال

تنهدت قبل المجيء اليك
فحبي صلاة وفرض عليك
وان مر طيفك بين الزحام
اراني وحيدا لدى مقلتيك !

كأن الحياة سوانا هباء
وانا خلقنا وفينا انتماء
بحثنا سويا دروب الفضاء
فكان اللقاء وضاع العناء

ولما سكنا بصدر حوانا
وذابت بقلبي وذبنا كلانا
وصرنا مزيجا جرى في دمانا
هتفنا سويا : وجدنا الامانا

تعال فضمي بقاياك فيا
توحدت فيها فصرنا سويا
قضاء قديما عليها .. عليا
فيابا تكوني فمني اليا !

فكيف الفكاك الذي تبتغينه
ومن ذا سواي الذي تعشقينه
وفي كل شيء وضعنا قرينه
فمني ومنك الذي تعرفينه ...

بذور

● للكاتب الأمريكي شرود أندرسون ●
● ترجمة : حسن حسين شكري ●

● ضحكت حينما بدا يقص على صديقي « لي روي » قصته.. ولكنه لم يضحك،بل هز راسه وقال : « لم يكن الامر يسيرا بهذه الدرجة ، ولو كان بهذه البساطة لما كانت هنالك قصة ! »

ومضى يروي القصة ـ قال : كانت تلك المراة القادمة من « ايوا » الى صنانا في شيكاغو ، في السابعة والعشرين ، غامضة ، تدرس الموسيقى وكانت تصاب بالفزع كلما اقترب رجل منها ، ولكن الرجال ظلوا يبتسمون لها ويتحدثون اليها ، ويدعونها لتتناول العشاء ولتذهب معهم الى المسرح ، ولكن لم يكن ثمة ما يغريها بالسير في الشوارع مع رجل ، كما كانت لاتخرج بالليل قط ...

وحينما توقف رجل عند مدخل المنزل ، وحاول التحدث معها صوبت نظراتها الى الارض واسرعت الى غرفتها ! ..

ومرة اخرى حاول احد سكان المنزل، وهو كاتب في احد محلات الملابس ان يقنعها بالجلوس معه على درجات السلم امام المنزل ، وكان رقيق العاطفة فامسك يدها ، فاخذت تصرخ . فاصابه الذعر ، ونهض واقفا ، ووضع يده على كتفها محاولا ان يشرح لها، ولكن اهتز جسدها كله رعبا تحت لمسات اصابعه ، وصاحت« لا تلمسني ... لا تدع يديك تلمسني ! »

وتمادت في الصراخ ، وتجمع المارة بالشارع ، ففزع هذا الكاتب ، واسرع الى غرفته ، واوصد بابها . واعلن في صوت مرتجف !.. هذه خدعة!» انها تحاول اختلاق المشاكل ، لم افعل بها شيئا ... لقد حدث هذا بمحض الصدفة ... لقد لمست اصبعي ذراعها فحسب ! » .

ومن المحتمل أن صديقي« لي روي» قد حدثني عشرات المرات عن تجربته مع هذه المراة الوافدة من ولاية أيوا. وتقيم في غرفة بمنزل في الحي الغربي . ويبدا الرجال هنالك يكرهونها مع انها لم تكن تملك ان تفعل معهم شيئا سوى أن تتركهم لشأنهم . ولكنها كانت بكثير من الطرق تقوم بتصرفات تغريهم بالاقتراب منها، حتى اذا حدث ذلك صدتهم !..

كانت تقف في بعض الاحيان ... عارية بالحمام وتترك الباب غير موصد تماما . وكان الرجال يمرون من أمامه صاعدين أو هابطين . وفي غرفة المعيشة كانت ثمة اريكة ـ فكانت تدخل والرجال موجودون وتلقي بنفسها عليها ، أو ترقد وشفتاها فاغرتان ،

وعيناها تحملقان في السقف حتى كان يبدو أن كيانها الجسدى كله ينتظر شيئا ما. وأن الاحساس بوجودها قد ملأ ارجاء الغرفة .

وكان الرجال يقفون متظاهرين بانهم لا يرون شيئا . وكانوا يتحدثون بصوت مرتفع ، وتتملكهم الحيرة ، ويتسللون واحدا بعد الآخر في هدوء.

وذات ليلة طلب منها أن تغادر المنزل على الفور ، ولعل الكاتب ابياء قد قص ماحدث على صاحبة المنزل التي توجهت اليها قائلة « من الافضل أن ترحلي من هنا الليلة فورا »

وسمع « لي روى » صوت السيدة العجوز يهدر بهذه العبارة وهي واقفة امام غرفة تلك المرأة حتى سمعها من في المنزل جميعا .

***

وصديقي « لي روى » رسام شاب طويل نحيل ، كرس حياته للفكر ، تغلبت عواطف عقله على عواطف جسده .. دخله قليل ، لم يتزوج ، وربما لم تكن له حبيبة في يوم من الأيام . ومع أنه لم يكن عديم الرغبة الجنسية الا أنها لم تكن تحتل المقام الاول في فكره .

وفي هذه الليلة ظلت المرأة الوافدة من « أيوا » تنتظر حتى ظنت أن صاحبة المنزل قد نزلت الى الطابق الارضى ، فتوجهت الى غرفة « لي روى » ، كانت الساعة تقترب من الثامنة ، وكان هو بجوار النافذة يقرأ في كتاب . لم تطرق الباب ، بل فتحته دون أن تنطق بكلمة واحدة .. وركعت عند قدميه .

وقال « لي روى » أن قدميها الملتوية جعلتها كالطائر الجريح ، عيناها تحترقان ، وانفاسها تتقطع .. وقالت له « خذني » وهي واضعة وجهها على ركبتيه ، ترتعد بعنف ، « خذني توا .. لابد أن يكون للاشياء بداية ، لا استطيع الانتظار ، لابد أن تأخذني توا » انتابته الحيرة ازاء هذا الموقف لم يكن شاهد هذه المرأة حتى تلك الليلة .. كان اقل الرجال المقيمين بالمنزل مبالاة بها .. ولكن حدث شيء ما ، فقد تبعتها صاحبة المنزل حينما اسرعت الى غرفة « لي روى » ، وواجهته مرآتان .. المرأة الوافدة من « ايوا » راكعة عند قدميه خائفة مرتعدة ، وصاحبة المنزل واقفة حانقة ..

وتصرف « لي روى » في تسرع ، وكأنما الهم امرا ، فوضع يده على كتف المرأة الراكعة عند قدميه وهزها بعنف قائلا «تماسكي ، سافي بوعدي»

والتفت الى صاحبة المنزل مبتسما وهو يقول « كنا مخطوبين ، وسنتزوج ولكننا كنا قد تشاجرنا فحضرت الى هنا لتكون بجوارى . انها لم تكن بخير بل كانت منفعلة ، سآخذها وتغادر المنزل ، ورجائي الاتنزعجي ، سأرحل معها » ..

وعندما غادر « لي روى » منزل الحي الفرنسي معها ، وقفت لتتعجب ، ووضعت يدها في يده فقد زالت كل مخاوفها ..

وعثر لها على غرفة في منزل آخر ، ثم ذهبت معه الى احدى الحدائق ، وجلسا معا على مقعد خشبي ..

وعلى المقعد الخشبي تحدث معها « لي روى » حتى منتصف الليل ..

وراها بعد ذلك مرات عديدة ، وهو لم يعرف عنها شيئا لم الترض انها قد عادت الى موطنها في الغرب ..

وهناك في « أيوا » اصبحت هي مدرسة للموسيقى . لقد كانت واحدة من شقيقات اربع يشتغلن جميعا بنفس المهنة ـ ويقول « لي روى » ـ انهن جميعا على درجة من المقدرة .

مات والدهن ، ولم تكن كبراهن قد جاوزت العاشرة ، وبعد خمس سنوات أخرى ماتت أمهن ، وكان لديهن منزل وحديقة .

وبالطبع ، نعرف ما كانت عليه حياتهن هناك ، ولكن يمكن ان يتيقن المرء تماما انهن كن يتحدثن ، ويفكرن فى شئون النساء فحسب ، لم يكن لواحدة منهن حبيب ، ولم يقترب من بيتهن رجل طوال عدة سنوات . وكانت صغراهن التى وفدت الى شيكاغو هى التى تأثرت بنوعية حياتهن النسائية بشكل واضح تماما . وقد اصابها ذلك بشىء ما . فقد كانت طوال اليوم ، وكل يوم تعلم الموسيقى للفتيات ، ثم العود الى النساء فى البيت .

وعندما أصبحت فى الخامسة والعشرين بدأت تفكر ، وتحلم بالرجال وكانت اطراف النهار واثناء الليل تتحدث مع النساء فى شئون النساء ، واصابها القنوط من ان تجد رجلا يحبها فقصدت شيكاغو وذلك الامل فى ذهنها ..

وشرح « لى روى » موقفها ، وسلوكها الغريب فى منزل الحى الغربى بقوله « انها كانت تفكر كثيرا ، وتعمل قليلا ، فصارت قوة الحياة فى اعماقها غير متمركزة ، لم تستطع أن تحقق ما كانت ترغب فيه ، ولم تجد قوة الحياة فى اعماقها سبيلا للتعبير ، وحينما لم تستطع هذه القوة أن تعبر عن نفسها بطريقة ما سلكت مسلكا آخر ..

ومضى صديقى «لى روى» يحدثنى عن تلك المرأة ، وقدرها الغريب الرهيب .

ومشينا هو وانا فى المتنزه بجانب البحيرة وبينما نحن سائرون خطرت لى فكرة فقلت له « لعلك كنت انت حبيبها — وهذا امر ممكن — فهى لم تكن متخوفة منك »

وتوقف « لى روى » وقد تملكته عاطفة جدية فارتعد صوته وقال « لقد كانت فى حاجة الى حبيب . نعم ..

وكان الرجال المقيمين فى منزل الحى الغربى على حق تماما « كانت فى حاجة الى حبيب ، وفى الوقت نفسه لم تجد الحبيب الذى كانت محتاجة اليه ، وكانت تلك الحاجة شيئا ثانويا لانها كانت تحتاج الى أن تكون محبوبة والى ان يكون ثمة من يشتاق اليها ، وان تحب بهدوء وأناة وان ما قد يشفيها كفيل بأن يشفينا جميعا . فالمرض الذى كانت تعانيه — مرض عام ، فكلنا نريد أن نكون محبوبين ، وليس فى دنيانا خطة لايجاد من يحبوننا » .

وخفت صوت « لى روى » ، وسار بجانبى فى صمت .. ثم تركنا البحيرة ، ومشينا تحت الاشجار كنت انظر اليه عن كثب ، كانت احبال رقبته مشدودة فى توتر وتمتم قائلا »:

لقد رأيت ماتحت قوقعة الحياة . انني خائف ، فأنا نفسى مثل تلك المرأة مغطى باشياء كالنباتات المتسلقة لا استطيع ان اكون محبا ، لست رقيقا ولا صبورا بمافيه الكفاية .. اننى اسدد ديونا قديمة بلدور افكار وعقائد باليه غرسها موتى تفزت الى روحى ، وخنقتنى » !

ومشينا فترة طويلة ، وتحدث «لى روى» معبرا عما راود فكره .. وسمعت فى صمت عقله يعزف نفس النغمة التى يتحدث بها رجل فى الجبل ..

وتمتم « اود ان اكون شيئا جافا ميت .. (وهو ناظر الى الأوراق المتناثرة فوق العشب) — اود ان اكون ورقة شجر تذروها الريح — (ونظر الى اعلى) وتحولت عيناه الى حيث استطعنا ان نرى البحيرة على بعد بين الاشجار — وقال : انني متعب ، اريد ان تطهر ، انارجل مغطى باشياء متسلقة زاحفة ، اود أن اكون ميتا ، تذورونى الرياح على مياه لا حدود لها . اننى فى حاجة الى التطهر اكثر من اى شىء آخر فى العالم » ●

الصمت المريح

عللّيني ما شئتِ بالحبِّ ، لكنْ
حاذري أنْ يكونَ حبّاً كذابا .
وأضيفي إلى حرائق خوفي
ضرماً ، فالصعاب تجلى الصعابا .
وتغابي عن لوعتي وشجوني
إنه أذكى العشاق من يتغابى
وامنحي اصغريك صمتاً مريحاً
إنْ في الصمتِ راحة وغلابا
واستريحي بالعفو عني حتى
لا تسامى كما أسامُ العذابا
وإذا شئتِ فاسلكي الشيي دربا
إن توسعت مأملا خلابا
واطمئني .. فسوف أبقى على العهد
أميناً .. منَ القِلى ، هيّابا ..
إنْ قلباً فتحت فيه جراحاً
نازفاتٍ وليس تألوا انسكابا
ليس يقوى على التراجع إلا
عندما يحضنُ الترابَ مآبا !..

***

.. أنا أهواكِ كيفما كنت ، حتى
لو تبديتِ غيهبا أو سرابا
كلُّ من يعشق الحياة هياماً
بالجمالات ساميات رغابا
يتساوى لديه قرب وبعد
إنْ يتجاوزُ في منْ يحب ارتيابا !

سعيد فياض
لندن

قصة القصة التى انتظرتها السينما عشرة اعوام

مارى غضبان

منذ صدرت قصة « امراة الملازم الفرنسى » عام ١٩٦٩ ، وانتشرت لتوزع اربعة ملايين نسخة بلغتها الاصلية : الانجليزية ، ثم ترجمت الى ثمانى عشرة لغة ـ منذ ذلك الوقت والسينما العالمية تحاول ان تصور هذه القصة فى فيلم ..

صحيح ان اكثر النقاد لم يجدوا فوارق كثيرة بين موضوع هذه القصة « امراة الملازم الفرنسى » ، ورواية شارلوت برونتى ـ « مرتفعات وذريع » التى قدمتها السينما العالمية ، والعربية ايضا اكثر من مرة .. فهى قصة الحب ، واليأس ، والامل ، بين شاب من طبقة النبلاء فى العصر الفكتورى ـ النصف الاخير من القرن التاسع عشر ـ وعربية اطفال منبوذة بعلاقتها الغريبة باحد رجال البحر ..

واخيرا .. اخذت السينما الامريكية قصة جون فولز « امراة الملازم الفرنسى » واعدتها للشاشة الكبيرة فيلما من اخراج البريطانى كارل رايس ميريل ستريب ، وجيرمى ايرونز ، من نجوم بريطانيا .

والقصة كلها تجرى احداثها فى الريف البريطانى ..

ولكن ما هى العقبات التى اعترضت طريق هذه القصة الى الشاشة طوال السنوات العشر الماضية ؟ ...

ان أهم العقبات هو مؤلف الرواية نفسه جون فولز .. لانه يختلف عن كتاب القصة والرواية ، فهو يصر ويشترط ان يكون له دور فى كل مراحل تحويل أى من رواياته الى فيلم ، ابتداء من كتابة السيناريو والحوار ، الى تصوير اللقطات واحدة بعد الاخرى ..

وقبل ذلك كله يسعى لاختيار كاتب السيناريو والمخرج والممثلين أيضا ..

وقد قدمت السينما العالمية فى روايات جون فولز فيلم « جامع الفراشات » اخراج وليم ويللر ولم يعجب الفيلم مؤلف الرواية .. وكانت روايته الثانية للسينما « المجوس » .. وقد كتب هو بنفسه سيناريو الفيلم ، ولم يعجب الفيلم النقاد ، ولم يحقق أى نجاح يذكر ! ..

الفيلم الثالث الذى صورته السينما الامريكية عن رواية جون فولز هو هذا الفيلم « امرأة الملازم الفرنسى » وهنا أيضا فرض المؤلف نفسه على كل شىء ، وتابع بنفسه كل الخطوات حتى لايتعرض لفشل ثالث ..

وفى البداية رشح لاخراج هذا الفيلم فريد زينمان المخرج الحاصل على جائزة الاوسكار عن فيلم « من الآن .. والى الابد » ، ومن افلامه « رجل لكل الفصول » .. وكان ترشيحه من الشركة المنتجة ، ولكن زينمان اعتذر لان الفيلم يحتاج الى بطلة ليست موجودة ، وليس على استعداد لان يكتشف واحدة جديدة ..

ورشح بعده المخرج مايك فايكولز الذى رشح السيناريست فرانكلين شافنر، وبعد بداية العمل بين المخرج والسيناريست والمشاركة الكاملة للمؤلف ـ أصيب السيناريست بحالة عصبية دخل المستشفى للعلاج منها .. والسبب مضايقات وتدخلات مؤلف الرواية !



النجمة ميريل ستريب في لقطـــــة
من فيلم قصـــــائد الغزال

في النهاية اختاروا المخرج البريطاني كارل رايس والسـيناريست هارولد بنتر ، اكثر كتاب السينما قدرة على ابراز الفوارق بين الطبقات الاجتماعية .. واختار للبطولة رايس ميريل ستريت ولم تكن قبـل ذلك الا ممثلة ثانوية شاركت في فيلم « صـائد الغـزال » وفيلم « كرامر ضـد كرامر » وكانت تقوم فيه بدور مطلقة البطـل الذي قام بدوره داستين هوفمان وحصلت عن هذا الدور على جائز الاوسـكار لاحسن ممثلة للدور الثاني المساعد ..

وقد اعطاها رايس اول فرصة لبطولة مطلقـة في هـذا الفيلم « امراة الملازم الفرنسي » .

واعتبرها النقاد نجمة ١٩٨١ ، وقفزت صورها الى أغلفة المجلات الكبرى وكان آخرها هذا الشهر غلاف مجلة « تايم » الامريكية .

وخلال فترة التصوير في بريطانيـا التي دامت خمسة أسابيع ، طار المؤلف من أمريكا الى مواقع التصوير أكثر من مرة ليتابع بنفسـه كل لقطة ، وحـركة من تعبيرات الابطال ...

***

وقال المؤلف جون فولز

ــ وجـدت البطلـة ميريل سـتريب لا تفارق نسخة من الكتاب تقرأ منها ، لان الانفعالات والتطورات الخاصة بالشخصية التي تمثلها ، والتي كتبتها وصـورتها بقلمي ــ كانت مفيدة جدا لها .. وقد استطاعت أن تنقلها وتعبر عنها بصدق لم يحدث من قبل في أي عمل سينمائي منقول عن رواية مكتوبة ..

وربما لم يحدث من قبل أن رضى كاتب عن أداء شخصيات روايته في السينما ، ولكنني راض جدا .. فقد اسـتطاعت ميريل ستريب أن تبعث الى الحياة بطلة روايتي « سارة وداراف » ..

وكما يحدث في الافلام المصرية عندنا دارت مناقشات حامية مع المؤلف لوضع نهاية للفيلم غير النهاية التي جاءت في الرواية .. ومن الطريف ان النهاية في هـذه الرواية ترضي المنتج والمخـرج والمشاهد العربي ، لانها نهاية سعيدة . ولكن المخـرج البريطـاني كارل رايس وكاتب السيناريو رفضا النهاية السعيدة التي جاءت في نص الرواية المكتـوبة ، واقنعوا المؤلف بأن يضـع معهم نهاية مختلفة للفيلم !

وقد رشح الفيلم ومخرجه ونجومه لاكثر من جائزة من جوائز الاوسـكار باعتباره أحسن أفلام السـينما لهذا الموسم ..

وضاح اليمن
شاعر الحب والجمال

محمد حسني عبد الله

كثيرا ما تسخو الطبيعة في منحها على بعض الناس ، وتقتصد مع البعض الآخر فتسلبه حتى محاسن نفسه . فهذا تحبوه بالذكاء والملاحة وحلاوة الحديث ورقة الشمائل مع التوفيق بين صفاته توفيقا متناسقا متناغما .. وذاك تجرده من نعمائها حتى لا تكون هناك منقصة ظاهرة أو باطنة الا وتجتمع له جميعا !

نسوق تلك المقدمة ، في صدر الحديث عن وضاح اليمن ، الشاعر الاسلامي الحميري ، لانه أحد هؤلاء المحظوظين ، الذين زفت الدنيا في ركابهم كل المحاسن وأحد هؤلاء الموهوبين الذين لا يملك الانسان الا محبتهم ، والتعلق بهم ، والتغني بشعرهم .

كان جماله خارقا جارفا ، حتى بلغ من حسنه أنه كان يستر وجهه بقناع لاخفاء مفاتنه ، حذر العين التي كان يعتقد العرب في تأثيرها ، وجمع الى ملاحة الوجه حساسية مرهفة لا تفوتها الفطنة الى مادق من أحداث الحياة ، فاذكت شاعريته ، وأرقت عواطفه ، ومكنته من قرض الشعر بغير تصنع أو تكلف .

ثم نماه فوق ذلك بيت كريم ، فخرج من بيئة عالية ، وطبقة راقية .

وكان ذلك مبعث فخره في أكثر من موضع . ولم يكن ممن يتكسبون بالشعر ليساره . ولذلك جاء شعره قاصرا على التعبير عن أحاسيسه ، وخوالج نفسه فكان شعرا طبيعيا ، صادقا ، يمتاز بالسهولة والرصانة ، ويعبر عن واقع حياته أصدق تعبير .

ولم يعن بغير التشبيب ، ولم يلتفت الى غيره ، الا في مناسبات قليلة وهذا لعمري شيء طبيعي ، فهؤلاء الذين ينسجون أيامهم من خيوط الذهب بالجدة والشباب ، قلما يلتفتون لغير هواتف النفس ، والميل معها حيث تميل فلا ينظرون الى الحياة تلك النظرة الجادة التي تكون عادة لمن وضعوا في الحياة موضع المشقة والكدح ، سعيا وراء الرزق ، وأصلاح الحال . لذلك كانت أيام

شاعرنا حب ولهو ومتعة وانطلاق مع الشباب فى صفو خالص من العيش ·

ولم يكن له من صنعة غير الحب وقرض الشعر ، والتغنى بالجمال ، واستهل حياته العاطفية بحب روضة ، وهى حسناء فارسية يبدو من وصفها فى شعره أنها درجت فى بيت كبير فمسكنها قصر يحرسه حراس ، ويقوم على خدمتها خدم وحشم ، ويحول بينها وبينه أخوة سبعة ، كلهم فارس فى قومه ، وفى ذلك يقول :

كيف ارجيها ومن دونها   بواب سوء يعجل الشتما
اسود هتاك لاسراد من   مر على الابواب أو سلما

وهى مع ما بلغت من ثقافة وتربية عاليتين ، رهينة محبس من ذهب ، لايرقى اليه الا شاعرنا فيما ذهب اليه من شعره ، وأكبر الظن انه لم يكن يرقى اليها الا بالخيال · وأمثاله من الشعراء حقيقون بالهيمة فى اوديته ، وبلوغ ما يتعذر عليهم فى واقع الحياة بوثبات الفكر · فانظر كيف تهون الصعاب فى خياله فى هذه القصيدة الجميلة ·

يا روض ، جيرانكم الباكر   فالقلب لا لاه ولا صابر !
قالت الا لا تلجن دارنا   ان ابانا رجل غائر ···
قلت فانى طالب غرة   منه وسيفى صارم باتر ·· !
قالت فان القصر من دوننا   قلت فانى فوقه ظاهر ···
قالت فان البحر من دوننا   قلت فانى سابح ماهر !
قالت فحول اخوة سبعة   قلت فانى غالب قاهر ···
قالت فليث رابض بيننا   قلت فانى أسد عاقر ·· !
قالت فان الله من فوقنا   قلت فربى راحم غافر ···
قالت لقد اعييتنا حجة   فات اذا ما هجع السامر ·· !
فاسقط علينا كسقوط الندى   ليلة لاناه ولا زاجر !

أبمقدور هذا الشاعر المنظرى الرافه الوادع أن يأتى كل هذه المعجزات ،

ويتغلب على كل هذه العقبات للوصول الى من احب فلا يعوقه قصر ، ولا بحر ،

ولا ليث رابض ؟ ·· كلا ·· ولكنه يعالج خياله بما يعوض حرمانه ، وما يخرج الامر عن كونه تخييل سراب · آية ذلك ما تراه من تناقض لهذه المعانى السابقة فى هذه المعانى التالية فيما قال من شعر فى روضه :

قالت فزرنا ، قلت كيف أزوركم   وانا امرؤ لخروج سرك خاشى ··
قالت فكن لعمومتى سلما معا   والطف لاخوتى الذين تحاشى
فتزورنا معهم زيارة آمن   والسر يا وضاح ليس بفاشى · !

تلك هواجس نفسه ، تحدثه بان يلطف لاخوتها ، ويسالم عمومتها لبلوغ مآربه فيجرى لسانه بهذه الهواجس فى شعره حوارا شعريا جميلا ··

وقد شاء حين اعجزه الوصول اليها ، أن يحقق أمنيته بهذه الطريقة الطبيعية

التى يلجأ اليها الناس عادة الا وهى الاصهار الى أهلها وطلبها للزواج . ولكن أشعاره فى روضة كانت قد ذاعت ، فلما ذهب يطلب يدها من أبيها وأخوتها امتنعوا عن تزويجه اياها ، لانه كان من عادة العرب أن يرفضوا زواج بناتهن ممن يشببون بهن . فلاذ من جديد بخياله ، ليخلف لنا فى صدى الحرمان هذا الشعر العاطفى الرائع الذى لايقل روعة عن شعر المجنون وكثير عزه فهى تطرق خياله وتسرى اليه وتعاتبه فى المنام :

عاتب فى المنام احبب بعتبـا ء الينا ، وقوله من مقـال
قلت اهلا ومرحبـا عدد القطـ ـر وسهلا بطيف هذا الخيـال !
كل حب اذا استطال سيبلى وهـوى روضة المنى غير بال !
لم يزده تقـادم العهـد الا جدة عندنا وحسن احتلال
ما ملكت الهوى ولا النفس منى منذ علقتهـا فكيف احتيـالى
ان نات كان نايها الموت صرفا او دنت لى فثم يبدو حجالى
يا ابنة المالكى يا بهجة النفس الى حبكم يحل انتقـالى !

ويخيل لكثيرين ان مثله حقيق بالثبات فى حبه ، ولكن قلب الشاعر كالبحر اذا تتدافع أمواجه ، وتتطارد لججه ، كذلك قلبه ، تتطارد فيه العواطف ويحل فيه حب مكان حب .. فهذا هو الوضاح يترك روضة ثم ينسب بهند :

أيها الناعب ماذا تقول فكلانا سائل ومسول
لا كساك الله ما عشت ريشا ويخوف بت ثم ثقيل
ثم لا انفقت فى العش فرخا أبدا الا عليك دليل
حيث تنبى ان هندا قريب يبلغ الحاجات منها الرسول
ونات هند فخبرت عنها ان عهد الود سوف يزول !

وفعلا زال عهد الود ، وعاد من جديد الى حب روضة فيقول لها :

والله مالى عنك منصرف الا اليك فاجمل الفعلا

ويقول لها فى مناسبة أخرى :

يا روض حبك سل جسمى وانتحى فى العظم حتى قد بلغت مشاشى (١)

ثم يعاوده قلب الشاعر الذى يتسع لالف حب وحب فيقول :

طرق الخيال فمرحبا الفا بالشاغفات قلوبنا شغفا
ولقد يقول لى الطبيب وما نبأته من شاننا حرفا ..
انى لاحسب ان داءك ذا من ذى دمالج يخضب الكفا
انى انا الوضاح ان تصل احس بك التشبيب والوصفا
حيث تبنى ان هندا قريب شعلت فشف القلب ذكركها

ونحن الى روضة من جديد ، وعندما يبلغه زواجها ، يقول مصورا لنفسه وقوع ما حرم منه ، متعمدا اغاظة بعلها ، وشفاء غليل النفس :

اذا قلت يوما نوليني تبسمت   وقالت لعمر الله لو انه التصد

سموت اليها بعد مانام بعلها   وقد وسدته الكف في ليلة الصرد

اشارت بطرف العين اهلا ومرحبا   ستعطى الذى تهوى على رغم من حسد

الست ترى من حولنا من عدونا   وكل غلام شامخ الانف قد مرد ؟

فقلت لهـا اني امرؤ فاعلمنه   اذا ما اخذت السيف لم احفل العدد!

ومضى في حياته على هذه الوتيرة لا يحفل العدد ، ويميل الى تلك ، ويشبب بحسن هذه ، حتى صادف حبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، فأعجب بها اعجابا شديدا وقال :

تبلت حبـابة قلبه   بالدل والشكل الانيق

مكحولة بالسحر تنثني   نشوة الخمر العتيق

هيفاء ان هي اقبلت   لاحت كطالعة الشروق

داوى هـواي واطفئي   مافي الفؤاد من الحريق

وترفقي امـل فقـد   كلفتني مالا اطيـق

في القلب منك جوى   الحب وراحة الصب الشفيق

هـذا يقـود برمتي   قود اليك وذا يسوق

يـا قلب قـد كلفتني   تعب الهوى منها فذوق

ومضت الايام وتوالت السنون وهو لا يمضى الا مع اهوائها ، ولا يذوق الا دائب عسلها ، حتى بلغ السن التي يرعوى فيها الانسان ويثوب الى رشده فقال :

مالك وضـاح دائم الغزل   الست تخشى تقارب الاجل

لولا حذاري من الحقوق فقد   اصبحت من خوفها على وجل

لكنت للقلب في الهوى تبعا   ان هـواه ربائب الحجـل

سوى انه حين رأى من جديد الغواني الغاديات في ملاعبها نسى ما ألقى من الشباب ، فتجاوز عن وقار الشيخوخة ـ وقال :

يا مرحبـا الغـا والغـا   بالكاسرات الى طـرفا ...

انكـرن مركبي العنا ...   وكن لا ينكـرن طـرفا !

وسالتني اين الشبا ...   ب فقلت بان وكان خلفـا

اني شـبابي فالقفي   حلف الحسـان تبعن حلفا

اعطيتهن مـودتي ...   فجزينني كـذبا وخلفـا

والعـائد مثـل الرقي   ارسلتهن لكن شـعفا

اوجعن كـل مشـاغل   وعصـفن بالغيران عصـفا

مـن كـل لـذات الفتى   قـد نلت نائلة وعرفا

صـدت الاوانس كالدمى   وسقيتهن الحب صرفا .. !

فهل يستطاع للشاعر الا أن يحيا ويموت شاعرا ؟

حادث بسيط

بقلم القصاص الصيني : لو هسون
ترجمة : عبد الحميد سليم

● مضت ست سنوات منذ ان قدمت الى العاصمة من قريتي ، وطوال تلك الفترة الزمنية مرت احداث كثيرة كانت لاتعنيني – شخصيا – في شيء .. وكانت في اكثرها تثير غضبي وتدفعني الى الاقلال من حبي للناس .وفي غمرة هذه الاحداث تذكرت حادثا بسيطا واحدا كان عميقا في مغزاه ومازلت اذكره حتى اليوم لانني كنت طرفا فيه ..

كان ذلك في يوم من ايام الشتاء في السنة السادسة بعد قيام الجمهورية وقد هبت فيه بضراوة ريح شمالية عنيفة وكان على ان استيقظ مبكرا لاذهب الى مقر عملي ، وفي طريقي اليه لم التق الا بقلة من البشر ، وبعد صعوبة بالغة افلحت في استئجار عربة « ريكشو » ، وطلبت مني سائقها ان ياخذني الى بوابة الجنوب ..

وبعد برهة خلفت الريح من حدتها ، وكانت بعد توقف هبوبهـا قد خلفت الشوارع خالية من التراب ، واخذ السائق يجرى بسرعة ، وما كاد يقترب من بوابة الجنوب حتى مرق شخص ما أمامه واشتبك في العربة ووقع على الارض .

ولم يكن الشخص الذى وقع الا امرأة برأسها خصلات بيضاء وملابسها مهلهلة، كانت قد اندفعت فجأة من جانب الطريق وعبرته مباشرة امامنا .. حاول سائق عربتي أن ينحرف الى جانب ولكن سترتها البالية انفتحت ورفرفت مع الريح واشتبكت بعريش العربة ، وكان من حسن الحظ ان أبطأ السائق من خطاه والا لوقعت المرأة رأسا على عقب ، ولكان من المحتمل ان تكون اصابتها خطيرة .

وبعد أن توقفنا ، كانت المرأة لا تزال راكعة على يديها ورجليها . ولم يكن في اعتقادى انها اصيبت ولم يكن هناك أحد يشهد هذا الذى حدث ، مما أثار سخطي أن السائق توقف عن السير ، وكان واضحا انه على استعداد لان يزج بنفسه في بعض التعقيدات الخرقاء ، وربما أدى بعمله هذا الى عدم استكمال رحلتي وتأخرى عن الوصول الى مقر عملي .

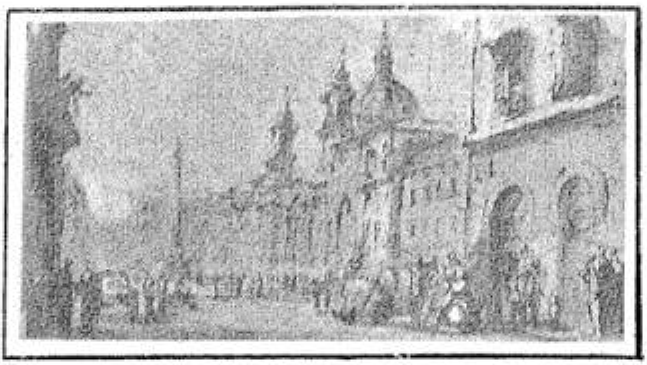
قلت له مسريا : « هون عليك ، استمر ! » .

ولكن يبدو انه لم يسمعني او انه لم يعر قولي اهتماما لانه انزل عريش العربة وفي رقة ساعد المرأة العجوز لتنهض على قدميها ، وامسك بذراعها وعاونها وسألها قائلا :

« هل أنت بخير ؟ »

فاجابت : « لقد اصبت » .

فما كان مني الا ان قلت : « لقد شاهدتك تقعين ولم يكن وقوعك عنيفا ،



فكيف اصبت ؟ انت تتظاهرين .. هذا ادعاء لا يقبله احد ، ورجل الريكشو هو وحده الذى يسبب المصاعب لنفسه ، لا توقعية فى ورطة ! »

ولكن السائق لم يتردد للحظة بعد ماقالته المرأة العجوز من أنها قد اصيبت وكان ممسكا بذراعها — لم يتردد فى أن يسير بجانبها خطوة خطوة فى حنو ورعاية تاركا اياى فى العربة ، ومتجها مع المرأة الى مبنى لم أتبين معالمه فى بادىء الامر ، ثم اتضح لى أنه نقطة شرطة :

وذهلت من تتابع الاحداث ، لم يكن من احد واقفا خارج النقطة ، ولذا فقد قاد السائق المرأة الى داخلها عن طريق البوابة ..

وعندما دخلا نقطة الشرطة ، ساورنى احساس غريب لا أدرى كنهه ، وبدا لى فى تلك اللحظة فجأة أن شكل السائق الأغبر الاشعث وقد استحال شكلا هائلا ..وكلما سار مبتعدا عنى كلما ازدادت ضخامته ، واخيرا كان على أن ارفع رأسى لاتابعه ، وفى ذات الوقت احسست بضغط جسدى وهو يكاد يخرج من نفسى كل ضآلة اختفت تحت رداء فرائى المخطط ..

واخذت اضعف كما لو كانت حيويتى قد استنفدت وكما لو كان الدم قد تجمد فى عروقى .

جلست بلا حراك ، ، وعقدت الدهشة لسانى وشل تفكيرى ، حتى شاهدت ضابطا يغادر نقطة الشرطة متجها نحوى

وعندما اقترب هبطت من عربة الريشكو ، فاذا به يحيينى وينصحنى قائلا : ارجو أن تأخذ عربة ريكشو أخرى ، اذ أن سائقه لن يسوق العربة لانه سلم نفسه لنقطة الشرطة ! » .

وبدون ما تفكير دسست يدى فى جيبى وأخرجت منه حفنة ضخمة من العملات وقلت له : « ارجو أن تعطيها للفتى ! » .

وكانت الريح قد توقفت تماما عن الهبوب ولكن الطريق كان لا يزال يسوده الهدوء . استغرقت فى التفكير وانا اسير وتتابع شريط الاحداث أمامى ، وبحثت عن تفسير لاخراجى لحفنة العملات ،ولماذا اعطيتها للضابط ؟ هل هى مكافأة للسائق ؟ وهل كان من حقى ، طبقا لسلوكى ، أن اصدر حكما على سائق عربة الريكشو ؟ .

لم يكن فى استطاعتى ان اجيب على ضميرى ، ولكنى احسست فى قرارة نفسى باجلال وتقدير لسائق عربة الريكشو !

* يعد « لاهسون » من احسن قصصى الصين وقد تميزت قصصه بالسخرية والتهكم وقد توفى سنة ١٩٣٦

●●

رحالة



غـلاـ محمد عـادل

اتيت عند جنتـك
لما عرفت موعـدك
يداى لا مست يدك
زرعت فى بسـمتك
ملات فيـك وحدتك
وكان شعرى روضتك

●●●

وترجعين وتلعبين
رسـائلا فتكتبين
قصـائد ام تقرأين
.. .. وتحـلمين

●●●

الذكرين مقعـدك ؟
بجانبى قد كان مجلسك
وكلمتى فى دفترك ..
وصورتى على وسادتك
وذكرياتى ، صـورتك
لعل طالت رحـلتك !

●●●

متى نعود والسنين ؟
ولا رحيل يسـتكين
اعـدو اليك تعبرين
نحيا حياة العاشـقين
تأتين ثم ترحلـين
الى الرحيـل تذكرين ؟

●●

مناجاة نثرية ..

مليكة القلب

السيد علي مصطفى عمر
السودان



وتسر السكينة من حولى ..
باسرار عينيك الجميلتين
ويغوص الصمت في ظل الصمت
فتزاورنى شجوة من همسك الوسنان

***

وتموج زهوة الشمس فى الضحى
فتغار من جدائلك الذهبيتين
ويصدح البلبل فى الدوحة ، ويخرس
اذا ما تداعت له دندنة الشفتين

***

وتختال الظباء بين المروج وتسكن
اذا ما تراءت لها خطى الساقين
وتطوف الفراشات على الزهور لتجتنى
فتؤثر دون الزهور رحيق الخدين !

***

سبحان من سوى رطابة الكفين
سبحان من صور أعناب البنان
سبحان من صورك ..
وقلدك مليكة الجنان !

***

فاليك يا خليلة القلب
اشكو لوعة الحرمان !

((السيد على مصطفى عمر))
السودان

الملامح

علي عبيد

● تعودت ان اتفحص وجوه المارة فى الطريق ... حتى ان هذه العادة كادت تعرضنى للموت !.. فبينما اتوه فى احد الوجوه ، تكسون سيارة ما قد وقفت فجأة على مسافة نصف متر من ساقى الايسر ، وارتفع الدوى حتى اقترب من نوافذ المنازل بل ومن اسطحها ! .. لحظتها افيق وادرك انه من الخطأ ان امعن النظر فى وجوه الناس ! ..

لكننى سرعان ما اعود لنفس العادة فى اليوم التالى مباشرة ...

فى الطريق نظرنى رجل فى شراسة، لم اكن اعرفه . كنت اتفحصه ولاول مرة ... ملأنى الرعب، واسرعت الخطى، ثم وقفت أنظر خلفى، فوجدته ما زال واقفا يتأملنى ، فسرت بأكثر سرعة حتى وصلت لبيتى واغلقت باب الغرفة ...

ووجدتنى أنظر لوجهى فى المرآه لأرى ما صنعه الرعب فى قسماته الدقيقة التى تشبه الى حد بعيد قسمات وجه فتاة صغيرة ...

الغريب اننى رأيت ذلك الرجل فى المنام . فى الصباح قمت اضحك بطريقة شاذة وامام المرآه تذكرت على الفور ان ملامحى هى نفس ملامح امى. وتذكرت ايضا ان ابى مات ذات مساء حار . وانه كان ابدا لا ينادينى باسمى كما يفعل الآباء ..

وتذكرت شاربه المهوش المخيف الذى طالما ملأنى الرعب منه. وفمه الواسع. وشفتيه الغليظتين ، وصوته الخشن الفظ .

« تعال يا شبه امك
روح يا شبه أمك »

ورحت فى نوبة بكاء حادة . بعدها قلت لنفسى كم هى كثيرة تلك المرات التى أجلسنى الى جواره فى العربة اللورى « الجبل » ، وضمنى بيده اليمنى فى حضنه ضمة ودودة كنت المس فى وجه امى الذى يشبه وجهى « ابى يسوق الجبل يا امى»، وكانت تضحك فى زهو . ظللت اخفيه عنه حتى مات .

كنت أخجل عندما يقال لى أن وجهك « بناتى » واحيانا كنت ابكى بحرارة. واحيانا اخرى اسأل نفسى اليس فى مقدور الانسان ان يغير شيئا فى وجهه . ويوما . ما وهدانى تفكيرى ان اترك شاربى ، وفعلا .. لكن بعد ثلاثة شهور ادركت انها فكرة سخيفة. لقد كان واضحا انه جعلنى اقرب الى الاطفال !

***

تخيلت وأنا أصفف شعرى صباحا ان الاجتماع الذى سيعقد فى الظهيرة يمكننى ان اهرب منه لاجلس فى ميدان التحرير أمارس عادتى .»



لما تأكد لى أنه لا مفر ، دخلت مع الموظفين فى غرفة واسعة جدا .

لم أتبين اللافتة التى الصقت ببابها الا لحظة دخولى . ذلك لأننى كنت فقط اعرف ان من هذا الباب يدخل رئيس المصلحة ..

جلست على كرسى فخيل الى ان كل الموظفين يحدقون فى وجهى بغرابه .

قمت من على الكرسى . ولأن الزحام كان قد اشتد بطريقة خرافية . لذا رحت ادفع نفسى للخارج قبل ان يدخل رئيس المصلحة وينغلق الباب .

***

فى ميدان التحرير كان جلدى ينشع عرقا لزجا . لأن السماء الصافية جدا كانت قد فرشت شمسها الساخنة على ارض الميدان .

رحت اجلس على مقعد من رخام رث .

رحت اجفف العرق وعيناى السوداوان تمارسان عادتهما تعلقتا بعينين سوداوين ...

تعلقنا ...

العينان تجلسان امامى .

العينان فى جرأة تتعرفان على انفى المدبب الدقيق . وعلى فمى الضيق ورأسى الصغير . على الشفتين الحمراوين ..

النشع الجلدى يزداد .

تقف العينان .... اقف

تقترب .... اقترب

تبتسم ..... ابتسم

تتلامس دون تردد كتفانا النحيلتان ، اصابعنا الرفيعة ..

تتلاصق .. نتوحد ..

قدمانا تجريان على اسفلت الشارع الممتد الى النهر فى فرح صبيانى عذب

تضحك .. تسألنى هل احببت ؟

اهمس فى عينيها السوداوين لم تعشقنى امرأة قط !

تضحك فى صخب فاجر ضحكات تجعل كل رؤوس رجال الشارع تنظرنا فى استنكار

وتعود العادة تدفعنى وتلح على ان اتفحص كل وجوه رجال الشارع . فاراها وحشية . غير دقيقة وارى وجها لا يختلف كثيرا عن وجه ابى

فاحط عليه ملامح امى

يقف الوجه ، اقف ..

تسألنى المرأة ماذا تفعل ؟

اسألها ما رأيك فى هذا الوجه ؟

تتأمله قليلا وتجيب : «رجل هالك»

اسألها : ما رأيك فـ .. فـ ..

اتردد ... تسألنى : فى ماذا ؟

انطق فى همس : ما رأيك فى كل ملامح وجهى ؟

تطيل النظر لعينى التى تشبه عينيها وتضحك فى خبث انثوى لاذع « لوان »

تزلزلنى الرغبة فى ان اصرخ ..

اجرى ...

اجرى واصرخ صرخات احاول ان اجعلها لا تخرج من اعماقى ..

الصرخات تخرج من اعماقى ..

تدوى مروعة فى الشارع الممتد الى النهر ، وترسم الرعب جليا على كل القسمات الوحشية ! .



المجىء

ومع الربيع قد انتظرتك .. عودى
وخرجت من صمت ـ يجفف عودى
ارقب الفجر الذى واعدتنى
هل ياترى تتذكرين وعودى
حطمت كاساتى التى ادمنت فمى
ولعنت فيها ملجأ لشرودى !
وفتحت نافذتى التى اغلقتها
مزقت ستر كآبة وجمود ..
فرأيت طيفك مشرقا من خلفها
والدفء يسرى منه ملء وريدى
واخضوضر اللبلاب فوق نوافذ
طربت وكم تاقت لمدى بجليد ..
ورأيت اغصانا تتيه بزهرها
مثل الحسان تزينت بعقود !
هذى عقود حول جيدك انها
تبدو كسور حول مزج ورود
محبوبتى عاد الربيع فاقبلى ..
عطرا ، وازهارا تجمل عيدى ..
قلبى شهيد هواك يسأل رحمة
هل فى حنانك منزل لشهيد ؟!

اسماعيل عقاب
مرسى مطروح

الغلبان !

عاطف سعودي

يتقوقع عادة داخل ملابسه ، ينتظر فراغي من عملي .. فاذا انطلق لحن خلال مسحة مشروخة يعود بعدها مكانه .. الاحظ عليه شروده وهو ينظر الى لاشيء من نافذة مكتبي . احسبه غافلا تماما عما حوله لولا يقظته وسرعته الواضحة في حماية عودة آلته الموسيقية التي لا تفارقه فهو حريص عليها حرص الجفن على صفحة العين ... يخاف عليها من حوادث الاصطدام في زحمة الاقدام العديدة التي ترتاد غرفتي بمبنى الشرطة .

كان سالم العواد بارعاً ، فناناً مرهف الحس ، يسكن في حي المدبح بالسيدة زينب في الاربعينات ، وكان ودودا يعرف للصداقة والاصدقاء قدرهم .. عرفته أول ما عرف حبي للموسيقى وهوايتي لها ، فكان يزورني باستمرار فلا امل منه ولا يمل مني . بيد أني لاحظت على وجهه علامات من الاسى والحزن لا تخطؤها العين فسألته : — فيم حزنك ؟

قال : زوجتي !

قلت : وما يحزنك منها ؟

قال على الفور : لسانها ياسيدي !! ..

والتحم يتدفق كشلال ، يحكي .. كأنما اخترق سؤالي « بالونا » كان منتفخا بداخله .. لسانها يا سيدي لا يقذف الا لهيبا . لا يقطر الا دما أو قيحا . أعطيها الحب ... اسأل عليها عمري وهي تجيبني .. اعرض عنها لعرض عني وهي تجيبني .. أحاول أن احبها كما تحبني ، لا استطيع !.

لان كلماتي تسقط داخل حلقي ياسيدي..

— لماذا يا سالم ؟

فالمدفع الذي في فمها يجعل كلماتي تسقط صرعى ، تنتحر في احبال صوتي .. فاذا افلتت مني كلمة لا تصل الى اذنها ولا حتى الى اذني الا تدهسها سيارات السباب المجنونة التي تمرق في جو الحجرة في جميع الاتجاهات !!

نصحته ان يشكوها لابيها ، قال لي في مرارة لا استطيع ، فهو جزار في المدبح يقطع مع كل طلعة شمس مائة راس .. ولن يضيره أن يزيد هذا العدد واحدا !!

قلت له : اذن طلقها بائنا ..

اجابني : ياسيدي ، انها تقف على باب المذبح .. واعرف انها بارعة في استخدام الساطور لدرجة انها تفلق راس الضأن مجمل بضربة يد واحدة ؟

حاولت أن احفزه للاستعانة ببعض الرجال الرجة من الدرجة الاولى ، الثانية ، الثالثة فاكد انهم جميعا اصحاب مهنة واحدة ، لا فائدة !

وهكذا ظللت اسمع من المشاجرات والمهاترات القائمة بين الزوجين .. وسالم الغلبان يحضر اثر كل مشاجرة ودموعه يحبسها من عينه ليبذرها — كما يقول الشاعر — على عوده !..

قلت له : هل لك اولاد منها يا سالم ؟

قال : لا ! .. نصحته بعد تردد ان يطلقها ويخلص منها .. عارضني بشدة قائلا انه يحبها ولا يطيق فراقها لحظة واحدة رغم لسانها الاعوج !

سكت ، ونصحته خلال تلك الزيارة بالصبر وضبط النفس ، وان يحني رأسه قليلا اذا هبت العاصفة .

ومضت عدة أيام بعدها لم ار سالما . . . الى أن فوجئت ذات صباح بمن جاء يخبرني بوقوع جريمة قتل في قلب شقته ! .. طار صوابي . طرت الى هناك ، وانا ارجم على سالم .. هناك ، الرجل الذي يقطع مائة راس كل طلعة شمس .. حماة المرأة التي تفلق راس الضأن مجمل بضربة واحدة ! .. القارب

هكذا انتهيت يا سالم في لحظة واحدة !.. الزوجة الاخرون الذين لا يرحمون !!

لابد أن شجارا جديدا حدث بينك وبين زوجتك ، استنجدت الزوجة بأحد اقاربها ، حضر القريب حدثت مشادة بينك وبينه أيها الغلبان ، افلتت منك كلمة لم تعجب القريب المدجج بالساطور الابيض ، اعتبرها اهانة منك لا يغسلها الا الدم ، اجهز عليك !..

على أية حال لن يفلت القاتل من يدي .. لن أدعه الا في نهاية السجن جزاءه ، مهما كلفني الامر ..

واجبي بالنسبة لك واجبان أيها الصديق ... واجب يفرضه عملي ، وواجب تفرضه الصداقة والمحبة بيننا .

وصلت الى هناك ، طرقت الباب ... لم يجبني أحد .. نظرت اسفل فلمحت سربا من الدم يتلوى خارجا من الداخل ... امرت بكسر الباب ، وجدت سالما وزوجته وحدهما ! .. احد الزوجين مقطوع الرقبة ملقى على الارض خلف الباب مباشرة ! . والاخر كان لدهشتي الشديدة هو سالم الغلبان الذي كان واقفا ينظر الي في ذهول وبيده سكين لا يزال الدم يقطر منها ! .

شئ من الفلسفة والمنطق وعلم النفس

حليم فريد تادرس

حول اربعة مسائل فلسفية كبرى ، يدور مقرر الفلسفة هنا ، وكل مسالة من هذه المسائل تعبر عن روح عصر من العصور ..

المسالة الاولى : « مسالة التغير والثبات في الوجود » وتعبر عن روح العصر اليونانى القديم .. والمسالة الثانية : « مسالة العقل والدين » وتعبر عن روح العصور الوسطى .. والمسالة الثالثة ق « مسالة المعرفة الانسانية والمنهج العلمى » وتعبر عن روح العصر الحديث (القرنين ١٧ و ١٨) .. والمسالة الرابعة « مسالة الانسان وصراعه فى عالم متناقض بحثا عن حريته » وتعبر عن روح القرنين ١٩ و ٢٠ .. فالفلسفة ، اذن ، ليست وحيا يهبط عل الفيلسوف بل هى تعبير عن ثقافة العصر .

● وسنقتصر فيما يلى على تقديم اساسيات ومحاور المسالة الاولى « مسالة التغير والثبات فى الوجود » وكانت هذه المسالة قد تحدت الفكر اليونانى خلال القرون الستة السابقة على الميلاد .. اذ بدا لهم ان الوجود به كثرة من الاشياء المتغيرة ، فكان سؤال العصر القديم هو : ما الوجود ؟ وما علته ؟ هل هو متغير حقا ؛ واذا كان متغيرا فما هو الاصل الثابت وراء هذا الوجود المتغير ؟! وتحقيقا لوضوح الرؤية ، وحتى يتبين الدارس أوجه الاختلاف بين الاتجاهات الفلسفية المختلفة التى عالجت هذه المسالة ـ نقدم المسالة على النحو التالى :

(١) هيراقليطس وبارمنيدس

حاول كل من هيراقليطس وبارمنيدس ، وهما من أوائل فلاسفة اليونان ، تفسير الوجود فوصفه هيراقليطس بالتغير المستمر ، وان هذا التغير يأخذ شكل الصراع بين أضداد ، فكل ما فى الوجود يتحول الى ضده ويحتويه ، ثم وصف كل مظاهر التغير فى الوجود بأنها تحدث طبقا لنظام دقيق يحقق الانسجام بين الاضداد بفعل عقل كامن فى الوجود ..

أما بارمنيدس ، فقد وقف من هيراقليطس موقفا معاكسا ، اذ يرى أن الحواس الخادعة هى التى تظهر لنا ان الوجود فى تغير مستمر ، فى حين أن النظر العقلى للوجود يكشف لنا عن ثباته ووحدته ، فالوجود ثابت لانه مثل « كرة ملاء » وكل « ملاء » لا يقبل اضافة ولا نقصانا ، وكل مالا يقبل اضافة ولا نقصانا

● العلم الحقيقى فى نظر أفلاطون هو العلم بالكلى الثابت

فهو ثابت لايجرى عليه تغير ، والوجود واحد ، لانه اما أن يكون وجود أو لا وجود ولما كان « اللاوجود » ممتنع أصلا لانه عدم ومحال ·· فلا يبقى اذن الا الوجود ووحدته ، وكان هيراقليطس يصف الوجود بأنه متغير ، وبه كثرة من الاشياء المتغيرة أيضا ··

● (٢) السوفسطائيون وسقراط

وقد انصرفا عن دراسة الوجود الى دراسة الانسان والطبيعة الانسانية وذلك لسببين ، أولهما ــ اختلاف الفلاسفة من قبلهم حول الوجود ، وثانيهما ــ انهيار الديموقراطية اثر هزيمة اثينا أمام اسبرطة ··

وقد وقف كل منهما موقفا معاكســـا تماما لموقف الآخر فاختلفت نظـــرة السوفسطائيون وسقراط الى المعرفة الانسانية والطبيعة الانسانية بل والحقيقة ذاتها ·

● فبالنسبة للمعرفة الانسانية : يتصور السوفسطائيون أن مصـــدرها هو الاحساسات أى احساسات الفرد ، ولما كانت احساسات الفرد متغيرة تصـــبح الحقيقة متغيرة اذ تصبح القيم والحق والخير والجمال معانى نسبية ، ويصـــبح العلم عندهم هو العلم بالامور الجزئية المتغيرة ، ولهذا يقول زعيمهم «بروتاغوراس» الانسان معيار كل شىء فى الوجود » فلا شىء اذن حق أو خير أو جمال على الاطلاق ·· كل شىء نسبى متغير تبعا لتغير احساسات الفرد والافـــراد ــ وقد رفض سقراط هذا التصور السوفسطائى الذى هدم الحقيقة ، يقول ســـقراط ، كل متغير باطل وكل ثابت حق ، وبالتـــالى يرفض المعـــرفة التى تأتى عن طـــريق الاحساسات ، ويرى أن العقل هو مصدر المعرفة ، والعقل وحده هو الذى يصنع العلم بالامور الكلية والتصورات العقلية الثابتة ، والعلم بغير هذه الامور الكلية والتصورات العقلية علم باطل ·

● وفى مجال الاخلاق : تصور السوفسطائيون الانسان يطلب ــ بفطرته ــ المنفعة الشخصية واللذات الحسية ، ومن هنا دعوا الناس الى مخالفة القـــانون الذى يضع قيدا على طبيعة الانسان التى تنشد المنفعة الشخصية والخير المادى ، فى حين أن سقراط يرى الانسان خيرا بفطرته وان هذه الفطرة الخيرة هى التى تدعوه لعمل الخير ، وخير الانسان هو الخير المعنوى الذى يحقق ســعادة النفس لا الخير المادى الذى يحقق مطالب شهوات البدن كما تصـــور السوفســـطائيون وان الانسان يفعل الشر لجهله بالفضيلة ، ومن هنا وحد ســـقراط بين العلم والفضيلة فيقول (الفضيلة علم والرذيلة جهل) ·

●● اتجاهان متعاكســـان نحو الطبيعة الانســـانية ، وقد اخذ كل من السوفسطائين وسقراط يروج لاتجاهه ·

ــ اعتمد الســـوفســـطائيون على الحوار اللفظى الذى يخاطب الوجـــدان والاحساسات مستخدما المغالطات اللفظية ، وتشكيك الناس فى العقل ·

ــ أما سقراط فقد اعتمد على الحوار المنطقى الذى يخاطب العقـــل باحثـــا فى عقول الناس عن المعانى الكلية والتصورات العقلية للفضـــائل حتى لا تصـــبح

الفضيلة نسبية كما تصور السوفسطائيون اذ كان سقراط يعتقد أن الانسان يولد مزودا بالعلم بالفضيلة ، وما على الفيلسوف الا أن يساعد الانسان بطريق الحوار المنطقي على توليد المعاني الكلية للفضائل من عقل الانسان ، ولذلك يعرف منهجه في الحوار باسم « منهج التوليد » .

(٣) افلاطون وارسطو

وقد اتجها لدراسة الوجود لمعرفة حقيقته وأصله الثابت ، ومع أن أرسطو كان تلميذا لافلاطون الا انه عارضه في النقطة الاساسية من مذهبه ، وكان أرسطو يقول : « انى أحب افلاطون .. لكن حبي للحق أعظم ! » .

● فقد قسم افلاطون الوجود الى قسمين أو عالمين : فقال بعالم علوى سماه (عالم المثل (وعالم سفلى سماه (عالم المحسوسات) ، عالم المحسوسات هذا هو عالمنا الذى نعيش فيه ، ولان هذا العالم به كثرة من أشياء جزئية متغيرة ، فقد اطلق عليه أيضا اسم (عالم الاشباح الزائفة) لان كل ما فيه جزئي متغير ، وكل جزئي متغير باطل (لاحظ هنا تأثره باستاذه سقراط) ، واذا كان عالمنا المحسوس هذا هو عالم الاشباح الزائفة والباطلة كما يدعى افلاطون .. فأين هو عالم الحقائق الازلية الثابتة ؟!

يقول افلاطون انه (عالم المثل) المفارق والمستقل عن عالم المحسوسات ، هو عالم الاصول والنماذج ، عالم الوحدة والثبات ، ففي عالم المثل هذا نجد مثالا واحدا ثابتا لا يتغير لكل من الخير والجمال والعدالة ، ومثالا واحدا لكل نوع من الانواع ، ففيه مثال واحد للانسان .. ومثال واحد للحصان ، ومثال واحد للشجرة .. الخ . وهذه المثل الكلية الثابتة تدرك بالعقل لا الحواس ، وهي وان كانت مستقلة ومفارقة عن عالم المحسوسات الا أن المحسوسات الجزئية المتغيرة تشاركها وتحاكيها .

● ولكن من أين جاءت هذه المحسوسات المتغيرة ؟ يقول افلاطون انها مصنوعة صنعها اله صانع (موجود أول) من اربعة عناصر ازلية هي الهواء ، والنار والماء والتراب . محتذيا في صنعها بالمثل الازلية أيضا .

فالعلم الحقيقي اذن في نظر افلاطون هو العلم بالكلي الثابت أى بالمثل ، فكيف يتم علمنا بالمثل ؟ يجيب افلاطون : بطريقين ، أولهما ـ التذكر (أى تذكر المثل) وثانيهما ـ الجدل .. وكيف نتذكر المثل ؟ يقول : ان النفس الانسانية قبل أن تحل في البدن كانت في عالم المثل ، ومن ثم فقد ادركت المثل ، لكنها ارتكبت خطيئة فهبطت الى البدن ، ولما كان البدن ماديا وناقصا فقد نسيت المثل ، وما عليها الا أن تتذكرها ، اما الجدل ، فليس كالجدل السوفسطائي جدل لفظي أو كالجدل السقراطي جدل منطقي مع الآخرين ، ولكنه جدل مع الذات ، حيث تصعد النفس من تأمل المحسوسات المتغيرة الكثيرة الى افتراض أن هناك وحدة تجمع كل نوع منها في مثال ، يكون هو الاصل والنموذج لهذه الكثرة المتغيرة ..

تلك هي نظرية افلاطون في الوجود والمعرفة ، وقد تصدى ارسطو لهذه النظرية بالنقد والتجريح ، وكان اعتراض أرسطو على قول افلاطون بأن حقائق الاشياء أى مثلها توجد في عالم مفارق ومستقل عن عالم المحسوسات ..

يقول أرسطو في نقده لنظرية المثل الافلاطونية ، انه اذا كانت المثل تعني حقائق الاشياء أو روح الاشياء ، فروح الاشياء يجب أن تكون حالة فيها لا مفارقة لها اذ لا يمكن فهم وجود شيء أو تفسير وجود شيء بمبدأ مستقل عنه ، ثم انه لا توجد أدنى محاكاة بين محسوسات تتصف بالتغير ، ومثل تتصف بالثبات فالمتغير لا يشبه ما هو ثابت ، ثم أن المحسوسات جزئية ، والمثل كلية ، ومن هنا فقد هدم أرسطو أهم ركن في نظرية الوجود الافلاطونية ، فكيف تصور أرسطو الوجود وعلته بعد أن هدم التصور الافلاطوني للوجود وعلته ؟

● يقول أرسطو ان كل موجود طبيعي أو صناعي ، يتكون من « مادة » ومن

« صورة » والمادة يسميها (الهيولى) مادة أولى أزلية لا تعين لها أى لا توصف ولا لون لها ولا طعم ولا شكل ، وقد وصفها بالتغيير المستمر وانها تنزع دائما لان تتحقق فى صورة ، أما « الصــــورة » فهى المعنى الكلى الثابت الذى يعين المادة ويحددها فيصبح للشيء وجود فالانسان مثلا ما هو الا مادة اتخـــذت لها صورة الانسان .

وقد أطلق أرسطو على المادة اسم (الوجود بالقوة) لانها وجود ممكن ، وكل ممكن يكون وجوده بالقوة أى ممكن أن يوجد وألا يوجد ، واطلق على « الصورة » اسم (الوجود بالعقل) لانها هى التى تحد الهيولى (أى المادة) فيكون للشيء وجود ، ذلك لان وجود الشيء يعنى تحول ما هو بالقوة الى الشيء بالفعل أى تحول المادة لكى تتخذ لها صورة .

●● كأن « المثال الافلاطونى » اذن هو الصورة الارسطية هبط بها أرسطو من عالم المثل وردها الى الاشياء ، فصارت الاشياء حقائق بعد ان كانت فى نظر افلاطون اشباحا تشارك مثلها وتحاكيها .

● وفى تفسير أرسطو لحركة العالم ، أثبت للعالم محركا أول ، اعتبره علة غائية لحركة العالم ، وهو محرك أول لا يتحـــرك ، محـــرك أول من حيث هو علة غائية لحركة العالم يتحرك العالم نحوه بحركة عشق ونزوع لكمـــاله وجمـــاله ، ولا يتحرك لانه صورة خالصة من المادة ومن طبيعة الصورة الثبات وعدم الحركة ، ثم وصف المحرك الاول بأنه مشغول عن العالم بالتفكير فى ذاته وتأمل كماله . ومن هنا نقد سلب عنه كل الصفات التى تجب للاله الحق كالعلم والقدرة والارادة والفعل والمشيئة .

● وفى مسألة قدم العالم أو حدوثه (أى خلقه من عدم) يتفق أرســـطو مع افلاطون فى القول بقدم العالم أى بانه قديم غير مخلـــوق ، اذ يصـــف افلاطـــون حركة العالم بأنها دائرية أى أزلية لا بداية لها ولا نهاية كما يصف أصل العالم بالازلية اذ يقول بعناصر اربعة أولية أزلية وبالمثل الازلية ايضا ، ونجد ارسطو أيضا يقول بقدم العالم فالعالم قديم غير مخلوق عند أرسطو أيضا ، اذ يصـــف حركة الافلاك والكواكب بأنها دائرية أى لا بداية لها ولا نهاية فهى حركة أزلية ، ويصف المحرك الاول بأنه مجرد علة غائية لحركة العالم ــ لا علة فاعلة لهـــذه الحركة ــ ويسلب عن المحرك الاول كل قدرة على الفعل والخلق والارادة والعلم اذ هو مشغول عن العالم بذاته ، ثم يقول بمادة أولى أزلية وبصورة أزلية ايضا ، وان المادة قد تحركت من تلقاء نفسها لتتحقق فى صورة .

●● تلك هى خلاصة موقف فلاسفة اليونان من مســـألة التغير والثبـــات عرضناها على نحو جديد يبرز الاساسيات ويقارنها ببعضـــها وينبه الدارس الى المحاور الاساسية فى المسألة ، وتحقيقا لمزيد من الجلاء ووضوح الرؤية ننبه الى الآتى :

(١) السوفسطائيون كانوا يطلبون العلم بالامور الجزئية المتغيرة ، ومن هنـــا كانت الحقيقة عندهم متغيرة ، أما ســــقراط فكان ينشـــد العلم بالامور الكلية والتصورات العقلية الثابتة .

(٢) ان افلاطون فى نظرية المثل قد تاثر بالســـابقين عليه ، فقد اخذ عن هيراقليطس فكرة التغير وطبقها على عالم المثل ، ثم اخذ عن سقراط ان كل ما هو ثابت حق ، وكل متغير باطل ، ولذلك يصف عالم المثل بانه عـــالم النمـــاذج والاصول والحق المطلق لانه عالم الثبات والوحدة ، ويصف عالم المحســـوسات بانه عالم الاشباح الزائفة لانه عالم التغير والكثرة .

(٣) أن الخلاف الجوهرى والاساسى بين أرسطو وافلاطون يبدو فى تصـــور كل منهما للعلل الصورية أى « صورة » الشىء أى حقيقته ، فأفلاطون يتصورها

مفارقة للاشياء ومستقلة عنها فى عالم مفارق ومستقل هو عالم المثل ، في حين يرفض ارسطو هذا التصور ويرى أن حقيقة الشيء أى صورته توجد حالة فيه وليست مفارقة له ويفسر ذلك في نظريته (المادة والصورة) و (القوة والفعل)

(٤) يتفق ارسطو مع أفلاطون فى القول بموجود أول (الله) ، ولكن كلا منهما قد تصور الموجود الاول على نحو مخالف ، فأفلاطون يتصوره صانعا ، أما أرسطو فيتصوره محركا أول لا يتحرك ‥ مشغول عن العالم بالتفكير فى ذاته وتأمل كماله ‥ أي لا علاقة له بالعالم ولا يدرى عنه شيئا وليست له في العالم قدرة ولا ارادة ولا فعل ولا مشيئة ·

(٥) تعبر نظرية المحرك الاول عن قمة البناء الميتافيزيقي (الفلسفي) عند أرسطو ، اذ فسر بها حركة العالم فى مجموعه ‥ ذلك ان العالم متحرك متغير ، وكل متحرك يتحرك بغيره وتتعدد سلسلة الحركات المتحركات حتى تصل بالضرورة المنطقية الى محرك أول لا يتحرك ‥ هو علة غائية لهذه الحركة ‥ وما العشق والنزوع فى العالم نحو المحرك الاول الا علة فاعلة لهذه الحركة ·

(٦) انه بدءا من سقراط أخذت النظرة تتجه الى الامور الكلية الثابتة باعتبارها هى العلم الحق ووصف ما هو متغير بالنقص ·

ـ فالكلى الثابت عند سقراط هو العلم بالتصورات العقلية الكلية للفضائل ومن هنا كانت غايته وضع تعريفات ثابتة للفضائل ·

والكلى الثابت عند افلاطون هو المثل الازلية ذات الصدق المطلق ·

ـ والكلى الثابت عند ارسطو هو الصورة التى تعين المادة فيكون للشيء وجود ولذلك نجده يضع الصورة فى اعلى سلسلة الموجودات ، وحسبنا انه يصف المحرك الاول بانه صوره خالية من المادة وجعل الثبات طبيعته ، والثبات دليل الكمال المطلق ·

● ثانيا ـ المنطق

وفى المنطق يتضمن المقرر للدارسين ثلاثة ابواب ، أولها ـ باب للحدود المنطقية (الالفاظ وتصنيفها) وثانيها ـ باب القضايا اى الاحكام وتصنيفها ‥ وثالثها ـ باب الاستدلال وهو اهم أبواب المنطق وهو العلم الموصل الى الاستدلال السليم

وفيما يلي نقدم محاور الباب الاول الاساسية وهو باب الحدود المنطقية ‥‥ والحد المنطقى هو ما يمكن أن تخبر به أو تخبر عنه ، وعادة تصنيف الحدود المنطقية الى :

(١) الحد الجزئى : مثل (نهر النيل ـ القاهرة) وهو الحد الذى يطلق على مسمى واحد أو شيء واحد ·

(٢) الحد الكلى : مثل (نهر ـ مدينة ـ مدرسة ـ انسان) وهو الحد الذى يطلق على عدة مسميات أو أشياء أو أفراد تشترك فى صفات واحدة ·

(٣) الحد الجمعى (أو اسم الجمع) : مثل (قبيلة ـ جيش ـ نقابة) وهو الحد الذى يطلق على عدة أفراد ويشترط اجتماعهم ، اذ لا يمكن أن نطلقه على كل فرد من أفراده على حدة ·

(٤) اسم العلم : مثل (محمد ، أحمد ، على ، جميل ، كريم ، حليم) واذا استخدم هذا الحد كاسم علم فهو حد جزئى ، أما اذا استخدم كصفة مثل (جميل وكريم وحليم) يصبح حدا كليا لان جميع الصفات حدود كلية ·

● والحد الكلى هو اهم الحدود المنطقية ، ولذلك عنى رجال المنطق بتصنيفه فوصفوا له خمسة تصنيفات تسمى باسم (الكليات الخمس) فمن الحدود الكلية ما يدل على أنواع مثل (انسان ـ قط ـ حصان) ومنها ما يدل على صفات مثل (حيوان ـ مفكر ـ كاتب ـ مبصر) ولكن كل صفة من هذه الصفات لها مايميزها عن الاخرى فمنها ما يدل على صفات اساسية كالحيوانية والتفكير

● كان أرسطو يقول:
"إني أحب أفلاطون
لكن حبي للحق أعظم.

بالنسبة للانسان .. وهذه صفات اساسية لانه اذا فقدها النوع او فقد احداها لفقد وجوده ، ومنها ما يدل على صفات غير اساسية اى عرضية كالكتابة والابصار بالنسبة للانسان ، وهي صفات غير اساسية لانه اذا فقدها النوع أو فقد احداها لما اثر ذلك في وجوده كانسان ومن خلال التصنيف السابق وضع ارسطو معالم تعريف الالفاظ (التعريف الشيئي) فانتهى الى نوعين من التعريف

(١) التعريف بالحد ، وينقسم الى : ـ

(أ) التعريف بالحد التام : وهو ما كان بالجنس القريب والفصل معا ، وكتعريفنا للانسان بأنه (حيوان مفكر) ، وهو ادق التعريفات لانه يحدد ماهية المعرف كاملة ، ثم انه تعريف جامع مانع ، ويجمع جميع أفراد النوع المراد تعريفه ويمنع من دخول أنواع أخرى .

(ب) التعريف بالحد الناقص . وهو ما كان بالجنس البعيد والفصل (أو الفصل فقط) كتعريفنا للانسان بأنه كائن حي مفكر (او مفكر فقط) وهو اقل دقة من الحد التام .

(٢) التعريف بالرسم ، وينقسم الى : ـ

أ ـ تعريف بالرسم التام : وهو ما كان بالجنس القريب والخاصة كتعريفنا للانسان بأنه حيوان كاتب ، وهو اقل دقة لان الخاصة صفة عرضية كما اسلفنا.

ب ـ تعريف بالرسم الناقص : وهو ما كان بالجنس البعيد والخاصة (او الخاصة فقط) كتعريفنا للانسان بانه كائن حي كاتب ، وهو اقل التعريفات الشيئية دقة لانه لا يعبر عن اى جزء من ماهية المعرف .

●● تلك هي المحاور الاساسية في الباب الاول (باب الحدود المنطقية) والذى يهمنا هنا ويهم الدارس أن يدرك تماما الفرق بين كل من الآتى :

١ ـ الحد الكلى والحد الجزئى .

٢ ـ الحد الكلى والحد الجمعي (اسم الجمع)

٣ ـ الصفات التي تعبر عن الماهية والتى لا تعبر عن الماهية

٤ ـ التعريف بالحد والتعريف بالرسم .. ولماذا يعتبر التعريف بالحد التام ادق التعريفات الشيئية في حين يعتبر التعريف بالرسم الناقص اقلها دقة .

٥ ـ الفرق بين التعريف الجامع المانع والتعريف الغير جامع الغير مانع ولاشك ان العرض السابق يبرز المطالب الخمسة السابقة .

● ثالثا علم النفس :

وفي علم النفس يتناول المقرر للدارسين ثلاثة ابواب اولها ـ المدخل الى علم النفس ، حيث نتعرف على موضوع علم النفس وميادينه ومناهج البحث فيه ، والسلوك ودوافعه والنظريات المفسرة للسلوك ، وثانيها ـ ظاهرة النمو الانسانى منذ مرحلة ما قبل الميلاد (الحمل) حتى مرحلة المراهقة ، وثالثهما ـ الشخصية ومحدداتها ..

حليم فريد تادرس
موجه اول الفلسفة بمحافظة الشرقية ●

قصــــة

الشمس لا تغيب كثيرًا

محمد خليل

● وقف خلف النافذة شاردا ، ينظــر من وراء زجاجها الى سحابة كثيفــة حجبت ضوء الشمس .. منذ غادر فراشه فى الصباح وهو يشعر بنفسه تتحـول الى مزرعة للقلق والخوف .. فقد شكت امــه ـ ولاول مرة ـ من آلام حادة ، حتى انها لم تقو على مغــادرة الفراش لتعد له فطوره وملابسه .

عيناه تجوبان الافق القاتم ، يشعر به يشاطره معاناته وعذاباته .. احس برعشة فى جســـده ، وعقد ذراعيه منكمشا . سقطت عينــاه على الاتربة وقصاصات الورق تدفعها الرياح علـى الطريق .. فجأة هبت عاصفة شديدة شوهت ضوء النهــار .. خلا الطريق تماما من الفــــادين والرائحين .. تصاعدت فى الجو الاتربة والغبــار . ماتت الحركة وعم السكون .

عاد الى مكتبه مرتعــــدا ، وجلس يجيل البصر فى اوراقــه . تداخلت الحروف وتشابكت . نبتت من الحروف اشواك ادمت أصابعه .. ناداه صوت زميل ليرد على الهــــاتف ، اضطربت دقات قلبــــه ، قام ببطء وتثاقل ، متوجسا ، لرفع السماعة .. اغمض عينيه ، تحولت جبهتـه الى اخاديد ، ارتعشت شفتاه وهو يتساءل .. ماذا ؟ .. متى ؟ كيف ؟ ..

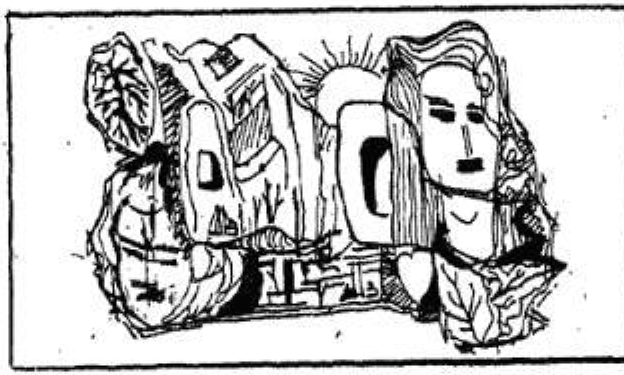
القى بالسماعة فى عصبية . ساقاه تطويان الطريق ، أعصــابه مشتعلة ، سائقوا السيارات يلعنــونه .. يركض كهارب أمام براثن وحش ...

وجد باب الشـقة مفتوحا . سبقته عيناه الى الداخل ، ابصر الجــيران يلتفون حول فراشها والألم يبـدو فى عيونهم .. انحنى عليها وهتف يسألها ما بها . رفعت اليه عينين شاحبتين ولم ترد .. كرر السؤال بالحـــاح واضطراب ، اغرورقت عيناها بالدموع . صفقت العاصفة النوافــذ والابواب ، اجهش باكيا ...

لمح بالعبرات عيون الجيران ، زارت الرياح ، انتزع جســـده من جلسته واندفع مهرولا يتنفس الاتربة وذرات الرمال التى كست الفضاء ...

ليس هناك غيره ، اكثر الاطبــاء شهرة كما يرددون . يمم تجاه عيادته . جاست حدقتاه تبحثان عن الممرض بين المنتظرين الذين اكتظ بهم المكان . تقدم منه وهو يلهث ، طلب الطبيب فى كشف عاجل . دلف اليه الممـــرض وخرج يستبقيه حتى يفـــرغ الطبيب من المنتظرين . افهمه أن حالتهـا سيئة ، ادار له ظهره متجاهلا ما يقول ، اقتحم الغـــرفة فى عصبية ، أسرع الممرض وجذبه من ملابسه ، رمقه الطبيب من خلف مكتبه وهو ينفث دخان سيجاره . تقلص وجهه وهو يقول مستنكرا :

ـ ما هذا .. ماذا تريد ؟



اجاب في لهفة :

ـ امي يا دكتور .. ارجوك !

بان الغضب في عيني الطبيب وصاح :

ـ للدخول اصول ، وانتظر في الخارج !

توصل اليه .. جذبه الممرض بقوة فتمزق قميصه . نظر الى السماعة المعلقة على صدره . تمنى أن يمد يده ويلفها حول عنقه .. صفقت العاصفة الضلف الخارجية للنافذة الوحيدة فاهتزت الغرفة . جذب ذراعه من قبضة الممرض واقترب منه بمعطفه . تحجر قلبه وقال بجسم رخو يخضع لنجال القهوة بغضب :

ـ العيادة كما ترى ! .

اشتعلت النار في جسده . تحول راسه الى جمرة كبيرة ملتهبة ، دفعه الممرض امامه ..

شيعه صوت الطبيب يقول ببرود :

ـ اذهب واحضرها الى هنا !

قال والممرض ما زال يدفعه :

ـ انها لا تستطيع الحركة ..

نزل يجري في الشارع كالممسوس يدق الارض بقدميه ، يشق استار العاصفة بذراعيه . نظرات السائقين لا ترحمه ، يجهلون عمق ماساته . نقط تندفع لظراتهم ، تنغرس في جسده ، تشرخه ، تهشمه كما تتهشم الآنية الفخارية ..

وصل الى الشقة وانفاسه تتوقف عند شفتيه . تناقشوا في الطريقة التي يذهبون بها الى العيادة ، يدركون تماما أن اصحاب السيارات يرفضون الدخول الى الشارع والحارة حرصا على سياراتهم من الحفر و « المطبات » ، اهتدوا الى أن يحملوها فوق مقعد حتى الشارع الرئيسي حيث تسير السيارات بمرونة وانسياب ...

حملوا المقعد بين اذرعهم وراحوا يستريحون كل بضعة امتار ويتبادلون حمله حتى وصلوا الى الطريق العام . حاولوا ايقاف سيارة ، اخفقوا مرات عديدة ، اضطربوا خشية ان يغادر الطبيب العيادة .. لم يكن امامهم غير أن يواصلوا مسيرتهم بنفس الطريقة ..

في منتصف الطريق بدات السماء ترسل رذاذا خفيفا ، واصلوا سيرهم ، سار الرذاذ قطرات كبيرة ، امعنوا في السير ، تحولت القطرات الى سيول جرفت معها ما علق في الجو من رمال واتربة حولتها الى مادة لزجة كثيفة .. لجاوا الى الرصيف والتصقوا باحد الجدران خلع احدهم معطفه ودثر به السيدة العليلة ، اتجهت اعينهم الى السماء باجساد مرتعة وقلوب متضرعة ، طوق الابن امه بذراعه ، امتزجت انفاسه بانأتها المكبوتة .. الوقت يمر وشيكا كان الرياح تدفعه ، والرعد يهدر في السماء والغيث لا يكف عن الهطول ، تبادلوا النظرات ، شمروا اطراف ثيابهم ، خاضوا باحذيتهم مياه الامطار التي اغرقت الطريق والرصيف . وصلوا العيادة وملابسهم مثل قطع

الاسفنج المتشرب ، واجههم الطبيب على السلم منصرفا .. شاهدوا على وجهه الضيق والاستياء .. اعتذر الابن اليه وحدجه الطبيب ولم يرد . حاول ان يعلل له اسباب التاخير ، انفجر الطبيب والضجر يملأ عينيه :

– وقتي ليس رخيصا الى هذا الحد !

واندفعت الكلمات الرقيقة من الس الاجساد المرتعشة تمتص انفعال الطبيب الغاضب ... ولكنه اشاح بوجهه في خيلاء وقال وهو يخطو :

– ورائي ما يشغلني ، احضروها غدا ...

فاه بهذه الكلمات ومشى والممرض خلفه يحمل الحقيبة ، اعترضوا طريقه؛ ربتوا على ظهره وكتفيه ، استعطفوه ، انحدرت الدموع من عيني الأم المريضة؛ تجاهل دموعها ... وصل الى الباب الخارجي للعيادة ، القى نظرة على الطريق . راعه منظر الشارع والامطار التي مازالت تنهمر غزيرة لاتكف لحظة واصوات الرعود التي تزمجر بقوة وعنف تراجع الى الوراء والغيظ يستشري في داخله . تأفف وقال بلهجة حادة :

– ادفعوا الكشف ، وامري الى الله ...

اخرج الابن كل ما في جيوبه اكتشف ان كل ما معه لا يستكمل نصف المبلغ المطلوب ، وانقذ الجيران الموقف . قدم احدهم اليه المبلغ ، التقطه الممرض ، دخل غرفته وهم يحملونها خلفه ، راح يفحصها كما يفحص النجار قطعة من الخشب ، دون ان يجلس انحنى فوق المكتب .. جرت اصابعه بقلمه في دفتر «الروشتات» .. نزع « الروشتة » وناولها اليهم وهو يلتقط حقيبته .. حملوها وغادروا العيادة ، ابصروا الطبيب يجلس في سيارته يحاول ان يديرها . وقفوا الى جوار الحائط يترقبون توقف المطر ، تعطل الموتور ، عض على شفتيه في غيظ . راح يحاول مرات عديدة ، فشلت محاولاته ، زفر في ضيق ، وانزل جزءا صغيرا من الزجاج واوما الى احد المتحلقين حول المريضة وهو يقول :

– بايدك يا ريس لو سمحت ...

اقتربوا من السيارة ، تجمعوا خلفها ، دفعوها والثلوج تهوى فوق رءوسهم ، حجبت الامطار الرؤية من خلف الزجاج الامامي للسيارة ، تحركت المساحات تنظف الزجاج .

زمجر المحرك فجاة وانطلقت السيارة بعد ان نثرت المياه على ملابسهم ووجوههم ..

وعندما هدات الامطار حملوا المقعد وواصلوا سيرهم يخوضون المياه . شاهدهم فلاح يمتطي حماره وينشر مظلته فوق رأسه . ترجل عن حماره واصر على ان تمتطيه مكانه .. نظرت اليه وتمتمت شفتاها – لاول مرة – ببضع كلمات خافتة . سار الى جوارها وقد نشر المظلة فوق راسها ...

وصلوا الى الشقة ، شد الفلاح على ايديهم ، ركب حماره عائدا وعلامات الرضا تتخايل على صفحة وجهه الذي انتشرت فيه التجاعيد . خرج الابن لا يدري الى اين يذهب . وقف على مدخل الحارة حائرا يدور حول نفسه . نشر « الروشتة » بين اصابعه وراح يتاملها متنهدا « يبدو ان قيمة الدواء ستكون كبيرة » ...

تحرك ببطء وعيناه تسقطان فوق حذائه ، يحاول انتزاع قدميه من الوحل بصعوبة يشعر انهما مشدودتان الى صخرة ضخمة . سالت اشعة الشمس تخترق الغيوم المتمسة ، برزت امامه صورة الفلاح .

تجسد حيال عينيه مرءوة الجيران .. ازدادت اشعة الشمس وضوحا ، احس بقدميه تضربان الوحل في قوة وعزيمة . بدت صفحة السماء نقية صافية . والشمس تلقي سناها فوق راسه وتغمر الجدران والطريق ...

ترنيمة ختام

الوطن و الحب



وبعد الرحيل ..
اتيتك في ليلة ساحرة
لامزج فيك دمائي بضوء الشموخ
واغزل روحي بنار الاباء
واسكب في موقدي صوتك
« تمزق جرحي بجمر الطواف »
فمدت يداك تضمان جرحي ...
تعيدان صمتي للون الحروف
والفيت تربك نبعا يطوف
بلحن القناديل والمعرفة
وعبر الشطوط ،
وجدتك لؤلؤة تحتسي أبحرا من ضياء
وسرت افتش عنك
رايت ابا الهول يشمخ فوق التلال
ويهمس انا حضارة عصر النضوج
وانا اصالة عصر النشور .
وبين جلال المعابد يستاثر القلب بوح الصخور
وجدتك بين شغاف العروق جوى ، قبلة للشروق
وسرت وعيناى نضاحتان بعشر يغنى عروس الوهج
والفيت فيك رجال الشموس
وتاريخ مجد تبث صداه صلاة الرمال
طرقت الظلال
اشم عبيرك في الانسجه
وبهرك يصدح بالكبرياء
« انا النيل لحني جلود الزمن »
سمعتك الحنية شاهقة
سمعتك تسبيحة في السحب
فعانقت عينيك ادمنت عشقك كالكرمة الدافقة
عروس القمر ..
خلعت رداء الوهن .
لارسم منك ضياء الشموع
اشكل منك حنايا الضلوع
وانحت منك رموز الجمال العريق
ويا انت يا قاهره ..
اتيتك في ليلة ساحره
فارسيت نبضي على مرفئك
طرقت الشموس طرقت الظلال
وجدتك تاريخ مجد ..
تبث صداه صلاة الرمال
توحدت في دفقة الافئده
وعانقت فيك لهيب الشموخ
واشرعت في ضوئك المستحيل

عبد الشافي داود
الكويت

الهلال

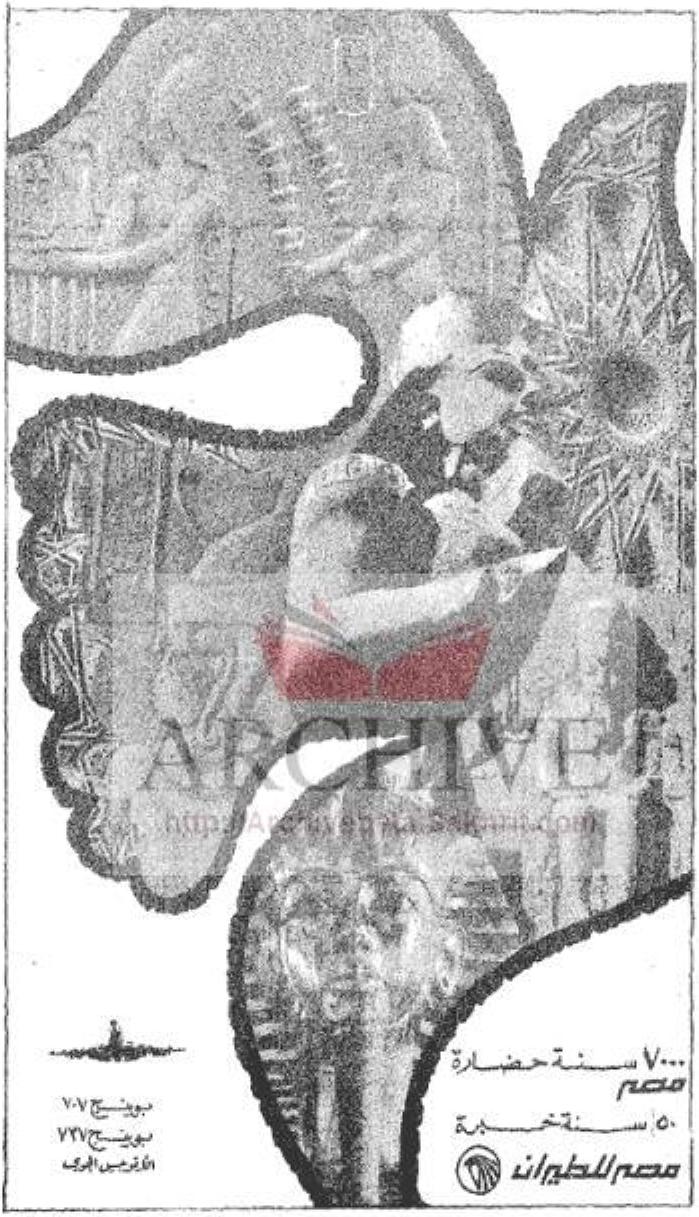
ديسمبر ١٩٨١ م

مجلة الفكر العربي



- قراءة عربية فى خريطة العالم
- نجيب محفوظ فى عالم الناطقين بالإنجليزية
- الفائز بجائزة نوبل فى الأدب هذا العام

حرب الفضاء .. "استطلاع بالألوان"


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

اتجاهات عصر جديد

رغم كل الظروف العصيبة التى تمر بعالم العرب ، فان الانسان يشعر ان رياحا جديدة تهب على عالمنا العربي ، وتبعث فى النفس روحا من التفاؤل وتوقعا للخير طال شوقنا اليه من زمن بعيد .

ويبدو اننا شبعنا من الدوران حول نفسنا ، وتبينا فى النهاية ان الطريق الوحيد لنجاتنا جميعا ـ نحن العرب ـ هو ان ياخذ بعضنا بعضا على ما هو عليه ، فاننا درجنا من حين طويل على ان يصر كل منا على ان يكون البقية على مثاله او يسيروا فى طريقه او يرددوا افكاره ، فاذا خالفوه واراد بعضهم أن يكون له رايه الخاص غضبنا وتعصبنا ، وبدأت حرب الكلام ومناوشات الاذاعات وتفاعات الخلافات وهذه الدورات المفرغة السيئة التى انفقنا فيها سنوات طويلة ، وهذه السنوات كسبها الخصم الاسرائيلي واستمتع بها ، وكان يسعده أشد السعادة أن نختلف ونتدابر لكى تظهر للدنيا وكانها الدولة الوحيدة المستقرة فى المنطقة ، ولقد حاربتنا اسرائيل حربا مميتة ، ولكن لابد أن نعترف اننا نحن اعطيناها الفرصة وعاوناها على انفسنا لسوء الحظ .

•••

والآن يبدو اننا فتحنا عيوننا ووعينا الى لعب الاعداء بنا ، فاذا نحن استثنينا بعض صحف المنطقة رأينا اليوم وكان هدنة تستقر بين العرب ، وقد اختفت مناوشات الالفاظ والاتهامات ، وحل محل ذلك التأييد المتبادل مع اختلاف الاتجاهات ، ويكفى تأييد العرب جميعا للقيادة الجديدة فى مصر وتفاؤلها بها ووقوف العرب جميعا الى جانب السعودية فى موضوع حصولها على طائرات الانذار المبكر وهو حق لها وضرورة لنا جميعا .

هذه روح جديدة نرجو أن تستمر وتقوى حتى يدخل العرب العصر الجديد الذى طال بحثنا عنه . طريق الاتحاد الحقيقى فى الاهداف والغايات والرؤية الواضحة لما ينفع العرب جميعا وما يضرهم .

الهلال

في هلال هذا الشهر

صفحة

الهلال
مجلة الفكر العربي

ديسمبر ١٩٨١ م
صفر ١٤٠٢ هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة التاسعة والثمانون أول ديسمبر سنة ١٩٨١ م ٥ من صفر ١٤٠٢ هـ .

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفني : موسى عبيد

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج إليها . وهو مع ذلك يقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل القلم : [illegible]

● صورة الغلاف ●

في مقال الهلال الافتتاحي أردنا ان نلفت نظر العرب الى مكانهم على هذا الكوكب .. وخير وسيلة لذلك هي الخريطة الجغرافية ، ولهذا جعلنا خريطة العالم على الغلاف وقد بينا عليها العالم العربي لكي يعرف العربي أين هو وسط الدنيا وأهلها .

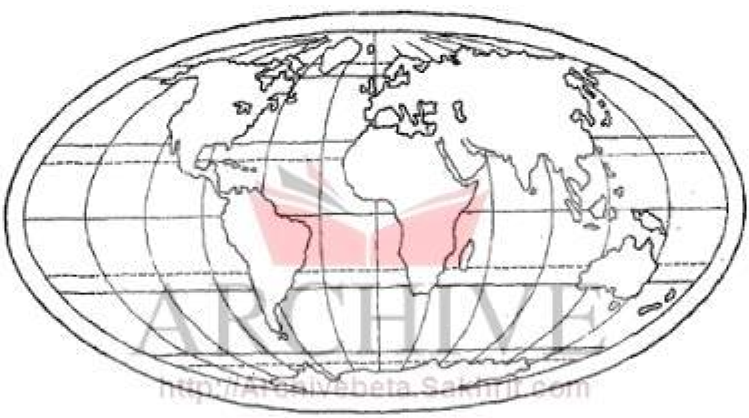
الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات او ٤ ج ٠ ك تسدد بشيك مصرفي ، لقسم الاشتراكات ، بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط

قراءة عربية لخريطة العالم

بقلم : الدكتور حسين مؤنس



● نظرة واحدة على خريطة الارض ، تريك اننا ـ نحن العرب ـ اقلية صغيرة وسط جبابرة ضخام يحتلون من الارض اضعاف ما نملك نحن .. واين نذهب نحن العرب بين الروس والانجلوسكسون والصينيين ؟

اننا أضيع من الايتام فى مأدبة اللئام ، فهل يجوز مع ذلك ان نزيد انفسنا ضعفا بالتحاسد والتباغض فيما بيننا ؟

وهل يجوز ان نزيد انفسنا فقرا بانفاق اموالنا فى حروب اهلية عقيم داخل وطن العرب ؟

وهل يجوز ان نعيش مراهقين نتصرف تصرف مراهقين وسط عالم من الكواسر ؟

في قلقي المستمر على مصير العرب في هذا العالم نظرت في خريطة الدنيا لابحث عن العالم العربي فيها • الخريطة نفسها ابلغ من كل مقال • فقد رأيت عالمنا العربي ، وكله صحار ومعظمه اراض قاحلة – ضئيلا صغيرا بالنسبة لعوالم اخرى ، فأين نحن من عالم الروس ، ودولتهم وتوابعها تحتل اكثر من ربع كرة الارض ، وأين نحن من عالم الانجلو سكسون ، وهم يعمرون انجلترا والولايات المتحدة ومعظم كندا وكل استراليا ونيوزيلندا ويملكون نحو نصف الارض ، والصينيون – وعددهم يزيد على الف مليون – يسيطرون على مساحة من الارض تبلغ ضعف مساحة العالم العربي ••

ونحن العرب – بكل غرورنا في انفسنا ، وبكل تصورنا اننا شيء رئيسي على وجه الارض لا نسيطر الا على مساحة ربما كانت سدس مساحة اليابس •

واذا كان مقدار ما تسيطر عليه الشعوب من مساحة الارض اشارة الى ناحية من نواحي النجاح ، فاننا – بهذا القدر الضئيل الذي استطعنا امتلاكه من الارض – من أقل الشعوب توفيقا في معركة الصراع على مصير هذا الكوكب •

انني أحاول هنا أن احاول كعربي ، ان اعمل حساب مكسب وخسارة أو ميزانية لمكاسبنا وخسائرنا عبر التاريخ •

***

واجب أن اقول هنا انني اواجه الواقع كما هو ، دون خداع النفس أو خداع الغير ، لأن خداع النفس جهل وخداع الناس عبط ، ولا تبقى في النهاية الا الحقائق •

ولا مفر لنا من مواجهة الحقائق • لأننا اذا اصررنا على الهرب منها فان الآخرين سيأخذون بانوفنا ويدسونها في الواقع الحي ، وعلى ظهورنا سيعبرون في طريقهم ليبنوا مستقبلهم •

ولن يلومهم في هذا أحد ، فان الدنيا صراع ، وهي لمن غلب ، والباكون متسولون ، والشاكون ضعفاء يهملون ، وقافلة الدنيا تسير ، ومن يهلك يهلك ومن يعيش يعيش ، واذا كنا نحسب ان الدنيا ستحترمنا او تصغي الينا لان لنا افواها ضخمة تصرخ فاننا لا نخدع الا انفسنا لان اي ضفدعة في مستنقع تنعق بصوت هو اقوى من اصواتنا •

***

ويا ليت الحقيقة المرة – حقيقة قلة ما بيدنا من هذه الارض – لا تخفي وراءها حقائق أمر وأشد وأنكى •

فان عالم الروس متحد قوي محكوم حكما فعالا ، وعالم الانجلو سكسون يحكم نفسه حكما صالحا ويواجه الدنيا جبهة واحدة ، والصين كتلة بشرية متراصة لا ينفذ من بينهم سهم •

أما نحن فمهلهلون ممزقون لا يتفق اثنان منا على رأي ، ومنطقتنا نتيجة لذلك ميدان للعب بنا وبمصائرنا لكل من هب ودب ، حتى اسم العالم العربي ازالوه ووضعوا مكانه شيئا اسمه الشرق الاوسط لان وطننا العربي هذا تشاركنا فيه – على رغمنا – اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية كلها •

***

ونحن من البداية الى النهاية مسئولون عن هذه الخيبة ، فقد أعطانا الله اكبر

نعمة على عباده ، أعطانا دينا سمحا قيما وشرفنا بحمل رسـالته ، وأعطانا لغـة كانت كاملة بناء وتركيبا ونحوا وكتابة أيام كان غيرنا لا يملك الا لهجات محلية لا تكاد تكفى للتعبير عن حاجات اليوم ٠

وتمكن اجدادنا من الاستيساع فى الارض وفتح أكبر جانب من المعمورة اذ ذاك فى أقل من قرن من الزمن ٠

وتمكن غيرنا ممن حملنا اليهم رســالة الاسلام من فتح أراض واسعة لديننا وحضارتنا فى آسيا وافريقية ، أما نحن العرب فقد وقفنا بعالمنا عند ما وصـل اليه أهل القرن الاول من تاريخ الاسلام ، بل خسرنا الاندلس وصـقلية وجزائر البحر المتوسط ، ومعها البحر المتوسط نفسه ٠

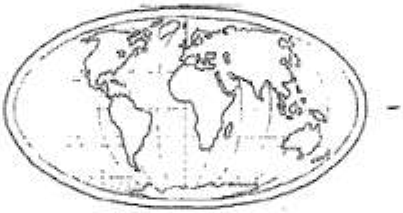
وبينما كان غيرنا يصحو وينشط كنا نحن ننام ونتدهور ولم يحاول العرب قط ، بعد القرن الهجرى الاول ، النهوض بعالمهم او محاولة الامساك بقياده ، وهل هناك فشل هو اشد ضررا علينا نحن اهل المجموعة العربية من اننا عجزنا عن تعريب ايران ، وكانت فى اواخر العصر الاموى على وشك أن تستعرب وكانت اللغات الفارسية قد تضاءلت وانكمشت ٠ ولكننا ـ نحن العرب ـ مضينا نتحارب فيما بيننا حتى أهلك العرب بعضهم بعضـا وأصبحوا اقلية ضئيلة جدا وسط جماهير الشعب الايرانى ، فبداوا هم يتكلمون الايرانية وتوقفت حركة التعريب ثم جاءت الثورة العباسية فعاد معها الوف بعد الوف من العـرب من ايران ، وأصبحت مسألة تعريب ايران بعد ذلك مستحيلة ٠ وعجز العرب عن تعـريب ايران هو الذى أوقف حدود العالم العـربى عند ضفة نهر دجلة ، ولولا ذلـك لاصبحت هضبة ايران بلادا عربية ، ولكانت بلاد ما وراء النهر وما دخـل فى الاسلام من بلاد الهند بلادا عربية ، ولاتسع نطاق العالم العربى حتى وصل الى المحيط الهادى ٠

ولكننا انهزمنا فى معركة تعريب ايران ، ونحن الذين هزمنا أنفســنا ٠ لم يهزمنا الايرانيون ولا كانت اللغة الايرانية باقوى ولا بأصلح من اللغة العربية، ولكننا لم نكن على قدر المهمة ، أو بتعبير آخر لم نكن على مسـتوى التحـدى ، والتاريخ كما نعلم تحديات وردود فعل لهذه التحديات فاذا كان رد الفعل قويا وايجابيا فمعنى ذلك التفوق والتقدم ومزيد من القوة ، والعكس صحيح ٠

***

وأضرب لك مثلا من التاريخ يوضح ما أقول ٠

فقد نزل المستعمرون الانجلوسكسون على الشاطىء الشرقى للقـارة الامريكية بعد استكشافها ابتداء من يناير سنة ١٤٩٢ ٠ كانوا قلة صـغيرة لا تزيد على ألوف قليلة ٠



وكانت القارة الامريكية بالنسبة لهم تحديا هائلا ٠

كانت هناك جبال وهضاب وسهول شاسعة تمتد حتى المحيط الهادى ٠ وكان من الممكن أن يظل المهاجرون منحصرين على الساحل الشرقى ، وكان فيه كفاية للملايين من البشر ، ولكن هذه الالوف القليلة اثبتت انها أقوى من تحديات العقبات الجغرافية الهائلة وما زال رجالها يحاولون حتى اخترقوا القارة ووصلوا الى المحيط الهادى ٠ وبعد أن وصلوا اليه بدأوا يعمرون الساحل الغربى حتى يتحققوا ان كل القارة ستكون لهم ٠ وبعد أن استوثقوا من أن القارة بعرضها أصبحت ملكا لهم اتجهوا الى الجنوب واشتبكوا مع الاسبان والمكسيكيين ٠

وانتزعوا منهم نصف بلادهم ، أما فى الشمال ـ حيث كانت كندا فان رجال الولايات المتحدة كانوا قد اتخموا فقد ملكوا من الارض مالا يستطيعون تعميره فى مائتى سنة فسكتوا عنها ثم انها كانت مستعمرة بريطانية مفتوحة لهم فلم يجدوا ما يدعو للاستيلاء عليها والدخول فى حرب طويلة مع بريطانيا بسببها ٠

***

ملك الامريكيون أراضى شاسعة كما ملك العرب أراضى شاسعة ، فماذا فعل الامريكيون ؟

هل تحاربوا بعضهم مع بعض كما فعل العرب فى خراسان والاندلس وكل مكان وجدوا فيه ؟

لقد استقلوا عن بريطانيا ، ولكن لينشئوا بأنفسهم دولة هى أحسن وأكثر نظاما من بريطانيا ، وبعد أن تم لهم ذلك ووسعوا بلادهم الى ذلك الحين جلسوا فيما بينهم ينظمون بيتهم ويرتبون أمورهم ، وضعوا الدستور واحترموه ، ووضعوا القانون وأطاعوه ، واتجهوا بهمتهم الى تنظيم هـذا الملك الشاسع والاستفادة منه ٠ أدرك كل منهم ان هذا الملك الشاسع هو ملكه هو وان كل خير للمجموع يعود عليه شخصيا بالخير ، فمضوا جميعا يعملون بجد فى بناء وطن واحد ٠ ولم يشغلهم ذلك عن بناء ثرواتهم الشخصية ، أى انهم لم « يضحوا » بأنفسهم فى سبيل الوطن كما يحلو لنا أن نقول ، بل خدموا وطنهم وأنفسهم فى نفس الوقت ، ولكنهم لم ينسوا مصالح الوطن قط ٠ لم يبيعوا مصالحه قط ، لم يفعلوا ما فعلناه نحن فى الماضى ولا زلنا نفعله من التضحية بأمان الوطن ومصالحه الكبرى فى سبيل كسب شخصى أيا كان ، لان الانسان لا يكسب على حساب وطنه قط وان تصور انه يستطيع ذلك فسيجد نفسه هو الخاسر فى النهاية ٠

***

ومن واقعنا آتيك بأكثر من مثال وسادع الماضى البعيد بعيدا حيث هو ، واعطيك الامثلة من التاريخ المعاصر ٠

قـــراءة عـربيـــة

لخـريطة العـالـم

ودعنا من موقف من درجنا ان نسميهم بجبهة الرفض ، ولننظر لهذه الجماعة في ذاتها من داخلها ، فهل هي متحدة في الرأى والوجهة من داخلها ؟ واذا كنا نقول ان مشكلة فلسطين مشكلة تعقدت واصبح حلها مرهونا بالموقف العـالمي كله ، وتعال ناخذ مشكلة صغيرة هي مشكلة الصحراء الغربية .

هذه الصحراء أرض عربية دون شك . وما دامت عربية فيستوى أن تكون بلدا قائما بذاته أو تكون جزءا من المغرب أو موريتانيا ، المهم أن تظل أرضا عربية وان يستطيع أهلها أو المسئولون عنها النهوض بها . وقد كانت هذه الصحراء تابعة لاسبانيا ، وطالما كانت تابعة لاسبانيا فان الجزائر لم تفكر فيها قط ، تركتها مستعمرة اسبانية ، ولم يكن هذا يضيرها في شيء ، ولكن عندما أرادت المملكة المغربية ضمها الى بلادها ـ وهو أمر طبيعي وليس فيه ضرر لاى بلد عربى ـ هنا قامت قائمة الجزائر وأعلنت انها لا توافق على ذلك وذهبت تساعد هذه المجموعة التي تسمى بالبوليساريو على مناوأة المغرب ..

ودخلنا في حرب عقيم لا طائل تحتها تستنزف أموال المغـرب والجـزائر ولا تعود بخير على الصحراء وأهل الصحراء .

سبحان الله !

كنا راضين وساكتين طالما كانت الارض في يد الاسبان .. فلما صارت في يد أخ عربى قامت قيامتنا وأعلنا الحرب ..

وماذا تريد الجزائر ؟

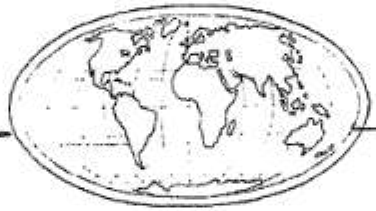
يقولون ان في أرض الصحراء ثروة كبيرة من الفوسفات ، وهذا حق ، ولكن هذا الفوسفات سيظل دائما حقا وملكا لأهل الصحراء نفسها سـواء أكانت الارض جزءا من المغرب أو جزءا من موريتانيا او الجزائر او قسمة بينها جميعا .

ثم ان هذا الفوسفات كله يكفي بالكاد لسد مطالب أهل الصحراء انفسهم . فلا خير فيه للمغرب ولا خير فيه لغير المغرب .. اذن .. ما الدافع الى الخلاف الدافع له هو كراهة العربى للعربى ، حقد العربى على اخيه العربى .
تكون الارض في يد الاسبان فنرضى ونسكت .

أما أن تكون في يد أخ عربى فهذا هو مالا نرضى به قط ..

دائما شيطان الغيرة والحسد بين العرب يفسـد عليهم أمورهم . وقد طال حديثنا في هذا المعنى ، ولا داعي لكثرة الكلام والتكرار .

انما الذى يهمنا هو المستقبل .



الذى يهمنـ هو ان تعرف كيف تنشىء أجيالا من العرب بلا تحاسد ولا غيرة ولا احقاد ٠

وأنا أعرف أن الغيرة والحسد والحقد فى طبع البشر ، ولا يمكن أن يخلو منها قلب بشر ٠ ولكن الذى أقصده وأحاول أن أجد السبيل اليه هو كيف نخرج اجيالا بريئة من الغيرة القاتلة والحسد المهلك والحقد الذى يعمى العيون ٠

وهذه الانواع من العواطف المخربة تكاد تكون قصرا على العرب ، فان الشعوب الاخرى تعرف هذه العواطف ولكنها لا تذهب بها الى هذا المدى الشرير ٠ فهناك دائما حد انسانى معقول تقف عنده ٠

فالانجليز يتحاسدون فيما بينهم ، ولكنهم لا يسمحون للحسد بأن يتعس حياتهم ويضر وطنهم ٠

بل ان الانجليز والفرنسيين يتصارعون فى ميدان الاقتصاد ، ويتنافسون فى ميدان السلاح ، ولكنهم متحدون فيما بينهم على المصالح الرئيسية التى تهم بلدهم فهم معا أعضاء فى حلف الاطلنى وهما يعتبران أنفسهما مع المانيا دعامة العالم الرأسمالى فى الغرب ٠ ومهما ترى بينهم من المناقشة والخلاف فانهم متفقون متفاهمون على القضايا الرئيسية ، ولا يمكن الآن أن نتصور حربا ــ ولو كلامية ــ بين انجلترا وفرنسا ، أو بين فرنسا والمانيا ، فهذه مسائل قد كبروا عليها وتفتحت عيونهم على حقائقها ، ولم يعودوا يسمحون لانفسهم بالوقوع فى اخطاء الماضى الجسيمة والتورط فى حروب عقيم مكلفة لا تنشر الا الموت والدمار ولا يفيد منها أحد ٠

***

ونحن نريد من العرب أن يرتقوا الى هذا المستوى ٠ نريد أن يفهموا أن أى حرب بين بعضهم وبعض لا يمكن أن تؤدى الى خير ، وان المناقشات السخيفة على ما يسمى بزعامات أو رياسات انما هى أوهام لا معنى لها اليوم ، ولقد حاول نابليون أن يجعل فرنسا زعيمة أوروبا وخاض فى هذا السبيل حروبا دامية بلا نتيجة ، بل نفد خرب فرنسا واهلك من شبابها الملايين ، وفى حملته على الروسيا سنة ١٨١٢ أهلك مليونا من شباب فرنسا ٠٠

وبعد ذلك حاولت انجلترا أن تكون زعيمة العالم وحاول رجالها من امثال بالمرستون وجلادستون أن يسودوا بحار الدنيا ، وأنشأوا دولة استعمارية شاسعة ، فماذا كانت النتيجة ؟ النتيجة ان كل المستعمرات قد استقلت اليوم، وكان من الممكن أن تحصل بريطانيا على ما تريد من المواد الخام دون حروب كما تفعل اليوم ٠

والمهم بالنسبة للغربيين انهم يستفيدون من التجارب فى حين اننا نحن

قـــراءة عـربيـــة

لخـريطـة العـالــم

لا نستفيد ٠ فها نحن غارقون في خلافات ومناقشات لا معنى لها ، وقل لي والله ما معنى الخلاف بين يمن الجنوب ويمن الشمال ؟ معناه ان روسيا هي الكاسبة وأن اليمن كله هو الخاسر ، واليمن من أغنى بلاد العالم العربي وأهله من أصحاب المواهب ، ولكن تأمل كيف تضيع ثرواتنا وكيف نسيء استخدام ذكائنا ٠ أما كان أفضل لو اجتمع اليمنيون جميعا الى مائدة مفاوضات ، وأخذوا فيما بينهم وأعطوا ، فاذا ارادوا توحيد بلادهم وحدوها ، واذا أرادوا ان يظلوا بلدين ظلوا بلدين ولكن صديقين متعاونين على مافيه خير اليمنيين جميعا ، وما أحوج اليمن الى ثروات اليمن ومواهب اليمنيين ٠

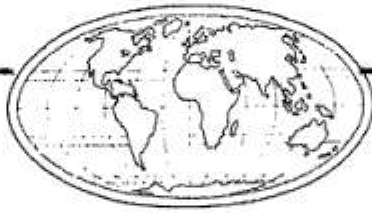
***

ومثل ذلك يقال عن الخلاف بين ليبيا وجيرانها ، وهو خـلاف لا معنى له على الاطلاق ، وما معنى أن تنفـق ليبيا أموالها ـ التى وهبها الله اياها من حيث لا تحتسب ـ في انشاء دولة واسعة من الرمال ـ ماذا يفيد الليبيون من ضياع المال والرجال في الرمال ؟ واذا كانوا يريدون خدمة اهل تشاد ، فان الاموال التى تنفق في السلاح والحرب كانت كفيلة بأن تقي تشاد ـ وهي بلد فقير ، شر الجوع القاتل والظمأ الذى أصبح الآن خطرا داهما على كل بلاد السـاحل ، وبلاد الساحل هي بلاد افريقية المدارية العطشى ، ومعظمها بلاد عربية واسلامية : موريتانيا ومالى وفولتا والنيجر وجمهورية افريقية الوسطى ٠

هنا لابد أن نذكر بالحمد ما تعلمه السعودية وبلاد الخليج من تخصيص ستة بلايين من الدولارات لمعاونة هذه البلاد وانشائها صندوقا لتنظيم هذه المعاونة ٠ هذا عمل انساني عربي اسلامي متحضر ونحن نعتبره مثالا لما ينبغي أن يكون عليه التفكير والعمل العربيين في هذا الزمان الخطر الذى نعيش فيه ٠

هذا الكلام نريد أن نقوله للجزائر والمغرب بمناسبة هذا التطاحن بينهما على الصحراء التى كانت أسبانية ثم تركتها أسبانيا فاشـتعلت النار بين البلدين العربيين الكبيرين ٠ ماذا كان يحدث في الدنيا لو أن هذين البلدين اجتمعا على مائدة التفاهم وتدارسا معا بالاشتراك مع أهل الصحراء فيما يمكن أن يعملـوا جميعا لهذه المنطقة العزيزة من الوطن العربي ؟ كان يحدث ان أهل الصـحراء اختاروا لانفسهم الطريق الذى يريدون وقامت دولتا المغرب الكبيرتان برعايتهم فأن شاءوا أن يكونوا مستقلين فلهم ما يشاءون والمغرب والجزائر من خلفهم ، واذا أرادوا الانضمام الى هذا البلد أو ذاك فهم احرار ٠ المهم الا تضـيع أموال العرب ودماء العرب ووقت العرب هباء ٠

لقد شبت بين العراق وايران حرب جاهلية عمياء لا يستطيع احد اطفاءها الى اليوم ، والعراق الذى كان مثالا من امثلة النشاط في العمل التقـدمي المنتج لصالح مواطنيه لا يعرف اليوم كيف يخرج من تلك الحرب ٠ انها تكلفه بليون



دولار فى اليوم ، والسعودية وبلاد الخليج تنفق فى معاونة العراق مبالغ طائلة ، ولماذا ؟ وما هى النتيجة ؟

ونكرر نفس العبارة ونقول : أما كان الافضل لهذا البلد العربى العزيز أن يخرج من حسابه مسألة الحرب مع ايران تماما ، ويحاول أن يتفاهم على مايريد من شط العرب ؟ سيقولون : حاولنا دون جدوى ، وهم صادقون ، ولكن هل أثبتت الحرب انها ذات جدوى ؟

وألم يكن من الممكن لاهل لبنان أن يتفاهم بعضهم مع بعض بدل هذه الحرب الاهلية المدمرة ؟ لقد اشتهر اللبنانيون فى العالم العربى كله بأنهم اهل فكر وذكاء وطول بال ، فكيف يكونون كذلك فى مسائل التجارة والمال ولا يكونون فى مسائل تتعلق بمصير وطنهم نفسه .

***

هؤلاء الاخوة جميعا ينسون اننا نعيش فى عالم خطر . ان العرب اقلية فى هذه الدنيا ، وهم لا يقاسون من حيث مساحة الارض او اعداد السكان الى غيرهم من كتل الشعوب الاخرى ، واذا كان الصينيون ــ وهم الف مليون ــ استطاعوا توحيد بلادهم ومواجهة العالم صفا واحدا فكيف نعجز نحن العرب عن أن نفعل مثل ذلك ؟ وكيف يتصور بعضنا ان روسيا يمكن أن تعينه على أن يصبح بلدا قويا ؟

الم يسأل نفسه مرة : وماذا تفيد روسيا من أن تصبح سوريا او ليبيا بلدا قويا ؟

الحقيقة الواضحة هى ان روسيا وامريكا وبلاد غرب أوروبا كلها تريد أن يكون العرب شعبا ضعيفا حتى تعبث به وتفيد منه وتستغل ثرواته . وهذه هى الحقيقة ، وكل ما يعقد من أحلاف ومعاهدات بين أى بلد عربى وأى بلد غربى لا يمكن ان يؤدى الى نفع البلد العربى ، بل لابد أن يؤدى أولا الى نفع البلد الغربى أو الشيوعى اولا ، ومن المستبعد جدا أن يكون فيه خير للبلد العربى .

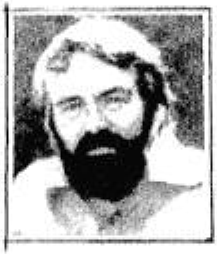
***

هذه كلها حقائق تتكشف أمام البصر اذا نحن تاملنا الخريطة ، والخرائط تتكلم بمنطق واضح بليغ ، فتناول ايها العربى خريطة العالم وحاول أن تقراها قراءة جديدة ، فلابد أن تخرج من تلك القراءة بخوف على مصير العرب فى عالم خطر هم فيه اقلية يكاد الغير يتخطفها .. ولا نجاة لنا الا بان نجلس معا ونرسم حاضرنا ومستقبلنا معا حتى لا يفكر احد فى العبث بنا او حتى لا يتخطفنا الناس او نضيع بين الاقدام .

● د . حسين مؤنس ●

نجيب محفوظ فى عالم الناطقين بالإنجليزية . .

مع جون فاولز . .



● محمد عبدالله الشفقى ●

● وجون فاولز John Fowles هو الروائى البريطانى المعاصر الذى ذاع صيته فى العالم المتكلم بالانجليزية ، وان الح هو الى ان الولايات الامريكية تفهمه أكثر مما يفهمه مسقط راسه ـ بريطانيا .. وهو لا يزال عاكفا على الفن الروائى الذى أخلص له ووهب له حياته وهو يعيش الآن حياة أقرب الى العزلة منها الى الاختلاط باقرانه من الادباء مقيما فى بلدة « لايم ريجيس » Lyme Regis التى تعانق البحر جنوب الجزيرة البريطانية ، على مسافة غير بعيدة من المكان الذى عاش فيه روائى انجلترا العظيم توماس هاردى العزوف أيضا عن المجتمع الصاخب ، والذى يعترف فاولز بتأثره الكبير به ، وبأنه يكتب الرواية وظل هاردى ساقط عليه ! ..

يجب الا يكون جون فاولز غريبا علينا فهو يعرفنا ويعرف شيئا عن ادبنا الحديث ، يعرف على الاقل نجيب محفوظ .. فجون فاولز هو الذى كتب ـ بحب وفهم وتقدير ـ مقدمة الترجمة الانجليزية التى قامت بها الدكتورة فاطمة موسى لرواية نجيب محفوظ « ميرامار » ، وهى الترجمة التى قامت باصدارها دار النشر البريطانية الشهيرة « هاينمان » بالتعاون مع الجامعة الامريكية بالقاهرة ، عام ١٩٧٨ .

ولد جون فاولز فى ايسيكس Essex انجلترا ، عام ١٩٢٦ ، تلقى تعليمه قبل الجامعى فى مدارس خاصة ، ثم دخل اكسفورد ليتخصص فى الادب الفرنسى . وقيض له بعد ذلك أن يعمل بالتدريس ، يمارسه فى فرنسا ، وفى اليونان . ثم تفرغ للكتابة .

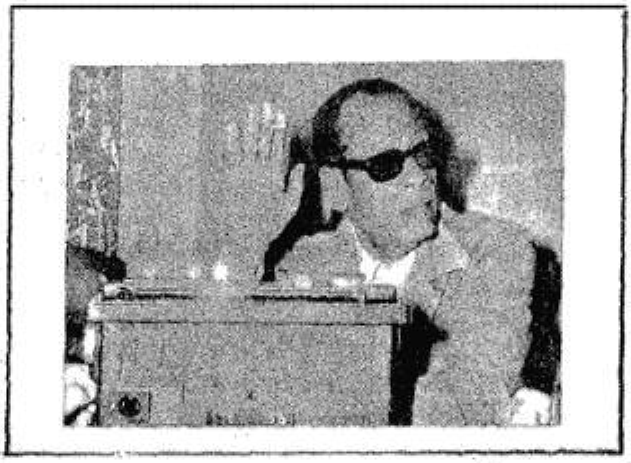
تقف وراءه مجموعة الروايات التالية :

● مقتنى التحف The collector أو « جامع الفراشات » ان شئت ، ذلك أن بطل الرواية شغوف بجمع الفراشات النادرة وتحنيطها (١٩٥٨) .

● الساحر The Magus وظهرت عام ١٩٦٦

● عشيقة النقيب البحرى الفرنسى (١٩٦٩) .

● **اما احدث رواياته فهى دانييل مارتين Daniel Martin (١٩٧٧) التى تتمحور حول البطل دان ، الاديب ، كاتب السيناريو ، والمرأة التى احبها : جان ، التى كانت زميلة فى قاعة الدرس باكسفورد ، ثم ترملت بعد موت زوجها استاذ الفلسفة واللاهوت .**



نجيب محفوظ : روائي عظيم في نظر جون فاولز

وتقف وراء فاولز أيضا مجموعة قصص قصيرة ـ طويلة أو روايات قصيرة ان شئت ، تحت عنوان « البرج الابنوسي »

فاين تقع مصر وسط هذا الحشد الابداعي الذي فاض به قلم فاولز ؟

ان مصر تطالعنا في عملين من أعماله هما :

١ ـ مقدمة فاولز للترجمة الانجليزية لـ « ميرامار » .

٢ ـ احدث روايات فاولز « دانييل مارتين » .

فاولز يقدم « ميرامار »

كتب فاولز مقدمة الترجمة الانجليزية لـ « ميرامار » التي تقع أحداثها في الاسكندرية . كان طبيعيا ـ وهو البريطاني ـ أن يتذكر الاسكندرية كما رسمها مواطنوه من الادباء ، اسكندرية شيكسبير « انطونيو وكليوباترا » ـ واسكندرية أ . م . فورستر ، التي سجلها ووثقها في كتاب يعد دليلا الى الثغر ـ واسكندرية لورانس داريل باسم « رباعية الاسكندرية » .

والى جانب البريطانيين تذكر فاولز أيضا اسكندرية أبدعتها فرشاة شاعر يوناني سكندري هو قسطنطين كفافي . وهو يدرك أن قائمة الكتاب طويلة ، وأن الاسماء التي أوردها هي على سبيل المثال لا الحصر . يقول عنهم انهم تركوا رسما للمكان لا يمحى من مخيلتنا ، الرسم يصور اسكندرية « نهاية القرن » اسكندرية يرين عليها الفشل ، لكنه فشل خصب ، فكأنه ضرب من الانتصار فما الذي كان ينقص صورة الاسكندرية كان ينقصها ما ينقص بلدا يتحدث عنه أجانب من الخارج ، يتحدثون ويقفون عند فترة زمنية ولا يواكبون الاحداث .

يقول فاولز « ظللنا (يقصد الاجانب) نفتقر الى نظرة الى الاسكندرية من الداخل من خلال منظار مصر الحديثة نفسها » . و « ويجيء نجيب محفوظ ليصلحنا وليغير صورة الاسكندرية التي كنا نراها بعيون أوروبية » .

ويذكر للقارىء الاجنبي أن نجيب محفوظ ابرز روائي في بلده . يقف وراءه انتاج غزير . ومع ذلك ليس اسمه مألوفا في الغرب ما السبب ؟ يقول فاولز : ليس السبب ـ بالتأكيد ـ انه لا يستحق القراءة ! وليس السبب أيضا انغلاقنا .

السبب أن الرحلة الى الادب العربي هي رحلة طويلة .. رغم أن رحلة الطائرة بين لندن والقاهرة قصيرة ! وفيما يتعلق

بالآداب المعاصرة فى العالم يعترف فاولز بأن « معرفتنا بالادب العربى أقلها » .

من اجل هذا يظل الذهن العربى ـ على حد قوله ـ لغزا أمام الغربيين . وهو يزداد الغازا مع انتقاله الى الحضر وما يصاحب هذا من تعقد . ومن المؤسف أن كثيرا من الكتاب الانجليز ركزوا على الجانب البدوى (يذكر ت . أ . لورانس مؤلف « أعمدة الحكمة السبعة ») فلم نحصل على صورة واضحة للمسلم المتعلم فى القرن العشرين . بماذا يحس ؟ وفيم يفكر ؟

ويشير الى احدى العقبات فى طريق الرحلة الى الادب العربى : اللغة العربية ووجود لغتين فصحى وعامية ، مع اختلاف اللهجات العامية باختلاف الدول العربية . ويتصل بمشكلة اللغة ثراء اللغة العربية ورنينها الذى يصعب على المترجم نقله والا بدا وكأنه اختار أسلوبا انجيليا .

هناك اذن « ستار حديدى » من اللغة ـ على حد قول فاولز ـ يحول دون تعرفنا بشكل مباشر ، على التغيرات الكثيرة التى طرأت على مصر فى هذا القرن . ومن أجل هذا يرحب بترجمة « ميرامار » ، ذلك انه بجانب قيمتها كرواية فانها تساعد الاجنبى على التعرف على ما طرأ فى مصر من تحولات . فرغم ان الاسكندرية هى أرضية الرواية فان الرواية عن مصر وعن الصراعات ـ العامة والشخصية ـ التى نشبت خلال الثورات المتعاقبة فى الستين سنة الاخيرة .

ويعرض فاولز ،أمام القارىء الاجنبى، الخلفية السياسية والتاريخية لـ (ميرامار) يتحدث عن سعد زغلول « الروح المحركة وراء القومية المصرية الحديثة » . ويعرض لكفاح سعد زغلول والوفد فى مواجهة الاستعمار . ثم يعرض لما حدث من التضحية بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية لخدمة ملاك الارض . ثم يصل الى ثورة ٥٢ « تلك الثورة التى ترى آثارها فى كل صفحة من صفحات « ميرامار » .

وسنجد ان فلاحى مصر يستحوذون على اهتمام جون فاولز ، وستجد ان اهتمامه بهم لا ينحصر فى « ميرامار » حيث البطلة الريفية زهرة ، وانما يمتد الى روايته «دانييل مارتين» التى سنتصل اليها حالا .

يهتم فاولز بقضية الفلاحين فيقول انه ليس عبثا أن الشخصيات المتعلمة فى رواية « ميرامار » تدور حول محور هو الفلاحة زهرة ، فالفلاحون ، هم قلب مصر ، وهم أس كل مشاكلها المتعلقة بالتقدم الاجتماعى والهوية القومية » و « ان استغلالهم الذى استمر لدهور ليطارد كل ضمير مصرى ، مثلما أن التزامهم ـ العنيد ـ بالتقاليد يصيب باليأس كل متحرر مصرى » . لكن فاولز يجد فى عنادهم مزية ، فعنادهم جعلهم لا يتغيرون وانما يصمدون أمام الوافدين الى وادى النيل من الخارج ، الوافدين بدعوى « تغيير العالم » .

ثم يسارع الى القول بأن شخصية الفلاحة زهرة ، فى « ميرامار » ، مصممة على تحرير نفسها . وهذا ما يجذب الرجال من حولها اليها ، أو يجعلهم ينفرون منها . وزهرة هى مصر نفسها »

والمتتبع لادب جون فاولز سيجد افتتانه بموضوع المرأة ذات الارادة ، المرأة التى تريد التحرر والانعتاق وتأكيد الذات . ينسحب هذا على بطلة « مقتنى التحف » مثلما ينسحب على بطلة «عشيقة النقيب البحرى الفرنسى » ، كذلك فان جين فى « دانييل مارتين » صلبة عنيدة قوية الشخصية . هكذا ينجذب فاولز الى زهرة الفلاحة ، أو مصر ، التى تريد أن تتحرر وتحقق ذاتها .

وفاولز قد صادف فى واقع الحياة مصرية أخرى ذكرته بهذا الطراز من المرأة . كان ذلك فى القاهرة ،عام ١٩٧٢،

حيث مكث فاولز فترة . وفي البيت الذى عاش فيه فاولز كانت هنـــاك المربية ـ الخادمة وهيبة . يقول لنا فاولز :

للذين يظنون ان مشـــكلة « زهرة » واحزانها تبدو مبالغا فيها وميلودرامية ، اقول انى اقمت ببيت بالقاهرة عام ١٩٧٢ كانت به خادمة احوالها تشبه أحـوال زهرة . هى ايضا كانت تحاول ان تعلم نفسها بنفسها على غير رغبة الاهل الذين كانوا يعيشون على راتبها .وقبل شهر من لقائى بها ضربها اخوها فى عرض الطريق لانها رفضــت الزواج بعجوز اراد لهـا ابوها أن تتزوجه قسرا .. من اجل ماله.

ويحكى فاولز لفتاتنا المصرية (وهيبة) خلاصة روايته « عشيقة النقيب البحرى الفرنسى » ، عن الخادمة التى ارادت ان تتحرر وتتحدى الظروف . هنا صاحت وهيبة « اوه ، انها حكايتى ! انها انا ! » ويقول فاولز «انى اعتبر هذا من اكبر صور المديح المؤثرة التى صـــادفتنى فى حياتى ! » .

ويبقى عن مصر ، فى مقـدمة فاولز لـ « ميرامار » ، ما قاله عن أدبها اجمالا .. انه يثنى على « ميرامار » التى هى من ابداع روائى عظيم ، مضيفا « وان عملا بهذه الخاصية ليفسر لنا لماذا نظر العرب الى مصر ، منذ أمد ، على انها زعيمة العالم العربى فى مضمار الادب » .

مصر فى احدث رواياته

اشتهر عن فاولز ضخامة رواياته من حيث الحجـــم ومن حيث الرقعة التى تغطيها . ووراء الضخامة رغبة فاولز فى العودة بالرواية الى شـــكلها القـديم . الرواية التى تكاد تكـون كلاسـيكية ، الرواية ذات السرد والايقـــاع المتثاقل ، وذات النسيج المتشـــابك فى رحابه . ينسحب هذا على كل رواياته ، باستثناء « مقتنى التحف » البالغة التركيز . وهو لا يجد فى ذلك غضاضة ، رافعا حاجبيـه فى دهشة واسـتنكار ازاء موجة الرواية



غلاف الترجمة الانجليزية لميرامار

الجديدة ، واللارواية ، وتيـــار الرمزية والعبثية .. الخ ..

تحتـــل أحدث رواياته « دانييـــل مارتين » ٦٢٩ صفحة من القطـع الكبير (انما أشير هنا الى طبعة

Little, Brown and Company Boston 1977

وتحتل مصر أكثر من مائة صـــفحة من هذه الرواية ، بدءا بفصـــل بعنـــوان « اهرامات وسجون » وانتهاء بفصـــل « النزوح » أو ان شئت : « الاقلاع » أو « التحليق » أو « الهجرة » (ماالعمل وعنوان الفصل يوحى بكل هذه المعانى التى تنسحب على ما يمور فى فصـــول الرواية ؟) وبفصل « النزوح » يغـادر البطل دان وصاحبته جين مصر الى سورية ليتفرجا على آثارها القديمة وبخاصة قلعة شهدت صفحة من صـــفحات الحـروب الصليبية .

وسبب الوفـــود الى مصر أن بطـــل الرواية ، دان ، يعد سـيناريو فيلم عن كتشنر ، وها هو يزور مصر للمرة الثانية

يستلهم أماكن الاحداث ، والمناطق التي عاش فيها كتشنر وعمل ، كما يختار أماكن تصلح للتصوير عند تنفيذ الفيلم • وهو قد أقنع صاحبته جين بالمجىء معه رغم ترددها الشديد •وجين كانت زميلته القديمة باكسفورد،تزوج أختها وتزوجت هى باستاذ فى اللاهوت والفلسفة • ثم يكتشف كل طرف (من الاطراف الاربعة) فشل زيجته ، ويكتشف دان انه انما يحب جين وينتحر زوج جين وتترمل هى ولا تفكر فى الزواج ، لكن دان يشدها الى هذه الرحلة ، رحلة نسيان ومحاولة بدء حياة جديدة ، رحلة يقدم فيها نفسه من جديد ويعترف فيها بحبه •

اللافت للنظر فى الصفحات المصرية ان مصر ليست مجرد ((ديكور)) يزج به روائى اجنبى فى روايته ، ليست توابل لتطعيم القصة ،أى قصة ، بالمثير ،وليست نقلا لمعلومات سياحية يدس بها فى رواية بوليسية أو رواية جيب غرامية •

ان البطل والبطلة يهبطان فى القاهرة بالطائرة ولا يقضيان فيها سوى أيام جد معدودة ، ليبدأ رحلتهما الى الجنوب ، مع النهر ، وكأنهما فى اتجاه المنابع ، فى رحلة البحث عن الحقيقة والاصول • وقد اختارا أن يقيما فى فندق عائم يتجول بهما – على صفحة النيل – وسط جنوب مصر • وتتعانق أحداث الرواية مع الرحلة المصرية ، مع النيل بصفة خاصة، وما يحف بالنيل من حياة (الطير ، الارض الخضراء والرمل ، والفلاحون ، آثار الفراعنة) •

لا تقع أحداث كثيرة خلال الرحلة (لا يهم) • انهما يتفرجان على ما يقدمه النيل وما يقدمه الفراعنة ،يزوران جزيرة كتشنر (ثلاث مرات !) ، يتعرفان فى الباخرة على عالم مصغر يضم الامريكى والاوروبى والشرقى والروسى والفرنسى كما تضعهما الصدفة أمام عالم آثار ألمانى هام بحضارة مصر حبا وتعمق أسرار

القدماء• لا تقع احداث كثيرة خلال الرحلة لكنها ((تقع)) فى الذهن فالبطل والبطلة فى حوار متصل ، حوار عن مصر حوار عن الحضارة وعن الفقر (فقر الفلاحين) وعن كتشنر • والحوار مستمر أيضا حول قصتهما • هو حوار ذكى أقرب الى لعبة شطرنج يحسب كل طرف فيها حساباته • والرحلة تؤثر على هذا الحوار وعلى مسار تفكيرهما ، ويزداد ادراكها لحبه لكنها تخشى الغد • ويزداد ادراكه لحبه لها لكنه عاجز احيانا امام ابوابها الموصدة • بيد انهما يغادران مصر وقد عادا الى اقترابهما القديم الذى صاحبهما أيام التلمذة فى اكسفورد • ثم سنعرف بعد الرحلة الى قلاع سورية القديمة انهما فى الطريق الى العيش تحت سقف واحد

كيف وجد دان وجين نهر النيل ؟

بعد عشاء الليلة الاولى فى القاهرة ، ولما يمض على وصولهما الى مصر سوى ساعات معدودات ، يتمشيان على الكورنيش ، على مقربة من كوبرى قصر النيل فيما يبدو ، ويتأملان مياه النهر ، وانعكاس الجزيرة بأضوائها عليه •ويشد انظارهما مركب رسى عند الشاطىء ورجال يتحلقون مصباح جاز بداخله • ويقول لها « انه نهر رائع • ليل نهار سنتزين » ويستطرد « اما الفلوكة فحلم » ثم يعودان الى الفندق ، وسيتجه كل منهما الى غرفته لكن جين تقول له قبل أن تنام ليلتها الاولى بالقاهرة : « كنت افكر وانا انظر الى الفلوكة : ان رؤيتها وحدها سبب كاف للمجىء الى مصر » •

وفى الليلة الثانية يطل دان – والساعة تشير الى الواحدة صباحا – يطل على النيل من شرفته بالفندق «حملق فى الصمت الاسود الذى يرين على النيل النيل الذى لا ينتهى • الذى لا يهمه شىء الذى هو كالزمن نفسه » •

ويخصص فاولز فصلا يختار له عنوان « النيل » حيث تبدأ رحلة المركب التى

استمرت لستة أيام ، كل يوم يفضي الى الآخر ، في تواصل ، وبهدوء ، واستمرارية كالنهر . ويقول دان عن نفسه انه سرعان ما أحب النهر من جديد (هذه هي زيارته الثانية) ، النهر وما يحف به من مناظر .

والمركب يتوغل مع النيل جنوبا . فيخيل لدان انه لا يتوغل في افريقية وحسب ، وانما يتوغل في الزمن الماضي أيضا . ساعده على ذلك أسلوب الفلاحين في الحياة ، والآثار على الشاطئ .

وبدا له النهر متحركا وثابتا ، متغيرا يتحرك امام الغير ، ويثبت امام الذهن . ذكره بانه لا جديد تحت الشمس . وبدا له النيل موحيا بالصور والرموز . لا غرو فالنهر ـ على حد قوله ـ « شأنه شأن الانجيل ، قصيدة عظيمة ، زاخرة بالاستعارات التى لا يعروها البلى » .

وبدا له أن فى النيل « سحرا » ميتافيزيقيا الى جانب سحره المادى الواضح . انه يطهر ويبسط ، ويضع الحياة كلها داخل منظور . ان ذكرى مئات الاجيال التى انتمت الى النيل ، والاجناس التى لا حصر لها ـ ذكرى كل ما اختفى الى الابد تحت طيات طميه ، يجعل الانسان يفيق ، ويجعله يحس بضآلته ، ويحيل الفرد الى ما هو أصغر من أدق حبة رمل فى تلك الصحراء اللانهائية التى تحتضن خط الافق وراء الوادى المزروع » .

وفى رحلة النهر يمرون بفلاحات يملأن الجرار أو يغسلن الثياب أو يرتوين . ويحسدون الفلاحات ـ رغم الفقر والمرض ـ على بساطة هذه الحياة وسط الخضرة والزرقة والخصب الدائم . وازاء هذه اللوحات بدت مدنية القرن العشرين أحيانا ـ بتعقيدها البالغ ـ « وكأنها سحابة ثقيلة ، وعبث » .

وتفتش جين عن صفة للنهر ، وتنتهى الى وصفه بالحكمة .



جون فاولز : وعمر فى مرآته

كذلك يرمز النهر للسلام . فالمؤلف يفاجئنا بفصل بعنوان « النهر بينهما » متحدثا عن شجار دموى نشب بين قريتين على جانبى النهر ،وشيخ يقول ان الشجار سيستمر ولن يوجد السلام الا فى النهر الذى بينهما . ويصبح النهر رمزا لسلام مقيم يتوسط صراعات لا تنتهى ولا تنطفئ .

ويقودهما النهر الى « جزيرة كتشنر » فى اسوان . فكيف وجداها ؟ يقول دان انها كانت يوما حديقة نباتية صارمة كما أرادها كتشنر ، لكنها الآن تنمو على سجيتها فيزداد سحرها . انها تحمل الآن « بساطة العمارة الاسلامية فى أجمل صورها » و « وهى (الحمراء) مؤلفة من خضرة وماء وظل » وهى ، بين كل ما عرف من أراض صغيرة فى العالم « من أجملها وأعظمها تحضرا » . ومن فندق كاتاراكت القديم يشترى دان بطاقة

بريدية تحمل صورة لجزيرة كتشنر ، وعلى البطاقة يكتب لصديقته المثلة جيني ، المقيمة فى أمريكا ، يكتب ليصف لها المكان « .. وقعت فى غرامه مرة أخرى . الماء ، الصمت ، أوراق الشجر ، السلام ، أشياء خارج هذا الزمان ــ الزمان ــ أجمل حقا من أن يتحول الى فيلم » .

والذى سيقرأ رواية « دانييل مارتين» سيجد عناقا بين الجزيرة وأحداث الرواية ، اذ يزورها دان وصاحبته ثلاث مرات فى أقل من أسبوع ، ويدور بينهما حوار يمس صميم حياتهما ، وحياة كتشنر ، وهذا البلد الذى وفدا اليه .

وفى موضع آخر يصف المؤلف الجزيرة على لسان دان ، مشيرا الى « سلامها الخيالى ، طيرها ، مائها » . و « ان لها شخصية تكاد تكون انسانية ، نسائية على نحو ما ، تختلف ــ بشكل مؤثر ــ عن الرجل الذى تحمل اسمه (كتشنر)»

نهر النيل . جزيرة كتشنر . والطير ايضا .

فكاتبنا مولع بالطير . يتحدث عنه فى معظم رواياته ، ولا بأس من بعض المعلومات الدقيقة التى تبدو وكأنها بقلم عالم فى مختبره . خلال الرحلة النيلية يرى دان الطير من كل صنف ، فيبدو له الطير صورة ــ بدائية ــ لفلاحى مصر : ان الطير يعيش ويتحرك من خلال حياة قوامها البساطة .

وحين يلتقى بالخبير الالمانى يحدثه الخبير عن نوع من الطيور المصرية ثم يقول له : « هل تعلم أن المصريين وضعوا الطير فى مكانة سامقة ؟ اذ سمحوا له بأن يرمز الى اهم كلمة فى أى لغة . الا وهى الروح ــ النفس ؟ » .

كان طبيعيا أن يلتقى دان وجين بأعمال الفراعنة .

لكن يبدو أن جون فاولز يقف موقف المتحفظ ازاء أعمالهم . انه ، فى هذه الرواية وفى كتابات أخرى ، يومىء الى عدم ايمانه بالخلود أو عودة الروح أو وجود حياة أخرى . ومن أجل هذا أشفق على اعتقاد المصريين القدماء بالبعث وقال انهم لم يصدقوا أن الموت نهاية كل شىء فبنوا الاهرامات ورتبوا لحياة أخرى فى محاولة لرفض فكرة الموت الذى يعقبه عدم (وهى الفكرة التى يؤمن بها فاولز، والتى عرض لها بشكل بارز فى كتاب أفكاره المسمى « أريستوس » .

كذلك فان دان رأى فى الفراعنة وآلهتهم « أول بورجوازيين فى العالم »

ويبدو الفراعنة لدان « مفتونين بالتكرار ، تكرار الآثار » .

ولعل جون فاولز ، وشخصيته دان ، قد أسقطا افكارهما على شخصية مصرية تقول لجين ، وهى تستعد لجولة سياحية لرؤية آثار القاهرة « .. لكن اعتقد انه لابد أن تريها مرة » **. ومع ذلك تعجب** جين بما رأته **فى سقارة . تتحدث لصاحبها** عن رسوم الطير **والحيوان** قائلة ــ « يا للرقة ، **لكأن عصر** النهضة ظهر هنا قبل ظهوره **الفعل بثلاثة** آلاف عام ! »

أما رحلة دان وجين الى ابى سمبل **فقد** اعتبراها رحلة مرهقة فاشلة ، وندم دان على انه قام بهذه الرحلة ، وأحنقته فكرة نقل أبو سمبل من مكانه الاصلى الى مكان آخر ، وذلك الحشد من الحديد والاعمدة الذى يسند البناء الفرعونى من الداخل . وتحنقه أيضا فكرة رفع معبد فيلة ، وكان قد زاره وجين قبل رفعه فأسعدهما أن يرياه لكن أحزنهما أن يستعد البناء للرحلة الى مكان آخر .

ويقف دان وقفة عند الفنان الفرعونى فيعيب على الفراعنة أنهم « تحكموا فى الفن ، بدلا من أن يدعوا الفن يتحكم فيهم » .

لكن دان يقول عن الفنان الفرعونى شيئا لا ينسى !

يلفت نظره ان الفنانين الذين أبدعوا الاعمال الفنية الفرعونية مجهولون • ان النحات الذى صنع رأس الفرعونى ليس معروفا • ولكنه ترك هذا المجد ••
ويخجله هذا ••

ها هو يعد سيناريو لفيلم « كتشنر » ويريد كتابة اسمه بالخط العريض • وذلك تطفل على كتشنر ! •• الا يحسن به ان يحذو حذو الفنان الفرعونى الذى يختفى وراء العمل ولا يفرض نفسه او اسمه ؟ الا يحسن به ان يكون اول كاتب سيناريو يطلب عدم كتابة اسمه على الفيلم ؟!

لعل الوقت قد حان لننتقل الى الانسان المصرى كما صورته رواية جون فاولز •

ان الاهتمام الذى أبداه جون فاولز بالفلاحين فى مقدمته لـ « ميرامار » قائم أيضا فى روايته « دانييل مارتين » • ان جين تشترى ، فى أول يوم لها بالقاهرة كتابا عن فلاحى مصر فيهولها حال الفلاحين خلال مساحة زمنية قوامها خمسة آلاف عام • تتحدث عن الحرمان • التجاهل • الاستغلال • تقول انه حتى دراستهم أنثربولوجيا لم تبدأ الا مؤخرا •

وفى الرحلة الى ابيدوس يستقلون سيارات أجرة قديمة والسيارات تمرق وسط صبية يمدون أيديهم ونسوة فى ملابس كالحداد ، مما جعلهم لم يستمتعوا — كما يجب — بروعة النقوش والآثار فى ابيدوس •

ورأوا ان حال الفلاح لم يتغير الا مؤخرا • يقول الأثرى الالمانى لجين « اعتدنا ان ننفق كل وقتنا نتعقب الماضى بينما الماضى لا يزال يحيا من حولنا (يقصد فلاحى مصر) لكن الوضع يتغير الآن •• » ويحدثها عن تتابع العهود وتغيرها ، واندثار المومياوات ، ويبقى شىء : النهر والارض • وهذا هو كل ما يهم الفلاحين و « وانى لاعجب بهم رغم كل اخطائهم • انهم أناس شجعان »

بعد صورة المصرى فلاحا هناك صورة المصرى الذى لا يضن بالعطاء • يحكى البروفيسير الالمانى لدان وجين عن زوجته الانجليزية التى كانت طبيبة وماتت ، كيف كانت تفحص الفقيرات بالمجان فيحضرن لها عقودا يظنن انها قديمة وثمينة • يكتشف زوجها الخبير انها ليست كذلك ، ومع هذا يكفى أنهن يردن أن يعطين ••

ويتجسد العطاء ايضا فى شخص تلميذة مصرية يلتقى بها البطل والبطلة فى رحلة مدرسية على أرض جزيرة كتشنر • الرحلة لبنات وصبية مدرسة ثانوية بأسوان • والتلميذة المصرية تعرف الانجليزية أكثر من رفاقها ورفيقاتها ، لانها قضت ثلاثة شهور فى لندن مع امها واختها المريضة • انها تطلب من تراسله فى انجلترا ، وتسعد باستجابة جين الفورية (التى تخرج ورقة وقلما وتدون الاسم والعنوان والرغبات) • وفجاة ، وبدون سابق انذار ، تخلع التلميذة المصرية عقدها الذى تلبسه ، كهدية لجين • تعترض جين لكن البنت تصر ، وتعبر بيدها تعبير من يريد ان يقول انه لا مفر • انه قدر • وتهتز جين لهذه المشاعر ! ••

وهناك صورة المصرى البسيط مؤمنا• فبعد الرحلة الى جزيرة كتشنر يعودون بالمركب الشراعى • ويؤذن المؤذن للصلاة فيطلب صاحب المركب من دان ان يمسك بالدفة • وينصرف الرجل وصبيه الى الصلاة والكعبة قبلتهما ، يصليان فوق خشب المركب الشراعى • « ويجلس جين ودان فى صمت فى مؤخر المركب وقد ران عليهما احساس بالحرج ، كذلك الاحساس الذى ينتاب كل المثقفين حين يجدون انفسهم — وجها لوجه — امام ايمان بلا تعقيد ! »

●●

وأعجب العجب أن العربية لغتنا الجميلة ليس لها حتى الآن

دائرة معارف عصرية!

● اسماعيل شوقي ●

● في القرن الميلادى الاول ، وضع كاتب روماني اول مؤلف علمي يمكن أن يطلق عليه اسم ((موسوعة)) او ((دائرة معارف)) .
الكاتب هو ((بليني الاكبر)) المتوفى عام ٧٩ للميلاد عن ستة وخمسين عاما وضع فيها عدة كتب لم يبق منها الا موسوعته التى سماها ((التاريخ الطبيعى))

وفرغ بليني ، قبل وفاته بعامين ، من تلك الموسوعة التي وقعت في سبعة وثلاثين كتابا ، ورجع فيها الى أربعمائة وخمسين مؤلفا لكتاب سابقين ، ذرتها رياح الايام ولم يبق منها الا ما حفظته موسوعة بليني ، منسوبا أغلبه الى مصادره، معزوا الى مؤلفيه .

وفي المقدمة التي شغلت الكتاب الاول بأكمله ، حدد بليني هدف الموسوعة ، فقرر أنه الدراسة الجادة للامور والاشياء التي تنفع الناس . وندد بمعاصريه من الادباء المتشدقين بالالفاظ الفخمة والعبارات الرنانة ، وسخر من أصحاب الخرافات والاساطير ، وانحى باللوم على الغاوين ، الذين هم على أوهامهم عاكفون ، وبها في كل واد يهيمون ، ويقولون ما لا يفعلون ... هذا رأيه ...

***

وأحاط بليني في موسوعته بالمعارف التي وصل اليها العارفون لوقته ، من علوم الكون والفلك ، والعلوم الطبيعية والتاريخية والجغرافية ، وذكر كثيرا من المدن التي اندثر منها ما اندثر وأصبحنا لا نعلم عنها الا ماجاء في تلك الموسوعة . كما تناول علوم الحيوان بادئا بالانسان فسائر الثدييات فالزواحف فالاسماك وغيرها من الاحياء المائية ، ثم الطيور والحشرات ، ثم تناول أنواع النباتات وأساليب الزراعة ، كما تناول فروع الطب والعلاج وأنواع الادوية والعقاقير ، ثم تناول نفيس المعادن وخسيسها ، والكريم من الاحجار وغير الكريم ، مفصلا ذلك كله في عشرين الف مادة ضمتها موسوعته .

وبقيت لموسوعة بليني مكانتها على مدى ستة عشر قرنا من الزمان ، ولم يكن معهد علمي ولا دير في ربوع أوروبا يخلو خلالها من نسخة مخطوطة منها . ولم يكد

ينقضي ثمانون عاما على اختراع جوتنبرج حتى كانت مجلداتها السبعة والثلاثون قد طبعت ثلاثا واربعين طبعة ٠

***

هذه لمحة عاجلة لأمر جلل فى تاريخ الفكر الانسانى وقع منذ تسعة عشر قرنا ، نقابلها بلمحة أخرى من عصرنا الحالى ٠٠٠

فى أوروبا دول صغيرة يقل أبناء الواحدة منها عن عدد أبناء مدينة واحدة من كبار المدن ، ولكل دولة من تلك الدول لغتها الخاصـــة التى لا يتكلم بها غير أبنائها ٠٠ ولها مع ذلك موسوعاتها ، بل لبعضها أكثر من موسوعة ٠

وقد اخترنا ستا من هذه الدول ، هى :

الدولة	تعدادها (مليون)	عدد موسوعاتها
هولاندة	١٢	٦
المجر	٩	٢
الدنمارك	٥	٣
النرويج	٤ر٥	٤
ليتوانيا	٣	١
استونيا	١ر٥	١
المجموع	٣٥	١٧

ست دول يقل تعدادها مجتمعة عن تعداد مصر ، كأنها الجزر المتنائية التى تعزلها عن العالم لغاتها المتفردة الخاصة ، وكلها لغات حديثة لم تتحدد معالمها ولم تتأصل قواعدها الا فى القرنين الفارطين ، ولها مع ذلك سبع عشرة موسوعة ٠٠٠

والعربية ، اللغة التى يتكلمها خمسة اضعاف أبناء تلك الدول مجتمعة ٠٠٠

اللغة التى نزل بها الكتاب الكريم الذى يهتدى بهديه خمس العالمين ٠٠٠

اللغة ذات التراث العريق الوثيق الذى يرجع الى ستة عشر قرنا ٠٠٠

اللغة التى تبينت قواعد نثرها وضوابط نظمها منذ زمن بعيد ٠٠٠

اللغة التى حفظت ثقافات العالم القديم فامسكتها أن تزول ، واضـــافت اليها اضافات أصيلة رائعة واسلمتها الى العالم الحديث ، ولولاها لانفرط عقد المعارف والعلوم ٠٠٠

اللغة التى ظلت لغة العلم والحضارة على مدى سبعة قرون متواليات ٠٠٠

ـ هذه اللغة ، ليس لها حتى اليوم دائرة معارف عصرية !

اليس هذا امرا جديرا بالدراسة والتحليل والتعليل ؟

***

ولو أن آباءنا الاولين كانوا قد قصروا قدما فى التأليف الموســـوعى لكان لنا مانتلمسه من واهى الاعذار عن هذا التقاصر والنكول ٠ بيد أن الآباء والاجداد قد جبوا ذرائع أعذارنا بما وضعوه من موسوعات جليلة الغايات سديدة المناهج ، لم ينسجوا فيها على منوال سابق ، بل كان منها ذو النهج الفريد ٠

ومن يرجع الى مجلدات « تاريخ الادب العربي » لكارل بروكلمان يجد معرضا عجبا لموسوعات عربية وضع بعضها منذ أكثر من الف عام ، ووضع بعضها الآخر فى عصور حالكة غشيت امة العرب ، فلم يكن بعد الزمن ولا صروف الدهر بمانعة

من استيعاب علوم القدامى والمعاصرين ، وانصهارها في بوتقة الفكر العربي واللغة العربية ، ثم تصنيفها في موسوعات منوعة الطرائق والاساليب ، منها العام ومنها الخاص ،ومنها ما التزم الاحاطة بالموضوعات ومنها ما التزم ترتيب حروف الهجاء.

ويذهب العجب بنا كل مذهب حين نتصفح أيا من تلك الموســوعات ونتخيل الاحوال المعايشة التي وضعت فيها ، والظروف التي كان بعضها كفيلا بأن يثني اشد العزائم مضاء واقداما ··· كل هذا وأولو العزم ماضون لايبغون من أحد جزاء ولا شكورا ·

فمن كان سيجزي ابن قتيبة عن عناء أيام وسهر ليال قضاها في وضع « عيون الاخبار »أو « المعارف » أو « الشعر والشعراء » ، وغيرها من الشوامخ في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) ؟

وفي القرن الرابع ، بكم جازى العتبي ــ وزير السامانيين ــ الخوارزمي عن كتاب « مفاتيح العلوم » ؟

ومن كان ، في ذلك القرن المبارك ، يستــطيع أن يجزي أبا نصر الفارابي عن موسوعته « احصاء العلوم » ؟ ·· تلك الموسوعة التي أحاط فيها بعلوم السابقين والمعاصرين ، تعريفا وتبويبا وترتيبا ، حتى لم يجد علماء الغرب بدا من نقلها نقلا الى اللغة اللاتينية ، في عدة ترجمات بدأت منذ القرن الثاني عشر للميلاد ؟

وفي أواخر القرن الرابع أيضا ، وفي ظروف شائكة ، وفي أحوال غير مواتية ، دون « اخوان الصفا وخلان الوفا » رسائلهم ··· وخشيتهم من العقاب أرجح لديهم من حسن الثواب ، حتى لقد تكتموا أسماءهم فلا نكاد نعرفها الا رجما بالظن والتخمين ·

واننا الآن لنعجب ونتساءل : لمن وضع ياقوت الحموى (توفي عام ١٢٢٨ م) « معجم البلدان » و « معجم الادباء » ؟

ولمن كتب الدميري (ت ١٤٠٥ م) « حياة الحيوان الكبرى » ؟
ولمن كتب القلقشندي (ت ١٤١٨ م) « صبح الاعشى » ؟

ولمن كتب السيوطي (ت ١٥٠٥) « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » و « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » ، وغيرهما ··· وكلها موسوعات أشاد بقيمتها العارفون من كل جنس ولون ·

***

واننا لنغمط حق هؤلاء الاعلام من الاكبار ، ولا نقدر هذه الاعمال الشامخة حق قدرها الا اذا استرجعنا صور العصور التي انجزوا فيها خوالد انجازاتهم ، وتخيلنا ماكان يكتنفها من عوامل العسر والتثبيط والتعويق ·

فلم تكن المراجع ميسورة لهم يسرها لنا اليوم ·
ولم يكونوا يعرفون عن العمل الجماعي ما نعرفه اليوم ·
ولم يكونوا يعرفون الا الاقلام الفجة والقراطيس الخشنة ·

ولم يكونوا يعرفون الآلات الكاتبة ولا أجهزة التسجيل أو التصوير ولا مراكز المعلومات ·
ولم يكونوا يعرفون غير الشموع والقناديل والمشكاوات ·

ولم يكونوا يعرفون النظارات الطبية ولا العدسات المكبرة ·
ولم تكن لديهم دور النشر ولا المطابع ولا مؤسسات التوزيع التي تتول عنهم نشر آثارهم وتعفيهم من كل مايشغلهم عن طلب العلم ثم الافتنان في التأليف والتصنيف وبذل أقصى الجهد في الاحكام والتجويد ·

***

ان هذا العرض السريع لبعض الامور التي تيسرت لنا من بعد عسر خليق بأن يثقل ضمائرنا ويزيدنا شعورا بفداحة التبعة التي تكلنا عن حمل أمانتها ، وانقطاعنا عن المضي خطوا في طريق سلكه آباؤنا الاولون عدوا منذ مئات السنين ·

وقد تكون وطأة الشعور بالتقصير هي التي دفعت في العصر الحديث افرادا نابهين من أبناء العربية الى وضع موسوعات عربية ، فنشر بطرس البستاني ستة من مجلدات موسوعته بين عامي ١٨٧٦ و ١٨٨٣ ،ثم واصل فريق من آل البستاني العمل من بعده حتى بلغت دائرة معارف البستاني احد عشر مجلدا ·

وفي عام ١٩٣٨ ظهرت « دائرة معارف القرن العشرين » لمحمد فريد وجدي في عشرين مجلدا · وفي عام ١٩٥٠ صدرت بالقاهرة «دائرة المعارف الحديثة» للاستاذ أحمد عطية الله في مجلد واحد · وهو لايزال يواصل الجهد في اصدار الموسوعات المتخصصة ، أطال الله بقاءه وبارك جهوده ·

وفي لبنان صدرت « الموسوعة العربية » عام ١٩٥٥ في مجلد واحد ·
وفي عام ١٩٥٨ أصدرت دار الشعب « دائرة معارف الشعب » ، وكانت تتبع النهج الموضوعي وتضع فهارس هجائية مفصلة في آخر كل مجلد ·
وفي القاهرة أيضا صدرت « الموسوعة العربية الميسرة » عام ١٩٦٥ في مجلد واحد ، ثم صدرت « الموسوعة الثقافية » عام ١٩٧٢ في مجلد واحد كذلك ·

***

ومع تقديرنا لهذه الجهود والاشادة بفضل من بذلوها ، لانزال نتساءل :
هل واحدة من هذه هي دائرة المعارف التي تتفق مع مكانة العربية في الاعوام الاخيرة من القرن العشرين ؟

وحين يدهمنا القرن الحادي والعشرون ، هل يمكن لضمائر الباقين ان تطمئن ، ولنفوس الراحلين حين ترجع الى ربها أن ترضى ، وهزيم صيحة الابناء يشق اجواز الفضاء :
ماذا ترك لنا آباؤنا من زاد ثقافي نواجه به عصرا لا مكان ولا مكانة فيه لمن لايعلمون ؟
وبعد ···
فان السؤال الآن ، اكثر من سؤال ···

- **ماهي الاسباب التي عوقت حتى اليوم ظهور « دائرة المعارف العربية » التي تناسب ماضي اعرق لغة حية ، وحاضر ابنائها ، ومستقبلهم المرجو المرموق ؟**
- **كيف يكون البدء ؟**
- **ما الذى تقترحه لمنهج التنفيذ ؟**

ان الباب مفتوح لكل اجابة ملتزمة بالموضوعية والوضوح والسداد ···
ولأفضل الاجابات جوائز قيمة ···

الفائز بجائزة نوبل هذا العام في الادب

إلياس كانيتي

● في خلال السنوات الخمس الاخيرة حصل ثلاثة من الادباء اليهود على جوائز نوبل للادب .. فبعد صول بيللو الكاتب الامريكي الذى حصل على الجائزة عام ١٩٧٧ ، ثم اسحاق باشفيس سجر الكاتب الامريكي الذى حصل عليها عام ١٩٧٨ ـ ها هو اليـاس كانيتى الأديب البلغارى يحصل عليها لهذا العام ١٩٨١ ..

والياس كانيتي هو أحد الاسماء البارزة الآن فى عالم الادب..وقدقدم مجموعة من الكتب الادبيـة والروايات الرائعـة التى ينتمى اكثرها الى ما يسمى بأدب الرحلات .. ولذا كثيرا ما يقال فى الصحف ان الياس كانيتى اشبه بسائق القطار الذى يقود قاطرته متحديا كل الظـروف كى يتمكن من الوصول الى هدفه .

ولد الياس كانيتى فى بلغاريا عام ١٩٠٦ فى عائلة من اليهود السفارديين وهى عائلة تتحدث لغة اليهود الاسبان خلال القرن الخامس عشر الميلادى وقد رحلت الاسرة الى لندن وهو فى السادسة من عمره حيث تعلم اللغـة الانجليزية والفرنسية ، ثم رحلت الاسرة بعد ذلك الى النمسا واسـتقرت هناك منذ ذلك الحين ، حيث درس هناك اللغة الالمانيـة التى بدأ الابوان يستخدمانها فى محادثات الحياة اليومية .. وبالنسبة له هو شخصيا فقد أصبحت هذه اللغة أفضل اللغات التى يمكنه أن يعبر بهـا عما يجيش فى صدره ويكتب بها ..

وفى النمسا ، تمكن الياس من أن يتعلم خلال مرحلة مبكرة من حيـاته كل امور البروتوكولات ونظم الحياة الديبلوماسية ، وأن يبرز بوضـوح شغفه بنظام الحياه هناك ..

***

وفي الكتاب الذى نشره الياس حول حياته الخاصة بعنـوان « قصـة شباب » وترجم الى اللغة الفرنسية في العام الماضي ، يقول انه كان شغوفا جدا بوالديه .. : « كان ابى موسيقيا يعشق البيانو .. اما أمى فكانت تغنى على الحان شوبيرت التى يعزفها أبى .. كم كنت محظوظا ان أولد بين شابين عاشقين ! »

يقول كانيتى انه كان شغوفا ابان فترة مبكرة من حيـاته بموسيقى



● الياس كانيتي : فاز بجائزة نوبل في الادب

الفالس وأجواء الاوبرات الرائعة ..

كما انه ارتبط بالاديب اليهودى الفرنسى البرت كوهين الذى شغف مثله بالموسيقى ..

وقد وجد نفسه في اول علاقته بالكتابة يجمع بين أسلوب سرفانتس وشخصية دون كيشوت ، وبين شخصيات كافكا ، الذى يعتبره أحد الادباء الذين يعتبرون بحق شواهد عصرهم ..

***

ومن أهم الأعمال الأدبية التى قدمها كانيتى « التراكم والقوة » الذى يتناول فيه موضوعات اجتماعية وانثربولوجية وتاريخية ممزوجة فى اطار دينى مقارن ، وذلك من خلال التركيز على الامراض المختلفة التى أصابت الامراء الذين حكموا أوروبا ردحا طويلا من الزمن ..

وقد ركز كانيتى فى كتاباته على معاداة العنصرية ، وهو يؤكد فى كتابه « قصة شباب » على الشخصيات التى تأثر بها وعاش معها داخل النمسا .. كما اكد على حبه للكتابة ، وعلاقته الخاصة بأدب كافكا ، ثم رحلته عبر العديد من البلدان ..

وكانيتى يعيش الآن فى المملكة المتحدة منذ سنوات طويلة ، ومن أهم الكتب التى قدمها « فى داخل أوروبا » حول عديد من الشخصيات التى أعجب بها مثل سيجموند فرويد ، وفرانز كافكا ، وانطون جوليا ..

واحدث اعماله التى صدرت فى شهر فبراير الماضى هو كتاب « أصوات مراكش » وفيه يتحدث عن رحلته الى بلاد المغرب العربى خلال عام ١٩٥٤ وعن مشاهداته هناك ، مضيفا تلك الرحلة باسلوب أقرب الى المونولوج الداخلى منه الى اسلوب المشاهدات العابرة ..

وعندما يتحدث الادباء حول اسلوب كانيتى وكتاباته ، فانهم يضعونه فى نفس المقعد الذى جلس عليه الكاتب توماس مان،فى ذلك العالم الخاص جدا ، الوجدانى ، الملىء بالانفعالات ، والاجواء الموبوءة ، والقلق ، والبحث عن الخلاص .. لكن اين الخلاص .. قد يأتى يوما ، وقد لا يأتى . لكننا لا نتوقف عن البحث عنه ! ..

● محمود قاسم

حضارة مصر..

ومهندسو الفراعنه



د. سيد كريم

● **العمارة مرآة الحضارة .. والمصري القديم أول من شق طريق الحضارة وخطا فيه الخطوات الأولى .. فأول تجربة للانسان في بناء الحضارة كانت على ضفاف النيل ، فسجل المهندس المصري القديم تلك الحضارة على صفحات جدران العمارة التي ارتفعت على شواطئه وتجمعت في معرض طوله الف كيلو متر من شلالات اسوان الجرانيتية الى شواطيء البحر الابيض المتوسط الرملية ..**

وعلى مدى سبعة آلاف عام تمتد من عهد ما قبل الاسرات أو ما قبل التاريخ الى نهاية العصور الفرعونية، بقيت آثارهم الخالدة التي قاومت الزمن كتسجيل لتلك الحضارة الخالدة والحفاظ على اسرار مقوماتها ..

اطلق العالم القديم على العمارة اسم « أم الفنون » .. وأطلق عليها الفراعنة « فن الخلود » .. فقد عرف المصريون معنى الخلود ، عرفوه فأحبوه وقدسوه وعملوا له .. عرفوا ان الكون خالد ، وعرفوا ان بلدهم خالد وآمنوا بأن الانسان له روح خالدة فسعوا نحو الخلود ليحدد لهم معالم الطريق ، فاكتشفوا علوم المعرفة النظرية منها والتطبيقية ، فعرفوا كيف يستخدمونها ليمهدوا أرضا صلبة يقيمون فوقها عمارتهم التي يقوم فنها على أساس علمي راسخ ومتطور كما هو الحال في مقومات علوم المعرفة بأنواعها كالطب والكيمياء والفلك والرياضيات والزراعة والصناعة ومختلف علوم المجتمع وفنونه ، وما حققه كل منها من انجاز واعجاز ..

وبهذا تميزت شخصية العمارة المصرية بتطورها المستمر الذي لازم نهضتها فلم تتوقف عند قالب أو طابع معين بل سارت طوال تاريخها في سباق مع الزمن لم تتخلف عنه ، فعاشت أطول مدة عاشتها أي حضارة معمارية أخرى ..

لقد وصف تاريخ العمارة دور العمارة الفرعونية في رسم أول « خط للسماء » رسمته يد الانسان ، بأنه بدأ بالخطوط الهندسية الافقية ومسطحاتها المستوية التي بدأت بالظهور فوق سطح الارض وعبر عنها بالمصاطب ..

وارتفعت بالمصاطب عن سطح الارض في طبقات متراصة فوق بعضها البعض لتصنع الاهرامات المدرجة التي عبروا عنها بسلم الصعود الى السماء ، وانتقلت **منها الى الاشكال الهرمية الرياضية التكوين . ثم ارتفع الهرم بقاعدته عن سطح الارض لتظهر معابد الشمس ، ثم تعلو فوق قوائم لتشق طريقها نحو السماء وتناطح السحاب فتظهر المسلات الرشيقة بقممها الهرمية .. ثم انتقلت من الجدران الصماء والحوائط العالية الى الدعائم والقوائم والاعمدة التي تحمل الاعتاب « والكمرات » والاسقف لتصنع أسس الهياكل الانشائية بتعدد نظريات تكوينها التي تغيرت ابعادها ونسبها تبعا لتغير مواد البناء ونظريات انشائها فحددت اشكال الوحدات التي شكلت طراز العمارة الفرعونية ومراحل تطور معالمها عبر تاريخها الطويل .**

لقد قدمت العمارة المصرية للعمارة العالمية أول وحدة في تكنولوجيا البناء . وهو قالب الطوب (توبي) .

فقالب الطوب هو أول ابتكار وانجاز حضاري في فن البناء وعلم الانشاء . ابتكره المهندس المصري من ٨ آلاف سنة وحدد شكله وأبعاده التي يحتفظ بها العالم الى اليوم .. وليس هناك من ينكر دور قالب الطوب في تشكيل الطرز المعمارية القديمة منها والحديثة في ناحية من نواحيها التكوينية .

ومع ابتكار قالب الطوب قدم المهندس المصري جميع نظرياته الانشائية التي تناولتها جميع الطرز المعمارية سواء في بناء الاعتاب أو العقود أو القباء أو القباب بمختلف أشكالها الهندسية والرياضية التكوين .

ومهندسو الفراعنه

ومع استعمال الطوب فى البنـاء قدم المصرى لمهنـــدسى العـــالم طرق بياض الحوائط وطلائها وكســـوتها بمختلف البلاطات الطبيعية والصناعية •

وما ينطبق على الطوب كوحدة للبنـاء ينطبق على الحجر بأنواعه واستعمالاته ونظريات انشائه •

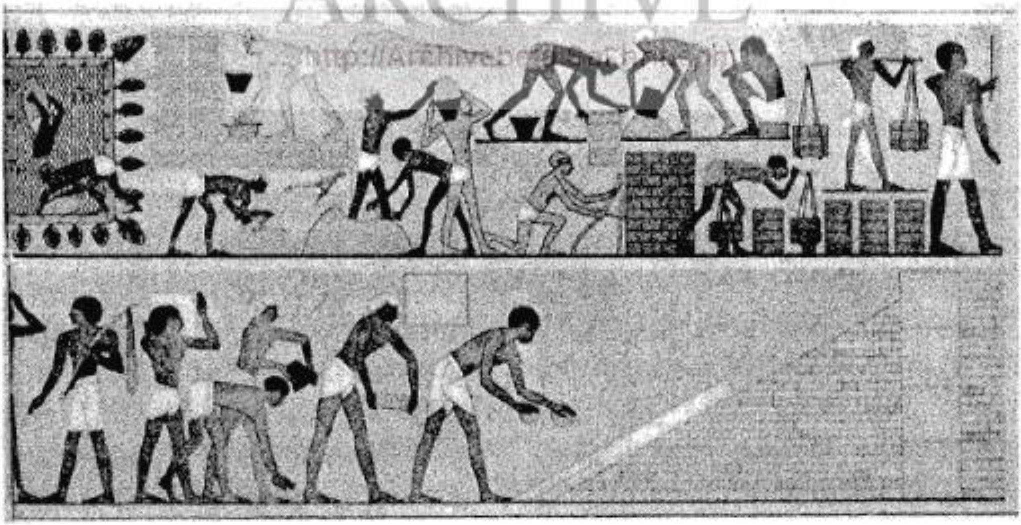
وعرف المهندســـون المصريون كيف يتعاملون مع أقسى الاحجار صلابة وهو حجر الجرانيت ، صنعوا منه أضـخم الاعمدة والمسلات والتماثيل التى يبلغ وزن بعضـــها مئات الاطنان ولم يجدوا صعوبة فى معالجتها ونحتها وصـــقلها ونقلها مئات الكيلو مترات بوســـائلهم العلمية المجهولة لعلماء اليوم •

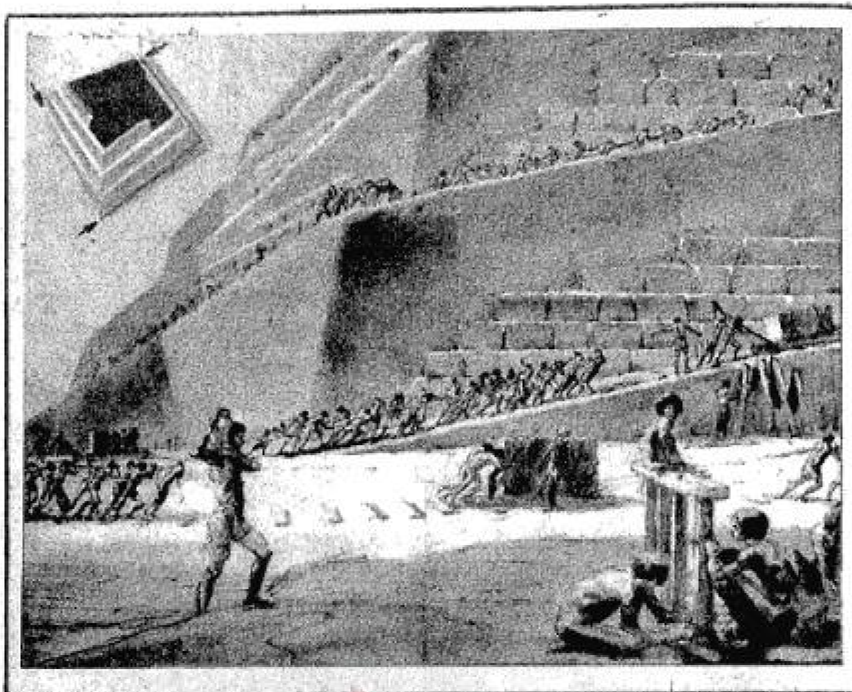
والمهنـــدس المصرى أول من صـــنع « الاعمدة » دعامة جميع الطرز المعمارية فى العالم •• صنعها من جذوع النخيـــل والاخشاب وحزم البوص والطوب والحجر والجرانيت ـ شكلها ورسم تيجانها ـ تلك الاعمدة وتيجانها التى ارتبطت بأشكالها قواعد العمارة الاربعـــة وهى الدوريكى والايونى والكورنثى والمركب التى تنسبها عالم العمارة وتاريخه الى الاغريق ، بينما جميعها وبفن اكثر تطورا لا تزال قائمة وشامخة فى العديد من آثارنا •

فان كانت تكنولوجيا العمارة الفرعونية قد وضعت اساس نظرية الانشـاء المجهز بابتكار « قالب الطـــوب » اول وحدة جاهزة ومصنعة فى علم البناء ، فلا يجب ان ننسى ان بحوثهم العلمية مهدت لهم السبق فى وضع أسس نظريات المساكن الجاهزة والانشاء ســـابق التجهيز فى تخطيط المدن ، فقد طبقوا تلك النظريات فى بناء مدن باكملها • لقد كانت فكـــرة تلك المبانى السابقة التنفيذ اكثر واقعية مما يقـــوم به مهندسو العالم وخبراؤهم اليوم •

ومن اقدم امثلتها التى ظهرت متطورة فنيا واقتصاديا مدينة « خنت كاوس »

بناء الاهرامات يمثل قمة الفن المصرى فى مجـــالات الانشـــاء والهندسة المعمارية ••





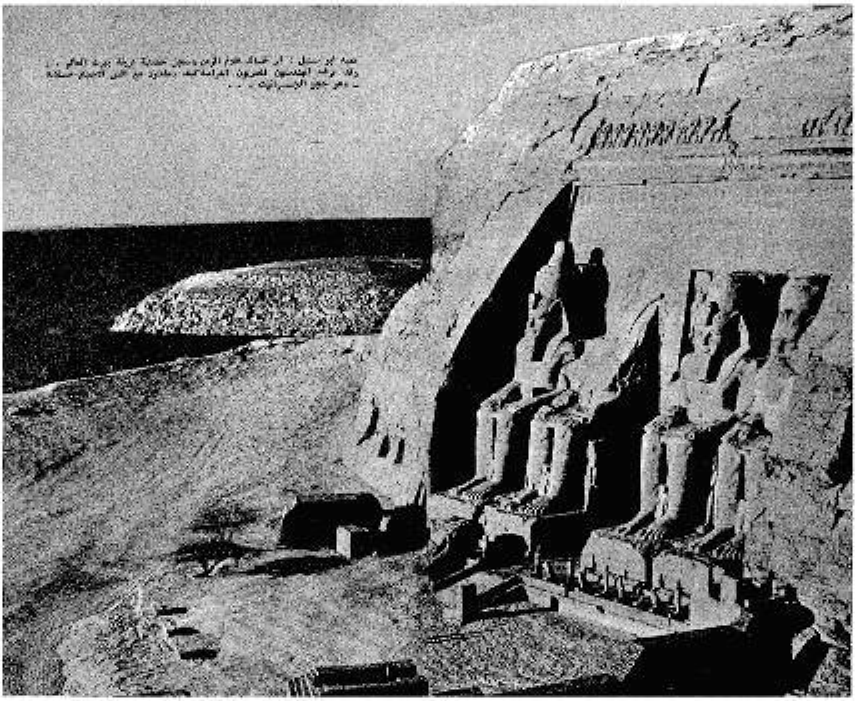
تجلت فنون العمارة اللرمونيقل ببناء الاهرامات باجلى وأروع صورها

احدى المدن التى بنيت فى الاسرة الرابعة ٢٥٦٥ ق٠م التى بنيت لتؤوى عمال بناة الأهرام ومعابدها الجنائزية ٠ كانت فكرة اقامتها بنظرية المساكن الجاهزة للعمل على سرعة اقامتها وتجهيزها ، ثم سهولة فكها بعد الانتهاء من القيام بغرضها ، ثم اهدائها للعمال والفنيين الذين قاموا ببناء الاهرامات ، لينقلوا مساكنهم الى المدن والقرى التى أتوا منها للعمل فى خدمة الاله ٠

قام المهندسون بتحقيق نظرية المساكن السابقة التجهيز بوضع تصميمات المساكن الموحدة المساقط والابعاد والتفاصيل ، كما اعدت نماذج ثابتة وموحدة لجميع أبواب ونوافذ المسكن كذلك الوحدات الجاهزة لاعتاب الفتحات وكمرات الاسقف وبلاطات الارضيات ومجارى المياه والافران وقطع الاثاث وغيرها من مختلف التفاصيل يتعاون العمال على تركيبها وفكها ونقلها بالتعاون والمجهود الذاتى ٠٠

هناك أمثلة أخرى أكثر تطورا وتقدما فى علم المساكن الجاهزة وانتاج الجملة، ظهرت فى مدينة اخناتون بتل العمارنة ، ظهرت فى تنفيذ مشروعات تعمير حى الموظفين ومساكن العمال التى حققت تشييد المدينة فى عامين فقط كما وصفت فى التاريخ ٠ فظهرت بجانب السابقة لجميع اجزاء المبنى ووحدات الشائه نماذج وحدات سابقة التجهيز للاعمدة ودرجات السلالم والمطابخ والوحدات الزخرفية للكرانيش والارضيات ولوحات النقوش والنافورات ، مما أعطى للمدينة طابعا متناسقا خلد اسمها فى تخطيط المدن ٠

يجب الا ننسى ان أول مدينة فى عالم البشرية كانت « أون » القديمة عاصمة مصر الاولى التى وصفها المؤرخ مانيثون بأنها ولدت مع مولد الزمان ، وتنسب بناءها الى « الالهه الذين نزلوا بها من السماء حاملين شعلة المعرفة والعلوم المقدسة الى الارض التى اختارها الاله عام ٩٥٠٠ق٠م » ٠



ومهندسو الفراعنة

وهكذا كلما تعمق الباحثون في دراسة حضارة مصر على ضوء البحوث التكنولوجية تمخضت لهم حفريات آثارها عن مفاجآت علمية جديدة تؤكد قول اميل لودفيج في وصفه لحضارة الفراعنة بأن « لا جديد تحت الشمس » !

مهندسو الفراعنة

١ – كانوفر – ٢٨٥٠ ق.م

أول مهندسي العالم القديم كله ، اطلق عليه اسم الأب الروحي لمهندسي مصر الفرعونية . مهندس الملك خاسخموي آخر ملوك الاسرة الثانية . جمع بين فنون العمارة وعلوم الانشاء وتخطيط المدن . فكان اول من وضع نظريات العمارة بالحجر ، واول من استعمل الطوب كوحدة في علم البناء ، فوضع الكثير من نظريات تطبيق انشائه – وكان اول من استعمل الحجر في كسوة الحوائط المبنية بالطوب في « عمارة الحياة » . التي طبقها في بناء القصور الملكية والمباني العامة وساهم بقسط كبير في تخطيط مدينة منف القديمة وبناء أسوارها . فوضع أول نظريات متقدمة لاستعمال العروق الخشبية والكتل والحصير في صناعة الاسقف . كما كان له الفضل في تصميم « عمارة الخلود » أو مقابر الملوك على شكل المصاطب المركبة كما كان له الفضل أيضا في تنشئة ابنه المهندس « ايمحوتب » الذي يعتبره مؤرخو العمارة أعظم مهندسي مصر القديمة .

٢ – ايمحوتب ٢٧٩٠ ق.م

مهندس الملك زوسر – الاسرة الثالثة – أكمل رسالة والده كانوفر ونظرياته المعمارية والانشائية في استعمال الحجر في فن العمارة وعلم الانشاء . فقام بثورة معمارية كبيرة عندما استعمل الحجر على نطاق واسع في بناء قبر الملك زوسر ومجموعة هرمه ومنشآته الجنائزية ، فأقام أول مقبرة ملكية على شكل هرم مدرج يرتفع ستين مترا ، مكون من ست مصاطب – وهي التي اطلق عليها اسم درجات سلم الصعود الى عرش « الاله »

ويعتبر ذلك الهرم بداية عصر الاهرامات الذي امتد الى بداية الاسرة الثالثة عشرة ، عندما بلغ عدد الاهرامات التي اقيمت فوق أرض مصر ٣٧ هرما تفنن المهندسون المصريون من تلاميذ ايمحوتب واحفاده في وضع تصميماتها وابتكار طرق انشائها .

وأحاط ايمحوتب مقبرة الملك زوسر بسور من الحجر الجيري الابيض به ثلاث عشرة بوابة رمزية وبوابة واحدة حقيقية ويضم السور مجموعة من المباني الجنائزية وقاعة العرش والاحتفالات ومعبدي الوادي وقصري الجنوب والشمال .

نشأ ايمحوتب في مدينة الجبلين بالقرب من الاقصر والتحق بجامعة معبد « أون » حيث درس علوم الفلك والرياضيات والطب واللاهوت . كما انشأ معهدا خاصا لتدريس العلوم المقدسة وارتباطها بعلوم الحياة .

ويحمل ايمحوتب القابا ملكية تدل على انه كان مهندسا ومسجلا للحوليات واديبا وموسيقيا وطبيبا وأمينا لاختام الوجه القبلي والوزير الاول لدى الملك . كما أن هناك ما يشير الى انه تولى مركز الكاهن الاكبر لمعبد « أون » في اواخر ايامه .

ذكر المؤرخ مانيتون عند حديثه عن « زوسر » : « في عهده عاش ايمحوتب ابن كانوفر الذي يعتقد اليونانيون انه اسكليبيوس اله الطب عندهم بسبب مهارته في الطب الذي تحول بفضله الى نوع من المعجزات »

ولم ينس المصريون ايمحوتب بعد وفاته فقد ظل اسمه يتردد في كتابات الدولة الوسطى ويذكرون باعجاب معجزات اعماله في مختلف الفنون والعلوم ويتناقلون اقواله وحكمه ، ويردد المغنون

اشعاره واغانيه ، وفي ايام الاسرة ٣٦ اى بعد موته بالفى سنة قام الناس بتاليهه واطلقوا عليه اسم ايمحوتب بن بتاح . وبنوا له المعابد في جهات كثيرة من البلاد سواء في منف التى خلدت أعماله ودفن بها او فى الصعيد وبلاد النوبة او فى الواحات البحرية . ويرجع بعض مؤرخى العقيدة قيام الناس بتقديس ايمحوتب لعدة قرون بعد وفاته وحتى اواخر الاسر الفرعونية – الى دوره فى نشر عقيدة توحيد الاله « رع » رب الارباب التى نقلها من اون لتصبح عقيدة الدولة فى منف ، متخذا من الهرم رمزا للاله الواحد وهى العقيدة التى اعتنقها كثير من ملوك عصر الاهرامات ابتداء من الاسرة الثالثة بل وعصر الرعامسة حيث كان الملوك والامراء يضيفون الى اسمائهم والقابهم الملكية اسم « رع » .

وفى العصر المتأخر اعتبر المصريون والاغريق ايمحوتب ابنا للاله بتاح رب الفن والصناعة ونائبا عن تحوت رب المعرفة المقدسة والكتابة والقلم ، ولذا فقد اعتبره المتعلمون والكتاب على رأس الحكمة ومن رعاة المثقفين . فكان الكاتب المصرى عندما يكتب موضوعا هاما يتمتم باسمه لاستجلاب الوحى والتبرك باسمه .

كما ينسب بعض الباحثين الى ايمحوتب وضع موسوعة تحوت (هرمس) وأجزائها الاثنين والاربعين التى وصفها المؤرخون القدماء بانها كانت تحوى اسرار المعرفة المقدسة فى مختلف العلوم والفنون والادب من طب وفلك وهندسة ورياضيات وزراعة وصناعة بجانب مختلف علوم حياة المجتمع ومقدسات اسرار الوجود .

وهى المعرفة التى أشار اليها كثير من مهندسى الفراعنة وعلمائهم فى فنون العمارة والطب والفلك حتى السحر ، عندما نسبوا خبرتهم ودرايتهم باسرار المهنة بتوصلهم الى الاطلاع على كتب تحوت المقدسة .

تلك الموسوعة التى كانت حلم البروفسور امرى الذى قضى عشرات السنين فى البحث عن مقبرة ايمحوتب ووافاه الاجل قبل أن يصل الى مدخلها .

وكاتم الاسرار والناطق بالحق وهو ما فسره البعض بانه ابن الملك سنفرو نفسه .

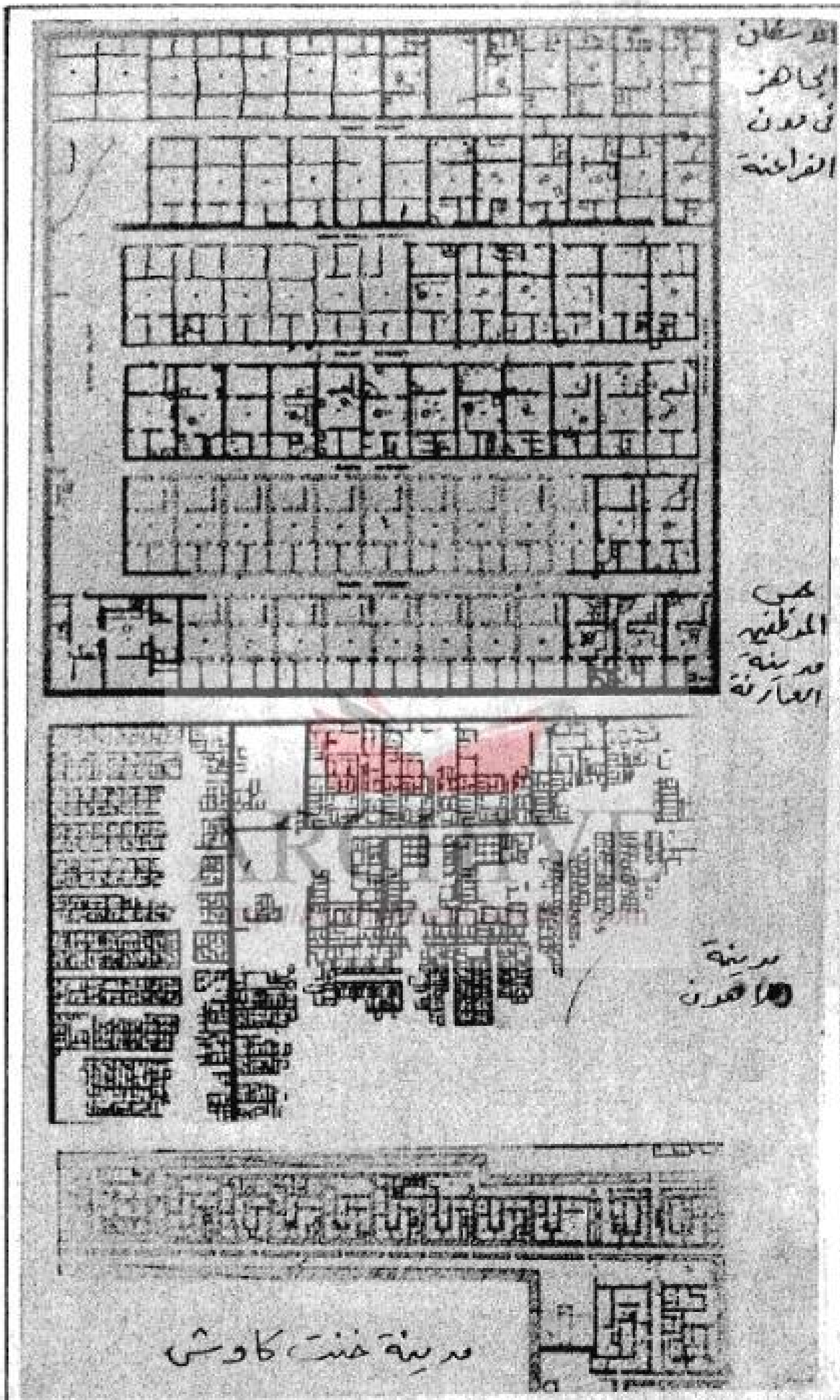
من أهم الاعمال التى قام بها اهرامات ومنشآت منطقة ميدوم فى مقدمتها هرم ميدوم ذو الثماني درجات الذى بداه فى عهد الملك حونى آخر ملوك الاسرة الثالثة واكمله فى عهد الملك سنفرو .

كما قام بخدمة الملك سنفرو ما يقرب من العشرين عاما بنى خلالها هرمين اولهما الهرم المنحنى بدهشور ومعبده الجنائزى ، والهرم الثانى يبعد حوالى كيلو مترين شمال الاول ويعتبر اول هرم كامل فى تاريخ العمارة المصرية .

وقام بتصميم وانشاء معبد الوادى والمعبد الجنائزى للملك .

٣ – رع حوتب ٢٦٨٥ ق.م

من أشهر مهندسى الدولة القديمة . اشتهر باسم مهندس ميدوم حيث اكتشفت مقبرته التى وجد بها تمثاله المشهور مع زوجته الاميرة «نفرت» . وهو من الحجر الجيرى الملون ويعتبر قمة فى فنون الاسرة الرابعة ، ومحفوظ بالمتحف المصرى . ويتميز تمثال رع حوتب وزوجته المهندسة الاميرة نفرت بما يتمثل فى وجهيهما من حيوية فائقة ، ونقاء الوانهما ، والعينان مرصعتان كأنهما طبيعيتان تضفيان على الوجه حيوية وقوة رغم ان خوفو قد أصدر قرارا ملكيا بتحريم اقامة التماثيل فى مقابر الافراد وان تقتصر تلك الطقوس على تماثيل **الملوك والآلهة وكبار الكهنة من انصاف الآلهة ، الا انه من الرجح انه قد سمح باقامة تمثال رع حتب وزوجته لاعمالهما العظيمة فى اقامة الاهرامات والمعابد لتخليد الاله – اسوة بما قام به اجداده باقامة تماثيل ايمحوتب الذى اقام لها**


المساكن
الجاهزة
في مدن
الفراعنة
حي
الموظفين
مدينة
العمارنة
مدينة
اللاهون
مدينة خنت كاوش

الشعب محرابا ومعبدا جنائزيا واعتبر من انصاف الالهة المبجلين باعتراف المعبد اختلف المؤرخون وعلماء الآثار في تحديد أصل رع حتب من النقوش والبرديات التي وجدت بميدوم حيث تركزت أعماله فذكر البعض انه من عامة الشعب وينحدر من أصل كانوفر وايمحوتب وان اعماله العظيمة قربته من الملك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة ، وانه نال لقب الامارة بزواجه من الاميرة نفرت وهي ابنة سنفرو وحرس حتب ام خوفو والاميرة نفرت هي التي قامت بتصميم مقبرة حرس حتب الشهورة وقصورها بسقارة ·

من بين الالقاب التي منحها سنفرو لمهندسه رع حتب تقديرا لاعماله « الابن المخلص ومدير اعمال القصر والمشرف على المنشآت الملكية »

٤ ـ حم ايون ٢٦٥٦ ق·م

أعظم مهندس بناء الاهرامات حيث قام ببناء الهرم الاكبر أول عجائب الدنيا السبع · هو ابن عم الملك خوفو وابن الامير نفر ماعت · تلقى علومه في جامعة اون واصبح أحد كبار كهنتها قبل ان يعهد اليه بناء الهرم الاكبر ومجموعته الجنائزية ومقابر الامراء ·

درس علوم الفلك والرياضيات والغيبيات ، وهي العلوم التي انعكست على تصميم الهرم الاكبر وفسرت الكثير مما اكتنفه من غموض وأسرار ·

لقد وصفت احدى البرديات التي وجدت بمقبرة حم ايون «انه كان مقربا الى الاله وحافظا لكتاب تحوت ومطلعا على أسرار الوجود ومؤتمنا على مقدسات المعبد وكانت له القوة الخارقة في رفع أضخم أحجار البناء الى أعلى الارتفاعات بغير مجهود أو مساعدة »

ينطبق ذلك الوصف الذي تعود الكتاب الى اسناده الى اعمال السحر ـ على الكتل الجرانيتية التي تغطي سقف غرفة الملك بالهرم الاكبر التي يبلغ وزن بعضها حوالى ٧٠ طنا ، نقلت من محاجر اسوان الى الجيزة ثم سحبت من شاطيء النيل الى هضبة الاهرام ورفعت لتحتل مكانها في جسم الهرم ·

لقد أصبحت تلك البرديات وغيرها من برديات السحر موضع دراسة علماء التكنولوجيا الحديثة بعد ما ثبت فنيا وعلميا خطأ جميع النظريات التي ذكرها المؤرخون والباحثون في الماضي من استعمال الزحافات او مختلف الروافع والمنحدرات والقوى البشرية في نقل تلك الاحجار وطريقة بناء الاهرامات ·

لقد فتحت تلك البرديات المجال أمام معاهد البحوث لكشف أسرار الحضارة المصرية القديمة وتفسير ما اكتنفها من غموض والغاز بترجمة كلمة سحر الى تكنولوجيا ، وما يكون معادلاتها من قوى وعناصر ومقومات تلقي ضوءا على علوم المعرفة عند الفراعنة ·

٥ ـ سنجم ايب ٢٥٥٠ ق·م

مهندس الملك اوسركاف مؤسس الاسرة الخامسة · لم يطل حكم اوسركاف عن سبع سنوات قام سنجم ايب خلالها ببناء هرمه في سقارة ومعبده الجنائزي الذي اتمه خلال حكم ابنه الملك ساحو رع خلال حكم ساحورع بدأ في انشاء الجبانة الملكية في ابو صير ، وهناك بنى هرمه الشهور بطابعه الانشائي الفريد في نوعه وملحق به معبد الوادي والطريق الصاعد والمعبد الجنائزي · وسجل على جدران المعبد الحملات العسكرية ضد الليبيين والرحلات التجارية الى سوريا وشواطيء فينيقيا وبلاد بونت ·واقام نصبا تذكاريا في محاجر الديوريت غرب أبو سمبل ·

٦ ـ مري ـ رع ـ مريبتاح عنخ ٢٤٠٢ ق·م

مهندس الملك ببي الاول ـ الاسرة السادسة ـ من أشهر أعماله الهرم الذي شيده للملك في سقارة الجنوبية وتعتبر نقوش ذلك الهرم من أروع ما خلفه ذلك العصر · وقد نقش على جدران مقبرته تدرجه في عمله الوظيفي ابتداء من منشيء

ومهندسو الفراعنه

عال الى مدير المنشئين ، ثم منشىء ملكى ، ثم المهندس الاول بالقصر ، ثم كبير المهندسين ، ثم رئيسا للانشاءات الملكية حتى وصل الى درجة المشرف الملكى على المنزلين أى « مصر العليا والسفلى » .

« ونظرا لما قام به من أعمال عظيمة تسر عين الملك فقد قربه اليه ومنحه لقب الصديق الاوحد وقلده وسام الجدارة ويعتبر من أعلى المراتب وأرقى الالقاب الشريفة » .

٧ – ارتى سن – ٢٠٧٠ ق.م

أعظم مهندسى الدولة الوسطى .

مهندس الملك منتوحوتب الثانى مؤسس الاسرة الحادية عشرة الذى وحد البلاد تحت زعامته بعد أن هزم ملوك اهناسيا وجعل طيبة عاصمة لملكه . ويعتبر حكمه بداية عصر الدولة الوسطى .

قام المهندس « ارتى سن » الذى بدأت علاقته بمنتوحوتب خلال حرب التحرير حيث ساهم فى اقامة المنشآت العسكرية والحصون – قام بثورة فنية ونهضة معمارية كتبت صفحة جديدة وخالدة فى تاريخ العمارة المصرية بعد انقضاء مرحلة طويلة من مراحل أحد عصور الاضمحلال التى بدأت فى أعقاب الاسرة السابعة . فكان لارتى سن الفضل فى وضع أسس طراز عمارة الدولة الوسطى التى مهدت الطريق أمام النهضة المعمارية التى ظهرت فى الدولة الحديثة وعصر الامبراطورية .

بدأت أعمال « ارتى سن » بتخطيط وتعمير مدينة طيبة التى اصبحت عاصمة للبلاد فاقام بها مجموعة من المنشآت والمبانى الدينية التى كانت نواة اقامة معبد الكرنك العظيم الذى ساهم فى بنائه جميع مهندسى مصر العظام فى مختلف العصور طوال الفى عام .

ومن اعمال « ارتى سن » الخالدة اقامة المعبد الجنائزى للملك منتوحوتب بالدير البحرى واختيار موقعه الرائع . وهو أول معبد مكون من مدرجات مفتوحة تطل ساحات اعمدتها على الوادى ، بينما يتوسط ساحته الكبرى هرم تحيط به قاعة الاعمدة الكبرى باعمدتها المائة والاربعين ويظهر الجبل خلف المعبد كصرح عظيم يعتبر جزءا مكملا لتصميم المعبد ويرتبط به ارتباطا فنيا رائعا .

وتقع اطلال المعبد جنوب معبد الملكة حتشبسوت المعروف الذى شيده المهندس **سنموت – فرغم شهرة معبد حتشبسوت العالمية الذى اصبح اكثر اهمية لكثرة ما بقى من مبانيه ونقوشه الهامة فان الذى يعنى بفحص المعبدين سيدرك بلا شك ان معبد منتوحوتب الفخم واعظم من معبد حتشبسوت الذى بنى بعده بستمائة سنة .**

شيد « ارتى سن » للملك منتوحوتب مقبرة بالمعبد الجنائزى بالدير البحرى كما اقام بجوار المعبد مقبرة لشهداء الحرب الذين ماتوا فى معارك حروب توحيد البلاد وامر الملك أن يدفنوا بجواره

واقام « ارتى سن » مقبرة لنفسه فى نفس المكان وجد بداخلها لوحة تمثله وزوجته وأولاده نقشت عليها ألقابه الملكية وما قام به من أعمال جليلة طوال عمله فى خدمة الملك طوال خمسين سنة .

٨ – امنمحعت عنخ – ١٩٩٠ ق.م

ثانى مهندسى الدولة الوسطى المشهورين – مهندس الملك امنمحعت الاول مؤسس الاسرة الثانية عشرة لنقل عاصمة البلاد من طيبة الى عاصمة جديدة بالقرب من منف اطلق عليها اسم (اثت تاوى) أى (القابضة على الارضين) وقام المهندس « امنمحعت عنخ » بالاشراف على تخطيطها واقامة منشآتها الرئيسية والقصر الملكى ، كما قام بتشييد هرم الملك ومقبرته بمنطقة اللشت .

وتقديرا للاعمال الجليلة التى قام بها مهندس الملك قربه الملك اليه واشركه فى ادارة حكم البلاد والاشراف على مشروعات التعمير فى وجهى الوادى ، ومنحه مجموعة من الالقاب الملكية من بينها لقب صديق الملك الامين وموضع ثقته



المهندس رع حتب وزوجته المهندسة الأميرة نفرت ، من أشهر مهندسي الدولة القديمة اللذين تركا بصماتهم واضحة على فن المعمار الفرعوني .

ومهندسو الفراعنة

المقدسة ، كما سمح له أن يحمل اسم الملك نفسه لتكون له حقوق مقدساته الملكية من اقامة التماثيل لنفسه ونقش اسمه على أعماله الخالدة . وقد استن كثير من ملوك الاسرة الثانية عشرة نفس التقليد فكرموا مهندسيهم بأن أطلقوا على كل منهم اسم الملك واطلق على بعضهم لقب الامارة ــ كما هو الحال في اسماء عدد كبير من مهندسي الدولة الوسطى والدولة الحديثة الذين سجل التاريخ اسماءهم الملكية فقط فالتبس على بعض المؤرخين حقيقتهم ، فذكروا اسماء الملوك على انهم أصحاب تصميم وتشييد تلك المنشآت ، وتجاهلهم تخليد اسماء بناتها ومنشئيها . أو بناة الحضارة المصرية .

٩ ــ سنوسرت عنخ ١٩٦٥ ق.م

مهندس الملك سنوسرت الاول ثاني ملوك الاسرة الثانية عشرة . سار على منوال أبيه فكرم مهندسه الاول ومستشاره في الحكم بأن خلع عليه اسمه فعرف باسم « سنوسرت عنخ » . ونظرا لتقرب الملك لكهنة معبد أون والعودة الى توحيد الاله أتوم رع الذي كان يرمز له بالاهرامات التي توقف بناؤها في عهد الاضمحلال ، حاول والده الملك امنمحت بالعودة اليها واحيائها ببناء هرمه باللشت ، فقد كلف مهندسه سنوسرت عنخ بالمساهمة في تعمير معبد اون ومنشآته وبناء محراب للاله باسم الملك .

وتوج أعماله باقامة مسلته المشهورة أمام المحراب والتي يبلغ ارتفاعها ٢٤ مترا ، احتفالا بعيد السد .

واشتهر سنوسرت عنخ بأنه يجمع بين العمارة وفنون النحت والتصوير ولذا فقد قام بنحت مجموعة من التماثيل للملك والمعبودات ، وأقام كثيرا منها في معبد أون ، كما قام بترميم وزخرفة كثير من قاعاته وهياكله هدية من الملك لاله المعبد وكهنته .

١٠ ــ مردى ١٩٥٠ ق.م

ثاني مهندسي الملك سنوسرت الاول ، وامتدت أعماله لتغطي حقبة طويلة من حكم أبنه الملك امنمحت الثاني . بينما تركزت أعمال سنوسرت عنخ في مشروعات مباني أون الدينية والتذكارية بجانب مباني الحياة التي تشمل القصر الملكي والمباني العامة والسكنية فقد تركزت اعمال مردى في انشاء مجموعة سنوسرت الهرمية في اللشت والمدافن الملكية فيما عدا مقبرة الملك التي شيدها سنوسرت عنخ بنفسه

وقد عثر للمهندس مردى على لوحة في حفريات اللشت نقش عليها « أمرني الملك ان ابني له مكانا ابديا يكون اسمه اعظم من روستاو (جبانة أهرام الجيزة) وافخم من أي مكان في المنطقة المقدسة العظيمة » .

كما وجدت له لوحة اخرى في حفريات دهشور سجل عليها انه قام باقامة مبنى خالد يقاوم الزمن ويعيش ابد الدهر بناء على امر سيده ابن الالهة » مما يرجح انه مهندس هرم امنمحت الثاني **بدهشور والمماثل في** طريقة انشائه **وفن بنائه لهرم والده** الملك سنوسرت **الاول .**

١١ ــ انتف ١٨٤٠ ق.م

مهندس الملك امنمحت الثالث ــ ساهم في منشآت مشروعات الري الكبرى من بناء السدود والقناطر والجسور حول بحيرة قارون التي تحولت الى أعظم منطقة زراعية بعد تجفيف ٣٠ ألف فدان وتنظيم ريها وزراعتها .

وفي مقدمة أعماله الانشائية العظيمة اقامة هرم هوارة والمعبد الشرقي ذي الالف حجرة الذي أطلق عليه «هيرودوت» اسم « اللابرانت المصري » تشبيها بقصر اللابرانت الكريتي الشهير .

وقد اجمع كتاب الرومان والاغريق الذين رأوه انه كان منقطع النظير ، وانه كان يفوق المعابد المصرية جميعها من حيث عظمته ومساحته ونقوشه وتماثيله وعدد غرفه التي لا تحصى ، وكانت اموال قارون الاسطورية تحتل جزءا من خزائنه السرية .

● للبحث بقية ●

بعد عام

مبارك المغربي السوداني
الخرطوم

تولى العام يا دنياى لم تعطف ولم تسأل !
ولم تر كيف حال الحال منذ لقائنا الاول !
ومازودتنا - حتى القليل - لعامنا المقبل !
لانك لم تكن تدرى
بما قد جد من امرى !
وان هواك - يا لهواك - أضحى غاية المأمل !

***

تولى العام والايام تعصف بالمنى عصفا !
فامسى قربنا بعدا واصبح امننا خوفا !
كتمت هواك لكن حال من يهواك لا يخفى !
فوا هم الذى يهوى
ومن لايعرف السلوى
ومن لا زال بعد الجود يرجو اللين والعطف !

***

صفاؤك يانبيل النفس اذكى حر وجدانى !
وسحرك - باعداك السحر - اشجانى واوهانى !
وهجرك - يا سقاك الحب - زاد لهيب نيرانى !
ولكنى على العهد
بلا رد .. بلا وعد
فما ترجوه من قلب صبا من حب انسان

***

تولى العام لم ار وجهك الزاهى اناجيه
وقلبى - يالهذا القلب مشغول بما فيه !
وعندى من حديث الحب مارقت حواشيه !
فمن يشجيه الهامى
ومن يصغى لانغامى
وانت بكل ماتحويه فى دل وفى تيه !!

عميد الأدب العربي في ذكراه

طه حسين .. وأدب المسرح ..

● جلال العشرى ●

ما مر في هذه الدنيا بنو زمن
الا وعندى من أنبائهم طرف
أبو العلاء المعرى

هذا البيت الشعرى الذى انشده ابوالعلاء ، والذى ردده من بعده ومجدد ذكراه ، طه حسين ، بمقدار ماينطبق على شاعرنا القديم ، ينطبق على عميد ادبنا الحديث ... والفرق مابين الاثنين هو ان الانباء التى كانت عند شاعر المعرة ، لم تكن شيئا بالقياس الى الانباء التى صارت عند اديب عزبة الكيلو ، التى لاتبعد عن مدينة مغاغة الا بكيلومتر واحد !

فكما اتصل الادب العربي القديم بالثقافات الاجنبية القديمة عند طه حسين اتصل الادب العربي الحديث عنده أيضا بالثقافات الاجنبية الحديثة ، وكما كان أول عمل تولاه فى الجامعة المصرية هو أستاذ التاريخ القديم ، اليونانى والرومانى فقد بقى فى هذا المنصب الى أن أصبح أستاذا لتاريخ الادب العربى فى كلية الآداب ، ومن خلال هذا المنصب الاخير بسط طه حسين اشعاعاته فى الفكر والثقافة ، فى الآداب والفنون فى التاريخ والحضارة ، حتى كان بحق عميدا لادبنا العربى الحديث ...

ولم تكن قفزة فى الظلام ، تلك التى قام بها طه حسين ، عندما عقد العزم على أن يخوض معركة العبور الى ثقافة الغرب ، ليغزو هذه الثقافة فى منابعها ، ويستوعب أروع مافيها وأنفع ، ليعود الى دياره مناديا بسياسة الانفتاح الثقافى على آداب الغرب وفنونه ، احياء لأدبنا العربى القديم فى ضوء مناهج البحث الاكاديمية ، وتطعيما لأدبنا العربى الحديث بالثقافات الأجنبية المعاصرة .

وكانت نقلة كبيرة وخطيرة التى انتقل اليها أدبنا العربى ، وحمل لواءها طه حسين فاذا كانت آثار محمد عبده وقاسم أمين والمويلحى وعبد الله نديم والبارودى وحافظ وشوقى ومطران ، تمثل نهاية عصر ، فقد جاءت كتابات شباب الادب من الجيل الناشىء فى أوائل القرن ، من طه حسين وكذلك العقاد والمازنى وهيكل وسلامة موسى ممثلة لبداية عصر جديد .

ويكفى أن نطل اطلالة عابرة على فنون الادب فى ذلك الحين ، لندرك مدى ماكان فى هذه النقلة من عمق وخطورة ، فحتى



د . طه حسين : اشعاعات متألق الفكر والثقافة

طوالع هذا القرن ، كان ادبنا العربي ينقسم الى شعر ونثر ، وكان الشعر قديما يحاول التجديد ، وكان النثر كتبا يسيرة وفصولا تنشر في الصحف ، بعضها يمس السياسة ، والبعض الآخر يمس الحياة اليومية ، والبعض الاخير يحاول التعرض لشئون الاجتماع ، اما القليل فهو ما كان يفرغ للأدب الخالص .

وكان عندنا تمثيل نستعير قصصه من اوروبا ولا نكاد نجيد عرضه على النظارة ولعلنا كما يقول طه حسين كنا نسيء الى فن التمثيل اكثر مما كنا نحسن اليه ، ذلك لأننا كنا نشهده للهو وقطع الوقت ، ولا نرقى به الى مرتبة الادب الرفيع . وصحيح ان البعض حاول ان يحدث في الادب فنا جديدا ، حاول المويلحي ان يبدع في فن القصة ولكنه انشا المقامة الطويلة ، وحاول حافظ ان يتحدث الى سطيح ولكنه لم يصنع شيئا ، وحاول شوقي ان يقلد الشعراء التمثيليين الاوروبيين فكتب الشعر ، ولكنه على حد تعبير طه حسين « غنى فاحسن الغناء ، ولكنه لم يمثل الا قليلا » ، بمعنى أنه لم يكتب مسرحا وانما كتب شعرا .

ولهذا كله ، الحت الحاجة الى تجديد ادبنا العربي ، وتطعيمه بفنون الادب التمثيلي ، فالثقافة العربية في عصور ازدهارها لم تعرف العزلة ولم تعترف بالانغلاق ، ولم تكد تخرج من نطاق شبه الجزيرة حتى انطلقت الى أفق الثقافة العالمية في ذلك الحين ، الى أن أصبحت هي نفسها لغة الثقافة العالمية في العصور الوسطى ، فاذا أرادت أن تعود من جديد لغة للثقافة العالمية ، فلابد لها من أن تستأنف ذلك الحوار الثقافي بينها وبين ثقافات العالم ، وبالذات بينها وبين الثقافة اليونانية ، على اعتبار أن هذه الثقافة هي أهم الثقافات الاوروبية الحديثة جميعا .

ومن هنا كان اقتناع طه حسين بضرورة العودة الى الينبوع ، لأننا لن نستطيع أن نفهم المحدثين الا في ضوء القدامى ، لن نفهم شعر كورنى وراسين الا اذا قرأنا هزيود وهوميروس ، ولن نفهم مسرح موليير وجيرودو واندريه جيد ، الا اذا

طه حسين .. وأدب المسرح

طالعنا مسرح اسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس ، بل لن نفهم فلسفة اوجست كونت الوضعية الا اذا رجعنا الى أصول فلسفة ارسطو .

وهكذا جاءت يونانيات طه حسين ، او كتبه اليونانية الثلاثة : « صحف مختارة من الشعر التمثيل عند اليونان » ١٩٢٠ و« نظام الاثنين » ١٩٢١ و « قادة الفكر » ١٩٢٥ ، وهي كما هو واضح من عناوينها تغطي ثلاثة ميادين ، لايمكن عزل الواحد منها عن الاثنين الاخرين ، الا وهي الادب والسياسة وتاريخ الحضارة .

أما الكتاب الاخير فيعبر عن فلسفة طه حسين في تاريخ الحضارة ، وكيف أن قيادة المجتمعات كانت أولا في أيدي الشعراء ، ثم انتقلت الى أيدي الفلاسفة ، الى أن وصلت الى أيدي الحكام المفكرين ، على أن القائد شاعرا كان او فيلسوفا او حاكما مفكرا ، لم يكن نسيج وحده ولا فريد عصره ، بمقدار ماكان تعبيرا عن بيئته وافرازا لواقع مجتمعه ، وهذا هو أساس اختياره لمن اختارهم من القادة .. هوميروس وسقراط وافلاطون وارسطو والاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر .

وأما الكتاب الثاني فهو ترجمة دقيقة كاملة ، لنص من أهم نصوص التاريخ اليوناني القديم ، يقدم مفهوما واضحا لمعنى الديمقراطية ونشأتها وتطورها باعتبارها دعامة من أهم الدعامات في الحياة السياسية القديمة والحديثة على السواء .

وأخيرا يجيء الكتاب الاول الذي عرف بعد ذلك باسم « من الادب التمثيلي » ترجمة لمسرحيات عميد الدراما الاغريقية .. سوفوكليس ، وهي .. .. الكترا ، واياس ، وانتيجونا ، وأوديب ملكا ، وأوديب في كولونا ، وفيلوكتيتس ، وهي المسرحيات التي أقامت مجد المسرح الاغريقي ، وأثرت تأثيرها البالغ في مسرح عصر النهضة بل وفي المسرح الاوروبي الحديث .

وكان هذا كله بمثابة القاعدة النظرية والتطبيقية للانتقال الى المسرح الاوروبي الحديث على اعتبار أن هذا المسرح لا يمكن فهمه أو تذوقه الا بالعودة الى ينبوعه الاصيل في الدراما الاغريقية ، وتأسيسا على ذلك قام طه حسين بترجمة بعض روائع المسرح الفرنسي،فترجم «أندروماك» لراسين، و « زاديج » لفولتير و « أوديب وتيسوس وبروميثيوس غير محكم الاغلال لاندريه جيد .

●●●

ولم تقف جهود طه حسين عند هذا الحد ، من ترجمة روائع المسرحين الاغريقي القديم والفرنسي الحديث ، بل تصدى للتعريف بأعمال مسرحية كثيرة ، فرنسية او مترجمة الى الفرنسية ، وهي الاعمال التي أتيحت له فرصة حضورها في المسرح ، او مطالعتها في الالستراسيون وهي التي ضمنها كتاب « صوت باريس » واعيد نشرها في كتاب بعنوان « من ادب التمثيل الغربي » وفي كتاب آخر بعنوان « من هناك » .

أما الكتاب الاول فقد عرض فيه طه حسين بالتلخيص والتحليل لمسرحيات «برسيفونيه» لاندريه جيد، و«سميراميس» لبول فاليري . و « فوز الشعب » لجول رومان و «الطائر الحديث » لستان برنار، وغيرها من المسرحيات الفرنسية ، بالاضافة

الى مسرحيات أخرى مترجمة الى الفرنسية مثل « كارل وأنا » للكاتب الالمانى ليونارد فرانك ، و « العرق الذهبي » للكاتب الايطالى بيراندللو و « الدائرة » للكاتب الانجليزى سومرست موم ·

وأما الكتاب الاخر فقد عرض فيه طه حسين لمسرحيات أخرى كثيرة أهمها ماكان لادمون جيرو ، وادوارد بورديه ، وبول هرفيو ،وليوبولد مارشان ، وجاك ديفال وبول نيفوا ، وفرانسوا دى كوديل ، وقد يبدو لنا أن بعض هذه الاسماء غير لامعة فى سماء المسرح الفرنسى ، وأن مسرحيات أصحابها بالتالى لايمكن أن تكون من روائع هذا المسرح ، والواقع أن طه حسين بمقدار ماكان حريصا على تقديم روائع المسرح الفرنسى ، كان حريصا فى ذات الوقت على تقديم أعمال أخرى أقل فى المستوى ؛ ليقيم عليها الدرس بالنسبة لمن يحاول كتابة المسرح فى أدبنا العربى الحديث ·· « ولعلك تسألنى لماذا اخترت هذه القصة التى لا تخلو من ضعف وعيب، ولى على هذا السؤال جوابان : اولهما أن من الخير الا نلخص جياد القصص وآيات التمثيل ، بل قد يكون فى اختيار القصص المتوسطة مايمكننا من النقد ويمكننا كذلك من تثقيف الشباب فى هذا الفن الذى لم تستقر به الديار عندنا بعد » ··

وكان طه حسين فى هذا كله يشعر بأهمية هذا الدور وضرورته ، أهمية ادخال الادب التمثيلى فى ثقافتنا العربية وضرورة تربية الذوق العربى على استطعام مثل هذا الفن من فنون التعبير : « فليس لنا أدب تمثيلى عربى مصرى ، أو غير مصرى نستطيع أن نعتمد عليه ، ونطمئن اليه ونكتفى به ، وليس لنا أدباء يعنون بترجمة الادب الاجنبى أو نقله الى لغتنا ، وانما أقصى ما نصل اليه ، أن نلخص ونحلل ونتكلف هذه الصورة المقاربة التى قد تعطى القارىء فكرة عن بعض الادب الاجنبى »·

***

وكم كان عميد أدبنا العربى يشعر بالسخط والألم ، لخلو العربية من هذا الادب المجيد أدب التمثيل ، سواء على



نجيب الريحانى

صعيد الخلق والابداع أو على صعيد النقل والترجمة ، وهو ماعبر عنه بقوله : « وكم كنت أحب أن تقوم الترجمة مقام التلخيص ، بعد أن حرمنا الكتابة والانشاء وكم كنت أحب وقد حرمنا الترجمة أيضا أن ينهض بتلخيص الآداب المختلفة قوم يحسنونها ويتقنون لغاتها اتقانا ، ويلخصونها من أصولها تلخيصا مباشرا ، لا من تراجمها تلخيصا بالواسطة ان صح هذا التعبير » ·

من هنا كان حرص طه حسين وقد تولى الاشراف على الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية أن ينجز من خلال صفوة من الادباء المترجمين ، ترجمة الاعمال الكاملة لعملاقى الشعر التمثيلى على كلا طرفى بحر المانش شكسبير الانجليزى وراسين الفرنسى ، حتى تكون روائع هذين الشاعرين فى متناول القلة الكاتبة والكثرة القارئة ، وهى الروائع الكلاسيكية التى تجىء من حيث القيمة الادبية والتطور التاريخى ، بعد الروائع الاغريقية ، وذلك كله تمهيدا لتذوق الاعمال الحديثة والمعاصرة ·

وبالفعل صدرت مسرحيات شكسبير فى ثمانية مجلدات تسبقها دراسة وافية

طه حسين .. وأدب المسرح

لحياة وآثار شكسبير فى كتاب بعنوان « التعريف بشكسبير » عهد بتاليفه الى عملاق أدبنا العربى عباس محمود العقاد • كما صدرت بعدها مسرحيات راسين فى اربعة مجلدات تضم اثنتىعشرة مسرحية ، منها احدى عشرة ماساة وملهاة واحدة •

ومع هذا كله ، لم ينقطع طه حسين عن التصدى لروائع المسرح الفرنسى الحديث بالعرض والنقد والتقييم ، بلغته المشرقة وأسلوبه الساحر وتذوقه الرفيع ، منطلقا من الشعور بالمسئولية الثقافية والواجب القومى بازاء هذهالروائع ، فهاهو فى كتابه « الوان » يتحدث عن المرأة فى أعمال فولتير ، كما يناقش قضية الالتزام من خلال تناوله لكتاب « ما الادب ؟ » لجان بول سارتر ومكانة مؤلفات سارتر الادبية والدرامية من خلال فلسفته الوجودية بعامة ، ومبدأ الالتزامبوجه خاص، وكذلك يتناول بالنقد والتقييم رواية « الوباء » لالبير كامى بحيث ينتهى الى تفضيل مسرحيتى « كاليجولا » و « سوء تفاهم » على هذه الرواية •

وهاهو أيضا فى كتابه « فصول فى الادب والنقد»يتناول بالافاضة مسرحيتين موضوعهما واحد ، أو يوشك أن يكون واحدا ، وعنوانهما واحد أو يوشك أن يكون كذلك ، ومذهب الكاتبين فيهما واحد ، وهما « ارتجال فرسايل » لموليير و « ارتجالباريس » لجان جيرودو وتكمن أهمية هذا التناول فى محاولة طه حسين أن يضع أسسا للادبالمقارن بعامة والادب المسرحى المقارن بنوع خاص ، وهو ماكان يعد حدثا منهجيا جديدا فى تلك الايام •

وفى هذا الكتاب نجد عرضا وافيا يلتقى فيه النقد والتقييم لمسرحية جان جيرودو الشهيرة « انترميزو » التى ترجم طه حسين عنوانها بعنوان « بين بين » •

وكانما كان هذا كله تمهيدا لاستزراع الادب التمثيل فى أدبنا العربى ، والالحاح على ضرورة الاهتمام بهذا اللون من الآداب الذى لم تخل منه الآداب القديمة ولا خلت منه الادابالحية • هذا اذا كنا نريد لأدبنا أن يكون حيا هو الآخر ، متنوع القوالب متعدد الاساليب ، يمضى فى كل اتجاه ، ولا يكتفى بالسباحة فى قناة واحدة احدى ضفتيها الشعر والضفة الاخرى هى النثر

لهذا كانت حفاوة طه حسين بالغة ، باستقبالاول عملناضج فيادبنا المسرحى وهو « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، الذى يعد البداية الحقيقية لادبنا التمثيلى بمقدار ما تعد رواية « زينب » للدكتور هيكل البداية الحقيقية لأدبنا الروائى •

على أن حفاوة طه حسين بمسرحية « أهل الكهف » لم تحل دون نقدها ذلك النقد العنيف ، الذى فرق فيه الناقد العميد او العميد الناقد بين الادبالمسرحى حين يكتب ليقرأ ، وبين هذا الأدب حين يكتب ليمثل ويقدم لجمهور النظارة ، فعنده أن أدب المسرح لايحقق هدفه ولا يتحقق اكتماله مالم يكن صالحا للاداء التمثيل ، وما لم يقدم فوق المسرح ، ومن ثم راح يعيب على مسرحية «أهل الكهف» مايعوق صلاحيتها للاداء التمثيل ، فقد غلبت الفلسفة وغلب التهمر على الكاتب حتى نسى ان للنظارة حقوقا يجب أن



عباس العقاد
والتعريف بشكسبير



توفيق الحكيم : وحفاوة
العميد بأهل الكهف

تراعى ، فاطال على حد تعبيره فى بعض المواضع وكان يجب ان يوجز ، وفصل فى بعض المواضع وكان يجب ان يجمل ، وتعمق فى بعض المواضع ، وكان يجب ان يكتفى بالاشارة ، وعند طه حسين أن « هذا العيب عظيم الخطر لانه يجعل القصة خليقة ان تقرا لا أن تمثل »

●●●

واذا كان **طه حسين** قد رحب بمسرحية « **اهل الكهف** » فها هو يرحب بمسرحية « **براسكا او مشكلة الحكم** » ترحيبا أكبر لأنه اذا كانت « **اهل الكهف** » هى البداية الحقيقية لأدبنا المسرحى ، وكانت قد مضت فى الاتجاه التراجيدى ، وهو احد شطرى عمود التاليف المسرحى ، فقد جاءت « **براسكا او مشكلة الحكم** » افتتاحا للاتجاه الآخر ، وهو الاتجاه الكوميدى ، وهذا ماعبر عنه **طه حسين** فى كلامه عن هذه المسرحية لتوفيق الحكيم بقوله : « وحسبه على كل حال انه قد أضاف الى آثاره القيمة أثرا جديدا ، ووصل فيه اسباب أدبنا المصرى الحديث بأسباب الكوميديا اليونانية ، وليس هذا بالشىء القليل » .

واذا كان **طه حسين** قد اهتم بالاعمال المسرحية المطبوعة فى كتب ، فقد اهتم بالمثل بالاعمال المسرحية المعروضة فوق المسرح ، فاهتمامه بالادب التمثيل لم يحل بينه وبين الاهتمام بالفن التمثيل ، حتى يكتمل على يديه شطرا المعادلة المسرحية ، وهذا مانجده بشكل واضح فى شهريات مجلة « **الكاتب المصرى** » حيث كان العميد يوالى بنفسه حضور المسرح ، وتغطية عروضه والاشادة بجهود الممثلين ، وحق الدولة على رعاية الفن المسرحى .

فهاهو يعرض لمسرحية « سلاح اليوم » للفنان الكوميديا المصرى الاول نجيب الريحانى ، فيقول عن هذا الفنان بعد ان يعرض للمسرحية : « والاستاذ الريحانى معلم يعرض دروسه الاجتماعية والخلقية على المصريين منذ اكثر من ربع قرن ، وهو فى الوقت نفسه صاحب فكاهة رائعة حلوة مرة فى وقت واحد ، يسلى المصريين عن همومهم واحزانهم العامة والخاصة منذ اكثر من ربع قرن ايضا ، فليعرف المصريون له ذلك وليقدروه قدره » .

ولا يكتفى العميد بهذا بل نراه يحث الدولة على الاهتمام بفن المسرح ، باعتباره من الفنون الرفيعة ، الجديرة بكل عناية ورعاية حتى على المستوى الجامعى ، فهو يقول ماكان يعد صرخة جريئة فى ذلك الحين ، وربما الى الآن : « وانه لمن المؤلم حقا أن ينفق الاستاذ الريحانى حياته كلها معلما للمصريين ومسليا لهم عن الهموم والاحزان ، وأن يؤثر المصريون انفسهم بدروسه وفكاهته دون أن يجد من الدولة عناية أو تشجيعا ، والغريب أن الدولة تفكر فى انشاء جامعة شعبية ، ولتعذرنى الدولة اذا قلت أن مسرح الاستاذ الريحانى هو خير قسم من اقسام هذه الجامعة الشعبية » .

وتلك هى عظمة طه حسين العميد بحق لحركتنا المسرحية الحديثة ، رحابة الافق وحساسية الوجدان ، ويقظة الوعى ، وحيوية الشعور بضرورة التجديد ، وأهمية الانفتاح على آداب الغرب وفنون العصر ، ومن أكثرها اهمية أدب التمثيل وفن المسرح .

●●

شاعر همه الحاضر والمستقبل ..

رتسوس شاعر اليونان

● ماهر شفيق فريد ●

● حوى احد الاعداد الاخيرة من مجلة « مقالات عن اللغة والادب » الامريكية التى تصدر عن جامعة الينوى الجنوبية مقالات عن موضوعات متباينة : الشاعر الميتافيزيقى الانجليزى أندرو مارفل ... الرت . س . اليوت عل ارنست همنجواى .. فاتحة «حكايات كانتربرى» لابى الشعر الانجليزى تشوسر ، ومقاله عن شاعر يونانى حديث سنتوقف عندها هنا ...

فتحت عنوان « الماضى الكلاسيكى فى مونولوجات يانيس رتسوس الدرامية » كتب الناقد اليونانى كوستاس ميرسايديس ، استاذ الادب الانجليزى بكلية ولاية وست تشستر ، بنسلفانيا ، يقول : على حين نجد الماضى ماثلا فى كل ادب تقريبا ، فانه لا يؤكد ذاته بقوة متغلغلة تفوق ما نجده فى الادب اليونانى الحديث . ففى فترة التطور الكبرى التى طرأت عل هذا الادب منذ ١٩٣٠ الى وقتنا الحاضر ، خلق اغلب شعراء اليونان الكبار شعرا مشربا بالماضى الكلاسى والهلنستى الى الحد الذى لا يمكن معه تقييم اعمالهم تقييما جديا دون رجوع الى ذلك الماضى .

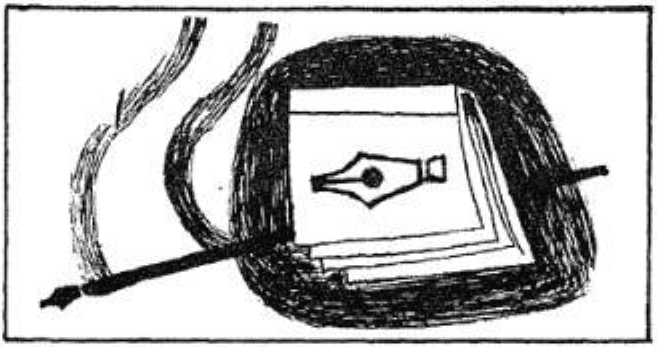
والشاعر اليونانى رتسوس (الذى ترجم بعض قصائده الى العربية الدكتور نعيم عطية) ـ ينظر الى الانسان الحديث على انه حصيلة لامكانات ماضيه . ولئن لاحت هذه الامكانات مختفية فى الحاضر، لقد كان واجب الانسان الحديث اذن هو ان يفجر فى ذاته مرة أخرى ذلك المنبع البطولى لعنصره كى يجعله مؤثرا فى المستقبل .وكما انه لابد للانسان الحديث فى اعمال رتسوس من ان يرفض الثقل الساحق لاساطير الماضى التى تذله وتضائل من قامته، فكذلك ينبغى أن يكون له رأى فى تقرير مستقبله ، وألا يكتفى ـ مثل الشاعر جورج سفيرس ـ بتحمله

ان رتسوس يرفض نظرة سفيرس، الارستقراطية المتشائمة ، وهى نظرة تعكس توترا كبيرا فى الشعر المكتوب منذ الحرب العالمية الثانية ، وترى فى الماضى معيارًا للعظمة ، وزن الانسان الحديث بازائه فوجد ناقصا ... انه ـ بعبارة اخرى ـ يرفض اعتقاد سفيرس المضمر بانه لا سبيل للتفكير فى المستقبل لانه ليس للانسان الحديث مستقبل ...

ان اهتمام يانيس رتسوس الباقى انما هو بالحاضر ومعناه للمستقبل . وعلى ذلك فانه ينظر الى الماضى على انه وسيلة لمعالجة مشكلات العصر بحياد تاريخى ، وعبء ينبغى التغلب عليه فى آن واحد .

ان الهوية التاريخية لشعب من الشعوب ـ يؤكد رتسوس ـ توجد فى عقله المعاصر . وعلى الانسان الحديث ان يرتاد جوانب ماضيه كما لو كان حاضرا ـ اى متزامنا مع الحاضر ـ وليس كما لو كان ظلا منذرا بالشؤم .

ان الحدث المعاصر يزداد حدة حين يرد



الى احداث في الماضي ، مشربا اياهـا بالعصرية . وعلى الانسان الحديث ـ بحسب هذه النظرة ـ اما ان يكيف الماضي مع كشوف الحاضر ويكتشف الزمن على انه كل واحد ، وبذلك يحرر ذاته من عبء ماضيه الاسطوري ، أو ان يظل الى الابد عبدا للزمن ولغيره من البشر .

كتب رتسوس سلسلة كلاسيكية من أحد عشر مونولوجا دراميا عنواناتها : البيت الميت / تحت ظل الجبل / اجاكس فيلوكتيتس / اجاممنون / خروسوتيمس هيلين / اسمين / برسفوني / أورست / عودة افجينيا ... وفي هذه الاعمال يبدأ رتسوس بأن يجرد الاساطير الكلاسية من قدمها . ففي قصيدة « فيلوكتيتس » يخبرنا بأن مهاد القصيدة هو جزيرة لنوس « ربما » . ونفس هذا الافتقار الى التحدد يتجلى في قصيدته الدرامية « دمار ميلوس » أن هذه القصيدة القائمة على مذبحة سكان مدينة ميلوس ، على أيدي حلفائهم الاثينيين كما وصفها المؤرخ ثوكيدا يديز في كتابه « حروب البلوبونيز » ، تصور ثلاث عجائز فقدن حسهن بالزمن يعشن مع ذكرياتهن في ميلوس معاصرة ، متوحدة ومعزولة .

وفي قصيدة « البيت الميت » ، اذ يستعيد الشاعر الماضي الاسطوري من خلال ارتباطاته بأحداث وموضوعات ليس موقعها من الزمن في حد ذاته بالامر المؤكد يترك قارئه معلقا في الزمن ، لا يدري ان كان ما يصف قد وقع قبل ميلاد المسيح أم هو من نبت الامس القريب .

● **لرمنتوف :**

ومن شعر اليونان في القرن العشرين ننتقل الى الرواية الروسية في القرن التاسع عشر ، حيث نطوف باحد الاعداد الاخيرة من مجلة « منبر دراسات اللغات الحديثة » الاسكتلندية ، التي تصدر عن جامعة سانت أندروز . بهذا العدد مقالات عن الفيلسوف الاسكتلندي ديفيد هيوم ، والشاعر ادوين ميور في نقده للشاعر الالماني هولدرلين ، ورواية « الفلاح محدث النعمة » للاديب الفرنسي ماريفو . ثم هناك مقالة عنوانها « عناصر شيطانية في خلق بتشورين في رواية لرمنتوف « بطل من زماننا » . بقلم هيلي فالني .

ولرمنتوف ـ كما هو معلوم ـ روائي وشاعر روسي من القرن التاسع عشر صور في روايته « بطل من زماننا » (التي نقلها الى العربية المرحوم سامي الدروبي) نموذجا « هاملتيا » حديثا لبطل روسي معذب يعكس أزمات الضمير الحديث .

تقول كاتبة المقالة : منذ ظهرت رواية لرمنتوف لاول مرة عام ١٨٤٠ والبعض يرميها بالرومانسية ، بينما يرميها آخرون بالاسراف في الواقعية الاجتماعية . ونتيجة لذلك غفل النقاد الى حد كبير عن القيمة الادبية لاستخدام الرواية عنصر الشيطنة الاسطوري . . . ●

أفكار للمناقشة من أجل ..

إحياء التراث العربى

● عبدالمنعم محمد عمر ●

التراث ، هو ما خلقته حضارة امة من الامم منذ بداية وجودها وصراعهـا في سبيل التطور والارتقاء فى سلم المدنية .. فهو الانتاج الحضارى الذى انبعث من خصائص ومميزات هذه الامة المتأثرة بالبيئة التى نشأت فيها ، وبما مر بها من تجارب واحداث طبعتها بطابع خاص ، فكونت لها ثقافتها وخلقت لها مميزاتها التى ميزتها عن غيرها من الامم ، كما كونت لها انماط عاداتها وتقاليدها واخلاقها التى تمتاز بها .

والتخطيط لاحياء التراث بهذا المعنى الواسع الذى ذكرناه يحتاج الى تضافر لفيف كبير من الباحثين بحيث يتناول كل واحد منهم الناحية التى يتخصص فيها ، ولذلك فسيكون بحثنا فى هذا المقال مقصورا على التخطيط لاحياء التراث العربى المحفوظ فى المخطوطات ، وذلك لانها هى الوعاء الذى احتفظت فيه الحضارة الاسلامية العربية بتفكير علمائها ، وانتاج ادبائها وحكمائها ، وشعر شعرائها ، وما ألفه غيرهم من قادة الفكر فى جميع انواع العلوم والفنون والمعارف منذ بزوغ النهضة العلمية الثقافية فى فجر الاسلام .

ولهذا التراث العظيم المحفوظ فى تلك المخطوطات نواح علمية وروحية وادبية وفنية وثقافية متعددة نذكر منها :

ا ـ التراث من الانتاج الفكرى العلمى وهو الذى كان له اثره فى خلق العلوم التى استعان بها المسلمون على بناء الحضارة وهو الذى ساعد على التغلب على المصاعب والاخطار التى اعترضت سبيلهم فى هذه الحياة ، ومكنتهم من التغلب على البيئة الطبيعية التى عاشوا فيها والسيطرة عليها ، فقد درسوا الارض وما عليها من حيوان ونبات وجماد وماء وغازات ، وما تحتها من مختلف المعادن والثروات ، ومايحيط بها من هواء ، وما فوقها من سماء بما فيها من شمس وقمر وكواكب وافلاك ، ثم درس الانسان العربى نفسه من جميع النواحى ...

٢ ـ وتراث الانتاج الفكرى الروحى والادبي هو الذى سما بالانسان وارتقى به جيلا بعد جيل ، وهو الذى يميز كل أمة عن الاخرى ، لان الشعوب تعبر به عن القيم الروحيه والثقافية وفلسفة العادات والتقاليد الموروثة .

وتعتبر اللغة اهم عناصر هذا الانتاج، لانها هى الوسيلة التى اتخذها الانسان للتفاهم مع غيره ، وللتعبير عن انتاجه الفكرى ، وعما يجيش فى صدره من معان وافكار وآراء ، وهى الوسيلة التى استعان بها لحفظ انتاجه الفكرى ، ونقله عبر الاجيال والعصور عن طريق الحفظ فى الصدور ، وعن طريق التدوين والتسجيل بالكتابة فوق الحجارة ، وعلى مبانى المعابد والهياكل والتماثيل ، ثم على المخطوطات التى حفظها لنا ورق البردى والرق والجلد المدبوغ والورق،وغير ذلك مما حفظه لنا التراث الذى تعتز به كل امة من امم العالم .

٣ ـ والتراث الفنى هو ذلك الانتاج الذى خلفته الاجيال المتعاقبة من ابناء الشعب على مدى تاريخه منذ بدايته حتى عصرنا هذا ، لتعبر به عن نفسها بواسطة الفنون المختلفة ، مثل الرسم والنقش والتصوير ، والنحت ، وانواع الخط ، والتذهيب ، والفولكلور ، والموسيقى ، وغير ذلك من الفنون التى لا يسهل حصرها ، ولم يكتف الانسان بانتاجها ولكنه دون لها أوصافا ، وسجل عنها افكارا ، وهذا النوع من التراث هو وسابقه من اهم المميزات التى تميز أمة عن غيرها من الامم الاخرى .

● احياء التراث واثره فى نهضة الشعوب ●

اذا اجمعت امة من الامم على ان تنهض بنفسها ، فان اول ما تلجأ اليه هو البحث فى منبع اصالتها ، الضارب فى اعماق تاريخها لتستخرج من تراثها ما يفيد فى تجديد شبابها ، وما يصلح ان تتخذ منه دعامة لنهضتها ، لان هذا التراث هو الجذور التى اذا احسن تعهدها ورعايتها فى الارض التى خلقت فيها فانها تنمو نموا قويا ، وسرعان ما تزدهر ، وبذلك تجتاز الأمة محنتها ، وتتغلب على ما يصادفها من عوائق ، والتاريخ مملوء بالنهضات التى اعتمدت فيها الشعوب على تراثها لخلق يقظة فكرية تسمو بها .

وقد ضربت الاجيال الاولى من المسلمين اروع الامثلة ، فى خلق الحضارة الاسلامية وبنت ذلك على التعاليم والروح الجديدة السامية التى اتى بها الدين الاسلامى ، ذلك انهم ادركوا ، منذ الوهلة الاولى فى حياتهم الجديدة ، ان الدين الاسلامى وما يحوى من تعاليم سامية هو الذى وحد صفوفهم ، وخلق منهم لاول مرة فى التاريخ امة واحدة ، متاهبة للسير صفا واحدا ، وقلبا متحدا نحو هدف سام واحد ، ولها حكومة مركزية موحدة تقودهم نحو هدفهم ، وان هذا الدين هو الذى اخرجهم من رعى الغنم والابل فى وديان وواحات شبه الجزيرة العربية الى ملك متسع الاطراف وجاه عريض ، ولذلك فانهم اقبلوا على دراسته ، واتخاذ كل الوسائل للمحافظة عليه ، مما ادى الى نهضة ثقافية علمية الغرض منها هو المحافظة على الدين الاسلامى ، والعمل على نشره وبيان اصوله وتعاليمه .

وكانت اولى وسائلهم هى الاستعانة بالتراث الجاهلى ، وقد جلس علماء الصحابة والتابعين ، بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى يعلمون الناس أمور دينهم ، فيفسرون لهم القرآن الكريم ويستنبطون منه الاحكام الشرعية ، معتمدين فى ذلك على معرفتهم بالسنة النبوية ، وعلى علمهم باللغة العربية والشعر الجاهلى ، ولذلك « كانوا يحضون الناس على رواية الشعر الذى هو حكمة العرب فى جاهليتها واسلامها ، وديوانها الذى اقامته مقام الكتاب لما تقدم من مآثرها وايامها ، فكانوا يتناشدونه فى مجالسهم ، ويتذاكرونه فى محافلهم (١) ».

وكان هؤلاء الرواد الاوائل يحفظون الحديث الشريف حفظهم للقرآن الكريم عن ظهر قلب ، كما يحفظون الشعر

---

(١) ابو بكر محمد بن حسن الزبيدى : مقدمة كتاب طبقات النحويين واللغويين .

الجاهلي ، متأثرين في ذلك بالعادات والتقاليد الموروثة عن الجاهلية في حفظ التراث وانتقاله من جيل الى جيل ، وهكذا نمت شجرة العلوم الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية ، وظلت تلك العلوم والآداب والمعارف تنتقل طوال عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية من صدر علماء الصحابة الى صدور تابعيهم حتى تطورت النهضة الحضارية الاسلامية الاولى الى الاعتماد ، بجانب الحفظ في الصدور ، على التدوين .

وفي أواخر الدولة الأموية بدأت ترجمة العلوم والآداب التي ورثها المسلمون عن تراث حضارات الامم القديمة دون تشجيع من الخلفاء الامويين ، ولكن العباسيين نهجوا منهجا آخر ، فقد اقبلوا هم واولادهم ووزراؤهم ، واقتدى بهم كبار الموظفين والاغنياء ، على دراسة العلوم **والمعارف عند الشعوب القديمة وعلى تشجيع ترجمتها الى اللغة العربية ، واقبلوا على ذلك اقبالهم على تشجيع دراسة العلوم الدينية الاسلامية والتاريخية** وعلوم وآداب **اللغة العربية، فكانت هذه هي النهضة العلمية الثقافية الثانية التي اعتمد فيها المسلمون على تراث الامم القديمة** في بناء صرح **الحضارة الاسلامية ، اذ التقت** وتعاونت الثقافات **والعلوم القديمة بالعلوم والثقافة العربية الاسلامية** ، وبذلك انفتحت آفاق **واسعة للبحث والتأليف والترجمة امام المسلمين وامام من كان تحت حكمهم من النصارى النساطرة ومن اليهود ، وبدأت ثمار هذا اللقاء تؤتي أكلها ، فازدهرت الحضارة الاسلامية ازدهارا عظيما ، وتضخم الانتاج الفكري ، وانتشرت الكتب المخطوطة في شتى العلوم والفنون والمعارف عند المسلمين « واقبل العرب على اقتناء الكتب المخطوطة اقبالا منقطع النظير يشبه الى حد كبير شغف الناس في عصرنا هذا باقتناء السيارات والثلاجات واجهزة التليفزيون ! ..**

« واصبحت الكتب عند العرب هي مطلب كل من يستطيع تحمل نفقات الحصول عليها ، واقبل الناس على اقتنائها بلهفة متزايدة لم يعرف لها التاريخ من قبل مثيلا ، ونمى العشب في الأرض الطيبة ففي عام ٨٩١ م يحصي مسافر عدد دور الكتب في بغداد باكثر من مائة ، وبدأت كل مدينة تبني لها دارا للكتب يستطيع عمرو او زيد من الناس استعارة ما يشاء منها (١) » .

ويقدر الخبراء أن عدد ما بقي من مخطوطات التراث العربي المبعثرة في شتى انحاء العالم بمليونين من المجلدات، وانه يوجد منها في مكتبات اسطنبول وحدها وفي متاحفها الوطنية ما يزيد على ثلث هذه الكمية من المخطوطات . . .

● التراث العربي واثره في الحضارة الانسانية ●

نكتفي في هذا الموضوع بذكر النواحي الآتية :

اولا : كان لترجمة تراث الحضارة العربية في أسمى مستوياتها الى اللغة اللاتينية والى غيرها من لغات الشعوب الاوروبية ، كان لذلك أكبر الاثر في احياء عصر النهضة الاوروبية ، واخراج تلك الشعوب من ظلمات القرون الوسطى وهذا هو الاساس في بناء الحضارة الانسانية المعاصرة .

ثانيا : كان أساس النهضة الروحية والتعليمية التي شملت جميع نواحي المجتمع في البلاد العربية في العصور الحديثة هو الاعتماد على احياء تراث السلف في أزهى عصوره ، فقد اعتمد على ذلك المصلحون من امثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب .

---

(١) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦

ثالثا : الاستعانة باحياء التراث العربى تساعد على حل المشاكل المدنية التى تواجه الشعوب العربية نتيجة للحضارة المادية التى وفدت عليها من الغرب والشرق وبخاصة فى المجالات الآتية :

١ ـ محاربة التيارات الشرسة الوافدة من الشرق والغرب بغرض محاولة القضاء على الاسلام وعلى اللغة العربية وعلى القيم الانسانية فى المجتمع الاسلامى .

٢ ـ حل مشاكل المدنية المعاصرة التى خلفتها الحضارة المادية الاوروبية فى العصر الحديث وذلك بالاستعانة بالتراث الدينى وبخاصة فى الفقه لتنظيم مشاكل الحياة بما يتفق مع مبادىء الدين الاسلامى مثل تنظيم اعمال البنوك ، وشركات التامين وتنظيم النسل ، والسفور والحجاب وتنظيم العلاقات مع الدول الاخرى غير الاسلامية .

رابعا : تطوير النهضة الفكرية الحديثة فى العالم العربى والاسلامى والاستعانة بالتراث فى انجاز الكثير من المشروعات الثقافية والعلمية التى يتطلبها التقدم الحضارى مثل :

١ ـ اصدار دائرة معارف اسلامية يكتبها المسلمون .

٢ ـ اصدار دائرة معارف للآثار الاسلامية .

٣ ـ كتابة المعاجم المختلفة لجميع العلوم والفنون وبخاصة ما يحوى المصطلحات العلمية منها .

٤ ـ كتابة تاريخ العلوم والفنون الاسلامية كل منها على حدة مما يبين مدى ما اسهم به المسلمين فى بناء الحضارة الانسانية .

● التخطيط لاحياء التراث العربى ●

اذا اجمع المسلمون أمرهم على احياء التراث العربى الذى لا يزال قسم كبير منه حبيسا فى المخطوطات المبعثرة فى شتى مكتبات العالم ومتاحفه وفى حيازة الهيئات والافراد ، فلابد من التعاون . بين جميع البلاد العربية والاسلامية تعاونا مبنيا على التخطيط العلمى المدروس دراسة يقوم بها المختصون لوضع المنهج الصحيح واقتراح الوسائل التكنولوجية الحديثة ثم توفير الاموال اللازمة للتنفيذ ، واهم عناصر التخطيط هى :

اولا : جمع مخطوطات التراث العربى .

يتضح مما ذكرناه ان المنهج السليم للتخطيط لاحياء التراث العربى يجب ان يسير وفق خطوات تبدا بالعمل على تجميع مخطوطات هذا التراث المبعثرة فى أرجاء العالم على أن نبدأ على النحو التالى :

١ ـ يعنى كل بلد عربى بتجميع ما يملك من هذه المخطوطات ، فيبدأ بتسجيلها سواء فى ذلك ما كان فى المكتبات او المتاحف او المساجد او فى بعض المنشآت أو عند بعض الافراد . وقد سبق لدار الكتب المصرية ان أعدت مشروع قانون يضمن تحقيق ذلك ، كما يضمن لحائزى هذه المخطوطات حقوقهم . وعرض المشروع على « مجلس الامة » ووافقت عليه لجنة الخدمات (انظر ملحق الجلسة الخامسة عشر بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٩٦٨) ـ واوصت باصداره ، ولكنه لم يصدر .

٢ ـ المخطوطات التى لا تزال موجودة فى اماكن لا تستطيع صيانتها بالطرق العلمية الحديثة ولا تستطيع تيسير عرضها لانتفاع العلماء والباحثين بها ـ يحسن نقلها الى المكتبة القومية أو الى أقرب مكتبة تكفل كل ذلك ...

٣ ـ تسربت غالبية مخطوطات التراث العربى من بلادها الى مختلف ارجاء العالم ، للظروف التى شرحناها من قبل ، وثلث مجموع الموجود منها فى العالم كله محفوظ فى تركيا ، وليست هناك وسيلة لاسترداد هذا التراث ، وبعض تلك البلاد لا تجد الوسيلة الكافية للمحافظة عليه والمرجو أن تضع البلاد

العربية خطة لتصوير هذا التراث بالوسائل التقنية الحديثة وفق خطة مدروسة ، علما بأن جميع الجهود التي سبق بذلها في هذا السبيل لم توفق الا لجمع مصورات جزء صغير من تلك المخطوطات .

٤ ـ يمكن أن تنشىء احدى الدول العربية ، أو أن تتعاون كلها على انشاء مركز ثقافي في اسطنبول يعنى بدراسة مخطوطات التراث العربي المحفوظ هناك وترتيب تصويرها وفق حاجة العلماء والباحثين اليها .

٥ ـ نرجو أن نوجه النظر الى أن الكتب العربية المطبوعة . وكذلك الجرائد والدوريات التي صدرت في الأقطار العربية في بداية نهضتها الحديثة ، هي اهم مراجع دراسة نشأة هذه النهضة . وكذلك دراسة تطور العلوم والفنون في هذه البلاد منذ فجر تاريخها المعاصر ، ولذلك ينطبق عليها كل ما نقترحه من أجل مخطوطات التراث العربي .

ثانيا : المحافظة على مخطوطات التراث بالطرق العلمية .

١ ـ أن المحافظة على كل ما نستطيع جمعه من مخطوطات التراث وترميمها ، وقتل الحشرات التي قد تصيبها ، وكذلك ترميم الجرائد والدوريات القديمة ، ان ذلك أصبح علما تجريبيا له قواعده ، ويحسن الاعداد لدراسة كل ذلك والتدريب على تنفيذه، ويحسن أن توفد البعثات اللازمة للمشتغلين بذلك من أبنائنا ، علما بأن قانون تسجيل المخطوطات السابق ذكره يلزم دار الكتب القومية بترميم وصيانة ما يمتلكه الحائزون الآخرون .

وقد سبق أن أنشأت دار الكتب في الستينات قسما لهذا الغرض واستقدمت له خبيرا ، واوفدت بعض الشبان للتدريب في الخارج ، وحبذا لو حذت المكتبات الجامعية التي تمتلك المخطوطات حذو دار الكتب القومية . .

٢ ـ للمحافظة على المخطوطات التي نمتلكها ينبغي ان نصورها بالوسائل العلمية الحديثة التي تطورت تطورا كبيرا في الحقبة الاخيرة ، فيمكن ان تصور بالميكروفيلم ، او ان تصور على الورق مباشرة وغير ذلك ، ولكل طريقة ميزاتها ومضارها ، فالميكروفيلم يحتاج الى بذل عناية خاصة والى دقة عند حفظه . وتستطيع كل مكتبة ان تقرر انجع الوسائل وأرخصها بالنسبة لظروفها .

٣ ـ عند التصوير بالميكروفيلم يحسن ان تحفظ صورة في المكتبة التي تملك المخطوطات وترسل الصورة الثانية الى المكتبة القومية ، وبذلك تتحقق المزايا الآتية :

(أ) الاحتياط ضد الكوارث أو الحوادث غير المنتظرة .

(ب) ضمان جمع مخطوطات التراث في مكان متوسط لمساعدة الباحثين من ارجاء الجمهورية .

(ج) اذا اتبعت هذه القاعدة في الأقطار العربية الاخرى تستطيع المكتبات القومية ان تتبادل اعارة المصورات بما يضمن توسيع وتيسير سبل الاستفادة منها .

٤ ـ يحسن أن تساعد الدول الغنية الدول التي لا تستطيع ان تملك الوسائل الحديثة بوحدات متنقلة لتصوير مخطوطات التراث ، وقد قامت دار الكتب المصرية بتصوير بعض المخطوطات من اليمن الشمالية .

ثالثا : الوسائل البيليوغرافية للتعريف بالتراث .

ان التعريف بمخطوطات التراث ، واماكن وجودها شرط أساسي لازم لجميع العلماء والباحثين حتى يقصد كل واحد منهم المكان الذي يجد فيه المخطوط الذي يحتاج اليه لاتمام بحوثه ونحن ننصح من التجارب باتباع ما يأتي :

١ ـ تقوم كل مكتبة عند تسجيل مخطوطاتها على النحو الذي ذكرناه ، بارسال نسخة من كل بطاقة تنجزها الى المكتبة القومية ، وبذلك تجمع هذه

المكتبة اصول فهرس مجمع المخطوطات الموجودة في بلادها .

٢ ـ تقوم كل مكتبة قومية عربية بنشر فهرس كلما تجمعت لديها المواد الكافية لاصداره .

٣ ـ يقتضي الامر وضع سياسة مدروسة للتنفيذ ، ووضع قواعد موحدة يلتزم باتباعها المكتبات في القطر الواحد ، وفي البلاد العربية الاخرى وبخاصة في النواحي التالية :

(ا) هل تقتصر الفهارس التى تصدر على ذكر بعض المعلومات الضرورية لوصف المخطوط والتعريف به ، وذلك تيسيرا لانجاز هذا المشروع الضخم ، واسوة بالفهارس التي اصدرتها دار الكتب المصرية عن المخطوطات التى اقتنتها بين سنة ١٩٣٦ ـ سنة ١٩٥٢ ؟

(ب) ام هل يكون الفهرس شاملا للمعلومات الوصفية الوافية عن كل مخطوط مثل المعلومات الواردة في فهرس مخطوطات مصطلح الحديث الذى اصدرته دار الكتب سنة ١٩٥٦ ؟

(ج) او هل يحسن وضع قواعد تكون وسطا بين الإيجاز والاطناب ؟

(د) ضرورة الاتفاق على قواعد ترتيب أسماء المؤلفين العرب في الفهرس حتى تصدر فهارس المؤلفين وفق قواعد موحدة .

٤ ـ العناية بجمع نسخ من فهارس اكثر المكتبات التى تقتنى مخطوطات عربية في مكان مخصص لذلك في المكتبة القومية وفي بعض المكتبات الجامعية حتى يستطيع العلماء والباحثون معرفة المكان الذى يوجد فيه نسخ كتاب معين أو جزء من ذلك الكتاب . وقد سبق أن جمعت دار الكتب المصرية عددا كبيرا من فهارس المكتبات الاخرى في حجرة خاصة يسرت للباحثين الاستعانة بها كما اصدرت فهرسا يعرف بما جمعته منها .

٥ ـ العناية بترجمة ونشر المراجع الببليوغرافية الهامة التى تصدر عن التراث العربى الموزع في ارجاء العالم ، وقد قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بترجمة ونشر ستة اجزاء من كتاب بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، وكذلك نشرت هيئة الكتاب في مصر مجلدين من ترجمة مؤلف فؤاد سزكين ونحن نرجو لكل من يعمل في هذا الميدان التوفيق في اتمام ما يبدأ بعمله في فترة زمنية مناسبة .

٦ ـ ينبغى أن تنصرف جميع الجهود لتيسير اطلاع الباحثين على المصورات وان يكون الاطلاع على المخطوط نفسه في حدود ضيقة جدا عندما يريد الباحث او المحقق وصف المخطوط ، ولذلك نرجو العناية بما يأتى :

(ا) لصعوبة الاستفادة من الميكروفيلم يجب أن تيسر كل الصعوبات بحيث يحصل المحقق او الباحث على مصورة مكتوبة على الورق دون ارهاق مادى ، ويمكن تيسير ارسال المصورة الى مكتبة عامة او جامعية قريبة من الباحث عن طريق الاعارة ثم استردادها بعد الانتهاء منها .

(ب) العناية بتوزيع ما ينشر من فهارس المخطوطات على المكتبات العامة والمكتبات الجامعية في جميع ارجاء البلاد ، وبذلك نيسر لهذه المكتبات ان تصبح مركز بحث علمى للتراث ، ولا يحتاج المحقق او الباحث الى كثرة النزوح الى المكتبة القومية بالقاهرة او الى عواصم البلاد العربية .

٧ ـ الاستعانة بالمجلات العلمية والادبية لنشر اخبار ما نعثر عليه من المخطوطات الجديدة او من مصورات لنفائس المخطوطات ، او للاعلام عن الفهارس المختلفة التى تنشر ويحسن تخصيص باب في تلك المجلات لذلك . وحبذا لو امكن تخصيص مجلة لموضوعات التراث العربى واحيائه .

٨ ـ يجب أن يكون بين دار الكتب القومية والمكتبات والهيئات الاخرى المهتمة بالتراث العربى خارج الجمهورية صلات تبادل وتعاون وثيق في المعلومات، وعن المطبوعات على اختلاف انواعها، وان

يكون كل ما تجمعه من تلك المعلومات ميسرا للجامعات في مصر والمكتبات الاخرى التى تهتم بمخطوطات التراث مثل مكتبة الاسكندرية ومكتبة الجامع الازهر .

٩ ـ المرجو ان تعنى المكتبات المصرية التى تملك مجموعات من اوائل الكتب العربية المطبوعة او من اوائل الدوريات والجرائد العربية . المرجو ان تعنى بارسال بطاقات تفهرس لما تقتنيه منها الى دار الكتب القومية حتى تستطيع هذه الدار اصدار الفهارس المجمعة لما هو موجود فى مصر من هذه المطبوعات النادرة استكمالا لجهودها السابقة فى التعريف بهذين النوعين من التراث .

رابعا : التراث من الدوريات والجرائد وصيانته .

هذا النوع من التراث من اهم انواع الوثائق التى لا غنى عنها لدراسة تاريخنا الحديث والمعاصر من جميع نواحيه ، وهو من اكثرها حاجة الى العناية بحفظه ، فهو مطبوع على نوع من الورق سريع التلف ، وليس من اليسير الاحتفاظ به امدا طويلا ، وتيسير البحث فيه صعب من عدة نواح ، فليس من السهل نقله من مكان لآخر ، كما ان تصوير احدى مجاميعه على الورق ليس امرا سهلا .

واهم ما ننصح به لهذا التراث :

١ ـ ضرورة استكمال مجاميع الجرائد والدوريات المخرومة ويمكن استكمال ذلك عن طريق التبادل مع المكتبات بالاعداد الزائدة عند كل منها مما يصلح لغيرها .

٢ ـ ضرورة تصوير هذه المجاميع بالميكروفيلم للاحتفاظ بها فى المكتبة .

٣ ـ تيسير الاطلاع على الاصول تحت رقابة مشددة للمحافظة عليها .

٤ ـ تيسير تصوير بعض المقالات على الورق مساعدة للباحثين .

خامسا : احياء تراث وثائق التاريخ القومى الحديث والمعاصر .

الوثائق هى المنبع الذى يمكن ان تؤدى دراسته الى فهم تاريخنا القومى واعادة بحثه وكتابته على اساس علمى صحيح ، ويمكن أن تغنى مؤرخينا عن الاعتماد على اساتذتهم الغربيين الذين يكتبون دائما مستعينين بوثائق منحازة ضد العرب والمسلمين . والعناية بجمع هذه الوثائق وتنظيمها وتيسير بحثها ليست حتى الآن كافية .

وسنحاول ان نوجز الكلام فى هذه النواحى نظرا لان عناصر هذا الموضوع تحتاج الى دراسة مطولة :

١ ـ الحاجة ماسة لرسم الخطة الكفيلة بجمع وثائق تاريخنا القومى الحديث والمعاصر من أماكن وجوده فى الجهات الحكومية المختلفة ، وكذلك ما هو موجود لدى الافراد من وثائق ومذكرات . واهم هذه الجهات هى : دار المحفوظات بالقلعة ، دار الوثائق القومية ، رياسة مجلس الوزراء ، ارشيفات الوزارات والمصالح الحكومية وبخاصة وزارة الخارجية ووزارة الاوقاف والمحكمة الشرعية العليا ، وملفات القضايا السياسية التي اعتبرتها السلطات البريطانية جنائية ابتداء من ثورة مصر بقيادة عرابى وثورة مصر سنة ١٩١٩ وما بعدها .

٢ ـ تزخر ارشيفات كثير من البلاد الاوروبية والامريكية وكثير من مكتباتها بالوثائق التى توضح علاقاتها بالبلاد العربية والاسلامية . وتملك تركيا مجموعات ضخمة من الوثائق المكتوبة باللغة العربية وباللغة التركية القديمة ، وهذه كلها وثائق تجب دراستها من وجهة النظر العربية لاعادة كتابة تاريخنا القومى ، ولذلك فان الحاجة ماسة لجمع اكثر مايمكن جمعه من صور هذه الوثائق او ما نشر منها .

٣ ـ ضرورة العناية بترميم وصيانة وتنظيم كل ما نستطيع جمعه من داخل البلاد ومن خارجها ثم فهرسة ما نجمع ثم نشره تيسيرا للبحث العلمى .

٤ ـ اقامة بناء ، وفق احدث النظم ، لحفظ وتنظيم الوثائق الموجودة

حاليا ويتسع لما نستطيع جمعه من الداخل والخارج ولما يستجد منها في المستقبل ، كما يوفر الاماكن الصالحة للدارسين وللمراجع الهامة التي يحتاجون اليها ، وضرورة تزويد هذه الدار بما يلزمها من آلات التصوير والاستنساخ الحديثة ، ويحسن ان يكون هذا المبنى بجوار مبنى دار الكتب القومية .

٥ ـ العناية بتوفير المترجمين الذين ينهضون بترجمة الوثائق المكتوبة بلغات لا يتيسر لكثير من الباحثين معرفتها مثل الوثائق المكتوبة باللغة التركية القديمة .

٦ ـ نشر مجموعات الوثائق التي زالت سريتها بعد الفترة المقرر فيها هذه السرية ، ويكون النشر في فترات منتظمة وكذلك نشر ما يمكن ترجمته من الوثائق الاجنبية .

٧ ـ نشر الفهارس التي تعرف لما يمكن جمعه من الوثائق او صورها .

٨ ـ وضع الخطة اللازمة للنهوض بمستوى حفظ الوثائق في ارشيفات الوزارات والمصالح الحكومية .

سادسا : احياء تراث البرديات العربية وصيانته .

التراث البردي نوع من اهم انواع مخطوطات التراث العربي ، لانه اصل من الاصول اللازمة لدراسة تاريخ مصر الاسلامية . ويوجد منها مجموعات كبيرة بدار الكتب القومية . وقد اختار المستشرق جروهمان مجموعة منها وكتب عنها للدار بحثا في عشر مجلدات باللغة الانجليزية ، ونشرت الدار ترجمة عربية لاغلب هذه المجلدات ، ولكن جروهمان لم يعن بتسجيل هذه المجموعة ولا بفهرستها ، ولذلك انتدبت الدار الدكتور عبد العزيز الدالي احد الخبراء المصريين في الستينات وقام بتسجيل قسم كبير منها تسجيلا علميا ، وفهرس لكل ما سجل فهرسة وصفية دقيقة وفق القواعد التي اقرتها الدار بالاتفاق مع هذا الخبير .

ويوجد في كثير من المكتبات الاوروبية مجموعات من اوراق البردي العربية مثل مجموعة الارشيدوق رينر المحفوظة في المكتبة الاهلية بفيينا ، واغلب تلك المجموعات لم يستكمل تسجيلها ولا فهرستها ، ونحن نستطيع ان نحيي هذا التراث وبخاصة الموجود منه في مصر حتى يمكن ان نخدم دراسة التاريخ الاسلامي ، وذلك على الوجه التالي :

١ ـ تسجيل وفهرسة المجاميع التي نمتلكها استكمالا للجهود التي بدأتها دار الكتب القومية ، وكذلك المساعدة في تسجيل وفهرسة بعض المجموعات المحفوظة خارج مصر .

٢ ـ تصوير المجموعات التي نملكها بالوسائل الحديثة ، وكذلك اخذ نسخ مصورة بالميكروفيلم مما يحتفظ به غيرنا وبخاصة ممن نساعدهم في تسجيل وفهرسة ما يملكون .

٣ ـ تيسير دراسة هذه المجموعات بكافة الوسائل وبخاصة باستنساخ صور على الورق منها وتكبير هذه المصورات عند اللزوم .

٤ ـ التشجيع المجزي على نشر هذه الدراسات الفنية على غرار ما فعلت دار الكتب القومية مع المستشرق جروهمان ، فقد قامت بنشر هذه الدراسات على نفقتها ، وكافأت الباحث عن كل جزء مكافأة مالية مجزية .

● الخاتمة

واخيرا ... فان وضع الخطة الاستراتيجية لاحياء التراث العربي تستلزم دراسة الكثير من الموضوعات الهامة ، ولكل منها ميادينه الفسيحة ، وقد حاولنا جهد الطاقة ان نوضح معالم الطريق ، آملين ان يكون في هذا البحث ما يساعد على رسم السياسة والتخطيط لاحياء التراث العربي تخطيطا يقوم على العلم الحديث والتطور التكنولوجي المعاصر .

● عبد المنعم محمد عمر ●

المدير العام لدار الكتب والوثائق المصرية ووكيل وزارة الثقافة السابق ، ورئيس لجنة احياء التراث بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية

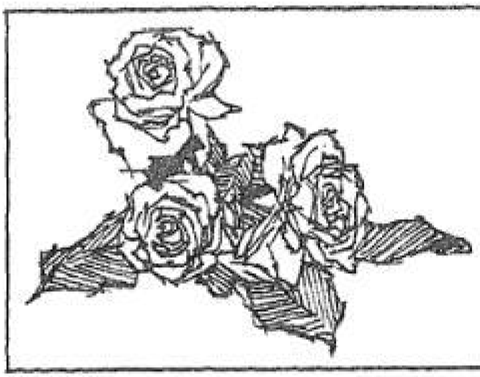
عودة العمر

● ابراهيم صبرى ●

كشفَ الوجدُ عن القلب القناعْ
ووشى بالورد عِطرٌ منه ضاع
فليقل مَن شاءَ ما يحلو له
لم يَعُدْ فى الأمر سر لا يذاعْ !
حبنا جاوزَ أرضا ... وسما
كيفَ لا ينطق بالشدو فما !؟
لم تبح الودَّ ... ومدى حبنا
لم يَعُدْ فى الناس شىء لا يُباعْ !
قد شربنا الحبَّ بالكون جميعا
ومنحت القلبَ خلدا وربيعا
كيف لا يضحى لكِ الدهرُ مطيعا
نظرة منكِ .. هيَ الأمر المطاعْ !

***

فانظرى يا بهجةَ الدنيا إليّا
تشهدى عرسَ المنى فى مقلتيّا
والهوى .. والعود للحن تهيّأ
راقصَ الايقاع مشبوبَ اليراعْ !
عادَ لى العمرُ الذى أدبر عنّى
عاد غضًّا باسمَ الثغر يغنّى



حالماً ما خِلتُه ضيَّعَ مني
أتُرى شيءٌ – وعندي الحبُّ – ضاعْ ؟

لم يَضِعْ من عمريَ الماضي ثوانِ
إنه ارتدَّ فتيّاً في كياني

إنني أحياهُ في عمقِ الزمانِ
عبقريَّ السحرِ موصولَ المتاعْ !

كل شيء في الدنا ملكُ يدينا
كل شيء ... طالما أنتِ لدَينا

والمنى ... كلّ المنى ... تحبو إلينا
قبل أن يرتدَّ من طرفي شعاعْ !

هذه الأفلاكُ .. والأقمارُ مِلكي
هذه الجناتُ – دونَ الخلقِ – أيكي

والبحار الشمّ يَطويهنّ فُلكي
حالما أُزجي من الفُلكِ الشراعْ !

فاسبحي في أبحُرِ الغيبِ معي
حيثُ لا تاريخَ يمضي أو يعي

حيثُ نحيا أبداً في المطلعِ
نملكُ الفجرَ الذي يأبى الوداعْ

سكينة السادات تكتب من الهند

قريباً من قلعة الصمت

ذات الطيور الآكلة للبشر!

قريبا من قلعة الصمت .. ذات الطيور الآكلة للبشر !

كنت قد أتممت زيارتي لاندونيسيا وسنغافورة وتايلاند ونيودلهي ، وكانت مدينة بومباى الهندية آخر المطاف .. وكانت تلك هي زيارتي الثالثة للهند والثانية لمدينة بومباى التي يعتبرها الهنود كبرى المدن الصناعية فى الهند ، والتي تمول الهند بثلث ايراداتها من مختلف بنود الصناعة والزراعة والتجارة بما فيها صناعة السينما التي أصبحت صناعة هامة فى الهند ، والتي أصبحت تدر عليهم دخلا محترما بالعملة الصعبة .

مكثت أسبوعا كاملا في مدينة بومباى وحدها فقد كنت قد وصلت يوم الثلاثاء وكانت الطائرة المصرية لا تهبط بومباى في طريقها الى القاهرة الا مرة كل أسبوع ومن ثم فقد توفر لدى الوقت لتفقد معالم بومباى على مهل .

كنت قد عدت من جولة شاقة حول بومباى شاهدت فيها ستوديوهات السينما الهندية ، وقابلت أشهر فنانى وفنانات الهند ، قابلتنى عند مدخل الفندق فتاة هندية بالغة الجمال ترتدى السارى الهندى الابيض اللون فبدت فيه كالملاك الجميل .. اصطحبتنى الى غرفتى فعملها في الفندق هو مرافقة الضيوف والسهر على راحتهم .

وبدأت أتحدث معها عن المرأة الهندية وتقاليد الاسرة واكتساح الفتاة الهندية لمجالات العمل المختلفة ، حتى وصل معدل النساء العاملات فى بومباى الى أكثر من الثلث ..

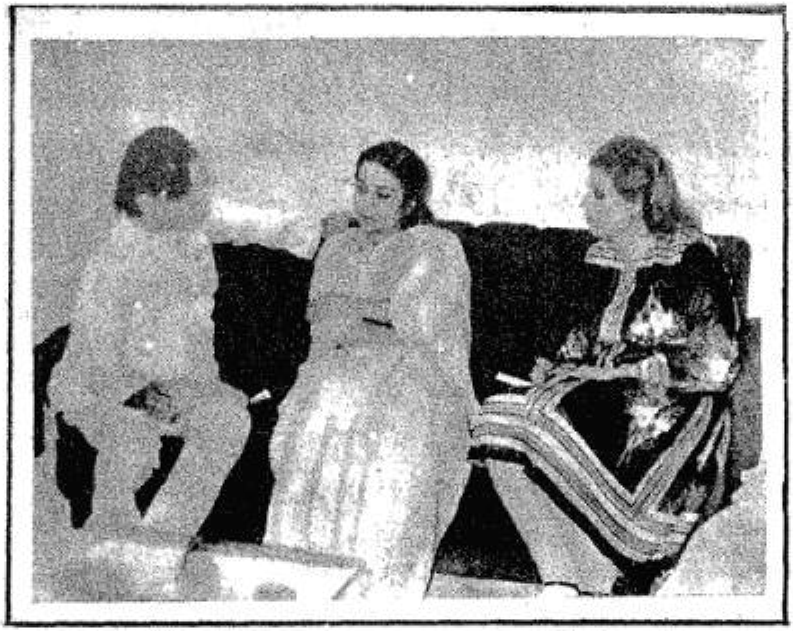
وانتهينا الى الحديث عن الديانة الهندوكية عندما قالت لى الآنسة نيلوفا بليموريا ..

استطيع أن احدثك عن الديانة الهندوكية كنظرية وكدراسة ، ولكنى أنا شخصيا لست هندوكية ..

واستطردت نيلوفا الجميلة :

انني من طائفة البارسى ، اننا نعبد الشمس والنار ونؤمن بانهما اطهر مافى الوجود . ولدينا معابدنا الخاصة هنا فى بومباى .. ربما تحبين أن تشاهديها ولكن للاسف يجب أن تريها من الخارج لانه محظور على غير البارسى أن يدخلها !

استولى الموضوع على اهتمامى ، وقمت رغم اجهادى الشديد باخطار مرافقى برغبتى فى رؤية معابد البارسى ، وشراء كتاب بالانجليزية عن طائفة البارسى وتاريخها وتقاليدها وحياتها فى الهند .



الزميلة سكينة السادات تتحدث مع الحاج عبد الرحمن انتوراى حاكم ولاية مهراجتى الهنــدية المسلم وحرمه السيدة نرجس .. ان اهم مشروعاته حل مشــاكل الاسكان فى الولاية ..

وتم ترتيب الزيارة التى لم تكن سوى رحلة قصيرة بالسيارة صــعدنا فيها الى أعلى قمة جبــل الآلهة المطل على مدينــة بومباى • أخذت الســيارة تدور وتدور وهى تصعد بنا فى شوارع معبدة ضيقة ذكرتنى بجبل لبنان رغم اختلاف الطبيعة بين البلدين ، حتى وصلنا فى النهاية الى أعلى الجبل وهناك أطللت على قبة وارفة من الحدائق ذات المروج الخضراء العالية الاشجار ، وفى وسط الحدائق رأيت بناء قديما له أسوار عالية وباب حديدى كبير مغلق يشــبه أبواب القــلاع الرومانية القديمة • وأشــارت نيلوفا الى الباب الحديدى والبناء الشاهق قائلة ..

هذه هى قلعة الصمت .. والاصوات التى تسمعينها الآن ـ (وكنت أســمع اصواتا غليظة لطيور غريبة) هى أصوات الطيور الجارحة التى تأكل لحوم الموتى بعد أن توضــع فى اماكنها المخصصة بقلعة الصمت !

دهشت وسألتها عن تفاصيل الموضوع فقالت :

ان البارسى لا يدفنــون موتاهم فى التراب • ان ما يحدث تماما هو انه عندما يشك فى موت أحد البارسى فان أعضــاء أسرته يهرعون الى « الداستور » وهــذا هو اسم كاهن معبد النــار ، ويحضرونه قريبا من المحتضر لتلاوة الصلوات .. ثم يأتى « الداستور » معه بأحــد الكــلاب المدربة فى المعبد ، مهمة هــذا الكلب أن يتشمم جسم المحتضر فاذا كان قلبه لا زال نابضا بالروح فان الكلب يجثم على صدره، وتبدأ اجراءات محاولة انقاذه .. أما اذا تشممه الكلب وانصرف عنه فهــذا يعنى انه قد أصبح جثة هامدة !

***

واستطردت نيلوفا :

وبعد أن يوقن « الداســتور » وأهل

الميت من انه قد توفى فانهم يقيمون صلاة قصيرة على الجثة ، ثم يجتمع أعضاء اسرة الميت ويتوجهون جميعا الى المعبد حيث يقيمون اقامة كاملة حول جثة الميت لمدة أربعة أيام ، تقام فيها الصلوات والطقوس التى تسهل « مأمورية انتقال روحه الى العالم الآخر » ثم يقام الاحتفال النهائي في أصيل اليوم الرابع وذلك بأن توضع الجثة فى « قلعة الصمت » • وهى عبارة عن مبنى شاهق يحتوى على مدرجات اسمنتية مائلة تصب فى انابيب الى مياه المحيط الهندى •والجثة توضع فى العراء بدون ثياب ، وفى خلال نصف ساعة على الاكثر تكون الطيور الجارحة Valtures قد نهشت لحمها وعظامها الرفيعة ، ثم تتسرب الدماء فى الانابيب الى المحيط ، وتنتهى مراسم دفن الميت بعد أن تنتهى الطيور من أكل آخر قطعة من لحمه !

كدت أصاب بالاغماء وأنا استمع الى أصوات تلك الطيور التى ربما كانت فى تلك اللحظة تأكل ميتا جديدا • وتعجبت نيلوفا عندما لاحظت تغير حالى ، وقالت :

ــ أيتها السيدة •• لماذا تغير حالك عندما سمعت هذه الحكاية ؟ أليس من الانظف والاحسن الا تترك الجثة فى التراب حتى تتعفن ثم تأكلها الديدان ؟

ان الميت قد مات وانتهى أمره ، وجثته شيء فان ، أما روحه فانها باقية فى السماء • ونحن البارسى عندما نطعم الطيور بجثث أمواتنا فاننا نبعث فى كائن حى جديد طاقة وغذاء يقيم أوده ، وفى نفس الوقت فان قطعة منه تصير جزءا لا يتجزأ من كيان طائر حى كلما طار وحلق تحل البركات على روح الميت! •• ان هذه هى معتقداتنا • وفى النهاية وفى كل الاحوال تصعد الروح الى السماء ويفنى الجسد !

***

فى طريقنا الى الفندق بعد هذه الزيارة العجيبة مررت بمكتبة بومباى الوطنية ، وطلبت مجموعة من الكتب عن طائفة البارسى •وطلبت من نيلوفا أن تأتينى فى اليوم التالى حتى أكون قد قرأت شيئا عن عبدة النار ، وحتى تعطينى صورة واقعية لحياة البارسى الآن •

وقضيت تلك الليلة أقرأ فى مؤلف للكاتبة الانجليزية اليزابيث بيرد عن عبدة النار • وفى اليوم التالى جاءتنى نيلوفا واستأنفنا حديثنا ومن قراءتى وما قالته نيلوفا علمت الكثير عن طائفة البارسى •

ان عددهم الآن لا يزيد على مائة الف نسمة • وهم لا يتزايدون كثيرا لان لهم أحكاما قاسية فى مسألة الانتماء الى طائفتهم • ان البارسى لا يستطيع أن يتبنى طفلا ويجعله منتميا لطائفته بعد أن يكبر ،كما أنهم لا يسمحون لاى انسان له ديانة أخرى أن يدخل ديانتهم •

ان البارسى يجب أن يكون من أم وأب من نفس الطائفة ولا يسمح لأية فتاة بارسية بالزواج من رجل غير بارسى والا فانها يجب أن تتبع ديانة زوجها •

انهم يقيمون الصلوات باللغة الفارسية وهم فى الاصل من ايران حيث نشأت تلك الديانة فى القرن السادس عشر الميلادى • وعندما اضطهدهم الفرس فى ايران هربوا بالقوارب الى شواطىء الهند وحلوا بولاية مهراجتى ـ (٤٥ مليون نسمة) ـ وعاصمتها بومباى ، واستوطنوا بها حتى الآن •

وعندما نزلوا الى بومباى (فى القرن الثامن عشر) اشترط عليهم حاكم الولاية الا يضموا اليهم أى مسلم أو هندوكى أو مسيحى • وتعهدوا بذلك ووفوا بالعهد •

ان البارسى يعبدون النار والشمس كمصادر للحياة ، والنار مشتعلة دائما فى معابدهم ليل نهار ، وهم يغذونها بخشب الصندل • والشعلة لا تنطفىء أبدا ••• ويسمون اله النار «اورامازدا» وصلاتهم اسمها « زندآشتا » • وفى الصباح يتجهون بالصلاة الى المشرق حيث تشرق الشمس وفى المساء يتجهون الى الغرب لوداع الشمس •



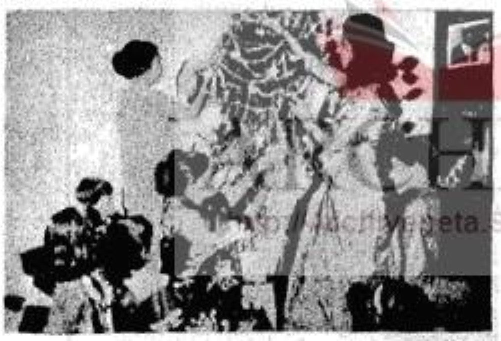
نيلوفا الجميلة : الفتاة التى تتبع طائفة البارسى: عبدة الشمس والنار .. ترى هل سيكون مصير جسدها الجميل أن يترك للطيور الجارحة لتأكله بعد أن تموت ؟.



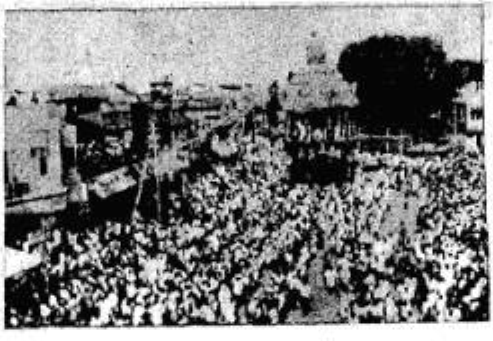
اهم ما يدهش الزائر للهند : المعابد الجميلة والتماثيل التي تمثل مختلف الآلهة حيث تتجلى روعة الفن والمعمار وبعضها موشى بالذهب والفضة ٭٭



الرقص الشعبي الهندي يعبر احيانا عن التعبد لاحد الآلهة عندهم ، واحيانا أخرى يعبر عن موقفا اجتماعيا سعيدا أو حزينا ، فهم يرقصون في الافراح والاحزان وعند العبادة .



الاسرة الهندية تميل بصفة عامة الى الاحتفال بمختلف المناسبات المحلية والدولية . وهذه أسرة تجتمع للاحتفال بيوم راس السنة الميلادية ..



يجتمع اهل الهند في الميادين والساحات بالالاف .في الاعياد القومية والمناسبات السياسية..

أما نبيهم فقد كان اسمه « زوراستا » أي النجمة الذهبيـــة ، وهو مولود في أذربيجان واسمها بالفارسية أرض النار. ويقولون أن الفرس القدامى قد تنبأوا بمولد النبي زوراستا وفي مخطوطاتهم القديمة ، كتب انهم عندما يرون نجمة ذهبيـة في الشرق فان ذلـك يعني مولد نبي جديد ، وهؤلاء الناس لهم كتـاب مقدس يحمل تعاليم نبيهم زوراستا واسمه « زنداڤستا » . وعندما كان زوراسـتا شابا اضطهده الفرس وسجنوه وطلب ملك الفرس ان يرى شيئا من معجـزاته حتى يعتقـه من السـجن ، فأتي اليه بحصان مريض ويقولون أن زوراسـتا استطاع أن يشفيه بل وطلب من حراسه أن يلقوا به الى النار ، وعندما ألقـوا به الى النار ساعة كاملة حفظته النار وخرج سليما معافى .

***

ومما علمته من نفر آخر من البارسي في بومباى انهم قوم أغنياء جدا وأشهرهم رجل الصناعة الهندي المعروف « تاتا » الذي يقولون ان مصانعه تنتج بلا مبالغة من الابرة الى الصاروخ ، وقد أقام هـذا الرجـل مدارس خاصـة ومسـتشفيات خاصة للبارسي وهو يرعاهم جميعا حتى انه من المعروف أن احدا من طائفة البارسي لا يقوم بالاعمال اليدوية البسيطة ، بل انهم جميعا على درجة عالية من الثقـافة والعلم واليسر المالي .

وقد حصل كل البـارسي بالطبـع على الجنسية الهندية وهم يقيمون صـلواتهم بحرية تامة ، ويقال أن زوج السـيدة انديرا غاندى الراحـل والد ابنيهـا سانجاي (الذى مات منذ ثلاثة أعوام في حادث طائرة) وراجيف عضـــو البرلمان الهندي الآن ــ كان والدهمـا من طائفـة البارسي أيضا .

ومن طريف ما أذكر في هذا الصـدد انني كنت أشعل عودا من الكبريت أثناء حديثي مع أحد زعماء البارسي في بومباى وهو عضو بالبرلمان أيضـــا ــ آسف اذ نسيت اسمه ــ عندما رأيته وقد انزعج عندما نفخت عود الكبريت لكي ينطفيء . وعندما سألته قال أن مافعلته يعتبرونه حراما ومخالفا للدين . اذ انه لا يجب أن تطفأ النار بتلك الكيفية . وعندما سألته عن المدخنين من طائفـة البـارسي وكيف يشعلون السجائر قال ان التدخين محرم على كل طائفة البارسي !

وعندما يموت رجل من البارسي فانه غير مصرح لامـرأته بأن تتزوج الا بعـد مرور أربع ســـنوات من وفاته ، واذا ما تزوجت من رجل من غير الطائفة فانه لا يصح أن يبقى أولادها معها بل تتولاهم الطائفة حتى ينشــأوا في « جو ديني نقي » ..

ولا يمكن لأى كاهن وهو ما يســمى بالداستور ان يمارس عمله الا اذا كان والده داستورا . وفي سن الثامنة يلبس الطفل البارسي الصدرة « والكاسـتي » أي الصديرى والحزام ، ومعنى ذلك انه قد انضـم رسـميا للطائفة ، ويمكن للداستور أن يكون طبيبا أو مهندسا أو محاميا أو تاجرا أو صاحب أى مهنة الى جوار عمله ككاهن في معبد النار .

بذلت كل المساعي لكي يسمح لي بدخول معبد النـار فلم اصـل الا الى التصريح بأن ادخل الى حديقـة المعبـد الذى يقع على مساحة ميل مربع فوق أعلى واجمل بقعة في بومباى . ويبلـغ عمـر المعبد ١٥٠ عاما ، ومن الخارج شـاهدت وهج النار المقدسة التي لا تنطفىء والتي عبق خشب الصندل الذى يلقى بهـا جو المعبد كله بأريج عاطر .

●

هذه صورة عجيبة من الصــور التي لا تزال باقية في أواخر القرن العشرين وعندما صافحتني نيلوفا البارسـية وهي تترك غرفتي بالفندق وسألتني عن رأيي فيما رأيت وسمعت وقرأت قلت لها .. باختصار شديد .. انني اشـهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله .

أحمد أمين والثقافة

علاء الدين وحيد

اذا كان العقاد قد اهتم بالفن التشكيلي ، وطه حسين قد احتفل بالفن التمثيلي ،فانه قد احتفل بالموسيقي فنا ودعامة لرسالة السلام في العالم

● أقسى ما كان يجد الرواد من الادباء والمفكرين ، خاصة أصحاب الاتجاهات الاصلاحية الاجتماعية ، مثل الاديب الكبير احمد امين في قيامهم بمسئولياتهم ـ هو ـ تاخر الحياة العقلية ، بما تحمل من تفشي الجهل وغلبة الامية وجمود المفاهيم التى تنتشر بين جماهير الناس والخزعبلات والخرافات والاوهام .

ولذا كانت الثقافة هي قضية القضايا التي تتصل بكل المجالات .. التي تستوعب تنفس الانسان المصري .. ومع قلة التعليم والزاد الثقافي ، تزداد وطاة الانسحاق ، في الليل والنهار أمام مفاهيم الجن والعفاريت والحسد والسحر وغيرها !

يقول احمد أمين .. فاذا ارتقى العقل في الامة بنت اعمالها على قانون السبب والمسبب ، وفهمت ان الله خلق هذا الكون وجعله يسير على قوانين محكمة منظمة ، من أراد المسبب يجب أن يقوم بالاسباب ، فيصبح علم الطب مكان طب البركة .. وقوانين الزراعة مكان الزراعة بالبركة .. وتؤسس التجارة على قوانين الاقتصاد مكان التجارة اعتمادا على الحظ والبخت .. وكلما قوى العلم والمعرفة في أمة قتلت الخرافات والاوهام » (فيض الخاطر) ج ٦ ـ ط ١٠ ـ ص ٢٥٣) .

ومن هنا كان مفكرنا عنيفا في هجومه على ما سماه بالجرائم العقلية وهي كما يقول ، كل عمل يرتكب ضد العقل ، وكل سلوك ضد الصدق وضد الحق . وهي التي تعبث بالعقول وتسمم الافكار . فالاعتقاد في الفأل والزار والطالع ، وتفسير الظواهر الطبيعية بغير حقيقتها مثل الفيضان وكسوف القمر وخسوف الشمس .. والتماس صحة المريض ، ونجاح المسعى عند الدجالين أو على أبواب أضرحة الاموات ـ هي التي تصيب فكر الناس بالشلل وعاطفتهم بالجمود ، وتقعد بهمتهم ، عن الطموح والتقدم ..

يكتب اديبنا الكبير : « والامم الجاهلة لا تحس خطر الجرائم العقلية ، بل لا تحسها أطلاقا ، بل هي تمنح المجرمين العقليين كثيرا من الاحترام .. ان شئت فانظر ماذا يلقى هذا الدجال من توقير واحترام ، أو أنظر كم من آلاف الناس يهوون تقبيلا لايدى سارقي النذور ، وكيف يبجل بعض السياسيين الذين يضللون العقول او يحجرون على التفكير .

« ومن اهم الفروق بين أمة منحطة وأمة راقية ، كثرة الجرائم العقلية في الاول وقلتها في الثانية .. ومن اهم علامات الامة الراقية سيرها على مقتضى العقل في تربية ابنائها وفي فلاحتها وصناعتها وكل مرافق الحياة فيها .

« واهم ما يجب أن يعنى به المصلحون خلق « الضمير العقلي » في الامة واشاعته



احمد امين : مفاهيم ثقافية متقدمة جدا..

وتقوية سلطانه ، واعنى بالضمير العقل تنبيه الشعور باستهجان كل ما يرتكب ضد العقل واحتقار فاعليه ، كما يحتقر السارق والقاتل ،والشعور بالاستحسان ممن يأتى بالفضائل العقلية ، كالدعوة الى محاربة التخريف والتدجيل ونحوها

« ان اكثرنا — الى اليوم — يقفون من الجرائم العقلية موقف عدم الاكتراث ، وهذا هو فى نفسه جريمة عقلية .

« لست أدرى كيف نتحمس لحماية أعراضنا ولا نتحمس لحماية عقلنا ، وكلاهما يجب أن يكون عزيزا علينا ! — « فيض الخاطر » — ج — ٧ — ص ٣٥٦ — ٣٥٧) .

وقد عمد أحمد امين فى كثير من كتاباته الى تأصيل معنى وماهية وقيمة الثقافة فى حياة الشعوب .. وناقش ما يحط بمفهوم الثقافة فى البيئات الجاهلة ، والعوائق التى تمنع انتشارها والفارق الكبير بين المتعلم والمثقف وبين لونين من التحصيل او القراءة .وماذا تضيف الثقافة الحقيقة الى صاحبها .

يقول مفكرنا فى احدى مقالاته ، ثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ،ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحت اليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال فيض الخاطر ج١ — ص ٢٠٨) .

●●●

وكان أحمد امين يدرك ان الثقافة اليوم لم تعد سهلة المحتوى او الاستيعاب او التأثير كثقافة زمان .. فالتعقيد الذى جرى فى تكوين الاشياء جعل البسيط مركبا ، والمدنية الصناعية دخلتها عناصر لم تعرفها قبلا الاجواء الزراعية ، لذا فان التربية احدى ملامح الثقافة اصبحت هى الاخرى شديدة التعقيد — علما من العلوم لقد ناضل اديبنا الكبير فى سبيل أن تنفث الثقافة الحديثة من روحها فى التربية لينصلح حال الكثير من الاوضاع الجامدة فى البلاد ، وكان يصف العقلية التى وراءها فى تلك الايام بانها « لا تنفع للحياة وانما تنفع للصوامع ، ولا تنفع للجهاد وانما تنفع للفناء ، ولا تنفع لمن ارادوا ان يتبوأوا مكانا فى الحياة ، وانما تنفع من ارادوا أن يتبوأوا مكانا فى القبور — « فيض الخاطر » ج١ — ط ٣ — ص ١٦٣) .

فهو يريد ان تحمل تربية اليوم ، ما يعكس الايمان باستمرارية وحتمية التقدم ، وان اليوم احسن من الامس والغد احسن من اليوم .. ولذا كانت مفاهيمه التى بثها فى دعوته ، تحمل نظرة تقدمية ، مثل « لو انصف الناس لقوموا الناس بمقدار كفاحهم لا بمقدار

فشلهم ونجاحهم ـ « فيض الخاطر » ج١ ـ ط٣ ـ ص ١٦٥ » .

وقوله : « تربية الارادة وقوتها وتعويدها مقاومة الاغراء ، سر النجاح وسر الاستقامة وحصن حصين من الزلل .. ومن ربى ارادته أمكن اصلاحه، وأمكن توجيهه ، ومن فقد ارادته فلا أمل مطلقا في تقويمه الا أن يبدأ من جديد ، فيعالج نفسه كما يعالج المريض ويصبر على العلاج المر حتى يشفى من الداء ـ «الفيض الخاطر » ج٩ ـ ط٣ ـ ص ٢٨٤ » .

●●●

ان التربية هى أحد أهداف الثقافة الاول ، ومن هنا انطلق كاتبنا الكبير أحمد أمين فى تأصيلها . وكانت الهموم التى يستشعرها تحيط به وبالشعب ، من احتلال انجليزى ـ فى تلك الايام ، وتسلط حكام . وبيروقراطية موظفين ، وجهل وفساد تربية .. تدفعه دفعا الى أن يجعل فكره النابض بحب بلده ، سلاحا فى ميدان النضال ضد كل ما يفسد على الوطن اموره ، فى سبيل حريته وعمله ودينه . لذا كانت المجالات التى تحرك فيها قلم أحمد أمين متعددة ، وهو يطمع فى أن يغطيها جميعا بما يتناسب مع الهدف الذى يسعى اليه ..

ونذكر له هنا اهتمامه بتغيير المفاهيم البالية فى الجوانب الخاصة والعامة ، حتى يتم تمهيد الأرض غير المعبدة للبناء

وكان من أهم الموضوعات التى ناقشها كاتبنا ، ما يتصل بالسعادة التى تتشكل عند الكثيرين من أميين ، وغير أميين ، فى نوال كل ما تشتهيه النفس بلا جهد ولا ثمن وعيش مثل تنابلة السلطان . فيقول أديبنا الكبير : « والسعادة انما هى فى السعى للغرض أكثر منها فى الغرض ، والطريق الى الغاية هو السعادة لا الغاية ، وانما يسعد الانسان باستخدام قواه وملكاته لبلوغ غايته ، فاذا بلغها تفتحت له غايات جديدة ، وبذل فيها جهودا جديدة وظهر فى اثناء الطريق صعوبات استخرجت أقصى الجهد فى التغلب عليها فشعر بلذة الجهد ولذة الغلبة ولذة اعتداده بشخصيته واستخدامه ملكاته واستكماله نفسه أكثر من لذته بالغاية نفسها ـ « فيض الخاطر ج٣ ـ ط١ ـ ص ٩٤ » .

ولا ينسى الدارس فى هذا المجال أيضا ان المفكر الكبير احمد امين قد جعل أو أراد أن يجعل الثقافة غذاء يوميا بمختلف عناصره يتنفس طوال الاربع وعشرين ساعة ، ويتناوله الجميع ، وليست الثقافة وقفا على أصحاب الجباه العالية ..

وهكذا انعكست الثقافة على اشياء ، تبدو بعيدة تماما عن مجالها ،مثل النظافة .. فمن مسئولية الثقافة فى رأى أحمد أمين ، الدعوة الى النظافة ، المادية والروحية ، وتأصيلها فى الارض العربية فهو يقول بالنسبة الى الاولى « خير وسيلة للتقريب بين طبقات الامة ، فلا يأنف بعد مثقف ان يجلس مع غير المثقفين ، ولا متعلم ان يجالس غير المتعلمين ، وفى هذا الاختلاط نشر للثقافة ودعوة للآداب العامة ، وغلبة للعنصر المهذب ـ « فيض الخاطر ج١ ـ ص ٦٨ » .

واذا كان استيعاب احمد امين للمفهوم الثقافة يصل الى هذا الحد من التغلغل فى الخدمات الجماهيرية وحياة الناس . فهو يتجاوز فى مجال النظافة ابعد مما عرضنا ، ينتقل من العام الى الخاص ، لتصبح النظافة جوهرا روحيا كما كانت جوهرا ماديا . لان الفكر والمثل والادب والفن ، تعنى الموضوعية والصدق والخير والطهر والبراءة . وهى جميعا عناصر تدخل فى تركيب الثقافة نفسها .

يقول احمد أمين : « لو التزم كل العلماء والادباء نظافة نظرياتهم ، ونظافة كتاباتهم مهما اختلفت فى النوع والقيمة لانهارت الارستقراطية العلمية والادبية أيضا ، ولكان الكل سواء فى الاحترام ـ « فيض الخاطر ج١ ـ ص ٦٩ » .

تعنى الثقافة بشمول نظرتها ورؤيتها المتحررة من الوصاية ، أيا كان لونها فى محيط الاسرة أو المجتمع أو نظام الحكم ـ حرية الموقف وحرية الاتجاه .. ولذا كانت الحرية هى جوهر الثقافة والتزامها وما أكثر ما نادى المثقف أحمد أمين

بالحرية ، حتى فى أبعد المظان التى نظن اننا نجدها فيها ..

والحرية التى ينادى بها اديبنا ، لم تكن - فى حينها - دعوة الى حرية الوطن المحتل فحسب ، بل كانت قبلا دعوة الى حرية المواطن أيضا . فالانسان غير الحر المثقل بنفسية العبد ، لا يفيده رفع المئات من شعارات النضال فى سبيل الحرية ، ما دام لم يستطع ان يخلص نفسه من الاستعباد الداخلى الذى يجعله رقيقا سواء للحاكم المستبد أو للقيم البالية . ولذا فمهمة الثقافة الاولى ، هى ان تحرر المفاهيم وتفجر الطاقات وتستجمع الشتات ، وقبل هذا كله تقدس الحرية .

فلا غرابة اذن ان يدعو احمد أمين فى مقالاته الثقافية الى ان يكون الانسان سيدا لا عبدا ، ويقول : العبد لا يفهم الا القوة المادية المرموز لها بالعصا ، والسيد يخضع لقوة المعانى وقوة الضمير المرموز اليها بالاشارة » .

وقد أصاب من قال : ان رقى الامة فى الموسيقى وتذوقها الصوت الجميل والغناء الجميل يجعلها تعشق الحرية وتأنف الضيم وتأبى المذلة !

ورؤية أحمد امين الشاملة جعلته من روادنا الذين التفتوا منذ وقت مبكر الى ان الثقافة كل متكامل يجمع بين التربية والفكر والادب والفن وغيرها . واذا كان عباس محمود العقاد قد اهتم بالفن التشكيلى ، وطه حسين بالفن التمثيل ، فقد احتفل احمد امين بالفن الموسيقى . وكتب عنه كثيرا ، وابان أثره فى الشعوب والافراد ، وخاصة الانسان المصرى والعربى وكالعهد به لا يقيم حدا فاصلا بين جانب وجانب ، فكل عنصر مرتبط بالآخر ومتداخل فيه .

يكتب يوما : « حياة كل فرد موسيقى تصدر من أوتار مختلفة وآلات متعددة ، فاذا تناسقت وتناغمت ، انتجت صوتا جميلا وكانت السعادة ، وان تنافرت وتخالفت انتجت صوتا قبيحا وكان الشقاء ! » .

ان عناصر الحياة ثلاثة : عنصر مادى يخدم الابدان ، وعنصر عقل يخدم التفكير، وعنصر روحى يحيى النفس . وجمال الموسيقى فى تعادلها وتناسقها.. فلما طغى عنصر المادة فى المدنية الحديثة على العنصرين الآخرين افسد الحياة - « فيض الخاطر ج١ - ص ٣٠ ، ٣٢ » .

●●●

ومما يذكر لاحمد أمين فى هذا الباب دعوته المشهورة الى ان يكون الادب والفن فى خدمة السلام .. والتاريخ الفكرى يذكر له مقالته المعروفة وهى: «غيروا مناهج الفن والتاريخ يتحقق لكم السلام » ! . وهى التى يقول فيها : « واليوم ادعو الى استخدام الفن فى خدمة السلام ، فبدلا من اثارة الموسيقى لعواطف الحرب ، تثار لعواطف السلم . وكذا الادب والتصوير وهى نظرية لم تجرب الى اليوم . فالدعوة السياسية للسلم لا تفيد الا اذا دعمت بالفنون . ولو أراد العالم السلم الحقيقى لامكنه ذلك بشىء واحد ، هو تغيير برامج التعليم وتغيير المناهج فى التاريخ والفن .. فبدل اشعال النار فى نفوس الطلبة وحكاية الانتصارات والانكسارات فى الحروب وتعويد الاطفال الفرح بالمدافع فى العيد والفرح بالمفرقعات - تحكى الأعمال العظيمة التى عملت لنشر المدنية وحمايتها ، وكذلك الادب والفنون ، **وتاسيس العلاقات بين الامم على اساس انسانى لا على اساس قومى - « فيض الخاطر ج٩ - ١٢٧ - ١٢٨ » .**

ولم تقف دعوة احمد امين عند هذا الحد ، بل اخذت تطالب اليونسكو بامرين ، البناء دون الهدم ، وانماء العواطف الانسانية لا القومية حتى يفضل البشر السلام على الحرب !

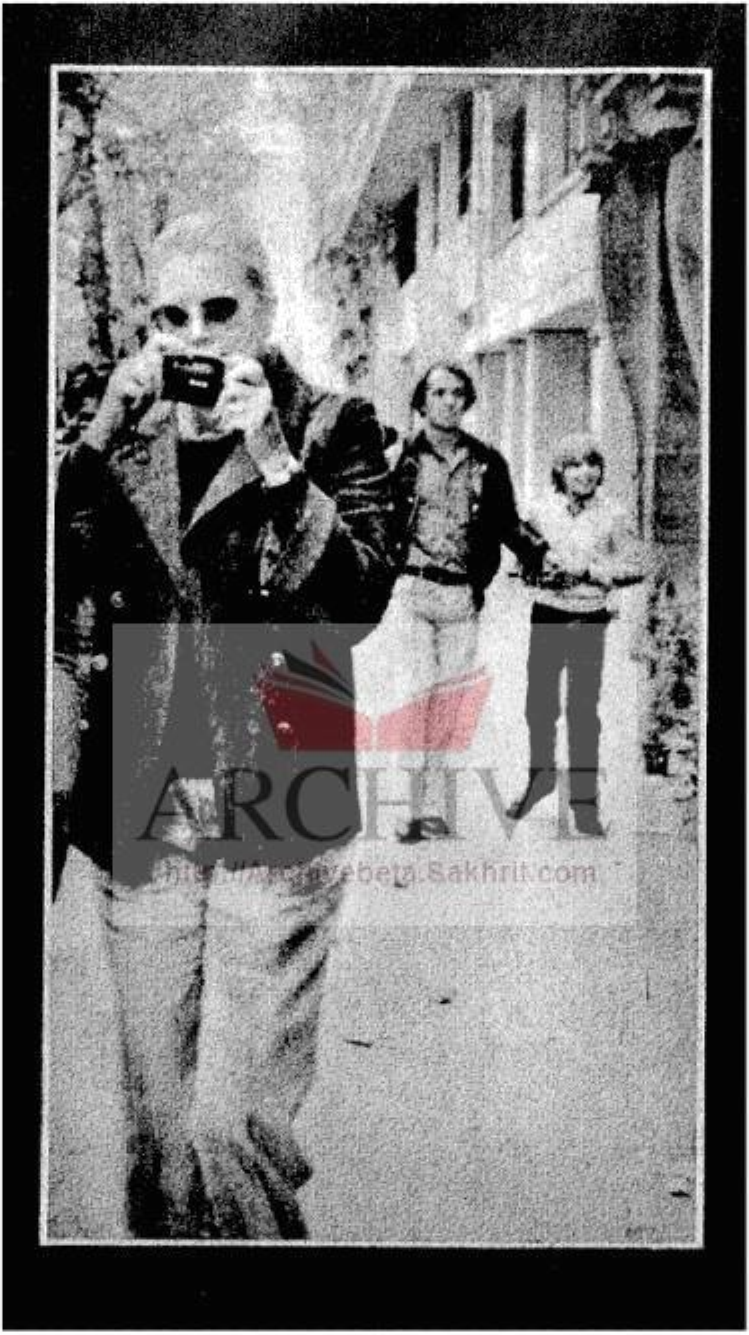
هذه بعض آراء اديبنا الكبير احمد امين فى بعض جوانب الثقافة .. وهى كما نرى مفاهيم متقدمة . لم يتحقق الكثير منها ، حتى بعد وفاته باكثر من ربع قرن!

ناس وصور وحكايات

الأميرة... مصوّرة...

حاولت الاميرة جريس أو جراسيا اميرة موناكو ان تتخلص من المصورين فلم تستطع ، فهم على باب بيتها يعسكرون ، ولا تخطو خطوة الا كانوا فى اعقابها يصورونها ، وقد ضاقت بهم ذرعا ، فقررت ان تتحول هى الى مصورة ، وكلما رات صحفيا يحاول التقاط صورة لها سارعت هى بالتقاط صورة له ، فيضيع عليه الهدف الذى يسعى اليه .

●●●

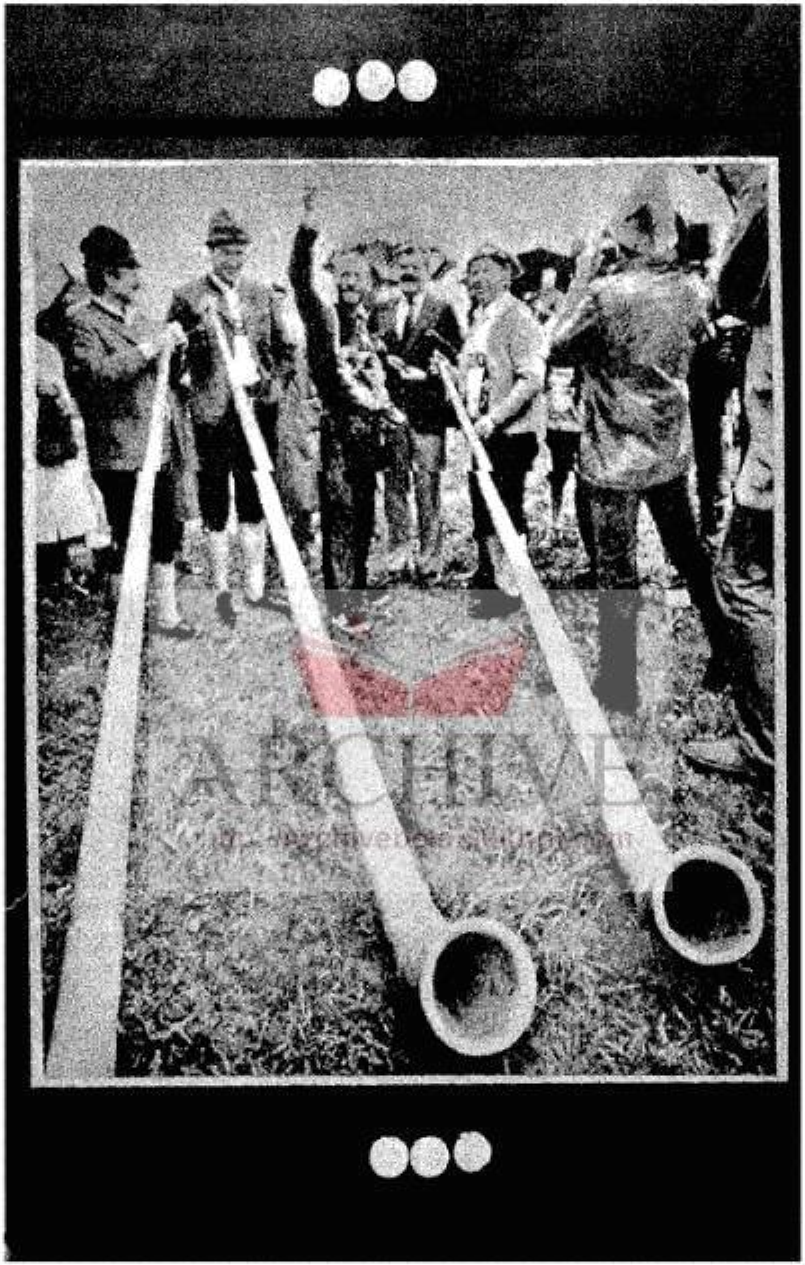


ناس وصور وحكايات

أقوى أصوات موسيقية فى الدنيا

هى أصوات أبواق الرعاة فى جبال سويسرا والمانيا، انها أصوات هادئة عميقة غليظة ولذلك فهى تســافر

ابواق خشبية طويلة كهذه التى تراها فى الصورة ، واذا كنت من السعداء الذين تتاح لهم فرصة السير فى جبال الالب او الفوج أو الغابة السوداء ، فانك ستسمع اثناء سيرك أصوات هذه الابواق التى ينفخونها لينبهوا للخطر او ليجمعوا قطعان الاغنام او يبلغوا رســالات من قرية لقرية . فى العصور الوسطى كانت هنــاك لغة لهذه الابواق ، فهى التى تنقل الرسائل والاخبار بين القرى والمدن .

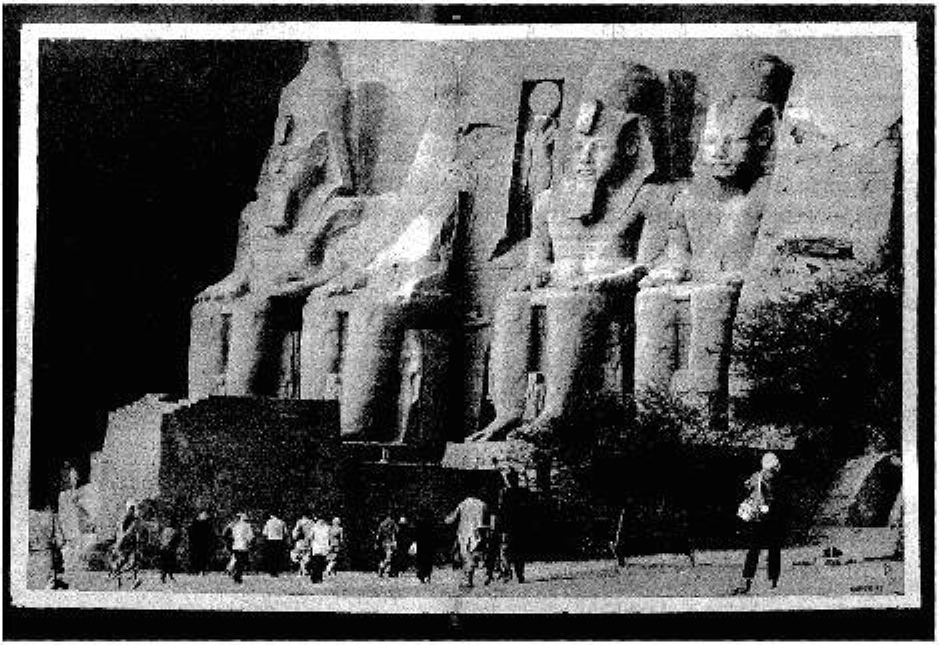


ناس وصور وحكايات

مجموعة أبو سنبل في خطر

ليس ابو الهول وحده فى خطر ، بل ان مجموعة ابى سمبل التى تعتبر من عجائب الدنيا فى خطر ايضا ، فبعد نقلها من مكانها وانقاذها من الغرق فى مياه السد العالى تعرضت للرياح الساقية التى تأكل الحجر أكلا ، وفى يوم واحد محت الرياح المحملة بالرمال وجه تمثال . لان معظم هذه التماثيل منحوتة فى الحجر الجيرى ، وهو حجر رخو لا يتحمل الرطوبة او الرمال او الرياح ، ومع ذلك فقد عاشت هذه التماثيل مئات السنين ، ولكن جاء الوقت الذى اصبحت فيه عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، ولابد من ان نجد وسيلة للمحافظة عليها لانها ثروة كبرى . اما ابو الهول فهم يحاولون انقاذه من الرطوبة واما تماثيل ابى سنبل فيحاولون انقاذها من الرياح والرمال .





أفغانستان الثائرة

● مصطفى الشهابى ●

● على الرغم من ان انباء المعارك فى افغانستان لم تعد تظهر فى الصحف كعناوين رئيسية بسبب طغيان الاحداث العالمية ، الا ان ذلك لا يقلل من الدور الذى يقوم به الثوار ، ضد القوات الحكومية والقوات السوفييتية ، اذ ازداد عنفا وضراوة خلال الفترات الاخيرة ، واتسع نطاق الثورة حتى شمل مناطق كثيرة،ولم تعد الحكومة العميلة تسيطر الا على المدن الرئيسية التى يحتشد بها الجنود السوفييت ..

وبعد ان كان عدد القوات الافغانية ٩٠ الف جندى ، أصبح عددهم اليوم لا يتجاوز ٣٠ الف جندى فقط ، اذ فر الكثيرون من الخدمة العسكرية الموجهة ضد بلادهم ، كما انضم عدد آخر الى الثائرين لتحرير بلادهم .

والموقف اليوم يشبه الى حد كبير ماحدث عام ١٨٣٨ عندما حاول الانجليز استعمار افغانستان لوقوعها بين روسيا والهند ، ورغبة أميرها ، وقتذاك «دست محمد» فى محالفة الروس خوفا من الانجليز سادة الهند يومئذ . لذلك أرسل الانجليز حملة الى افغانستان تمكنت من القبض على أميرها وارساله الى الهند حيث القى به فى غياهب السجن ، ثم تحولت الرغبة فى التخلص من الامير الى رغبة فى الاستعمار . ولكن الامور لم تسر على هوى الانجليز ، اذ اغتيل قائد جيش الاحتلال وصفوة من ضباطه واستعصى على الانجليز أن يسيطروا على الموقف ،ولذلك اضطروا الى الانسحاب من كابول الى الهند بكل قواتهم ، ولكن تلك القوات لم يقدر لها الوصول الى الهند ، اذ اغتيلت عن بكرة أبيها فى المفاوز الجبلية بحيث لم ينج منها الا فرد واحد سنة ١٨٤٢ .

ورأت الحكومة الانجليزية أن تنتقم لهزيمتها ، فارسلت حملتين كبيرتين مجهزتين احسن تجهيز ، واستطاعت احتلال كابول مرة ثانية . وبدأت سلسلة من الثورات ، مما دفع بالانجليز الى الالتجاء الى مواجهة الحقيقة الصارخة ، وهى ان هذا الشعب لا يمكن اخضاعه ، ولذلك لجأت الى سياسة الملاينة والمهادنة فأعادت الامير «دست محمد» الى عرشه على أن يكون مواليا لهم . وقد كان عند حسن ظنهم اذ ظلت علاقته بهم طيبة بعد جلائهم .

وظل الحال كذلك حتى توفى الامير سنة ١٨٦٣ بعد أن بويع لابنه «شير على» بالامارة ولكن «شير على» اراد أن يتحالف مع الروس خوفا من احتلال انجليزى جديد ، واحس الانجليز بهذا الاتجاه ، فارسلوا بعثة للتفاهم معه ، ولكنه رفض مقابلتها ، لذلك احتلت انجلترا افغانستان مرة اخرى سنة ١٨٧٨



الثوار الافغان : نضال لتحرير بلادهم من الغزاة ...

وفر « شير علي » الى تركستان حيث توفي سنة ١٨٧٩ ، وتولى الامارة بعده ابنه « يعقوب » الذي اعترف به الانجليز اميرا ، مقابل ان يكون لانجلترا معتمد سياسي يقيم في كابول وان تعدل الحدود بين الهند وافغانستان ، باضافة « ممر خيبر » (المدخل الرئيسي للهند) الى الهند وسيطر النفوذ الانجليزي على كابول ولكن الشعب الافغاني رفض تلك السيطرة فثار وقتل المعتمد (السفير) الانجليزي وافراد حاشيته ..

وطبعا غضب الانجليز وارسلوا حملة احتلت كابول وارغمت الامير « يعقوب » على التنازل عن العرش ، ونصب مكانه عبد الرحمن خان حفيد « دست محمد » في يوليو سنة ١٨٨٠ ولكن الافغانيين ظلوا يكافحون الانجليز كفاحا مريرا ، ساعدتهم فيه طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة ، فانتصروا في كثير من الاحيان انتصارات رائعة .

وحدث اثناء ذلك أن خرج على الامير عبد الرحمن عمه أيوب خان ، وتقدم الانجليز لمساعدة الامير واضطر الثائر الى الفرار الى ايران ، وبذلك استتب الامر للامير عبد الرحمن .

وقد تقاضى الانجليز منه ثمن هذا التأييد بأن تعهد لهم بأن يترك لهم تدبير سياسة البلاد الخارجية وتعهدوا من جانبهم بأن يدفعوا للامير مساعدة مالية سنوية .

وفي اول اكتوبر سنة ١٩٠١ توفي عبد الرحمن خان ونودي بابنه حبيب الله خان أميرا على البلاد ، وقد استطاع الانجليز أن يحصلوا منه على توكيد للتعهد الذي وقعه والده بترك السياسة الخارجية لانجلترا سنة ١٩٠٥ ، وفي مقابل ذلك قبلت انجلترا أن يلقب نفسه ملكا وتولى أبنه « امان الله » بعده في فبراير ١٩١٩ .

وقد رأى امان الله أن يثير العصبية الدينية بين الجماهير ، فجمع وجوه قومه في الساحة العامة بكابول في اليوم السابع من مايو سنة ١٩١٩ واعلن اليهم أن بلاده لن ترتبط منذ ذلك اليوم بالمعاهدة المبرمة مع انجلترا ..

بذلك تحررت افغانستان سياسيا وماليا واستطاعت أن تنظم شئونها وأن تعقد معاهدات الصداقة بينها وبين بعض الدول الاوروبية والشرقية وان تتبادل لاول مرة الممثلين السياسيين مع عدة دول .

***

وفي عام ١٩٢٧ قام امان الله برحلته الكبرى التي زار فيها عددا كبيرا من الدول ومنها مصر ، وقد قوبل فيها جميعا بالترحيب والتقدير وبعد أن أكمل طوافه

باوروبا نزل ضيفا فى تركيا على « كمال اتاتورك » .

ومما لاشك فيه انه تاثر بالتغييرات التى ادخلها اتاتورك فى تركيا وبالاصلاحات التى ادخلها رضا شاه بهلوى بعد توليه عرش ايران ، كما تاثر واعجب بنزع المراة للحجاب فى تركيا وايران ، ولذلك طافت معه الملكة زوجته سافرة الوجه .

واندلعت نار الثورة سريعا وبدأت فى مقاطعة شمال العاصمة بزعامة « **حبيب الله** » المعروف باسم « **باجه سقا** » — ابن السقاء — فلما أصدر الملك أوامره للجيش باخماد تلك الثورة ، رفض الجيش أن يحارب أبناء وطنه ، ولذلك اضطر الملك الى التنازل عن العرش لاخيه «عناية الله» والفرار الى الهند ، وانتهى به المطاف الى الاقامة فى ايطاليا ، ولم يدم ملك الاخير الا بضعة أيام .

نجح « **باجه سقا** » فى القفز الى عرش افغانستان ، وسرعان ما امر باغلاق كل المفوضيات الافغانية فى الخارج واعادة كل اصلاحات أو تغييرات « أمان الله » وكذا اعادة طلاب البعثات فى الخارج .

هنا ظهر « **نادر شاه** » الذى قام بقيادة الجيوش الافغانية ضد الانجليز فى سنة ١٩١٩ ، وكان قد اعتزل السياسة واقام فى جنوب فرنسا لخلاف بينه وبين الملك أمان الله ، بسبب تطرف الاخير فى ادخال الاصلاحات وعدم مراعاة ظروف البيئة الافغانية ، فعاد سريعا الى افغانستان ليقود حركة النضال ضد « باجه سقا » واستطاع بمعونة بعض القبائل أن ينتصر على قوات « باجة سقا » وأن يدخل كابول ظافرا فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ بعد القبض على باجه سقا ، الذى اعدم رميا بالرصاص رصاصة من كل قبيلة . ثم جمع جمعية وطنية نادت به ملكا فى نفس الشهر .

***

واخذ الملك الجديد يعاود الاصلاح فى هدوء وترو ، واعاد امتيازات رجال الدين الى ما كانت عليه ، كما الغى القوانين المدنية التى سنها « أمان الله » ، والغى السفور كذلك ، لا رجعية منه ولكن تمشيا مع رغبة الجماهير فى المحافظة على التقاليد ، وانشا ايضا جامعة كابول

ومضى « نادر شاه » يخطو ببلاده نحو الاستقرار ، حتى اغتيل فى نوفمبر سنة ١٩٣٣ فنودى بابنه « محمد ظاهر شاه » ملكا .

وفى عهده التزمت افغانستان سياسة الحياد وعدم التاثر بجارتيها روسيا وانجلترا ، ورضيت كل منهما من افغانستان بهذا الموقف .

وعندما اعلنت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) اعلنت افغانستان الحياد ، ولم يكن لدى الحلفاء ما يدعوهم الى اكتساح تلك البلاد كما حدث فى ايران .

وفى اواخر عهد «ظاهر شاه» كثر انتقاد الناس لحكمه بسبب طغيان اتباعه واراد ان يمتص غضب الشعب فاعاد بعض مظاهر الحرية وبذلك استطاعت الاحزاب السياسية ان تعقد الاجتماعات وتنظم المظاهرات .

وقام « محمد داود » رئيس الوزراء السابق ، ابن عم الملك وزوج شقيقته بتاييد تلك القلاقل وخاصة الحركات اليسارية ، وتزعمها ، وتنبه الملك لذلك فاخرجه من الاسرة المالكة ومنعه من امتيازاتها وحرم عليه العمل السياسى قانونيا ولكنه لم يمنعه من مزاولة السياسة عمليا ، فاسس تنظيما سريا من الشيوعيين ، وضم اليه أفرادا من رجال الجيش وكان له بين كبار ضباطه اصدقاء حميمون .

وفى ١٧ اغسطس سنة ١٩٧٣ قام الجنرال «محمد داود» بانقلاب عسكرى ضد الملك «ظاهر شاه» أثناء وجوده فى ايطاليا للاستشفاء ، وأعلن قيام الحكم الجمهورى ونصب نفسه رئيسا للجمهورية ، واحتفظ لنفسه بمنصب وزير الدفاع

والشئون الخارجية ، كل ذلك بتأييد من الشيوعيين . لذلك ادخلهم فى الوزارات والدوائر الحكومية ، وبدأوا يزاولون نشاطهم الحزبى علنا . وللتخلص من محمد داود أخذ الشيوعيون فى افساد الادارة الحكومية وفى تشويه سمعته ، ولكنه تنبه لمؤامرتهم فثار عليهم وقتل بعضهم وسجن البعض الآخر ، كما فر فريق منهم خارج البلاد .

وخلال هذه الاحداث قام الجناح العسكرى لحزب الشعب الشيوعى (جماعة خلق او الجماهير) بقيادة **« نور محمد تراقى »** ،**«حفيظ الله امين»** وكذا حزب الراية بقيادة **« بابراك كارميل »** ، قاما بالاستيلاء على دفة الحكم واصبح « نور تراقى » رئيسا للدولة ، بعد اغتيال « محمد داود » وافراد اسرته، فى ابريل سنة ١٩٧٨ .

وقد ارتبط تراقى عسكريا بالروس بعد ارتباطه بهم عقائديا ، وأكثر من ذلك جلب المستشارين العسكريين من روسيا، وبهذا أصبح زمام أمر الجيش بيد الروس كما ارتبط بالروس اقتصاديا فحرم شراء السلع الا من الدول الشيوعية ،واخذ المدرسون يزرعون فى نفوس الطلاب حب زعماء الكريملين وماركس ولينين .

وزاد الطين بلة هدم كثير من الجوامع والمساجد وحذف مادة الدين من المدارس، كما منع الموظفون من تادية صلاة الظهر فى مكاتبهم .. الخ .

وأمام هذه التحديات أعلن الشعب الافغانى ثورته وجهاده المقدس ضد اعداء الدين والوطن ، وبدأت الاشتباكات الدامية بين الشعب وبين جلاديه ، وعلى الرغم من أن الشيوعيين استعملوا جميع وسائل القهر من قنابل وطائرات ونابالم، فقد واصل الشعب ثورته .

ولما وجد الروس ان « تراقى » اضعف من ان يقاوم هذا المد الاسلامى الجارف ، دبروا له انقلابا دمويا على يد اقرب الناس اليه وهو « حفيظ الله امين » فقتله هو وبعض وزرائه وحل مكانه .

ولكن الشعب الافغانى واصل مقاومته وتدخل الروس تدخلا سافرا فقادوا انقلابا جديدا على « حفيظ الله » ، الذى قتل ونصب « كارميل » مكانه فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩ .

ولم يكن كارميل أسعد حظا من سابقيه اذ استمرت الثورة وازدادت ضراوة وشملت جميع أرجاء أفغانستان، ومضى الثوار يحققون كل يوم نصرا جديدا ، وقد تمكنوا من تحرير مناطق كثيرة من سيطرة الشيوعيين ، كل ذلك بفضل حبهم للحرية والاستقلال وايمانهم بعدالة قضيتهم وكراهيتهم للشيوعية المعارضة للمبادىء الاسلامية .

وقد سجل الافغانيون بطولات رائعة واستطاعوا الحصول على غنائم من الاسلحة الروسية التى يقاتلون بها الروس . واذا كان الافغانيون قد فقدوا نحو مليون شهيد ، دفن الروس بعضهم أحياء ، وشرد منهم ثلاثة ملايين ، الا ان خسائر الروس تجاوزت أكثر من عشرة آلاف جندى وضابط ، بعضهم من الرتب الكبيرة .

وقد اتخذ الثوار الافغان علما جديدا عبارة عن قطعة قماش خضراء فى وسطها سيفان يحتضنان كتاب الله تعالى وفوقه عبارة « الله اكبر » .

وان قوما هذا شعارهم فى محاربة الطغيان والبغى لجديرون بالنصر فى النهاية ، ولا ينقصهم اليوم الا ان تمد لهم الدول المسلمة يد المعونة بالمال والسلاح حتى يكون نصرهم قريبا ،وجدير بالذكر ان مصر كانت ـ ولا تزال ـ تمد يد العون الادبى والسياسى والمالى واخيرا العون الحربى بمختلف الاسلحة والعتاد

حقق الله آمال الشعب الافغانى وآمال المسلمين جميعا فى نصر مبين قريب ..

الحيـاة فى "المجتمعات العميقــة"

عالم ماتحت البحار

● ميشـيل تـكلا ●

على عمق كيلو مترين ونصف الكيلو متر ، فى «جالاباجوس» اكتشف علماء معهد «وودزهول» لعلوم المحيطات هيئة جديدة من النظام لم يسبق ان عثر عليها انسان .. فقاع البحر العميق المغطى بفصوص وكرات كونتها الحمم البركانية وبعثرتها بنظام رتيب حول اعمدة من البازلت ، كانها قوائم لمبنى اسطورى قديم طعمها النشاط البركانى بقطع من الزجاج وكذلك حول مداخن كتلك التى تحدثها التفجيرات الذرية تحت سطح الارض لاستعاد الغازات الطبيعية ـ وتلت هذه التكوينات الغريبة سحبا من المياه المعدنية الدافئة الغنية بالكبريت والشعب المرجانية تركزت على هيئة مستودعات مزدحمة بكرات ثلجية من الكبريتيد .

● المحيط يتحدى قدرة الانسان .

يتحدى عمق المحيط قدرة الانسان العلمية والتكنولوجية تماما كالفضاء . فتحت سطح الماء وعلى عمق ميل واحد تصبح الدنيا عالما غامضا كأى كوكب آخر فى المجموعة الشمسية . وان كان من السهل الهبوط اليه عما يستطيع الإنسان ان يصعد الى كوكب أو قمر بعيد . وبالوسائل العلمية التى لا تزال بدائية ، كان علماء المحيطات الاوائل يعرفون القليل عن قاع المحيط العميق . ولكن التقدم الثابت عبر السنين مكنهم من رسم خريطة دقيقة لقاع البحر على أعماق بعيدة ، والحصول على نتائج مذهلة مشرقة . فقد كان يظن لوقت طويل ان قاع البحر يتكون من سهول شاسعة لا يسبر غورها تجرى من رف قارى الى رف قارى آخر ، ثم ما لبث ان وضحت الصورة وان المحيطات تخفى طوبوغرافية مختلفة اختلافا كبيرا عن اليابسة وان كانت أكثر عظمة وجلالا !

لقد وضحت صورة قاع المحيط بعد ادخال اجهزة صدى الصوت . ففى منتصف القرن الحالى تم اكتشاف ٥٧ عمقا للخندق اليابانى فى المحيط وعمقا لخندق هاواى أو سهل كيب فيردى العميق .. كما قامت أجهزة صوتية بفحص جوانب هذه الخنادق والسهول . وركبت كاميرات اعماق البحار التى لا تزال تضيف معرفة جديدة لقاع البحر .

وبرزت ظاهرة غريبة عند مسح المحيط

فحواها ان المناظر الطبيعية المختفية تحت الماء توجد على نطاق واسع • فخندق ماريانا بالمحيط الباسيفيكي من أروع أعماق المحيطات يغوص الى ١١٫٠٥١ ميلا (٣٦٫٢٤٠ قدما) في قشرة الارض ، ولكن قاع المحيط له جباله أيضا • فسلسلة جبال وسط المحيط الاطلنطي تعد من السلاسل المتذبذبة تذبذبا رائعا وبالرغم من أن تيارات المحيط تؤثر في هذه الجبال وتنخرها حاملة معها ذرات كاشطة فهي لا تتعرض لعوامل الاجواء العنيفة أو التآكل او التحلل الطبيعي أو الكيميائي للتربة والصخور ..

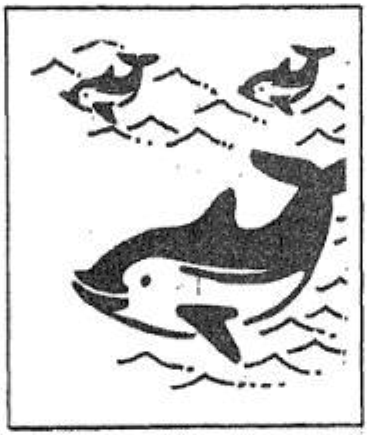
● قاع البحر الكاذب

بمزيد من المعلومات عن طوبوغرافية البحر العميق ، يدرس علماء المحيطات حاليا ماء البحر ذاته ، وعلى الاخص ما يطرأ عليه من تغيرات مع ازدياد العمق فمجال سرعة الصوت للماء يتغير باستمرار استجابته للاختلافات في الحرارة والملوحة والكثافة والتيارات • وهذا معناه أن وقت الارتحال لاندفاع الصوت من مصدر الى جهاز الاستقبال سوف يعتريه تأثير • فاذا أمكن اكتشاف هذا التأثير عرفت صفات الماء في قطاع رأسي • وفي هذا العام أجريت مجموعة من التجارب في المحيط الاطلنطي تضمنت مجموعة من مصادر الصوت واجهزة الاستقبال •

● رواسب الانهار والمحيطات

ان الاختبارات التي اجريت على رواسب قاع البحر عبارة عن مجال بحث رئيسي آخر •

على عمق خمس كيلو مترات تبعا لاختلاف المركبات الكيميائية لكربونات الكلسيوم تذوب في ماء البحر ، وتعرف هذه العملية ((بتعويض الكلسيوم)) مما يؤدي الى تغطية قاع البحر بطين ناعم ابيض اللون ، كما وجدت مناطق أخرى من قاع البحر العميق مغطاة بطين احمر اللون يحتوي على سليكات الالومنيوم المائية وقد اشتقت اساسا من الغبار البركاني وزجاج خفيف مضاف اليه غبار جوي وذرات أخرى •



قاع البحر : ملىء بعجائب المخلوقات

وفي المحيط الاطلنطي توجد مساحات عظيمة قد لا يكون العمق عظيما بما فيه الكفاية لكي يحدث تعويضا للكلسيوم ويمكن معرفة قدر كبير من ماضي هذه المناطق وتاريخها وذلك باختبار الهياكل الدقيقة باصنافها العديدة المتنوعة •

ان هيكل مركبات قاع البحر من الامور التي لا يهتم بها عالم الاحياء البحري فحسب بل المهندسون الذين لابد ان يكونوا على دراية واسعة بتركيباتها وخواصها الميكانيكية ليحددوا صلاحية الاجهزة التي تغوص الى القاع .. وبما ان محتوى الرواسب يلعب دورا هاما في معرفة ما بها من معادن لذلك كان لابد من تطوير الاجهزة والمعدات للحصول على اعمدة رأسية من هذه الرواسب •

● وسائد الحمم

ان بعض المناظر الطبيعية المثيرة تحت الماء توجد على طول اطراف الاقراص التكتونية (أي المتعلقة بنشوء أديم الارض والقوى المؤدية اليه والاشكال الناشئة عن ذلك) .. فعندما تتحرك هذه الاقراص منفصلة بعضها عن بعض

تحدث الصدوع التى تسمح للحمم المنصهرة بالتدفق نحو الخارج والانتشار فوق قاع المحيط • وما أن يبردها ماء البحر حتى تتخذ هذه الحمم أشكالا غريبة وعلاوة على ذلك يتسرب ماء البحر الى الشقوق حيث تسخنه الصور البركانية وتجبره على الاندفاع بعد أن يكون قد أصبح غنيا بالمعادن المذابة من خلال الثقوب •

فى عام ١٩٧٧ انزل منقاب الى عمق كيلو مترين ونصف الكيلو متر فى صدع جالاباجوس بهدف العثور على شقوق نشطة وتكوين ارتباط بين هذه الشقوق وحركة الاقراص التكتونية • وفى الحال تم اكتشاف مخلوقات مذهلة فى الاعماق• وحدث اكتشاف اعظم بعد ذلك فى عام ١٩٧٩ عندما قامت بعثة من العلماء بجلب ما اطلقوا عليه ((مجموعة جديدة من المفاجآت العلمية •))

بدأ العمل فى نتوء شرق المحيط الباسيفيكى عند درجة ٢١ شمالا حيث املت احدى النظريات العلمية بوجود شقوق كثيرة يجب القاء الضوء عليها • ووجد بعد وقت قليل انه لم يكن هناك شقوق فقط بل مجيار من الماء اللبنى المترسب فى الصدع كما انبعث دخان فى سحب كثيفة لماء ابيض واسود اللون بلغت درجة حرارته ٤٠٠ درجة مئوية • وبجانب ذلك كانت مستعمرات حيوانية تشبه تلك الموجودة فى الصدع ذاته تتكور وتلتحم فى عناقيد حول الموقع ••

ان معرفة العلماء لهذه الظاهرة الغريبة لا تزال ضعيفة يغلب عليها التأمل والتفكير العميق ، مما جعلهم يواصلون البحث فى صدوع جالاباجوس ومنطقة نتوء شرقى الباسيفيكى للحصول على نموذج متطور لهذه الظاهرة يمكن فهمه وتحليله علميا •• ولابد من متابعة تطور الشقوق من خلال دورة الماء فى هذه المناطق التى تكثر فيها الضلوع الافقية والحلقات والكرات والاعمدة الطويلة التى عندما هشمت وجدت فارغة تماما •

لقد كان يظن لسنوات عديدة ان الحياة تنعدم تحت الضغوط الهائلة للاعماق الباردة المظلمة للبحر على مسافة ٥٠٠ متر • ولكن بالتدريج عبر السنين امكن جمع مخلوقات من أعماق أعظم وأعظم فى عام ١٩٥٠ خلال البحوث التى قامت بها السفينة الدنماركية جالاثيا التى ادهشت العالم عند استخراجها لرخويات وديدان وهيئات الحياة البحرية الاخرى من عمق ١٠ر٢٠٠ متر من خندق الفيليبين • وكان لا يزال من المشكوك فيه وجود الاسماك عند هذه الاعماق •

● حيوانات ونباتات قاع البحر

توجد فى أعماق المحيطات حيوانات ونباتات تعيش على القاع بطريقة متناثرة متباعدة • ومع ذلك فهناك احيانا تركيزات هائلة للاعداد الصغيرة من مجتمعات البكتريا • وتقوم البكتريا من جانبها مع الحرارة والضغط بتحويل بقايا المواد العضوية الى غاز الميثان الذى يتحول بدوره فى نهاية الامر الى بترول ومن الممكن استخراج البيكتريا من قاع البحر لذلك اعدت معامل صغيرة تهبط الى القاع حيث تجرى بداخلها تجارب مثل قياس نسبة الاكسجين الذى تستهلكه حيوانات ونباتات القاع وتحديدها • وعلى مرور الوقت استطاع العلماء أن يجمعوا معلومات غزيرة عن الرخويات والديدان والقشريات واللاحشويات (أى الحيوانات البحرية اللافقارية ذات تجويف بطنى يقوم مقام القناة الهضمية كسمك المرجان والسمك الهلامى) والقنفديات (وهى طائفة من الحيوانات البحرية تشمل نجم البحر والقنفد البحرى) التى تسكن الاعماق •

وعلى ذلك كان اهتمام المجتمع العلمي منصبا على ما عادت به السفينة « الفين » من مجموعة هائلة من حيوان ونبات صدع

جالاباجوس مع انباء عن مخلوقات كان وجودها حتى وقت قريب مشكوكا فيه وان طعامها كان من اعظم الاكتشافات فى عالم ما تحت البحار .

وكبت كاميرات على السفينة ((الفين)) وفى غاطس والتقطت صورا كل عشر ثوان وسجلت وجود حيوانات صدفية غريبة بيضاء اللون تعيش على تصفية البكتريا وغيرها من الاعضاء الدقيقة بنفس الطريقة تقريبا التى تستخدم فيها الحيوانات الرخوية خياشيمها المغطاة بمادة مخاطية لالتقاط المواد الغذائية . وكان من الواضح بعد ذلك ان الشقوق النشطة بها مستعمرات كاملة من الحيوانات الرخوية ، اما الشقوق غير النشطة فقد كانت محاطة باصداف فارغة .

أما الاكتشاف الاخير المذهل فقد عثر عليه قريبا من الشقوق . وكان عبارة عن دودة ضخمة تعرف علميا باسم ((بوجو نوفورا)) . وهى من انواع الديدان الطويلة غير العادية لا أحشاء لها تمتص جزيئات الطعام والاكسجين عن طريق حزمة من مجسات دموية حمراء تندفع من خلال نهاية الانبوبة التى يبلغ طولها نحو متر أو اكثر وتعد من اكبر الاعضاء فى فصيلتها التى سجلت حتى الآن .

وبجانب ذلك تم اكتشاف نوع من الكابوريا القصيرة ، ومعظم انواع ((الكابوريا)) لها عيون مركبة بقرنيات سداسية الشكل . ولكن هذا النوع لم يتمتع بهذه الميزة . فعيونها مختصرة ولا يزال العلماء فى حيرة من الطريقة التى تحس بما يجاورها من اشياء وعلى الاخص فى ظلام العمق . ومع ذلك فهذا النوع من سرطان البحر اذا واجه شيئا عمد الى طرق هجومية وكأنه يرى خصومه !

● اسئلة بغير اجابة

هناك سلسلة من الاسئلة بغير اجابة لكثير من الاشياء التى اكتشفها الباحثون ولعل ابرزها هو غذاء هذه المخلوقات . فحيوانات ونباتات البحر العميق قد اعتبرت دائما متناثرة متباعدة لانها تعتمد على الغذاء الذى يهطل عليها من الذرات العضوية التى تخلقها عملية التمثيل الضوئى لملايين غير معدودة من العوالق التى تسبح على سطح المحيط . وهذه الذرات غير كافية لتسد حاجة مخلوقات المجتمعات التى تسكن مناطق الشقوق فى الاعماق. لذلك اقترح العلماء ان الحل موجود فى عملية تعرف باسم التمثيل الكيميائى . فتوليف المركبات العضوية عن طريق البكتريا باستخدام المواد الكيميائية مثل كبريتيد الايدروجين معروف فعلا .

وبالرغم من انه ليس فى أى مكان آخر على الكرة الارضية قد عرفت مجتمعات ضخمة مماثلة تعيش على عمليات تعتمد اعتمادا كليا على ضوء الشمس ، فان التحليل الكيميائى لماء الشقوق صدق على هذه النظرية عندما عثر على كميات كبيرة من كبريتيد الايدروجين ، وان مليارا لكل لتر من هذه الحيوانات الدقيقة قد تم قياسه ،وبينها الكثير القادر على استخدام كبريتيد الايدروجين .

تؤكد التجارب التى اجريت على مجموعة من الاحياء المجهرية ان البكتريا هى منتجات اولية ، فحيوانات الشقوق تعيش بطريقة مباشرة او غير مباشرة على طعام البكتريا الناتج من كبريتيد الايدروجين وثانى اكسيد الكربون والاكسجين المذاب فى ماء الشقوق .

لقد فتحت بحوث اعماق المحيطات بابا جديدا وجاءت ببعد جديد فى فهمنا وتقديرنا لانواع الحياة فى المجتمعات العميقة .. لقد رأى العلماء قدرا يسيرا من الحياة الموجودة فى ابعد الاعماق والاجزاء الدامسة الظلام فى المحيطات ، ولكن اصبح من الواضح أن مخلوقات المحيطات العميقة على درجة كبيرة من الغرابة مثل الوديان التى تعيش فيها .

لسلامة الصغار والكبار
من خطر

الإلتهاب السحائي

● الالتهاب السحائي والحمى الشوكية من الامراض التي تثير الذعر والرعب احيانا بين كثير من الامهات فهي امراض تواجهنا صغارا وكبارا ، ولكننا لانعرف عنها شيئا وبالتالي فنحن لاندرك مدى خطورتها واساليب وطرق الوقاية منها .

وفي لقاء مع الدكتور علي العيادي استاذ الامراض الباطنية بكلية طب قصر العيني ، كان الحديث حول امراض الالتهاب السحائي والحمى الشوكية .

في البداية سالت الدكتور العيادي عن الفرق بين الالتهاب السحائي والحمى الشوكية ؟

يقول الدكتور العيادي : الالتهاب السحائي هو التهاب الاغشية المخية بانواع مختلفة من الميكروبات البكتيرية مثل العنقودية والسبحية او الدرقية او الفيروسات ... اما الحمى الشوكية المخية والتي نسمع عنها بكثرة هذه الايام فهي نوع خاص من الالتهاب السحائي المخي يسببه ميكروب خاص يسمى «مينر جوسوس» وهذا يعني ان الحمى المخية الشوكية هي نوع من مشتقات الالتهاب السحائي ، ويمكن اكتشافه عن طريق اخذ عينة من سائل النخاع في العمود الفقري للانسان المصاب ...

وتكمن خطورة ميكروب الحمى الشوكية او الالتهاب السحائي في أن من خصائص هذا الميكروب انه يستقر في اغشية المخ فقط . وهذا هو مكمن الخطر ... اما ميكروبات الحميات الاخرى مثل التيفود فانها تستقر في الامعاء ... وفيروسات الانفلونزا تستقر في الاغشية الخاصة بالانف وهكذا ... ومن هنا فاننا كاطباء نعتبر أن الاصابة بالحمى الشوكية او الالتهاب السحائي من أخطر الامراض عالميا ... ولذلك يجب على كل اب او ام أن ياخذوا فكرة واضحة وكافية عن طبيعة هذا المرض للوقاية منه من ناحية ، وكذلك معرفة وسائل العلاج منه باسرع مايمكن من ناحية اخرى نظرا لآثاره الجسيمة غير القابلة للشفاء .

واسأل الدكتور علي العيادي : ماهي



د. على العيادى : كيف نواجه خطر الالتهاب السحائى أ.

مصادر العدوى ... وهل يمكن الوقاية من الالتهاب السحائي أو الحمى الشوكية ؟

ويجيب : مصادر العدوى فى هـذا المرض هم المرضى حاملو الميكروب وهؤلاء هم أهم مصادر العدوى حيث يوجد الميكروب فى الانف والبلعوم ، وتنتقل العدوى عن طريق الرذاذ والمخالطة مع حامل الميكروب ... ويساعد أكثر على انتشار هذا المرض الازدحام الشديد ، وقلة التهوية خاصة فى الفصول المدرسية ، وعنابر النوم ، وفى المدارس الداخلية ، والمخيمات ... ومما يساعد أيضا على انتشار هذا المرض أن حامل الميكروب قد لا يصاب بالمرض ويظل مجرد حامل للميكروب ، وبذلك فان الميكروب « كامن » لديه ينشره دون أن تظهر عليه الاعراض ، ولذلك فنحن ننصح دائما بارتياد الاماكن جيدة التهوية وغير المزدحمة ، وخاصة فى الموسم الخاص بالمرض وهو نهاية الشتاء وأوائل الربيع ، وهى الفترة التى نسمع فيها عن انتشار هذا المرض بكثرة فى العالم كله .

● طرق الوقاية ... ●

ولكن ، ماهى طرق الوقاية من هـذا المرض ؟ ..

يقول الدكتور العيادى : فى الواقع وكما سبق أن قلت ، فان التهوية وعدم الازدحام هما أهم وسائل الوقاية من هذا المرض ... كذلك استعمال المضادات الواقية التى تزيل الميكروب من الانف والبلعوم ... وقد كانت مستحضرات السلفا تفى بالغرض، ولكنها فقدت قدرتها على ذلك ، بسبب ظهور أنواع جديدة من الميكروبات لاتتأثر بمستحضرات السلفا ... ويستعمل الآن مضاد حيوى يسمى « ريفامبسين » ولكنه غال الثمن ، ويمكن استعماله كوقاية ضد المرض فى التجمعات الخاصة فقط مثل المدارس أو المخيمات .

ويستطرد الدكتور العيادى :

كذلك هناك تطعيم بالفاكسين ويعطى مناعة ضد نوعين من هذا الميكروب « ايه » و « سى » لمدة ثلاث سنوات بنسبة مائة فى المائة ، مما يقلل كثيرا من احتمال وجود حامل الميكروب ، ولكن هذا التطعيم باهظ الثمن أيضا ، ويصعب استعماله على نطاق واسع ، ولكنه يمكن أن يعطى للاشخاص الاكثر تعرضا للوباء فى التجمعات والزحام .

● أعراض الحمى الشوكية ●

وكثيرا مايحدث خلط بين أعراض

الانفلونزا والحمى الشــوكية ، مما يؤدى الى تأخر العلاج ، وبالتالى يؤدى الى نهاية وخيمة ... ومن هنا يصبح من الضرورى معرفة أعراض الحمى الشوكية حتى يمكن تدارك الامر فى وقت مناسب ...

ويقول الدكتور العبادى : ان أى عرض لأى مرض يجب أن تاخذه الأم بجـدية ، لأن أعراض كثير من الامراض متشابهة ، وفى حالة الالتهاب الســـحائى والحمى الشوكية ، فان اعراضه تنحصر فى ارتفاع شديد فى درجة الحرارة وصداع شديد ، والتهاب فى الاغشية المخاطية ... وهذه اعراض الانفلونزا أيضـــا ، ولـكن يزيد عليها ان الالتهاب الســـحائى او الحمى الشوكية يصاحبهما تصلب فى فقرات العنق وآلام مبرحة تمنع الشـــخص من تحريك الرقبة او الرأس ، ومع انتشار الميكروب بالدم يستقر فى النهاية بالاغشية المخية ويسبب المرض المعروف بالحمى المخيـــة الشوكية ... وتظهر هـذه الاعراض على المريض بعد فترة حضانة تتراوح بين يومين وسبعة أيام ، يبدأ بعدها المريض الشكوى من هذه الاعراض ...

ونسأل الدكتور على العبـادى : كيف يمكن السيطرة على هذا المرض قبل وبعد ظهوره ؟

ويجيب : فى حالة ظهور أعراض المرض على أى شـــخص ، فينبغى عزله فورا مع وضع المخالطين له بمستشفى ، ومعالجته بالمضاد الحيوى حتى يشفى ، ووضـــعه تحت الملاحظة لمدة ســـبعة أيام « فترة الحضانة » ويمكن اعطاء المخالطين للمريض كبسولتين من « الريفامبسين » يوميا لمدة خمسة أيام ...

● الشفاء ممكن بشرط ... ●

ونسأل الدكتور العبادى : هل الشفاء التام من الحمى الشـــوكية أو الالتهاب السحائى ممكن ؟ ...

ويقول الدكتور العبادى :

فى الواقع اذا أمكن علاج المريض بعد ظهور الاعراض مباشرة فان الشفاء التام يتم فى حوالى ٩٠٪ من الحـــالات ... ولكن اذا تأخر العلاج بعض الشيء فهنـا تكمن الخطورة ، فقـد يترك المرض آثارا جانبية مثل الشلل أو التهابات النخاع والاعصاب أو التهاب فى الاعصاب المخية ، وكلها عاهات مستديمة لا علاج لها ، بل وقد يؤدى تأخير العلاج الى الوفاة .

واخيرا ، يؤكد الدكتور على العبـادى فى نهاية حديثه ان هذا المرض يصـيب الكبار والاطفال معا من سن ستة أشهر أى بعد فترة الحضـــانة الطبيعية التى يحصل عليها الطفل من امه ، والاعراض والعلاج والنتيجة واحدة عند الصـــغار والكبار ...

والنصيحة التى يقـدمها الدكتور على العبادى لكل أم : ـ هى عدم الاهمال عند ظهور أى عرض من اعراض أى مرض على طفلها ، فالاعراض الاولية لابسط الامراض هى ذاتها نفس الاعراض التى تصـاحب اعنف واخطـر الامراض ، واســـتعمال المسكنات من نوفالجين واسـبرين ينبغى أن يتم فى حدود ضيقة حتى لاتطمس معالم أى مرض ... ●

اعداد : سهير الجارحى

أندلسية

في القطـــــار...

أحمد السمره

وتجذبني بعينيهـــا اختيالا ... فتوقظ للهـــوى الطاغي صباه
حميّـــا لا تجـود بها دنــان ... وأحجيّـــة تحدّت من تمنّاه
كلانا ودّ لو يجري حديثا ... ولكن من يبـــادر مبتداه ؟
هممت به فأرجفه بي حيـــاء ... وهمّت ، فاســتقامت لي مناه
فقلت لها وقـد أثرى فـراغي ... عبير جوارها ونـدى شذاه
قطـــار الليل يسرع في سراه ... ليبلغ في الضحى الأسنى مداه
فقالت وهي باسمة المحيّـــا ... لأن الشوق ما يحـدو سراه

***

فقلت لها ترى من أين ؟ قالت ... وروح الزهــو يستهدي سناه
أنا من موطـــن أنس الدراري ... ووشّح بالشموس مدى سماه
وانضرت السماء به فأوحت ... إلى الفنّـــان أروع ما جناه
يطوف به الفنّـون على فنون ... ويحتشد الثراء على ثراه !
وتمتشق الجبـال به سحابا ... فيجبرها السحابة من لماه
بأكناف العروبة فاض شعرا ... ترقرق للظماء لندى قراه
وفي لدد الملاحم كان هولا ... تعانقت السيوف على ليداه
فلا تعجب لزهـــوي فهو زهو ... يصعده الفخـــار لمستواه
أنا من أرض أندلس ولكن ... جدودي العرب والتاريخ جاه
شوامخ ركز الإشراق فيهم ... مآثره وأضنى من عــلاه
شوامخ ركز الإشراق فيهم مآثره ... وأضنى من عــــلاه
فإن أدنى بهـــم في العصر خسر ... فقد شمخت بفجرهم الجبـــاه
فقلت لها وقـد غامت عيـــوني ... ليعرب أنتمي فأنـــا فتاه
أزف إلى مشــارفه نهـــاري ... وأبذل كل غال في فـــداه
فقالت لي إذن أبنـــاء عم ... تلاقوا في هوى الماضي وتاهـــوا

باقة من العرفان فى وداع ...
سيد النغم
رياض السنباطى

● فوميل لبيب ●

❝ مات رياض السنباطى ، هرم الموسيقى ، وسيد النغم . والفنان الذى حظى بالتكريم على المستويين العالمى ، والمصرى ... فعالميا فاز بجائزة الموسيقى الدولية التى يتسابق عليها حفنة من عباقرة العالم .. ومصريا فاز بدرجة الدكتوراه الفخرية قدمها اليه الرئيس الراحل انور السادات فى عيد الفن ... وليس فى العالم العربى من المحيط الى الخليج من لم يتمايل طربا لالحان السنباطى التى حملتها الى الاسماع خالدة الفن ام كلثوم ..

الى حارس موسيقى العرب ، من اختطفه الموت وهو مستمر فى تدفقه وعطائه .. نضع هذه الباقة من العرفان على قبره .. ❞



رياض السنباطي : عمر من النغم الاصيل

وهو فى سفر الموسيقيين من الخالدين .. لأنه .. !

● أول من حافظ على التراث العربى التقليدى الاصيل .

● اضاف اليه اضافات جمالية كثيرة اخذ عنها الملحنون الذين جاءوا من بعده .

● ادخل كثيرا من الآلات الغربية دون ادنى تشويه للمسار اللحنى الذى ابتكره بعبقريته العربية التى جعلت الحانه تتردد فى جميع انحاء الوطن فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار .

● يؤثر القيم الفنية على كل ما عداها ويسهم اسهاما حقيقيا فى الموسيقى العربية ...

● ويرتفع فوق كل ما هو شخصى .

ولانه كذلك رشحه صالح المهدى رئيس مجمع الموسيقى العربية التابع للجامعة العربية لجائزة اليونسكو الدولية منذ سنوات ... ووجه العجب ان صالح المهدى رشحه هو بدلا منه ..

وقد درس المجتمعون فى اليونسكو موسيقى المتقدمين للجائزة الدولية ... درسوا موسيقى ليتارو ازفيدوا البرازيل ، وخريشكولوف الروسى ، وادوارد الفسانى ، وجودمان عازف الكلارينت الامريكى ،ورياض السنباطى، وقالوا ان السنباطى يستحق الجائزة حقيقة ، لأنه استطاع بالموسيقى التى قدمها التأثير على منطقة لهـا تاريخ حضارى ...

وكان الاحتفال بتسليم الجائزة لرياض السنباطى يوم ٦ اكتوبر عام ١٩٧٧ .

وقد دق التليفون فى بيت رياض السنباطى وتلقى دعوة بالذهاب الى مسرح سيد درويش بمدينة الفنون لتسلم شهادة الدكتوراه الفخرية من يد الرئيس الراحل أنور السادات ...

وبعد دقائق تسلم خطابا من هيئة الجوائز الدولية تدعوه الى براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا حيث يتسلم جائزته ـ ٥٠٠٠ دولار ـ ليلة ٨ اكتوبر .

يضحك السنباطى ويقول :

ـ يقول المثل العامى القفى لما يسعد يجى له ختمتين فى ليلة واحدة .

واختار السنباطى أن يتسلم الجائزة من الرئيس الراحل السادات ...

واعتذر بخطاب رقيق عن السفر الى تشيكوسلوفاكيا ...

وفى يوم ٨ ديسمبر عام ١٩٧٧ قامت جمعية المؤلفين والملحنين بتكريم السنباطى .. الدكتور ، الفائز عالميا !

***

منذ ٧١ عاما ...

والمكان بلدة فارسكور من اعمال

باقة من العرفان في وداع
سيد النغم رياض السنباطي

الدقهليـــــة ، حيث الارض الزراعية مغمورة بالمياه تغوص فيها شتلات الارز ، والفـــلاحين عائدون الى دورهم فى اطراف البلدة ، والتجار الصـــغار يتجمعون على المقاهى . والنساء يطللن من النوافذ ويتناقلن خبر ذاك الاصيل .. الفنوانى خلف ولد . . .

والفنوانى هو السنباطى الكبير الذى كان يغنى فى الافراح فى فارسكور . . .

ويبلغ السنباطى الكبير المنصورة ، ويتقن الادوار القديمة والقصائد ، ويقلد عبد الحى حلمى ، والصفتى . ثم يعلو صيته وتضيق فارسكور بطموحه فينتقل الى المنصورة نهائيـــا ويحظى بلقب « بلبل المنصورة » ، ولكنه يفاجأ بمرض فى عينى صبيه رياض . ويهلع ويأخذ ضناه الى الطبيب الذى يقول له :

ـ ابنك يعانى من العين العصبية ، هنا لا شفـــاء لها الا بان تأخذه الى الريف حيث يستطيع ان يتأمل خضرة الحقول ، وينظر فى افق ازرق وسماء صافية ..

وذهب الاب مع ابنه ، وفى الريف اتيح له أن يسمع ابنه يدندن بأغنية « نام الحمام والقمرى » ـ فسأله :

ـ متى بدأت الغناء يا رياض ؟

فقال الصغير :

ـ منذ عرفت معنى ما تغنيه . . .

فقال الاب :

ـ سوف « نسرح » معا .. ســــوف نغنى معا !

وبدأ السنباطى الكبير يتجـول مع السنباطى الصغير . . .

وفى تلك الاثناء كانت فتاة تصعد الى سماء الطـــرب على مهل ، تجوب القرى والدساكر والكفور مع ابيهـــا الشيخ وشقيقها المعم ، اســـمها ام كلثوم ، وهى من مسقط راس غير بعيد عن مسقط راس رياض . وهـو يسمع عنها ويتمنى لو يراها .. وهى تسمع عن السنباطى الكبير وولده ، وتتمنى لو تراهما . . .

وفى محطة درين التى يقف عليهـا قطار تئن عرباته فوق قضبان هزيلة ـ التقيا . . .

الوقت فجر ـ والمرئيات تلتف فى ضبابه ، والمطر يهطل رذاذا كأنه يشدو بأفواه القرب ـ كما يقولون :

وهى تحتمى بجبة أبيها ؛ وهو يحتمى بشـــدة ابيه . . . السنباطى الكبير والشيخ ابراهيم يتصافحان ، وام كلثوم ورياض يتعارفان ..

كان رياض أصغر منهـــا . وكانت تشفق عليه من هزاله . . . واقبل القطار بصفير كأنه سعال ، فاســـتقلاه . . . وجلسا متجاورين ، يقطعـــان الوقت بالحديث ، ولكن النوم غلبهما ، بينما استأنف الكبار الحديث ..

والترقا عند محطة المنصورة . . .

ولم يكن احد يدرى .. **لا عـــراف ، ولا قارىء طالع ، أن الصغيرين فى قطار الدلتا سوف تصفق لهما الدنيا حين يلتقيان مرة ثانية !**

***

من ينابيع كثيرة وغزيرة نهل رياض السنباطى فى ريق العمر . . .

يقول رياض السنباطى :

ـ تأثرت بأبى الـذى كان اول من علمنى العود ، وقد كان عوادا مشهورا . وعلمنى عشرات من الادوار القديمة التى اعتبرها كنزا مدفونا فى اعماقى ..

ثم يقول :

ـ والتقيت بالشيخ سيد درويش . كنت احفظ له ادواره . ولهذا ما ان رأيته حتى احببته جدا . وســـمعنى وكان يقول لابى . يا محمـد اترك لى رياض وانا اتولاه . فيقول له أبى « كيف اترك رياض يذهب الى الاسكندرية معك ،



انه ساعدى الايمن » . ولكن سيد درويش ما كان يزور المنصورة الا واصاحبه . باخذني الى محل حلواني مشهور في المنصورة ، وكان يطلب لي قطع « البسطة » بينما يطلب لنفسه شرابا ، فيشرب وآكل . ويصيح بي « غن يا رياض » فاغني له ، فاذا جاء ابي ليعود بي الى البيت قال له : يجب الا يبقى رياض في المنصورة يا محمد .. رياض موهوب ومكانه في القاهرة .

ويقفز رياض السنباطي اعواما فيقول :

– بعد الدراسة ادركت عظمة سيد درويش ، فهو الذى نقل الموسيقى من دائرتها المحدودة الى دوائر الانغام الفسيحة .. وهو الذى يتبحر في خلق المعاني اللحنية الحلوة وتصورها تصور الفنان المتمكن الاصيل ، وتاريخه يشهد له بما اتاه من الحان خالدة للآن لم تمت ، وللآن نرددها ، وللآن يعيش عليها عشرات المطربين ، ناذا هزتنا الحماسة ، واشتقنا الى اغنية وطنية فاننا نردد « بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى » – احدى روائع سيد درويش ...

ثم يقول رياض السنباطي :

– ولكن سيد درويش لم يلق التكريم اللائق به وهو حي ... ولعل هذا كان عزائي وانا ابلغ النتبعين فارى من حولي يكرمون وانا في عزلة .. قابلت الشيخ سيد مرة في الاسكندرية . كنت مع ابي نصطاف ، وكان الشيخ سيد واقفا على باب مسرح الهمبرا ، والساعة الثامنة مساء ، وعلى وجهه حزن لا يخفيه ..

وساله ابي في مشاركة وجدانية صادقة : ما بك يا شيخ سيد .. فقال : اقمت حفلة لاغني فيها ولم يبع شباك التذاكر اكثر من ثلاث تذاكر ! ...

صمت ابي لحظة بينما استطرد سيد درويش قائلا : « ولهذا الغيت الحفلة ، ووقفت هنا وقدماى لا تقويان على حملي الى البيت ! ..

وواساه ابي ، وقال له : شاعر الحي لا يطرب .. وظللنا معه نضحكه ونضاحكه حتى نسي حزنه ...

***

من ينابيع الصبا تلك الموشحات .

يقول رياض السنباطي :

– دعني اشرح لك حكاية الموسيقى العربية من البداية ! ومن البداية اقول لك ان من الخطأ ان نقول انها الموسيقى الشرقية لان الموسيقى الشرقية فيها ايرانية وتركية وهندية واندونيسية .. ولكل موسيقى منها خصائصها كما ان للموسيقى العربية اطرها ومميزاتها . واول من عزف العود اسحق الموصلي .. تمضي اعوام ثقيلة من الكساد الموسيقي حتى يجيء عبده الحامولي في اواخر القرن الماضي ومعه المظ ، فيقدمان لنا جديدا . ومع جمال ما كان يغنيه مطربو عصر الحامولي وما بعده ، الشيخ المنيلاوى وابو العلا محمد – الا ان الدائرة الفنية التي يعيش فيها اللحن كانت ضيقة .. كان اللحن مقفولا ، ولكنه كان جميلا ، والذى وسع الدائرة كما قلت هو الشيخ سيد درويش ...

ثم يقول :

– جئت اذن الى القاهرة ... هيا نعود الى خيط الحديث الاول – سمعت روائع ابو العلا محمد : « غيرى على السلوان قادر » ، و « افديه ان حفظ الهوى او ضيعا » ..

سمعت عبد الحى حلمى وغيره من المطربين الذين رحلوا ، وكنت اجد لذة في الاستمتاع بطابعهم المحدود .

وحين جئت الى القاهرة وجدت محمد القصبجي احسن عواد في مصر ، وكان فضلا عن هذا ملحنا ممتازا ، لكنى وقد جئت الى القاهرة برضا

غير مكتمل من ابى ، اردت ان اخوض ساحة الفن باسلحتها الحقيقية فقررت ان التحق بمعهد الموسيقى . وتقدمت الى امتحان الاصوات واستمعت الى لجنة فيها مصطفى رضا وحسن انور وحافظ خيرى . ونجحت ... وقررت لى اللجنة جائزة قدرها ٢٠ جنيها تسلمتها على ستة اقساط ..

ويضحك السنباطى ويقول :

ــ كان الجنيه أبرك من مائة الآن !

ــ ولكن اللجنة حينما استمعت الى عزفى على العود تهامست طويلا . ثم قال لى مصطفى رضا نحن قبلناك فى المعهد .. فنهضت من على مقعدى وانا اقول شكرا . فقال : « ولكننا لن نقبلك تلميذا » .. فوجمت لثوان ، سألت نفسى فيها ماذا الان ؟ وجاءنى جواب مصطفى رضا مذهلا . قال لى : « سوف نعينك مدرسا للعود ! » .

***

لعله اول تلميذ فى العالم يمتحن ليدخل تلميذا ، فينجح ليعين استاذا !

قبل السنباطى اربعة جنيهات راتبا شهريا وقبل يديه شكرا للسماء التى ترعاه ! وانخرط فى مناخ الموسيقى بروح مشرئبة الى كل نغمة واردة ، ونفس تلتهم وتستلهم كل نغمة شاردة . اشتهر عنه اخلاصه الشديد للتعليم .. ومن أساطين من تعلموا على يديه الفنان فريد الاطرش الذى قال له السنباطى بعد ايام :

ــ انت موهوب .. وليس عندى ما اقدمه لك ! .

ويقول رياض السنباطى :

ــ بعد سبعة عشر عاما من لقائنا الاول فى درين التقيت بالفنانة ام كلثوم مرة اخرى . كان صيتها قد طبق الآفاق فى القاهرة حين بدات عملى كمدرس للعود ، وكنت اتابع الحانها واحسد الذين يلحنون لها . وكانت تتحرك فى اعماقى ملكة التلحين تعبيرا عن عواطف جياشة يعيشها الشباب فى مثل سنى .. وقد تقدمت بانتاجى لشركة أوديون فعهدت الى بمطربين ومطربات ناشئين وناشئات ، وكنت على موعد مع القدر لان الفنانة ام كلثوم استمعت الى بعض هذه الالحان ، فطلبت ان الحن لها . وهكذا بدات انصع صفحات عمرى ..

انني تعاونت مع مطربة العرب الاولى على مدى اربعين عاما ، قدمت لها فيها عشرات من القصائد والاغانى الطويلة ... سلوا قلبى ، وولد الهدى ، ونهج البردة ، وسلوا كؤوس الطلا ، ومصر تتحدث عن نفسها ، ومصر التى فى خاطرى وفى دمى ، والاطلال ، ورباعيات الخيام ــ وهذه لها قصة !

ــ تربع السنباطى فوق كنبة الصالون ، وقال وقد أستهواه الحديث ولذ له تداعى الذكريات :

ــ نحن ابناء جيل يحترم الشعر . ويعتبره الصديق الاول للموسيقى ، او التوام ... كنت احب محمد عبد الوهاب وهو يغنى دور احمد شوقى : يا جارة الوادى ، وطلوه كيف يجفو ــ فاخترت من ديوان شوقى قصيدة سلوا قلبى .. وأحبت ام كلثوم سلوا قلبى لانها تجمع بين الغزل والوطنية والتصوف ، ولكنها كانت تغنيها فى الاسكندرية ذات مرة وعندما وصلت الى البيت الذى تغنى فيه : وما نيل المطالب بالتمنى ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا ــ هبت الجماهير بالتصفيق المتواصل ، واهتزت قاعة المسرح بالهتافات الوطنية . وفى الصباح احتجت السفارة البريطانية على الاغنية التى يمكن ان تحرك الجماهير الى الثورة .

ويقول رياض السنباطى :

ــ ولكن ام كلثوم لم تكترث لما قالته السفارة . وظلت تردد القصيدة لعدة اشهر بعد الحفلة الاولى ، وعندما غنت الاطلال حظى بيت « اعطنى حريتى



اطلق يديا » بالتصـــفيق الملتهب ...
.. كانت أيامهـــا مراكز القـــوى تكبل الايدى الكثيرة . ولم يصل الامر هذه المرة الى الاحتجاج ، وكان همهمة غاضبة تجاهلتها ام كلثوم التى كانت تحب الاطلال وتدندن بها ...

قلت : ورباعيات الخيام ؟

فضحك السنباطى وقال :

ــ نسيتها ! مع أنى اعتقد انهـــا القصيدة التى جعلتنى احب الشعر . كان ديوان احمد رامي هدية منه الى . وكنت اعتز بهـــذا الديوان واقرا فيه كثيرا .. واعجبتنى ابيات :

اطفىء لـظى الـــقلب ببرد الشراب
فانما الايام .. مثل الســـحاب
وعيشنا طيف خيـــــــال
فخذ حظك منه قبل فوت الشباب !

ولحنت هذه الابيات ، وحملتها الى ام كلثوم فسمعتها كلاما وقالت : الله . من اين لك هـــذا ؟ فقلت من رباعيات الخيام ؟ فقالت : عنـــدى .. هات يا احسان ديوان رامى ... وجلسنا الى الرباعيات نقرا ، وطلبنا احمد رامى فاقبل وشاركنا فى الاختيار ، وقـام بعملية الربط بين الرباعيات .. ثم طلبت اليه ام كلثوم أن يغير ببرد الشراب بعد اطفىء لظى القلب» فواتاه شيطان الشعر على الفـور وقال : ونجعلها اطفىء لظى القلب بشهد الرضـاب » ــ وهكذا قدمنا ما اعتبرته الجماهير قمة فى الغنـــاء قصيدة ولحنا واداء ! ..

***

وكانت أم كلثوم حياته الفنية ...

وباغانيها يؤرخ حياته ، ابنته راوية ولدت مع « سلوا كؤوس الطلا » ... ابنته رفيعة ولدت فى « كيف مرت على هواك القـــلوب » .. ابنتـــه ميرفت ولدت مع « جددت حبك ليه »، وقد اســـتقبل ابنه محمد نور الدنيـــا مع « سهران لوحدى » .. اما احمد فهو الذى كتبت شـــهادة ميلاده مع « ولد الهدى » ...

فاذا ابتعد السنباطى عن ام كلثوم ، فانه قلما يعطى لغيرها ، اذ ذاك يغنى هو ... لأن رياض يدخل فى عـــداد المطربين الاصلاء .. تميزهم دقة الحس وروعة الاداء .. ويقول الســـنباطى بتواضع :

ــ ولكننى لم اعتن بنفسى كمطرب ، فالمطرب له مواصفات غير موجودة فى وان كنت اعطى نفسى درجة جيدة فى الغناء . فانا اخاف الجمهور . ولهذا اتوارى ، واغنى امام ميكروفـــون فى ستوديو مغلق .

ثم يقول :

ــ لى قصائد كثيرة غنيتها بنفسى .. ومن احبها الى قلبى قصيدة اشـــراق للشاعر مصطفى عبد الرحمن التى يقول فيها :

ايهـــا الناعم فى حلم الخيـــال
تذكر العهد وماضى الصفحات
لا رأت عينـــاك شكى وضلالى
وحنينى ولهيب الـــذكريات
حينما يعرضها المـــاضى لعينى
صورا تجلو الذى ضيعت منى
من ليال بهـــــوانا مشرقات

***

قال رياض السنباطى :

ــ تسالنى ماذا اعمل الآن .. اقول لك الحن لمن يستحق ... تسالنى ماذا كنت اعمل قبل تعدة البيت اقول لك اننى كنت مدرس علم النغمــــات فى الكونسرفتوار . كان تلاميذى من بنات وبنين ، وقد نجح من البنات عفـــاف راضى ، ونجح من البنين فازى على . ثم فوجئت بهم يحيلوننى الى المعاش .

وسالته :

ــ لماذا اخترت العزلة ؟ لماذا فضلت الوحدة ؟ لمـــاذا لا تسعى بين النـــاس

باقة من العرفان في وداع سيد النغم رياض السنباطي

ولك بينهم رصيد حب واعجاب واعزاز ومودة !

فقال : انا اعتقادي ان عزلتي كسب ، فانا اقضي وقتي مع نفسي ، واستغله في الخلق والابتكار .. واقرأ الشعر القديم والحديث . انا لست في عزلة .. انا مع نفسي ومع كتاب . انا مع خاطرة او لحن ، واحيانا ارى التليفزيون ، واتحاشى ان اسمع الغناء لانني احزن على المستوى الذي وصلنا اليه ، ارى تمثيلية هادئة ، او اتابع خبرا سياسيا من الاخبار المثيرة التي تمتلىء بها حياتنا .

ثم استطرد قائلا :

ـ والحقيقة التي لا احب ان اخفيها هي انني لا احب المجتمع ولا آمن له . انا لا احبه خوفا من عواقب الاندماج فيه حتى لو قلت ان المجتمع يحبني . انا لا احب الاقدام على شيء اندم عليه بعد فعلـه ، لا يهم ان اكون من ابدعه المجتمع حتى انطوي على نفسه ، فانني اسمع من الناس الاهوال . ويكفي ان آخذ العظة من غيري ..

ثم قال : هل تتصور انني فكرت في الا اذهب لتسلم جائزة الدكتوراه الفخرية . ولم يحثني على الذهاب الا ما قرأته من ان الرئيس انور السادات هو الذي سوف يسلمني الشهادة بيده.

وقال : وتستطيع ان تقول ان بعض عزلتي تصوف لا اعلنه .

ومثلما يقرأ رياض السنباطي شعر المبدعين من مصر يقرأ للملهمين من كل بلد عربي ..

يقـول : قرأت دواوين عبد الله الفيصل وقدمت « ثورة الشك » ، و « ليته يعرف الملل » ، الاولى كما تعرف غنتها السيدة ام كلثوم ، والثانية غنتها نازك .

ويقول : اعجبني شعر ابو القاسم الشابي .. هذا الشاعر الحماسي الذي اختطفه الموت في ريعان الشباب ، قدم ملحمة وطنية مطلعها :

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلابد أن يستجيب القـدر
ولابد لليـل ان ينجلي
ولابد للقيـد ان ينكسر

وقد لحنتها وغنتها سعاد محمد .

ثم بحسرة يقول : ولكن ابن الطرب بعد أم كلثوم ، لقد انقضى سامره وانتهى عهده ، طرب هذه الايام تشنجات من المطربة وتهليل من الجمهور . وهذا في اعتقادي هستيريا ، اما جمهور أم كلثوم فشيء آخر ، كنت اسمع أم كلثوم واسمع في نفس الوقت جمهورها ، واقول لام كلثوم آه .. واقول للجمهور الله . لانه يتمتع بحس ذكي فيعرف اين يصفق ، ويحترم الجملة اللحنية فلا يقاطعها ، وهو يصدر احكاما على اللحن من اول مرة سماع ..

***

وكان رياض السنباطي مع عزوفه عن الناس شديد الصدق ، شديد المصارحة وهو يقـول لك رايه فيك حتى لو اغضبك ، لانه يعتقد ان صدق الاحساس وهو يلحن يجب ان ينسجم مع صدق الشخصية وهو يتصرف في الحياة .. فكيف للمنافق المزيف الشاعر ان يكون صادقا في لحن ؟

السنباطي الصادق هو الذي يبلغ عنان السماء اذا لحن الشعر الصوفي ، واثرى حياتنا بالقصائد التي تبقى لنا جسورا الى المعاني السامية ، ووشائج تربطنا بالله .. كم هي قدسية ساعة نقضيها مع ام كلثوم وهي تغني ولد الهدى ، او نهج البردة . او القلب يعشق كل جميل .. لو كان « ابدعه السنباطي في طول الحياة وعرضها هذه الباقات الروحانية للفن لينال الجوائز ، ويدخل في عداد الخالدين .. ويبقى في السماء جيلا بعد جيل ... ●●

ابنتاى

شعر

● د. عزت شندى موسى ●

نمت زهرتان ببستانيه ... فداؤهما العين والعافيه !
ارويهما بنمير الحياة ... ولو جف من هيكل ماليه
اذا خير القلب من يصطفى ؟ ... تحير .. أيهما الغاليه
فطورا يهيم باولاهما ... وطورا يتيم بالثانيه
فهذى ترابط فى مهجتى ... وتلك تقيم باحشائيه !

***

ارى فيهما ما يسر الفؤاد ... ويبعث بالبشر فى ذاتيه
تملكتا من قيادى الزمام ... وكل شعورى واحساسيه
فليست كمثلهما فى الجمال ... ظباء الحواضر والباديه
وارجو لكلتيهما فى الحياة ... اعز طلابى وآماليه

***

تعاودنى - حينما تسهران - ... ليال من العيشة الغاليه
واذكر من امسيات العناء ... ستقاس فى حقبتى الماضيه
فاشفق من مضنيات الدروس ... على النضرة الحلوة الناديه
وتذبل فى الكد احداهما ... فاذوى وتعتل اوصاليه
واحرم نفسى رحيق الحياة ... واعطى لها الجرعة الشافيه
وتشفى الحبيبة من دائها ... فاشفى وابرأ من دائيه !

***

عشقت جمال العذارى فتيا ... وضيعت فى الحب ايامية
ورحت ابث الحسان غرامى ... واشدو لهن باشعاريه
وبددت ما بين هند وليل ... امانى الشباب واحلاميه
فلا تلك رقت لشكوى الغرام ... ولا هذه قدرت ما بيه
وكان نصيبى صد وهجر ... وتيه يهدم بنيانيه
الى ان تلمست فى زهرتى ... متاع فؤادى ووجدانيه
وطاب لنفسى معنى الجمال ... وروح الدلال بافلاذيه

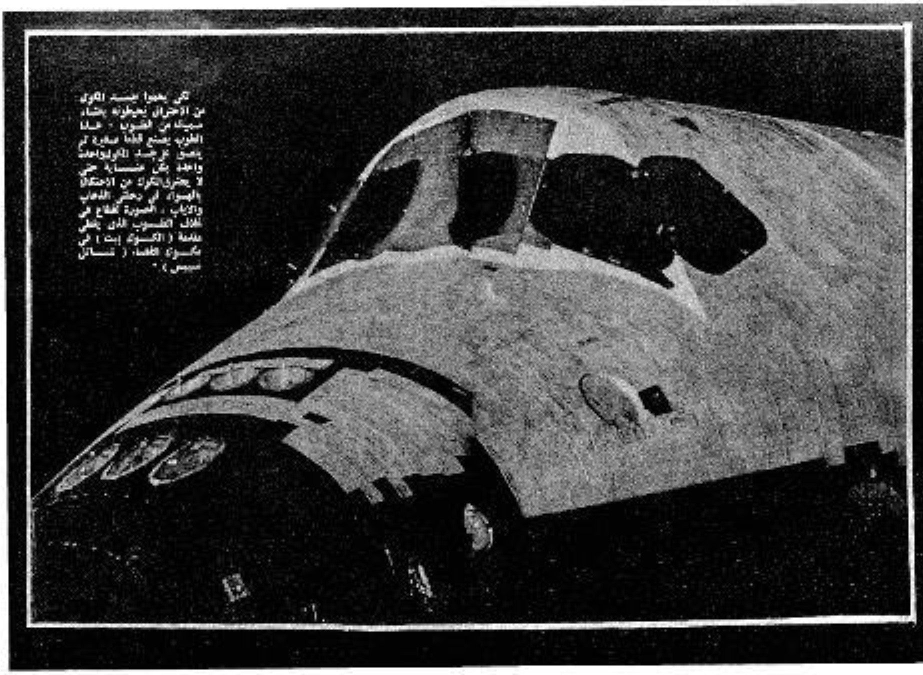
حرب الفضاء

ومحاولة السيطرة على الكون والأرض

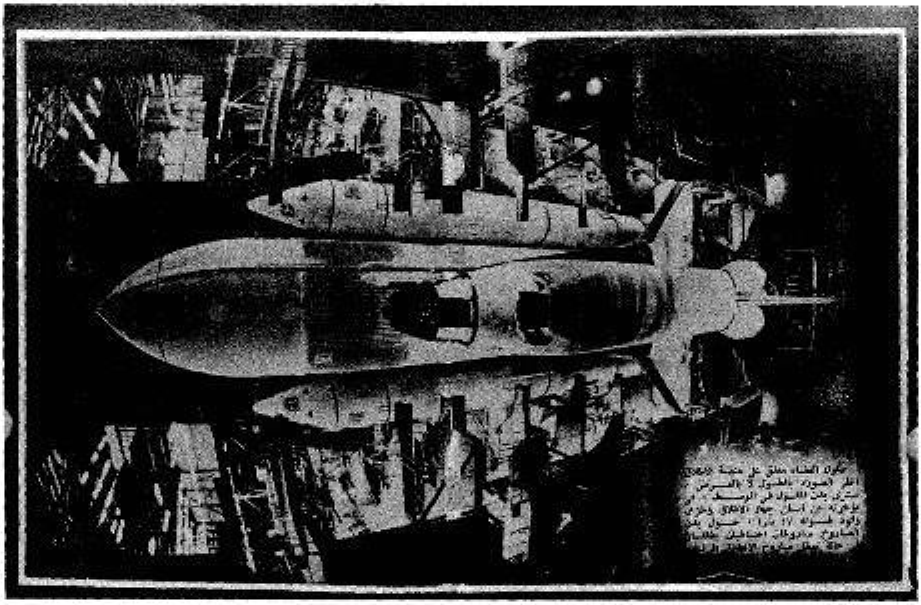
بعد رحلات الفضاء والوصول الى القمر ووضع المعامل الفضائية فى مواضع فى الفضاء للدراسة والمراقبة بدأت محاولات الذهاب الى الفضاء والعودة منه ، أو ما يسمى بمكوك الفضاء ، وهذه هى الخطوة الاولى نحو انشاء خط طيران منتظم الى الفضاء ، ومن المؤكد اننا سنشهد هذا قبل سنة ٢٠٠٠ ، وقبل أن نتناول ذلك الموضوع فى استطلاعنا المصور لهذا العدد نحب أن نذكر ان عملية مكوك الفضاء أصعب مرات كثيرة من الوصول الى القمر والعودة منه ، فان رحلات الوصول الى القمر انفقت عليها بلايين ، ولا يمكن انفاق هذه المبالغ على كل مكوك فضـــاء ، فليست هناك كل الضمانات ووسائل التـأمين التى عملت لرحلات القمر ، واى مكوك سيذهب معرض للهلاك خصوصا خلال الدقائق الست الاولى من الاطلاق ، فمن الممكن جدا أن يحترق المكـوك فى ثوان معـدودة • ومكـوك الفضاء ان هو الا واحدة من الوسائل التى يلجأون اليها للسيطرة على الفضاء • ومن الفضاء يمكن السيطرة على الارض ، ومن يسبق الى ذلك فله المستقبل كله •



الصـــاروخ معلق كأنه ذبيحة فى دكان الجزار ٠ اخذت له هذه الصورة داخل مبنى انشائه وتركيبه فى مركز كنيدى لابحاث الفضاء ،وهو مثبت بسقالات حديدية ، مبنى تجهيز الكوك اضخم مبنى فى الدنيا



لكي يحموا جسد المكوك من الاحتراق يحيطونه بغشاء سميك من الطوب . هذا الطوب يصنع قطعا صغيرة ثم يلصق على جسد المكوك واحدة واحدة بكل حساسية حتى لا يحترق المكوك من الاحتكاك بالهواء في رحلتي الذهاب والإياب . الصورة لقطاع في غلاف الطوب الذي يغطي مقدمة (الكوكبيت) في مكوك الفضاء (شاتل سبيس) .



حرب الفضاء

مكوك الفضاء ليس مجرد قصص خيال علمي (ساينس فيكشن) انه حقيقة

.. هناك اليوم في الولايات المتحدة والمانيا وانجلترا مصانع ومراكز أبحاث تعمل عملا جادا لتصنيع المكوك واجزائه . والقطع الهائلة التي يتكون منها هذا العملاق الطائر تصنع الآن في مصانع ومراكز هائلة في محطة الفضاء الكبرى في كانيا فيرال في ولاية فلوريدا واماكن اخرى في أمريكا ، وهناك محركات ومراكز أبحاث في المانيا وانجلترا تنتج اجزاء من هذه الطائرات الصاروخية الضخمة التي سيبدأ اطلاقها الى الفضاء بصورة منتظمة في القريب ..

ويعرف المهندسون وعلماء الفضاء الذين يقومون بالتجريب والانتاج ان أخطر مراحل المكوك هي الدقائق الست الاولى ، دقائق الانطلاق والصعود في الجو في وضع رأسي والاستقرار فيه ، لان الذي يطلق هذه المركبة الهائلة هو جهاز اطلاق ذو قوة بعيدة يعتمد على صاروخين هائلين ..

وفي المكوك خزان وقود ارتفاعه ٤٧ مترا فاذا حدث أي خطأ في الاطلاق واشتعل مخزن الوقود فان المكوك كله سيتحول الى رماد في ثوان معدودة !

وهذا الاحتمال وارد جدا ، والى الآن يقولون ان امكانية حدوث هذه الكارثة تصل الى ٣٠ في المائة في كل حالة اطلاق

ولا يطمئن الطيارون الى نجاح عملية الاطلاق الا اذا وصل الصاروخ الى ارتفاع ٦٠ مترا في الجو ، وابتعد عن محطة الاطلاق وصاروخيها الرهيبين . لان اشتعال صاروخي الاطلاق يحتاج الى ١٠٠ طن من الوقود السائل و ٦٠٠ طن من حوامض حارقة و ٥٠٠ طن من المواد المتفجرة ..

ولا يوجد في غرفة القيادة (الكوك - بيت) جهاز الاطلاق الذى يقذف بالطيارين الى ارتفاع كبير لينجوا من الموت بواسطة باراشوت . لان هذا الجهاز حتى لو وجد فانه لن ينفع في شيء،لان حرارة الانفجار اذاحدثت فانها تصل الى درجات تحرق كل شيء حولها الى مساحة قطرها ٣٠٠ متر .

ان خطر اطلاق المكوك في الفضاء يزيد اضعافا على خطر اطلاق مركبات الفضاء العادية ، لان احتياطات الامان التي تتخذ في حالات هذه المركبات تتكلف البلايين ، ولا يمكن اتخاذها في اطلاق كل مكوك فضاء . فاذا كانت احتياطات الامان في حالات مركبات الفضاء تصل الى ٩٩٫٩٩٩ فان ذلك لا يمكن عمله في حالات اطلاق المواكيك ...

ثم ان المكوك يعتبر طائرة ، وهو لهذا يحمل معه الوقود اللازم معه ، في حين ان مركبة الفضاء لا تحمل أي وقود ، فهي اذا انطلقت وصارت في الفضاء تسير بقوة الاندفاع ، وفي الفضاء تسير بمحركات صغيرة ، وحتى عندما تهبط على سطح القمر فانها تحتاج الى صاروخ اطلاق واحد ووقود قليل لكي تنطلق في رحلة العودة لان مركبة القمر عندما تترك القمر تنطلق بجزء قليل من جسدها ، والباقي يظل على سطح القمر ، أما المكوك فهو طائرة وفيه ناس كثيرون، ولابد أن يحمل معه كميات ضخمة من الوقود ومن الاوكسوجين للناس ، والاوكسوجين مادة مشتعلة . ومعنى ذلك ان مكوك الفضاء كتلة قابلة للاشتعال منطلقة في الفضاء ،ومن الممكن أن تنفجر ويحترق كل من فيها في لحظات .

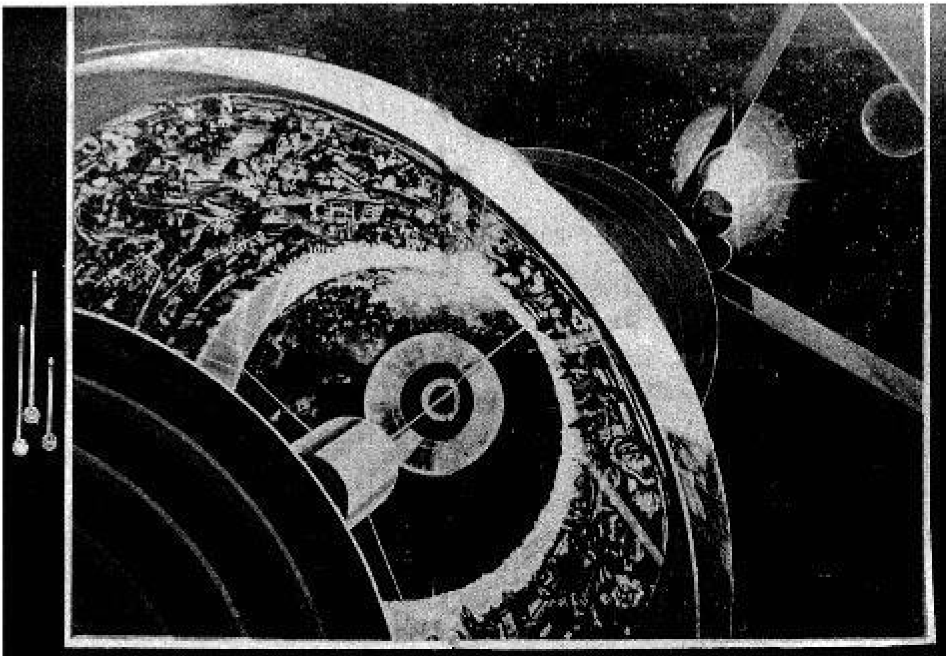
***

ويكفي أن يذكر الانسان ان مكوك

التتمة على صفحتي ١١٢ - ١١٥



على سيارة ناقلة ضخمة ينقلون المكوك من قاعة البناء والتجهيز الى منصة الاطلاق • بدن المكوك محاط بثلاثة محركات كل منها في هيئة مكوك • واحد منها يظل على منصة الاطلاق والاثنان الآخران ينطلقان معه بصفة جهازين احتياطيين •



مكوك الفضاء عالم كامل قائم بذاته ·
لأن الرحلة إلى الفضاء والبقاء فيه بعض الوقت ثم العودة تستغرق وقتاً قد
يصل إلى ثلاثة أو أربعة شهور . لأن المكوك يصل أولاً إلى بعد ٣٠٠ كيلو متر
في الفضاء وينتقل منه السفينة في عالم بلا جاذبية ثم يعود . لهذا يتبنى العلماء

داخل المكوك عالم كامل صناعي فهناك حديقة وحقول وأشجار وغابات حتى لا يفتقد
المسافرون إلى الصورة ترى الحديقة والزرع والقناة والمسافر يبدو كأنه من ناحية
داخل المكوك ويشعر أنه لم يغادر الأرض ويعيش حياة طبيعية طول الرحلة ·



ينطلق مكوك الفضاء من محطة الاطلاق في كاب كانافيرال في فلوريدا ويصل الى الفضاء ويقضي فيه ما يشاء من الوقت ثم ينطلق عبر الجو عائدا الى الارض . وعندما يقترب من محطة الوصول تنفتح مظلات البرشوت التي تخفف من سرعته وتمكن الطيارين من التحكم في موضع هبوطه .

ز ـ مقدمة سفينة الفضاء ، هذا الجزء متحرك ، والطيارون يحركونه ليوجهوا المركبة في أي اتجاه يريدون ، خاصة في رحلة العودة .

اجزاء المكوك :

أ ـ في مؤخرة المكوك ترى ثلاثة موتورات للانطلاق ، موتور أساسي وموتوران احتياطيان.

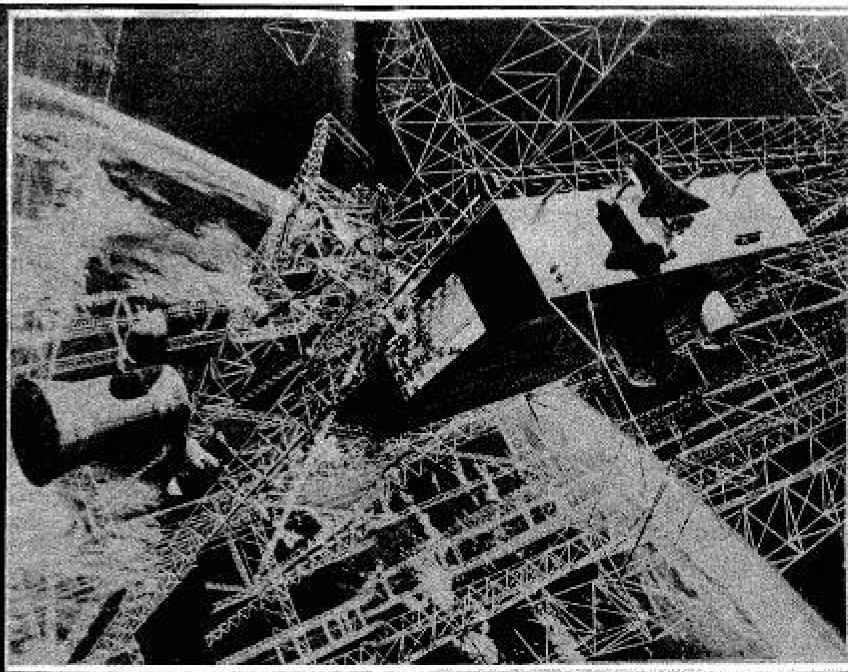
ب ـ مخزن للادوات والانشاء والاصلاح والتركيب طوله ١٨ مترا وعرضه ٦٫٦ متر . لمرة الاولى في التاريخ سيحاول رجال الفضاء انشاء محطة فضاء ليتركوها هناك بصفة معمل ومحطة تجارب.

ج ـ معمل الفضاء للتركيب في بطن المكوك انه معمل كامل سيعمل فيه علماء وباحثون في الطبيعة والكيمياء والاحياء . هذا الجزء من المكوك مصنوع في المانيا ويعمل فيه علماء من الالمان .

د ـ نفق يؤدي من مقدمة المكوك الى المعمل والمخزن في الخلف . في الفضاء يستطيع الطيارون الانتقال من المقدمة الى المؤخرة اما عن طريق هذا النفق او يخرجون الى الفضاء ويسيرون فيه الى الجزء الخلفي .

هـ ـ غرفة استراحة الطيارين . هنا ينامون بالتناوب في اسرة معلقة بسقف المكوك . هنا ايضا يأكلون ويشربون في وقت الفراغ .

و ـ غرفة الطيارين او الكوك بيت . هنا يجلس الطيارون ومساعدوهم وامامهم [illegible] الاجهزة المعقدة ومفاتيحها والازرة التي يديرونها بها .



سيعمل مكوك الفضاء في انشاء محطة شمسية هائلة في الفضاء . هذه المحطة ستختزن الطاقة الشمسية ثم ترسلها الى الارض لكي يستخدمها الناس . وهم يقدرون ان مقدار الطاقة الشمسية التي يمكن اختزانها في هذه المحطة في يوم يكفي الارض ومن عليها لمدة عام . وهذه المحطة تبنى في الفضاء جزءا جزءا . ومكوكات الفضاء هي التي تحمل مواد البناء وادواته شيئا فشيئا . والصورة تبين التركيبات الهائلة لانشاء هذه المحطة .

الفضاء يزن ٢٥ طائرة جامبو من النوع العملاق . وهو ينطلق الى الفضاء ويدور دورة فيه ، وقد يظل فى الفضاء من يوم الى ٦ أيام ثم يعود ، وأثناء هذه المدة يشاهد الركاب الفضاء والكون من نوافذ المركبة ويعيشون حياة سواح ويلتقطون صورا .

وفى نفس الوقت يقوم الطيارون بتجارب واختبارات والعلماء يجتهدون فى الرصد والدراسة والتصوير والقياسات والتسجيلات . وبعد ذلك كله يأخذ المكوك فى رحلة العودة ، فتنطلق صواريخه القاذفة من جديد ويعود الى جو الارض ويخترقه متعرضا لدرجات حرارة كبيرة ، ثم يقترب من سطح الارض ، وهو لا يستطيع أن يهبط فى الماء مثل مركبة الفضاء ، بل ينبغى أن يهبط هبوط طائرة على مدرج طويل ويسير على عجل اضعاف عجلات الجامبو العملاقة حتى يصل الى درجة السكون وتنتهى الرحلة بسلام .

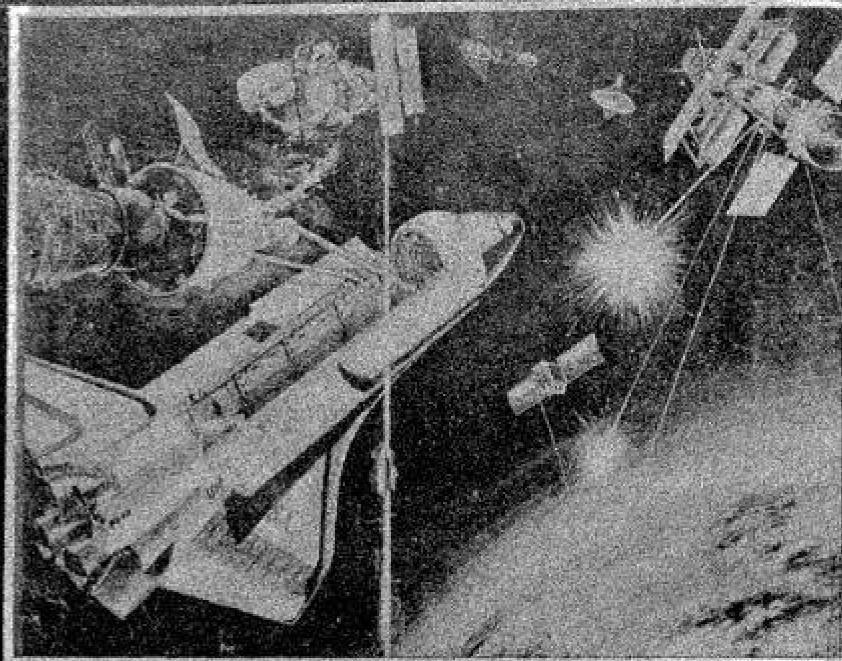
***

ثم ان الاجهزة المركبة فى المكوك هى اجهزة طائرة جيت (أى صاروخية) من النوع الثقيل مضاعفة عشرات المرات ، فهناك كل اجهزة المراقبة والاسراع والابطاء وقياس الضغط والحرارة ، وهناك اجهزة قياس الوقود والاوكسوجين والماء والطعام ، وهناك طاقم المكوك من طيارين ومساعدين فنيين من كل نوع ومضيفين ومضيفات .

اى اننا فى الحقيقة أمام عالم ضخم



وذهب العلماء والفضائيون الى أبعد من ذلك فقد اعتمدوا على دراساتهم وتجاربهم عن مكوك الفضاء لكى يضعوا تصميمات طائرات مكوكية تذهب الى القمر وتحط على سطحه ثم تعود الى الارض . والصورة تبين احدى هذه الطائرات المكوكية القمرية . مقدمة الطائرة وبدنها عاديان ولكن مؤخرتها جهاز الانطلاق الضخم ومخزن الوقود .



حرب الفضاء التنافس شديد بين القوتين العظميين على سيادة الفضاء ، وقد بدأ الروس باحتلال الفضاء بوضع معامل ومحطات فضائية (سكاى لاب) يعيش ويعمل فيها علماء وفنيون يراقبون ، او تذهب مراكب الفضاء الى المعمل الفضائى وتلتحم به وتؤدى مهمتها وتعود . والآن يريد الامريكيون احتلال الفضاء على نطاق اوسع ، فهم لا يكتفون بوضع معامل ومحطات تجارب فى الفضاء بل سيضعون مركبات جرارة ، فاذا وصل المكوك الى الفضاء جرته المركبة الجرارة الى الموضع الذى ينتظر فيه ويتوقع الامريكيون ان يحاول الروس من محطاتهم الفضائية تحطيم المركبات الامريكية باشعة الليزر مثلا ، ولهذا فقد سلحوا المركبات الجرارة بمدافع ليزر ، فاذا بدأ الروس بمهاجمة مركبة الفضاء الامريكية اسرعت المركبة الجرارة رقم « ١ » بشد المركبة الى النطاق الدفاعى لمحطة الفضاء الامريكية رقم « ٢ » وتستقر المركبة الفضائية فى منطقة الحماية الآمنة ، رقم «٣» لاطلاق صواريخها عائدة الى الارض رقم«٤» وفى الصورة ترى مركبة فضاء امريكية استطاعت محطة الفضاء الروسية تحطيمها بالاشعة رقم « ٥ » وترى قطع من المركبة المحطمة اما ضائعة فى الفضاء او ساقطة الى الارض .



استطاع المصورون فى رحلة تجربة قام بها مكوك فضائي أن يلتقطوا صورا غاية فى الطرافة والدقة لاجزاء من كوكبنا . فى الصورة الاولى على اليسار صورة لجبال الهملايا وارتفاعها ٨٠٠٠ متر ، والى اليمين اعلى صورة لسواحل ولاية تكساس الامريكية على البحر الكاريبي فيما بين ولاية بالاتيوس وبورت مانسفيلد ، والى اليسار اسفل صورة مجموعة جزر البهاماس ، والى اليمين اسفل صورة لبحر بويل فى كندا حيث تتلاقى مياه بحار كثيرة .

طائر ، يصل الى الفضاء ويمكث فيه اياما ويعود ، وكل ذلك يتطلب اجهزة ضخمة ، ويكفى ان تعلم ان التيار الكهربائى الذى تولده المولدات الكهربائية فى المكوك يكفى لكل احتياجات مدينة نيويورك كلها ليومين ! كل هذا يحمله المكوك معه !

ومن المعروف بالنسبة للطائرات ان الطيارين بعد أن تنطلق الطائرة وتحلق فى الجو اذا لاحظوا أى عطل استطاعوا العودة الى الارض ، اما مكوك الفضاء فلا يستطيع ، فهو اذا انطلق فلابد أن يكمل رحلته ويعود الى الارض أو يحترق أو يضيع فى الفضاء . وهذا فى ذاته خطر جسيم معناه ان المسافر فى مكوك الفضاء اما أن يقوم برحلته أو يحترق أو يضيع فى الفضاء .

ان مقدمة مكوك الفضاء تحاط بطبقة سميكة من الطوب المقاوم للاحتراق . وهذا الطوب يلصق واحدة واحدة على المقدمة طبقتين الواحدة فوق الاخرى . وبقية جسد المكوك يغطى بطبقة واحدة ، لان المكوك اذا انطلق فى الجو احتك بالهواء واحدث حرارة هائلة لا يتحملها الا ذلك الطوب . وذلك الطوب نفسه هو الذى يحمى بدن المكوك فى رحلة العودة ، فاذا تطاير وضاع احترق المكوك كله .

ونظرا الى أن الرحلة تستغرق نحو اسبوعين فلابد ان تهيأ للمسافرين وسائل الحياة المعقولة حتى لا يقتلهم الضيق . فهناك مساحات فيها اشجار وحدائق صناعية تقع عليها عين المسافرين وهناك محطة ارسال تليفزيونى وموسيقى اى اننا فى الحقيقة امام مدينة هائلة طائرة . يستطيع القارىء ان يتصور الاخطار التى يمكن أن تتعرض لها .

والسؤال بعد ذلك : لماذا هذا كله ؟ لماذا هذه التجارب والتكاليف كلها والاخطار التى لا تصدق ؟

الجواب ان المعركة الكبرى فى ايامنا هذه هى معركة الفضاء .

فان الفضاء عالم هائل حافل بالامكانيات الضخمة من كل نوع . فهناك مصادر جديدة لا نعرفها للطاقة ، وهناك عوالم سابحة فى الفضاء من الممكن ان تسكن ومن الممكن ان يكون فيها موارد للحياة والقوة تزيد اضعافا على ما عندنا . ومن يسيطر على الفضاء فى منطقة الارض فقد يسيطر على المستقبل كله .

وقد تحدث عالم أمريكى فى ذلك الموضوع فقال . ان من يسيطر على الفضاء ويستطيع ان يضع فيه محطات تحكم ومراقبة سيستطيع قطعا أن يحكم الارض ويسيطر عليها . ولهذا يجتهد الروس فى وضع مركبات الفضاء وتحويلها الى مراكز عمل ودراسة دائمة لكى يصلوا الى التحكم فى الارض .

والارض كوكب صغير جدا فى هذا الكون ، واذا تمكن الروس من الوصول الى كوكب آخر ولو كان صغيرا ووضع اجهزة تحكم فيه أصبحت الارض كلها تحت تصرفهم .

وهناك فى الفضاء امكانات وطاقات من المواد الخامة الغازية وغير الغازية ما يزيد اضعافا على ما عندنا فى الارض ، ومعنى ذلك ان الامريكيين — ومعهم اليوم الاوروبيين — لا يعبثون عندما ينفقون الاموال الطائلة ويقومون بالجهود العظيمة فى سبيل التحكم فى الفضاء والارض معا ان هؤلاء الناس لا يهزلون، بل يعرفون ما هم صانعون . انهم واثقون من أن السيطرة على الفضاء ستحدث انقلابا يزيد اضعافا على ما حدث عندما اكتشف الاوروبيون — لا يعبثون عندما ينفقون موازين القوى على سطح الارض .

لهذا تهتم هيئة الامم بالموضوع ولديها منظمة خاصة بالفضاء لانها لا تريد ان تسيطر دولة واحدة على الفضاء وتتحكم فى الارض وما فيها وما حولها .

ومكوك الفضاء رغم تكاليفه ومخاطره لا يقاس الى ما يمكن ان يعود على الامريكيين وحلفائهم من عناصر القوة اذا هم سبقوا الروس الى السيطرة على الفضاء

د . ح . م . ز .

بعد العاصفة

● فوزي عبد القادر الميلادي ●

● لقد عاد المركب المتو ، لا بل انها ستعود بعد قليل ، لا بل ستعود بعد ساعتين عند الغروب تماما بعد ان هدأت العاصفة !..

ويتناقل الناس هذه الاحاديث لتدب الحركة في ذلك الحي الذي خيم عليه السكون والحزن قرابة اسبوع .. بعض الناس يقولون انها حقيقة ، وان سفينة اجنبية قد شاهدت المركب وهو يقترب عائدا الى الشاطىء ، وبعضهم يقولون انها اشاعة ... وان احدا لم يسمع عن المركب منذ مغادرتها الميناء تحمل عشرة من الصيادين وزادهم ومعدات الصيد ذات صباح مشرق لتبدت بعده السماء بالغيوم وهبت الريح عاصفة ، وجلس الصيادون الآخرون في منازلهم ينتظرون سكون الريح وهدوء العاصفة ليعودوا الى البحر من جديد وقلوبهم وجلة من اجل زملائهم الذين لا يزالون في البحر وقد حاصرتهم العاصفة من كل مكان !..

والقيل فتى صياد يدعى «جمعة» على المعلم «محروس» شيخ الصيادين وهو يجلس وحيدا في ركن من اركان المقهى البلدي الذي يمتلكه في اطراف الحي ، يهمس في اذنه بما تناقله سكان الحي من احاديث وكان المعلم «محروس» في ذلك الوقت ينفث دخان النارجيلة ، وبدا شارد الفكر والهم اكسى وجهه مسحة من الحزن ..

وسقطت النارجيلة من يد المعلم «محروس» وانتصب واقفا ، واخذ يتفرس في وجه «جمعة» .. ويسأله هل انت متأكد من هذا الكلام .. لقد سمعناه من قبل مرارا !..

ويرد «جمعة» في هدوء : متأكد يا معلم !.. ستعود المركب الليلة ، نعم ستعود هكذا يقول الصيادون جميعا ، وقد أخبرني سيد اسماعيل وبركة أن سفينة ايطالية شاهدت المركب على مقربة من الشاطىء !..

ويفرح المعلم محروس : ولكن لم تنتشل تلك السفينة الصيادين ؟.. ان ما يشغل بالي هو هذه الارواح الطاهرة واسرهم ، اما المركب والصيد فكل شيء يعوض ..

وفي هذه اللحظة يقبل على المقهى المعلم ابراهيم صاحب المركب ، ويتبعه عدد من قدامى الصيادين وفي أعقابهم يحضر الشيخ عبد الجليل مالك الحي والاسطى زكي صاحب صالون الحلاقة ، والصديق الحميم للمعلم محروس ، والحاج فهمي صاحب المكتبة المجاورة للمقهى .

ويجلس الجميع في شبه ندوة يتدارسون أمر المركب الغائبة . ويصفق المعلم محروس يطلب للأدلة اكواب الشاي للجميع ، لكنهم يردون في صوت واحد : لا لن نشرب شيئا حتى تعود المركب ونشرب شربات الورد ونقيم الزينات ..

ويصمت المعلم محروس ، ويصمت الجميع برهة ثم لا يلبثون أن يعودوا الى الحديث ويهمس المعلم محروس في اذن المعلم ابراهيم صاحب المركب : هل أبلغت السواحل ؟ .. ويرد المعلم ابراهيم قويسنا يشبه الهمس أيضا : نعم السواحل ، وادارة الميناء وادارة الامن ، والمستشفى ... ان قلبي ينفطر من أجل أسر الصيادين .. من كان يتنبأ بأن العاصفة تهب في غير موعدها هكذا فجأة .. لكنه قدرهم .. ان شاء الله سيعودون بالسلامة .. واذا قدر الله وأصاب احدهم مكروه فانا كفيل بكل شيء .. لدي سبع مراكب أخرى وثلاث عمارات ..

وتنحدر الدموع على وجنتي المعلم زكي ، ثم لا يلبث ان ينخرط في البكاء .. لا اريد المراكب ولا السمك ولا العمارات !.. أريد فقط ان ارى الصيادين امامي احياء ولو للحظة واحدة ثم افارق الحياة بعد ذلك !.. لقد ارسلت من ايام معونة لكل اسرة وقبلوا واجمين ، وانا اعلم ان المال لا يغني عن الرجال .. لكن ما باليد حيلة ..

ويمتلىء المقهى بالرجال ، ويضيق بهم على سعته ، ليقف البعض امام الباب ويقف البعض الاخر في الطريق ، وعيونهم معلقة بكل من يأتي من ناحية الشاطىء علّه يحمل اليهم الخبر اليقين ..

أما نساء الحي فقد غادرن بعضهن الديار واتجهن الى الشاطىء ليجلسن على الرمال يرقبن الافق بنظرات شاردة .. ليس من بينهن الا من لها قريب أو صهر او جار مسافر في تلك الرحلة المشئومة .. لكن من يدري ، لعلها تكون خيرا وبركة ويعود الرجال ومعهم الصيد الوفير ..

وتغرب الشمس ولا تظهر بارقة أمل عند الافق .. فتأخذ النسوة في مغادرة الشاطىء فرادى وجماعات وما أن تشتد ظلمة الليل حتى لا يبقى على الشاطىء سوى واحدة .. كانت فتاة فارعة الطول ترتدي ملابس سوداء ، تجلس لتبكي احيانا ، ثم لا تلبث أن ترفع رأسها وتمسح دموعها وتعود تتطلع الى الافق من جديد .

ويقترب من الفتاة شبح تعرف فيه المعلم ابراهيم صاحب المركب . ويتفرس المعلم ابراهيم في وجه الفتاة يصرخ : عايدة !.. أنت ما زلت هنا !.. ان الجو بارد ، وانت ترتدين ملابس خفيفة !.. يحسن بك أن تعودي الآن الى المنزل ، ومن يدري لعل الصباح يأتي بالفرج ..

وتقف عايدة منتصبة القامة ، تتنقل ببصرها بين المعلم ابراهيم والبحر الغارق في الظلمة عنـــد الافق .. ثم تنظر الى الرمال تحت اقدامها ، وتقول في صوت تخنقه العبرات :

ولن اعود .. ولن أعيش بعد ذلك في الحياة !.. انه ليس فقط اخي ، انه اخي ، وابي ، وامي ، ونور حياتي !.. انه كل شيء لي في هذه الدنيا .. ماذا تساوي الدنيا بعد أحمد .. انها لا تساوي شيئا . لن أستطيع العيش بعده يوما واحدا !..

وتمسح دموعها بيديها وتستطرد : انني سأظل في مكاني هنا حتى يعود .. او ادفن في هـــذه الرمال !..

ويجذبها المعلم ابراهيم من يدها في رفق وحنان وهو يتمتم : لا حول ولا قوة الا بالله ، انت معذورة يا ابنتي .. لكن عودي الى المنزل . تعالي الى منزلنا ان زوجتي وابنتي سترحبان بك ضيفة علينا ..

وتتسمر الفتاة في مكانها . فيعود المعلم ابراهيم ليجذبها من يدها ثانية وهو يقول : أنت ابنتي ، وانت واخوك امانة في عنقي ، أنا مسئول عنكما امام الله وليس امام الحكومة ..

وتشاهد عايدة في يد المعلم ورقة مالية كبيرة فتنتفض صارخة : ضع نقودك يا معلم في جيبك .. ان أموال العالم لا تستطيع أن تعوضني عن أخي أحمد . وانا لست في حاجة أن تعوضني لن آكل ولن أشرب حتى يعود ، او الحق انا به !..

وتصمت برهة ثم تقول : لكنني لن ارفض امرك بالعودة الى المنزل الليلة .. ساعود الى المنزل ، وساجلس ساهرة بجوار صورته ، اناجيهـــا واتحدث اليها حتى يطلع الصباح .. وعندما تشرق الشمس ساعود هنا الى الشاطىء .. انا مؤمنة بالله وبالقدر خيره وشره ، لكنني ضعيفـــة ، لست على الظروف من قبل ، وها هي تزداد قسوة ، وانا لا استطيع التحمل ... اذا رحل احمد عن هـــذا العالم فخير لي انا ايضا ان ارحل .. لن استطيع العيش وحيدة وقد فقدت كل شيء !..

ودار في ذهن المعلم ابراهيم هذا الخاطر : هل يصارحها بما اتفق عليــه مع ابنه ممدوح على ان يخطبها في القريب العاجل . وانه كان قد اتفق مع احمد بذلك قبل سفره الاخير ، واتفقا على ارجاء الحديث في الموضوع حتى يعود من رحلته تلك .. ولكن سرعان ما استبعد ذلك الخاطر ، فليس هذا هو الوقت المناسب للحديث عن الخطبة والافراح .. ومن يدري فقد يعود سالما وتصبح الفرحـــة فرحتين .

●●●

وبعد قليل شاهد سكان الحي المعـــلم ابراهيم يصحب عايدة حتى باب منزلها القريب من منزله ، وقبل أن تغلق عايدة وراءها باب المنزل قال لهـــا المعلم في حزم لكن في رقة : الزمي هنا دارك ، ولا تغادريها حتى آمر عليك انا بنفسي او ابعث اليك رسولا من طرفي .. انت مثل ابنتي تماما ويجب ان تحترمي كلامي . نامي ..

وأومأت عايدة برأسها دلالة الموافقة ، فتركهـــا المعلم ابراهيم وقد ارتاح باله من جانبهـــا بعض الشيء ، لكن حديث عايدة زاد من قلقه ومن الله .. ان كل صياد ما زال غائبا ترك وراءه شخصا او اشخاصا اعزاء . وقد يكون حالهم اسوأ من حال عايدة ، لكنهم ما زالوا يكتمون ما في صدورهم ..

وبعد الفجر بقليل سمعت عايدة طرقا خفيفا على الباب ما لبث أن تحول الى طرق عنيف ، فعمدت الى ارتداء « روب » صوفي كان قد اشتراه لها أحمد قبل سفره ، وفتحت الباب واطلت برأســها وهي تتساءل على استحياء من يكون الطارق في هــذا الوقت المبكر من الصباح ..

وعلى الباب فوجئت بممدوح ابن المعلم ابراهيم يقف قبالتها ، ومن ورائه سعيد . زميل اخيها في المركب .. ودون أن تشعر وجدت نفسها تندفع نحو سعيد وتهزه وتسأل اين أحمد .. خبرني . أين أحمد ؟ هل عادت المركب ؟.. لماذا لا تجيب !؟

ورد عليها ممدوح في هدوء : لقد عاد أحمد .. لكنه مريض ..

ولم تتمالك نفسها فصرخت .. هل معنى ذلك أنه مات ، خبرني ، ما بالك تقف صامتا هكذا .. وجاءها الرد من سعيد هـــذه المرة : لا أبدا ، انه في المستشفى القريب الكائن على الشاطىء .. من الممكن أن تحضري الآن معنا لتلتقي به وتطمئني عليــــه بنفسك ..

وفي الطريق الى المستشفى عرفت عايدة من سعيد كل شيء .. المركب لم تعد ، لقد غرقت بعــد أن انقلبت بفعل العاصفة . وقد انتشلت احدى السفن الكبرى بعض الرجال ، بعضهم كان سليما معافى ، وبعضهم فارق الحياة على ظهر السفينة ، والباقون ما زالوا تحت العلاج . وقد نقل اخوها أحمد الى المستشفى فور وصول السفينة لعلاجه من الحمى وحالته مطمئنة ..

ولم تنبس عايدة ببنت شفة ، لكنها رفعت رأسها الى السماء في ابتهال صامت ، ولاحظت أن سكان الحي قد استيقظوا مبكرين ، لكنهم كانوا واجمين .. حتى الذين عاد ذووهم سالمين ..

كانت عادة اهل الحي أن يقيموا الزينات ويوزعوا « الشربات » عندما يعود الرجال سالمين بعــد العاصفة ، كما كان من عادتهم ان ينطلق الصراخ والعويل من دورهم اذا فقدت احدى مراكب الصيد .. ولكن هذه المرة لم تكن هناك زينات ولا عويل .. لقد كتم الجميع فيما يبدو مشـــاعرهم في صدورهم .

وفي المستشفى أمام سرير أبيض ضيق وقفت عايدة تتأمل اخاها وقد مد ذراعه للطبيب يعطيــه حقنة في الوريد وجبهته مغطاة بلفافة من الثلج وفي فمه « الترمومتر » مثبت .

وسألت الطبيب : هل حالته خطيرة ؟ هـــل سيعيش ؟..

ورد الطبيب في هدوء : ان الاعمار بيد الله .. وانا لا استطيع أن اعد بشيء ..

وبعد أن تفرس في وجه المريض وأمسك بمعصمه يعد نبضات قلبه ونظر الى الترمومتر ، أردف قائلا : لقد تحسنت معدته منذ قليل ، وكل ما استطيع أن اقوله ان حالته تتحسن ..

واشار اليها ممدوح وسعيد انه قد حان الوقت لينصرف الجميع لان وقت الزيارة محدد .

وعلى سلم المستشفى اخرجت عايدة منديلا تجفف به دموعها ، وقالت : ان الطبيب لا يريد أن يطمئنني هل معنى ذلك ان حالته خطيرة ..

وسارع ممدوح بالرد : لا أبدا ، فقط هـــذه عادة الاطباء يتحفظون دائما ، وقد قال لك ان حالته تتحسن .. اطمئني ، سيعود باذن الله قريبا الى المنزل ، وأردف في صوت خفيض وستكون الفرحة فرحتين .

وهنا اطرقت عايدة برأسها الى الارض وقد تضرجت وجنتاها بحمرة قانيـــة زادتها فتنة وجمالا . ●

روجر سيمون

نجم جديد في عالم كتاب الجريمة

● ماري غضبان ●

*** القصص البوليسي لون من الوان فنون الادب ، برع فيه كتاب كثيرون وانتجوا قصصا وروايات سجلت في الرواج ارقاما قياسية ، ولمعت في هذا الميدان اسماء كثيرة على المستوى العالمي**

من ابرز هذه الاسماء اللامعة الكاتبة الشهيرة أجاثا كريستي التي تميزت بكتاباتها في هذا الميدان والتي لاقت مؤلفاتها رواجا عظيما في كل بلاد العالم واسرعت السينما لتقتبس من هذه المؤلفات افلاما حققت هي الاخرى نجاحا عالميا واسعا ..

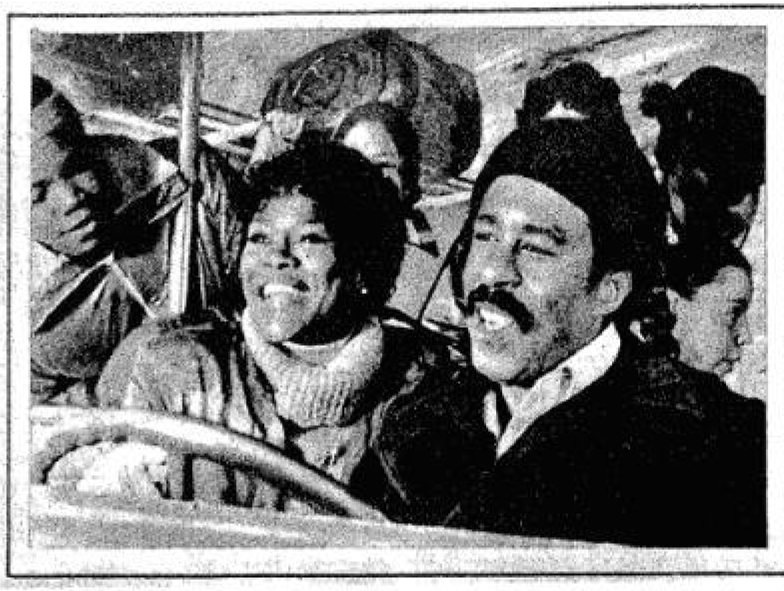
من هؤلاء المؤلفين أيضا ايان فيلمنج الذي كتب سلسلة «جيمس بوند» التي يعرفها الجميع بعد ان حولها السينمائيون الى افلام ناجحة ..

ومن هؤلاء ايضا الكاتب الامريكي « روجر سيمون » الذي يأخذ تقريبا — نفس طريق «أيان فيلمنج» في مغامراته البوليسية من خلال شخصية واحدة « موزس واين »

والكاتب روجر سيمون من مواليد نيويورك ، ظهرت موهبته الأدبية وعمره خمسة عشر عاما ..

ولم تكن امنية اسرته أن يصبح كاتبا — ففي رأيهم ان الادب صنعة لاتعين على الحياة فكانت أمنيتهم ان يصبح طبيبا مثل ابيه ، أو محاميا .. لكنه آثر ان يسير في طريق هوايته الادبية حتى أصبح رئيس تحرير مجلة ادبية ، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة الدراما في جامعة «ييل» حيث درس فن كتابة المسرحيات والسيناريو ، وحصل على الماجستير بعد خمس سنوات من الدراسة .

وتشاء الظروف ان يتعرف على زميلة له في الدراسة ، كانت هي الاخرى



لقطة من أحدث الافلام التى كتب قصتهـا روجر سيمون

كاتبة واسمها « دايان اسيمو » ـ وهى التى اوحت له بفكرة اول قصة كتبها وهى « الوارث »

وقد اقتبستها السينما ايضا لتحولها الى فيلم تحت اســم جنيفر فى ذاكرتى .

بعدها كتب قصــة « الديك البرى المتوحش »» والقصتان تؤكدا خطواحد سارعليه منذ البداية وهو اسلوب الاثارة والجريمة ..

***

وكانت أحدث الاعمال الادبية لروجر سيمون رواية « الضخم الثابت » التى تعتبر حلقة فى سلسلة رواياته البوليسية ولو انه اتجه فيها الى الاسلوب الكوميدى الهادف ، المعالج لبعض الظـــواهر الاجتماعية السلبية الموجودة فى المجتمع والتى تحدث فى الحياة كل يوم .

وكالعادة ، اسرعت السينما لتاخذ هذه الرواية الاخرى وتحولها الى فيلم سينمائى

والرواية تدور حــول رجل بوليس مخضرم ، واحدى المدرسات ، يكلفان بنقل ثمانية اطفال مشاغبين من المدينة الى قرية بجوار واشنطن .. ليصلحوا هناك من افكارهم وعقلياتهم ..

اخرج الفيلم المخرج « اوزسكوت » وهو مخرج مسرحى ، يخرج لاول مرة فى السينما ..

قام بالبطولة الممثل ريتشارد برايور وشاركته الممثلة سيسلى تيسون التى تكاد تكون متخصصــــة فى الادوار الانسانية ، فهى تقدم فى ادوارها نماذج حية لما يدور فى الحياة من ظـــواهر مريضة ... وكان ابرز هذه الادوار دور الام فى الحلقات التليفزيونية « جذور » التى هزت ضمير العالم ونالت جائزة « ايمى » وهى جائزة تمنــح لاحسن ممثل تليفزيونى ..

القيمة الأدبية في الأدب القصصي

بقلم الكاتبة : أديل جليم
ترجمة : د. سليم الأسيوطي



الكاتبة الامريكية : اديل جليم

تظهر قصص اديل بانتظام في عدد من اشهر المجلات الامريكية وهي أديبة وقصاصة محبة للاسفار والترحال عاشت وكتبت في فرنسا والدنمرك وكمبردج . تعيش الآن في نيوجيرسي بالولايات المتحدة الامريكية ولقد اعيد طبع الكثير من قصصها في استراليا وانجلترا والدنمرك وهولندا ..

● اذا ما سئلت عما يجب ان تكون عليه القيمة الاساسية للادب القصصي ، ففي اعتقادي اني لن اتردد في الاجابة بان القصص الادبي يوجد ويعيش ويحتفظ ببقائه ليقدم لنا صورة عما يفكر فيه الناس ، ويظنونه بانفسهم ويحسون به في حياتهم... وحينما ينجح الكاتب في ان يجعل شعور شخصياته بحياتهم يلمس الحقيقة العميقة لعواطف قرائه عن حياتهم الخاصة ، تتاح للقصة فرصة طيبة للبقاء والاستمرار لاداء دورها على اكمل وجه....

ان الالتزام العاطفي في نظري يعيش في صميم القصة . فاذا ما ذكر لي صديق انه قد عاد لتوه من رحلة في الصين او من تسلق قمة جبل ، يكون حريا بي ، آنئذ ، ان اسأله : كيف كان شعورك وانت هناك ؟ ولا اسأله : كيف كان الحال يبدو هناك؟!

واذا ما قالت لك احدى معارفك « لقد ماتت زوجة ابي » ، فان هذا الخبر ناقص ومبتسر ، لا قيمة له ولا اهمية ، ويبقى كذلك حتى تتبين كيف كان شعورها عن زوجة ابيها..

ولنضرب مثلا آخر : زوجة شابة تعيش واقع الحياة تصرخ قائلة : اني حامل .. هنا نحن لانستطيع معرفة الحبكة ولا الصور الذهنية ولا المعاني التي سوف تتداعى من هذه العبارة ، الى ان نعرف ما هو شعورها هي فيما يتعلق بهذا الاحتمال ... الحمل من عدمه ...

في رواية الكاتب الفرنسي الاشهر فلوبير « مدام بوفاري » تبدا العلاقة العاطفية بين البطلة ، « اما » وعشيقها « ليون » عندما يناقشان تورطهما العاطفي فيما يقرآنه ... ويقول « ليون » : يبدو لي ان الكتب التي لا تلمس شغاف القلب لهي ابعد كثيرا من احتمال نشرها ... فلقد تلقيت ذات يوم رسالة من ناشر يرفض لي عملا كنت قد بعثت به اليه ، جاء فيها : « هذه قصة تتسم بعمق التفكير ... الى الحد الذي يضيع عنده احساس الناس وتتبدد بالادلة والبراهين التي يحتمها ذلك التفكير ... » ان قصة من مثل هذه يجب ان « تشعرك » بنجاحك» ولم تلق هذه القصة قبولا لدى اى ناشر ، واني لواثقة ان هذه الرسالة التي رفضت القصة تنطبق تمام الانطباق على غالبية قصص غير المنشورة . وربما على القصص الاخرى التي على هذا الغرار ...

● قبضة قصصية على القارئ؛

كيف يحكم الكاتب قبضته القصصية

دلى قارئه ؟ انه ليتحتم على الكاتب القصصى ، مبكرا فى عمله ان يقدم سلسلة من العلاقات العاطفية.. فان التيارات العاطفية وهى حقيقة فى نظرى ، كالتيارات الكهربية يجب ان تجرى على النحو التالى : بين الكاتب وشخوصه ، بين شخصية واخرى ، ثم بين الشخصيات والقارىء مؤثرة ومتأثرة .

ويبدأ الكاتب هذه السلسلة من العواطف بالاهتمام اهتماما حقيقيا بشخوصه والغوص بنفسه فى الكيان الذاتى لكل شخصية ، والتحرك خلال القصة متتبعا خطوات هذه الشخصية او تلك ...

والمؤلف الذى يشفق على شخصية ويرق لها ، لا يحاول استخدام هذه الشخصية الا بكل عناية وعن معرفة وعلم ليفيد منها فائدة مباشرة . لان الشخصيات فى القصة لا تعيش لتقيم الدليل على صحة فكرة ما ، أو عدالة قضية ، ولكن ليكون لها كرامتها الشخصية وتجاربها الذاتية .

ان الجزء الاكبر من قصصى يدور حول ناس يسهل على ان اشعر شعورهم واهتم لهم . انهم رجال ونساء حليمات ، الجميع منغمسون فى حياتهم ، جهدهم وعملهم واسرهم ... وعلى هذا النمط كتبت قصة « الهاوى » وهى قصة لص متاثل مراهق ، ليس فى حاجة الى السرقة ، بل لاكثر من ذلك فانه لا يرغب فى السرقة ولا يريد الاشياء التى يستولى عليها ، فان فعلته فى الغالب الاغلب تكون عملا بطوليا لاختبار ذاته واشباعا لغروره ، وشفاء لنفسه من حقده على الاغنياء وما تحتويه بيوتهم من الخيرات ...

انى فى واقع الحياة ، لا اتعاطف كثيرا مع المراهقين المجرمين ، ولكن ما ان اقتحم هذا المجرم المراهق حياتى ، حتى وقفت بجانبه اذود عنه . وهذه بعض سطور من قصته :

فى حى البلدة التى يقطنها ، لا توجد اشجار ، كان الذين يعيشون فيه لا يستحقونها ... كان السلم ينثنى عند متوسط الدرج فلم يكن ليرى المسافة كلها الى القمة ، وكان الجزء المختبىء يخيفه ... هل كانت الصراعات شريرة سواء بسواء مثل تلك التى فى اسرته ؟ ... كانت السرقة عنده مثل الاكل ، وكانت دوافعها تعصف به من آن لآخر ولكن لم يكن بمقدوره المقاومة لفترة طويلة من الزمن ...

ولكن العاطفة التى خبرتها شخصية واحدة منفردة « الجريمة أو الخوف، أو الحسد » ذات تأثير على القارىء اقل من تلك التى تتبادلها شخصيتان او اكثر . ففى مشهد قوى يضم شخصيتين ، يضع القارىء نفسه فى الصورة بوصفه شخصية او اخرى فى القصة ، بل يذهب الى ما هو أبعد من ذلك بأن يتناوب هويته العاطفية بين حين وآخر مع هذه الشخصية او تلك .

ان قصتى « شعاب القلب » تدور حول شخصية « كريس » ، زوجة الاب الشابة لابنة زوجها المراهقة التى تناصبها العداء ان ماتريده «كريس» اكثر ماتريد هو اقامة علاقات حميمة مع « جيزى » ، ابنة زوجها. ولكن الظروف ترغمها على منع «جيزى» من الخروج فى سيارة ، فى ليلة عاصفة خطرة برفقة فتى كان قد دعاها مؤخرا للنزهة :

سالت جيزى : لماذا تهتمين بهذا الفعل ؟

اجابت كريس: « انى اهتم لسلامتك بلغت اجابة كريس الصياح او كادت ، فقد اعتقدت : ان هذه هى المعركة الاولى التى تنشب بيننا ، وان كل ما افعله بجانب الصواب .. سالت جيزى : هل تعلمين كم ظللت ارقب ذلك اليوم ؟ هل تعلمين ماذا يكون حالك وانت تنتظرين شخصا تتوقين اليه ، سوف ياتى ساعيا الى حبك ؟»

فكرت كريس : نعم انى اعرف ذلك وبعد اليوم يتحتم على ان انتظر وقتا اطول لان كل علاقاتنا سوف تسوء اكثر

ولكن كريس على خطأ ، والسبب

الوحيد الذى يؤيد خطـــاها هو ان الحرب بينهما تؤكد لجيزى ان كريس تهتم لها . لقد سقط القنـــاع الذى يخفى صراعهما العاطفى ؛ فوضح اخيرا ان كلا منهما بدأ يتفهم الآخر .

ان العواطف التى تكشـــف عنهـا الافعال والاقوال فيما بين شخصيات القصة تزود الكاتب بالطاقة التى توقد نيران قصص الخيـــال الادبى . فاذا قصرت من اداء وظيفتها غدت خيبـة الطاقة وشيكة ، وسرعان مانشـعر ان القصة قد فقدت أهم مقوماتهـا ودب فيها الضـعف والوهن . ومن ثم وعلى حين غرة ، تفقد الشخصيات اهتمامها بعضها ببعض ويكف القارىء لفـوره عن الاهتمام اهتماما كافيا بالشخصيات وهنا تجىء المتاعب ..

ان الشخصيات القصصية يمكن ان تبقى على حالة ثابتة دائمة من التقلب العاطفى ، والتحول من حب بعضهم البعض الى كراهية احدهم للآخر ، والقارىء يشارك هؤلاء مشـــاعرهم ويتفق معهم حينا ، واولئك حينـا آخر والقارىء ينفعل حقا اكثـــر بالتحولات التى تجرى من العـواطف الايجابية الى العواطف السلبية ؛ اكثر مما ينفعل بسلسلة الاحـداث التى تشكلها عقدة الاثر الادبى ...

ان العقدة والعاطفة وحدة متكاملـة وثيقة العرى ، لا يمكن ان تنفصـل احداهما عن الاخرى . والشخوص تسلك وتتصرف بدافع مما تشعر به وهم — هؤلاء الشخوص — يعبرون عن مشاعرهم واحاسيسهم من خلال ما يجرى بينهم من حوار ومحادثات ، وما يأتونه من افعال ، وكذلك بالاشياء التى يحيطون انفسهم بها ..

ان الكتابة عن العواطف والـروابط العاطفية يمكن ان تزيد القصص عمقا ، وان تزوده بطاقة كبيرة من الاحساس بالمجتمع ، وبتجربة الحياة العامة .

● من واقـــع القارىء الى التأثير الخيالى ●

من الطبيعى ان يكون الهدف الاسمى لكل قصاص هو ان نحلق بالقارىء فى فلك الشخصيات حتى يشعر القارىء انه اصبح عضوا فى المجتمع الانسانى للقصة ، فحينئذ نحكم عليها بانـها قصة ناجحة ...

فان القصة يجب ان تتدرج بنا من حياة القارىء الى الموقف القصـصى بثقة وايمان ، مع الحفاظ على الصلة بالحياة اليومية بينما هى تقـوى التجربة . ان الآباء والمراهقين مـن الابناء يختلفون مـع بعضهم البعض ويلحقون الضرر بعضهم ببعض ؛ فالى اى حد ابعد من هذا يمكن ان تتطور الامور ؟ وحينما يكون هنالك زوج الام او زوجة الاب والمراهق ، هم الذين يواجهون بعضهم البعض ، هل تظـل القصة تبدو عالية فى اثرها وتاثيرها العاطفى ؟

قد يحدث ان غلاما من عرض الطريق يحطم نافذة ويقتحم منزلا جميـلا فى ضاحية .

ومعظم القراء لم يرتكبوا شيئا مـن هذا القبيل فى حياتهم . وحتى معظم المراهقين من القراء لم يفعلوه ، ولـو انهم يرهقون آباءهم بمشكلات مـن مثل هذه الناشبة بين كريس وجيزى ولكننا جميعا نشعر بالغيرة من هؤلاء الذين يملكون متاعا أكثر مما نملك ، وتخامرنا الريب والشكوك فى قيمتنا الذاتية ونفتقد الشعور بالاهميـــة الشخصية ، ونحتدم غيظا لعالم لا يبدو مصغيا الى مطالبنا او مهتما لها . فاذا ما كانت قصة من مثل هـذه تؤثر الاثر المرجو بصورة او باخرى ، فانها سوف تنجح لان الشـخصية فيها يشعر بحياته كما يشعر اى واحـد منا بحياته ، لبعض الوقت .

حاول ان تخلق شخصيات تشـعر شعورا عميقا نحو بعضـها البعض ، **يهتمون لبعضهم البعض ، شخوصـا ذوى عواطف قوية ، انسانية عاليـة جديرة بما نمنحها من ثقة ، نحـن القراء وما تبادلها من عواطف ، ونحن نقرا قصتهم ، وامنح شخوصـك للعواطف الامينة الصادقة . وبعدها اطمئن ، واعتمد على ان عواطفهـم ستهديك الى حيث يجب أن تتجه بقصتك — مباشرة الى قلب القارىء .**

يافاتنتي



فريد قرني

غاية الابداع .. يا فاتنتي
باختيار اللون يزهو ناعما
باندفاق الظل يغفو سارحا
اذ يناغي همسها الساجي دمى
باختصار الفن في معزوفة
بارتعاش الشوق يهمي موجه
باعتزاز النفس يطفى شامخا
انه ملاها .. فتطفي لوعتي
بهيام العود يهفو مائسا
فتتوه العين من جولتها
بالسنا الأحمر يضوى ورده
فيصيب الهدف المرمى اذا
باندلاق العطر تياه الشذى
يحمل الروح على اجنحة
باجتياح العقل في تهويمة
التقي بانبهار نبضها
بالقوام الحلو يهتز صبا
فحذيها من محب مدنف
باقة حسناء من شعر الهوى

برؤاك الخلب الساحرة
عند شط الجفن او في الشفة
في انكسار النظرة الناعسة
وتهدى دائما ... ثائرتي
عبر وقع البسمة النافثة
في انسياب الضحكة الماجنة
في ثبات الخطوة المغرية
وتفلي بالهوى عاطفتي
في دلال الشخصية الرائعة
في مجاني الروضة اليانعة
بالخدود الحلوة الناعمة
سعر الوجد اليها لهفتي
من لباب الفتنة الفاخرة
من مطايا الرغبة الجائعة
تكتسي بالفكرة الغامضة
ويزيد السر فيها حيرتي
في انسجام الوجنة اللاهية
ساهر المقلة .. مضني المهجة
حلوة مثلك .. يا .. ياحلوتي !

قصــــة

المفاجأة

احمد على رجب

● بكر « الحاج عبد اللطيف » فى الذهاب الى المصرف .. وصـل الى هناك فى تمام السـاعة السابعة صباحا ، وكان ترتيبه الثالث فى الحضور .. وعلى الرغم من انه وزميليه كانوا يعلمون ان المصرف لن يفتح أبوابه للعمل قبل الثامنة، الا انهم جاءوا مبكرين اذ ليس لديهم ما يفعلونه يوم العشرين من كل شهر سوى أن يتوجهوا الى صرف المعاش ..

« والحـاج عبد اللطيف » ، على غير عادته ، يريد أن يتسلم معاشه وينصرف مبكرا .. ففى البيت مفاجأة تنتظره .. حقا انه لا يعرف كنه هذه المفاجأة ، لكن .. كل ما فى الامر ، هو انه بعد أن ادى صلاة الفجر ، واستيقظت زوجته لتصنع له كوب الشاى المعتاد ، لاحظ أن معاملتها له تتسم بكثير من الرقة ..

فبعد أن كانت ، فى مثل هذا اليوم ، تجمع له هموم الدنيـا ، وتحـزمها ، وتضعها كلها فوق رأسه .. شاكية من ضآلة مبلغ المعاش ، متبرمة من ارتفـاع الاسعار .. اذا بها فجأة تتودد الى زوجها وتقول فى وداعة لم يألفها من قبل :

ـ لا تتأخر وقتا طويلا فى الخـارج « يا حاج » فعندى لك مفاجأة ! .

ولم يقل « الحاج » سوى « ان شاء الله » .. لكنه حاول ان ينفذ بثـاقب بصره الى تلك المفاجأة ..

وتساءل : أتكون قد وافقت على شراء جلباب الصلاة الابيض ؟ فالجلباب القديم قد استهلك ، ولم يعد الرفى أو الترقيع يجدى فى اصلاحه ..

وتذكر يوم أن طلب منها شراء ذلـك الجلباب ، عبسـت .. وقالت انهـا لا تستطيع تدبير مبلغ سبعة جنيهات . ثم خيرت « الحاج » بين شراء الجلبـاب وتطبيق خطة التقشف فى الوجبات طيلة اسبوعين كاملين ، وبين الصبر عدة أشهر حتى تنصلح الاحوال ! ..

ولم يتلكأ الرجل دقيقـة ، واختـار الصبر ، فلم تعد لمعدته قدرة على هضم الباذنجان المحشو بالثوم ، أو البصـارة أو الكشرى ، وسائر تلك الاطعمة الكفيلة باشعال حريق فى جوفه ! .. وحتى اذا استطاعت زجاجة مرطبات اطفاء هـذا الحـريق ، فلن توافق زوجته أبدا على منحه ثمن تلك الزجاجة !

ليذهب الجلباب الابيض الى غير رجعة .. وليكتف بما لديه من جلابيب صوفية



كان قد اشتراها أيام كان الصوف رخيصا كالتراب .. ليتحمل حرارة الجو ومثلها معها ، خير له من تحمل شظف الطعام !

●●●

وكان لابد أن يتحدث الزملاء الثلاثة في أى أمر .. واختار « الحاج » حديثا عن النظام .. ولفت نظر زميليه الى ذلك الرجل الذى يأتى دائما متأخرا ، ثم يستجدى عطف الآخرين مدعيا الاصابة بالشلل ، ثم يكون هو أول من يتسلم وينطلق الى الخارج كفرس جموح ! ..

واستفسر الزميلان من « الحاج » عن سر هذا التغير .. فقد كان عهدهما به أنه طيب متسامح ، وكان شعاره الذى يردده دائما هو : ان القيامة لن تقوم اذا ما تسلم أحد معاشه قبل الآخر .. لكن « الحاج » لم يشأ أن يكشف عن السبب الحقيقى ، وانما علل حدوث هذا التشدد من جانبه بقوله : لقد آن الأوان ليسود النظام .

ثم تغيرت دفة الحديث ، فاتجهت نحو الزيادة المزمع صرفها لأرباب المعاشات .. وكان «الحاج» قد حسب الزيادة المرتقبة وعرف أن معاشه قد أصبح ثلاثة وثلاثين جنيها وبضعة قروش .. ومع هذا فهو راض قانع ، يعتبر هذا المبلغ نعمة كبرى من الله يستحق عليها الشكر والثناء .. لكن الشىء الذى يؤلمه .. هو انه يسلم المبلغ بتمامه وكماله الى زوجته ، ثم لا يرى ولا يلمس النقود الا فى مثل هذا اليوم من الشهر التالى ! ..

●●●

وقد سبق أن دارت مفاوضات بين « الحاج » وزوجته .. طلب هو منها أن تخصص له مصروفا شهريا يستمتع بانفاقه مع أصدقائه أثناء نزهتهم اليومية بعد صلاة العصر ، حيث يعرج الاصدقاء على بائع شراب « التمر هندى » ، أو على بائع الذرة المشوية ، ويوجهون الدعوة الى « الحاج » كى يشاركهم طعامهم أو شرابهم .. لكنه دائما يعتذر متعللا بسوء الصحة وكسل المعدة !

وفى الحقيقة كان الرجل يتمنى أن يروى ظمأه بكوب من الشراب ، أو يستمتع بحبات الذرة الساخنة ، لكن زوجته رفضت فكرة المصروف هذه .. ثم جاءت بأكواز من الذرة الخضراء وشوتها فى المنزل ، وقدمتها اليه ، فلم يتناول منها سوى حبات قليلة ! ..

وغضبت المرأة وصاحت :

ـ هذه هى الذرة المشوية التى ملأت الدنيا صراخا من أجلها .. لماذا لا تأكلها اذن ؟

وحاول « الحاج » أن يشرح لزوجته كيف أن الذرة المشوية ، أو شراب « التمر هندى » ليسا هما بيت القصيد .. وانما الاستمتاع بالصحبة والانفاق هما اللذان يضفيان على الأشياء نكهة خاصة ومذاقا لذيذا . لكن المرأة نظرت الى زوجها نظرة من يرتاب فى سلامة عقله ..

●●●

وانضم الى الصف عشرات قبل أن يصل الزميل الذى يدعى الاصابة بالشلل ، وما أن حضر حتى تقدم من الواقف عند أول الطابور ، ورفع يدا مرتعشة محييا اياه .. ثم قال

ـ صب .. صب .. صباح .. الخير ! .

وعندئذ تجهم وجه « الحاج » وصاح فى الرجل :

ـ اذا أردت الخير لنفسك وللناس

فلتقف في مكانك ، هناك عند نهاية الصف ! ..

واشتدت اهتزازات يدى الرجل ، ودار بعينيه لعله يجد نصيرا .. لكنه لم ير الا وجوها مقطبة ، فانسحب الى الخلف ..

وقال الواقف خلف « الحاج » :

ـ أتدرون كم يبلغ معاش هذا الرجل؟ ستون جنيها ! .. انه ينصرف من هنا مباشرة الى « الحاتى » ، يلتهم نصف كيلو من « الكباب » ! .. لقد رأيته بعيني رأسى ، كما اعترف هو لى بذلك !

وسرح « الحاج » مع أفكاره .. تذكر تلك الوجبة اليتيمة التى لم تتكرر فى حياته ذات الاعوام السبعين .. يوم أن دلف الى أشهر محل « للكباب » فى المنصورة ، فأكل وشرب وتلذذ ، ودفع نظير ذلك كله ستة قروش ! ..

انه الآن لا يكاد يهنأ بطعام أو شراب . فما تكاد زوجته تطهو وجبة يدخل اللحم فى نطاقها ، حتى يكون أحفاده قد عادوا من مدارسهم الى داره ، ينتظرون عودة آبائهم وأمهاتهم من العمل ، فيتخاطفون الطعام قبل أن يتم نضجه . وحتى عندما تبكر زوجته فى الطهو ، وتدس له قطعتين من اللحم بين طيات رغيف ، وتحاول أن تشغل حفيدها الذى لم يبلغ بعد سن المدرسة ـ فان ذلك المفسر يت لا يلبث حتى يكتشف غياب جده ، فيسعى وراءه ويضبطه متلبسا بالمضغ .. ويدعى « الحاج » انه كان يبتلع ريقه ، لكن الصغير يطلب منه أن يفتح فمه ، ولا يدرى الرجل ساعتئذ ما اذا كان ذلك الموقف يتطلب الضحك أو البكاء !

ومنذ يومين همس « الحاج » فى اذن زوجته :

ـ لو اشتريت لنا ذكرا من البط السمين لنذبحه فى العيد ؟!

ـ ذكر بط ؟! أتدرى ما ثمنه ؟؟

وتوقع « الحاج » دافنا رأسه بين ركبتيه دلالة من لا يريد أن يرى أو يسمع وها هو ذا يتساءل الآن : ترى هل رق قلب زوجته فوافقت على شراء الذكر المنشود ؟

•••

ولم يكن التعليق على قصة مدعى الشلل قد انتهى بعد .. وقال الواقف أمام الحاج :

ـ ما قابلنى هذا الرجل الا ورأيته يحرك شدقيه ! .. وفى الشهر الماضى كان جيبه ممتلئا بالملبن المحشو باللوز !

وصاح « الحاج » فى عجب :

ـ ملبن ؟! والله لقد نسيت أن هناك شيئا اسمه ملبن !

وضحك رفاق الطابور .. بينما راح « الحاج » يستأنف حديثه مع نفسه

« ما الذى يمنعنى من شراء علبة من هذا الملبن ؟ اهو خوفى من زوجتى التى ستقيم الدنيا وتقعدها ؟ لكن .. حتى اذا اشتريت هذه العلبة دون أن اخبرها ، فاننى لن أستطيع التهام كل محتوياتها دفعة واحدة .. فاين اخفى الباقى ؟ هناك فوق الصوان علبة الطربوش القديم .. لكن الوصول اليها يتطلب مهارة قرد .. وحفيدى لا يكف عن الحركة .. وحتى اذا نجحت فى اخفاء الملبن ، فكيف تطاوعنى نفسى على التهامه دون أن ينال حفيدى الصغير شيئا ؟ »

واحس « الحاج » بشوق جارف لرؤية الصغير .. واحس بأنه على الرغم من شيطنته وشقاوته فانه هو الذى يجعل للحياة طعما شهيا ، ويحرك ما فيها من جمود ..

وحانت من « الحاج » التفاتة الى الرجل مدعى الشلل .. كان يقف سليما معافى يلوك الملبن فى هدوء .. وقفزت الى راس « الحاج » كلمة « مفاجأة » فابتسم .. لقد زهد تماما فى الجلباب الابيض ، وفى المصروف الشهرى ، وفى ذكر البط .. وتمنى أن توافق زوجته على شراء علبة ملبن .. أو أى شىء آخر يثير فرح حفيده الطفل .. فيفرح هو الآخر .. وتمتزج الفرحتان ! ..

لا تغضبى

عبدالله السيد شرف



لا تغضبى ..
ان قلت انى قد نسيت .. فكذبى !
ان الزمان معذبى
واخاف ان يمديك حظى ـ فاهربى !

***

لا تغضبى .. ان قلت انى قد نسيت !
من قبل حبك ما هويت !
اقسمت لا ارضى بعادك ما حييت !
لكننى .. اخشى عليك مصائبى !

***

لا تغضبى كى لا تحطمنى الهموم
انت الهناء ، وانت فى عمرى نعيم
يا بسمة تجلو شقائى والغيوم
يا جنتى ، ومعزتى ، لا تغضبى

***

لا تغضبى فهواك نور اى نور
يا فجر ايامى وآيات السرور ..
قلبى يراك له السعادة والحبور
فلتسخرى ان قلت انى قد نسيت ، وكذبى !

***

لا تغضبى .. فاليأس حطم مركبى
ولتسمعى همس الفؤاد وجاوبى
فالقلب يهتف ان رآك بجانبى
فلتحفظى عهدى .. فحبك غالبى !

الحضارة و الأخلاق

● عزت محمد ابراهيم ●

● شغلت المشكلة الحضارية كثيرا من الفلاسفة والمفكرين فبحث فيها « جوستاف لـوبون » و « وول ديورانت » ، و « ارنولد توينبى » وغيرهم .

والخلاف طويل متشعب فى الحضارات واشكالها والوانها ، فمن قائل بالحضارات المغلقة التى تدور حول نفسها ولاتتصل بغيرها فلاتنتفع مما سبقها ولا تنفع مايلحق بها . ومن قائل بأن اساس الحضارات ولبها وجوهرها ينبغى ان يكون اخلاقيا قبل كل شيء .

ولعل ذلك هو اقرب الاراء الى العقل والمنطق ، واقربه كذلك من شواهد التاريخ ودلالاته .

والحضارة اذا لم تكن الاخلاقية اللحمة والسداة ، فليست بحضارة وان بدت فى رونق وازدهار ، وظهرت فى بريق يخطف الابصار .

هل كان من الممكن ان تزدهر حضارة اليونان وان تؤتى اكلها فى العلم والفن والسياسة لو لم يظهر من بين مفكريها من ينادى بالمثل العليا ويعلى من شان الاخلاق السامية الرفيعة ؟

هل كان من الممكن ان تمضى هذه الحضارة فى طريقها المرسوم لو لم يظهر فيها امثال سقراط وافلاطون وارسطو وجماعة الرواقيين من دعاة الاخلاق والمثل ؟ أغلب الظن ان الاجابة تكون نفيا ، وربما نفيا قاطعا .

لقد ظهر سقراط ابان الحاجة اليه : حين احال السوفسطائيون كل شيء الى مذهب المنفعة والمغالطة ، واصبحت المنافع السريعة ، والمآرب العاجلة هى مقياس كل شيء فى حياتهم ، واصبح للمادة وحدها المكان المرموق ، والقدح المعلى . وخطف هذا البريق عيون الكثيرين فانقادوا اليه انقياد الاعمى لايرى ولايبصر ، ولايختار من يعتمد عليه فى اتقاء الزلل والسقوط ..

ارتفع صوت سقراط ينحى على هذه الفئة باللائمة ، ويتهمها بالانحلال والسقوط والتردى فالصقت به هو تهمة افساد الناس واضاعة الاخلاق فكانها قد رمته بدائها وانسلت ..

واذا كان هؤلاء السوفسطائيون قد نجحوا فى القضاء على سقراط ، فانهم لم ينجحوا فى القضاء على رسالته ومبادئه ومثله فبعثها من بعده افلاطون .

ومهما يوجه الى افلاطون من نقد فى نظرية الصور او المثل التى يحلق فى آفاق خيالها فلا مفر من الاقرار له بفضل ما وضع من اسس اخلاقية حالت بين حضارة اليونان وبين السقوط والتردى ، وحفظتها سليمة من الانحلال لكى تتسلمها من بعد ذلك الحضارة الاوروبية فتبنى عليها اسسها وبنيانها .

●●●

والى ارسطو بعد افلاطون يؤكد ماقدمه للحضارة احيانا او يخالفه فى ارائه احيانا اخرى ، ويزيد على ذلك كله اخلاقا عملية لاتحلق فى سماء خيال ، ولا تضطرب فى متاهات نظريات واحلام لا سبيل الى تحقيقها فى عالم الحقيقة والواقع ، فتجنب ما تورط فيه استاذه ووضع اسسا اخلاقية لسياسة الدولة فى كتابه الذى وجهه الى ابنه « نيقوماخوس » وسماه

« الاخلاق الى نيقوماخوس » ، وفيه جاء بنظريته الاخلاقية التي تقول ان الفضيلة وسط بين طرفين ، وقد يكون هذا التعريف للفضيلة تعريفا هزيلا كما يقول « البرت شفيتزر »، ولكن لا علينا من ذلك ، فان ارسطو يطالب الدولة فى كتابه هذا ان تبنى سياستها على اساس من السلوك الفاضل « ان السلوك الفاضل الشريف هو الغاية التى تهدف اليها الجماعة السياسية » .

والنقد الذى يوجه الى افلاطون وارسطو كثير اقربه ان اهتمامهما كله كان موجها الى اليونانيين فحسب ، وما عداهم فهم برابرة همجيون لا اعتبار لهم عندهما ، ولا تقدير لهم فى ميزان فلسفتهما ، وافلاطون مثلا يطالب بالا تهدم البيوت وتخرب الديار فى الحروب التى تنشا بين المدن اليونانية ، اما التى تنشا بينها وبين غيرها فكل شىء فيها مباح .

وجرد ارسطو شطرا كبيرا من الشعب اليونانى من كرامته وعنده انه « لا يستطيع ان يمارس الفضيلة من يحيا حياة الصناع او يعمل باجر» ولكن المهم هنا ان الحضارة اليونانية قد وجدت من يهتم باخلاقياتها ويرسم لها الخطوط التى تسير وفقا لها ، قد يكون فيها مواضع للنقد ، ولكن فيها ايضا مواضع للاعتبار والتقدير .

واذا كانت الاخلاق عند افلاطون وارسطو قد انحصرت فى هذا المعنى الضيق ، فان افاقها قد اتسعت فى الفلسفة الرواقية على ايدى الرواقيين المتاخرين الذين قالوا باخلاق انسانية شاملة عامة ، لا تخص اليونانيين وحدهم وانما تشمل الناس اجمعين .

وكان من اقطاب هذه الفلسفة « انايوس سنكا » الذى وصلت الينا بعض رسائله وكان منها « فى الصفح» و« فى النعم» و« فى هدوء النفس » ومن عناوينها يتبين اتجاهه الاخلاقى عامة .

●●●

وفرق شاسع بين اخلاقيات ارسطو واخلاقيات «سنكا» ، فاذا كان ارسطو يحرم الفضيلة على الصناع او العاملين باجر اويراهم اقل من ان ينهضوا بها ، فان « سنكا » يقول : « الفضيلة ليست محرمة على احد ، بل لكل ان يبلغها ، فانها تسع الجميع وتدعو لدخول الاحرار والموالى والعبيد والملوك المنفيين ، والفضيلة لا تنظر الى المنشا ولا الثروة ، وكل ما يهمها هو الانسان » ..

انها نظرة انسانية تتوسع فى المعانى التى جاءت بها فلسفة اليونان فتسمو بها الى آفاق رحبة فسيحة .

والانسان عند « سنكا » محل التقدير والاعتبار بغير نظر الى اصله ومنبته ، او الى وضعه ومقامه بين الاحرار والعبيد :

« لا انسان انبل من غيره ، حتى لو كانت طبيعته الروحية خلقت افضل ، وكان اقدر على تحصيل علم ارفع ».

« كل فرد حتى لو لم يكن ثمة ما يزكيه ، فان على ان اقدره ، لانه يحمل اسم انسان » .

« على كل انسان ان يعمل قدر الامكان فى سبيل سعادة الاكثرية ، فان لم يتيسر فليعمل فى سبيل سعادة الاقلية ، وان لم يتيسر ففى سبيل سعادة جيرانه ، وان لم يتيسر فلنفسه » .

اما الرقيق الذين جردهم ارسطو فى فلسفته من ابسط حقوق الانسان، فانهم عند «سنكا » يلقون تقدير الانسان لاخيه الانسان بغير نظر الى حرية الحر وعبودية المستعبد :

«فى معاملة الرقيق ينبغى الا نراعى الى اى مدى نستطيع ان نعمل دون ان يلحقنا عقاب ، بل نراعى ما تقضى به طبيعة الحق والعدالة ، وكلاهما يامرنا بان نعامل حتى المسجونين والرقيق بالرفق والحسنى ، وعلى الرغم من ان كل شىء مباح فى معاملة الرقيق ، فان هناك مع ذلك بمقتضى الحق العام لكل كائن حى «امورا» لا يجوز ارتكابها فى معاملة الانسان لانه من نفس طبيعتك » ..

●

قصة

رجل البيت..

● سعد رضوان ●

● وصل الى سمعي صوتها وهي تزعق فادركت ان خلافا جديدا دب بينه وبينها، وكانت فرصتي .. وعادتي ان انتهز مثل هذه المناسبات لاتجه الى شقة جارتي الحلوة واتدخل في الصلح بينها وبينه ! ..

وهكذا اندفعت اطرق بابها وقد رسمت على وجهي تعبيرا يدل على انشغالي .. وسألتها :

ـ ماذا حدث يا ايمان ؟

فصرخت : كما ترى . لم اعد اطيق الحياة معه !

ـ اهدئي واخبريني بما حدث ..

ـ لم يحدث شيء .. انه لا يفعل اى شيء ! . ان وجوده في البيت لا يعني .. هذا ما حدث !

ـ لم افهم !

ـ انا اعمل وهو يعمل .. وعبء البيت كله فوق راسي .. ولكنه يرفض ان يغسل طبقا اكل فيه !.. يوحل قدميه في الشارع ثم يدخل البيت ويدوس بحذائه فوق السجاجيد النظيفة ، ويرفض ان يخلع حذاءه بجوار الباب

فقاطعتها : يا ايمان هذه اشياء عادية نفعلها كلنا ولا تستدعي مثل هذه الثورة منك .

ـ ليست عادية .. انك تطبخ طعامك وتغسل صحون بيتك ، وملابسك وتكويها ..

ـ نعم ولكن ليس كل الرجال مثلي !

ـ نعم رأيتك تمسح ارض مطبخك من نافذة مطبخي المواجهة !

ـ فعلا انا امسح واطبخ واغسل واكوي .. ولكن لاني اعيش وحدي ولم اتزوج بعد بسبب ظروفي الخاصة

ـ وما هي ظروفه التي تمنعه من ان يفعل مثلك .. هل لاني معه اقوم انا بكل شيء ، ولا يمد هو يده الى شيء .. حتى مرتبه يحتفظ به لنفسه ولا يدفع مليما في البيت !

وكان هو حتى هذه اللحظة جالسا مسترخيا على كرسي ذي مساند غير مهتم بكلامها او بتدخلي .. ولكنه حين وصل الموضوع الى ذكر مرتبه ، رد عليها ببساطة :

ـ انت تعرفين ان مرتبي بسيط واني اصرف منه على احتياجاتي ولا يفيض منه شيء ، فهو ليس بالمرتب الضخم مثل مرتبك انت .. فانت اشتغلت خمسة عشر عاما قبل ان اشتغل انا ..

ـ اسامع ؟!

فقلت مهدئا : لاداعي لكل هذا .. اعتقد ان كل شيء يمكن حله بالتراضي

وزعقت ايمان : اي تراض ! .. انني اتحمل عبء البيت خمس عشرة سنة .. لم اعد اطيق .. لماذا اصرف انا كل نقودي ، وهو لا شيء . لماذا اخرج من عملي الى السوق لاشترى كل ما يحتاجه البيت ، حتى الخبز ، وهو يرفض ان يشتري شيئا حتى ولو كان زرارا لقميصه ؟ .. انه يلقي بالقميص الي ويطلب ان اركب له الزرار الناقص ! ..

وصرخ هو : « اسكتي .. انا لم اعد اطيق العيش في هذا البيت ؟

ـ وما الذي يجبرك على العيش فيه

ـ انت !

– انا

– انا !؟ انا لا اجبر احدا عـلى ان يتقبل حياتي !

– ولكني لا استطيع ان اتركك !

– لماذا ؟ .. انني اعتمد على نفسي واعمل ، واكسب ، وادير البيت وحدي ، واصرف عليه وحدي ، ولا احتاج لان يساعدني احد !

– حاضر .. سانتهز اول فرصـة لاترك لك هذا البيت ! وقام ليندفع خارجا وانا الاحقه قائلا :

– لا داعي لهذا الغضب يا ايمن .. انتما لا يمكنكما الاستغناء عن بعضكما

ولكنه لم يلتفت الى ، بل اندفع مبتعدا خارجا ..

وعدت اليها فقالت : ارايت !!

فنظرت اليها بشغف ، وسكتنا لحظة ،

– انا احبه ، ولا يهمني كل ما يفعله معي .. وانا اعرف اني سيدة الدار ، ولا اكره الاعمال المنزلية ، ولا اتعب منها ولو بقيت طول النهار في المطبخ وفي تنظيف المنزل فلن احس بالتعب .. ثم انه يصغرني بعشرة اعوام و ..

– اذن لم تثورين ؟..

– كنت اريده ان يكون اكثر نظاما ، وان يعتمد على نفسه اكثر مني ويحس بالمسئولية ، ويحس بانه رجل هـذا البيت بدلا من هذا الاستهتار ، وعـدم الاهتمام بشيء .. يسهر كما يشاء له السهر ، ويأتي ليوقظني بعد منتصف الليل طالبا العشاء ..

– انه شاب صغير وسيعلمه الزمن ..

– اعرف انه صغير وانا كبيرة ويجب ان احمله ، ولكن ..

ليس هناك لكن . انى اعرض عليك نفسي و .

– ماذا تقول ؟

– اقول انني اريدك .

– تريدني ؟!

وصحت فيها : « اسـمعيني الى النهاية !.. » ثم اندفعت في الكلام :

« انا اقول اني احبك ، واني اعجبت بك منذ سكنت في الشقة المواجهة لشقتك واعتقد انني انا الشخص الذي يلائمك صحيح انني اكبر منك بعدة سنين . ولكني لست عجوزا وعقليتك تتفـق مع عقليتي ، ومركزي معقول و ..

وبدأ عليها الاندهاش ، وهي تنظر الى في حيرة ، ثم وضح انها تـريد ان تتكلم ، ولكنها قالت شيئا غير مسموع وخرج منها صوت غير واضح ولا مفهوم ثم ابتلعت ريقها ، وانتابتها رعشة ، وهي تقول بهدوء وابتسام : « لقد فاجأتني ! »

الحقيقة هذه الامور تحتاج لتفكير ..

– اي تفكير ، اني اعرض عليك الزواج واظن اننا قد بلغنا سنا لا تسمح بضياع الوقت في التفكير ..

– وايمن .. ماذا افعل به ؟! ..

– لا شيء . اتركي له الشقة ، وتعالى عيشي في شقتي !

– انه مسكين لا يستطيع ان يعيش بدوني . لا يمكنه سلق بيضة او صنع كوب شاي .. لا ، حرام ان اتركه !

– لا تتركيه ، و .. وعيشي معي !

– كيف ؟!

– سيمكنه ان يعيش بالشقة ، ويمكنك ان تراعيه وسنبحث له عن زوجـة تناسبه في السن والعقلية و ..

– لا اتصور !

– اسمعي .. لا ترفضي ارجوك . انا اعلم انك ربيت ايمن وتعبت في تربيته حتى اصبح رجلا .

– انا ربيت اخي ايمن ، فانا اختـه وامه ، وكل شيء له ، وهو كل شيء لي .. لا تنظر الى ثورتي ضده ، فاني اثور عليه واتشاجر كما تتشاجر الام التي ترى تصرفات خاطئة من ابنها لا اكثر . ولكنه اخي الذي عاشرته عمري واحس انه ..

– لن يحدث ضرر لاخيك .. سأتزوجك ويعيش معنا ان اراد ! .

وصمتت ، فاصابني القلق .. ثم سألتها بعد فترة : « هيه . ما رأيك ؟ »

فاجابت بدلال :

– هذا الكلام لا يقال لي .. انتظـر حتى يعود اخي ايمن واطلبني منه اذ انه رجل البيت ! .

قصة الكتابة العربية

في اوائل هذا العام اصدر المغفور له الدكتور ابراهيم جمعة طبعة ثالثة لكتابه « قصة الكتابة العربية » والذي يعد من اهم المصادر التي تناولت قصة الخط الذي يكتب به الناطقون بالضاد في كل مكان ; والذين من حقهم ان يتبينوا كيف أصبح للعرب الحجازيين خط يكتبون به بعد ان كانوا امة لا تعرف الكتابة ولا تدرك التدوين وكيف تميز خط هؤلاء وبعدت الشقة بينه وبين الخط الذي أستعير منه . . . وكيف تعددت صوره وعراه النقط والشكل ...

وكيف صاحب هذا الخط الاسلام يخدم اغراضه ، وكيف حل في الاقطار التي دخلت في دين الله أفواجا محل الخطوط التي كانت مستعملة فيها من قبل ، واصبح الوسيلة لكتابة اللغة المحلية ، كما حدث في بلاد الفرس (ايران وتركيا حتى أوائل العشرينات من هذا القرن)

وكيف جود هذا الخط وارتقت اشكاله حتى غدت في بعض المواطن فنونا اسلامية رفيعة . . . ثم كيف تقلص ظله في بعض الجهات بزوال سلطان العرب السياسي منها ، وكيف وقع النزاع بينه منذ القدم وبين الحروف اللاتينية ، وهو النزاع الذي تتجدد معركته بين الحين والحين ولكنه التجدد الخطر الذي يخشى من عواقبه . . .

***

والحق ان قصة الخط العربي ترتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة الاسلامية وانتشارها والتمكين لها ، وبالفن الاسلامي الذي نشأ للمسلمين وهم يجهدون في اعلاء كلمة الله وتدعيم كيانهم الاجتماعي والسياسي والفني — فهي قصة الكتابة في مسيرتها لخدمة الاسلام في ذيوعه، وما لبثت ان اصبحت مظهرا جميلا من مظاهره : يدخل لجماله وسموه في دائرة الفن الاسلامي .

والكتاب لا غنى عنه بصفة خاصة لطلبة اقسام الوثائق والمكتبات في الجامعات العربية . وهذه الطبعة الاخيرة تمتاز عما سبقها بالتوسع في مادة الكتاب وزيادة توضيحها بالاشكال والرسوم لتكون مرجعا عاما في هذا الموضوع ..

ومنذ بضعة اشهر اصدر الطبعة الثانية لكتابه « جامعة الاسكندرية في العصر الاغريقي الروماني، والنقل عنها وتأثر العقل العربي بعلومها » وكانت الطبعة الاولى قد صدرت عام ١٩٤٤ لمناسبة انشاء جامعة الاسكندرية الحالية ، وكانت الغاية من صدوره هي التذكرة بان تلك المدينة الخالدة « الاسكندرية » مدينة علم واطلاع وبحث منذ عصور قديمة، وان الجامعة الجديدة — ثانية جامعات مصر في العصر الحديث ، ليست الا صورة مبعوثة لجامعة الاسكندرية القديمة التي ازدهرت في العصر الاغريقي والروماني وادرك الفتح العربي اواخرها في القرن السابع الميلادي ، وافاد منها النساطرة واليعاقبة والسريان ثم العرب .

ابجد هوز حطي

وقد كان العرب بحق وصدق حفظة على تراث الاسكندريين ، ظل في أيديهم وصدورهم وعقولهم زمنا طويلا ، أودعوه مراكز العلم والدراسة والبحث في المدن التي قدر لها أن تحتفظ بكنوز العلم اليوناني واللاتيني طيلة العصور الوسطى الاسلامية ، لتكون هذه الكنوز المعين الذي لا ينضب والمورد العذب الذي استقى منه الاوروبيون وهم يجوبون الشرقين الادنى والاوسط ، بحثا عن تراث الاقدمين : يضيئون به الطريق امام أوروبا وهي تنهض نهضتها الحديثة ، وتشعل مصابيح العلم ، وتعيد الصورة التي كان قد عفى عليها الزمن ، لتقوم للعالم قائمة كبرى بعد قرون من الغفوة والسبات .

والكتاب يلم الامة وفية بمكتبة الاسكندرية متحفا ومكتبة وجامعة ويجدر بنا ان ننوه بالفصل الذي تناول دحض تلك الاكذوبة التي تذهب الى القول بان العرب احرقوا مكتبة الاسكندرية عند فتحهم للمدينة ، ويلي ذلك الفصل فصل آخر عن اشهر الاعلام الذين تفخر بهم الاسكندرية وجامعتها القديمة كاقليدس ابو الهندسة وما نيتون المؤرخ ، وثيوكريتس الشاعر، واراتوستنيز الجغرافي الذي قاس محيط الارض وجالينوس الطبيب .

***

وللدكتور جمعة عدة مؤلفات غير هذين الكتابين المشار اليهما منها كتاب « مصر الخالدة » وفيه تناول امجاد مصر على ممر العصور وكتاب « العملاق الجديد » ويتناول القومية العربية واصولها ومقوماتها واهدافها ؛ وكتاب « ايديولوجية القومية العربية » وفيه يبين ما يجب أن تقوم عليه القومية العربية وما يجب أن تحققه ... الخ

وكان ختام اعماله تلك الخريطة التاريخية للعالم العربي وقد وضعها بالانجليزية ، وقد قام بطبعها ونشرها معهد المستشرقين بهولندا ، ويضاف اليها « الاطلس التاريخي للدولة السعودية » . وهو عمل رائع حقا .

والدكتور جمعة من خريجي مدرسة المعلمين العليا قسم الاداب ، وقد اشتغل بالتدريس بالمدارس الاميرية الابتدائية والثانوية ثم حصل على دبلوم معهد الاثار الاسلامية سنة ١٩٣٨ وعلى الدكتوراه في الاثار الاسلامية سنة ١٩٤٣ ثم تقلد بعض الوظائف الادارية والفنية في وزارة التربية والتعليم ، واختارته بعدئذ جامعة بغداد استاذا للتاريخ الاسلامي سنة ١٩٦٥ ثم انتقل الى جامعة بنغازي بليبيا فجامعة الجزائر عام ١٩٦٩ واخيرا انتدبته « دارة الملك عبد العزيز » بالرياض حيث عمل استاذا وباحثا غير متفرغ بها ، حتى وافته المنية في منتصف عام ١٩٨١ . رحمه الله واسكنه فسيح جناته . ●

أذكركم بهذا الشاعر:

إمام العبد

قبل أن يسقط من ذاكرة التاريخ

عبد الله أحمد عبد الله

لى غرام بالحديث عن مجموعة من الادباء والفنانين الذين اشعر انهم لم ياخذوا حقهم فى حياتهم ولا بعد مماتهم أرانى منتظما فى سلكهم ، ومن هذا المنطلق - كما يقولون هذه الايام ! - احاول انصافهم وتذكير الناس بعطائهم وقيمتهم .

من هؤلاء الذين اخشى ان تسقط اسماؤهم من ذاكرة التاريخ ، الشاعر الظريف المسامرة محمد امام العبد .

هو ابن لوالدين من الرقيق ، انجباه وهما فى خدمة أمراء من سكان « القصر العالى » حيث تهيأت حياة فيها الرخاء والنعمة وتيسر له الحصول على قسط من التعليم ، فحفظ جانبا من القرآن الكريم وأجاد الانشاء البدائى وعرف قواعد النحو وشتاتا من شعر الاقدمين .

واذ لم يستكمل الدراسة المنتظمة فقد عوض ذلك بالقراءة والتقرب من حلقات الادب وندوات السمر ، فتزود وتزود ، وتفتحت واعيته على آفاق من المعرفة ، التقطها بذكائه وقدرته على الاستيعاب ، ولم يلبث أن برز شاعرا جديرا شعره بالاصغاء والاهتمام .

ورحل عنه الوالدان فتركاه وحيدا فى الحياة بلا ميراث ولا صناعة يجيدها ، فلم يكن أمامه الا ان ياكل خبزه بشق قلمه . ولا يعدم مدعيا ثريا يستكتبه ما ينشره باسمه ، أو جمعية تقصده فى قصيدة لخدمة اغراضها مقابل اجر متواضع ، أو يمدح أو يهجو ليعيش .. وهذا هو الجانب « الصناعى » فى شاعرية الاستاذ محمد امام العبد ..

أما جانب الالهام والوحى والفطرة فى سائر شعره ، فهو يشير الى شاعرية دفاقة غزيرة العطاء والمستوى الذى كفل له مكانا ومكانة بين سادة الشعر فى عصره : شوقى ، وحافظ ، ومطران وأضرابهم ..

واذا كان محمد امام العبد ،عبدا أسود أفطس الانف ، غليظ الشفتين ، فقد كان بهذه الصورة هدفا لقفشات ودعابات الصحب ، واذ لا حيلة له فى تغيير واقعه

وسوداء كالليل البهيم عشقتها
لأجمع بين الحظ واللون في عيني
إذا ضمّنا ليل تبتسم ثغرها
فلولا سناه بت في جنح ليلين!

امام العبد

« اللوني » فقد تحول الى متعصب للونه فخور به ، بل ومبرر له :

نسبوني الى العبيد مجازا ...
بعد فضل واستشهدوا بسوادى !
ضاع قدرى ، فقمت اندب حظى
لسوادى ، على ثوب حداد !

ولقد ظلت مرارة الحظ الاسود عالقة بلسان وشعر امام العبد ، فقد كان يتصور انه ضائع لا يلقى كفاء موهبته ، وأن مكانه غير المكان وان حظه غير ماكان ! وتأمل معنى قوله :

لبست لاجله ثوب الحداد
وددت مع الزمان بغير زاد
فما دار ألمت بها دیاری
ولا بلد ألمت به بلادی !

وهو حتى عندما يطرق حديث الهوى والحب ، يشيد بسواده ، ويدير حوله حوارا بينه وبين ملهمته :

همت بالوصال فقالت عجبا
أيها الشاعر ما هذا الهيام ؟
لم ينل منا الرضى حر وما
رام منا سيد هذا المرام !
انت عبد والهوى ابانى
ان وصل العبد فى الحب حرام!
قلت يا هذى انا عبد الهوى
والهوى يحكم ما بين الانام ..
فارحمى صبا تلظى قلبه
انما الدنيا حياة وغرام !

واذا ما كنت عبدا اسودا
فاعلمى انى فتى حر الكلام !

وقد كانت لامام العبد ملهمة ، حسناء بيضاء ، كانت تلقاه متلصصة متنكرة على حذر ، تعطف عليه وتقدر موهبته ، ويطربها شعره وتستعذب فكاهته ..

واذ عرض عليها قلبه ذائبا فى شعره أوهمته انها تستجيب له لكن قلبها لم يخفق الا بتقديره والاعجاب به ، وكانت معذورة بلا شك ، فهى فاكهة شهية يحوم حولها رجال الثراء فيهم الوسيم والجميل والقرهم جمالا لم يصل الى دمامة هذا الاسود الفحص الغليظ الشفتين الافطس الانف ـ وقبحا اللهم لا اعتراض ! ـ وهو يصور هذه العلاقة التى كان يعرف حدودها لكنه بازهام هواه يتجاوزها فيحب مغرقا فى الحب من جانبه وحده ، واذ تداعبه باشارة الى سواده يقول :

كتمت فالعصانى ، وبحت فلامنى
فهاج غرامى بين سرى واعلانى !
وما كان لونى قبل حبك اسودا
ولكن لهيب الشوق احرق جسمانى!

وانعم واكرم بهذا « السواد الاعظم » الذى ينضح هذه المعانى والاخيلة ، ما أسعد فن الشعر اذ يحظى من شاعر اسود اللون بمثل قوله فى ملهمته البيضاء « مستثمرا » لونه فى دعم غزله :

ورب جميل زارنى متكتما
مخافة لاح يعذل العبد فى الحب!

وقبلني عشرا ، وقال تذللا
سوادك في عيني وحبك في قلبي!

ونتجاوز عن (الكذب) الذى انزلق اليه خيال الشاعر حين قال (وقبلني عشرا) و (قال تذللا) . فلا اتصور الحسناء البيضاء تتحمل — أو تطيق — عشر قبلات من زميلنا البائس الدميم !

وهو فاجر في كذبه اذ ينسب الى الحبيبة التذلل اليه.. هنا أظن مقتضيات الوزن وحدها دفعته الى هذه الشطرة : « وقبلني عشرا وقال تذللا » . لكن حسبنا منه ابداعه هذه الصورة على بعضها !

وتعمق حلاوة الخيال في قوله في معشوقة أخرى سوداء مثله :

وسوداء كالليل البهيم عشقتها
لاجمع بين الحظ واللون في عيني
اذا ضمنا ليل تبسم ثغرها
فلولا سناه بت في جنح ليلين !

ولا معدى لنا من تقرير واقرار أن لونه ودمامته كانا ينبوعا ثرا لابداعه الفني من أي جانب طرقهما .. على أن همه الاكبر كان في بؤسه وعدم وجود مورد ثابت له من أي عمل .

أزمة امام العبد كانت في حظه الضائع في الحياة . وما كان له أن يسرف في الندب على عدم وجود مورد رزق له . فلماذا لم يمتهن مهنة أو يتعلم حرفة يأكل من ورائها ، لكنه حين استوى أديبا كان قد تعدى مرحلة التعليم دراسة أو صناعة ، وكان يعيش كيفما كان — نعم — ولكنه كان يعيش !

مكانته الادبية بين أقران عصره كانت ملحوظة فلسنا معه ان شكا من تجاهل احد لوزنه الادبي ، لكننا نغفر له ونتفهم شكواه من الزمن لانه فعلا كان جديرا بمزيد من التقدير من المسئولين في عصره ولان القائل الابيات الآتية كان حقا قمينا أن تتيسر له الحياة على نحو أفضل :

تكاد عيوني تقرأ الغيب في الدجى
وتسمع اذني فيه ما تضمر النمل !
وما انا من قوم تهون نفوسهم
عليهم اذا خانهم الصحب والاهل
فل من مضاني رفقة وعشيرة
فلا سيد ينأى ولا صاحب يسلو
فيا حظ لا تسعد ويا خل لا تزر
ويا دهر لا تعدل ، ويا عيش لا تحلو
فما هاجني سخط ولا كفني رضى
ولا ساءني ظلم ولا سرني عدل !
وما قتلتني الحادثات وانما
حياة الفتى في غير موضعه قتل !

الله .. ما اروع ، وما أبدع !

على أنه لابد من الاشارة الى أن طابع العصر — عصر امام العبد والى عهد قريب جدا — كان شكوى الادباء من الزمان . بل كان هذا الموضوع مادة شبه ثابتة في دواوين الشعراء وكانوا يتنافسون ويستعرضون عضلات وحيهم وهم (يبدعون) في تصوير بؤسهم وتنكر الزمان لهم .

وفي هذا الصدد يبدع محمد امام العبد في قوله :

سئمت من الحياة بلا حياة
وضقت من الرشاد بلا رشاد !
وكيف يهيم بالدنيا اديب
تزمل بالسواد على السواد !
اذا أكل الطعام فمن تراب
وان شرب المياه فمن مداد !
خلقنا للهموم بلا دليل
وهمنا بالحياة بلا اعتقاد !
ولو علم الزمان بنا قديما
لما مال الزمان الى العناد !

نسبوني إلى العبيد مجازًا
بعد فضلي واستشهدوا بسوادي!
ضاع قدري، فقمت أندب حظي
فسوادي على ثوب حداد!

صورة قاتمة استمد الشاعر سوادها من سواده!

على أن حياته كانت مرحا متواصلا. كانت نكتة وابتسامة وتشنيعة ومعابثة وخمرا يعب منها متوهما أنه يغرق فيها أحزانه:

هاتها يا أجمل الناس ابتساما
وصن السر كما صنت الغراما.. !
واسقنيها في الدجى ممزوجة
لأرى في الكأس حلا وحراما
خمرة تحسبها العين لظى
ويراها القلب بردا وسلاما!

ولأن مفهوم الشعر حتى عصر امام العبد وربما الى اليوم، وربما الى ما بعد — ان أعذب الشعر أكذبه، فبهذا المقياس يروح الشعراء في مجالي الفخر والحماس يمعنون في الكذب والاوهام وادعاء الشجاعة والنجدة والندى، الخ..

وبمقياس الفخر «الشعري» وبرنة حماس عنترة الاسود مثله، وسائر الفرسان الشعراء السود، راح امام العبد يقول بنغمة القدامى:

ولما التقينا والاسنة شرع
ونادى المنادى لانجاة من الحتف!
عطفت على سيف المنية فانجلت
صفوف وكان الصف الصق بالصف
فرحت وفي وجهي وجوه عبوسة
وعدت واشلاء الفوارس من خلفي
فلم ار قلبا غير قلبي بجانبي
ولم ار سيفا غير سيفي في كفي
وقسم سيفي القوم قسمة عادل
فارضى الثرى بالنصف والطير بالنصف!

ويروى الرواة أنه قبل أن يتم هذه القصيدة سقطت عليه قطة يطاردها كلب وفوجيء بنباح ونونوة، وفزع في الظلام فغادر غرفته عدوا لا يكاد يستجمع أنفاسه!.. وهو الذي عاد من خياله بأشلاء الفوارس من خلفه، وقسم سيفه أعداءه قسمة عادل!

والشاعر الزجال الظريف الضاحك امام العبد يتألق — لا أعرف كيف! — في الصور الآتية الحزينة، وهو الذي اشتهر ظريفا وابن نكتة ربما بأضعاف شهرته شاعرا.

ودليل هذه الأبيات صور بها امام العبد حالة شاب افترسه مرض السل والعياذ بالله:

عشق الموت مكرها في شبابه
رب موت تحار في أسبابه!
قبل ان يدفنوه في الرمس ميتا
دفنته الايام في جلبابه...
فاذا رمت أن تراه بعين
لا ترى غير انه في ثيابه!
كيف تقوى كفاه في موقف الـ
عرض اذا كلفوه حمل كتابه؟
أيها الموت لا عدمتك خلا
طالما أنقذ الفتى من عذابه!

هذا هو الشاعر امام العبد، أذكر به وبفنه.. ولا تزال في حياته وابداعه ونكتته الساخرة اللاذعة جوانب استرعى اليها اهتمامات الباحثين والدارسين.

قصة

سيدة عند النهر

● حسين عبيد ●

« اذا زرت مدينة ما ، فاحرص الا يخدعك وجهها المألوف.. بل ابحث ـ بين الاحراش ـ عن وجهها الحقيقى ، المجهول ! »

من مذكرات رحالة مصرى قديم

لقطة من بعيد :

يمتد الطريق الواسع ، الجديد .. يتلوى ، ينحنى موازيا للنهر .. تلهب ارضه شمس اغسطس الحارقة تندفع عليها السيارات مسرعة ، تتناثر على جانبه عمارات شاهقة ، تتخللها بعض البيوت القديمة .. بينما يلتهم النهر ـ على الجانب الآخر ـ اشعة الشمس النارية ، لتستكين وادعة بين حناياه، خلال مسيرته الهادئة ، الوادعة .

الاقتراب من النهر :

تخوض سيدة فى ماء النهر بساقها اليمنى ، تملأ الكوز ماء بيدها اليسرى تعتدل تصب الماء على جسم طفلتها العارى تدلكه بالصابون ..

تصرخ فى وجه ابنتها : اعتدلى يا شقية !

لابد دوما من الشجار .. بلسانك تكسب مكانك .. حتى هذا الجزء من ضفة النهر ، رغم تكرار الحضور اليه يوميا للغسيل والاغتسال .. تتعمد بعض الجارات احتلاله .. فلتعتدلى

ـ الآن ـ يابنيه ، حتى ننهى عملنا ، ونرتاح !

تجذب شعر الطفلة ، تغرقه برغوة الصابونة : اغمضى عينيك !..

تسقط نظراتها تلقائيا على الاجسام البشرية المزروعة حولها ، فتيات وسيدات ـ من الجيران ـ يغسلن اوعية واطباق الطعام فى ماء النهر ـ يتحركن بنشاط ، يستغنين من وفرة الماء فحنفية الحى الحكومية بعيدة ، ومن لديها الوقت والجهد لتحمل الماء الى حجرتها ؟! .. رحم الله ايام السقا فى الايام الغابرة ، كما تحكيها امى المريضة ..

تربت على شعر الطفلة : اخفضى راسك ..

تخوض السيدة فى الماء ثانية، تسرع بملء الكوز ، تفرغه على شعر الطفلة، تحك راسها بشدة يتطاير رذاذ الماء يغمر ملابسها التى ابتل اسفلها .. تشعر بنظرات شاب ، يصطاد السمك قربها ، تلسعها .. لاتهتم .. يجب ان ينتهى استحمام نعمات ومحمود ، على عجل ، كما انتهى غسيل وشطف الملابس المتسخة منذ فترة ، فاليوم لى والايام الاخرى للآخرين !

تكرر ملء الكوز عدة مرات ، تدلك جسم الطفلة اثناء صب الماء لتزيل بقايا الصابون العالقة به بقسوة ..

ـ محمود . اعطنى الجلباب الجاف .. الجلباب ياولد !.

تتناول الجلباب من محمود، تجفف به الصغيرة .. وانت يا حبيبة ، تحتاجين الى مريلتين وحذاء المدرسة .. واخوك يحتاج جلبابا ، من اين اشتريهم ؟! من اين ؟!

ـ انت ياولد تعال بجوارى ..

تجذب هذا « المحمود » ناحيتها ، تجرده من جلبابه الصغير ..

وعلى الام المريضة ـ قعيدة الحصيرة المهترئة ـ الدور للاستحمام لكن الوقت بالكاد يكفى تنظيف الحجرة والطبخ



والعمل فى بيوت الاخرين ..

- البسى بسرعة يانعمات !.

تمتد يدها المدربة بالماء والصابون تضربه على ظهره بقوة : اثبت فى مكانك .. لاتتحرك حتى انتهى ..

تغمر شعره بالصابون ، تحكه بشدة تمشيط الشعر هواخر بعد الاستحمام .. وبقليل من الكيروسين فى مفرق الشعر تتم نظافته .. وامام باب البيت فى ضوء الشمس هو المكان المنتظر !

يحاول الصغير ان يتملص من يدها تتعثر تكاد تقع، تتماسك تغرزساقيها بين الاحجار تحس الطين الناعم يتخلل اصابع قدميها .. هل قدر لى ان اموت غرقا .. منذ شهرين - فى نفس المكان - انزلقت قدم شاب يصطاد السمك سقط فى النهر تخبط بين مياهه .. ابتلعه الماء مات غرقا !

فهل سأموت هنا ؟!

تزدرد لعابها تحكم قبضتها على الطفل : استغفر الله . ربنا نجحنا !

- اغمض عينيك ، واجلس فى الماء!

ترفع سيدة الطفل بين يديها تغطسه فى الماء عدة مرات تزيل رغاوى الصابون المنتشرة على جسمه توقفه فوق الاحجار فى مكان بعيد عن الماء جفف نفسك ، والبس جلبابك ..

تخرج من الماء بحرص يطالعها عرى ولدها وهو يستره بالجلباب .. ما اشد نحافة جسمه لعل شقاوته الزائدة هى السبب .. فاذا كان الامر كذلك فما السر اذا فى نحافة اخته الهادئة؟!

تحمل وعاء الغسيل الممتلىء فوق راسها تضبط ذلك الشاب نفسه يحملق فيها - تضغط ناجذيها بعنف تمسك طفلها بيدها : تعالى يانعمات ، سنعود ..

تمشى بين الاعشاب الشيطانية ، تتخطى اكوام القاذورات ، تضع وعاء الغسيل على سور النهر تعبره مع نعمات .. يتحرر الطفل من يدها - يقفز من فوق السور الى الارض - يجرى الى سيارة مهجورة فوق الطوار يركبها ترفع سيدة وعاء الغسيل ثانية على راسها ، تبحث عن نعمات تجدها تلهو مع اخيها فى السيارة القديمة.

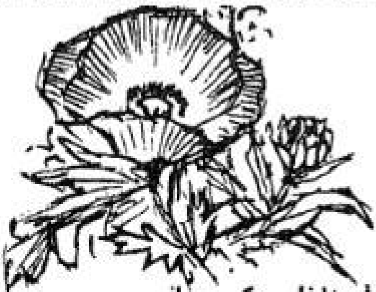
- نعمات .. احتضنى هذا الولد ، لنعبر الطريق ..

تنتظر على حافة الطوار يغمرها العرق تلسع سخونة الطوار قدميها الحافيتين .. تتنفس بصعوبة تكادتلهث ترقب افواج السيارات تتكاثر .. تتدافع تتصارع تزعق ابواقها تهدر لتحسين الفرصة بينها لتعبر .. يجب ان اسرع .. دائما كثور الساقية .. ماذا يكون غداء اليوم ؟! يجب ان اعد اى لقمة ، فلو عاد ابو الاولاد ولم يجد طعامه تكون المصيبة .. يجب ان...

نعمات .. وسط القيظ اللافح !؟

تقبض على يد الطفل بعصبية .. يضايقها التصاق جلبابها بجسدها : امسكى جلبابى .. الان ..

تنطلق سيدة بحملها ، تعبر الطريق بيدها صغيرها . بجلبابها تتشبث



يازهرة تزهو..

● حسينى عشرة ●

يا زهرة تزهو على الأغصان
وتضوعت فى داخلى وكيانى
آه لها .. بل الف آه بعدها
واقولها من حسنها الفتان
ايد الطبيعة ابدعت فى رسمها
حتى بدت فى اروع الالوان ؟ !
فجذورها البيضاء تضحك للثرى
وتشق ارض الروح والريحان
ويحوطها جند من الشوك الذى
يحمى حماها من محب جانى

***

لما سجاها الليل لم تخف الدجى
فلها انجلاء الفلك بالمعان
فالبدر يرسم ظلها بضيائه
فبدت بسطح النهر غصن البان
والنجم يرعى قدها وجمالها
بحلاوة الاقدار والازمان
فبدى الندى يحنو على اعطافها
قطراته من سلسل ريان

***

حتى اذا انفلق الصباح بنوره
وسناه يغمر عودها الفينان
تاتى البلابل تنتشى من حولها
تشدو الغرام باعذب الالحان
فاذا الحمام يحوم صوب عبيرها
ويميل عصفور على كروان
والنحل يرقص فى حمى اكمامها
كى يجتنى شهد الرضاب الدانى

***

وانا ادور مدارهم يا زهرتى
فانا محب والهوى ازكانى
فصلى حياتى بالحياة .. وعطرى
دربى .. بود حالم وحنان
يا واحتى . يا من سيتهى غربتى
يا بسمتى الغراء .. يا عنوانى
انى محب يفتديك بروحه
فخذى عطائى .. واقبلى قربانى

قصـــة

قبــل الرحيــل

● شوق فرج ●

● استقام العود واسترق الخصر واستبان .. اهتز النهدان في الصدر واشرأب العنق في شموخ وكبرياء وهو يحمل وجهـا خمريا يتوسطه انف دقيق وشفتان رقيقتان في لون الشفق ، وابتسامة كشفت عن صفين من العاج الابيض ، بينما يتوج الرأس شعر أسود طويل ينساب كشلالات فيوحي للناظر اليه كأنه يسبح في لجج الليل.

– وداعا طفلة الامس !

لم تعد طفلة الامس القريب . نضجت وتفتحت كزهرة الربيع قبل القطاف .. فتحت عيني منذ وعيت الحياة فوجدتها بجانبي .. نجري ، نمرح ونلعب .. لا نفترق الا عند غروب الشمس .. أما الآن وقد شملها ذلك النضج دوني وتباعدت بيننا المسافات ، ولم تعد كسابق عهدها معي ، رغم اننا نكاد نكون في عمر واحد .. كانت في الخامسة عشرة من عمرها بينما انا في الرابعة عشرة ، غير ان النمو عادة يكون أكثر نضجا عند الفتاة منه عند الفتى .

وصلتني بعفاف صلة جوار .. نقطن بيتا واحدا . تعيش مع جدتها الكفيفة بعد موت امها يتكفلهما الاب الذي اثر الزواج بأخرى ويزورهما على فترات متقاربة .. وبيتنا كانت له شهرة عريضة في الحي كله . ومن ذا الذي لا يعرف بيت « محمد باشا » الذي يقال انه كان أحد مماليك مصر وانه قد ذبح في القلعة لانه أعلن العصيان على السلطان برقوق اتعس سلاطين ذلك العهد ..

والبيت له باب كبيـر كأبواب القلاع العربية ، وقد تراصت فوق واجهته أسنان مدببة كتلك التي على باب المتولي ، يزينه برج أخضر تسمع من خلاله زقزقة العصافير وهديل الحمام .. به مشربيات ودهاليز رهيبة وآبار مياه ، ومعظم ساكنيه يقطنون الحجرات ، وكانت حجرتنا ملاصقة لحجرة عفاف ..

قبل النضج كانت عفاف لي وحدي .. نلعب ونمرح .. نصعد نسل البرج الاخضر ، واذا ما تعرض لها أحد الصبية تصديت له .. الآن تغير كل شيء .. لقد تكاثر محبوها وراحت عبارات الغزل تلاحقهـا وكنت أرى العيون تلتهمها فازداد هلعا عليها .. حتى الشيخ عبد العزيز الوقور سمعته مرة يقول عندما رآها : ربي أعطاك عينا ساحرة !

وفي الستينات تعرضت مصر لغزو ثلاثي غادر على مدينة بورسعيد . وعندما كانت تشن الغارات وتطلق صفارة الانذار ، يهرول سكان البيت الى « الخندق » . أما عفاف فلا تبرح مكانها وتظل بجانب جدتها رغم تحذير السكان لها بأن البيت لا يحتمل تلك الهزات وقد ينهار في أي لحظة .. وبدافع من خوفي عليها آثرت البقاء بجانبها ، وكان ذلك دون ارادة أمي . وأغلب الظن أن عفاف قد اكبرتني وقتها وربما عرفت بمكنون قلبي ..

وأردت أن افعل شيئا لاخلع ثوب الطفولة عني .. ذهبت الى معسكر الحرس الوطني وقدمت نفسي لاذود عن الوطن .. وهناك احسست بنظرات الاستخفاف من البعض ، ولكن الضابط المختص باستقبال الوافدين صرفني بطريقة اثلجت صدري ، أخذ اسمي وعنواني ثم شد على يدي قائلا : « سوف نرسل اليك فنحن بحاجة لامثالك » .

وعندما اشتدت الغارات جاء والد عفاف الذي اخبرها باتنسياخذها هي وجدتها لتعيشا معه في مدينة حلوان خوفا عليهما من ذلك البيت المتداعي .. وعشت فترةمنطويا على نفسي . كيف أعيش دونها ؟! لقد مست مني وترا حساسا في موقع قاتل . كانت توأم روحي ، عزيزة على نفسي ، قريبة من قلبي .

وقبيل يوم رحيلها ، وفي مساء ذلك اليوم ، انطلقت صفارة الانذار واطفئت الانوار ، وكنت كعادتي بجانبها .. وقررت ان أبوح لها باحساسي بعدما تأكدت انني أحبها حبا ملك كل مشاعري الصبية ، ولكن شجاعتي خانتني فتلعثمت قائلا :

– خلاص مش حشوفك تاني ؟ .

فاجابتني بصوتها الدافيء :

– انا عارفة انك بتعزني .. وانا كمان باعزك .

ساعتها لم اتمالك نفسي فأجهشت بالبكاء مرتميا فوق صدرها ، فاحاطتني بذراعيها ، ثم رحنا في قبلات طويلة ، حتى انتهت الغارة .

●●●

وفي صباح اليوم التالي وقف سكان البيت يودعون عفاف ، بينما انزويت انا في ركن بجانب أمي .. وعندما رأتني عفاف أومأت برأسها وقد ازداد بريق عينيها ، ثم مضت في طريقها حتى غابت عن عيني .

اغرورقت عيني بالدموع ، ولم أفق الا وأمي تشهق وتخبط صدرها بيدها قائلة :

– انت بتحبها يا واد ؟!

اجبتها وانا اجهش بالبكاء :

– قوي .. قوي يا أمي ! ●

وجوه

● شبيله العطار ●

● ربما انقضت ساعة كاملة وهى واقفة امام الباب المغلق ولكن الامر فى ذلك اليوم لم ينتبه ابدا .. والى الان لا تعرف ماذا حدث بالضبط الباب لايزال مغلقا .. فى غمرة ذهولها لاتكاد تصدق ما حدث .. انه اخوها الوحيد ، امل والدين بلغا سن الكبر، وشقيقاته كلهن يضعن فيه امالهن .. انه فى غرفة العمليات يصارع الموت. لقد اصطدمت سيارته الخاصة بسيارة نقل فتحطمت سيارته ونقلوه الى المستشفى بين الحياة والموت ..

وتجد نفسها اول من يتلقى الصدمة واول من يسرع الى المستشفى .. تجرى فى اروقة المستشفى بحث عنه وعلى وجهها يرتسم الذعر ، والهلع.

ــ اين اخى ؟ اين اخى ؟

وجدته ملقى على سرير باحدى الغرف ، وجهه ملىء بالدم ، وبقايا الزجاج المسحوق ، والدم النازف من فمه وانفه يغرق ملابسه .. تصرخ : اين مدير المستشفى ؟ اين الاطباء ؟ اين الممرضات ؟ كيف تتركونه هكذا ؟ دون علاج او اسعاف ؟ ان دمه يتدفق كالنهر ! ..

اخى .. اخى .. الا يوجد احد هنا ؟

فى الليل يتردد صوت حنان اخته وهى تلف وتدور بين الاروقة والحجرات فى كل اتجاه .. الرغبة فى انقاذه تحركها فتجرى لاهثة ..

فى التليفون .. الطبيب يتحدث هادىء الاعصاب مبتسما .. تندفع اليه صائحة : ارجوك .. اخى مصاب فى حادث سيارة ــ وحالته خطيرة ــ ارجوك ، قم بواجبك افعل اى شىء ، والآن فورا ..

وبهدوءشديد يرميها بنظرة مستغربة كانه يقول : لماذا انت منفعله هكذا ؟ اهدئى ! ..

ويترك سماعة التليفون ، ويتحرك صوب الحجرة التى يرقد فيها المصاب ولكن ببطء مشى ايضا يصدر بعض الاوامر ويدفع لابسو الثياب البيضاء سرير اخيها الى غرفة العمليات ..

واغلقوا الباب ..

فى اذنيها تدوى صرخات الم .. تغلقها بيديها كى لاتسمع .الصرخات تعلو وتعلو ..

لا تكاد تعى شيئا مما حولها سوى وقع اقدام على الدرج .. انهم اقبلوا يتوافدون جميعا خلفها ابوه الشيخ وامه ، وخطيبته . شقيقاته وازواجهن .. وبجانبها ابوها يتساءل والهلع فى عينيه والاسى يكسو وجهه وتيقظت . مشاعرها ، وادركت ابعاد الكارثه ..

حنان ، اخته يتنازعها عاملان ،فلقد وقع بينها وبين اخيها شجار بالامس وكانت هذا الصباح غاضبة منه اما الان فانها نسيت غضبها تماما وحل محله حنان غامر وحب لاادرى كيف

تفجر من اعماقها واستحال الى مناجاة ، شاركها فيها جميع من حولها .. على الشفاه لايتردد سوى الدعاء يارب .. يارب ..

***

وبسرعة استعادت كل الذكريات .. فمنذ شهر مضى وهو يصر على ان يتم زفافه اليوم من خطيبته التي عاش معها قصة حب لم تنته بعد ..

اليوم في الصباح وقف صائحا في وجه امه :

- الليله ليلة زفافي ، لاوقت للكلام او التأجيل .. فلقد حددت الوعد وانتهى الامر !

- يا ابني اسمع كلامي ولا تجعل قلبي يغضب عليك ..

- ماذا تريدين ؟ انني محتاج لامرأة وهذه هي المرأة التي احببتها ..

وفي صمت مطبق تتأمله امه في ذهول ولكنه يستدير مندفعا ويصفق الباب وراءه بشدة ويهرول مسرعا الى سيارته ..

***

وحدث ما حدث ..

وعلى غير انتظار التفتت تطالعها وجه ابيه الحزين المكلوم دموعه تجرى على خديه ونشيجه يختلط بدعائه .

وغير بعيد منه كانت امه تجلس واضعه كفيها على وجهها ودموعها تسح على ملابسها ، انه ولدهما الوحيد ، واملهما في دنياهما .. ان كل شيء له المحلات العقارات ،الاموال كل ثروتهما له ..

رباه .. ما قيمة كل هذا بدونه ؟.

وتستدير حنان ، فتجد خطيبته تقف وراءها منهارة تماما والحزن يكسو ملامحها بمسحة من جمال مرتاع .. انها تحاول ان تبدو متماسكة ولكنها كانت تتمزق في داخلها ، فالليلة ليلة الزفاف ، حلم كل فتاة ..

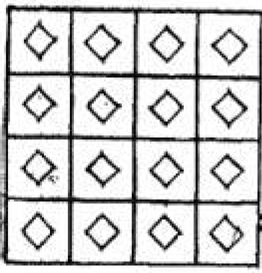
دون ان تدرى لمعت في خاطرها صورتها وهي ترتدى ثوب العرس الابيض المزين بالدانتيل ولكنه القدر.

واقبلت اخته سهام تواسي اباها وامها ، وعلى وجهها حزن حقيقي .. وزوجها حسن من خلفها يتبعها ،على وجهه قناع من الحزن المصطنع لم يفلح في اخفاء فرحته انه معروف بجشعه للمال ، وتنطلق دندنات الكلام من فمه صادقة او كالصدق كمن اكتشف المعجزة ، كمن حقق اكثر المستحيلات استحالة في شرحه وحماسه يندمج في الحديث كأنه هو الذي قام بكل شيء وحده .. هو الذي اسعفه هو الذي استدعى الطبيب .. واشار باجراء العملية ، يندمج تماما حتى ينسى ماذا يقول ..

ترمقه حنان بنظرات فاحصة فيشيح عنها .. ربما عرته بنظرتها وكشفت عن حقيقة مشاعره.. فليكن تتكثف ساعات الهلع والتعب . الباب لايزال مغلقا تدور بين الوجوه تتأملها. في الوجوه لحظة توهج انسانية نادرة ، لا نراها الا في وجوه المحتضرين لحظة تعانق الحياه والموت.

غير بعيد من الباب المغلق وقفت الاخت الصغرى منال وزوجها عباس على وجهيهما احاسيس متباينة .. فمنال كانت لاتكف عن البكاء .. اجل فهي اقرب شقيقاته الى قلبه .. اما عباس فبرغم انه كان اقل جشعا من حسن الا انه كان يمنى نفسه بنصيب الاسد في ثروة حميه .. بدا لها ان وجهه لا يحمل اى معنى من المعانى ، يبدو لا مباليا سلبيا جامدا . وجاءت وجوه وراحت وجوه ومر وقت لاتدرى ماطوله .. ويفتح الطبيب الباب ، وتلتمع عيناه ببريق مضيء وعلى وجهه ابتسامه مكدودة ولكنها بثت الامل في القلوب فاشرقت وجوه .. وكست خيبة الامل وجوها ..

روّح



اولا : لغز شعرى : من هو ؟

اســم الذى تيمني اوله ناظــره ...
ان فــاتني اولــه فان « لى » آخره !

ثانيا : اضافة مربعات

في هذا الشكل ستة عشر مربعا ، في اربعة اعمدة او ســطور افقيــة ، والمطلوب اضافة اربعة مربعات اخرى بحيث يكون مجمــوع عدد المربعــات الافقية او الراسية خمسة مربعات في كل عمود او سطر .

ثالثا : حاول :

١ ـ ان تطبق (تثنى) ورقة من مجلة او جريدة اكثر من ثماني مــرات (ثنيات) .

٢ ـ ان تقطع ورقة ممزقة في موضعين الى ثلاثة اجزاء دفعة واحدة .

٣ ـ ان تمس أصابعك أطراف حذائك اذا ثنيت جسمك وكانت ســاقاك وعقبا قدميك ملتصقة بالحائط .

رابعا : اختبر ذكاءك :

١ ـ ما الذى يدور حول الغرفة ولا يتحرك ؟

٢ ـ ما الشيء الذى تطلبه فاذا حضر لا تشعر بحضوره ؟

٣ ـ لماذا يقولون : ان شعر المدخن لا يشيب ولا يعضه كلب ولا يدخل بيته لص ؟

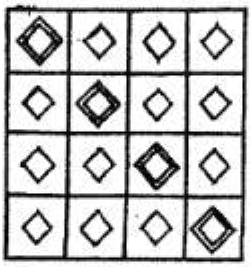
٤ ـ يقطع « حسن » في كل يوم مسافة تعادل المسافة بين القاهرة وطنطا ان لم تزد عليها ، وهو لا يركب قطارا او سيارة او اية وسيلة من وســائل المواصلات المعروفة ، أو اى نوع من الدواب ولا يسير على قدميه ، كيف يقطع هذه المسافة ؟

٥ ـ شخصان وقعا في حفرة ، احدهما اتسخ وجهه والآخر لم يتســخ وجهه ، فمن منهما يغسل وجهه اولا ؟

خامسا : اختبر معلوماتك : من هو ؟

١ ـ اشهر جغرافيي العــرب ، ولد في الاندلس سنة ١١٠٠ ودعاه ملك صقلية ليقيم في بلاطه ، رسم أول خريطة لمنابع النيل ومن مؤلفاته « نزهة

عن نفسك



المشتاق في اختراق الآفاق » .

٢ ـ قائد من أبطال الفتوحات الاسلامية ، عهد اليه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف الى العراق لتحريرها من الفرس ، قتل في واقعة الجسر عام ١٣ هجرية .

٣ ـ أديب عباسي معروف ، درس في البصرة وبغداد وألم بالعلوم المعروفة في عصره ، صاحب روح مرحة وقلم رشيق ، من مؤلفاته « البخلاء » و « البيان والتبيين » .

٤ ـ ولد بالاناضول سنة ١١٧٩ من أصل رومى ، رحل الى ايران ثم الى العراق ثم قضى بقية أيامه في بلاد الشام ، وهو صاحب « معجم البلدان » و « معجم الادباء » .

٥ ـ أكبر سلاطين المرابطين ، ولد عام ١٠١٩ ، واليه يعود تأسيس مدينة مراكش ، انتصر على ملوك الفرنجة بالأندلس .

● الاجابات ●

اولا : لغز شعرى : عل
ثانيا : اضافة مربعات

ثالثا : حاول ـ هذه المحاولات كلها مستحيلة !
رابعا : اختبر ذكاءك :
١ ـ الحائط
٢ ـ النوم
٣ ـ لانه يموت قبل المشيب ، كما انه يضعف فيتوكأ على عصى ومن ثم تخافه الكلاب ، واخيرا يسعل طول الليل فيظنه اى لص يقظا .
٤ ـ بالأسانسير او المصعد لانه عامل المصعد بأحدى العمارات الشاهقة
٥ ـ الذى لم يتسخ وجهه لانه عندما يرى وجه زميله يظن ان وجهه قد اتسخ ايضا ، بينما الآخر يظن ان وجهه نظيف كوجه زميله !
خامسا : اختبر معلوماتك :
١ ـ الادريسى
٢ ـ ابو عبيدة الثقفى
٣ ـ الجاحظ
٤ ـ ياقوت الحموى
٥ ـ يوسف بن تاشفين .

نزلات البرد

د. سيد الجميلى

مع اواخر فصل الخريف وبداية الشتاء ، تزداد شكوى الرئتين من الالتهابات المتنوعة نتيجة التغير الفصل من الهجير الملتهب الى النسائم الباردة ، ولما كان جسم الانسان سرعان ما يؤقلم نفسه ويكيفها لما تحيط به من ظروف ، فانه كذلك يبدى قلقا حيال هذه التغيرات المناخية المفاجئة فى صورة اكلينيكية مرضية تبدو على هيئة نزلات شعبية حادة أو تحت حادة او مزمنة .

ويعتقد الكثيرون من الاطباء أن نزلة البرد تنتقل من شخص الى شخص عبر الرذاذ المتناثر من فم المريض وخلال بصقات لعابه ،ولا تقتصر عدواه على جنس دون جنس انما الرجال والاناث على حد سواء عرضة لهذه الاصابة ، بيد ان الاطفال أكثر عرضة للعدوى من الكبار واقل مقاومة ، وقد تستمر الحالة بضعة أسابيع دون ظهور أعراض ثابتة واضحة

واهم هذه الاعراض حرقان الزور وجفاف الحلق واحتقان الانف وانسداده ثم سيولته بعد ذلك مع تبلد حاستى التذوق والشم وبعد مرور ثمانية واربعين ساعة من ظهور هذه الاعراض تحتقن العينان ويخشن الصوت مع سعال جاف .

وقد تصحب ذلك بعض الاعراض العامة كالخمول والكسل والشعور بالهبوط ، مع أوجاع منتشرة بالعظام والمفاصل والظهر ، وقد ترتفع درجة الحرارة فى بعض الاحيان .

وعلاج نزلات البرد لا يكون الا بالراحة التامة فى الفراش ذهنيا وبدنيا مع المسكنات البسيطة المناسبة كأقراص الاسبرين والنوفالجين .

غذاء الشتاء

يتطلب الشتاء اعطاء جسم الانسان البالغ ٢٨٥٠ سعرا حراريا غذائيا فى خلال الاربع وعشرين ساعة . وأنسب الاغذية ملاءمة لفصل الشتاء هى تلك التى ترفع حرارة الجسم بامداده بالوحدات الحرارية مثل أنواع الزبد والكريمة ومطبوخات اللبن ، ثم اللحوم الدسمة ولحوم البط والاوز .

وعسل النحل ، والعسل الاسود ، والمربى ، والارز ، والخبز ، والمكرونة ، والخضروات الدرنية هى أنسب الخضروات لفصل الشتاء مثل البطاطس واللوبيا والفاصوليا والعدس . والموز من الفواكه الشحمية التى تتميز باحتوائها على السعرات الحرارية العالية مثله مثل الفواكه المجففة كالمشمش والزبيب والتين .

وبالمناسبة فواكه الياميش كالجوز واللوز والبندق تعتبر جميعا من أعلى واغنى الفواكة بالسعرات الحرارية ايضا

التهاب العضلات الروماتيزمى

قد تحدث الاوجاع الروماتيزمية فى انحاء مختلفة من العضلات الجسدية وتختلف ظواهرها وأعراضها باختلاف نوعية الجزء المصاب به ان كانت فقرات العنق (الرقبة) أو الفقرات الظهرية او القطنية او الحوضية ، حسب موقعها ودرجة الاصابة بها ، وكذلك حسب مقاومة الجسم ومناعته الطبيعية .

وتتوغل الالتهابات الروماتيزمية احيانا خلال النسيج الضام بالجسم فتبلغ الشكوى من المتاعب ذروتها فى غضون اسابيع او اشهر قلائل .

ولابد للتحقق من التشخيص من عمل رسم كهربائى للعضلات لمعرفة درجة القصور بها ، واستبعاد أن يكون التعب العضلى نتيجة اى من أمراض العضلات العصبية الاخرى .

كذلك لابد من عمل سرعة ترسيب للدم ، وطبقا لهذه النتائج تتوجه دفة العلاج ولكنه فى اغلب الاحيان يكون بمسكنات الالم ومزيلات القلق مثل الاسبرين والنوفالجين والجرعات القليلة من الكورتيزون والعلاج الطبيعى مع استئصال السبب المباشر .

ترنيمة الختام

صلاة... ودعاء...

مصطفى عوض الله بشارة
الخرطوم .. السودان

هبْ من لدُنك رحمـــة
وهُدى يعظمُ أجْـــرنا
ألهمنا فضْــلَ المتّقيـن
زادا .. يددّدُ .. همّنـــا
تدعو ويَعـلـو الابتهـال
يارب واشرَح صدرنا ..

***

تَسْمو نفوس العابدين
بهدْاك والكَلِم المُبيـــن
وبما حَوتْ آيـــاته
للصّابرين .. المتّقين:
البَاذلين حَيَـــاتهم
زُلفى لربِّ العَــالمين
الخاشِـعين ، المؤمنين ،
الزّاهدين ، السّاجدين

***

قَلْبى يَهيمُ بنُـــوره
لله حبّى والمـــآبْ
يَشْـدو التقـاة بحَمده
والليـل مُسودُ الإهاب
وهُو الحليمُ ، وحلْمـه
يسَعُ الوجودَ بلا حساب
جلّ المهيمن من يُكافئ
فى الثواب ، وفى العقاب

الهلال

مجلة الفكر العربي



١٨٩٢ - ١٩٨١

بين العدد الأول من الهلال والأخير منه

٨٩ عامًا

من العلم والثقافة والأدب والفن والطرافة

ومازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة

الهلال : كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر

الهلال : يقدم لك في كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة

الهلال : يقدم لك العلم .. والعلم سلاح العصر

ثمن العدد في البلاد العربية : سوريا ٣٠٠ ق.س — الكويت ٣٥٠ فلسًا — لبنان ٢٥٠ ق.ل — العراق ٤٠٠ فلس — الأردن ٢٥٠ فلسًا — السعودية ٤½ ريال